

﴿سورة يوسف عليه
السلام وهي مائة وأحدى
عشرة آية شأى واثنان عشرة
مكى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر تلك آيات الكتاب
المبين) تلك اشارة الى آيات
هذه السورة والكتاب
المبين السورة اى تلك
الآيات التى أنزلت اليك
فى هذه السورة آيات
السورة الظاهر أمره فى
اعجاز العرب أو التى تبين
لمن تدبرها أنها من عند الله

لا من عند البشر أو الواضحة
التي لا تشبه على العرب
معانيها لتزولها بلسانهم
أو قد آيين فيها مسائل عنه
اليهود من قصة يوسف
عليه السلام فقد روى
ان علماء اليهود قالوا
للمشركين سلوا محمدالم
انتقل آل يعقوب من
الشام الى مصر وعن قصة

يوسف عليه السلام (انا
أنزلناه قرآنا عربيا) اى
أنزلناه هذا الكتاب الذى
فيه قصة يوسف عليه
السلام فى حال كونه قرآنا
عربيا وسمى بعض القرآن
قرآنا لأنه اسم جنس يقع
على كله وبعضه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام﴾

وهى مكية باجماعهم وهى مائة وأحدى عشرة آية وألف وستمائة كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة
وستون حرفا قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى وفى سبب نزولها قولان أحدهما روى عن سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه قال لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم نلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله
لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى
الر تلك آيات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص القول الثانى رواه الضعفاء
عن ابن عباس قال سألت اليهود والنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن
يوسف فأنزل الله عز وجل الر تلك آيات الكتاب المبين الايات الكريمة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (الر) تقدم نفسه يره فى أول سورة يوسف عليه الصلاة والسلام (تلك) اشارة الى آيات
هذه السورة أى تلك الايات التى أنزلت اليك فى هذه السورة المسماة بالر هذه (آيات الكتاب المبين)
وهو القرآن أى البين دلالة وسرارة وحدوده وأحكامه وقال قتادة مبين بينه الله ببركته وهما ورشده
فهذا من بان أى ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من آيات بهنى أظهر
وقيل انه يبين فيه قصص الاولين وشرح أحوال المتقدمين (انا أنزلناه) يعنى هذا الكتاب (قرآنا عربيا)
أى أنزلناه بلغثكم لئلا تعلموا ما نيه وتفهموا ما فيه وقيل لما قالت اليهود لمشركى مكة سلوا محمد صلى الله
عليه وسلم عن أمر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود والعبرانية فأنزل الله هذه السورة وذكر فيها
قصة يوسف بالعربية لنفسه بها العرب ويعرفوا ما فيها والتقدير انا أنزلناه هذا الكتاب الذى فيه قصة
يوسف فى حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القرآن على بعضه لأنه اسم جنس يقع على

- ٣ (تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام)
- ٨ ذ كرقصة ذهاب اخوة يوسف بيوسف عليه الصلاة والسلام
- ٥٠ (تفسير سورة الرعد)
- ٥٩ فصل وهذه السجدة من عزائم معبود الثلاثة (أي قوله تعالى والله يسجد من في السموات والارض الآيه)
- ٧٣ (تفسير سورة ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام)
- ٩٣ (تفسير سورة الحجر)
- ٩٦ فصل اختلاف العلماء هل كانت الشياطين نرى بالتجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا على قولين
- ٩١٠ (تفسير سورة النمل)
- ٩١٢ فصل اخرج هذه الآية من روى تحريم لحوم الخيل (أي آيه والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)
- ٩٢٤ فصل وهذه السجدة من عزائم معبود القرآن أي قوله تعالى (والله يصعد من في السموات وما في الارض الآيه)
- ٩٢٣ فصل في حكم الآية (أي قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)
- ٩٢٠ فصل اختلاف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين (أي قوله تعالى وان ما كنتم تعملون الآيه)
- ٩٥١ (تفسير سورة الامراء)
- ٩٥٢ فصل في ذ ك حديث المراءج وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلماء فيه
- ٩٥٦ فصل قال النعماني قال بعض أهل الحديث ما وجدنا البخاري رحمه الله في كتابه ما يشيأ لا يعتمد على مخرج الحديث شريك بن أبي نجران أنس
- ٩٥٧ فصل في شرح بعض ألفاظ حديث المراءج وما يتعلق به
- ٩٥٨ فصل في ذ ك الآيات التي ظهرت بعد المراءج (الله تعالى صدقه صلى الله عليه وسلم وسبقاً أحاديث تتعلق بالامراء)
- ٩٦٠ ذ ك القصص في هذه الآيات (أي الآيات التي أولها قضينا الى بني اسرائيل في الكتاب)
- ٩٦٩ فصل في ذ ك الاحاديث التي وردت في الروايتين
- ٩٨٣ فصل في الاحاديث الواردة في قيام الليل
- ٩٩٨ (تفسير سورة الكهف)
- ٩٩٥ ذ كرقصة أصحاب الكهف وسبب تخرجهم اليه
- ٩٢٥ (تفسير سورة مريم عليه السلام)
- ٩٣٦ فصل ومحمدت سورة مريم من عزائم معبود القرآن (أي قوله تعالى اذا تدلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا)
- ٩٤٤ (تفسير سورة طه)
- ٩٦٢ الكلام على معنى الحديث ونسجه (أي حديث اخرج آدم وموسى الخ)

محتبة

- ٢٦٢ فصل في بيان عمدة الانبياء وما قيل في ذلك
 (تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام)
 ٢٦٦ ذكر القصة في ذلك (أي قوله تعالى قلوا احرقوه وانصروا آلهمكم الآية)
 ٢٨١ ذكر قصة أيوب عليه السلام
 ٢٩٣ (تفسير سورة الحج)
 ٢٩٨ فصل هذه السجدة من عزائم سجود القرآن (أي قوله تعالى ألم تر ان الله يجعله الآية)
 ٣١٣ فصل في حكم سجود الثلاثة هنا (أي في قوله يا أيها الذين آمنوا ركعوا راجعين الآية)
 ٣١٥ (تفسير سورة المؤمنین)
 ٣٢٨ (تفسير سورة النور)
 ٣٤١ فصل في بيان التمثيل المذكور في قوله الله نور السموات والارض الآية
 ٣٥٩ (تفسير سورة الفرقان)
 ٣٧١ فصل وهذه السجدة من عزائم السجودات (أي قوله تعالى واذا قبلهم امجدوا للرحمن الآية)
 ٣٧٥ (تفسير سورة الشعراء)
 ٣٩٣ فصل في مدح الشعر
 ٣٩٤ (تفسير سورة القل)
 ٤٠١ فصل وهذه السجدة من عزائم السجود (أي قوله تعالى لا يسجدوا لله الآية)
 ٤١٥ (تفسير سورة القصص)
 ٤١٦ ذكر القصة في ذلك (أي قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى الخ)
 ٤٣٣ ذكر قصة قارون
 ٤٣٦ (تفسير سورة العنكبوت)
 ٤٤٩ (تفسير سورة الروم)
 ٤٥٢ فصل في فضل النبي
 ٤٥٩ (تفسير سورة لقمان)
 ٤٦٦ (تفسير سورة السجدة)
 ٤٦٩ فصل في فضل قيام الليل والحلح عليه
 ٤٧٢ (تفسير سورة الاحزاب)
 ٤٧٠ ذكر غزوة الخندق وهي الاحزاب
 ٤٨٥ ذكر غزوة بني قريظة
 ٤٨٩ فصل في حكم الآية (أي قوله تعالى يا أيها النبي قل لا راجل ان كنتن دون الحياة الدنيا الآية)
 ٤٩٣ فصل في ذلك ما ذكره في تفسير هذه الآية (أي قوله تعالى واذا قهرل للذي آتم الله عليه الخ)
 ٥٠١ فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها
 ٥٠٦ فصل في الامانة
 ٥٠٦ (تفسير سورة سبا)
 ٥١٩ (تفسير سورة طه ونسعى سورة الملائكة)

الجزء الثالث من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل
في معاني التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة
وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحبي السنة
علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم
البغدادي الصوفي المعروف
بالحازن تغمده
الله برحمته
آمين

وقد حلّي هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بـمدارك التنزيل
وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات
عبدالله بن أحمد بن محمود النسي عليه معائب الرحمة والرضوان

(لعلكم تعقلون) انكى تفهم - هو امعانيه ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (نحن نقص عليك أحسن القصص) نبين لك أحسن البيان والقصص التي تأتي بالقصة على حقيقتها عن الزجاج وقيل القصص يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا فيكون فعلا بمعنى مفعول كالتفصيص والحسب فعلى الأول معنى نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بما أوحينا إليك هذا القرآن) أي بإيجازنا إليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه والمخصوص محذوف لأن بما أوحينا إليك هذا القرآن مغن عنه والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتصر على أبعج طريقة وأعجب أسلوب فأنزل لا ترى اقتصاصه في كتب الأولين مقاربالاقتصاصه في القرآن وان أريد بالقصص المخصوص فعنه نحن نقص عليك (٣) أحسن ما يقص من الاحاديث وانما كان

أحسن لما يتضمن من العبر والحكم والعجائب التي ليست في غيره والظاهر أنه أحسن ما يقص في باب الحكاية فلان أعلم الناس أي في فنه واشتقاق القصص من قص أثره اذ اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا (وان كنت من قبله) الضمير يرجع الى ما أوحينا (لن الغافلين) عنه ان مخففة من الثقبلة واللام فارقة بينهما وبين الناقصة يعني وان الشأن والحديث كنت من قبل ايجازنا إليك من الخاهلين به (اذ قال) بدل اشتد الى من أحسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص أو التقدير اذكر اذ قال (يوسف) اعم عبراني لاعربي اذ لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف (لايه) يعقوب (ياأبت) أبت شامى وهي تاء تأنيث عوضت عن ياء الاضافة

الكل والبعض واختلف العلماء هل يمكن أن يقال في القرآن شيء بغير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن في القرآن لسانا بغير العربية فقد قال بغير الحق وأعظم على الله القول واختج بهذه الآية أنا أنزلناه قرآنا عربيا وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة أن فيه من غير لسان العربية مثل سميل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار لان هؤلاء أعلم من أبي عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شاء الله تعالى ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصيحى وان كانت غير عربية في الاصل لكنهم لما تكلموا بها انصب اليهم وصارت لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين ويمكن الجمع بينهما (لعلكم تعقلون) يعني تفهم - مون أم العرب لانه نازل بانتم قوله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) الاصل في معنى القصص اتباع الخبر بعضه بعضا والقاص هو الذي يأتي بالخبر على وجهه وأصله في اللغة من قص الاثر اذ اتبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا والمعنى نحن نبين لك يا محمد أخبار الامم السابقة والقرآن الماضية أحسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه الصلاة والسلام خاصة وانما سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والتسكيت والقوائد التي تصلح للدين والدنيا وما فيها من سبر الملوكة والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من القوائد المذكورة في هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفككهما أهل الجنة في الجنة وقال عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها وقوله تعالى (بما أوحينا إليك) يعني بإيجازنا إليك يا محمد (هذا القرآن وان كنت) أي وقد كنت (من قبله) يعني من قبل وحينما إليك (لن الغافلين) يعني عن هذه القصة وما فيها من العجائب قال سعد بن أبي وقاص أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص فقالوا يا رسول الله لو ذكرتنا فأنزل الله عز وجل ألم بأن للذين آمنوا أن تحشع قلوبهم لذكر الله قوله عز وجل (اذ قال يوسف لاهيه) أي اذكر يا محمد لقومك قول يوسف لاهيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (خ) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ويوسف اسم عبري ولذلك لا يجري فيه الصبر وقيل هو عربي سئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف أشد الخون والاسيف العبد واجتاع في يوسف فسهى به (ياأبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) معناه قال أهل التفسير رأى يوسف في منامه كأن أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ووجهها

لتما سبها لان كل واحدة منهم ما زائدة في آخر الاسم ولهذا قلبت هاء في الوقف وجازا لاق تاء التأنيث بالذكر كما في رجل ربعة وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة ومن فتح التاء فقد حذف الالف من بابا واستبقى القصص قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام (انى رأيت) من الرؤيا لان الروية (أحد عشر كوكبا) أسماء وهي بيان النبي عليه السلام جريان والزبال والطارق وقابس وعمودان والظليق والمصيح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكنفين (والشمس والقمر) هما أنواء أو أبوه وخاله والكواكب اخوته قيل الواربعين مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر وأجريت مجزى القلاء في (رأيتهم لي ساجدين) لانه وصفها بما هو المختص بالعلاء وهو السجود وكررت الرؤيا لان الاولى تتعلق بالذات والثانية بالحال والثالثة كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابه كأن أباه قال له كيف

وانيها فقال رأيتهم لي ساجدين
 أي متواضعين وهو حال
 وكان ابن قتي عشرة سنة
 يومئذ وكان بين رؤيا
 يوسف وصيراخوته اليه
 أربعون سنة أو ثمانون
 (قال يابني) بالفتح حيث
 كان حفص (لا تقصص) من
 رؤياك هي بمعنى الروية
 الا انها مختصة بما كان
 منها في المنام دون اليقظة
 وقرئ بينهم ما بحرفي التأنيث
 كافي القرية والقرني (على
 اخوتك فيكيدوا لك)
 جواب انتهى أي ان قصصتها
 عليهم كادوك عرفت
 يعقوب عليه السلام ان
 الله يصطفيه للنبوته وينم
 عليه بشرف الدارين فخاف
 عليه حسد الاخوة وانما
 لم يقل فيكيدوا لك كما قال
 فيكيدوني لانه ضمن معنى
 فعل يتعدى باللام ليفيد
 معنى فعل الكيد مع افادة
 معنى الفعل المضمين فيكون
 أكدوا ببلغ في التخويف
 وذلك نحو وفيه قالوا لك ألا
 ترى الى تأكيده بالمصدر
 وهو (كيدوا ان الشيطان
 للانسان عدو مبين) فظاهر
 العداوة فيعلمهم على
 الحسد والكيد

الشمس والقمر فسجدوا لله وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم في التأويل اخوته
 وكافوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه في قول قتادة وقال
 السدي القمر خالته لان أمه راحيل كانت قد ماتت وقال قتادة وابن جريج القمر أبوه والشمس أمه لان
 الشمس مؤنثة والقمر مذكور وكان يوسف عليه الصلاة والسلام ابن اثنتي عشرة سنة وقيل سبع عشرة
 سنة وقيل سبع سنين وأراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أمره وقيل أراد به حقيقة السجود لانه
 كان في ذلك الزمان النجاسة فيما بينهم السجود فان قلت ان الكواكب جاد لا تعقل فكيف عبر عنها بكناية من
 يعقل في قوله رأيتهم ولم يقل رأيتوا قوله ساجدين ولم يقل ساجدات قلت لما أخبر عنها بفعل من يعقل وهو
 السجود كني عنها بكناية من يعقل فهو كقوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمنجمين
 يزعمون ان الكواكب أحياء فواظق حساسة فيجوز ان يعبر عنها بكناية من يعقل وهذا القول ليس بشيء
 والاقل أصح فان قلت قد قال اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم أضاف لفظ الرؤيا ثانيا فقال
 رأيتهم لي ساجدين فافادة هذا التكرار قلت معنى الرؤيا الاولى أنه رأى أجرام الكواكب والشمس
 والقمر ومعنى الرؤيا الثانية أنه أخبر بسجودها له وقال بعضهم معناه أنه لما قال اني رأيت أحد عشر كوكبا
 والشمس والقمر فكأنه قيل له وكيف رأيت قال رأيتهم لي ساجدين وانما أفراد الشمس والقمر بالذكور وان
 كانا من جملة الكواكب للدلالة على فضلهما وشرفعهما على سائر الكواكب قال أهل التفسير ان يعقوب
 عليه الصلاة والسلام كان شديدا يحب يوسف عليه الصلاة والسلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر
 ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان تأويلها ان اخوته وأبويه يتخضعون له فلهذا (قال) يعقوب
 (يابني لا تقصص رؤياك على اخوتك) يعني لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها (فيكيدوا لك كيدا)
 أي فيجتالون في اهلاكك فأمره بكتمان رؤياه عن اخوته لان رؤيا الانبياء موحى وحق واللام في فيكيدوا لك
 كيدا تأكيده للصلة كقولك نصحتك ونصحتك لك وشكرتك وشكرتك لك (ان الشيطان للانسان عدو مبين)
 يعني انه بين العداوة لان عداوته قدسية فهم ان أقدموا على الكيد كان ذلك مضاعفا لى زينة الشيطان
 وسوسته (ق) عن أبي قتادة قال كنت أرى الرؤيا تعرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول الرؤيا الضالعة من الله والرؤيا السوء من الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من
 يحب واذا رأى أحدكم ما يكره فليتهقل على يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانهم لم
 تضره (خ) عن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى
 أحدكم الرؤيا يحبها فانها من الله فيحمد الله عليها ويحدث بها واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من
 الشيطان فليستعذ بالله من الشيطان ومن شرها ولا يذكرها لاحد فانها ان تضره (م) عن جابر رضى الله
 عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ
 بالله من الشيطان الرجيم ثلاثا وليتعوذ عن جنبه الذي كان عليه عن أبي رزين العقيلي قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من أربعين وفي رواية جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وهي
 على رجل طائر ما يحدث بها فاذا حدث بها سقطت قال وأحسبه قال ولا يحدث بها الا ليبيبا أو حبيبا أخرجه
 الترمذي ولا يبي داود ونحوه قال الشيخ محيي الدين النووي قال المازري مذهب أهل السنة في حقيقة الرؤيا
 ان الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء
 لا يمنعه نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه الاعتقادات فكانه جعلها علما على أمور أخرى يجعلها في ثانی الحال
 والجميع خلق الله تعالى ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التي يجعلها علما على ما يسمي بغير حضرة الشيطان
 فاذا خلق ما هو علم على ما يفسر يكون بحضرة الشيطان فينسب الى الشيطان مجازا وان كان لا فعل له في
 الحقيقة فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان لا على أن الشيطان
 يفعل شيئا والرؤيا باسم للمعصوب والحلم اسم للمكروه وقال غيره اضافة الرؤيا المحبوبة الى الله تعالى اضافة

(وكذلك) ومثل ذلك الاجتناب الذي دلت عليه رؤياك (يحييتك ربك) بصطفيتك والاجتناب والاصطفاء افتعال من حيث الشيء اذا حصلته لنفسك وجبت الماء في الخوض بجمته (ويعلمك) كلام ميتد غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك (من تأويل الاحاديث) أي تأويل الرؤيا وتأويلها عابرتها وتفسيرها وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا وتأويل (هـ) احاديث الانبياء وكتب الله وهو اسم

جمع الحديث وليس يجمع
أحدونه (ويتم نعمته عليك
وعلى آل يعقوب) بأن
وصل لهم نعمة الدنيا ونعمة
الآخرة أي جعلهم أنبياء
في الدنيا وملوكا وقلة لهم
عنها إلى الدرجات العلى في
الجنة وآل يعقوب أهل
وهم نسله وغيرهم وأصل
آل اهل بدليل تصغيره
على اهل الا انه لا يستعمل
الافين له خطر يقال آل
النبي وآل الملك ولا يقال
آل الحجام ولكن اهلها واغا
علم يعقوب ان يوسف
يكون نبيا واخوته انبياء
استدلوا بضوء الكواكب
فلذا قال وعلى آل يعقوب
(كما أتمها على ابويك من
قبل) اراد الجد وابا الجد
(ابراهيم واسحق) عطف
بيان لابيوك (ان ربك
عليك) يعلم من يحق له
الاجتناب (حكيم) يضع
الاشياء مواضعها (لقد
كان في يوسف واخوته)
أي في قصتهم وحديثهم
(آيات) علامات ودلالات
على قدرة الله وحكمته في
كل شيء آية مبكى (الساثلين)
لمن سأل عن قصتهم
وعرفها أو آيات على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم

تشرى بخلاف الرؤيا المكروهة وان كانتا جميعا من خلق الله وتدبيره وادته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه
يخسر المكروهة ويرتضيها فيستحب اذا رأى الرجل في منامه ما يحب أن يحدث به من يحب واذا رأى
ما يكره فلا يحدث به وليتوذا بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها ولينقل ثلاثا وليتحول إلى جنبه الآخر
فانما لا تضمره فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا لوقاية المال
وغیره من البلاء والله أعلم (وكذلك يحييتك ربك) يعني يقول يعقوب ليوسف عليه الصلاة
والسلام أي وكما رفع منزلتك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك يحييتك ربك يعني بصطفيتك ربك واجتناب
الله تعالى العبد تخصيصه آياه بفيض المهي تحصل له منه أنواع الكرامات بلا سعي من العبد وذلك مختص
بالانبياء أو بعض من يقاربهم من المصدقين والشهداء والصالحين (ويعلمك من تأويل الاحاديث) يعني
به تعبير الرؤيا معنى تأويله لانه يؤل أمره إلى ما رأى في منامه يعني يعلمك تأويل احاديث الناس فيما يرونه في
منامهم وكان يوسف عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تأويل احاديث الانبياء
والامم السالفة والكتب المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة (ويتم نعمته عليك) يعني بالنبوة قاله
ابن عباس لان منصب النبوة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا من اتمام
النعمه عليهم لان جميع الخلق دونهم في الرتب والمناصب (وعلى آل يعقوب) المراد بآل يعقوب أولاده
فانهم كانوا أنبياء وهو المراد من اتمام النعمه عليهم (كما أتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق) بأن
جعلهم نبين وهو المراد من اتمام النعمه عليهم أو قيل المراد من اتمام النعمه على ابراهيم صلى الله عليه
وسلم بان خلصه الله من النار واتخذ خليفه والمراد من اتمام النعمه على اسحق بان خلصه الله من الذبح
وهذا على قول من يقول ان اسحق هو الذبيح وليس بشئ والقول الاول هو الاصح بان اتمام النعمه عليهم
بالنبوة لانه لا أعظم من منصب النبوة فهو من أعظم النعم على العبد (ان ربك عليك) يعني بصالح خلقه
(حكيم) يعني انه تعالى لا يفعل شيئا الا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة في بيت ابراهيم صلى الله عليه
وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين رؤيا يوسف هذه وبين حقيقة ما عاصر واجتماعه بأبويه
واخوته أربع سنين وهذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن البصري كان بينهم ثمانون سنة فلما بلغت
هذه الرؤيا اخوة يوسف حسده وقالوا ما رضى أن يسجد له اخوته حتى يسجد له أبواه (قوله عز وجل
لقد كان في يوسف واخوته) يعني في خبره وخبر اخوته واسماؤهم ورويل وهو أكبرهم وشعمون ولاوى
ويم وذاووزولون وشجروا هم أبناء لبنت ليلان وهي ابنة خال يعقوب ولد ليعقوب من سريتين اسم
احدهما زلفة والاخرى بلهة أربعة أولاد واسماؤهم دان ونفثالي وجادوا وشرم توفيت ليلان تزوج
يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهو لاء بنو يعقوب وهم الاسباط وعددهم اثنا عشر نفرا
(آيات للساثلين) وذلك ان اليهود لما سألو ارسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سألوهم عن
سبب انتقال ولد يعقوب من أرض كنعان إلى أرض مصر ذكر قصة يوسف مع اخوته فوجدوها موافقة
لما في التوراة فيجبوا منه فعلى هذا تكون هذه القصة دالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه
لم يقرأ الكتب المتقدمه ولم يجالس العلماء والاحبار ولم يأخذ عن أحد منهم شيئا فدل ذلك على ان ما أتى
به وحى سمارى وعلم قدمى أوحاه الله اليه وشرفه به ومعنى آيات للساثلين أي عبرة للاممعتبرين فان هذه
القصة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم ومنها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسده

للذين سألوهم من اليهود عنها فأخبرهم من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب واسماؤهم هو ذاووزولون وشرم توفيت ليلان تزوج راحيل فولدت له بنيامين
ويوسف

(اذقوا لبوسه و اخوه احب الى ايننا منا) اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه وانما قالوا واخوه وهم اخوته ايضا لان امهما كانت واحدة وانما قيل احب في الاثنين لان افضل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث ولا بد (٦) من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف ساغ الامر ان والواقي (ونحن عصبه)

للحال أي انه يفضلهم في المحبة علينا وهم اصغر ان لا كفاية فيهم ونحن عشرة رجال كفاة تقوم بمرافقه فمن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكملة والمنفعة عليهما (ان ابانا لفي ضلال مبين) غلط في تدبير امر الدنيا ولو وصفوه بالضلالة في الدين لكفروا والعصبة العشرة فصاعدا (اقتلوا يوسف) من جملة ما حكى بعد قوله اذقوا لباشرهم ما حكمهم اطبقوا على ذلك الامن قال لا تقتلوا يوسف وقيل الا امر بالقتل فسمعوا والباقيون كانوا اراضين فجعلوا امرين (أو اطرحوه ارضا) منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكبرها واخلاقها عن الوصف ولهذا الاجام نصبت نصب الطروف المبهمة (يخجل لكم وجهه ابيكم) يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامه محبته لهم ممن يشاركونهم فيها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا قبل على الشيء قبل بوجهه وجاز ان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك (وتكونوا) مجزوم عطفا على يخجل لكم (من بعده) من بعد يوسف

اخوته له وما آل اليه امرهم من الحسد ومنها صبر يوسف على اخوته وبلواه مثل القائه في الحب وسبعه عبد او سجنه بعد ذلك وما آل اليه امره من الملك ومنها ما اشتغل عليه من حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه امره من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات التي اذا فكر فيها الانسان اعتبر وانعظ (اذقوا) يعني اخوة يوسف (ليوسف) اللام فيه لام القسم تقديره والله يوسف (واخوه) يعني بنيامين وهما من أم واحدة (احب الى ايننا منا ونحن عصبه) انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف واخيه لما راوا من ميل يعقوب اليه وكثرة شفقة عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال الفراء العصبة هي العشرة فلما زاد وقيل هي ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد هي ما بين العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعين وقيل الاصل فيه أن كل جماعة يتعصب بعضهم ببعض سمون عصبه والعصبة لا واحد لها من افظها كالرط والنفر (ان ابانا في ضلال مبين) يعني لفي خطايين في ايثاره حب يوسف عليهما مع صغره لانفع فيه ونحن عصبه تنفعه ونقوم عصا له من امر دنياه واصلاح امره واشييه وليس المراد من ذكر هذا الضلال الضلال عن الدين اذ لو ارادوا ذلك لكفروا به ولكن ارادوا به الخطأ في امر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن أنفع له من يوسف فهو مخطئ في صرف محبته اليه لانا اكبر منه سنا واشد قوة وأكثر منفعة وغاب عنهم المقصود الا عظم وهو أن يعقوب عليه الصلاة والسلام ما فضل يوسف وأخاه على سائر الاخوة الا في المحبة المحضة ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل أن يعقوب انما خص يوسف بمحبة والشفقة لان أمه ماتت وهو صغير ولانه رأى فيه من آيات الرشد والنجابة ما لم يره في سائر اخوته فان قلت الذي فعله اخوة يوسف يوسف هو محض الحسد والحسد من أمهات الكبائر وكذلك نسبة آيهم الى الضلال هو محض العقوق وهو من الكبائر ايضا وكل ذلك قاذح في عصبة الانبياء فما الجواب عنه قلت هذه الافعال انما صدرت من اخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصبة الانبياء هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقبل كان وقت هذه الافعال مرافقين غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فلي هذا لم تكن هذه الافعال قاذحة في عصبة الانبياء قوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف (اقتلوا يوسف أو اطرحوه ارضا يخجل لكم وجهه ابيكم) لما قوى الحسد وبلغ النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تبعية يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل الا باحد طريقتين اما القتل مرة واحدة أو التعريب الى أرض يحصل البأس من اجتماعه بأبيه بأن تفتريه الاسد والسباع أو يموت في تلك الارض البعيدة ثم ذكروا العلة في ذلك وهي قوله يخجل لكم وجهه ابيكم والمعنى انه قد شغل به يوسف عنكم فاذا فاعتم ذلك يوسف اقبل بعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم (وتكونوا من بعده) يعني من بعد قتل يوسف أو بعباده عن أبيه (قوموا صالحين) يعني تائبين فتوبوا الى الله يهف عنكم فتكونوا قوموا صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزموا عليه من الذنوب الكبائر قالوا تنوب الى الله من هذا الفعل وتكون من الصالحين في المستقبل وقال مقاتل معناه يصلح لكم امركم فيما ينسبكم وبين ابيكم فان قلت كيف يليق أن تصدر هذه الافعال منهم وهم انبياء قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت حتى تكون هذه الافعال قاذحة في عصبة الانبياء وانما أقدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل ان الذي أشار بقتل يوسف كان أجنبيا شاوروه في ذلك فأشار عليهم بقتله (قال)

بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك (وتكونوا) مجزوم عطفا على يخجل لكم (من بعده) من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل أو التعريب او من بعد قتله أو طرحه فيرجع الصبر الى مصدرا قتلوا أو طرحوا (قوموا صالحين) تائبين الى الله مما جنبتهم عليه او يصلح حالكم عند ابيكم (قال)

قائل

قائل منهم) هو يوزو كان أحسنهم فيه رأياً (لا تفتوا يوسف) فان القتل عظيم (والقوة في (٧) غيابت الحب) في قوله وما عاب منه

عن مبي الناطر غيايات

وكذا ما بعده مدني

(بالمقطعة بعض السبارة)

عض الاقوام الذين يسرون

في الطريق (ان كنتم

فاعلين) به شياً (قالوا يا انا

مالك لا نأمن على يوسف

واناله لنا محزون) اى لم

تخافنا عليه ونحن زبده

الخير ونشقى عليه وارادوا

بذلك لما عزموا على كبده

يوسف استناله عن رأيه

وحادثه في حفظه منهم وفيه

دليل على انه احسن منهم

بما اوجب ان لا يأمنهم

عليه (ارسله معنا غدا نرتج)

نتسرع في اكل القواكه

وغيرها والرعة السعة

(ونلعب) تنفج عبا يباح

كالصيد والرى والركض

بالياء فيهما مدني وكوفي

وبالنون فيهما مكى وشامى

وأبو عمرو وبكسر العين

بحجازي من ارتقى يرتقى

اقتعال من الرعى (واناله

لحافظون) من ان يناله

مكروه (قال انى ليحزنى

ان تذهبوا به) اى يحزنى

ذهابكم به واللام لام

الابتداء (وأخاف أن

يا كله الذئب وأنتم منه

خافون) اعتذر اليهم بان

ذهابكم به مما يحزنه لانه كان

لا يصبر عنه ساعة وانه

يخاف عليه من عدوة

الذئب اذا غفلوا عنه

برعيهم ولعيهم (قالوا

لن آكله الذئب)

قائل منهم لا تفتوا يوسف) يعنى قال قائل من اخوة يوسف وهو يوزو وقال قتادة هو ربه ل وهو ابن خالته وكان أكبرهم سناً وأحسنهم رأياً فيه فنهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قائل هذه المقالة هو يوزو لانه كان أقربهم اليه سناً (والقوة في غيايات الحب) يعنى القوة في أسفل الحب وظلمته والغياية كل موضع ستر شيئاً وغيبه عن النظر والحب البئر الكبيرة غير مطوية تسمى بذلك لانه حب أى قطع ولم يطوراً فادكر الغياية مع ذكر الحب ان المشير أشار بطرحه في موضع من الحب مظلم لا يراه أحد واختلفوا في مكان ذلك الحب فقال قتادة هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو في أرض الاردن وقال مقاتل هو في أرض الاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وانما عينوا ذلك الحب للهالة التي ذكروها وهي قولهم (بالمقطعة بعض السبارة) وذلك ان هذا الحب كان معروفاً برده عليه كثير من المسافرين والانتفاط أخذ الشيء من الطريق أو من حيث لا يحتسب ومنه اللفظة بعض السبارة يعنى يأخذ بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية أخرى فتستريحون منه (ان كنتم فاعلين) فيه اشارة الى ترك الفعل فكأنه قال لا تفتوا يوسف من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر ان كنتم فاعلين ذلك قال البخوي كانوا يؤمنون بالعين ولم يكونوا أنبياء الا بعدة وقيل لم يكونوا بالعين وليس يصح بدليل أنهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا يا انا نستغفرنا ذنوبنا انا كنا خاطئين والصغير لا ذنب له قال محمد ابن اسحق اشبهل فعلهم هذا على جرائم كثيرة من قطيعه الرحمة وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له والقدر بالامانة وترك العهد والكذب مع أبيهم وعفا الله عن ذلك كله حتى لا يأس أحد من رحمة الله تعالى وقال بعض أهل العلم عزمو على قتله وعصاهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعاً وكل ذلك كان قبل ان يباهم الله فلما أجمعوا على التفريق بين يوسف وبين والده بضرب من الحيل (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف ليعقوب (يا ابا مالك لا نأمن على يوسف) بدوا بالانكار عليه في ترك ارسال يوسف معهم كأنهم قالوا تخافنا عليه اذا أرسلته معنا (واناله لنا محزون) المراد بالاصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف والمعنى وانا ما نطوفون عليه قائمون بمصلحته وبحفظه وقال مقاتل في الكلام تقديم وتأخير وذلك أنهم قالوا لا يبعثهم أرسله معنا فقال يعقوب انى يحزنى ان تذهبوا به فحينئذ قالوا مالك لا نأمن على يوسف واناله لنا محزون ثم قالوا (أرسله معنا غدا) يعنى الى الصحراء (رتج) الرتج هو الانساع في الملا يقال رتج فلان في ماله اذا أنفق في شهوته والاصل في الرتج اكل البهاق في الخصب زمن الربيع ويسمعار للانسان اذا أريد به الاكل الكثير (ونلعب) اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا كان فله غير فاصده مقصداً صححنا سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء ويحتمل أن يكون المراد باللعب هنا الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لما برزى الله عنه هلا بكرات لاعبا وتلاعبك رأياً فان لهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من المحاربة والاقدام على الاقران في الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعباً لانه في صورة اللعب وقيل معنى رتج ونلعب نلعب ونأكل ونلهو وننشط (واناله لحافظون) يعنى نجتهد في حفظه غاية الاجتهاد حتى زده اليك سالماً (قال) يعنى قال لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام (انى يحزنى ان تذهبوا به) أى ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب ومعنى الآية انه لما طلبوا منه أن يرسل معهم يوسف عليه الصلاة والسلام اعتذر يعقوب عليه الصلاة والسلام بمذرين أحدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه يحزنه لانه كان لا يقدر ان يصبر عنه ساعة والثاني قوله (وأخاف أن يا كله الذئب وأنتم عنه خافون) يعنى اذا غفلوا عنه برعيهم ولعيهم وذلك ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان رأى في المنام ان ذئباً شديداً على يوسف عليه الصلاة والسلام فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذئاب في أرضهم كثيرة (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف محبين ليعقوب (لن آكله الذئب ونحن عصبة) اى جماعة لن آكله الذئب) اللام موطنه للقسم والقسم محذوف تقديره والله لن آكله الذئب والواو في (و نحن عصبة) اى فرقة مجمعة مقتدرة على

الدفع للرجال (انا اذ الخاسرون) جواب للقسم (٨) مجزئ عن جزاء الشرط اي ان لم تقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذ اؤخرناها

واجابوا عن عذره الثاني دون الاول لان ذلك كان يعيظهم (فلما ذهبوا به واآجوه وان يجعلوه في غيابة الجب) اي عزموا على القائه في البئر وهي بمنزلة ثلاثه فرائض من وجوب لما محذوف تقديره فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى السيرة اظهروا له الهداية وضربوه وكادوا يقتلونه فنهضهم يهودا فلما ارادوا انقائه في الجب اعلق ثيابهم فترعوها من يده فعلق بجائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قيصره ليلطخوه بالدم فيقتلوا به هلى ابيهم ودلوه في البئر وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي وكان يهودا ياتيه بالطعام ويروي ان ابراهيم عليه السلام حين التقى في النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بمقيص من سررا الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واصحق الى يعقوب فجعله يعقوب في حنجة علفها في عنق يوسف فاخرجه جبريل والبدسه اياه (واوحينا اليه) قبل اوحى اليه في الصخر كما اوحى الى يحيى وحيسى عليه ما السلام

عشرة رجال (انا اذ الخاسرون) يعني عجزه ضعفا وقيل انهم خافوا ان يدعوا عليهم يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه انا اذ لم تقدر على حفظ اخينا فكيف تقدر على حفظ مواشينا فنحن اذا خاسرون قوله عز وجل (فلما ذهبوا به) فيه اضممار واختصار تقديره فأرسله معهم فلما ذهبوا به (واجوه وان يجعلوه في غيابة الجب) يعني وعزموا على ان يلقوه في غيابة الجب

(ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه الصلاة والسلام)

قال وهب وغيره من أهل البر والاعبار ان اخوة يوسف قالوا له اما تشاق ان تخرج معنا الى مواشينا فذهبوا وسبق قال بل قالوا له انساأل اباك ان يرسلك معنا قال يوسف اذ فعلوا فدخلوا جميعا عندهم على يعقوب فقالوا يا ابانا ان يوسف قد احب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال نعم يا ابي اني ارى من اخوتي اللين واللطيف فأحب ان تأذن لي وكان يعقوب يكره مفارقتهم ويحب امر ضانه فأذن له وأرسله معهم فلما خرجوا به من عنده يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعد واعدته وصاروا الى الصحراء ألقوه على الارض واظهروا له ما في انفسهم من العداوة واغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جاء الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما ظن لما عزموا عليه من قتله جعل يشادي يا ابتاه يا يعقوب لورايت يوسف وما نزل به من اخوته لآخر ذلك وابكالك يا ابتاه ما امرع ما نسوا وعاهدك وضربوا وصيته وجعل يبكي بكاء شديدا فآخذوه ويبل وجلده به الارض ثم جثم على صدره وأراد قتله فقال له يوسف مه الا يا اخي لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل انت صاحب الاحلام قل لرؤياك فخلصك من أيدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف يهودا وقال له اتق الله في رحلي بيني وبين من يريد قتلي فأدركته رحمة الاخوة ورق له فقال يهودا يا اخوتي ما على هذا ما هدتموني الا أدلكم على ما هو اهن لكم وارفق به فقالوا وما هو قال تذهبون في هذا الجب اما ان يموت أو يلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به الى بئر مائكة على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الراس فجعلوا يدلون في البئر فلقطه بعض ابطوا يديه ونزعوا قيصره فقالوا يا اخوتاه ردوا على قميصي لاستتر به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب فخلصك وتونسك فقال اني لم أر شيئا فلقوه فيها ثم قال لهم يا اخوتاه ائذعوني فيما يريد اوجيدا وقيل جعلوه في دلو ثم أرسلوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه ارادة ان يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت في البئر فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فخلل يديه واخرج له صخرة من البئر فاجلسه عليها وقيل انهم لما ألقوه في الجب جعل يبكي فنادوه فظن انهم ارجوه أدركته فاجابهم فأرادوا ان يرضخوه بصخرة ليقته لوه فنهضهم يهودا من ذلك وقيل ان يعقوب لما بعثه مع اخوته اخرج له قميص ابراهيم الذي كساه الله اياه من الجنة حين ألقى في النار فجعله يعقوب في قصبة فضة وجعلها في عنق يوسف فألبسه الملك اياه حين ألقى في الجب فاضاء له الجب وقال الحسن لما ألقى يوسف في الجب عذب مأوه فكان يكفقه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فأنس به فلما أمسى نهض جبريل ليذهب فقال له انك اذا خرجت استوحشت فقال له اذا رعبت شيئا فقل يا صريح المستعصر حين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قدر ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك ثمن من أمرى فلما قالوا يوسف حفته الملائكة واستأنس في الجب وقال محمد بن مسلم الطائفي لما ألقى يوسف في الجب قال يا شاهد غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غاليا غير مغلوب اجعل لي فرجا مما أنا فيه فجابات فيه واختلجوا في قدر عمر يوسف يوم ألقى في الجب فقال الضحالك ست سنين وقال الحسن انتمنا عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل مكث في الجب ثلاثة ايام وكان اخوته يرون حوله وكان يودا ياتيه بالطعام فذلك قوله تعالى (واوحينا اليه انبئهم بأمرهم هذا) يعني اخبرن اخوتك قال أكثر المفسرين ان الله أوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل يؤذنه ويبشره بالخروج ويخبره انه سينبئهم بما فعلوا ويحجزهم عليه هذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون

وقيل كان اذ ذاك مدركا (لتبئهم بأمرهم هذا) اي لتحدثن اخوتك بما فعلوا بكن

(وهم لا يشعرون) انفل يوسف اعلموا شأنك وكبرياء سلطانك وذلك انهم حين دخلوا عليه متعجبين فمروهم وهم لم ينسكروا دعاء الصواع فوضعه على يده ثم نقره فظن فقال انه يجترى هذا الجلام انه كان انكم اخ من ايكم يقال له يوسف وانكم القيتوه في غيابة الجب وقتل لايته اكله الذئب ويعتقوه ثمن بخس او يتعلقوهم لا يشعرون بأوحينا اي آتسناه بالوحى وانما نحن (ق) قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك

(وجاؤا أباهم عشاء)
للاستسار والتجسس على
الاعتذار (يكون) حال
من الاعمش لا تصدق
بأكية بعد اخوة يوسف فلما
سمع صوتهم فرح وقال ما لكم
يا بني هل أصابكم في غفكم
شي قالوا لا قال فيا بالسكم
وأين يوسف (قالوا يا أبا نانا
ذهبتا نسبق) أي نسابق
في العدو وأوفى الرمي والافعال
والتغافل بشتر كان
كالارتقاء والترامى وغير
ذلك (وتركنا يوسف عند
متاعنا فكله الذئب وما
كنت عزم لنا) بصدق لنا
(ولو كنا صادقين) ولو كنا
عندك من أهل الصدق
والثقة لشدة محبتك
ليوسف فكيف وأنت
سبي الظن بنا غير واثق
بقولنا (وجاؤا على قبضه
بدم كذب) ذى كذب
ورصف بالمصدر مبالغة
كانه نفس الكذب وعينه
كما يقال للكلاب هو
الكذب بعينه والزور يدانه
روى أنهم ذهبوا مغلطة
ولطخوا القميص بدمها
وزل عنهم ان عزقوه وروى
ان يعقوب عليه السلام
لما سمع خبر يوسف صاح

بمذا القول اختلفوا هل كان بالغ في ذلك الوقت أو كان صديا صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغاً وكان عمره
خمس عشرة سنة وقال آخرون بل كان صغيراً الا ان الله عز وجل أكمل عقله ورشده وجعله صالحاً لقبول
الوحى والنبوة كما قال في حق عيسى عليه الصلاة والسلام فان قلت كيف جعله نبياً في ذلك الوقت ولم
يكن أحد يبلغه رسالته لان فائدة النبوة والرسالة تبليغها الى من أرسل اليه قلت لا يمنع ان الله
يشرفه بالوحى ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطيب قلبه وازالة الهم والغم والوحشة
عنه ثم بعد ذلك يأمره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل ان المراد من قوله وأوحينا اليه وحى الهام كما في قوله
تعالى وأوحى ربك الى النحل وأوحينا الى أم موسى والقول الاول أولى وقوله تعالى (وهم لا يشعرون)
يعنى بايحاءنا اليك وأنت في المبرياتك ستخبرهم بصدقهم هذا وانما فائدة اخفاء ذلك الوحى عنهم انهم اذا
عرفوه فرحوا زاد حسدهم وقيل ان الله تعالى أوحى الى يوسف تخبر اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا
اليوم وهم لا يشعرون يا ان أنت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام
وانه سيقطن مما هو فيه من الخشوع والصبر مستوايا عليهم ويصبرون تحت أمره وقهره وقوله تعالى
(وجاؤا أباهم عشاء يبكون) قال المفسرون لما طرحو يوسف في الجب رجعوا الى أبيهم وقت العشاء
ليكونوا في الظلمة اجترأ على الاعتذار بالكذب فلما قروا من منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون
فسمع أصواتهم ففرغ من ذلك وخرج اليهم فلما رآهم قال بالله سأتكم يا بني هل أصابكم شيء في غفكم قالوا
لا قال فيا بالسكم وأين يوسف (قالوا يا أبا نانا ذهبنا نسبق) قال ابن عباس يعنى نتسدد وقال الزجاج
يساقى بعضنا بعضا في الرمي والاصلي في السبق الرمي بانسهم وهو التناضل ايضاً وصحى المتراميان بذلك
يقال تسابقوا وسبقوا اذا فعلوا ذلك لينتبهن أيهما أبعد سهماً وقال السدي يعنى اشتدو وعدوا المعنى تسبق
على الاقدام لينتبهن أيما أسرع عدوا وأخف حركة وقال مقاتل نتصيد والمعنى تسبق الى الصيد (وركنا
يوسف عند متاعنا) يعنى عند ثيابنا (فأكله الذئب) يعنى في حال استباقنا وغفلتنا عنه (وما أنت عزم
لنا) يعنى وما أنت بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) يعنى في قولنا والمعنى أنا وان كنا صادقين ليكنك لا تصدق
لنا قولاً لا شدة محبتك ليوسف فأنك تتهمنا في قولنا هذا وقيل معناه أنا وان كنا صادقين فأنك لم تصدقنا لانه
لم تظهر عندك أماره تدل على صدقنا (وجاؤا على قبضه) يعنى قبض يوسف (بدم كذب) أى مكذب
فيه قال ابن عباس أنهم ذهبوا مغلطة وجعلوا دمها على قبض يوسف ثم جاؤا أباهم وفي القصص أنهم لطخوا
القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب لهم كيف أكله الذئب ولم يشق قبضه فاتهمهم بذلك وقيل أنهم أتوه
بذئب وقالوا هذا أكله فقال يعقوب أيها الذئب أنت أكلت ولدي وغرة فؤادي فأطغسه الله عز وجل وقال
والله ما أكلته ولا رأيت ولدك قط ولا يحول لنا أن نأكل لحوم الانبياء فقال يعقوب كيف وقعت بأرض
كنعان فقال جئت اصلة الرحم وهى قرابتي فأخذوني وأتوا بي اليك فأطغته يعقوب ولما ذكر اخوة
يوسف ليعقوب هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملتصق بالدم (قال) يعقوب (بل سوات لكم
أنفسكم أمراً) يعنى بل زيات لكم أنفسكم أمراً أو أصل النسيول تقدر معنى في النفس مع الطمع في اتمامه
وقال صاحب الكشف سوات لكم أمراً أو أصل النسيول وهو الاسترخاء أى سهلت لكم أنفسكم أمراً عظيماً
ركبتوه من يوسف وهو تنوّه في أنفسكم وأعينكم فلي هذا يكون معنى قوله بل ردوا له دم فأكله الذئب

(٢ - خازن ثالث) باعلى صوته وقال أين القميص فأخذوا ألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال
تالله ما رأيت كاليوم ذنباً أحلم من هذا أكل ابني ولم عزق عليه قبضه وقيل كان في قبض يوسف ثلاث آيات كان دليلاً ليعقوب على كذبهم
وألقاه على وجهه فارتد بصيرود لئلا على براءة يوسف حين قدم دبره ومحل قبضه التمسك على الطرف كانه قيل وجاؤا فوق قبضه بدم
(قال) يعقوب عليه السلام (بل سوات لكم أنفسكم أمراً) عظيماً انكم كبتوه

(فصبر جيل) خبر أو مبتدأ يكونه (١٠) موصوفاً أي فأمرى صبر جيل أو فصبر جيل أجل وهو لا شكوى فيه إلى الخلق

كانه قال ليس الأمر كما تقولون أكله الذئب بل سولت لكم أنفسكم أمر آخر غير ما تصفون (فصبر جيل) أي فشأن صبر جيل وقيل معناه فصبري صبر جيل والصبر الجليل الذي لا شكوى فيه ولا جزع وقيل من الصبر أن لا تحدث عصبية ولا تتركين نفسك (والله المستعان على ما تصفون) يعني من القول الكذب وقيل معناه والله المستعان على حل ما تصفون قوله عز وجل (وجاءت سيارة) وهم القوم المسافرون سمو سيارة لمسيرهم في الأرض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فأخطوا الطريق فنزلوا قرياً من الحب الذي كان فيه يوسف وكان في قفرة بعيدة من العمارة تروم الرعاة والمارة وكان مأوى للمخاض أتي يوسف فيه عذب فلما نزلوا أرسلوا رجلاً من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر الخزاز ليطلب لهم الماء فذلك قوله عز وجل (فأرسلوا رجلاً من أهل مدين) قال والوارد هو الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فيبهي الرشيعة والدلالة يقال أدليت الدلو إذا أرسلتها في البئر ودلوها إذا أخرجتها قال فتعاقب يوسف عليه الصلاة والسلام بالحبال وكان يوسف عليه السلام أحسن ما يكون من الغلمان وذكر البغوي بسند متصل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطى يوسف شطراً لحسن ويقال أنه ورث ذلك الجبال من جدته سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن قال محمد بن اسحق ذهب يوسف وأمه بثلى الحسن وحكى الثعلبي عن كعب الأحبار قال كان يوسف حسن الوجه بعد الشرح خضع العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خفيض البطن صغير السرة وكان إذا تبسم رأيت النور من ضواحه وإذا تكلم رأيت شعاع النور من ثنياه ولا يستطيع أحد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه الصلاة والسلام يوم خلقه الله وصورته قبل أن يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف ورآه مالك بن ذعر وكاحسن ما يكون من الغلمان (قال) يعني الوارد وهو مالك بن ذعر (يا بشرى) يعني يقول الوارد لأصحابه أبشروا (هذا غلام) وقرئ يا بشرى بغير إضافة ومعناه أن الوارد نادى رجلاً من أصحابه اسمه بشرى كما تقول يا زيد ويقال إن جذران البئر بكت على يوسف حين خرج منها (وأمره بضاعة) قال مجاهد أمره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار الذين كانوا معهم وقالوا أنه بضاعة استبضعناه لبعض أهل المال إلى مصر وإنما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منهم الثمرة فيه وقيل إن أخوة يوسف أمرهم أن يبيعوه فأنفقوا أمر يوسف وكونه أخاهم بل قالوا هو عبد لنا أبق وصداقهم يوسف على ذلك لأنهم وعدوه بالقتل مراً من مالك بن ذعر وأصحابه وأقول الأول أصح لأن مالك بن ذعر هو الذي أسره بضاعة وأصحابه (والله أعلم بما يعملون) يعني من إرادته أعلالك يوسف فجعل ذلك سبباً لبعده وتحقيقاً لروايته أن يصير ملكاً مصر بعد أن كان عبداً قال أصحاب الأخبار إنهم إذا كان يأتي يوسف بالطعام فأتاه فلم يجده في الحب فأخبر أخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك بن ذعر وأصحابه نزولاً قرياً من البئر فأتوههم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبدنا أبق منا ويقال أنهم همدوا يوسف حتى يكتم حاله ولا يعرفوا وقال لهم مثل قواهم ثم أنهم باعوه منهم فذلك قوله تعالى (وشروه) أي باعوه وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشيء يعني بتمته وإنما وجب حل هذا الشراء على البيع لأن الضمير في وشروه وفي كانوا فيه من الزاهدين يرجع إلى شيء واحد وذلك أن أخوته همدوا فيه فباعوه وقيل إن الضمير في وشروه يعود على مالك بن ذعر وأصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشراء على بابه (بئس بئس) قال الحسن والضحاك ومقاتل والسدي بئس أي حرام لأن عن الحرام ويسمى الحرام بئساً لأنه مجنون البركة يعني منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس بئس أي زبوني ناقصة العيار وقال قتادة بئس أي ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه إذا نقصه حقّه وقال عكرمة والنسائي بئس أي قليل وعلى الأقوال كلها فالجس في اللغة هو نقص الشيء على سبيل الظلم والجس وإنما خسر الشيء الطفيف (دراهم معدودة) فيه إشارة إلى قلة تلك الدراهم لأنهم في ذلك

للتجارة أي قطع (والله أعلم بما يعملون) بما يعمل أخوة يوسف بأبيهم وأخوتهم من سوء التصنيع (وشروه) (بئس بئس) الزمان مجنون ناقص عن القصة نقصاً ناعظاً أوزيف (دراهم) بدل من ثمن (معدودة) قلبية تعدد أو لا توزن لأنهم كانوا يعدون مادون الاربعين

وينفون الأربعين وما فوقها وكانت عشرين درهما (وكافأ فيه من الزاهدين) ممن يرغب مما في يده فيبيعه بالثمن الطفيف أو معنى وشروه واشتروه بمعنى الرقبة من أخوته وكافأ فيه من الزاهدين أي غير راغبين لانه اعتقدوا انه آبق وبروي ان اخوته اتبعوهم وقالوا استوتقوا منه لا بأقربيه لبس من صلة الزاهدين أي غير راغبين لان الصلة لا تتقدم على الموصول (١١) وانما هو بيان كانه قبل في أي شيء

زهدا وقال زهدا وفيه زهدا (وقال الذي اشتراه من مصر) هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزان مصر والملاك يومئذ الريان ابن الوليد وقد آمن بيوسف ومات في حياته واشتراه العزيز برزته ورقا وحريرا ومساكوهوا بن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة (لامرأته) راعيل أوزليخا واللام متعلقة يقال لا باشتراه (أكرمي مثواه) اجعلي منزلته ومقامه عندنا كرمي أي حسنا مرضيا بدليل قوله انه يرى أحسن مثواي وعن الضحاك طبيب معاشه وابن عباسه ووطء فراشه (عسى أن ينفعنا) لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها انسه تظهره على بعض ما نحن بسبيله (أو نتخذ ولدًا) أو نبتناه وننميه مقام الولد وكان قطفير عقيما وقد تفرس

الزمان ما كافأ بزفون أقل من أربعين درهما انما كافأ يأخذون مادون ما عدوا فاذا باغت أربعين درهما وهي أوفية وزفوها واختلوا في عدد ذلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة كانت عشرين درهما واقسموها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ أخوه من أمه وأبيه شيئا منها وقال مجاهد كانت اثنتين وعشرين درهما فعلى هذا أخذ أخوه منها درهمين لانهم كافأ أحد عشر أخا وقال عكرمة كانت أربعين درهما (وكافأ فيه من الزاهدين) يعني وكان أخوة يوسف في يوسف من الزاهدين وأصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله وكافأ فيه من الزاهدين ان قلنا انه يرجع الى أخوة يوسف كان وجه زهدهم فيسه انهم حسدوه وأرادوا ابعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان قوله وشروه وكافأ فيه من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروه كافأ فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه اظهرا رقة الرغبة فيه ليشتروه بثمن بخس قليل ويحتمل أن يقال ان أخوته لما قالوا انه عبد ناو قد أبى أظهر المشتري قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال أصحاب الاخبار ثم ان مالك بن زعر وأصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم أخوته يقولون استوتقوا منه لا بأقرب منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيوع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب أمر الملك وكان على خزان مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك يحضره فواحيها اسمه الريان بن الوليد بن نزوان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن يوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه الصلاة والسلام حتى قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي قطفير مالك بن زعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارًا وزوج نعل وثوبين أبيضين وقال وهب بن منبه قدمت السبابة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبًا وزنه فضة وزنه مسكاو وحريرا وكان وزنه أربع مائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة أو سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير من ذلك الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر) يعني قطفير من أهل مصر (لامرأته) وكان اسمها راعيل وقيل زليخا (أكرمي مثواه) يعني أكرمي منزلته ومقامه عندك والمثوى موضع الإقامة وقيل أكرمي في المطعم والملبس والمقام (عسى أن ينفعنا) يعني ان أردنا بيعه بعناه يرجع أو يكفينا بعض أمورنا ومصالحنا اذا قوى وبلغ (أو نتخذ ولدًا) يعني نبتناه وكان حضور اليس له ولد قال ابن مسعود أقرس الداس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذ ولدًا وابنة شبيهة في موسى حيث قالت لايها استأجروا من خير من استأجرت القوى الامين وأبو بكر في عمر حيث استخافه بعده (وكذلك مكنا يوسف في الأرض) يعني كما مننا على يوسف بان أنقذناه من القتل وأخرجناه من الحب كذلك مكنا في الأرض يعني أرض مصر فجعلناه على خزائنها (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) أي مكنا له في الأرض لكي نعلمه من تأويل الاحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها (والله غالب على أمره) قيل الكناية في أمره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا دافع لأمره ولا راد لقضائه ولا يغلبه شيء وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه ان الله مستول على أمر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يملكه الى أحد سواه حتى يبلغ منتهى ما عمله فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني ما هو صانع بيوسف وما يريد منه (ولما بلغ أشده) يعني منتهى شبابه وشدة وقوته قال مجاهد ثلاثة وثلاثون سنة

فيه الرشد فقال ذلك (وكذلك) اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والمكاف منسوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مكنا يوسف) أي كما أنجينا وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له (في الأرض) أي أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره ونهيه (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) كان ذلك الانجاء والتكبير (والله غالب على أمره) لا يمنع عما شاء أو على أمر يوسف بتبليغه ما أراد له دون ما أراد أخوته (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما بلغ أشده) منتهى استعداده وقوته وهو ثمان وعشرون سنة أما حدى

وعشرون (آتياء حكما وعلما) حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل فيه أو حكاية بين الناس وقفها (وكذلك فنجزي المحسنين) تنبيه على أنه كان محسنا في علمه متقبيا في عفو ان أمره (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) أي طلبت يوسف أن يواقعها والمرادة مغالبة من راد برودا إذا جاء وذهب وكان المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت فعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج به من يده يحتمل أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التمعل لمواقعة أياها (وغلقت الأبواب) وكانت سبعة (وقالت هيت لك) هو اسم النعال وأقبل وهو مبنى على الفتح هيت مكى بناء على انضم هئت مدنى وشاى واللام للبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هـ لم لك (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذاً (أنه) أي (١٣) ان الشأن والحديث (ربى) سيدى وما لكى يريد قطمير (أحسن مشواى) حين قال لك

وقال الضحاك عشرون سنة وقال السدى ثلاثون سنة وقال النكابي الأشد ما بين ثمان عشرة سنة إلى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الأشد فقال هو الحلم (آتياء حكما وعلما) يعنى آتياء يوسف بعد بلوغ الأشد نبوة وفقها في الدين وقيل حكما يعنى أصاب في القول وعلما بتأويل الرؤيا وقيل المفرق بين الحكيم والعاقل ان العالم هو الذى يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هو الذى يعمل بما يوجب العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينفع والعلم هو العلم النظرى (وكذلك) يعنى وكما أنعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك (فنجزي المحسنين) قال ابن عباس يعنى المؤمنين وعنه أيضا المهتدين وقال الضحاك يعنى الصابرين على النوائب كما صبر يوسف (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) يعنى ان امرأه العزيز طلبت من يوسف ان يفعل القبيح ودعته الى نفسه ها يواقعها (وغلقت الأبواب) أي أطبقتها وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في سر وخفية أو انها أغلقتها لشدة خوفها (وقالت هيت لك) أي حلم وأقبل قال أبو عبيدة كان الكسافى يقول هي لغة لاهل حوران رفعت الى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة أيضا بالحورانانية حلم وقال مجاهد وغيره هي لغة عربية وهي كلمة حث وأقبل على الشيء وقيل هي بالعبرانية وأصلها هيت الخ أي تعال فحرف ت قيل هيت لك فن قال انها بغير لغة العرب يقول ان العرب وافقت أصحاب هذه اللغة فتكلمت بها على رفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم في القسطاس ولغة العرب الفرس في التنوير ولغة العرب الترك في الفساق ولغة العرب الحبشة في ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها وقري هئت لك بكسر الهمزة ومعناها هاتمأت لك (قال) يعنى يوسف (معاذ الله) أي أعوذ بالله واعتصم به وأجأ اليه فيمادعوتى اليه (انه ربى) يعنى ان العزيز قطمير سيدى (أحسن مشواى) أي أكرم منزلتى فلا أنونه وقيل ان الهاء في انه ربى راجعة الى الله تعالى والمعنى يقول ان الله ربى أحسن مشواى يعنى انه آتواى ومن بلاء الجب نجائى (انه لا يفلح الظالمون) يعنى ان فعلت هذا الفعل فأنا ظالم لا يفلح الظالمون وقيل معناه انه لا يسعد الزناة قوله عز وجل (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) الآية هذه الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها في مقامين الاول في ذكر أقوال المفسرين في هذه الآية قال المفسرون الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر همت بالشيء اذا أردته وحدثت نفسك به وقاربته من غير دخول فيه فعنى قوله ولقد همت به أي أرادته وقصدته فكان همتها به عزها على المعصية والزنا وقال الزنخشرى همت بالامر اذا قصده وعزم عليه قال الشاعر وهو عمر بن ضابى البرجى
هـمت ولم أفعل وكدت وليتئى * تركت على عثمان تبكى حالته

أكرى مشواى فاجزاه
ان اخونه فى أهله (انه لا يفلح الظالمون) الخائثون أو الزناة أو أراد بقوله انه ربى الله تعالى لانه مسبب الاسباب (ولقد همت به) هم عزم (وهم بها) هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله وهم بها هم خطرة ولا صنع العبد فيما يحظر بالقلب ولا مواخذة عليه ولو كان همه كهمها لما مذحه الله تعالى بانه من عباده الخاصين وقيل وهم بها وشارف أن بهم بها قال همت بالامر اذا قصده وعزم عليه وجواب (لولا أن رأى برهان ربه) محذوف أي لكان ما كان وقيل وهم بها جوابه ولا يصح لان جواب لولا لا يتقدم عليها لانه في حكم الشرط وله صدر الكلام والبرهان الجملة ويجوز أن يكون وهم بها دخلا في حكم القسم في قوله

ولقد همت به ويجوز أن يكون خارجا ومن حق القارى اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه أن يفهم على وقوله به ويبتدى بقوله وهم بها وفيه أيضا اشعار بالفرق بين الهم وبين همت يوسف بانه حل نكته سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على فئها وفسر البرهان بانه سمع صوتا يابك واياها من تين فسمع ثالثا أعرض عنها فلم يجمع فيه حتى مثل له يعقوب غاضا على أغلته وهو باطل وبطل على بطلانه قوله هي راودتني عن نفسي ولو كان ذلك منه أيضا لما برأ نفسه من ذلك وقوله كذلك لتصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك ليركن السوء مصر وفاعله وقوله ذلك ليعلم أي لم أخذه بالغيب ولو كان كذلك لكانه بالغيب وقوله ما علمنا عليه من سوء الا ان حصص الحق أناراودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ولانه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره كما كان لا دم ونوح ردى النون ودار عليهم السلام وقد سماه الله مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة أولى العزم ناظر اى دلالة التعريم حتى

وقوله ولقد همت به بمعناه ولقد همت بمخالطته وهم بها أي وهم بمخالطتها لولا أن رأى برهان ربه جوابه
مخذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لمخالطها قال البغوي وأما معهما بها فروى عن ابن عباس أنه قال حل
الهميان وجلس منها مجلس الخائن وقال مجاهد حل سراً وادله وجهه لعل الجواب به وهذا قول أكثر المفسرين
منهم سعيد بن جببر والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهم ما فصر ببيده إلى جسد يوسف ويده
الأخرى إلى جسد المرأة حتى جمع بينهما قال أبو عبيدة القاسم بن سلام وقد أنكر قوم هذا القول قال
البغوي والقول ما قاله قدماء هذه الأمة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الإنبياء من غير علم قال السدي
وابن اسحق لما أراد أن امرأته العزيز مر أودة يوسف عن نفسه جعلت تذكرة له محاسن نفسه وتشوقه إلى
نفسه اتفاقاً بابن يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما يفتن عن جسد أي قالت ما أحسن عينيك قال هي أول
ما يسيل على خدي في قبري قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله وقيل أنها قالت له ان فراش الحرير
مبسوط قم فأقص حاجتي قال إذا ذهب نصيبي من الجنة فلم ترل تطعمه ويدعوه إلى المذبة وهو شاب يحد
من شبق الشباب ما يحذره الرجل وهي امرأة حسنة جميلة حتى لا نلها المأري من كلفها به ففهم بها ثم إن الله
تبارك عبده يوسف بالبرهان الذي ذكره وسيأتي الكلام على تفسير البرهان الذي رآه يوسف عليه
الصلاة والسلام فهذا ما قاله المفسرون في هذه الآية أما المقام الثاني في تنزيه يوسف عليه الصلاة
والسلام عن هذه الرذيلة وبيان عصمته من هذه الخطيئة التي ينسب إليها قال بعض المحققين المهم هذان
فهم ثابت وهوما كان معه عزم وقصد وعقيدة رضاء مثل هم امرأة العزيز فاعبداً ما خوذ به وهم عارض وهو
الخطورة في القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فاعبداً غير ما خوذ به ما لم يتكلم
أو يعمل به ويدل على صحة هذا ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يقول الله تبارك وتعالى إذا هم عبدي بسنة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاك كتبوها عليه سنة واحدة
وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاك كتبوها له حسنة فإن عملها فاك كتبوها له عشرة أضعاف حسنة (ق)
عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل قال إن الله
كتب الحسنة والسيئة ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها
وعملها كتبها الله له عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ومن هم بسنة ولم يعملها كتبها
الله عنده حسنة وإن هو همها فاعملها كتبها الله عليه سنة واحدة زاد في رواية أو محامها ولن يملك على
الله إلا هالك قال القاضي عياض في كتابه الشفاء فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين إن هم النفس
لا يؤاخذ به وليس بسنة وذكر الحديث المتقدم فلا معصية في هم يوسف إذا وأما على مذهب المحققين من
الفقهاء والمتكلمين فإن الهم إذا وطئت عليه النفس كان سنة وأما ما لم يوطئ عليه النفس من همومها
وخواطرها فهو المفقوعة هذا هو الحق فيكون أن شاء الله هم يوسف من هذا أو يكون قوله وما أبرئ
نفسى الآية أي ما أبرئهم من هذا الهم أو يكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما
زكى قبل وبرئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهتم وأن
الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به لولا أن رأى برهان ربه لهما وقال تعالى حاكياً عن المرأة
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنعرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت
الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الآية وقيل في قوله وهم بها أي برحها ووعظها وقيل هم بها أي
همها المتنازع وقيل هم بها أي نظر إليها وقيل هم بضرها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر
بعضهم ما زال النساء يملن إلى يوسف مبل شهوة ليلجا حتى نبأه الله فألقى عليه هيبه النبوة فشغلت هيبته
كل من رآه عن حسنة هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله وأما الامام نغرا الدين فذكر في هذا المقام
كلاماً طويلاً مبسوطاً وأنا ذكر بعضه ملخصاً فأقول قال الامام نغرا الدين الرازي أن يوسف عليه
الصلاة والسلام كان بريئاً من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين

وبه نقول وعنه نذب فان الدلائل قد دلت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يلتفت الى ما نقله
 بعض المفسرين عن الائمة المتقدمين فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم زلة او هفوة
 استعظموها واتبعوها باظهار الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن آدم عليه السلام في قوله ربنا
 ظلمنا انفسنا الآية وقال في حق داود عليه الصلاة والسلام فاستغفر رب وخررا كعوا واناب واما يوسف
 عليه الصلاة والسلام فلم يحل عنه شيئا من ذلك في هذه الواقعة لانه لو صدر منه شيء لاتبعه بالتوبة
 والاستغفار ولو اتى بالتوبة لحكى الله ذلك عنه في كتابه كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحل عنه شيئا
 علمنا براءته بما قيل فيه ولم يصدر عنه شيء كما نقله أصحاب الاخبار ويدل على ذلك ايضا ان كل من كان له
 تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب اليه واعلم ان الذين لهم تعلق بهذه
 الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن ايديهن والمولود الذي شهد على القميص شهدوا
 ببراءته والله تعالى شهد ببراءته من الذنب ايضا اما بيان ان يوسف ادعى براءته مما نسب اليه فقوله هي
 راودتني عن نفسي وقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه واما بيان ان المرأة اعترفت على نفسها
 واعترفت ببراءة يوسف وزنا هتسه فقولها انا راودته عن نفسه فاستعصم وقولها الان حصص الحق انا
 راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين واما بيان ان زوج المرأة اعترف ايضا ببراءة يوسف فقوله انه من
 كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين واما شهادة
 المولود ببراءته فقوله وشهد شاهد من أهلها الآية واما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك انصرف
 عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله
 لا غوى بينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وبطلان ما قول من قال ان الشيطان جرى بينه ما حتى اخذ
 بحيله وجسد المرأة حتى جمع بينهما فانه قول منكسر لا يجوز لاخذ ان يقول ذلك واما ما روى عن ابن عباس
 انه جلس منها مجلس الخائن فحاشى ابن عباس ان يقول مثل هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام ولعل
 بعض أصحاب القصص وأصحاب الاخبار وضعوه على ابن عباس وكذلك ما روى عن مجاهد وغيره ايضا
 فانه لا يكاد يصح بسند صحيح وبطل ذلك كله وثبت ما ينادى به براءة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذه
 الزيلة والله اعلم بمراده وأما ركايبه وما صدر من انبيائه عليهم الصلاة والسلام فان قلت فعلى هذا
 اتفقوا على ان لا يبقى لقوله عز وجل لولا ان رأى برهان ربه فأنذرت قلت فيه أعظم القوائد ويانه من وجهين
 أحدهما انه تعالى أعلم يوسف انه لوهم بدفعها لقتلته فأعلمه بالبرهان ان الامتناع من ضربها أولى صونا
 لنفسه عن الهلاك الوجه الثاني انه عليه الصلاة والسلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلق به فكاد في
 ذلك أن يفتقر ثوبه من قدام وكان في علم الله أن الشاهد بشهيد بان ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو
 الخائن واذا تمزق من خلف كانت هي الخائنة فأعلمه الله بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه
 بل ولى هاربا فأثبت بذلك الشاهد بجهله لاعليه واما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله تعالى
 لولا ان رأى برهان ربه فقال قتادة وأكثر المفسرين ان يوسف رأى سورة يعقوب عليه السلام وهو يقول
 له يا يوسف ان عمل السعفها موأت مكتوب من الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبيرة ومجاهد وعكرمة
 والضحالك ان رجلا سعى البيت فرأى يعقوب عاضا على اصبعه وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس
 مثل له يعقوب فضرب يده في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال السدي نودي يا يوسف أتوقعها انما
 مثلك ما لم توقعها مثل الطير في جوار السماء لا يطاق عليه وان مثلك ان واقعتها كمثلها اذا وقع على الارض
 لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئا ومثل ما لم توقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثل ان واقعتها
 كمثلها اذا مات ودخل النمل في قرنيه لا يقدر أن يدفع عن نفسه وقيل انه رأى معصما بلا عضد عليه مكتوب
 وان عليه كمل لحافين كراما كاتبين يعلون ما فعلون فولى هاربا ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولا
 تقر بوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فولى هاربا ثم عاد فرأى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا يوما

استحق من الله الثناء ومحل الكافي (كذلك) نصب أي مثل ذلك التثنية ثقتنا ورفع أي الأمر مثل ذلك (لتصرف هذه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنا (أنه من عبادنا المخلصين) بفض اللام حيث كان مدني وكوفي أي الذين أخلصهم الله طاعته وبكسر ها غيرهم أي الذين أخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين (١٥) (واستبق الباب) وتسايقا إلى الباب هي

للطبايع وهو لله رب على حذف الجار وإعمال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معني استندرافه ومنها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتدفعه الخروج ووجد الباب وان كان جمعه في قوله وغلقت الأبواب لأنه أراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار ولما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج (وقدت قبضه من دبر) اجتذبه من خلفه فانقد أي انتنى حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه (وألفيا سيدها لدى الباب) وصادفها عليها قطفير مقبل يريد أن يدخل فلما رآه احتالت لتبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة وتضويف يوسف طمعا في أن يواطئها خيفة منها ومن مكرها حيث (قالت ماجزاه من أراد بأهلك سواء إلا أن يسجن أو عذاب أليم) مانافية أي ليس جزاؤه إلا السجن أو عذاب أليم وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذلك يوسف وأنه أرادها بسوا

ترجعون فيه إلى الله الآية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام أدرك عيسى يوسف قبل أن يصيب الخطيئة فأنخط جبريل عاصا على أصبعه يقول يا يوسف أعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله من الانبياء وقيل أنه مسه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله قال محمد بن كعب القرظي رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت فرأى كتابا في حائط فيه ولا تقر بوزن الزنا أنه كان فاحشة وساء سيلا وفي رواية عن ابن عباس أنه رأى مثل ذلك الملك وعن علي بن الحسن قال كان في البيت صنم فقامت المرأة إليه وسترته بثوب فقال لها يوسف عليه السلام لم فعلت هذا قالت استحييت منه أن يراني على معصية فقال لها يوسف استحيين من لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه شيئا فأنا أحق أن استحي من ربي فهرب فذلك قوله لولا أن رأى برهان ربه أما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الأول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التي جعلها الله تعالى في قلبه حال بينه وبين ما يخطئ الله عز وجل الثاني البرهان حجة الله عز وجل على العبد في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب الثالث أن الله عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الأخلاق الذميمة والأفعال الرذيلة وجعلهم على الأخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فذلك الأخلاق الطاهرة الشريفة تحجزهم عن فعل ما يليق بفعله (كذلك) يعني كما أرى ساء البرهان كذلك (لتصرف عنه السوء) يعني الاثم (والفحشاء) يعني الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل السوء الثناء القبيح فصرف الله عنه ذلك كله وجه له من عبادنا المخلصين وهو قوله (أنه) يعني يوسف (من عبادنا المخلصين) قرئ بفتح اللام ومعناه أنه من عبادنا الذين اصطفييناهم بالنبوة واختارناهم على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه أنه من عبادنا الذين أخلصوا الطاعة لله عز وجل (قوله تعالى) (واستبقا الباب) وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى البرهان قام هاربا بمبادر إلى الباب وتبعته المرأة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج والمسايرة طلب السبق فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبه إليه حتى لا يخرج فذلك قوله عز وجل (وقدت قبضه من دبر) يعني شقته من خلف فغلب يوسف فخرج وخرجت خلفه (وألفيا سيدها لدى الباب) يعني فلما خرجا وجد الزوج المرأة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا مع ابن عم المرأة فلما رآه المرأة هابته وخافت التهمة فسبق يوسف بالقول (قالت) يعني لزوجها (ماجزاه من أراد بأهلك سواء) يعني الفاحشة ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة حبه له فقالت (الا أن يسجن) أي يحبس في السجن ويمنع التصرف (أو عذاب أليم) يعني الضرب بالسياط وانما بدأت بذلك السرور العذاب لأن الحب لا يشتمى إلا بالحبوب وانما أرادت أن يسجن عند هابها وما أومئ ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف مقالها أرادت أن يبرهن عن نفسه (قال) يعني يوسف (هي راودتني عن نفسي) يعني طلبت مني الفحشاء فأبيت وقررت وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام ما كان يريد أن يذكر هذا القول ولا يفتن سترها ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتساج إلى إزالة هذه التهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي (وشهد شاهد من أهلها) يعني وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبيرة والضحاك كان ضيفا في المهدي فأنطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صفاران ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم ذكره البغوي بغير سند والذي جاء في

لأنهم قصدت العموم أي كل من أراد بأهلك سواء أخفقه أن يسجن أو عذاب لا يبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف فلو ما عرضته للسجن والعذاب ووجب الدفع عن نفسه (قال هي راودتني عن نفسي) ولولا ذلك لكنتم عليهم ولم يفضحها (وشهد شاهد من أهلها) هو ابن عم لها وانما ألقي الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب التعجبه عليها وأوثق لبراءة يوسف وقيل كان ابن خال لها أو كان ضيفا في المهدي وسعى قوله شهادة لأنه أدى مؤدى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها

(ان كان قيصره قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قيصره قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) والتقدير وشهد شاهد فقال ان كان قيصره وانما دل قد قيصره من قبل على انها صادقة لانه يسرع خلفها بالحقه اذ يعترف بمقام قيصره فيشقه ولانه يقبل عليه بارهى ندفعه من نفسه فيتخرق القيص من قبل وأما تكبير قبل ودبر فعنه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وانما

جمع بين ان التي للاستقبال وبين كان لان المعنى ان يعلم انه كان قيصره قد (فلما رأى) قطفير (قيصره قد من دبر) وعلم راءة يوسف وصدقه وكذلك (قال انه) ان قولك عاجز من أراد بأهلك سوا أو ان هذا الامر وهو الاحتمال لنيل الرجال (من كيدك) الخطاب لها ولا منها (ان كيدك) عظيم (لانهم) ألطف كيدا وأعظم حيلة وبذلك يغلب الرجال والقصرات منهم معهن ما ليس مع غيرهن من البرائق وعن بعض العلماء ان أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال لهم ان كيدك عظيم (يوسف) حذف منه حرف النداء لانه منادى قوب مضاعف للنداء وبه تقرب له وتلطيف له (أعرض عن هذا) الامر واكتمه ولا تحدث به ثم قال راعبل (واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطي اذا ذنب متعمدا وانما قال بلطف التذكير تغليبا للذكور على الاناث وكان العزيز رجلا قليلا في الغيرة حيث اقتصر على هذا القول (وقال لها ندوة) جماعة من النساء يكن خسا امرأة الساقى وامرأة الحباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجين وامرأة الحاجب والنسوة امم مفرد لجمع المرأة وتأتيها غير حقيق ولذا لم يقل قالت وفيه لغتان كسر التون وضجها (في المدينة) في مصر (امرأت العزيز) يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب (تراودتنا) غلامها يقال فتاى وقتاى أى غلاى وجارىنى (عن نفسه) اتنال شهواتها منه (قد شغفها حبا)

الصحفين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريح وابن المرأة وقصتهم مخرجة في الصحيح قبل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صيدا ولكنه كان رجلا حكيما ذارأى وقال السدي هو ابن عم المرأة فخبرهم فقال (ان كان قيصره قد من قبل) أى من قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قيصره قد من دبر) أى من خلف (فكذبت وهو من الصادقين) وانما كان هذا الشاهد من أهل المرأة ليكون أقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه الصلاة والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام ونفي التهمة عنه من وجوه منها انه كان في الظاهر مملوك وهذه المرأة والمملوك لا يستطيع يد به الى سيدته ومنها انهم شاهدوا يوسف بعد دواها ربا منها والمطالب لا يهرب ومنها انهم رأوا المرأة قد تزيفت بأكل الوجوه فكان الحاق التهمة بها أولى ومنها انهم عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه العلامات دالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه أيضا (فلما رأى قيصره قد من دبر) يعنى فلما رأى قطفير زوج المرأة قيصره يوسف عليه الصلاة والسلام قد من خلفه عرف خيانه امرأته وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام (قال) يعنى قال لها زوجها قطفير (انه) يعنى هذا الصنيع (من كيدك) يعنى من حيلتك ومكرتك (ان كيدك عظيم) فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهذا كان مكر الرجال أعظم من مكر النساء قلت أما كون الانسان خلقا ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ما هو أعظم منه يتلقى الملائكة والسعوات والارض والحيال ونحو ذلك وأما عظم كيد النساء ومكرهن في هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع البشر لانهن من المكر والحيل والكيد في انعام من ادهن مالا يدور عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيدك ان كيدك عظيم من قول الشاهد وذلك انه لما ثبت عنده خيانه المرأة فورا يوسف عليه الصلاة والسلام قال هل هذه المقالة (يوسف) يعنى يا يوسف (أعرض عن هذا) يعنى اترك هذا الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا يفسد ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف لا تكثري هذا الامر ولا تهم به فقد بان عذرك وبراءتك ثم انتفت الى المرأة فقال لها (واستغفري لذنبك) يعنى توبى الى الله مما رمت يوسف به من الخطيئة وهو يرى منها وقيل ان هذا من قول الشاهد يقول للمرأة سلى زوجك أن يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك (انك كنت من الخاطئين) يعنى من المذنبين حين خنت زوجك ورمت يوسف بالتهمة وهو يرى وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليبا لجنس الرجال على النساء وقيل انه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن كل من يفعل هذا الفعل فقد بره انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقولها وكانت من القانتين قوله عز وجل (وقال نسوة في المدينة) امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه) يعنى وقال جماعة من النساء وكن خسا وقيل كن أو بعاد ذلك لما شاع خبر يوسف والمرأة في مدينة مصر وقيل هي مدينة عين الشمس وتحدثت النساء فيما بينهن بذلك وهن امرأت حاجب الملك وامرأة صاحب دواب وامرأة خباز وامرأة ساقية وامرأة صاحب سمكه وقيل نسوة من أشرف مصر امرأت العزيز يعنى زليخا تراودتنا عن نفسه يعنى تراود عبدها الكنعاني عن نفسه لانها تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها والفتى الشاب الحديث السن (قد شغفها حبا) يعنى قد علفها حبا والشغاف جملة محبطة بالقاب يقال

وانما قال بلطف التذكير تغليبا للذكور على الاناث وكان العزيز رجلا قليلا في الغيرة حيث اقتصر على هذا القول (وقال لها ندوة) جماعة من النساء يكن خسا امرأة الساقى وامرأة الحباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجين وامرأة الحاجب والنسوة امم مفرد لجمع المرأة وتأتيها غير حقيق ولذا لم يقل قالت وفيه لغتان كسر التون وضجها (في المدينة) في مصر (امرأت العزيز) يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب (تراودتنا) غلامها يقال فتاى وقتاى أى غلاى وجارىنى (عن نفسه) اتنال شهواتها منه (قد شغفها حبا)

تغير أي قدسفة هاجسة يعني خرف حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد والشغاف حجاب القلب أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب (أنا لئراها في ضلال مبين) في خطأ بعد عن طريق الصواب (فلما سمعت) راعيل (عكرهن) (١٧) باغتيالهن وقولهن امرأة العزيز

عشقت عبدها الكنعاني

ومقتها ومعنى الاغتيال

مكر الانه في خفية وحال

غيبه كما يخفي الماكر مكره

وقيل كانت استكتمتهن سرها

فأفشيته عليهن (أرسلت

اليهن) دعتهن قبل دعت

أربعين امرأة منهن الخمس

المذكورات (واعذت)

وهيأت اقترنت من العناد

(لهن متسكا) ما يستكن عليه

من غمار قصص بتلث

الهيثة وهي قعودهن

متسكات والسكا كين في

أيدين أن يدهشن عند

رويته وشغلن عن نفوسهن

فتقع أيدين على أيدين

فقطعهن لان المتسكى اذا

جهت لشيء وقعت يده على

يده (وأنت كل واحدة

منهن سكينا) وكانوا لا

ياكلون في ذلك الزمان

الا بالسكا كين كفضل

الاعاجم (وقالت اخرج

عليهن) يكسرا التاء بصري

وعاصم وحزة ونضمها غيرهم

(فلما رأته أكبرنه)

أعظمته وهين ذلك الحسن

الرائق والجمال الفائق

وكان فضل يوسف على

الناس في الحسن كفضل

القمر ليلة البدر على نجوم

السماء وكان اذا سار في

أزقة مصر يرى ثلاثا

وجهه على الجدران

كبرن يعني حزن والهالكت

اذ يقال النساء قد حزنه لانه لا يمدى الى مقول يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد

الصفر وكان أبابا الطيب أخذ من هذا التقدير قوله

خف الله واسترذا لجمال يرفع فان لحقت حاضت في الحدور والعواتق (وقطعن

لها غلاف القلب والمعنى ان حبه دخل الجلدة حتى أصاب القلب وقبل ان حبه قد أحاط بقلبها كحاطة الشغاف بالقلب قال الكسبي حبه قلبها حتى لا تعقل شيئا سواه (أنا لئراها في ضلال مبين) يعني في خطا بين ظاهري حيث تركت ما يجب على أمثالها من العقاق والستر وأجبت قناتها (فلما سمعت عكرهن) يعني فلما سمعت زلجا بقولهن وما تحدثن به وانما سمى قولهن ذلك مكر لانهن طلبن بذلك رؤية يوسف وكان وصفهن حسنه وجمالهن فقصدن أن يرينه وقيل ان امرأة العزيز أفشت اليهن سرها واستكتمتهن فأفشين ذلك عليهن فذلك مما مكر (أرسلت اليهن) يعني انهن الماسمعت بأنهن طلبنها على محبتها يوسف أرادت أن تقيم عذرها عندهن قال وهب اتخذت مائدة يعني صنعت لهن وليمة رضى يافعة ودعت أربعين امرأة من أميرات مدنتها فيهن هؤلاء اللاتي غيرن (وأعذت لهن متسكا) يعني ووضعت لهن غمارا ومساند يستكن عليهن وقال ابن عباس وابن جرير والحسن وقتادة ومجاهد متسكا يعني طعاما يرواغسعى الطعام متسكا لان كل من دعونه ليطعم عنده فقد أعددت له وسائدا يجلس ويتسكى عليه فسمى الطعام متسكا على الاستعارة ويقال انكأنا عند فلان أى طعمنا عنده والمتسكا ما يتسكا عليه عند الطعام والشراب والحديث ولذلك جاء النهي عنه في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا آكل متسكا وقيل المتسكا الانرج وقيل هو كل شيء يقطع بالسكاكين أو يحرق بها يقال ان المرأة زينت البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة اللاتي غيرن ما يجب يوسف (وأنت كل واحدة منهن سكينا) يعني وأعطت كل واحدة من النساء سكينا لتأكل بها وكان من عاذتهن أن يأكلن اللحم والفواكه بالسكين (وقالت اخرج عليهن) يعني وقالت ليلجا ليوسف اخرج علي النسوة وكان يخاف من مخالفتهم اخرج عليهن يوسف وكانت قد رتبته واختبأته في مكان آخر (فلما رأته) يعني النسوة (أكبرنه) يعني أعظمته ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد أعطى شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أمري بي الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال اسحق بن أبي فرقة كان يوسف اذا سار في أزقة مصر ثلاثا وجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل ان يخرج من الجنة وقال أبو العالسة هالهن أمره وجهه بين اليه وفي رواية عن ابن عباس قال أكبرنه أى حزنه ونحوه عن مجاهد والضحالك قال حزنه من الفرح وأنكر أكثر أهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة والهال في أكبرنه منع من هذا لانه لا يجوز أن يقال النساء قد حزنه لان حزن لا يمدى الى مقول قال الأزهرى ان صححت هذه اللفظة في اللغة فلها اخرج وذلك ان المرأة اذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد النساء الى حد الكبر فيقال لها أكبرت أى حاضت على هذا المعنى فان صححت الرواية عن ابن عباس سمانا له وجعلنا الهاء في قوله أكبرنه هاء الوقف لاهاء الكناية وقيل ان المرأة اذا خافت أو فرغت فرجا أسقطت ولها وتحيض فان كان ثم حيض فرجا كان من فرجهن وماها لهن من أمر يوسف حين رأته قال الامام نضر الدين الرازى وعندي أنه يحتمل وجه آخر هو أنهن اغتا أكبرنه لانهن رأين عليه نور النبوة وسما الرسالة وآثار الخضوع والاختبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وهي عدم الالتفات الى المطعوم والمشكوك وعدم الاعتداد بهن وكان ذلك الجلال العظيم مقروبا بتلك الهيبة والهيبة فتجسبن من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وأعظمته ووقع الرعب والهابة في قلوبهن قال وحمل الآية على هذا الوجه أولى (وقطعن

(٣ - خازن ثالث)

وكان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجلال من جدته سارة وقيل أكبرن يعني حزن والهالكت اذ يقال النساء قد حزنه لانه لا يمدى الى مقول يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصفر وكان أبابا الطيب أخذ من هذا التقدير قوله

أيديهم) وجرمها كقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحها أي أردت أن يقطع الطعام الذي في أيديهم فذهبن لمسارينه
نقدشن أيديهم (وقان حاش لله) حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زبدوهي حرف من حروف الجر
فوضعت موضع التنزيه والبراءة فعني حاشا الله براءة الله وتنزيهه الله وقرأه أبي عمر وحاشا الله نحو قولك سقيالك كانه قال براءة ثم قال لله لبيسان
من برأؤيزه وغيره حاش لله بخلاف الالف الاخيرة والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جيل مثله (ماعدنا
بشر ان هذا الاملاك كريم) نفين عنه البشرية لغرابه جلاله واثبت له الملكية واثبت بها الحكم لمسار كفي الطباع ان لا احسن من الملك كما
ركز فيهم ان لا أفتج من الشيطان (قالت ١٨) فذا كن الذي لمتني فيه (تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتني

أيديهم) يعني وجعلن يقطعن أيديهم بالسكاكين التي معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج ولم يحدث
الاملاهمشتمين وشغل قلوبهم يوسف قال مجاهد فحاشا أحسن الابالدم وقال قتادة ابن أيديهم حتى ألقينها
والاصح انه كان قطعاً من غير ابانة وقال وهب مات جماعة منهم (وقان) يعني النسوة (حاش لله ما هذا
بشرا) أي ما اذ الله أن يكون هذا بشرا (ان هذا الاملاك كريم) يعني على الله والمقصود من هذا اثبات
الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قدر كفي النفوس ان لا شيء أحسن من الملك فذلك وصفته بكونه
ملكاً وقيل لما كان الملك مطهر من بواعث الشهوة وجميع الآفات والحوادث التي تحصل للبشر وصفن
يوسف بذلك قوله تعالى (قالت فذا كن الذي لمتني فيه) يعني قالت امرأة العزيز لانسوة لمارأين يوسف
ودعثن عند رؤيته فذا كن الذي لمتني في محبته وانما قالت ذلك لاقامة عذرها عندهن حين قلن ان
امرأة العزيز قد شغفها فقامتاها الكنعاني حباً وانما قالت فذا كن الخ بعد ما قام من المجلس وذهب وقال
صاحب الكشف قالت فذا كن ولم تقل فهذا هو حاضر رفعها لمزلة في الحسن واستحقاق أن يحب ويضرب به
ويجوز أن يكون إشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبداها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي
صورتن في أنفسكن ثم لمتني فيه ثم ان امرأة العزيز صرحت بما فعلت فقالت (ولقد راودته عن نفسها
فاسنعهن) يعني فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لا ملامة عليها
منهن وانهم قد أصابهن ما أصابها عند رؤيته ثم ان امرأة العزيز قالت (ولئن لم يفعل ما أمره) يعني وان لم
يطاوعني فيمادعونه اليه (للسجين) أي ليعاقبن بالسجن والحبس (وليكونا من الصاغرين) يعني من
الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف أطع مولانا فيمادعوك اليه فاختار يوسف السجن على المعصية
حين توعده المرأة بذلك (قال رب) أي يارب (السجين أحب الي مما يدعونني اليه) قبل ان الداء كان منها
خاصة وانما أضافه اليهن جميعاً خوفاً من التصريح الى التعريض وقيل انهن جميعاً دعونه الى أنفسهن
وقيل انهن لما قلن له أطع مولانا صححت اضافة الدعاء اليهن جميعاً اولاً لانه كان يحضر من قال بعضهم لولم يقل
السجين أحب الي لم يتل بالسجين والاولى بالعبد أن يسأل الله العافية (والا تصرف عني كيدهن) يعني
ما أردن مني (أصب اليهن) أي أمل اليهن يقال صبا ذلائل الى كذا اذا مال اليه واشتاقه (وأكن من
الجاهلين) يعني من المذنبين وقيل معناه أكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه دليل على أن من
ارتكب ذنبا اغيار تكبته عن جهالة (فاستجاب له ربه) يعني فأجاب الله تعالى دعاء يوسف (فصرف عنه
كيدهن انه هو السميع) يعني لدعاء يوسف وغيره (العليم) يعني بجواله وفي الآية دليل على أن يوسف عليه
الصلاة والسلام لما أظفاته البلية بكيد النساء وه طالبتهن اياه بما لا يليق بحاله لجأ الى الله وفرغ الى الدعاء

فيه يعني انكن لم تصورنه
حق صورته والاعذر لتني
في الاقتتان به (ولقد راودته
عن نفسها فاسنعهن)
الاستعصام بتاء بالغة
يدل على الامتناع المبلغ
والحفظ الشديد كانه في
عصية وهو يجتهد في
الاستزادة منها وهذا بيان
جلى على أن يوسف عليه
السلام يرى بمخافته
أولئك الغريبي المهم والبرهان
ثم قلن له أطع مولانا فقالت
راعيسل (ولئن لم يفعل
ما أمره) والقهر برأجع
الى ما روى موصولة والمعنى
ما أمره به خذ الجمار كما
في قوله أمر تلك الخديرة أو
ما صدر به والضمير يرجع
الى يوسف أي ولئن لم يفعل
أمرى اياه أي موصوب
أمرى ومقتضاه (للسجين)
للسجن والالف في (وليكونا)
بدل من فون التاكيد
الخفيفة (من الصاغرين)
مع السراق والسفقال

والاباق كما صرف قلبي وأبق منى وسفلدوى بالفراق فلامها أي يوسف الطعام والشراب والنوم هنالك كما معنى هنا كل
ذلك ومن لم يرض عني في الحرب على السر رأمرأ حصل في الحصار على الحصير حسير اخلاء مع يوسف ثم دها (قال رب السجن أحب
الى مما يدعونني اليه) استند الدعوة اليهن لانه قلن له ما عليه لئلا يحب مولانا أو اقتنت كل واحدة به فذهت الى نفسها امرأ القبا
المرية قال رب السجن أحب الي من ركوب المعصية (والا تصرف عني كيدهن) فزع منه الى الله في طلب العصية (أصب اليهن) أمل
اليهن والصورة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبوا اليها لطيب نسيها وروحها (وأكن من الجاهلين) من الذين لا يعملون
بما يعملون لان من لا جدوى لعله فهو ومن لم يعلم سواء أو من السفها قلنا كان في قوله والا تصرف عني كيدهن معنى طلب العرف والدعاء
قال (فاستجاب له ربه) أي أجاب الله دعاءه (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) لدعوات الملتجئين اليه (العليم) بحاله وحالهن

(ثم بدأهم) فاعله معجز لئلا يفسره عليه وهو ليس بجنه والمعنى بدأهم أى ظهر لهم رأى والمعصية فى أهم للعزير وأهله (من بعد ما أروا الآيات) وهى الشواهد على برائه كقد القميص وقطع الأيدي وشهادة (١٩) الصبي وغير ذلك (ليسجنه) لابتداء عذره

الحال وأرخاء السرى على القيل والقال وما كان ذلك إلا باستئصال المرأة لزوجها وكان مطواها وأهله وحملها ذلولاً لازماً فى يدها وقد طمعت أن يذللها السجن ويسخر لها أو خافت عليه العيون وظنت فيه الظنون فالجأه الخجل من الناس والوجل من الناس إلى أن رضيت بالخجاب مكان خوف الذهاب للنشقي يتخبره إذا منعت من نظره (حتى حين) إلى زمان كانا اقتربت أن يسجن زماناً حتى تبصر ما يكون منه (ودخل معه السجن قتيان) عبدان للملك خبازه وشرايه بتهمة السم فأدخلوا السجن ساعة أدخل يوسف لأن مع بدل على معنى العصبه تقول خرجت مع الأمير تريد مصاحباً له فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له (قال أحدهما) أى شرايه (انى أراى) أى فى المنام وهى حكاية حال ماضية (أعصر خرا) أى عنياً تشبهه للعصبه يؤل إليه أو الخمر بلغته عجمان اسم للعنب (وقال الآخر) أى خبازه (انى أراى أحمل فوق رأى خبرنا على الطير منه

ورغبة إلى الله ليكشف عنه ما نزل به من ذلك الأمر مع الاعتراف بأنه ان لم يعصمه من المعصية وقع فيها فدل ذلك على أنه لا يقدر أحد عن الانصراف عن المعصية إلا بعصمة الله وطفه به ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ثم بدأهم) يعنى للعزير وأهله فى الرأى وذلك أنهم لم أرادوا أن يقتصر روى من أمر يوسف على الأعراض وكنتم الحال وذلك أن المرأة قالت لزوجها ان ذلك العبد العبرانى قد قضى عند الناس بخبرهم بانى قد رآه عن نفسه فاما ان تأذن لى فأخرج وأعتذر لى الناس واما ان تحبسه فرأى حبسه (من بعد ما أروا الآيات) يعنى الدال على صدق يوسف وبرائه من قد القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهم وذهاب عقولهن عند رؤيته (ليسجنه) أى ليجلس يوسف فى السجن (حتى حين) يعنى إلى مدة يرون رأيهم فيها وقال عطا إلى أن تقطع مقالة الناس وقال عكرمة إلى سبع سنين وقال الكلبى خمس سنين فحسبه قال السدى جعل الله ذلك الحبس ظهيراً ليوسف من همه بالمرأة (ودخل معه السجن قتيان) وهما غلامان كانا للوليد ابن زوان العجماني ملك مصر الأكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليه الملك فحبسه ما و كان السبب فى ذلك ان جماعة من أنصار مصر أرادوا المكرب بالملك واغتياه وقتله فضمنوا له من الغلامين ما لا على أن يسجن الملك فى طعامه وشرايه فأجابا إلى ذلك ثم ان الساقى ندم فرجع عن ذلك وقبيل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقى لا تأكل أيها الملك فان الطعام مسوم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسوم فقال للساقى اشرب فشر به فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فأتى فاطعم من ذلك الطعام دابة فهلك فامر الملك بحبسهما فحبسهما مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول انى أعبر الاحلام فقال أحد الغلامين اصاحبه هلم فلنجرب هذا الغلام العبرانى فترأى له رؤيا فأسأله من غير أن يكونا قد رأيا شيئاً قال ابن مسعود ما رأيا شيئاً إنما تحالما ليجرب يوسف وقال قوم بل كانا قد رأيا حقيقة فرأهما يوسف وهما مومنان فأسألهما عن شأنهما فاذكر أنهما غلامان للملك وقد حبسهما ما و قد رأيا رؤيا فغتمهما فقال يوسف قصا على ما رأيتما فقصا عليه ما رأياه فذلك قوله تعالى (قال أحدهما) وهو صاحب شراب الملك (انى أراى أعصر خرا) يعنى غنبا سعى العنب خرابا سم ما يؤل إليه يقال فلان يطبخ الآخر أى يطبخ اللبن حتى يصير آجراً وقيل لخنجر العنب بلغته عجمان وذلك انه قال انى رأيت فى المنام كافى فى بستان وإذا فيه أصل حبسه وعلمها ثلاثة عنايد عنب بخيت أو كان كاس الملك فى يدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه (وقال الآخر) وهو صاحب طعام الملك (انى أراى أحمل فوق رأى خبرنا على الطير منه) وذلك انه قال انى رأيت فى المنام كان فوق رأى ثلاث سلال فى الخبز وألوان الاطعمة وسباع الطير تنمى منها (بنينا بتأويله) أى أخبرنا بتفسير ما رأينا وما يؤل إليه أمر هذه الرؤيا (اننا نراى من المحسنين) يعنى من العالمين بعبارات الرؤيا والاحسان هنا يعنى العلم وسئل الضحاك ما كان احسانه فقال كان اذا مرض انسان فى الحبس عاده وقام عايداً وإذا ضاق على أحد وسع عليه وإذا احتاج أحد جمع له شيئاً وكان مع هذا يجتهد فى العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كاه للصلاة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوماً أشد بالاً منهم وانقطع رجاءهم وطال حزهم فجعل يسلمهم ويقول اصبروا وأبشروا فقالوا بارك الله فيك يا فتى ما أحسن وجهك وخلقت حديثك لقد بورك لنا فى جوارك فمن أين أنت قال أنا يوسف بن متى الله يعقوب بن دبيع الله محقق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يا فتى والله لو استطعت تلميت سيدك ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك واختراى بيوت السجن شئت وقيل ان

بنينا بتأويله) بتأويل ما رأينا (اننا نراى من المحسنين) من الذين يحسنون عبارة الرؤيا أو من المحسنين إلى أهل السجن فانك تداوى المريض وتعزى الحزين وتوسع على الفقير فأحسن البناء بتأويل ما رأينا وقيل أنهم تحالما ليعصنوا فقال الشراى انى رأيت بستان فإذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عنايد من عنب فقطقنها وعصرتها فى كاس الملك وسقيتها وقال الخباز انى رأيت كان فوق رأى ثلاث سلال

ففيها أنواع الاطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها (قال لا يا نبيك طعام نرزقناه الان يا نبيك تأويله) أي بيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه
تفسير المثلث كل (قبل ان يا نبيك) (٢٠) ولما استعيراه ووصفاه بالاحسان افترض ذلك فوصل به ووصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو

الاخبار بان الغيب وأنه ينزلها
بما يحمل اليه من
الطعام في السجن قبل ان
يأتيهم ما يصفه لهم ويقول
اليوم يا نبيك طعام من
صفته كيت وكيت فيكون
كذلك وجعل ذلك نخصا
الى ان يذكر لهم التوحيد
ويعرض عليهما الايمان
وبزينة لهم او ينجي اليهما
الشرك وفيه ان العالم
اذا جهل منزله في العلم
فوصف نفسه بما هو بصدده
وغرضه ان يقتبس منه لم
يكن من باب التزيين (ذلكا)
اشارة لهما الى التأويل
أي ذلك التأويل والاخبار
بالمغيبات (بما علمني ربي)
وأوحى به الي ولم أقل عن
تكنهن وتجهن (اني تركت
ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم
بالآخرة هم كافرون)
يجوز ان يكون كلاما مبتدأ
وأن يكون تعليلا لما قبله
أي علمني ذلك وأوحى به الي
لاني رفضت ملة أولئك
وهم أهل مصر ومن كان
الفتيان على دينهم (واتبع
ملة آباء ابراهيم واسحق
وبهقوب) وهي الملة الخنثية
وتكريرهم للتوكيد وذكر
الآباء ليرحمهم انهم من بيت
النبوة بعد ان عرفهم انه
نبي يوحى اليه بما ذكر من
اخباره بالغيب ليقوى

الفتيين لما رايا يوسف قال ان قد آجبتك منذ رأيتك فقال لهم يوسف أنشدكم بالله أن لا تحباني فوالله
ما أحبني أحد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد أحببني عني فدخل على من ذلك بلاء وأحبني أبي فاقببت
في الحب واحببني امرأة العزيز فحبست فلما ذمها عليه رؤياها كره يوسف أن يعبرها لهما حين سألا لما
علم ما في ذلك من المنكره لاحدهما وأعرض عن سؤالها وأخذني غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعاء
الى التوحيد وقيل انه عليه السلام أراد أن يبين لهما ان درجته في العلم أعلى وأعظم مما اعتقدافيه
وذلك انه سألها ما علمه علم التعبير ولا شيء ان هذا العلم مبني على الظن والتخمين فإراد أن يعلمها أنه يمكنه
الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن
الغيوب كان أقدر على تعبير الرؤيا بطريق الأولى وقيل انما عدل عن تعبير رؤياها الى اظهار المعجزة لانه
علم ان أحدهما سيصاب فأراد ان يدخله في الاسلام ويخلصه من الكفر ودخول النار فأظهر له المعجزة
لهذا السبب (قال لا يا نبيك طعام نرزقناه الان يا نبيك تأويله) قيل أراد به في النوم يقول لا يا نبيك طعام
نرزقناه في نومك الا أخبرتك خبره في البقطة وقيل أراد به في البقطة يقول لا يا نبيك طعام من منازلكما
نرزقناه يعني طعامه وتأكلانه الان يا نبيك تأويله يعني أخبرتك بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليك فيه
(قبل أن يا نبيك) يعني قبل ان يصل اليك أرى طعاما أكتموكم أكتموكمي أكتم وهذا مثل معجزة عيسى
عليه الصلاة والسلام حيث قال وأنتكم بما أنا كلون وما تدخرون في بيوتكم فقال لا يوسف عليه الصلاة
والسلام هذا من علم العرافين والكهنة فمن أين لك هذا العلم فقال ما أنا بأكهن ولا عراف وإنما ذلك
اشارة الى المعجزة والعلم الذي أخبرهما به (ذلكا بما علمني ربي) يعني ان هذا الذي أخبرتك به وحى من الله
او حاه الي وعلم علمه (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) فان قات ظاهرا قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله انه عليه الصلاة والسلام كان داخل في هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم
الصلاة والسلام من حين ولدوا وظهروا الى الوجود هم على التوحيد فقام معنى هذا الترك في قوله تركت
قات الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء والالتفات اليه بالمرءة وليس
من شرطه ان يكون قد كان داخل فيه ثم تركه ورجع عنه الوجه الثاني وهو الاقرب ان يوسف
عليه الصلاة والسلام لما كان عند العزيز وهو كافر وجميع من عنده كذلك وقد كان بينهم وكان يوسف على
التوحيد والايان الصحيح صرح قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله (وهم بالآخرة هم كافرون) فترك
ملتهم وأعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظة هم في قوله وهم بالآخرة هم كافرون
للتوكيد لشدته انكارهم لله ما دوا قوله (واتبع ملة آباء ابراهيم واسحق وبهقوب) لما ادعى يوسف عليه
السلام النبوة وأظهر المعجزة وأظهره انه من أهل بيت النبوة وان آباءهم كانوا انبياء وقيل لما كان
ابراهيم واسحق وبهقوب مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا في الدنيا عند الخلق والمنزلة الرفيعة
في الآخرة أظهر يوسف عليه الصلاة والسلام انه من أولادهم وانه من أهل بيت النبوة ليسعوا قوله
ويطيعوا أمره فيما يدعوههم اليه من التوحيد (ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء) معناه ان الله سبحانه
ونه الى ما اختارنا النبوة واصطفانا لرسالته وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا ان نشرك به من جميع
هذه الاختصاصات التي اختصنا بها قال الواحدى لفظة من في قوله من شيء زائدة مؤكدة كقولك ما جاءني
من أحد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء أي شيء كان من
ملك أوجبني أو انسى فضلا أن نشرك به صلا لا يسمع ولا يبصر (ذلك من فضل الله) يعني ذلك التوحيد
وعدم الاشرار والعلم الذي رزقنا من فضل الله (علمنا على الناس) يعني بما انصب لهم من الادلة الدالة

على

وغيره ما في اتباع قوله والمراد به ترك الابداء لانه كان فيه ثم تركه (ما كان لنا) ما صح لنا معشر الانبياء
(ان نشرك بالله من شيء) أي شيء كان صفا أو غيره ثم قال (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس)

ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فضل الله في شكرهم به ولا يشكرون (يا صاحبي السجين) يا ساكني السجن كقول أصحاب النار وأصحاب الجنة (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) يريد التفرق في العدد والتكاثر أي ان تكون أرباب شتى يستعبدك هذا ويستعبد لك هذا خير لك أم يكون لك أرباب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده وعبادة الأصنام (ما تعبدون) خطاب لهم ما لمن كان على دينهم من أهل مصر (من دونه) (٣١) من دون الله (الأسماء سميتهموها

أنتم وآبائكم) أي سميتهم
ما لا يستحق الإلهية آلهة
ثم طهقت تعبدونها فكانكم
لا تعبدون إلا أسماء
السميات لها ومعنى
سميتهموها سميتهم بها يقال
سميته زيداً وسميته بزيد
(ما أنزل الله بها) بتسميتها
(من سلطان) حجة (ان
الحكم) في أمر العبادة
والدين (الله) ثم بين ما حكم
به فقال (أمر ألا تعبدوا إلا
أياه ذلك الدين القيم) الثابت
الذي دلت عليه البراهين
(ولكن أكثر الناس لا يعلمون)
وهذا يدل على ان العقوبة
تلزم العبد وان جهل اذا
أمكن له العلم بطريقه ثم
عبر الرؤيا فقال (يا صاحبي
السجين أما أحدك) يريد
الشرايبي (فيسق ربه) سيده
(خراً) أي يعود الى عمله
(وأما الآخر) أي الخباز
(فيصلب فتأكل الطير من
رأسه) روى أنه قال للاول
ما رأيت من الكرمه وحسنها
هو الملك وحسن حاله عنده
وأما القضاة الثلاثة
فأما الثلاثة أيام غصني في

على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على عباده (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يعني ان أكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهم الى الاسلام فقال (يا صاحبي السجين) يريد يا صاحبي فاضافهم الى السجن كما تقول يا سارق الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروقة ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقول أصحاب النار وأصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) يعني آلهة شتى من ذهب وقضه وصفر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع ذلك لا تفسر ولا تنفع (خير أم الله الواحد القهار) يعني ان هذه الأصنام أعظم صفة في المدح واستحقاق اسم الإلهية والعبادة أم الله الواحد القهار قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقبل هو المنقطع عن القربين والمعدوم الشريك والتظير وليس هو كسائر الأتباع من الاجسام المؤلفة لان ذلك قد يكثر لضمها بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لا مثل له ولا يشبهه شيء من خلقه القهار قال الخطابي القهار هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كله بالموت وقال غيره القهار هو الذي قهر كل شيء وذلكه فاستسلم له وانقاد وذلك له والمعنى ان هذه الأصنام التي تعبدونها ذليلة مقهورة اذا اراد الانسان كسرها واهانتها فقدر عليه والله هو الواحد في ملكه القهار لعباده الذي لا يقبله شيء وهو الغالب لكل شيء سبحانه وتعالى ثم بين عجز الأصنام وانها لا شيء البتة فقال (ما تعبدون من دونه) يعني من دون الله وانما قال تعبدون باللفظ الجمع وقد استدل بالانتقاة في مخاطبة لانه أراد جميع من في السجن من المشركين (الأسماء سميتهموها) يعني سميتهموها آلهة وأربابا وهي حجارة جمادات خالية عن المعنى لاحقيقة لها (أنتم وآبائكم) يعني من قبلكم سموها آلهة (ما أنزل الله بها من سلطان) يعني ان تسمية الأصنام آلهة لا حجة لكم بها ولا برهان ولا أمر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله أمرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما أنزل الله بها من سلطان (ان الحكم الله) يعني ان الحكم والقضاء والامر والنهي لله تعالى لا لشريك له في ذلك (أمر ألا تعبدوا إلا أياه) لانه هو المستحق للعبادة لاهذه الأصنام التي سميتهموها آلهة (ذلك الدين القيم) يعني عبادة الله هي الدين المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك ولم يفرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء الى الله وعبادته مرجع الى تعبير رؤياهما فقال (يا صاحبي السجين) أما أحدكما فيسقى ربه خيراً) يعني ان صاحب شراب الملك يرجع الى منزله ويسقى الملك خيراً كما كان يسقيه أولاً والعاقبة الثلاثة هي ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعو به الملك ويرده الى منزله التي كان عليها (وأما الآخر فيصلب) يعني صاحب طعام الملك والسلال الثلاثة أيام ثم يدعو به الملك فيصليه (فتأكل الطير من رأسه) قال ابن مسعود رضى الله عنه فلما سمعوا قول يوسف عليه الصلاة والسلام قالوا ما رأينا شيئاً أنما كنا نعب قال يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) يعني فرغ من الامر الذي سألتما عنه ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبركما به رأيتمَا شيئاً لم تريا (وقال) يعني يوسف (الذي ظن) يعني علم وتحقق فالظن بمعنى العلم (أنه ناج منهما) يعني ساقى الملك (اذ كرفي عند ربك) يعني سيبدلك وهو الملك الا كبرفة لانه ان في السجن غلاما محبوبا سامطاً لوما طال

السجين ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز صلبه قال ما رأيت شيئاً فقال يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) أي قطع وتم ما تستفتيان فيه من أمر كما رؤيتكما أي ما يجور اليه من العاقبة وهي هلاك أحدكما ونجاة الآخر (وقال للذي ظن انه ناج منهما) الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتماع وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرايبي أو يكون الظن بمعنى البقية (اذ كرفي عند ربك) صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطة

(فأنا اسم الشيطان) فأنسى الشراي (ذكر ربه) ان يذكر له أو عند ربه أو فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره وفي الحديث رحم الله أخي يوسف لولم يقل إذ كرتي عند ربك ما لبثت في السجن سبعا (قلبت في السجن بضع سنين) أي سبعا عند الجوه وروا البضع ما بين الثلاث إلى التسع (وقال الملك اني أرى سبع (٣٢) بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخرى يابسات) لما دنا

فخرج يوسف رأى ملك مصر
الريان بن الوليد رؤيا عجيبه
هاتنه رأى سبع بقرات
سمان يخرجن من خرابس
وسبع بقرات عجاف
فابتلعت الحيا السمان
ورأى سبع سنبلات خضر
قد انعدت حبا وسبعا أخر
يابسات قد استقصدت
وأدركت قالت اليا بسات
على الخضر حتى غلبن عايبها
فأسفها فلم يجد في قومه
من يحسن عبارتها وقيل
كان ابتداء بلاه يوسف في
الرؤيا ثم كان سبب نجاة
أيضا الرؤيا سمان جمع سمين
ومعناه العجاف المهازيل
والعجاف الهزال الذي ليس
بعده معان والسبب في
وفوق عجاف جمع الجفاف
وأفعل وفعل لا ينجمان
على فعال حله على نفسه
وهو سمان ومن دأبهم
حل الظهير على النظر
والنقبض على النقبض
وفي الآية دلالة على ان
السنبلات اليابسة كانت
سبعا كالخضر لان الكلام
مبنى على انصافه الى هذا
العدد في البقرات السمان
والعجاف والسنابل الخضر
فوجب أن يتناول معنى
الأخر السبع ويكون قوله

وأخرى يابسات بمعنى وسبعا أخر (يا أيها الملك) كأنه أراد الاعيان من العلماء والحكام (أفتوتني في رؤياي ان كنتم للرؤيا
تعبون) اللام في الرؤيا للبيان لقوله وكافوا به من الزاهدين أولان المقعول به إذا تقدم على الفعل لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا
تأخر عنه فعندهم انقول عبرت الرؤيا والرؤيا عبرت أو يكون للرؤيا خبر كان كقولك كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به ممكنة منه
وتعبون خبر آخر أو حال وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وأخر أمرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعتة حتى تبلغ آخر عرضه وهو صبره

حبسه (فأنا اسم الشيطان ذكر ربه) في هاء المكناية في فأنساء الى من تعود قولان أحدهما انها ترجع الى
الساق وهو قول عامة المفسرين والمعنى فأنسى الشيطان الساق ان يذكر يوسف عند الملك قالوا لان
صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساق حتى أنساء ذكر يوسف أولى من صرفها الى يوسف والقول
الثاني وهو قول أكثر المفسرين ان هاء الكناية ترجع الى يوسف والمعنى ان الشيطان أنسى يوسف ذكر
ربه وعز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله في دفع الضرر وذلك غفلة عرضت ليوسف
عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر رجاء لا لأنه لما كان مقام يوسف أعلى المقامات ورتبته
أشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا يحرم صار يوسف مؤاخذا بهذا القدر فان حسنات الأبرار
سيئات المقربين فان قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى أنساء ذكر ربه قلت بشغل خاطر
رافقاء الوسوسة فانه قد صرح في الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فاما النسيان الذي هو
عبارة عن ترك الذكر وازالة عن القلب بالكيفية فلا يقدر عليه وقوله سبعا ونحوه (قلبت في السجن
بضع سنين) اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث الى السبع وقال قتادة هو ما بين الثلاث الى
التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين وكان
يوسف قد لبث قبلها في السجن خمس سنين فجعله ذلك اثنا عشرة سنة وقال وهب أصاب أيوب البلاء سبع
سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساق إذ كرتي عند ربك قيل
له يا يوسف اتخذت من دوني وكيد لا طيلن حبسك فبكي يوسف وقال يارب أنسى قلبي ذكرك كثرة البلاء
قلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كتبه التي قالها ما لبث في السجن
ما لبث يعني قوله إذ كرتي عند ربك بكي الحسن وقال نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس ذكره الثعلبي
مرسل لا يغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا أبا
المنذر من مالي أراك بين المخاطئين فقال لجبريل يا طاهر ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين
ويقول لك أما أصبحت مني أن استغثت بالآدميين فوعزتي وجلالي لا لبثك في السجن بضع سنين قال
يوسف وهو في ذلك عني راض قال نعم قال إذا أبالي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك
من خلفك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حبسك الى أين قال الله قال فمن نجاك من كرب المير قال الله
قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك سوء الفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بأدى
ملك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكاهن وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبل ذلك ودنا فرج
يوسف وأراد الله عز وجل إخراجهم من السجن رأى ملك مصر الأكبر رؤيا عجيبه هاتنه وذلك انه رأى في
منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من الجعر ثم خرج عقيهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلع
العجاف السمان ودخلن في بطون ولم ير منهن شي ولم يدين على العجاف منها شيء ورأى سبع سنبلات خضر
قد انعدت حبا وسبعا سنبلات أخرى يابسات قد استقصدت قالت اليا بسات على الخضر حتى علون عليهن
ولم يبق من خضرها شيء فجمع السحرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤياهم التي رآها فذلك قوله تعالى
(وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخرى يابسات يأكلها
الملا أفتوتني في رؤياي) يعني يا أيها الأشراف أخبروني بتأويل رؤياي (ان كنتم للرؤيا تعبرون) يعني ان كنتم

ونحوه وأنت الرؤيا إذا ذكرت ما تلهوهم جمعها أو غيرت الرؤيا بالتخفيف وهو الذي اعتقده الإثبات ورأيهم يشكرون عبرت بالشديد والتعبير والمعبر (قالوا أضغاث أحلام) أي هي أضغاث أحلام أي تخالطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الأضغاث ما جمع من الخلط النبات وحزم من أنواع الحشيش الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من أي أضغاث من أحلام وانما جمع وهو حلم واحد ترايد في وصف الحلم بالبطالان وجزاء أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (ومانحن بتأويل الأحلام بعالمين) أرادوا بالأحلام المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عندنا تأويل (٣٣) انما التأويل للمنامات العجيبة أو اعترفوا

بقصور علمهم وانهم ليسوا في تأويل الأحلام بخابرين (وقال الذي نجا) من القتل (منهما) من صاحبي السجن (وذكر) بالذال هو الفصح وأصله اذ تكرر فأبدلت الذال دالا والتاء دالا وأدغمت الاولى في الثانية لتقارب الحرفين وعن الحسن الحسن واذكرو وجهه أنه قلب التاء ذالا وأدغم أي نذكرو يوسف وما شاهد منه (بعد أمه) بعد مدة طويلة وذلك انه حين استنقذ الملك في رؤياه وأعزل على الملك تأويلها نذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك (أنا أنبئكم بتأويله) أنا أخبركم به عن عنده علمه (فارسلون) وبالباء يعقوب أي فابعثوني اليه لاسأله فارسلوه الى يوسف فأتاه فقال (يوسف أيها الصديق) أي المبلغ في الصديق وانما قال له ذلك لانه ذاق

تحسنون علم العبارة وتفسيرها وعلم التعبير مختص بتفسير الرؤيا وسمى هذا العلم بتفسير الرؤيا لما من ظاهرها التي باطنها يستخرج معناها وهذا أخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفي غيره (قالوا) يعني قال جماعة الملاوهم السحرة والكهنة والمعبرون مجيبين للملك (أضغاث أحلام) يعني أخلط مشبهة واحدة ضغث وأصله الحزمة المختلطة من أنواع الحشيش والأحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي يراها الانسان في منامه (ومانحن بتأويل الأحلام بعالمين) لما جعل الله هذه الرؤيا سبيبا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن وذلك ان الملك لما رآها قلق واضطرب وذلك لانه قد شاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوى الكامل حتى فهره وغلبه فأراد أن يعرف تأويل ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبريه وأخبرهم بما رأى في منامه وسألهم عن تأويلها فأعجز الله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا منهم عن الجواب ليكون ذلك سبيبا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فذلك قوله تعالى (وقال الذي نجا من القتل) يعني وقال الساقى الذي نجا من السجن والقتل بعد هلاك صاحبه الخباز (وذكر بعد أمه) يعني انه نذكرو يوسف اذ كرفى عند ربك بعد أمه يعني بعد حين وهو سبع سنين وسمى الحين من الزمان أمه لانه جماعة الايام والامه الجماعة (أنا أنبئكم) يعني أخبركم (بتأويله) وقوله أنا أنبئكم بافظ الجمع اما انه أراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين أو أراد به الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقى جثا بين يدي الملك وقال ان في السجن رجلا عالميا عبر الرؤيا (فارسلون) فيه اختصار تقديره فارسلني أي الملك فإرسله فألقى السجن قال ابن عباس ولم يكن في المدينة (يوسف) أي بلوسف (أيها الصديق) انما سماه صديقا لانه لم يحجب عنه كذا باقط والصديق الكثير الصدق والذي لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق في تفسير رؤياه التي رآها في السجن (أفتناني سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخرها بسات) فان الملك رأى هذه الرؤيا (على أرجع الى الناس) يعني أرجع بتأويل هذه الرؤيا الى الملك وجماعته (لعلهم يعلمون) يعني بتأويل هذه الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون من انك في العلم (قال) يعني قال يوسف معبر تلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضر سبع سنين فخصبة وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجده فذلك قوله تعالى (ترزعون) وهذا خبر بمعنى الامر أي ازرعوا (سبع سنين دأبا) يعني عادتمكم في الزراعة والادب العادة وقيل ازرعوا بجدة واجتهاد (فما حصدتم فذروه في سنبله) انما امرهم بترك ما حصدوه من السنطة في سنبله لئلا يفسد ويقع فيه السوس وذلك آتني له على طول الزمان (الاقبل لاسمأنا كلون) يعني ادرسوا قبل ان من السنطة لئلا تكل بقدر الحاجة وأمرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة أيضا وهو وقت السنين المجدة وهو قوله (ثم رأتى من بعد ذلك) يعني من بعد السنين المخصبة (سبع شداد) يعني سبع سنين مجدة بمحبة شديدة على الناس (بأكلن) يعني يفنين (ما قدم لهم) يعني يؤكل فيمن كل ما أعددت ثم

وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول (أفتناني سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخرها بسات على أرجع الى الناس) الى الملك واتباعه (لعلهم يعلمون) فضلك ومكانك من العلم في طلبك وبخاصة من محنتك (قال ترزعون سبع سنين) هو خبري معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون في سبيله وقوله فذروه في سنبله وانما يخرج الامر في صورة الخيل لانه في وجود المأمورة فيعمل كانه موجود فهو يخبر عنه (دأبا) يكون المهمة وحفظ بحركه وهماء صدارا ب في العمل وهو حال من المأمورين أي دائبين (فما حصدتم فذروه في سنبله) كي لا يأكله السوس (الاقبل لاسمأنا كلون) في تلك السنين (ثم رأتى من بعد ذلك سبع شداد بأكلن) هو من اسناد الجاز جعل أكلن مسندا اليهن (ما قدم لهم) أي في السنين المخصبة

(الاقليماء المحصنون) تحوزون وتخجون (ثم يأتي من بعد ذلك عام) أي من بعد أربع عشرة سنة عام (فيه يغاث الناس) من الغوث أي يجاب مستغيثهم أو من الغيث أي يطرون يقال غيأت البسلا إذا مطرت (وفيه يعصرون) العنب والزيتون والسمسم فيقتذرون الأثر بعد الإذناء يعصرون حبة فأول البقرات السماء والسبلات الخضر بسنين مخاصب والجفاف واليابسات بسنين مجدية ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجي مباركاً كثيراً الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي (وقال الملك اتنوني به فلما جاءه الرسول ليخبره من السجن (قال ارجع إلى ربك) أي الملك (فأسأله ما بال النسوة) أي حال النسوة (اللاتي قطعن أيديهن) انما أثبت يوسف وتأتى في إجابة الملك وقدم (٢٤) سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما رمي به وسجن فيه لئلا يتسلب به الحاسدون

وآخرتم لهم من الطعام وإنما أضاف الأكل إلى المسنين على طريق التوسع في الكلام (الاقليماء المحصنون) يعني تحوزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد هذه السنين المجدية (عام فيه يغاث الناس) أي يطرون من الغيث الذي هو المطر وقيل هو من قواهم استغثت بغلات فأعاني من الغوث (وفيه يعصرون) يعني يعصرون العنب خراوا الزيتون ويطاول السمسم وهذا أراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل يعصرون معناه ينجون من الكرب والشدة والجدب قوله عز وجل (وقال الملك اتنوني به) وذلك ان المساق لما رجع إلى الملك وأخبره بفتيا يوسف وما عبر به رؤياه استخبره الملك وعرف ان الذي قاله كائن لا محالة فقال اتنوني به حتى أبصر هذا الرجل الذي قد عبر رؤياي بهذه العبارة فرجع المساق إلى يوسف وقال له أجب الملك ذلك قوله تعالى (فلما جاءه الرسول) فأبى أن يخرج معه حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بين النفوس (قال) يعني قال يوسف للرسول (ارجع إلى ربك) يعني إلى سيديك وهو الملك (فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) ولم يصرح بذكر امرأ العزيز وأخبار احترامها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي أخرجه الترمذي وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن فيه بيان فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعي رسول الملك الذي جاءه من عنده فلم يخرج معه مبادراً إلى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل فلبث في السجن وراسل الملك في كشف امره الذي سجن بسببه لتظهر برأته عند الملك وغيره فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف عليه الصلاة والسلام وبين فضيلة وحسن صبره على المحنة والبلاء وقوله (ان ربى بكبدهن عليم) يعني ان الله تعالى عالم بصنيعهن وما احتان في هذه الواقعة من الحيل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف إلى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وأمرأة العزيز معهن (قال) (الهن) (ماخطبكن) أي ما سألتكن وأمركن (اذراودتن يوسف عن نفسه) انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امرأة العزيز وحدها ليكون أسرها وقيل ان امرأة العزيز زاودته عن نفسه وحدها وسأله النسوة أمره بطاعتهما فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب (قلن) يعني النسوة جميعاً عجيبات للملك (حاش لله) يعني معاذ الله (ما علمنا عليه من سوء) يعني من خيانه في شيء من الاشياء (قالت امرأة العزيز الا ان حصص الحق) يعني ظهر ونبين وقيل ان النسوة أقبلن على امرأة العزيز فمزرنها وقيل خافت أن يشهدن عليها فأقرت فقالت (أنا راودته عن نفسه وانتهلن الصادقين) يعني

إلى تفجيع أمره عنده ويجمع لوه سلماً إلى حظ منزله لديه وأمثلاً يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين إلا لمرء عظيم وجرم كبير وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجواب اتهام الوقوف في موافقها وقال عليه السلام لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات الجفاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشرط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين آتاه الرسول فقال ارجع إلى ربك ولو كنت مكانه ولابثت في السجن ما لبثت لامرأت الاجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العذر أن كان طليحاً إذا آتاه ومن كرمه وحسن أدبه انه لم يذكر سبلته مع ما صنعت به ونسبت فيه من السجن والعذاب واقتصر على

ذكر المقطعات أيدين (ان ربى بكبدهن عليم) أي ان كبدهن عظيم لا يعلمه الا الله وهو مجازين عليه فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برأته فدا الملك النسوة المقطعات أيدين ودعا امرأة العزيز ثم (قال) (الهن) (ماخطبكن) ما سألتكن (اذراودتن يوسف عن نفسه) هل وجدت من مثله مبالاً اليك (قلن حاش لله) تعجبنا من قدرته على خلق عفيف مثله (ما علمنا عليه من سوء) من ذنب (قالت امرأة العزيز الا ان حصص الحق) ظهر واستقر (أنا راودته عن نفسه وانتهلن الصادقين) في قوله هي راودتني عن نفسي ولا يريد على شهادتهن له للبراءة والتزاهة واعتراهن على أنفسهن بأنه لم يفعل شيء مما قلن به ثم رجع الرسول إلى يوسف وأخبره بكلام النسوة وأقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف

يعني في قوله هي راودتني عن نفسي واختلجوا في قوله (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) على قواين أحدهما أنه من قول المرأة ووجه هذا القول أن هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المرأة الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه في حال غيبته وهو في السجن ولم أكذب عليه بل قلت أنا راودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين وإن كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته ثم بالغت في تأكيد هذا القول فقالت (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) يعني أني لما أقدمت على هذا الكيد والمكر لا جرم أني افتضحت لأن الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثاني أنه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وهذا قول الأكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول أنه لا يعدو صلا كلام إنسان بكلام إنسان آخر إذ أدلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية أنه لما بلغ يوسف قول المرأة أنا راودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين قال يوسف ذلك أي الذي فعلمت من ردى رسول الملك إليه ليعلم يعني العزيز أني لم أخنه في زوجته بالغيب يعني في حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامعين لذلك مع غموض فيه لأنه ذكر كلام إنسان ثم أتبعه بكلام إنسان آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد أن يخرجكم من أرضكم هذا من قول الملائكة فإذا تأمروا من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا آصرة أهالها أدلة هذا من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قوله عز وجل تصديقها هو على هذا القول اختلجوا أي كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين أحدهما أنه كان في السجن وذلك أنه لما رجع إليه رسول الملك وهو في السجن والخبر بجواب امرأة العزيز للملك قال حينئذ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وهذا رواية أبي صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جريج والقول الثاني أنه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية عطاء عن ابن عباس * فإن قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بالخطبة ذلك وهي إشارة للغائب مع حضوره عندهم * قلت قال ابن الأباري قال اللغويون هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع لقرب الخبر من أصحابه فصارت كالمشاهد الذي أشار إليه به مذاقيل ذلك إشارة إلى ما فعله يقول ذلك الذي فعلته من ردى الرسول ليعلم أني لم أخنه بالغيب أي لم أخن العزيز في حال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وأن الله لا يهدي كيد الخائنين يعني أني لو كنت خائناً لما خلصني الله من هذه الورطة التي وقعت فيها لأن الله لا يهدي أي لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين واختلجوا في قوله (وما أبرئ نفسي) من قول من على قولين أيضاً أحدهما أنه من قول المرأة وهذا التفسير على قول من قال أن قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب من قول المرأة فعلى هذا يكون المعنى وما أبرئ نفسي من مراودتي يوسف عن نفسه وكذبي عليه والقول الثاني وهو الأصح وعليه أكثر المفسرين أنه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك أنه لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي وهذه رواية عن ابن عباس أيضاً وهو قول الأكثرين وقال الحسن أن يوسف لما قال ذلك ليعلم أني أخنه بالغيب خاف أن يكون قد زكى نفسه فقال وما أبرئ نفسي لأن الله تعالى قال فلأنزكوا أنفسكم في قوله وما أبرئ نفسي هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فإن رؤية النفس في مقام العصمة والتركيب ذنب عظيم فإذا أزال ذلك عن نفسه فإن حسنة الأبرار سيئات المقر بين (أن النفس لا مارة بالسوء) والسوء لفظ جامع لكل ما يهمل الإنسان من الأمور والدينية والأخروية والمادية القبيحة واختلفوا في النفس الامارة بالسوء وما هي فالذي عليه أكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم أن النفس الإنسانية واحدة ولها صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المظمنة فهذه الثلاث المراتب هي صفات لنفس واحدة فإذا دعيت النفس إلى شهواتها ومالت إليها فهي النفس الامارة بالسوء فإذا فعلتها أنت النفس اللوامة فلا تمت على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المظمنة

(ذلك) أي امتناعي من الخروج والتثبت بظهور البراءة (ليعلم) العزيز (أنى لم أخنه بالغيب) يظهر الغيب في حرمته وبالغيب حال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه أو هو غائب عني أو لم أعلم الملك أنى لم أخن العزيز (وأن الله) أي وليعلم أن الله (لا يهدي كيد الخائنين) لا يسدده وكأنه تعريض بأمر أنه في خيانتها أمانة زوجها ثم أراد أن يتواضع لله ويضم نفسه لئلا يكون لها من يكاليبين أن ما فيه من الأمانة يتوفى الله وعصمته فقال (وما أبرئ نفسي) من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أذكر كيف في عموم الأحوال أو في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو الخطرة البشرية لأعن طريق التقصير والعزم (أن النفس لا مارة بالسوء) أراد الجنس أي أن هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه لما فيه من الشهوات

(الامارحم ربي) الا البهمن الذي رجحه ربي بالعصمة ويجوز ان يكون مارحم في معنى الزمان أي الا وقت رجحه ربي يعني انها اماره بالسوء في كل وقت الا وقت العصمة او هو استثناء منقطع اي ولكن رجحه ربي هي التي اصرف الاساقفة قبل هومن كلام امرأة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف آني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت باصدق فيما سئلت عنه وما أرى نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد نكته حين فذقتة وقلت ما جاز من (٣٦) أراد بأهلك سواء الا ان يسجن وأودعته السجن يزيد الاعتذار كما كان من كل نفس لامارة

وقيل ان النفس اماره بالسوء بطبعها فاذا تركت وصفت من اخلاقها الاممية صارت مطمئنة وقوله (الا مارحم ربي) قال ابن عباس معناه الامن عصم ربي فتكون ما يعني من فهو كقوله ما طاب لكم من النساء يعني من طاب لكم وقيل هذا استثناء منقطع معناه لكن من رحم ربي فعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء (ان ربي غفور) يعني غفور لذنوب عباده (رحيم) م-م-م قوله تعالى (وقال الملك انتوني به استخلصه لنفسى) وذلك انه لما تبين للملك عدو يوسف وعرف أماته وعلمه طلب حضوره اليه فقال انتوني به يعني بيوسف استخلصه لنفسى اي أجهله خالصه لنفسى والاستخلاص طلب خلوص الشيء من جميع شوائب الاشياء والاشترائك وانما طاب الملك ان يستخلص يوسف لنفسه لان عادة المملوك ان ينفردوا بالاشياء النفيسة العزيزة ولا يشاركونهم فيها أحد من الناس وانما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره واحسانه الى أهل السجن وحسن أدبه وثباته على الحق كلها فلهذا حسن اعتقاده الملك فيه واذا أراد الله تعالى أمرها بأسبابها فلهذا الملك ذلك فقال انتوني به استخلصه لنفسى (فلما كلمه) فيه اخنه اذ قد ربه فلما جاءه الرسول الى يوسف فقال له أجب الملك الا ان بلاه ماودة فاجابه روى ان يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم طف عليهم قلوب الاخيار ولا تهم عليهم الاخبار ففهم أعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على يابه هذا بيت البوايا وقبر الاحياء وشماته الاعداء ونجربة الاصدقاء ثم اغتسل ونظف من دون السجن وليس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خاقتك عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما أبصر الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعبودية فقال له الملك ما هذا الانسان قال اسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبودية فقال له وما هذا الانسان ايضا قال يوسف هذا اسان ابائي قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان أجا به يوسف وزاد عليه بالعربية والعبرانية فلما رأى أي الملك منه ذلك أعجبه ما رأى مع حدثه من يوسف عليه السلام وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فاحلسه الى حبسه فذلك قوله تعالى فلما كلمه الملك يوسف لان مجالس المملوك لا يحسن لا أحد ان يبدأ بالكلام فيها وانما يبدأ الملك فيها بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال الساقى أيها الملك هذا الذي علم تأويل رؤياك مع عجز السخرة والكنهه عنها فاقبل عليه الملك و (قال انك اليوم لدينا مكين أمين) يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة أي منزلة وهي الحالة التي يتمكن بها صاحبها بما يريد وقيل المسكنة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت أماتك ومنزلاتك وصداقك وبراءتك مما نسب اليه وقوله مكين أمين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب في أمر الدين والدنيا روى ان الملك قال ليوسف عليه الصلاة والسلام أحب أن أسمع تأويل رؤياي منك شفاها فقال نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غرسا في غيرهما في كنفك عن النبل فطلعن من شاطئه تشعب أخلاهن لينا فبينما أنت تنظر اليهن وقد أعجبك حسنهن اذ نصب النيل فقار ماؤه وبدا يسه

بالسوء الامارحم ربي الانفسارحها الله بالعصمة كنفس يوسف (ان ربي غفور رحيم) استغفرت رجها واسترجعها ما ارتكبت وانما جعل من كلام يوسف ولادليل عليه ظاهرا لان المعنى بقوله وقيل هذا من تقديم القرآن وتأخير أي قوله ذلك ليعلم متصل بقوله فاستله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن (وقال الملك انتوني به استخلصه لنفسى) أجهله خالصا لنفسى (فلما كلمه) وشاهد منه ما لم يحسن (قال) الملك ليوسف (انك اليوم لدينا مكين أمين) ذو مكانة ومثلة أمين مؤتمن على كل شيء روى ان الرسول جاءه ومعه سبعون حاجبا وسبعون مراكبا وبعث اليه لباس المملوك فقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم طف عليهم قلوب الاخيار ولا تهم عليهم الاخبار ففهم أعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البوايا

وقبر الاحياء وشماته الاعداء ونجربة الاصدقاء ثم اغتسل ونظف من دون السجن وليس ثيابا جدد فلما دخل على الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبودية فقال ما هذا الانسان قال اسان ابائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلّمه بها فأجا به بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق اني أحب أن أسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات فوصف لهنهن وأحوالهن ومكانات خروجهن ووصف السنابل وما كان منه على الهيئة التي رآها الملك وقال له من حقك أن تجمع الطعام في الاله راء فأتيت الخلق من التواصي وعيتارون منك ويجمع لك من البكنوز ما لم يجمع لاحد قبلك قال الملك ومن لي بهذا ومن

بجمعه (قال) يوسف

(اجعلني على خزان
الارض) واني على خزان
أرضك يعني مصر (اني
حفيظ) أمسين أحفظ
ما أستحفظ فيه (عليم)
بوجوه التصرف وصف
نفسه بالامانة والكفاية
وهما مطلبة الملوك ممن
يولونه وانما قال ذلك
ليتم وصل الى امضاء احكام
الله واقامه الحق وبسط
العدل والتحكيم بما لاجله
بعث الانبياء الى العباد
ولعله ان احدا غيره لا يقوم
مقامه في ذلك فطلبه ابتغاء
وجه الله لا الحب المسلك
والدنيا وفي الحديث رحم
الله اخي يوسف لولم يقل
اجعلني على خزان الارض
لاستعمله من ساعته
ولكنه آخر ذلك سنة قالوا
وفيه دليل على انه يجوز
أن يتولى الانسان عمالة
من يد سلطان جائر وقد
كان السلف يتولون القضاء
من جهة الظلم واذا علم
النبي أو العالم انه لا سييل
الى الحكم بامر الله ودفع
الظلم الا بتكليف الملك الكافر
أو القاسق فله أن يستظهر
به وقيل كان الملك يصدر
عن رأيه ولا يعترض عليه
في كل ما رأى وكان في حكم
التابع له (وكذلك) ومثلي
ذلك التمكن الظاهر (مكننا
ليوسف في الارض) أرض
مصر وكانت أربعين
فرسخا في أربعين والتحكيم
الافراد واعطاء المكنة

نخرج من جأته سبع بقرات نحاف شعث غير ماصقات انبطون ليس لهن ضررع ولا اخلاف واهن أنياب
وأقراص وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاخذناهن بالسمان فاقترسن السمان
كاقتراس السبع فاكن لحومهن وخرفن جلودهن وحطمن عظامهن ومشمشن مجهن فبيعهما أنت تنظر
وتعجب كيف غلبهن وهن مهازل ثم لم يظهر منهن ممن ولا زيادة بعد أكلهن اذ سبع سنبلات خضر
طريبات ناعمات بمثلثات حب او ماء والى جانبهن سبع أخر سود يابسات في منبت واحد عروقه في الثرى
والماء فينا أنت تقول في نفسك أي شيء هؤلاء خضر ثمرة وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن
في الثرى والماء ذهبت ربح فذرت أوراق البابسات السوداء على الخضر المتثرات فاشتعلت فيهن النار
فاخرقهن فصرن سودا فها ما رأيت أبا الملك ثم انتهت مذعورا فقال الملك والله ما أخطأت منها شيئا فها
شأن هذه الرؤيا وان كان عجا فها هو يا عجب مما سمعت منك وما ترى في تأويل رؤياي أبا الصديق قال
يوسف عليه الصلاة والسلام أرى أن تجمع الطعام وتزرع زروعا كثيرا في هذه السنين المحصبة وتعمل
ما يتحصل من ذلك الطعام في الخزائن تحصبه وسنبهه فانه أنبي له فيكون ذلك القصب والسنبل علفا
للدواب وتأمر الناس بغيره من زروعهم أيضا فيكفيك ذلك الطعام الذي جمعه لاهل مصر
ومن حولها وتأينك الخلق من سائر التواحي للميرة ويجمع عندك من التكنوز والاموال ما لا يجمع
لاحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه لي ويكفيني العمل فيه فعند ذلك (قال) يعني
يوسف (اجعلني على خزان الارض) يعني على خزان الطعام والاموال وأراد بالارض أرض مصر أي
اجعلني على خزان أرضك التي تحت يدك وقال الربيع من أنس اجعلني على خزان خراج مصر ودخلها
(اني حفيظ عليم) أي حفيظ الخزان عليم بوجوه مصالحها وقيل معناه اني حاسب كاتب وقيل حفيظ لما
استودعني عليم بما وليتني وقيل حفيظ للحساب عليم أعلم لغة من يأتيني وقال الكلبي حفيظ بتقديره في
السنين المحصبة للسنين المحبة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال الملك عند ذلك ومن أحق بذلك منك ولولا
ذلك وردي البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرحم الله اخي يوسف لولم يقل اجعلني على خزان الارض لاستعمله من ساعته ولكنه آخر ذلك سنة
فان قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الامارة والولاية مع ما ورد من النهي عنها مع
كراهية طلبها المصحح من حديث عبد الرحمن بن ممره قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد
الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أويتها عن مسئلة وكأت اليها وان أويتها عن غير مسئلة أعنت عليها
أخرجها في الصحراء قلت انما يكره طلب الامارة اذا لم يتعين عليه طلبها فاذا تعين عليه طلبها وجب ذلك
عليه ولا كراهية فيه فاما يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله
نعاى والرسول أعلم بمصالح الامه من غيره واذا كان مكافرا غاية المصالح ولا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة
وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل قط وشدة اما بطريق الوحي من الله أو غيره ورعا أقصى
ذلك الى هلاك معظم الخلق وكان في طلب الامارة اتصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه طلب
الامارة لهذا السبب فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله اني حفيظ عليم والله تعالى يقول فلا تزكوا
أنفسكم قلت انما يكره تزكية النفس اذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل
فهذا القدر المذموم في تزكية النفس اما اذا قصد به تزكية النفس ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير
فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثله ان يكون بعض الناس عنده عيلم نافع ولا يعرف به فانه
يجب عليه أن يقول أنا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح
الدنيا انتهت يوسف بقوله اني حفيظ عليم على انه عالم بما يحتاج اليه في مصالح الدنيا أيضا مع كمال علمه بمصالح
الدين وقوله عز وجل (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) وكذلك اشارة الى ما تقدم يعني وكما نعمة على

المحسنين في الدنيا (ولا يحرق
 الآخرة خير للذين آمنوا)
 يرد يوسف وغيبه من
 المؤمنين إلى يوم القيامة
 (وكافوا بينه وبين الشركاء
 والقوا أحسن قال سفبان بن
 عيسى المؤمن شاب على
 حسنة في الدنيا والآخرة
 والقاهر بحبل له الخيري
 الدنيا وماله في الآخرة
 من خلاق وثلا لا يقرى
 أن الملائكة يوسف وختمه
 بخاتم ورداء بيضه ووضع
 له سريرا من ذهب مكللا
 بالدر والياقوت فقال أما
 السرير فأشبهه ملكا
 وأما الخاتم فأدبر به أمره
 وأما التاج فأبى من لباسي
 ولا لباس أبائي فجلس على
 السرير ودانت له الملكة
 وقبض الملكة إليه أمره
 وعزل قطيع ثم مات بعده
 فزوجه الملكة أمر أنه ظلم
 دخل عليها قال أليس هذا
 خيرا مما طلبت فوجدتها
 خذرا فقلت له ولدين افرأني
 وميشا وأقام العدل بمصر
 وأحبته الرجال والنساء
 وأسلم على يديه الملك وكثير
 من الناس وباع من أهل
 مصر في سني القحط الطعام
 بالدرهم والدينار في السنة
 الأولى حتى لم يبق معهم
 شيء منها ثم بالقي والجواهر
 في الثانية ثم بالديار في

الثالثة بالمعبد والاماء في الرابعة ثم بالدور وانما في الخامسة ثم بالاولاد هم في السادسة ثم بقباهم في السابعة حتى الله
استوفهم جميعا ثم اعتق اهل مصر من آخرهم وورد عليهم املا كهو وكان لا يبيع لاحد من الممنارين اكثر من حمل واحد واصل ارض

الله عنه وفيه دليل على أن الذي أعد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام في الآخرة من
 الاجر والثواب الجزيل أفضل مما أعطاه الله في الدنيا من الملك ^{قوله تعالى} (وجاء اخوة يوسف
 فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء وعم ذلك جميع البلاد
 حتى وصل الى بلاد الشام فصد الناس مصر من كل مكان للميرة وكان يوسف لا يعطى أحدا أكثر من
 حمل بعير وان كان عظيمًا نفسه بطاومساواة بين الناس ونزل باليعقوب ما نزل بالناس من الشدة
 فبعث بنيه الى مصر للميرة وامسك عنده بنيامين أخا يوسف لأمه وأبيه وأوسل عشرة فذلك قوله
 تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعريات من أرض فلسطين والعريات بغور الشام
 وكانوا أهل بادية وابل وشياه فدعاهم يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال بلغني أن مصر ملكا صالحا
 يبيع الطعام فتجهزوا له واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر
 فدخلوا على يوسف فعرفهم قال ابن عباس ويجهد بأول نظرة نظر اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم
 حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون يعني لم يعرفوه قال ابن عباس رضي الله عنهم ما كان بين أن قد فوه
 في الحبس وبين دخولهم عليه مدة أربعين سنة فذلك أنكره وقال عطاء بن رباح لم يعرفوه لانه كان على
 سرير الملك وكان على رأسه تاج الملك وقيل لانه كان قد لبس زي ملوك مصر عليه ثياب حريري عنقه
 طوق من ذهب وكل واحد من هذه الأسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل
 ان العرفان انما يقع في القلب بخلق الله تعالى له فيه وان الله سبحانه وتعالى لم يخلق ذلك العرفان في تلك
 الساعة في ذلهم تحقيقا لما أخبر أنه سينبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك مجزة ليوسف
 عليه الصلاة والسلام فلما نظر اليهم يوسف واكلوه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم اخبروني من أنتم وما
 أمركم فاني قد أنكرت حالكم قالوا نحن قوم من أرض الشام رحالة قد أصابنا من الجهد ما أصاب الناس
 فحنا غمار قال يوسف لعلمكم جئت تنظرون عورة بلادي قالوا لا والله ما نحن بجواسيس اغنا نحن اخوة بنو
 أب واحد وهو شيخ كبير صدق يقال له يعقوب نبي من أنبياء الله تعالى قالوا أنتم قالوا كئنا اثني عشر
 فذهب أخ لنا معنا الى البرية فهلك فيه أو كان أحبنا الى أبينا قال فكلمكم أنتم الآن قالوا عشرة قال وأين الآخر
 قالوا هو عند أبينا لانه أخو الذي هلك لانه قابو ناسلي به قال فن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا أيها الملك
 اننا ببلاذغربة لا يعرفنا فيها أحد قال فأتوني بأخيكم الذي من أيكم أن كنتم صادقين فانا راض بذلك منكم
 قالوا ان أبانا يحزن لفراقه وسنزاوده عنه قال فدعوا به ضمكم عندي رهينة حتى تأتوني به فاقترعوا فحبا
 بينهم فأصابت القرعة شعرون وكان أحسنهم رأيا يي يوسف فغلقوه عنده فذلك قوله تعالى (ولما
 جهزهم بيهارهم) يقال جهزت القوم تجهيزا اذا تكفيت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون اليه في
 وجوههم والجهاز بفتح الجيم هي اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الاكثرون من أهل اللغة وكسر الجيم لغة
 ليست جيدة قال ابن عباس حل لكل واحد منهم بعير امن الطعام وأكرمهم في النزول وأحسن ضيافتهم
 وأعطاهم ما يحتاجون اليه في سفرهم (قال اتوني بأخ لكم من أيكم) يعني الذي خلفتموه عنده وهو
 بنيامين (الآنرون أني أوفى الكيل) يعني أني أتم ولا أنجس منه شيئا وأزيدكم حل بعير آخر لاجل أخيك
 أكرمكم بذلك (وأنا خير المتزئين) يعني خير المضطيقين لانه كان قد أحسن ضيافتهم مدة فقامتهم عنده قال
 الامام غفر الدين الرازي هذا الكلام بضعف قول من يقول من المفسرين انه انهمهم ونسبهم الى انهم
 جواسيس ومن يشافهمهم هذا الكلام فلا يليق به ان يقول لهم الآنرون أني أوفى الكيل وأنا خير المتزئين
 وأيضا يبعد عن يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صديقا أن يقول لهم أنتم جواسيس وعيون مع أنه
 يعرف برائتهم من هذه التهمة لان اليقين لا يليق بالصديق ثم قال يوسف (فان لم تأتوني به) يعني بأخيكم
 الذي من أيكم (فلا كيل لكم عندي) يعني استأكيل لكم طعاما (ولا تقربون) يعني ولا ترجعوا ولا

كنهان لحوم ما أصاب
 مصر فارسل يعقوب بنيه
 ليتماروا وذلك قوله (وجاء
 اخوة يوسف فدخلوا عليه
 فعرفهم) بلانعرف (وهم
 له منكرون) لتبذل الزى
 ولانه كان من وراء الحجاب
 واطول المدة وهو أربعون
 سنة روى انه لما رآهم واكلوه
 بالعبرانية قال لهم أخبروني
 من أنتم وما شأكم قالوا
 نحن قوم من أهل الشام
 رعاة أصابنا الجهد فحنا
 غمار فقال لعلمكم جئت عيوننا
 تنظرون عورة بلادي
 فقالوا ماذا الله نحن بنو نبي
 خزين لفقد ابن كان أحبنا
 اليه وقد أمسك أخاله من
 أمه يستأنس به فقال
 اتوني به ان صدقتم (ولما
 جهزهم بيهارهم) أعطى
 كل واحد منهم حل بعير
 وقدرى بكسر الجيم شاذا
 (قال اتوني بأخ لكم من
 أيكم الآنرون أني أوفى
 الكيل) أتمه (وأنا خير
 المتزئين) كان قد أحسن
 ازارهم وضيافتهم رغبهم
 بهذا الكلام على الرجوع
 اليه (فان لم تأتوني به فلا
 كيل لكم عندي) فلا
 أبيعكم طعاما (ولا تقربون)
 أي فان لم تأتوني به فحرموا
 ولا تقربوا فحوا دخل في
 حكم الجزاء مجزوم معطوف
 على محل قوله فلا كيل لكم
 أو هو بمعنى النبي

(قالوا سراد عنه أباه) سخره عنه وفتح الهمزة حتى تنزعه من يده (وانا افاعلون) ذلك لامحالة لا نفرض فيه ولا نتوانى قال فذبحوا بعضكم
 رءفاه فذبحوا كوا عنده فذبحوا وكان أحسنهم رأيا في يوسف (وقال لفتياناه) كوفي غير أبي بكر لفتيتيه غيرهم ومما جمع قفى كاخوة واخوان
 في أخ وفعلة للفتلة وفعلان للكثرة (٣٠) أي لغيابهم الكياليين (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أو عيبتهم وكانت نعالا أو أداما

تقرى بالادى وهذا هو نايه التخويف والترهيب لانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام ولا يمكنهم
 تحصيله الا من عنده فاذا منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فعد ذلك (قالوا) يعني اخوة يوسف (سراد
 عنه أباه) يعني سخره وفتح الهمزة حتى تنزعه من عنده (وانا افاعلون) يعني ما أمرتنا به قوله عز وجل
 (وقال لفتياناه) يعني وقال يوسف لفتياناه وهم غلماناه وأتباعه (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أراد
 بالبضاعة ثمن الطعام الذي أعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكى الضحالك عن ابن عباس انها كانت
 النعال والادى والرحال جمع رحل وهي الارعية التي يحمل فيها الطعام وغيره (لعلهم يعرفونها) يعني
 يعرفون بضاعتهم (اذا انقلبوا الى أهلهم) يعني اذا رجعوا الى أهلهم (لعلهم يرجعون) اليها واختلفوا في
 السبب الذي من أجله رد يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم فقبل انهم اذا فقهوا متاعهم
 ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم علموا ان ذلك من كرم يوسف وصنائه فيبشرونه ذلك على الرجوع اليه
 مسريعا وقيل انه خاف ان لا يكون عند أبيه شيء آخر من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انه
 رأى ان أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته أوم لشدة حاجتهم اليه وقيل أراد ان يحسن اليهم على وجهه
 لا يلحقهم فيه لوم ولا عيب وقيل أراد ان يريهم بره وكرمه واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى
 الى العود اليه وقيل اغافل ذلك لانه علم ان ديارتهم وأمانتهم تحمله على رد البضاعة اليه اذا وجدوها في
 رحالهم لانهم أنبياء وأولاد أنبياء وقيل أراد رد البضاعة اليهم ان يكون ذلك عونا لآبائه ولاخوته على شدة
 الزمان (فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا) انفا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا
 من أولاد يعقوب ما كرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا رجعتم الى ملك مصر فاقروا عليه منى السلام
 وقولوا له ان أبانا بصلى عليك ويدعوك عما أوليتنا ثم قال لهم أين سمعون قالوا ارضته ملك مصر عنده
 وأخبروه بالقصة ثم قالوا يا أبانا (منع منا الكيل) وفيه قولان أحدهما انهم لما أخبروا يوسف بأخيه من
 أبيهم طلبوا منه الطعام لآبائهم وأخيه المتخاف عند أبيهم فنعهم من ذلك حتى يحضر فقو لهم منع منا الكيل
 إشارة اليه وأراد بالكيل الطعام لانه بكال والقول الثاني انه سمع منا الكيل في المستقبل وهو إشارة
 الى قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقر بون وقال الحسن بن علي الكيل ان لم تحمل
 معنا آخانا وهو قوله تعالى اخبروا عنهم (فأرسل معنا آخانا) يعني بئنا من (تكفل) قرى بالياء يعني يكفل
 لنفسه وقرى بالتون يعني تكفل نحن جميعا وآباء معنا (واناله لحافظون) يعني زده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه
 المقالة (قال) يعني يعقوب (هل آمنتم عليه الا كما آمنتم على أخيه من قبل) يعني كيف آمنتم على ولدي
 بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم وانكم ذكرتتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وضمنتم لي حفظه
 وقلم واناله لحافظون فما فعلتم فلما لم يحصل الامان والحفظ هنالك فكيف يحصل ههنا ثم قال (فأله خير
 حفظا) يعني ان حفظ الله خير من حفظكم له ففيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الامور
 (وهو أرحم الراحمين) وظاهر هذا الكلام يدل على انه أرسله معهم وانما أرسله معهم وقد شاهد ما فعلوا
 بيوسف لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف أو ان يعقوب
 شاهد منهم الخير والصلاح لما كبر وافارسله معهم أو ان شدة القحط وضيق الوقت أحوج به الى ذلك في قوله
 تعالى (ولما فقهوا متاعهم) يعني الذي جالوه من مصر فيحتمل ان يكون المراد به الطعام أو أوعية الطعام
 (وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) يعني انهم وجدوا في متاعهم ثمن الطعام الذي كانوا قد أعطوه ليوسف قد ردت

أو ورثوه أو ألق بالدم في
 الرحال (لعلهم يعرفونها)
 يعرفون حق ردها وحق
 التكرم باعطاء البديلين
 (اذا انقلبوا الى أهلهم)
 وفرغوا واطرو ففهم (لعلهم
 يرجعون) لعل معرفتهم
 بذلك تدعوهم الى الرجوع
 اليها أو ربما لا يجدون
 بضاعتهم يرجعون أو ما فهم
 من الديانة يعيدهم لرد
 الامانة أو لم يرد من الكرم
 ان يأخذ من أبيه واخوته
 غنا (فلما رجعوا الى أبيهم)
 بالطعام واخبروه بما فعل
 (قالوا يا أبانا منع منا الكيل)
 يريدون قول يوسف فان لم
 تأتوني به فلا كيل لكم عندي
 لانهم اذا أنذروا بمنع الكيل
 فقد منع الكيل (فأرسل
 معنا آخانا تكفل) نزع
 المنع من الكيل وتكفل
 من الطعام ما يحتاج اليه
 يكفل حزة وعلى أي يكفل
 آخونا فينضم اكتماله
 الى اكتمالنا (واناله
 لحافظون) عن ان يتاله
 مكروه (قال هل آمنتم
 عليه الا كما آمنتم على
 أخيه من قبل) يعني انكم
 قاتم في يوسف أرسله معنا
 غدا نرغب وبلغ واناله
 لحافظون كما يقولونه في أخيه

ثم ضمنتم بضاعتكم فأيأمنتمني من مثل ذلك ثم قال (فأله خير حفظا) كوفي غير أبي بكر فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم عليهم
 وهو حال أو غير من قرأ حفظا فهو غير (وهو أرحم الراحمين) فأرجوا ان ينعم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين قال كعب لما قال
 فأله خير حفظا قال الله تعالى وعزني وجلالي لا ردن عليكم كما همما (ولما فقهوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم)

قالوا يا انا ما نبغى ما لنبتغى في القول ولا نتجاوز الحق او ما نبغى شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او ما تريد من نفسك بضاعة اخرى
او لا تستفهم اي اي شئ نطلب وراء هذا (هذه بضاعتنا ردت اليها) جلة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغى والجل بعد ما عطفه عليها اي
ان بضاعتنا ردت اليها فستظهر بها (وغير اهلنا) في رجوعنا الى الملك أي يجلب لهم ميرة وهي طعام يحمل من غير بلدك (ونحفظ انا ما)
في ذهابنا ومجيئنا فما يصيبه شئ مما تخافه (ونزداد كبل بعير) نزداد وسق بعير باستصحاب (٣١) اخينا (ذلك كبل يسير) سهل عليه متيسر

لا يتعاطاه (قال لن أرسله
معكم حتى تؤثون) وبالباء
مكي (موتفا) عهدا (من الله)
والمعنى حتى تعطوني
ما أتوق به من عند الله أي
أراد أن يحلفوا بالله وانما
جعل الحلف بالله موثقا منه
لان الحلف به مما يؤكده
العهد وقد أذن الله في ذلك
فهو اذن منه (لنأتني به)
جواب اليمين لان المعنى
حتى تحلفوا لنأتني به (الآن
يحاط بكم) الا أن تغلبوا فلم
نطيعوا الايان به فهو
مفعول له والكلام مثبت
وهو قوله لنأتني به في تأويل
النبى أي لا نغشعوا من الايان
به الا لا حاطة بكم بمعنى
لا نغشعوا منه لعله من العلل
الا لعله واحدة وهي ان
يحاط بكم فهو استثناء من
أعم العام في المفعول له
والاستثناء من أعم العام
لا يكون الا في النسب فلا
يمن تأويله بالنبي (فلما أتوه
موثقيهم) قيل حلفوا بالله
رب محمد عليه السلام (قال)
بعضهم يسكت عليه لان
المعنى قال يعقوب (الله على
ما نقول) من طاب الموثق

عليهم ودرس في متاعهم (قالوا يا انا ما نبغى) يعنى ما ذابغى وأي شئ نطلب وذلك أنهم كانوا قد ذكروا
ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما فقهوا متاعهم ووجدوا
بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا أي شئ نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والا كرام أوفى لنا
الكيل ورد علينا الثمن وأرادوا بهذا الكلام تطيب قلب أبيهم (هذه بضاعتنا ردت اليها وغير اهلنا) يقال
ما رأه غيرهم ميرا اذا حل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر اليهم والمعنى انا نشترى لاهلنا الطعام ونحمله
اليهم (ونحفظ انا ما) يعنى بنيامين مما تخاف عليه حتى زده اليك (ونزداد كبل بعير) يعنى ونزداد لاجل اخينا
على اجمالنا حمل بعير من الطعام (ذلك كبل يسير) يعنى ان ذلك الحمل الذي نزداده من الطعام هين على الملك
لانه قد أحسن الينا وأكرمنا بكثير من ذلك وقيل معناه ان الذي حملناه معنا كبل يسير قليل لا يكفينا وأهلنا
(قال) يعنى قال لهم يعقوب (لن أرسله معكم حتى تؤثون موثقا من الله) يعنى لن أرسل معكم بنيامين حتى
تؤثوني عهد الله وميثاقه والموثق العهد المؤكد باليمين وقيل هو المؤكد بالله هاد الله عليه (لنأتني به)
دخلت اللام هنا لاجل اليمين وتفسد به حتى تحلفوا بالله لنأتني به (الا أن يحاط بكم) قال مجاهد الا أن
تملكوا جميعا فيكون هذا ركنكم عندي لان العرب تقول أحيط بفلان اذا هلك أو قارب هلاكه وقال قتادة
الا أن تغلبوا جميعا فلا تقدر على الرجوع (فلما أتوه موثقيهم) يعنى فلما أعطوه عهدهم وحلفوا له (قال
الله على ما نقول وكيل) يعنى قال يعقوب الله شاهد على ما نقول كان الشاهد وكيل يعنى انه موكل اليه
هذا العهد وقيل وكيل يعنى حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب والله خير حفظا قال الله تعالى وعزني
وجلالى لاردن عليكم كما هم ما بعد ما توكلت على وفوضت أمرك الى وذلك انه لما اشتد بهم الامر وضاق
عليهم الوقت وجهدوا أشد الجهد لم يجد يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم فإرساله معهم متوكلا على الله
ومفوضا أمره اليه وقوله عز وجل اخبرنا عن يعقوب (وقال يابني لا تدخلو من باب واحد وادخلوا من
أبواب متفرقة) وذلك أنهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يابني لا تدخلوا يعنى مدينة
مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان المدينة مصر يومئذ أربعة أبواب وقال السدى أراد
الطرق لا الأبواب يعنى من طرق متفرقة وانما أمرهم بذلك لانه خاف عليهم العين لانهم كانوا قد أعطوا
جبالا وقوة وامتدادا فامروا كل واحد رجل واحد فأمروهم ان يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يصاروا بالعين
فان العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجهود المفسرين (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق زاد البخارى ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كانت شئ سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم
فاغتسلوا عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان يومئذ العائن فيستوضأ ثم يغتسل منه العين أخرجه أبو
داود قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله تعالى قال المازرى أخذ مجاهير العلماء بظاهر هذا الحديث
وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المتبدعة والدائس على فساد عقولهم ان كل معنى يكون مخافا في
نفسه ولا يؤدى الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا أنكره الشرع بوقوعه وجب

واعطائه (وكيل) رقيب مطلع غير أن السكينة تفصل بين القول والمقول وهذا لا يجوز فالاولى أن يفرق بينهما بانصوت فيقصد بقوة النغمة
اسم الله (وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) الجهور على أنه خاف عليهم العين لجالهم وجلالة أمرهم ولم يأمرهم
بالتفرق في الكثرة الاولى لانهم كانوا مجهولين في الكثرة الاولى فالعين حق عندنا وجوده بان يحدث الله تعالى عند النظر الى الشئ والاعجاب
به نقصا نافية وخلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين بالله عنهم ايقول أعيد كما تكلم الله التامة من كل
هامة ومن كل عين لامة وأنكر الجبابرة العين وهو مردود بما ذكرنا وقيل انى أحب ان لا يظن بهم أعداؤهم فيعتالوا ولا هلاكهم

(وما أغنى عنكم من شيء) أي ان كان (٣٢) الله أراد بكم سوء لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أثمرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم

لا محالة (ان الحكم الا الله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والاعتماد عليه (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي متفرقين (ما كان يغني عنهم) دخولهم من أبواب متفرقة (من الله من شيء) أي شيئا قط حيث أصابهم مساءهم مع تفرقهم من إضافة السرفة اليهم واقتضاهم بذلك وأخذ أخيم فوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على أبيهم (الا حاجة) استثناء منقطع أي ولكن حاجة (في نفس يعقوب قضاها) وهي شفقة عليه (وأنه لذو علم) يعني قوله وما أغنى عنكم وعليه بأن القدر لا يغني عنه الحذر (لما علمناه) لتعليمنا إياه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) ضم اليه بنيامين وروى أنهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم فازلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبني بنيامين وحده فبكي وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بنى أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال له أتحب أن أكون

اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وانكاره وقيل لا بد من فرق بين تكذيبهم بهذا وتكذيبهم بما يجتر به من أمور الاخرة قال وقد زعم بعض الأطباء المبتدئين للعين تأثيرا ان العائن تتبع من عينه قوة سمية تنصل بالمعين فيم لك أو يفسد قالوا ولا يمنع هذا كما لا يمنع انبعثت قوة سمية من الأفعى والعقرب تنصل بالمدوغ فيم لك وان كان غير محسوس لنا فكذا العين قال المازري وهذا غير مسلم لا ينافي في كتب علم الكلام انه لا فاعل الا الله تعالى ويؤثر الفساد القول بالطباع وبيان الحديث لا يفعل في غير شيئا فاذا تقرر هذا بطل ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث من العين اما جوهرا واما عرضا فباطل أن يكون عرضا لأنه لا يقبل الانتقال وباطل أن يكون جوهرا لان الجواهر محتاجة قلوب بعضها بان يكون مفسدا لبعض باولي من عكسه فبطل ما قالوه وأقرب طريقه قاله من ينقل الاسلام منهم أن قالوا لا بعد أن تنبعث جواهر طائفة غير مرتبة من عين العائن لتتصل بالمعين فتختل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السحوم عادة أجراها الله عز وجل وليست ضرورية ولا طبعية الخ الفاعل اليها قال ومذهب أهل السنة ان المعين انما يفسد ويهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى أجرى الله تعالى العادة بان يحتاج الضرر عند مقابلة هذا الشخص شخصا آخر وهل ثم جواهر ارام لا فهذا من مجوزات العقول لا يقطع فيه الواحد من الامر من وانما يقطع بنى الفعل عنها واضافته الى الله تعالى فن قطع من أطباء الاسلام بانبعث الجواهر فقد أخطأ في قطعه وانما هو من الجواهرات هذا ما يتعلق بعلم الاصول وأما ما يتعلق بعلم الفقه فان الشريعة قد ورد بالوضوء لهذا الامر في حديث سهل بن حنيف لما أصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك في الموطأ واما صفة وضوء العائن فقد كور في كتب شروخ الحديث ومعرفة عند العلماء فيطلب من هناك فليس هذا موضعه والله أعلم وقال وهب بن منبه في قوله لا ندخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة انه خاف أن يغتالوا بالمظاهر لهم في أرض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزي عنه وقيل ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف عليه الصلاة والسلام الا ان الله تعالى لم يأذن له في اظهار ذلك فلما بعث أبناءه اليه قال لهم لا ندخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنينا من الى أخيه يوسف في وقت الخلوة قبل أخوته والقول الاول أصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض أمره الى الله تعالى بقوله (وما أغنى عنكم من شيء) يعني ان كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم بحجة عين كتم أو متفرقين فان المقدور كائن ولا ينفع حذر من قدر (ان الحكم الا الله) يعني وما الحكم الا الله وحده لا شريك له فيه وهذا تفويض من يعقوب في أموره كلها الى الله تعالى (عليه توكلت) يعني عليه اعتمدت في أموري كلها الا على غيره (وعليه فليتوكل المتوكلون) ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) يعني من الابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل مدينة القراما أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها (ما كان يغني عنهم من الله من شيء) وهذا تصديق من الله سبحانه وتعالى ليعقوب فيما قال وما أغنى عنكم من الله من شيء (الا حاجة في نفس يعقوب قضاها) هذا استثناء منقطع ليس من الاول في شيء ومعناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو انه أشفق عليهم اشفاق الآباء على الأبناء وذلك انه خاف عليهم من العين أو خاف عليهم حسد أهل مصر أو خاف أن لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله أو بعضه (وأنه) يعني يعقوب (لذو علم) يعني صاحب علم (لما علمناه) يعني لتعليمنا إياه ذلك العلم وقيل معناه وأنه لذو علم للشيء الذي علمناه والمعنى أننا لما علمناه هذه الأشياء حصل له العلم بتلك الأشياء وقيل وأنه لذو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل وقيل انه لما عمل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلطوا طريق إصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المتمركون ما لهم الله أولياؤه قوله تعالى (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا أيها الملك هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم

أهلك بدل أخيك الهالك قال ومن بعد أخاك ولكن لم يهلك يعقوب ولا راحيل فيكي يوسف وعائنه ثم وسجدون

(قال) له (اني اخوك)
يوسف (فلا تبئس) فلا
تخزن (بما كانوا يعملون)
بنا فيما مضى فان الله قد
احسن اليكنا وجعلنا على
خير ولا تعلم بما علمت
وروي انه قال له فانا لا افارقك
قال لقد علمت اغتنام والدي
في فان حبستك ازداد غمه
ولا يسدك الى ذلك الا ان
انسلت الى مالا يحمد قال
لا ابالي فافعل ما بدا لك قال
فاني اؤس صاغي في رحلك
ثم انادي عليك بانك
سرقته لئلا يروى بعد
تسريحك معهم فقال افعل
(فلما جهزهم بجهازهم)
هيا اسبابهم وافي الكيل
لهم (جعل السقاية في
رحل اخيه) السقاية هي
مشربة يسقي بها وهي
الصواع قيل كان يسقي بها
الملك ثم جعلت صاعا لكل
بدل عزة الطعام وكان يشبه
الطاس من فضة او ذهب
(ثم اذن مؤذن) ثم نادى
مناد آذنه أي اعلمه واذن
أكثر الاعلام ومنه
المؤذن لكثرة ذلك منه
روي انهم ارتحلوا وأمهاتهم
يوسف عليه السلام حتى
انطلقوا ثم أمرهم فادركوا
وحبسوا ثم قيل لهم (أيتها
العير) هي الابل التي عليها
الاجال لانها تعبر أي
تذهب وتجيء والمراد
أصحاب العير (انكم
لسارقون) كتابه عن
سرقتهم اياه من أبيه

وسجدون ذلك عندى ثم أنزلهم وأكرم نزلهم ثم انه أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقى بنيامين
وحيد فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لاجلسنى معه فقال لهم يوسف لقد بقى هذا وحده فقالوا كان له
أخ فها لك قال لهم فانا أجلسه معى فأخذه فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم
على ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان على فراش واحد فبقى بنيامين وحده فقال يوسف هذا بنا م عندى
على فراشى فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويضمه حتى أصبح فلما أصبح قال
لهم انى أرى هذا الرجل وحيد ليس معه ثاب وسأضحه الى فيكون معى في منزلى ثم انه أنزلهم وأجرى عليهم
الطعام فقال روييل مارا بنا مثل هذا فذلك قوله آوى اليه أخاه يعنى ضمه وأنزله معه في منزله فلما خلا به
قال له يوسف ما احببتك قال بنيامين قال ابن المشكل وذلك انه لما ولدته أمه هلكت قال وما اسم
أهلك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشر بنين قال فهل لك من أخ لا ملك قال كان لى أخ فها لك قال
يوسف أنتجب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد أخا مثلك أم الملك ولكن لم يلدك
يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه الصلاة والسلام وقام اليه وعانقه و(قال) له (اني أنا أخوك) يعنى
يوسف (فلا تبئس) يعنى لا تخزن وقال أهل اللغة تبئس تفتعل من البؤس وهو الضرر والشدة
والابتئاس اختلاب الحزن والبؤس (بما كانوا يعملون) يعنى فلا تخزن بشئ فعلوه بنا فيما مضى فان الله
قد احسن اليكنا ونجانا من الهلاك وجعل بيننا وقيل ان يوسف صفع عن اخوته وصفا لهم فأراد ان يجعل
قلب أخيه بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لاخيه بنيامين لا تعلم اخوتك بشئ مما علمتك به
ثم انه أوفى لاخوته الكيل وزاد لكل واحد حل بعير ولبنيا من حل بعير باسمه ثم أمر بقاية الملك فجعلت
في رحل أخيه بنيامين قال السدى وهو لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف انى أنا أخوك قال بنيامين أنا
لا افارقك فقال يوسف قد علمت اغتنام والدي على فاذا حبستك عندى ازداد غمه ولا يمكننى هذا الا بعد
أن أشهرك بأمر قضيع وانسلت الى مالا يحمد قال لا ابالي فافعل ما بدا لك فاني لا افارقك قال فاني اؤس
صاغي في رحلك ثم انادي عليهم بالسرقة لينهي إلى ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز
وجل (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه) وهى المشربة التي كان الملك يشرب فيها قال ابن
عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من
فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف مكيالا لكل بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لآناء
واحد وجعلت في وعاء طعام أخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى بلادهم فامهلهم يوسف حتى انطلقوا
وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم أرسل خلفهم من استوفى قوتهم وحبسهم (ثم اذن مؤذن) يعنى
نادى مناد وأعلم معلم والاذان فى الاعلام (أيتها العير) وهى القافلة التى فيها الاجال وقال مجاهد العير
الحخير والبغال وقال أبو الهيثم كل ما سير عليه من الابل والحير والبغال فهى عير وقول من قال انها الابل
خاصة باطل وقيل العير الابل التى تحمل عليها الاجال سميت بذلك لانها تعبر أي تذهب وتجيء وقيل هى
قافلة الحخير ثم كثرت ذلك فى الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وقوله أيتها العير أراد أصحاب العير (انكم
لسارقون) ففقوا والسرقة أخذ ما ليس له أخذه فى خفاء فان قلت هل كان هذا السداء بأمر يوسف أم لا
فان كان بأمره فكيف يليق يوسف مع علو منصبه وشريف رتبته من النبوة والرسالة ان يهزم أقواما
ويأسبهم الى السرقة كذبا مع علمه ببراءتهم من ذلك وان كان ذلك الذاء بغير أمره فها لا يظهر براءتهم عن
تلك التهمة التى نسبوا اليها قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أخذها ان يوسف لما أظهر
لاخيه انه أخوه قال لست افارقك قال لا يسدك الى ذلك الا بتدبير حيلة انسلت فيه الى مالا يلىق قال رضى
بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قد رضى به فلا يكون ذنبا الثانى أن يكون
المعنى انكم لسارقون ليوسف من أبيه الا انهم ما ظهر وهاذا الكلام فهو من المعارض وفى المعارض

(قَالُوا أَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ قَالُوا) (٣٤) نفقد صواع الملك) هو الصاع (ولمن جاء به جل عبيروا نابه زعيم) بقوله

المسؤذين يريدوا بان يحمل البعير كقيل أؤديه الى من جاء به وأرادوا سبق بعير من طعام جعل لمن حصله (قَالُوا تالله) قسم فيه معنى التعجب مما أضيف اليهم (لقد علمتم ما جئنا أنفسنا في الارض) استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم حيث دخلوا وأفواه روحهم مشدودة لئلا تتناول زرعاً أو طعاماً لأحد من أهل السوق ولا أنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم (وما كنا سارقين) وما كنا نوصف قط بالسرقة (قَالُوا خُيِّرُوا) الضمير للصواع أي خيّرنا بين امرئته (ان كنتم كاذبين) في وجودكم وادعائكم البراءة منه (قَالُوا جزاؤه من وجد في رحله) أي جزاء سرقة أخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم (فهو جزاؤه) تقرير للحكم أي فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره (كذلك نجزي الظالمين) أي السراق بالاسترقاق (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيئاً فقالوا والله لا نتركه

مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل أن يكون المنادى رجلاً قال ذلك المنداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس في القرآن ما يدل على أنهم قالوا ذلك بأمر يوسف وهو الأقرب الى ظاهر الحال لأنهم طلبوا الاستقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب على ظنهم أنهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم (قَالُوا أَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ) قال أصحاب الاخبار لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم ألم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف اليكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا فقد ناسا قاية الملك ولا تنهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى قَالُوا أَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ أَى عطفوا على المؤذن وأصحابه ماذا أي ما الذي تفقدون والفقدان ضد الوجود (قَالُوا) يعني المؤذن وأصحابه (نفقد صواع الملك) الصاع الاناء الذي يكال به وجمعه أصوع والصواع لغة فيه وجمعه صبعان (ولمن جاء به) يعني بالصواع (جل بعير) يعني من الطعام (وأنا به زعيم) أي كفيل قال الكلبى الزعيم هو الكفيل بلسان أهل اليمن وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في قوله الخيل غارم والخيل الكفيل فان قلت كيف تصح هذه الكفالة مع ان السارق لا يستحق شيئا قلت لم يكونوا اسرا في الحقيقة فيجوز ذلك على مثل رد الضائع فيكون جعالة أو لعل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم في ذلك الزمان فيجوز عليه (قَالُوا) يعني اخوة يوسف (تالله) التمسأ بدل من الواو ولا تدخل الاعلى اسم الله في اليمين خاصة تقديره والله (لقد علمتم ما جئنا أنفسنا في الارض وما كنا سارقين) قال المفسرون ان اخوة يوسف حلفوا على أمرين أحدهما أنهم ما جئوا لاجل الفساد في الارض والثاني أنهم ما جئوا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه كان قد ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم وهو أنهم كانوا مواظبين على أنواع الخير والطاعة والبر حتى بلغ من أمرهم أنهم شهدوا أفواه دوابهم لئلا تؤذي زرع الناس ومن كانت هذه صفته فالفساد في حقه ممنوع وأما الثاني وهو أنهم ما كانوا سارقين فلا نهم قد كانوا ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم ولم يستحلوا أخذها ومن كانت هذه صفته فلا يسارق فلاجل ذلك قالوا لقد علمتم ما جئنا أنفسنا في الارض وما كنا سارقين فلما تبينت براءتهم من هذه التهمة (قَالُوا) يعني أصحاب يوسف وهو المنادى وأصحابه (خياراؤه ان كنتم كاذبين) يعني خياراؤه السارق ان كنتم كاذبين في قولكم ما جئنا أنفسنا في الارض وما كنا سارقين (قَالُوا) يعني اخوة يوسف (جزاؤه من وجد في رحله) يعني جزاء السارق الذي وجد في رحله أن يسلم برقبته الى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان في حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم ضعي قيمة المسروق وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان يجري مجرى القطع في شرعنا فأراد يوسف أن يأخذ بحكم أبيه في السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمضى ان جزاء السارق أن يستعبد سنة جزاءه على جرمة وسرقته (فهو جزاؤه) يعني هذا الجزاء جزاؤه (كذلك نجزي الظالمين) يعني مثل هذا الجزاء وهو ان يسترق السارق سنة نجزي الظالمين ثم قبل هذا الكلام من بقية كلام اخوة يوسف وقيل هو من كلام أصحاب يوسف فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا لجزاء السارق ان يسترق سنة قال أصحاب يوسف كذلك نجزي الظالمين يعني السارقين قوله عز وجل (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) قال أهل التفسير ان اخوة يوسف لما أفروا ان جزاء السارق ان يسترق سنة قال أصحاب يوسف لا بد من تفتيش رحالكم فردوهم الى يوسف فأمر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه لازالة التهمة فجعل يفتش أوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر وعاء أخيه الا استغفر الله تأمنا فدفنهم به حتى لم يبق الا رحل بنيامين قال ما أظن هذا أخذ شيئاً أو قال اخوته والله لا نتركه حتى ننظر في رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله تعالى (ثم استخرجها من وعاء أخيه) انما أثبت الكتابية لانه ردها الى الاستقاية وقيل ان الصواع يدكرو يؤث فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين تكس اخوة يوسف رؤسهم من الحيا وأقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له ما صنعت بنا ففهمنا وسودت وجوهنا حتى ننظر في رحله فانه أطيب لنفسنا وأنفسنا (ثم استخرجها) أي الصواع (من وعاء أخيه) ذكره المصنف مرات

ثم أنشأه لان التأنيث يرجع الى السقاية أولان الصواع يذكرو يؤث الكاف في (كذلك) في محفل النصب أى مثل ذلك الكيد العظيم (كد ناليوسف) يعنى علمناه اياه (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) تفسير للكيد وبيان (٣٥) له لان الحكم في دين الملك أى في سيرته

للسارق أن يغرم مشى
ما أخذ لان يستعبد (الا
أن يشاء الله) أى ما كان
ليأخذ هذه الاعيشة الله
وارادته فيه (رفع درجات)
بالتنوين كوفي (من نشاء)
أى في العلم كإرفعا درجة
يوسف فيه (وفوق كل ذى
علم عليم) فرفعه أرفع درجة
منه في علمه أرفق العلماء
كاهم عليم هم دونه في العلم
وهو الله عز وجل (قالوا ان
يسرق فقد سرق أخ له من
قبل) أرادوا يوسف قيل دخل
كنيسة فأخذتنا للصغيرا
من ذهب كانوا يعبدونه
فدفعه وقيل كان في المنزل
دجاجة فأعطاهما سائل
وقيل كانت منطقة لآراهيم
عليه السلام تتوارثها
أ كبرولده فورثها اسحق
ثم وقعت الى ابنته وكانت
أكبر أولاده فخصنت
يوسف وهى عمته بعد وفاة
أمه وكانت لاتصبر عنه
فلما شب أراد يعقوب ان
ينزعه منها فعمدت الى
المنطقة فخرمته اعلى يوسف
تحت ثيابه وقالت فقدت
منطقة اسحق فانظروا من
أخذها فوجدوها محزومة
على يوسف فقالت انه
سلم أفعلى به ما شئت منه
نخلاه يعقوب عندها حتى
ماتت وروى انهم لما

يا بنى راحيل ما زال لنا منكم بلاه متى أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل ننور راحيل ما زال لهم
منكم بلاه ذهبت باخى فاهلكتموه في البرية ان الذى وضع هذا الصواع في رحلى الذى وضع البضاعة في
رحالكم قالوا فأخذ بنينا من رقيقا وقيل ان المنادى وأصحابه هم الذين تولوا اقتنيس رجالهم وهم الذين
استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فأخذوه برقبته وردوه الى يوسف (كذلك كد ناليوسف) يعنى
ومثل ذلك الكيد كد ناليوسف وهو اشارة الى الحكم الذى ذكره اخوة يوسف باسترقاق السارق أى
مثل ذلك الحكم الذى ذكره اخوة يوسف حكمنا به ليوسف ولفظ الكيد مستعار للعبث والخذلعة وهذا في
حق الله عز وجل محال فيجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزاء
الكيد يعنى كما فعلوا ليوسف في الابتداء فعلنا بهم فالكيد من اطلق الخيلة ومن الله التدبير بالحق والمعنى
كما ألهمنا اخوة يوسف بأن حكموا ان جزاء السارق ان يسترق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع
في رحل أخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته وقال ابن الانبارى كدنا وقع خبرا من الله عز وجل
يكون المعنى كذلك دبر ناليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الانبارى كدنا وقع خبرا من الله عز وجل
على خلاف معناه في أوصاف المخلوقين فانه اذا أخبر به عن مخلوق كان تحمته احتيال وهو في موضع فعل الله
معرى من المعاني المذمومة ويخلص بانه وقع بمن يكيد به تدبير ما يريد به من حيث لا يشعرو ولا يقدر على
دفعه فهو من الله مشيئة بالذى يكون من أجل أن المخلوق اذا كاد المخلوق ستر عنه ما ينويه ويضمه له
من الذى يقع به من الكيد فهو من الله تعالى استتراد هو ما ختم الله به عاقبته والذى وقع باخوة يوسف من
كيد الله هو ما انتهى اليه شأن يوسف من ارتفاع المنزلة وتتمام النعمة وحيث جرى الامر على غير
ما قدر وامن اهلاكا وخلصوا أيهم له بعد وكل ذلك جرى بتدبير الله تعالى ونفى لطفه سماه كيد لانه أشبه
كيد المخلوقين فعلى هذا يكون كيد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام عائدا الى جميع ما أعطاه
الله وأتم به عليه على خلاف تدبير اخوته من غير أن يشعر بذلك وقوله تعالى (ما كان ليأخذ أخاه في
دين الملك) يعنى في حكم الملك وقضائه لانه كان في حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضيقه المسروق
يعنى في حكم الملك وقضائه فلم يتمكن يوسف من حبس أخيه عنده في حكم الملك فالله تعالى ألهم يوسف
مادبره حتى وجد السبيل الى ذلك (الا أن يشاء الله) يعنى أن ذلك الامر كان بعيشة الله وتدبيره لان ذلك
كله كان الهاما من الله ليوسف واخوته حتى جرى الامر على وفق المراد (رفع درجات من نشاء) يعنى بالعلم
كإرفعا درجة يوسف على اخوته وفي هذه الآية دلالة على أن العلم الشريف أشرف المقامات وأعلى
الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على اخوته بالعلم وبما ألهمه على وجه الهداية
والصواب في الامور كلها (وفوق كل ذى علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى أن ينتهى العلم الى الله
تعالى والله تعالى فوق كل عالم لانه هو الغنى بعلمه عن التعليم وفي الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا
علماء وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الانبارى يجب أن يتهم العالم نفسه ويستشعر التواضع لمواهب ربه
تعالى ولا يطمع نفسه في العلية لانه لا يخلو عالم من عالم فوقع قوله تعالى (قالوا) يعنى اخوة يوسف (ان
يسرق) يعنى بنيامين الصواع (فقد سرق أخ له من قبل) يعنى يوسف ظاهرا الآية يقتضى ان اخوة يوسف
قالوا لملك ان هذا الامر ليس بغريب منه فان أخاه الذى هلك كان سارقا أيضا وكان غرضهم من هذا
الكلام انالسا على طريقته ولا على سيرة بل هذاواخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما
من أم أخرى غير أمناو اختلفوا في السرقة التي نسبوا الى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال سعيد بن
جبير وقتادة كان لجد أبي أمه صنم وكان يعبد فآخذ يوسف سرا وكسره والقاه في انظر بنى لئلا يعبد

استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فكس أخوته رؤسهم حيا واقبلوا عليه وقالوا له فضمتنا وسودت وجوهنا يا بنى راحيل ما زال لنا منكم
بلاه متى أخذت هذا الصواع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم بلاه ذهبت باخى فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلى الذى وضع

وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوماً فخذ بيضة من البيت فناولها له وقال سفيان بن عيينة أخذ حاجة من الطير الذي كان في بيت يعقوب فأعطاهما سائلاً وقال وهب كان يحبباً الطعام من المائدة للفقراء وذو كرم محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت أمه راحيل فخصته عمة وعمته وأحبته حباً شديداً فلما نزع وعكبر وقعت محبة يعقوب عليه فاحبه فقال لاخته يا اختاه سلمى الى يوسف فوالله ما أقدر على ان يغيب عني ساعة واحدة فقالت لا أعطيكه فقال لها والله ما أنا بشاركة عندك فقالت دعه عندى أياماً أنظر اليه لعل ذلك يسلمني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت أكبر أولاد اسحق فكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف فحمت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه اسلم لي يعني يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو وسلم لك فامسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فعنون هذه السرقة قال ابن الانباري وليس في هذه الافعال كلها ما يوجب السرقة ولكنها تشبه السرقة فعبروهم بها عند الغضب (فاسره يوسف في نفسه ولم يبيدها لهم) في هاء الكناية ثلاثة أقوال أحدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التي بعدها وهي قوله تعالى (قال) يعني يوسف (أنتم سرقتم) والثاني ان الضمير يرجع الى الكلمة التي قالوها في حقهم وهي قولهم فقد سرق أخ له من قبل وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فامر يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقهم ولم يحجبهم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فاسر يوسف الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة ولم يبيدها لهم قال أنتم سرقتم مكانا يعني منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة لأنه لم يكن من يوسف سرقة في الحقيقة وخيانكم حقيقة (والله أعلم بما تصفون) يعني بحقيقة ما تقولون ﴿قوله عز وجل﴾ (قالوا) يعني اخوة يوسف (يا أيها العزيز) يخاطبون بذلك الملك (ان له أباشيخا كبيرا) قال أصحاب الاخبار والسيران يوسف عليه الصلاة والسلام لما خرج الصواع من رحل أخيه بنيامين نقره وأدناه الى أذنه ثم قال ان صواعي هذا يخبرني انكم اثنا عشر رجلا لا واحد وانكم انطلقتم باخ لكم من أبيكم فبعتموه قال بنيامين أيها الملك سل صواعك هذا من جودك في رحلي فزقره ثم قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي وقد رويت مع من كنت قالوا فغضب وروى بذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطأوا وكان رويلا اذا غضب لم يغم غضبه شيء وكان اذا صاح ألقى كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه أحد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان أقوى الاخوة وأشد هم وقيل كانت هذه صفة ثعمرون ابن يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بعصر قالوا عشرة قال اكفوني أنتم الاسواق وأنا أكفيكم الملك أو اكفوني أنتم الملك وأنا أكفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال رويلا أيها الملك لترد علينا أخانا وأولاصيين صبيحة لا يبقى بعصر امرأته حامل الا وضعت ولدها وقامت كل شعرة في جسده رويلا حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب هذا غصه أو خذ بيده فاق له فلما مسه سكن غضبه فقال لاخوته من مسني منكم قالوا لم يصيبك منا أحد فقال رويلا ان هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانياً فقام اليه يوسف فوكزه برجله وأخذ بيده فوقع على الأرض وقال أنتم يامعشر العبرانيين تزعجون ان لا أحد أشد منكم ظمأراً أو ما تنزل بهم ورواوا أن لا سيدل الى تخليصه خضعوا واذلوا وقالوا يا أيها العزيز ان له أباشيخا كبيرا يعني في السن ويحتمل أن يكون كبيراً في القدر لانه نبي من أولاد الانبياء (فخذ أحدنا مكانه) يعني بدلا عنه لانه يحبه ويتسلى به عن أخيه الهالك (انزالك من المحسنين) يعني في أفعالك كلها وقيل من المحسنين البتاني توفية الكليل وحسن الضيافة ورد البضاعة البنا وقيل ان ردوت بنيامين البنا وأخذت أحدنا مكانه كنت من المحسنين (قال معاذ الله) يعني قال يوسف أعوذ بالله معاذاً (أن تأخذ

البضاعة في رحالك
(فأسرها) أي مقالتهم انه
سرق كان لم يسمها (يوسف
في نفسه ولم يبيدها لهم قال
أنتم سرقتم مكانا) غيبز أي
أنتم سرقتم منزلة في السرقة
لأنكم سرقتم أخاكم يوسف
من أبيه (والله أعلم بما
تصفون) تقولون أو
تكتنون (قالوا يا أيها
العزيز ان له أباشيخا كبيرا)
في السن أو في القدر
(فخذ أحدنا مكانه) بدله
على وجه الاستعارة أو
الاستعارة فان أباه يتسلى
به عن أخيه المفقود (انا
نزالك من المحسنين)
البتاني فأنتم احسانك أو من
عادتك الاحسان فاجر على
عادتك ولا تغبرها (قال معاذ
الله أن تأخذ

الامن وجدنا متاعنا عنده) أي نعوذ بالله معاذ امن ان نأخذ قاضيه المصدا الى المفعول به وحذف من (انا اذا ظالمون) اذا جواب
اهم وجزا لان المعنى ان أخذنا بآبائه ظلمنا وهذا لانه وجب على قضيه قتلوا كم أخذ من (٣٧) وجدنا الصاع في رحله واستعباده فلما أخذنا

غيره كان ذلك ظلمنا في مذهبكم
فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم
(فلما استبأسوا) يتسوا
وزيادة السنين والتاء
للمبالغة كما مر في استعصم
(منه) من يوسف واجابته
اياهم (خلصوا) انقروا
عن الناس خالصين
لا يخالطهم سواهم (نجيا)
ذوي نجى أو فوجا نجيا
أي مناجيا لمناجاة بعضهم
بعضا أو تخلصوا تناجيا
لاستجماعتهم لذلك وافاضتهم
فيه يجردوا اهتمام كلهم في
أنفسهم ضرورة التناسخ
وحقيقته فالنجى يكون
معنى المناسخ كالسهم بمعنى
المسامر ومعنى المصدر
الذي هو والتناسخ وكان
تناسخهم في تدبير أمرهم
على أي صفة يذهبون وماذا
يقولون لا ينهم في شأن
أخيه (قال كبيرهم) في
السنن وهو روبيل أوفى
العقل والرأى وهو يوزن
أوريسهم وهو شمعون
(ألم تعلموا أن أباءكم قد
أخذوا عليكم ميثقا من الله
ومن قبل ما فرطتم في
يوسف) مائة أي ومن
قبل هذا قصرتم في شأن
يوسف ولم تحفظوا عهد
أبيكم أو مصدرية ومحل
المصدر الرفع على الابتداء

الامن وجدنا متاعنا عنده) لم يقل من سرق تحزنا عن الكذب لانه يعلم ان أخاه ليس بسارق (انا اذا
ظالمون) يعني ان أخذنا بآبائنا بغيره فان قلت كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذه الاعمال بأبيه
ولم يخبره بكانه وحبس أخاه أيضا عنده مع علمه بشدة وجاهد أبيه عليه فضيه ما فيه من العقوق وقطيعة الرحم
وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علوه منصبه من النبوة والرسالة ان يزور على اخوته ويروج عليهم
مثل هذا مع ما فيه من الايذاء لهم فكيف يليق به هذا كله قلت قد ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة
كثيرة وأحسنها أنه إنما فعل ذلك بأمر الله تعالى له لاعتنا أمره وانما أمره الله بذلك ليزيد بلاء يعقوب
فيضاعف له الاجر على البلاء ويحققه بدرجة آباءه المذاخين والله تعالى أسرا ولا يعلمها أحد من خلقه فهو
المصرف في خلقه بما يشاء وهو الذي أخفى خبر يوسف عن يعقوب في طول هذه المدة مع قرب المسافة
لما يريد أن يدبره فيهم والله أعلم بأحوال عباده قوله عز وجل (فلما استبأسوا منه) يعني أسوا من يوسف
أن يحبسهم لمأسألوه وقيل أسوا من أخيه ان يرد عليهم وقال أبو عبيدة استبأسوا أي استيقنوا ان الاخ
لا يرد اليهم (خلصوا نجيا) يعني خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم (قال كبيرهم)
يعني في العقل والعلم لافي السن قال ابن عباس الكبير هو يوزن وكان أعقلهم وقال مجاهد هو شمعون
وكانت له الرئاسة على اخوته وقال قتادة والسدي والضحاك هور وبل وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا في
يوسف لانه نهمهم عن قتله (ألم تعلموا أن أباءكم) يعني يعقوب (قد أخذوا عليكم ميثقا) يعني عهدا (من الله
ومن قبل ما فرطتم في يوسف) يعني قصرتم في أمر يوسف حتى ضيعتموه (فلن أرح الأرض) يعني الأرض
التي أنا فيها وهي أرض مصر والمعنى فلن أخرج من أرض مصر ولا أفارقها على هذه الصورة (حتى يأذن لي
أخي) يعني في الخروج من أرض مصر فيدعوني اليه (أو يحكم الله لي) أو يخرجني معكم ويزك
أخي أو يحكم الله لي بالسيف فأنا لهم حتى استرد أخي (وهو خير الحاكمين) لانه يحكم بالحق والعدل
والانصاف والمراد من هذا الكلام الالتجاء الى الله تعالى في إقامة عدله عند والده يعقوب عليه الصلاة
والسلام (ارجعوا الى أبيكم) يعني يقول الاخ الكبير الذي عزم على الإقامة بمصر لاخوته المباقيين ارجعوا
الى أبيكم يعقوب (فقولوا له) يا أبانا ان ابنك سرق) انما قالوا هذه المقالة توسلوا به الى السرقة لانهم شاهدوا
الصواع وقد أخرج من متاع بنيامين فقلب على ظنهم انه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر
لا في حقيقة الحال وبدل على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم (وما شهدنا الا بما علمنا) يعني ولم نقل ذلك
الا بعد أن رأينا اخراج الصواع وقد أخرج من متاعه وقيل معناه ما كانت مناشدة في عمرنا على شيء
الاباعلمنا وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن ضياع ابنك انه سرق برعهم فيكون المعنى ان ابنك سرق
في زعم الملك وأصحابه لا انما شهد عليه بالسرقة وقرأ ابن عباس والضحاك سرق بضم السين وكسر الراء
وتشديد هاء أي نسب الى السرقة واتهم بها وهذه القراءة لا تحتاج الى تأويل ومعناها ان القوم نسبوه الى
السرقة الا ان هذه القراءة ليست مشهورة فلا تقوم بها حجة والقراءة الصحيحة المشهورة هي الاولى وقوله
وما شهدنا الا بما علمنا يعني وما قلنا هذا الاباعلمنا فاننا رأينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت
مناشدة في عمرنا على شيء الاباعلمنا وهذه ليست بشهادة وانما هو خبر عن ضياع ابنك برعهم وقيل
قال لهم يعقوب هب انه سرق فليدري هذا الرجل ان السارق يؤخذ بسرقة الا يقولكم قالوا ما شهدنا
عنده ان السارق يسترق الاباعلمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبياء قبله ويعقوب وبنوه
وأورد على هذا ان قول كيف جازا يعقوب اخفاء هذا الحكم حتى يشكر على بنيه ذلك وأجيب عنه بأنه

وخبره الطرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تقريطكم في يوسف (فلن أرح الأرض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لي أخي) في
الا نصرفني اليه (أو يحكم الله لي) بالخروج منها أو بالموت أو بقناله (وهو خير الحاكمين) لانه لا يحكم الا بالعدل (ارجعوا الى أبيكم فقولوا
يا أبانا ان ابنك سرق) وقرئ سرق أي نسب الى السرقة (وما شهدنا) عليه بالسرقة (الاباعلمنا) من سرقة وبقناله اذا الصواع استخرج

حافظين) وما علمنا انه يسرق حين اخطيناك المسوق (واسئل القرية التي كنا فيها) يعني مصر اى ارسل الى اهلها فاسألهم عن كنه القصة (والعير التي اقبلنا فيها) واصحاب العير وكافوا قومنا من كنعان من جبران يعقوب عليه السلام (وانا الصادقون) في قولنا فرجوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم (قال بل سؤلتكم انفسكم امرا) اردعوه والافن ادري ذلك الرجل ان السارق يسترق لولا فتواكم وتعليمكم (فصبر جيل عسى الله ان ياتى بهم جميعا) يوسف واخيه وكبرهم (انه هو العليم) بحال في الحزن والاسف (الحكيم) الذي لم يتدنى بذلك الاحكامه (وتولى عنهم) واعرض عنهم كراهية لما جاؤا به (وقال يا اسفا على يوسف) اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من يا الاضافة والتجانس بين الاسف ويوسف غير متكلف ونحوه انما قلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه ويحسبون انهم يحسنون صنعنا من سبابنا وانما نأسف على يوسف دون اخيه وكبرهم لئلا يدى اسفه على يوسف دون الاسف وفيه دليل

يحتمل ان يكون ذلك الحكم كان مخصوصا اذا كان المسروق منه مسلما فلهذا انكر عليهم اعلام الملك بهذا الحكم لظنه انه كافر (وما كنا للغيب حافظين) قال مجاهد وقتادة يعني ما كنا نعلم ان ابنك يسرق ويصير امرنا الى هـ ذ اولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ امانا بما لنا الى حفظه منه سبيل وقال ابن عباس ما كنا لئله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله فاعلم المصواع دس في رحله ونحن لانعلم بذلك (واسئل القرية التي كنا فيها) يعني واسئل اهل القرية الا انه حذف المضاف للايجاز ومثله هذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هي قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش (والعير التي اقبلنا فيها) يعني واسئل القافلة التي كنا فيها وكان معهم قوم من كنعان من جبران يعقوب (وانا الصادقون) يعني فيما قلناه وانما امرهم اخوهم الذي اقام بمصر بهذه المقالة بالغة في ازالة التهمة عن انفسهم عند ابيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف (قال بل سؤلتكم انفسكم امرا) فيه اختصار وتقديره فرجوا الى ابيهم فأخبروه بما جرى لهم في سفرهم ذلك وما قال لهم كبرهم وامرهم ان يقولوا لا بهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سؤلتكم انفسكم امرا وهو حل اخيكم معكم الى مصر لطاب نفع عاجل فاسأل امركم الى ما آل وقيل معناه بل خيبت لكم انفسكم انه سرق وما سرق (فصبر جيل) تقدم تفسيره في اول السورة وقوله (عسى الله ان ياتى بهم جميعا) يعني يوسف وبنيامين والاخ الثالث الذي اقام بمصر وانما قال يعقوب هذه المقالة لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنه علم ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لانه اذا اشتد البلاء وعظم كان اسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما جرى عليه وعلى بنه من اول الامر وهو رؤيا يوسف وقوله ياتى لا تقتصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما تنهاى الامر قال عسى الله ان ياتى بهم جميعا (انه هو العليم) يعني بحزنى ووجدى عليهم (الحكيم) فيما يدبره ويقضيه قوله تعالى (وتولى عنهم) يعني واعرض يعقوب عن بنه حين بلغوه خبر بنيامين فحينئذ تنهاى حزنه واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك اعرض عنهم (وقال يا اسفا على يوسف) الاسف اشد الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لان الحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان ذلك اوجع للقلب واعظم لهيجان الحزن الاول كما قال مقيم بن نويرة لما رأى قبرا جديدا جدد حزنه على اخيه مالك

يقول النبي صلى الله عليه وسلم كل قبر رآته * لقبر نوى بين اللوى والدكادك

فقات له ان الامى يبعث الاسى * فدعنى فهذا كله قبر مالك

فأجاب بان الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من أم واحدة كان يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه ووجد حزنه على يوسف لان يوسف كان أصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام في قوله يا اسفا على يوسف فقال هذه شكايه واطهار جزع فلا يبق بهلوم نصبه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه الصلاة والسلام شكى الى الله لانه فقوله يا اسفا على يوسف معناه يارب ارحم أسنى على يوسف وقد ذكر ابن التبارى عن بعض اللغويين انه قال نداء يعقوب بالاسف في اللفظ من المجاز يعني به غير المظهر في اللفظ ونحوه يا الهى ارحم أسنى أو أنت رأتى أسنى أو هذا أسنى فنادى الاسف في اللفظ المتنادى سواء في المعنى ولا ما ثم اذا لم ينطق اللسان بكلام مؤتم لان لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا اسفا على يوسف شكوى الى ربه كان غير معلوم في شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبتيه واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا اسفا على يوسف أى أشكوا الى الله شدة أسنى على يوسف ولم يشك الى أحد من الخلق بدليل قوله انما

على ان الزرع فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا (وايضت عيناه) اذا كثيرا لاعتبار ومهفت العبرة سواد العين وقلته الى
بياض كدرو قبل قد عوى بصره وقيل كان قد يدرك ادراكا ضعيفا (من الحزن) لان (٣٩) الحزن سبب البكاء الذي حدث منه

البياض فكانه حدث من الحزن قبل ما جفت عيناه يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين اقامته غائبا عاموا وعلى وجه الارض اكرم على الله من يعقوب ويجوز ان ي عليه السلام ان يبلغ به الحزن ذلك المبلغ لان الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الحزن فلذلك جده صبره ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحجز والعين تدمع ولا تقول ما يسيئ الرب وانما علمك يا ابراهيم محزون وانما المذموم الصباغ والنباحه واطم الصدور والوجوه وتزني الثياب (فهو كظيم) مملوء من الغبط على اولاده ولا يظهر ما به وهم فقبل يعنى مفعول بدليل قوله اذا نادى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملكه (قالوا الله تفتنوا) أى لا تفتنوا فخذى حرف التنفى لانه لا يلبس اذلو كان اثباتا لم يكن بد من اللزم والنون ومعنى لا تفتنوا لا تزال (تذكر يوسف حتى تكون حرضا) مشفيا على الهلاك مرضا (أو تكون من الهالكين) قال انما أشكو بنى وحزنى

أشكو بنى وحزنى الى الله (وايضت عيناه من الحزن) أى عوى من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيئا ست سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كأنها بياضه من ذلك الماء الخارج من العين (فهو كظيم) أى مكظوم وهو الممتلئ من الحزن المملوء عليه لا يملكه قال قتادة وهو الذي يردد حزنه في جوفه ولم يقل الا خبرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر أبيه الى يوم التقيا ثمانون سنة لم تحجب عينا يعقوب وما على وجه الارض يومئذ اكرم على الله منه وقال ثابت البناني ووهب بن منبه والسدى ان جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهوى السجين فقال هل تعرفنى أيها الصديق قال يوسف أرى صورة ظاهرة قال انى رسول رب العالمين وأنا الروح الامين فقال يوسف فما أدخلك المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقرين وأمين رب العالمين قال ألم نعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض بطهر النبيين وان الارض التى يدخلونها هى أطهر الارضين وان الله قد طهر لك الارض والسجين وما حوله يا أطهر الظاهرين وابن الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لى باسم الصديقين وتعدنى من الصالحين المخلصين الظاهرين وقد أدخلت مذخل المذنبين قال انه لم يفتن قلبك ولم اطع سيدها فى معصية ربك فلذلك سمعك الله من الصديقين وعدك من المخلصين وألحقك باخوانك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من يعقوب أيها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابتلاه الله بالحزن عليك فهو كظيم ووهب له ابراهيم الجليل قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين شكلا قال فخاله من الاجرا جبريل قال أجروا مائة شهيد قال أقرانى لاقبه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما أبالى بما لقيت ان رأيت الله قوله عز وجل (قالوا) يعنى اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لا بهم (قالوا تفتنوا تذكر يوسف) يعنى لا تزال تذكر يوسف ولا تفتن عن حبه يقال ما فتى يفعل كذا أى مازال ولا محذور فى جواب القسم لان موضعا معلوم فخذت للتخفيف كقول امرئ القيس

فقات عين الله أبرح قاعدا * ولو قطعه وارأسى ليدلى وأوصالى

أى لا أبرح قاعدا (وقوله حتى تكون حرضا) قال ابن عباس يعنى ندنا وقال مجاهد الحرض مادون الموت يعنى قريب من الموت وقال ابن اسحق يعنى فاسد العقل له والحرض الذى قد جسه وعقله وقيل ذاتا من الهم وأصل الحرض الفساد فى الجسم والعقل من الحزن أو الهم ومعنى الآية حتى تكون دنف الجسم محبوس العقل يعنى لا تنفع بنفسك من شدة الحزن والهم والاسف (أو تكون من الهالكين) يعنى من الاموات فان قلت كيف حلفوا على شئ لم يعلموا حقيقة قطعا قلت انهم بنوا الامر على الاغاب الظاهر أى نقوله ظنا منا ان الامر بصيرا الى ذلك (قال) يعنى يعقوب عندما رأى قواهم له وغلظتهم عليه (انما أشكو بنى وحزنى الى الله) أصل البث اثارة الشئ وتفريقه وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والشوق قال ابن قتيبة البث أشد الحزن وذلك لان الانسان اذا ستر الحزن وكتمه كان هما فاذا ذكره اخبره كان بثا فالبث أشد الحزن والحزن الهم فعلى هذا يكون المعنى انما أشكو حزنى العظم وحزنى القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوزى روى الحاكم أبو عبد الله فى صحيحه من حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان ليعقوب أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذى أذهب بصرى وما الذى قوس ظهرك قال أما الذى أذهب بصرى فالبكاء على يوسف وأما الذى قوس ظهرك فالحزن على بنى امية جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أما تستحي ان تشكو الى غيرى فقال انما أشكو بنى وحزنى الى الله فقال جبريل الله أعلم بما تشكو وقيل انه دخل على يعقوب جارية فقال له يا يعقوب ما لى أرا لك هذه الشمت

الى الله البث أصعب الهم الذى لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس أى ينشره أى لا أشكو الى أحد منكم ومن غيركم انما أشكو الى ربى داعيا له وملتجئا اليه تخفى وشكائى وروى انه أوصى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فوق بيابكم مسكين فلم تطعموه وان أحب خلقى الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولد هافيا مع ولد هافيا حتى عمت

بالضعف وفنت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوال فقال ههنا وأذنا في ما يتلاني الله به من هم يوسف فأوحى
 الله إليه يا يعقوب أتشكوني إلى خاقي فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي قال قد غفرتها لك فكان بعد
 ذلك إذا سئل يقول انما أشكوكي وحزني إلى الله وقيل ان الله أوحى إليه وعزني وجلالي لا أكشف ما بين
 حتى قد عوفي فعند ذلك قال انما أشكوكي وحزني إلى الله ثم قال أي رب انا ترحم الشيخ الكبير أذهب
 بصري وقوت ظهري فأردد على رجلياتي أشبهما شمة قبل ان أموت ثم اصنع ما شئت فأتاه جبريل فقال
 يا يعقوب ان الله بقرئك السلام ويقول لك أبشر فوعزني لو كانا ميتين لتشرتم مالك أتدري لم وجدت عليك
 لأنكم ذبحتم شاة فقام على بابكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها شيئا وان أحب عبادي إلى
 الانبياء ثم المساكين اصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائعا فليطعم المذلة عند
 آل يعقوب وكان بعد ذلك اذا تغدى أمر مناديا نادى من أراد أن يتغدى فليأت آل يعقوب واذا افطر
 أمر أن ينادى من أراد أن يفطر فليأت آل يعقوب فكان يتغدى ويتغشى مع المساكين وقال وهب بن
 منبه أوحى الله تعالى إلى يعقوب أن لا تدرى لم عاقبتك وجبت عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يارب قال لأنك
 شويت عنا فافترت على جارك وأكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح عجلا بين يدي أمه
 وهي تخور فلم يرجعها فان قالت هل في هذه الروايات ما يمدح في عصمة الانبياء قلت لا وانما عوقب يعقوب
 به لان حسنات الابراهما آتت المصيرين وانما يطلب من الانبياء من الاعمال على قدر مناصبهم وشريف
 رتبتهم ويعقوب عليه الصلاة والسلام من أهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من
 أنبيائه بحجة فصبر وفؤض أمره إلى الله فأبراهيم عليه الصلاة والسلام ألقى في النار فصبر ولم يشك إلى أحد
 وامم عيل ابتلى بالذبح فصبر وفؤض أمره إلى الله واسحق ابتلى بالنعى فصبر ولم يشك إلى أحد ويعقوب
 ابتلى بفقد ولده يوسف وبعد بنيامين ثم عصى بعد ذلك أوضاعه بصره من كثرة البكاء على فقدهما وهو مع
 ذلك صابر لم يشك إلى أحد شيئا مما نزل به وانما كانت شكايته إلى الله عز وجل بدليل قوله انما أشكوكي
 وحزني إلى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والثناء الجليل في الدنيا والخرجات العلى الاخرة مع من
 سلف من أبويه ابراهيم واسحق عليهما الصلاة والسلام وأما مع العين وحزن القلب فلا يستوجب به
 ذم ولا عقوبة لان ذلك ليس إلى اختيار الانسان فلا يدخل تحت التكليف بدليل ان النبي صلى الله
 عليه وسلم بكى على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين لتدمع وان القلب ليحزن وما تقول الا
 ما يرضى ربنا فهذا القدر لا يقدر الا الانسان على دفعه عن نفسه فصار بما لا يخرج فيه على أحد من
 الناس وقوله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يعني أنه تعالى من رحمته واحسانه يأتي بالفرج من حيث
 لا أحسب وفيه إشارة إلى أنه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه وروى ان ملك الموت زار
 يعقوب فقال له يعقوب أيها الملك الطيب رحمه الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابني
 يوسف في الارواح فقال لا فطابت نفس يعقوب وطعم في رؤيته فلذلك قال وأعلم من الله ما لا تعلمون وقيل
 معناه وأعلم ان رؤيا يوسف حق وصدق وانى وأنتم ستجدله وقال السدي لما أخبره بنوه بسيرة ملك
 مصر وكال حاله في جميع أقواله وأفعاله أحسب نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال
 يعني يعقوب (يا بني اذهبوا فتمسكوا من يوسف وأخيه) الخمس طلب الخير بالحاسة وهو قريب
 من الخمس بالميم وقيل ان الخمس بالحاء يكون في الخير وبالميم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي
 يطلب المكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمس وقال ابن التباري يقال تهمست عن فلان ولا
 يقال من فلان وقال هنام بن يوسف وأخيه لانه أقيم من مقام عن قال ويجوز أن يقال من التهميعض ويكون
 المعنى تهمست واخبرنا من أخبار يوسف وأخيه روى عن عبد الله بن يزيد عن أبي فروة ان يعقوب كتب كتابا
 إلى يوسف عليه الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب امير ائيل الله بن اسحق ذريح الله
 ابن ابراهيم خليل الله إلى ملك مصر أما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء أما جدى ابراهيم فشدت يداي ورجلاه

(وأعلم من الله ما لا تعلمون)
 وأعلم من رحمته انه يأتي
 بالفرج من حيث لا أحسب
 وروى أنه رأى ملك الموت
 في منامه فسأله هل قبضت
 روح يوسف فقال لا والله
 هو حي فاطلبه وعلمه هذا
 الدعاء يا ذا المعروف الدائم
 الذي لا ينقطع معرفه أبدا
 ولا يحصى غيرك فرج عني
 (يا بني اذهبوا فتمسكوا
 من يوسف وأخيه) فتعرفوا
 منهم ما تطلبوا واخبرهم ما هو
 تفعل من الاحسان وهو
 المعرفة

(ولا تبأسوا من روح الله)
ولا تقنطوا من رحمة
الله وفرج الله (انه) ان
الامر والشأن (لا يبأس
من روح الله الا القوم
الكافرون) لان من آمن
بأن الله متقلب في رحمة الله
ونعمته وأما الكافر فلا
يعرف رحمة الله ولا قلبه
في نعمته فيبأس من
رحمته فخرجوا من عند
أيهم راجعين الى مصر (فلما
دخلوا عليه) على يوسف
(قالوا يا أيها العزيز مسنا
وأهنا النضر) الهزال
من الشدة والجوع (وجئنا
ببضاعة خمر جاة) مدفوعة
يدفعها كل تاجر رغبة عنها
واحتقار انها من أزمجته
اذا دفعته وطردته قيل
كانت دراهم زيوفا لا تؤخذ
الا بوضيعة وقيل كانت
صوفافهمنا (فأوف لنا
الكبيل) الذي هو حقنا
(وتصدق علينا) وتفضل
علينا بالمساحة والاعراض
عن رد البضاعة أو ردنا
على حقنا أو هب لنا أمانا
(ان الله يجزي المتصدقين)
ولما قالوا مسنا وأهنا النضر
وتضرعوا اليه وطلبوا منه
ان يتصدق عليهم ارفضت
عيناه ولم يمالك ان عرفهم
نفسه حيث قال (قال هل
علمتم ما فعلتم بيوسف) اي
هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف
(وأخيه

وألقى في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما ما أبى فشدت يداه وربلاه ووضع السكين على قفاه ففقداه الله
وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم
وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى ثم كان لي ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به وان حبسته
وزعمت انه سرق وأنا أهل بيت لا نسرق ولا نلدس ارقا فان رددته الى والادعوت عليك دعوة تدرك السابغ
من ولدك فلما قرأ يوسف كتاب أبيه اشتد بكأؤه وعبل صبره وظهر نفسه لاختونه على ما سئذ كره ان شاء
الله تعالى فذلك قوله تعالى يا بني اذهب واقصص وامن يوسف وأخيه (ولا تبأسوا) أى ولا تقنطوا (من
روح الله) يعنى من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله (انه لا يبأس من روح الله الا القوم
الكافرون) يعنى ان المؤمن على خير برجوه من الله فيصبر عند البلاء فينال به خير او محمد عند الرخاء
فينال به خيرا والكافر يصد ذلك (فلما دخلوا عليه) فيه حذف واختصار تقديره فخرجوا
من عند أبيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعنى على يوسف (قالوا يا أيها العزيز) يعنون يا أيها الملك
والعزيز المقادير الممتنع وكان العزيز لقب ملك مصر يومئذ (مسنا وأهنا النضر) أى الشدة والفقر والجوع
وأرادوا بأهلهم من خلفهم ومن وراءهم من العيال (وجئنا ببضاعة خمر جاة) أى ببضاعة رديئة كاسدة
لا تنفق في غن الطعام لا يتجاوز من البائع وأصل الازجاء فى اللغة المدفع قليلا قليلا والترجية دفع الشيء
ايضا كترجيه الريح السحاب ومنه قول الشاعر * وحاجة غير خمر جاة من الحاج * يعنى هى قليلة
بيرة يمكن دفعها وسوقها القلة الاعتنا بها وانما وصفوا تلك البضاعة بأنها خمر جاة اما قصصها أول رداءها
أو لمجموعها فلذلك اختلفت عبارات المفسرين فى معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت
دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت خلق الغرائر والحبائل وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط
وقال الكسبى ومقاتل كانت حبة الخضر او قيل كانت سويق المفل وقيل كانت الادم والنعال وقال
الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة خمر جاة من قولهم فلان يزجى العيش أى يدفع الزمان بالقليل
من العيش والمعنى جئنا ببضاعة خمر جاة لنمدد بها الزمان وليست مما يتبع ما وقيل انما قيل للدراهم
الرديئة خمر جاة لانها رديئة مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها (فأوف لنا الكبيل) يعنى اعطنا ما كنت
تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافى والمعنى اننا نريد ان نقيم لنا الزائد مقام النقص والجيد مقام الردى
(وتصدق علينا) يعنى وتفضل علينا بما بين الثمن الجيد والردي ولا تنقصنا هذا قول أكثر المفسرين
قال ابن الانبارى وكان الذى سألونه من المساحة يشبه الصدقة وليس به واختلاف العلماء هل كانت
الصدقة حلالا لانياء قبل ديننا أم لا فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا لانياء قبل محمد
صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الآية وأنكر وجهه ورأى العلماء ذلك وقالوا ان حال الانبياء كلهم واحد فى
تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخضوع للمخلوقين والاختد منهم والصدقة أو ساء الناس فلا
تحل لهم لانهم مستغنون بالله عن سواه وأجيب عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه ان يجزيهم على
عادتهم من المساحة وايضا الكبيل ونحو ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة وحن الضيعة لا نفس
الصدقة وكره الحسن ومجاهد ان يقول الرجل فى دعائه اللهم تصدق علينا لان الصدقة لا تكون الا لمن
يتنقى الثواب وروى ان الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق على فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من
يتنقى الثواب قل اللهم اعطنى وتفضل على وقال ابن جرير والضحاك وتصدق علينا يعنى براد أخينا علينا
(ان الله يجزي المتصدقين) يعنى بالثواب الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيهم لانهم لم يعلموا أنه
مؤمن (قال) يعنى قال يوسف لاختوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) وقد اختلفوا فى السبب الذى من
أجله جل يوسف وهيبه على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لى انهم لما كلوه هذا الكلام أدركته رقة على
اختونه قباح بالذى كان يكتم وقيل انه أخرج لهم نسخة الكتاب الذى كتبوه ببيعته من مالك وفى آخره وكتبه

يهودا فلما قرؤا الكتاب اعترفوا بعصته وقالوا يا أيها الملك انه كان لنا عبد فبعناه منه فغاض ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة وأمر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقطعوا عنقهم قال يهوذا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا فكيف اذا اتاه الخبر بقتل بنيه كله ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعث بامتناعتنا الى أبينا فانه يمكن كذا وكذا فذلك حين أدركته الرقة عليهم والرجة فبكي وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب أبيه اليه لم يباله ان يبيكي وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه وهذا الاستفهام يقيد تعظيم أمر هذه الواقعة ومعناه ما أعظم ما ارتكبتم من أمر يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفريقه من أبيه وهذا كما يقال للمذنب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد بهذا نفس الاستفهام ولكنه أراد تفتيح الأمر وتعظيمه ويجوز أن يكون المعنى هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه من تسليم الله إليهما ما من المكروه واعلم ان هذه الآية تصديق لقوله تعالى وأوحينا اليه لتبئتهم بأمرهم هذاهم لا يشعرون فان قلت الذي فعله يوسف معلوم ظاهرا الذي فعلوه بأخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم يسعوا في حبسه ولا أرادوا ذلك قلت انهم لما فروا بينه وبين أخيه يوسف نغصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له لما اتهم باخذ الصواع مارأينا منك يا بني راحيل خيرا (اذ أنتم جاهلون) هذا يجري مجرى العذر لهم يعني انكم انما أقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين وهو وقت الصبي وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤول اليه أمر يوسف قوله عز وجل (قالوا أئنا لنات يوسف) قرئ على سبيل الاستفهام ووجه هذه القراءة قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه تبسم فرأوا ثيابا كاللؤلؤ تشبه ثياب يوسف فشبوه بيوسف فقالوا الاستفهام أئنا لنات يوسف وقرئ على الخبر ووجه ما قال ابن عباس أيضا في رواية أخرى عنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة وكان له عقوب مثلها ولا سحق مثلها واسارة مثلها فعرفوها وقالوا أنت يوسف وقيل قالوه على سبيل الترهيم ولم يعرفوه حتى (قال أنا يوسف) قال بعض العلماء انما أظهر الاسم في قوله أنا يوسف ولم يقل أنا هو تعظيما لما نزل به من ظلم اخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر والملك فكانه قال أنا يوسف المظالم الذي ظلمتموني وقصدتم قتلني بان ألقيتوني في الحب ثم بعتموني بأجس الاغان ثم صرت الى ماترون فكان تحت ظهور الاسم هذه المعاني كلها ولهذا قال (وهذا أخي) وهم يعرفونه لانه قصده أيضا وهذا أخي المظالم كما ظلمتموني ثم صرت أنا وهو الى ماترون وهو قوله (قدم الله علينا) بان جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخبر في الدنيا والآخرة وقيل من علينا بالسلامة في ديننا ودنيانا (انه من يتق ويصبر) يعني يتقى الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يتقى المعصية ويصبر على السجن وقيل يتقى الله باذنه ويصبر عما حرم الله (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني أجر من كان هذا حاله (قالوا) يعني قال اخوة يوسف معتذرين اليه مما صدر منهم في حقهم (ثانله قد آثر الله علينا) أي اختارك وفضلك علينا يقال آثرك الله ايثارا أي اختارك وبستهعار الاثر للفضل والابثار للفضيل والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال أبو صالح عنه بالصبر وقيل بالحلم والصفح علينا وقيل بالحسن وسائر الفضائل التي أعطاها الله عز وجل له دون اخوته وقيل فضله عليهم بالنسبة وأورد على هذا القول بان اخوته كانوا أنبياء أيضا فاقس له عليهم فضل في ذلك وأجيب عنه بأن يوسف فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان أفضل منهم بهذا الاعتبار لان من جعت له النبوة والرسالة كان أفضل من خص بالنبوة فقط (وان كنا خاطئين) يعني وما كنا في صنعنا بالانحطائين ولهذا اختير لفظ الخاطئ على الخطي والفرق بينهما ان الخاطئ خطأ اذا نهى مدوا خطأ اذا كان غير متعمد وقيل يجوز ان يكون أثر لفظ خاطئين على مخطئين لموافقة رؤس الآتي لان خاطئين أشبه بما قبلها (قال) يعني يوسف (لا تريب عليكم) يعني لا تعبير ولا تفرغ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لم اذانت

اذ أنتم جاهلون) لا تعلمون قبحه أو اذا أنتم في حد السفة والطيش وفعلهم بأخيه نعيمهم أيام الغم بافراده عن أخيه لابيته وأمه وايدأؤهم له بانواع الاذى (قالوا أئنا) بهم مرتين كوفي وشامى (لانت يوسف) اللام لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبر ان (قال أنا يوسف وهذا أخي) وانما ذكر أخاه وهم قد سألوه عن نفسه لانه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه (قدم الله علينا) بالالف بعد الفرفة وذكر نعمه الله بالسلامة والكرامة ولم يبدأ بالسلامة (انه من يتقى) الفحشاء (ويصبر) عن المعاصي وعلى الطاعة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أي أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتراكه على المتقين والصابرين وقيل من يتقى مولاه ويصبر على بلواه لا يضيع أجره في دنياه وعقباه (قالوا ثانله قد آثر الله علينا) اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن (وان كنا خاطئين) وان شأنا متعمدين لا نثم لم تتق ولم نصبر لا جرم ان الله أعزك بالملك وأذلنا بالتسكن بين يديك (قال لا تريب عليكم) لا تعبير عليكم

(اليوم) متعلق بالتثريب أو يغفر والمعنى لا أثر لكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فساظنكم بغيره من الأيام ثم ابتدأ فقال (يغفر الله لكم) فداهاهم بغفره ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر لك على لفظ الماضي والمضارع أو اليوم يغفر الله لكم بشارته بما جمل غفران الله وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضا من باب السكينة يوم الفتح فقال لغريش ما زروني فاعلا بكم قالوا لئن خير أخ كريم ابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروى أن (٤٣) أباسفيان لما جاءه يسلم قال له العباس إذا أتيت رسول الله فأنال عليه قال

رسول الله فأنال عليه قال لا تثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولئن علمت بربى أن اخوتك لما عرفوه أرسلوا اليه انك قد عونا إلى طهارة بكرة وعشيان نحن نستحي منك لما فرط منا فبك فقال يوسف أن أهل مصر وان ملكك فيهم فأنهم ينظرون إلى بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبد ابيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس أنى من حفدة إبراهيم (وهو أرحم الراحمين) أى إذا رحمتكم وأنا الفقير القصور فساظنكم بالغنى الغفور ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا أنه عمى من كثرة البكاء قال (اذهبوا بقميصي هذا) قيل هو القميص المتوارث الذي كان في نهد يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله إليه فان فيه ربح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفى فألقوه على وجهه أى يأت بصيرا) بصر

أمة أحدكم فليجداها الحد ولا يوجها ولا يثرب أى لا يغيرها بالزنا بعد إقامة الحد عليهم ارفى محل قوله (اليوم) قولان أحدهما انه يرجع إلى ما قبله فيكون التقدير لا تثريب عليكم اليوم والمعنى أن هذا اليوم هو يوم التثريب والتفريع والتوبيخ والنا لا أقرعكم اليوم ولا أوجحكم ولا أثرب عليكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم اليوم ويبدأ بقوله (يغفر الله لكم) والقول الثانى أن اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم فلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم ويبدأ باليوم يغفر الله لكم كأنه لما نفي عنهم التوبيخ والتقريع بقوله لا تثريب عليكم بشرهم بقوله اليوم يغفر الله لكم (وهو أرحم الراحمين) ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن حال أبيه فقال ما حال أبى بعدى قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عاكف فأعطاهم قميصه وقال (اذهبوا بقميصي هذا) قال الضحالك كان هذا القميص من نسج الجنة وقال مجاهد أمره جبريل أن يرسل إليه قميصه وكان ذلك القميص قميص إبراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه وألقى في النار عريانا أتاه جبريل بقميص من حر الجنة فالبسه إياه فكان ذلك القميص عند إبراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قصبه من فضة وسد رأسا وجعلها في عنق يوسف كالنعل أو يذم لما كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفارقه فلما أتى يوسف في البئر عريانا أتاه جبريل وأخرج له ذلك القميص وألبسه إياه فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل فأمره أن يرسل هذا القميص إلى أبيه لان فيه ربح الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفى في الوقت فدفع ذلك القميص يوسف إلى اخوته وقال اذهبوا بقميصي هذا (فألقوه على وجهه أى يأت بصيرا) قال المحققون ان علم يوسف ان القميص ان القميص على وجهه يعقوب يوجب رد البصر كان يوحى الله إليه ذلك ويمكن أن يقال ان يوسف لما علم أن أباه قد عمى من كثرة البكاء عليه وضيق الصدر بعث إليه قميصه ليجد راحة فيزول بكاءه ويشرح صدره ويفرح قلبه فعند ذلك يزول الضيق ويقوى البصر فهذا القدر يمكن معرفته من جهة العقل وقوله (وأوتى بأهلكم أجمعين) قال الكلبي كانوا نحو من سبعين أنسا نا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين مابين رجل وامرأة (ولما فصلت العير) أى خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين إلى أرض كنعان (قال أبوهم) أى قال يعقوب لولد ولده (أنى لا جد ربح يوسف) قيل ان ربح العصابة استأذنت ربه فى أن تأتى يعقوب بربح يوسف قبل أن يأت به البشير وقال مجاهد أصابت يعقوب ربح يوسف من مسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهم غمافون فرسحا وقيل هبت ربح فاحتلت ربح القميص إلى يعقوب فوجد يعقوب ربح الجنة فعلم أنه ليس فى الأرض من ربح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فعلم بذلك انه من ربح يوسف فلذلك قال انى لا جد ربح يوسف (لولا أن تفندون) أصل التفنيد من الفند وهو ضعف الرأى وقال ابن التبارى أفند الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك إليه وقال الاصمعى اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو الفندي والفندي يكون المعنى لولا أن تفندونى أى تنسبونى إلى الخرف وقيل تسفهونى وقيل تلومونى وقيل تجهلونى وهو قول ابن عباس وقال الضحاك ثم روى قتلون شيخ كبير قد خرف وذبح عقله (قالوا) أى أولاد أولاد يعقوب وأهله الذين عنده لان أولاده اصله كانوا

بصير يقول جاء البناء محكما أى صار أو يأت إلى وهو بصير قال هوذا أنا جمل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء وقيل جسده وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسحا (وأوتى بأهلكم أجمعين) لينعموا بأنا ملكى كما اغتوا بأخبار ملكى (ولما فصلت العير) خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه (قال أبوهم) لولد ولده ومن حوله من قومه (أنى لا جد ربح يوسف) اوجده الله ربح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيام (لولا أن تفندون) التفنيد النسبة إلى الفند وهو الخزن وانكار العقل من هزم يقال شيخ مفند والمعنى لولا تفنديكم أبى لصدقتمونى (قالوا) أى أسباطه

(تالله انك لاني ضلالك القديم) لني ذهابك عن الصواب قد بما في افراط محبتك لي يوسف اوفى خطبك القديم من حب يوسف وكان عندهم انه قد مات (فلما ان جاء البشير) أي هوذا (القاء على وجهه) طرح البشير القميص على وجهه يعقوب أو القاء يعقوب (فارتد) فرجع (بصيرا) يقال رده فارتد وارتده اذا (٤٤) ارتجعه (قال ألم أقل لكم) يعني قوله اني لا جدريح يوسف اوقوله ولا تبا سوا من روح

خائبين عنه (تالله انك لاني ضلالك القديم) يعني من ذكر يوسف ولا تأساه لانه كان عندهم ان يوسف كان قد مات وهلك ويرون ان يعقوب قد اهلج بذكره فلذلك قالوا تالله انك لاني ضلالك القديم يعني من ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب (فلما ان جاء البشير) وهو المبشر بخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدي العير قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنهم هو هو ذا قال السدي قال هو ذا انا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب واخبرته ان يوسف أكله الذئب فانا اذهب اليوم بالقميص واخبره انه حي فافرحه كما اخبرته قال ابن عباس حمله هو ذا وخرج به حافيا حاسرا بعدد ومعه سبعة أرغفة فلم يستوف أكله حتى أتى أباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا (القاء على وجهه) يعني قالني البشير قميص يوسف على وجه يعقوب (فارتد بصيرا) يعني فرجع بصيرا بعد ما كان قد عمى وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن (قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون) يعني من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الاسن تحت النعمة (قالوا يا أبانا) استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين (أي سئل الله مغفرة ما ارتكبنا في حقك) وحق ابنك انا تبنا واعترفنا بخطايانا (قال سوف استغفر انكم ربي) قال أكثر المفسرين ان يعقوب آخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه أشرف الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل من داع فاستجب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي جرحي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما اتوا الى أخيه يوسف فأوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم أجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه أخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانما أشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة الجمعة ثيفا وعشرين سنة وقال طاووس أخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبي سوف استغفر لكم ربي قال حتى أسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربي (انه هو الغفور) يعني للذنوب عباده (الرحيم) يجمع بين خلقه قال عطاء الخراساني طلب الخواص الى الشباب أسهل منه الى الشيخوخة ألا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تريب عليكم الآية وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربي قال أصحاب الاخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخوته الى أبيه ما تقي راحلة وجهازا كثيرا ليا توفيه بعبقوب وجميع أهله الى مصر فلما أتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع أهله وهم يومئذ ثمان وسبعون مابين رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كام يوسف الملك الأكبر يعني ملك مصر وعرفه بمجيء أبيه وأهله فخرج يوسف ومعه الملك في أربعة آلاف من الجنود وركب أهل مصر معهم يلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يدايه هو ذا فلما نظر الى الخيل والناس قال يا هؤلاء افرعون مصر قال لابل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف ان يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل لاحت يداي يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاخران وقيل انهم ما نزلوا ومانقا فعلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكا وقيل ان يوسف قال لايه يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجتمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك فلذلك قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) يعني ضم اليه (ابويه) قال أكثر المفسرين هو

الله وقوله (انني أعلم من الله ما لا تعلمون) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله انما أشكوك بشي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروى انه سأل البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الاسن تحت النعمة (قالوا يا أبانا) استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين (أي سئل الله مغفرة ما ارتكبنا في حقك) وحق ابنك انا تبنا واعترفنا بخطايانا (قال سوف استغفر انكم ربي) قال أكثر المفسرين ان يعقوب آخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه أشرف الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل من داع فاستجب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي جرحي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما اتوا الى أخيه يوسف فأوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم أجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه أخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانما أشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة الجمعة ثيفا وعشرين سنة وقال طاووس أخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبي سوف استغفر لكم ربي قال حتى أسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربي (انه هو الغفور) يعني للذنوب عباده (الرحيم) يجمع بين خلقه قال عطاء الخراساني طلب الخواص الى الشباب أسهل منه الى الشيخوخة ألا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تريب عليكم الآية وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربي قال أصحاب الاخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخوته الى أبيه ما تقي راحلة وجهازا كثيرا ليا توفيه بعبقوب وجميع أهله الى مصر فلما أتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع أهله وهم يومئذ ثمان وسبعون مابين رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كام يوسف الملك الأكبر يعني ملك مصر وعرفه بمجيء أبيه وأهله فخرج يوسف ومعه الملك في أربعة آلاف من الجنود وركب أهل مصر معهم يلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يدايه هو ذا فلما نظر الى الخيل والناس قال يا هؤلاء افرعون مصر قال لابل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف ان يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل لاحت يداي يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاخران وقيل انهم ما نزلوا ومانقا فعلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكا وقيل ان يوسف قال لايه يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجتمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك فلذلك قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) يعني ضم اليه (ابويه) قال أكثر المفسرين هو

البه) ضم اليه (ابويه) واعتنقهما قبل كانت امه باقية وقيل ماتت وترتج ابوه حالته والحالة ام كان المم اب ومنه قوله واله أبا نك ابراهيم واسماعيل واسحق ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر انه حين استقبلهم ازلهم في مضرب خيمة او قصر كان له ثمة فدخلو عليه وضم اليه ابويه.

(وقال) لهم بعد ذلك (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) من ملوكها وكانوا (٤٥) لا يدخلونها الا بحوار ومن العظمى وروى

انه لما قبض عليه قال يعقوب عليه السلام السلام عليكم يا مذهب الاحزان وقال له يوسف يا ابي بكيت على حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيسية نجمة منا قال بلى ولكن خشيت ان يلبس دينك فيجعل بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون مائة رجل ونساء وخرجوا منها مع موسى ومقاتلهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرى وكانت الذرية الف الف ومائة الف (ورفع ابيه على العرش وخر والى سجدا) قيل لما دخلوا مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريرته واجتمعوا اليه اكرم ابيه فرفعوهما على السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر والاوين سجدا وكانت السجدة عندهم جارية مجرى التوبة والتكريمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وقال الزجاج سنة التعظيم في ذلك الوقت ان يسجد لله عظم وقيل ما كانت الا لاختفاء دون تعظيم الجباه وخرورهم سجدا يا ابا وقيل وخر والى سجدا يوسف سجدا لله شكرا وفيه نبوة ايضا واختص في استنبأهم

ابوه يعقوب وخالته ليا وكانت امه قد ماتت في نفس بنيا من وقال الحسن هذا ابوه وامه وكانت حبة بعد وقبل ان الله احياها ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوسف فتقبلها وقالوا (وقال ادخلوا مصر) قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف ارض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعني البلد وقيل انه اراد بالدخول الاول دخولهم مصر واراد بالدخول الثاني الاستيطان بها أي ادخلوا مصر مستوطنين فيها (ان شاء الله آمنين) قيل ان هذا الاستثناء عائد الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء يرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف استغفر لكم ربى ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يحافون من ملوك مصر فلا يدخلها احدا الا بحوارهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهلكم ان شاء الله فلي هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانما ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه انه لاحق بهم (ورفع ابيه على العرش) يعني على السرير الذي كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى العلو (وخر والى سجدا) يعني يعقوب وخالته ليا واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة على الارض على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف عليه السلام ان يسجد له ابوه وهو اكبر منه وأعلى منصفه في النبوة والشيخوخة قلت يحتمل ان الله تعالى أمره بذلك لتحقيق رؤياه ثم في معنى هذا السجود قولان أحدهما انه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثاني انه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الارض وهو مشكلى لان السجود على هذه الصورة لا ينبغي ان يكون الا لله تعالى وأجيب عن هذا الاشكال بان السجود كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له واغما كان يوسف كالمقبل كما سجد الملائكة لآدم وبذل على صحة هذا التأويل قوله ورفع ابيه على العرش وخر والى سجدا وظاهر هذا يدل على انهم لما سعدوا على السرير وخر وسجد الله تعالى ولو كان ليوسف لما كان قبل الصعود لان ذلك أبلغ في التواضع فان قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله رأيتهم لي ساجدين وقوله وخر والى سجدا فان الضمير يرجع الى أقرب المذكرات وهو يوسف عليه الصلاة والسلام قلت يحتمل ان يكون المعنى وخر والله سجدا لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل يحتمل ان الله أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهي ان اخوة يوسف ربما احتلمهم الانفة والتكبر عن السجود ليوسف فلما رأوا ان أباهم قد سجد له ومجدوا له أيضا فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك جائزا في ذلك الزمان فلما جاء الاسلام نسخت هذه الفعلة والله أعلم بمراده وأمر اركابه (وقال) يعني وقال يوسف عند ما رأى ذلك (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) يعني هذا تصديق الرؤيا التي رأيت في حال الصغر (قد جعلها ربي حقا) يعني في البقعة واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها فقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد أربعون سنة وقال أبو صالح عن ابن عباس اثنتان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبيرة وعكرمة والسدي ست وثلاثون سنة وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله بن سواد سبعون سنة وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حكى هذه الأقوال كلها ابن الجوزي وزاد غيره عن الحسن ان يوسف كان عمره حين أتى في الحب سبع عشرة سنة وأقام في العبودية والسجن والمالك مائة ثمانين سنة وأقام مع أبيه واخوته وأقاربه مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله وهو ابن مائة وعشرين سنة وقوله (وقد أحسن بي) يعني أنعم علي يقال أحسن بي وإلى معني واحد (إذا أخرجني من السجن) اغما ذكر انعام الله عليه في اخراجه من السجن وان كان الحب أصعب منه استعمالا للادب والكرم لئلا يحجل اخوته بعد ان قال لهم لا تريب عليكم اليوم ولان

(وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا) أي صادقة وكان بين الرؤيا وبين التأويل أربعون سنة أو ثمانون أو ست وثلاثون أو ثمان وعشرون (وقد أحسن بي) يقال أحسن اليه وبه وكذلك أساء اليه وبه (إذا أخرجني من السجن) ولم يذكر

الحب لقوله لا تثرب عليكم اليوم (وجاءكم من البدو) من البداية لانهم كانوا أصحاب مواش ينتقلون في المياه والماشاجع (من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين اخوتي) أي أفسد بيننا وأغرى (ان ربي لطيف لما يشاء) أي لطيف التدبير (انه هو العليم الحكيم) بتأخير الآمال الى الآجال أو حكام بالانقلاب بعد الاختلاف (رب قد آتيتني من الملك) ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا ومن فهم الله بعض اذ لم يؤت الا بعض ملك الدنيا وبعض التأويل (فاطر السموات والارض) انتصابه على السدا (انت ولي في الدنيا والاخرة) أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الافاق بالملك الباقي (توفقي مسلما) طاب الوفاة على حال الاسلام كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا واثم مسلمون وعن الصادق مخلصا وعن التستري مسلما اليك أمري وفي عصمة الانبياء اغادها ب يوسف لبقته ب قومهم ومن بعدهم من ائمة عاقلون العاقبة لان ظواهر الانبياء لنظر الامم اليهم

نعمة الله عليه في اخراجه من السجن كانت أعظم من اخراجه من الحب وسبب ذلك ان خروجه من الحب كان سببا لحصوله في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصوله الى الملك وقيل ان دخوله الحب كان لحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه وكان ذلك من أعظم نعمه عليه (وجاءكم من البدو) يعني من البداية وأصل البدو هو البسيط من الارض يبدو الشخص فيه من بعد يعني يظهر البدو خلاف الحضرة والبادية بخلاف الحضرة وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية فسكنوا البادية (من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين اخوتي) يعني أفسد ما بيننا بسبب الحسد وأصل النزغ دخول في أمر لا فساد واستدل بهذه الآية من يرى بطلان الخبر من المبتدعة قالوا لان يوسف أضاف الاحسان الى الله وأضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كافي الاحسان والنعمة والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على سبيل المجاز وان كان ظاهرا للفظ يقتضي اضافة الفعل الى الشيطان لاعلى الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى في الحقيقة قل لو كان فيها آلهة الا الله لفسدت ما قبلت بذلك ان الكل من عند الله وبفضائه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بابقاء الوسوسة والتخريش لافساد ذات الدين وذلك باقدار الله اياه على ذلك (ان ربي لطيف لما يشاء) يعني انه تعالى ذو لطف عالم بدقائق الامور وخفياتها قال صاحب المفردات وقد يعبر باللفظ عما تدركه الحاسة ويصح ان يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وان يكون لمعرفته بدقائق الامور وان يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما يشاء أي حسن الاستخراج تبيينه على ما وصل الى يوسف حيث ألقاه اخوته في الحب وقيل ان اجتماع يوسف بأبيه واخوته بعد طول الفقرة وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيب النفس وسددة المحبة كان من لطف الله بهم حيث جعل ذلك كله لان الله تعالى اذا اراد أمرا هيبا أسبابه (انه هو العليم) يعني بمصالح عبادهم (الحكيم) في جميع أفعاله قال أصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام عند يوسف بمصر أربعين سنة وعشرين من سنة في أهناء عيش وأنعيم بال وأحسن حال فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند قبر أبيه اسحق في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه الصلاة والسلام بمصر فعل يوسف ما أمر به أبوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص أخي يعقوب وكان قد ولد في بطن واحد فدفن في قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبع وأربعين سنة فلما دفن يوسف أباه وعمره رجع الى مصر قالوا لما جمع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام بأبيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زائل سريع الفناء لا يدوم فسأل الله حسن العاقبة والخاتمة الصالحة فقال (رب) أي يارب (قد آتيتني من الملك) يعني من ملك مصر ومن هنا للتعريض لانه لم يؤت ملك مصر كله بل كان فوقه ملك آخر والملك عبارة عن الاتساع في المقدور لمن له السياسة والتدبير (وعلمتني من تأويل الاحاديث) يعني تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) يعني خالقهم ومبدعهم ما على غير مثال سبق وأصل الفطر الشق يقال فطر ناب البهير اذا شق وظهر وفطر الله الخلق أوجده وأبدعه (انت ولي) يعني معني ومتولى أمري (في الدنيا والاخرة توفقي مسلما) أي اقضني اليك مسلمات واختلقوا اهل هو طاب الوفاة في الحال أم لا على قولين أحدهما انه سأل الله الوفاة في الحال قال قتادة لم يسأل نبي من الانبياء الموت الا يوسف قال أصحاب هذا القول وانه لم يأت عليه أسبوع حتى توفى والقول الثاني انه سأل الوفاة على الاسلام ولم يقن الموت في الحال قال الحسن انه عاش بعد هذه سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الآية توفقي اذا توفقتي على الاسلام فهو طاب لان يحمله الله وفاته على الاسلام وليس في اللفظ ما يدل على انه طاب الوفاة في الحال قال بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل أن يتقن الموت لعله ان الدنيا ولذاتها ممر زائلة سريعا الذهاب وان نعيم

(والخفي بالصالحين) من آباء أو على العموم روى ان يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى أدخله خزانه القراطيس قال يابني ما أعفك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي علي غناية من اجل فقال أمرني جبريل قال أو ما سأله قال أنت أبسط اليه مني فاسأله فقال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب فهلاخفتني وروى ان يعقوب أقام معه أربعاً وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام (٤٧) الى جنب أبيه اسحق فحضر بنفسه ودفنه معه ثم

عاد الى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة فلما ثم أمره طلبت نفسه الملك الدائم فمضى الى الموت وقيل مات عامه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طبيباً طاهرًا فخاضعهم أهل مصر ونشأوا في دفنه كل يحب أن يدفن في محبتهم حتى هموا بالقتال فراءوا ان يعالوا به صدوقاً من مصر وجعلوه فيه ودفنوه في النبل فكان عمر عليه الماء ثم بعد ذلك إلى مصر ليكنوا كلهم فيه شعراً حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربعين سنة تاجوته الى بيت المقدس وولده افرائيم وميشا وولد لافرائيم فون واذون وبوش فمضى موسى ولقد توارثت القراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على بني ياد بن يوسف وآبائه (ذلك) اشارة الى ما سبق من بني يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من آباء الغيب فوجيه البك) خبر ان (وما كنت لديهم) الذي بني يعقوب

الاخرة باق دائماً لانفادله ولا زوال ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لم لا يقن أحدكم الموت لضر نزل به فان غنى الموت عند وجود الضر ونزول السلام مكر وهو الصبر عليه أولى وقوله (والخفي بالصالحين) أراد به بدرجة آباءه وهم ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام قال علماء التاريخ عاش يوسف مائة وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشرين سنة ولد يوسف من امرأة العزيز ثلاثة أولاد افرائيم وميشا ورجة امرأة أيوب وقيل عاش بعده أربعين سنة وقيل أكثر ولما مات يوسف عليه الصلاة والسلام دفنوه في النبل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل أهل محبة ان يدفن في محبتهم رجاء بركته حتى هموا ان يقتتلوا ثم رأوا ان يدفنوه في النبل بحيث يجري الماء عليه ويتفرق عنه وتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النبل فاخصب ذلك الجانب وأجذب الجانب الاخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب وأجذب الجانب الايمن فدفنوه في وسط النبل وقدره بسلسلة فاخصب الجانبان فبقي الى ان أخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وحمله معه حتى دفنه بقرب آباءه بالشام في الارض المقدسة قوله عز وجل (ذلك) يعني الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع اخوته ثم انه صار الى الملك بعد الرق (من آباء الغيب) يعني اخبار الغيب (فوجيه البك) يعني الذي اخبرناك به من اخبار يوسف وحى أو حينئذ النبى يا محمد وفي هذه الاية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلاً آمناً بقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر الى بلاد آخر غير بلده الذي نشأ فيه صلى الله عليه وسلم وأنه نشأ بين أمة أمية مثله ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وأبين معان وأفصح عبارة فعلم بذلك ان الذي أتى به هو وحى الهى وفوقه منى مما هو بهجرة لقائمة الى آخر الدهر وقوله تعالى (وما كنت لديهم) يعني وما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب (اذ أجعوا أمرهم) يعني حين عزمو على القاء يوسف عليه الصلاة والسلام في الحب (وهم يكفرون) يعني يوسف (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) الخطاب للذين صلى الله عليه وسلم والمعنى وما أكثر الناس يا محمد ولو حرصت على إيمانهم بمؤمنين وذلك ان اليهود وقرشاً والوارضول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما أخبرهم بها على وفق ما عندهم في التوراة لم يسلوا فخرن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فقيل له انهم لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم ففقيه تسليمه له (وما تسألهم عليه من أجر) يعني على تبليغ الرسالة والدعاء الى الله من أجر يعني أجر اوجعلا على ذلك (ان هو) أى ما هو يعني القرآن (الاذكر) يعني عظة وتذكيراً (للعالمين وكأين من آية) يعني وكما من آية دالة على التوحيد (في السموات والارض عجرون عليها) يعني لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وهم عنها معرضون) أى لا يلتفتون اليها والمعنى ليس اعراضهم عن هذه الآيات الظاهرة الدالة على وحدانية الله تعالى بأعجب من اعراضهم عندك يا محمد (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) يعني ان من إيمانهم أنهم اذا سألوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل

(اذ أجعوا أمرهم) عزمو على ما هو به من القاء يوسف في البئر (وهم يكفرون) يوسف ويعقوب ويعقوبون له القوال والمعنى ان هذا الباء غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحى لانك لم تحضر بني يعقوب حين انفقوا على القاء أخيهم في البئر (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) أراد العموم أو أهل مكة أى وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على إيمانهم (وما تسألهم عليه) على التبليغ أو على القرآن (من أجر) جعل (ان هو الا ذكر) ما هو الا عظة (للعالمين) وحث على طلب النجاة على لسان رسول الله من رسله (وكأين من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (في السموات والارض عجرون عليها) على الآيات أو على الارض وشاهدونها (وهم عنها) عن الآيات (معرضون) لا يعتبرون بها والمراد ما يرون من آثار الامم الكافكة وغير ذلك من العبر (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أى

ما يقوله القدرية من اثبات
قدرة الخلق للعبد
والتوحيد الخاضع لما يقوله
أهل السنة وهو أنه لا خالق
إلا الله (أفأمناواتناهم
غاشية من عذاب الله) يعني عقوبة مجحلة تسعهم وقال مجاهد عذاب بغشاهم وقال قتادة وقية ع
الضحاك يعني الصواعق والقوارع (أوتأنيهم الساعة بغشة) يعني فجأة (وههم لا يشعرون) يعني
بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم في أسواقهم (قل) أي قل يا محمد هؤلاء المشركين (هذه
سبيلى) يعني طريقى التى (أدعو) إليها وهى توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وسبى الدين سبى لانه
الطريق المؤدى الى الله عز وجل وإلى الثواب والجنة (إلى الله) يعني إلى توحيد الله والاعيان به (على
بصيرة) يعني على يقين ومعرفة والبصيرة هى المعرفة التى يميز بها بين الحق والباطل (أنا ومن اتبعنى) يعني
من آمن بى وصدق بما جئت به أيضا يدعوا إلى الله وهذا قول النكلى وابن زيد قال حق على من أتبعه وآمن
به أن يدعوا إلى ما دعا إليه ويذكروا القرآن وقيل تم الكلام عند قوله أدعوا إلى الله ثم استأنف على بصيرة أنا
ومن اتبعنى يعني أنا على بصيرة ومن اتبعنى أيضا على بصيرة قال ابن عباس أن محمدا صلى الله عليه وسلم
وأصحابه كانوا على أحسن طريقة وأفضل هداية وهم معدن العلم وكنز الايمان وحنس الرحمن وقال ابن
مسعود ومن كان مستأفلا ليس من عن قدماء أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الأمة
وأرأها قلوبا وأعظمها علما وأقلاها تكلفا قوم اختارهم الله للحجة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه
فتشبهوا بأخلاقهم وطريقهم فهو هؤلاء كانوا على الصراط المستقيم وقوله (وسبحان الله) أى وقل سبحان
الله يعني تنزه الله عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقائص والشركاء والاضداد والانداد (وما أمان
المشركين) يعني وقل يا محمد وما أنا من المشركين الذين أشركوا بالله غيره قوله عز وجل (وما أرسلنا من
قبلك إلا رجالا) يعني وما أرسلنا قبلك يا محمد إلا رجالا مثلك ولم يكونوا ملائكة (فوحى إليهم) هذا جواب
لأهل مكة حيث قالوا لا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من إرسالنا إليك يا محمد وسأترسل الذين
كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كمالك (من أهل القرى) يعني أنهم من أهل الأمصار والمدن لا من أهل
البوادي لأن أهل الأمصار أفضل وأعلم وأكمل عقلا من أهل البوادي قال الحسن لم يبعث نبي من بعد
ولامن الجن ولا من النساء وقيل انما لم يبعث الله نبيا من البادية أعظمهم جفافهم (أفلم يسيروا فى الأرض)
يعنى هؤلاء المشركين المكذبين (فيستظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعني كانت عاقبتهم الهلاك لما
كذبوا أرسلنا قلوبا غير هؤلاء منهم وما حل بهم من عذابنا (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) يعني فعلنا هذا
بأوليائنا وأهل طاعتنا إذا تخيبتناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما فى الدار والآخرة خير لهم يعني
الجنة لأنها خير من الدنيا وانما أضاف الدار إلى الآخرة وان كانت هى الآخرة لأن العرب تضيف
الشيء إلى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه (أفلا يعقلون) يعني يتفكرون ويعتبرون بهم
فيؤمنون قوله عز وجل (حتى إذا استأيسر الرسل) قال صاحب الكشف حتى متعلقة بمعدن دل
عليه الكلام كانه قيل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فوحى إليهم فترأى نصرهم حتى إذا استأيسر الرسل
عن النصر وقال الواحدى حتى هنا حرف من حروف الابتداء يستأنف بعدها والمعنى حتى إذا استأيسر
الرسل من ايمان قومهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرأ أهل الكوفة وهم عاصم وحجرة والنكسائى كذبوا

ما يقوله القدرية من اثبات
قدرة الخلق للعبد
والتوحيد المحض ما يقوله
أهل السنة وهو أنه لا خالق
إلا الله (أفأمنوا أن تأتيهم
فاحشة) عقوبة تغضبهم
وتسملهم (من عذاب الله
أو تأتيهم الساعة) القيامة
(بغتة) حال أي فجأة (وهم
لا يشعرون) بآياتها (قل
هذه سبيلي) هذه السبيل
التي هي الدعوة إلى الإيمان
والتوحيد سبيلي والسبيل
والطريق يذكّر أن
ويؤنّس ثم قدس سبيله
بقوله (أدعو إلى الله على
بصيرة) أي أدعو إلى دينه
مع حجة واضحة غير عياء
(أنا) أنا كيد للممتدّ
أدعو (ومن اتبعني) عطف
عليه أي أدعو إلى سبيل الله
أنا وأيدعوا إليه من اتبعني
أو أنا مبتدأ وعلى بصيرة
خبر مقدم ومن اتبعني عطف
على أنا يخبر ابتداء بأنه ومن
اتبعه على حجة وبرهان
لا على هوى (وسبحان الله)
وأزّجه عن الشركاء (وما
أنا من المشركين) مع الله
غديره (وما أرسلنا من
قبلك إلا رجالاً) ملائكة
لأنهم كانوا يقولون لو شاء
ربنا لأنزل ملائكة أو ليست
فيهم امرأة (فوحى) بالنون

حفص (اليهم من أهل القرى) لانهم اعلم وأعلم وأهل البوادي فيهم الجهل والجهلاء (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الساعة الآخرة) أي ولدار الساعة الآخرة (خير للذين اتقوا) الشرك وأمنوا به (أفلا تعقلون) وبالياء مكى وأبو عمرو وخوة وعلى (حتى إذا استأس الرسول) يؤسوا من إيمان القوم (وظنوا أنهم قد كذبوا) وأيقن الرسول ان قومهم كذبوه وبالتعريف

بالتخفيف ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدى ان معناه ظن الامم ان الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم
 به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبيرة ومجاهد
 وقال أهل المعاني كذبوا من قولهم كذبوا الحديث أى لم أصدقوا منه قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله
 ورسوله قال أبو علي والضمير في قوله وظنوا على هذه القراءة للمرسل اليهم والتقدير وظن المرسل اليهم ان
 الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم
 يؤمنوا بهم حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من أمهال الله اياهم ولا يمنع حمل الضمير في
 وظنوا على المرسل اليهم وان لم تقدم له ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شئت
 قلت ان ذكرهم جرى في قوله أفلم يبرأ في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أى مكذبي
 الرسل والظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ما روى عن ابن عباس انه قال حتى اذا استبأس
 الرسل من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم
 وقبل معناه وثيقن الرسل انهم قد كذبوا في وعد قومهم اياهم الايمان أى وعدوا ان يؤمنوا ثم لم يؤمنوا
 وقال صاحب الكشف وظنوا انهم قد كذبوا أى كذبته انفسهم حتى حدثتهم بانهم لا ينصرون أو رجأوهم
 كفوا لهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله تعالى
 وتأمله قد انطأرت عليهم وقمادت حتى استشعر القنوط ونوهوا أن لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرا
 فجاءهم من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين صدقوا وغلبوا انهم قد أخلفوا ما وعدهم الله به من
 النصر قال وكافوا بشرارته لاقوله وذلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال صاحب
 الكشف فان صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يحظر بالبال ويهيج في القلب من شبهة
 الوسوسة وحديث النفس على ما عليه الطبيعة البشرية وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على
 الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسول الله الذين هم أعرف الناس بهم وأنه منهال عن
 خلف الميعاد وخفى الواحدى عن ابن الانبارى انه قال هذا غير معقول عليه من جهتين احدهما ان
 التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من متأول تأوله عليه والاخرى ان قوله جاءهم نصر نادال على ان أهل
 الكفر ظنوا ما لا يجوز منه واستضعفوا رسل الله ونصر الله للرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم
 خطأ عظيما ولا يستحقون ظفرا ولا نصرا وتبرئة الانبياء وتطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا
 وقرأ الباقر وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وظنوا انهم قد كذبوا بالشديد ووجه ظاهر وهو ان
 معناه حتى اذا استبأس الرسل من ايمان قومهم وظنوا بعنى وأيقنوا بعنى الرسل ان الامم قد كذبوهم
 تكذيبا لا يرجي بعده ايمانهم فالظن بعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استبأس
 الرسل ممن كذبهم من قومهم ان يصدقوهم وظنوا أن من قد آمن بهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا عن
 دينهم اشد المنة والبلاء واستبطوا النصر آتاهم النصر وعلى هذا القول الظن بعنى الحسبان والتكذيب
 مظنون من جهة من آمن بهم بعنى وظنوا بالرسل ظن حسبان ان ربه قد كذبهم في وعد الظفر والنصر
 لا بباطنه وتأخر عنهم وطول البلاء بهم لانهم كذبوهم في كونهم رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل
 من اتباعهم المؤمنين لانه لو حصل لكان نوع كفر وانكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطل النصر وعلى هذا القول
 الظن بعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار وعلى القولين جميعا الكناية في وظنوا للرسل
 (ج) عن مروية ابن الزبير انه سأل عائشة عن قوله تعالى حتى اذا استبأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا أو
 كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عروة
 أجل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا فقالت هاذا الله لم تكن الرسل ظن ذلك برهم اقلت فما هذه
 الآية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا برهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخروهم النصر حتى

كوفي أى وظن المرسل
 اليهم ان الرسل قد كذبوا
 أى أخلفوا أو وظن المرسل
 اليهم انهم كذبوا من جهة
 الرسل أى كذبته الرسل
 في انهم ينصرون عليهم
 ولم يصدقوهم فيه

(جاءهم نصرنا) للأنبياء والمؤمنين بهم بخافة من غير احتساب (فنجى) بنون واحدة وتشديد الجيم وقع اليأس على رءوسهم على لفظ الماضي المبني للمفروق والفاعل من الباقي فنجى (من نشاء) أى النجى ومن آمن به (ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) الكافرين (لقد كان في قصصهم) أى (٥٠) في قصص الأنبياء وأممهم أوفى قصة يوسف وأخوته (عبرة لا ولي الأبواب) حيث نقل من غابة

الحلب إلى غيابة الحب ومن الحصار إلى السرير فصارت عاقبة الصبر سلامة وكرامة ونهاية المكر وخامة وندامة (ما كان حديثنا يفترى) ما كان القرآن حديثنا مفعلة تترى كإزعم الكفار (ولكن تصديق الذي بين يديه) ولكن تصديق الكتب التي تقدمته (وتفصيل كل شيء) يحتاج إليه في الدين لأنه القانون الذي تستند إليه السنة والاجماع والقياس (وهدى) من الضلال (ورجعه) من العذاب (لقوم يؤمنون) بالله وأنبيائه وما نصب بهد لكن معطوف على خبر كان * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علما أرفأكم سورة يوسف فأيا عبد تلاها وعلها أهله وما ملكك عينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما قال الشيخ أبو منصور رحمه الله في ذكر قصة يوسف عليه السلام وأخوته تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى قريش كأنه يقول ان أخوة يوسف مع موافقتهم إياه في الدين ومع الأخوة

إذا استبأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا أن أتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وفي رواية عبد الله بن عبد الله بن أبي مليكة قال قال ابن عباس حتى إذا استبأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا خفيصة قال ذهب لها هائل ولا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا أن نصر الله قريب قال فلقيت عروة بن الزبير وكنت ذلك له فقال قالت عائشة معاذ الله والله ما وعد الله رسوله من شيء قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت ولكن لم يرزل البلاء بالرسول حتى خافوا أن يكون معهم من قومهم من يكذبوهم فكانت تقرؤها وظنوا أنهم قد كذبوا مفعلة وقوله تعالى (جاءهم نصرنا) يعنى جاء نصر الله النبيين (فنجى من نشاء) من عبادنا يعنى عند نزول العذاب بالكافرين فنجى المؤمنين المطيعين (ولا يرد بأسنا) يعنى عذابنا (عن القوم المجرمين) يعنى المشركين وقوله تعالى (لقد كان في قصصهم) يعنى في خبر يوسف وأخوته (عبرة) أى موعظة (لأولي الأبواب) يعنى يعظيها أولو الأبواب والعقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التي يتوصل بها الإنسان من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد والمراد منه التأمل والتفكير ووجه الاعتبار بهذه القصة أن الذي قدر على إخراج يوسف من الحب بعد لقائه فيه وإخراجه من السجن وتمليكهم مصر بعد العبودية وجمع شمله بآبيه وأخوته بعد المدة الطويلة واليأس من الاحتجاج لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم وأعلاء كلمته وإظهار دينه وأن الأخبار بهذه القصة العجيبة جارية عن الأخيار عن الغيوب فكانت مجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل إن الله تعالى قال في أول هذه السورة نحن نقص عليك أحسن القصص وقال في آخرها لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الأبواب فدل على أن هذه القصة من أحسن القصص وأن فيها عبرة لمن اعتبرها (ما كان حديثنا يفترى) يعنى ما كان هذا القرآن حديثنا يفترى ويحتاج لأن الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يفتر به أو يخلفه لأنه لم يقرأ الكتب ولم يخاطب العلماء ثم إنه جاء بهذا القرآن المجزوف ذلك على صديقه وأنه ليس بفتر (ولكن تصديق الذي بين يديه) يعنى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الإلهية المنزلة من السماء من التوراة والإنجيل وفيه إشارة إلى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف (وتفصيل كل شيء) يعنى أن في هذا القرآن المنزل عليكم تفصيل كل شيء يحتاج إليه من الحلال والحرام والحدود والأحكام والقصص والمواعظ والأمثال وغير ذلك مما يحتاج إليه العباد في أمر دينهم ودنياهم (وهدى) يعنى إلى كل خير (ورجعه) يعنى أنزله رجعة (لقوم يؤمنون) لأنهم هم الذين ينتفعون به والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

في تفسير سورة الرعد

قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين أحدهما أنها مكية رواه أبو طهة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبيرة وعطاء وقتادة وروى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية الآيةين أحدهما قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم عاصفنا قارعة والأخرى قوله ويهول الذين كفروا الستم مرسلًا والقول الثاني أنها مدنية رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروى عن ابن عباس أنها مدنية الآيةين نزولها مكة وهما قوله ولو أن قرأ ناسيرت به الجبال إلى آخر الآيةين وقال بعضهم المدي منها قوله هو الذي يريكم البرق إلى قوله دعوة الحق وهي ثلاث وقيل خمس وأربعون آية وثمانمائة وخمس وخمسون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف

عملوا يوسف مما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فأت مع مخالفتهم إياك في الدين أخرى أن تصبر على إذا هم وقال وهب إن الله تعالى لم ينزل كتابا إلا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هي في القرآن العظيم والله أعلم (سورة الرعد مكية وهي ثلاث وأربعون آية كوفي وخمس وأربعون آية شامي)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل (الم) قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه أنا الله أعلم وأرى وروى عطاء عنه أنه قال إن معناه أنا الله الملك الرحمن (تلك آيات الكتاب) الإشارة بتلك إلى آيات السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة أي آيات السورة الكاملة المجيبة في بابها ثم قال تعالى (والذي أنزل اليك من ربك الحق) يعني من القرآن كله هو الحق الذي لا يزيده عليه وقيل المراد بالاشارة في قوله تلك الاخبار والقصص أي الاخبار والقصص التي قصصتها عليك يا محمد هي آيات التوراة والإنجيل والكتب الالهية القديمة المنزلة والذي أنزل اليك يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك يا محمد من ربك الحق أي هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقادة أراد بآيات الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب الذي هو القرآن ثم قال والذي أنزل اليك من ربك الحق يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق الذي لا يشك فيه ولا تناقض (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يعني مشركي مكة نزلت هذه الآية في الرد عليهم حين قالوا إن محمد يقول من تلقا نفسه ثم ذكر من دلائل ربوبيته وعجائب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد) جمع عمد وهي الاساطين والدعائم التي تكون تحت السقف وفي قوله (ترونها) قولان أحدهما ان الرؤية ترجع الى السماء يعني وأنتم ترون السموات مرفوعة بغير عمد من تحتها يعني ليس من دونها دعامة تدعّمها ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد في العمدة بالكتابة قال اياس بن معاوية السماء مقببة على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقادة وجهه والمفسرين واحد في الروايتين عن ابن عباس والقول الثاني ان الرؤية ترجع الى العمد المعتبرة ان لها عمدا ولكن لا ترونها أنتم ومن قال به هذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمر محيط بالديار والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس والقول الاول أصح وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) تقدم تفسيره والكلام عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية (وسبح الشمس والقمر) يعني ذللهما للمنافع خلقه فهما مقهوران بحوريان على ما يريد (كل يجري لأجل مسمى) يعني الى وقت معلوم وهو وقت فناء الانبياء والها وقال ابن عباس أراد بالاجل المسمى درجاتها واما منازلها يعني انهم يجريان في منازلها ودرجاتها الى غاية ينتهيان اليها ولا يجاوزانها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء في الحركة (يدبر الامر) يعني انه تعالى يدبر امر العالم العلوي والسفلي ويصرفه ويقضيه بحسبته وحكمته على أكل الاحوال لا يشغله شأن عن شأن وقيل يدبر الامر بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة ففيه دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره ورحمته داخلون تحت قهره وقضائه وقدرته (يفصل الآيات) يعني انه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان الاول الموجودات المشاهدة وهي خلق السموات والارض وما فيهما من العجائب واحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثاني الموجودات الخفية في العالم وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك من أحوال هذا العالم وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته (اعلمكم بالقادر بكم توقنون) يعني انه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته لكي توقنوا وتصدقوا ببقائه والمصير اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر على ايجادها وحياته بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهو فوق المعرفة والدراية وهو يكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك قال منه استيقن وأيقن يعني علم قوله تعالى (وهو الذي مد الارض) لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد وذكر أحوال الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض أي بسطها على وجه الماء وقيل كانت الارض

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
 (الم) أنا الله أعلم وأرى
 عن ابن عباس رضي الله
 عنهما (تلك) إشارة إلى آيات
 السورة (آيات الكتاب)
 أراد بالكتاب السورة أي
 تلك الآيات آيات السورة
 الكاملة المجيبة في بابها
 (والذي أنزل اليك من
 ربك) أي القرآن كله
 (الحق) خبر والذي (ولكن
 أكثر الناس لا يؤمنون)
 فيقولون نقوله محمد ثم ذكر
 ما يوجب الايمان فقال (الله
 الذي رفع السموات)
 خلقها مرفوعة لأن
 تكون موضوعة فرفعها
 والله مبتدئها والخبير الذي
 رفع السموات (بغير عمد)
 حال وهو جمع عمد أو عمود
 (ترونها) الضمير يعود الى
 السموات أي ترونها كذلك
 فلا حاجة الى البيان أو الى
 عمد فيكون في موضع جر
 على أنه صفة لعمد أي بغير
 عمد مرفوعة (ثم استوى على
 العرش) استولى بالاعتدال
 ونفوذ السلطان (وسبح
 الشمس والقمر) لمنافع
 عباده ومصالح بلاده (كل
 يجري لأجل مسمى) وهو
 انقضاء الدنيا (يدبر الامر)
 أمر ملكوته وربوبيته
 (يفصل الآيات) يبين آياته
 في كتبه المستنزلة (اعلمكم
 بالقادر بكم توقنون) لعلمكم
 توقنون بأن هذا المدبر
 والمفصل لا بد لكم من
 الرجوع اليه (وهو الذي
 مد الارض) بسطها

مجتمعة فدها من تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض منسطة كاللا كف وعند
 أصحاب الهيئة الارض ككرة ويمكن ان يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها
 تشاهد ممدودة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد أخبر أنه مد الارض وأنه دحاها
 وبسطها وكل ذلك يدل على التسطيط والله تعالى أصدق قائل وأبين دليلاً من أصحاب الهيئة (وجعل فيها)
 يعني في الارض (رواسي) يعني جبالاً ثابتة يقال رسا الشيء برسا اذا ثبت وأرساء غيره أثبتة قال ابن عباس
 كان أبو قبيس أول جبال رضع على الارض (وانهارا) يعني وجعل في الارض أنهاراً جارية لمنافع الخلق
 (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) يعني صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلو وحامضاً (يعشى الليل
 النهار) يعني يلبس النهار ظلمة الليل ويلبس الليل ضوء النهار (ان في ذلك) يعني الذي تقدم ذكره من
 عجائب صنعته وغرائب قدرته المدالة على وحدانيته (آيات) أي دلالات (لقوم يتفكرون) يعني
 فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والتفكير هو تصرف القلب في طلب الاشياء وقال
 صاحب المفردات التفكير قوة لا تعلم الى المعلوم والتفكير جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك
 للانسان دون الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب ولهذا روى تفكروا في آلاء
 الله ولا تفكروا في الله اذ كان الله منزهاً أن يوصف بصورة وقال بعض الادباء الفكر مقلوب عن الفرق لانه
 يستعمل في طلب المعاني وهو فرق الامور وبجتها طلب الوصول الى حقيقتها قوله عز وجل (وفي الارض
 قطع متجاورات) يعني متجاورات بعضها من بعض وهي مختلفة في الطباع فهذه طيبة تنبت وهذه سجة
 لا تنبت وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع (وجنات) يعني بساتين والجنة كل بستان ذي شجر من نخيل
 وأعناب وغير ذلك سمي جنة لانه يستر بأشجاره الارض واليه الاشارة بقوله (من أعناب وزرع ونخيل
 صنوان) جمع صنو وهي الخلات يجتمع من أصل واحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم
 الرجل صوابيه يعني انهم من أصل واحد (وغير صنوان) هي الخلة المنفردة بأصلها والصنوان المجتمع
 وغير الصنوان المتفرق (يسقي بماء واحد) يعني أشجار الجنات وزروعها والماء جسم رقيق مانع به حياة كل
 نام وقيل في حده جوهر سيال به قوام الارواح (ونفضل بعضها على بعض في الاكل) يعني في الطعم ما بين الحلو
 والحامض والعفص وغير ذلك من الطعام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
 تعالى ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال الدقل والنريسيان والحلو والحامض أخرجه الترمذي وقال
 حديث حسن غريب قال مجاهد هذا كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد وقال الحسن هذا مثل
 ضربه الله لقلوب بني آدم كانت الارض طينة واحدة في يد الرحمن فسطحها فاصارت قطعاً متجاورات وأنزل
 على وجهها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وتخرجها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبجها وطلحها
 وخبيثها وكل يسقي بماء واحد ولو كان الماء قليلاً لقل اغماها من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل
 عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخشع وتخشع وقلوب قوم قتلوه ولا تسمع وقال الحسن والله
 ما جالس القرآن أحد الا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله تعالى وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
 للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً وقوله تعالى (ان في ذلك) يعني الذي ذكر (آيات لقوم يعقلون)
 يعني فيستدبرون ويتفكرون في الآيات المدالة على وحدانيته قوله تعالى (وان تعجب فاعجب قولهم)
 العجب تبعد النفس رؤية المستبعد في العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب ولهذا
 قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل العجب في حق الله محال لانه تعالى علام الغيوب لا تخفى
 عليه خافية والخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه وانك يا محمد ان تعجب من تكذيبهم ما لك
 بعد ان كنت عندهم تعرف بالصادق الامين فاعجب أمرهم وقيل معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين

والحلو والحامض والصغير
 والكبير وما أشبه ذلك
 (يعشى الليل النهار) يلبسه
 مكانه فيصير أسود مظلماً
 بعدما كان أبيض منيراً
 يعشى حمزة وعلى وأبو بكر
 (ان في ذلك لايات لقوم
 يتفكرون) فيعلمون ان
 لها اسما اعلم احكاماً قادراً
 (وفي الارض قطع متجاورات)
 بقاع مختلفة مع كونها
 متجاورة متلاصقة طيبة
 الى سجة وكرمة الى زهيدة
 وصلبة الى رخوة وذلك
 دليل على قدر مدبر مررب
 موقع لافعاله على وجهه دون
 وجه (وجنات) معطوفة
 على قطع (من أعناب
 وزرع ونخيل صنوان وغير
 صنوان) بالرفع مكى وبصري
 وحقق عطف على قطع
 غيرهم بالجربا عطف على
 أعناب والصنوان جمع
 صنو وهي الخلة لها راسان
 وأصلها واحد وعن حفص
 بضم الصاد وهو الغتان
 (يسقي بماء واحد) وبالياء
 حاصم وشامي (ونفضل بعضها
 على بعض) وبالياء حمزة
 وعلى (في الاكل) في الثمر
 وبسكون الكاف نافع ومكي
 (ان في ذلك لايات لقوم
 يعقلون) عن الحسن مثل
 اختلاف القلوب في آثارها
 وأفوارها وأسرارها باختلاف
 القطع في أنهارها وأزهارها

وغارها (وان تعجب) يا محمد من قولهم في انكار البعث (فاجب قولهم) خبر ومبتدأ أي فقولهم حقيق بأن يتعجب
 منه لان من قدر على انشاء ما عد عليه كان لا إعادة أهون شئ عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الاعاجيب
 ما لا يضرهم

(أُنْذَا كُنَّا رَبًّا أَنَا الْخَلْقُ جَدِيدٌ) فِي مَحَلِّ الرِّفْعِ بَدَلَ مِنْ قَوْلِهِمْ قَرَأَ عَصَمٌ وَحِزَّةٌ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَرَّتَيْنِ (أَوَّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) وَأَوَّلُ الْكَافِرِينَ الْمُتَعَادِلِينَ فِي كُفْرِهِمْ (وَأَوَّلُ الَّذِينَ لَا غِلَالَ فِي أَعْنَاقِهِمْ) وَصَفَ لَهُمْ بِالْأَصْرَارِ أَوْ مِنْ جِدَّةِ الْوَعِيدِ (وَأَوَّلُ الْأَهْجَابِ النَّارِ فِيهَا خَالِدُونَ) دَلَّ تَكَرُّرُ أَوَّلُ عَلَى تَعْظِيمِ الْأَمْرِ (وَيَسْتَجِيبُونَكَ بِالسَّبِيَّةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) بِالنَّقْمَةِ قَبْلَ الْعَاقِبَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ يَأْتِيهِمْ بِالْعَذَابِ اسْتَهْزَأَ مِنْهُمْ بِإِثْرِهِ (وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ) أَيَّ عِقُوبَاتِ أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْمُنْكَذِبِينَ فَسَأَلَهُمْ لِمَ يَعْتَبِرُونَ إِنْ هَؤُلَاءِ الْمَثَلَةُ الْعِقُوبَةُ لِمَا بَيْنَ الْعِقَابِ وَالْمَعَابِقِ عَلَيْهِ مِنْ (٥٣) الْمَمَائِلِ وَخِزَاءِ سَبِيَّةٍ مِثْلَهَا (وَأَنْ رُبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ) أَيَّ مَعَ ظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ بِالذُّخُوبِ وَمَحْمُولِهِ الْحَالِ أَيْ ظَالِمِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ قَوْلُ السَّادِي بِعَنَى الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَيْثُ ذَكَرَ الْمَغْفِرَةَ مَعَ الظُّلْمِ وَهُوَ بِدُونِ التَّوْبَةِ فَإِنَّ التَّوْبَةَ تَرْيَلُهَا وَنَزَعَهَا (وَأَنْ رُبُّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) عَلَى الْكَافِرِينَ أَوْ هَمًّا جَمِيعًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لَكِنَّهُ مَعْلُوقٌ بِالسَّبِيَّةِ فِيهِمَا أَيْ يَغْفِرُ لِمَنْ شَاءَ وَبِعَذَابِ مَنْ شَاءَ (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) لَمْ يَعْزَمُوا بِالْآيَاتِ الْمُنْزَلَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ إِفْقَادِ تَرْجُوَ الْخَوَافِ آيَاتِ مُوسَى وَعِيسَى مِنْ انْقِلَابِ الْعَصَاحِبَةِ وَأَحْيَاءِ الْمَوْتِ فَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ) عِنْدَ أَنْتَ رَجُلٌ أَرْسَلْتَ مُنْذِرًا مَخْوَفًا لَهُمْ مِنْ سَوْءِ الْعَاقِبَةِ وَنَاصِحًا كَغَيْرِكَ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا الْإِيمَانُ بِمَا يَصُحُّ بِهِ أَنَّ رَسُولَ مُنْذِرٍ وَرُوحَهُ ذَلِكَ حَاصِلُهُ بِأَيِّ آيَةٍ كَانَتْ

مَالًا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ آلِهَةٌ يَعْبُدُونَهَا مَعَ أَقْرَارِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ وَقَدْ رَأَوْا مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ وَمَا ضَرَبَ لَهُمْ بِهِ الْأَمْثَالَ مَا رَأَوْا فَجَبَّ قَوْلُهُمْ وَقِيلَ وَأَنْتَ أَنْ تَجِبَ مِنْ أَنْ تَكْفُرَ بِالنَّشْأَةِ الْآخِرَةِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ مَعَ أَقْرَارِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالِقُ الْخَلْقِ مِنَ اللَّهِ فَجَبَّ قَوْلُهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَشْكُرُونَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَعَ أَقْرَارِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالِقُ الْخَلْقِ مِنَ اللَّهِ وَقَدْ تَقَرَّرُ فِي الْأَنْفُسِ أَنَّ الْإِعَادَةَ أَهْوَى مِنَ الْإِبْتِدَاءِ فَهَذَا مَوْضِعُ التَّجَبُّ وَهُوَ قَوْلُهُمْ (أُنْذَا كُنَّا رَبًّا) بِعَنَى بَعْدَ الْمَوْتِ (أُنْذَا الْخَلْقُ جَدِيدٌ) بِعَنَى نَعَادَ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ الْمَوْتِ كَمَا كُنَّا قَبْلَهُ ﷺ ثُمَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي حَقِّهِمْ (أَوَّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ فَقَدْ أَنْكَرَ الْقُدْرَةَ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ (وَأَوَّلُ الَّذِينَ لَا غِلَالَ فِي أَعْنَاقِهِمْ) بِعَنَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْإِعْلَالَ جَمْعُ غُلٍّ وَهُوَ طَوْقٌ مِنْ حَدِيدٍ يَجْعَلُ فِي الْعُنُقِ وَقِيلَ أَرَادَ بِالْإِعْلَالَ ذُلَّهُمْ وَانْقِيَادَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يَقَادُ الْإِسِيرُ ذُلَّهُ بِالْأَغْلَالِ (وَأَوَّلُ الْأَهْجَابِ النَّارِ فِيهَا خَالِدُونَ) بِعَنَى أَنَّهُمْ مَقِيمُونَ فِيهَا لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا يَعْوَتُونَ (وَيَسْتَجِيبُونَكَ بِالسَّبِيَّةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) الْإِسْتِجَالُ طَلَبُ تَجْمِيلِ الْأَمْرِ قَبْلَ مَجْئِهِ وَقَسَمَهُ وَالْمَرَادُ بِالسَّبِيَّةِ هُنَا هِيَ الْعِقُوبَةُ وَبِالْحَسَنَةِ الْعَاقِبَةُ وَذَلِكَ أَنَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ كَانُوا يُطْلَبُونَ الْعِقُوبَةَ بِدَلَالَةٍ مِنَ الْعَاقِبَةِ اسْتَهْزَأَ مِنْهُمْ وَهُوَ قَوْلُهُمْ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هَؤُلَاءِ الْخَلْقِ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطَرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوَّلُ الَّذِينَ يَعْذَابُ أَلِيمٌ (وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ) بِعَنَى وَقَدْ مَضَتْ فِي الْأَمَمِ الْمُنْكَذِبَةُ الْعِقُوبَاتُ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُمْ وَالْمَثَلَةُ بِفَضْحِ الْمِيمِ وَضَمُّ النَّاءِ الْمَثَلَةُ نَفْسُهُ نَزَلَ بِالْإِنْسَانِ فَيَجْعَلُ مِثْلًا لِيُرْتَدَّ عَنْ غَيْرِهِ بِهِ وَذَلِكَ كَالْتِكَالِ وَجَمْعُهُ مِثْلَاتُ بِفَضْحِ الْمِيمِ وَضَمُّهَا مَعَ ضَمِّ النَّاءِ فِيهِمَا الْغَتَانِ (وَأَنْ رُبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَذُو تَجَاوُزٍ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا آمَنُوا (وَأَنْ رُبُّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) بِعَنَى لِلْمُصْرِفِينَ عَلَى الشِّرْكِ الَّذِي مَا تَوَلَّاهُ عَلَيْهِ وَقَالَ جَاهِدُ أَنَّهُ لَذُو تَجَاوُزٍ عَنْ شُرَكَائِهِمْ فِي تَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ وَأنَّهُ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ إِذَا عَاقَبَ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بِعَنَى مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ (لَوْلَا) أَيُّ هَذَا (أُنْزِلَ عَلَيْهِ) بِعَنَى عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) بِعَنَى مِثْلُ عَصَا مُوسَى وَنَاقَةِ صَالِحٍ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَفْتَنُوا بِعَمَارٍ وَأَمِنْ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ) أَيُّ لَبَسَ عَلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ غَيْرَ الْإِنْذَارِ وَالْخَوْفِ وَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْآيَاتِ شَيْءٌ (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْهَادِي هُوَ اللَّهُ وَهَذَا قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَعَكْرَمَةُ وَجَاهِدٌ وَدَوَالِصُ الْفَضْلِيِّ وَالْمَعْنَى إِنَّمَا عَلَيْكَ الْإِنْذَارُ بِمَا مُحَمَّدٌ وَالْهَادِي هُوَ اللَّهُ هَدَى مِنْ شَاءَ وَقَالَ عَكْرَمَةُ فِي رَوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهُ وَأَبُو الْفَضْلِ الْهَادِي هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَعْنَى إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَأَنْتَ هَادٍ وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ بِعَنَى وَلِكُلِّ قَوْمٍ نَبِيٌّ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ الْهَادِي هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ الْهَادِي هُوَ الْقَائِدُ إِلَى الْخَيْرِ إِلَى الشَّرِّ ﷺ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى) لِمَا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآيَاتِ أَخْبَرَهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَكَمَالِ عِلْمِهِ وَأنَّهُ عَالِمٌ بِمَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى يَعْنِي مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى سِوَى الْخَلْقِ أَوْ نَاقِصِ الْخَلْقِ وَاحِدًا أَوْ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ (وَمَا تَغِيضُ) بِعَنَى وَمَا تَنْقُصُ (الْأَرْحَامَ وَمَا تَزِدُّ) قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ غِيْضُ الْأَرْحَامِ الْخِيْضُ عَلَى

وَالْآيَاتِ كَالهَا سِوَاهُ فِي حُصُولِ حِكْمَةِ الدَّعْوَى بِهَا (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَهْدِيهِمْ إِلَى الدِّينِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ بِآيَةٍ خَصَّ بِهَا الْأَنْبِيَاءَ يَرِيدُونَ وَيَهْكُمُونَ (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزِدُّ) مَا فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ مَوْصُولَةٌ أَيْ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُهُ مِنَ الْوَلَدِ عَلَى أَيْ حَالٍ هُوَ مِنْ ذِكُورَةٍ وَأُنْثَى وَنَعَامٍ وَخَدَاجٍ وَحَسَنٍ وَقَبِيحٍ وَطَوِيلٍ وَقَصِيرٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَمَا تَغِيضُهُ الْأَرْحَامُ أَيْ يَعْلَمُ مَا تَنْقُصُهُ بِقَالَ غَاسُ الْمَاءِ وَغَضَّتْهُ أَنَا وَمَا تَزِدُّهُ وَالْمَرَادُ عِدْدُ الْوَلَدِ فَهَذَا تَشْتَمِلُ عَلَى وَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ وَثَلَاثَةٍ وَأَرْبَعَةٍ أَوْ جَدِّ الْوَلَدِ فَإِنَّهُ يَكُونُ تَامًا وَمَخْذُوجًا أَوْ مَدَّةَ الْوَلَدَةِ فَهَذَا يَكُونُ أَقَلُّ مِنْ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ وَأَزِيدُ عَلَيْهَا إِلَى سِتِّينَ عِنْدَنَا وَإِلَى أَرْبَعٍ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَإِلَى خَمْسٍ عِنْدَ مَالِكٍ أَوْ مَعْدَّةٍ أَيْ يَعْلَمُ حُلَّ كُلِّ

أنسى وبه لم غيبض
الارحام وازديادها (وكل
شيء عنده بمقدار) بقدر
وحده لا يجاوز ولا ينقص
عنه لقوله انا كل شيء
خلقناه بقدر (عالم الغيب)
ما غاب عن الخلق
(والشهادة) ما شاهدوه
(الكبير) العظيم الشأن
الذي كل شيء دونه (المتعال)
المستعلي على كل شيء
بقدرته أو الذي كبر عن
صفات المخلوقين وعلو
عنوا وبإبائه في الخلقين مكي
(سواء منكم من أسرار القول
ومن جهريه) أي في علمه
(ومن هو مستخف بالليل)
متوار (وسارب بالنهار)
ذاهب في سره أي في
طريقه وجهه يقال سرب
في الأرض سروباً وسارب
عطف على من هو مستخف
لاعلى مستخف أو على
مستخف غير أن من في معنى
الاثنين والضمير في (له)
مردود على من كانه قيل
لمن أسر ومن جهريه ومن
استخفى ومن سرب
(معقبات) جماعات من
الملائكة تعقب في حفظه
والاصل معقبات فادغمت
التاء في القاف أو هو
مفعلات من عقبه اذا جاء
على عقبه لان بعضهم
يعقب بعضاً أو لانهم يعقبون
ما يسلكهم به فيكتبونه

الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصاً في الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد في الرحم فاذا خرج الدم
نقص الغذاء فينقص الولد واذا لم تحض رزاد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقه الولد بخروج الدم والزيادة
تمام خلقه باستكمال الدم وقيل اذا حاضت المرأة في وقت حملها ينقص الغذاء وترداد مدة الحمل حتى
تستكمل تسعة أشهر طاهرة فان رأت خمسة أيام دما وضعت لتسعة أشهر وخسة أيام فالنقصان في
الغذاء زيادة في مدة الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيبضها نقصانها من
تسعة أشهر والزيادة زيادتها على تسعة أشهر فأقل مدة الحمل ستة أشهر وقد ولد له هذه المدة ويعيش
واختلوا في أكثره فقال قوم أكثر مدة الحمل ستان وهو قول عائشة وبه قال أبو حنيفة وقيل ان الضحالك
ولدت ستين وقال جماعة أكثرها أربع سنين واليه ذهب الشافعي وقال حماد بن أبي سلمة أغصمى هرم بن
حبان هرماً لانه بقي في بطن أمه أربع سنين وعندما لك ان أكثر مدة الحمل خمس سنين (وكل شيء عنده
بمقدار) يعني بتقديره وحده لا يجاوز ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كبره كل شيء وكيفيته على أكل
الوجوه وقيل معناه وانه تعالى خص كل حادثه من الحوادث بوقت معين وحال معين وذلك بمشيئته
الازلية وارادته وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره (عالم الغيب والشهادة) يعني أنه تعالى ما غاب عن خلقه
وما شاهدوه وقيل الغيب هو المعدوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشاهد
ما حضر في الحس (الكبير) أي العظيم الذي يصغر كل كبير بالاضافة الى عظمته وكبريائه فهو يعود الى
معنى كبر قدرته وأنه تعالى المستحق لصفات الكمال (المتعال) يعني المنزه عن صفات النقص المتعالى عن
الخلق وقوله دليل على أنه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة ونزجه عن جميع النقائص
قوله تعالى (سواء منكم من أسرار القول ومن جهريه) أي مستوم منكم من أخفى القول وكنهه ومن أظهره
وأعلنه والمعنى أنه قد استوى في علم الله تعالى السر بالقول والظاهر به (ومن هو مستخف بالليل) أي
مستتر بظلمته (وسارب بالنهار) أي ذاهب بالنهار في سره ظاهر والسرب بفتح السين وسكون الراء
الطريق وقال القتيبي السارب المتصرف في حوائجه قال ابن عباس في هذه الآية هو صاحب ربيعة
مستخف بالليل واذا خرج بالنهار أرى الناس انه يرى من الاثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت
الشيء اذا أظهرته وأخفيه اذا كتمته وسارب بالنهار أي متوارد خيل في السرب مستخفاً ومعنى الآية
سواء ما أضمرت به القلوب أو نطقت به الاسن وسواء من أقدم على القبائح مستترا في ظلمات الليل أو أتى
بها ظاهراً في النهار فان علمه تعالى محيط بالكل (له معقبات) يعني ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا
صعدت ملائكة الليل عقبته ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدء واغاد كرمعقات بلفظ التأنيث
وان كان الملائكة ذكوراً لان واحداً معقب وجعها معقبه ثم جمع المعقبات معقبات كما قيل ابناوات سعد
ورجالا بكر (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم
ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويحتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يرحلون الذين بانوا فيكم فيسألهم
وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون وقيل ان مع كل
واحد من بني آدم ملكين ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيئات وكانت
الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل العبد حسنة كتبها له بعشر أمثالها واذا عمل سيئة قال
صاحب الشمال لصاحب اليمين اكتبها عليه فيقول أنظره لعله يتوب أو يستغفر فيستأذنه ثلاث مرات
فان هو تاب منها أو اقال اكتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل بناصية العبد فاذا تواضع العبد لله عز
وجل رفعه بها وان تجبر على الله عز وجل وضعه بها وملك موكل بعينه يحفظه ما من الاذى وملك موكل
بضيقه لا يدعه يدخل في فيه شيء من الهوام يؤذيه فهو لا خمسة أملاك موكلون بالعبد في ليلة وخسة غيرهم
في نهاره فانظر الى عظمة الله تعالى وقدرته وكما شفقته عليه لآيها العبد المسكين وهو قوله تعالى

(من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) يعني يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من أمر الله بأمر الله وأذنه ما لم يحثي القدر فاذا جاء خلوا عنه وقيل معناه أنهم يحفظونه بما أمر الله به من الحفظ له قال مجاهد ما من عبد الا وملاك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما من شيء يأبسه يؤذيه الا قال له الملاك وراءك الا شيء يأذن الله فيه فيصيبه وقال كعب الاحبار لو لا ان الله تعالى وكل بكم ملائكة يذوقون عنكم في مطعمكم ومشر بكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن وقال ابن جريج معنى يحفظونه أي يحفظون عليه الحسنات والسيئات وهذا على قول من يقول ان الآية في الملائكة القاعد من المؤمنين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات وقال عكرمة الآية في الامراء وحرسهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم والضمير في قوله له راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الآية الحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن بن زيد بن ثابت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بني عامر بن زيد وكانت قصتهما على ما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بني عامر بن زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه فدخل المسجد فاستشرى الناس لجمال عامر وكان من أجمل الناس وكان أعور فقال رجل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خير اياه فاقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد مالي ان أسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل الامر لي بعدك قال ليس ذلك لي انما ذلك اني الله تعالى يجعله حيث يشاء قال فتجلى على الوبر وأنت على المدر قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها قال أو ليس ذلك لي اليوم قم معي أكلت فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد أوصى الى أربد بن ربيعة اذ رأيتني أكلته فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار أربد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبر من سيفه ثم جعبه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما صنع بسيفه فقال اللهم كفيهم ما عاشرت فارسل الله على أربد صاعقة في يوم صخوقاظ فاحرقته فولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربد والله لا ملائمتها عليك خيلا جردا وشبابا ثم دعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم عنني الله من ذلك وابنا قيلة يريد الاوس والخزرج فقتل عامر بيت امرأته سلولية فلما أصبح ضم اليه سلاحه فخرج له خراج في أصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كذبة البعير وموت في بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل ركض في الصحراء ويقول ادن يا ملاك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن أبصرت محمد او صاحبه يعني ملاك الموت لانفذتهم ابرمحي فارسل الله اليه ملاكاً فلطمه فارداه في التراب ثم عاد فركب جواده حتى مات على ظهره وأجاب الله عز وجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في عامر بن الطفيل فمات بالطعن وأربد بن ربيعة مات بالصاعقة وأنزل الله عز وجل في شأن هذه القصة سواء منكم من أسر القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله أي بأمر الله وقيل ان تلك المعقبات من أمر الله وفيه تقديم وتأخير تذكيره له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وقوله (ان الله لا يغير ما بقوم) (حتى يغيروا ما بأنفسهم) يعني لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التي أنعم الله عليهم (حتى يغيروا ما بأنفسهم) يعني من الحالة الجيلة فيصون دينهم ويحسدون نعمه عليهم فمعد ذلك فحل نعمته بهم وهو قوله تعالى (واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له) يعني لا يقدر أحد ان يرد ما أنزل الله بهم من قضائه وقدره (وما لهم من دونه من وال) يعني وليس لهم من دون

(من بين يديه ومن خلفه) أي قدامه ووراءه (يحفظونه من أمر الله) هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أي من أجل ان الله تعالى أمرهم بحفظه أو يحفظونه من بأس الله ونعمته اذا أذن بدعائهم له (ان الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الحال الجيلة بكثرة المعاصي (واذا أراد الله بقوم سوءا) فلا مرد له (فلا يبدعه شيء) وما لهم من دونه من وال (من دون الله ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم)

(هو الذي يريكم البرق خوفاً)

وطمعا) انتصبا على
الحال من السبرق كأنه
في نفسه خوف وطمع أو
على ذا خوف وذا طمع أو
من المخاطبين أي خائفين
وطامعين والمعنى يخاف من
وقوع الصواعق عند ملمع
البرق ويطمع في الغيث
قال أبو الطيب

ففي كالمصاب الجون يخشى

ويرتجى

يرجى الحيا منه وتخشى

الصواعق

أو يخاف المطر من له فيه

ضرر كالمسا فرو من له بيت

يكف وممن الدلام لا ينتفع

أهله بالمطر كما هل مصر

و يطمع فيه من له نفع فيه

(وينشئ السحاب) هو اسم

جنس والواحدة سحابة

(الثقال) بالماء وهو جمع

ثقيلة تقول سحابة ثقيلة

وسحاب ثقيل (ويسبح الرعد

بجمعه) قيل يسبح سامعو

الرعد من العباد الراجين

للمطر أي يصيحون بسبحان

الله والحمد لله وعن النبي

صلى الله عليه وسلم أنه قال

الرعد ملك موكل بالسحاب

معه مخاريق من نار يسوق

بها السحاب والصوت الذي

يسمع زجره السحاب حتى

ينتهي إلى حيث أمر

(والملائكة من خيفته)

ويسبح الملائكة من هيئته

واجلاله (ويرسل الصواعق

فيصيب بها من يشاء)

الصاعقة نار تسقط من

الله من وال إلى أمرهم ونصرهم ويمنع العذاب عنهم (هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً)
لما خوف الله عز وجل عباده بقوله وإذا أراد الله بقوم سوءاً كر في هذه الآية من عظيم قدرته ما يشبهه
النعم من وجه وبشبهه العذاب من وجه فقال تعالى هو الذي يعي هو الله الذي يريكم البرق والبرق معروف
وهو لمعان يظهر من خلال السحاب وفي كونه خوفاً وطمعاً وجوه الأول أن عند لمعان البرق يخاف من
الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني أنه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسا فرو من في جريته يعني
بيد زجره التروا زيب والقمع ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر نفع كالزراع ونحوه الثالث أن المطر
يخاف منه إذا كان في غير مكانه وزمانه ويطمع فيه إذا كان في مكانه وزمانه فان من الدلام إذا أمطرت
فقطت وإذا لم تطرأ خصبت (وينشئ السحاب الثقال) يعني بالمطر يقال أنشأ الله السحابة فنشأت أي
أبداها فبدت والسحاب جمع سحابة والسحاب غربال الماء قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل
السحاب الغيم فيه ماء أول يمكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالي من الماء وأصل السحب الجمر
وسمى السحاب سحاباً بالجر لأنه أول بحر الماء ولا تجراره في سيره (ويسبح الرعد بحمده) أكثر
المضمرين على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه وأورد على هذا
القول ما عطف عليه وهو قوله (والملائكة من خيفته) وإذا كان المعطوف مغايراً للمعطوف عليه
وجب أن يكون غيره وأجيب عنه أنه لا يبعد أن يكون الرعد اسم للملك من الملائكة وانما أفرد به بالذكر
تسبيحه على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته وجبريل وميكائيل قال ابن عباس أقبلت يوم دالي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه
مخاريق من نار يسوق بها حيث يشاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجره السحاب حتى تنتهي
حيث أمرت قالوا صدقت أخرجه الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جمع مخارق وهو في الأصل ثوب يلف
ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً وأراد به هنا آلة تزرعهم الملائكة السحاب وقد جاء نفسه في حديث
آخر وهو صوت من نور تزرعهم الملائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من
يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابه صاعقة فعلى دينه وكان عبد
الله بن الزبير إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وكان
يقول إن الوعيد لأهل الأرض شديد وفي بعض الأخبار إن الله تعالى يقول لو أن عبادي أطاعوني لاسقيتهم
المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وروى جوير عن الضحاك عن ابن
عباس أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه إلى حيث يؤمر وإن يحور الماء في نقرة إبهامه وأنه يسبح
الله فإذا سبح لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر وقيل إن الرعد اسم لصوت
الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فإن صوت الرعد يسبح الله عز وجل لأن التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه
الله عز وجل عن جميع النقائص ووجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحده دليل على وجود
موجود خالق قادر متعال عن جميع النقائص وإن لم يكن ذلك في الحقيقة تسبيحاً ومنه قوله وإن من شيء إلا
يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد أن من سمعه سبح الله فلهذا المعنى أضيف التسبيح إليه وقوله
والملائكة من خيفته يعني ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيئته وخشيته وقيل المراد به هذه
الملائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب أعواناً من الملائكة وهم خائفون
خاضعون طائعون وقيل المراد بهم جميع الملائكة وجعله على العموم أولى (ويرسل الصواعق) جمع صاعقة
وهي العذاب النازل من البرق فيحترق من تصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجحوش يكون فيه
ناراً وعذاباً وموت وهي في ذاتها شيء واحد وهذه الأشياء الثلاثة تنشأ منها (فيصيب بها) يعني بالصواعق
(من يشاء) يعني فيملك بها كما أصاب أربدين ربعة قال محمد الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا

السماء لما ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والباطن عنده وما دل على قدرته الباهرة ووجدانيته قال (وهم يجادلون في الله) يعني الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلون في الله حيث يشكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوجدانية بالتخاذل شركاء ويجهلون بعض الأجسام بقولهم الملائكة بنات الله والوالوالحال أي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك أن أريد أحوال الدين ربعة (٥٧) العاصم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع

عاصم بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عاصم بالغدة كغدة البعير وموت في بيت سلوية وأرسل على أريد صاعقة فقتله أخبرني عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد (وهو شديد الحال) أي المماثلة وهي شدة المماكرة والمكابد ومنه تمحل لكذا إذا تكلف لاستعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان والمعنى أنه شديد المكر والكبد لأعدائه يأتيهم بالهزيمة من حيث لا يحتسبون (له دعوة الحق) أضيفت إلى الحق الذي هو ضد الباطل للدلالة على أن الدعوة ملازمة للحق وانها بعزل من الباطل والمعنى أن الله سبحانه يدعي فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله فكانت دعوة ملازمة للحق لكونه حقيقة بانه يوجه إليه الدعاء لما في دعوتي من الجدوى والنفع بخلاف ما لا يتنفع ولا جدوى فيردد دعاءه الثاني أن تضاف إلى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الله هو الحق وكل دعاء إليه دعوة الحق فان كانت موجهة اتصال هذين الوصفين عما قبلهما قلت أما على قصة أريد فظاهر لأن أصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه

تصيب الذأكر (وهم يجادلون في الله) يعني يخاصمون في الله وقيل المجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدات الجبل إذا أحكمت قتلته زلات في شأن أريد بن ربعة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم مربيك أمن درأم من ياقوت أم من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فأحرقتهم وسئل الحسن عن قوله ويرسل الصواعق الآية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم نفر من أصحابه يدعونه إلى الله وإلى رسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعوني إليه هل هو من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم كلامه فأنصرفوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلاً كقربك ولا أعنى على الله منه فقال أرجعوا إليه فرجعوا إليه فلم يزد هم على مقالته الأولى شيأ بل قال أوجب محمدًا إلى رب لا أراه ولا أعرفه فأنصرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته الأولى شيأ بل قال أوجب محمدًا إلى رب فرجعوا إليه فينبههم عنده يدعونه وينازعونهم وهو لا يزيدهم على مقالته شيأ إذا رفعت صحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرقت الكفار وهم جالوس عنده فرجعوا والخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا استقبلهم نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم قالوا من أين علمتم ذلك قالوا رآه أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله واختلفوا في هذه الواو فقبل واو الحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله وذلك أن أريد لما جادل في الله أهلكه الله بالصاعقة وقيل أنها واو الاستثنا فيكون المعنى أنه تعالى لمساتهم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله (وهو شديد الحال) أي شديد الأخذ بالعقوبة من قولهم يعمل به محلاً إذا أراد به سوء أو قيل هو من قولهم يعمل به إذا سعى به إلى السلطان وعرضه للهلاك وتعمل إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى أنه سبحانه وتعالى شديد الحال بأعدائه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل المحل من المحول وهو الحيلة والميم زائدة ثم اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله شديد الحال فقال الحسن معناه شديد النعمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال وذلك لما أخبر عنهم أنهم يجادلون في الله أخبر أنه أشد جدالاً منهم ﴿ قوله تعالى (له دعوة الحق) يعني لله دعوة الصادق قال على دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا إله إلا الله قال صاحب الكشاف دعوة الحق فيها وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة إليه في قولنا كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملازمة للحق مختصة به وانها بعزل من الباطل والمعنى أن الله تعالى يدعي فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملازمة للحق لكونه حقيقة بأن يوجه إليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا تنفع فيه ولا جدوى فيردد دعاءه الثاني أن تضاف إلى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الله هو الحق وكل دعاء إليه دعوة الحق فان كانت موجهة اتصال هذين الوصفين عما قبلهما قلت أما على قصة أريد فظاهر لأن أصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه

(٨ - خازن ثالث) يجدي دعائه واتصال شديد الحال وله دعوة الحق عما قبله على قصة أريد ظاهراً لان أصابته بالصاعقة محال من الله ومكره من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم افسد ما بها شئت فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وعلى الأول وعبد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاول محال لهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ان دعا عليهم

(والذين يدعون) والالهة الذين (٥٨) يدعوهم الكفار (من دونه) من دون الله (لا يستجيبيون لهم بشئ) من طلباتهم (الا كباط كفيه الى الماء يبلغ فاه)

عاصر من الطفيل فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون في الله فوعيد للكفار على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه أن دعا عليهم وقيل في معنى الآية الدماء بالاخلاص والدعاء الخالص لا يكون الا لله تعالى (والذين يدعون من دونه) يعني والذين يدعونهم آلهة من دون الله وهي الاصنام التي يعبدونها (لا يستجيبيون لهم بشئ) يعني لا يجيبونهم بشئ يريدونه من نفع أو دفع ضرر إن دعوهم (الا كباط كفيه الى الماء يبلغ فاه وما هو ببالغته) يعني الاستجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه الماء جاد لا يشعر بسط كفيه ولا يعطشه ولا يقدر ان يجيب دعاءه أو يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم عن أراد أن يعرف الماء بيديه ليشر به فيسقطها ما نثر أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شر به وقيل ان القابض على الماء ناسرا أصابعه لا يكون في يده منه شيء ولا يبلغ الى فيه منه شيء كذلك الذي يدعو الاصنام لا تم الا تضرب ولا تنفع ولا يقدر منها شيء وقيل شبه بالرجل اعطشان الذي يرى الماء من بعيد بعينه فهو يشير بكفيه الى الماء ويدعوه باسائه فلا يأتيه أبدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء كاعطشان الخماس على شفير البئر وهو يريد به الى البئر فلا هو يبلغ الى قعر البئر ليخرج الماء ولا الماء يرتفع اليه فلا ينفعه بسطه الكف الى الماء ودعاؤه له ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كاعطشان اذا بسط كفيه في الماء لا ينفعه ذلك ما لم يعرف به ما من الماء ولا يبلغ الماء فاه مادام بسط كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار ودعائهم الاصنام حين لا ينفعهم البتة ثم ختم هذا بقوله (ومادعاء الكافرين) يعني أصنامهم (الافى ضلال) يعني يضل عنهم اذا احتاجوا اليه قال ابن عباس في هذه الآية أصواتهم محجوبة عن الله تعالى قوله عز وجل (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها) في معنى هذا السجود قولان أحدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول في معنى الآية وجهان أحدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من في السموات يعني الملائكة ومن في الارض من الانس يعني المؤمنين طوعا وكرها يعني من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المحضون لله العبادة وكرها يعني المنافقين الذين ادخلوا في المؤمنين وليدوا منهم فان سجدوا لله على كره منهم لانهم لا يرجون على سجدتهم ثوابا ولا يخافون على ترك عقابا بل يسجدونهم وعبادتهم خوف من المؤمنين الوجه الثاني هو جعل اللفظ على العموم وعلى هذا في اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم واما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه الاشكال والجواب عنه ان المعنى انه يجب على كل من في السموات ومن في الارض أن يسجد لله فعبرنا لوجوب عن الوقوع والحصول وجواب آخر وهو أن يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من في السموات من ملك ومن في الارض من انس وجن فانهم يقررون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود هو الانقياد والخضوع وترك الامتناع فكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل فهم خاضعون متقادون له وقوله تعالى (وظلالهم بالغدو والاصال) الغدوة والغداة أول النهار وقيل الى نصف النهار والغدو بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والاصال جمع أصل وهو العشي والاصال العشاء يجمع عشيية وهي ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله

الاستثناء من المصدر أي من الاستجابة التي دل عليها لا يستجيبيون لان الفاعل مجرور يدل على المصدر وبصيغة على الزمان وبالضرورة على المكان والحال فجاز استثناء كل منها من الفعل فصار التقدير لا يستجيبيون استجابة الاستجابة كاستجابة باسط كفيه الى الماء أي كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه الماء جاد لا يشعر بسط كفيه ولا يعطشه وحاجته اليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم واللام في ليبلغ متعلق ببسط كفيه (وما هو ببالغته) وما الماء يبلغ فاه (ومادعاء الكافرين الا في ضلال) في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبههم وان دعوا الاصنام لم تستطع اجابتهم (ولله يسجد من في السموات والارض) يسجد تعبد وانقياد (طوعا) حال يعني الملائكة والمؤمنين (وكرها) يعني المنافقين والكافرين في حال الشدة والضيق (وظلالهم) معطوف على من جمع ظل (بالغدو) جمع غداة كقضى وقناة (والاصال) جمع أصل جمع أصل قبل ظل كل شيء يسجد لله بالغدو والاصال وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره وظله

وظل المؤمن يسجد طوعا وكرها (قل من رب السموات والارض قل الله) حكاية لا عرفهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله دليله قراءة ابن مسعود وابي قالوا الله وهو تلقين أي فان لم يجيبوا فلقنهم فانه لا جواب الا هذا قل انا اتخذتم من دونه اولياء بعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه آلهة لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لا نفسهم ان ينفعوها او يضرها فاعلموا فكيف يستطيعونه لغيرهم (٥٩) وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المنتيب المعاقب

فما بين ضلالتكم (قل هل

يستوى الاعمي والبصير)

أي الكافر والمؤمن

أو من لا يبصر شيئا ومن

لا يخفى عليه شيء (أم هل

تستوى الظلمات والنور)

مهلل الكفر والايان

يستوى كوفي غير حفص (أم

جعلوا لله شركاء) بل أجمعوا

ومعنى الهمة الانكار

(خلقوا بخلقهم) خلقوا

مثل خلقه وهو صفة لشركاء

أي انهم لم يتخذوا لله شركاء

خالقين قد خلقوا مثل خلق

الله (فتشابه الخلق عليهم)

فأشبهه عليهم مخلوق الله

بمخلوق الشركاء حتى يقولوا

قد ربه ولا على الخلق كما

قد ربه الله عليه فاستحقوا

العبادة فتخذهم له شركاء

ونعبدهم كما يعبدون ولكنهم

اتخذوا لله شركاء عاجزين

لا يقدرون على ما يقدر عليه

الخلق فضلا أن يقدروا

على ما يقدر عليه الخالق

(قل الله خالق كل شيء) أي

خالق الاجسام والاعراض

لا خالق غير الله ولا يستقيم

أن يكون له شريك في

الخلق فلا يكون له شريك

في العبادة ومن قال ان

الله لم يخلق أفال الخلق وهم

خلقوها فتشابه الخلق على قولهم (وهو الواحد)

المتوحد بال بوبية (القهار) لا يغالب وماعده مرئوب

ومقهور (أنزل) أي الواحد القهار وهو الله سبحانه (من السماء) من السحاب (ماء) مطر (فما لتأودية) جمع واد وهو الموضع الذي

يسيل فيه الماء بكثرة وانما تكرران المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الارض دون بعض (تقدرها)

وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا يبعد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولا وأفهاما تسجد بها وتخضع كما جعل للجبال أفهاما حتى سجدت لله مع داود وقيل المراد سجود الظلال من مبالغة من جانب الى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدور والاحمال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانها طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسنن القاري والمستمع أن يسجد عند قراءته واستماعه

لهذه السجدة والله أعلم قوله تعالى (قل من رب السموات والارض) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين

يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعني من مآلك السموات والارض ومن مدبرهم ما وخالقهما

فسيقولون الله لا هم مقرون بأن الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا أجابوك بذلك فقل أنت

يا محمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا أجب أنت فأمره

الله أن يجيبهم بقوله (قل الله) أي قل يا محمد الله وقيل انما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لان

المشركين لا ينكرون ان الله خالق كل شيء فلما لم ينكروا ذلك وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله

فكانهم قالوا ذلك أيضا ثم ألزمهم الجملة على عبادتهم الاصنام بقوله (قل) أي قل يا محمد للمشركين (أنا اتخذتم

من دونه) يعني من دون الله (اولياء) يعني الاصنام والولي الناصر والمعنى قولتم غير رب السموات والارض

واتخذتموهم انصارا يعني الاصنام (لا يملكون) يعني وهم لا يملكون (لانفسهم نفعا ولا ضرا) فكيف

لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام وللمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل

هل يستوى الاعمي والبصير) قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن (أم هل تستوى الظلمات والنور)

يعني الشرك والايان والمعنى كما يستوى الاعمي والبصير كذلك يستوى الكافر والمؤمن وكما لا تستوى

الظلمات والنور كذلك لا يستوى الكفر والايان وانما شبه الكافر بالاعمى لان الاعمي لا يهتدى سبيلا

كذلك الكافر لا يهتدى سبيلا (أم جعلوا لله شركاء) هذا استفهام انكار يعني جعلوا لله شركاء (خلقوا

بخلقهم) يعني خلقوا سموات وأرضين وشمسا وقمرًا ووجيا لا ووجيا وانسا (فتشابه الخلق عليهم) من هذا

الوجه والمعنى هل رأوا غير الله خلق شيئا فاشبهه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وجههم بقوله أم

جعلوا لله شركاء خلقوا خلقا مثل خلقه فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا الاستفهام انكارى

أي ليس الامر كذلك حتى يشبهه عليهم الامر بل اذا فكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق

سائر الاشياء والشركاء مخلوقون له أيضا لا يخالفون شيئا حتى يشبهه خلق الله بخلق الشركاء واذا كان الامر

كذلك فقد لزمتهم الجملة وهو قوله تعالى (قل الله خالق كل شيء) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الله خالق كل

شيء مما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شيء من العموم الذي يراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شيء وهو غير مخلوق (وهو الواحد) يعني والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشياء كلها (القهار)

العبادة حتى يدخلهم تحت قضائه وقدره وارادته وقوله عز وجل (أنزل من السماء ماء) لما شبه الله عز وجل الكافر بالاعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى أنزل من السماء ماء يعني المطر (فما لتأودية بقدرها) أودية جمع واد وهو المخرج بين الجبلين يسيل فيه

بقدارها أي علم الله أنه نافع للمطور عابهم غير ضار

الماء وقوله فسالت أودية فيه اتساع وحذف تقديره فسالت في الوادي فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى
 الماء في النهر فحذف في دلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد حدثنا وقال ابن جريح الصغير بقدره
 والكبير بقدره وقيل بمقدار ماؤها وانما تذكر أودية لان المطر اذا نزل لا يعم جميع الارض ولا يسيل في كل
 الاودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد فلهذا السبب جاء هذا بالتنكير وقال ابن عباس
 أنزل من السماء ماء يعني قرآننا وهذا مثل ضرب به الله تعالى فسالت أودية بقدرها يريد بالوديه القلوب
 شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل عم نفعه وكذلك نزول
 القرآن وشبهه القلوب بالوديه لان الاودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الايمان
 والعرفان ببركة نزول القرآن فيها وهذا خاص بالمؤمنين لانهم الذين انتفعوا بنزول القرآن (ق) عن أبي موسى
 الاشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم
 كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها
 أجادب أمسكت الماء الله بها الناس تفسر بواضعها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي
 قيعان لا تعلم الماء ولا تنبت الكلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعمل وعلم ومثل من لم
 يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله وغيره في معنى
 هذا الحديث وشرحه أمما الكلأ فبالهدى يقع على الرطب واليابس من الحشيش وأما قوله وكان منها
 أجادب فيها الجيم والذال المهملة والباء الموحدة كذا في الصحيحين وهي الأرض التي لا تنبت الكلأ جمع جادب
 على غير قياس وقياسه أجذب وأجذب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تفسد الماء ولم يسرع فيه
 النضوب وفي رواية الهروي أخذت بالحاء المعجمة والذال المعجمة جمع أخذته وهي الغدير الذي يسيل الماء
 وقوله ورعوا كذا هو في صحيح مسلم من الرعي ووقع في صحيح البخاري وزرعوا بزيادة زاي من الزرع
 والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المسطح من الأرض وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله يروى بضم
 القاف وهو المشهور وروى بكسرها ومعناه فهم الاحكام وأما معنى الحديث ومقصوده فهو ان النبي صلى
 الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلم بالأرض التي أصابها المطر قال العلماء والأرض ثلاثة
 أنواع وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من أنواع الأرض الطيبة التي تنتفع بالمطر فتنبت به
 العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك وكذلك النوع الاول من الناس من يبلغه
 الهدى وغير ذلك من العلم فيجيبه قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع به وينفع غيره قال مسروق
 صحبت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالأخاذا لان قلوبهم كانت واعية فصارت
 أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهم النوع الثاني من أنواع الأرض لا تقبل الانتفاع في نفسها
 لكن فيها فائدة لغيرها وهي أمثال الماء لغيرها ينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثاني من الناس لهم
 قلوب حافظة لكن ليس لهم أفهام ناقصة فيبقى ما عندهم من العلم حتى يحيج المحتاج اليه المتعطل لما
 عندهم من العلم فيأخذونهم فينتفع به هو وغيره النوع الثالث من أنواع الأرض سجة لا تنبت
 مرعى ولا تفسد ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا أفهام ناقصة فلا ينفعهم شيء من
 العلم لا ينتفعون به في أنفسهم ولا ينتفعون غيرهم والله أعلم وقوله تعالى (فاحتمل السيل زبدا) الزبد ما يعلو
 على وجه الماء عند الزيادة كالخبيب وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذي
 حدث من ذلك الماء زبدا (رايبا) يعني عاليا مرتفعاً فوق الماء طافيا عليه وهما تم ابتدأ بعمل آخر
 فقال تعالى (ومما توفدون عليه في النار) الا يقاد جعل الخطب في النار لتنفذ تلك النار تحت الشيء
 ليس لود (ابتغاء حلية) يعني لطلب زينة والغمير في قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا
 مذكورين لان الحلية لا تطلب الا منها (أو متاع) يعني أو لطلب متاع آخر مما ينتفع به كالخبيد والنحاس

(فاحتمل السيل) أي رفع
 (زبدا) هو ماء سلا على
 وجه الماء من الرغوة
 والمعنى عيلا زبدا
 (رايبا) منتفخا مرتفعا
 على وجهه السيل (ومما
 توفدون عليه) وبالياء كوفي
 غير أبي بكر ومن لا يتداه
 الغاية أي ومنه ينشأ زبد
 مثل زبد الماء أو للتبعض
 أي وبعضه زبد (في النار)
 حال من الضمير في عليه
 أي ومما توفدون عليه ثابتا في
 النار (ابتغاء حلية) مبتغين
 حلية فهو مصدر في موضع
 الحال من الضمير في توفدون
 (أو متاع) من الحديد
 والنحاس والرصاص يتخذ
 منها الأواني وما يتقنع به في
 الخضر والسفر وهو موقوف
 على حلية أي زينة من
 الذهب والفضة

(زبد) خبث وهو مبتدأ (مثله) ثعت له ومما يؤذون خبره أي لهذه الغلطات إذا أعليت زبد مثل زبد الماء (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي مثل الحق والباطل (فأما الزبد فيذهب جفاء) حال أي متلاشي وهو ما تقذفه القدر عند الغلجان والبحر عند الطغيان والحق الرمي وجفوت الرجل صرعته (وأما ما ينفع الناس) من الماء والحلي والأواني (فيكث في الأرض) فيثبت الماء في العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تنسج في الأرض مدة طويلة (كذلك يضرب الله الأمثال) ليظهر الحق من الباطل وقيل هذا مثل ضرب به الله للحق وأهله والباطل وخزبه قتل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيجربون به وينفعهم بأنواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني والآلات (٦١) المختلفة وذلك ما كثرت في الأرض بآثاره

ظاهرا ثبت الماء في مناقفه وكذلك الجواهر تنسج في أرضه متطاوله وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشن زواله بزبد السيل الذي يرمي به وزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب قال الجهور وهذا مثل ضرب به الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل فلما نزل الحياة الجنان كالماء للآبدان والأودية القلوب ومعنى بقدرها بقدر سعة القلب وضيقه والزبد هو اجس النفس ووساوس الشيطان والماء الصافي المنتفع به مثل الحق فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفو الماء كذلك يذهب هو اجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو وأما حليسة الذهب والفضة قتل للأحوال السنية والأخلاق الزكية وأما متاع الحديد والتماس والرصاص فمثل للأعمال الممدة بالاخلاص المعدة

والرصاص ونحوه مما يذاب وتختل من هذه الأواني وغيرهما ينتفع به المتساع كل ما يتنع به ويقال لكل ما ينتفع به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الأواني متاع (زبد مثله) يعني أن ذلك الذي يؤذون عليه في النار إذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء فانصاف من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي ينتفع به وهو مثل الحق والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى (كذلك يضرب الله الحق والباطل) فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينتفع به وهو قوله (فأما الزبد فيذهب جفاء) يعني ضاعا باطلا والجفاء ماري به الوادي من الزبد إلى جوانبه وقيل الجفاء المتفرق يقال جفأت الرمح الغيم إذا فرقته والمعنى أن الباطل وان علا في وقت فانه يضمحل ويذهب (وأما ما ينفع الناس) يعني الماء الصافي والجوهر الجيد من هذه الأجسام التي تذاب (فيكث في الأرض) يعني يثبت ويبقى ولا يذهب (كذلك يضرب الله الأمثال) قال أهل التفسير والمعاني هذا مثل ضرب به الله للحق والباطل فالباطل وان علا على الحق في بعض الأوقات والأحوال فان الله يحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذي يعالو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافي الذي ينتفع به وكذلك الصفو من هذه الجواهر يبقى ويذهب العوال الذي هو الكدر وهو ما ينفعه الكبير مما يذاب من جواهر الأرض كذلك الحق والباطل وان علا في وقت فانه يذهب هو وأهله والحق يظهر هو وأهله وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وانتفاعه بالإيمان كمثل الماء الصافي الذي ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالزبد الذي لا ينتفع به البتة وقيل هذا مثل ضرب به الله للزور الذي يحصل في قلوب العباد على ما قدم لها في الأزل لان الوادي إذا سال كنس كل شيء فيه من التجاسات والمستفذرات كذلك إذا سال وادي قلب العبد بانور الذي قسم له على قدر إيمانه ومعرفته كنس كل ظلمة وغفلة فيه فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيكث في الأرض يعني يذهب الباطل وهي الأخلاق المذمومة وتبقى الحقائق وهي الأخلاق الحسنة كذلك يضرب الله الأمثال في قوله تعالى (الذين استجابوا لربهم الحسنى) قيل اللام في الذين متعلقة بيبضرب والمعنى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعني أجابوه إلى ما دعاهم إليه من توحيده والإيمان به ورسوله وللكافرين الذين لم يستجيبوا فاعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الأمثال للفر يقين من المؤمنين والكافرين وقيل ثم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الأمثال ثم استأنف بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجهور المفسرين يعني الجنة وقيل الحسنى هي المنفعة العظمى في الحسنى وهي المنفعة الخالصة الخالية عن شوائب المضرة والانتفاع (والذين لم يستجيبوا له) يعني الكفار الذين استمروا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه (لو أن لهم مافي الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به) يعني لبدلوا ذلك كله فداء لأنفسهم من

للخلاص فان الأعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما أن تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب وأما الزبد فالزبد والخلل والممل والسكل واللام في (الذين استجابوا) أي أجابوا متعلقة بيبضرب أي كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) وهي صفة لمصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له) أي وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلا للفر يقين وقوله (لو أن لهم مافي الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به) كلام مبتدأ في ذكر ما أعد الله للمستجيبين أي لو ملكوا أموال الدنيا وملكوا معها مثلها ابتلوا وليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله والوجه أن الكلام قد تم على الأمثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ أخبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ أخبره لومع مافي جزه

(أولئك لهم سوء الحساب) المناقشة فيه في الحديث من فوَّش الحساب عذب (ومأواههم جهنم) وجمعهم بعد المحاسبة النار (وبئس المهاد) المكان الممهد والمذموم مخدوف (٦٣) أي جهنم دخلت همزة الانكار على الفاء في (أفمن يعلم) لا نكار أن تقع شبهة ما بعد ما ضرب

من الممثل في أن حال من علم (أن ما أنزل اليك من ربك الحق) فاستجاب بعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله (كن هو أعمى) كعبه ما بين الزبد والماء والخشب والابريز (انما يتذكر أولو الالباب) أي الذين عملوا على قضايا حقولهم فظفروا واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ والخبر أولئك لهم عقبي الدار كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة وقيل هو صفة لأولى الالباب والاول أوجه وعهد الله ما عهده على أنفسهم من الشهادة برؤيته وأشهدهم على أنفسهم أستبركم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد نعمهم بعهد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم واقتداء السلام عليهم وعبادة مرضاهم ومراعاة حق الاحباب والخدم والجيران والرفقاء في السفر (ويخشون ربهم) أي وعبدوه كله (ويخافون سوء الحساب) خصوصاً فيما سبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) مطلق

عذاب النار يوم القيامة (أولئك) يعني الذين لم يستجيبوا لهم (الهم سوء الحساب) قال ابراهيم التيمي سوء الحساب أن يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يغفر له منه شيء (ومأواههم) يعني في الآخرة (جهنم وبئس المهاد) يعني وبئس ما مهدهم في الآخرة وقيل المهاد الفراش يعني وبئس الفراش يفرش لهم في جهنم قوله تعالى (أفمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق) يعني فيؤمن به ويعمل بما فيه (كن هو أعمى) يعني أعمى البصيرة لا أعمى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما أنزلت في حزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل فالاول هو حزة أو عمار واثاني هو أبو جهل وحل الآية على العموم أولى وإن كان السبب مخصوصاً والمعنى لا يستوى من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالاعمى لان الاعمى لا يمتد لي رشد وعما وقع في مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يمتديان للرشد وهما واقعان في المهلكة (انما يتذكر أولو الالباب) يعني انما يتعظ ذور العقول السليمة الصحيحة وهم الذين يتفهمون بالمواظاة والاذكار قوله عز وجل (الذين يوفون بعهد الله) يعني الذي عاهدهم عليه وهو القيام بما أمرهم به وفرضه عليهم وأصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال وقيل أراد بالعهد ما أخذ على أولاد آدم حين أخرجه من صلبه وأخذ عليهم العهد والميثاق (ولا ينقضون الميثاق) بل يوفون به فهو توكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسول يعني يصل بينهم بالايمان ولا يفرق بين أحد منهم والاكترون على ان المراد به صلة الرحم عن عبد الله بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أو قال بنته أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يسقط له في رزقه وان ينسأ له في أثره فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الأهل والاقارب والاحسان اليهم وصلته القطع قوله وان ينسأ له في أثره هنا الاجل وسعى الاجل أثر الالة تابع للحياة وسابقتها ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير الاجل وهو على وجهين أحدهما ان يبارك الله له في عمره فكأنما قدر زاد فيه والثاني ان يزيد في عمره زيادة حقيقة والله يفعل ما يشاء (ق) عن جابر بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع زادني رواية قال سفيان يعني قاطع رحم (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل ومثرة في المال ومنسأة في الأثر أخرجه الترمذي وقوله تعالى (ويخشون ربهم) يعني أنهم مع وفائهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما أمر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه (ويخافون سوء الحساب) تقدم معناه (والذين صبروا) يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله وقال عطاء على المصائب والنواب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل حمله على العموم أولى فدخل فيه الصبر على جميع التواب والمأمورات من سائر العبادات والطاعات وجميع أعمال البر وترك جميع المنهيات فدخل فيه ترك جميع المعاصي من الحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات

مثل منهم والشفقة عليهم واقتداء السلام عليهم وعبادة مرضاهم ومراعاة حق الاحباب والخدم والجيران والرفقاء في السفر (ويخشون ربهم) أي وعبدوه كله (ويخافون سوء الحساب) خصوصاً فيما سبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) مطلق

فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكليف (ابتغاء وجهه ربه) (٦٣) لا يقال ما أصبره وأجله للنوازل وأوقره

عند الزلازل ولا للآل عاب

في الجزع (وأقاموا الصلوة)

داوموا على أقامتها (وأنفقوا

مما رزقناهم) أي من الحلال

وان كان الحرام رزقاً عندنا

(سرا وعلانية) يتناول

النوافل لأنها في السر أفضل

والفرائض لأن المجاهرة

بها أفضل نفي اللزوم

(ويدرون بالحسنة

السنية) ويدفعون بالحسن

من الكلام ما يرد عليهم

من سب غيرهم أو إذا حرموا

أعطوا وأذا ظلموا أعفوا وإذا

قطعوا وصلوا وإذا أنبوا

تابوا وإذا هربوا آتوا

وإذا رآهم منكروا أمرهم

بتغييره فهذه ثمانية أعمال

تشير إلى ثمانية أبواب الجنة

(أولئك هم عقبى الدار)

عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها

التي أرادها الله أن تكون

عاقبة الدنيا امر جمع أهلها

(جنات عدن) بدل من

عقبى الدار (يدخلونها

ومن صلح) أي آمن (ومن

آبائهم وأزواجهم وذرياتهم)

وقرى صلح والفتح أقص

ومن في محل الرفع بالعطف

على الضمير في يدخلونها

وساغ ذلك وان لم يؤكد

لأن ضمير المفعول صار

فاسلاً وأجاز الزجاج أن

يكون مفعولاً معه

وصفهم بالصالح ليعلم أن

الانساب لا تنفع بنفسها

مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الأمراض والمصائب وأصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان جسمه أعنه والصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكرنا وغايد الصبر بقوله (ابتغاء وجهه ربه) لأن الصبر ينقسم إلى نوعين الأول الصبر المذموم وهو ان الإنسان قد يصبر ليقال ما أكمل صبره وأشد قوته على ما تحمل من النوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع وقد يصبر لئلا تشمت به الأعداء وكل هذه الامور وان كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخل تحت قوله ابتغاء وجهه ربه لانما اغير الله تعالى النوع الثاني الصبر المحمود وهو ان يكون الانسان صابراً لله تعالى راضياً بما نزل به من الله طالبا في ذلك الصبر ثواب الله محتسباً أجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجهه ربه بمعنى صبروا على ما نزل بهم تعظيماً لله وطلب رضوانه (وأقاموا الصلوة) يعني الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم أولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد بأقامتها اتقوا أركانها وهياتها (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به ان كفاة المفروضة فان لم يتبرك أداء الزكاة فالأولى ان يؤدبهم امرؤان كان منهما تبرك أداء الزكاة فالأولى ان يؤدبها علانية وقيل ان المراد بالسر ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية ما يؤديه الى الامام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم أولى (ويدرون بالحسنة السنية) قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح العمل السيئ وهو معنى قوله ان الحسنات يذهبن السيئات ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وإذا عملت سيئة فاعمل بحسنة تحبها الله بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيقة قد خفقت ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى خرج الى الارض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافئون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبي معناه اذا سقه عليهم حلوا والسقة السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم رد امرؤا وقال الحسن اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا أعفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان مشبهة الى أبواب الجنة الثمانية قلت انما هي تسع خلال فيحتل ان عدد خلعتين بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه الخلائ من أعمال البر ذكر بعدهما ما عدل لعلهم يهابون الثواب فقال تعالى (أولئك) يعني من أتى بهذه الأعمال (الهم عقبى الدار) يعني الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب (جنات عدن) بدل من عقبى الدار يعني بساكنة اقامة يقال عدن بالمسكان اذا أقام به (يدخلونها) يعني الدار التي تقدم وصفها (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) يعني ومن صدق من آبائهم عباساً وقوايه وان لم يعمل بآعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج ان الانسان لا ينتفع بغير أعماله الصالحة فلهي قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووحد وعلى قول الزجاج معناه أصلح في عمله قال الواحدى والعصم ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله حيث يشره بدخوله الجنة مع هؤلاء فدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به اذ كل من كان صالحاً دخلوا الجنة بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به اذ كل من كان صالحاً في عمله فهو يدخل الجنة قال الامام نجر الدين الرازى قوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة وله في الأولى من مات عنها أو مات عنه وروى انه لما كبرت سودة أراد النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها فأنساه أن لا يفضل ووهبت يومها لعايشة فأمسكها رجاءه ان تحشر في جنة أزواجه فهو كالدليل على ما ذكرناه وقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) يعني من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور وقال ابن عباس يريد به التبعة من الله والخف والهدايا (سلام عليكم) يعني يقولون سلام عليكم فأضمر القول ههنا دلالة الكلام عليه (عما صبرتم) يعني يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التي كنتم

والمراد أبوك واحد منهم فكانه قيل من آباءهم وأمهاتهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) في قدر كل يوم ليلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الرضا (سلام عليكم) في موضع الحال اذ المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين (عما صبرتم) معتلقي تعذير هذا بما صبرتم

أي هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات (٦٤) أو على أمر الله أو بسلام أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والاول أوجه (فنعلم عقبي الدار)

الجنات (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) من بعد ما أرفقوه به من الاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به به أن يصل ويفسدون في الأرض) بالكفر والظلم (أولئك لهم اللعنة) الأبعاد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبي الدار وان يراد بالدار جهنم وسوء عذابها (الله ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر) أي ويضيق لمن يشاء والمعنى الله وحده هو ييسر الرزق ويقدر غيره (وفرحو بالحياة الدنيا) بما بسط لهم من الدنيا فرح بطروا ثم لا فرح مرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤخروا بنعيم الآخرة (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس الاشياء نورا يتقنع به كجبال الرأكب وهو ما يتجمله من عيرات أو مشربة سويق (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أي الآية المقترحة (فقل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدي اليه من أناب) ويرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه (الذين آمنوا) هم الذين آمنوا أو محله النصب بدل من من (وتطمئن قلوبهم) تسكن (بذكر الله) على الدوام العلماء أو بالقرآن أو بوعده (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) عبداً (طوبى لهم)

تخافونها في الدنيا وأدخلكم عاصبرتم في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات الجنة وقيل ان السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثواباً للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعني سلمكم الله عاصبرتم قال مقاتل ان الملائكة يدخلون عليهم في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتعف من الله تعالى يقولون سلام عليكم عاصبرتم وروى البغوي بسنده عن أبي أمامة موقفاً عليه قال ان المؤمن ليكون متكئاً على أريكته اذا دخل الجنة وعنده سمطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملاك من ملائكة الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم الى الباب فاذا بالملك يستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول الآخر كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول انذوفه فيقول آقرهم الى المؤمن انذوفه ويقول الذي يليه انذوفه وكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف (فنعلم عقبي الدار) يعني فنعلم العقبي الدار وقيل معناه فنعلم عقبي الدار ما أنتم فيه (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده أحوال الأشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لانهم الذين نقضوا عهد الله يعني خالفوا أمره ومعنى من بعد ميثاقه من بعد ما أرفقوه على أنفسهم بالاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يصل) يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والقرباة (ويفسدون في الأرض) يعني بالكفر والمعاصي (أولئك) يعني من هذه صفة (لهم اللعنة) يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة (ولهم سوء الدار) يعني النار لان منقلب الناس في العرف الى دورهم ومنازلهم فالمؤمنون لهم عقبي الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار قوله تعالى (الله ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتصر عليه وهذا أمر اقتضته حكمة الله (وفرحو بالحياة الدنيا) يعني مشركي مكة لما بسط الله عليهم الرزق أشروا ويطروا والفرح لذة تحصل في القلب بفيل المشتهى وفيه داسيل على ان الفرح بالدنيا والركون اليها حرام (وما الحياة الدنيا في الآخرة) يعني بالنسبة الى الآخرة (الامتع) أي قليل ذاهب قال الكلبي المتاع مثل السكرجة والقصة والقدر ينفع بها في الدنيا ثم يذهب كذلك الحياة الدنيا انها ذاهبة لا بقاء لها (ويقول الذين كفروا) يعني من أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) يعني هلا أنزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى (قل) أي قل لهم يا محمد (ان الله يضل من يشاء) فلا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يهده الله عز وجل وهو قوله (ويهدي اليه من أناب) يعني ويرشد الى دينه والايان به من أناب بقلبه ورجع اليه بكليته (الذين آمنوا) بدل من قوله من أناب (وتطمئن قلوبهم) يعني وتسكن قلوبهم (بذكر الله) قال مقاتل بالقرآن لانه طمأنينة لقلوب المؤمنين والطمأنينة السكون اغما تكون بقوة اليقين والاضطراب اغما يكون بالشك (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) يعني بذكره تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيهم اوقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شيء سكنت قلوب المؤمنين اليه فان قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى في أول سورة الانفال اغما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحد قلت اغما يكون الوجع عند ذكر الوعد والعقاب والطمأنينة اغما تكون عند الوعد والثواب فالقول بوجع اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) اختلف

العلماء (الذين آمنوا) هم الذين آمنوا أو محله النصب بدل من من (وتطمئن قلوبهم) تسكن (بذكر الله) على الدوام العلماء أو بالقرآن أو بوعده (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) عبداً (طوبى لهم)

العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرءة أعين وقال عكرمة نعى لهم وقال قتادة حسن لهم وفي رواية أخرى عنه ان هذه الكلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أى أصبت خيرا وقال ابراهيم النخعي خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال المستطابة لهم وهو كل ما استطابه هؤلاء في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهرى تقول طوبى لك وطوباك لئن لا تقول العرب وهو قول أكثر النحويين وقال سعيد بن جبيرة طوبى اسم الجنة بالحبشية وروى عن أبي امامة وأبي هريرة وأبي الدرداء ان طوبى اسم شجرة في الجنة تظل الجنان كلها وقال عبيد ابن عمير هي شجرة في جنة عدن أصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لولا زهرة الا وفيها منه الا اسود ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبت من أصلها عينان الكافور والسيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله بأنواع التسبيح وروى عن أبي سعيد الخدري أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال هي شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه نبت الحلى والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البيهقي هذين الحديثين بغير سند وروى بسنده موقوفا عن أبي هريرة قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرؤا ان شتم وظل ممدود فيبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لوان رجل راكب فرسا أو حقة أو جذعة ثم دار بأرض تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرامان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان أفنانها من وراء سور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة قال البيهقي وبهذا الاسناد عن عبيد الله بن المبارك عن الأشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها تنفقي لعبدي عما يشاء فتفتق له عن فرس مسروجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتفتق له عن الراحلة برجلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وعن الثياب (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخاري في روايته واقروا ان شتم وظل ممدود وقوله تعالى (وحسن ما ب) يعني ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلبون ويرجعون اليه في الآخرة وهي الجنة قوله عز وجل (كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمة) يعني كما أرسلناك يا محمد الى هذه الأمة كذلك أرسلنا أنبياء قبلك الى أمة قد خلت ومضت (لتنزل عليهم الذي أوحينا اليك) يعني تنزل على أمتك الذي أوحينا اليك من القرآن وشرايع الدين (وهم يكفرون بالرحن) قال قتادة ومقاتل وابن جرير هذه الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سميل بن عمرو لما جاء للصلح واتفقوا على ان يكتبوا كتاب الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن الا صاحب البعثة يعنون مسيلة الكذاب اكتب كما تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحن يعني أنهم يشكرونه ويجهلون والمعلوم ان الآية مكية وسبب نزولها ان أبا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الجحر يدعو ويقول في دعائه يا الله يا رحمن فرجع أبو جهل الى المشركين وقال ان محمد يدعو الهين يدعو الله ويدعو الهها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا الرحمن البعثة فترأت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيامندعوا فله الاسماء الحسنى وروى الفصحاء عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحن

خبره وهو مصدر من طاب
كيشري ومعنى طوبى لك
أصبت خيرا وطيبا ومجملها
النصب أو الرفع كقولك
طيبا لك وطيب لك وسلاما
لك وسلام لك واللام في لهم
للبيان مثلها في سقيها لك
والواو في طوبى منقلبة عن
ياء لضمه ما قبلها كسوق
واقراءة في (وحسن ما ب)
مرجع بالرفع والنصب
تلك على مجملها (كذلك
أرسلناك) مثل ذلك
الارسال أرسلناك ارسالا
له شأن وفضل على سائر
الارسالات ثم فسر كيف
أرسله فقال (في أمة
قد خلت من قبلها أمة) أي
أرسلناك في أمة قد تقدمتها
أمة كثيرة فهي آخر الامم
وأنت خاتم الانبياء (لتنزل
عليهم الذي أوحينا اليك)
لتنزل عليهم الكتاب العظيم
الذي أوحينا اليك (وهم
يكفرون) رجال هؤلاء انهم
يكفرون (بالرحن) بالبلغ
الرحمة الذي وسعت رحمة

كل شيء (قل هوربي) ورب كل شيء (٦٦) (لا اله الا هو) أي هوربي الواحد المتعالي عن الشركاء (عليه توكلت) في نصرتي عليكم

قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى (قل) أي قل يا محمد ان الرحمن الذي أنكرتم معرفته (هوربي لا اله الا هو عليه توكلت) يعني عليه اعتمدت في أموري كلها (والله متاب) يعني والله توبتي ورجوعي ﴿قوله تعالى (ولو أن قرآناسيرت به الجبال) الآية نزلت في نفر من مشركي قريش منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله ابن أبي أمية جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم فأناهم رقيب انه مريهم وهم جالوس فدعاهم الى الله عز وجل فقال له عبد الله بن أبي أمية ان شركك أن تنبئك فيسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تنفخ فانها أرض ضيقة لمزارعنا وجعل لنا فيها أنهارا وعيونا والغرس الاشجار وزرع ونخذ البساتين فلست كازعت بأهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الرج لركبهم الى الشام لميرتنا وحواجننا ونرجع في يومنا كما سخرت لسلیمان كازعت فلست بأهون على ربك من سليمان أو أحمى لنا جسدك قصيا أو من شئت من موتانا لئلا نله عن أمرك أحق أو باطل فان عيسى كان يحيي الموتى ولست بأهون على الله من عيسى فأترل الله هذه الآية ولو أن قرآناسيرت به الجبال فأذبت عن وجه الأرض (أو قطعت به الأرض) يعني شققت فجعلت أنهارا وعيونا (أو كرم به الموتى) فأحيها واختلفوا في جواب لوقال قوم جواب لو محذوف وانما حذف اكتفاء بعرفة السامع مراده وتقديره ولو أن قرآن فاعمل به كذا وكذا كان هذا القرآن فهو كقول الشاعر

فأقسم لو شئ أنانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

أراد لو شئ أنانا رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فإنه قال معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقال آخرون جواب لو تقدم تقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآناسيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كرم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا به لما سبق في علمنا فيهم هم كقوله ولو أنانا نزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا يؤمنوا ثم قال تعالى (بل الله الامر جميعا) يعني في هذه الاشياء وفي غيرها ان شاء فعل وان شاء لم يفعل (أفلم يأس الذين آمنوا) قال أكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال النكبي هذه لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف أهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وأبو عبيد الله يأس ألم يعلم واستدلوا بهذه اللغة بقول الشاعر

أقول لهم بالشعب أذا مروني * ألم يأسوا الى ابن فارس زهدم

يعني ألم تعلموا واستدلوا عليه أيضا بقول شاعر آخر

ألم يأس الاقوام الى أنابسه * وان كنت عن أرض العشرة نائبا

يعني ألم يعلم الاقوام قال قطرب يأس بمعنى علم لغة العرب قالوا ووجه هذه اللغة انه انما وقع اليأس في مكان العلم لان علمك بالشئ ويقينك به يئسك من غيره وقيل لم يرد ان اليأس في موضع كلام العرب للعلم وانما قصد ان يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضي ان يحصل العلم بانتفاءه فاذا معنى يأسهم يقتضي حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت قال وهذا الخرف في القرآن من اليأس المعروف لامن العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات اشرب المسلمون لذلك وأرادوا ان يظهر لهم آية ليثبتهم على الايمان فقال الله تعالى أفلم يأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء ويعلموا علمنا يقينا (أن لو شاء الله لهدى الناس جميعا) يعني من غير ظهو وآية وقال الزجاج القول عندى ان معناه أفلم يأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء لان الله لو شاء لهدى الناس جميعا وحاصله ان في معنى الآية قولين أحدهما ان يئس بمعنى علم والقول الثاني انه من اليأس المعروف وتقدير القولين ما تقدم وتيسر لك أهل السنة بقوله أن لو شاء الله لهدى الناس جميعا على ان الله لم يشأ هداية جميع الخلاق (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) يعني من الكفر والاعمال الخبيثة (فأرعة) أي نازلة وذاهية تفرعهم بأنواع البلاء يا ناعرة بالجذب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والامر وقال ابن عباس

(والله متاب) مريحي فينبيني على مصاربتكم متابي وعقابي وما آتني في المطالين يعقوب (ولو أن قرآناسيرت به الجبال) عن مقارها (أو قطعت به الأرض) حتى تنصدع وتزابل قطعا (أو كرم به الموتى) فتسمع وتجب لكنا هذا القرآن ليكون غايته في التذكير ونهاية في الانذار والخوف فخراب لو محذوف أو معناه ولو أن قرآن واقع به تبيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبئهم لما آمنوا به ولما تنبها عليه كقوله ولو أنانا نزلنا اليهم الملائكة (بل لله الامر جميعا) بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها (أفلم يأس الذين آمنوا) أفلم يعلم وهي لغة قوم من النخع وقبل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليأس عن الشئ عالم بانه لا يكون كما استعمل النسيان في معنى الترتك لتضمن ذلك دليله قراءة على رضى الله عنه أفلم يبين وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السنان وهذه والله قرية ما فيها مريية (ان لو شاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وسوء اعمالهم (فأرعة) داهية تفرعهم بما جعل الله لهم في كل وقت من صنوف البلاء والمصائب في نفوسهم وأولادهم واموالهم

(أو تحل قريبان دارهم) أو تحل القارة قريبان منهم فيفزعون ويشتطرون عليهم شررها ويتعدى اليهم شرورها (حتى يأتي وعد الله) أي موتهم أو القيامة أو لا يزال كفار مكة نصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارة لأن جيش رسول الله يغير حول مكة ويحفظ منهم أو تحل أنت يا محمد قريبان دارهم بحيث لن يوم الحديسية حتى يأتي وعد الله أي فتح مكة (أن الله لا يخلف الميعاد) أي لا خلف في مواعده (واقداستنزى برسل من قبلك فأملت للذين كفروا) الاملاء الامهال وان يترك مسلاوة من الزمان في خفض وأمن (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) وهذا وعيد لهم وجواب (٦٧) عن اقتراحهم الآيات على رسول الله

استنزاه به وتسلية له (أفن هو قائم) احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني أقاله الذي هو قريب (على كل نفس) صالحة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره ويعيد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ثم استأنف فقال (وجعلوا لله شركاء) أي الاصنام (قل سمعهم) أي سمعهم له من هم ونبوؤهم باسمائهم ثم قال (أم تنبؤونه بما لا يعلم في الارض) على أم المنقطعة أي بل أنبؤونه بشركاء لا يعلمون في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذالم يعلم علمهم انهم ليسوا بشئ والمراد في أن يكون له شركاء (أم يظاهرون من القول) بل أنتموهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون من دونه الا أسماء سميت بها (بل زين للذين كفروا مكرهم) كيدهم للإسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) عن سبيل الله بضم الصاد كوني وبفضها

أراد بالقارة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم (أو تحل) بني السرايا أو البلية (قريبان دارهم) وقيل معناه أو تحل أنت يا محمد قريبان دارهم (حتى يأتي وعد الله) يعني النصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل أراد بوعده الله يوم القيامة لأن الله يحجمهم فيه فيجازيهم بأعمالهم (أن الله لا يخلف الميعاد) والغرض منه تشجيع قلب النبي صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن عنه لعلمه بأن الله لا يخلف الميعاد (واقداستنزى برسل من قبلك) وذلك ان كفار مكة انما سألو هذه الاشياء على سبيل الاستنزاء فانزل الله هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم اغماطوا مثل هذه الآيات على سبيل الاستنزاء وكذلك قد استنزى برسل من قبلك (فأملت للذين كفروا) يعني فامهاتهم وأطلت لهم المدة (ثم أخذتهم) يعني بالعذاب بعد الامهال فعذبهم في الدنيا بالقطع والقتل والاسروفي الآخرة بالنار (فكيف كان عقابي لهم) يعني فكيف كان عقابي لهم (أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت) يعني أفن هو حافظها ورازقها وعالم بما عملت من خير أو شر ويجازيها بما كسبت فينبئها ان أحسنت وبعاقرها ان أسأت وجوابه محذوف وتقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره أعجز وهي الاصنام التي لا تقدر ولا تنفع (وجعلوا لله شركاء) يعني وهو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي جعلوها لله شركاء (قل سمعهم) يعني له وقيل سمعهم بما يستحقون ثم انظروا هل هي أهل لان تعبد (أم تنبؤونه) يعني أم تخبرون الله (بما لا يعلم في الارض) يعني انه لا يعلم ان نفسه شريكا من خلقه وكيف يكون الخلق شريكا للخالق وهو العالم بما في السموات والارض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك نفي العلم بان يكون له شريك (أم يظاهرون من القول) يعني انهم يتعلقون بظاهر من القول مسرع وهو في الحقيقة باطل لا أصل له وقيل معناه بل يظن من القول لا يعلون حقيقة نفسه (بل زين للذين كفروا مكرهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وانما مكر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر أحد ان يتصرف في الوجود الا باذنه فتزين الشيطان القاء الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال أحد وهذا يتبعه الا الله تعالى ويدل على هذا سابق الآية وهو قوله ومن يضلل الله فإله من هاد (وقوله (وصدوا عن السبيل) قرئ بضم الصاد ومعناه صدوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا عن سبيل الله غيرهم أي عن الايمان (ومن يضلل الله فن له من هاد) الوقف عليه بسكون الدال وحذف الياء في قراءة أكثر القراء (لهم عذاب في الحياة الدنيا) يعني بالعذاب والاسروفي ذلك مما فيه غيظهم (والعذاب الآخرة أشق) يعني أشد وأغلظ لان المشقة غلظ الامر على النفس وشده مما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق الذي هو الصدع (ومالهم من الله) يعني من عذاب الله (من واد) يعني من مانع عنهم من عذابه (وقوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي صفة الجنة التي وعد المتقون (تجري من تحتها الانهار) كاهادانم) لا ينقطع أبدا (وظلها) يعني انه دائم أبدا لا ينقطع وليس في

غيرهم ومعناه وصدوا المسلمين عن سبيل الله (ومن يضلل الله فإله من هاد) (لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والاسروفي أنواع المحن (والعذاب الآخرة أشق) أشد لدوامه (ومالهم من الله من واد) من حافظ من عذابه (مثل الجنة التي وعد المتقون) صفتها التي هي في غرابه المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف أي فيما يلي عليكم مثل الجنة أو الخبر (تجري من تحتها الانهار) كقول صفة زبد أسمر (أكلها دائم) ثم هادانم الوجود لا ينقطع (وظلها) دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس

(تلك عقبي الذين اتقوا) أي الجنة الموصوفة (٦٨) عقبي فتقواهم يعني منتهى أمرهم (وعقبي الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب)

الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل محدود لا ينقطع ولا يزول وفي الآية رد على جهنم وأصحابه فأنهم يقولون ان نعيم الجنة يقف وينقطع وفي الآية دليل على ان حركات أهل الجنة لا تنهي الى سكون دائم كما يقول أبو الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار المعتزلي بهذه الآية على ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل انها لو كانت مخلوقة لوجب ان تقضى وينقطع أكلها لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائم يعني لا ينقطع قال ولا ينكر أن تكون في السموات جذات كثيرة تتعقبهم الملائكة ومن بعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم على ما روى الا ان الذي نذهب اليه ان جذة الملائكة لم تخلق بعد والجواب عن هذا أن حاصل دليلهم من كذب من آيتين احدهما قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه والاخرى قوله أكلها دائم وظلها فاذا أدخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فقص هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وحسنه عرضها السموات والارض أعدت للمتقين وقوله تعالى (تلك عقبي الذين اتقوا) يعني ان عاقبة أهل التقوى هي الجنة (وعقبي الكافرين النار) يعني في الآخرة قوله عز وجل (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليهم) في المراد بالكتاب هنا قولان أحدهما انه القرآن والذي أوتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت بتجدد نزول القرآن (ومن الأحزاب) يعني الجماعات الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى (من ينكر بعضه) وهذا قول الحسن وقادة فان قلت ان الأحزاب من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب ينكرون القرآن كله فكيف قال ومن الأحزاب من ينكر بعضه قلت ان الأحزاب لا ينكرون القرآن بجملة لانه قد ورد فيه آيات دالة على توحيد الله واثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك أبداً والقول الثاني ان المراد بالكتاب التوراة والإنجيل والمراد بأهلها الذين أسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ومن أسلم من النصارى وهم عثاقون رجالاً ويعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة من سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الأحزاب يعني بقية أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقبل كان ذكر الرحمن قليلاً في القرآن في الاشارة فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فلما كرر الله تعالى ذكره لفظه الرحمن في القرآن فرحوا بذلك فأنزل الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليهم ومن الأحزاب يعني مشركي مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف الرحمن الا رجلاً الباطل يعنون مسيلة الكذاب فأنزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هوربي وانما قال ومن الأحزاب من ينكر بعضه لانهم كانوا لا يشكرون الله ويشكرون الرحمن (قل) أي قل يا محمد (انما أمرت أن أعبد الله) يعني وحده (ولا أشرك به) شيئاً (اليه ادعو) أي الى الله والى الايمان به ادعوا للناس (واليه ما تب) يعني مرجي يوم القيامة (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً) أي كما أنزلنا الكتاب على الانبياء بلغاتهم واسمهم أنزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب وهو القرآن عربياً بالسانك ولسان قومك وانما سمى القرآن حكماً لان فيه جميع التكليف والاحكام والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان القرآن سبباً للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله سبحانه على جميع الخلق يقول انقرآن والاعمال بمقتضاه سواء حكماً لذلك المعنى (واتن) اتبعته أهواءهم قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة آبائهم فتوعده الله على اتباع أهواءهم في ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آبائهم في الصلاة ليست المقدس (بعد ما جاءك من العلم) يعني بأنك على الحق وان قبلت الكعبة هي الحق وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبي صلى

يريد من أسلم من اليهود كالب من أسلم ومن النصراني بأرض الحبشة (يفرحون بما أنزل اليهم ومن الأحزاب) أي ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأصحابه (من ينكر بعضه) لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع (قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) هو جواب للمشركين أي قل انما أمرت فيما أنزل الي بأن أعبد الله ولا أشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به (اليه ادعو) خصوصاً لا ادعوا الى غيره (واليه) لا الى غيره (ما تب) مرجي وأنتم تقولون مثل ذلك فلامعنى لا تنكاركم (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الانزال أنزلناه ما مورافيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والى انذار بدار الجزاء (حكماً عربياً) حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى

الله عليه وسلم الى أمور يشاركونهم فيها قبل (ولئن اتبع أهواءهم بعد ما جاءك من العلم)

الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حديث للنبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما أمر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لأن من هو أرفع منزلة وأعظم قدراً وأعلى مرتبة إذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الأولى (مالك من الله من ولي ولا وافي) يعني من ناصر ولا حافظ ٥ قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك) روى ابن اليهودي وقيل المشركين قالوا إن هذا الرجل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم ليس له مهمة إلا في النساء فعابوا عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم أنه رسول الله لكان مشغولاً بالزهد وترك الدنيا فأجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعما عابوه بقوله عز وجل ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك يا محمد (وجعلناهم أزواجاً وذرية) فانه قد كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة امرأة حرة وسبع مائة امرأة سريفة فلم يقدح ذلك في نبوته وكان لآبيه داود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة فلم يقدح ذلك أيضاً في نبوته فكيف يعيبون علينا ذلك ويجعلونه قاذحاً في نبوتنا والمعنى ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك يا كلون ويشركون وينكحون وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون (وما كان لرسول أن يأتي بأية إلا بإذن الله) هذا جواب لعبد الله بن أبي أمية وغيره من المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه أن يرهم المعجزات وتقرر هذا الجواب أن المعجزة الواحدة كافية في إثبات النبوة وقد أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة يعجز عن مثلها البشر فقال لهم ان يقترحوا عليه شيئاً وأتيان الرسول بالمعجزات ليس إليه بل هو مفوض إلى مثبته الله عز وجل فان شاء أظهرها وان شاء لم يظهرها (لكل أجل كتاب) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطؤوا ذلك وقد كانوا يستجلبون نزوله أخبر الله عز وجل أن لكل قضاء قضاء كتاباً قد كتبه فيه وقتاً يقع فيه لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى أن لكل أجل أجله الله كتاباً قد كتبه فيه وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة والمعنى أن الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه (بمحول الله ما يشاء ويثبت) وذلك أنهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمداً يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم يأمرهم بخلافه غداً وما سبب ذلك إلا انه يقوله من تلقاء نفسه أجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله بمحول الله ما يشاء ويثبت قال سعيد بن جبيرة وقتادة بمحول الله ما يشاء من الشرائع والأفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله وقال ابن عباس بمحول الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والأجل والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا مر بالطفلة فتنان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب أذكر أم أنتي فيقضى ربه ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقول ربه ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على أمر ولا ينقص أخرجه مسلم (ق) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أو بعين يومئذ يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغاً مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله رشتي أو سعيه ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فإني قلت هذا الحديث والذي قبله صريح بأن الآجال والأرزاق مقدرة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله وعلمه في الأزل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل أن ينفخ السعيد شقياً أو الشقي سعيداً وقد صرح في فضل صلة الرحم أن صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الأحاديث وبين قوله تعالى بمحول الله ما يشاء ويثبت قلت قد تذكر وباللذات القطعية أن الله عالم بالآجال والأرزاق وغيرها وحقيقته العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فإذا علم الله أن زيد يموت في وقت معين

أي بعد ثبوت العلم بالحجج القطعية والبراهين الساطعة (مالك من الله من ولي ولا وافي) أي لا ينصر لك ناصر ولا يقبل منه وافي وهذا من باب التهيج والبعث للسامعين على الثبات في الدين وإن لا يرزق زال عند الشبهة بعد استسماكه بالحجة والادكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الثبات فكانوا يديرونه بالزواج والولاد ويقترون عليه الآيات وينكحون الشيخ قزلي (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلناهم أزواجاً وذرية) النساء وأولاداً (وما كان لرسول أن يأتي بأية إلا بإذن الله) أي ليس في وسعه آيات الآيات على ما يقترحه قومه وأما ذلك إلى الله (لكل أجل كتاب) لكل وقت حكم يكتب على العباد أي يفرض عليهم على ما تقتضيه حكمته (بمحول الله ما يشاء) ينسخ ما يشاء نسخاً (ويثبت) بدله ما يشاء أو يتركه غير منسوخ أو يحول من ديوان الحفظ ما يشاء ويثبت غير ما يحول ككفر التائب ويثبت إيمانهم أو يعيت من حان أجله وعكسه ويثبت مدني وشامي وحرة وعلى

استحال ان يموت قبله أو بعده وهو قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فذلك يدل على ان الاجال لا تزيد ولا تنقص وأجاب العلماء عما ورد في الحديث في فضل صلاة الرحم من انها تزيد في العمر بأجوبة الصحيح منها ان هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها ان بالنسبة الى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلاً ستون سنة الا ان يصل رحمه فان وصلها زيد له أربعون سنة وقد علم الله في الازل ما يقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى بمحوا الله ما يشاء ويثبت أي بالنسبة لما يظهر للمخلوقين من تصور الزيادة وأما نقلا ب الشقي سعيدا والسعيد شقياً فيصير في الظاهر أيضاً لان الكافر قد يسلم فينقلب من الشقاوة الى السعادة وكذا العاصي ونحوه وقد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يرتد المسلم والعبد بالله تعالى فيموت على ردة فينقلب من السعادة الى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار بالحكمة عند الموت وما يحتم الله به له وهو المراد من علم الله الازل الذي لا يتغير ولا يتبدل والله أعلم وأصل المحو اذهاب أثر الكتابة وضمه الاثبات فمن العلماء من جعل الآية على ظاهرها فجعلها عامة في كل شيء يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله ما يشاء في الرزق والاجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والايان بالله والكفر ونقل نحو هذا عن عمرو بن مسعود فانه ما قال انعموا السعادة والشقاوة وعمر الرزق والاجل ويثبت ما يشاء وروى عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في اهل السعادة فأثبتني فيها وان كنت كتبتني من اهل الشقاوة فأمحى منها واثبتني في اهل السعادة والمغفرة فأنزل نحو ما تشاء وثبت وعندك أم الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الآثار ان الرجل يكون قديق من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمد الى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوي وغيره سند وروى بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في ثلاث ساعات يقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه الا بغيره فيمحوا ما يشاء ويثبت ومن العلماء من جعل معنى الآية على الخصوص في بعض الاشياء دون بعض فقال المراد بالحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل ان الحفظه يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحوا الله ما يشاء من ديوان الحفظه مما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل أكلت شربة دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الفضائيل وقال النكلي يكتب القول كله حتى اذا كان يوم النجيس طرح منه شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذي يمحو والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن بمحوا الله ما يشاء يعني من جاء أجله فيذهب ويثبت من لم يحيي أجله وقال سعيد بن جبير بمحوا الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت ما يشاء منها فلا يغفرها وقال عكرمة بمحوا الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدي بمحوا الله ما يشاء يعني القمر وثبت الشمس وقال الربيع هذا في الارواح يقبضها الله عند النوم فن أراد موته محاه وأمسكه ومن أراد بقاءه أثبتته ورده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت في أول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة محاه وأثبت حكماً آخر للسنة المستقبلة وقيل بمحوا الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو في المحن والمصائب فهي مثبتة في الكتاب ثم يمحوها بالدعاء والصداقة وقيل ان الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء لا اعتراض لاحد عليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فان قلت مذهب أهل السنة ان المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات قلت المحو والاثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحو شيئاً ولا يثبت شيئاً الا ما سبق به علمه في الازل وعليه يترتب القضاء والقدر بمسئله استدل الرافضة على مذهبهم في البداء بهذه الآية قالوا ان البداء جائز على الله وهو ان يعقد شيئاً ثم يظهر له خلاف ما اعتقده

(وعنده أم الكتاب) أي

أصل كل كتاب وهو الروح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه (واما زينك) بعض الذي نعتهم أو تنويفينك) وكيفما دارت الحال أرينك مصارعهم وما وعدناهم من ازال العذاب عليهم أو تنويفينك قبل ذلك (فانما عليك البلاغ) فإياهم علمك الاتباع الرسالة فإياهم (وعليها الحساب) وعليها حسابهم وخزائهم على أعمالهم لا عليك فلا يمنك اعراضهم ولا تستجمل بعدايمهم (أولم يروا أنا تأتي الأرض) أرض الكفرة (الارض) أرض الكفرة (تنقصها من أطرافها) بما نفخ على المسلمين من بلادهم فنقص دار الحرب وتزبدى دار الاسلام وذلك من آيات النصر والغلبة والمعنى عليك البلاغ الذي حملته ولا تهم بما رواه ذلك فكن تكفيكم ونتم ما وعدناك من النصر والظفر (والله يحكم لامعقب حكمه) لا اراد الحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطئه وحقه الذي يعقبه أي يقفه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقضي غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى انه يحكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس ومحل لامعقب

وتسكروا بقوله محو الله ما يشاء ويثبت والحواب عن هذه المسئلة ان هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم أزلي وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالا كذا ذكره الامام فخر الدين الرازي في نفسه بر هذه الآية وقوله تعالى (وعنده أم الكتاب) يعني أصل الكتاب وهو الروح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل وسمى الروح المحفوظ أم الكتاب لان جميع الاشياء مثبتة فيه ومنه تنسخ الكتب المنزلة وقيل ان العلوم كلها تنسب اليه وتتولد منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب محو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء وأم الكتاب الذي لا يغير شيء منها وروى عطية عن ابن عباس قال ان الله لو لم يحفظ ما مسيرة خمس مائة عام من درة بيضاء لهدقتان من ياقوته لله فيه كل يوم ثلثمائة وستون لحظة محو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه وما هم عاملون (واما زينك) يعني يا محمد (بعض الذي نعتهم) يعني من العذاب (أو تنويفينك) يعني قبل ان زينك ذلك (فانما عليك البلاغ) يعني ليس عليك الاتباع الرسالة اليهم والبلاغ امم اقيم مقام التبليغ (وعليها الحساب) يعني وعليها ان نحاسبهم يوم القيامة فيجازيهم بأعمالهم وقوله عز وجل (أولم يروا أنا تأتي الأرض تنقصها من أطرافها) يعني أولم يركفوا مكة الذين سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم الايات أنا تأتي الأرض يعني أرض الشرك تنقصها من أطرافها قال أكثر المفسرين المراد منه فتح دار الشرك فان ما زاد في دار الاسلام فقد نقص في دار الشرك والمعنى أولم يروا أنا تأتي الأرض فنفتحها لمحمدا صلى الله عليه وسلم أرضا بعد أرض حوالى أراضيهم أفلا يعتبرون فيتعطون وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار فتحها ونقصوا من أراضيهم وزيادتها في دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من أقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعز جهته ويظهر دينه وينجز له ما وعده وقيل هو خراب الأرض والمعنى أولم يروا أنا تأتي الأرض فتحهم وانهم لا أهلها أفلا يخافون ان نفع لهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الأرض وقبض أهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطاء وجماعة من المفسرين نقصانهم موت العلماء وذهاب الفقهاء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فافقتوا بغير علم فضاوا واضلوا قال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلثة في الاسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار وقال عبد الله أيضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقى الاول حتى يتعلم الاخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الاخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلماء والاشراف من الناس حكى الجوهرى عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدى لهذه اللغة بقول الفرزدق

واسأل بنا وبكم اذا وردت منى * أطرافى كل قبيلة من يتبع

قال يريد أشراف كل قبيلة قال الواحدى والتفسير على القول الاول أولى لان هذا وان صح فلا يابق بهذا الموضع قال الامام فخر الدين الرازي ويمكن ان يقال أيضا ان هذا الوجه لا يابق بهذا الموضع وتقديره ان يقال أولم يروا ان كلما يحدث في الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذلك بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغييرات مشاهدة محسوسة فما الذي يؤمنهم ان يقبض الله الامر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذليلين بعد ما كانوا عزيزين ومقهورين بعد ان كانوا فاهرين وعلى هذا الوجه أيضا يجوز اتصال الكلام بما قبله وقوله تعالى (والله يحكم لامعقب حكمه) يعني لا اراد الحكمه ولا ناقض لقضائه والمعقب هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يعقب غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى والله يحكم نافذا حكمه خالبا من المدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب حكمه أحد غيره

الحكمة النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذ احكامه كما تقول جاءني زيد لامعامة على رأسه ولا فلسوة له تريد حاسرا (وهو سريع الحساب) فمما اقليل يحاسبهم في الآخرة (٧٢) بعد عذاب الدنيا (وقد مكر الذين من قبلهم) أى كفارا لامع الحال بآبائهم

بتغيير ولا نقض (وهو سريع الحساب) قال ابن عباس يريد سريعا الانتقام ممن حاسب به للجحازة بالخير والشر فجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بإيصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى سريع الحساب قبل هذا (وقد مكر الذين من قبلهم) يعنى من قبل من مكرى مكة من الامم المانية الذين مكروا بآبائهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعروا مثل ما مكر غرود بآبائهم وفرعون بموسى واليهود بيسى (فله المكر جميعا) يعنى عند الله جزاء مكرهم وقال الواحدى يعنى جميع مكر الماكرين له ومنه أى هو من خلقه وارادته فله المكر جميعا مخلوق له بيده الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر لا يضر الا باذنه وارادته وفي هذا تسلية للذي صلى الله عليه وسلم وأمان له من مكرهم كانه قيل قد فعل من كان قبلهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا مثل صنعهم فلم يضر والامن أراد الله ضره واذا كان الامر كذلك وجب أن لا يكون الخوف الا من الله لا من أحد من المخلوقين (يعلم ما تكسب كل نفس) يعنى ان جميع اكساب العباد وتأثيراتها مع الومة لله وهو خالقها وخلاف المعاد يمنع الوقوع واذا كان كذلك في كل ما علم وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان بمنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل والترك فكان الكل من الله ولا يحصل ضرر الا باذنه وارادته وفيه وعيد للكفار الماكرين (وسيعلم الكافر) على التوحيد وقرئ وسيعلم الكفار على الجمع قال ابن عباس يعنى أيا جهل وقيل أراد المستهزئين وهم خمسة نفر من كفار مكة (لمن عفى الدار) والمعنى انهم وان كانوا جاهلا بالعواقب فسبعلون ان العاقبة الحسنة للمؤمنين وألهم العاقبة المذمومة في الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لست حر سلا) لما أنكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله أمره الله بقوله (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين أنكروا نبوتك (كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) المراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرات والآيات القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبيا مرسل من عند الله (ومن عنده علم الكتاب) يعنى ومن عنده علم الكتاب أيضا شهد على نبوته يا محمد ومحتجها واختلافوا في الذي عنده علم الكتاب من هو فروى العوفي عن ابن عباس انهم علماء اليهود والنصارى والمعنى ان كل من كان عالما من اليهود بالتوراة ومن النصارى بالانجيل علم ان محمد صلى الله عليه وسلم مرسل من الله لما يجد من الدلائل الدالة على نبوته في ما شهد بذلك من شهادته وأنكره من أنكروه منهم وقيل انهم مؤمنوا أهل الكتاب يشهدون أيضا على نبوته قال قتادة هو عبد الله بن سلام وأنكره الشعبي هذا وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة المنورة وقال يونس اسيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب أهو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذي يستحق العبادة والذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيد بيني وبينكم قال الزجاج الاشبه ان الله لا يشهد على صحة حكمه غيره وهذا قول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جائزا الا انه خلاف الاصل فلا يقال شهد به هذا زيد والفقهاء بل يقال شهد به هذا زيد الفقيه لكن شهد بصحة هذا القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهي قراءة ابن عباس وغيره على البناء للفعول والمعنى ومن عنده علم الكتاب ودليل هذه القراءة قوله وعلمناه من لدنا علما قبل معناه ان من علم أن القرآن الذي جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن الامم الماضية فمن علم بهذه الصفة كان شهيدا بيني وبينكم

والمكر ارادة المكروه في خفية ثم جعل مكرهم كاذم مكر بالاضافة الى مكره فقال (فله المكر جميعا) ثم فسره ذلك بقوله (يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عفى الدار) يعنى العاقبة المحمودة لان من علم ما تكسب كل نفس وأعدله جزاء فهو المكر كانه لانه يأتهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة عما يرادهم الكفار على ارادة الجنس حجازى وأبو عمرو (ويقول الذين كفروا لست حر سلا) المراد بهم كعب ابن الاشرف ورؤساء اليهود قالوا لست حر سلا ولهذا قال عطاء هي مكينة الا هذه الآية (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) بما أظهر من الأدلة على رسالتي والباء دخلت على الفاعل وشهيد اعمير (ومن عنده علم الكتاب) قيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ دليله قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب أى ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله واطقه وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم شهدون

بنعته في كتبهم وقال ابن سلام في نزلت هذه الآية وقيل هو جبريل عليه السلام ومن في موضع الجبريل العطف وينتكم على لفظ الله أوفى موضع الرفع بالعطف على محل الجار والمجرور واذا التقدير كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف صلة لمن ومن هنا يعنى الذي والتقدير من ثبت عنده علم الكتاب وهذا لان الظرف اذا وقع صلة بعد ل هل الفعل نحو مهرب

بالذي في الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه وفي القراءة بكسر ميم من يرتفع العلم بالابتداء

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية اثنتان وخمسون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الركاب) هو خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب يعني السورة والجهة التي هي (أنزلناه اليك) في موضع الرفع صفة للتكثرة (لتخرج الناس) من الظلمات إلى النور (من الضلالة إلى الهدى) (بإذن ربهم) تنبيهه وتسهيله مستعار من الإذن الذي هو تسهيل (٧٣) الحجاب وذلك ما يخفهم من التوفيق (إلى صراط) بدل من النور

بشكر رب العالم (العزير)

الغاب بالانتقام (الحديد)

المحمود على الانعام (الله)

بالرفع مدني وشامي على

هو الله وبالجر غيرهما على

انه عطف بيان للعزير الحيد

(الذي له مافي السموات

ومافي الارض) خلقا وملكا

ولما ذكر الخارجين

من ظلمات الكفر إلى نور

الايان توعده الكافرين

بالويل وهو ونقيض الوال

وهو التجاة وهو اسم معنى

كاهلاك فقال (ويل

للكافرين من عذاب شديد)

وهو مبتدأ وخبر وصفة

(الذين يستحبون) يختارون

ويؤثرون (الحياة الدنيا

على الآخرة ويصدون

عن سبيل الله) عن دينه

(ويغفونها عوجا) يطبون

لسبيل الله زيارا عوجا

والاصل ويغفونها الخذف

الجار وأوصل الفعل الذين

مبتدأ خبره (أولئك في ضلال

بعيد) عن الحق ووصف

الضلال بالبعد من الاسناد

المجازي والبعدي الحقيقة

للضلال لانه الذي يتباعد

وبينكم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم على نبينا أفضل الصلاة والسلام﴾

وهي مكية سوى آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى ألم تر أني أذن لكم أن تقولوا لا اله الا أنا وآيتان وهما آيتان وخمسون آية وثمانمائة واحدة وستون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قوله عز وجل (الر كتاب أنزلناه اليك) يعني هذا كتاب أنزلناه اليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم﴾ (لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) يعني بهذا القرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام تقي الدين الرازي رحمه الله وفيه دليل على ان طريق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ليس الا واحد الا انه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات إلى النور فخرجهم عن الجهل والكفر والضلال بالظلمات وهي صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طريق الكفر والجهل كثيرة وأما طريق العلم والايمان فليس الا واحدا (بإذن ربهم) يعني بأمر ربهم وقبل يعلم ربهم (إلى صراط العزيز الحيد) يعني إلى دين الاسلام وهو دينه الذي أمر به عباده والعزير هو الغالب الذي لا يقبل والجديد المحمود على كل حال المستحق لجميع الحمد (الله) قرئ بالرفع على الاستئناف وخبره ما بعده وقرئ بالجر زيارا الحيد وقال أبو عمر وقراءة الخفض على التقديم والتأخير تقديره إلى صراط الله العزيز الحيد (الذي له مافي السموات ومافي الارض) يعني ملكا ومافيهما عبيده (ويل للكافرين) يعني الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذي له مافي السموات ومافي الارض وعبده وامن لا يملك شيئا البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة خلق الله تعالى ومن جملة مافي السموات ومافي الارض (من عذاب شديد) يعني معذبتهم في الآخرة ثم وصفهم فقال تعالى (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) يعني يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة (ويصدون عن سبيل الله) أي ويمنعون الناس عن قبول دين الله (ويغفونها عوجا) يعني يطبونها لئلا يغالوا بها لحذف الجار وأوصل الفعل وقيل معناه يطبونها سبيل الله حائذين عن الفساد وقيل المعاني ويغفونها راجعة إلى الدنيا ومعناه يطبونها الدنيا على طريق الميل عن الحق والميل إلى الحرام (أولئك) يعني من هذه صفته (في ضلال بعيد) يعني عن الحق وقيل يجوز ان يراد في ضلال بعيد ذي بعد أوفيه بعد لان الضلال يبعد عن الطريق ﴿قوله تعالى﴾ (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) يعني بلغة قومه اي فهموا عنه ما يدعوههم اليه وهو قوله تعالى (اليسين لهم) يعني ما يأتون وما يذرون فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العرب وحدهم وإنما بعث إلى الناس جميعا بما يدل قوله تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث إلى الثقلين الجن والناس وهم على ألسنة مختلفة ولغات شتى وقوله

(١٠ - خازن ثالث) عن طريق الحق قوصف به فعله كما تقول جد جده أو محمور وصفه للكافرين أو منصوب على الذم أو مرفوع على أعني الذين أو هم الذين (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) الا متكلمة بلغتهم (اليسين لهم) ما هو مبعوث به وله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون لهم لم نهم ما خوطبنا به فان قلت ان رسولا صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس جميعا بقوله قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فان لم تكن العرب حجة فغيرهم الحجة قلت لا يتخلو ما ان ينزل بجميع ألسنة أو بواحد منها فلا حاجة إلى نزوله بجميع ألسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فتعين ان ينزل بلسان واحد وكان لسان قومه أولى

بالتعيين لانهم اقرب اليه وانه ابعد من التعريف والتبديل (فيضل الله من يشاء) من آخر سبب الضلالة (ويمد من يشاء) من آخر سبب الاهتداء (وهو العزيز) فلا يغالب (٧٤) على مثبته (الحكيم) فلا يخذل الاهل الخذلان (واقدر ارسلنا موسى باياتنا) التسع

(ان اخرج قومك) بان اخرج اوى اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلناه اخرج قومك (من الظلمات الى النور) وذكروهم بأيام الله وانذرهم بوقائمه التي وقعت على الامم قبلهم قوم فوح وعاد وعوذ ومنه أيام العرب طروجه واولاجها أو بآيام الانعام حيث ظالم عليهم النعام وانزل عليهم المن والسوى وخلق لهم البحر (ان في ذلك لايات لمن لا يبالي) على البليات (شكور) على العطايا كانه قال لكل مؤمن اذ الايمان نعمة فان نصف صبر ونصف شكر (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجياكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) اذ ظفر ف للنعمة بمعنى الانعام أي انعامه عليكم ذلك الوقت أو بدل اشتغال من نعمة الله أي اذكروا وقت انجائكم (ويذبحون أبناءكم) ذكر في البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون بلوا ووهنا مع الواو والحاصل ان التذبح حيث طرح الواو جعل تفسير العذاب وبياناه وحيث أنبت الواو جعل التذبح من حيث انه زاد على جنس العذاب كانه جنس آخر (ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم) الإشارة الى العذاب والبلاء المحنة أو الى الانجاء وهو بلاء عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا

ومنه

التذبح من حيث انه زاد على جنس العذاب كانه جنس آخر (ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم) الإشارة الى العذاب والبلاء المحنة أو الى الانجاء وهو بلاء عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا

(واذناذن ربكم) أي آذن وتظير تأذن وآذن نوعا وأوعد ولا بد في الفعل من زيادته معنى ليس في أفعل كأنه قيل واذا آذن ربكم ابدانا بديعنا تنقني عنده الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه واتصاه بالله لطف على نعمته الله عليكم كأنه قيل واذا قال موسى لقومه اذا كروا نعمة الله عليكم واذا كروا بين ناذن ربكم والمعنى واذا ناذن ربكم فقال (٧٥) (لئن شكرتم) يا بني اسرائيل ما خولتكم

من نعمة الانجاء وغيرها

(لازيدنكم) نعمة الى

نعمة قاله شكر قيدا للموجود

وصيد المفقود وقيل اذا

معبت النعمة نعمة الشكر

تأهبت للمزيد وقال ابن

عباس رضي الله عنه - بها

لان شكرتم بالجسدي

الطاعة لا يزيدنكم بالجسد

في المشوبة (ولئن كفرتم)

ما أنعمت به عليكم (ان

عذابي لشديد) لمن

كفر نعمتي امانا في الدنيا

فسلب النعمة وأمانا في العقبى

فتوالى النقم (وقال موسى ان

تكفروا انتم) يا بني اسرائيل

(ومن في الارض جمعا)

والناس كلهم - فان

الله اغثنى عن شكركم

(جيد) وان لم يحمد

الحامدون وانتم ضررتم

أنفسكم حيث حرمتوها

الخير الذي لا بد لكم منه

(ألم يأتكم نبي الذين من

قبلكم قوم نوح وعاد وثمود)

من كاذم موسى لقومه أو

ابتداء خطاب لاهل عصر

محمد عليه السلام (والذين

من بعدهم لا يعلمهم الا الله)

جملة من مبتدأ وخبر وقعت

اعتراضا أو عطف الذين

من بعدهم على قوم نوح ولا

يعلمهم الا الله اعتراض

ومنه قوله ونبلوكم بالشرب والخير فتنه وهذا الوجه أولى لانه موافق لاول الآية وهو قوله اذا كروا نعمة الله عليكم فان قلت هـ ان مذهب الانبياء فيه بلاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء قلت كانوا يستحبونهم ويتركونهم تحت أيديهم كالاماء فكان ذلك بلاء (واذناذن ربكم) هذا من جملة ما قال موسى لقومه كأنه قيل اذا كروا نعمة الله عليكم واذا كروا حين ناذن ربكم ومعنى ناذن آذن أي أعلم ولا بد في الفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل واذا ناذن ربكم ابدانا بديعنا تنقني عنده الشكوك وتزاح الشبه والمعنى واذا ناذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يعني يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح (لازيدنكم) يعني نعمة الى نعمة ولا ضاعف لكم ما آتاكم قيل شكر الموجود صيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لا يزيدنكم في الثواب وأمل الشكر تصور النعمة واظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وههنا دقيقة وهي ان العبد اذا اشتغل بطاعة اقسام نعم الله عز وجل عليه وأنواع فضله وكرمه واحسانه اليه اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك يوجب المزيد وبذلك تتأكد محبة الله عز وجل وهو مقام شريف ومقام أعلى منه وهو أن يشغله حب المنعم عن الالتفات الى النعم وهذا مقام الصديقين نسأل الله القيام بواجب شكر النعمة حتى يريدها من فضله وكرمه واحسانه وانعامه وقوله (ولئن كفرتم) المراد بالكفر ههنا كفران النعمة وهو سجودها لانه مذكور في مقابلة الشكر (ان عذابي لشديد) يعني لمن كفر نعمتي ولا يشكرها (وقال موسى ان تكفروا) يعني يا بني اسرائيل (انتم ومن في الارض جمعا) يعني والناس كلهم جميعا فانما ضرر ذلك يعود على أنفسكم بحرمانها الخير كله (فان الله اغثنى) يعني عن جميع خلقه (جيد) أي محمود في جميع أفعاله لانه متفضل وعادل (ألم يأتكم نبي) يعني خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) قال بعض المفسرين يحتمل أن يكون هذا خطابا من موسى لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم به لانه من تقدم من الامم ويحتمل أن يكون خطابا من الله تعالى على اسان موسى عليه الصلاة والسلام لقومه والمقصود منه حصول العبرة بأحوال من تقدم وهلاكهم (والذين من بعدهم) يعني من بعد هؤلاء الامم الثلاثة (لا يعلمهم الا الله) يعني لا يعلم كنهه مقاديرهم وعددهم الا الله لان علمه محيط بكل شيء لا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله أقوام وأمم ما بلغنا خبرهم أصلا ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثير وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب النساون يعني انهم يدعون علم النسب الى آدم وقد نفي الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله بن عباس انه قال بين ابراهيم وعبدان ثلاثون قرنا لا يعلمهم الا الله وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الانسان نفسه ابا ابا الى آدم لانه لا يعلم أولئك الا ابا الله وقوله تعالى (جاءتهم رسلهم بالبينات) يعني بالدلائل الواضحات والمعجزات الباهرات (فردوا أيديهم في أفواههم) وفي معنى الايدي والأفواه قولان أحدهما ان المراد بهما هاتان الجارحتان المعاو متان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا أيديهم غبطا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله يعجبوا ورجعوا بأيديهم الى أفواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاؤا به يقال ردوت قول فلان في نفسه أي كذبته وقال الكلبي يعني ان الامم ردوا أيديهم الى أفواه أنفسهم يعني انهم وضعوا الايدي على الأفواه اشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل ردوا أيديهم

والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وروى أنه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية كذب النساون (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فردوا أيديهم في أفواههم) الضمير ان يعودان الى الكفرة أي أخذوا أنامهم باسمنا ثم تعجبا أو عضوا عليهم انقيطا أو الثاني يعود الى الانبياء أي رد القوم أيديهم في أفواه الرسل

كذلك لا يشككم وإيماناً أرسلوا به (وقالوا أنا كفرناحما أرسلتم به) والناس في شك مما تدعوننا إليه (من الإيمان بالله والشهود) (مريب) موقع في
الريية (قالت رسلهم في الله شك) أدخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل
الشك اظهروا الادلة وهو جواب قولهم والناس في شك (فاطر السموات والارض يدعوكم) الى الايمان (ليغفر لكم من ذنوبكم) اذا آمنتم ولم تجئ
مع من الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال
في خطاب المؤمنين هل أدرككم على (٧٦) تجارة الى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك للترقية بين

الخطابين ولله العباد
على أقوام الرسل يستكونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا ومنه وضعوا على سبيل
السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم في أقواهم كما يفعل الذي غلبه الضحك القول الثاني ان المراد بالايدى
والاقواه غيرا الخارجين فقبل المراد بالايدى النعم ومعناه ردوا ما لوقيلوه لكان نعمة عليهم يقال لقائل
عندي يد أي نعمة والمراد بالايقواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بأقواهم وردوا قواهم وقيل انهم
كفوا عن قبول ما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رديده الى فيه اذا أرسلت عن الجواب
فلم يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قد أجابوا بالتكذيب وهو أن الامم ردوا على رسلهم (وقالوا أنا كفرنا
حما أرسلتم به) يعني أنا كفرناحما زعمتم ان الله أرسلكم به لانهم لم يقرروا بأنهم أرسلوا اليهم لانهم لو أقرروا
بأن الرسل أرسلوا اليهم لكانوا مؤمنين (وانا في شك مما تدعوننا اليه مريب) يعني يوجب الريية أو يوقع
في الريية والتهمة والريية قلق النفس وأن لا نطمئن الى الامر الذي يشك فيه فان قلت انهم قالوا أولا
انا كفرناحما أرسلتم به فكيف يقولون ثانيا واننا في شك والشك دون الكفر أو داخل فيه قلت انهم لما
صرحوا بكفرهم بالرسل فكأنهم حصل لهم شبهة فوجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم في كفرناحما أقل
من أن نكون شاكين من تابين في ذلك (قالت رسلهم) يعني مجيبين لامهم (أفي الله شك) يعني هل تشكون
في الله وهو اسد تفهام انكاروني لما اعتقدوه (فاطر السموات والارض) يعني وهل تشكون في كونه خالق
السموات والارض وخالق جميع ما فيها (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) يعني ليغفر لكم ذنوبكم اذا آمنتم
وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها أصل ليست بصلة وعلى هذا انه يغفر لهم ما يدينهم وينه من الكفر
والمعاصي دون مظالم العباد (ويؤخركم الى أجل مسمى) يعني الى حين انقضاء أجلكم فلا يعاجلكم
بالعذاب (قالوا) يعني الامم مجيبين للرسل (ان أنتم) يعني ما أنتم (الابشر مثلنا) يعني في الصورة الظاهرة
استم ملائكة (تريدون أن تصدوا عنا كما كان يعبد آباؤنا) يعني ما تريدون بقولكم هذا الا صدنا عن
آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها (فأتونا باسلطان مبين) يعني حجة بينة واضحة على همه دعواكم (قالت
لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم) يعني ان الكفار لما قالوا رسلهم ان أنتم الابشر مثلنا قالت لهم رسلهم
مجيبين لهم هب ان الامر كما قلتم ووصدقتم فحين بشر مثلكم لا تنكروا ذلك (ولكن الله عين على من يشاء من
عباده) يعني بالنسبة والرسالة فيصطفي من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف (وما كان لنا
أن نأتىكم باسلطان الا باذن الله) يعني وليس لنا مع ما خصنا الله به من النبوة وشرافه من الرسالة أن
نأتىكم بآية وبرهان ومجزة قتل على صدقنا الا باذن الله لنا في ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني
في دفع شرور أعدائهم عنهم (رما لنا أن لا نتوكل على الله) يعني ان الانبياء قالوا أيضا قد عرفنا انه لا يصيبنا
شيء الا بقضاء الله وقدره فحين نتوكل عليه في دفع شروركم عنا (وقد هذا ناسبنا) يعني وقد عرفنا
طريق النجاة وبين لنا الرشد (ولنصبرن) اللام لام القسم تقديره والله لنصبرن (على ما آذيتونا) يعني
به من قول أو فعل (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فان قلت كيف كروا الامر بالتوكل وهل من فرق بين

الخطابين ولله العباد
بين الفريقين في الميعاد
(ويؤخركم الى أجل مسمى)
الى وقت قد سمعنا وبين
مقداره (قالوا) أي القوم
(ان أنتم) ما أنتم (الابشر
مثلنا) لا فضل بيننا
وبينكم ولا فضل لكم
علينا فلم يخصوا بالنسبة
دوننا (تريدون أن تصدوا
عنا كما كان يعبد آباؤنا) يعني
الاصنام (فأتونا باسلطان
مبين) بحجة بينة وقد
جاءتهم رسلهم بالبينات
واغما أرادوا بالسلطان
المبين آية قد اقترحوها
نعتنا ولجأنا (قالت لهم
رسلهم ان نحن الابشر
مثلكم) نسلم لقولهم انهم
بشر مثلهم (ولكن الله عين
على من يشاء من عباده)
بالايمان والنبوة كما من
علينا (وما كان لنا أن نأتىكم
باسلطان الا باذن الله)
جواب لقولهم فأتونا
باسلطان مبين والمعنى
أن الايمان بالآية التي
قد اقترحوها ليس لنا
ولا في استطاعتنا واغما

هو أمر يتعلق بشيئة الله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم التوكلين
قصد أوليا كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندكم ومعاد انكم وانذا أنكم لا ترى الى قوله (وما لنا أن لا نتوكل على
الله) معناه وأي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه (وقد هذا ناسبنا) وقد فعل بنا ما يوجب فوكلنا عليه وهو التوفيق لهذا في كل مناسبيته الذي
يجب عليه - لو كفي الدين قال أبو تراب الذوكل طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر عند البلاء
(ولنصبرن على ما آذيتونا) جواب قسم مضمر أي حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يمسكوا عن دعاهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون)

أو أجرى الإبحاء بحجري
 القول لانه ضرب منه
 (وانسكنتم الارض من
 بعدهم) أى أرض الظالمين
 وديارهم فى الحدِيث من
 آذَى جاره ورثه الله داره
 (ذلك) الاهلاك والاسكان
 أى ذلك الامر حق (لمن
 خاف مقامى) موقفى وهو
 موقف الحساب أو المقام
 مقدم أو خاف قيساى عليه
 بالعلم كقوله أفن هو قائم على
 كل نفس بما كسبت والمعنى
 ان ذلك حق للمؤمنين (وخاف
 وعيد) — ذابى وبالبناء
 يعقبون (واستغفروا)
 واستنصروا الله على أعدائهم
 وهو معطوف على أوحى
 اليهم (وخاب كل جبار) وخسه
 كل متكبر بطر (عنييد)
 مجانب الحق معناه فتنصروا
 وظفروا وأفلحوا وخاب كل
 جبار عنيد وهم قومهم وقيل
 الضمير للكفار ومعناه واستغفروا
 الكفار على الرسل
 ظنا منهم بأنهم على الحق
 والرسل على الباطل وخاب
 كل جبار عنيد منهم ولم يفلح
 باستغفاحه (من ورائه)
 من بين يديه (جهنم) وهذا
 وصف حاله وهو فى الدنيا لانه
 مرصدا لجهنم فكانها بين
 يديه وهو على شفيرها أو وصف

حاله في الآخرة حيث يبعث ويوقف (ويسبق) معطوف على محذوف تقديره من وراءه جهنم البقي فيها ما يليق و
من جلود أهل النار وصدق عطف بيان لما لا نه مهم فيبين بقوله صدديق (تجرحه) بشر به جرحه جرحه (و)
بسطه فكيف تكون الاساعه كقوله لم يكدر اهاى لم يقرب من رؤيته فكيف براها

حاله في الآخرة حيث يوقف (ويسبق) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم التي فيها ما يلقى ويسبق (من ماء صديد) ما يسيل من جلود أهل النار و صديد عطف بيان لما لأنه منهم فينبى بقوله صديد (يقبره) يشربه جرعه جرعه (ولا يكاد يسبقه) ولا يقارب أن يسبقه فكيف تكون الاساعة كقوله لم يكدرها أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها

(وبأنية الموت من كل مكان) أي أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده وهذا يفتضح لما يضيئه من الآلام أي لو كان ثمة موت لكان كل واحد منها مهلكا (٧٨) (وما هو عيت) لأنه لو مات لاستراح (ومن ورأته) ومن بين يديه (عذاب غليظ) أي في كل وقت

فروقه رأسه أي جلده رأسه وانما شبهها بالقفرة للشعر الذي عليها وقوله تعالى (وبأنية الموت من كل مكان وما هو عيت) يعني أن الكافر يحد ألم الموت وشدة من كل مكان من أعضائه وقال إبراهيم التيمي حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل بأنية الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو عيت فيسترح وقال ابن جرير يعلق نفسه عند خبيرة فلا يخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة (ومن ورأته) يعني أمامه (عذاب غليظ) أي شديد قليل هو الخلود في النار وقوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما نقص أو فيما ينل عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التي فيها غرابه وقوله أعمالهم كرماد جلة مستأنفة على تقدير سؤال سأل يقول كيف مثلهم فقال أعمالهم كرماد وقال المفسرون والفراء مثل أعمال الذين كفروا بربهم خذف المضاف اعتمادا على ما ذكره بعد المضاف إليه وقيل يحتمل أن يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد كقولك في صفة زيد عرضه مصون وماله مبدول والرماد معروف وهو ما يسقط من الحطب والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعني فتفتته وطيرته ولم تنق منه شيأ في يوم عاصف وصف اليوم بالعصف والعصف من صفة الريح لأن الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحار وليسلة ماطرة لأن البرد والحار والمطر توجد فيهما وقيل معناه في يوم عاصف الريح خذف الريح لأنه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار التي لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الأعمال هو أن الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق أجزائه بحيث لا يبقى منها شيء وكذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الأعمال ما هي فقيل هي ما عملوه من أعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة الأرحام وفن الأسير وقرى الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح فهذه الأعمال وإن كانت أعمالا براسكتها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لأن كفره أحبطها وأبطلها كلها وقيل المراد بالأعمال عبادتهم الأصنام التي ظنوا أنها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسارهم أنهم اتبعوا أبدانهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها ففصلت وبطلت عليهم وقيل أراد بالأعمال الأعمال التي عملوها في الدنيا وأشركوا فيها غير الله فأنها لا تنفعهم لأنها صارت كالرماد الذي ذرته الرياح وصار هباء لا ينتفع به وهو قوله تعالى (لا يقدرون بها شيئا) يعني في الدنيا (على شيء) يعني من تلك الأعمال والمعنى أنهم لا يجذون ثواب أعمالهم في الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد) يعني ذلك الخسران الكبير لأن أعمالهم ضلت وهلك فلا يرجي عودها والبعيد هنا الذي لا يرجي عوده (ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق) يعني لم يخلقهم باطلا ولا عبثا وأغاث خلقها لا مضر عظيم وغرض صحيح (أن يشأ بذهبكم) يعني أيها الناس (ويأت بخلق جديد) يعني سواكم أطلع الله منكم والمعنى أن الذي قدر على خلق السموات والأرض قادر على إقناء قوم وأما تهم وإيجاد خلق آخر سواهم لأن القادر لا يصعب عليه شيء قيل هذا خطاب للكفار مكية يريد بذهبكم يامعشر الكفار ويخلق قوما غيركم خير منكم وأطوع (وما ذلك على الله بعزيز) يعني بمتنع لأن الأشياء كلها مهمة على الله وإن جلت وعظمت وقوله عز وجل (وبرزوا لله جميعا) يعني وخرجوا من قبورهم إلى الله ليحاسبهم ويحازهم على قدر أعمالهم والبراز القضاء وبرزوا حصل في البراز وذلك أن يظهر بذاته كاهوا والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا إلى القضاء وأورد بلفظ الماضي وإن كان معناه الاستقبال لأن كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق وكان لا محالة فصار كأنه قد

يستقبله ينلق عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد (مثل الذين) مبتدأ محذوف الخبر أي فيما ينل عليكم مثل الذين كفروا بربهم) والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابه وقوله (أعمالهم كرماد) جلة مستأنفة على تقدير سؤال سأل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد (اشتدت به الريح) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك يوم ما طرو أعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام وعنى الرقاب وفداء الأسرى وعقر الأبل للاضياف وغير ذلك شبهها في جبوطة البناء على غير أساس وهو الإيمان بالله تعالى برماد طيرته الريح العاصف (لا يقدر) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شيء) أي لا يرون له أثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء (ذلك هو الضلال البعيد) إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب (ألم تر) ألم تعلم الخطاب لكل أحد

حصل

(أن الله خلق السموات والأرض) خالق مضافا حرة وعلى (بالحق) بالحكمة والأمر العظيم ولم يخلقها عبثا (إن يشأ) حصل بذهبكم ويأت بخلق جديد) أي هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم أعلاما بأنه قادر على إعدام الموجود وإيجاد المعدم (وما ذلك على الله بعزيز) بمتنع (وبرزوا لله جميعا) ويرزوا يوم القيامة وأغاثي به بلفظ الماضي

لان ما أخبر به من رجل اصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار وغبر ذلك بمعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب القواش وبظنون أن ذلك خافى على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا ان الله لا تخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه (فقال الضعفاء) في الرأي وهم السفلة والاتباع وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفهم الالف قبل الهمزة فيملها الى الوار (للذين استكبروا) وهم السادة والرؤساء الذين استغفروهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم (انا كنا لكم تبعا) تابعين جمع تابع على تبسح تكادهم وخدم وغائب وغيب أو ذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعاً (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء) فهل تقدرون على دفع شيء مما نحن فيه ومن الاولى للنيين والثانية للتبعيض كانه قيل فهل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذى هو عذاب الله أو هما للتبعيض أى فهل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله ولما كان قول الضعفاء نفي بجانهاهم وعتابا على (٧٩) استغواهم لانهم علموا انهم لا يقدرون

على الاغناء عنهم (قالوا) لهمم بحبيبتين معذرتين (لوهد انا الله لهديناكم) أى لوهد انا الله الى الاعيان فى الدنيا لهديناكم اليه أى لوهد انا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أى لا غنىنا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستوينا على الجزع والصبر والجزع أبلغ من الحزن لانه يصرف الانسان عما هو بصده ويقطعه عنه (مالتنا من محبص) يعنى من مهرب ولا منجاة مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون فى النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محبص وقال محمد بن كعب القرظى بلغنى ان أهل النار يستغيثون بالخزنة كما قال الله وقال الذين فى النار لخزنته جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يومنا من العذاب فردت الخزنة عليهم وقالوا ألم نأتىكم برسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة وقالوا ادعوا وما دعا الكافرين الا فى ضلال فلما يسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقتض علينا ربنا سألوا الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم ما كنتم فلما يسوا مما عنده قال بعضهم لبعض تعالوا فنصبر كما صبر أهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصبروا واطال صبرهم فلم ينفعهم وجزعوا فلم ينفعهم فعند ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محبص قوله تعالى (وقال الشيطان) يعنى ابليس (لما قضى الامر) يعنى لما فرغ منه وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار بأخذ أهل النار فى لوم ابليس وتقر به ونحوه فيقوم فيها خطيبا قال مقاتل يوضع لهم من فى النار فيجتمع عليهم أهل النار يلومونه فيقول لهم ما أخبر الله عنه بقوله (ان الله وعدكم وعد الحق) فيه اضممار تقديره فصدق فى وعده (ووعدكم فأخلفكم) يعنى الوعد وقيل يقول لهم انى قلت لكم لا بعث ولاجنة ولا نار (وما كان لى عليكم من سلطان) يعنى من ولاية وقهر وقيل لم آتكم بحجة فيما وعدتكم به (الا أن دعوتكم) هذا استثناء منقطع معناه لكن دعوتكم (فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) يعنى ما كان منى الا الدعاء واثقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم

أم صبرنا يردون أنفسهم واياهم لاجتماعهم فى عقاب الضلالة التى كانوا يجتمعون فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبىخ ولا فائدة فى الجزع كما لا فائدة فى الصبر (مالتنا من محبص) منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا (وقال الشيطان لما قضى الامر) حكم بالجنة والنار لا هاهنا وفرغ من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وروى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على منبر من نار فيقول لأهل النار (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدكم) بأن لا بعث ولا حساب ولا جزاء (فأخلفكم) كذبكم (وما كان لى عليكم من سلطان) من تسلط واقتدار (الا أن دعوتكم) لكنى دعوتكم الى الضلالة بوسوستى وتزيينى والاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس السلطان (فاستجبتم لى) فاسرعت اجابنى (فلا تلومونى) لان من تجرد للعداوة لا يلام اذا دعا الى أمر قبيح مع ان الرحمن قد قال لكم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبوكم من الجنة (ولوموا أنفسكم) حيث اتبعتمونى بالاجح ولا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على ان الانسان هو الذى يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من

أم صبرنا يردون أنفسهم واياهم لاجتماعهم فى عقاب الضلالة التى كانوا يجتمعون فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبىخ ولا فائدة فى الجزع كما لا فائدة فى الصبر (مالتنا من محبص) منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا (وقال الشيطان لما قضى الامر) حكم بالجنة والنار لا هاهنا وفرغ من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وروى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على منبر من نار فيقول لأهل النار (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدكم) بأن لا بعث ولا حساب ولا جزاء (فأخلفكم) كذبكم (وما كان لى عليكم من سلطان) من تسلط واقتدار (الا أن دعوتكم) لكنى دعوتكم الى الضلالة بوسوستى وتزيينى والاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس السلطان (فاستجبتم لى) فاسرعت اجابنى (فلا تلومونى) لان من تجرد للعداوة لا يلام اذا دعا الى أمر قبيح مع ان الرحمن قد قال لكم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبوكم من الجنة (ولوموا أنفسكم) حيث اتبعتمونى بالاجح ولا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على ان الانسان هو الذى يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من

الرسول فكان من الواجب عليكم أن لا تلتفتوا الى ولا تسمعوا قولي فلما رجتم قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم بكم أولى باجابتى ومتابعى من غير حجة ولا دليل (ما أنا بصير خكم) يعنى بغيتكم ولا منعكم (وما أنتم بصيرخى) يعنى بغيتى ولا منعذى ما أنا فيه (انى كفرت بما أشركتمون من قبل) يعنى كفرت ببعثكم اياى شريكه فى عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس سجدا ما يعتقد الكفار فيه من كونه شريكا لله وتبرأت من ذلك (ان الظالمين لهم عذاب أليم) روى البغوى بسنده عن عقبه بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث الشفاعة وذ كر الحديث الى قوله فبأنوفى فبأذن الله لى ان أقوم فيثور من مجلسى أطيب ریح فيها أحد حتى آتى ربي فيشفعنى ويجعل لى قورا من شعر رأسى الى ظهور قدحى ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو الذى أضلنا قياتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أضلنا فيقوم فيثور من مجلسه أننى ریح فيها أحد ثم تعظم جهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق الآية وقوله تعالى (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) لما مرح الله عز وجل حال الكفار والاشقياء بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال المؤمنين والسعداء وما أعد لهم فى الآخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان الثواب منفعة خالصة دأمة مقرونة بالتعظيم والمنفعة الخالصة اليها الاشارة بقوله (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) وكونه دأمة أشير اليه بقوله (خالدين فيها) والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله (بأذن ربهم) لان تلك المنافع انما كانت بفضل ان الله بانعامه الثانى قوله (تحببهم فيها اسلام) فيجتمل ان بعضهم يحبب بعضا بهذه الكلمة أو الملائكة تحببهم بها أو الرب سبحانه وتعالى يحببهم بهم أو يجهل أن يكون المراد انهم لم يداخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لان السلام مشتق من السلامة قوله عز وجل (لم تركب ضرب الله مثلا) لما مرح الله عز وجل أحوال الاشقياء وأحوال السعداء ضرب مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى ألم ترى ألم يعين قلبك فتعلم علم يقين باعلامى اياك فعلى هذا يجهل أن يكون الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره فيه ويجهل أن يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون المعنى ألم ترى ألم الانسان كيف ضرب الله مثلا يعنى بين شبيهها والمثل عبارة عن قول فى شئ يشبه قولاً فى شئ آخر بينهما شبهة لتبين احدهما من الآخر ويتصور وقيل هو قول سائر تشبيه شئ بشئ آخر (كلمة طيبة) هى قول لا اله الا الله فى قول ابن عباس وجهور المفسرين (كشجرة طيبة) يعنى كشجرة طيبة الثمر قال ابن عباس هى الخلة وبه قال ابن مسعود وأبو أنس ومجاهد وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرونى عن شجرة شبه الرجل أوقال كالرجل المسلم لا يبتغى ورقها أنوفى أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع فى نفسى انها الخلة ورويت أبابكر وعمر لا يتكلمان ففكرت ان اتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى الخلة قال فلما تناقنا قلت لعمر يا ابتاه والله لقد كان وقع فى نفسى انها الخلة فقال ما منعك ان تتكلم فقلت لم اركم تتكلمون ففكرت ان اتكلم أو أقول شيئا فقال عمر لان تكون قلنا أحب الى من كذا وكذا وفى رواية ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فخذ نوفى ما هى فوقع الناس فى شجر البوادي قال عبد الله بن عمر ووقع فى نفسى انها الخلة فاستحييت ان أتكلم ثم قالوا حدثنا ما هى يا رسول الله قال هى الخلة وفى رواية ابن عباس انها شجرة فى الجنة وفى رواية

هو تسليم بعضهم على بعض في الجنة أو تسليم الملائكة عليهم (المراد كيف ضرب الله مثلا) أي وصفه وبينه (كلمة طيبة) نصب أخرى
بضمه أي جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو نفس القول ضرب الله مثلا نحو شرف الأمير زيد اكسامة وجهه على فارس أو انتصب مثلا
وكلمة بضمه أي ضرب كلمة طيبة مثلا يعني جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة هي أنها خير من بيتنا محذوف أي هي كشجرة طيبة

(أصلها ثابت) أي في الأرض ضارب بعروقها فيها (وفرعها) وأعلاها ورأسها (في السماء) والسكامة الطيبة كلمة التوحيد أصلها تصديق بالحنان وفرعها اقربا بالسان وأكلها عمل الأركان وكان الشجرة شجرة وان لم تكن (٨١) حاملا للمؤمن مؤمن وان لم يكن عاملا

ولكن الاشجار لا تزداد الا

للمتارفا أقوات النار الا

من الاشجار اذا اعتادت

الاخفاف في عهد الاثمار

والشجرة كل شجرة مثمرة

طيبة الثمار كالنخلة وشجرة

التين ونحو ذلك والجهور

على انها النخلة فمن ابن عمر

أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال ذات يوم ان الله

تعالى ضرب مثل المؤمن

شجرة فاخبروني ما هي فوقع

الناس في شجر البوادي

وكنيت صيبا فوقع في قلبي

انها النخلة فثبت رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان

أقولها وأنا أصغر القوم

فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ألا انما النخلة

فقال عمر يا بني لو كنت

قلتها لكات أحب الي من

جر النعم (تؤتي أكلها كل

حين) تعطى غرها كل وقت

وقته الله لا تغارها (بأذن

ربها) بقبيل خالقها

وتكوينه (ويضرب الله

الأمثال للناس لعلهم

يتذكرون) لأن في ضرب

الأمثال زيادة افهام وتذكير

وتصوير للمعاني (ومثل

كلمة خبيثة) هي كلمة الكفر

(كشجرة خبيثة) هي كل

شجرة لا يطيب غرها وفي

الحديث انها شجرة الحنظل

أخرى عنه انها المؤمن وقوله (أصلها ثابت) يعني في الأرض (وفرعها) يعني أعلاها (في السماء) يعني ذاهبة في السماء (تؤتي أكلها) يعني غرها (كل حين بأذن ربها) يعني بأمر ربها والحين في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا في مقدارها هنا فقال مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة لان النخلة تنمو في كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبيرة وقنادة والحسن سنة أشهر يعني من وقت طلوعها الى حين ضرامها وروى ذلك عن ابن عباس أيضا وقال علي بن أبي طالب غيبة أشهر يعني ان مددة جلها باطنا وظاهرا غيبة أشهر وقيل أربعة أشهر من حين ظهور جلها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعني من وقت ان يؤكل منها الى صرامها وقال الربيع بن أنس كل حين يعني غدوة وعشيرة لان غر النخل يؤكل أبدأ باليل ونهارا وصيفا وشتاء فيؤكل منها الجمار والطع والبلج والحلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل الغر اليابس الى حين الطرى الرطب فأكلها اذ تم في كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة في تمثيل هذه الكلمة التي هي كلمة الاخلاص وأصل الايمان بالنخلة حاصل من أوجه أحدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت في قلب المؤمن كثبوت أصل النخلة في الأرض الوجه الثاني ان هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن الى السماء كما قال تعالى اليه يصعد الكام الطيب والعمل الصالح برفعه وكذلك فرع النخلة الذي هو عال في السماء الوجه الثالث ان غر النخلة يأتي في كل حين ووقت وكذلك ما يكتبه المؤمن من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا اله الا الله صعدت الى السماء وجاءته بركاتها ونواحيها وخيرها ومنفعتاتها الوجه الرابع ان النخلة شبيهة بالانسان في غالب الامر لانها خلقت من فضلة طينة آدم وانما اذا قطع رأسها تموت كما لا دمي بخلاف سائر الشجر فانه اذا قطع نبت وانما لا تحمل حتى تلقح بطلع الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل الايمان بالشجرة على الاطلاق لان الشجرة لا تسمى شجرة الا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل ثابت ورفق قائم وكذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأيدى وقوله سبحانه وتعالى (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) يعني ان في ضرب الأمثال زيادة في الافهام وتصوير للمعاني وتذكير ومواعظ لمن تذكروا تعظ وقوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة) وهو الشرك (كشجرة خبيثة) يعني الحنظل قاله أنس ابن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس انها الكشوث وعنه أيضا انها الثوم وعنه أيضا انها الكافر لانه لا يقبل عمله فليس له أصل ثابت ولا يصعد الى السماء (اجتثت) يعني استوصات وقطعت (من فوق الأرض مالها من قرار) يعني مال هذه الشجرة من ثبات في الأرض لانها ليس لها أصل ثابت في الأرض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا اعتقاده أصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة عن أنس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بأذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار قال هي الحنظلة أخرجه الترمذي مر فوعا وموقوف قال الموقوف أصح قوله سبحانه وتعالى (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) لما رصف الله الكلمة الطيبة في الآية المتقدمة أخبر في هذه الآية انه ثبت الذين آمنوا بالقول الثابت والقول الثابت هي الكلمة الطيبة وهي شهادة أن لا اله الا الله في قول جمهور المفسرين ولما وصف الكلمة الخبيثة في الآية المتقدمة بكلمة الشرك قال في هذه الآية ويضل الله الظالمين يعني بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين وقوله (في الحياة الدنيا) يعني

(١١ - خازن ثاب) (اجتثت من فوق الأرض) استوصات جثتها حقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها وهي في مقابلة أصلها ثابت (مالها من قرار) أي استقرار يقال قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه ما القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت (ثبت الله الذين آمنوا) أي يديمهم عليه (بالقول الثابت) هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله (في الحياة الدنيا) حتى اذا

في القبر عند السؤال (وفي الآخرة) يعني يوم القيامة عند البعث والحساب وهذا القول واضح ويدل عليه ما روى عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المسلم اذا سئل في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فأما المؤمن فيقول أشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار أبداً لك الله به مقعداً من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعاً قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم رجع الى حديث أنس وأما المنافق وفي رواية وأما الكافر فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصبح صبيحة يسمعها من يلبه الا الثقلين لفظ البخاري ومسلم بعناه زاد في رواية أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً وعلماً عليه خضر الى يوم يبعثون وأخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا اللفظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا وضع في قبره أتاه ملك فيقول ما كنت تعبد قال هداة الله قال كنت أعبد الله فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فلا يسئل عن شيء بعد هاهنا فينطلق به الى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان مقعدك ولكن عصمتك الله فأبدلك به بيتاً في الجنة فيراه فيقول دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي فيقال له اسكن وان الكافر والمنافق اذا وضع في قبره أتاه ملك فيمنضه فيقول ما كنت تعبد فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ولا تليت فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول ما يقول الناس فيه فيضربه بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصبح صبيحة يسمعها الخاق غير الثقلين وأخرجه الترمذي أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر الميت أو قال اذا قبر أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكرو وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ثم ينوره فيه ثم يقال له نعم فيقول أرجع الى أهلي فأخبرهم فيقولان نعم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا أحب أهلها اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقاً فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلهم لا أدري فيقولان قد كنا نعلم انك كنت تقول ذلك فيقال للارض التثني عليه قتلتم عليه ففتحت أضلاعه فلا يزال فيم اعدنا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك أخرجه الترمذي عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتبهت الى القبر ولم يلبد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأننا على رؤسنا الطير ويده عود ينكت به في الارض فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوزوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً زاد في رواية وقال ان الميت ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك وفي رواية يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول الله ربي فيقولان له وما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت زاد في رواية فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم لقناه قال فينادي مناد من السماء ان صدق عبدى فافرشوا له من الجنة وافتحوا له باباً الى الجنة فيأتيه من ربيحه وطيبها و يفسح له في قبره مد بصره وان كان الكافر فدكر موته قال فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاهاه لا أدري فيقولان ما دينك فيقول هاهاه لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم

فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين قتلهم أصحاب الاخذود وغير ذلك (وفي الآخرة) الجمهور على ان المراد به في القبر بتقنين الجواب وتذكير الصواب فعن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله ودينى الاسلام ونبي محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ثم يقول الملكان عشت سعيداً ومت جيداً ثم نومة العروس

(ويضل الله الظالمين) فلا يثبتهم على القول الثابت في مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول (٨٣) شيء وهم في الآخرة أهل وأزل (ويضل الله

ما يشاء) فلا اعتراض عليه
في تثبيت المؤمنين واخلال
الظالمين (ألم تر إلى الذين بدلوا
نعمت الله) أي شكر نعمته
الله (كفرا) لأن شكرها الذي
وجب عليهم وضعها مكانه
كفر فكأنهم غيروا الشكر
إلى الكفر وبدلوه بتدبير
وهم أهل مكة أكرهم
بمحمد عليه السلام فكفروا
نعمته الله بدل ما لهم من
الشكر (وأحلوا قومهم)
الذين تابعوهم على الكفر
(دار البور) دار الهلاك
(جهنم) عطف بيان
(يصلونها) يدخلونها (وبئس
القرار) وبئس المقر جهنم
(وجعلوا الله أندادا) أمثالا
في العبادة أو في التسمية
(ليضلوا عن سبيله) ويضلوا
إلى ما عصى وأبو عمرو (قل
تتعصوا) في الدنيا والمراد
به الخذلان والتخلف وقال
ذوالنون التمتع أن يقضي
العبد ما استطاع من شهوته
(فإن مصيركم إلى النار)
مرجعكم إليها (قل لعبادي
الذين آمنوا) خصهم
بالإضافة إليه تشير بها
ويكون الباء شاميا وحجة
وعلى والاعشى (يقيموا
الصلاة وينفقوا مما
رزقناهم) المقول محذوف
لأن قل تقتضي مقولا وهو
أقيموا وتقديره قل لهم
أقيموا الصلاة وأنفقوا
بقيموا الصلاة وينفقوا
وقيل إنه أمر وهو المقول

فيقول هاهاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن قد كذب عبدى فافرشوا له من النار وأبدوه من
النار واقتلوا به بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسهرها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه زادني
رواية ثم يقبض له أعشى أبكم أصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبلا لصارت رابا فيضرب بها أضربة
يسمعها من بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح أخرجه أبو داود عن عثمان بن
عقان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لأخيكم
واسألوا الله التثبيت فإنه الآن يسأل أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن عثمة المهرى قال حضرنا عمرو
ابن العاص وهو في سياق الموت فبكى بكاء طويلا وحول وجهه إلى الجدار وجعل ابنه يقول ما يبكيك يا
أبا ثناء أما بشرتك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فأقبل بوجهه وقال إن أفضل ما نعد شهادة أن
لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فإذا أنامت فلا تعجبني نائحة ولا نار فإذا
دفتني فني فشنوا على التراب شنائهم أقيموا حول قبري قدر ما تحرجز وروى بقسم لجهنم استأنس بكم وأنظر
ماذا أراجع به رسول ربى أخرجه مسلم بزيادة طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو أن الله
تعالى اغماضهم في القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق في الحياة الدنيا وجهم لها فن كانت
مواظبتهم على شهادة الإخلاص أكثر كان رسوخها في قلبه أعظم فينبغي للعبد المسلم أن يكثُر من قول
لا إله إلا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته
فما عمل الله عز وجل أن يرزقه ببركة مواظبته على شهادة الإخلاص التثبيت في القبر ويسهل عليه
جواب الملكين بما فيه خلاصه من عذاب الآخرة أسأل الله التثبيت في القبر وحسن الجواب
ونسب إليه بفضلهم ومنه وكرمه وإحسانه أنه على كل شيء قدير ﴿١﴾ وقوله تعالى (ويضل الله الظالمين)
يعني أن الله تعالى لا يهدي المشركين إلى الجواب بالصواب في القبر (ويضل الله ما يشاء) يعني من التوفيق
والخذلان والهداية والاضلال والتثبيت وتركه لا اعتراض عليه في جميع أفعاله لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون ﴿٢﴾ قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا) (خ) عن ابن عباس في قوله ألم تر إلى الذين
بدلوا نعمت الله كفرا قال هم كفار مكة وفي رواية قال هم والله كفار قريش قال عمرهم قريش ونعمته الله
هو محمد صلى الله عليه وسلم (وأحلوا قومهم دار البوار) قال النابغة بدر وعن علي رضي الله عنه قال
هم كفار قريش بخروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأجران من قريش بنو المغيرة وبنو
أمية أما بنو المغيرة فقد كفيتهم يوم بدر وأما بنو أمية فقد متعوا إلى حين فقوله بدلوا نعمت الله كفرا
معناه إن الله تعالى لما أنعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فأسلمه إليهم وأنزل عليه كتابه ليخرجهم
من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان اختاروا الكفر على الإيمان وغيروا نعمه الله عليهم وقيل يجوز أن
يكون بدلوا شكر نعمته الله عليهم كفرا لأنهم لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة أتوا بالكفر
فكأنهم غيروا الشكر وبدلوه بالكفر وأحلوا قومهم يعني من تبعهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعني
دار الهلاك ثم فسرها بقوله تعالى (جهنم يصلونها وبئس القرار) يعني المستقر (وجعلوا الله أندادا) يعني
أمثالا وأشباهها من الأصنام وإسئل الله تعالى تدو لا شبيه ولا مثيل تعالى الله عن التدو والشبه والمثيل علوا
كبيرا (ليضلوا عن سبيله) يعني ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق (قل تعصوا) أي قل يا محمد
لهؤلاء الكفار تعصوا في الدنيا أياما قلائل (فإن مصيركم إلى النار) يعني في الآخرة ﴿٣﴾ قوله تعالى
(قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة) يعني أقيموا أو ليقيموا الصلاة الواجبة وأقامتها إتمام أركانها
(وينفقوا مما رزقناهم) قيل أراد به هذا الاتفاق إخراج الزكاة الواجبة وقيل أراد به جميع الاتفاق في جميع
وجوه الخير والبر وجهه على العموم أولى ليدخل فيه إخراج الزكاة والاتفاق في جميع وجوه البر (سرا
وعلانية) يعني ينفقون أموالهم في حال السر وحال العلانية وقيل أراد بالسرا صدقة التطوع وبالعلانية

والتقدير ليقيموا وينفقوا الخلف اللام لآلة قل عليه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحدف اللام بجر (سرا وعلانية) انتصبا

على الحال أى ذوى سر وعلاية بمعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أى وفى سر وعلاية أو على المصدر أى انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء التطوع واعلان (٨٤) الواجب (من قبل ان يأتى يوم لا يسع فيه ولا خلال) أى لا انتفاع فيه بمبايعه ولا

مخاللة والمخاللة المخالفة وانما يتفهم فيه بالانفاق لوجهه الله بصفهما مكي وبصرى والباقون بالرفع وانتون (الله) مبتدأ (الذى خلق السموات والارض) خبره (وأنزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) من الثمرات بيان للرزق أى أخرج به رزقا هو ثمرات أو من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حال من المفعول (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره) وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين (دائمين وهو حال من الشمس والقمر أى يدأبان فى سيرهما وانارهما ودرهما الظلمات واصلاهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفه لمعاشكم وسباتكم (وأتاكم من كل ماسألتوه) من التبعض أى أتاكم بعض جميع ماسألتوه أو أتاكم من كل شئ سألتوه ومالم تسألوه فماموصولة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لان الباقي يدل على المحذوف كقوله مرايل تقيكم الحر من كل

إخراج الزكاة الواجبة (من قبل أن يأتى يوم لا يسع فيه) قال أبو عبيدة الببيع هنا الفساد يعنى لا فداء فى ذلك اليوم (ولا خلال) يعنى ولا خلعة وهى المودة والصداقة التى تكون مخاللة بين اثنين وقال مقاتل انما هو يوم لا يسع فيه ولا شراء ولا مخاللة ولا قرابة انما هى الاعمال امانا يناب بها أو يعاقب عليها فان قلت كيف نفى الخلعة فى هذه الآية وفى الآية التى فى سورة البقرة وأثبتنا فى قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا لا المتقين قلت الآية الدالة على نفي الخلعة محمولة على نفي الخلعة الحاصلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلعة وثبوتها محمولة على الخلعة الحاصلة بسبب محبة الله ألا تراه أثبتنا للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان يوم القيامة أحوال مختلفة فى بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفى بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض اذا كانت تلك المخاللة لله فى محبة قوله عز وجل (الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) اعلم انه تقدم تفسير هذه الآية فى مواضع كثيرة ونذكر ههنا بعض فوائد هذه الآية الدالة على وجود اصانع المختار القادر الذى لا يعجزه شئ أراداه فقله تعالى الله الذى خلق السموات والارض انما بدأ بخلق السموات والارض لانهم ما أعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود اصانع الخالق القادر المختار وأنزل من السماء ماء يعنى من السحاب سمي السحاب سماء لا ارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقبل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فأخرج به أى بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم والثمرات يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع أيضا بدليل قوله كلا ومن ثمرة اذا أنمروا وتواحقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق أى أخرج به رزقا هو الثمرات (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره) ولما ذكر الله سبحانه وتعالى انعامه بانزال المطر وإخراج الثمر لا جمل الرزق والانتفاع به ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لا جمل الانتفاع بها فى جلب ذلك الرزق الذى هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد آخر فهو من تمام نعمة الله على عباده (وسخر لكم الانهار) يعنى ذلكم لكم تجرونها حيث شئتم ولما كان ماء البحر لا يتفهم به فى سقى الزرع والثمرات ولا فى الشرب أيضا ذكر نعمته على عباده فى تسخير الانهار وتغيير المياه لا جمل هذه الحاجة فهو من أعظم نعم الله على عباده (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة ودأب فى السير يردوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يحريان دائما فمبايعه الى مصالح العباد لا يشتران الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس دأبها فى طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه يدأبان فى طاعة الله أى فى مسيرهما وتأييدهما فى ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده وتسخيره لهم (وسخر لكم الليل والنهار) يعنى يتعاقبان فى الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخيره لهم (وأتاكم من كل ماسألتوه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التى أنعم الله بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتى على بعضها العبد والحصر والمعنى وأتاكم من كل ماسألتوه شيئا خذفى شيئا اكتفاء بدلالة الكلام على التبعض وقيل هو على التكثر يعنى وأتاكم من كل شئ سألتوه ومالم تسألوه لان نعمه علينا أكثر من أن تحصى (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) يعنى ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر أحد على حصرها ولا عدها لكثيرتها (ان الانسان) قال ابن

عن أبى عمرو وماسألتوه نفي ومجمله النصب على الحال أى أتاكم من جميع ذلك غير سألوه أو ماموصولة أى وأتاكم من عباس كلى ذلك ما احتجتم اليه فكانكم سألوه أو طلبتموه بلسان الحال (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) لا تطبقوا عدها وبلغ آخرها هذا اذا أرادوا أن يعدوها على الاجمال وأما التفصيل فلا يعلمه الا الله (ان الانسان)

عباس يريد أبا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر (ظالم كفار) يعني ظالم لنفسه
 كفار بنعمة ربه وقيل الظالم الشاكر لغير من أنعم عليه فيضع الشكر في غير موضعه كفار بحجود نعم الله
 عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران أها وقيل ظالم في الشدة يشكو ويخرج
 كفار في النعمة يجمع ويمنع ﴿ قوله سبحانه وتعالى (واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً) يعني ذا
 أمن يؤمن فيه وأراد بالبلد مكة فان قلت أي فرق بين قوله اجعل هذا بلداً آمناً وبين قوله اجعل هذا
 البلد آمناً قلت الفرق بينهما انه سأل في الأول أن يجعله من جهة البلاد التي يأمن أهلها فيها ولا يخافون
 وسأل في الثاني أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضد هان الأمن كأنه قال هو
 بالخوف فاجعله آمناً (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) يعني أبعدني وبني أن نعبد الاصنام فان
 قلت قد توجه على هذه الآية اشكالات وهي من وجوه الأول ان ابراهيم دعاه ان يجعل مكة آمنة
 ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد آثاروا عليها واخافوا أهلها الوجه الثاني ان الانبياء عليهم وعلى
 نبينا أفضل الصلاة والسلام معصومون من عبادة الاصنام واذا كان كذلك فما الفائدة في قوله اجنبني
 عن عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سأل ربه أيضاً ان يحجب عنه عبادة الاصنام
 وقد وجد كثير من بنيه عبد الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم من ينسب الى ابراهيم عليه السلام
 فالت جواب عن الوجوه المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما أن
 ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب
 وهذا موجود بحمد الله ولم يقدر أحد على خراب مكة وأورد على هذا ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرب الكعبة ذواتا وسويقتين من الحبشة أخرجهما في الصحيحين وأجيب
 عنه بان قوله اجعل هذا البلد آمناً يعني الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة
 ذي السويقتين فلا تعارض بين النصين الوجه الثاني أن يكون المراد اجعل أهل هذا البلد آمنين
 وهذا الوجه عليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الأمن
 في بلدهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله ويخطف الناس من حوالمهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى
 ان من التجأ الى مكة آمن على نفسه وماله من ذلك وحتى ان الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم
 استوحشت فاذا دخلت الحرم أمنت واستأنست لعلها انه لا يهيجها أحد في الحرم وهذا القدر من الأمن
 حاصل بحمد الله بحكمه وحرمة ما وأما الجواب عن الوجه الثاني فمن وجوه أيضاً الوجه الاول ان دعاء ابراهيم
 عليه السلام اتفقه لزادة العصمة والتبعية فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني ان ابراهيم عليه
 السلام وان كان يعلم ان الله سبحانه وتعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا انه دعا بهذا الدعاء هضم للنفس
 واظهار للجزو والحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى ورحمته وان أحد الاية قدر على نفع نفسه بشئ لم ينفعه
 الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء وأما دعاءه لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب
 عنه من وجوه الاول أن ابراهيم دعاه لبنيه من صلبه ولم يعبد أحد منهم صفاً قط الوجه الثاني انه أراد أولاده
 وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك ان ابراهيم عليه السلام قد أجيب فيهم الوجه الثالث قال
 الواحدى دعاه ان يذن الله أن يدعو له فكانه قال وبني الذين أذن لي في الدعاء لهم لان دعاء الانبياء
 مستجاب وقد كان من بنيه من عبد المصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام المخصوص بالوجه
 الرابع ان هذا مختص بالمؤمنين من أولاده والدليل عليه انه قال في آخر الآية قن تبعني فانه متى وذلك
 يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ وقوله تعالى (وبانهم) يعني
 الاصنام (أضلان كثير من الناس) وهذا مجاز لان الاصنام جادات وحجارة لا تعقل شيئاً حتى تضل من
 عبدها الا انه لما حصل الاضلال لعبادتها أضيف اليها كما تقول قمتهم الدنيا وغرهم وانما اقتنوا بها

ظالم) يظلم النعمة باغفال
 شكرها (كفار) شديد
 الكفران لها وظالم في
 الشدة يشكو ويخرج
 كفار في النعمة يجمع
 ويمنع والانسان للجنس
 فيتناول الاخبار بالظلم
 والكفران من يوحدان
 منه (واذ قال ابراهيم
 واذا كراذ قال ابراهيم رب
 اجعل هذا البلد) أى البلد
 الحرام (آمناً) ذا أمن
 والفرق بين هذه وبين
 ما في البقرة انه قد سأل فيها
 ان يجعله من جهة البلدان
 التي يأمن أهلها وفي الثاني
 ان يخرج منه من صفة
 الخوف الى الأمن كأنه قال
 هو بالخوف فاجعله آمناً
 (واجنبني) وبعدني أى
 تبني وأدنى على اجتناب
 عبادتها كما قال واجعلنا
 مسلمين لك أى تبني على
 الاسلام (وبني) أراد بنيه
 من صلبه (أن نعبد
 الاصنام) من ان نعبد
 الاصنام (رب انهم أضلن
 كثير من الناس) جعلن
 مضلات على طريق
 التسيب لان الناس ضلوا
 بسببهم فكانهم أضلهم

واغتراب سببها (فمن تبعني فانه مني) يعني فمن تبعني على ديني واعتقادي فانه مني يعني المتدينين بديني
المتسكين بجبلي كما قال الشاعر

إذا حاولت في أسد فخورا * فاني لست منكم ولست مني

أراد لست من المتسكين بجبلي وقيل معناه فانه مني حكمه حكمي جار مجرای في القرب والاختصاص
(ومن عصاني) يعني في غير الدين (فانك غفور رحيم) قال السدي ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال
مقاتل ومن عصاني فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وشرح أبو بكر الانباري هذا فقال ومن عصاني
تخالفني في بعض الشرائع وعقائد التوحيد فانك غفور رحيم ان شئت ان تغفر له غفرت اذا كان مسلما
وذ كروجهين آخرين أحدهما ان هذا كان قبل ان يعلم الله انه لا يغفر الشرك كما استغفروا لابي يوهو
يقول ان ذلك غير محظور فلما عرف انهم غير مغفور لهم اتبرأ منهم والوجه الآخر ومن عصاني باقامته على
الكفر فانك غفور رحيم يعني انك قادر على أن تغفر له وترحمه بان تنقله من الكفر الى الايمان والاسلام
وتهديه الى الصواب قوله عز وجل اخبرنا عن ابراهيم (ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع
عند بيتك المحرم) (خ) عن ابن عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقا
اتبعني أثرها على سارة ثم جاءهم ابراهيم وبانها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحه
فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس به ماء فوضعها هناك ووضع عندهما جرابا فيه
تمر وسقاء فيه ماء ثم فقئ ابراهيم منطلقا فقبضته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم اني نذرت ان يكون
الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له ذلك من ارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت الله أمرك بهذا قال
نعم قالت اذا لا يضيعه ثم رجعت فانطلق ابراهيم فدعا هذه الدعوات فرفع يديه فقال رب اني أسكنت من
ذريتي بواد غير ذي زرع حتى يبلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى
اذا انقضى ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر
اليه فوجدت السقاء أقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم
تروا أحدا فهبطت منه حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهد حتى
جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليه فانظرت هل ترى أحدا فلم تروا أحدا فاضطربت له سبع مرات قال
ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهم فلما أتمرفت على المروة سمعت صوتا
فقلت من تريد فسمعتهم تسمعون فسمعت صوتا ايضا فقالت قد أسمع ان كان عندك غوث فاذا هي
بالملاك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول يدها هكذا
وجعلت تعرف من الماء في سقاها وهو يفر بعد ما تعرف وفي رواية قدما تعرف قال ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم رحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم من الماء لكانت زمزم عينا معينا
قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فان ههنا بيتا لله تعالى بينه هذا الغلام وأبوه
وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الارض كالراية تأتبه السيول فتأخذ عن عينه وعن شماله
فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فزولوا في أسفل
مكة فرأوا طائرا ما ثقا فقلوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جريا
أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهما فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالت أنا ذين لنا ان تنزل عندك
قالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فأتني ذلك أم اسمعيل
وهي تحب الانس فتزولوا وأرسلوا الى أهلهم فزولوا معهم حتى اذا كانوا بها أهل آيات منهم وشب الغلام
وتعلم العربية منهم وآنسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجه باهر آفة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء
ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل بطالع تركته أخرجه البخاري باطول من هذا وقد تقدم الحديث اطوله في
تفسير سورة البقرة وأما تفسير الآية فقوله ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع أي بعض ذريتي

(فمن تبعني) على ملتي
وكان خيفاً مسلماً ملتي
(فانه مني) أي هو بعضي
لفرط اختصاصه بي (ومن
عصاني) فيما دون الشرك
(فانك غفور رحيم) أو ومن
عصاني عصيان شرك فانك
غفور رحيم ان تاب وآمن
(ربنا اني أسكنت من
ذريتي) بعض أولادي وهم
اسمعيل ومن ولده منه (بواد)
هو وادي مكة (غير ذي
زرع) لا يكون فيه شيء من
زرع قط (عند بيتك المحرم)
هو بيت الله تعالى به لان
الله تعالى حرم التعرض له
والتماون به وجعل ماحوله
حرماً للكانه أولانه لم يزل عندهما
جبابه كل جبار أولانه محترم
عظيم الحرمه لا يحل
انها كما أولانه حرم على
الطوفان أي منع منه كما
مهي عتيقاً لانه أعنت منه

(ربنا ليقيموا الصلوة) اللام متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم هذا الوادي البلقع (٨٧) الالبقيوا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمره

بذكر كرك وعبدك (فاجعل
أقنعة من الناس) أقنعة
من أقنعة الناس ومن
للبعض لما روى عن مجاهد
نوفال أقنعة الناس لاجتكم
عليه فارس والروم والترك
والهند أولادك كقولك
القلب مني سقيم تريد قلبي
فكانه قيل أقنعة ناس
ونكرت المضاف اليه في
هذا التمثيل لشكر أقنعة
لانها في الآية تكرة ليتناول
بعض الأقنعة (تهوى
اليهم) تسرع اليهم من
البلاد الشاسعة وتطير
نحوهم شوقا (وارزقهم من
الثمرات) مع سكنهم واديا
ما فيه شيء منها بان تجلب
اليهم من البلاد الشاسعة
(اعلمهم يشكرون) النعمة
في أن برزقوا أنواع الثمرات
في واد ليس فيه شجر ولا ماء
(ربنا) النداء المكرر دليل
التضرع والرجاء الى الله
(انك تعلم ما تخفي وما نعلم)
تعلم السر كما تعلم العلن (وما
يخفي على الله من شيء في
الارض ولا في السماء) من
كلام الله عز وجل تصديقا
لأبراهيم عليه السلام أو
من كلام إبراهيم ومن
للاستغراق كأنه قيل وما
يخفي على الله من شيء (ما الحمد
لله الذي وهب لي هلي
الكبير) على بمعنى مع وهو
في موضع الحال أي وهب
لي وأنا كبير (اسمعيل واسحق) روى أن اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وروى أنه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وأغاد كرجال الكبر لان المنهية الولد فيها أعظم لانها حال وقوع البأس من الولادة والظفر

وهو اسمعيل عليه السلام هو اد غير ذى زرع يعنى ليس فيه زرع لانه واد بين جبلين جبل أبي قبيس وجبل
اجباد وهو وادى مكة عند بيتك المحرم سماه محرما لانه يحترم عنده ما لا يحترم عند غيره وقيل لان الله
حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء وحرم التعرض له والتماون به وبجرحته وجعل ماحوله محرما لمكانه
وشرفه وقيل لانه حرم على الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل سمي محرما لان الزائر فيه يحرمون على
أنفسهم أشياء كانت مباحة لهم من قبل وسمى عتيقا أيضا لانه أعتق من الجبابرة أو من الطوفان فان
قلت كيف قال عند بيتك المحرم لم يكن هناك بيت حقيقة ذواغابناه إبراهيم بعد ذلك قلت يحتمل ان الله
عز وجل أوحى اليه وأعلمه ان له هناك بيتا قد كان في سالف الزمان وأنه سيعمره فذلك قال عند بيتك المحرم
وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذي كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند
بيتك الذي جرى في سابق علك أنه سيحدث في هذا المكان (ربنا ليقيموا الصلوة) اللام في ليقيموا متعلقة
بأسكنت يعنى أسكنت قوم من دون ذريتي وهم اسمعيل وأولاده هذا الوادي الذي لازرع فيه ليقيموا أي
لاجل أن يقيموا أولئك يقيموا الصلوة (فاجعل أقنعة من الناس) قال السجوى جمع الوفد (تهوى اليهم)
تحن وتشتاق اليهم قال السدى رحمه الله أمل فلوهم الى هذا الموضع وقال ابن الجوزى أقنعة من الناس
أي قلوب جماعة من الناس فلهذا جعل جمع فؤاد قال ابن الأنباري وأغاد عن القلوب بالأقنعة لقرب
القلب من القواد فجعل القلب والقواد جارحين وقال الجوهرى القواد القلب والجمع أقنعة فجعلها
جارحة واحدة واقتطعت من في قوله من الناس للتبعيض قال مجاهد نوفال أقنعة الناس لاجتكم فارس
والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبيرة لجبت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال أقنعة من الناس
فهم المسلمون تهوى اليهم قال الأصمعي يقال هوى يهوى هو يا إذا سقط من علواى سفلى وقال الفراء تهوى
اليهم يريد هم كما تقول رأيت فلانا يهوى نحوك معناه يريدك وقال أيضا تهوى تسرع اليهم وقال ابن
الأنباري معناه تخط اليهم وتحدروا تنزل هذا قول أهل اللغة في هذا الحرف وأما أقوال المفسرين فقال
ابن عباس يريد تحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع اليهم وفي هذا بيان أن حنين الناس اليهم -م اغاد هو
اطلب حج البيت لا لاعتنائهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته بأنهم
ينتفعون عن يأتي اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع إبراهيم عليه السلام في هذا الدعاء من أمر الدين
والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركاته (وارزقهم من الثمرات) يعنى كما رزقت سكان القرى ذوات المساء والزروع
فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل أن يكون المراد جلب الثمرات الى مكة
بطريق النقل والتجارة فهو كقوله تعالى يحجي اليه ثمرات كل شئ ۞ وقوله تعالى (اعلمهم يشكرون) يعنى
اعلمهم يشكرون هذه النعم التي أنعمت بها عليهم وقيل معناه اعلمهم بوحدهم ونزولهم وعظمته وفيه دليل على
أن تحصيل منافع الدنيا انما هو باستيعانها على أداء العبادات واقامة الطاعات (ربنا انك تعلم ما تخفي
وما نعلم) يعنى انك تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم أحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا
وأنت أرحم بنا منافعنا حاجة بنا الى الدعاء والطلب انما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمته وقولنا
لعرنا لما اقتضاه الى ما عندك وقيل معناه تعلم ما تخفي من الوجوه بفرقة اسمعيل وإمه حيث أسكنتهم ما بواد
غير ذى زرع وما نعلم يعنى من البكاء وقيل ما تخفي يعنى من الحزن المتكبر في القلب وما نعلم يعنى ما جرى
بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لأبراهيم عليه السلام الى من نكلنا قال الى الله قالت اذا لا يضرنا
(وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء) قبل هذا زمان تبة قول إبراهيم يعنى وما يخفى على الله
الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان وقال الاكثرون أنه من قول الله تعالى تصديقا لأبراهيم فيما قال
فهو كقوله وكذلك يفعلون (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق) قال ابن عباس ولد اسمعيل

لي وأنا كبير (اسمعيل واسحق) روى أن اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وروى أنه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وأغاد كرجال الكبر لان المنهية الولد فيها أعظم لانها حال وقوع البأس من الولادة والظفر

بالحاجة على عقب اليأس من أجل النهم ولان الولادة في ثلاث السن العلية كانت آية لبراهيم (ان ربي لجميع الدعاء) بحبيب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان (٨٨) اذا تلقاه بالاجابة والقبول ومنه سمع الله لمن حده وكان قد دعاه به وسأله

لأبراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولده اسحق وهو ابن مائة واثنى عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر إبراهيم باسحق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة ومعنى قوله على الكبير مع الكبير لان هبة الولد في هذا السن من أعظم المنن لانه سن اليأس من الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبير اسمعيل واسحق فان قلت كيف جمع بين اسمعيل واسحق في الدعاء في وقت واحد وانما بشر باسحق بعد اسمعيل برمان طويل قلت يحتفل ان إبراهيم عليه السلام انما أتى بهذا الدعاء عند ما بشر باسحق وذلك أنه لما عظمت المنة على قلبه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذي وهب لي على الكبير اسمعيل واسحق ولا يرد على هذا ما ورد في الحديث أنه دعا بما تقدم عند مفارقة اسمعيل وأمه لان الذي صح في الحديث أنه دعا بقوله ربنا اني أسكنت من ذريتي الى قوله لعلهم يشكرون اذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبير اسمعيل واسحق في وقت آخر والله أعلم بحقيقة الحال (ان ربي لجميع الدعاء) كان إبراهيم عليه السلام قد دعاه به وسأله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله دعاءه ووهبه ما سأله شكر الله على ما أكرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبير اسمعيل واسحق ان ربي لجميع الدعاء وهو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله (رب اجعلني مقيم الصلاة) يعني ممن يقيم الصلاة باركانها ويحافظ عليها في أوقاتها (ومن ذريتي) أي واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة وانما أدخل لفظة من التي هي للتبعية في قوله ومن ذريتي لانه علم باعلام الله اياه انه قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلما قال ومن ذريتي وأرادهم المؤمنين من ذريته (ربنا وقبل دعاء) سال إبراهيم عليه السلام به أن يتقبل دعاءه فاستجاب الله لإبراهيم وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه (ربنا اغفر لي) فان قلت طلب المغفرة من الله انما يكون سابقا ذنبا قد سلف حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبتت عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له قلت المقصود منه الالتجاء الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شيء الا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والانسكال على رحمته (ولو ادى) فان قلت كيف استغفر إبراهيم لابويه وكانا كافرين قلت أراد انهما انما أسلما وتابا وقيل انما قال ذلك قبل أن يتبين له أنهم امن أصحاب الجحيم وقيل ان أمه أسلمت فدعا لها وقيل أراد ابو الديه آدم وحواء (ولله مؤمنين) يعني واغفر للمؤمنين كلهم (يوم يقوم الحساب) يعني يوم يسد ويرى الحساب وقيل أراد يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذلك أي بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليفه إبراهيم عليه السلام فبه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة قوله سبحانه وتعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الغفلة معني يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري الانسان من قلة التحفظ واليقظ وهذا في حق الله محال فلا بد من تأويل الآية فالمقصود منها أنه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظالم ففيه وعيد وتهديد للظالم واعلام له بان لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تسليمة للمظالم وتهديد للظالم فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم غافلا وهو أعلم الناس به أنه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قلت اذا كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا

الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر الله ما أكرمه به من اجابته وازداده لجميع الدعاء من اضافته الصفة الى مفعولها وأصله لجميع الدعاء وقد ذكر سيويو في لافي جلة أبنية المبالغة العامة عمل الفعل كقولك هذا ربي أباه (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) وبعض ذريتي عطفها على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار عن ابن عباس رضى الله عنهم لا يزال من ولد إبراهيم ناس على الفطرة الى أن تقوم الساعة (ربنا وقبل دعاء) بالبلاء في الوصول والوقف مسكي واقفه أبو حمزة وروى جريدة في الوصول الباقيون بالبلاء أي استجب دعائي أو عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله (ربنا اغفر لي ولوالدي) أي آدم وحواء أو قاله قبل النهم واليأس عن إيمان أبيه (ولله مؤمنين يوم يقوم الحساب) أي ثبت أو أسند الى الحساب قيام أهل اسناد ايجازيا مثل

واسأل القرية (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) تسليمة للمظالم وتهديد للظالم والمحطاب بغير الرسول عليه السلام وان كان للرسول والمراد تنبيهه عليه السلام على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكما جاء في الامريأ أيها الذين آمنوا بالله ورسوله وقيل المراد به الايدان بانه عالم بما يعمل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قلبه وكثيره على سبيل الوعيد والتمديد كقوله والله بما تعملون عليم

(انما يؤخرهم) أى عقوبتهم (ليوم تشخص فيه الابصار) أى أبصارهم لا تقر فى أماكنهم من هول ما ترى (مهطعين) مسرعين إلى الداعي (مقضى رؤسهم) رافعها (لا يرد إليهم طرفهم) لا يرجع إليهم نظروهم فينظروا إلى أنفسهم (وأخذتهم هواء) صفر من الخيل لا تسمى شيئا من الخوف والهواء الطلاء الذى لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبا نالا قوة فى قلبه ولا جراءة وقيل خوف لا عقول لهم (وأندرا الناس يوم يأنيهم العذاب) أى يوم القيامة ويوم مفعول ثان لانذرا لا طرف (٨٩) اذا لا نذار لا يكون فى ذلك اليوم (فيقول الذين ظلموا) أى الكفار

(ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجيب دعوتك ونبيع الرسل) أى ردنا إلى الدنيا وأمهلتنا إلى أمس وخدم من الزمان قريب تتدارك ما فرغنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) أى حلفتم فى الدنيا أنكم اذا مستم لا تزالون عن تلك الحالة ولا تنتقلون إلى دار أخرى يعنى كفرتم بالبعث كقولهم وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من موت وما لكم جواب القسم وانما جاء باللفظ الخطاب كقولهم أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقل ما لكم من زوال أو أريد اليوم يوم هلاكهم بالعباد العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بالابشرى فانهم يسألون يومئذ ان يؤخرهم ويهم إلى أجل قريب يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر لان السكنى من السكون وهو

بحسب الله عاقلا فهو كقوله ولا تكونون من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكقوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا أى اقتبوا على ما أنتم عليه من الإيمان الوجه الثانى ان المراد بالنسب عن حسب بانه عاقلا الاعلام بانه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شيء وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبنه معاملهم معامل الغافل عنهم ولكن تعاملهم معامل الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان الخطاب غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان أكثر الناس غير عارفين بصفت الله فمن جوز أن يحسبه غافلا فلجهله بصفاته (انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) يقال شخص بصر الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحة حين لا يطفئها وشخص البصر يدل على الحيرة والذهشة من هول ما ترى فى ذلك اليوم (مهطعين) قال قتادة مسرعين وهذا قول أبى عبيدة فى هذا المعنى ان الغالب من حال من ينى بصروا خصا من شدة الخوف أن يبقى واقفا باهتا فبين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية أن أحوال أهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة فأخبر سبحانه وتعالى أنهم مع شخوص الابصار يكونون مهطعين يعنى مسرعين نحو الداعي وقيل الملهط الخاضع للدليل الساكت (مقضى رؤسهم) الانقاع ورفع الرأس الى فوق فاهل الموقف من صفتهم أنهم رافعو رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء فانه يطرق بصره الى الارض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر أحد الى أحد وهو قوله تعالى (لا يرد إليهم طرفهم) أى لا يرجع إليهم أبصارهم من شدة الخوف فهى شاخصة لا ترد إليهم قد شغلهم ما بين أيديهم (وأخذتهم هواء) أى خالبه قال قتادة خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت فى حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود الى أماكنهم ومعنى الآية ان أفئدتهم خالية فارغة لا تسمى شيئا ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد بن جبير وأخذتهم هواء أى مترددة تهوى فى أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الآية ان القلوب يومئذ زائلة عن أماكنها والابصار شاخصة والرؤس مرفوعة الى السماء من هول ذلك اليوم وشدة (وأندرا الناس) يعنى وخوف الناس يا محمد يوم القيامة وهو قوله سبحانه وتعالى (يوم يأنيهم العذاب فيقول الذين ظلموا) يعنى ظلوا أنفسهم بالشرك والمعاصى (ربنا أخرنا إلى أجل قريب) يعنى أمهلتنا مدة يسيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا حتى يؤمنوا فينفهم ذلك وهو قوله تعالى (نجيب دعوتك ونبيع الرسل) فأجيبوا بقوله (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) يعنى فى دار الدنيا (ما لكم من زوال) يعنى ما لكم عن الانتقال ولا بعث ولا نشور (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم) يعنى بالكفر والمعاصى من كان قبلكم من كفار الامم الخالية كقوم نوح وقادوث وغيرهم (وتبين لكم كيف فعلناهم) يعنى وقد عرفتم كيف كانت عقوبتنا اياهم (وضربناكم الامثال) يعنى الامثال التى ضربها الله عز وجل فى القرآن ليستدبروها ويعتبروا بها فوجب على كل من شاهد أحوال الماضين من الامم الخالية والقرون الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف أهلكوا أن يعتبر بهم ويعمل فى خلاص نفسه من العقاب والهلاك قوله سبحانه وتعالى (وقد مكروا مكروهم) اختلفوا فى الضمير الى من يعود فى قوله وقد مكروا فقيل يعود الى الذين سكنوا فى مساكن

(١٣ - خازن ثالث) البعث والاصل تعدية ينى نحو قرنى الدار وأظام فيها ولكنه لما نقل الى سكوت خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل بنواها ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أى قروا فيها وأظام أوطأ طبيى النفوس سائرين سيرة من قبلهم فى الظلم والفساد لا يحدثونها بما أتى الاولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويردوا (وتبين لكم) بالاخبار والمشاهدة فاعل تبين مفعول عليه الكلام أى تبين لكم حالهم و (كيف) ليس بفاعل لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وانما انصب كيف بقوله (فعلناهم) أى أهلكناهم وانتقمنا منهم (وضربناكم الامثال) أى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى فى الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم (وقد مكروا مكروهم) أى

مكرهم العظيم الذي استقر غوافيه جهدهم وهو ما فعلوه من تأييد الكفر واطلاق الاسلام (وعند الله مكرهم) وهو مضاف الى الفاعل كالاول والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه أو الى المفعول أي وعند الله مكرهم الذي بمكرهم به وهو عذابهم الذي يأتيهم من حيث لا يشعرون (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) بكسر اللام الاولى ونصب الثانية والتقدير وان وقع مكرهم لتزول أمر النبي صلى الله عليه وسلم فعبر عن أمر النبي عليه السلام بالجبال لعظم شأنه وكان تامة أو ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعدنهم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل آيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وعمكنا دليله قراءة ابن (٩٠) مسعود وما كان مكرهم وفتح اللام الاولى ورفع الثانية على أي وان كان مكرهم من

الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده الى أقرب مذكور وقيل ان المراد بقوله وقد مكرهم كفار قريش الذين مكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله تعالى واذ بمكر بل الذين كفروا الآية والمعنى وأنذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني بسبب مكرهم بل وقوله تعالى (وعند الله مكرهم) يعني جزاء مكرهم وقيل ان مكرهم مثبت عند الله ليحازهم به يوم القيامة (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) يعني وان كان مكرهم لضعف من أن تزول منه الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا يزيل أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت كسبوت الجبال وقد حكى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في الآية قولاً آخر وهو أنها نزلت في غرود الجبار الذي حاج إبراهيم في ربه فقال غرود ان كان ما يقوله إبراهيم حقاً فلا انتهى حتى أصعد الى السماء فأعلم ما فيه فاعمد الى أربعة أفراس من النور فرباهن حتى كبرت وشبت واتخذن تابوتاً من خشب وجعل له باباً من أعلى وباباً من أسفل ثم جوع النور ونصب خشبات أربعاً في أطراف التابوت وجعل على رؤس تلك الخشبات لحماً أجود قعد هو في التابوت وأقعد معه رجلاً آخر وأمر بالنور فربط في أطراف التابوت من أسفل فجعلت النور كل أركان اللحم رغبت فيه وطارت البسه فطارت النور يوماً أجمع حتى بعدت في الهواء فقال غرود لصاحبه افتح الباب الأعلى وانظر الى السماء هل قرنا منها ففتح ونظر فقال له ان السماء كهيتة ا فقال له افتح الباب الأسفل فانظر الى الأرض كيف تراها ففعل فقال أرى الأرض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النور يوماً آخر ورأته حتى حالت الريح بينهما وبين الطير ان فقال غرود لصاحبه افتح الباب الأعلى ففعل فإذا السماء كهيتة ففتح الباب الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة فتودى أي الطاغى أين تريد قال عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد دخل القوم والشباب وأخذ معه الترس ورمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخاً بدم سمكة قد قذفت بنفسها في بحري في الهواء وقيل ان طائراً أصابه السهم فلما رجع اليه السهم ملطخاً بالدم قال كفيت له السماء ثم أمر غرود صاحبه أن يصوب الخشبات الى أسفل وينكس اللحم ففعل فهبطت النور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنور فزعت وظنت انه قد حدث حدث من السماء وان الساعة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال واستبعد بعض العلماء هذه الحكاية وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل هذا الأمر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل الآية البتة (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) يعني فلا تحسبن الله يا محمد مخلف ما وعده رسله من النصر واعلاء الكلمة واطهار الدين فانه ناصر رسله وأوليائه ومهلك أعداءه وفيه تقديم وتأخير تقديره ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده (ان الله عزيز) أي غالب (ذو انتقام) يعني من أعدائه قوله عز وجل (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) ذكر

الشدة بحيث تزول منه الجبال وتقطع عن أماكنها فان مخففة من ان واللام مؤكدة (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) يعني قوله ان الله ناصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي مخلف مفعول ثان لتحسبن وأضاف مخلف الى وعده وهو المفعول الثاني له والاول رسله والتقدير مخلف رسله وعده واغاف قدم المفعول الثاني على الاول ليعلم انه لا يخلف الوعد أصلاً كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليدون انه اذا لم يخلف وعده أحد فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته (ان الله عزيز) غالب لا يماكر (ذو انتقام) لا يائنه من أعدائه وانتصاب (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) على الظرف لانتقام أو على اضممار اذ كروا المعنى يوم تبدل هذه الأرض التي تعرفونها أرضاً

أخرى غير هذه المعروفة وتبدل السماوات غير السماوات وانما حذف لدلالة ما قبله عليه والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنائروني الاوصاف كقولك بدلت الخماقة خاتماً اذا أدبتهم وسويتهم اخاتماً فنقلتها من شكل الى شكل واختلاف في تبدل الأرض والسماوات فقيل تبدل أوصافها وتسير عن الأرض جبالها وتغير بحارها وتسوي فلا ترى فيها عوجاً ولا أمناً وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الأرض وانما تغير وتبدل السماء بان تثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبواباً وقيل تخلق بدلها أرض وسماوات أخر عن ابن مسعود رضي الله عنه يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة ومن على رضي الله عنه تبدل أرضاً من فضة وسماوات من ذهب

المفسرون

(وبرزوا) وخرجوا ومن

قبورهم (الله الواحد القهار)

هو كقوله لمن الملائكة اليوم

الله الواحد القهار لان الملائكة

اذا كان لواحد غلاب

لا يغالب فلا مستغاث لاحد

الى غيره كان الامر في غاية

الشدة (وترى المجرمين)

الكافرين (يومئذ يوم

القيامة (مقرنين) قرن

بعضهم مع بعض أو مع

الشياطين أو قرنت أي دهم

الى أرجلهم مغالين (في

الاصفاد) متعلق بمقرنين أي

يقربون في الاصفاد أو غير

متعلق به والمعنى مقرنين

مصنفين والاصفاد القيود

أو الاغلال (سرايلهم)

قصصهم (من قطران) هو

ما يتغلب من شجر يسمى

الاجل فيطبخ فيها به الابل

الجربى فيصرق الجرب

بجده ويحرقه ومن شأنه أن

يسرع فيه اشتعال النار

وهو أسود اللون مستن

الريح فيطلى به جلود أهل

النار حتى يعود طلاؤهم

كالسرايل ليجمع عليهم

لذع القطران وحرقه

واصراع النار في جلودهم

واللون الوحش ونن الريح

على ان التفاوت بين

القطرانين كالتفاوت بين

النارين وكل ما وعد الله

أو أوعده به في الآخرة

فينه وبين ما شاهد من

جنسه مما لا يقادر قدره

وكأنه ما عندنا منه الا

الاسامي والمسماة ثمة

المفسرون في معنى هذا التبديل قولين أحدهما انه تبدل صفة الارض والسماء لا ذاتهما فاما تبدل
الارض فتغير صفتها وهيئتها مع بقاء ذاتها وهو أن تدك كدك جبالها وتسوى وهادها وأوديتها وتذهب
أشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها شيء الا ذهب وتدمد الاديم واما تبدل السماء
فهو أن تتشكروا كبرها وتطمس شمسها وقرها ويكوران وكونها تارة كانهان وتارة كالمهل وجه هذا القول
قال جماعة من العلماء ويدل على صحة هذا القول ما روى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عراء كقرصة النقي ليس بها علم لاحد أخرجه في
الصحيحين العفراء العين المهملة وهي البيضاء الى حرة ولهذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الجيد البياض
الفاقي المسائل الى حرة كان النار ميلت بياض وجهها الى الحرة وقوله ليس بها علم لاحد يعنى ليس فيها
علامة لاحد تبدل هيئتها وزوال جبالها وجميع بناءها فلا يبقى فيها أثر يستدل به والقول الثاني هو تبدل
ذوات الارض والسماء وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود في
معنى هذه الآية قال تبدل الارض بأرض كالفضة بيضاء نقيه لم يسفل بها دم ولم يعمل عليها خطيئة وقال
علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الارض من فضة والسماء من ذهب وقال أبي بن كعب في معنى
التبديل بان تصير الارض نيرانا والسماء جنانا وقال أبو هريرة وسعيد بن جبيرة ومحمد بن كعب القرظي
تبدل الارض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يشكفوها الجبار بيده كما يشكفوا أحدكم خبزته في السفر
زلا لاهل الجنة أخرجه في الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ محي الدين النووي في شرح هذا الحديث أما
التزل فضم النون والزاى ويجوز اسكان الزاى وهو ما بعد للضيف عند زوله وأما الخبزة فضم الخاء وقال
أهل اللغة هي الظلة التي توضع في الملة يشكفوها بالهـ ز بيده أي يميلها من بدلي يد حتى تجتمع وتسوى
لانها ليست بمنبسطة كالرقعة وقد حققنا الكلام في البدي في حق الله سبحانه وتعالى وتأويلها مع القطع
باستحالة الجارية عليه ليس كذلك شيء ومعنى الحديث ان الله سبحانه وتعالى يجعل الارض كالظلة أي
الزعيف العظيم وتكون طعاما تزل الاهل الجنة والله على كل شيء قدير فان قلت اذا فسرت التبديل بما
ذكرت فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها وهو أن تحدث بكل ما عمل عليها
قلت وجه الجمع بين الاثنين ان الارض تبدل أولا صفتها مع بقاء ذاتها كما تقدم في يومئذ تحدث
أخبارها ثم بعد ذلك تبدل تبديلا ثانيا وهو أن تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم أيضا ويدل على صحة هذا
التأويل ما روى عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط أخرجه مسلم
وروى ثوبان ان حبراً من اليهود سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس يوم تبدل
الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي وغيره سند في هذين الحديثين دليل على
ان تبدل الارض ثانی مرة يكون بعد الحساب والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ وقوله تعالى (وبرزوا) ﴾
يعنى وخرجوا من قبورهم (الله) يعنى لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب (الواحد القهار) صفتان لله
تعالى فالواحد الذي لا ثاني له ولا شريك معه المنزه عن الشبه والضد والند والقهار الغالب الذي يقهر
عباده على ما يريد ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿ قوله تعالى (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) ﴾ يعنى
مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشيء بالشيء اذا شدته معه في رباط واحد (في الاصفاد) يعنى في
القيود والاغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة وقال أبو زيد يقرن أي دهم وأرجلهم
الى رقابهم بالاصفاد وهي القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض (سرايلهم) يعنى قصصهم واحداها
سرايل وقيل السرايل كل ما ليس (من قطران) القطران دهن يتغلب من شجر الاجل والعرج والتوت

نعوذ بالله من سخطه وعذابه من قطران زبد عن يعقوب نحاس مذاب بلغ حرقه انه

(وتغشى وجوههم النار) نعم لوهوا بأشعثها وأخص الوجوه لانه أعز موضع في ظاهر البدن كالقلب في باطنه ولذا قال تطلع على الأفئدة (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) أى يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزى كل نفس مجرمته ما كسبت أو كل نفس مجرمته أو مطبوعه لانه اذا عاقب المجرمين لأجرهم علم انه يشيب المؤمنون بطاعتهم (ان الله سريع الحساب) يحاسب جميع العباد في أسرع من لمح البصر (هذا) أى ما وصفه في قوله ولا تحسبن الى قوله (٩٣) سريع الحساب (بلاغ للناس) كفاية في التذكير والموعظة (وليسندروا به) بهذا البلاغ وهو

معطوف على محذوف أى لينصروا وليسندروا (وليعلموا) أغما هوالة واحد) لانهم اذا خافوا ما أنذروا به دعهم الخفاة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوجيه لان الخشية أم الخير كله (وليدكر أولوالالباب) ذوقوا العقول

سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(التي تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك إشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والقرآن المبين الكتاب وبالقراءة في الكتاب المبين الذي وعد الله به محمد صلى الله عليه وسلم ونسكبر القرآن للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا أى القرآن كله قبل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل لانه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوى لانه لم يجز للتوراة والانجيل ذكرك حتى يشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وانما جمعهما بوصفهما وان كان الموصوف واحد لما في ذلك من الفائدة وهي التفخيم والتعظيم والمبين الذي يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل (وبما قرئ) بالتحقيق والتشديد وهو ما لغتسان ورب للتقديرات وكلم للتكثير وانما زيدت ما مع رب ليلها الفعل تقول رب رجل جاءني وربما جاءني زيد وان شئت جعلت ما بمنزلة شيء كانه قلت رب شيء فيكون المعنى رب شيء (يود الذين كفروا) وقيل ما في ربما معنى حين أى رب حين يود يعنى يتنى الذين كفروا لان التنى هو تشبهى حصول ما يوده واختلف المفسرون في الوقت الذي يتنى الذين كفروا (لو كانوا مسلمين) على قواين أحدهما ان ذلك يكون عند معانيه العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافران انه كان على الضلال فيمتنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التنى قال الضحالك هو عند حالة المعاناة والقول الثاني ان هذا التنى يكون في الآخرة وذلك حين يعاينون أهوال يوم القيامة وشدايده وما يصيرون اليه من العذاب فحينئذ يتنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من أهوال العذاب ورأى حالا من أهوال المسلم ودلوا كان مسلما وقيل اذا رأى الكافر أن الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور ان ذلك

كالزفت تدهن به الابل اذا جربت وهو الهناء يقال هنأت البعير أهنؤه بالهناء وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم القطران سرا بيل لانه يبالغ في اشتعال النار في الجلود ولو أراد الله المبالغة في احراقهم بغير ذلك لقد دروا ولكنه حذرهم بما يعرفون وقرأوا عكرمة ويعقوب من قطر آن على كلمتين منوونتين فالقطر النحاس المذاب والآن الذي انتهى حره (وتغشى وجوههم النار) يعنى تعالوها وتجلها (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) يعنى من خير أو شر (ان الله سريع الحساب) يعنى اذا حاسب عباد يوم القيامة (هذا) بلاغ للناس) يعنى هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للناس (وليسندروا به) يعنى وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره (وليعلموا) أغما هوالة واحد) يعنى وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى (وليدكر أولوالالباب) يعنى وليستعظ بهذا القرآن وما فيه من الموعظة أولوالعقول والافهام العجيبة فانه موعظة لمن اعطى والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الحجر

(مكية باجمعهم وهي تسع وتسعون آية وستمائة وأربع وخمسون كلمة وألفان وسبع مائة وستون حرفا)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله سبحانه وتعالى (التي تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك إشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب وبالقراءة في الكتاب المبين الذي وعد الله به محمد صلى الله عليه وسلم ونسكبر القرآن للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا أى القرآن كله قبل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل لانه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوى لانه لم يجز للتوراة والانجيل ذكرك حتى يشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وانما جمعهما بوصفهما وان كان الموصوف واحد لما في ذلك من الفائدة وهي التفخيم والتعظيم والمبين الذي يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل (وبما قرئ) بالتحقيق والتشديد وهو ما لغتسان ورب للتقديرات وكلم للتكثير وانما زيدت ما مع رب ليلها الفعل تقول رب رجل جاءني وربما جاءني زيد وان شئت جعلت ما بمنزلة شيء كانه قلت رب شيء فيكون المعنى رب شيء (يود الذين كفروا) وقيل ما في ربما معنى حين أى رب حين يود يعنى يتنى الذين كفروا لان التنى هو تشبهى حصول ما يوده واختلف المفسرون في الوقت الذي يتنى الذين كفروا (لو كانوا مسلمين) على قواين أحدهما ان ذلك يكون عند معانيه العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافران انه كان على الضلال فيمتنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التنى قال الضحالك هو عند حالة المعاناة والقول الثاني ان هذا التنى يكون في الآخرة وذلك حين يعاينون أهوال يوم القيامة وشدايده وما يصيرون اليه من العذاب فحينئذ يتنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من أهوال العذاب ورأى حالا من أهوال المسلم ودلوا كان مسلما وقيل اذا رأى الكافر أن الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور ان ذلك

التنى

المتربق في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققة فكانه قيل وربما دواودادتهم تكون عند

الترع أو يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين أو اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار فيمتنى الكافر لو كان مسلما كذا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما (لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم وانما حكي بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله لافعلن ولو قيل حلف بالله لا فعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا وانما قل رب لان أهوال يوم القيامة تشغلهم عن التنى فاذا افانوا من سكرات العذاب ودوا

لو كانوا مسلمين وقول من قال ان رب يعنيهم الكثيره - هو لانه ضل ما يعرفه أهل اللغة لانها وضعت للتفصيل (ذرهم) امر اهانته أى افطع طمع من ارعوا ثم ودعهم عن النبي عمائم عليه والصدقة بالتذكيره والنصيحة وخلصهم (٩٣) (يا كلوا ويطعموا) بدنيهم (ويلهمهم

الامل) ويشغلهم املهم
وأمانهم عن الايمان (فسوف
يعلمون) سوف يصيبهم وفيه
تنبيه على ان ايثار التلذذ
والشغف وما يؤدي اليه طول
الامل ليس من أخلاق
المؤمنين (وما أهلكنا من
قريه الا اولها كتاب معلوم)
ولها كتاب جله واقعة
صفة اقربه والقباس أن
لا يتوسط الواري بينهما كما
في وما أهلكنا من قريه
الاها منذرون وانما توسطت
لتأكيد لصوق الصفة
بالموصوف اذا صفة
ملتصقة بالموصوف بلا واو
نجي بالواو تأكيد ذلك
والوجه أن تكون هذه
الجملة حال اقربه لتكررها
في حكم الموصوفة كأنه
قيل وما أهلكنا قريه
من القرى لاوصفا وقوله
كتاب معلوم أى مكتوب
معلوم وهو أجلها الذي
كتب في اللوح المحفوظ وبين
الآتي الى قوله (ما سبق
من أمة أجلها) في موضع
كاتبها (وما يستأخرون) أى
عنه وحذف لانه معلوم
وأنت الامه أولاً ثم ذكرها
أخرا جلا على اللفظ والمعنى
(وقالوا) أى الكفار (يا أيها
الذين نزل عليه الذكر) أى
القرآن (ان الجنون)

التنبي حين يخرج الله المؤمنين من النار عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
اجتمع أهل النار في النار ومعه من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة أستم
مسذين قالوا بلى قالوا انما أغنى عنكم اسلامكم وأنتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغفرها
الله لهم بفضل رحمته فبأمر الله بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فينزلون الذين كفروا
لو كانوا مسلمين ذكره البيهقي وغيره - ندوكذا ذكره ابن الجوزي وقال واليه ذهب ابن عباس في روايه عنه
وأنتس بن مالك ومجاهد وعطاء وأبو العالبيه وأبراهيم يعني النخعي فان قلت رب انما وضعت للتفصيل وتنفى
الذين كفروا لو كانوا مسلمين بكثريوم القيسية فكيف قال رب عابود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قلت قال
صاحب الكشف هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك ورعاندك الانسان على
فعله ولا يشكون في ندمه ولا يقصدون تقبيله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا
لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يعجزون من التعرض للغم المظنون كما يعجزون من المستحق
ومن القليل منه كما يعجزون من الكثير وقال غيره ان هذا التقليل أبلغ في التهديد ومعناه يكفيل قليل
الندم في كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعباد لا يفرغهم للندامة انما
يخطر ذلك ببالهم فان قلت رب لا تدخل الا على الماضي فكيف قال رب عابود وهو في المستقبل قلت لان
المرتب في أخبار الله تعالى عن نزلة الماضي المقطوع به في تحققة كانه قال رب عابود وقوله سبحانه وتعالى (ذرهم
يا كلوا ويطعموا) يعني دع يا محمد هؤلاء الكفار يا كلوا في دنياهم ويطعموا بلذاتها (ويلهمهم الامل) يعني
ويشغلهم طول الامل عن الايمان والاخذ بطاعة الله تعالى (فسوف يعلمون) يعني اذا وردوا القيامة
وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد وعيد لمن أخذ بنجته من الدنيا ولذا انها لم يأخذ بنجته من طاعة الله
عز وجل قال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد آخر في معنى العيش بين تهديدين وهذه
الآية منسوخة بآية القتال وفي الآية دليل على ان ايثار التلذذ والشغف في الدنيا يؤدي الى طول الامل
وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال علي بن أبي طالب انما أخشى عليكم ان تنسين طول الامل واتباع الهوى
فان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق (وما أهلكنا من قريه) يعني من أهل قريه
وأراد هلاك الاستئصال (الاولها كتاب معلوم) أى أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه
ولا يتأخر عنه ولا يأتيهم الا في الوقت الذي حد لهم في اللوح المحفوظ (ما سبق من أمة أجلها) من زائدة
في قوله من أمة كقولك ما جاء في من أحد يعني أحد وقيل هي على أصلها لانها تفيد التبعية الى هذا
الحكم فيكون ذلك في افادة عموم النبي أكد ومعنى الآية ان الاجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو
نزل العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى (وما يستأخرون) وانما أدخل الهاء في أجلها
لارادة الامه وأخرجها من قوله وما يستأخرون لارادة الرجال وقوله عز وجل (وقالوا) يعني مشركي مكة
(يا أيها الذين نزل عليه الذكر) يعني القرآن وأرادوا به محمد صلى الله عليه وسلم (ان الجنون) انما نسبوه
الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشي فظنوا ان ذلك جنون
فهذا السبب نسبوه الى الجنون وقبل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغرابا من غيره فرعابا نسبته الى الجنون
ولما كانوا يتبعه بدون كونه رسولا من عند الله وأتى بهذا القرآن العظيم أنكروه ونسبوه الى الجنون
وانما قالوا يا أيها الذين نزل عليه الذكر على طريق الاستهزاء وقيل معناه يا أيها الذين نزل عليه الذكر في
زعمه واعتقاده واعتقاد أصحابه وتابعيه ان الجنون في ادعاء الرسالة (لوما) قال الزجاج والفراولما
ولولا لغتان ومعناها هلا (تأنيثا باللائكة) يعني يشهدون لك بأنك رسول من عند الله حقا

يعنون محمد عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون وكيف يعرون
ينزل الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكس في كلامهم للاستهزاء واتهمكم سائغ ومنه فبشرهم بعذاب أليم ان لا أنت الحليم
الرسيد والمعنى انك تقول قول المجانين حيث تدعى ان الله نزل عليك الذكر (لوما تأنيثا باللائكة

ان كنت من الصادقين) لو ركبت مع لا وما لا متناع الشيء لوجود غيره أو للتخصيص وهل ركبت مع لا للتخصيص فحسب والمعنى هلا
ثانياً باللائكة يشهدون بصداقتهم أو هلا ثانياً باللائكة للعقاب على تكذيبك ان كنت صادقاً (مانزل الملائكة) كوفي غير أبي بكر
نزل الملائكة أبو بكر نزل الملائكة أى تنزل غيرهم (الاباحي) الاتنزل بلامتنسب بالحكمة (وما كانوا اذا منظرين) اذا جواب لهم
وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا (٩٤) الملائكة ما كانوا منظرين اذا وما أخرعناهم (انما نحن نزلنا لك) القرآن (واناله

لحافظون) وهو رد لا نكارهم واستمرزهم في قوله يا أيها الذي نزل عليه الذكرو لذلك قال انما نحن فاكده عليهم انه هو المنزل على القطع وانه هو الذي نزل محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من الزيادة والنقصان والتعريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم ينزل حفظها وانما استمطها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فوق التعريف ولم يكمل القرآن الى غير حفظه وقد جعل قوله واناله لحافظون دليلا على انه منزل من عنده آية اذ لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما تطرق على كل كلام سواء أو الضعيف في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين) أي قبلك في شيع الاولين وأسأرا الأدب عليه أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان مع أنبيائهم كذلك فلك يا محمد اسوة في الصبر على أذى قومك بجميع الانبياء فقبه تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الآية محذوف تقديره ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد فخذ في ذكر الرسل لدلالة ارسال عليه وقوله تعالى في شيع الاولين الشيعه هم القوم المجتمعة المتفقة كلمهم وقال القراء الشيعه هم الاتباع وشيعه الرجل أتباعه وقيل الشيعه من يتقوى بهم الانسان وقوله في شيع الاولين من باب اضافة الصفة الى الموصوف (وما يأتهم من رسول الا كانوا به يستهزئون كذلك نسلك في قلوب المجرمين) السلوك النفاذ في الطريق والدخول فيه والسلوك ادخال الشيء في الشيء لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال (من رسول الا كانوا به يستهزئون) يعزى نبيه عليه السلام (كذلك نسلك في قلوب المجرمين) أي كما سلكتنا الكفر أو الاستهزاء في شيع الاولين نسلك أي الكفر والاستهزاء في قلوب المجرمين من أمثل من اختار ذلك يقال سلكت الخيط في الابرة وأسلكته اذا أدخلته فيه وهو حجة على المعتزلة في الاصح وخلق الاعمال

لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال (من رسول الا كانوا به يستهزئون) يعزى نبيه عليه السلام (كذلك نسلك في قلوب المجرمين) أي كما سلكتنا الكفر أو الاستهزاء في شيع الاولين نسلك أي الكفر والاستهزاء في قلوب المجرمين من أمثل من اختار ذلك يقال سلكت الخيط في الابرة وأسلكته اذا أدخلته فيه وهو حجة على المعتزلة في الاصح وخلق الاعمال

(لا يؤمنون به) بالله أو بالذکر

و هو حال (وقد خلت سنة
الاولين) مضت طريقهم
التي سنها الله في اهلاكم
حين كذبوا رسلهم وهو وعد
لاهل مكة على تكذيبهم
(ولو فتحنا عليهم بابا من
السماء) ولو اظهرنا لهم
أوضح آية وهو فتح باب من
السماء (قطوا فيه
يعرجون) يصعدون (لقالوا
انما سكرت ابصارنا) حيرت
أوجدت من الابصار من
السكر أو من السكر
سكرت مكي أي حيرت كما
يحبس النهر من الجري
والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ
من غلوهم في العناد ان لو فتح
لهم باب من أبواب السماء
وبصر لهم معراج يصعدون
فيه اليها ورأوا من العيان
ما رأوا قالوا هو من تخالبه
لاحقيقته له وقالوا (بل
نحن قوم مسحورون) قد
محرنا محمد بذلك أو الضمير
للملائكة أي لو أريناهم
الملائكة يصعدون في
السماء عيانا لقالوا ذلك
وذكر الظن لول ليجعل
عروجهم بالنهار يسكروا
مستوحشين لما يرون وقال
انما ليدل على أنهم يتنون
القول بان ذلك ليس الا
تسكيرا للابصار (ولقد
جعلنا في السماء) خلقنا
فيها (بروجا) نجومها أو قصورا
فيها الحرس أو منازل للنجوم
(وزيناها) أي السماء
(للتأطرين) وحفظناها
أي السماء (من كل شيطان
رجيم) ماعون أو مري

كادخال الخيط في الخيط ومعنى الآية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستمراء في قلوب شيع الاولين
كذلك نسلكه أي ندخله في قلوب المجرمين يعني مشركي مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي آية
في ثبوت القدر لمن أذعن للحق ولم يعاند قال الواحدي قال أصحابنا أضاف الله سبحانه وتعالى الى نفسه
ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه فمن آمن بالقرآن فليست حسنة وقال الامام غفر الدين الرازي
احتج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه
أي كذلك نسلك الباطل والضلال في قلوب المجرمين وقالت المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل
هذا اللفظ فلا يمكن أن يكون الضمير عائدا اليه وأجيب عنه بأنه سبحانه وتعالى قال وما يأتهم من رسول
الا كانوا به يستهزئون فالضمير في قوله كذلك نسلكه عائدا اليه والاستمراء بالانبياء كفر وضلال ثبت صحة
قواتنا ان المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انه الكفر والضلال وقوله تعالى (لا يؤمنون به)
يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن (وقد خلت سنة الاولين) فيه وعيد وتهديد للكفار مكة
يخوفهم أن ينزل بهم مثل منازل بالامم الماضية المكذبة للرسول والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من
كذب الرسل من الامم الماضية فاحذروا يا اهل مكة أن يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب (ولو فتحنا
عليهم بابا من السماء قطوا فيه يعرجون) يعني ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لو ما تبنا بالملائكة بابا من
السماء قطوا يقال ظل فلان يفعل كذا اذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعني في ذلك
الباب يعرجون يعني يصعدون والمعراج المصاعد وفي المشار اليه بقوله قطوا فيه يعرجون قولان
أحدهما أنهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن ابصار هؤلاء الكفار فرأوا بابا
من السماء مفتوحا والملائكة تصعد فيه لما آمنوا والقول الثاني انهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة
والمعنى قتل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظرون في ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما
آمنوا العنادهم وكفرهم وقالوا انما سحرنا وهو قوله تعالى (لقالوا انما سكرت ابصارنا) قال ابن عباس سدت
ابصارنا ما خوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجري وقيل هو من سكر الشراب والمعنى ان ابصارهم
حارت ووقعها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تغيير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعني
غشيت ابصارنا وسكنت عن النظر وأصله من السكر يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر
(بل نحن قوم مسحورون) يعني محرونا محمد وعمل فينا محرونا وحاصل الآية ان الكفار لما طلبوا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم الملائكة فيروهم عيانا أو يشهدوا بصدقه أخبر الله سبحانه وتعالى انه لو
حصل لهم هذا أو شاهدوه عيانا لما آمنوا وقالوا سحرنا لما سبق لهم في الازل من الشقاوة وقوله سبحانه
وتعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجا) البروج الذي تنزلها الشمس في مسيرها واحد هارج وهي بروج الفلك
الاثنا عشر برجها هي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب
والقوس والجدي والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج
منزلان وثلاث منازل وقد تقدم ذكر منازل القمر في تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثمانية
وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها
القمر في ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس في هذه الآية يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلها وقال
ابن عطية هي قصور في السماء عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد وقتادة هي النجوم العظام قال أبو اسحق
يريدون نجوم هذه البروج وهي نجوم على ما صورت به ومبيت وأصل هذا كله من الظهور (وزيناها)
يعني السماء بالشمس والقمر والنجوم (للتأطرين) يعني المعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها وصانعها
وهو الله الذي أوجد كل شيء وخلقها وصورها (وحفظناها) يعني السماء (من كل شيطان رجيم) أي مريجون
فعل بمعنى مفعول وقيل ماعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن
السموات وكانوا يدخلونها أو يأتون فأخبرها الى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا

من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع فنام منهم من أحد يريد أن يسترق السمع الأرمي بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكر وأذلك لا يلبس فقال لقد حدثت في الأرض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يملأ القرآن فقالوا هذا والله حدث (ألا من استرق السمع) هذا استثناء منقطع معناه لكن من استرق السمع (فأتبعه) أي لحقه (شهاب مبین) والشهاب شعله من نار ساطع مسمى الكوكب شهابا بالاجل ما فيه من البريق شبهه بشهاب النار قال ابن عباس في قوله الامن استرق السمع يريد الحظفة البسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطئ أبدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله ومنهم من تحبسه فيصير غولا يضل الناس في البوادي (خ) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا اللذي قال الحق وهو اعلی الكبير فيسمعها مسترقوا السمع ومسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه خرفها وبد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقها الى من تحته ثم يلقها الاخر الى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن فرجعا أدركه الشهاب قبل أن يلقها ورجعا ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال له أليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بذلك الكلمة التي سمعت من السماء

فصل اختلاف العلماء هل كانت الشياطين ترى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا على قولين أحدهما انهم لم تكن ترى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ظهر ذلك في بدء أمره فكان ذلك أساس النبوة صلى الله عليه وسلم وبدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حبل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهاب أخرجاه في الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا الرمي بالشهاب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمي وبعضه ما روى أن يعقوب بن المغيرة بن الاخنس بن ثمرق قال أول من فرغ للرعي بالنجوم هذا الحى من نقيض وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمر بن أمية أحد بني علاج وكان أهدي العرب فقالوا له ألم تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التي يمتد بها في البر والبحر ويعرف بها الانواع من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معاشهم هي التي يرى بها فهو والله طي الدنيا وهلال الخلق الذين فيها وان كانت نجومها غير هاهي ثابتة على حالها فهو هذا الامر أراد الله من الخلق قال الزجاج ويدل على انها كانت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم أن شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المسرعة لم يوجد في شعرهم ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولده صلى الله عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها قال ذوالرمة

كانه كوكب في اثر عفرية * مسوم في سواد الليل منقضب

والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعث شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري كان يرى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرأيت قوله وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد أمرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار أنهم بيناهم جالوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمي بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية اذ ارمى غمئل هذا قالوا كنا نقول ولدا لآلة رجل عظيم أو مات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرى بها الموت أحد ولا الحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى أمر اسبح حلة العرش

بالنجوم (الامن استرق السمع) أي المستمع ومن في محل النصب على الاستثناء (فأتبعه شهاب) بنجم ينقض فيعود (مبين) ظاهر للمبصرين قبل كفا لا يحجبون عن السموات كلها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من

السماوات كلها (والارض مددناها) بسطناها من تحت الكعبة والجهور على انه تعالى (٩٧) مددا على وجه الماء (والقينا فيها راسي)

في الارض جبالا ثوابت
(وانبتنا فيها من كل شئ
موزون) وزن عجيزان
الحكمة وقدر يقدر
تقتضيه لانه في زيادة
ولا نقصان اوله ووزن وقدر
في ابواب المنفعة والنعمة
أوما يوزن كالزعفران
والذهب والقضه والحاس
والحديد وغيرها ونحو
ما يوزن لانه في الكيل
الى الوزن (وجعلنا لكم فيها)
في الارض (معاش)
ما يعاش به من المطاعم
معيشة وهي بيضاء صريحة
بخلاف الخبائث ونحوها
فان نعيم ربح الياء فيها خطأ
(ومن لستم له برازقين) من
في محل النصب بالاعطف على
معاش أو على محل لكم
كانه قيل وجعلنا لكم فيها
معاش وجعلنا لكم من
لستم له برازقين أو جعلنا
لكم فيها معاش ومن لستم
له برازقين وأراد بهم العمال
والعمالين والخدم الذين
يظنون انهم يرزقونهم
ويحفظون فان الله هو
الرزاق يرزقهم وما بهم
ويدخل فيه الانعام والدواب
ونحو ذلك ولا يجوز ان يكون
محل من جربا بالاعطف على
الضمير المحرور في لكم لانه
لا يعطف على الضمير المحرور
الا باعادة الجار (وان من
شئ الا عندنا خزائنه وما
ننزله الا بقدر معلوم) ذكر
الخزائن تخيل والمعنى وما

ثم سمع أهل السماء الذين يرونهم حتى يبلغ التسبيح الى أهل هذه السماء ثم قال الذين يرون حلة العرش حلة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض أهل السماء بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيصدقونه الى أوليائهم ويرمون فاجازاه على وجهه فهو حق ولكنهم يصدقون فيه ويريدون أخرجه مسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثل بعد مبعثه قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن أبي خازم وهو جاهلي
فالعير يرهقها الغبار ويحشها * ينقض خلقها انقضاء النكوك
وقال أوس بن حجر وهو جاهلي
فانقض كالدرى يتبعه * نفع يشور تخاله طنبا

والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزيد في حفظ السماء وحراستها صونا لاجل الغيوب والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (والارض مددناها) يعني بسطناها على وجه الماء كما يقال انها حديث من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول أهل التفسير وزعم أرباب الهيئتها انها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمر ومنها واعتذر عن قوله تعالى والارض مددناها بأن الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا الامر ان الارض مدودة مبسوطة وانها كرة ورد هذا في التفسير بان الله أخبر في كتابه بانها مدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة لآخذ بذلك والله أعلم بمراده وكيف مدد الارض (والقينا فيها راسي) يعني جبالا ثوابت وذلك ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء مادت ورجفت فاقبها بالجبال (وانبتنا فيها) أي في الارض لان أنواع النبات المنفعة به تكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها اقرب مذكور وقوله تعالى (من كل شئ موزون) واغنا يوزن ما نوله في الجبال من المعادن وقال ابن عباس وسعيد بن جبير موزون أي معلوم وقال مجاهد وعكرمة أي مقدور فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى يعلم القدر الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم وأرزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس لا يعرفون مقادير الاشياء الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد انه عني به الشئ الموزون كالذهب والفضة والراسخ والحديد والكميل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه الاشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب في الحسن والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون اذا كان متناسبا بحسنا بعيدا من الخطا والسخف وقيل ان جميع ما ينبت في الارض والجبال فوعان أحدها ما يستخرج من المعادن وجميع ذلك وزون والثاني النبات وبعضه موزون أيضا وبعضه مكمل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمدة مقداران بالوزن (وجعلنا لكم فيها معاش) جمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدحجته في الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس ونحو ذلك (ومن لستم له برازقين) يعني الدواب والوحش والطيير أنتم منتفعون بها لستم له برازقين لان رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وتكون من في قوله تعالى ومن لستم بهي مالا من لمن يعقل وما لمن لا يعقل وقيل يجوز اطلاق لفظة من على من لا يعقل كقوله تعالى فمنهم من عصى على بطنه وقيل أراد بهم العبيد والخدم فتكون من على أصاها ويدخل معهم مالا يعقل من الدواب والوحش (وان من شئ الا عندنا خزائنه) الخزائن جمع خزائنه وهي اسم لامكان الذي يخزن فيه اشئ للفظ يقال خزن الشئ اذا أخرجته فقبيل أراد مفايح الخزائن وقيل أراد بالخزائن المطول لانه سبب الارزاق والمعاش لست آدم والدواب والوحش والطيير ومعنى عندنا انه في حكمه وتصرفه وأمره وتدبيره قوله تعالى (وما ننزله الا بقدر معلوم) يعني بقدر الكفاية وقيل ان لكل أرض حدا ومقدارا من المطر يقال لا تنزل من السماء قطرة مطرا الا ومعهاملك يستوقها الى حيث يشاء الله تعالى وقيل ان المطر ينزل من السماء كل عام بقدر واحد لا يزيد ولا

لا قدره على كل مقدور (وأرسلنا الرياح لواقح) جمع لاقحة أي وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لأنها تحمل السحاب في جوفها كأنها لاقحة بها من لقيت الناقحة حملت وضدها العقيم الريح حرة (فأرسلنا من السماء ماء فأسقيناكموه) فجعلناه لكم سقياً (وما أنتم له بحازنين) نفى عنهم ما أنتم به أنفسه في قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه كأنه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وإزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة عظيمة على قدرته وعجزهم (وانا لننفي نفي ونغيث أي ننحي بالايحاء ونغيث بالافناء أو نغيث عند انقضاء الأجل وننحي الجوزاء الأعمال على التقديم والتأخير إذ الواو للجمع المطلق (ونحن الوارثون) الباقيون بعد هلاك الخلق كله - وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لأنه يبقى بعد فئته (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) من تقدم ولادة وموتوا ومن تأخروا ومن خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الإسلام أو في الطاعة أو في صف الجماعة أو صف الحرب ومن تأخر

ينقص ولكن الله يطر قوماً يحرم آخرين وقيل إذا أراد الله قوم خيراً أنزل عليهم المطر والرحمة وإذا أراد بقوم شراً صرف المطر عنهم إلى حيث لا يندفع به كالبراري وانقار والرمال والبحار ونحو ذلك وحكي جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده أنه قال في العرش غثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه (وأرسلنا الرياح لواقح) قال ابن عباس يعني للشجر وهو قول الحسن وقتادة وأصل هذا من قوله - لم لقيت الناقحة واللقحها الفعل إذا ألقي اليها الماء فجعلته فكذلك الرياح كالقفل للسحاب وقال ابن مسعود في نفسه - يرسل الله الرياح لتلقي السحاب فتجمل الماء فتسببه في السحاب ثم غر به فقدره كقدر اللقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله الريح المبشرة فتقيم الأرض فقام يرسل المنة فتنير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب بعضها إلى بعض فتجعل ركناً ثم يرسل اللواقح فتلقي الشجر والأظفر في هذه الآية القاحها السحاب بقوله بعده فأرسلنا من السماء ماء قال أبو بكر بن عياش لا تنظر قطرة من السماء إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيم أفاضلها السحاب والشمس فجعلها والجنوب ندره والدبور نفره وقال أبو عبيد اللواقح هنا يعني ملاقي جمع ملقحة حذف الميم وردت إلى الأصل وقال الزجاج يجوز أن يقال لها لواقح وإن ألقيت غيرها لأن معناها النسبة كما يقال درهم وازن أي ذورزن واعترض الواحد على هذا فقال هذا ليس بعن لأنه كان يجب أن يصح الملاقح بمعنى ذات لقيح حتى يوافق قول المفسرين وأجاب الرازي عنه بأن قال هذا ليس بشيء لأن الملاقح هو المنسوب إلى اللقحة ومن أفاد غير اللقحة فله نسبة إلى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح أي ذات لقاح وقيل إن الريح في نفسه لها لاقح لأنها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً أي حملت فعلى هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز أن يقال للريح لقيح إذا أنت بالخير كما قيل لها عقيم إذا لم تأت بخير وورد في بعض الأخبار أن الملقح الرياح الجنوب وفي بعض الآثار ما هبت رياح الجنوب أو أنبت عينا غدقة (ق) عن عائشة - إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا عصفت الريح قال اللهم - إنى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وروى البغوي بسنده إلى الشافعي إلى ابن عباس قال ما هبت ريح قط إلا جئنا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبته وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل أنا أرسلنا عاصم - م يحاصر مصر فأرسلنا عليهم الريح العقيم وقال وأرسلنا الرياح لواقح وقال يرسل الرياح مبشرات وقوله سبحانه وتعالى (فأرسلنا من السماء ماء) يعني المطر (فأسقيناكموه) يعني جعلنا لكم المطر سقياً يقال أسقى فلان فلان إذا جعل له سقياً وسقاه إذا أعطاه ما يشرب وتقول العرب - قيمت الرجل ماء ولينا إذا كان لسقيه فإذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ماشيته يقال أسقيناها (وما أنتم له) يعني للمطر (بحازنين) يعني إن المطر في خزائنا لا في خزائكم وقيل وما أنتم له بحازنين (وانا لننفي نفي ونغيث) يعني بيدنا أحياء الخلق وأما أنتم لا يقدرون على ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى لأن قوله تعالى وانا لننفي نفي - دللهم يعني لا يقدرون على ذلك سوانا (ونحن الوارثون) وذلك بأن تمت جميع الخلق فلا يبقى أحد سوانا فيزول ملك كل مالك ويبقى جميع ملك المساكين لنا والوارث هو الباقي بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقي بعد فناء خلقه الذين آمنوا بهم بما آتاهم في الحياة الدنيا لأن وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداءً منه تعالى فإذا قضى جميع الخلائق رجع الذي كانوا يعملونه في الدنيا على المحازل إلى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير الخلق إليه وقوله عز وجل (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون في الصف الأول فلا يراها ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطيه فأرسل الله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين أخرجه النسائي وأخرجه الترمذي وقال فيه وقد روى عن ابن

الجوزى نحوه ولم يدكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح قال البغوي وذلك أن النساء كن
يخرجن إلى الجماعة فيقفن خلف الرجال فرمما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيما أخر إلى آخر صف
الرجال ومن النساء من في قلبه ريبة فتتقدم إلى أول صف النساء لتقرب من الرجال فتزول هذه الآية فعند
ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها
وشرها أولها أخرجه مسلم عن أبي هريرة وقال ابن عباس أراد بالمستقدمين من خلق الله والمستأخرين
من لم يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون الأولى والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه
وسلم وقال الحسن المستقدمون يعني في الطاعة والخير والمستأخرون يعني في ما قاله الأوزاعي أراد
بالمستقدمين المصلين في أول الوقت وبالمستأخرين المؤخرين لها إلى آخره وقال مقاتل أراد بالمستقدمين
والمستأخرين في صف القتال وقال ابن عيينة أراد من يسلم أولا ومن يسلم آخره وقال ابن عباس في رواية
أخرى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحرض على الصف الأول فازدجوا عليه وقال قوم كانت بيوتهم
قاصية عن المسجد لزيد بن دورناوش تترى دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المتقدم فتزل هذه
الآية ومعناها أنما تجوزون على النبات فاطمأنوا وسكنوا فيكون معنى الآية على القول الأول المستقدم
للتقوى والمستأخر للنظر وعلى القول الأخير المستقدم لطلب الفضيلة والمستأخر للعدو ومعنى الآية
أن الله سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم طاعة لهم وعاصيهم لا يخفى عليه شيء من
أحوال خلقه (وان ربك هو يحشرهم أنه حكيم عليم) يعني على ما علم منهم وقيل إن الله سبحانه وتعالى يبعث
الكل ثم يحشرهم الأولين والآخرين على ما كانوا عليه (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبعث كل عبد على ما مات عليه قوله سبحانه وتعالى (ولقد خلقنا الإنسان) يعني آدم عليه السلام في قول
جميع المفسرين سمى إنسانا لظهوره وأدارك البصراية وقيل من النسيان لأنه عهد إليه فلسي (من
صلصال) يعني من الطين اليابس الذي إذا نقرته سمعت له صلصلة يعني صوتا وقال ابن عباس هو الطين الحمر
الطيب الذي إذا نصب عنه الماء تشقق فإذا شرب تققق وقال مجاهد هو الطين المنقح واختاره الكسائي وقال
هو من صل اللعوم إذا أنتن (من حاء) يعني من الطين الأسود (مسنون) أي متغير قال مجاهد وقنادة هو
المنقح المتغير وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سبنت الماء ذصبته قال ابن عباس هو التراب
المبتل المنقح جعل صلصالا كالفتار والجمع بين هذه الأقاويل على ما ذكره بعضهم أن الله سبحانه وتعالى لما
أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الأرض فبلها بالماء حتى أسودت وأنتن ريحها وتغيرت
وإليه الإشارة بقوله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم إن ذلك التراب بله بالماء وخرجه حتى
أسود وأنتن ريحها وتغيرت وإليه الإشارة بقوله من حاء مسنون ثم ذلك الطين الأسود المتغير صورته صورة
إنسان أجوف فلما جف وبس كانت تدخل فيه الريح فتسمع له صلصلة يعني صوتا وإليه الإشارة بقوله من
صلصال كالفتار وهو الطين اليابس إذا تغير في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا قوله تعالى
(والجن خلقناه من قبل) يعني من قبل آدم عليه السلام قال ابن عباس الجن أبو الجن كأن آدم أبو
البشر وقال قتادة هو إبليس وقيل الجن أبو الجن وإبليس أبو البشر يباطن في الجن مسلمون وكافرون
يأكلون ويشربون ويحبون ويموتون كبنى آدم وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون إلا إذا مات
إبليس وقال وهب إن من الجن من يولد له وبأكلون ويشربون بمنزلة آدميين ومن الجن من هو بمنزلة
الريح لا يتوالدون ولا يأكولون ولا يشربون وهم الشياطين والأصح أن الشياطين نوع من الجن لا شترأكم
في الاستنار سموا جناتا وهم واستنارهم عن الأعين من قولهم جن الليل إذا ستر والنشيطان هو العاني
المقرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر (من نار السموم) يعني من ريح حارة تدخل مسام الإنسان
من لطفها وقوة سرازها فتقتله ويقال للريح الحارة التي تكون بالنهار السموم وللريح الحارة التي تكون
بالليل الحرور وقال أبو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء والجناب

(وان ربك هو يحشرهم)
أي هو وحده بقدر على
حشرهم ويحيط بحشرهم
(انه حكيم عليم) باهر
الحكمة واسع العلم (ولقد
خلقنا الإنسان) أي آدم
(من صلصال) طين يابس
غير مطبوخ (من حاء) صفة
اصلصال أي خلقه من
صلصال كائن من حاء أي طين
أسود متغير (مسنون)
مصور وفي الأول كان ترابا
فجذب بالماء فصار طينا
فكثف فصار حاءا فخلص فصار
سلالة فصور ويص فصار
صلصالا فلما قاض
(والجن) أبا الجن كآدم
للناس أو هو إبليس وهو
منصوب بقوله مضمير
يفسر (خلقناه من قبل)
من قبل آدم (من نار
السموم) من نار الحمر
الشديد النافذ في المسام
قبل هذه السموم جزء من
سبعين جزءا من سموم النار
التي خلق الله منها الجن

(واذ قال ربك) واذا كروفت قوله (الملائكة اني خالق بشر من صلصال من جامس نون فاذا سويتهم) اتممت خلقته وهياهم النفخ الروح فيها (ونفخت فيه من روحي) وجعلت فيه الروح وأحييته وليس تحت نفخ وانها هو تمثيل والاضافة للتخصيص (ففعوا له ساجدين) هو امر من وقع يقع أى اسقطوا على الارض يعنى اسجدوا له ودخل الفاء لانه جواب اذا هو دليل على أنه يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) فالملائكة (١٠٠) جمع عام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله كلهم وذكر الكل احتمال تأويل

التفريق فقطعه بقوله أجمعون (الا ابليس) ظاهرا الاستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لان المستثنى يكون من جنس المستثنى منه وعن الحسن ان الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة قلنا غير المأمور لا يصير بالترك ملغونا وقال في الكشف كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هذا (أبى أن يكون مع الساجدين) امتنع أن يكون معهم وأبى استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيسلى أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس أبى (قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين) حرف الجر مع أن محذوف تقديره مالك في أن لا تكون مع الساجدين أى أى عرض لك في أبائك السجود (قال لم أكن لا سجد) اللام لتأكيد النفي أى لا يصح معنى أن أعبدا (لشرا خلقته من صلصال من جامس نون)

فاذا حدث أمر خرفت الجباب فهو انى ما أمرت به فالله - مدة التي سمعون من خرق ذلك الجباب وهذا على قول أصحاب الهبة أن الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعنى من نار جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجن وتلا هذه الآية وقال ابن عباس كان ابليس من سحى من الملائكة يسمون الجن خلقوا من نار السموم وخلق الجن الذين ذكرهم في القرآن من مارج من نار وخلق الملائكة من النور قوله عز وجل (واذ قال ربك للملائكة) أى واذا كر يا محمد اذ قال ربك للملائكة (انى خالق بشر) سعى الآدمى بشرا لانه جسم كسيف ظاهر والبشرة ظاهر الجلد (من صلصال من جامس نون) تقدم تفسيره (فاذا سويتهم) يعنى عدلت صورته وأتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي) النفخ عبارة عن اجراء الریح في تجاويف جسم آخر ومنه نفخ الروح في النشاء الاولى وهو المراد من قوله ونفخت فيه من روحي وأضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وسبأنى الكلام على الروح في تفسير سورة الاسراء عند قوله ويسألونك عن الروح ان شاء الله تعالى (ففعوا له ساجدين) الخطاب للملائكة الذين قال الله لهم انى خالق بشر امرهم بالسجود لا آدم بقوله ففعوا له ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لا سجود عبادة (فسجد الملائكة كلهم) يعنى الذين أمروا بالسجود لا آدم (أجمعون) قال سيديويه هذا نوكد بعد فوكيد وسئل المبرد عن هذه الآية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمل أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزم ازالة ذلك الاحتمال فظهر بهذا أنهم سجدوا باسمرهم ثم عند هذا بقي احتمال آخر وهو أنهم سجدوا في أوقات متفرقة أو في دفعة واحدة فلما قال أجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيديويه أجود لان أجمعين معرفة فلا تكون حالا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله سبحانه وتعالى أمر جماعة من الملائكة بالسجود لا آدم فلم يفعلوا فإرسل الله عليهم نارا فأحرقهم ثم قال لجماعة أخرى اسجدوا لا آدم فسجدوا (الا ابليس أبى أن يصكون مع الساجدين) يعنى مع الملائكة الذين أمروا بالسجود لا آدم فسجدوا (قال) يعنى قال الله (يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال) يعنى ابليس (لم أكن لا سجد لبشر خلقته من صلصال من جامس نون) أراد ابليس أنه أفضل من آدم لان آدم طينى الاصل وابلليس نارى الاصل والنار أفضل من الطين فيكون ابليس في قياسه أفضل من آدم ولم يدرك الحبيث ان الفضل فيما فضله الله تعالى (قال فأخرج منها) يعنى من الجنة وقيل من السماء (فانك رجيم) أى طريد (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) قيل ان أهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه أهل الارض فهو ملعون في السماء والارض فان قلت ان حرف الى لانه الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذي هو يوم القيامة قلت لا بل يزداد عذابا الى اللعنة التي عليه كانه قال تعالى وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد معها بعد ذلك عذابا دائما مستمرا لا انقطاع له (قال رب فأظننى) يعنى أخرى (الى يوم يبعثون) يعنى يوم القيامة وأراد بهذا السؤال انه لا يموت أبدا لانه اذا أمهل الى يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيه احد لزم من ذلك انه لا يموت أبدا فلهذا السبب سأل الاظنار الى يوم يبعثون فاجابه الله سبحانه وتعالى بقوله (قال فأنك من المنظرين الى يوم الوقت المعسوم) يعنى الوقت

قال فأخرج منها) من السماء أو من الجنة أو من جلة الملائكة (فانك رجيم) مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون الذى لان اللعنة هو الطرد من الرحمة والابعاد منها (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) ضرب يوم الدين حدا للعة لانه أبعد غاية بصرها الناس في كلامهم والمراد به انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير أن تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسب للعن معه (قال رب فأظننى) فأخرى (الى يوم يبعثون قال فأنك من المنظرين الى يوم الوقت المعسوم) يوم الدين ويوم يبعثون ويوم

الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات لئلا يكاد الكلام طريقة البلاغة وقيل انما سأل الانتظار الى اليوم الذي فيه يبعثون
لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخرايام التكليف (قال رب بما أغويتني) الباء للقسم ومصدرية وجواب
القسم لازين لهم والمعنى أقسم يا غوثي لا ياتي (لازبن لهم) المعاصي ونحو قوله (١٠١) بما أغويتني لازين لهم فيعز ذلك لاغويتهم في

أنه أقسام الأأن أحدهما
أقسام بصفة الذات والثاني
بصفة الفعل وقد فرق
الفقهاء بينهما فقال
العراقيون الحلف بصفة
الذات كالقدرة والعظمة
والعزة عين والحلف بصفة
الفعل كالرحمة والسخيطة
لبس يمين والاصح ان
الاعيان مبنية على العرف
فما عارف الناس الحلف
به يكون عيناً وما لا فلا
والآية حجة على المعتزلة
في خلق الافعال وحملهم
على التسيب عدول عن
الظاهر (في الارض) في
الدنيا التي هي دار الغرور
وأراد اني أقدر على
الاحتيال لا دم والتزين
له الاكل من الشجرة وهو
في السماء فاعلى التزين
لأولاده في الارض أقدر
(ولاغويتهم أجمعين) الا
عبادك منهم المخلصين
وبكسر اللام بصري ومكي
وشاحي استثنى المخلصين
لانه علم ان كيد لا يعمل
فيهم ولا يقبلونه منه (قال
هذا صراط على مستقيم ان
عبادي ليس لك عليهم
سلطان الا من اتبعك من
الغواوين) أي هذا طريق

الذي يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس أربعون سنة وهو ما بين
النفختين ولم تكن اجابة الله تعالى اياه في الامهال اكرامه بل كان ذلك الامهال زيادة له في البلاء وشقائه
وعذابه وانما سمى يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا يعلمه أحد الا الله تعالى فهو معلوم
عنده وقيل لان جميع الخلائق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سأل ابليس الانتظار الى يوم
يبعثون اجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني اليوم الذي عينت وسألت الانتظار
اليه (قال رب بما أغويتني) الباء للقسم في قوله بما اغوايتهم مصدرية وجواب القسم (لازبن) والمعنى
فباغوائك اي لا زبن لهم في الارض وقيل هي باء السبب يعني بسبب كون غاوي لا زبن (لهم في الارض)
يعني لازبن لهم حب الدنيا ومعاصيلها (ولاغويتهم أجمعين) يعني بالقاء الوسوسة في قلوبهم وذلك ان ابليس
لما علم انه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على اضلال الخلق بالكفر واغوايتهم ثم استثنى فقال (الا
عبادك منهم المخلصين) يعني المؤمنين الذين اخلصوا لك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من
المخلصين يكون المعنى الامن اخلصته واصطفيته لتوحيده وعبادته وانما استثنى ابليس المخلصين لانه
علم ان كيد وسوسه لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقيقته الاخلاص فعل الشيء خالصاً لله عن شائبة
الغير فكل من اتى بعمل من أعمال الطاعات فلا يتخلوا ما أن يكون مراده بتلك الطاعة وجه الله فقط أو غير
الله وأجموع الامرين اماما كان لله تعالى فهو الخالص المقبول واماماً كان لغير الله فهو الباطل المردود
وأما ان كان مراده مجموع الامرين فان ترج جانب الله تعالى كان من المخلصين الناجين وان ترج الجانب
الآخر كان من الهالكين لان المثل يقابله المثل فيبقى القدر الزائد والى أي الجانبين رج اخذ به (قال)
يعني قال الله تبارك وتعالى (هذا صراط على مستقيم) قال الحسن معناه هذا صراط الى مستقيم وقال مجاهد
الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يرجع الى شيء وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم
وقال الكسائي هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخافه طريقاً على أي لا تنفلت
منى وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عائد الى الاخلاص والمعنى
ان الاخلاص طريق على والى يؤدي الى كرامتي ورضواني (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) أي قوة
وقدرته وذلك ان ابليس لما قال لازبن لهم في الارض ولاغويتهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين أكرم
بهذا الكلام ان له سلطاناً على غير المخلصين فيبين الله سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على أحد من عبيده
سواء كان من المخلصين أو لم يكن من المخلصين قال أهل المعاني ليس لك سلطان على قلوبهم وسئل سفيان بن
عيينه عن هذا الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان ان تلقى في ذنب يضيق عنه عقوى وهؤلاء
خاصته أي الذين هداهم واجتباهم من عباده (الا من اتبعك من الغواوين) يعني الامن اتبع ابليس من
الغواوين فان له عليهم سلطاناً بسبب كونهم منقادين له فيما يأمرهم به (وان جهنم لموعدهم أجمعين) يعني
موعده ابليس وأتباعه وأتباعه (الها) يعني لجهنم (سبعة أبواب) يعني سبع طبقات قال علي بن أبي طالب
تدرون كيف أبواب جهنم هكذا وضع احدى يديه على الاخرى أي سبعة أبواب بعضها فوق بعض قال
ابن جرير النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب
منهم جزع مقسوم) يعني لكل دركة قوم يسكنونها والجزع بعض الشيء وجزأته جعلته أجزاء والمعنى ان الله

حق على أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقيل معنى على الى اعلاية قلوب من علاو
الشرف والفضل (وان جهنم لموعدهم أجمعين) الضمير للغواوين (الها سبعة أبواب لكل باب منهم) من اتباع ابليس (جزع مقسوم) نصيب
معلوم مغرز قيل أبواب النار طباقها وادراكها أعلاها للموحدين يبعثون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثاني لليهود والثالث للنصارى
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين

سبحانه وتعالى يجوز ان يتابع ابليس سبعة اجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه ان
مراتب الكفر مختلفة فلا ذلك اختلفت مراتبهم في النار قال الضحاك في الدركة الاولى اهل التوحيد
الذين ادخلوا النار بعد ان فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود
وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة اهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله
سبحانه وتعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم
سبعة ابواب باب منها لمن سل السيف على امي أو قال على امة محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي
وقال حديث غريب قوله سبحانه وتعالى (ان المتقين في جنات وعيون) المراد بالمتقين الذين اتقوا
الشرك في قول جهنم والمفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار
الجارية في الجنات وقيل يحتمل ان تكون هذه العيون غير الانهار البكا التي في الجنة وعلى هذا قيل
يختص كل واحد من اهل الجنة يختص بعيون تجري في جناته وقصوره وودوره فينتفع بها هور من
يختص به من حوره وولده ويحتمل انها تجري من جنات بعضهم الى جنات بعض لانهم قد طهروا من
الحسد والحقد (ادخلوها) أي يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى أو بعض ملائكته (سلام آمين)
يعني ادخلوا الجنة مع السلامة والامن من الموت ومن جميع الآفات (وزعمنا ما في صدورهم من غل)
الغل الحقد الكامن في القلب ويطلق على الشح والعداوة والبغضاء والحقد والحسد وكل هذه الخصال
المذمومة داخلة في الغل لانها كامنة في القلب يروى ان المؤمنين يحبون على باب الجنة فيقتص بعضهم
من بعض ثم يؤمرهم الى الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد (اخوانا) يعني في
المحبة والمودة والمخاطبة وليس المراد منه اخوة النسب (على سرر) جمع سرر قال بعض اهل المعاني
السرر مجلس رفيع عال مهيب للسرور وهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب
مكالة بالزبرجد والدر والياقوت والسرر مثل صنعاء الى الجابية (متقابلين) يعني يقال بعضهم بعضا
لا ينظر احد منهم في قفا صاحبه وفي بعض الاخبار ان المؤمن في الجنة اذا أراد ان ينظر اخاه المؤمن سار
سرر كل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان (لا يعبهم فيها) يعني في الجنة (نصب) أي تعب ولا
اعياء (وما هم بها) يعني من الجنة (بمخرجين) هذا نص من الله في كتابه على خلود اهل الجنة في الجنة
والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكما لا نقصان وفوز بالحرمان قوله سبحانه وتعالى (نبي
عبادي أي انا الغفور الرحيم) قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج
على أصحابه وهم يصحكون فقال أتصدقون وبين أيديكم النار فقل جبريل بهذه الآية وقال يقول لك
ربك يا محمد فقط عبدي ذكره البغوي بغير سند (وأن عذابي هو العذاب الاليم) قال قتادة بلغنا أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عذابه لبيع
نفسه يعني لقتل نفسه (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه
وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسع وتسعين رحمة وادخل في خلقه كلهم رحمة
واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله
من العذاب لم يأمن من النار وفي الآية لطائف منها انه سبحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه بقوله نبي
عبادي وهذا تشريف وتظيم لهم ألا ترى انه لما أراد أن يشرف محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم
يرد على قوله سبحانه الذي أسرى بعبد ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في
هذا التشريف العظيم ومنها أنه سبحانه وتعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بالفاظ ثلاثة أولها
قوله أي وثانيها انا ثالثها ادخال الاصف واللام في الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة

مما سمى عنه وقال في الشرح
ان دخل اهل الكبائر في
قوله لها سبعة ابواب لكل
باب منهم جزء مقوم والمراد
بالمؤمنين الذين اتقوا الكبائر
والا فالمراد به الذين اتقوا
الشرك (ادخلوها) أي
يقال لهم ادخلوها (سلام)
حال أي سالمين أو مسلحين
عليكم تسلم عليكم الملائكة
(آمين) من الخروج
منها والآفات فيها وهو
حال أخرى (وزعمنا ما في
صدورهم من غل) وهو
الحقد الكامن في القلب
أي ان كان لاحد هم غل
في الدنيا على آخر زرع الله
ذلك في الجنة من قلوبهم
وطيب نفوسهم وعن علي
رضي الله عنه أرجو أن
أكون أنا وعثمان وطه
والزبير منهم وقيل معناه
طهر الله قلوبهم من أن
يغسلوا على الدرجات
في الجنة وزرع منها كل غل
وأتى فيها التوادد والتحاب
(اخوانا) حال (على سرر
متقابلين) كذلك قيل تدور
بهم الاسرة حيثما داروا
فيكونون في جميع أحوالهم
متقابلين يرى بعضهم
بعضا (لا يعبهم فيها نصب)
في الجنة تعب (وما هم منها
بمخرجين) فتمام النعمة
بالخلود ولما أتم ذكر الوعد
والوعيد أتبعه (نبي عبدي
أي انا الغفور الرحيم وأن
عذابي هو العذاب الاليم)

تغير بالماذ كرو وعكسها في النفوس قال عليه السلام لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبيع

نفسه في العبادة ولما أقدم على ذنب وعطف (وبئسهم) وأخبر أمثله على نبي عبادي ليخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبدة يعتبرون بهما خط الله وانتقامه من المجرمين ويخفف قوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم (عن ضيف ابراهيم) أي أضيافه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا والضيف يجي واحد اوجع لانه مصدر ضافه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي سلم عليك سلاما أرسلنا سلاما (قال) أي ابراهيم (انا انكم ورجلون) خائفون لا متنا عنهم من الاكل أولاد خولهم بغير اذن وبغير وقت (قالوا لا توجل) لا تخف (انا نبشرك) استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل أي انك مبشرا من فلا توجل وبالتخفيف وفتح النون حمزة (بغلام عليم) هو اسحق ا قوله في سورة هود فبشرناهاباسحق (قال) أبشركوني على أن مسني الكبير) أي أبشركوني مع مس الكبير ان يولد لي أي ان الولادة أمر مستذكر عادة مع الكبير (فبم تبشرون) هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قيل فبأي أعجوبة (١٠٣) تبشرون وبكسر النون والتشديد مكى والاصل تبشرونني

فادغم فون الجمع في فون
العاماد ثم حذف الباء
وبقيت الكسرة دليلا
عليها تبشرون بالتخفيف
ناقم والاصل تبشرونني
فحذفت الباء اجتزاء
بالكسرة وحذف فون
الجمع لاجتماع التوسين
الباقون بفتح النون وحذف
المضموهول والنون فون
الجمع (قالوا بشركناك
بالحق) باليقين الذي لا لبس
فيه (فلا تكن من القاطنين)
من الايسين من ذلك
(قال) ابراهيم (ومن
يقظ) وبكسر النون
بصري وعلى (من رجمة
ربه الا الضالون) الا
الخطؤون طريق الصواب
أوالالكافرون كقوله انه
لا بأس من روح الله الا
القوم الكافرون أي لم
استندك ذلك فتد وطامن

والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل اني انا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب
الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا
المعنى فكانه أشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة قوله سبحانه وتعالى (وبئسهم عن ضيف
ابراهيم) هذا معطوف على ما قبله أي واخبر يا محمد عبادي عن ضيف ابراهيم وأصل الضيف المليل يقال
ضفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من مال الملتزول بالذوارت الضيافة متعارفة في القرى وأصل
الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم وقد يجمع فيقال أضياف وضيفون
وضيفان وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى لبشر ابراهيم بالولد وهم لم يولدوا
لوط (اذ دخلوا عليه) يعني اذ دخل الاضياف على ابراهيم عليه السلام (فقالوا سلاما) أي سلم سلاما
(قال) يعني ابراهيم (انا انكم ورجلون) أي خائفون واغتاف ابراهيم منهم لانهم لم يأكلوا طعامه (قالوا
لا توجل) يعني لا تخف (انا نبشرك بغلام عليم) يعني أنهم بشروه بولد كزغلام في صغره عليم في كبره
وقيل عليم بالاحكام والشرائع والمراد به اسحق عليه السلام فلما بشروه بالولد تعجب ابراهيم من كبره
وكبر امرأته (قال أبشركوني) يعني بالولد (على أن مسني الكبير) يعني على حالة الكبير قاله على طريق
التعجب (فبم تبشرون) يعني فبأي شيء تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كانه عجب من حصول الولد
على الكبير (قالوا بشركناك بالحق) يعني بالصدق الذي قضاه الله بان يخرج منك ولدا ذكر اكثر ذرية وهو
اسحق (فلا تكن من القاطنين) يعني فلا تكن من الايسين من الخبيروالقطوط هو الاياس من الخير
(قال) يعني ابراهيم (ومن يقظ من رجمة ربه الا الضالون) يعني من يأس من رجمة ربه الا المكدونون
وفيه دليل على ان ابراهيم عليه السلام لم يكن من القاطنين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبير
فظنت الملائكة ان به فتوطا فنتي ذلك عن نفسه واخبار القاطن من رجمة الله تعالى من الضالين لان
القطوط من رجمة الله كبيرة كالامن من مكر الله ولا يحصل الا عند من يجهل كونه الله تعالى قادر على
ما يريد ومن يجهل كونه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات فكل هذه الامور سبب للضلالة (قال) يعني
ابراهيم (فاخطبكم) يعني فاشأكم وما الامر الذي جئتم فيه (أيها المرسلون) والمعنى ما الامر الذي جئتم
به سوى ما بشرتوني به من الولد (قالوا) يعني الملائكة (انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعني لهؤلاء قوم
مجرمين (الا آل لوط) يعني أشياعه وأتباعه من أهل دينه (المنجوههم أجمعين الا امرأته) يعني امرأته

رجمة ولكن استبعاد الله في العادة التي أجراها (قال فاخطبكم) فاشأكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أي قوم لوط
(الا آل لوط) يريد أهل المؤمنين والاستثناء منقطع لان القوم موصوفون بالأجرام والمستثنى ليس كذلك أو متصل فيكون استثناء من
الضمير في مجرمين كانه قيل الى قوم قد أجروا كما هم الا آل لوط ومعهم والمعنى يختلف باختلاف الاستثناء لان آل لوط مخرجون في
المنقطع من حكم الارسلان يعني انهم أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط أصلا ومعنى أرسلهم الى القوم المجرمين كإرسال
السهم الى المرمى في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا أهلكنا قوم مجرمين ولكن آل لوط أئخيناهم وأمانى المتصل فهم داخلون
في حكم الارسلان يعني ان الملائكة أرسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هو لا ونجوا هو لا واذا انقطع الاستثناء مجرى (المنجوههم أجمعين)
مجري خبر لكن في الاتصال بال لوط لان المعنى لكن آل لوط منجوهون واذا انصل كان كلاما مستأنفا كان ابراهيم عليه السلام قال
لهم فاحال آل لوط فقالوا انا المنجوههم (الا امرأته) مستثنى من الصغير المجرور في المنجوههم وليس باستثناء من الاستثناء لان الاستثناء من

الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه بأن يقول أهلكتناهم إلا آل لوط إلاهم أنه وهنا قد اختلف الحكماء لان آل لوط متعلق
بارسلنا أو بجبرمين والامر أنه متعلق بنجوههم فكيف يكون استثناء من استثناء لنجوههم بالتخفيف حذرة وعلى (قدرنا) وبالتخفيف أبو بكر
(انهم المن الغابرين) الباقي في العذاب قيل لولم تكن اللام في خبرها لوجب فتح ان لانه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا ولكنه كقوله ولقد
علمت الجنة أنهم لمحضرون وانما أسند الملائكة فعل التقدير الى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لهم كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا
والامر هو الملك (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) أي لا أعرفكم أي ليس عليكم زي السفرو ولا أنتم من أهل الحضر
فأخاف ان تطرقوني بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي ما جئناك بما تنكروننا لاجله بل جئناك بما فيه

سرورك وتشبه قبل من
أعدائك وهو العذاب
الذي كنت تنوعه سدهم
بنزله فيمترون فيه أي
يشكون ويكذبونك
(وأتيناك بالحق) باليقين
من عذابهم (وانا الصادقون)
في الاخبار بنزله بهم
(فأسر بأهلنا بقطع من
الليل) في آخر الليل
أو بعد ما مضى شيء صالح
من الليل (واتبع
أدبارهم) وسر خلفهم
لنكون مطلعاً عليهم
وعلى أحوالهم (ولا
يلتفت منكم أحد) لشلا
يروا ما ينزل بقومهم من
العذاب فيرقوا لهم أو
يجعل النهي عن الالتفات
كناية عن مواصلة
السير وترك التسواني
والتوقف لان من يلتفت
لا بد له في ذلك من أدنى
وقف (وامضوا حيث
تؤمرون) حيث أمركم
الله بالمضي اليه وهو
الشأم أو مصر (وقضينا

لوط (قدرنا) يعني قضينا وانما أسند الملائكة التقدير الى أنفسهم وان كان ذلك لله عز وجل لا اختصاصهم
باللقد قربهم منه كما تقول خاصة الملك فحن أمرنا ونحن فعلنا وان كان قد فعلوه بأمر الملك (انهم المن الغابرين)
يعني لمن الباقي في العذاب والاستثناء من النفي اثبات ومن الاثبات نفي فاستثناء أمر آل لوط من الساجدين
يلحقها باباها الكين (فلما جاء آل لوط المرسلون) وذلك ان الملائكة عليهم السلام لم يباشروا إبراهيم بالولد
وعرفوه بما أرسلوا به ساروا الى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط (قال انكم قوم منكرون) وانما قال هذه
المقالة لوط لانهم دخلوا عليه وهم في زي شبان مردان حسان الوجوه فخاف أن يهجم عليهم قومه فلهذا
السبب قال هذه المقالة وقيل ان المنكرة ضد المعرفة فقولهم انكم قوم منكرون يعني لا أعرفكم ولا أعرف
من أي الاقوام أنتم ولا لاى عرض دخلتم على فعند ذلك (قالوا) يعني الملائكة (بل جئناك بما كانوا فيه
يمترون) يعني جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه (وأتيناك بالحق) يعني باليقين الذي لاشك فيه (وانا
لصادقون) يعني فيما أخبرناك به من اهلاكهم (فأسر بأهلك بقطع من الليل) يعني آخر الليل والقطع
القطعة من الشيء وبعضه (واتبع أدبارهم) يعني واتبع آثار اهلك وسر خلفهم (ولا يلتفت منكم أحد)
يعني حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع في السير وترك الالتفات
الى ورائه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشأنك ولا تعرج على شيء وقيل جعل ترك الالتفات علامة
لمن ينجو من آل لوط ولئلا يتخلف أحد منهم فينبأه العذاب (وامضوا حيث تؤمرون) قال ابن عباس يعني
الى الشأم وقيل الاردن وقيل الى حيث يأمركم جبريل وذلك ان جبريل أمرهم أن يسيروا الى قرية معينة
ما عمل أهلها عمل قوم لوط (وقضينا اليه ذلك الامر) يعني وأوحينا الى لوط ذلك الامر الذي حكمنا به
على قومه وفرغنا منه ثم انه سبحانه وتعالى فسر ذلك الامر الذي قضاه بقوله (ان دابر هؤلاء مقطوع
مصعبين) يعني ان هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما بهم الامر الذي قضاه
عليهم أولاً وفسره ثانياً بتفخيما له وتعظيما لشأنه (وجاء أهل المدينة) يعني مدينة سدوم وهى مدينة قوم
لوط (يستبشرون) يعني يبشرون بعضهم بعضاً بأضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور وذلك ان
الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم في المدينة وقيل ان أمرهم أنه أخبرتهم بذلك وكانوا شباناً مردافى
غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط الى داره طمعا منهم في ركوب الفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه
(ان هؤلاء ضيفي) وحق على الرجل اكرام ضيفه (فلا تفصحن) يعني فيهم يقال فضحه يفصحه اذا ظهر من
أمره ما يلزمه العار بسببه (واتقوا الله) يعني خافوا الله في أمرهم (ولا تخزون) يعني ولا تتخجلون (قالوا)
يعني قوم لوط الذين جاؤا اليه (أولم ننهك عن العالمين) يعني أولم ننهك عن أن تضيف أحد من العالمين
وقبل معناه أولم ننهك ان تدخل الغرباء الى بيتك فاننا نريد أن نركب منهم الفاحشة وقيل معناه أسندنا قد

اليه ذلك الامر) عدى قضينا الى لانه ضمن معنى أوحينا كانه قيل وأوحينا اليه مقضيا مبتونا وفسر ذلك الامر
بقوله (ان دابر هؤلاء مقطوع) وفي ايهامه وتفخيمه للامر ودابرهم آخرهم أي يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد (مصعبين)
وقت دخولهم في الصبح وهو حال من هؤلاء (وجاء أهل المدينة) سدوم التي ضرب بقاضيهام المثل في الجور (يستبشرون) بالملائكة طمعا
منهم في ركوب الفاحشة (قال) لوط (ان هؤلاء ضيفي فلا تفصحن) بفضيحة ضيفي لان من أساء الى ضيفي فقد أساء الى (واتقوا الله
ولا تخزون) أي ولا تتدلون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان وبالبا فيها يعقوب (قالوا أولم ننهك عن العالمين) عن أن تجبرهم منهم أحدا
أو تدفع عنهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان عليه السلام يقوم بالنهي عن المشرك والمجرب بينهم وبين المتعرض له فأوعده وقالوا لن

يدعو الى الايمان بالرسول جيعا فن كذب واحد منهم فكأنما كذبهم جميعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كاقيل الحبيبيون في ابن
الزبيروا حبابه (وأتيناهم آياتنا فكأنوا عنها معرضين) أي أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (وكأنوا يفتخرون من الجبال بيوتا) أي ينقبون في
الجبال بيوتا أو ينون من الحجارة (آمنين) لو ناقة البيوت واستحكمها من ان تنهدم ومن نقب اللصوص والاعداء أو آمنين من عذاب
الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه (فأخذتهم الصيحة) العذاب (مصبين) في اليوم الرابع وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا
يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واقتناء (١٠٦) الاموال النفيسة (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الاخلاق ملتبسا

وإذا كان يسكنه ثور وهو معروف بين المدينة النبوية والشأم وآثاره موجودة باقية غير عليها ركب الشأم
الى الجاز وأهل الجاز الى الشأم وأراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم أولانهم
كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل (وأتيناهم آياتنا) يعني الناقة وولدها والآيات التي كانت في الناقة
خروجها من الصخرة وعظم جثثها وقرب ولادها وغزارة لبنها وانما أضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح
لانه مرسل اليهم بهذه الآيات (فكأنوا عنها) يعني عن الآيات (معرضين) يعني تاركين لها غير ملتفتين
اليها (وكأنوا يفتخرون من الجبال بيوتا آمنين) يعني خوفان الخراب أو أن يقع عليهم الجبل أو السقف
(فأخذتهم الصيحة) يعني العذاب (مصبين) يعني وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يعني
من الشرك والاعمال الخبيثة (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم أن يصيبكم ما أصابهم الا ان تكفوا باكين ثم قنع رأسه
وأسرع السير حتى جاوز الوادي قوله سبحانه وتعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق)
يعني لا ظهرا للحق والعذاب وهو أن يشاب المؤمن والمصدق ويعاقب الجاحد الكافر الكاذب (وان
الساعة لا تبيد) يعني وان القيامة لتأتى ليجازى المحسن باحسانه والمسي باساءته (فاصفح الصفيح الجليل)
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فأعرض عنهم يا محمد وأعرض عنهم عفوا وحسنا واحتمل ما نلقى من أذى
قومك وهذا الصفيح والأعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى
الله عليه وسلم أن يظهر الخلق الحسن وأن يعاملهم بالعفو والصفح الخالي من الجزع والخوف (ان ربنا
هو الخلاق العظيم) يعني انه سبحانه وتعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلموه وما يصلحهم قوله عز وجل (واقد
آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) قال ابن الجوزي سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصرى
وأذرعات ليمودق رظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البر والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت
هذه الاموال لنا لتقوينها أو انفقناها في سبيل الله فأنزل الله هذه الآية وقال قد أعطيتكم سبع آيات
هي خبر من هذه السبع القوافل وبدل على صحة هذا قوله لا تعدن عينك الآية قال الحسن بن الفضل
قلت وهذا القول ضعيف أو لا يصح لان هذه السورة مكية باجاء أهل التفسير وبأس فيها من المدينى شئ
ويهودق رظة والنضير كافوا بالمدينة وكيف يصح أن يقال ان سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها أموال
عظيمة حتى غناها المسلمون فأنزل الله هذه الآية وأخبرهم ان هذه السبع آيات هي خبر من هذه السبع
القوافل والله أعلم وفي المراد بالسبع المثاني أقوال أحدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمرو على وابن
مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية الاكثرين عنه وأبي هريرة والحسن وسعيد بن جبيرة وفي رواية
عنه ومجاهد وعطاء وقتادة في آخرين وبدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود والترمذي

بالحق لا باطلا وعبتا أو
بسبب العدل والانصاف
يوم الجزاء على الاعمال
(وان الساعة) أي القيامة
لتوقعها كل ساعة (لا تبيد)
وان الله ينتقم لك فيها من
أعدائك ويجازيك بأياتيه
على حسناتك وسيئاتهم
فانه ما خلق السموات
والارض وما بينهما الا
لذلك (فاصفح الصفيح
الجليل) فأعرض عنهم
اعراضا جليلا بحلم واغضاء
قيل هو منسوخ بآية
السيف وان أريد به الخاتمة
فلا يكون منسوخا (ان
ربك هو الخلاق) الذي
خالق وخلقهم (العظيم)
بحالك وحالهم فلا يخفى عليه
ما يجري بينكم وهو يحكم
بينكم (واقعد آتيناك سبعاً)
أي سبع آيات وهي الفاتحة
أو سبع سور وهي الطوال
واختلف في السابعة فقيل
الانفال وبراءة لانهما في حكم
سورة بدليل عدم التسجدة
بينهما وقيل سورة يونس
أو سبع القرآن (من)

المثاني هي من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما يشكر في الصلاة أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله (ق)
الواحدة مثناة أو مثنية صفة لا ية وأما السور الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعود والوعيد ولما فيها من الثناء
كانها تنبى على الله واذا جعلت السبع مثاني فن للتبيين واذا جعلت القرآن مثاني فن للتبعض (والقرآن العظيم) هذا ليس بعطف الشئ
على نفسه لانه اذا أريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل بدله
قوله بما أو حيننا البين هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا أريد به الاسباع فالمعنى واقعد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي
الجامع لهذين الثنتين وهو التثنية أو الثناء والعظم ثم قال لرسوله

(ق) عن أبي سعيد بن المعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته أخرجه البخاري وفيه زيادة أما السبب في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني فلاها سبع آيات باجتماع أهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لأنها ثلثي في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لأنها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الأول ثناء على الله ونصفها الثاني دعاء ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث مذكور في فضل الفاتحة وقيل سميت مثاني لان كلماتها مشابة لمثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين فكل هذه ألفاظ مشابة وقال الحسن بن الفضل لأنها ثلثات مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون ألف ملك وقال مجاهد لان الله سبحانه وتعالى استثنىها واخرها هذه الامة فلم يعطها غيرهم وقال أبو زيد البلخي لأنها ثلثي أهل الشر عن الشر من قول العرب ثبتت عاني وقال ابن الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتغالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيدوه ومملكه واذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرها وانها من أفضل سور القرآن لان افرادها بالذكر في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم مع انها جزء من أجزاء القرآن واحدى سورته لا بد وأن يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثاني في تفسير قوله سبعاً من المثاني ان السبع الطوال وهذا قول ابن عمر وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية عنه وسعيد بن جبيرة وفي رواية عنه السبع الطوال هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا في السابعة فقيل الانفال مع براءة لانها كالسورة الواحدة ولهذه الم يكتبوا بينهم ما سطر بهم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هي سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المثني مكان الانجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفصل أخرجه البغوي بإسناد التعلبي قال ابن عباس انما سميت السبع الطوال مثاني لان الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبر ثبتت فيها وأورد على هذا القول ان هذه السور الطوال غائبها مدنيات فكيف يمكن نفس بر هذه الآية بها وهي مكينة وأجيب عن هذا اليراد بأن الله سبحانه وتعالى حكم في سابق علمه بازال هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك صح ان تفسر هذه الآية بهذه السور القول الثالث ان السبع المثاني هي السور التي هي دون الطوال وفوق المفصل وهي المثني ووجه هذا القول الحديث المتقدم وأعطاني مكان الزبور المثاني والقول الرابع ان السبع المثاني هي القرآن كله وهذا قول طاوس ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى قال الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني ومعنى القرآن كله مثاني لان الاخبار والقصاص والامثال ثبتت فيه فان قلت كيف يصح عطف القرآن في قوله والقرآن العظيم على قوله سبعاً من المثاني وهل هو الا عطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع المثاني فاتحة الكتاب أو السبع الطوال فما وراءهن ينطلق عليه القرآن لان القرآن اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى الى قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عني بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني وهي القرآن العظيم وانما سمى القرآن عظيماً لانه كلام الله ووجبه أنزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم قوله (لا تعدن عيني) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي لا تعدن عيني يا محمد (الى مائة تعنابه أزواجاً) يعني أصنافاً (منهم) يعني من الكفار متمنيا لها نهي الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ورضاها أهلها عليها والمعنى ان قد أوتيت القرآن العظيم الذي فيه غنى عن كل شيء فلا تشغل قلبك ومركزك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها روى ان سفيان بن عيينة نأول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منامن لم يتغن بالقرآن يعني لم

(لا تعدن عيني) أي لا تطمع ببصرك طموح راغب فيه متمن له (الى مائة تعنابه أزواجاً منهم) أصنافاً من الكفار كالهمود والنصارى والمجوس يدي قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة وهي القرآن العظيم فعلي ان تستغنى به ولا تعدن عيني الى متاع الدنيا وفي الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث أبي بكر من أوتي القرآن قرأى ان أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظماء وعظم صغيراً

(ولا تحزن عليهم) أي لا تهن أموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيستقوى بكم انهم الاسلام والمسلمون (واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين (١٠٨) وطب نفسا عن ايمان الاغنياء (وقل) لهم (اني انا النذير المبين) أنذركم ببيان وبرهان ان

يستغن بالقرآن فتأول هذه الآية قيل انما يكون ما اعينيه الى الشيء اذا دام النظر اليه مستحسنا له فيحصل له من ذلك غنى ذلك الشيء المستحسن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شيء من منافع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه (ولا تحزن عليهم) يعني ولا تغم على ما فاتهم من مشاركتهم في الدنيا وقيل ولا تحزن على ايمانهم اذ لم يؤمنوا فقيه النبي عن الالتفات الى أموال الكفار والالتفات اليهم أيضا وروى البيهقي بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجبن فاجرا بنعمته فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قيل لان أبي هريرة ما قال الا لا يموت قال النار (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فليتنظر الى أسفل منه لفظ البخاري ومسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر الى من هو أسفل منك ولا تنظر الى من هو فوقك فهو أجدر ان لا تزدروا نعمته الله عليكم قال عوف بن عبد الله بن عتبة كنت أصحب الاغنياء فما كان أحدا أكثرهم امنا كنت أرى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحمت وقوله سبحانه وتعالى (واخفض جناحك) يعني لين جانبك (للمؤمنين) وارقق بهم لسانك الله سبحانه وتعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار أمره بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين (وقل) أي وقل لهم يا محمد (اني انا النذير المبين) لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ ما أرسل به اليهم والتهذؤ بعبادة تليق مع تحريف والمعنى انا النذير بالعباقب لمن عصاني المبين البين للتهذؤ (كما أنزلنا على المقتسمين) يعني أنذركم عذابا كعذاب أنزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس أراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقادة سموا بذلك لانهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فوافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة انهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد منهم هذه السورة لي وقال آخر هذه السورة لي وانما فهموا ذلك استهزاء به وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفروا ببعضها وكفروا آخرون منهم بما آمن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب أراد بالمقتسمين كفار قريش سموا بذلك لان أقوالهم تقسمت في القرآن فقال بعضهم انه سحر وروى بعضهم انه كهانة وزعم بعضهم انه أساطير الاولين وقال ابن السائب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا عقاب مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطا من أهل مكة قيل ستة عشر وقيل أربعين فقال لهم اطلقوا ففرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم أهل الموسم فاذا سألوكم عن محمد فقله قتل بعضكم انه كاهن وليقه بعضكم انه شاعر وليقل بعضكم انه ساحر فاذا جاؤا الى صدقةكم فذهبوا فعدوا على عقاب مكة وطرقها يقولون لمن مرهم من حجاج العرب لا تغتروا بهذا الخارج الذي يدعي النبوة منافاه مجنون كاهن وشاعر وقعد الوليد ابن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاؤا وسألوهم عما قال أولئك المقتسمون قال صدقوا وقوله سبحانه وتعالى (الذين جعلوا القرآن عضين) (خ) عن ابن عباس في قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى جزؤهم أجزاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضه من قولهم عضيت الشيء اذا فرقته وجعلته أجزاء وذلك لانهم جعلوا القرآن أجزاء ففرقه فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو أساطير الاولين وقيل هو جمع عضه وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضه وهو السحر يعني انهم جعلوا القرآن سحرا (فوريك لئلا نسألهنهم أجمعين) أقدم الله نفسه انه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين (عما كانوا يعملون) يعني عما كانوا يقولونه في القرآن وقيل عما

هذاب الله نازل بكم (كما أنزلنا) متعلق بقوله واقد آتيناك أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا (على المقتسمين) وهم أهل الكتاب (الذين جعلوا القرآن عضين) أجزاء جمع عضه وأصلها عضوة ففعل من عضى الشاة اذا جعلها أعضاء حيث قالوا يعنادهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستمزجون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي أو أريد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه فاليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض ويحجوزان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أي أنذر المعصين الذين يحجزون القرآن الى سحر وشعوذة وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

بعضهم لا تغتروا بالخارج منافاه سحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله ولا تدن عينيك على الوجه الاول كانوا اعتراض بينهم لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بها هو مدارعني التسلية من النبي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الامر بأن يقبل بكلمته الى المؤمنين (فوريك لئلا نسألهنهم أجمعين عما كانوا يعملون)

أقيم بذاته وربوبيته
 ليس أن يوم القيامة واحدا
 واحد من هؤلاء المقسمين
 عما قالوه في رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أوفي القرآن
 أوفي كتب الله (فاصدع
 بما تؤمر) فاجه ربه
 وأظهره يقال صدع بالجمة
 إذا تكلم بها جهارا من
 الصدع وهو الفجر رار
 فاصدع فافرق بين الحق
 والباطل من الصدع
 في الزجاجة وهو الإبانة
 بما تؤمر والمعنى بما تؤمر
 به من الشرائع فخذ في
 الجار كقوله
 أمرتك الخير فافعل
 ما أمرت به
 (وأعرض عن المشركين)
 هو أمر استهان بهم (أنا
 كفييناك المستهزئين)
 الجهور وعلى أنما زالت في
 خمسة نفر كانوا يبالغون
 في إيذاء رسول الله صلى
 الله عليه وسلم والاستهزاء
 به فأهلكهم الله وهم الوليد
 ابن المغيرة بن نبال فتعلق
 بشو بهم فأصاب عرقا
 في عقبه فقطعه فمات
 والعاص بن وائل دخل
 في أخضه شوكة فانتفخت
 رجله فمات والاسود بن
 عبد المطلب عى والاسود
 ابن عبد يغوث جعل ينطح
 رأسه بالشجرة ويضرب
 وجهه بالشوك حتى مات
 والحارث بن قيس امتخط

كانوا يعملون من الكفر والمعاصي وقيل يرجع الضمير في لئس أنهم إلى جميع الخلق المؤمن والكافر لأن اللفظ
 عام فحمله على العموم أولى قال جماعة من أهل العلم عن لئس إلا الله عن أنس عن النبي صلى الله عليه
 وسلم لم يقل لئس أنهم أجع من عما كانوا يعملون قال عن قول لئس إلا الله أخرجه الترمذي وقال حديث
 غريب وقال أبو العباس يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين فان قلت كيف
 الجمع بين قوله لئس أنهم أجع وبين قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان قلت قال ابن عباس
 لا يسألهم هل عملتم لأنه أعلم به منهم ولكن يقول لم عملتم كذا أو اعتمدت قطرب فقال السؤال ضربان سؤال
 استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان يعني سؤال الاستعلام وقوله
 لئس أنهم أجع سؤال توبيخ وتقرير وجواب آخر وهو يرى عن ابن عباس أيضا أنه قال في الآيتين أن
 يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيسألون في بعض المواقف ولا يسألون في بعضها فظهر قوله سبحانه
 وتعالى هذا يوم لا ينطقون وقال تعالى في آية أخرى ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وقوله
 سبحانه وتعالى (فاصدع بما تؤمر) قال ابن عباس أظهور و يروى عنه أمضه وقال الضحاك أعلم وأصل
 الصدع الشق والفرق أى افرق بالقرآن بين الحق والباطل أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية
 بإظهار الدعوة وتبليغ الرسالة إلى من أرسل إليهم قال عبد الله بن عبيد عازال النبي صلى الله عليه وسلم
 مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه (وأعرض عن المشركين) أى اكفف عنهم ولا تلتفت
 إلى لومهم على أظهار دينك وتبليغ رسالتك وقيل أعرض عن الاهتمام باستهزائهم وهو قوله سبحانه
 وتعالى (أنا كفييناك المستهزئين) أكثر المفسرين على أن الأعرض منسوخ بآية القتال وقال بعضهم
 ما للتسخ وجه لأن معنى الأعرض ترك المبالاة بهم والالتفات إليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى أنا
 كفييناك المستهزئين يقول الله عز وجل لتبنيهم محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بما أمرت به ولا تخف أحدا
 خيري فإني أنا كافيت وحافظك ممن عاداك فإنا كفييناك المستهزئين وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش
 كانوا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان رأسهم والمعاص بن
 وائل السهمي والاسود بن المطلب بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن زمة وكان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم أعم بصره واثكل بكه بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف
 ابن زهرة والحارث بن قيس بن طلائة كذا ذكره البغوي وقال ابن الجوزي الحارث بن قيس ابن عيطلة
 وقال الزهري عيطلة أمه وقيس أبوه فهو منسوب إلى أبيه وأمه قال المفسرون أتى جبريل عليه السلام
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزئون يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إلى جنبه فخر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بنس عبد الله فقال قد كفيته
 وأومأ إلى ساق الوليد فخر الوليد برجل من خزاعة نبال يرش نبلا له وعليه برد عاتق وهو يحرازه
 فعلق شظية من النبل بأزار الوليد ففجعه الكبريات يطأطن رأسه فيزعها وجعلت تضربه في ساقه
 فخذشته فمات فمات ومعه المعاص بن وائل السهمي فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بنس
 عبد الله فأشار جبريل إلى أخص قدمه وقال قد كفيته فخرج المعاص على راحلة ينزله ومعه ابنه فنزل
 شعبا من تلك الشعاب فوطئ شجرة فدخل منها شوكة في أخص رجله فقال لدغت لدغت فطابوا فلم يجدوا
 شيئا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومعه الاسود بن المطلب فقال جبريل
 كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأشار جبريل بيده إلى عينيه وقال قد كفيته فعمى قال ابن عباس
 ومعه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره وزجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفي رواية
 الكلبي قال أتاه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ومعه غلامه وفي رواية فجعل ينطح رأسه في الشجرة
 ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما أرى أحدا يصنع بك شيئا غيرك فمات وهو
 يقول قتلتني محمد ومعه الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بنس عبد الله

على انه خالي فقال جبريل قد كفيته وأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فبات وفي رواية الكلابي انه خرج من
أهله فأصابه سموم فأسود وجهه حتى صار حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب فبات وهو
يقول قتلتني رب محمد ومريم ما الحزن بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأوما
جبريل الى رأسه وقال قد كفيته فامخط قبيحا فقتله وقال ابن عباس انه أكل حوتا مالحا فأصابه العطش فلم
يرل يشرب الماء حتى انقذ بطنه فبات فذلك قوله تعالى انا كفيته المسمي تهزئين يعني بك وبالقمرآن (الذين
يجعلون مع الله الها آخر فوف يعلمون) يعني اذا نزل بهم العذاب فقيه وعيد وتمديد قوله سبحانه
وتعالى (ولقد علم انك يضيق صدرك بما يقولون) يعني بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسعون به من
الاستهزاء بالقول الفاحش والجليلة البشرية تأتي ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك
أمره بالتسبيح والعبادة وهو قوله (فسبح بحمد ربك) قال ابن عباس فصل بامر ربك (وكن من
الساجدين) يعني من المتواضعين لله وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده وكن من
الساجدين يعني من المصلين روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خربه أمر فرغ الى الصلاة قال
بعض العارفين من المحققين ان السبب في زوال الحزن عن القلب اذا أتى العبد بهذه العبادات انه يتنور
باطنه ويشرق قلبه وينفصح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وقوارتها فلا يلتفت اليها ولا
يتأسف على فواتها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء اذا نزل بالعبد مكروه فضرع الى
الصلاة فكانه يقول يا رب اغني عني عبادتك سواء أعطينتني ما أحب أو كفيته ما أكره فأنا عبدك
وبين يديك فافعل بي ما تشاء قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يعني الموت الموقن به الذي
لا يشك فيه أحد والمعنى واعبد ربك في جميع أوقالك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وأنت في عبادة ربك
وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا روي البغوي بسنده عن جبر
ابن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوصي الله الى ان أجمع المال وأكون من الناجرين ولكن
أوصي الى ان أسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وعن عمر قال نظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا عليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انظروا الى هذا الذي نور الله قلبه لقد رآه بين أيديه يخدعته باطيب الطعام والشراب ولقد
رأيت عليه حلة شراها أو قال شربته بما أتى درهم فدعا محب الله وحب رسوله الى ما روى ذكره البغوي
بغير سند والله أعلم بمراده وأمرار كتابه

﴿تفسير سورة النحل﴾

مكية الا قوله تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به الى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة في قتل حمزة
قال ابن عباس وفي رواية أخرى عنه انها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشتروا عهد
الله ثمنا قليلا الى قوله يعلمون وقال قتادة هي مكية الا خمس آيات وهي قوله والذين هاجروا في الله من بعد
ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما ظلموا وقوله تعالى وان عاقبتهم الى آخر السورة زاد مقاتل
وقوله من كفر بالله من بعد ايمانه الآية وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية وقيل كان
يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهي مائة وثمان وعشرون آية والمقان وثمانمائة
وأربعون كلمة وسبعة آلاف وسبع مائة وسبعة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله سبحانه وتعالى (أتى أمر الله) يعني جاءه وناو قرب أمر الله تقول العرب آتاك الامر وهو متوقع المجيء
بسم الله أي ومعنى الآية أتى أمر الله وعدا (فلا تستجلوه) يعني وقوا والمراد به مجيء القيامة قال ابن

فيها ومات (الذين يجعلون
مع الله الها آخر فوف
يعلمون) عاقبه أمرهم يوم
القيامة (ولقد علم انك
يضيق صدرك بما يقولون)
قلت أوفى القرآن أوفى
الله (فسبح بحمد ربك
وكن من الساجدين)
فانزع فيما أتاك الى الله
والفرغ الى الله هو الذكر
الدائم وكثرة السجود يكفل
ويكشف عنك الغم (واعبد
ربك) ودم على عبادة
ربك (حتى يأتيك اليقين)
أي الموت يعني مادمت
حيا فاشتغل بالعبادة وكان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا خربه أمر فرغ
الى الصلاة

﴿سورة النحل مكية وهي
مائة وثمان وعشرون
آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

كافوا يستجلون ما وعدوا
من قيام الساعة ونزول
العذاب بهم يوم يراستهم
وتكذبوا بالوعد فويل لهم
(أتى أمر الله) أي هو عزلة
الآتي الواقع وان كان
منتظرا القرب وقومه (فلا
تستجلوه

سبحانه وتعالى عما يشركون) نبرأجل وعز عن أن يكون له شريك وعن اشراكهم فاموصولة أو مصدريه واتصال هذا بسبحانهم من حيث ان استبحانهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرل (ينزل الملائكة) وبالتخفيف مكى وأوعرو (بالروح) بالوحى أو بالقرآن لان كلامهم يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد أو يحيى القلوب الميتة (١١١) بالجهل (من أمره على من يشاء من عباده أن

أنذروا) ان مفسرة لان
تنزيل الملائكة بالوحى
فيه معنى القول ومعنى
أنذروا (أنه لا اله الا أنا
فانقون) اعلموا بان الامر
ذلك من ندرت بكذا اذا
علمته والمعنى اعلموا الناس
قولى لا اله الا أنا فانقون
نخافون وبالباء يعقوب ثم
دل على وحدانيته وأنه
لا اله الا هو عباد كرمها
لا يقدر عليه غيره من
خلق السموات والارض
وهو قوله (خلق السموات
والارض بالحق تعالى عما
يشركون) وبالباء
فى الموضعين حزة وعلى
ونخلق الانسان وما يكون
منه وهو قوله (خلق
الانسان من نطفة فاذا هو
خصيم مبين) أى فاذا هو
منطبق مجادل عن نفسه
مكافح لخصومه مبين بجنه
بعد ما كان نطفة لاجس
به ولا حركة ارفاذا هو خصيم
لربه منكسر على خالقه قائل
من يحى العظام وهى رميم
وهو وصف للانسان
بالوقاحة والتحدى فى
كفران النعمة وخلق مالا
بدله منه من خلق البهائم
لاكله وركوبه وحل أمثاله
وسائر حاجاته وهو قوله

عباس لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقربب الساعة وافش القم قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا انه لا ينزل شيئاً قالوا ما نرى شيئاً فنزل قوله تعالى اقرب للناس حسابهم فاشفقوا فلما مدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئاً فأتخوفنا به فنزل آتى أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم وظنوا أنهم قد أدت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمأنوا والاستعجال طاب محيى الشئ قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعه يدهما أخرجاه فى الصحيحين من حديث سهل بن سعد (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة الى الوسطى وفى رواية بعثت فى نفس الساعة فسبقها كفضل على الاخرى قال ابن عباس كان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ولما خرج جبريل بأهل السموات مبعوثاً الى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم فاستجبل العذاب فنزلت هذه الآية وقسّل النضر يوم بدر صبراً (سبحانه وتعالى عما يشركون) يعنى تزهّد الله وتعاظم بالاوصاف الحميدة عما يصغفه به المشركون ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ينزل الملائكة بالروح) يعنى بالوحى (من أمره) وانماسمى الامر روحاً لانه به تحيا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء بالنبرة وقال قتادة بالرجة وقيل الروح هو جبريل وبالباء يعنى مع ربه نى ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل (على من يشاء من عباده) يعنى على من يصطفيه من عباده للنبوة والرسالة وتبليغ الوحى الى الخلق (أن أنذروا) يعنى بان أعلموا (أنه لا اله الا أنا فانقون) أى نخافون وقيل معناه مروا بقول لا اله الا الله منذرين يعنى مخوفين بالقرآن (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) تقدم تفسيره (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) يعنى انه جسد الباطل بين الخصومة نزلت فى أبى بن خلف الجمحى وكان يشكر البعث فجاء بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نزع من ان الله يحى هذا العظم بعد ما رمى فنزلت فيه هذه الآية ونزل فيه أيضاً قوله تعالى قال من يحى العظام وهى رميم والصحيح ان الآية عامة فى كل ما يقع من الخصومة فى الدنيا ويوم القيامة وجلها على العموم أولى وفيها بيان القدرة وان الله خلق الانسان من نطفة قدرة فصارع جباراً كثيراً لخصومة وفيها كشف قبيح ما فعله الكفار من محذهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم ﴿ قوله عز وجل (والانعام خلقها) لما ذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والارض ثم أتبعه بذكر خلق الانسان ذكر بعده ما ينتفع به فى سائر ضروراته ولما كان أعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس اللذين يقوم بهما بدن الانسان بدأ بذكر الحيوان المنتفع به فى ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهى الابل والبقر والغنم قال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدأ فقال تعالى (لكم فيها داف) قال ويجوز أيضاً أن يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدأ فقال تعالى فيها داف وقال صاحب النظم أحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله خلقها ثم ابتدأ بقوله لكم فيها داف والدليل عليه أنه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها داف ولكم فيها جمال ولما كانت منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر المنافع

(والانعام خلقها لكم) هى الأزواج الثمانية وأكثر ما يقع على الابل واتصافها ببعض يفسره الظاهر كقوله والقسم قد رناه منازل أو بالعطف على الانسان أى خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم أى ما خلقها الا لكم يا جنس الانسان (فيما داف) وهو اسم ما يدفأ به من إباحة معمول من صوف أو وبر أو شعر

(ومنافع) وهي نساها ودورها (ومنها تأكلون) فقدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غير هالان الاكل منها هو الاصل الذي يعتمد الناس في معاشهم وأما الاكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالحارى مجرى التفكه (ولكم فيها جبال حين تريحون) تردونها من (١١٢) مراعيها الى مراعيها بالعشى (وحين تسرحون) ترسلونها بالغداة الى مسارجها من

الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشي لان الرعيان اذا روجوها بالعشى وسرحوها بالغداة ترينت باراحتها وتسريحها الاقنية وفرحت أربابها وأكسبتهم الجاء والحرمه عند الناس وانما قدمت الاراحة على التسريح لان الجبال في الاراحة أظهر اذا أقبلت ملائى البطون حافلة الصروع (وتجمل أنفالكلم) أحبالكم (الى بلدكم تكوفوا بالغيه الاشق الانفس) ويطغ الشين أبو جعفر وهما لغتان في معنى المشقة وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راحة الى الشق الذي هو الصدع وأما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما ينال من الجهد والمعنى وتجمل أنفالكلم الى بلدكم تكوفوا بالغيه لولم تخلق الا بال الاجيهد ومثقة فضلا لأن تجملوا أنفالكلم على ظهوركم أو معناه لم تكوفوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل أنفالكلم أبدانكم ومنه التقى لان الجسد والانس ومنه وأخرجت الارض أنفاله أي بنى آدم (ان ربكم رؤوف رحيم) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح فقال (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) عطف على الانعام أي وخلق هذه للركوب والزينة وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم الخيل لانه عال خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام ومنفعة الاكل أقوى والآية سبقت لبيان النعمة ولا يلحق بالحكم أن يذكر في مواضع المنة أدنى النعمتين ويترك أعلاهما وانصاب زينة على المفعول له عطف على محل لتركبوها وخلق

الضرورية فقال تعالى لكم فيها داف وهو ما يستدفأ به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والابواب والاشعار الحاصلة من النعم (ومنافع) يعني النسل والدور والركوب والحمل عليها وسائر ما ينتفع به من الانعام (ومنها تأكلون) يعني من لحومها فان قلت قوله تعالى ومنها تأكلون يفيد الحصر لان تقديم الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل من هذه الانعام هو الذي يعتمد الناس في معاشهم وأما الاكل من غيرها كالدجاج والبط والاوز وصيد البر والبحر فكغير معتد به في الغالب وأكله مجرى مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الاغلب في الاكل من هذه الانعام فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم أخر منفعة الاكل وقدم منفعة اللباس قلت منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الاكل فلهذا قدم على الاكل وقوله سبحانه وتعالى (ولكم فيها) أي في الانعام (جبال) أي زينة (حين تريحون وحين تسرحون) الاراحة رد الابل بالعشى الى مراعيها حيث تأوى اليه بالليل ويقال سرح القوم بلهم تسريحها اذا أخرجوها بالغداة الى المرعى قال أهل اللغة وأكثر ما تكون هذه الراحة أيام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلأ وخرجت العرب للنبعة وأحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت فمن الله سبحانه وتعالى بالتجمل بها فيه كما من بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى وروجوها بالعشى الى الاقنية والبيوت يسمعون للابل زنا وللشاء نعاء يجاب بعضها بعضا فعند ذلك يفرح أربابها وتجمل بها الاقنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجبال في الاراحة وهو رجوعها الى البيوت أكثر منها وقت التسريح لان النعم تقبل من المرعى ملائى البطون حافلة الصروع فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جائعة البطون ضامرة الصروع من اللبن ثم تأخذ في التفرق والانتشار للرعى في البرية فثبت بهذا البيان ان التجمل في الاراحة أكثر منه في التسريح فوجب تقديمه وقوله سبحانه وتعالى (وتجمل أنفالكلم) الانتقال جمع ثقل وهو متاع السفر وما يحتاج اليه من آلات السفر (الى بلد) يعني غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن وإلى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة وأكثر تجاراتهم وأسفارهم الى الشام واليمن وحمله على العموم أولى لانه خطاب عام فدخل الكافة فيه أولى من تخصيصه ببعض مخاطبين (لم تكوفوا بالغيه) يعني بالغى ذلك البلد الذي قصدونه (الابشق الانفس) يعني بالمشقة والجهد والعناء والتعب والشق نصف الشئ والمعنى على هذا لم تكوفوا بالغيه الانقصان قوة النفس وذهاب نصفها (ان ربكم رؤوف رحيم) يعني بخلقه حيث خلق لهم هذه المنافع وقوله سبحانه وتعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها) هذه الآية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل أن تركبوها والخيل اسم جنس لا واحد له من افظه كالابل والرط والنساء (وزينة) يعني وجعلها زينة مع المنافع التي فيها (فصل) احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية وقال هذه للركوب والبغال والحمير لتركبوها وأبو حنيفة رحمه الله واستدلوا أيضا بان منفعة الاكل أعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكره الله تعالى علنا تحريم أكله فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر لان الله سبحانه وتعالى خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب أولى بالذكر لان الله سبحانه وتعالى خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب

فقال تركبوها فاعلمنا انها مخلوقة للركوب لا للالذ كل وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشرح وعطاء وسعيد بن جبيرة واليه ذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأحمد واسحق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أنها قالت فخرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساقا كذا وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فأكناه أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في الخيل وفي رواية قال أكلنا من خيبر لحوم الخيل وحمر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الأهلي هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد أصابتنا محضة فها نار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل وأجاب من أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتها مختصة بذلك وانما خاصها تان المنفعة تان بالذ كر لانها معظم المقصود قالوا لو اهلكت عن حل الانتقال على الخيل مع قوله في الانعام وتحمل أثقالكم ولم يلزم من هذا التحريم حل الانتقال على الخيل وقال البغوي ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتبليغهم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضي ان الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكونا عنه دار الامر فيه على الاباحة والتعريم فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير فاخذنا بها جميعا بين النصين والله أعلم وقوله تعالى (ويخلق ما لا تعلمون) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في جميع حالاته وضرورياته على سبيل التفصيل ذكر بعضها ما لا ينتفع به الانسان في الغالب على سبيل الاجمال لان مخلوقات الله عز وجل في البر والبحر والسموات أكثر من أن تحصى أو يحيط بها عقل أحد أو فهمه فلهذا ذكرها على الاجمال وقال بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعني مما أعدد الله لاهل الجنة في النار في النار مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق ما لا تعلمون يعني السوس في النبات والود في الفواكه وقوله سبحانه وتعالى (وعلى الله قصد السبيل) القصد استقامة الطريق يقال طريق قصود وقاصدا اذا أدرك الى مطلوب وفي الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين (ومنها جائر) يعني ومن السبيل سبيل جائر عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هودين الاسلام والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر الا هو والبدع (ولو شاء لهداكم أجمعين) فيه دليل على ان الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما أراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لا انتفاء غيره فقوله ولو شاء لهداكم أجمعين معناه ولو شاء هدايتكم لهداكم أجمعين وذلك يقيد انه تعالى ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم وقوله عز وجل (هو الذي أنزل من السماء ماء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على عباده بخلق الخيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من أعظم النعم على العباد فقال وهو الذي أنزل من السماء يعني والله الذي خلق جميع الاشياء هو الذي أنزل من السماء ماء يعني المطر (لكم منه) يعني من ذلك الماء (شراب) يعني أشرفونه (ومنه) يعني ومن ذلك الماء (شجر) الشجر في اللغة ماله ساق من نبات الارض ونقل الواحدى عن أهل اللغة أنهم قالوا الشجر أصناف ما جبل وعظم وهو الذي يبنى على الشتاء ومادق وهو صنفان أحدهما يبنى له أدوية في الشتاء ويبنى في الربيع ومنها ما لا يبنى له ساق في الشتاء كالبقول وقال أبو اسحق كل ما يبنى على وجه الارض فهو شجر وأشد نطعمها اللهم اذا عز الشجر

ما لا تعلمون من أصناف خلأته وهو قوله (ويخلق ما لا تعلمون) ومن هذا وصفه تعالى عن أن يشرك به غيره (وعلى الله قصد السبيل) المراد به الجنس ولذا قال (ومنها جائر) والقصد مصدر بمعنى افعال وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه ان هداية الطريق الموصل الى الحق عليه كقوله ان علينا الهدى وليس ذلك الواجب اذ لا يجب على الله شئ ولكن يفعل ذلك تفضلا وقيل معناه والى الله وقال الزجاج معناه وهى الله تليين الطريق الواضح المستقيم والدعاء اليه بالخير ومنها جائر أو من السبيل ما ازل عن الاستقامة (ولو شاء لهداكم أجمعين) أراد هداية اللطف بالتوفيق والانعام بعد الهدى العام (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) لكم متعلق بانزله أو خبر لشراب وهو ما يشرب (ومنه شجر) يعنى الشجر الذى تراه المواشى

(فيه سبعون) من سمات المشية اذ اذاعت فهي ساعة واسماها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالمرعى علامات في الارض (ينبت لكم به الزرع والزيتون) (١١٤) والخيل والاعناب ومن كل الثمرات) ولم يقل كل الثمرات لان كلها لا تكون

الا في الجنة وانما ثبت في في الارض بعض من كلها للتذكيرة (ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون) فستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والاية الدلالة الواضحة (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) بنصب السكلى على جعل النجوم مسخرات والنجوم مسخرات فقط حفص والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامى على الابتداء والخبر (ان في ذلك لايات لقوم يعقلون) جمع الاية وذكر العقل لان الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة (وما ذرأ لكم في الارض معطوف على الليل والنهار أى ما خلق فيها من حيوان وشجر وغر وغير ذلك (مختلفا) حال (ألوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون) يعطون (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحطاطريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيؤكل سريعاً يا خيفة الفساد وانما لا يبحث بأكله اذا حلف لا يأكل لحا لان

أراد أنهم يسقون الحيل اللبن اذا أجذبت الارض وقال ابن قتيبة في هذه الآية بمعنى المكلا ومعنى الآية انه ينبت بالماء الذى أنزل من السماء ما ترى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترحى كل الشجر (فيه) بمعنى في الشجر (سبعون) يعنى ترعون مواشيكم يقال أسبت السائمة اذا خيلتها ترى وسمات هي اذ اذعت حيث شاءت (ينبت لكم) أى ينبت الله لكم وقرئ نبت على التعظيم لكم (به) أى بذلك الماء (الزرع والزيتون والخيل والاعناب ومن كل الثمرات) لما ذكر الله في الحيوان تفصيلا واجالا ذكر في الثمار تفصيلا واجالا فبدأ ذكر الزرع وهو الحب الذى يقات به كالحنطة والشعير وما أشبهها لان به قوام بدن الانسان وقى بذكر الزيتون لمافيه من الادم والدهن والبركة وثالث بذكر الخيل لان غرضها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانها شبه الخلفة في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر سائر الثمرات اجالا لينبى بذلك على عظم قدرته وبخيل نعمته على عباده ثم قال تعالى (ان في ذلك) يعنى الذى ذكر من أنواع الثمار (لاية) يعنى علامة دالة على قدرتنا ووحدايتنا (لقوم يتفكرون) يعنى فيما ذكر من دلائل قدرته ووحدايته (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) تقدم نفسه في سورة الاعراف (مسخرات) يعنى مدالات مقهورات تحت قهره وارادته وفيه رد على الفلاسفة والمنجسين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هي الفعالة المتصرفة في العالم السفلى فاحسب الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات في نفسها مدالات (بأمره) يعنى بأمر ربها مقهورات تحت قهره يصرفها كيف يشاء ويختار وأما ليس لها تصرف في نفسها فاضلا عن غيرها ولما ذكر الله سبحانه وتعالى انه خلق هذه النجوم وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله (ان في ذلك لايات لقوم يعقلون) يعنى أن كل من كان له عقل صحيح سليم علم ان الله سبحانه وتعالى هو الفاعل المختار وان جميع الخلق تحت قدرته وقهره وتسخيرهم لما أوداه منهم (وما ذرأ لكم في الارض) يعنى وما خلق لكم في الارض وسخر لاجلكم من الدواب والانعام والاشجار والثمار (مختلفا ألوانه) يعنى في الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف ألوان المخلوقات مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضا من كل الوجوه فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية بقوله تعالى (ان في ذلك لايات لقوم يذكرون) يعنى فيعتبرون بذلك قوله سبحانه وتعالى (وهو الذى سخر البحر) لكم (البحر) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته ووحدايته من خلق السموات والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق سائر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من آثار قدرته وبخائصة نعمته وذكر انعامه في ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمه من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به اما بالركوب عليه أو بالغوص فيه أو الصيد منه فذكر هذه الثلاثة الاقسام من أنواع الانتفاع به فقال تعالى (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحطاطريا) فبدأ ذكر الاكل لانه أعظم المقصود لان به قوام البدن وفي ذكر الطرى من بدفائدة الدالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله مالحا لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطرى لانه لما خرج من البحر الملح الزقاق الحيوان الطرى الذى لحه في غاية العذوبة علم أنه انما حدث بقدرة الله وخلق لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر على اخراج الضد من الضد والمنفعة الثانية قوله تعالى (وتسخر جوامنه حلية تلبسونها) يعنى اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نساءهم لان زينة النساء بالحلى وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة لهم والمنفعة الثالثة قوله تعالى (وترى الفاك) يعنى السفن (مواخيه) يعنى جوارى فيه قال قتادة مقبلة

ومدبرة

مبنى الايمان على العرف ومن قال لغلامه اشتر هذه الدراهم لحاجتها بالسمك كان حقيقا بالانكار (وتسخر جوامنه حلية) هي اللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) المراد بلبسهم لبس نساءهم ولكنهم اغما يتزين بها من أجلهم فكانت ازيتهم ولباسهم (وترى الفاك مواشى) جوارى تجرى جريا وتشق الماء شقا وتخرشق الماء بحيز ومها (فيه) في البحر

(ولتبتغوا من فضله) هو عطف على محذوف أي لتبتغوا وبالابتغاء الفضل التجارة (والمسلم تشكرون) الله على ما أنعم عليكم به (وأتلقى في الأرض رواسي) جبالاً ثابتة (أن تعبدكم) كراهية أن تعبدكم وتضطرب أولاً لا تعبدكم لكن حذف المضاف أكثر قبل خلق الله الأرض فجعلت تيسر فقالت الملائكة ما هي بقرا أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت (١١٥) بالجبال لم تدرك الملائكة ثم خلقت

(وأناها) وجعل فيها أنهاراً
لأن التي فيه معنى جعل
(وسبلاً) طرقاً (لعلكم
تهدون) إلى مقاصدكم
أولى توجيه سبيلكم
(وعلامات) هي معالم
الطرق وكل ما يستدل به
السابلة من جبل وغير ذلك
(وبالتجيم هم يهدون) المراد
بالتجيم الجنس أو هو الثريا
والفرقدان وبنات نعش
والجدى فإن قلت وبالتجيم
هم يهدون مخرج عن
سبيل الخطأ مقدم فيه
التجيم مقصود فيه هم كانه قبل
وبالتجيم خصوصاً هؤلاء
خصوصاً يهدون فمن
المراد بهم قلت كانه أراد
قريباً فلهذا أهداهم بالنجوم
في مساربهم ولهم بذلك علم
لم يكن مثله لغيرهم فكان
الشكر أوجب عليهم
والاعتبار الزم لهم فخصوا
(أفئ يخلق) أي الله تعالى
(كن لا يخلق) أي الاصنام
وجي، بمن الذي هو لا ولي
العلم لزعمهم حيث سموها
آلهة وعبدوها فاجروها
مجردى أولى العلم أولان
المعنى ان من يخلق ليس
كن لا يخلق من أولى العلم
فكيف بما لا علم عنده
واغلام يقل أفئ يخلق

ومدبره وذلك انك ترى سفينتين احدهما تقبل والاخرى تدبر بحر يان برح واحدة وأصل المخوفى اللغة
الشق يقال مخرت السفينة مخراً اذا شقت الماء بجوؤها وقال مجاهد تخير الرياح السفن يعني أنها اذا اجرت
يسمع لها صوت قال أبو عبيدة يعني صواخ والمخروصت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن مواخير يعني
مواقف أي مملوءة متاعاً (ولتبتغوا من فضله) يعني الارباح بالتجارة في البحر (ولعلكم تشكرون) يعني انعام
الله عليكم اذا رأيتم نعم الله فيما سخر لكم (وأتلقى في الأرض رواسي) يعني جبالاً (أن تعبدكم) يعني للملائكة
تقبل ونضطرب بكم والمبدء هو اضطراب الشيء العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله سبحانه وتعالى الارض
جعلت غور وتكون فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة أحد على ظهرها فاصبحوا وقد أرسيت بالجبال فلم
تدرك الملائكة ثم خلقت الجبال (وأناها) يعني وجعل فيها أنهاراً لان في التي معنى الجبل فقوله سبحانه وتعالى
وأناها معطوف على وألقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدد انهارها لان معظم عيون الانهار وأصولها
تكون من الجبال (وسبلاً) يعني وجعل فيها طرقاً مختلفة تسلكونها في أسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد
الى بلد ومن مكان الى مكان (لعلكم تهتدون) يعني بتلك السبل الى ما تريدون فلا تضلون (وعلامات) يعني
وجعل فيها علامات تهتدون بها في أسفاركم قال بعضهم ثم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدأ (وبالتجيم هم
يهتدون) وقال محمد بن كعب والسكبي أراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم
علامات الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم فنهما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي أراد
بالتجيم الثريا وبنات نعش والفرقدان والجدى فهذه يهتدى بها الى الطريق والقبلة وقال قتادة انما خلق الله
النجوم لثلاثة أشياء لتسكون زينة السماء ومعالم الطريق ورجوع الملائكة الى ربهم قال غير هذا فقد تكلف ما لا
علم له به في قوله سبحانه وتعالى (أفئن يخلق كن لا يخلق) لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وغرائب
صنعه وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الا كل وكانت هذه الاشياء المخلوقة المذكورة
في الآيات المتقدمة كلها قد على كمال قدرة الله تعالى وواحد انبته والله تعالى هو المنفرد بخلقها جميعاً قال
على سبيل الاتكال على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تضرك ولا تنفع ولا تقدر
على شيء أفئن يخلق يعني هذه الاشياء الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كن لا يخلق
يعني هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيئاً البتة لانها جادات لا تقدر على شيء فكيف يخلق بالعاقل أن
يشغل بعبادتها ويترك عبادته من يستحق العبادة وهو الله خالق هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه
الآية بقوله (أفلا تدركون) يعني ان هذا القدر ظاهر غير خاف على أحد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر
والنظر بل مجرد التدكير فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكر بي في الآية سؤالان الاول قوله كن
لا يخلق المراد به الاصنام وهي جادات لا تعقل فكيف يعبر عنها بلقطة من وهي لمن يعقل والجواب عنه
ان الكفار لما سمو هذه الاصنام آلهة وعبدوها أجريت مجرى من يعقل في زعمهم ألا ترى الى قوله بعد
هذا والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً فخاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثاني قوله
أفئن يخلق كن لا يخلق المقصود منه الزام الخلق على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق
فكيف قال على سبيل الاستفهام أفئن يخلق كن لا يخلق والجواب عنه انه ليس المراد منه الاستفهام بل
المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة وأعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسرى بينه وبين هذه الجادات
الحسنة في التسمية والعبادة وكيف يخلق بالعاقل ان يترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه

كن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهرة اياه لكونه الزاماً للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبهاً بالله لانهم حين جعلوا غير الله مثل الله في
تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوا بها فاتكروا عليهم ذلك بقوله أفئن يخلق كن لا يخلق وهو حجة على المعتزلة
في خلق الافعال (أفلا تدركون) فتهفرون فساد ما أنتم عليه

(وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) لا تضبطوا عدد هار لا تباعه طاقتكم فضلا لأن تطبقوا القيام بحجة هار من أداء الشكر وانما تبسج ذلك ما عدد من نعمة تنبها على ان ما رواها لا ينحصر (١١٦) ولا بعد (ان الله لغفور رحيم) تجاوز عن نقصه يركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها

الاشياء الظاهرة كلها وبشتغل بعبادة جادات لا تخلق شيئا البتة والله أعلم وقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يعني ان نعم الله على العبد فيما خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الاشياء وبطش اليدين وسعي الرجلين الى غير ذلك مما أنعم به عليه في نفسه وفيما أنعم به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من أمر الدين والدنيا لا تحصى حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمة العظام التي لا يمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ولو اجتهدتم في ذلك وآتيتم نفوسكم لا تقدرن عليه (ان الله لغفور رحيم) يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم (رحيم) يعني بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون أشياء وهو ما كانوا يكفرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من ايدائه فأخبرهم الله عز وجل انه عالم بكل أحوالهم سرها وعلايتها لا تخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الانصام وذكر عجزها في الآية المتقدمة ذكر في هذه الآية ان الاله الذي يستحق العبادة يجب ان يكون عالم بكل المعلومات سرها وعلايتها وهذه اصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام بصفات فقال تعالى (والذين يدعون من دون الله) يعني الاصنام التي تدعونها آلهة من دون الله (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) فان قلت قوله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة آفن يخلق كن لا يخلق بدل على ان هذه الاصنام لا تخلق شيئا فقوله سبحانه وتعالى لا يخلقون شيئا وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور في تلك الآية فافادة التكرار قلت فائدة ان المعنى المذكور في الآية المتقدمة أنهم لا يخلقون شيئا فقط والمذكور في هذه الآية أنهم لا يخلقون شيئا وأنهم مخلوقون كغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى وهو فائدة التكرار (أموات) أي جادات ميتة لا حياة فيها (غير أحياء) يعني كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام آلهة كما تزعمون لكانت أحياء غير جائز عليها الموت لان الاله الذي يستحق أن يعبد هو الحي الذي لا يموت وهذه أموات غير أحياء فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها وقوله (وما يشعرون) يعني هذه الاصنام (أيان يبعثون) يعني متى يبعثون وفيه دليل على أن الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تتبرأ من عابديها وقيل معناها ما يدرى الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون قوله سبحانه وتعالى (الهمم اله واحد) يعني ان الذي يستحق العبادة هو اله واحد وهذه اصنام متعددة فكيف تستحق العبادة (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) يعني جادة لهذا المعنى (وهم مستكبرون) يعني عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تركه تكبرا (لأجرم) يعني حقا (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) يعني ان الله لا يحب المستكبرين (يعني عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله بطر الحق هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل أصل البطر من الباطل ومن جعله من الخيرة فعنه بتخير عند سماع الحق فلا يقبله ولا يجمله حقا وقيل البطر التكبر يعني أنه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله وقوله وغمط الناس يقال غمطت حق فلان اذا احتقرته ولم تره شيئا وكذا معنى غمضته أي انقصته به وازدريته قوله عز وجل (واذا قيل لهم) يعني لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابا وطرقها اذا سألهم الحاج الذين يقدمون عليهم (ماذا أنزل

عنكم اتفرط بكم) والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من أقوالكم وأفعالكم وهو وعيد (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعونهم الكفار (من دون الله) وبالله غير ماصم (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات) أي هم أموات (غير أحياء) وما يشعرون أيان يبعثون) نفى عنهم خصائص الالهية بنفى كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم يخلقون أموات جاهلون بالبعث ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت وأمرهم بالعكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين أي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تنبيههم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث (الهمم اله واحد) أي ثبت أمران الالهية لا تسكون لغير الله وان معبودكم واحد (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) للوحدانية (وهم مستكبرون) عنها وعن الأقرار بها (لأجرم) حقا (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي سرهم وعلايتهم فيجازهم وهو وعيد (انه لا يحب المستكبرين) عن التوحيد يعني المشركين (واذا قيل لهم) لهؤلاء الكفار (ماذا أنزل

ربكم من الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي سرهم وعلايتهم فيجازهم وهو وعيد (انه لا يحب المستكبرين) عن التوحيد يعني المشركين (واذا قيل لهم) لهؤلاء الكفار (ماذا أنزل

ربكم قالوا أساطير الأولين) ماذا منصوب بأنزل أي شيء أنزل ربكم أو مرفوع (١١٧) على الابتداء أي شيء أنزل ربكم وأساطير خبر

مبتدأ محذوف قيل هو قول
المقصدتين الذين اقتضوا
مداخل مكة ينفرون عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا سألهم وفود الحاج
عما أنزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا
أساطير الأولين أي أحاديث
الأولين وأباطيلهم وأحدثها
أسطورة وأذار أو أصحاب
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخبرونهم بصدقه وأنه
نبي فهم الذين قالوا خيرا
(لحموا أوزارهم كلمة يوم
القيامة ومن أوزار الذين
يضلونهم) أي قالوا ذلك
اضلالا للناس فحموا أوزار
ضلالهم كاملة وبعض
أوزار من ضل بضلالهم
وهو ووزر الاضلال لان
المضل والضال شريكان
واللام للتعليل (بغير علم)
حال من المفعول أي
يضلون من لا يعلم أنهم
ضلال (الاسماء مبرزون)
محل مرفوع (قدمكر الذين
من قبلهم فأتى الله بنيانهم
من القواعد) أي من
جهة القواعد وهو
الاساطين وهذا تمثيل
يعني أنهم سووا منصوبات
لعمروا بها رسل الله فجعل
الله هلاكهم في تلك
المنصوبات كحال قوم بنوا
بنياناً وعموداً بالاساطين
فأتى البنان من الاساطين

ربكم قالوا أساطير الأولين) يعني أحاديثهم وأباطيلهم (لحموا أوزارهم كلمة يوم القيامة) اللام في
لحموا لام العاقبة وذلك أنهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الأولين كانت عاقبتهم بذلك أن يحملوا
أوزارهم يعني ذنوب أنفسهم وأعمال سبجانه وتعالى كاملة لان البليات التي أصابتهم في الدنيا وأعمال البر
التي عملوها في الدنيا لا تكفر عنهم شيأ يوم القيامة بل يعاقبون بكل أوزارهم قال الامام خن الدين الرازي
وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصل في حق
الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ومن أوزار الذين
يضلونهم بغير علم) يعني ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل أوزار الاتباع
والسبب فيه ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من
الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيأ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام
من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس أو الكبير اذا سن
سنة حسنة أو سنة قبيحة فتبعه عليه اجابة فاعملوا بها فان الله سبحانه وتعالى يعظم ثوابه أو عقابه حتى
يكون ذلك الثواب أو العقاب مساوياً لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بسنته الحسنة أو
القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع الثواب أو العقاب الذي يستحقه الاتباع الى الرؤساء لان
ذلك ليس بعدل ويدل عليه قوله تعالى ولا ترزوا زدة وزر أخرى وقوله تعالى وآت ليس للانسان الا ما سعى
قال الواحدي ولقطة من في قوله ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لانها لو كانت
للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة والسلام لا ينقص ذلك من
آثامهم شيأ وليكن للجنس أي لحموا من جنس أوزار الاتباع وقوله بغير علم يعني ان الرؤساء انما
يقدمون على اضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك
جهلاً منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد (الاسماء مبرزون) يعني الالبس ما يحملون فقيه وعبد
وتعديدهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (قدمكر الذين من قبلهم) يعني من قبل كفار قريش وهو غرود بن كنعان
الجببار وكان أكبر ملوك الارض في زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكان من مكروه أنه بنى صرحاً بابل
ليصعد الى السماء ويقال أهلها في زعمه قال ابن عباس وكان طول الصرح في السماء خمسة آلاف
ذراع وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته وألقت رأسه في البحر وخر عليهم الباق
فأهلكهم وهم تحتها ولم يسقط تبليت السنة الثامن من القرع فتكلموا يومئذ بثلاثة وسبعين اسماً
فلذلك سميت بابل وكان اسنان الناس قبل ذلك المسريانية قلت هكذا ذكره البغوي وفي هذا نظر لان
صالحاً عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان أهل اليمن عرباً منهم جرهم الذي نشأ اسمعيل
بينهم وتعلم منهم العربية وكانت قبائل من العرب قد دبت قبل ابراهيم عليه السلام مثل طسم وجديس وكل
هؤلاء عرب تكلموا في قديم الزمان بالعربية ويدل على صحة هذا قوله ولا تبرح تبرج الجاهلية الاولى
والله أعلم وقيل حل قوله قدمكر الذين من قبلهم على العموم أولى فتكون الآية عامة في جميع الماكرين
المبطلين الذين يحاولون الخلق الضم والمكر بالغير ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (فأتى الله بنيانهم من
القواعد) يعني قصد تخريب بنيانهم من أصوله وذلك بان آثامهم يرجع فقصفت بنيانهم من أعلاه وآثامهم
برالزل قلع بنيانهم من قواعد وأسائهم هذا اذا حملنا تفسير الآية على القول الاول وهو ظاهر اللفظ
وان حملنا تفسير الآية على القول الثاني وهو جعلها على العموم كان المعنى أنهم لما تبرعوا بمنصوبات
لعمروا بها على أنبياء الله وأهل الحق من عباده أهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنوا
بنياناً وعموداً بالاساطين فانهم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم فهو مثل ضربه الله

بأن ضمنت فاسقط عليهم السقف وما قوا وهلكوا والجهور على أن المراد به غرود بن كنعان بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف
ذراع وقيل فرسخان فأهبط الله الريح فخر عليه وعلى قومه فاهلكوا فأتى الله أي أمره بالاستقصال

(نخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من حيث لا يحتسبون ولا يشعرون (ثم يوم القيامة يخرجهم من ذلكهم بعد ما عذبوا في الدنيا) (ويقول ابن شركاني) على الإضافة إلى نفسه حكاية لضافتهم ليخرجهم

بها على طريق الاستمراء
هم (الذين كنتم تشاقون
فيهم) تعادون وتخاصمون
المؤمنين في شأنهم تشاقون
نافع أي تشاقوني فيهم
لان مشاققة المؤمنين كانوا
مشاققة الله (قال الذين أوتوا
العلم) أي الانبياء والعلماء
من أممهم الذين كانوا
يدعونهم إلى الايمان
وبعضهم فلا يلتفتون
اليهم ويشاقونهم يقولون
ذلك شتمناهم أو دسهم
الملائكة (ان الخزي اليوم)
الفضيحة (والسوء)
العذاب (على الكافرين
الذين تنوفاهم الملائكة)
وبالباية حزة وكذا ما بعده
(ظالمى أنفسهم) بالكفر
بالله (فألقوا السلم) أي
الصلح والاستسلام أي
اخبثوا وجاهلوا بخلاف
ما كانوا عليه في الدين من
الشقاق وقالوا (ما كنا نعمل
من سوء) وبجحد ما وجد
منهم من الكفران
والعداوة فرد عليهم أولو
العلم وقالوا (بلى ان الله
عليهم بما كنتم تعملون)
فهو يجازيكم عليه وهذا
أيضا من الشتمات وكذلك
(فادخلوا أبواب جهنم
خالدين فيها فليست مثوى
المتكبرين) جهنم) وقيل

سبحانه وتعالى من مكربا خرفا هلكه الله بكم ومنه المثل السائر على السنة الناس من حفر بئر الاخيه
أوقعه الله فيه (وقوله تعالى) (نخر عليهم السقف من فوقهم) يعني سقط عليهم السقف فأهلكهم وقوله من
فوقهم للتأكيد لان السقف لا يختر الا من فوقهم وقيل يحتمل انهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه
فلا قال من فوقهم علم انهم كانوا تحتها وأنه لما نخر عليهم أهلكوا وما نوا تحتها (وأناهم العذاب من حيث
لا يشعرون) يعني في ما منهم وذلك انهم لما اعتدوا على قوة بنيانهم وشدته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم
(ثم يوم القيامة يخرجهم) يعني يبينهم بالعذاب وفيه اشعار بان العذاب يحصل لهم في الدنيا والآخرة لان
الخزي هو العذاب مع الهوان (ويقول) يعني ويقول الله لهم يوم القيامة (ابن شركاني) يعني في زعمكم
واعتقادكم (الذين كنتم تشاقون فيهم) يعني كنتم تعادون وتخاصمون المؤمنين وتخاصمونهم في شأنهم لان
المشاققة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم
ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب والهوان (قال الذين أوتوا العلم) يعني المؤمنين وقيل الملائكة (ان
الخزي) يعني الهوان (اليوم) يعني في هذا اليوم وهو يوم القيامة (والسوء) يعني العذاب (على
الكافرين) وانما يقول المؤمنون هذا يوم القيامة لان الكفار كانوا يستهزئون بالمؤمنين في الدنيا
ويستكبرون عليهم أحوالهم فاذا كان يوم اقيامة ظهر أهل الحق وأكرموا بأنواع الكرامات وأهين
أهل الباطل وعذبوا بأنواع العذاب فلهذا يقول المؤمنون ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين
وفائدة هذا القول اظهار الشتمات بهم فيكون أعظم في الهوان والخزي (وقوله تعالى) (الذين تنوفاهم
الملائكة) تقيض أرواحهم الملائكة وهم ملائكة الموت وأعوانه (ظالمى أنفسهم) يعني بالسكفر (فألقوا
السلم) يعني أنهم استسلموا وانقادوا لأمر الله الذي نزل بهم وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) يعني شركا وانما
قالوا ذلك من شدة الخوف (بلى ان الله عليهم بما كنتم تعملون) يعني فلا فائدة لكم في انكاركم قال عكرمة عن
بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر (فادخلوا) أي فيقال لهم ادخلوا (أبواب جهنم خالدين فيها) يعني
مقيمين فيها لا يخرجون منها وانما قال ذلك لهم ليكون أعظم في الغم والحزن وفيه دليل على أن الكفار بعضهم
أشد عذابا من بعض (فليست مثوى المتكبرين) يعني عن الايمان (وقيل للذين اتقوا
ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) وذلك ان أحياء العرب كانوا يبعثون إلى مكة أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي
صلى الله عليه وسلم فاذا جاءوا اذسألوا الذين كانوا يبعثون على طرق مكة من الكفار فيقولون هو
ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون وإذا لم تلقه خبرك فيقول الوافد أنا شروا فدان رجعت إلى قومي من دون
ان أدخل مكة فألقاه فدخل مكة فيرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه
بصدقه وأمانته وأنه نبي مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا يعني اتقوا
الشرك وقول الزور والكذب ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا يعني أنزل خير انا قلت لم رفع الأول وهو قوله
أساطير الأولين ونصب الثاني وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد
وجواب المقر المؤمن وذلك انهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب
عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين وليس هو من الانزال في شيء لانهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولمأسألوا
المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلغوا وأطبقوا الجواب على السؤال ببناء مكشوف
معقولا للانزال فقالوا خيرا أي أنزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى
(الذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) يعني للذين أتوا بالأعمال الصالحة الحسنة ثوابها حسنة مضاعفة

للذين اتقوا (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) وانما نصب هذا ورفع أساطير لان التقدير هنا أنزل خيرا
فأطبقوا الجواب على السؤال ونحو التقدير هو أساطير الأولين فعدلوا بالجواب عن السؤال (الذين أحسنوا في هذه الدنيا) أي آمنوا واهلوا
الصالحات أو قالوا لا اله الا الله (حسنة) بالرفع أي ثواب وأمن وغلبة وهو بدل من خبر احكامه لقول الذين اتقوا أي قالوا هذا القول فقدم

من الواحد الى العشرة الى السبع مائة الى اضعاف كثيرة وقال الضحاك هي النصر والفتح وقال مجاهد هي
 الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى الآية للذين أحسنوا ثواب احسانهم في هذه الدنيا حسنة وهي النصر
 والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده في الدنيا وبديل على محبة هذا التأويل قوله تعالى
 (ولدار الآخرة خير) يعني ما لهم في الآخرة مما أعد الله لهم في الجنة خير مما يحصل لهم في الدنيا (وانعم
 دار المتقين) يعني الجنة وقال الحسن هي الدنيا لان أهل التقوى يتزودون منها الى الآخرة والقول الاول
 أولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله فسر هذه الدار بقوله (جنات عدن) يعني بساكنة اقامة من قواهم
 عدن بالمكان أى اقام به (يدخلونها) يعني تلك الجنات لا يدخلونها عنها ولا يخرجون منها (تجربى من فتحها
 الانهار) يعني تجربى الانهار في هذه الجنات من تحت دور أهلها وقصورهم ومساكنهم (لهم فيها) يعني في
 الجنات (ما يشاؤون) يعني ما تشتهى الانفس وتلذذ الاعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد
 الا في الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤون لا يفيد الحصر وذلك يدل على أن الانسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا
 (كذلك يجزى الله المتقين) أى هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى (الذين
 تنوفاهم الملائكة طيبين) يعني مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زكية أقوالهم وأفعا لهم وقيل
 ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه أنهم أقواب بكل ما أمروا به من فعل الخيرات
 والطاعات واجتنابوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والحاصل الحميدة
 والمباعدة من الاخلاق المذمومة والحاصل المكروهة القبيحة وقيل معناه ان أقوالهم تكون طيبة سهلة
 لانهم يشعرون عند قبض أرواحهم بالرضا والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور
 والابتهاج فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة (يقولون) يعني الملائكة لهم
 (سلام عليكم) يعني تسلم عليهم الملائكة أو تباعفهم السلام من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعني
 في الدنيا من الاعمال الصالحة فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين
 قوله صلى الله عليه وسلم ان يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن
 يتخذه في الله فاضله ورجته أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة قلت قال الشيخ محي الدين النووي
 رحمه الله في شرح مسلم اعلم ان مذهب أهل السنة أنه لا يشترط بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم
 ولا غير ذلك من أنواع التكليف ولا تشترط هذه الاشياء كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب أهل السنة
 أيضا ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما
 ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان ذلك عدلا منه وإذا أكرمهم ورجحهم
 وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولو أنعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلا ولكنه سبحانه
 وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمة ويعذب الكافرين
 ويدخلهم النار عدلا منه وأما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح
 في ضبط طوبى لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المناهضة لخصوص الشرع وفي ظاهر هذا الحديث دلالة
 لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته وأما قوله سبحانه وتعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
 ونلك الجنة التي أوتيتها بما كنتم تعملون وشعروها من الآيات التي تدل على أن الاعمال الصالحة تدخل
 بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخول الجنة بسبب الاعمال والتوفيق
 للخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصحب أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث
 ويصح أنه دخل بالاعمال أى بسببها وهي من الرحمة والفضل والمنة والله أعلم بمراده (قوله تعالى هل
 ينظرون) يعني هؤلاء الذين أشركوا بالله ومجدوا بآبائهم (الا أن تأتيهم الملائكة) يعني لقبض
 أرواحهم (أو يأتي أمر ربك) يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد به يوم القيامة

عليه تسببته خبرا ثم حكاه
 أو هو كلام مستأنف عدة
 للقائلين وجعل قولهم من
 جملة احسانهم (ولدار
 الآخرة خير) أى لهم
 في الآخرة ما هو خير منها
 كقوله فاتاهم الله ثواب
 الدنيا وحسن ثواب الآخرة
 (وانعم دار المتقين) دار
 الآخرة خذق المخصوص
 بالمدح لتقدم ذكره (جنات
 عدن) خبر لمبتدأ محذوف
 أو هو مخصوص بالمدح
 (يدخلونها) حال (تجربى
 من فتحها الانهار) م فيها
 ما يشاؤون كذلك يجزى الله
 المتقين الذين تنوفاهم
 الملائكة طيبين طاهرين
 من ظلم أنفسهم بالكفر
 لانه في مقابلة ظالمى أنفسهم
 (يقولون سلام عليكم)
 قيل اذا أمرق العبد
 المؤمن على الموت جاءه
 ملائكة فقال السلام عليك
 يا ربى الله الله بقر أعليان
 السلام ويشمره بالجنة
 ويقال لهم في الآخرة
 (ادخلوا الجنة بما كنتم
 تعملون) بملائكتهم هل
 ينظرون) ما ينتظر هؤلاء
 الكفار (الا أن تأتيهم
 الملائكة) لقبض أرواحهم
 وبالباء على وجوه (أو يأتي
 أمر ربك) أى العذاب
 المستأصل أو القيامة

(كذلك) مثل ذلك الفعل من الشرك (١٣٠) والتكذيب (فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله) بتدبيرهم (ولكن كانوا أنفسهم

يظلمون) حيث فعلوا ما استحقوا به التدبير (فأصابهم سيئات ما عملوا) جزاء سيئات أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا يستهزئون) وأحاط بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا) هذا كلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقاد السكان صوابا (ولا حرمنا من دونه من شيء) يعني البعيرة والمساكنة ونحوهما (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي كذبوا الرسل وحرّموا الضلال وقالوا مثل قولهم استهزاء (فهل على الرسل الإلباغ المبين) إلا أن يبلغوا الحق ويطلعوا على طللان الشرك وقبحه (واقعد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله) بأن وحدوه (واجتنبوا الطاغوت) الشيطان يعني طاعته (فمنهم من هدى الله) لاختبارهم الهدى (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أي لم يمه لا اختياره إياها (فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) حيث أهلكتهم الله وأخلى ديارهم عنهم ثم ذكر عناد قريش وحر من رسول الله صلى الله عليه وسلم على

(كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني من الكفر والتكذيب (وما ظلمهم الله) يعني بتعذيبه إياهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني باكتسابهم المعاصي والكفر والأعمال القبيحة الخبيثة (فأصابهم سيئات ما عملوا) يعني فأصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الأعمال الخبيثة (وحاق بهم ما كانوا يستهزئون) والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا) يعني أن مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والمطاول أنهم تمسكوا بهذا القول في إنكار النبوة فقالوا لو شاء الله منا الإيمان لحصل جنت أولم نجح ولو شاء الله منا الكفر لحصل جنت أولم نجح وإذا كان كذلك فالكل من الله فلا فائدة في بعثة الرسل إلى الأمم والجواب عن هذا أنهم لما قالوا إن المكمل من الله فكانت بعثة الرسل عبثا كان هذا اعتراضا على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة في أحكام الله وفي أفعاله وهو باطل لأن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه في أحكامه وأفعاله ولا يجوز لاحد أن يقول له لم فعلت هذا ولم تفعل هذا وكان في حكم الله ورسوله في عبادته إرسال الرسل إليهم لبأمرهم بعبادة الله تعالى وتنبههم عن عبادة غيره وإن الهداية والاضلال إليه فمن ههنا فهو المهتدي ومن أضله فهو الضال وهذه سنة الله في عباده أنه يأمر الكل بالإيمان به وينهاهم عن الكفر ثم إنه سبحانه وتعالى يهدي من يشاء إلى الإيمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة ببعثة الرسل إلى الأمم المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا جهلا منهم لأنهم اعتقدوا أن كون الأمر كذلك يجمع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا حرم استحقوا عليه الذم والعيب وأما قوله تعالى (ولا حرمنا من دونه من شيء) يعني الوصيلة والسائبة والحام والمعنى فلو لأن الله رضى بها لنا الغير ذلك ولهدانا إلى غيره (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني أن من تقدم هؤلاء من كفار مكة ومن الأمم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فأنسكار بعثة الرسل كان قديما في الأمم الخالصة (فهل على الرسل الإلباغ المبين) يعني ليس إلباسهم هداية أحدنا عليهم بليغ ما أرسلوا به إلى من أرسلوا إليه (واقعد بعثنا في كل أمة رسولا) يعني كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا (ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يعني أن الرسل كانوا يأمرهم بأن يعبدوا الله وأن يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو اسم كل معبود من دون الله (فمنهم) يعني من الأمم الذين جاءتهم الرسل (من هدى الله) يعني هداه الله إلى الإيمان به وتصديق رسوله (ومنهم من حقت عليه الضلالة) يعني ومن الأمم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق في الأزل حتى مات على الكفر والضلال وفي هذه الآية أبين دليل على أن الهادي والمضل هو الله تعالى لأنه المتصرف في عباده فيمضي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه بما حكم به في سابق عهده (فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يعني فسيروا في الأرض معتبرين من مفكرين لتعرفوا ما آل من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ولتعرفوا أن العذاب نازل بكم أن أصمرتم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم قوله سبحانه وتعالى (ان تحرص على هداهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان تحرص بالجمد على هدى هؤلاء وإيمانهم وتجتهد كل الاجتهاد (فان الله لا يهدي من يضل) قرئ بفتح الباء وكسر الدال يعني لا يهدي الله من أضله وقيل معناه لا يهدي من أضله الله وقرئ بضم الباء وفتح الدال ومعناه من أضله الله فلا هادي له (ومالهم من ناصرين) أي ما تعين عنهم من العذاب (واقسموا بالله جهد أيمانهم) قال ابن الجوزي سبب نزولها أن رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فأنه يتقاضاه فكان فيما يتكلم به المسلم والذي أرجوه بعد الموت فقال المشرك انك لترغم انك تبعث بعد الموت واقسم بالله

إيمانهم وأعلم أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة فقال (ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل) بفتح أن الباء وكسر الدال كوفي الباقون بضم الياء وفتح الدال والوجه فيه أن من يضل مبتدأ ولا يهدي خبره (ومالهم من ناصرين) أي من جريان حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذي أعد لهم (واقسموا بالله جهد أيمانهم) موقوف على وقال الذين أشركوا

(لا يبعث الله من يموت بلى) هوائيات لما بعد النقي أي بلى يبعثهم (وعدا عليه حقا) وهو مصدر (١٣١) مؤكدا لما دل عليه بلى لان يبعث

مؤكدا من الله وبين أن
الوفاء بهذا الوعد حق (ولكن
أكثر الناس لا يعلمون)
ان وعد الله حق وأنها
يبعثون (ليبين لهم) متعلق
بمادل عليه بلى أي يبعثهم
ليبين لهم والضمير لمن
يموت وهو يشمل المؤمنين
والكافرين (الذي
يختلفون فيه) هو الحق
(وليعلم الذين كفروا أنهم
كانوا كاذبين) في قولهم
لا يبعث الله من يموت (انما
قولنا شيء إذا أردناه أن
نقول له كمن فيكون) أي
فهو يكون وبالضمير شأني
وعلى علي جواب كن
قولنا مبتدأ وأن نقول
خبره وكن فيكون من
كان التامة التي بمعنى
الحدوث والوجود أي
إذا أردنا وجود شيء فليس
الآن نقول له أحدث فهو
يحدث بلا توقف وهذه
عبارة عن سرعة الإيجاد
بين أن أمر الله لا يمنع عليه
وان وجوده عند إرادته
غير متوقف كوجود المأمور
به عند أمر الأمر المطاع
إذا ورد على المأمور المطيع
المعتل ولا قول ثم والمعنى
ان إيجاد كل مقدر على
الله هذه السهولة فكيف
يتمتع عليه البعث الذي
هو من بعض المقدرات
(والذين هاجروا في الله)
في حقه ولو جهه (من بعد

أن لا يبعث الله من يموت فنزلت هذه الآية قاله أبو العباس وتقرير الشبهة التي حصلت للمشركين في
انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت أجزاؤه وبلى
امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فناءه وعدمه فهذا هو أصل
شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت فذلك قوله تعالى وأقسهوا بالله جهداً بما أنتم (لا يبعث الله من
يموت) فرد الله عليهم ذلك وكذبهم في قولهم فقال تعالى (بلى) يعني بلى يبعثهم بعد الموت لان لفظة بلى
اثبات لما بعد النقي والجواب عن شبهتهم ان الله سبحانه وتعالى خالق الانسان وأوجده من العدم ولم يكن
شيئاً فالذي أوجده بقدرته ثم أعده قادر على إيجاده بعد عدمه لان النشأة الثانية أهون من الأولى
(وعدا عليه حقا) يعني ان الذي وعد به من البعث بعد الموت وعد حق لا خلاف فيه (ولكن أكثر الناس
لا يعلمون) يعني لا يفهمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء (ليبين لهم الذي
يختلفون فيه) يعني من أمر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا خلاف فيه (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا
كاذبين) يعني في قولهم لا يبعث بعد الموت (انما قولنا شيء إذا أردناه أن نقول له كمن فيكون) يعني ان
الله سبحانه وتعالى قادر إذا أراد أن يحيي الموتى ويبعثهم للحساب والجزاء فلا تعب عليه في إحيائهم وبعثهم
انما يقول شيء أراد كمن فيكون على ما أراد لانه القادر الذي لا يعجزه شيء أراد (خ) عن أبي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يشقي ابن آدم وما ينبغي له أن يشقى ويكذبني
وما ينبغي له أن يكذبني أما شقته أياي فيقول ان لي ولداً وأما تكذبه أياي فيقول ليس يبعثني كما بد أني
وفي رواية كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشقني ولم يكن له ذلك أما تكذبه أياي فيقول ان يبعثني كما بد أني
وليس أول الخلق بأهون علي من أعادته وأما شقته أياي فيقول له أنا الاحد الصمد الذي لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وقوله تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) يعني أودوا وعذبوا نزلت
في بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وأبي جندل بن سهل أخذهم المشركون بمكة فجعلوا به مذنوبهم
أخرجوا عن الاسلام الى الكفرة وهم المستضعفون فاما بلال فكان أصحابه يخرجونه الى بطحاء مكة في
شدة الحر ويشدونه ويجمعون على صدره الحجارة وهو يقول أحد أحد فاشتره منهم أبو بكر الصديق
وأعتقه واشترى معه ستة نفر آخرين وأما صهيب فقال لهم اني رجل كبير ان كنت معكم فإن أنفعكم
وان كنت عليكم فلا أضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه فخر به أبو بكر الصديق فقال يا صهيب ربح
البيع وأما باقيهم فاعطوهم بعض ما يريدون فخلوا عنهم وقال قتادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم ظلهم أهل مكة فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبيشة ثم بواهم الله المدينة بعد
ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم أنصارا من المؤمنين فأوهم ونصرهم وواسوهم
وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على أن الهجرة اذا لم تكن لله
خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى آخر ومنه حديث الاموال بالنيات وفيه فن
كانت هجرة الى الله ورسوله فهجرة الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يسكنها
فهجرة الى ما هاجر اليه الحديث أخرجه في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب ؓ وقوله تعالى
(لنبوئهم في الدنيا حسنة) يعني لنبوئهم بتبوءة حسنة وهوانه تعالى أنزلهم المدينة وجعلها لهم دار هجرة
والمعنى لنبوئهم في الدنيا دار حسنة أو بلدة حسنة وهي المدينة روى عن عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ هذا يارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في
الدنيا وما أدشرك في الآخرة أفضل ثم يقول هذه الآية وقيل معناه ليس من اليهم في الدنيا بأن يفتح لهم
مكة ويكنهم من أهلها الذين ظلهم وأخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى أهل المشرق

(١٦ - خازن ثالث) ما ظلموا هم رسول الله وأصحابه ظلهم أهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبيشة ثم الى المدينة فجمع بين
الهجرة بين ومنهم من هاجر الى المدينة (لنبوئهم في الدنيا حسنة) صفة للمصدر رأى تبوءة حسنة أوليئهم مباداة حسنة وهي المدينة حيث

آواهم أهلها ونصروهم (ولاجر ١٢٣) الآخرة أكبر) الوقف لازم عليه لان جواب (لو كانوا يعلمون) محذوف والضمير للكفار

أى لو علموا ذلك لرغبوا
في الدين أولئك المهاجرين أى
لو كانوا يعلمون لزدادوا في
اجتهادهم وصبرهم
(الذين صبروا) أى هم
الذين صبروا وأغنى الذين
صبروا وكلاهما مدح أى
صبروا على مفارقة الوطن
الذى هو حرم الله المحبوب
في كل قلب فكيف يقولون
قوم هو مذهب رؤسهم وعلى
المجاهدة وبذل الأرواح
في سبيل الله (وعلى ريم-م
يتوكلون) أى يفوضون
الأمر إلى ريم-م ويرضون
بما أصابهم في دين الله ولما
قالت قريش الله أعظم من
أن يكون رسوله بشرا نزل
(وما أرسلنا من قبلك الا
رجالا بوضيحي اليهم-م) على
أسنة الملائكة فوحي حفص
(فاسئلوا أهل الذكر)
أهل الكتاب ليعلموكم
ان الله لم يبعث الى الامم
السافرة الا بشرا وقيل
للكتاب الذكر لانه موعظة
وتنبيه للغافلين (ان كنتم
لا تعلمون بالبينات والزبر)
أى بالمجربات والكتب
والباء يتعلق برجال الصفة
له أى رجلا ملتبسين
بالبينات أو بارسلنا مضجرا
كأنه قيل لم أرسل الرسل
فقبل بالبينات أو بوضيحي
أى بوضيحي اليهم بالبينات أو
بلا تعلمون وقوله فاسئلوا

والمغرب وقيل المراد بالحسنة في الدنيا التوفيق والهداية في الدين (ولاجر الآخرة أكبر) يعنى أعظم
وأفضل وأشرف مما أعطاهم في الدنيا (لو كانوا يعلمون) قبل الضمير يرجع الى الكفار لان المؤمنين يعلمون
مالهم في الآخرة والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون أن أجر الآخرة أكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا
فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما أعد الله لهم في الآخرة لزدادوا في الجِد والاجتهاد
والصبر على ما أصابهم من أذى المشركين (الذين صبروا) يعنى في الله على ما نالههم من الأذى والمكروه
فهو صفة مدح يعنى صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل الانفس والأموال في سبيل
الله (وعلى ريم-م يتوكلون) يعنى في أمورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الآية وهما
مبدأ المسلول الى الله تعالى ومنتهاهما الصبر فهو قوة النفس وجدها على أعمال البر وسائر الطاعات
واحتمال الأذى من الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب وأما
التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق تعالى بالكلية فالاول هو مبدأ السلول الى الله
تعالى والثاني هو آخر الطريق ومنتهاه (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا بوضيحي اليهم) نزلت هذه الآية
جوابا للمشركي مكة حيث أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل من أن يكون
رسوله بشرا فهاهنا يبعث ملكا اليها فاجابهم الله عز وجل بقوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يعنى مثلك
فوحي اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية من أول مبدأ الخلق أنه لم يبعث الا رسولا من البشر فلهذا
عادة مستمرة وسنة جارية قديمة (فاسئلوا أهل الذكر) يعنى أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وأما
أمرهم الله بسؤال أهل الكتاب لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان أهل الكتاب أهل العلم والمعنى فاسئلوا أهل
اليهم وسلامتهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا يشترطون فيهم فاسئلواهم فلا بد وان
يخبروهم بأن الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم (ان
كنتم لا تعلمون) الخطاب لاهل مكة يعنى ان كنتم يا هؤلاء لا تعلمون ذلك (بالبينات والزبر) اختلافوا في
المعنى الخالب لهذه الباء فقيل المعنى وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا بوضيحي اليهم أرسلناهم
بالبينات والزبر وقيل الذكر بمعنى العلم في قوله فاسئلوا أهل الذكر يعنى أهل العلم والمعنى فاسئلوا أهل
الذكر الذى هو العلم بالبينات والزبر ان كنتم لا تعلمون أنتم ذلك والبينات والزبر اسم جامع لكل ما يتكامل
به أمر الرسالة لان مدار أمر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهى بالبينات وعلى بيان الشرائع
والتكاليف وهى المراد بالزبر يعنى الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل (وأنزلنا البينات والذكر)
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى وأنزلنا عليك يا محمد الذكر الذى هو القرآن وأما اسماء ذكره
لان فيه مواضع وتنبيه للغافلين (لتبين للناس ما نزل اليهم) يعنى ما أجل اليك من أحكام القرآن
وبيان الكتاب يطالب من السنة والمبين لذلك المجمل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم
مضى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لان القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة
هذه الآية والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه منشا فالحكم يجب ان يكون
مبيناً والمنشا به هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على ما أجل
فيه دون المحكم المبين المفسر (واعلمهم يتفكرون) يعنى فيما أنزل اليهم فيعدهم لوابه (أفأمن الذين مكروا
السبائ) فيه حذف تقديره المكرات السبائت رهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبأصحابه وبالغوا في أذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء وقيل المراد بهذا المكر
اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكروهم على أنفسهم والصحيح أن المراد بهذا المكر السعي في أذى رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السبائت غرود ومن هو مثله والصحيح أن المراد

أهل الذكرا عراض على الوجوه المتقدمة وقوله (وأنزلنا البينات والذكر) القرآن (لتبين للناس ما نزل اليهم) في الذكرهما
أمر وابه ونهوا عنه ووعدوا به وأوعدهوا (واعلمهم يتفكرون) في تنبيهاته فيقتهوا (أفأمن الذين مكروا السبائت) أى المكرات السبائت

وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام (ان يخسف الله بهم الارض) كما فعل (١٣٣) من تقدمهم (او بآتيهم العذاب من حيث

لا يشعرون) اي بغتة (او يأخذهم في قلبهم من غيرهم) (او يأخذهم في متقلبهم في مساربهم ومتاجرهم) (فأهم عجزين او يأخذهم على تخوف) متخوفين وهوانهم على قوما قبلهم فيخوفوا يأخذهم العذاب وهم متخوفون متسوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم والمعنى انه اذ لم يأخذكم مع ما فيكم فاعفأ رقبته تقيكم ورحمته تحميكم (اولم يروا) وبالله حجة على وابوبكر (الما خلق الله) ماموصولة بخلق الله وهو بهم يسانه (من شيء يتفوق ظلاله) اي يرجع من موضع الى موضع وبالله بصري (عن البين) اي الاعيان (والشمال) جمع شمال (سجد الله) حال من الظلال عن مجاهد اذا زالت الشمس سجدة كل شيء (وهم داخرون) صاغرون وهو حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو والنون لان الدخور من اوصاف العقلاء اولان في جلة ذلك من يعقل فغاب والمغنى اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي اهل ظلال متفبته عن ايمانها وشمالها اي ترجع الظلال

بهم كقارمكة (ان يخسف الله بهم الارض) يعني كما خسف بفرون من قبلهم (او بآتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعني ان العذاب بآتيهم بغتة فيهلكهم فجأة كما أهلك قوم لوط وغيرهم (او يأخذهم في تقابهم) يعني في تصرفهم في الاسفار فانه سبحانه وتعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما هو قادر على اهلاكهم في الحضر وقال ابن عباس يأخذهم في اختلافهم وقال ابن جرير في اقبالهم وادبارهم يعني انه تعالى قادر على ان يأخذهم في ليالهم ونهارهم وفي جميع احوالهم (فأهم عجزين) يعني بسايقين الله أو يفوقونه بل هو قادر عليهم (او يأخذهم على تخوف) قال ابن عباس ويجاهد يعني على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله التخوف يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا انتقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فلي هذا القول يكون المراد به انه ينقص من أطرافهم وفواحشهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم وقيل هو على أصله من الخوف فيحتمل انه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب أولاً بل يخوفهم ثم يهذبهم بعد ذلك وقال الضحاك والكسبي هو من الخوف يعني يهلك طائفة فيخوف الآخرين أن يصيبهم مثل ما أصابهم والحامل انه سبحانه وتعالى خوفهم بخسف يحصل في الارض أو بعذاب ينزل من السماء أو بأفات تحدث دفعة أو بأفات تحدث قليلاً قليلاً الى ان يأتي الهلاك على آخرهم ثم انه سبحانه وتعالى ختم الآية بقوله (فان ربكم لرؤف رحيم) يعني انه سبحانه وتعالى لا يجعل بالعقوبة والعذاب في قوله سبحانه وتعالى (اولم يروا) قرئ بالياء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة (الى ما خلق الله من شيء) يعني من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالي لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون الا بنفس الرؤية التي يكون معها نظر الى الشيء ليمتلأ أحواله ويتفكر فيه فيعتبر به (تفوق ظلاله) يعني غلب وتدور من جانب الى جانب فهي من أول النهار على حال ثم تنقص ثم تعود في آخر النهار الى حالة أخرى ويقال للظل بالعشي في لانه من فائتيء اذا رجع من المغرب الى المشرق والقيء الرجوع قال الأزهري تفوق الظلال رجوعها بعد انصاف النهار فالتفوق لا يكون الا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو ما تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما أضاف الظلال وهو جمع الى مفرد وهو قوله من شيء لانه يراد به الكثرة ومعناه الاضافة الى ذوى الظلال (عن البين والشمال) قال العلماء اذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا اماتت الشمس الى المغرب كان ظلك عن يسارك وقال الضحاك أما البين فاول النهار وأما الشمال فآخر النهار وانما وجد البين وان كان المراد به الجمع لا يجوزوا الاختصار في اللفظ وقيل البين راجع الى لفظ الشيء وهو واحد والشمال راجع الى المعنى لان لفظ الشيء يراد به الجمع (سجد الله) في معنى هذا السجود قولان أحدهما ان المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب وسجدت النخلة اذا اماتت أكثر من الجبل والمعنى ان جميع الاشياء التي لها ظلال فهي منقادة لله تعالى مستسلمة لامره غير متمنعة عليه فيما سخرها له من التفوق وغيره وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء لله واقول الثاني في معنى هذا السجود ان الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما كانت الظلال يشبه شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شيء ساجد لله سواء كان ذلك الشيء سجد لله أولاً ويقال ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله (وهم داخرون) أي صاغرون اذ لا والد اخر اصغر الذي يفعل ما تأمر به به شاء أم أبى وذلك ان جميع الاشياء منقادة لامر الله تعالى فان قلت الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجعلها بالواو والنون قلت لما وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والانقياد لامره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجازعها بالواو والنون وهو جمع العقلاء قوله عز وجل (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم

من جانب الى جانب منقادة لله تعالى غير متمنعة عليه فيما سخرها له من التفوق والاجرام في أنفسها داخرون ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها غير متمنعة (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) من بيان لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات

خلقوا يدعون فيها كاذب الاناسى في الارض أو يمان لما في الارض وحده والمراد بما في السموات ملائكتهم - وبشوله (والملائكة) ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم قيل المراد بسجود المسكين طاعتهم وعبادتهم وسجود غيرهم لارادة الله ومعنى الانقياد بجمعهما فافهم تحتها فلذا جاز ان يعبر عنهم بالفظ واحد ورجى بما اذ هو صالح للعقلاء وغيرهم ولو جى بمن لتناول العقلاء خاصة (وهم لا يستكبرون يخافون ربهم) هو حال (١٣٤) من الضمير في لا يستكبرون أى لا يستكبرون خائفين (من فوقهم) ان علاقته بخافون

فغناه بخافونه أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علاقته برههم حالاً منه فغناه بخافون ربهم غالباً لهم قاهراً كقوله وهو القاهر فوق عباده (ويقفون ما يؤمرون) وفيه دليل على أن الملائكة مكافئون مدارون على الامر والنهي وانهم بين الخوف والرجاء (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو الله واحد) فان قلت انما جاءوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا همدى رجال ثلاثة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان معدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنين قلت الاسم الطامع للمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا أردت الدلالة على أن المعنى به منهما هو العدد شفع بما يؤكده قبل به على قصد اليه والغاية به ألا ترى أنك لو قلت انما هو الله ولم

لله عز وجل وسجوداً انقياد وخضوع كسجود انزال قوله والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة يحتمل النوعين لان سجد كل شئ بحسبه فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع واتى بلفظ ما في قوله ما في السموات وما في الارض للتغليب لان ما لا يعقل أكثر من يعقل في العدد والحكم لا لا غالب كتغليب المذكور على المؤنث ولانه لو اتى عن التي هي للعقلاء لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة فأتى بلفظة ما ليشمل الكل واقتضى الدابة مشتقة من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان لانه مما يدب على الارض ولهذا أفرد الملائكة في قوله (والملائكة) لانهم أولو أجنحة يطيرون بها أو أفردهم بالذكور لانهم من جنس من في السموات شرفهم وقيل أراد والله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الارض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين للطاعة وسجود غيرهم بتذليلها وتخسيرها لما خلقت له وسجود ما لا يعقل وسجود الجادات يدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيدعو الغافلين الى السجود لله عند التأمل والتدبر (وهم لا يستكبرون) يعني الملائكة (يخافون ربهم من فوقهم) هو كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد تقدم تفسيره (ويقفون ما يؤمرون) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظن السماء وحق لها أن تنطق ما فيها موضع أربع أصابع الا ومالك واضع جهنم ما أجد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما لتذتم بالنساء على الفرس ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى قال أبو ذر لو ددت اني كنت شجرة تعضد أخرجه الترمذي وقال عن أبي ذر موقوفاً

فوفصل هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها وسماها

قوله سجدة وتعالى (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين) لما أخبر الله عز وجل في الآية المتقدمة ان كل ما في السموات والارض خاضعون لله منقادون لامرهم عابدون له وانهم في ملكه وتحت قدرته وقبضته فهي في هذه الآية عن الشرك وعن اتخاذ الهين اثنين فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين فوكيد القول الهين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتأخير تقديره لا تتخذوا اثنين الهين يعني ان الاثنين لا يكون كل واحد منهما الها ولكن اتخذوا الها واحداً وهو قوله تبارك وتعالى (انما هو الله واحد) لان الاثنين لا يكونان الا متساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنينية منافية للالهية وذلك قوله تعالى انما هو الله واحد يعني لا يجوز أن يكون في الوجود الهان اثنين انما هو الله واحد (فاي اي فارهبون) يعني يخافون والرهب مخافة مع خزن واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى الحضور وهو من طريق الالتفات لانه أبلغ في الترهيب من قوله فاي اي فارهبون فهو من بديع الكلام وبلغه وقوله فاي اي فارهبون يفيد الحضور وهو أن لا يهرب الخلق الا منه ولا يرغبون الا اليه والى كرمه وفضله واحسانه (وله ما في السموات والارض) لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان الله العالم لا شريك له في الالهية وجب أن يكون جميع المخلوقات عبيداً له وفي ملكه وتصرفه وتحت قدرته فذلك قوله تعالى وله ما في السموات والارض يعني عبيداً او ملكاً (وله الدين واصباً) يعني وله العبادة والطاعة

تو كده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية (فاي اي فارهبون) نقل للكلام عن واخلاص الغيبة الى التكلم وهو من طريق الالتفات وهو أبلغ في الترهيب من قوله فاي اي فارهبون فاي اي فارهبون في السموات والارض وله الدين (واصباً) واجباتاً بالتان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه وهو حال عمل فيه الطرف أو وله الجزاء وانما يعني الثواب والعقاب

(أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة) وأي شئ أنصل بكم من نعمة عاقبة وغنى ونصب (فمن الله) فمن الله (ثم إذا منكم الضر) المرض والفقر والجذب (فأليس تجأرون) فإنتصرون إلا إليه والجوار رفع الصوت بالدعاء (١٣٥) والاستغاثة (ثم إذا كشف الضر عنكم

إذا فرق بينكم وبينهم
بشر كون) الخطاب في وما
بكم من نعمة أن كان عاماً
فالمراد بالفرق الكفرة
وإن كان الخطاب للمشركين
فقلوبهم منكم للبيان لا للتبعض
كأنه قال فإذا فرق بينكم وبينهم
وهم أنتم ويجوز أن
يكون فيهم من اعتبر كقولهم
فلما نجأهم إلى البرق فهم
مقتصد (ليكفروا بما
آتيناهم) من نعمة المكشف
عنهم كأنهم جعلوا غرضهم
في الشرك كفران النعمة
ثم أوعدهم فقال (فتمتعوا
فسوف تعلمون) وهو عدول
إلى الخطاب على التهديد
(ويجعلون لما لا يعلمون
نصيباً مما رزقناهم) أي
لأنهم ومعنى لا يعلمون
أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون
فيها أنها تضر وتنفع وتشفع
عند الله وليس كذلك لأنها
جناد لا تضر ولا تنفع أو
الضمير في لا يعلمون للآلهة
أي لأشياء غير موصوفة
بالعلم ولا تشعراً جعلوا لها
نصيباً في أنعامهم وزرعهم
أم لا وكافوا يجعلون لهم
ذلك تقر باليهن (تالله
لنستلن) وعبد (عما كنتم
تعبدون) أنها آلهة وإنما
أهل للتقرب إليها (ويجعلون
لله البنات) كانت خزاعة
وكنانة تقول الملائكة
بنات الله (سبحانه) تنزيه لذاته

وإخلاص العمل دائماً ثابتاً والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع إلا انقطع ذلك
لبيب في حال الحياة أو بالموت إلا الحق سبحانه وتعالى فإن طاعته واجبة أبداً ولأنه المنعم على عباده المالك
لهم فكانت طاعته واجبة دائماً أبداً (أفغير الله تتقون) يعني أنكم عرفت أن الله واحد لا شريك له في ملكه
وعرفتم أن كل ما سواه محتاج إليه في هذه المعرفة كيف تخافون غيرموت تتقون سواه فهو واستفهام بمعنى
التعجب وقيل هو استفهام على طريق الإنكار ﴿قوله عز وجل﴾ (وما بكم من نعمة فمن الله) يعني من نعمة
الإسلام رحمة الأبدان وسعة الأرزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى أنما هو
المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع أنعامه ولما بين في الآية المتقدمة أنه يجب على
جميع العباد أن لا يخافوا إلا الله تعالى بين في هذه الآية أن جميع النعم منه فلا يشكر عليها إلا الله لأنه هو
المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها (ثم إذا منكم الضر) أي الشدة والأمرض والأسقام
(فأليس تجأرون) يعني إليه تستغيثون وتصيحون وتضجون بالدعاء ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضر
والشدة وأصل الجوار هو رفع الصوت الشديد ومنه جوار البقر والمعنى أن النعم لما كانت كلها ابتداء
منه فإن حصل شدة وضرب في بعض الأوقات فلا يلجأ إلا إليه ولا يدعى إلا الله ليكشفها فإنه هو القادر على
كشفها وهو قوله تعالى (ثم إذا كشف الضر عنكم) يعني ثم إذا أزال الشدة والبلاء عنكم (إذا فرق
بينكم) يعني طائفة وجاعة منكم (بربهم يشركون) يعني أنهم يضيفون كشف الضر إلى العوائد
والأسباب ولا يضيفونه إلى الله عز وجل فهذا من جلة شركهم الذي كافوا عليه وأنما قصدهم فرقتين لأن
فرق المؤمنين لا يرون كشف الضر إلا من الله تعالى ثم قال تعالى (ليكفروا بما آتيناهم) قيل إن هذه
اللام لا مركية ويكون المعنى على هذا أنهم أنما أشركوا بالله ليحصدوا نعمة عليهم في كشف الضر عنهم
وقيل إنما لام العاقبة والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء
(فتمتعوا) لفظه أمر والمراد منه التهديد والوعيد يعني فعيشوا في اللذة التي أنتم فيها إلى المدة التي ضربها
الله لكم (فسوف تعلمون) يعني عاقبة أمركم إلى ماذا تصير وهو نزول العذاب بكم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾
(ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً) قيل الضمير في قوله لما لا يعلمون عائد إلى المشركين يعني أن المشركين لا يعلمون
وقيل أنه عائد إلى الأصنام يعني أن الأصنام لا تعلم شيئاً البتة لأنها جناد لا علم لهم ومنهم من رجح
القول الأول لأن نبي العلم عن الحى حقيقة وعن الجاد مجاز فكان عود الضمير إلى المشركين أولى
ولأنه قال لما لا يعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثاني قال لانا
إذا قلنا أنه عائد إلى المشركين احتجنا فيه إلى إضمار فيكون المعنى ويجعلون يعني المشركين لما لا يعلمون
أنه الله ولا له حق نصيباً وإذا قلنا أنه عائد إلى الأصنام لم يفتح إلى هذا الإضمار لأنها لا علم لها ولا فهم
﴿قوله﴾ (مما رزقناهم) يعني أن المشركين جعلوا للأصنام نصيباً من حروثهم وأنعامهم وأموالهم التي
رزقهم الله وتقدم تفصيلاً في سورة الأنعام (تالله) أقسم بنفسه على نفسه أنه يسألهم يوم القيامة
وهو قوله تعالى (لنستلن مما كنتم تقفرون) يعني عما كنتم تكذبون في الدنيا في قولكم أن هذه الأصنام
آلهة وإن لها نصيباً من أموالكم وهذا التفات من الغيبة إلى الحضور وهو من يبيع الكلام وبلغته
(ويجعلون لله البنات) هم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله وأنما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة
لاستارهم عن العيون كالنساء أول دخول لفظ التأنيث في تسميتهم (سبحانه) زه الله نفسه عن الولد والبنات
(ولهم ما يشتهون) يعني ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون يعني البنين (وإذا بشر أحدهم بالأنثى) الإشارة
عبارة عن الخبر أناسا الذي يظهر على شجرة الوجه أثر الفرح به ولما كان ذلك الفرح والسرور وجوباً
من نسبة الولد إليه أو نجب من قولهم (ولهم ما يشتهون) يعني البنين ويجوز في ما لرفع على الابتداء وأهم الخبر والنصب على العطف
على البنات وسبحانه اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه أي وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور (وإذا بشر أحدهم بالأنثى

ظل وجهه مسوداً) أي صار قظلاً وأمسى وأصبح وبات تستعمل بمعنى الصبرورة لأن أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغمماً مسود الوجه من الكآبة والحياة من الناس (١٢٦) (وهو كظيم) مملوء حقاً على المرأة (يتواري من القوم من سوء ما يشربه) يستحق

منهم من أجل سوء المشربه ومن أجل تغييرهم ويحدث نفسه وينظر (أي مسكه على هون) أي مسكه ما يشربه على هون وذلك (أم يدسه في التراب) أم يثده (الأساء ما يحكمون) حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف (الذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكرهه الاناث ووادهم خشية الاملاق (ولله المثل الاعلى) وهو الغنى عن العالمين والزهادة عن صفات المخلوقين (وهو العزيز) الغالب في تنفيذ ما أراد (الحكيم) في امهال العباد (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ما ترك عليهم) على الارض (من دابة) قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين من أبي هريرة رضي الله عنه ان الحباري لتموت في وكرها تظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كذا الجعلل يهلك في جره بذنب ابن آدم وعن ابن عباس رضي الله عنهما من دابة من مشرك يدب

تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن والغم يظهر أثره على الوجه وهو الكمودة التي تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا ان البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن فصح قوله واذا بشر أحدكم بالانثى (ظل وجهه مسوداً) يعني متغيراً من الغم والحزن والغيظ والكراهة التي حصلت له عند هذه البشارة والمعنى ان هؤلاء المشركين لا يرضى أحدكم بالبنات الا ان تنسب اليه فكيف يرضى أن ينسبها الى الله تعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ وقوله سبحانه وتعالى (وهو كظيم) يعني انه ظل ممتلئاً غماً وخزناً (يتواري من القوم من سوء ما يشربه) يعني انه يخفى من ذلك القول الذي يشربه وذلك ان العرب كانوا في الجاهلية اذا قربت ولادة زوجته أحد هم تواري من القوم الى ان يعلم ما ولد له فان كان ولداً ابتهج وسر بذلك وظهر وان كانت أنثى حزن ولم يظهر أباً ما حتى يفكر ما يصنع بها وهو قوله تعالى (أي مسكه على هون) يعني على هوان وانما ذكر الضمير في أي مسكه لانه عائد الى ما يشربه في قوله واذا بشر أحدكم (أم يدسه في التراب) يعني أم يخفي ذلك الذي يشربه في التراب والدس إخفاء الشيء في الشيء قال أهل التفسير ان مضر وخزاعة ونجما كانوا يدفعون البنات أحباء والسبب في ذلك ما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة أو الخشية فيخافون عليهم من الأسر ونحوه أو طمع غير الا كفء فيهن فكان الرجل من العرب في الجاهلية اذا ولدت له بنت وأراد أن يستقيم أتمار كها حتى اذا كبرت ألبسها جبة من صوف أو شعر وجعلها ترعى الابل والغنم في البادية واذا أراد ان يقتلها تر كها حتى اذا صارت سداسية قال لامها زينها حتى اذهب بها الى أحمائها ويكون قد حفر لها حفرة في الصحراء فاذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظري الى هذه البئر فاذا نظرت اليها دفعا من خلفها في تلك البئر ثم يميل التراب على رأسها وكان صمصمة عم (١) الفرزدق اذا أحس بشئ من ذلك وجهه يابل الى والد البنت حتى يحجيم ابنته فقال الفرزدق يفخر بذلك وعى الذي منع الوائدات * فأحبا الوليد فلم يواد

عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والمؤودة في النار أخرجه أبو داود وقوله تعالى (الأساء ما يحكمون) يعني بأس ما يصنعون ويقضون حيث يجعلون الله الذي خلقهم البنات وهم يستكفون منهم ويجعلون لانفسهم البنين نظيره قوله سبحانه وتعالى ألكم الذكرو له الانثى تلك اذا قصه ضيزى وقيل معناه الأساء ما يحكمون في واد البنات (الذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) يعني صفة السوء من احتياجهم الى الولد الذكور وكرههم الاناث وقتلهم خوف الفقر (ولله المثل الاعلى) أي الصفة العليا المقدسة وهي ان له التوحيد وانه المنزه عن الولد وانه لا اله الا هو وان له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدى وغير ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة أن لا اله الا الله (وهو العزيز) أي الممتنع في كبريائه وجلاله (الحكيم) يعني في جميع أفعاله قوله (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) يعني بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى في آية أخرى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقصد ومنهم سابق بالخيرات فقصهم في تلك الآية ثلاثة أقسام فجعل الظالمين قسم واحد من ثلاثة قلت قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بتلك الآية الاية الاخرى لان في جنس الناس الانبياء والصالحون ومن لا يطلق عليه اسم الظلم وقيل أراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله ان الشرك لظلم عظيم وقوله (ما ترك عليها) يعني على الارض كتاباً عن غير مذكور لان الدابة لا تدب الا على الارض (من دابة) يعني ان الله سبحانه وتعالى لو يؤاخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التي على وجه الارض قال قتادة وقد فعل الله ذلك في زمن نوح عليه السلام فاهلك من كان

على

(١) قوله صمصمة عم كذا بالنسخ بايدنا والصواب جد وكذا قوله وعى الذي الصواب وجدى

الذي كاهن في كتيب الادب اه معصم

(ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أى أجل كل أحد أو وقت تقتضيه الحكمة أو القيامة (فأجازاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجهلون الله ما يكرهون) ما يكرهونه لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستغناء برسلهم ويجهلون له أرذل أموالهم ولا صناعاتهم أكرمها (وتصف آسنتهم الكذب) مع ذلك أى ويقولون الكذب (أن لهم الحسنى) عند الله وهى الجنة ان كان البعث حقاً كقوله ولئن رجعت الى ربي انى لي عنده للحسنى ريان (١٣٧) لهم الحسنى بدل من الكذب (لاجرم أن لهم

النار وانهم مفرطون) مفرطون نافع مفرطون أبو جعفر فالمفتوح يعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من أفرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته أو منسيون من أفرطت فلانا خلقى اذا خلقتهم ونسبته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفریط في الطاعات أى التقصير فيها (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) أى أرسلنا رسلاً الى من تقدم من الامم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والتكذيب بالرسول (فهو وليهم) اليوم أى قريبهم فى الدنيا لى اولى اضلالهم بالفرور او الضمير لمشرى قريش أى زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم أو هو على حذف المضاف أى فهو ولي أمثالهم اليوم (ولههم عذاب أليم) فى القيامة (وما أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (الاثنين لهم)

على وجه الارض الامن كان فى السفينة مع نوح عليه السلام وروى ان أباه ريرة ميمرج لا يقول ان الظالم لا يضمر الانفسه فقال بس ما قلت ان الحبارى عوت هز الا بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان العمل تعذب فى بحرها بذب ابن آدم وقيل أراد بالدابة الكافر بدليل قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل فى معنى الآية ولو يؤخذ الله الآباء الظالمين بسبب ظلمهم لا تقطع النسل ولم توجد الابناء فلم يبق فى الارض أحد (ولكن يؤخرهم) يعنى عجلهم بفضلهم وكرمه وحله (الى أجل مسمى) يعنى الى انتهاء آجالهم وانقضاء أعمارهم (فأجازاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعنى لا يؤخرون ساعة عن الاجل الذى جعله الله لهم ولا ينقصون عنه وقيل أراد بالاجل المسمى يوم القيامة والمعنى ولكن يؤخرهم الى يوم القيامة فيعذبهم فلا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون (ويجهلون الله ما يكرهون) يعنى لانفسهم وهى البنات (وتصف آسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) يعنى ويقولون ان لهم البنين وذلك انهم قالوا لله البنات ولنا البنون وهذا القول كذب منهم وافترأ على الله وقيل أراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم قالوا ان كان محمد صادقاً فى البعث بعد الموت فان لنا الجنة لا نأعلى الحق فأكذبهم الله تعالى فقال (لاجرم ان لهم النار) يعنى فى الآخرة لا الجنة (وانهم مفرطون) قرئ بكسر الراء مع التخفيف يعنى مسرفون وقرئ بكسر الراء مع التشديد يعنى مضيعون لاهل الله وقراءة الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها أى منسيون فى النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبيرة ومقاتل متروكون وقال قتادة معجلون الى النار وقال الفراء مقدمون الى النار والفرط المتقدم الى الماء قبل القوم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض أى متقدمكم (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) يعنى كما أرسلناك الى هذه الامة لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فكان شأنهم مع رسلهم التكذيب فضيه نسليه للنبي صلى الله عليه وسلم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) يعنى أعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزى فى الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وأغما جعل الشيطان آية بالقائه الوسوسة فى قلوبهم وليس له قدرة ان يضلل أحداً أو يهدي أحداً وأغما له الوسوسة فقط فن أراد الله شقاوته وسلطه عليه حتى يقبل وسوسته (فهو وليهم) أى ناصرهم (اليوم) ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وأغما سماه ولياً لهم لطاعتهم إياه (ولههم عذاب أليم) يعنى فى الآخرة (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه) يعنى فى أمر الدين والاحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من الحرام (وهدى ورجه) يعنى وما أنزلنا عليك الكتاب الا يهتدوا بهدى ورجه (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفعون به قوله سبحانه وتعالى (والله أنزل من السماء ماء) يعنى المطر (فأحياه) يعنى بالماء (الارض) يعنى بالنبات والزروع (بعد موتها) يعنى يسبحها وحيوتها (ان فى ذلك لآية) يعنى دلالة واضحة على كمال قدرتنا (لقوم يسمعون) يعنى سماع انصاف وتدبر وتفكر لان سماع القلوب هو النافع لاسماع الاذان فن سمع آيات الله أى القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات (وان لكم فى الانعام لعبرة

للناس) الذى اختلفوا فيه) هو البعث لانه كان فيهم من يؤمن به (وهدى ورجه) معطوفان على محل لتبين الانعام انتصبا على انهما مفعول افعالهم فاعمال الذى أنزل الكتاب ودخلت الدم على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل (لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحياه الارض بعد موتها) ان فى ذلك لآية (لقوم يسمعون) سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه لا يسمع (وان لكم فى الانعام لعبرة

نَسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بَطُونِهِ) وَبَفُحِ النَّوْنِ نَافِعٌ وَشَامِيٌّ وَأَبُو بَكْرٍ قَالَ الزَّجَاجُ سَقِيْتَهُ وَأَسْقِيْتَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كَرَسَدِيُوهُ بِالْأَنْعَامِ فِي الْأَسْمَاءِ الْمَفْرُودَةِ الْوَارِدَةِ عَلَى أَعْمَالٍ وَلِذَا رَجَعَ الضَّمِيرُ إِلَيْهِ مَفْرُودًا وَأَمَّا فِي بَطُونِهَا فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَنْ مَعْنَاهُ الْجَمْعُ وَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ كَأَنَّهُ قِيلَ كَيْفَ الْعِبرَةُ فَقَالَ نَسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بَطُونِهِ (مَنْ بَيْنَ فَرْثٍ وَدُمٍ لَبِنَا خَاصًّا) أَيْ يَخْلُقُ اللَّهُ اللَّبْنَ وَسَيْطًا بَيْنَ الْفَرْثِ وَالْدُمِ يَكْتَسِفَانِهِ وَيَنْسُهُ وَبَيْنَهُمَا بَرَزَخٌ لَا يَبِينُ أَحَدُهُمَا عَلَيْهِ بِلَوْنٍ (١٣٨) وَلَا طَعْمَ وَلَا رَاحَةَ بَلْ هُوَ خَاصٌّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ قِيلَ إِذَا أَلْكْتَ الْبُهْمَةَ الْعَلْفَ

فأستقر في كرشها طبعته
فكان أسقله فراوا وسطه
لبنا وأعلاه دما والكبد
مسلطة على هذه الاصناف
الثلاثة تقسمها فبحري
الدم في العروق واللبن في
الضروع ويبقى الفرث في
الكرش ثم يتحدرو في ذلك
عبرة لمن اعتبر وسئل
شقيق عن الاخلاص فقال
تميز العمل من العيوب
كتميز اللبن من بين فرث
ودم (سأثنا للشاربين)
سهل المرور في الحلق
ويقال لم يغص أحد باللبن
قط ومن الاولى للتبعيض
لان اللبن بعض ما في بطونها
والثانية لابتداء الغاية
ويتعلق (ومن ثمرات
التجسس والاعناب)
يحذوف تقديره ونسقيكم
من ثمرات التجسس
والاعناب أي من عصرهما
وحذف دلالة نسقيكم
قبله عليه وقوله (تخذون
منه سكرا) بيان وكشف
عن كنه الاسقاء أو
تخذون ومنه من تكرير
الظرف للتوكيد والضمير
في منه يرجع الى المضائق
المحذوف الذي هو العصر

يعني اذا تفكرتم فيها عرقتكم كمال قدر تساعى ذلك (نفسكم مما في بطونه) الضمة يراد الى الانعام وكان
حقه ان يقال مما في بطونها واختلاف الحيويون في الجواب فقبل ان لفظ الانعام مفرد وضع لا فادة
الجمع فهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكرو بحسب المعنى جمع فيكون ضميره
ضمير الجمع وهو مؤنث فلهذا المعنى قال هذا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنين مما في بطونها وهذا قول
أبي عبيدة والاخفش وقال الكسائي انه رده الى ما ذكره مما في بطون ما ذكرنا وقال غيره الكتابية
مردودة الى البعض وفيه اضممار كانه قال نفسكم مما في بطونه اللب فاضمر اللب ان ليس لكله اللب (من
بين فرث) وهو مما في الكرش من الثفل فاذا خرج منها لا يسمى فرثا (ودم لبننا خالصا) يعني من الدم
والفرث ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن عباس اذا اكلت الدابة العلف واستقر في كرشها
وطبخته كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلى له ما فالنكبد مسطرة عليه تقسمه بتقدير الله سبحانه وتعالى
فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الثفل كما هو (سائغا للشاربين) يعني هنيئا - هلا يجري
في الحلق بسهولة قبل انه لم يغص أحد باللبن قط هذا قول المفسرين في معنى هذه الآية وحكى الامام غفر
الدين الرازي قول الحكماء في ذلك فقال ولقائل أن يقول الدم واللبن لا يتولدان في الكرش البتة والدليل
عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا متوايلا وما رأى أحد في كرشها دما ولا لبنا بل الحلق أن الحيوان
اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته ان كان انسانا والى كرشه ان كان من الانعام وغيرهما فاذا
طبخ وحصل الهضم الاول فيه فما كان منه صافيا انجذب الى النكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ذلك
الذي حصل في النكبد ينطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء
وزيادة المائية فاما الصفراء فتذهب الى المرارة وأما السوداء فتذهب الى الطحال وأما المائية فتذهب
الى الكلية ومنها الى المثانة وأما الدم فيذهب في الاوردة وهي العروق النابتة من النكبد وهناك يحصل
الهضم الثالث وبين النكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع
لحم غددى رخو أبيض فيقلب الله عز وجل ذلك الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الغددى الرخو الابيض
فيصير الدم لبنا فهذا صورة تكون اللبن في الضرع فاللبن اغنيا يتولد من بعض أجزاء الدم والدم اغنيا يتولد
من بعض الاجزاء اللطيفة من الاشياء المائية كولة الحاصلة في الكرش فاللبن تولد أولا من الفرث ثم من
الدم ثانيا ثم صفاء الله سبحانه وتعالى بقدرته فجعله لبننا خالصا من بين فرث ودم وعند تولد اللبن في الضرع
يخلق الله عز وجل بلطيف حكمته في حلة الشدى ثقباصغارا ومسام ضيقة فيجعلها كالمصفاة لللبن فكل
ما كان لطيفا من اللبن يخرج بالمص أو الحلب وما كان كثيفا احتبس في البدن وهو المراد بقوله خالصا يعني
من شوائب كدرة الدم والفرث سائغا للشاربين يعني جاريا في حلقهم سهلا لا يذيا هنيئا امرئيا ۞ قوله عز
وجل (ومن غرات الخيل والاعناب) يعني ولكم ايضاء برة فيما نسقيكم ورزقكم من غرات الخيل
والاعناب (تتخذون منه) الضمير في منه يرجع الى ما تقدّمه ولكم من غرات الخيل والاعناب ما تتخذون
منه (سكر اورز قاحسا) قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وبراheim وابن أبي ليلى
والزجاج وابن قتيبة السكر انجر مبيت بالمصدر من قولهم سكر سكر او سكر والزجاج الحسن سائغا ما يتخذون

أحدهما أن الآية سابقة على تحريم الخمر فتكون منسوخة وثانيهما أن يجمع بين العقاب والمثوبة فيل السكر التبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشهد وهو حلال عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله إلى حد السكر ويحتاجان هذه الآية وبقوله عليه السلام الخمر حرام أعينها والسكر من كل شراب وبأخبار آية (ورزقاً حسناً) هو الخمر والزبيب وغير

ثمرات الخبث والاعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخيل وغير ذلك فان قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله عز وجل في معرض الانعام والامتنان قلت قال العلماء في الجواب عن هذا ان هذه السورة مكينة وتحريم الخمر انما نزل في سورة المائدة وهي مدنية فكان نزول هذه الآية في الوقت الذي كانت الخمر فيه غير محرمة وقيل ان الله عز وجل نبيه في هذه الآية على تحريم الخمر أيضاً لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسناً يدل على التحريم وروى العوفي عن ابن عباس ان السكر هو الخيل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر هو النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والخفي ومن يبيع شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الآية الاخبار بالاحلال وأولى الاقوال ان قوله تتخذون منه سكرام منسوخ من ابن عباس عن هذه الآية فقال السكر ما حرم من ثمراتها والرزق الحسن ما حل قلت القول بالنسخ فيه نظر لان قوله ومن ثمرات الخبث والاعناب تتخذون منه سكر او رزقاً حسناً خبر والاخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم انها منسوخة رأى ان هذه الآية رأت بمكة في وقت اباحة الخمر ثم ان الله تبارك وتعالى حرمها بالمدينة فحكم على هذه الآية بأنها منسوخة وقال أبو عبيدة في معنى الآية ان السكر الطعم يقال هذا سكر لك أي طعم لك وقال غيره السكر ما سد الجوع من قولهم سكرت النهر أي سدته والتمر والزبيب مما يسد الجوع وهذا شرح قول أبي عبيدة ان السكر الطعم (ان في ذلك) يعني الذي ذكر من انعامه على عباده (لاية) يعني دلالة واضحة واضحة (لقوم يعقلون) يعني ان من كان عاقلاً استدلل بهذه الآية على كمال قدرة الله تعالى ووجدانيته وعلم بالضرورة ان لهذه الاشياء خالقاً ومدبراً قادراً على ما يريد **قوله** سبحانه وتعالى (وأوحى ربنا الى النحل) لما ذكر الله سبحانه وتعالى دلائل قدرته وعجايب صنعته الدالة على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرت ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات الخبث والاعناب ذكر في هذه الآية اخراج العسل الذي جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة وهي النحلة فقال سبحانه وتعالى وأوحى ربنا الى النحل الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكير يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشياء المدبر لها بطيف حكمته وقدرته وأصل الوحي الاشارة الى سرية ذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد يقال للكلمة الالهية التي يلقيها الله الى أنبيائه وحي والى أوليائه الهام وتسخير الظير لما خلق له ومنه قوله تعالى وأوحى ربنا الى النحل يعني انه سخرها لما خلقها وألهمها رشدها وقدر في انفسهم اهداه هذه الاعمال الحميدة التي يجزئها العقل من البشر وذلك ان النحل بنى بيوتاً على شكل مسدس من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض مجرد طبايعها ولو كانت البيوت مدورة أو مثثة أو مربعة أو غير ذلك من الاشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل المقصود فألهمها الله سبحانه وتعالى أن تبنيها على هذا الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل وفرجة خالصة ضامة وألهمها الله تعالى أيضاً أن تجعل عليها أميراً كبيراً نافذا لحكم فيها وهي طبيعة وتقتل امره ويكون هذا الاميراً كبيراً جاشة وأعظمها خلقه ويسمى بعسوب النحل يعني ملكها كذا حكاه الجوهري وألهمها الله سبحانه وتعالى أيضاً أن جعلت على باب كل خلية نواباً لا يمكن غير أهلها من الدخول اليها وألهمها الله سبحانه وتعالى أيضاً ان يخرج من بيوتها قند وورعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص الحميدة الدالة على مزيد الكاء والفضيلة دل ذلك على الالهام الالهي فكان ذلك شبيهاً بالوحي فلذلك قال تبارك وتعالى وأوحى ربنا الى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر أيضاً قال الزجاج يجوز أن يقال معنى هذا الحيوان فخللان الله سبحانه وتعالى فخل الناس العسل الذي يخرج من بطونهم يعني أعطاهم وقال غيره النحل يذكرون يؤنث وهي مؤنثة في لغة الجاز وكذا أنها الله تعالى فقال (أن اتخذني من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون)

ذلك (ان في ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربنا الى النحل) وألهمهم (أن اتخذني من الجبال بيوتاً) هي أن المفسرة لان الإيجاف فيه معنى القول قال الزجاج واحد النحل نحلة كتنخل ونحلة وانشأنا باعتبار هذا ومن في من الجبال (ومن الشجر ومما يعرشون) يرفعون من سقوف البيت أو ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تعسل فيها للتبعية لانها لا تبني بيوتها في كل

جبل وكل شجر وكل ما يعرش والضمير في عرشون للناس وضم الرأشاي وأبو بكر (ثم كل من كل الثمرات) أي ابني البيوت ثم كل كل غرة تشبهها فإذا أكلتها (فأسلكي سبل (١٣٠) ربك) فادخلي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل أو إذا أكلت الثمار في

المواضع البعيدة من بيوتك فأسلكي إلى بيوتك واجعة سبل ربك لا تضلين فيها (ذلل) جمع ذلول وهي حال من السبل لأن الله تعالى ذلها وسهلها أو من الضمير في فأسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممنعة (يخرج من بطونها شراب) يريد العسل لأنه مما يشرب تلقيه من فيها (مختلف ألوانه) منه أبيض وأصفر وأحمر من الشبَاب والكحول والشبب أو على ألوان أغذيتها (فيه شفاء للناس) لأنه من جلة الادوية النافعة وقيل مجنون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل وليس الغرض أنه شفاء لكل مرض كان كل دواء كذلك وتذكيره لتعظيم الشفاء الذي فيه أولان فيه بعض الشفاء لأن التكرار في الاثبات يخص وشكاً رجل استطلاق بطن أخيه فقال عليه السلام اسقه عسلاً فجاءه وقال زاده شراً فقال عليه السلام صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً فشفاه فصع عن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء من كل داء القرآن شفاء لما في الصدور وفي رواية أخرى عنه عليكم بالشفاء من القرآن والعسل وروي نافع أن ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولا شيء الا يطبخ الموضع بالعسل ويقرأ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس (ق) عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أختي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلاً فشفاه ثم جاء فقال اني سقيته عسلاً فلم يزد الا استطلاقاً فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلاً فقال لقد سقيته فلم يزد الا استطلاقاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فشفاه فبرأ وقد اعترض بعض المخددين ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الأطباء مجمعون على ان العسل

يعني ينون ويسقفون وذلك ان النحل منه وحشي وهو الذي يسكن الجبال والشجر ويأوي إلى الكهوف ومنه أهلي وهو الذي يأوي إلى البيوت ويربيه الناس عندهم وقد جرت العادة ان الناس ينون للنحل الا ما كن حتى تأوي اليها وقال ابن زيد أراد بالذي يعرشون الكروم (ثم كل من كل الثمرات) يعني من بعض الثمرات لأننا كل من جميع الثمار فلفظة كل ههنا ليست للعموم (فأسلكي سبل ربك) يعني الطرق التي ألهمك الله أن تسلكها وتدخل في الاجل طلب الثمرات (ذلل) قيل انها نعت للسبل يعني انها مذللة مسهلة لك مسالكها قال مجاهد لا يتورع عليها مكان تسلكه وقيل المذل نعت للنحل يعني انها مذللة مسخرة لا وبها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكانها إلى مكان آخر حيث شاءوا وأردوا لا تستعصى عليهم (يخرج من بطونها شراب) يعني العسل (مختلف ألوانه) يعني ما بين أبيض وأصفر وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والازهار ويستحيل في بطونها عسلاً بقدره الله تعالى ثم يخرج من أفواهها بسبل كاللعاب وزعم الامام غفر الله له الرازي انه رأى في بعض كتب الطب أن العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار وأوراق الشجر فيجمعه النحل فتأكل بعضه وتدخل بعضه في بيوتها لانفسها تتغذى به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزاء الطيبة شيء كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول أقرب إلى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وأيضاً فاننا شاهدان النحل تتغذى بالعسل وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها بأن كل شجر يف في داخل البدن يسمى بطناً فقوله يخرج من بطونها يعني من أفواهها وقول أهل الظاهر أولى وأصح لاننا شاهدان به وجود في طعم العسل تلك الازهار التي تأكلها النحل وكذلك يوجد لها وريحها وطعمها فيه أيضاً وبعضهم اذا قول بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم له أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي أحذ منك قال سقني حفصة شربة عسل قالت جرت نحل العرط العرط شجر الطبخ وله صمغ يقال له المغافير كرهه الريححة فغنى جرت نحل العرط أكلت ورعت من العرط الذي له الريححة الكريمة فثبت بهذا الدليل صحة قول أهل الظاهر من المفسرين وانه يوجد في طعم العسل ولونه وريحته طعم ما يأكله النحل ولونه وريحته لا ما قاله الاطباء من انه طل لانه لو كان طلاً لكان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر لان مزاج الترنجبين معتدل إلى الحرارة وهو اللطيف من السكر ومزاج العسل حار يابس في الدرجة الثانية فينبغي ما فرق كبير وقوله كل شجر يف في داخل البدن يسمى بطناً فيه نظر لان لفظ البطن اذا أطلق لم ير دبه الا العضو المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله أعلم وقوله تعالى (فيه) يعني في الشراب الذي يخرج من بطون النحل (شفاء للناس) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود اذا الضمير في قوله فيه شفاء للناس يرجع إلى العسل وقد اختلفوا في هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض أو على الخصوص لمرض دون مرض على قواين أحدهما ان العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء القرآن شفاء لما في الصدور وفي رواية أخرى عنه عليكم بالشفاء من القرآن والعسل وروي نافع أن ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولا شيء الا يطبخ الموضع بالعسل ويقرأ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس (ق) عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أختي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلاً فشفاه ثم جاء فقال اني سقيته عسلاً فلم يزد الا استطلاقاً فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلاً فقال لقد سقيته فلم يزد الا استطلاقاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فشفاه فبرأ وقد اعترض بعض المخددين ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الأطباء مجمعون على ان العسل

القرآن والعسل ومن يدع الروايف ان المراد بالنحل على وقومه وعن بعضهم ان رجالاً قال عند المهدي اغما النحل بنوها ثم يخرج من بطونها العسل فقال له رجل جعل الله طعماً من ثمرات النحل يخرج من بطونها فصحت المهدي وحدث به المنصور

مسهل

مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فنقول في الرد على هذا المعتبر المحدث الجاهل بعلم الطب ان
الاسهال يحصل من انواع كثيرة منها التخم والهيمات وقد اجمع الاطباء في مثل هذا على ان علاجه بان
ترك الطبيعة وقولها فان احتاجت الى معين على الاسهال اعينت مادامت القوة باقية فاما حبسها فمضر
عندهم واستحجال مرض فيحصل ان يكون اسهال الشخص المذكور في الحديث أصابه من امتلاء
أو هيضة فدواؤه بترك اسهاله على ما هو عليه أو تقوية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب
العسل فزاده اسهالا فزاده عسلا الى ان قويت المادة فوقف الاسهال ويكون الخلط الذي كان به يوافقه
شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان امره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة
الطب وان المعتبر عليه جاهل لها واستانقص الاستظهار لصديق الحديث بقول الاطباء بل لو كذبوه
لكذبناهم وكفراهم بذلك وانما ذكرناه هذا الجواب الجاري على صناعة الطب دفعا لهذا المعتبر بانه
لا يحسن صناعة الطب التي اعترض بها والله أعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك
يحتمل انه صلى الله عليه وسلم علم بالوحى الالهى ان العسل الذي امره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم
يظهر نفعه في الحال عندهم قال صدق الله يعنى فيما وعد به من ان فيه شفاء وكذب بطن أخيك يعنى
باستحجال الشفاء في أول مرة والله أعلم بمراده واسرار رسوله صلى الله عليه وسلم فان قالوا كيف يكون
شفاء للناس وهو يضر باصحاب الصفر ايريهج الحرارة ويضر بالشباب المحررين ويعطش قننا في
الجواب عن هذا الاعتراض ايضا ان قوله فيه شفاء للناس مع انه يضر باصحاب الصفر ايريهج الحرارة
انه يخرج شرج الاغلب وانه في الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس لكل داء ولكنه في الجملة
دواء وان نفعه أكثر من مضرته وقل معجون من المعاجين الاوتام به والاشرى المتخذة من العسل نافعة
لاصحاب البلغم والشيخ المبرودين ومنافعة كثيرة جدا والقول الثاني انه شفاء للوجع التي شفاؤها فيه
وهذا قول السدى وقال مجاهد في قوله فيه شفاء للناس يعنى القرآن لانه شفاء من أمراض الشر والجهالة
والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول أصح لان الضمير يجب أن يعود الى أقرب المذكورات
وأقربها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو أولى ان يرجع الضمير اليه لانه أقرب
مذكور وقوله سبحانه وتعالى (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) يعنى فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا
على وحدانيتنا وقدرتنا وقوله عز وجل (والله خلقكم) يعنى أوجدكم من العدم وأخرجكم الى الوجود ولم
تكنوا شيئا (ثم يتوفاكم) يعنى عند انقضاء آجالكم اما صبيانا واما شبانا واما كهولا (ومنكم من يرد الى
أرذل العمر) يعنى أردأ وأضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الانسان له أربع مراتب أولها من
النشوء والتماء وهو من أول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد
ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل
ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهو من الأربعين الى الستين وهذه المرتبة بشرع الانسان في النقص
لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة من الشيخوخة والاعطاش من الستين الى آخر العمر
وفيها يتبين النقص ويكون الهرم والخرف وقال على بن أبى طالب رضی الله عنه أرذل العمر خمس
وسبعون سنة وقبل ثمانون سنة وقال قتادة سبعون سنة (ق) عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اللهم انى أعوذ بك من الهزل والسكسل والجبن والهرم والبل والاعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ
بك من فتنة الحيا والممات وفي رواية أخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه هذه
الدعوات اللهم انى أعوذ بك من الهزل والسكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الحيا والممات
وقوله تعالى (الذي لا يعلم بعد علم شيئا) يعنى ان الانسان يرجع الى حالة الطفولية بنسيان ما كان
يعلم بسبب الكبر وقال ابن عباس لى يصير كالصبي الذى لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد

فانخذوه أضحكة من
أصحابكم (ان في ذلك
آية لقوم يتفكرون) في
عجب أمرها فيعلمون ان الله
أودعها علما بذلك وفظنها كما
أعطى أولى العقول عقولهم
(والله خلقكم ثم توفاكم)
بقض أرواحكم من
أبدانكم (ومنكم من يرد
الى أرذل العمر) الى
آخره وأحقه وهو
خمس وسبعون سنة أو
ثمانون أو تسعون (لكيلا
يعلم بعد علم شيئا) لئلا
يعلم أولئك العلم زيادة علم
على علمه

(ان الله علم) بحكم التحويل الى الارذل من الاكل أو الى الافناء من الاحياء (قد بر) على تبادل ما يشاء كما يشاء من الاشياء (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) أي جعلكم (١٣٣) متفاوتين في الرزق فوزقكم أفضل مما رزق مما يليكم وهم بشر مثلكم (فما الذين فضلوا) في الرزق يعني الملائك

عليه بالامور شيئاً أشد هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفاً فيصير بعد ان كان عالماً ناجهاً لا ير يكمن الله من قدرته أنه كما قدر على اماتته واحيائه أنه قادر على نفيه من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقولا عنه ولو قال لا ير يكمن من قدرته أنه كما قدر على نفيه من العلم الى الجهل أنه قادر على احياؤه بعد اماتته ليكون ذلك دليلاً على صحة البعث بعد الموت لكان أجود قال ابن عباس ليس هذا في المسلمين لان المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء الا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً وقال في قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين قرؤا القرآن وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين يريد الكفار ثم استثنى المؤمنين فقال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى (ان الله علم) يعني بما صنع وأولياؤه وأعدائه (قد بر) يعني على ما يريد وقوله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) يعني ان الله سبحانه وتعالى بسط على واحد وضيق وقتر على واحد وكثروا واحداً وقال على آخره كما فضل بعضكم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض في الخلق والخلق والعقل والحكمة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك كله وهذا مما اقتضته الحكمة الالهية والقدرة الربانية (فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم) يعني من العبيد حتى يستوفوا فيه هم وعبيدهم يقول الله سبحانه وتعالى هم لا يرضون أن يكونوا هم ومما يليكم في رزقهم سواء وقد جعلوا عبيد شراكى في ملكي وسلطاتي بالزمن هذه الحجة المشركين حيث جعلوا الاصنام شركاء لله قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل يقول هل منكم أحد يرضى أن يسير كمن يملك في جميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل في معنى الآية أن المولى والمماليك الله رازقهم جميعاً (فهم فيه) يعني في رزقه (سواء) فلا تحسبن أن المولى يردون رزقهم على مما يليكم من عند أنفسهم بل ذلك رزق الله أجراء على أيدي المولى للمماليك والمقصود منه بيان ان الرزق هو الله سبحانه وتعالى لجميع خلقه وان المولى والمماليك في الرزق سواء وان المالك لا يرزق المملوك بل الرزق لله مالمالك والمالك هو الله سبحانه وتعالى وقوله (أفبعض الله يمجدون) فيه انكار على المشركين حيث يمجدون الله وعبدوا غيره وقوله عز وجل (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعني النساء خلق من آدم حواء وبناته وقيل جعل لكم من جنسكم أزواجا لانه خطاب عام بعم الكل فخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) الحفدة جمع حافده وهو المسمى في الخدمة المساع إلى الطاعة ومنه قوله في الدعاء واليت ذمى وتحفد أي تسرع إلى طاعته فهذا أضل في اللغة ثم اختلفت أقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والتخى الحفدة آخنان الرجل على بناته وعن ابن مسعود أيضا أنهم أصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجوهم فيجعل لكم بسببهم الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وعلى من أعانك فقد حفدك وقال عطاءهم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم أهل المهنة الذين يمتنون ويخدمون من الاولاد وقال مقاتل والكلي البني هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل على عمله وقال ابن عباس هم ولد الولد وفي رواية أخرى عنه أنهم بنو أمه الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الاقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشرك وبالحجة فان الحفدة هم غير البنين لان الله سبحانه وتعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهم مغايرة (ورزقكم من الطيبات) يعني النعم التي أنعم بها عليكم من أنواع الثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال من ذلك كله (أفبا لباطل يؤمنون) يعني

برادى) يعطى رزقهم على ما ملكت أيمانهم) فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقوه عليهم حتى تنساوا في الملبس والمطعم (فهم فيه سواء) حجة اسمية وقعت في موضع حجة فعلية في موضع النصب لانه جواب التثنية بالفاء وتقديره فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستوفوا مع عبيدهم في الرزق وهو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلوا لهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيت أن تجعلوا عبيد لي شركاء (أفبعض الله يمجدون) وبالتالي أبو بكر فجعل ذلك من جهة تجود النعمة (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي من جنسكم (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) جمع حافده وهو الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القائل واليت نسعى وتحفدوا خائف فيه فقيس لهم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد والمعنى وجعل

لكم حفدة أي خدما يمجدون في مصالحكم ويعينونكم (ورزقكم من الطيبات) أي بعضها لان كل الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا أغوزج منها (أفبا لباطل يؤمنون) هو ما يعتقدونه من منفعة الاصنام وشفاعتها بالاصنام

آن رزق شیأوان أردت

المرزوق كان شيئاً بديلاً منه

أَيُّ قَلْبٍ - لَا وَمِنَ السَّمَوَاتِ

والارض صلة للرزق ان كان

مص۔ درآی لایر زق من

السموات مطرا ولامن

الأرض نباتاً وصفة ان كان

اسماء البارزق والضمير

(ولا يستطعون) لا يقدرون

في معنى الآية له بعد ما قال

لا يعلل على اللفظ والمعنى

لا يعلو دون الرزق ولا يعظم

ان على الله ولا يمانى ذلك

مهم) فلا تصروا لله الامثال

له آي، ولا تحمدوا له شراً.

(ان الله يعلم) انه لامثله

من الخلق) وأنتم لا تعلمون

ذَلِكَ أَوَانِ اللَّهِ - لِمَ كَيْفَ

نضرب الامثال وانفسهم

لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَالْوَجْهَ الْأَوَّلَ

ثم ضرب المثل فقال (ضرب

اللہ (مثلاً عبد) ہو بدل

من مثلاً) مما لو كالا بقدر على

شئ ومن رزقناه متاعاً حسناً

فہو ینطق منہ سراجہرا)

مصدر وان في موضع الحال

ای مثلہ کم فی انہما کم

بِاللهِ الْاَوْثَانِ مِثْلَ مَنْ سَوَى

بين عبد الله بن عمار عن
الشيخ فخر الدين بن محمد بن أبي

المصرف ويبين حركاته
نقرا بالاشارة الا فهو يتصرف

ولا يقولون هذا شعر ليعتازوا من

الله وبه يهدى الى صراط مستقيم

المساكين فقال (وضع يده على كتفه)

ایمان و ایمان (و سرچشمه)

بالاصنام وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل معناه يصدقون ان الى شريكوا صاحبته وولدوا هذا اسمتهم
انكار اى ليس لهم ذلك (وبنعت الله هم بكفرون) يعنى انهم يضيفون ما انعم الله به عليهم الى غيره وقيل
معناه انهم يجعدون ما احل الله لهم (ويجعدون من دون الله لعلهم يربحوا من السموات والارض)
يعنى الاصنام التى لا تقدر على ازال المطر الذى فى السموات خراشه ولا يقدر على اخراج النبات الذى
فى الارض معدنه (شياً) يعنى لا يملك من الرزق شيئاً قليلاً ولا كثيراً وقيل معناه يعبدون ما لا يربز شيئاً
(ولا يستطيعون) يعنى ولا يقدر على شئ يذكر كبحر الاصنام عن ابطال نفع او دفع ضرر (فلا تقصر بوالله
الامثال) يعنى لا تشبهوا الله بخلقه فانه لا مثل له ولا شبهة ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبيد له وفى
ملكه فكيف يشبه الخالق بالخلق أو الرزق بالرزق أو القادر بالعاجز (ان الله يعلم) يعنى ما انتم عليه من
ضرب الامثال له (وانتم لا تعلمون) خطأ ما تضربون له من الامثال قوله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
لا يقدر على شئ ومن رزقناه منار رقا حسناً) لما نام اهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الامثال لقلة علمهم
ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه مثلاً فقال تعالى مثلكم فى اشراككم بالله والاوثان كمثل من سوى بين عبد
مملوك عاجز عن التصرف وبين حرك كريم مالك قادر قدر رزقه الله ما لا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف
يشاء فصرح العقل بشهد بانه لا تجوز التسوية بينهما فى التظيم والاجلال فلما لم تجز التسوية بينهما ما مع
استوائهما فى الخلقة والصورة البشرية فكيف يجوز للعاقل ان يسوى بين الله عز وجل الخالق القادر
على الرزق والافضال وبين الاصنام التى لا تملك ولا تقدر على شئ البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن
والكافر والمراد بالعبد المملوك الذى لا يقدر على شئ هو الكافر لانه لما كان محروما من عبادة الله
وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذى لا يقدر على شئ وقيل ان الكافر لما رزقه الله ما لا يفهم
فيه خيرا صار كالعبد الذى لا يملك شيئاً والمراد بقوله ومن رزقناه منار رقا حسناً المؤمن لانه لما اشتغل
بطاعة الله وعبوديته والاتفاق فى وجوه البر والخير صار كالحر المالك الذى ينفق سرا وجهراً فى طاعة الله
وابتغاء مرضاته وهو قوله سبحانه وتعالى (فهو ينفق مثله سرا وجهراً) فأثابه الله الجنة على ذلك فان قلت
لم قال عبدا مملوكا لا يقدر على شئ وكل عبده هو مملوك وهو غير قادر على التصرف قلت اغما ذكر المملوك ليمتيز
من الحر لان اسم العبد يقع عليهم جميعا لانهم امن بعبادة الله وقوله لا يقدر على شئ احتريزه عن المملوك
المكاتب والمأذون له فى التصرف لانهم لا يقدر ان على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الآية على ان العبد
لا يملك شيئاً (هل يستتوي) ولم يقل هل يستويان يعنى هل يستوى الاحرار والعبيد والمعنى كالا يستوى
هذا الفقير الخليل والغنى السخى كذلك لا يستوى الكافر العاصي والمؤمن الطائع وقال عطاء فى قوله عبدا
مملوكا هو أبو جهل بن هشام ومن رزقناه منار رقا حسناً هو أبو بكر الصديق ثم قال تعالى (الحمد لله) حمد
الله نفسه لانه المستحق لجميع الحمد لانه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لاهذه الاصنام
التي عبدوها هؤلاء فانها لا تستحق الحمد لانها اجاد عاجزة لا يلد لها على أحد ولا معروف فتحمد عليه اغما الحمد
الكامل لله لا لغیره فيجب على جميع العباد حمد الله لانه أهمل الحمد والثناء الحسن (بل أكثرهم) يعنى
الكفار (لا يعلمون) يعنى ان الحمد لاهذه الاصنام (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) هو الذى
ولد أخرس فكلى أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم والابكم الذى لا يفهم ولا يفهم (لا يقدر على شئ) هو

فيه وينفق منه ماشاء موقدا بالمولك ليميزه من الخمر لان اسم العبد يقع عليهم ما جيعا اذ هما من عبادا
المسكاتب والمأذون فهما بقدر ان على التصرف ومن موصوفة أى وحرار زقناه ابطا بقى عبدا أو موصو
لازادة الجمع أى لا يستوى القبيح لان (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) بان الحمد والعبادة لله ثم زاد فى
رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ) الابكم الذى ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم

(وهو كل على مولاه) أي ثقل وعبال على من يلي أمره ويعوله (أي يابو جهه) لا يأت بخير) حيثما يرسله ويصرفه في مطاب حاجه أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح (هل يستوى هو) (ومن يأمر بالعدل) أي ومن هو سليم الخواص نفاع ذو كفايات مع رشد (١٣٤)

وديانته فهو - ويأمر الناس بالعدل والخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحته ونعمته وللأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع (ولله غيب السموات والأرض) أي يختص به علم مغاب فيهم - ما عن العباد وخفي عليهم علمه أو أراد غيب السموات والأرض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم - (وما أمر الساعة) في قرب كونها وسرعة قيامها (الأكلمج البصر) كرجع طسرف وانما ضرب به المثل لأنه لا يعرف زمان أقل منه (أو هو) أي الأمر (أقرب) وليس هذا الشان المخاطب ولكن المعنى كوفائي كونها على هذا الاعتبار وقيل بل هو أقرب (إن الله على كل شيء قدير) فهو بقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال (والله أنخرجكم من بطون أمهاتكم) أو يكسر الألف وقع الميم على اتباعا لكسرة النون وبكسر هاء جزاء والهاء مزيدة في أمهات للتوكيد كما زيدت في أراق فقيل أرواق وشذت زياتها في الواحدة (لا تعلمون شيئا) حال أي غير طالين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة

للإنسان

للمنعم

زياتها في الواحدة (لا تعلمون شيئا) حال أي غير طالين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة

لعلكم تشكرون) أي وماركوب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والافتدة في فؤاد كالا غربة في غراب وهو من جوع الفسلة التي جرت بحري جوع الكثرة اعدم السماع في غيرها (المروا) وبالتاشي وحزة (الى الطير مسخرات) مذللات للطيران بما خلق (١٣٥) لهما من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك (في جوا السماء) هو الهواء

المبتاعد من الارض في سميت العلو (مايسكنهن) في قبضهن وبسطهن ووقوفهن (الاله) بقدرته وفيه نفى لما يصوره الوهم من خاصية القوى الطبيعية (ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) بأن الخلق لاغنى به عن الخالق (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) هو فعل بمعنى مفعول أي ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت أو الف (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هي قباب الادم (تستخفونها) ترونها خفيفة الحمل في الضرب والتقص والنقل (يوم ظعنكم) يسكون العين كوفي وشاي وبقيع العين غيرهم والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال (ويوم اقامتكم) فزاركم في منازلكم والمعنى انها خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر على ان اليوم بمعنى الوقت (ومن اصوافها) أي اصواف الضأن (وأوبارها) والأبل (وأشعارها) المعز (أثاننا) متاع البيت (ومتاعا) وشيئا يتنفع به (الى حين) مدة من الزمان (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) كالاشجار

للانسان من جلد خلقه وهو في بطن أمه قلت ذكر العلماء ان تقديم الانحراج وتأخير ذكر هذه الحواس لا يدل على ان خلقها كان بعد الانحراج لان الواو لا توجب السرياب ولان العرب تقدم وتأخر في بعض كلامها وأقول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكأنما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وان كانت قد خلقت قبل ذلك وقوله تعالى (لعلكم تشكرون) يعني انما أنعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من أنعم بها عليكم (المروا الى الطير مسخرات) يعني مذللات (في جوا السماء) الجوا الفضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير ترتفع في الجوا اثني عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك (مايسكنهن الله) يعني في حال قبض أجنحتها وبسطها واصطفافها في الهواء وفي هذا حيث على الاستدلال بها على ان لها مسخرات من مذللاتها وممسكا مسكها في حال طيرانها ووقوفها في الهواء وهو الله تعالى (ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) انما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم الذين يعتبرون بالآيات ويفكرون فيها وينفون بها دون غيرهم وقوله سبحانه وتعالى (والله جعل لكم من بيوتكم) يعني التي هي من الحجر والمدور (سكنا) يعني مسكنا تسكنونه والسكن ما سكنت اليه وفيه من الف أو بيت (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) يعني الخيام والقباب والاضحية والقساطيط المتخذة من الادم والانطاع واعلم ان المساكن على قسمين أحدهما ما لا يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهي البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما والقسمة الثاني ما يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهي الخيام والقساطيط المتخذة من جلود الانعام واليه الاشارة بقوله تعالى (تستخفونها) يعني يخف عليكم حملها (يوم ظعنكم) يعني في يوم سيركم ورحالكم في أسفاركم وظعن البادية هو اطلب ماء أو مرعى وشيئ ذلك (ويوم اقامتكم) يعني وتخف عليكم أضياف اقامتكم وحضركم والمعنى لا تثقل عليكم في الحالتين (ومن اصوافها أو أوبارها وأشعارها) الكناية عائدة الى الانعام يعني ومن اصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز (أثاننا) يعني نتخذون أثاننا الاثان متاع البيت الكبير واصله من أث اذا كثرت كثافت وقيل للمال أثان اذا كثرت قال ابن عباس أثاننا يعني مالا وقال مجاهد متاعا وقال القسبي الاثان المال أجمع من الابل والغنم والعيبد والمتاع وقال غيره الاثان هو متاع البيت من الفرش والاكسية ونحو ذلك (ومتاعا) يعني وبلاغا وهو ما يقتنعون به (الى حين) يعني الى حين يبلى ذلك الاثان وقبل الى حين الموت فان قلت أي فرق بين الاثان والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق قلت الاثان ما كثر من آلات البيت وحوائجه وغير ذلك فبدخل فيه جميع أصناف المال والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظتين والله أعلم (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) يعني جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد وهي ظلال الابنية والجدران والاشجار (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو ما يستسكن فيه من شدة الحر والبرد كالامراب والغيران ونحوها وذلك لان الانسان اما أن يكون غنيا أو فقيرا فاذا سافر احتاج في سفره ما يقية من شدة الحر والبرد فأما الغني فيستصحب معه الخيام في سفره ليدسكن فيها واليه الاشارة بقوله (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) أما الفقير فيسكن في ظلال الاشجار والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) وجعل لكم من الجبال أكنانا ولان بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم الى الظلال وما يدفع شدة وقوته أكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعاني في معرض الامتنان عليهم لان النعمة عليهم فيها ظاهرة (وجعل لكم سراويل تلبسكم الحر) يعني وجعل لكم قصا وثيابا من القطن والكتان والصوف وغير ذلك تمنعكم من شدة الحر قال أهل المعاني والبرد اكننى بذكر أحدهما دلالة الكلام عليه

والسدوف (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو ما ستركم من كهف أو غار (وجعل لكم سراويل) هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن (تلبسكم الحر) وهي ثياب البرد أيضا الا انه اكتفى بإحدى الصديدين ولان الوقاية من الحر أهم عندهم ليكون البرد

يسير المحملا (وسراييل تقيكم بأسكم) ودرود عمن الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم في قتالكم والبأس شدة الحرب والسر بالعام يقع على ما كان من حديد أو غيره (كذلك) (١٣٦) يتم نعمته عليكم لعلمكم تسلمون) أي تنظرون في نعمته الفاضلة فتؤمنون

به وتنقادون له (فان قولوا) (وسراييل تقيكم بأسكم) يعني الدروع والجواشن وسائر ما يلبس في الحرب من السلاح والبأس الحرب يعني تقيكم في بأسكم السلاح أن يصيبكم قال عطاء الخراساني اغنازل القرآن على قدومه عرفتم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال أكنا واما جعل لهم من السهول أعظم وأكثروا لكم ما كانوا أصحاب جبال كما قال ومن أصوافها وأوبارها وأشجارها وما جعل لهم من القطن والكتان أكثر ولكن كانوا أصحاب صوف ووبر وشعر وكما قال تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما أنزل من الثلج أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر ﴿وقوله سبحانه وتعالى الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يلي من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر﴾ وقوله سبحانه وتعالى (كذلك) يعني كما أنعم عليكم بهذه النعم (يتم نعمته عليكم) يعني نعم الدنيا والدين (لعلمكم تسلمون) يعني لعلمكم يا أهل مكة تخلصون لله الواحدانية والربوبية والعبادة والطاعة وتعلمون أنه لا يقدر على هذه الانعامات الا الله تعالى (فان قولوا) يعني فان أعرضوا عن الايمان بأن تصد بقل بالمحمد وآثروا ما هم فيه من الكفر واللذات الدنيوية فانما وبال ذلك عليهم لا عليهم (فانما عليكم البلاغ المبين) يعني ليس عليكم في ذلك عتب ولا سمة تقصير انما عليكم البلاغ وقد فلت ذلك ﴿ثم ذمهم الله تعالى بقوله﴾ (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها) قال السدي نعمت الله يعني محمد صلى الله عليه وسلم أنكروه وكذبوه وقيل نعمت الله هي الاسلام لانه من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده ثم أنكره وحده وقال مجاهد وقادة نعمت الله ما عده عليهم في هذه السورة من النعم بقرون بانهم من الله ثم اذا قيل لهم صدقوا وامتلوا أمر الله فيها ينكرونها ويقولون ورنناها عن آبائنا وقال الكلبي انه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كلها من الله تعالى لكننا بشفاعه آلهتنا وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان لما كان كذا وقيل انهم يعرفون بان الله أنعم هذه النعم ولكنهم لا يستعملونها في طلب رضوانه ولا يشكرونها عليها (وأكثرهم الكافرون) اغنا قال سبحانه وتعالى وأكثرهم الكافرون مع انهم كانوا كلهم كافرين لانه كان فيهم من لم يبلغ بعد هذه التكليف فغير بالاكثر عن البالغين وقيل أراد بالاكثر الكافرين الحاضرين المعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاند وان كان كافرا وقيل انه عبر بالاكثر عن الكل لانه قد يذكر الاكثر ويراد به الجميع ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ويوم نبعث من كل أمة شهيدا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على الكافرين وانكارهم لها ردكران أكثرهم كافرون اتبعه بذلك الوعيد لهم في الآخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيدا يعني رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد بالشهداء الانبياء يشهدون على أممهم بانكار نعم الله عليهم وبالكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) يعني في الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الكلام أصلا وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع الى دار الدنيا فيعتذروا ويتوبوا وقيل لا يؤذن لهم في معارضة اليهود بل يشهدون عليهم ويقروهم على ذلك (ولا هم يستعقبون) الاستعجاب طلب العتاب والمعتبة هي الغلظة والموجدة التي يجدها الانسان في نفسه على غيره والرجل انما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع الى الرضا عنه واذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على انه ثابت على غضبه عليه ومعنى الآية انهم لا يكلفون أن يرضوا بهم في ذلك اليوم لان الآخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون الى الدنيا فيعتوبوا ويرجعوا ويرضوا بهم فلا يستعجب التعرض لطلب الرضا وهذا باب منسد على الكفار في الآخرة (واذا رأى الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي (العذاب) يعني عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) يعني العذاب (ولا هم ينظرون) يعني لا يؤخرون ولا يمهلون (واذا رأى الذين أشركوا) يعني يوم القيامة (شركاءهم) يعني أصنامهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا (قالوا) ليس يدارع عمل ومعنى ثم انهم يمتنون أي يبتلون بعد شدة الايمان عليهم السلام بما هو أظلم وأغلب ربنا

منها وهو انهم يمتنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء مذكر ولا لادلا بجملة (واذا رأى الذين ظلموا) كفروا (العذاب فلا يخفف عنهم) أي العذاب بعد الدخول (ولا هم ينظرون) يمهلون قبله (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) أو ثانهم التي عبدوها (قالوا)

ربنا هؤلاء شركاؤنا) أي آلهتنا التي جعلناها شركاء (الذين كذبا دعوا من دونك) أي نعبد (فألقوا إليهم القول انكم لكاذبون) أي أجابوهم بالكذب لانها كانت جادا لا تعرف من عبدها ويحتمل انهم كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله عن الشرك (وألقوا) يعني الذين ظلموا (إلى الله يومئذ السلم) لقاء السلم الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد (١٣٧) الأباة والاستكبار في الدنيا (وضل عنهم)

وبطل عنهم (ما كانوا يفترون) من ان الله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا في أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) وجعلوا غيرهم على الكفر (زدناهم عذابا فوق العذاب) أي عذابا بكفرهم وعذابا يصدهم عن سبيل الله (عما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين الناس باصدهم (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعني نبيهم لانه كان يبعث أنبياء الامم فيهم منهم (وجنابك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) على أممك (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا) بليغا (لكل شيء) من أمور الدين أمانا (الاحكام المنصوصة فظاهر وكذا فيما ثبت بالسنة أو بالاجماع أو بقول الصحابة أو بالقياس لان مرجع الكل إلى الكتاب حيث أمرنا فيه باتباع رسوله عليه السلام وطاعته بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وحنأ على الاجماع فيه بقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته باتباع اصحابه

ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كذبا دعوا من دونك) يعني أربابا وكنا نعبدهم ونخذهم آلهة (فألقوا) يعني الاصنام (إليهم) يعني إلى عابديها (القول انكم لكاذبون) يعني ان الاصنام قالت للكفار انكم لكاذبون يعني في تسميتنا آلهة ومدعوننا كم إلى عبادتنا فان قلت الاصنام جادا لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام قلت لا يبعد ان الله سبحانه وتعالى لما بعثها وأعادها في الآخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالت ذلك والمقصود من اعادة ما بعثها أن تكذب الكفار ويراهم الكفار وهي في غاية الذلة والحقارة فيزدادون بذلك غلوا وحسرة (وألقوا) يعني المشركين (إلى الله يومئذ السلم) يعني انهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم ولم تكن عنهم آلهتهم شيئا (وضل عنهم) يعني وزال عن المشركين (ما كانوا يفترون) يعني ما كانوا يكذبون في الدنيا في قولهم ان الاصنام تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) يعني ضموا مع كفرهم انهم منعوا الناس عن الدخول في الايمان بالله ورسوله (زدناهم عذابا فوق العذاب) يعني زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الا على واختلافوا في هذه الزيادة ما هي فقال عبد الله بن مسعود عقارب لها أنياب كمثل النخل الطوال وقال سعيد بن جبيرة حيات كالبحر وعقارب أمثال البغال تسع احداهن السعة فيجد صاحبها أمها أربعين خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعني خمسة أمها ومن صفر مذاب كانا نرسيل بعدون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها وقيل بضاعف لهم العذاب ضعفا بسبب كفرهم وضعفا بسبب صدهم الناس عن سبيل الله (عما كانوا يفسدون) يعني ان الزيادة اغماضت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم) قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على أمته وهو عادل شاهد عليها (من أنفسهم) يعني منهم لان كل نبي ابعث من قومه الذين بعث إليهم يشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وإيمان وطاعة وعصيان (وجنابك) يعني يا محمد (شهيدا على هؤلاء) يعني على قومك وأممتك وتم الكلام هنا ثم قال تبارك وتعالى (ونزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (تبيانا لكل شيء) تبيانا لكل شيء من أمور الدين أمانا بالنص عليه أو بالاحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القرآن من الاحكام والحدود والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات واجماع الاممة فهو أيضا أصل ومفتاح لعلوم الدين (وهدي) يعني من الضلالة (ورجوة) يعني لمن آمن به وصدق به (وبشرى للمسلمين) يعني رقيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل قوله سبحانه وتعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) قال ابن عباس العدل شهادة أن لا اله الا الله والاحسان أداء الفرائض وفي رواية عنه قال العدل خلع الأنداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ان كان مؤمنا تحب أن يزداد ايمانا وان كان كافرا تحب أن يكون أخاك في الاسلام وقال في رواية أخرى عنه العدل التزجيد والاحسان الاخلاص وأصل العدل في اللغة المساواة في كل شيء من غير زيادة في شيء ولا غلوا ولا نقصان فيه ولا تفصيل فالعدل هو المساواة في المكافأة ان خير الخبير وان شرافئرو الاحسان أن تقابل الخير بأكثر منه والشر بان تغضو

(١٨ - خازن ثالث) بقوله اصحابي كالبحر بهم اقتديتم واهتديتم وقد اجتهدوا ووقاسوا ووطؤا طرق الاجتهاد والقياس مع انه أمرنا به بقوله فاعتبروا يا أولي الابصار فكانت السنة والاجماع وقول اصحابي والقياس مستندة إلى تبيان الكتاب فبين انه كان تبيانا لكل شيء (وهدي ورجوة وبشرى للمسلمين) ودلالة إلى الحق ورجوة لهم وبشارة لهم بالجنة (ان الله يأمر بالعدل) بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وإيصال كل ذي حق إلى حقه (والاحسان) إلى من أساء إليكم أو همأ الغرض والتدب لان الغرض لا بد من أن يقع فيه تغريظ فيجبره التدب

(وابتداء ذي القربى) واصطاد ذي القرابة وهو صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) عن الذنوب المفرطة في القبح (والمنكر) ما تنكره العقول (والبغى) طلب التناول بالظلم والكبر (يعظمكم) (١٣٨) حال أو مستأنف (اعلمكم تذكرون) تمنعون بعواظ الله وهذه الآية سبب

اسلام عثمان بن مظعون فانه قال ما كنت أسلمت الاحياء منه عليه السلام لكثرة ما كان يعرض على الاسلام ولم يستقر الايمان في قلبي حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الايمان في قلبي فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمهر وان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر وقال أبو جهل ان الله لبأمر عكازم الاخلاق وهي أجمع آية في القرآن للخبر والشرو لهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل ماء ورومته (وأوفوا بعهدهم الله اذا عاهدتم) هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعون الله (ولا تنقضوا الايمان) ايمان البيعة (بعدق كيدها) بعدق كيدها باعهم الله وأكذوك لغتان فصيحتان والاصل الواو والهـ حمزة بدل منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً) شاهداً وقيلاً لان الكفيل مراعى لحال المكفول به مهين عليه (ان الله يعلم ما تفعلون) من السبر والحش فيجازيكم به (ولا تكونوا) في نقض الايمان (كالتى نقضت غزلها من بعد قوة) كالمرأة

عنه وقيل العدل الانصاف والانصاف أعظم من الاعتراف بالمنعم بانعامه والاحسان ان تحسن الى من أساء اليك وقيل يأمر بالعدل في الافعال وبالاحسان في الاقوال فلا يفعل الا ما هو عدل ولا يقول الا ما هو حسن (وابتداء ذي القربى) يعنى بأمر بصلة الرحم وهم القرابة الادنون والابعدون منك فيستحب ان تصلهم من فضل ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فداءه حسن وتودد (وينهى عن الفحشاء) قال ابن عباس يعنى الزنا وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة (والمنكر) قال ابن عباس يعنى الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة (والبغى) يعنى الكبر والظلم وقيل البغى هو انتناول على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان أعجل المعاصي البغى ولوان جليلين بغى أحدهما على الآخر لذلك الباغى وقال ابن عيينة في هذه الآية العدل استواء السمر والعلانية والاحسان أن تكون سريرة أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغى أن تكون علانيته أحسن من سريرته وقال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى ذكر من المأمورات ثلاثة أشياء ومن المنهيات ثلاثة أشياء فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة في الاقوال والافعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهي ما قبح من الاقوال والافعال وذكر الاحسان وهو أن تعفو عن ظلمك وتحسن الى من أساء اليك وذكر في مقابلته المنكر وهو ان تنكر احسان من أحسن اليك ذكر ابتداء ذي القربى والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته البغى وهو أن تنكسر عليهم أو تظلمهم حقوقهم ثم قال تعالى (يعظكم اعلمكم تذكرون) يعنى انما أمركم بما أمركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكي تتعظوا وتذكروا فاعلموا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود ان أجمع آية في القرآن خير وشهر هذه الآية وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الاولى ونزلنا عيسى الكتاب تبياناً لكل شيء بين في هذه الآية المأمور به والمنهى عنه على سبيل الاجمال فبان شيء يحتاج اليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يتوكلوا به الاودة واشتمت عليه هذه الآية وروى عن كرمه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة ان الله يأمر بالعدل الى آخر الآية فقال له يا ابن أخي أعد على فأعادها عليه فقال له الوليد والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمهر وان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر ثم قوله عز وجل (وأوفوا بعهدهم الله اذا عاهدتم) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الاجمال ذكر في هذه الآية بعض ذلك الاجمال على التفصيل فبدأ بالأمر بالوفاء بالعهود لانه أكد الحقوق فقال تعالى وأوفوا بعهدهم الله اذا عاهدتم نزلت في الذين يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فأمرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد منه كل ما يلتزمه الانسان باختياره ويدخل فيه الوعد ايضا لان الوعد من العهد وقبل العهد ههنا الميثاق القتيبي العهد عين وكفارته كفارة عين فعل هذا يجب الوفاء به اذا كان فيه صلاح أما اذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف عينا ثم رأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن عينه فيكون قوله وأوفوا بعهدهم الله من العام الذي خصصته السنة وقال مجاهد وقادة نزلت في حلف أهل الجاهلية وشهدوا لهذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان في الجاهلية لم يزد الاسلام الا شدة (ولا تنقضوا الايمان بعدق كيدها) يعنى تشديد ما فتحوا ووافوا وفيه دليل على أن المراد بالعهود غير الميثاق لانه أعم منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً) يعنى شهيداً بالوفاء بالعهود (ان الله يعلم ما تفعلون) يعنى من وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً لنقض العهد فقال تعالى (ولا تكونوا) يعنى في نقض العهد (كالتى نقضت غزلها من بعد قوة) يعنى من بعد ابرامه

عليه وسلم أم تغفرون
بكثرة قرأش وقرؤهم وقلة
المؤمنين وفقهم (وليبيين
لكم يوم القيامة ما كنتم
فيه تختلقون) إذا جازاكم
على أعمالكم بالثواب
والعقاب وفيه تحذير عن
مخالفة ملة الإسلام (ولو شاء
الله لطمعكم أمة واحدة)
حنيفة مسلمة (ولكن يضل
من يشاء) من علم منه
اختيار الضلالة (ووجدى
من يشاء) من علم منه
اختيار الهداية (ولست أمان
عصا كنتم تعدون) يوم
القيامة تجزؤون به (ولا
تخذلوا أيمانكم دخلا
بينكم) كرر النهي عن
اتخاذ الأيمان دخلا بينهم
تأكيدا عليهم واطهارا
لعظمتهم (فقل قد بعد
نبوتها) فقل أقرامكم عن
محنة الإسلام بعد نبوتها
عليهم وأغما وحدت القدم
ونكرت لاستعظام أن نزل
قدم واحدة عن طريق
الطق بعد أن تثبت عليه
فكيف بأقدام كثيرة
(وتذوقوا السوء) في الدنيا (علا

واحكامه قال الكلبي ومقاتل هذه امر آمن من قرش يقال لهاريطه بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن عيم وكانت خرقاء حقاء بها وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلاً قد زراع وصنارة مثل الأصبع وفلسكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف أو الشعر أو الجبروت وأمر جواريسها بالغزل فكان يغزلن من الغداة إلى نصف النهار فإذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلن فكان هنذاذ أمهم والمعنى أن هذه المرأة لم تنكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقص فكذلك من نقض العهد لا تركه ولا حين عاهد وفيه (أنكثا) جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل أو الحبل بعد القتل (تخذون أيمانكم دخلاً بينكم) يعني دخلاً وخيانة وخديعة والدخل ما يدخل في الشيء على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل أن يظهر الرجل الوفاً بالعهود ويطن نقضه (أن تكون) يعني لا تكون (أمة هي أربي من أمة) يعني أكثر وأعلى من أمة قال مجاهد وذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا قوماً أكثر من أولئك وأعز نقضوا وحلف هؤلاء وحالفوا الأكثر والمعنى أنكم طلبتم العز بنقض العهد لأن كانت أمة أي جماعة أكثر من جماعة فنهأهم الله عن ذلك وأمرهم بالوفاً بالعهد لأن عاهدوا وحالفوا (أما يلوكم الله به) يعني يختبركم بما أمركم به من الوفاً بالعهد وهو أعلم بكم (وليدين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) يعني في الدنيا فيثيب الطائع الحق ويأقاب المسيء المخالف قوله سبحانه وتعالى (ولو شاء الله لجمع لكم أمة واحدة) يعني على ملة واحدة ودين واحد وهو دين الإسلام (ولكن يضل من يشاء) يعني يتخذ لانه إياه عدلاً منه (ويملي من يشاء) بتوفيقه إياه فضلاً منه وذلك مما اقتضته الحكمة الإلهية لا يستل عما يفعل وهم يستلون وهو قوله تعالى (ولتسلن مما كنتم تعملون) يعني في الدنيا فيجازي المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته أو يغفر له قوله عز وجل (ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم) يعني خديعة وفساداً بينكم فتعزوا بها الناس فيسكنوا إلى أيمانكم ويأمنوا اليكم ثم تنقضونها وأما كرر هذا المعنى تأكيده عليهم وإظهاراً لعظم أمر نقض العهد قال المفسرون وهذا في نهي الذين يادعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام نهاهم عن نقض عهده لأن الوعيد الذي بعده وهو قوله سبحانه وتعالى فتنزل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد غيره أما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإيمان به وبشرع الله وقوله (فتنزل قدم بعد ثبوتها) مثله يذكرك لكل من وقع في بلاء ومحنة بعد عافية ونعمة أو سقط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع في بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتنزل أقدامكم عن محبة الإسلام بعد ثبوتها عليها (وتذوقوا السوء) يعني العذاب (بما صدرتم عن سييل الله) يعني بسبب صدكم عن دين الله وذلك لأن من نقض العهد فقد علم غيره بنقض العهد فيكون هو أقدمه على ذلك (ولكم عذاب عظيم) يعني بنقضكم العهد (ولا تشتروا بعهد الله عنقاً قليلاً) يعني ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا بنقضها عوضاً من الدنيا قليلاً ولكن أو فواهاً (إن ما عند الله) يعني فإن ما عند الله من الثواب لكم على الوفاً بالعهد (هو خير لكم) يعني من عاجل الدنيا (إن كنتم تعلمون) يعني فضل ما بين العرضين ثم بين ذلك فقال تبارك وتعالى

صددتم) يصدودكم (عن سبيل الله) وخروجكم عن الدين أو يصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لا يتخذوا نقضها سبباً لغيرهم
يسقون بها (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة (ولا تشعروا) ولا تستبدلوا (بعهد الله) وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلاً) عوضاً
من الدنيا يسيراً كأن قوماً من أسلم بحكمة زين لهم الشيطان الجزعهم مear أو مان غلبة قريش واستضعافهم المسلمين ولما كانوا يعدونهم
ان يرجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بآبوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلهم الله (ان ما عند الله) من ثواب الآخرة (هو خير لكم
ان كنتم تعلمون

ما عندكم) من أعراض الدنيا (ينفذ وما عند الله) من خزان رحمة (باق) لا ينفد (وليحزن) وبالنون مكى وعاصم (الذين صبروا) على
أذى المشركين ومشاق الاسلام (أجرهم) (١٤٠) بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى) من مبهم يتناول النوعين

(ما عندكم ينفد) يعنى من متاع الدنيا ولذاتها ينفى ويذهب (وما عند الله باق) يعنى من ثواب الآخرة
ونعيم الجنة (وليحزن الذين صبروا) يعنى على الوفاء بالعهد على السراء والضراء (أجرهم) يعنى ثواب صبرهم
(بأحسن ما كانوا يعملون) عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب دنياه
أضر بآخرة ومن أحب آخرة أضر بدنياه فأثروا ما يبقى على ما يفنى وقوله سبحانه وتعالى (من عمل
صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن) فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فما فائدة الذكرا والأنثى قلت هو
مبهم صالح على الإطلاق للنوعين إلا أنه إذا ذكر وأطلق كان الظاهر تناوله للذكور دون الأنثى فتبطل من
ذكر أو أنثى على التبيين ليعلم الوعد للنوعين جميعا وجواب آخر هو أن هذه الآية واردة بالوعد بالثواب
والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتا للتأكد كيدوازال التوهم التخصيص وقوله
وهو مؤمن جعل الإيمان شرطاً في كون العمل الصالح موجباً للثواب (فلتحببته حياة طيبة) قال
سعيد بن جبيرة وعطاء هي الرزق الحلال وقال مقاتل هي العيش في الطاعة وقيل هي حلاوة الطاعة وقال
الحسن هي القناعة وقيل رزق يوم ويوم واعلم أن عيش المؤمن في الدنيا وإن كان فقيراً أطيب من عيش
الكافر وإن كان غنياً لأن المؤمن لما علم أن رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتدبيره وعرف أن الله محسن
كريم متفضل لا يفعل إلا الصواب فكان المؤمن راضياً بما قدره الله ورزقه أياه وعرف
أن له مصلحة في ذلك انقدر الذي رزقه أياه فاستراح نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك وأما
الكافر أو الجاهل بهذه الأصول الحريص على طلب الرزق فيكون أبداً في حزن ونعب وعناء وحرص وكد
ولا ينال من الرزق إلا ما قدر له فظهر من هذا أن عيش المؤمن القنوع أطيب من غيره وقال السدي الحياة
الطيبة أغلى تحصل في القبر لأن المؤمن يستريح بالموت من تكبد الدنيا وتعها وقال مجاهد وقادة في قوله
فلتحببته حياة طيبة هي الجنة وروى عوف عن الحسن قال لا تطيب لأحد الحياة إلا في الجنة لأن الحياة
بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملاك بلا هلاك وسعادة بلا شقاء فثبت بهذا أن الحياة الطيبة
لا تكون إلا في الجنة وأقوله في سياق الآية (وليحزنهم بأحسن ما كانوا يعملون) لأن ذلك الجزاء
أغنى يكون في الجنة وقوله عز وجل (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الخطاب فيه
للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان غير محتاج إلى
الاستعاذة وقد أمر بها غيره أولى بذلك ولما كان الشيطان ساعداً في إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم
وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
بالاستعاذة عند القراءة حتى تكون مصونة من وسواس الشيطان عن جبر بن مطعم أنه رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمر ولا أدري أي صلاة هي قال الله أكبر كبراً لا نأوا الحمد لله كثيراً
ثلاثاً وسبحان الله بكرة وأصيل ثلاثاً أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخته ونفثته وهوته قال نفخته
الكبر ونفثته السحر وهوته الموتة أخرجه أبو داود الموتة الجنون والغف في قوله فاستعذ بالله للتعقيب
قطاير لفظ الآية يدل على أن الاستعاذة بعد القراءة وإليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول
أبي هريرة وإليه ذهب مالك وجماعة وداود الظاهري قالوا لا يقرأ القرآن يستحق ثواباً عظيماً وربما
حصلت الوسوسة في قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب أم لا فإذا استعاذ بعد القراءة أيدفت تلك
الوسوسة وبقي الثواب مخلصاً فامدذهب أكثر من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وفقهاء
الأمصار فقد اتفقوا على أن الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية إذا أردت أن تقرأ القرآن

الآن ظاهره للذكور
فبين بقوله من ذكرا
أنثى ليعلم الموعد النوعين
جميعاً (وهو مؤمن) شرط
الإيمان لأن أعمال الكفار
غير معتد بها وهو يدل على
أن العمل ليس من الإيمان
(فلتحببته حياة طيبة) أى
في الدنيا بقوله (وليحزنهم
أجرهم بأحسن ما كانوا
يعملون) وعده الله ثواب
الدنيا والآخرة كقوله
فآتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة وذلك
أن المؤمن مع العمل الصالح
موسراً كان أو معسراً
يعيش عيشاً طيباً إن كان
موسراً فظاهراً وإن كان
معسراً فغيباً ما يطيب عيشه
وهو القناعة والرضا بقسمة
الله تعالى وأما الفاجر فأمره
بالعكس إن كان معسراً
فظاهراً وإن كان موسراً
فالحرص لا بدعه أن ينهأ
بعيشه وقيل الحياة الطيبة
القناعة أو حلاوة الطاعة
أو المعرفة بالله وصدق المقام
مع الله وصدق الوقوف
على أمر الله والاعراض
عما سوى الله (فإذا قرأت
القرآن) فإذا أردت قراءة
القرآن (فاستعذ بالله) فغير
عن إرادة الفعل بلفظ
الفعل لأنها سببه والقائه

فاستعذ

للتعقيب إذا انقراة المصدرة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور (من الشيطان) يعنى ابليس

(الرجيم) المطرود أو الملعون قال ابن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أعوذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم فقال لي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأني جبريل عليه السلام

(انه ليس له) لا بليس (سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) فالمؤمن المتوكل لا يقبل منه وسواسه (انما سلطانه على الذين يتولونه) يتخذونه وليا ويتبعونه وسواسه (والذين هم به مشركون) الضمير يعود الى ربهم أو الى الشيطان أي بسببه (واذا بدلنا آية مكان آية) تبديل الآية مكان الآية هو النسخ وإنه تعالى ينسخ الشرائع بأشرائع الحكمة وأما هو معنى قوله (والله أعلم بما ينزل) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو (قالوا انما أنت مفتر) هو جواب إذا وقوله والله أعلم (١٤١) بما ينزل اعتراض كانوا يقولون ان

محمد ليس بآية من آياته
اليوم بأمر وبنهاهم عنه
غدا فيأتيهم بما هو آهون
ولقد افتروا فادعوا
الاشق بالاهون والاهون
بالاشق (بل أكثرهم
لا يعلمون) الحكمة في ذلك
(قل نزل روح القدس)
أي جبريل عليه السلام
أضيف الى القدس وهو
الطهر كما يقال حاتم الجود
والمراد الروح المقدس
وحاتم الجود والمقدس
المطهر من المآثم (من
ربك) من عبده وأمره
(بالحق) حال أي نزل ملبسا
بالحكمة (ليثبت الذين
آمنوا) ليبايعهم بالنسخ حتى
إذا قالوا فيه هو الحق من
ربنا والحكمة لانه حكيم
لا يفعل الا ما هو حكمه
وصواب حكم لهم بثبات انهم
وصحبة اليقين وطمأنينة
القلوب (وهدي وبشري)
مفعول لهم ما معطوفان على
محلى ليثبت والتقدير ثبينا
اهم وارشادا وبشارة
(للمسلمين) وفيه تعريض
بحصول اضرار هذه الخصال
اغيرهم (ولقد علم انهم
يقولون انما يعلم بشر)

فاستعذ بالله ومثله قوله سبحانه وتعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الخ ومثله من الكلام
اذا أردت أن تأكل فقل بسم الله واذا أردت أن تسافر فأتأهب وأيضاً فان الوسوسة انما تحصل في أثناء
القراءة فتعذر الاستعانة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة اليها
ومذهب عطاء انه يجب الاستعانة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في غيرها ولا تفق سائر
الفقهاء على ان الاستعانة سنة في الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه المسئلة والخلاف فيها في أول سورة
الفاتحة والاستعانة الاعتصام بالله والاتجاء اليه من شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان
ابليس وقيل هو اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على الفاء الوسوسة في قلوب
بنى آدم باقدار الله اياهم على ذلك (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لما أمر الله
رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعانة من الشيطان فكان ذلك أو هم ان له قدرة على التصرف في أبدان
بنى آدم فأزال الله سبحانه وتعالى هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان يعني ليس له قدرة ولا ولاية على الذين
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على ان يحملهم على ذنب لا يغفر (١) ويظهر من
هذا ان الاستعانة انما تنفذ اذا حضر بقاب الانسان كونه ضعيفا وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة
الشيطان الا بعصمة الله ولهذا قال المحققون لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله
الا بتوفيق الله ثم قال تعالى (انما سلطانه على الذين يتولونه) يعني يطعمونه ويبدخلون في ولايته يقال توليته
اذا أطعته وتوليت عنه اذا أعرضت عنه (والذين هم به مشركون) يعني بالله وقبل الضمير في به راجع الى
الشيطان والمعنى هم من أجله مشركون بالله ﷻ قوله سبحانه وتعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما
ينزل) وذلك ان المشركين من أهل مكة قالوا ان محمد ليس بآية من آياته (اي جبريل عليه السلام) فأنزل الله
ما هو الامتياز بقوله من تلقاء نفسه فأنزل الله هذه الآية والمعنى واذا نسخنا حكم آية فأنزلنا مكانها حكما
آخر والله أعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام والمعنى والله أعلم بما ينزل من النسخ وبما هو أصل
خلقه وبما يغير ويبطل من أحكامه أي هو أعلم بجميع ذلك مما هو من مصالح عباده وهذا نوع توبيخ
وتقريع للكفار على قواهم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (قالوا انما أنت مفتر) أي تخلق
من عندك والمعنى اذا كان الله تعالى أعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمد الى الافتراء والكذب لاجل
التبديل والنسخ وانما فائدة ذلك ترجع الى مصالح العباد كما يقال ان الطبيب يأمر المريض بشرب دواء ثم
بعد ذلك ينهيه عنه ويأمره بغيره لما يرى فيه من المصلحة (بل أكثرهم لا يعلمون) يعني لا يعلمون فائدة
النسخ وتبديل المنسوخ (قل) أي قل لهم يا محمد (نزل) يعني القرآن (روح القدس) يعني جبريل
صلى الله عليه وسلم أضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وطه الخبر والمعنى الروح القدس
المطهر (من ربك) يعني ان جبريل نزل بالقرآن من ربك يا محمد (بالحق ليثبت الذين آمنوا) يعني ليثبت
بالقرآن قلوب المؤمنين فيزدادوا ايمانا وبقينا (وهدي وبشري) يعني وهو هدي وبشري (للمسلمين)
ﷻ قوله عز وجل (ولقد علم انهم يقولون انما يعلم بشر) وذلك ان كفار مكة قالوا انما يعلم هذه القصص
وهذه الاخبار من انسان آخر وهو آدمي مثله وليس هو من عند الله كما يزعم فأجابهم الله بقوله ولقد علم انهم

أرادوا به غلاما كان لحويطب قد أسلم وحسن اسلامه اسمه عائش أو بعش وكان صاحب كتب أو هو جبر غلام روى لعائش من الحضري
أوعبدان جبر ويسار كانا يقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن أو سلمان الفارسي
(١) قوله ويظهر من هذا اسم الإشارة راجع لما ذكره قبل قول سفيان كما يعلم من الفخر فانه لم يذكر في هذا المحل قول سفيان وقد كرمه الله
ومابعده وعبارته صحيحة بخلاف ما هنا فانه يوجب رجوع اسم الإشارة لقول سفيان وهو غير ظاهر

(لسان الذي يلدون اليه) وفتح الباء والحاء (١٤٢) حزة وعلى (أعجمي وهذا لسان عربي مبين) أي لسان الرجل الذين يميلون قولهم

يقولون اغمايعله بشر واختصوا في ذلك بالبشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بكنه اسمه بلعام وكان نصرانيا أعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فيكفون يقولون اغمايعله بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ غلاما بنى المغيرة يقال له يعش فكان يقرأ الكتب فقالت قريش اغمايعله يعش وقال محمد بن اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كتب يرا ما يجلس عند المروة الى غلام روى نصراني عبد بعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عبيد الله بن مسلمة كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لاهدهما يارويكي بأفككهم ويقال للآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بكنه وكانا يقرآن التوراة والإنجيل بكنه فربما هما النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن فيقف ويستمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أذاه الكفار يقول اغمايعله ما فيتروح بكلامهم ما فقال المشركون اغمايعله محمد بنهما وقال الفراء قال المشركون اغمايعله محمد بن عائش مملوك كان لحويط بن عبد العزى كان نصرانيا وقد أسلم وحسن اسلامه وكان أعجميا وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل ان الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اغمايعله هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها لنفسه ويرحمه انه وحى من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك فأجاب الله عنه وأنزل هذه الآية تكذيبا لهم فيما رواه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى (لسان الذي يلدون اليه) يعني يميلون ويشيرون اليه (أعجمي) يعني هو أعجمي والاعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه وان كان يسكن البادية ومنه معنى زياد الاعجم لانه كان في لسانه عجمة مع انه كان من العرب والعجمي منسوب الى العجم وان كان فصيحاً بالعربية والاعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الامصار من بلاد العرب وهو منسوب الى العرب (وهذا لسان عربي مبين) يعني بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو ان الذي يشيرون اليه رجل أعجمي في لسانه عجمة فتدبره من الانبياء بفتح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم جاءكم بهذا القرآن الفصح الذي عجزتم أنتم عنه وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدرون هو أعجمي على مثله وأين فصاحته هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون اليه فثبت بهذا البرهان ان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحى أوحاه الله اليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون اليه ولا هو أتى به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله عز وجل اليه وروى ان الرجل الذي كانوا يشيرون اليه أسلم وحسن اسلامه (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني لا يصدقون انها من عند الله (لا يهديهم الله) يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة ثم أخبر الله سبحانه وتعالى ان الكفار هم المفترون فقال تعالى (اغمايقرى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني اغمايقرى على فريضة الكذب من لا يؤمن بآيات الله فهو رد أقول كفار قريش اغمايقرى مفترون (وأولئك هم الكاذبون) يعني في قولهم اغمايعله بشر لا محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت قد قال تبارك وتعالى اغمايقرى الكذب فامعنى قوله تعالى وأولئك هم الكاذبون والثاني هو الاول قلت قوله سبحانه وتعالى اغمايقرى الكذب اخبار عن حال قولهم وقوله وأولئك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل غيره كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول ومن عادتك الكذب وفي الآية دليل على ان الكذب من أخش الذنوب البكر لان الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمن بآيات الله روى البغوي بأسناد الثعلبي عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يترى قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى اغمايقرى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴿وقوله تعالى﴾ (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان)

عن الاستقامة اليه لسان أعجمي غير مبين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالوا طعنهم وهذه الجملة أعني لسان الذي يلدون اليه أعجمي لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم واللسان اللغة ويقال الحمد القبر ولحده وهو المد والمحد اذا أمل حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا الحمد فلان في قوله والحمد في دينه ومنه الحمد لانه أمال مذهبه عن الاديان كلها (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي القرآن (لا يهديهم الله) ماداموا مختارين الكفر (ولهم عذاب أليم) في الآخرة على كفرهم (اغمايقرى الكذب) على الله (الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي اغمايقرى افتراء الكذب عن لا يؤمن لانه لا يتقرب عقابا اليه وهو رد قولهم اغمايقرى مفترون (وأولئك) اشارة الى الذين لا يؤمنون أي وأولئك (هم الكاذبون) على الحقيقة البكالون في الكذب لان تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو وأولئك هم الكاذبون

في قولهم اغمايقرى مفترون وان يكون (من كفر بالله من بعد ايمانه) شرطاً مبتدأ وحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قبل من كفر بالله فعليه غضب (الامن أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ساكن به

(ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي طاب به نفسا واعتقده (فعليهم غضب من الله (١٤٣) وأهم عذاب عظيم) وإن يكون بدلا من الذين

لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل أولئك هم الكاذبون اعترضا بين البديل والمبدل منه والمعنى انما يقترن الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وإن يكون بدلا من المبدل الذي هو أولئك أي ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون أو من الخبر الذي هو الكاذبون أي وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه وإن يقتصب

على الذم روي أن ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا وكان فيهم من أكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقدا لإيمان منهم عمار وأما أبو ياسر وسيمية فقد قتلوا وهم أول قتيلين في الإسلام فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمارا كفر فقال كلان عمار ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله يصيح عنييه وقال مالك إن عادوا لك فعد لهم عما قلت وما فعل أبو عمار أفضل لأن في العدم برعى القتل اعزازا للإسلام

نزلت في عمار بن ياسر وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسر وأمه سمية وصحبوا باللا وخبابا وسالمًا فعذبوهم أجمعوا عن الإسلام فأما سمية أم عمار فأنهار بطن بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر فها أول قتيلين قتلا في الإسلام وأما عمار فإنه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرها قال قتادة أخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه في بئر ميمون وقالوا له أكره بمعمد فبأيههم على ذلك وقلبه كاره وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمارا كفر فقال كلان عمار ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال شرياز رسول الله نلت منك رذ كرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالإيمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصيح عنييه وقال إن عادوا لك فعد لهم بما قلت فترأت هذه الآية وقال مجاهد نزلت في أناس من أهل مكة آمنوا فكتب إليهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن هاجروا الدين فأنالواكم من أحتى نهاروا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش في الطريق فقتلواهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا القول ضعيف لأن الآية مكية وكان هذا في أول الإسلام قبل أن يوحىوا بالهجرة وقال مقاتل نزلت في جبرمولى عامر بن الحضرمي أكرهه سميده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالإيمان ثم أسلم عامر بن الحضرمي مولى جبرمولى حسن إسلامه وهاجرا إلى المدينة والاولى أن يقال إن الآية عامة في كل من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان وإن كان السبب خاصا فإن قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناءه من الكافر فما معنى هذا الاستثناء في الأمن أكره قلت المكره لما ظهر منه بعد الإيمان ما يشبه ما يظهر من الكافر طوطا صريح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكله والله أعلم

((فصل في حكم الآية)) قال العلماء يجب أن يكون الإكراه الذي يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفران بعذب بعذاب لا طاق له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والإلامات القوية مثل التعذيب بالنار ونحوه قال العلماء أول من أظهر الإسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وأبو ياسر وأمه سمية فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فذعه الله من أذى المشركين بعجه أبي طالب وأما أبو بكر فذعه قومه وعشيرته وأخذوا أسلحتهم وألبسوا أدرع الحديد وأجلسوا في سحر الشمس عكة فاما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول أحسأ أحسأ حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه وقتل ياسر وسيمية كما تقدم وقال خباب لقد أودوا إلى نار ما أطفأها الا أولئك ظهورى وأجمعوا على أن من أكره على الكفر لا يجوز له أن يتلفظ بكلمة تصريحا بل يأتي بالمعاريض وعباؤهم أنه كفر فلو أكره على التصريح بباح له ذلك بشرط طمأنينة القلب على الإيمان غير معتقدا ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان أفضل لأن ياسر وسيمية قتلوا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلالا صبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلماء من الأفعال ما يتصور الإكراه عليها كشرب الخمر أو كل لحم الخنزير والميتة ونحوها فن أكره بالسيف أو القتل على أن يشرب الخمر أو يأكل الميتة أو لحم الخنزير أو نحوها جاز له ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان أفضل ومن الأفعال ما لا يتصور الإكراه عليه كالزنا لان الإكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع انتشار الآلة فلا يتصور فيه الإكراه واختلاف العلماء في طلاق المسكنة فقال الشافعي رضى الله تعالى عنه وأكثر العلماء لا يقع طلاق المسكنة وقال أبو حنيفة يقع حجة الشافعي ومن وافقه قوله سبحانه وتعالى لا إكراه في الدين ولا يمكن أن يكون المراد في ذاته لان ذاته موجودة فوجب حمله على نفي آثاره والمعنى أنه لا أثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالإيمان فيه دليل على أن محل الإيمان هو القلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) يعني فقهه ووسعه لقبول الكفر واختره ورضى به (فعليهم غضب من الله وأهم عذاب عظيم) يعني في الآخرة (ذلك بانهم

(ذلك) إشارة إلى الوعيد وهو حق الغضب والعذاب العظيم بانهم

استحبوا) آثروا) (الحياة الدنيا على الآخرة) أي بسبب إيتارهم الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) ماداموا محتارين للكفر (أو لئن الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فلا يتدبرون ولا يصغون إلى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد (وألئلكم هم الغافلون) أي الكاملون في الغفلة (١٤٤) لأن الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنهاها (لا جرم أنهم في الآخرة هم

استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) يعني يكون ذلك الاقدام على الارتداد إلى الكفر لاجل أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) يعني لا يرشدهم إلى الإيمان ولا يوفقهم للعمل به (أو لئن الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) تقدم تفسيره (وألئلكم هم الغافلون) يعني عميرونهم من العذاب في الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) يعني أن الإنسان اغما يعمل في الدنيا ليربح في الآخرة فإذا دخل النار بان خسارته وظهر غيبته لأنه ضيع رأس ماله وهو الإيمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر ﴿قوله عز وجل﴾ (ثم إن الذين هاجروا من بعد ما فتنوا) يعني عذبوا ومنعوا من الدخول في الإسلام فقتلهم المشركون (ثم جاهدوا وصبروا) عن الإيمان والهجرة والجهاد (إن ربك من بعدها) يعني من بعد الفتن التي فتنوها (لغفور رحيم) نزلت هذه الآية في عباس بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل من الرضاعة وقيل كان أخاه لأمه وفي أبي جهل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفي فقتلهم المشركون وعذبوهم فأعطوهم بعض ما أرادوا المسلموا من ثمرهم ثم أنهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي سرح كان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فأرسله لحق بدار الحرب فلما كان يوم فتح مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان وكان أخاه لأمه فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم فسلم وحسن إسلامه وهذا القول إنما يصح إذا قلنا أن هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الآيات المدنية في السور المبكيات والله أعلم بحقيقة ذلك ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) يعني تخاضع وتخرج عن نفسها أي بما أسلفت من خير وشر اشتغلت بالمجادلة لا تنفرغ إلى غيرها فان قلت النفس هي نفس واحدة وليس لها نفس أخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قلت إن النفس قد يراد بها بدن الإنسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس الأولى هي مجموع ذات الإنسان وحقيقته والنفس الثانية هي بدنه فهي عيونه وأذاها أيضا والمعنى يوم تأتي كل إنسان يجادل عن ذاته ولا يهتم به غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار عما لا يقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات (وتوفي كل نفس ما عملت) يعني جزاء ما عملت في الدنيا من خير أو شر (وهم لا يظلمون) يعني لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيئا بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولا نقصان روى ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لا تكعب الأخبار خوفا فقال يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده لو وافيت القيامة بمثل عمل سبعة عشرين نبيًا لانت عابداً ساجداً وأنت لا يهلكك إلا نفسك وإن جهنم أترقر زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جئنا على ركبته حتى إبراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا أسألك إلا نفسي وإن نصديق ذلك فيما أنزل الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ما نزل الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاضع الروح الجسد فتقول الروح يارب لم تكن لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها ويقول الجسد يارب أنت خلقتني كالخشب استلبت لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فناء هذا الروح كشعاع النور فيه نطق لسان وبه أبصرت عينا وبه مشيت رجلا لا يضرب الله لها مثلاً أعمى ومقعد دخلا طائيا يعني استأنا فيه غار فلا عمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يناله فحمل الأعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب ﴿قوله عز وجل﴾ (وضرب الله مثلا قرية) المثل عبارة عن قول

الخاسرون ثم إن ربك ثم يدل على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك (الذين هاجروا) من مكة أي أنه لهم لا عليهم يعني أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون المالك للرجل لا عليه فيكون محبباً منفوفاً غير مضرود (من بعد ما فتنوا) بالعداب والاكراه على الكفر فتنوا واشى أي بعد ما عذبوا المؤمنين ثم أسلموا (ثم جاهدوا) المشركين بعد الهجرة (وصبروا) على الجهاد (إن ربك من بعدها) من بعد هذه الأفعال وهي الهجرة والجهاد والصبر (لغفور رحيم) لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقيهم (رحيم) لا يبعدهم عن علي ما قالوا في حالة الاكراه (يوم تأتي) منصوب بـ رحيم أو يذكروا (كل نفس تجادل عن نفسها) وإنما أضيفت النفس إلى النفس لأنه يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجسدية كما هي فالنفس الأولى هي الجسدية والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لاجل شأنه غيره كل يقول نفسي نفسي

ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أولنا ربنا أنا أطعنا ساداتنا وكبرائنا الآية والله ربنا ما كنا مشركين (وتوفي كل نفس ما عملت) تعطي جزاء عملها أو أيا (وهم لا يظلمون) في ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطلتهم النعمة فكفروا ونولوا فأنزل الله بهم نعمته فيجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وإن

في شيء يشبهه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليس بين أحدهما الآخر وبصوره وقيل هو عبارة عن المشابهة
 لغيره في معنى من المعاني أي معنى كان وهو أعم الالفاظ الموضوعه للمشابهة قال الامام نضر الدين الرازي
 المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشئ موجوداً أو لم يكن وقد يضرب بشئ
 موجود معين فهذه القرية التي ضرب الله بها هذا المثل يحتمل أن تكون شيئاً مفروضاً ويحتمل أن تكون
 قرية معينة وعلى التقدير الثاني فذلك القرية يحتمل أن تكون مكة أو غيرها والاكثر من المفسرين
 على أنها مكة والأقرب أنها غير مكة لأنها ضربت مثلاً لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال الزمخشري في
 كتابه الكشاف وضرب الله مثلاً قرية أي جعل القرية التي هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم
 فأطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نعمته فيجوز أن تراد قرية مقصورة على هذه الصفة وإن
 تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضر بها الله مثلاً لمكة أنذاراً من مثل عاقبتها وقال الواحدي
 ضرب المثل ببيان المشبه وبه وههنا ذكر المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والآية
 عند عامة المفسرين نازلة في أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الأمن والنعمة بتكذيبهم
 النبي صلى الله عليه وسلم فتقدير الآية ضرب الله مثلاً لقرية يتكلم أي بين الله لها شيئاً ثم قال قرية فيجوز أن
 تكون القرية بدلاً من مثلاً لأنها هي الممثل بها ويجوز أن يكون المعنى ضرب الله مثلاً مثل قرية خذف
 المضاف هذا قول الزجاج والمفسرون كلهم قالوا أرادوا بقرية مكة يعني أن أراد مكة في تشبيهها بقرية
 صفها ما ذكره وقال ابن الجوزي في هذه القرية قولان أحدهما أنها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة
 والجمهور وهو الصحيح والثاني أنها قرية أو سمع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبر فبعث الله عليهم
 الجوع قاله الحسن وأقول هذه الآية نزلت بالمدينة في قول مقاتل وبعض المفسرين وهو الصحيح لأن الله
 سبحانه وتعالى وصف هذه القرية بصفات سنة كانت هذه الصفات موجودة في أهل مكة فضر بها الله
 مثلاً لأهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم ما أصابهم من الجوع والخوف ويشهد
 لصدقه ما قبلت أن الخوف المذكر في هذه الآية في قوله فإذا ألقاهم الله لباس الجوع والخوف هو البعوث
 والسر يا التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعثها في قول جميع المفسرين لأن النبي صلى الله عليه وسلم
 لم يؤمر بالقتال وهو عبدة وإنما أمر بالقتال لما هاجر إلى المدينة فكان يبعث البعوث والسر يا التي حول
 مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله أعلم بمراده وأما تفسير قوله تعالى وضرب الله مثلاً لقرية يعني مكة
 (كانت آمنة) يعني ذات أمن لا يهاج أهلها ولا يغار عليهم (مطمئنة) يعني قارة بأهلها لا يحتاجون إلى
 الانتقال عنها للاختلاج كما كان يحتاج إليه سائر العرب (يأتونها رزقها رغداً) يعني وأسرها (من كل مكان)
 يعني يحمل إليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله سبحانه وتعالى يبعث إليهم ثمرات كل شئ وذلك
 بدعوة إبراهيم صلى الله عليه وسلم وهو قوله وادرك أهلهم من الثمرات (فكفرت) يعني هذه القرية والمراد
 أهلها (بأنعم الله) جمع نعمة والمراد بها سائر النعم التي أنعم الله بها على أهل مكة فلما قابوا نعم الله التي أنعم
 بها عليهم بالجور والكفر لا جرم أن الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى (فإذا ألقاهم الله لباس الجوع والخوف)
 وذلك أن الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت عنهم العرب الميرة بأمر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا فأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعهن
 وهو الورب يعالج بالدم ويختلط به حتى يؤكل حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع
 ثم إن رؤساء مكة كلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا ما هذا أهلنا عادت الرجال فمبال
 النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في حمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون
 والخوف يعني خوف بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسميائه التي كان يبعثها للآفة فكانت تطيف بهم
 وتغير على من حولهم من العرب فكان أهل مكة يخافونهم فإن قلت الآفة واللباس استعارتان فما

تكون في قرى الأولين قرية
 كانت هذه حالها فضر بها الله
 مثلاً لمكة أنذاراً من مثل
 عاقبتها (كانت آمنة)
 من القتل والسبي
 (مطمئنة) لا يزعجها خوف
 لأن الطعام يئتيها مع الأمن
 والازعاج والقلق مع
 الخوف (يأتونها رزقها
 رغداً) وأسرها (من كل
 مكان) من كل بلد (فكفرت)
 أهلها (بأنعم الله) جمع نعمة
 على ترك الاعتداد بالآفة
 كدفع رادع أو جمع نعم
 كبؤس وأبؤس (فإذا ألقاهم
 الله لباس الجوع والخوف

بما كانوا يصنعون) الاذاقة واللباس استعارتان والاذاقة المستعاره موقفة على اللباس المستعار ووجه صحة ذلك ان الاذاقة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشبوعها (١٤٦) في البلبا والشدايد وما عيس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس وانصر

وجه صحته ما والاذاقة المستعاره موقفة على اللباس المستعار فواجه صحة ايقاعها عليه وهو ان اللباس لا يذاق بل يلبس فيقال **كساهم الله لباس الجوع** أو يقال **فاذا قمهم الله طعم الجوع** قلت قال صاحب الكشاف اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشبوعها في البلبا والشدايد وما عيس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس وانصر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتغاله على اللابس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان ما يشهد بصحة ما قال وقال الامام نضر الدين الرازي جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان أحدهما ان المذوق هو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع والثاني ان ذلك الجوع كان شديدا كما لا فصار كأنه أحاط بهم من كل الجهات فأشبهه اللباس والحاصل انه حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله **كلا** الاعتبارين فقال **فاذا قمهم الله لباس الجوع** والخوف الوجه الثاني ان التقدير ان الله عرفها أثر لباس الجوع والخوف الا انه تعالى عبر عن التعرف بلفظ الاذاقة وأصل الذوق بالقم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف وهو الاختبار تقول ناظر فلانا وذوق ما عنده قال الشاعر

ومن يذوق الدنيا فاني طعمتها * وسبق اليها عذبا وعذابها

ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الغمور وشعوب اللون ونهكة البدن وتغيير الحال وكسوف البال كما تقول تعرفت سوء أثر الجوع والخوف على فلان كذلك يجوز ان تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان الوجه الثالث ان يحمل لفظ الذوق واللبس على المماسسة فصارت التقدير فاذا قمهم الله لباس الجوع والخوف ثم قال تعالى (بما كانوا يصنعون) ولم يقل بما صنعت لانه أراد أهل القرية والمعنى فعلنا بهم ما فعلنا بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل أهل مكة لانهم كانوا في الامن والطمأنينة والخصب ثم أنعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وهو منهم فكفروا به وكذبوه وبالغوا في ابدانه وأرادوا قتله فأخرجه الله من بينهم وأمره بالهجرة الى المدينة فوسط على أهل مكة البلاء والشدايد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه من بين أظهرهم قوله سبحانه ونعالي (واقدا جاءهم) يعني أهل مكة (رسول منهم) يعني محمد صلى الله عليه وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها (فكذبوه فأخذهم العذاب) يعني الجوع والخوف وقيل القتل يوم بدر والاول اولى لما تقدم في الآية (وهم ظالمون) يعني كفارون (فكلوا مما رزقكم الله) في مخاطبتهم بهذا القولان أحدهما انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثاني انهم هم المشركون من أهل مكة قال الكاظمي لما اشتد الجوع بأهل مكة كأم رؤسائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك انما عادت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أن يحملوا الطعام اليهم حكاية الواحدى وغيره والاول هو الصحيح قال ابن عباس فكلوا يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله يريد الغنائم (حلالا طبيا) يعني ان الله سبحانه وتعالى أحل الغنائم لهذه الامة وطيبها لهم ولم تحل لاحد قبلهم (واشكروا نعمت الله) يعني التي أنعم بها عليكم (ان كنتم اياه تعبدون انما احرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) تقدم تفصيل

واذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتغاله على اللابس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهم ما ويلابس فكأنه قيل فاذا قمهم ما غشىهم من الجوع والخوف (واقدا جاءهم رسول منهم) أى محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) أى في حال التماسهم بانظلم قالوا انه القتل بالسيف يوم بدر روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه الى أهل مكة في سنى القحط بطعام ففرق فيهم فقال الله لهم بعد أن أذاقهم الجوع (فكلوا مما رزقكم الله) على يدى محمد صلى الله عليه وسلم (حلالا طبيا) بدلا عما كنتم تأكلونه سرا ما خبيثا من الاموال المأخوذة بالغارات والغصب وبخبائث الكسب (واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون أو ان

هذه

صحح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعواكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم فقال (انما احرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) انما المحرم أى المحرم هذا دون البهيمة وأخوانها وباقي الآية قدم من نفسه

(ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) هو منصوب بالافتقار إلى ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من المبالغة بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خاصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف إلى الوحى أو إلى القياس المستنبط منه واللام مثلها في قولك لا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بالافتقار إلى ولا تقولوا (١٤٧) هذا حلال وهذا حرام وهذا الوصف ألسنتكم الكذب أى ولا

تحرّموا ولا تحلّوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجعل في أفواههم لا لأجل حجة وبينه ولكن قول ساذج ودعوى بالبرهان وقوله تصف ألسنتكم الكذب من فصيح الكلام جعل قولهم كانه عين الكذب فاذا انطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولك وجهها يصف الجال وعينها تصف السمير واللام في (الافتقار) على الله الكذب من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) متاع قليل ولهم عذاب أليم) هو خبر مبتدأ محذوف أى منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعلة قليلة وعذابها عظيم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) في سورة الانعام يعنى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر

هذه الآية وأحكامها في سورة البقرة فلم ندر هنا وقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) يعنى ولا تقولوا لأجل وصفكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام) يعنى انكم تحلون وتحرمون لأجل الكذب لا لغيره فليس التحليل والتحريم معنى وسبب الا الكذب فقط فلا نفهوا ذلك قال مجاهد يعنى البعير والسائمة وقال ابن عباس يعنى قولهم ما في بطون هذه الانعام خاصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يحلون أشياء ويحرمون أشياء من عند أنفسهم وينسبون ذلك إلى الله تعالى وهو قوله تعالى (الافتقار على الله الكذب) يعنى لا تقولوا ان الله أمرنا بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله ثم نوهوا المفترين للكذب فقال سبحانه وتعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) يعنى لا ينجون من العذاب وقيل لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال تعالى (متاع قليل) يعنى متاعهم في الدنيا متاع قليل فانه لا بقاء له (ولهم عذاب أليم) يعنى في الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعنى اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعنى ما سبق ذكره وبيانه في سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (وما ظنناهم) يعنى نغريم ذلك عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعنى اغمارنا عليهم ما حرمنا بسبب بعيمهم وظلمهم أنفسهم وظنهم قوله تعالى فظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله تعالى (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعته مغفرته ورحمته لان السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل ما لا ينبغي وكل من عمل السوء فاعلم انه بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح فن صدر عنه فعل قبيح من كفر أو معصية فاعلم انما يصد عنه بسبب جهله اما لجهله بقدر ما يرتب عليه من العقاب أو لجهله بقدر من يعصيه فثبت بهذا ان فعل السوء اغماضه بجهالة ثم ان الله تعالى وعده من عمل سوء بجهالة ثم تاب وأصلح العمل في المستقبل أن يتوب عليه ورجعه وهو قوله تعالى (ثم تابوا من بعد ذلك) يعنى من بعد عمل ذلك السوء (وأصلحوا) يعنى أصلحوا العمل في المستقبل وقيل معنى الاصلاح الاستقامة على التوبة (ان ربك من بعد هذا) يعنى من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه (لغفور) يعنى لمن تاب وآمن (رحيم) يعنى بجميع المؤمنين والتائبين وقوله سبحانه وتعالى (ان ابراهيم) كان أمة) حكى ابن الجوزي عن ابن الانباري انه قال هذا مثل قول العرب فلان رجعة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التأنيث قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه به والعرب ترفع الاسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تبارك وتعالى فتادته الملائكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمى ابراهيم صلى الله عليه وسلم أمة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والخلق الخيرة ما اجتمع في أمة ومنه قول الشاعر

ليس على الله عسكركم * أن يجمع العالم في واحد

ثم للمفسرين في معنى هذه اللفظة أقوال أحدها قول ابن مسعود الاممة مع علم الخير يعنى انه كان معلما للخير يا ثم به أهل الدنيا الثاني قال مجاهد انه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة

عقوبة على معاصيهم (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) في موضع الحال أى عملوا السوء جاهلين غير مدبرين للعاقبة اغلبة الشهوة عليهم وحرادهم لذة الهوى لا عصيان المولى (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) ان ربك من بعد هذا) من بعد التوبة (لغفور) يتكفيرا كثيرا قبل من الجرائم (رحيم) يتوبون ما ارتكبوا بعد من العزائم (ان ابراهيم كان أمة) انه كان وحده أمة من الامم اكمله في جميع صفات الخير كقوله ليس على الله عسكركم * أن يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار أو كان أمة يعنى مأموما يؤمنه الناس بأخلاقه وامنه الخير

(فانتالله) هو القائم بما أمره الله وقال ابن (١٤٨) مسعود بن رضى الله عنه ان معاذ كان أمة فانت الله فقبل له انما هو ابراهيم عليه السلام

وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل بعثته الله أمة وحده وانما قال فيه هذه المقالة
لانه كان قد فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الاصنام الثالث قال قتادة ليس من أهل دين الا
وهم يتولونه وبرضونه وقيل الامة فعلة بمعنى مفعولة وهو الذي يؤتم به وكان ابراهيم عليه السلام اماما
يقبض به واصله قوله سبحانه وتعالى اني جاعل لك للناس اماما وقيل انه عليه السلام هو السبب الذي لاجله
جعلت أمة ومن تبعه ممتازين عن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو من باب اطلاق المسبب على
السبب وقيل انما سمى ابراهيم عليه السلام أمة لانه قام مقام أمة في عبادة الله (فانت الله) يعنى مطيعا لله
وقيل هو القائم بأمر الله (حنيفا) مسلما يعنى مقبلا على دين الاسلام لا يعيل عنه ولا يزول وهو أول من
اختنق وضحي وأقام مناسك الحج (ولم يكن من المشركين) يعنى انه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين
من صغره الى كبره (شاكر الانعمه) يعنى انه كان شاكر الله على أنعمه التي أنعم بها عليه (اجتبا) أى
اختاره لنبوته واصطفاه لخلفته (وهذه الى صراط مستقيم) يعنى هذه الى دين الاسلام لانه الصراط
المستقيم والدين القويم (وآتيناه في الدنيا حسنة) يعنى الرسالة والخلة وقيل هى لسان الصدق والثناء
الحسن والقبول العام في جميع الامم فان الله حبسه الى جميع خلقه فكل أهل الاديان يتولونه المسلمون
واليهود والنصارى ومشركوا العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلى في الشهد اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل انه آتاه أولاد ابراهيم الكبر (وانه في الآخرة لمن
الصالحين) يعنى فى أعلى مقامات الصالحين في الجنة وقيل معناه وان فى الآخرة مع الصالحين يعنى
الانبياء في الجنة قد يكون من بمعنى مع ولما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات
الشريفة العالية أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى (ثم أوحينا
إليك أن اتبع ملة ابراهيم) يعنى دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال أهل الأصول
كان النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بشريعة ابراهيم الامانة منها وما علم يشيخ صار شمرعاه وقال أبو
جعفر الطبري أمره باتباعه في التبري من الاوثان والسدين بدين الاسلام وهو قوله (حنيفا) مسلما
(وما كان من المشركين) تقدم نفسه به وقوله تعالى (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) يعنى
انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال
أمرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا
تعملوا فيه شيئا من صنعتكم وستة أيام لصنعتكم فأبوا عليه وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه
من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضا يوم
الجمعة فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدهنا يعنون اليهود فاجتهدوا الاحد فأعطى الله
عز وجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها فبورك لهم فيها (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال نحن الاخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا فاختلّفوا فيه
وأوتينا من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلّفوا فيه فهذا الله له فهم لنا فيه تبع فقد
لليهود بعد غد للنصارى وفي رواية لمسلم نحن الاخرون الاولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل
الجنة وفي رواية أخرى له قال أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم
الاحد فجاء الله بنافهنا اليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم انما تبع يوم اقيامة نحن
الاخرون في الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلق قال الشيخ حجي الدين النووي في شرح
مسلم قال العلماء في معنى الحديث نحن الاخرون في الزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول الجنة
فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله بيد أنهم يعنى غير أنهم أو الا أنهم وقوله فهذا يومهم الذي
فرض عليهم فاختلّفوا فيه فهذا الله له قال القاضي عياض الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير

فقال الامة الذي يعلم الخير
والقانت المطيع لله ورسوله
وكان معاذ كذلك وقال عمر
رضي الله عنه لو كان معاذ
حيلا لاستخلفته فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول أبو عبدة أمين
هذه الامة ومعاذ أمة الله
قانت لله ليس بينه وبين الله
يوم القيامة الا المرسلون
(حنيفا) ما نال عن الاديان
الى ملة الاسلام (ولم يكن من
المشركين) نفى عنه الشرك
تكذيبا لكفار قريش
لأنهم انهم على ملة أبيهم
ابراهيم وحذف التوكيد للتشبيه
بجورف الدين (شاكر الانعمه)
روى انه كان لا يتعدى الا
مع ضيف فلم يحد ذات يوم
ضيفا فأخرجناه فاذا هو
بفوج من الملائكة في
صورة البشر فدعاهم الى
الطعام فقبلوا له أن يسم
جدا ما فقال الا ان وجبت
مؤاكلتكم شكر الله
على انه عافاني وابتملككم
(اجتبا) اختصه واصطفاه
لنبوته (وهذه الى صراط
مستقيم) الى ملة الاسلام
(وآتيناه في الدنيا حسنة)
نبوة وأموالا وأولادا أو
تنويه الله بذكره فكل أهل
دين يتولونه أو قول المصلى
منا كما صليت على ابراهيم
(وانه في الآخرة لمن
الصالحين) لمن أهل الجنة
(ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) في ثم تعظيم منزلة نبينا عليه السلام
واجلال محله والايذان بأن أشرف ما أوتي خليل الله من الكرامة اتباع رسوله امتنه (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أى

تبيين

تبيين

فرض عليهم نعطيه وترك الاصطبا فيه (وان زلنا لكم بينهم يوم القيامة فيما (١٤٩) كانوا فيه يختلفون) روى ان موسى

عليه السلام أمرهم أن
يجتمعوا في الاسبوع يوما
للعباداة وأن يكون يوم الجمعة
فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم
الذي فرغ الله فيه من خلق
السموات والارض وهو
السبت الا نردمة منهم قد
رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم
في السبت لان بعضهم
اختروه وبعضهم اختاروا
عليه الجمعة فأذن الله لهم
في السبت وابتلاهم بتعريم
الصبيد فأطاع أمر الله
الراضون بالجمعة فكانوا
لا يصيدون وأعقابهم لم
يصبروا عن الصبيد فبعضهم
الله دون أولئك وهو يحكم
بينهم يوم القيامة فيجازي
كل واحد من الفريقين بما
هو أهله (ادع الى سبيل
ربك) الى الاسلام
(بالحكمة) بالمقالة العجيبة
المحكمية وهو الدليل
الموضح للعق الزيل للشبهة
(والموعظة الحسنة) وهي
التي لا يخفى عليها أنك
تناصحهم بها وتقصدها
ما ينفعهم فيها أو بالقرآن
أي ادعهم بالكتاب الذي
هو حكمة وموعظة حسنة
والحكمة المعرفة بمراتب
الافعال والموعظة الحسنة
ان يختلط الرغبة
بالرهبة والانذار بالشارة
(بجادهم بالتي هي أحسن)
بالطريقة التي هي أحسن
طريق المجادلة من الرقى
واللين من غير قساة أو

تعين وول الى اجتهادهم لاقامة شرائعهم فيه فاختلف أحبارهم في تعيينه ولم يدهم الله وفرضه على
هذه الامة مبدئاً ولم يكلفهم الى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال يعني القاضي عياضاً وقد جاء ان موسى عليه
السلام أمرهم بيوم الجمعة وأعلمهم بفضله فناظروه ان السبت أفضل فقبل له دعهم قال القاضي ولو كان
منصوصاً عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محيي الدين النووي ويمكن أن
يكونوا أمرهم به صريحاً وانص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه أم لهم ابداله فأبدلوه وغلطوا في
ابداله قال الامام نضر الدين الرازي في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه هل يلزم تعيينه أم لهم ابداله فأبدلوه وغلطوا في
بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافاً على نبيهم في ذلك اليوم أي لاجله وليس معنى
قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا بينهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود انفقوا على ذلك
وزادوا إحدى على هذا فقال وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في
السبت ان بعضهم قال هو أعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق الاشياء وقال الآخرون بل الاحد
أفضل لان الله سبحانه وتعالى ابتدأ فيه بخلق الاشياء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فريقين في السبت وانما
اختاروا الاحد انصارى بعدهم برمان طويل فان قلت ان اليهود انما اختاروا السبت لان أهل الملل انفقوا
على ان الله خلق الخلق في ستة أيام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الاحد زعم الخلق يوم الجمعة وكان يوم
السبت يوم فراغ ففالت اليهود ونحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى
وقالت انصارى انما بدأ بخلق الاشياء في يوم الاحد فمن جعل هذا اليوم عيداً لنا وهذان الوجهان
معقولان بخارجه فضل يوم الجمعة حتى جعله أهل الاسلام عيداً قلت يوم الجمعة أفضل الايام لان كمال
الخلق وتسامه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيداً لهذا الوجه
وهو أولى ووجه آخر وهو ان الله عز وجل خلق فيه أشرف خلقه وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر وفيه
تاب عليه فكان يوم الجمعة أشرف الايام لهذا السبب ولان الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة
وادخره لهم ولم يختاروا لانفسهم شيئاً وكان ما اختاروه الله لهم أفضل مما اختاروه غيرهم لانفسهم وقال بعض
العلماء بعث الله موسى بتعظيم يوم السبت ثم نسخ يوم الاحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم
السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أفضل الايام يوم الجمعة فكان
محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء وفي معنى الآية قول آخر قال قتادة الذين اختلفوا فيه اليهود
استحل بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت أي وبال السبت لعنته
على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فأحل بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا واستخفوا فرددوا في زمن داود
عليه السلام وقد تقدمت القصة في تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت على تعريمه فلم يصطد فيه شيئاً
وهم الناهون والقول الاول أقرب الى الصحة وقوله تعالى (وان زلنا لكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا
فيه يختلفون) يعني في أمر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازي المحقين بالثواب والمبطلين بالعقاب
وقوله عز وجل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) يعني ادع الى دين ربك بالحكمة وهو
دين الاسلام بالحكمة يعني بالمقالة المحكمية العجيبة وهي الدليل الموضح للعق الزيل للشبهة والموعظة
الحسنة يعني وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم
(وبجادهم بالتي هي أحسن) يعني بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرقى واللين من غير قساة
ولا تعنيف وقيل ان الناس اختلفوا ووجهوا ثلاثة أقسام القسم الاول هم العلماء السكاملون أصحاب
العقول العجيبة والبصائر الثاقبة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهؤلاء هم المشار اليهم بقوله
ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعني ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقيقتها حتى
يتفقهوا وينفعوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم الثاني هم أصحاب الفطرة السليمة

بما يوقظ القلوب ويغفل النفوس ويجلو العقول وهو رد على من يأبى المناظرة في الدين

والخلق الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم اوسط
الاقسام وهم المشار اليهم بقوله والموعظة الحسنة أى ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة والقسم الثالث هم
اصحاب جدال وخصام ومعادلة وهؤلاء هم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتى هى احسن حتى ينقادوا الى
الحق ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القرآن يعنى ادعهم بالقرآن الذى هو حكمة وموعظة حسنة
وقيل المراد بالحكمة النبوة أى ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين فى الدعوة
وجادلهم بالتى هى احسن أى اعرض عن اذاهم ولا تقصر فى تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق فعلى هذا
القول قال بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية السيف (ان ربك هو أعلم عن سبيله وهو أعلم
بالمهتدين) يعنى انما عليك ان تبليغ ما أرسلت به اليهم ودعاهم هذه الطرق الثلاثة وهو أعلم بالفرق بين
الضال والمهتدى فيجازى كل عامل بعمله قوله سبحانه وتعالى (وان عاقبتهم فاعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) نزلت
هذه الآية بالمدينة فى سبب شهداء أحد وذلك ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم
أحد من نبيير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن أبى
عامر الراهب وذلك أن أباه أباعه الراهب كان مع أبى سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين
رأوا ذلك لئن أظهرنا الله عليهم انزيبنا على صيدهم ولئن لم يبق منهم مثله لم يقتلها أحد من العرب بأحد ووقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدد عواطفه وآذانه وقطعوا مذاكيره
وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فضعفها ثم استرطبتها أتت كاهلها فنزلت فى بطنها حتى
رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال أما انتم لو أنكم كنتم تدخل النار أبدا حمزة أكرم على الله
من ان يدخل شيئا من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظرا شديدا لم ينظر
الى شيء قط كان أوجع قلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليكم فأنك ما علمنا ما كنت
الافعال للخيرات رسول الرحمة ولو لا حزن من بعدك عليك اسررتى ان أدعك حتى تحشر من أفواج شتى أما
والله لئن أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك فأمر الله عز وجل وان عاقبتهم فاعاقبوا بمثل ما عوقبتهم
به الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر وأمسك هما أرادوا وكفر عن عيمته عن أبى بن كعب
قال لما كان يوم أحد أصيب من الانصار أربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فقتلواهم
فقاتل الانصار لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لربن عليهم قال فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله عز
وجل وان عاقبتهم فاعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به وإن صبرتم لهو خير للصابرين فقال رجل لا قرئ بعد اليوم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الا أربعة أخرجه الترمذى وقال حديث غريب
وأما تفسير الآية فقوله تعالى وان عاقبتهم فاعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به سمي الفعل الاول باسم الثانى للمزاوجة
فى الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل أو مثله ونحوها فقا بلوه بمثله ولا تزيدوا عليه فهو كقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها أمر الله برعاية العدل والانصاف فى هذه الآية فى باب استيفاء الحقوق يعنى ان رغبت فى
استيفاء القصاص فاقصصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه فى عدل الله
وسرعته ورحمته وفى الآية دليل على أن الاولى ترك استيفاء القصاص وذلك بطريق الاشارة والرمز
والتعريض بأن الترك أولى فان كان لابد من استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب
مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى (ولئن صبرتم لهو خير
للسابرين) يعنى وإن عفوتم وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيرا من استيفاء
القصاص وفيه أجر للصابرين العاقين

فصل فى اختلاف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين أحدهما انها نزلت قبل براءة فأمى النبي
صلى الله عليه وسلم أن يقتل من قاتله ولا يسد أبالقتال ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد وهذا قول ابن عباس

(ان ربك هو أعلم عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى هو أعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعد القليل ومن لا خير فيه عجزت عنه الطيل (وان عاقبتهم فاعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) سمي الفعل الاول عوقبة والعقوبة هى الثانية لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فالثانية ليست بسية والمعنى ان صنع بكم صنع سوء من قتل أو نحوه فقا بلوه بمثله ولا تزيدوا عليه روى ان المشركين مشاوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم فرأى النبي عليه السلام حمزة مبقورا بطن فقال أما الذى أحلف به لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن عيمته وكف عما أراد ولا خلاف فى تحرير المثلة لورود الاخبار بانتهى عنها حتى بالنكس العقور (وإن صبرتم لهو خير للصابرين) الصبر يرفى لهو يرجع الى مصدر صبرتم والمراد بالصابرين المحاطسون أى ولئن صبرتم لهو خير لكم فوضع الصابرين موضع الصبر ثمة من الله عليهم لانهم صابرون على الشدائد ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(واصبر) أنت فعزم عليه بالصبر (وما صبرك الا بالله) أي بتوفيقه وتأييده (١٥١) (ولا تحزن عليهم) على الكفار ان لم يؤمنوا

وعلى المؤمنين وما فعل بهم
الكفار فانهم وصلوا الى
مطلوبهم (ولان في ضيق
مما يذكرون) ضيق مكني
والضيق تخفيف الضيق
أي في أمر ضيق ويجوز أن
يكونا مصدرين كالقبيل
والقول والمعنى ولا يضيغن
صدرك من مكرهم فانه لا
ينفذ عليهم (ان الله مع
الذين انفسوا والذين هم
محسنون) أي هو ولي الذين
اجتنبوا السيئات وولي
العاملين بالطاعات قبل من
اتقى في أفعاله وأحسن في
أعماله كان الله معه في
أحواله ومعنته نصرته في
المأمور وعصيته في المحذور

سورة بنى اسرائيل مكية

وهي مائة وعشر آيات
بصري واحد عشر آية
كوفي وشاى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان) تنزيه الله عن
السوء وهو علم للتسبيح
كعبثان للرجل واتصافه
بفعل مضمر متروك اظهارة
تقديره أسبح الله سبحان
ثم نزل سبحان منزلة الفعل
فسد مسدودا على التنزيه
البلغ (الذى أسرى
بعده) محمد صلى الله عليه
وسلم وسرى وأسرى لغتان
(ابلا) نصب على الظرف
وقيده بالبل والاسراء
لا يكون الا بالبل لئلا يكيد

أول بدل بلاقط التشكيك على تقليل مدة الاسراء وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة

والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما أقر الله الاسلام وكثر أهله أمر الله رسوله
صلى الله عليه وسلم بالجهد ونسخ هذا بقوله اقتتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية والقول الثاني انها
محكمة وانما انزلت فيمن ظلم ظلامه فلا يحل له ان ينال من ظالمه أكثر مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد
والشعبي والخبي وابن سيرين والثوري قال بعضهم الاصح انها محكمة لان الآية واردة في تعليم حسن
الادب في كيفية استيفاء الحقوق وفي القصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشياء لا تكون
منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله أعلم قوله عز وجل (واصبر وما صبرك الا بالله) الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر وأعلمه ان صبره بتوفيقه
ومعونته (ولا تحزن عليهم) يعنى على الكافرين واعراضهم عنك وقيل معنى الآية ولا تحزن على قتلى
أحد وما فعل بهم فانهم أفضوا الى رحمة الله ورضوانه (ولان في ضيق مما يذكرون) يعنى ولا يضيغن صدرك
يا محمد بسبب مكرهم فان الله كافيتهم وناصرهم عليهم قرئ في ضيق بفتح الضاد وكسر هاء قبل هـ ما اقتان
وقال أبو عمر والضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقال أبو عبيد الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المسكن
وأما ما كان في القلب والصدور فانه بالفتح وقال القتيبي الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى
هذا يكون صفة كانه قال سبحانه وتعالى ولا تلت في أمر ضيق من مكرهم قال الامام نضر الدين الرازى هذا
الكلام من المقول لان الضيق صفة والمصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في
الصفة فكان المعنى فلا يكن الضيق حاصلا فيك الا ان الفائدة في قوله ولا تلت في ضيق هي ان الضيق اذا
عظم وقوى صار كالشيء المحيط بالانسان من كل جانب كالغيبض المحيط به فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ
بهذا المعنى (ان الله مع الذين اتقوا) أي اتقوا المثلة والزيادة في القصاص وسائر المناهي (والذين هم
محسنون) يعنى بالعبادة وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعنى ان أردت أيتها الانسان ان
أكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفي هذا اشارة الى التعظيم لأمر الله
والشفقة على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكال الانسان ان
يعرف الحق لذاته والخير لاجل أن يعمل به وقيل لهم من حيان عند الموت أوص فقال انما الوصية في المال
ولا مال لي ولكي أوصيك بخواتم سورة التحل والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الاسراء

فصل في نزولها قال ابن الجوزي هي مكية في قول الجماعة الا أن بعضهم يقول فيها مدني فروى عن
ابن عباس انه قال هي مكية الاثمان آيات من قوله سبحانه وتعالى وان كادوا يفتنونك الى قوله نصرنا وهذا
قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدني وقل رب أدخلني مدخل صدق الآية وقوله تعالى ان الذين أوتوا العلم
من قبله وقوله ان ربك أحاط بالناس وقوله تعالى وان كادوا يفتنونك وقوله تعالى ولولا أن بقيناك والتي
عليها وهي مائة وعشر آيات وقيل واحد عشر آية وخمسائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف
وأربع مائة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سبحان الذي أسرى بعبد ليله) روى ابن الجوزي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل
عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل شيء هكذا ذكره بغير سند وقال النحويون سبحان اسم علم على
التسبيح يقال سبحت الله تسبيحا قال التسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه الله
عن كل سوء ونقيصة وأصله في اللغة التباعد فعنى سبحان الله بعده ونزاهته عن كل ما لا ينبغي الذي أسرى
يقال أسرى به وأسرى به لغتان بعده أجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون ان المراد به محمد صلى الله عليه

(من المسجد الحرام) قبل أسرى به من دار أم هانئ بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لا حائطه بالمسجد والتباسه به

وسلم لم يختلف أحد من الامة في ذلك وقوله بعبداه إضافة تشرى وتظيم وتجييل وتفهيم وتكريم ومنه
قول بعضهم لا تدعني الا يساعدها * فانه أشرف اسمائي
قيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والرب الرفيع ليلة المعراج أوحى الله عز
وجل اليه يا محمد شرفك قال رب حيث نسبتني الى نفسك بالعبودية فانزل الله سبحانه وتعالى سبحانه الذي
أسرى بعبد له اذ ان قلت الاسراء لا يكتون الا بالليل فاما معنى ذكر الليل قلت أراد بقوله ليل لا يلفظ
التكبير لتقليل مدة الاسراء وانه أسرى به في بعض ليلة من مكة الى الشام مسيرة شهر أو أكثر فدل تنكير
الليل على البعضية (من المسجد الحرام) قيل كان الاسراء من نفس مسجد مكة وفي حديث مالك بن
صعصعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا في المسجد الحرام في الجرد ذكر حديث المعراج
وسميت بكاه فيما بعد وقيل عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب وهي بنت عمه أخت علي رضي الله
تعالى عنه فعلى هذا أراد بالمسجد الحرام الحرم (الى المسجد الأقصى) يعني الى بيت المقدس سمي
أقصى لعده عن المسجد الحرام أولانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذي باركنا حوله) يعني بالانهار
والاشجار والثمار وقيل سماه مباركا لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة والوحي وقبله الانبياء قبل نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم واليه تحشر الخلق يوم القيامة فان قلت ظاهر الآية يدل على ان الاسراء كان
الى بيت المقدس والحديث الصحيح يدل على انه عرج به الى السماء فكيف الجمع بين الدليلين وما
فائدة ذكر المسجد الأقصى فقط قلت قد كان الاسراء على ظهر البراق الى المسجد الأقصى ومنه كان
عروجه الى السماء على المعراج وفائدة ذكر المسجد الأقصى فقط انه صلى الله عليه وسلم لو أخبر بصعوده
الى السماء أو لا لاشتد انكارهم لذلك فلما أخبرانه أسرى به الى بيت المقدس وبأن لهم صدقه فيما أخبر به
من العلامات التي فيه وصدقه عليها أخبر بعد ذلك بعروجه الى السماء فجعل الاسراء الى المسجد الأقصى
كالتوطئة لمعراجه الى السماء وقوله تعالى (لنريه من آياتنا) يعني من عجائب قدرتنا فقد رأى محمد صلى
الله عليه وسلم في تلك الليلة الانبياء وصلى بهم ورأى الآيات العظام فان قلت افظة من في قوله من آياتنا
تقتضي التبعيض وقال في حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض
وظاهر هذا يدل على فضيلة ابراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولا فائز به فخارجه قلت
ملكوت السموات والارض من بعض آيات الله أيضا ولا آيات الله أفضل من ذلك وأكثر الذي أراه محمد
صلى الله عليه وسلم من آياته وعجائبه تلك الليلة كان أفضل من ملكوت السموات والارض فظهر
بهذا البيان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على ابراهيم صلى الله عليه وسلم (انه هو السميع) لا قوله
ودعائه (البصير) لافعاله الحافظة له في ظلمة الليل وقت اسراءه وقيل انه هو السميع لما قالت له قريش حين
أخبرهم بمسراءه الى بيت المقدس البصير بما ردوا عليه من التكذيب وقيل انه هو السميع لا قول
جميع خلقه البصير بأفعالهم فيجازي كل عامل بعمله وحله على العموم أولى
فصل في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلماء فيه (ق) حدثنا قتادة عن أنس
ابن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينا أنا في الحطيم
وربعنا قال في الجرد مضطجعا ومنهم من قال بين النائم واليقظان اذ أتاني آت فقد قال ومعه يقول فشق
ما بين هذه الى هذه فقلت للجار ودوهوا لي جنبي ما يعني به قال من ثغرة فخره الى شعرته ومعه يقول من
قصته الى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت
بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجار ودأ هو البراق يا أبا جرة قال أنس نعم يضع خطوه عند
أقصى طرفه فحمت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى أتى السماء الدنيا فاستنقض فقبل من هذا قال

وعن ابن عباس رضي الله
عنهما الحرم كله مسجد
وقيل هو المسجد الحرام
بعينه وهو الظاهر فقد قال
عليه السلام بينا أنا في
المسجد الحرام في الجرد عند
البيت بين النائم واليقظان
اذ أتاني جبريل بالبراق وقد
عرج بي الى السماء في تلك
الليلة وكان العروج به من بيت
المقدس وقد أخبر قريشا
عن غيرهم وعدو جبالها
وأحوالها وأخبرهم أيضا
بما رأى في السماء من
العجائب وأنه ليقى الانبياء
عليهم السلام وبلغ البيت
المعمر وسدرة المنتهى
وكان الاسراء قبل الهجرة
بسنة وكان في اليقظة وعن
عائشة رضي الله عنها انها
قالت والله ما فقد جسد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ولكن عرج بروحه وعن
معاوية مثله وعلى الاول
الجمهور اذ لا فضيلة للحالم
ولا منزلة للنائم (الى المسجد
الأقصى) هو بيت المقدس
لانه لم يكن حينئذ وراءه
مسجد (الذي باركنا حوله)
يريد بركات الدين والدينا
لانه متعبدا الانبياء عليهم
السلام ومهبط الوحي وهو
محفوف بالانهار الجارية
والاشجار المثمرة (النرية)
أي محمد عليه السلام
(من آياتنا) الدالة على

واحدانية الله وصدق نبوته برؤية السموات وما فيها من الآيات (انه هو السميع) لا قول (البصير) بالافعال
ولقد تصرف المكالام على لفظ الغائب والمات كالم فقبل أسرى ثم باركنا ثم انه هو وهي طريقة اللفظ التي هي من طرق البلاغة

[illegible]

واعيانا ففرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرجني الى السماء فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قيل هل معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فأرسل اليه قال نعم فافتح ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه أسود وعن يساره أسود قال فاذا نظرت قبل يمينه ضحك واذا نظرت قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمن أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظرت قبل يمينه ضحك واذا نظرت قبل شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح قال أنس بن مالك فذكر انه وجد في السموات آدم وادريس وعيسى وموسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غيره ذكر انه قد وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول الله بادر يس قال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال ثم مررت من هذا قال هذا ادريس قال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال هذا موسى قال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى بن مريم قال ثم مررت براهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال هذا ابراهيم قال ابن شهاب وأخبرني ابن خزم ان ابن عباس وأبا حبة الانصاري كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت السمواتى أسمع فيه صريف الاقلام قال ابن خزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على أمي خمسين صلاة قال فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى ما ذا فرض ربك على أمي قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك فان أمي لا تطيق ذلك قال فراجعته في موضع شطرها قال فرجعت الى موسى فأخبرته قال راجع ربك فان أمي لا تطيق ذلك قال فراجعته في فقال هي خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدى قال فرجعت الى موسى فقال راجع ربك قلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة فاذا فيها اجناد للؤلؤ واذا تراها المسك (ق) عن شريك بن أبي نجران مع أنس بن مالك يقول ليلة أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهونائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيم هو فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيمباري قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم فقولاهم من جبريل فشق جبريل ما بين فخريه الى بطنه حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى اتقى جوفه ثم أتى بطنه من ذهب فيه نور من ذهب محشو ايماناً وحكمة فغسله من صدره ولغاده يده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلاً بكم به أهل السماء لا يعلم أهل السماء ما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم عليه السلام فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه ورد عليه السلام وقال مرحبا واعلاني نعم الابن أنت فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذان النيل والفرات عنصهما ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك اذ فرقال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبا لك ربك ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الاولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلاً ثم عرج به الى السماء الثالثة وقالوا له مثل ما قالت الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى

السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم
فأوعيت منهم ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وآخر في الخامسة ولم أحفظ اسمه وابراهيم في السادسة
وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى رب لم أظن أن يرفع علي أحد ثم علا به فوق ذلك بما
لا يعلم الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله
فيما أوحى اليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فأحسبه موسى فقال يا محمد
ماذا عهد اليك ربك قال عهد الى خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فلينخف
عندك ربك وعظمهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كما أنه يستشير في ذلك فأشار اليه جبريل أن
نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يارب خفف عنا فان أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنه
عشر صلوات ثم رجع الى موسى فأحسبه فلم ير بل يردده موسى الى ربه حتى صارت خمس صلوات ثم أحسبه
موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بنى اسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعوا فقره
قامتكم أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا واسما عافا رجع فلينخف عندك ربك كل ذلك يلتفت النبي
صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام ليشير عليه فلا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال
يارب ان أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماهم وأبدانهم فخفف عنا فقال الجبار يا محمد قال لبيك
وسعديك قال انه لا يبدل القول لدى كما فرضت عليك في أم الكتاب قال فكل حسنة بعشر أمثالها في
خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف فعلت فقال خفف عنا فأعطانا بكل
حسنة عشر أمثالها قال موسى قد والله راودت بنى اسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ارجع الى ربك
فلينخف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استجيبت من ربي بما اختلفت
اليه قال فاهبط باسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا اللفظ حديث البخاري وأدرج مسلم حديث
شريك عن أنس الموقوف عليه في حديث ثابت البناني المسند فذكر من أول حديث شريك طرفا ثم قال
وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم وأخروا زاد ونقص وليس في حديث ثابت من هذه
الالفاظ الا ما فوره على نصه أخرجه مسلم وحده وهو حديثنا جاد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل
يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط بها
الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل يا نساء من خجروا نساء من ابن
فاخترت اللين فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل
فقبل من أنت قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بأدم
فرحب بي ودعاني بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقبل من أنت قال جبريل قبل ومن
معك قال محمد قبل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه قال ففتح لنا فاذا أنا بآدم بن مريم ويحيى بن
زكريا فرحباني ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقبل من أنت قال جبريل
قبل ومن معك قال محمد قبل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم بن مريم ويحيى بن
زكريا فرحبني ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقبل من
هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم بن
فرحب ودعاني بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قبل
من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون
فرحب ودعاني بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قبل من هذا قال جبريل قبل ومن
معك قال محمد قبل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعاني بخير ثم عرج
بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل وقد بعث

اليه قال قد بعث اليه ففزع لنا فاذا انا يا ابراهيم عليه السلام من عند اظهره الى البيت المعمور واذا هو
يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدره المنتهى واذا ورقتها كاذان
القيسلة واذا غرها كالفلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فيها أحد من خلق الله يستطيع
أن ينعتها من حسنها فأوحى الله الي ما أوحى ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وإلهة فنزلت الى موسى
فقال ما فرض ربك علي أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون
ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت يا رب خفف علي أمتي فخط عني خمسا
فرجعت الى موسى فقلت قد خط عني خمسا قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال
فلم أزل أرجع بين ربى وتبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهم خمس صلوات كل يوم وإلهة لكل
صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بخمسة فلم يعملها كتبت له خمسة فان عملها كتبت له عشر ومن
هم بسبعة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سبعة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته
قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربى حتى
استحييت منه هذه رواية مسلم وأخرجه الترمذي مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى
بالبراق ليلة أسرى به فلجأ مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أجمعده ففعل هكذا ما ركبت أحدكم
علي الله منه فأرفض عرفا وأخرجه النسائي مختصرا والمعنى واحد وفي آخره قال فرجعت الى ربى فسالته
التخفيف فقال اني يوم خافت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فخمس بخمسين
فقم بها أنت وأمتك فعرفت انها أمر الله جرى يقول ختم فلم أرجع

(فصل) قال البغوي قال بعض أهل الحديث ما وجدنا البخاري ومسلم في كتابيهما شيئا لا يحتمل مخرجا
الاحديث شرين بل بن أبي غر عن أنس وأحال الامر فيه على شريك وذلك انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل
الوحي واتفق أهل العلم على ان المعراج كان بعد الوحي بخمسين سنة وفيه ان الجبار تبارك
وتعالى نادى قلدلى وذ كرت عائشة ان الذي تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوي وهذا الاعتراض
عندي لا يصح لان هذا كان رؤيا في النوم أراه الله ذلك قبل أن يوحى اليه بدليل آخر الحديث فاستيقظ
وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في البقعة بعد الوحي وقبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه التي رآها من
قبل كما أنه رأى قبح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقها سنة ثمان ونزل
قوله سبحانه وتعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في كتابه
شرح مسلم قد جاء من رواية شريك في هذا الحديث أوهاج أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك
بقوله قدم وأخروا دون نقص منها قوله وذلك قبل أن يوحى اليه وهو غاط لم يوافق عليه فان الاسراء أقل
ما قيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الطبري كانت ليلة الاسراء ليلة
سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه
وسلم بخمسة سنين وقال ابن اسحق أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل قال
الشيخ محيي الدين وأشباه الاقوال قول الزهري وابن اسحق وأما قوله في رواية شريك وهو نائم وفي الرواية
الآخرى بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحدج به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه اذ قد يكون
ذلك حالة أول وصول الملك اليه وليس في الحديث ما يدل على كونه نائما في القصة كلها هذا كلام القاضي
عياض وهذا الذي قاله في رواية شريك وان أهل العلم قد أنكروها قد قاله غيره وقد ذكر البخاري في
رواية شريك هذه عن أنس في كتاب التوحيد من صحيحه وأتى بالحديث مطولا قال الحافظ عبد الحق في
كتاب الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي غر
عن أنس قد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من
الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقناة يعني عن أنس فلم يأت أحد

منهم ما أتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث قال والاحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المأثور عليها

فصل في شرح بعض ألفاظ حديث المعراج وما يتعلق به كانت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة يقال كانت في رجب ويقال في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القول في الفصل الذي قبل هذا واختلاف الناس في الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان ذلك في المنام والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسرى بروحه وجده صلى الله عليه وسلم وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طاعها وبحث عنها وحكي محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حديثه أنه قال كل ذلك كان رؤيا وأنه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أسرى بروحه وسكنى هذا القول عن عائشة أيضا وعن معاوية بن وهب والصحیح ما عليه جمهور العلماء من السلف والخلف والله أعلم بقوله صلى الله عليه وسلم آتيت بالبراق هو اسم للذابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به واشتقاقه من البرق أسرعه أولشدة صفائه وبياضه ولما كانه نلأئله ونوره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد ببط البراق بالحلقة الأخذ بالاحتياط في الامور وتعاطي الاسباب وان ذلك لا يقدح في التوكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاء في جبريل باناء من خير واناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصارا والتقدير وقال لي اختر فاخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطرة يعني فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهل لطيبا سائغا للشاربين وانه سليم العاقبة بخلاف الخمر قاتلها أم الخبائث وجالبة انواع الشر قوله ثم عرج بي حتى أتى السماء الدنيا فاستنقذ جبريل فقيلا من أنت قال جبريل فيه بيان الادب لمن استأذن وان يقول أنا فلا تولا يقول أنا فانه مكرره وفيه ان للسماء أبوابا وبوابين وان عليها حرسا وقول بواب السماء وقد أرسل اليه وفي الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه الاسراء وعوده السماء وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى هذه المدة وهذا هو الصحيح في معناه وقيل غيره وقوله فاذا أنا بأب آدم وذكر جماعة من الانبياء فيه استحباب لقاء أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام اللين الحسن وان كان الزائر أفضل من المزور وفيه جواز مدح الانسان في وجهه اذا أمن عليه من الاعجاب وغيره من اسباب الفتنة وقوله فاذا أنا بأبراهيم مستداهه الى البيت المعمور وفيه دليل على جواز الاستئذان الى القبلة وتحويل ظهوره اليها وقوله ثم ذهب بي الى السدرة هكذا وقع في هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفي باقي الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين من سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونها ينتهي اليها ما يحيط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله عز وجل وقوله واذا نزلها كالقسلال هو بكسر الهمزة جمع قلة بضمها وهي الجرة الكبيرة التي تسع قريتين أو أكثر قوله فرجعت الى ربي قال الشيخ يحيى الدين التتوي معناه رجعت الى الموضع الذي ناجيته فيه أولا فناجيته فيه ثانيا وقوله فلم أزل أراجع بين موسى وبين ربي معناه وبين موضع مناجاة ربي عز وجل قلت وأما الكلام على معنى الرؤية وما يتعلق بها فانه سبأني ان شاء الله تعالى في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى ثم نادى قوله ففرض الله سبحانه وتعالى على أمي خمسين صلاة الى قوله فوضع شطرها في الرواية الاخرى فوضع عني عشرا وفي الاخرى خمسا ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشرط الجزاء وهو الخمس وليس المراد منه النصف وأما رواية العشر فهي رواية شريك ورواية الخمس رواية ثابت البناني وقادة وهما اثبت من شريك والمراد حط عني خمسا الى آخره ثم قال هي خمس وهن خمسون يعني خمسين في الاجر والثواب لان الحسنه بعشر أمثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشيء قبل

فعله وفي أول الحديث أنه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق أيضا في صغره وهو عند
حليمة التي كانت ترضعه فالمراد بالشق الشق في زيادة التطهير لما يراد به من الكرامة ليلة المعراج وقوله
أتيت بطست من ذهب قد بنوهم متوهم أنه يجوز استعمال آناء الذهب لنا وليس الأمر كذلك لأن هذا
الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال الذهب أو بـ ~~ك~~ون هذا قد كان قبل تحريمه وقوله
بميتلى إيماناً وحكمة فافرغها في صدرى فإن قلت الحكمة والايان معان والافراغ صفة الاجسام فما
معنى ذلك قلت يحتمل أنه جعل في الطست مئى يحصل به كمال الايمان والحكمة وزيادته ما فسمى إيماناً
وحكمة ليكون بهما وهذا من أحسن المجاز وقوله في صفة آدم عليه السلام فاذا رجع عن عينه اسودة
وعن يساره اسودة هو جمع سواد وقد فسر في الحديث بأنه نسيم بنسبه يعنى أرواح بنسبه وقد اعترض على
هذا بأن أرواح المؤمنين في السماء وأرواح الكفار تحت الأرض السفل فيكف تكون في السماء
والجواب عنه أنه يحتمل أن أرواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام وهو في السماء فوافق وقت
عرضها على آدم مرورا بالنبي صلى الله عليه وسلم فآخبر بما رأى وقوله فاذا انظر عن يمينه ضحك واذا انظر
عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على أولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم وحزنه على سوء حال
الكفار منهم وقوله في ادريس مر حيا بالنبي الصالح والاخ الصالح قد اتفق المؤرخون على أن ادريس هو
أخنوخ وهو جد نوح عليهم السلام فيكون جد النبي صلى الله عليه وسلم كما أن ابراهيم جده فكان ينبغي
أن يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال آدم و ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فالجواب عن هذا أنه
قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد نوح هذا جواب القاضي
عباس قال الشيخ محي الدين ليس في الحديث ما يمنع كون ادريس أبا النبي محمد صلى الله عليه وسلم وان
قوله الاخ الصالح يحتمل أن يكون قاله نلطفاً وتأديباً وهو أخ وان كان أباً لأن الانبياء اخوة والمؤمنين اخوة
والله أعلم

فوفصل في ذكر الآيات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياق أحاديث
تتعلق بالاسماعيل البغوي روى انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان بذى طوى
قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال صدقت أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لما كانت ليلة أسرى بي الى السماء أصبحت بمكة فضفت بأمرى وعرفت ان الناس
يكذبوني فروى انه صلى الله عليه وسلم قد معتزلاً حزيناً فخر به أبو جهل فخلص اليه فقال كلمته نرى اهل
استفدت من شئ قال نعم أسرى بي الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال أبو جهل ثم أصبحت بين
أظهري قال نعم فإبر أبو جهل أن يشكر ذلك مخافة أن يحجده الحديث ولكن قال أتحدث قومك بما حدثتني
به قال نعم قال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا فاقضت المجالس وجأوا حتى جلسوا اليه ما قال
حدثت قومك بما حدثتني قال نعم أسرى بي الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين
أظهري قال نعم قال فبقى الناس بين مصفق وبين واضع يده على رأسه متعجبوا وارتد أناس ممن كان قد آمن به
وصدقه وسعى رجل من المشركين الى أبي بكر فقال له هل لك في صاحبك بزعم انه أسرى به الليلة الى بيت
المقدس قال أو قد قال ذلك قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا أو صدقه أنه ذهب الى بيت المقدس
وجاء في ليلة قبل أن يصبح قال نعم اني صدقه بما هو أهد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة
فلذلك سمى أبو بكر الصديق قال وكان في القوم من أتى المسجد الأقصى قالوا هل تستطيع ان تنعت لنا
المسجد قال نعم قال فذهبت أنعت حتى التبس على قال غيى بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون دار
عقيل فذمت المسجد وأنا أنظر اليه فقال القوم أما لنت فوالله لقد أصاب فيه ثم قالوا يا محمد أخبرنا عن
غيرنا فهي أهم البناء لقيت مناشية قال نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيراهم في
طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فاختلته فشر به ثم وضعته كما كان فسهلوا له وجدوا الماء في

(وآتيناهم موسى الكتاب وجعلناه) أي الكتاب وهو التوراة (هدى لبني اسرائيل) (١٥٩) أن لا تتخذوا أي لا تتخذوا وبالباء أبوهم ورو

أي ثلاثيخذوا (من دوني
وكيلا) ربان تكون اليه
أمورك (ذرية من جعلنا
مع نوح) نصب عسلي
الاختصاص أو على النداء
فمن قرأ لا تتخذوا بالباء على
الهي أي قلنا لهم لا تتخذوا
من دوني وكيلا بذرية من
جعلنا مع نوح (انه) ان نوحا
عليه السلام (كان عبدا
شكورا) في السراء والضراء
والشكر مقابلة النعمة
بالثناء على النعم وروى أنه
كان لا يأكل ولا يشرب
ولا يلبس الا قال الحمد لله
وأتم ذرية من آمن به وحل
معه فاجعلوه اسونكم كما
جعله آباؤكم اسونهم وآية رشد
الابناء محبة الاقتداء
بسنة الآباء وقد عرقم
حال الآباء هناك فكفونا
أبنا الاناء كذلك (وقضينا
الى بني اسرائيل في الكتاب
تفسدن في الارض) وأوحينا
اليهم وحياء قضيا أي
مخطو عابسة وناياهم
تفسدون في الارض لا تحالة
والكتاب التوراة وتفسدن
جواب قسم محذوف أو جرى
القضاء بالمتنوع مجرى القسم
فيكون تفسدن جوابا له
كانه قال واقسمنا تفسدن
في الارض (مرتين) أولاها
قتل زكريا عليه السلام
وحبس ارميا عليه السلام
حين أنذرهم سخط الله
والاخرى قتل يحيى بن زكريا
عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام

القدح حين رجعوا قالوا هذه آية قال وممرت بنى فلان وفلان راكبان فعود الله ما جدي مر
قدفرو بهيرهما متى فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك قالوا وهذه آية أخرى قالوا فاخبرنا عن
غيرنا قال ممرت بها بالنعم قالوا فاعدها وأحبالها وهيئتها فقال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له بعدتها
وأحبالها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزرة قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها لجل أوردق
عليه غرارتان خيطتان تطلع عليك عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا يشعدون نحو الثانية
وهم يقولون والله لقد قص محمد شيئا وبينه حتى أنوا كداء غلبوا عليه فجعلوا ينظرون متى تطلع
الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخرو هذه العير قد طلعت يقدمها بهير
أوردق فيها فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا قالوا هذه صهر مريم (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الجحور قرش تسألتني عن مسراي فسألتني عن أشيائي
من بيت المقدس لم أفتها فكربت كربة ما كربت مثلهما قط قال فرفعه الله لي أنظر اليه ما يسألوني عن
شيء الا أنبأهم به وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي فاذا راجل ضرب جعدا كانه من
رجال شنوءة واذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شيئا عروبة من مسعود الثقي واذا ابراهيم قائم
يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني به نفسه صلى الله عليه وسلم لحانت الصلاة قائمهم فلما فرغت من
الصلاة قال قائل يا محمد يا محمد هذا مالك صاحب النار وسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام (ق) عن جابر
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قرش قت الى الجحرجلى الله الى بيت المقدس
فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه زاد البخاري في رواية له لما كذبني قرش حين أمرني الى بيت
المقدس وذكر الحديث (م) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة
أمرني بي عند الكتيب الا جرفاذا هو قائم يصلي في قبره عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما انتهينا الى بيت المقدس قال جبريل كذا بابا صبغة فخرق به الجحرج وشده البراق أخرجه الترمذي فان
قلت كيف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف صلى بالانبياء في بيت المقدس
ثم وجداهم على مراتبهم في السموات وسلموا عليه وترحبوا به وكيف نصح الصلاة من الانبياء بعد الموت
وهم في الدار الآخرة قلت أما صلى الله عليه وسلم بالانبياء في بيت المقدس يحتمل ان الله سبحانه
وتعالى جمعهم له ليصلي بهم ويعرفوا بفضله وتقدمه عليهم ثم ان الله سبحانه وتعالى أراه اياهم في السموات
على مراتبهم لم يعرف هو مراتبهم وفضلهم وأما مروي وموسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكتيب الا جرف
فيحتمل انه كان بعد رجوعه من المعراج وأما صلاة الانبياء وهم في الدار الآخرة فهم في حكم الشهداء
بل أفضل منهم وقد قال الله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء فالانبياء
أحياء بعد الموت وأما حكمهم لانهم في الحديث انهم يلهجون التسبيح كإلهجون النفس ويحتمل
قال دعواهم فيها سبحانه الله هم روي في الحديث انهم يلهجون التسبيح كإلهجون النفس ويحتمل
ان الله سبحانه وتعالى خضعهم بخصائص في الآخرة كما خضعهم في الدنيا بخصائص لم يخص بها غيرهم منها أنه
صلى الله عليه وسلم أخبر انه رآهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله أعلم بالحقائق قوله سبحانه
وتعالى (وآتيناهم موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لبني اسرائيل أن لا تتخذوا)
يعني وقلنا لهم لا تتخذوا (من دوني وكيلا) يعني ربا كقيل لا (ذرية) يعني بذرية (من جعلنا مع نوح) انه كان
عبدا شكورا يعني ان نوحا كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا أكل طعاما أو شرب شرابا أو لبس ثوبا
قال الحمد لله فسماء الله عبدا شكورا لذلك قوله عز وجل (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب) يعني
أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون وهو قوله تعالى (تفسدن في
الارض مرتين) وقال ابن عباس وقضينا عليهم في الكتاب على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ

(ولتعلن علوا كبيرا) ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله ان فرعون عدلا في الارض والمراد به البغي والظلم وغلبة المفسدين على المسلمين (فاذا جاء وعد اولاهما) أي وعد عقاب اولاهما (بعثنا عليكم) سلطانا عليكم (عبادنا اولى بأس شديد) أشداء في القتال يعني سنجار يب وجنوده أو يختصر أوجالوت (160) قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين

واللام في تفسدن لام القسم تقديره والله لتفسدن في الارض يعني بالمعاصي والمراد بالارض أرض الشام وبيت المقدس (ولتعلن) يعني ولتستكبرن ولتظنن الناس (علوا كبيرا) فاذا جاء وعد اولاهما (يعني اولى المرتين) قيل افسادهم في المرة الاولى هو ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل افسادهم في المرة الاولى قتلهم شعيا في الشجرة وارسلهم بالمعاصي (بعثنا عليكم عبادنا) يعني جالوت وجنوده وهو الذي قتله داود وقيل هو سنجار يب وهو من أهل ينوى وقيل هو يختصر المبالى وهو الاصح (اولى بأس شديد) يعني ذوى بطش وقوة في الحرب (فجاسوا خلل الديار) يعني طافوا بين الديار ووسطها يطلبونكم ليقبلكم (وكان وعدا مفعولا) يعني قضاء كائن لا زم لا خلف فيه (ثم رددنا السك الكفرة عليهم) يعني رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) يعني أكثر عددا (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم) يعني لها ثوابا وجزاء احسانها (وان أسأتم فلها) يعني فعلها بالسوء (فاذا جاء وعد الاخرة) يعني المرة الاخرة من افسادكم وهو قتلهم قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفعهم اليه وقتلوا زكريا ويحيى عليهم السلام فسلط عليهم الفرس والروم فسبواهم وقتلواهم وهو قوله تعالى (ليسوا وأجوهكم) يعني اجزؤكم وقربى بالنون أي بسوء الله وجوهكم (وليدخلوا المسجد) يعني بيت المقدس وفواحيه (كادخلوه أول مرة) يعني وقت افسادهم الاول (وليستبروا ماء علوانا نفيرا) يعني وليأكلوا ما غلبوا عليه من بلاد بني اسرائيل اهلاكا

في ذكر القصة في هذه الآيات

قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا اليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم كان يدعى صدقة وكان الله اذ ملك عليهم الملك بعث معه نبيا اسمه دود ورسده ولا ينزل عليهم كتابا انما يؤمرن باتباع التوراة والاحكام التي فيها فلما ملك صدقة بعث الله معه شعيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعيا هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال أيشري أورشليم الآن يا بئرا كبا الخارون بعده صاحب البعير فلما ملك ذلك الملك بعث صدقة بنو اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعيا فبعث الله سنجار يب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فلم يزل سارحا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت في ساقه فجاء شعيا النبي اليه وقال يا ملك بنو اسرائيل ان سنجار يب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده بستمائة ألف راية وقد هاجم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل أتاك من الله وحى فيما حدث فتعبرنا به وكيف يفعل الله بنا وسنجار يب وجنوده فقال شعيا لم يأتني وحى في ذلك فبينما هم على ذلك أوحى الله الى شعيا النبي ان انت ملك بنو اسرائيل فمره أن نوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فأتى شعيا ملك بنو اسرائيل وقال ان ربك قد أوحى الى ان أمرنا أن نوصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فأنك ميت فلما قال ذلك شعيا لصدقة الملك أقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكي وينضرع الى الله تعالى بقلب مخلص اللهم رب الارباب واله الآلهة يا قدوس يا متقدس يا رحيم يا رؤوف يا من لا تأخذ سنة ولا نوم اذكرني بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنو اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به من سرى وعلايتى لك

الفا (فجاسوا خلل الديار) تردوا للغارة فيها قال الزجاج الجوس طلب الشيء بالاستقصاء (وكان وعدا مفعولا) وكان وعدا عقاب وعدا الادان يفعل (ثم رددنا لكم السكرة) أي الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل يختصر واستنفاد بنو اسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل أعدنا لكم الدولة بملك طالوت وقتل داود جالوت (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) كما كنتم وهو تغيير جمع نفر وهو من ينفر مع الرجل من قومه (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها) قيل اللام بمعنى على كقوله وعليها ما كتبت والاصح انما على بابها لان اللام للاختصاص والعام مل مختص بجزائه عمله حسنة كانت أو سيئة يعني ان الاحسان والاساءة تختص بأنفسكم لا بتعدى الدفع والضرر الى غيركم وعن على رضى الله عنه ما أحسنتم الى أحد ولا أسأت اليه وتلاها (فاذا جاء وعد الاخرة) وعد المرة الاخرة بعثناهم (ليسوا) أي هؤلاء (وجوهكم) وحذف فاستجاب لدلالة ذكره اول عليه أي ليعجلوا بادية آثار المساءة والكتابة فيها كقوله سببت وجوه الذين كفروا ليسوا شامى ورحمة وابو بكر والضمير لله عز وجل والوعد بالبعث انسواء على (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس (كادخلوه أول مرة) وليستبروا ماء علوانا نفيرا (ما علوانا مفعول ليستبروا أي ليهلكوا كل من غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم

أحد ولا أسأت اليه وتلاها (فاذا جاء وعد الاخرة) وعد المرة الاخرة بعثناهم (ليسوا) أي هؤلاء (وجوهكم) وحذف فاستجاب لدلالة ذكره اول عليه أي ليعجلوا بادية آثار المساءة والكتابة فيها كقوله سببت وجوه الذين كفروا ليسوا شامى ورحمة وابو بكر والضمير لله عز وجل والوعد بالبعث انسواء على (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس (كادخلوه أول مرة) وليستبروا ماء علوانا نفيرا (ما علوانا مفعول ليستبروا أي ليهلكوا كل من غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم

فاستجاب الله له وكان عبدا صالحا فوحى الله الى شعيا ان يخبر صدقة ان ربه قد استجاب له ورجعه وأخر
أحده خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنجاريب فاتاه شعبا فآخبره فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع
وانقطع عنه الحزن وخر ساجدا لله وقال الهى واله أبائى لك سجدت وسجدت وكبرت وعظمت أنت الذى
تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول
والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذى أجبت دعوتى ورحمت
تصرى فلما رفع رأسه أوحى الله الى شعيا أن قل للملك صدقة فبأمر عبد من عبيده فأتاه بماء القين
فبجعله على قرخته فبشيء فيصبح وقد برأ ففعل ذلك فبشيء فقال الملك لشعيا سبل ربك أن يجعل لنا علما بما
هو صالح بعدونا هذا قال الله لشعيا قل له انى قد كفىك عدوك وانجيتك منهم وانهم سيصبحون موتى كأنهم
السنجاريب وخسة نفر من كتابه أحدهم يختصم فلما أصبحوا جاء صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بنى
امرائيل ان الله قد كفلك عدوك فأخرج فان سنجاريب ومن معه هلكوا فخرج الملك والتمس سنجاريب
فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك فى طلبه فأدركه الطلب فى مفازة ومعه خمسة نفر من كتابه أحدهم يختصم
فخذه لوهم فى الجوامع ثم أتواهم الملك فلما رأهم خر ساجدا لله تعالى من حين طاعت الشمس الى العصر ثم قال
لسنجاريب كيف رأيت فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بمحولة وقوته ونحن وأنتم عاقلون فقال سنجاريب قد أنانى
خبر ربكم ونصره اياكم ورجعته التى برحمتكم ما قبل أن أخرج من بلادى فلم أطع امر شدا ولم ألقى فى الشقوة
الاقلة عطفى ولو سمعت أو عقلت ما غررتكم فقال الملك صدقة الحمد لله رب العالمين الذى كفاناكم عما شئتم
وان ربنا لم يهلككم ومن معلن ذكر امتك عليه ولكنه اغما أبقاك ومن معلن اتزادوا شقوة فى الدنيا وعذابا
فى الآخرة ولتخبروا من وراءكم عاراً بتم من فعل ربنا بكم فتسندوا من بعدكم ولو لا ذلك لقتلك ومن معلن
ولد ملئودم من معلن أهون على الله من دم قراد لو قتلت ثم ان ملك بنى امرائيل أمر أمير حرسه أن يهذف
فى رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس وابلياء وكان يرزقهم فى كل يوم خبز
من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب للملك صدقة القتل خير مما نحن فيه وما يفضل بنا فامرهم الى
السجين فأوحى الله الى شعيا النبى ان قل للملك بنى امرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم
وايكبرهم وليعلمهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعيا الملك ففعل وخرج سنجاريب ومن معه حتى
قدموا بابل فلما قدم جمع الناس فآخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد كنا
نقص عليك خبر ربهم وخبر نبىهم ووحى الله الى نبىهم فلم تطعنوا وهى أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم
وكان أمر سنجاريب يخويف ابنى امرائيل ثم كفاهم الله تعالى ذلك فبكره وعبره ثم ان سنجاريب ابست بعد
ذلك سبع سنين ثم مات واستخاف على ملكه يختصم ابن ابنه ففعل بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع
عشرة سنة ثم قبض الله ملك بنى امرائيل صدقة قرج أمر بنى امرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم
بعضا وشعبا فيهم معهم لا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعيا قم فى قومك حتى أوحى الى
اسانك فلما قام أطلق الله لسانه بالوحى فقال باسماء اسمى وبأرض انصتى فان الله يريد ان يقص شأن بنى
امرائيل الذين رباهم بنعمة واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عبادهم وهم كالغنم
المضاعة التى لا راعى لها فأوى شاردتها وجميع ضالتها وجبر كسيرا وداوى مرضها وأسمن مهرولها
وحفظ مميتها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشا فقتل بعضها ببعضها حتى لم يبق منها عظم صحيح يحبر
اليه آخر فويل له هذه الامه الخاطئة الذين لا يدرون أنى جاءهم الحين ان البعير مما يذكروطنه فينتابه
وان الحمار مما يذكروا ترى الذى يشبع عليه فيراجعه وان الثور مما يذكروا المرج الذى يمين
فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم أولو الالباب والعقول ليسوا
ببصر ولا حبر وانى ضارب لهم مثلا فليسسموه قل كيف ترون فى أرض كانت خرابا زانالا عمران فيها
وكان لها رب حكيم قوى فاقبل عليها بالعسارة وكره ان تخرب أرضه وهو قوى أو يقال ضيع

وهو حكيم فاحاط عليهم اجداد اوشيد فيها قصر او انبط فيها ثم راوصف فيها اغراسا من الزيتون والرمان
والخيل والاعناب والوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه فيما ذار أي وهممة حفيظا قويا أميناً فلما
أطلعت جاء طلعها خرو باقة الوايئت الارض هذه فترى ان يمد جدارها وقصرها ويدفن نهرها ويقيض
قبحها ويحرق غراسها حتى نصير كما كانت أول مرة خراباً ما وانا لا عمران فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار
ديني والقصر ثم يعنى وان المهر كابي وان القيم نبي وان الغراس هم وان الخروب الذي أطلع الغراس
أعمالهم الخبيثة واني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربته لهم بتقربون الى يذبح
البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا آكاه ويدعون أن يتقربوا الى بالتقوى والكف عن ذبح الانفس
التي حرمتها وأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملات بدمائها يشيدون الى البيوت مساجد ويظهرون
أجوافها ونجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها ويذوقون الى المساجد وينزفون ويخرجون عقولهم
وأخلاقهم ويفسدونها فاي حاجة الى تشييد البيوت ولست أسكنها أو أي حاجة الى تزويق المساجد ولست
أدخلها انما أمرت برفعها الا ذكر وأسبح فيها يقولون صنفنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم ننزل صلواتنا ونصدقنا
فلم نترك صدقنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل هواء الذئاب في كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله
فأسألهم ما الذي عنعني أن استجيب لهم ألت أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين
وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف
أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربني ويحادي ويتهنئ تحارمي أم كيف تركو عندي
صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم انما أجر عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعائهم
وانما هو قولهم بألستهم والفعل من ذلك بعد وانما استجيب للادعي اللين وانما استمع قول المستضعف
المستكين وان من علامة رضائي رضا المساكين يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي انما أقاويل
منقولة وأحاديث متواترة وتآليف مما تواف السحرة والكهنة وزعموا انهم لو شاءوا أن يأتوا بحديث
مثله فعلوا ولو شاءوا أن يطلعوا على علم الغيب بما فوقهم الشياطين اطلعوا واني قد قضيت يوم خلقت
السموات والارض قضاء أنبته ورحمته على نفسي وجهات دونه أجلا مؤجلا لا بدانه واقع فان صدقوا فيما
يتكلمون من علم الغيب فلنخبروا متى أنفذته أو في أي زمان يكون وان كانوا يقدررون على ان يأتوا بما يشاؤون
فليأتوا بمثل هذه القدرة التي هم أمضيت فاني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدررون
على ان يأتوا بما يشاؤون فيؤلفوا مثل هذه الحكمة التي أدبر بها ذلك القضاء ان كانوا صادقين واني قد
قضيت يوم خلقت السموات والارض ان أجعل النبوة في الاجراء وان أجعل الملك في الرعاء والعز في
الأذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والعلم في الجهلة والحكمة في الاميين فسلهم متى هذا
ومن القائلين هذا من أعوان هذا الامر وأنصاره ان كانوا يعلمون واني باعث لذلك نبيا أميا ليس أعجمي
من عبيان ولا ضالامن ضالين وليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال
للجنا أسدده بكل جيل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاعه والتقوى ضميره
والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعز والمعرفة والعدل سيرته والحق شريعته
والهدى امامه والاسلام ملته وأجدا سمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد
الخلالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف
به بين قلوب مختلفة وأهواء مشتتة واهم متفرقة واجعل أمته خیر أمة أخرجت للناس بأمرهم بالمعروف
ونهيهم عن المنكر توحيد الى وإيماناً باني وإخلاصاً لي يصلون قياماً وعوداً وركعاً وسجوداً ويقفون
في سبيلي صفوفاً وزخوفاً ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضائي ألهم التكبير والتوحيد
والتسبيح والتحميد والتلليل والملاحدة والتعجيل في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومقابرهم

ومنواهم يكبرون ويهللون ويقدمون على رؤس الاشرف يطهرون الى الوجوه والاطراف ويعقدون
 في الثياب على الانصاف قربانهم دماؤهم واناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنها ذلك
 فضلى اوتيه من اشاء وانا ذوالفضل العظيم فلما فرغ شعبا من مقاتله عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم
 فلقبته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ به من ثوبه فاراهم اياها فوضعوها المذار
 في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخاف الله على بني اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم
 يقال له ناشه بن اموص وبعث لهم ارميا بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون بن عمران وذكر ابن اسحق
 انه اخضر واسمه ارميا سمي الخضر لانه جالس على فروة بيضاء فقام عنها وهي ثم ترخضراء فبعث الله
 ارميا الى ذلك الملك ليسدده ويرشده ثم عظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا
 المحارم فاراحى الله الى ارميا ان انت قومك من بني اسرائيل فاقصص عليهم ما امرك به وذكرهم نعمي
 وعرفهم باخذاتهم فقال ارميا يا رب اني ضعيف ان لم تقوى عاجزان لم تبلغنى مخدول ان لم تنصرنى قال
 الله تعالى اولم تعلم ان الامور كلها تصد عن مشيئتي وان القلوب والا لاسنة بيدى كيف شئت اني
 معك وان يصل اليك شئ معي فقام ارميا فيهم ولم يدروا يقول قالهم الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة
 بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله عز وجل واني خلقت بعزى لا فيضن لهم
 فتنة يصير فيها الحليم ولا سلطان عليهم جبارا قايما لبله الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل
 سواد الليل المظلم ثم اوحى الله الى ارميا اني مهلك بني اسرائيل بياض وياض من اهل بابل فسلط الله
 عليهم بختنصر فخرج في ستمائة الف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطئ الشام وقيل بني اسرائيل
 حتى افنواهم وخرب بيت المقدس واهم جنوده ان يلاكل رجل منهم ترسه ترابا ثم قدفه في بيت المقدس
 ففعلوا ذلك حتى ملؤوه ثم امرهم ان يجمعوا من في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير
 من بني اسرائيل فاختر منهم سبعين الف صبي فلما خرجت غنائم جنده واوراد ان يقسمها فيهم قالت له
 الملوك الذين كانوا معه ايها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني
 اسرائيل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة غلمان وفرق من بقى من بني
 اسرائيل ثلاث فرق ثلثا اقرهم بالشام وثلثا سبواهم وثلثا قتلهم وذهب باناث بيت المقدس وبالصبيان
 السبعين الفا حتى اقدمهم بابل فكانت هذه الواقعة الاولى التي انزل الله عز وجل على بني اسرائيل بظلمهم فذلك
 قوله سبحانه وتعالى فاذا جاء موعد اولاهما بعثنا عليكم عبادنا الاولى باس شديد يعني بختنصر واصحابه ثم
 ان بختنصر اقام في سلطانه ماشاء الله ثم رأى رؤيا عجيبة اذ رأى شيئا اصابه فانساه الذي رأى فدعا عازرا
 وحنانيا وعزرا وبارمياثا واكلوا من ذراوى الانبياء وسألهم عنها فقالوا اخبرنا بما انخبرك بتاويلها
 فقال ما اذكرها وان لم تخبروني بموتنا وبنا وبنا ولا نزعن اكاكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا
 اليه فاعلمهم الله بالذي سألهم عنه فجاءوه فقالوا رايت غنا لا قدماء وساقاه من نخار ووركتاه ونخذه من
 نحاس وبنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فيبينما انت تنظر اليه
 وقد اعجبك ارسل الله صخرة من السماء فدقته فهي التي استكها قال صدقتم فانا وبنا وبنا وبنا وبنا
 انك رايت الملوك بعضهم كان ابلين ملكا وبعضهم كان احسن ملكا وبعضهم كان اشد ملكا والفتنار
 اضعفه ثم فوقه النحاس اشد منه ثم فوق النحاس الفضة احسن من ذلك وفضل والذهب احسن من
 الفضة وفضل ثم الحديد ملكك فهو اشد واعز من قبله والصخرة التي رايت ارسل الله من السماء فدقته
 فبني ببعث الله من السماء فيدق ذلك اجمع او يصير الامر اليه ثم ان اهل بابل قالوا بختنصر ارأيت هؤلاء
 الغلمان من بني اسرائيل الذين سألنا ان تعطيناهم ففعلت فانا قد انكرنا اناء نامنذ كانوا معنا لقد
 راينا اناءنا انصرف وجوههن عنا اليهم فاتجرهم من بين اظهارنا واقتلهم فقال شأنكم بهم فن احب

منكم ان يقتل من كان في يده فليفعل فلما قربوهم للقتل بكوا ونصرعوا الى الله عز وجل وقالوا يا ربنا
أصأبنا البلاء بنفوب غير نافع وهدم الله أن يحيمهم فقتلوا الا من كان منهم مع مختصر منهم - م دا نبال
وخنايا وغزاريا وميشايل ثم لما أراد الله تعالى هلاك مختصر انبياء فقال لمن في يده من بني اسرائيل
أرايت هذا البيت الذي خربت والناس الذي قتلتم منهم وما هذا البيت قالوا هو بيت الله وهو لاء أهله
كافوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعدوا وفسطط عليهم بنفوبهم وكان ربهم رب السموات والارض ورب
الخلايق كلهم بكرهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبروا وتجبروا وظن
أنه يجبرونه فعل ذلك بني اسرائيل قال فأخبروني كيف أني أن أطلع الى السماء العليا فأقتل من فيها
وأخذها الى ملكا فاني قد فرغت من أهل الارض قالوا ما بقدر عليهم أحد من الخلائق قال اتفعلن
أولا قتلتم من آخركم فبكوا ونصرعوا الى الله تعالى فبعث الله عز وجل عليه بقدرته بعوضة قد دخلت
منخره حتى عضت أم دماغه فلما كان يقر ولا يسكن حتى يوحأ له رأسه على أم دماغه فلما مات شقوا رأسه
فوجدوا البعوضة غاضة على أم دماغه ليرى الله العباد قدرته ونجي الله من بقي من بني اسرائيل في يده
وردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه ويرحمون أن الله سبحانه وتعالى
أحيا أولئك الذين قتلوا فلقوا ربهم ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت
التوراة قد احترقت وكان عزيز من السبابا الذين كانوا ببابل فلما رجع الى الشام جعل يبكي لبله ونهاره
وخرج عن الناس فيمنأ هو كذلك اذ جاءه رجل فقال له يا عزيز ما يبكيك قال أبكي على كتاب الله وعهد
الذي كان بين أظهرنا الذي لا يصلح ديننا وآخرتنا غيره قال أفتب أن برد اليك قال نعم قال ارجع قسم وظهر
وظهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غد افرجع عزيز فصام وظهر وظهر ثيابه ثم عمد الى المكان الذي
وعده فجلس فيه فأتاه ذلك الرجل بآباء فيه ماء وكان ملكا بعينه الله اليه فسماه من ذلك الاناء قتل
التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبوه حباً لم يحبوا حبة شياً قط ثم قبضه الله
تعالى وجعلت بنو اسرائيل بعد ذلك يحدون الاحداث ويعود الله عليهم - م ويبعث فيهم الرسل ففرى
يكذبون وفرى يقتلون حتى كان آخر من بعث اليهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام
وكانوا من بيت آل داود فزكريا مات وقيل قتل وقصدوا عيسى يقتلوه فرفعه الله من بين أظهرهم وقتلوا
يحيى فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل
عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رؤساء من رؤساء جنوده يقال له بيورزاذان صاحب القتل فقال له اني قد
كنت حلفت بالهي أني أنا ظفرت على أهل بيت المقدس لا قتلهم حتى يسيل الدم في وسط عسكري الا أن
لا أحد أحد أقتله فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بيورزاذان دخل بيت المقدس فقام في البقعة
التي كانوا يقرجون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسألهم عنه فقالوا يا بني اسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي
أخبروني خبره فقالوا هذا دم قربان لنا قريناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي ولقد قربنا القربان من ثمانمائة سنة
فتقبل منا الا هذا فقال ما صدقوني فقالوا لو كان كقول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة
والوحي فلذلك لم يقبل منا فذبح بيورزاذان منهم على ذلك الدم سبع مائة وسبعين روحاً من رؤسهم فلم يمد
الدم فأمر بسبع مائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يمد فأمر بسبع مائة من شبيهم وأزواجهم
فذبحهم على الدم فلم يمد فأمر أن يبيورزاذان ان الدم لا يمد قال لهم يا بني اسرائيل ويلكم أصدقوني
واصبروا على أمر ربكم فقد طالما ملكتم في الارض فنعلمون ما كنتم قبل أن لا أترك منكم نافع نار من ذكر
ولا أنثى الا قتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا ان هذا دم نبي كان فيها نافع أمور كثيرة
من مضط الله تعالى فلو كنا أطعناه كنا أرسدنا وكان يخبرنا عن أمركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دم فقال
لهم بيورزاذان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الا أن صدقوني لأتل هذا ينتقم ربكم منكم فلما علم

الى يوم القيامة (وجعلنا

ابن عباس رضی اللہ عنہما ۱۰

التي في هذا الاستعمال وعن

اللفظ (وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) أي الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار لليتين كاضافة العدد الى المعدود أي فحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة أو وجعلنا نرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس (١٦٦) والقمر فحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فنرى

الاشياء به رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يصرف في ضوئها كل شيء (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوضوا لوابيض النهار الى التصرف في معاشكم (وتعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين والحساب) يعني حساب الاجال ومواسم الاعمال ولو كانا مثنين لما عرف الليل من النهار ولا استراح سراس المتكسبين والتجار (وكل شيء) مما تفقرون اليه في دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) بينا بيا ناغير ملتبس فأزحنا هلككم وما تركنا لكم حجة علينا (وكل انسان الزمان طائر) عمله (في عنقه) يعني ان عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل للعنق لا ينفك عنه (ويخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه) هو صفته لكتابا يلقاه شاميا (منشورا) حال من يلقاه يعني غير مطوى ليكنه قراءته أو هما صفتان للكتاب ونقول له (اقرأ كتابك) أي كتاب أعمالك وكل بيعت فارنا (كني نفسك اليوم عليك) الباء زائدة أي كني نفسك (حسبنا)

وتعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أي علامتين داليتين على وحدانيتنا وقد وثنا في معنى الآية قولان أحدهما أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهوانه جعلهما دليلين الخلق على مصالح الدنيا والدين أما في الدين فلا نكل واحد منهما مضاد للآخر مغاير مع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه أقوى دليل على ان الله ما مدبر ايدهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة وأما في الدنيا فلا نكل مصالح العباد لا تتم الا بهما ففي الليل يحصل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب والقول الثاني أن يكون المراد وجعلنا نرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر (فحونا آية الليل) أي جعلنا الليل محو الضوء مظلما لا يستبان فيه شيء (وجعلنا آية النهار مبصرة) أي تبصر فيه الاشياء رؤية بينة قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزأ أو نور القمر كذلك فجعل من نور القمر تسعة وستين جزءا فجعل لهم مع نور الشمس وحكي ان الله أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور وسأل ابن الكوا عن السواد الذي في القمر فقال هو أثر المحو (لتبتغوا فضلا من ربكم) أي لتتوضوا لوابيض النهار الى استبانته أهملكم والتصرف في معاشكم (وتعلموا) أي باختلاف الليل والنهار (عدد السنين والحساب) أي ما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حساب الاوقات ولتعطلت الامور ولوترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدرك الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون الموجهة واعلم ان الحساب يبنى على أربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دونهما من الشهور والايام والساعات وليس بعد هذه المراتب الاربع الا التكرار (وكل شيء فصلناه تفصيلا) يعني وكل شيء تفقرون اليه من أمر دينكم ودنياكم قد بيناه بيا نا شافيا واضحا غير ملتبس قبل انه سبحانه وتعالى لما ذكر احوال آيتي الليل والنهار وهما من وجهه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان من الله تعالى على اهل الدنيا وكل ذلك بفضل منه فلا جرم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا قوله عز وجل (وكل انسان الزمان طائر في عنقه) قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل مامن مولود الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد وقيل أراد بالطائر ما قضى عليه انه عامله وما عوصا رايه من سعادة أو شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمان ما طار له من عمله لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه والعنق في قوله في عنقه كناية عن الزموم كما يقال جعلت هذا في عنقك أي قلدك هذا العمل والزمان الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق والغل مما يزين أو يشين فان كان عمله خيرا كان له كالقلادة أو الحل في العنق وهو مما يزينه وان كان عمله شرا كان له كالغل في عنقه وهو مما يشينه ويخرج له يقول تبارك وتعالى (ويخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) قيل بسطت للانسان صحيفة وان وكل به ملاكان يحفظان عليه حسناته وسيئاته فاذا مات طويت الحقيقتان وجعلتا معه في عنقه فلا ينشران الى يوم القيامة (اقرأ كتابك) أي يقال له اقرأ كتابك قبل يقرأ يوم القيامة من لم يكن قارئاً (كني نفسك اليوم عليك حسبنا) أي بحاسبنا قال الحسن اعدل عليك (١) من جعلك حاسب نفسك وقيل يقول الكافر انك أنت بظلام العبيد فاجعني أحاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك

تفصيل وهو معنى حاسب وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي وضع موضع الشيء فمدى بهلى صكفي لان الشاهد بكفي المدعى ما أمه وانما ذكر حسبنا لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير اذا الغالب أن يتولى هذه الامور الرجال فكانه قيل كني نفسك رجلا حسبنا أو تقول النفس بالشخص هاتين في الخطيب عدل والله في حق من الخوف في الكشف يا ابن آدم أنصفك والله من الخ اه معصم

(من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فلتا غلبه ضل عليها) أى فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (ولا تنزروا زرة وزر أخرى) أى كل نفس حاملة وزر فلتا تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى (وما كنا مع مذنبين حتى نبعث رسولا) وما صبح منا أن نعتذب قومًا عذاب استهال في الدنيا إلا بعد أن نرسل اليهم رسولاً يلزمهم الحجة (وإذا أردنا أن نهلك قرية) أى أهل قرية (أمرنا مترفيها) متنعمة فيها وجبارتها بالطاعة عن أبي عمرو والزجاج (ففسد قوافيها) أى خرجوا عن (١٦٧).

دليله قراءة يعقوب أمرنا
ومنه الحديث خير المال
سكة مأثورة ومهورة مأثورة
أى كثيرة النسل (خلق عليها
القول) فوجب عليها الوعيد
(فدمرنا هاتديها) فاهلكناها
اهلاكاً (وكم) مفعول
(أهلكنا من القرون)
بيان لكم (من بعد فوج)
بمعنى عاد وحمود وغيرهما
(وكنى بربك بذنوب عباده
خبيراً) وإن أخفوها في
الصدور (بصيرة) وإن
أرخوا عليها السطور (من
كان يريد العاجلة عجلنا له
فيها ما يشاء) لا ما يشاء (لمن
يزيد) بدل من له بإعادة
الجار وهو بدل البعض من
الكل إذا ضمير يرجع إلى
من أى من كانت العاجلة
هم ولم يرد غيرها كالكفرة
تفضلنا عليه من منافعها
بما يشاء لمن يريد فقيل
المجل بمشيئته والمجل له
بإرادته وهكذا الحال ترى
كثيراً من هؤلاء يتننون
ما يتننون ولا يعطون إلا بعضاً
منه وكنى بربهم يتننون
ذلك البعض وقد حرموه
فاجتمع عليهم فقر الدنيا

كفى بنفسك اليوم عايشاً حسيباً قوله سبحانه وتعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فلتا غلبه ضل عليها) أى فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (ولا تنزروا زرة وزر أخرى) أى كل نفس حاملة وزر فلتا تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى (وما كنا مع مذنبين حتى نبعث رسولا) وما صبح منا أن نعتذب قومًا عذاب استهال في الدنيا إلا بعد أن نرسل اليهم رسولاً يلزمهم الحجة (وإذا أردنا أن نهلك قرية) أى أهل قرية (أمرنا مترفيها) متنعمة فيها وجبارتها بالطاعة عن أبي عمرو والزجاج (ففسد قوافيها) أى خرجوا عن (١٦٧).
كفى بنفسك اليوم عايشاً حسيباً قوله سبحانه وتعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فلتا غلبه ضل عليها) أى فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (ولا تنزروا زرة وزر أخرى) أى كل نفس حاملة وزر فلتا تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى (وما كنا مع مذنبين حتى نبعث رسولا) وما صبح منا أن نعتذب قومًا عذاب استهال في الدنيا إلا بعد أن نرسل اليهم رسولاً يلزمهم الحجة (وإذا أردنا أن نهلك قرية) أى أهل قرية (أمرنا مترفيها) متنعمة فيها وجبارتها بالطاعة عن أبي عمرو والزجاج (ففسد قوافيها) أى خرجوا عن (١٦٧).
كفى بنفسك اليوم عايشاً حسيباً قوله سبحانه وتعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فلتا غلبه ضل عليها) أى فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (ولا تنزروا زرة وزر أخرى) أى كل نفس حاملة وزر فلتا تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى (وما كنا مع مذنبين حتى نبعث رسولا) وما صبح منا أن نعتذب قومًا عذاب استهال في الدنيا إلا بعد أن نرسل اليهم رسولاً يلزمهم الحجة (وإذا أردنا أن نهلك قرية) أى أهل قرية (أمرنا مترفيها) متنعمة فيها وجبارتها بالطاعة عن أبي عمرو والزجاج (ففسد قوافيها) أى خرجوا عن (١٦٧).

وقرأ الآخرة وأما المؤمن التقي فقد اختار غنى الآخرة فإن أوتي حظاً من الدنيا فيها والأفقر خيراً له (ثم جعلنا له جهنم) في الآخرة (بصلاً) يدخلها (مذموماً) محمقوتاً (مدحوراً) مطروداً من رحمة الله (ومن أراد الآخرة وسهى له أسعيها) هو مفعول به أو حقها من السهى وكفأها من الأعمال الصالحة (وهو مؤمن) مصدق لله في وعده ووعيدته (فأولئك كان سعيهم مشكوراً) مقبولاً عند الله متاباً عليه عن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وثلاث فانه شرط فيها ثلاث شرائط في كون السعى مشكوراً إرادة الآخرة والسعى فيما كلف والإيمان الثابت

(كلا) كل واحد من الفريقين والتزوين عوض عن المضاف اليه وهو منصوب بقوله (غدهؤلاء) بدل من كلا أي غدهؤلاء (وهؤلاء) أي من أراد العاجلة ومن أراد الآخرة (من عطاء ربك) رزقه ومن تتعلق بنفسه والعطاء اسم للمعطى أي نزل يدهم من عطائنا ونجعل الآتف منه مددًا لا تقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا عن عباده وان عصوا (انظر) بعين الاعتبار (كيف فضلنا بعضهم على بعض) في المال والجاه والسعة والكمال (وللاخرة) كبر درجات وأكبر تفضيلا (روى ان قوما من الاشراف (١٦٨) فن دونهم اجتمعوا باباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على أبي

والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف الصالح من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلاهذه الآية قوله عز وجل (كلا غدهؤلاء، وهؤلاء) أي غدهؤلاء الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة (من عطاء ربك) يعني رزقه. ما جيعا ثم يختلف الحال بهما في المال (وما كان عطاء ربك محظورا) أي ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء في الدنيا اذ لاحظ للكافر في الآخرة (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) أي في الرزق والعمل يعني طالب العاجلة وطالب الآخرة (وللاخرة) كبر درجات وأكبر تفضيلا (يعني ان تفاضل الخلق في درجات منافع الدنيا) وس قنفاض لهم في درجات منافع الآخرة أكبر وأعظم فان نسبة التفاضل في درجات الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان تشدد رغبته في طاب الدنيا فلا تقوى وتشدد رغبته في طاب الآخرة أولى لانها دار المقامة قوله تعالى (لا تجعل مع الله الها آخرة) الخطأ مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل أم الانسان مع الله الها آخرة وهذا أولى (فتقدم مذموما) أي من غير حمد (مخذولا) أي بغير ناصر قوله سبحانه (وقضى ربك) أي وأمر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه وأوجب ربك وقيل معناه الحكيم والجزم وقيل ووصى ربك وحكى عن الضحاك انه قرأها ووصى ربك وقال انهم لم أصدقوا الواو بالصاد فصارقا فهو قراءة على وابن مسعود قال الامام غفر الدين الرازي في تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لانه يفتح باب أن التعريف والتغيير قد تطرق الى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الايمان على القرآن وذلك يخرج عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم في الدين (ألا تعبدوا الاياه) فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق الا به الانعام والافضل على عباده ولا منعم الا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين احسانا) أي وأمر بالوالدين احسانا أي برا بهما وعطا فاعليهما واحسانا اليهما (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) معناه انهما ما يبلغان الى حالة الضعف والجزف فيمران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أول العمر * واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر هذه الجنة كلف الانسان في حق الوالدين خمسة أشياء الأول قوله تعالى (فلا تقل لهما أف) وهي كلمة تفجروا كراهية وقيل ان أصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليه تراب أو رماد ونفخت فيه تريله تقول أف ثم انهم توسعوا بهذه الكلمة الى كل مكروه يصل اليهم والثاني قوله (ولا تنهرهما) أي تترجعهما عما يتعاطيان به مما لا يحبب قال نهره وانهره بمعنى فان قلت المنع من التأنيف أبلغ من المنع من الانتهار فبالوجه الجمع قلت المراد من قوله ولا تقل لهما أف المنع من اظهار الضجر بالقيل والكنهر والمراد من قوله ولا تنهرهما ما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما الثالث قوله (وقل لهما قولا كريما) أي حسننا جلاينا كما يقتضيه حسن الادب معهما وقيل هو يا أمهات يا أبناء

سفيان فقال سهيل بن عمرو وانما آتينا من قبلنا انهم دعوا وديننا يعني الى الاسلام فأمر عوا وابطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حددتهم على باب عمر لما أعاد الله لهم في الجنة أكثر (لا تجعل مع الله الها آخرة) الخطأ للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته (فتقدم مذموما مخذولا) فتصير جماعا على نفسك الذم والخذلان وقيل مشتوبا بالاهانة محروما عن الامانة اذ الخذلان ضد النصر والعون دليله قوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده حيث ذكر الخذلان عقابا للنصر (وقضى ربك) وأمر امرأته طوعا وبها (ألا تعبدوا الاياه) ان مفسرة ولا تعبدوا وهي أوبان لا تعبدوا (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بالوالدين

احسانا أو بان تحسنوا بالوالدين احسانا (اما يبلغن عندك الكبر) اما هي ان الشرطية زبدت وقيل عليها مانا كيد اها ولذا دخلت التوون المؤكدة في الفعل ولو أفردت ان لم يصح دخولها لا نقول ان تكبر من زيد ايكبر من ولكن اما تكبر منه (أحدهما) فاعل يبلغن وهو في قراءة عجرة وعلى يبلغان بدل من أف الضمير الراجع الى الوالدين (أو كلاهما) عطف على أحدهما فاعلا وبلا (فلا تقل لهما أف) مدني وحفص أف مكى وشامى أف غيرهم وهو صوت يدل على تفجير فالكبر على أصل التقاء الساكنين والفتح للتخفيف والتزوين لارادة التنكير أي تفجير تفجير أو تركه لقصه التعريف أي تفجير التفجير المعلوم (ولا تنهرهما) ولا تترجعهما عما يتعاطيان به مما لا يحبب والنهي والتهراخوان (وقل لهما) بدل التأنيف والنهر (قولا كريما) جلاينا كما يقتضيه حسن

الادب أو هو ان يقول يا ابتاه يا أمه ولا يدعوها بأسمائها ما فاته من الجفاء ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها لمخلى أبو بكر كذا وفائدة عندك انهما اذا صاروا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيرهما عنده في بيته وكسفه وذلك أشق عليه فهو مأثور بأن يستعمل معهما اللين الخلق حتى لا يقول لهما اذا أصبح ما يستغذرنه من أف فضل عما يريد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوسية بهما حيث افتتحها بأن شفع الاحسان اليهما بتوحيده ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفقت من المتضيقين مع موجبات الضيق ومع أحوال لا يكاد يصبر الانسان معها (واخفض لهما جناح الذل) أي اخفض لهما (١٦٩) جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين

وفأضافه الى الذل كما أضيف
حاتم الى الجود والمعنى
واخفض لهما جناحك
الذل (من الرحمة) من
فرط رحمتك لهما وعطفك
عليهما ما اكبرهما وافقارهما
اليوم الى من كان أفقر خلق
الله اليهما بالامس وقال
الرجاء وأن جازيتك مثلالا
لهما من مباغتتك في الرحمة
لهما (وقل رب ارحهما كما
ربياني صغيرا) ولا تكف
برحمتك عليهما التي لا يقاء
لها وادع الله بان يرحهما
رحمة الباقية واجعل ذلك
جزا لرحمتك عليهما في صغر
وتربيتهم المالك والمسراد
بالخطاب غير عليه السلام
والدعاء مختص بالابوين
المسلمين وقيل اذا كانا
كافرين له أن يسترحم
لهما بشرط الايمان وان
يدعوا الله لهما بالهداية
وعن النبي صلى الله عليه
وسلم رضا الله في رضا الوالدين
وسخطه في سخطهما وروى
يقول البار ما شاء أن يفعل
فلن يدخل النار يفعل
العاني ما شاء أن يفعل فلن

وقيل لا يكتفيهما وقيل هو ان يقول لهما اقول العبد الذليل المذنب للسيد الغليظ الرابع قوله عز وجل (واخفض لهما جناح الذل) أي أن لهما ما جناحك واخفضه لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحياه (من الرحمة) أي من الشفقة عليهم ما اكبرهما وافقارهما اليوم اليك كما كنت في حال الصغر والضعف مفتقرا اليهما الخامس قوله سبحانه وتعالى (وقل رب ارحهما كما ربياني صغيرا) أي وادع الله لهما أن يرحهما برحمته الباقية وأراد به اذا كانا مسلمين فاما اذا كانا كافرين فان الدعاء منسوخ في حقهما بقوله سبحانه وتعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للأشركين ولو كانوا أولي قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بأن يهديهم الله الى الاسلام فاذا هداهما فقد رجعهما وقيل في معنى هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى بالغ في التوسية بهما حيث افتتحها بالامر بتوحيده وعبادته ثم شفعه بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تسوءهما وان يدل ويخضع لهما ثم خففها بالامر بالدعاء لهما والترحم عليهما

فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في بر الوالدين (ق) عن أبي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أبوك فأدناك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة (م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحزى ولد والديه إلا أن يجده مملوكا فشت تربيته فيه متقه (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال أحمي والدك قال نعم قال ففهم ما جاهد وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين أخرجه الترمذي مر فوعا وموقوفا قال وهو أصح عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فضع ذلك الباب أو احفظه أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (م) عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أحب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله تعالى قوله سبحانه وتعالى (ربكم أعلم بما في نفوسكم) أي من بر الوالدين واعنة ادا ما يجب لهما من التوفير وعدم عقوبتهما (ان تكونوا صالحين) أي أبراراً مطيعين قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم في اقيام عيالكم من حق الوالدين أو غيرهما أو قيل فرط منكم في حال الغضب وعند حرج الصدد وما لا يخلو منه البشر مما يؤدي الى أذاهما ثم أنبتم الى الله واستغفرتم مما فرط منكم (فانه كان للابوين) للتوابين (غفورا) قال سعيد بن جبير في هذه الآية هو الرجل تكون منه البادرة الى أبويه لا يريد بذلك الا الخير فانه لا يؤاخذ بها وقال سعيد بن المسيب الاواب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وعنه انه الرجاء الى الخير وقال ابن عباس الاواب الرجاء الى الله فيما يحزنه ويتوبه وعنه انهم المسجون وقيل هم المصلون وقيل

(٢٣ - خازن ثالث) يدخل الجنة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة توجدر بجهن من مسيرة ألف عام ولا يجدر بجهن من اياكم ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جارا زاره خيلاء ان الكبر يا الله رب العالمين (ربكم أعلم بما في نفوسكم) بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين ومن النشاط والكرامة في خدمتهما (ان تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح والبر ثم فرط منكم في حال الغضب وعند حرج الصدد هنة تؤدي الى أذاهما ثم أنبتم الى الله واستغفرتم منها (فانه كان للابوين غفورا) الاواب الذي اذا أذنب بادى الى التوبة فجاز أن يكون هذا عاما لكل من فرط منه جنابه ثم تاب منها وندرج تحته الجاني على أبويه التائب من جنابه لو رده على أثره

(وأت ذا القربى) منك (حقه) أى النفقة إذا كانوا محارم فقراء (والمسكين وابن السبيل) أى وآت هؤلاء حقهم من الزكاة (ولا تبذر تبذيرا) ولا تسرف أمرا فاقبل التبذير فترى المال في غير الحلال والحل فمن مجاهدوا أنفق مدافى باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير (١٧٠) في السرف فقال لا سرف في الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أمثالهم في الشرارة

هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل عليه ما روى عن زيد بن أرقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون الضحى فقال صلاة الاوابين اذا رخصت الفصل أخرجه مسلم قوله اذا رخصت الفصل يريد ارتفاع الضحى وأن تحوى الرضاء وهو الرمل بجر الشمس قبل الفصل من الحر وشدة حره اخفاها الفصل جمع فصيل وهى أولاد الابل الصغار وقيل الاواب الذى يصلى بين المغرب والعشاء يدل عليه ما روى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهى صلاة الاوابين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (وأت ذا القربى حقهم والمسكين وابن السبيل) قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله سبحانه وتعالى ان يؤتى أقاربه حقوقهم وقيل انه خطاب للكل وهو انه سبحانه وتعالى وهى يدبر الالدين بالقرابة أن يؤتوا حقهم من صلة الرحم والمودة والزبارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك وقيل ان كانوا محسوسين وهو موسر لزمه الاتفاق عليهم وهو مذنب أى خيفة وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه لا يلزم النفقة الا لو ادعى ولده أو ولده على والده فحب وقيل أراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن السبيل (ولا تبذر تبذيرا) أى لا تنفق ما لك في المعصية وقيل لو أنفق الانسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق درهمه أو مدافى باطل كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال في غير حق وقيل هو انفاق المال في العماره على وجه السرف وقيل ان بعضهم أنفق نفقة في خيرا أكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) يعنى أولياءهم واصدقائهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف وقيل أمثالهم بالشر وهذا غاية المذمة لانه لا شر من الشياطين والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو أخوهم (وكان الشيطان لربه كفورا) أى يجود الاعمه فأي نفي أن يطاع لانه يدعو الى مثل عمله ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واما تعرض عنهم) ترأت في مهيجم وبال وصحب وسالم وخباب كانوا أسألون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحايين ما يحتاجون اليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم وعسل عن القول فترأت هذه الآية والمعنى وان تعرض عن هؤلاء الذين أمرت أن تؤتيهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) أى انتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك (فقل لهم فولا مبورا) أى ليتنا جيلاً أى عدوهم وعدائهم طيبا طيب به قلوبهم وقيل هو أن يقول رزقنا الله وإياكم من فضله ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) قال جابر أتى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أى تستكسب ملدرا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قصصه فقال للصبي من ساعة الى ساعة يظهر كذا فعدا لنا وقتنا آخر فعدا الى أمه فقالت قل له ان أى تستكسبك الدرع الذى عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره فخرجت عليه وأعطاه وقعدت عن انفاذ بلال بالسلالة وانتظروا فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرأوه عريا فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أى لا تمسك يدك عن النفقة في الحق والخير كالمغلولة يده لا يقدر على مدها (ولا تبسطها) أى بالباطل (كل البسط) أى فتعطي جميع ما عندك وقيل هذا تعجيل لمنع الشح وإعطاء المسرف أمرا بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف والتقتير (فتقدهم لوما) أى عند الله لان السرف غير مرضى عنده وقيل لوما عند نفسه لئلا يحسبوا أيضا بلومونك على تضيق المال بالكسبة وقيل بلومك سألوك على الامساك اذ لم تعطهم (محسورا) أى منقطعا لا شئ عندك تنفقه وقيل محسورا أى نادما على

وهى غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان أو هم اخوانهم واصدقائهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرهم به من الاسراف (وكان الشيطان لربه كفورا) فأي نفي أن يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله (واما تعرض عنهم) وان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) قل لهم فولا مبورا (أى وان أعرضت عنهم لفقدر رزق من ربك ترجو أن يفتح لك قسمي الرزق رحمة قد ردهم رداجبلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مبياعه فوضع السبب موضع السبب يقال يسر الامر ويسر مشل سدد الرجل ونحس فهو مقعول وقيل معناه قفل لهم رزقا والله وإياكم من فضله على انه دواء لهم يسر عليهم فقرهم كان معناه قولاً ميسورا وهو اليسر أى دواء وابتغاء مقعول له أو مصدر في موضع الحال وترجوها حال (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) كل نصيب على المصدر

لا ضاقته اليه وهذا تعجيل لمنع الشح وإعطاء المسرف أمرا بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف والتقتير (فتقدهم لوما) ما فرط قنصير لوما عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول الفقير أعطى فلانا حرمى ويقول الغنى ما يحسن تبذيرا أمر المعبشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت (محسورا) منقطعا بال لا شئ عندك من حسره السرف اذا أثر فيه أثر ابتغاء أو عار يامن حسر

رأه وقد خاطرت مسلمة ضرتها اليهودية في انه يعني محمد عليه السلام أجود من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله فيصده الذي عليه قد دفعه وقد عذر بانافا قمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فتركت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك ليس له وان من عليه ولا يتعدى به عليه ولو كان بسط الارزاق وقد رها مفوض الى الله تعالى فقال (ان ربك يسبط الرزق لمن يشاء) فليس بسط البت (ويقدر) أي هو يضيّق فلا لوم عليك (انه كان بعباده خبيراً) بمصالحهم فيمضيها (١٧١) (بصيراً) بحوائجهم فيقضيهما (ولا تقتلوا

أولادكم) قتلهم أولادهم وأدهم بناتهم (خشية املاق) قهر (نحن نرزقهم واياكم) نهائهم عن ذلك وضمن أرزاقهم (ان قتلهم كان خطأ كبيراً) انما عظميا يقال خطي خطأ كأنه انما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطأ كالحدز والحدز خطأ بالمد والكسر مكي (ولا تقر بوزنا) القصر فيه أكثر والمد لغة وقد قرئ به وهو منى عن دواحي الزنا كالمد والقبلة ونحوهما ولو أراد النسي من نفس الزنا قال ولا تزنا (انه كان فاحشة) معصية مجاوزة حد الشرع والعقل (وساء سيلاً) وبئس طريقاً طريقه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) أي بارتكاب ما يبيح الدم (ومن قتل مظلوماً) غير متركب ما يبيح الدم (فقد جعلنا لوليّه سلطاناً) سلطاناً على القاتل في الاقتصاص منه (فلا يسرف في القتل) الضمير للولي أي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل

ما فرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضافة بأن ذلك ليس له وان من عليه ولا ليجل منه عليك فقال تعالى (ان ربك يسبط) أي يوسع (الرزق لمن يشاء) أي يقترو يضيّق وذلك لمصلحة العباد (انه كان بعباده خبيراً بصيراً) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بأحوال جميع عبادهم وما يصلحهم فالفاوت في أرزاق العباد ليس لاجل الجبل بل لاجل رعاية مصالح العباد ﴿ قوله عز وجل (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) أي فاقه وقهر (نحن نرزقهم واياكم) وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يبدون بناتهم خشية الفاقة أو يخافون عليهم من النهب والغارات أو ان يسكوهن اغيراً كفاء لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهم وقال نحن نرزقهم واياكم يعني ان الارزاق بيد الله فكأنه فتح أبواب الرزق على الرجال فكذلك يقتضيه على النساء (ان قتلهم كان خطأ كبيراً) أي انما كبيراً (ولا تقر بوزنا) انه كان فاحشة (أي قبيحة زائدة على حد القبح) (وساء سيلاً) أي بئس طريقاً يقاتر به وهو ان تعصب امرأة غيرك أو اخته أو بقية من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله تعالى قبل ان الزنا يشتمل على أنواع من المفساد منها المعصية وايجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولده من هو ولا يقوم أحد بترتيبه وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم ﴿ قوله عز وجل (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) الاصل في القتل هو الحرمة المغلظة وحل القتل انما ثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهي الاسباب العرضية فقال الا بالحق أي الا باحدى ثلاث كما روى عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المباري للجماعة أخرجه في الصحيحين (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً) أي قوة وولاية على القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو ان يتخير فان شاء استنقاده وان شاء أخذ الدية وان شاء عفا (ولا يسرف في القتل) أي الولي قال ابن عباس لا يقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا في الجاهلية اذا قتل منهم قتيلاً لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل أشرف منه وقيل معناه اذا كان القاتل واحد فلا يقتل به جماعة بل واحد واحد وكان أهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفاً فلا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه وقيل معناه انه لا يئمل بالقاتل (انه كان منصوراً) قيل الضمير راجع لانه مقتول ظالم يعني انه منصور في الدنيا بايجاب القود على قاتله وفي الآخرة يشكف خطاياهم وايجاب النار لقاتله وقيل الضمير راجع الى ولي المقتول معناه انه كان منصوراً على القاتل باثنياف القصاص منه أو الدية وقيل في قوله فلا يسرف في القتل أراد به القاتل المتعدي بالقتل بغير الحق فانه ان فعل ذلك فولى القاتل منصور من قبلي عليه باستيفاء القصاص منه ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولا تقر بوزنا) أي بالتي هي أحسن (أي بالطريقة التي هي أحسن وهي تيممه وحفظه عليه (حتى يبلغ أشده) وهو بلوغ النكاح والمراد بلوغ الأشد كمال عقله ورشدته بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله والالم بشفق عنه الحجر (أو فوا بالعهود) أي الاتيان بما أمر الله به والالتزام بما أمر الله به وقيل أراد بالعهود

واحد كعادة أهل الجاهلية أو الامراف المثلة والضمير للقاتل الاول فلا تسرف حرة وعلى خطا بالولي أو قاتل المظلوم (انه كان منصوراً) الضمير للولي أي حسبته ان الله قد نصره بان أوجب له القصاص فلا يتردد على ذلك وللمظلوم أي الله ناصر حيث أوجب القصاص يقتله وينصره في الآخرة بالتواب أول الذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه كان منصوراً بايجاب القصاص على المفسر وظاهر الآية يدل على ان القصاص يجري بين الحر والعبد وبين المسلم والذي لان انفس اهل الذمة والعبيد داخل في الآية لكونها محرمة (ولا تقر بوزنا) أي بالتي هي أحسن (بالحكمة) والطريقة التي هي أحسن هي حفظه وتيممه (حتى يبلغ أشده) أي ثمان عشرة سنة (أو فوا بالعهود)

بأوامر الله تعالى وفوائده (ان العهد كان مسؤولاً) مطلوباً يطلب من المعاهدان لايضيمه وبني به أو ان صاحب العهد كان مسؤولاً (وأوفوا
الكيل اذا كلمتم وزفوا بالقسطاس) بكسر القاف حذرة وعلى وحفص وهو كل ميزان صغير أو كبير من موازين الدراهم وغيرها وقبل هو
القرسطون أي القبان المستقيم المعادل (ذلك خير) في الدنيا (وأحسن تأويلاً) عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه
(ولا تقف ما ليس لك به علم) ولا تتبع ما لم تعلم (١٧٣) أي لا تقل رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت رعن ابن الحنفية لا تشهد بالزور وعن ابن

عباس لا ترم أحد بما لا تعلم ما يلتزمه الانسان على نفسه (ان العهد كان مسؤولاً) أي عنه وقيل مطلوباً وقيل العهد يسأل فيقال فيم
نقضت كالموودة تسأل فيم قتلت قوله عز وجل (وأوفوا الكيل اذا كلمتم) المراد منه اتمام الكيل (وزفوا
بالقسطاس المستقيم) قيل هو الميزان صغيراً كان أو كبيراً من ميزان الدراهم الى ما هو أكبر منه وقيل هو
القبان قيل هو رومي وقيل سرياني والاصح انه عربي مأخوذ من القسط وهو العدل أي وزفوا بالعدل
المستقيم واعلم ان التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد
عظيم فوجب على العاقل الاحتراز عنه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون الى المعاضات
والمبيع والشراء فان اضرار ما يقع في المنع من التطفيف والنقصان - عياناً في ابقاء الاموال على أربابها (ذلك
خير وأحسن تأويلاً) أي أحسن عاقبة من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه أمره قوله سبحانه وتعالى (ولا
تقف) أي ولا تتبع (ما ليس لك به علم) أي لا تقل رأيت ولم ترو وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وقيل معناه
لا ترم أحد بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو مأخوذ من القفا كانه يعقوا الامور
ويتبعها ويتعرفها والمراد انه لا يتكلم في أحد بالظن (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه
مسؤولاً) معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقبل يسأل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء
فعلى هذا ترجع الاشارة في أولئك الى الاعضاء وعلى القول الاول ترجع الى أربابها عن شكل بن حديد قال
أنبت النبي صلى الله عليه وسلم فقات يابني الله علمني تهويداً أنه وذبحه فاخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من
شر ممجي وشر بصرى وشر فؤادى وشر سائى وشر قلبى وشر مني قال فحفظتها أخرجه أبو داود والنسائي
والترمذي وقال حديث حسن غريب قوله وشر مني يعني ماءه وذكرة قوله عز وجل (ولا تمس في
الارض مراحاً) أي بطر أو كبر أو خبلاء (انك ان تحرق الارض) أي ان تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها
(وان تبلغ الجبال طولا) أي لا تقدر ان تطاول الجبال وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان لا ينال بكبره
وبطره شيئاً كن يريد خرق الارض وطاوله الجبال لا يحصل على شيء وقيل ان الذي عشى محتلاً لا عشى مرة
على عقبيه ومرة على صدره وقدميه فليل له انك لن تنقب الارض ان مشيت على عقبيه وان تبلغ الجبال
طولا ان مشيت على صدره وقدميه عن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤاً
كانما ينحط من صلبه أخرجه الترمذي في الشمائل قوله تكفؤوا التكفؤ التمايل في المشي الى قدام وقوله كانما
ينحط من صلبه هو قريب من التكفؤ أي كانه ينحدر من موضع عال عن أبي هريرة قال ما رأيت شيئاً أحسن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى له انما التجهد انفساً وانه لغير مكثرت أخرجه الترمذي قوله
لغير مكثرت أي شاق والاكثرات الامر الذي يشق على الانسان (كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها)
أي ما ذكر من الامور التي نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها قلت قيل فيه
تقديم وتأخير تدبره كل ذلك كان مكروهاً سيئة عند ربك وقوله مكروهاً على التكرير لا على الصفة أي كل
ذلك كان سيئة وكان مكروهاً وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر وقوله

عباس لا ترم أحد بما لا تعلم ولا يصح التثبت به لمبطل
الاجتهاد لان ذلك نوع
من العلم فان علمت فهو من
مسئلات وأقام الشارع
طالب الظن مقام العلم وأمر
بالعمل به كافي الشهادات
ولما في العمل بخبر الواحد
لما ذكرنا (ان السمع والبصر
والفؤاد كل أولئك كان
عنه مسؤولاً) أولئك
اشارة الى السمع والبصر
والفؤاد لان أولئك كما يكون
اشارة الى العقل يكون
اشارة الى غيرهم كقول

جرير
ذم المنازل بعد منزلة اللوى
والعيش بعد أولئك الايام
وعنه في موضع الرفع
بالفعل عليه أي كل واحد منها
كان مسؤولاً عنه فسر
مسند الى الجار والمجرور
كالمغضوب في غير المغضوب
عليه يقال للانسان لم
سمعت ما لم يحل لك سماعه
ولم تطرت الى ما لم يحل لك
النظر اليه ولم عزمت على
ما لم يحل لك العزم عليه كذا
في الكشاف وفيه نظير
لبعضهم لان الجار والمجرور

سبحانه

اغما بقومان مقام الفاعل اذا تأخر عن الفعل فاما اذا تقدم فافلا (ولا تمس في

الارض مراحاً) وهو حال أي ذم مراح (انك ان تحرق الارض) ان تجعل فيم اخرقاً وبسلكها وشدقاً وطولاً (وان تبلغ الجبال طولا) بطاوان
وهو تمسك بالخطأ أولن تحاذم اقوة وهو حال من الفاعل أو المفعول (كل ذلك كان سيئة) كوفي وشامى على اضافته سبي الى ضمير كل سيئة
غيرهم (عند ربك مكروها) ذكر مكروهاً لان السيئة في حكم الامعاء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيده الاثرال
يقول الزنابنية كما تقول المرفة سيئة فان قلت الحاصل المذكرة بعضها سبي وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئته بالاضافة أي ما كان

من المذكور سينا كان عند الله مكرها فواجه قراءه من قرأ سينة قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا يجمع الخصال المعدودة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخرى هذه الغاية (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) مما يحكم العقل بعينه وتصلح النفس بآبونه (ولا تجعل مع الله الها آخرى فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) مطرودا من الرحمة عن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الثمانى عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله الها آخرى آخرها مدحورا وقد جعلت فاتحتها وخاتمتها بالنهي عن الشرك لان التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمة وان بذقها الحكمة (١٧٣) وحل بيافوخه السماء وما أضحت

عن انقلاصة أسفار الحكمة
وهم عن دين الله أفضل
من التسع ثم خاطب الذين
قالوا الملائكة بنات الله
بقوله (أفأصفاكم ربكم
بالبنين) الله عز وجل لا ينكر
بعضي أنفصكم ربكم على وجه
الخصوص والصفاء بأفضل
الاولاد وهم البنون
(واخذ من الملائكة انانا)
واخذ أدوهم وهى
البنات وهى عذرا خلاف
الحكمة وما عليه معقولكم
فالعبد لا يؤثر بأجود
الاشياء وأصفاها ويكون
أردوها وأدوهم اللسادات
(انكم لتقولون قولا عظيما)
حيث أضفتم اليه الاولاد
وهى من خواص الاجسام
ثم فضلتهم عليه أنفسكم
حيث تجعلون له ما تكرهون
(ولقد صدقنا في هذا
القرآن) أى التنزيل
والمراد ولقد صدقنا أى
هذا المعنى فى مواضع من
التنزيل فترك الضمير لانه
معالموم (ايذكروا)

سبحانه وتعالى (ذلك) اشارة الى ما تقدم من الاوامر والنواهي فى هذه الآيات (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) أى ان الاحكام المذكورة فى هذه الآيات شرائع واجبة الرعية فى جميع الاديان والمملات لا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الآيات يرجع الى الامر بالتوحيد وأنواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة وذلك من الحكمة قيل ان هذه الآيات كانت فى ألواح موسى عليه السلام أولها ولا تجعل مع الله الها آخرى قال الله سبحانه وتعالى وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وعلم ان الله سبحانه وتعالى اقتضه هذه الآيات بالامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وختمها به والمقصود منه التنبيه على أن كل قول وعمل يجب أن يكرر فيه التوحيد لانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شئ ثم سبحانه وتعالى ذكر فى الآية الاولى ان اشرك يجب أن يكون صاحبه مذموما مخذولا وقال فى هذه الآية (ولا تجعل مع الله الها آخرى فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) والفرق بين المذموم والمعلوم اما كونه مذموما فمعناه ان يذكر له ان الفعل الذى أقدم عليه قبيح ومنكر فلهذا معنى كونه مذموما ثم يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذى حلك عليه وهذا هو اللوم والفرق بين المخذول والمذخور ان المخذول هو الضعيف الذى لا ناصر له والمذخور هو المبدع المطرود عن كل خير قوله سبحانه وتعالى (أفأصفاكم ربكم) يعنى أنفصكم واختركم فجعل لكم الصفة ونفسه ما ليس بصفة (بالبنين) يعنى اختصكم بأفضل الاولاد وهم البنون (واخذ من الملائكة انانا) لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله مع علمهم بأن الله سبحانه وتعالى هو الموصوف بالكمال الذى لا نهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القائلين بهذا القول (انكم لتقولون قولا عظيما) يخاطبهم مكرى مكة يعنى باضافتهم اليه الاولاد وهى خاصة بالاجسام ثم انهم يفضلون عليه أنفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لانفسهم يعنى البنات قوله سبحانه وتعالى (ولقد صدقنا فى هذا القرآن) يعنى العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام والتشديد فى صرقتا للكثير والتكرير (ايذكروا) أى ليعتظوا ويعتبروا (وما يزيدهم) أى تضرعنا ونددنا (الانفورا) أى تباعدوا عن الحق (قل) أى قل يا محمد هؤلاء المشركين (لو كان معكم آلهة كما تقولون اذا لا تبغوا) أى اطلبوا يعنى هؤلاء الآلهة (الذى العرش سبيلا) أى بالمخالفة والقهر لا بطلبها كقول الملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه لتقرروا اليه وقيل معناه لتعرفوا اليه فضله فابتغوا ما يقرهم اليه والاول أصح ثم تزه نفسه فقال عز وجل (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) معنى وصفه بذلك المباغة فى البراءة والبعد عما يصفونه به قوله عز وجل (تسبح له السموات السبع والارض ومن فىهن) يعنى الملائكة والانس والجن (وان من شئ الا يسبح بحمده) قال ابن عباس وان من شئ الا يسبح بحمده وقيل جميع

وبالتخفيف حزة وعلى أى كرونا له ليعتظوا (وما يزيدهم الانفورا) عن الحق وكان الثورى اذا قرأها يقول زادنى لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا (قل لو كان معكم) مع الله (آلهة كما تقولون) وبالباء مكي وجفص (اذا لا تبغوا الى ذى العرش سبيلا) يعنى اطلبوا الى من له الملك والرؤية سبيلا بالمخالفة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو لتقرروا اليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة واذادالة على ان ما بعده هو لا تبغوا جواب عن مقالة المشركين وجزءا لوه سبحانه وتعالى عما يقولون) وبالباء حزة وعلى (علوا) أى تعالوا والمراد البراءة من ذلك والتزاوة (كبيرا) وصف العلو بالكبر مباغة فى معنى البراءة والبعد عما يصفونه به (يسبح) وبالباء عراقى غير أبى بكر (له السموات السبع والارض ومن فىهن وان من شئ الا يسبح بحمده) أى يقول سبحانه الله ويحمده عن السدى قال عليه السلام ما صطبحت حوت فى البحر ولا طائر بطير الا بما يضييع من تسبيح الله تعالى

(ولكن لا تفقهون تسبيحهم) لاختلاف اللغات أو تعمير الادراك أو بسبب تسبيح الناظر إليه والدال على الخبر كفاعله والوجه الاول (انه كان حليما) عن جهل العباد (غفورا) (١٧٤) لذنوب المؤمنين (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة

حجابا مستورا) ذا ستر أو حجاب لا يرى فهو مستور (وجعلنا على قلوبهم أكنة) جمع كنان وهو الذي يستر الشيء (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفي آذانهم سمعهم) ثقلا يمنع عن الاستماع (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده) يقال وحدي وحدا وحده فحو وعديده وعدا وعدة فهو مصدر سد مسد الحلال أصله يحد وحده بمعنى واحدا (ولو) على أدبارهم) رجوعا على أعقابهم (نقورا) مصدر بمعنى التولية أرجع نافر كفاعد وقعود أي يجنون أن يذرمعه آلهتهم لأنهم مشركون فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا (نحن أعلم بما يستمعون به) أي نحن أعلم بالحال أو الطريقة التي يستمعون القرآن به فالقرآن هو المستمع وهو مخدوف وبه حال وبيان لما أي يستمعون القرآن هاتين الجادين والواجب عليهم أن يستمعوه جادين (اذ يستمعون اليك) نصب بأعلم أي أعلم وقت استماعهم بما يستمعون (واذهبهم نجوى) وعبا يتناجون به اذهبهم ذور نجوى (اذ يقول الظالمون) بدل من اذهبهم (ان تبغون الارباب المستورا) سحر نحن (انظر كيف ضربوا لك الامثال) مثلك بالشاعر (وزفانا)

أرانا وضعين لامرغيب * ونسحر بالطعام والشراب أي تغذيهم (انظر كيف ضربوا لك الامثال) أي الاشياء فقالوا سحر شاعر كاهن مجنون (فضلوا) أي في جميع ذلك وحاروا (فلا يستطيعون سبيلا) أي الى طريق الحق (وقالوا انذا كنا عظاما) أي بعد الموت من اذهبهم (ان تبغون الارباب المستورا) سحر نحن (انظر كيف ضربوا لك الامثال) مثلك بالشاعر (والسحر والجنون) (فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) أي فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التبه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متعبد في أمره لا يدري ما يصنع (وقالوا) أي منكرو البعث (انذا كنا عظاما)

ورفاناً أنتم المبعوثون خلقاً جديداً) أي مجدداً وخلقاً حال أي مخلوقين (قل كونوا حجارة أو حديد أو خلقاً مما يكبر في صدوركم) أي السموات والارض فانما تكبر عنكم عن قبول الحياة (فسيقولون من بعدنا قل) يعنيكم (الذي فطركم أول مرة) والمعنى انكم تستبعدون ان يحدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة بعدما كنتم عظاماً يابسة مع ان العظام بعض أجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائر فليس بدع ان يردّها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة (١٧٥) وهوان تكونوا حجارة أو حديد المكان

قادر على ان يردكم الى حال الحياة (فسيقولون البلى) (فسيقولون البلى) رؤسهم) فسيبركونها وتحول تجبوا واستهزاء (ويقولون متى هو) أي البعث استبعاداً له ونفيًا (قل عسى أن يكون قريباً) أي هو قريب وعسى للوجوب (يوم يدعوكم) الى المحاسبة وهو يوم القيامة (فتستجيبون بحمده) أي تحجبون حامدين والباء للعال عن سعيدين جدير بفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وتظنون ان لبتنم الا قليلاً) أي لبتا قليلاً أو زماناً قليلاً في الدنيا أو في القبر (وقل لعمري) وقل للمؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التي هي أحسن) والذين ولا يخاشونهم وهي ان يقولوا حديدكم الله (ان الشيطان يحاشونهم) ان الشيطان يتزغ بينهم (يلقي بينهم الفساد) يغري بعضهم على بعض ليوقع بينهم المشافة والتزغ اي قاع الشر وفساد ذات البين وقرأ طلحة يتزغ بالكسر وهما الفتان (ان الشيطان كان للانسان عدواً مبيناً) ظاهر العداوة

(ورفاناً) أي تراباً وقيل الرفات الاجزاء المتفتتة من كل شيء تكسر (أنتم المبعوثون خلقاً جديداً) فيه انهم استبعدوا الاعادة بعد الموت والبلى فقال الله سبحانه وتعالى رداعليهم (قل) أي قل لهم يا محمد (كونوا حجارة) أي في الشدة (أو حديد) أي في القوة وليس هذا بأمر الزام بل هو أمر تمييز أي استشهروا في قلوبكم انكم حجارة أو حديد في القوة (أو خلقاً مما يكبر في صدوركم) وقيل يعني السماء والارض والجبال لانها أعظم المخلوقات وقيل يعني به الموت لانه لا شيء في نفس ابن آدم أكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لا ميئتم ولا بهنكم (فسيقولون من بعدنا) أي من بعدنا بعد الموت (قل الذي فطرهم) أي خلقكم (أول مرة) فن قدر على الانشاء قدر على الاعادة (فسيقولون البلى) (فسيقولون البلى) رؤسهم) أي يبركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول (ويقولون متى هو) يعني البعث والقيامة (قل عسى أن يكون قريباً) أي هو قريب (يوم يدعوكم) أي من قبوركم الى موقف القيامة (فتستجيبون بحمده) قال ابن عباس بأمره وقيل بطاعته وقيل مقربين بأنه خالقهم وباعثهم وبمحدثهم حين لا ينفعهم الجد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين (وتظنون ان لبتنم) أي في الدنيا وقبل في القبور (الا قليلاً) وذلك لان الانسان لو مكث في الدنيا وفي القبر الوفا من السنين عد ذلك قليلاً بنسبة مدة القيامة والخلود في الآخرة وقيل انهم يستحقون مدة الدنيا في جناب القيامة (وقله سبحانه وتعالى) (وقل لعمري) يقولوا التي هي أحسن) وذلك ان المشركين كانوا يؤذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وقول لعمري يقولوا عسى للكفار التي هي أحسن أي لا يكافؤهم على سخطهم بل يقولون لهم يديكم الله وكان هذا قبل الاذن في القتال والجهاد وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وذلك أنه شتمه بعض الكفار فأمره الله بالعفو وقيل أمر الله المؤمنين ان يقولوا بفساد الخلة التي هي أحسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله (ان الشيطان يتزغ بينهم) أي يفسد ويلقي العداوة بينهم (ان الشيطان كان للانسان عدواً مبيناً) أي ظاهر العداوة (وقله عز وجل) (ربكم أعلم بكم ان يشاء) أي يوفقكم للايمان فتؤمنوا (أو ان يشاء بعدنكم) أي عيبتكم على الشرك فتعدنوا وقبل معناه ان يشأيرحكم فينجيكم من أهل مكة أو ان يشأ بعدنكم أي يسلطهم عليكم (وما أرسلناك عليهم وكيلاً) أي حفيظاً وكيلاً قيل نسختها آية القتال (وربنا أعلم عن في السموات والارض) يعني ان علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعدومات ومتعلق بجميع ذات الارض والسموات يعلم حال كل أحد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه انه عالم بأحوالهم واختلاف صورهم وأخلاقهم وملاهم وأديانهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلًا وكام موسى تكليماً وقال عيسى كن فكان وآتى سليمان ملكاً لا ينبغي لاحد من بعده وآتى داود زبوراً وذلك قوله تعالى (وآتينا داود زبوراً) وهو كتاب أنزله الله على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاؤه وتناه على الله تعالى وتحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام فان قلت لم خص داود في هذه الآية بالذ كر دون غيره من الانبياء قلت فيه وجوه أحدها ان الله تعالى ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال تعالى (وآتينا داود زبوراً) وذلك ان داود أعطى مع النبوة الملك فلم يذكره بالملك وذكر ما أتاه من الكتاب تنبيه على ان

أو فسر التي هي أحسن بقوله (ربكم أعلم بكم ان يشأيرحكم) بالهداية والتوفيق (أو ان يشأ بعدنكم) بالخذلان أي يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم مع الذين وما أشبه ذلك مما يعظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان يتزغ بينهم اعراض (وما أرسلناك عليهم وكيلاً) حافظاً لأعمالهم وموكل بالدين أمرهم وانما أرسلناك نذيراً ونذيراً فدارهم ومرامهم بالمدارة (وربنا أعلم عن في السموات والارض) وبأحوالهم وبكل ما يستأهل كل واحد منهم (واقـد فضلنا بعض النبيين على بعض) فيه إشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا داود زبوراً) دلالة على وجه تفضيله وانه خاتم الانبياء وان أمته خير الامم

لان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى واشد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وآمنه ولم يعرف الزبور هنا وعرفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه كالعباس وعباس والفضل وفضل (قل ادعوا الذين زعمتم) انما آلهتهم (من دونه) من دون الله وهم الملائكة أو عيسى وعزير أو نفر من الجن عبدتهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا (فلا يهلكون كشف الضر عنكم ولا تحو) لا أي ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر (أو لئن) مبتدأ (الذين يدعون) صفة أي يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر (يتبعون الى ربهم الوسيلة) يعني ان آلهتهم أولئك يتبعون الوسيلة وهي القربة الى الله عز وجل (أهم) بدل (١٧٦) من واو يتبعون وأي موصولة أي يتبعني من هو (أقرب) منهم الوسيلة الى

الفضل المذكور في هذه الآية المراد به العلم لالملائكة والمسال الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى كتب له في الزبور ان محمد اخاتم الانبياء وان آمنه خير الامم فلهذا خصه بالذكر الوجه الثالث ان اليهود زعمت ان الانبياء بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله وآتيناد داود زبوراً ومعنى الآية انكم لن تسكروا بفضل النبيين فكيف تسكرون بفضل النبي صلى الله عليه وسلم واعطاه القرآن وان الله آتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل فلم يعبدوا فضل محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا خطاب مع من يقر بفضل الانبياء عليهم الصلوة والسلام قوله عز وجل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك ان الكفار أصابهم قط شديدي حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعواهم فقال الله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه (فلا يهلكون كشف الضر عنكم) أي الجوع والقطع (ولا تحو) أي الى غيركم أو تحويل الحال من العسر الى اليسر ومقصود الآية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا آلهة ان تشغل بعبادة الله فتحن بعد المشرقين اليه وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا ذلك الملك الذي عبدوه تمثالاً وصورة وقد اشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قواهم بهذه الآية وبين عجز آلهتهم ثم قال تعالى (ولئن الذين يدعون) أي الذين يدعون المشركون آلهة (يتبعون الى ربهم الوسيلة) أي القربة والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وآمنه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم وقال عبد الله بن مسعود نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفر من الجن فأسلم أولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فمكروا بعبادتهم فغيرهم الله وأنزل هذه الآية وقوله تعالى (أهم أقرب) معناه ينظرون أهم أقرب الى الله فينسلون به وقبل أهم أقرب يتبعني الوسيلة الى الله ويتقرب اليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة (ويرجون رحمته) أي جنته (ويخافون عذابه) وقبل معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف يرعون أنهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) أي حقيقة بان يحذره كل أحد من ملائكة مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم من الخلائق قوله سبحانه وتعالى (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) أي بالموت والخراب (أو معذبوها عذابا شديدا) أي بالقتل وأنواع العذاب اذا كفروا وعصوا وقبل الاهلاك في حق المؤمنين الامانة وفي حق الكفار العذاب قال عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا والريافى قرية أذن الله في هلاكها (كان ذلك في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ (مسطورا) أي مكتوبا مبتدأ عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق

الله فكيف بغير الاقرب أو ضمن يتبعون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون أنهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كغيرهم من عباد الله فكيف يرعون أنهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقة بان يحذره كل أحد من ملائكة مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا) قبل الهلاك للصالحات والعذاب للطالحات (كان ذلك في الكتاب) في اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك في تفسيرها امامة فيخرجها الحشمة وتملك الملائكة بالجوع والبصرة بالغرق والمكوفة بالترك والجبال بالصواعق

والرواحف وأما خراسان فعذابهم اضراب وأما بلخ فتصميمهم هذه فيهلك أهلها وأما بدخشان فيخرجها أقوام الله وأما زمدق أهلها يوقون بالطاعون وأما غانيان الى واشجرد فيقتلون بقتل ذريع وأما سمرقند فيغلب عليهم بنو قنطرة راء فيقتلون أهلها قتلا ذريعا وكذا فرغانة والشاش واستيجاب وخوارزم وأما بخارى فهي أرض الجبارة فيموتون قحطا وجوعا وأما مرو فيغلب عليهم الرمل ويهلكها العلماء والعباد وأما هرات فيموتون بالحيات فقتلهم أكلا وأما نيسابور فيصيب أهلها عذوب وقطعة فيهلك أكثرهم وأما الري فيغلب عليهم الطبرية والذليل فيقتلونهم وأما مريمية وأذربيجان فيهلكها سنايك الخيول والجيش والصواعق والرواحف وأما همدان فالذليل يذبحها ويخرجها وأما بلخون فقهرهم ارج ساكنة وهم نيام فيصبح أهلها افرقة وخنابر ثم يخرج رجل من جهنمة فيدخل مصر فويل لاهلها ولاهل دمشق وويل لاهل افرقيشه وويل لاهل الرملة ولايدخل بيت المقدس وأما سجستان فتصميمهم ربح عاصف وأما مامنه هذه

تأتيهم ويموت فيها العلماء وأما كومان وأصـ بهان وفارس فيأتيهم عدو وصاحوا صيحة تتخلع القلوب وتغوث الابدان (ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) استعبر المنع لتترك ارسال الآيات وأن الأولى مع صلتها في موضع النصب لانها مفعول ثان لمنعنا وأن الثانية مع صلتها في موضع الرفع لانها فاعل منعنا والتقدير ومامنعنا ارسال الآيات لا تكذيب الأولين والمراد الآيات التي اقترحتها فربش من قلب الصفاذها ومن احياء الموتى وغير ذلك وسنة الله في الامم ان من اقترح منهم آية فأجيب اليها ثم لم يؤمن ان عاجل بعذاب الاستئصال والمعنى ومامنعنا عن ارسال ما يقترحوه من الآيات (١٧٧) إلا ان كذب بها الذين هم آمنناهم من المطبوع على قلوبهم سم كعاد

وتعودوا ثم أوردوا أسرارنا لكذبوا بها التكذيب أو آمنوا وعذبوا العذاب المستأصل وقد حكمنا ان تؤخر أمرهم بعث اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحتها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح عليه السلام لان آثار هلاكهم قريبة من حدودهم وواردهم ببصرها اذ هم وواردهم فقال (وآتيناهم الناقة مبصرة) باقتراحهم (مبصرة) آية بيينة (فظلموا بها) فكفروا بها (ومارسنا بالآيات) ان أرادهم الآيات المقترحة فالعنى لازسها (الانخوفها) من نزول العذاب العاجل كاطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان أراد غيرهما فالعنى ومارسنا بالآيات من القرآن وغيرها كآيات القرآن وغيرها الانخوفها وانذارا بعذاب الآخرة وهو مفـ عول له (واذ قلنا لا ان ربك أحاط باناس وما جعلنا الرويا التي

الله القلم فقال له اكتب فقال ما اكتب قال اكتب القدر وما هو كائن الى يوم القيامة الى الابد أخرجه الترمذي قوله سبحانه وتعالى (ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) قال ابن عباس سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم النصف اذ بهار فضة وأن ينحى الجبال عنهم ايزرعوا فأوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ان شئت أن استأني بهم فقلت وان شئت أن أوتهم ما سألو أفاعت فان لم يؤمنوا أهلكهم كما أهلك من كان قباهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل تستأني بهم فانزل الله عز وجل ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون أي فاهلكناهم فان لم يؤمن قومك بعد ارسال الآيات أهلكناهم لان من سنتنا في الامم اذا سلوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد ايماننا ان نهلكهم ولا نعلمهم وقد حكمنا بما همال هذه الامة الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحتها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فاهلكوا فقال تعالى (وآتيناهم الناقة مبصرة) أي بيينة رذلك لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم ببصرها اذ هم وواردهم (فظلموا بها) أي جحدوا انها من عند الله وقيل فظلموا أنفسهم بتكذيبهم افعا جلتاها بالقوية (ومارسنا بالآيات) المقترحة (الانخوفها) أي ومارسنا بالآيات الانخوفها من نزول العذاب فان لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه ومارسنا بالآيات يعني العبر والدلالات الانخوفها أي انذارا بعذاب الآخرة ان لم يؤمنوا فان الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون قوله عز وجل (واذ قلنا لا ان ربك أحاط باناس) أي ان قدرته محيطه بهم فهم في قبضته وقدرته لا يقدر على الخروج من مشيئته واذا كان الامر كذلك فهم لا يقدر على الأمر من الامور لا يقضائه وقدره وهو حافظن وماتعك منهم فلا تهمهم وامض لما أمرنا من التبليغ للرسالة فهو ينصرك ويوفقك على ذلك (وما جعلنا الرويا التي أودناك الافتنه للناس) الا كثر من المفسرين على ان المراد منها ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من الجحائب والآيات قال ابن عباس هي رؤيا عين أرى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهي ليلة أسرى به الى بيت المقدس أخرجه البخاري وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم والعرب تقول رأيت بعني رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكروا بعضهم ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس وازداد المخاضون انجاسا وقال قوم أسرى بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال قوم كان له معراجا من رؤياه عين في البقطة ومعراج رؤيا منام وقيل أرادهم الرؤيا ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية انه دخل مكة هو وأصحابه ففجّل المسير الى مكة قبل الاجل فصده المشركون فرجع الى المدينة فكان رجوعه في ذلك العام بعدما أخبرانه بدخلها فتنة لبعضها ثم دخل مكة في العام المقبل وأنزل الله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام ان ولدا الحكيم أمية يتداولون منبره كما يتداولون الصبيان الكبرة فـ اء ذلك فان اعترضه عـ تعرض على هذا التفسير وقال السورة مكية

(٣٣ - خازن ثالث) أودناك الافتنه للناس) واذا كراذ أوحينا اليك ان ربك أحاط بقريش علما وقدره فكاهم في قبضته فلا تبال بهم وامض لما أمرنا بـ ابلغ ما أرسلت به أو بشرناك بوفعه بدروا بنصرة عليهم رذلك قوله سيهم زم الجمع وبولون الدبر قل للذين كفروا سنجابون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد فجـ له كان قد كان ووجد فقال أحاط باناس على سنته في اخباره وعل الله تعالى أراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول عين ورد ما بدروا الله لكاني أنظر الى مصارع القوم وهو يوحى الى الارض يقول هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر بدروا أرى في منامه من مصارعهم فكأنوا يصحكون ويسخرون

ويستجلبون به استهزاء (والشجرة الملعونة في القرآن) أي وما جاعلنا الشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس فانهم حين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثم جعلوها مسخرة به وقالوا ان محمد ابراهيم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة وما قدر والله حتى قدره اذ قالوا ذلك فانه لا يعتد به ان يجعل الله الشجرة من جنس لانا كاه النار فورا لئلا يلدنزل وهو دويبة يسلا الذئب يقتل منه مناديل اذا استخفت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالا لا تعمل فيه النار وترى النعامة تنبعل الجمر فلا يضرها وخلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فجاز ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما ترسل تخويفا لا لئلا يلدنزل وهو لا يقدح في اعداب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوف اعداب الآخرة وبشجرة الزقوم فثأر فيهم ثم قال (وتخوفهم) أي تخافون الدنيا والآخر (فما يزيدهم) التخوف (الا طغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم يا رسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرأياهي الاسراء والفتنة اريد ادم من استعظم ذلك وبه اتفاق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وانما سهاها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا انه لعلماء رؤيا اية الاستبعاد منهم (١٧٨) كما سمي أشياء بأسمائها عند الكفرة كقوله فراغ الى آلهتهم أين شركائي أو هي رؤيا انه

وهاتان الواجعتان كانتا بالمدينة أجب بأنه لا اشكال فيه فانه لا يبعد ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ذلك بمكة ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة (والشجرة الملعونة في القرآن) يعني شجرة الزقوم التي وصفها الله تعالى في سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كربة طعام ماعون والفتنة فيها ان ابا جهل قال ان ابن أبي كبشة يعني النبي صلى الله عليه وسلم توعدكم بشار تحرق الحجارة ثم زعم انه ثبت في شجرة وتعلمون ان النار تحرق الشجر وقيل ان عبد الله بن الزبير قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم الا الزبد والقر فقال أبو جهل يا جارية تعالى فزينا فأتى زبد وعرق فقال يا قوم نزلوا فان هذا ما يخوفكم به محمد فانزل الله سبحانه وتعالى حين عجبوا ان يكون في النار شجرة انما جعلنا الفتنة للظالمين الآيات فان أين اعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت اعنت حيث اعن الكفار الذين يأكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن وانما وصفت بلعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في أصل جهنم في ابعاد مكان من الرحمة وقال ابن عباس في رواية عنه ان الشجرة الملعونة هي الكثوث الذي يلتوى على الشجر والشوك فيحرقه (وتخوفهم فما يزيدهم) أي التخوف (الا طغيانا كبيرا) أي غرورا وعتوا عظيما قوله سبحانه وتعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) أي من طين وذلك ان آدم خلق من تراب الارض من عذبه او لمجهها من خلق من العذب فهو وسعيد ومن خلق من الملح فهو شقي (قال) يعني ابليس (أأرى انك) الكاف للخطاب والمعنى اخبرني (هذا الذي كرمتم على) أي فضله على (الناس ائمتي) أي امهلتني (الي يوم القيامة لا حشمتك ذريته) أي لا استأصلهم بالاضلال وقيل معناه لا قودهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم بالاغواء (الا قليلا) يعني المعصومين الذين استثناهم الله تعالى في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (قال) الله تعالى (اذهب) أي امض لشأنك وليس هو من الذهاب الذي هو ضد المجيء (فن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) أي جزاؤكم وجزاء اتباعك (جزاء موفورا) أي مكمل لا قوله سبحانه وتعالى (واستقرز) أي استخف واستزل واستجمل وازعج (من استطعت منهم) أي من ذرية آدم (بصوتك) قال ابن عباس معناه يدعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل اراد بصوتك الغناء والمزامير والله واللعب (وأجاب عليهم

سيدخل مكة والفتنة الصد بالحد يديه فان قلت ليس في القرآن ذكر لمن شجرة الزقوم قلت معناه والشجرة الملعونة آكلها اثم الكفرة لانه قال ثم انكم أجمع الضالون المكذبون لا تكون من شجر من زقوم فأتوا منها لبطون فوصفت بلعن أهلها على المجاز ولان العرب تقول لكل طعام مكروه ضار ماعون ولان اللعن هو الابعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في ابعاد مكان من الرحمة (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) هو تمييز أحوال من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين قال أي أصله طين قال

أأرى انك هذا الذي الكاف لاموضعها لانها ذكرت للخطاب تأكيذا هذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمتم على) أي فضله لم كرمته على وأناخير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فخذ ذلك اختصارا للدلالة ما تقدم عليه ثم ابتداء فقال (لئن أئمتي) ربلا يا كوفي وشامي واللام موطئة للسم المحذوف (الي يوم القيامة لا حشمتك ذريته) لا استأصلهم باغوائهم (الا قليلا) وهم الخالصون قيل من كل أئمة واحد وانما علم الملعون ذلك بالاعلام أولا نراه ان خلق شهابا (قال اذهب) ليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء وانما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذ لا نار تخليه ثم عقبه بكريمة سوء اختياره فقال (فن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) والتقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاءكم ثم غاب الخطاب على الغائب فقيل جزاؤكم وجزاءكم (جزاء موفورا) أي موفورا باضمار تجازون (واستقرز) استزل أو استخف استقرزه أي استخفه والفرا الخفيف (من استطعت منهم بصوتك) بالوسوسة أو بالغناء أو بالمزامير (وأجاب عليهم) اجمع وصح بهم من الجلبة وهو المصباح

(بجيتك ورجلك) بكل

راكب وماش من اهل
العبث فالجبل الخيالة
والرجل اسم جمع للرجال
ونظيره الركب والعجب
ورجلك خفض على ان فعلا
يعنى فاعل كعجب وتاعب
ومعناه وجعل الرجل وهذا
لان اقصى ما يستطيع في
طلب الامور الخبل والرجل
وقيل يجوز ان يكون لا بليس
خبل ورجل (وشاركهم في
الاموال والاولاد) قال
الزجاج كل معصية في مال
ولد قابليس غير تكلم فيها
كلربا والمكاسب المحرمة
والبحيرة والسائبة والاتقان
في القسوق والاسراف ومنع
الزكاة والتوصل الى الاولاد
بالسبب الحرام والتسمية
بعبد العزى وعبد شمس
(وعدهم) المواعيد الكاذبة
من شفاعته الالهية
والكرامة على الله
بالانساب الشرعية واثار
العاجل على الآجل ونحو
ذلك (وما بهدم الشيطان
الاغوردا) هو تزيين الخطا
بما هو هم انه صواب (ان
عبادي) الصالحين (ليس
لك عليهم سلطان) يدب بديل
الايمان ولكن بتسويل
العصيان (وكفى ربك
وكيلا) لهم بشواكونه في
الاستعانة من اوحاظهم
عن والكل امرهم يدب
فيعاقب به او اهانة أي
لا يخل ذلك على كفى (ربكم
الذي يربح) يجرى ويسير
(لكم الفلك في

بجيتك ورجلك) أي اجمع عليهم مكاييد وجبايلك واحشهم على الاغواء وقيل معناه استعن عليهم بركبان
جندك ومشاتهم يقال له خيلا ورجلا من الجن والانس فكل من قاتل أو مشى في معصية الله فهو من
جند ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجرد في الامر جئتنا بجيتك ورجلك (وشاركهم في
الاموال والاولاد) اما المشاركة في الاموال فكل مال اصاب من حرام او اتفق في حرام وقيل هو الرابح وقيل
هو ما كانوا ينجونه لآلتهم ويحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصية له والحام واما المشاركة في الاولاد فدروى
عن ابن عباس انها المورثة وقيل اولاد الزنا وعن ابن عباس ايضا هي تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد
الحرث وعبد شمس ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل
بسم الله اصاب معه امر أنه وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل وروى في بعض الاخبار ان فيكم مغرب بن قيل
وما مغربون قال الذين شارك فيهم الجن وعن ابن عباس انه سأل رجل فقال ان امرأتى استيقظت وفي
فرجها شاة نار قال ذلك من وطأ الجن (وعدهم) أي منهم الجبل في طاعتك وقيل قل لهم لا جنة ولا نار ولا
بعث وذلك ان الشيطان اذا دعاني المعصية فلا بد ان يقرر اولانه لا مضرة في فعلها البتة وذلك لا يمكن
الا اذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيقرر عند المدعو أنه لا مضرة البتة في هذه
المعاصي واذا فرغ من هذا النوع قرر عنده ان هذا الفعل يفيد انا من اللذة والسرور ولا حياة لان
في الدنيا لا به فها طريق الدعوة الى المعصية ثم ينفره عن فعل الطاعات وهو انه يقرر عنده ان لا جنة
ولا نار ولا عقاب فلا فائدة فيها وقيل معنى عدهم أي شفاعته الاصلح عند الله واثار العاجل على الآجل
فان قلت كيف ذكر الله هذه الاشياء بصيغة الامر والله سبحانه وتعالى يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء قلت
هذا على طريق التمهيد كقوله تعالى اعلموا ما سنتم وكقول القائل اجتهد جديك فسترى ما ينزل من ربه وقوله
سبحانه وتعالى (وما بهدم الشيطان الاغوردا) أي يزين الباطل بما يظن أنه حق واعلم ان الله
سبحانه وتعالى لما قال وعدهم اردفه بما هو احرع قول وعده بقوله وما بهدم الشيطان الاغوردا
والسبب فيه انه اغمايد عو الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعوا الى معرفة الله تعالى ولا الى
عبادته وتلك الاشياء التي يدعوا اليها خيالية لا حقيقة لها ولا تحصل الا بعد متاع ومشاغنة عظيمة واذا
حصلت كانت سريعة المذهب والانقضاء وينقصها الموت والمهرم وغير ذلك واذا كانت هذه الاشياء بهذه
الصفة كانت الرغبة فيها اغرورا (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) يعني بعباده الانبياء واهل الفضل
والصلاح لانه لا يقدر على اغوائهم (وكفى ربك وكيلا) أي حافظا والمعنى انه سبحانه وتعالى لما امكن ابليس
ان يأتي بما يقرر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف في قلب الانسان فقال تعالى وكفى
ربك وكيلا أي فائقه سبحانه وتعالى أقدر منه وأرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيده الشيطان ووساوسه
وبعضهم من اغوائه واضلاله وفي بعض الآثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يارب اخرجني من
الجنة لاجل آدم فسأطني عليه وعلى ذريته قال أنت مسلط قال لا أستطيعه الا ان فزدي في قال استغفر من
استطعت منهم الآية فقال آدم يارب سلط ابليس على وعلى ذريتي واني لا أستطيعه الا ان فزدي في قال لا يولد لك
ولد الا وكنت به من يحفظه قال رب زدني في قال الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها قال رب زدني في قال التوبة
معروضة مادام الروح في الجسد قال رب زدني فقال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله الآية وفي الخبر ان ابليس قال يارب بعثت انبياء وانزلت كتبنا فاقراءني قال الشعر قال فما كاتبي
قال الوشم قال ومن رسل قال الكهنة قال أي شيء مطعمي قال ما لم يدكر عليه اسمي قال فما شرابي قال كل
مسكر قال وامن مسكني قال الحمامات قال وامن مجلسي قال في الاسواق قال وما حبا سئلي قال النساء قال وما
اذني قال المؤمنون قوله سبحانه وتعالى (ربكم الذي يربح) أي يسوق ويجرى (لكم الفلك) أي السفن (في

فعلى العاقل ان يدب - سوى
خوفه من الله في جميع
الحوادث وان يبرح حيث كان
(أورس - سل عليكم حاصبا)
هى الریح التى تحصب أى
ترى بالحصباء - معنى أو ان لم
يصيبكم بالهلاك من تحتكم
بالخسف أبادكم به من
فوقكم بریح يرسلها عليكم
فيها الحصباء (ثم لا تجروا
انكم وكبلا) يصرف ذلك
عنكم (أم أمنت أن يعيدكم
فيه نارة أخرى فيرسل
عليكم) أى أم أمنت أن
يقوى درايعكم ويوفر
سواجكم الى أن ترجعوا
فتركبوا البحر الذى فجاكم
منه فأعرضتم فينتقم منكم
بان يرسل عليكم (فامضوا
من الریح) وهى الریح
التي لها اقصيف وهو الصوت
الشديد أو هو الكاسر
للفلان (فيغ - رقيم عا
كفرتم) بكفر انكم التعمه
وهو اعراضكم حين نجاكم

[illegible]

(ثم لا تجدوا الحكم عايناه بتيبها) مطالبنا من قوله فاتباع بالمعروف أي مطابقة والمعنى
 أنا فعل ما فعل بهم ثم لا تجدوا أحد باطننا بما فعلنا انتصارا منا ودر كلاً لنا من جهتنا وهذا نحو قوله ولا تخاف عقابها أن تخسف أو ترسل
 أن نعيدكم فترسل فتعرفكم بالثون مكي وأبو عمرو (ولقد ذكرنا بني آدم) بالانقل والبطي والخط والصورة الحسنة والقامة الممتدة والذبير
 أمر المعاش والمآد والالاقيل واستخبر الاشياء وتناول الطعام بالأيدي وعن الرشيد أنه أحضر طعاماً فذاع الملاحق وعنده أبو يوسف فرجه
 الله فقال له جاءني نفس يريد ذلك ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى وقد ذكرنا بني آدم - جعلناهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاحق
 فردها وأكل بأصابعه (وجعلناهم في البر) على الدواب (والبحر) على السفن (ورزقناهم من الطيبات) باللذذات أو عما كسبت أيديهم -
 (وقضنا لهم على كثير من خلقنا تفضيلاً) أي على الكل كقولهم وأكثرهم كاذبون قال الحسن أي كاهم وقوله وما ينبع أكثرهم الاظنا ذكر
 في الكشاف أن المراد بالاكثرا الجميع وعنه عليه السلام المؤمن أكرم على الله من الملائكة وهذا لانهم يحبون على الطاعة ففهم عقل

بلا شهوة وفي البهايم شهوة بلا عقل وفي الآدمي كلاهما غلب عقله شهوة فهو أكرم من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شرس من البهايم ولا نخلق الكل لهم وخلقتهم لنفسه (يوم ندعوا) منصوب باذكر (كل أناس بامامهم) (١٨١) الباء للعامل والتقدير مختططين بامامهم

أي بمن اتسموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا أو قبل بكتاب أعمالهم فيه قال يا أصحاب كتاب الخير يا أصحاب كتاب الشر (فن أوفى) من هؤلاء المدعوين (كتابه بيمينه) فأوشك بقرون كتابهم) وأما قبل أولئك لأن من في معنى الجمع (ولا يظلمون قتيلا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء ولم يذكر الكفار وأتباع كتبهم شمالهم اكتفاء بقوله (ومن كان في هذه الدنيا) (أعمى فهو في الآخرة أعمى) كذلك (وأضل سبيلا) من الأعمى أي أضل طريقا ولا أعمى مسـتـعار بمن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة أما في الدنيا فله فقد النظر وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاعتناء باليه وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل بدليل عطف وأضل ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول بالمبالاة والثاني مفعلا لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت الآية في حكم الواقعة في وسط الكلام فلا يقبل الإمالة

التكريم والتفضيل والالزم التكرار والاقرب أن يقال إن الله تعالى أكرم الإنسان على سائر الحيوان بأمر خلقه ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه سبحانه وتعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم أكتساب العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة فالأول هو التكريم والثاني هو التفضيل ثم قال سبحانه وتعالى على كثير من خلقنا تفضيلا ظاهر الآية يدل على انه فضل بني آدم على كثير من خلقه لا على الكل فقال قوم فضلوهم على جميع الخلق الأعلى الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكسبي فضلوهم على الخلائق كلها الأعلى طائفة من الملائكة مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وأشباهم وقيل فضلوهم على جميع الخلائق وعلى الملائكة كلها فان قلت كيف يصنع بكثير فإني بوضع الأكثر موضع الكل كقوله تعالى بالقون السمع وأكثروهم كاذبون أراد كلهم وفي الحديث عن جابر رفعه قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقهم بيا كأول وشر بهم وبشكعهم فأجمل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا أجعل من خلقه يبدى ونفخت فيه من روحي من قلت له كن فكان وقيل بالتفصيل وهو الأول والراجح أن خواص بني آدم وهم الأتباع أفضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة أفضل من عوام البشر من بني آدم وهذا التفصيل أغما هو بين الملائكة والمؤمنين من بني آدم لأن الكفار لأحرمة لهم قال الله سبحانه وتعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال المؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عندهم قوله عز وجل (يوم ندعوا كل أناس بامامهم) أي بغيرهم وقيل بكتابهم الذي أنزل عليهم وقيل بكتاب أعمالهم وعن ابن عباس بامام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إلى الهدى وإمالي ضلال وذلك أن كل قوم يجتمعون إلى ربهم في الخير والشر وقيل بعبودتهم وقيل بامامهم جميع أعمى بامامهم والحقكمة فيه رعاية حق عبدي عليه السلام وظاهره شرف الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم أرا لا يقتضيه أولاد الزنا (فن أوفى كتابه بيمينه) فأوشك بقرون كتابهم) فان قلت لم يخص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع أن أصحاب الشمال بقرونها أيضا قلت الفرق أن أصحاب الشمال إذا طاعوا كتابهم وجدوه مشتتة على مشكلات عظيمة فاستولى عليهم الحجل والدعشة فلا يدرون على إقامة حروفه فتكون قراءتهم كاد قراءوا أصحاب اليمين إذا طاعوا كتابهم وجدوه مشتتة على الحسنات والطاعات فيقرؤنها أحسن قراءة وأبينها (ولا يظلمون قتيلا) أي ولا ينقصون من ثواب أعمالهم أدنى شيء (ومن كان في هذه الدنيا أعمى) المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر والمعنى ومن كان في هذه الدنيا أعمى أي عن هذه النعم التي قد عدا في هذه الآيات المقدمة (فهو في الآخرة) أي التي لم تعين ولم تر (أعمى وأضل سبيلا) قاله ابن عباس وقيل معناه ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤيته قدوة الله وآياته ورؤية الحق فهو في الآخرة أعمى أي أشد عمى وأضل سبيلا أي أخطأ طريقا وقيل معناه ومن كان في الدنيا كافرا ضالا فهو في الآخرة أعمى لأنه في الدنيا يقبل توبته وفي الآخرة لا يقبل توبته ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك قيل في سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الأسود فتمسكه فربش وقالوا لا ندع حتى تلمسوا لهتنا وفسدنا ما أخذنا من الله تعالى أن أفعل ذلك والله يعلم أني لها كاره وهذا أن يدعوني أستلم الحجر وقيل طلبوا منه أن يذكر آلهتهم حتى يسلموا ويذبحوه فخرت نفسه فأنزله الله هذه الآية وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نيا بعل على أن تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا لا نجبي في الصلاة أي لا نخشى ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وإن تمنعنا باللات

وأما الأول فلم يتعلق به شيء فكانت آفة واقعة في الطرف فقبلت الإمالة وأمالها ما حوزة وعلى ونظمها الباقر ولما قالت قرش اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى تؤمن إن نزل (وان كادوا ليفتنونك) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والمعنى إن الشيطان فارتو أن يفتنوك أي يخذلك فأتين (عن الذي أوحينا إليك) من أوحى نارفوا هينا وعدنا ووعيدا

(لتفتري علينا غيره) استقول علينا ما نقل عنى ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيد الوعيد وعدا (واذا لا تخذوك خبيلا) أى ولو اتبعتم مرادهم لا تخذوك خبيلا ولا كنتم لهم وليا وخرجت من ولايتي (ولو لا ان ثبتناك) ولو لا تثبيتنا وعصمتنا (لقد كدت تركن اليهم) لقاربتم ان تغيل الى مكرهم (شيا قليلا) ركونا قليلا وهذا مخرج من الله له وفضل تثبيت (اذا) لو قاربتم تركن اليهم أدنى ركنة (لاذناك) ضعف الحياة وضعف الملمات (لاذناك عذاب الآخرة) وعذاب القبر مضاعفين لعظم ذنبك بشرف منزلة نبيك ونبيوتك كما قال يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة الآية (١٨٣) وأصل الكلام لاذناك عذاب الحياة وعذاب الملمات لان العذاب عذابان عذاب في الملمات وهو

عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار والمذاب بوصف بالضعف كقوله فأتهم هذا بالضعف من النار أى مضاعفا فكان أصل الكلام لاذناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا بضعفا في الملمات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقبل ضعف الحياة وضعف الملمات ويحذف وزان براد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا بضعف الملمات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار وفي ذكر الكيد ودودة وتقلبها مع اتباعها الوعيد الشديد بالاعذاب المضاعف في الدارين دليل على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله ولما أنزلت كان عليه السلام يقول اللهم لا تكلفني الى نفسى طرفه صين (ثم لا تجد ذلك علينا نصيرا) معينا لك يمنع عذابنا عنك (وان كادوا) أى أهل مكة (اليسفرونك) ليسفرونك

سنة من غير ان نعيد ما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود وامانا لا تكسروا اصنامكم بأيديكم فذلك لكم وامانا طاعة يعنى اللات والعزى فاقى غيرهم تعكم بها قالوا يا رسول الله انما نجيب ان نسمع العرب انك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خشيت ان تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك فكنت النبي صلى الله عليه وسلم فطمع القوم في سكوته ان يعطيهم ذلك فأنزل الله تعالى وان كادوا أى هموا ليفترونك أى يصرفونك عن الذى أوحينا اليك (لتفتري) أى لتختلق وتنبث (علينا غيره) أى ما لم نقله (واذا) أى لو فعلت ما دعوك اليه (لا تخذوك خبيلا) أى والوك ووافوك واصفوك (ولو لا ان ثبتناك) أى على الحق بعصمتنا اياك (لقد كدت تركن) أى تغيل (اليهم شيا قليلا) أى قربت من الفعل فان قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز ان يقرب بمطالبة وقت كان ذلك خاطرا قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله تعالى عن حديث النفس وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لا تسكنني الى نفسى طرفه عين والجواب الصحيح هو ان الله سبحانه وتعالى قال ولو لا ان ثبتناك وقد ثبتته الله فلم يركن اليهم (اذا لاذناك) ضعف الحياة وضعف الملمات (أى لو فعلت ذلك لاذناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الملمات يعنى ضاعف ذلك العذاب في الدنيا والآخرة) ثم لا تجد ذلك علينا نصيرا) أى ناصر يمنع من عذابنا قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا اليسفرونك من الارض ليخرجوك منها) قيل هذه الآية مدنية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حدا فانوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بأرض الانبياء وان أرض الانبياء الشام وهى الارض المقدسة وكان به ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فأت الشام وانما يمنعك من الخروج اليها مخافة الروم وان الله سبحانه من الروم ان كنت رسوله فمسكر النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة وفي رواية الى ذى الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه فيخرج فأنزل الله هذه الآية فالارض ههنا أرض المدينة وقيل الارض أرض مكة والآية مكينة والمعنى هم المشركون ان يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا البقي بالآية لان ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكينة وقيل هم المشركون كلهم وأرادوا ان يستفزه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهروا بهم عليه ففزع الله رسوله ولم ينالوا منه ما أملوه والاستفزاز الازعاج (واذا لا يلبثون خلقك الا قليلا) أى لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا حتى يهلكوا (قوله سبحانه وتعالى) سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعنى ان كل قوم أخرجوا رسوله من بين أظهرهم فسنه الله أن يهلكهم وأن لا يعذبهم مادام نبيهم بينهم فاذ اخرج من بين أظهرهم عذبهم (ولا تجد لسنةنا تحويلا) أى تبديلا (قوله سبحانه وتعالى) (أقم الصلوة للدولك الشمس) روى عن ابن مسعود أنه قال الدولك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدى وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثرنا يعين ومعنى اللفظ يجتمعهم الان أصل الدولك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والحل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به

بعد اوتهم ومكرهم (من الارض) من أرض مكة (ليخرجوك منها اذا لا يلبثون) لا يبقون (بعدك) أى واذا بعد اخراجك خلافت كوفى غير أبى بكر وشاى عنه (الا قليلا) زمانا قليلا فان الله هلكهم وكان كما قال فقد اهلكوا بيدر بعد اخراجه بقبيل أو معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكره آيةهم ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه وقيل من أرض العرب أو من أرض المدينة (سنة) من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعنى أن كل قوم أخرجوا رسوله من بين أظهرهم فسنه الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أى سن الله ذلك سنة (ولا تجد لسنةنا تحويلا) تبديلا (أقم الصلوة للدولك الشمس) لزوالها وهى هذه الآية جامعة للصلاوات الخمس

والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في مجوده مثل ذلك ثم قام فقرا آل عمران ثم قرأ
سورة النساء أخرجه أبو داود والنسائي عن عائشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من
القرآن ليلة أخرجه الترمذي (ق) عن الأسود قال سألت عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الليل قالت كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع إلى فراشه فإذا أذن المؤذن وثب قائم
كانت به حاجة اغتسل والا فوضأ وخرج عن أنس قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الليل مصليا إلا رأينا به ولا نشاء أن نراه نائما إلا رأينا به أخرجه النسائي زاد في رواية غيره قال وكان
يصوم من الشهر حتى تقول لا يفطر منه شيئا وبفطر حتى تقول لا يصوم منه شيئا وقوله عز وجل (عسى
أن يبعثن ربك مقاما محمودا) أجمع المفسرون على أن عسى من الله واجب وذلك لأن لفظة عسى تفيد
الاطمئنان ومن أطمع إنسانا في شيء ثم أضره كان ذلك عارا عليه والله أكرم من أن يطمع أحدا ثم لا
يعطيه ما أطمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لأنه يحمد به فيه الأولون والآخرين (ق) عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة
لأمتي فهي نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يترك بي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فمن صلى علي صلاة
صلى الله عليه بها عشر أمشهر ثم سلوا الله لي الوسيلة فأنتم زمرة في الجنة لا تنبغي إلا لبس من عباد الله وأرجو أن
أكون أنا هو فم من سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة (م) عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قال - يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة (ق) عن أنس أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة فيقومون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا
إلى ربنا فربنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد
للك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء أشفع لنا عند ربك حتى يرزقنا من مكاننا هذا فيقول است هذا كم
فيدكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن اتوا فاحاول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون
فوحا فيقول است هذا كم فيدكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن اتوا إبراهيم الذين اتخذ الله
خلائفا فيأتون إبراهيم فيقول است هذا كم ويدكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن اتوا موسى
الذي كلمه الله وأعطاه التوراة قال فيأتون موسى فيقول است هذا كم ويدكر خطيئته التي أصاب فيستحي
ربه منها ولكن اتوا عيسى روح الله وركلته فيأتون عيسى روح الله وركلته فيقول است هذا كم ولكن اتوا
محمد أصلي الله عليه وسلم عبدا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيأتوني فاستأذن علي ربي تعالى فيؤذن لي فإذا أنا رأيتهم وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع
رأسك قل تسمع سل تعطه أشفع أشفع أشفع فإرفع رأسي فأجدر بي بتحميد يعطينيه ربي ثم أشفع فيجحد لي جدا
فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال لي ارفع يا محمد
رأسك قل تسمع سل تعطه أشفع أشفع أشفع فإرفع رأسي فأجدر بي بتحميد يعطينيه ربي ثم أشفع فيجحد لي جدا
فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري في الثالثة أوفى الرابعة قال فأقول يا رب ما بقى في النار إلا
من حبسه القرآن أي من وجب عليه الظن وفي رواية للبخاري ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثن ربك
مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم زاد في رواية فقال النبي صلى الله
عليه وسلم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من
قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من
الخير ما يزن ذرة قال يزيد بن زريع في حديث شعبة ذرة وفي رواية من إيمان مكان خير وفي حديث معبد بن
هلال العنزي عن أنس في حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه فأقول يا رب آمين فيقال انطلق فم كان

(عسى أن يبعثن ربك
مقاما محمودا) نصب على
الظرف أي عسى أن يبعثن
يوم القيامة فيقيم مقام
محمودا أو ضمن يبعثن معنى
يقبل وهو مقام الشفاعة
عند الجمهور ويدل عليه
الآخبار وهو مقام يعطى
فيه لواء الجود

في قلبه أدنى أدنى من منقال حية من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأطلق فأفقه - قال فلما
خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثنا بالحديث إلى هذا الموضع فقال هبه فقلنا لم يزدنا
على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم أعود في الرابعة فاجمده
بتلك الهامة ثم أخرجه ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل بسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب
أذن لي فمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك أو قال ليس ذلك البس ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي
وجبريائي لا يخرجن منها من قال لا اله الا الله قوله وهو يومئذ جميع أي مجتمتع الذهن والرأى * عن أبي
سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا تخرو بيدي لواء الحمد ولا تخرو
وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا تخرقا فيفزع الناس
ثلاث فرعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا شفعلنا إلى ربك فيقول أني أذنب ذنبا عظيما فأهبطت به إلى
الارض ولكن اتوا فحياتون فوحا فيقول اني دعوت على أهل الارض دعوة فأهلكوا ولكن اذهبوا
إلى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منها
كذبة الا ما حل به من دين الله ولكن اتوا موسى فيأتون موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن اتوا
عيسى فيأتون عيسى فيقول اني عبدت من دون الله ولكن اتوا محمدا فيأتوني فأطلق معهم قال ابن
جدعان قال أنس فكأنني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأخذ بحلقه باب الجنة فأقعة بها فيقال
من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويقولون مرحبا فخر ساجدا فيسلمني الله من الشقاء والحمد فيقال لي ارفع
رأسك وسل تعطه واشفع تشفع وقل بسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله سبحانه وتعالى عسى أن
يعتذر ربك لمقام محمد أو قال سفيان ليس عن أنس غير هذه الكلمة فأخذ بحلقه باب الجنة فأقعة بها
فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون لي فيقولون مرحبا فخر ساجدا فيسلمني الله من الشقاء
والحمد أخرجه الترمذي قوله ما حل بالمأحلة الخاصة والمأحلة والمعنى انه عليه الصلاة والسلام خاصم
وجادل عن دين الله بتلك الالفاظ التي صدرت منه وقوله فأقعة بها أي أحر كها حركة شديدة والقعة حكاية
أصوات الترس وغيره مما له صوت * عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا
إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أسوا ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على
ربي ولا تخرق أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي وأنا مستشفعهم إذا حبسوا للكرامة والمفاجع
يومئذ بيدي يطوف على خدم كائنهم يرض مكنون أولئذ منشور (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع زاد
الترمذي قال أنا أول من تنشق عنه الارض فأكسى حلة من حلال الجنة ثم أقوم عن عيين العرش فليس
أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم ما قال ان الشمس تدنو يوم
القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فينماهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بعثي ثم بعث عليه أفضل
الصلاة والسلام فيشفع ليقضى بين الخلائق فيمشي حتى يأخذ بحلقه الباب فيومئذ يبعثه الله مقام محمدا
بحمده فيه أهل الجمع كلهم (م) عن يزيد بن صهيب قال كنت قد شفعني رأي من رأى الخوارج يخرجنا في
عصاة ذوى عدد نريد أن نخرج ثم فخرج على الناس قال فقررنا على المدبسة فاذا جابر بن عبد الله جالس إلى
سارية يتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قد ذكرنا لجهنمين فقلت يا صاحب رسول الله
ما هذا الذي تحدثوننا والله يقول انك من تدخل النار فقد أخرجته وكلما أرادوا أن يخرجوا منهم أعيدها فيهم
فما هذا الذي تقولون قال أنقرأ القرآن قلت نعم قال فاقرا ما قبله انه في الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد
الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فان مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من
النار قال ثم نعت وضع الصراط وعمر الناس عليه قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذلك قال غيره انه قد زعم
ان قوم يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيهم قال يعني فيخرجون كأنهم عبدان السما سم قال فيسندون

(وقل رب ادخلي مدخل صدق) هو مصدر أي (١٨٦) ادخلي القبر ادخالا رهيبا على طهارة من الزلات (وأخرجني مخرج صدق)

أي أخرجني منه عند البعث آخر اجامى ضيا ملقى بالذكرا مه آمان من الملامه دليله ذكره على اثر ذلك البعث وقيل زات حين أمر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة أو هو عام في كل ما يدخل فيه ويلاسه من أمر ومكان (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرتني على من خالفني أو ملكا وعزا قويا ناصر للاسلام على الكفر مظهر الله عليه (وقل جاء الحق) الاسلام (وزهى) وذهب وهلك (الباطل) الشرك أو جاء القرآن وهلك الشيطان (ان الباطل كان زهوقا) كان مضجعا في كل أو ان (ونزل) وبالتخفيف أبو عمرو (من القرآن) من للتبيين (ما هو شفاء) من أمراض القلوب (ورجى) وتفرج للكروب وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب (للمؤمنين) وفي الحديث من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء الله (ولا يزيد الظالمين) الكافرين (الاخسارا) خسارا لتكذيبهم به وكفرهم (واذا أنعمنا على الانسان بالهبة والسعة) أعرض عن ذكر الله أو أنعمنا بالقرآن أعرض (ونأى) بجانبه) تأكيد للاعراض (١) قوله لانما تنقسم الى نوعين أى الامراض الغير الجسمانية بدليل قوله بعد وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية والعبارة في الفخر الرازي بقا به التهذيب فإبراج

البنا

الامراض الجسمانية

لان الاعراض عن الشيء أن يولييه عرض وجهه والنأي بالجانب أن يولي عنه عطفه ويولييه ظهره أو أراد الاستبكار لان ذلك من عادة المستكبرين نأي بالمالة جزوة وبكسر هاء على (واذا مسه الشمس) الفـ قر والمرض أو نازلة (١٨٧) من التوازل (كان يؤسا) شديد اليأس

من روح الله (قل كل) أي

كل أحد (يعمل على

شاكنته) على مذهبه

وطريقته التي تشاكل حاله

في الهدى والضلال (فربكم

أعلم بمن هو أهدي سبيلا)

أسد مذهبا وطريقه

(ويستلون عن الروح قل

الروح من أمر ربي) أي من

أمر يعلم ربي الجاهل وعلى

انه الروح الذي في الحيوان

سألوه عن حقيقة فآخبر

انه من أمر الله أي مما استأثر

بعلمه وعن أبي هريرة لقد

مضى النبي صلى الله عليه

وسلم وما يعلم الروح وقد

عجزت الاوائل عن ادراك

ماهيته بعد اتفاق الاعمار

الطويلة على الخوض فيه

والحكمة في ذلك تعجز

العقل عن ادراك معرفة

مخلوق مجاور له ليسل على

انه من ادراك خالقه أعجز

والدارد ما قبل في حده انه

جسم دقيق هـ وائي في كل

جزء من الحيوان وقيل هو

خلق عظيم روحاني أعظم

من الملك وعن ابن عباس

رضي الله عنهم ما هو جبريل

عليه السلام نزل به الروح

الامين على قلبه وعن

الحسن القرآن دليله وكذلك

أوحينا اليك روحا من أمرنا

ولان به حياة القلوب ومن

الينا بالدعاء وقيل معناه تكبر وعظم (واذا مسه الشمس) أي الشدة والضر (كان يؤسا) أي آسا قنوطا
وقيل معناه انه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تأخرت الاجابة يئس فلا ينفق للمؤمن أن يدع
الدعاء ولو تأخرت الاجابة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (قل كل) أي كل أحد (يعمل على شاكنته) قال ابن عباس على
ناحيته وقيل الشاكنة الطريقة أي على طريقته التي جبل عليها وفيه وجه آخر هو ان كل انسان
يعمل على حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه أفعال جيلة وأخلاق
زكية طاهرة وان كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه أفعال خبيثة فاسدة ودنيئة (فربكم أعلم بمن هو
أهدي سبيلا) أي أوضح طريقا وأحسن مذهبا واتباعا للحق ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (ويستلون عن الروح
قل الروح من أمر ربي) (ق) عن عبد الله بن مسعود قال بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يتوكأ على عيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه
يسمعكم ما تكرهون فقالوا اليه وفي رواية فقام اليه رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت وفي رواية
فقالوا احذ ثيابا عن الروح فقام ساعة ينظر الوحي وعرفت انه يوحى اليه فتأخرت حتى صعد الوحي قال
ويستلون عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم
لا تسألوه وفي رواية وما أوتيتم من العلم الا قليلا قال الاعشى هكذا في قراءة ناسا العيب جريد الخلل وسعفه
وقال ابن عباس ان قريشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشأ فينا بالامانة والصدق وما اتهمنا بكذب قط وقد ادعى
ما ادعى فابعثوا نفر الى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقات اليهم ود
سلوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أوم لم يجب عن شيء منها فليس بنبي وان أجاب عن اثنين ولم يجب
عن واحدة فهو نبي فاسألوه عن فتيحة فقد وافى الزمن الاول ما كان شأنهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن
رجل بلغ مشرق الارض ومغربها ما خبره وعن الروح قال فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما
سألتهم غدا ولم يقل ان شاء الله فابث الوحي قال مجاهد اثنى عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين
يوما وأهل مكة يقولون قد وعدنا محمدا غدا وقد أصبحنا لا نجبرنا بشيء حتى حزن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء
انني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ونزل في انفسه أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا
عجايب ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب قوله ويستلون عن ذي القرنين ونزل في الروح ويستلون عن الروح
قل الروح من أمر ربي واختلفوا في الذي وقع السؤال عنه فروى عن ابن عباس انه جبريل وعن علي انه
ملك له سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف انسان لكل انسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بكلماتها
وقال مجاهد خلق على صورة بني آدم لهم أيد وأرجل ورؤس ليسوا بآلئكة ولا ناس يأكلون الطعام وقال
سعيد بن جبيل لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يتبع السموات والارض ومن فيها
بلقمة واحدة لفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه آدميين يقوم
يوم القيامة على عيين العرش وهو أقرب الخلق الى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين وأقرب الخلق
الى الله يوم القيامة وهو من يشفع لاهل التوحيد ولولا أن بينه وبين الملائكة سترا من نور لا حرق
أهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن لان الله مما رحو لان به حياة القلوب وقيل هو الروح
المركب في الخلق الذي به يحيا الانسان وهو أخص الاقوال وتكلم قوم في ماهية الروح فقال بعضهم هو
الدم ألا ترى ان الانسان اذا مات لا يفوت منه شيء الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل انه يموت

أمر ربي أي من وجبه وكلامه ليس من كلام البشر وروى أن اليهود بعثت الى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين
وعن الروح فان أجاب عن الكل أو سكت عن الكل فليس بنبي وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصصين وأهم أمر
الروح وهو مبهم في التوراة فسلموا على سؤالهم وقيل كان السؤال عن خلق الروح يعني أهو مخلوق أم لا وقوله من أمر ربي دليل خلق

الروح فكان هذا جواباً (وما أوتيتم من العلم الا قليلاً) الخطاب عام فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم تؤت من العلم الا قليلاً وقيل هو خطاب للهم ودخا له انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله فالقلة والكثرة من الامور الاضافية فالحكمة التي أوتيتها العبد خير كثيراً في نفسها الا انما اذا أضيفت الى علم الله تعالى فهي قليلة ثم نبه على نعمة الوحي وعزاه بالصبر على (١٨٨) اذى الجدال في السؤال بقوله (وان شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) لنذهبن جواب قسم

محمد ذوق مع نياته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطنه لا قسم والمعنى ان شئنا نذهبن بالقرآن ومحمد وناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له اثر (ثم لا تجد علينا وكلاً) أي ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظاً مسطوراً (الارحة من ربك ان فضله كان عليك كبيراً) أي الا ان رحمتك ربك فيرده عليك كأن رحمة تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع أي ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظاً فان قلت كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله عز وجل قلت المراد منه محو ما في المصاحف وازهاب ما في الصدور قال عبد الله بن مسعود اقرؤ القرآن قبل أن يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه السلام لا يرفع ما في صدورهم فيصحبون لا يحفظون شيئاً ولا يجردون محافي المصاحف شيئاً ثم تفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث تزل له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الرب مالك فيقول يارب آتني ولا يعمل بي (ان فضله كان عليك كبيراً) أي بسبب بقاء العلم والقرآن عليك وجعلك سيد ولد آدم وختم النبيين بك واعطاك المقام المحمود قوله سبحانه وتعالى (قل لمن اجتمعت الانس والجن على أن يأقوا بئله هذا القرآن لا يأقون بمثله) أي لا يقدرون على ذلك (ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) أي عوناً نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذاهم الله عز وجل فالقرآن معجز في النظم والتأليف والاعجاز عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لانه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقاً لا تقا به قوله عز وجل (واقصد صرنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي ردونا وكررنا من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل مغناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعود والوعيد والقصص وغيرها (فأبى أكثر الناس الا كفوراً) أي جوداً قوله سبحانه وتعالى (وقالوا ان تؤمن بك) أي ان نصدقك (حتى تفجرنا

الموطنة لجاز ان يكون جواباً للشرط كقوله * يقول لا غائب مالي ولا حرم * لان الشرط وقع ماضياً أي لو تظاهروا على أن يأقوا من على هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه لعجزوا عن الايمان بمثله (واقصد صرنا) ردونا وكررنا للناس في هذا القرآن من كل مثل (من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه) (فأبى أكثر الناس الا كفوراً) جوداً واعجازاً فأبى أكثر الناس الا كفوراً ولم يجز ضربت الازيد لان أبي متأول بالنبي كانه قيل فلم يرضوا الا كفوراً ولم يابن اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخرى لم يتمم الحجة وغلبوا اقترحوا الايات فعل المبهوت المحجوج المتحير (وقالوا ان تؤمن لك) أي ان نصدقك (حتى تفجرنا) وبالقذف كوفي

(من الارض) أي مكة

(ينبوعا) عينا غزيرة من

شاهنا ان تنبع بالماء لا تقطع

يفعلون من نبع الماء (أو

تكون لك جنة من نخيل

وعنب قفج) والتشديد

هنا جمع عليه (الانهار

خلالها) وسطها (تفجيرا

أو تفسط السماء كما زعمت

علينا كسفا) بفتح السين

مدني وعاصم أي قطعا يقال

اعطني كسفة هذا الثواب

ويكون السين غيرهما

جمع كسفة كسرة وسدر

يعنون قوله ان نشأ نخسف

بهم الارض أو نسقط عليهم

كسفا من السماء (أو تأتي

بالله والملائكة قبيلا)

كقوله لا عما تقول شاهد

ببعثته والمعنى أو تأتي بالله

قبيلا والملائكة قبيلا

كقوله كنت منه ووالدي بريا

أو مقابلا كالعشر بعني

المعاشر ونحوه ولولا أنزل

علينا الملائكة أو نرى ربنا

أو جماعة حال من الملائكة

(أو يكون لك بيت من

زخرف) ذهب (أو ترقى في

السماء) تصعد إليها (وإن

نؤمن لرقين) لاجل رقين

(حتى تنزل علينا) وبالتخفيف

أو عمرو (كتابا) أي من

السماء فيه تصديقك

(نفرؤه) صفة كتاب

(قل) قال مكي وشاخي أي

قال الرسول (سبحان ربّي)

نحب من اقتراحاتهم - م

عليه

من الارض ينبوعا) لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه معجزات أخرى وبيّنات وزممتهم الحجة وغلبوا
أخذوا يتغالون باقتراح الآيات فقالوا ان تؤمن لك روى عكرمة عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابني
ربيعه وأباس بن حرب والنضر بن الحارث وأبا الجحتر بن هشام والأسود بن عبد المطاب وزمعة بن
الأسود والوليد بن المغيرة وأباجه بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونيها
ومنها ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ائمنوا الى محمد
فكلّموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك فجاءهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه يد الله في أمره بداه وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس
اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لتعذر فيك وانا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على
قومك لقد دشمت الآباء وعبت الدين وسفقت الاحلام وشمت الآلهة وفرت الجماعة وما بقي من قبيل
الأو قد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا الحديث طلب به ما لا جعلنا لك من أموالنا حتى تكون
أكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي
يلزق نراه قد غلب علينا لا نستطيع رده بذاتك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئ من منه وتعذر فيك
وكافوا يسمون التابع من الجن الرقي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئكم بما
جئكم به لطلب أموالكم ولا للشرف عليكم ولا للاملاك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا
وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونهجت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا
والآخرة وان تردوه علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد ان كنت غيبرا فابل منا
ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد أضيق بلادا ولا أشد عبثا منا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا
هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويسط لنا بلادنا ويفجر لنا فيها الأنهار كأنهار الشأم والعراق وليبعث لنا
من مضى من آبائنا وليكن منكم قصي بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فأنسأ لهم عما نقول أحق هو أم باطل
فان صدقوا صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به فان
تقبلوه فهو حظكم وان تردوه أصبر لامر الله تعالى قالوا فان لم تفعل هذا فسل لنا ربك أن يبعث ملكا
يصدقك واسأله أن يجعل لك جنات وقصورا وكروما من ذهب وفضة يعينك على ما تريد فانك تقوم
بالأسواق وتلبس المعاش كأنك نعمة فقال ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فأسقط السماء
كأزعمت ان ربك ان شاء فعل فقال ذلك الى الله ان شاء فعل ذلك بكم وقال قائل منهم ان تؤمن لك حتى تأتينا
بالله والملائكة قبيلا فاقالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أبي أمية وهو
ابن عمته عائشة بنت عبد المطاب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم يقبله منهم ثم سألوكم لانفسهم
أمورا يعرفون بها من انزل من الله فلم تفعل ثم سألوكم ان تجعل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله
ما أؤمن لك أبدا حتى تتخذ الى السماء مرقى ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها فتأتي بنسخة منشورة ومثل
من الملائكة يشهدون لك بما تقول وإيم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك وانصرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى أهله خزي المارأي من مباغتهم فانزل الله تعالى وقالوا ان تؤمن لك حتى تقبلوا من
الارض يعني أرض مكة ينبوعا أي عيونا (أو تكون لك جنة من نخيل وعنب) أي بستان فيه نخيل وعنب
(تفجير الانهار خلالهما تفجيرا) أي تشقيقا (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) أي قطعا (أو تأتي بالله
والملائكة قبيلا) قال ابن عباس كقوله أي يكفون بما نقول وقبل هو جمع القبيلة أي بأصناف الملائكة
قبيلة قبيلة يشهدون لك ببعثه ما نقول وقيل معناهم زاهم مقابلة عيانا (أو يكون لك بيت من زخرف) أي
من ذهب وأصله الزينة (أو ترقى) أي تصعد (في السماء) ولن تؤمن لرقين (أي لاجل رقين) حتى تنزل
علينا كتابا نفرؤه) أمر نافي به باتباعه وهذا قول عبد الله بن أبي أمية (قل) أي قل يا محمد (سبحان ربّي)

(هل كنت الا بشرا رسولا) أي انارسل كـ انارسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الايات فليس أمر الايات الى انما هو الى الله فما بالكتم تقبرونم اعلى (وما منع الناس) يعني اهل مكة ومحمل (أن يؤمنوا) نصب بانه مفعول ثان لمنع (اذ جاءهم الهدى) النبي والقرآن (الا أن قالوا) فاعل منع والتقدير وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوته محمد صلى الله عليه وسلم الا قولهم (أبعث الله بشرا رسولا) أي الاشبهه فكنت في صدورهم وهي انكارهم أن يرسل الله البشرا والهجرة في أبعث الله لئلا تنكروا ما أنكره في قضية حكمته منكر ثم رد الله عليهم بقوله (١٩٠) (قل لو كان في الارض ملائكة يمشون) على أقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون

أمره بتزجيه وتجيده وفيه معنى التعجب (هل كنت الا بشرا رسولا) أي كسا انارسل لاهمهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الايات فليس أمر الايات اليهم انما هو الى الله تعالى ولو أراد أن ينزل ما طلبوا الفاعل ولكن لا ينزل الايات على ما اقترحه البشر وما أنا الا بشر وليس مأسأتم في طوق البشر واعلم ان الله سبحانه وتعالى قد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الايات والمجرات ما يغني عن هذا كله مثل القرآن واشفاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وما أشبهها من الايات وليست بدون ما اقترحوه بل هي أعظم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله تعالى عليهم سؤلهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) أي الوحي والمعنى وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوته محمد صلى الله عليه وسلم الاشبهه تلججت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشرا وهو قوله تعالى (الا أن قالوا) أي جهلهم (أبعث الله بشرا رسولا) وذلك ان الكفار كانوا يقولون ان تؤمن لك لانك بشر وهـ لا بعث الله الا بشرا فكأجابهم الله بقوله (قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين) أي مستوطنين مقيمين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أي من جنسهم لان الجنس الى الجنس أميل (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) أي على اني رسوله اليكم واني قد بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتهم وعاندتم (انه كان عبادا) يعني المنذرين والمنذرين (خبيرا بصيرا) أي عالما بأحوالهم فهو مجازيهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه) أي يهدونهم وفيه أيضا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الذين حكم لهم بالايمان والهداية وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والجهل استحال ان يتقبلوا عن ذلك (وتخشعهم يوم القيامة على وجوههم) (ق) عن أنس ان رجلا قال يا رسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أي يحشرون الكفار على وجوههم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه بلى وعز وجل بنا وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشرون الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاه وصنفا قاربنا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله وكيف يحشرون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك أخرجه الترمذي الحذب كل ما ارتفع من الارض (عيا وبكأوصيا) أي لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون فان قلت كيف وصفهم بانهم عمى وبكم وصفهم وقد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال دعوا ههنا كبشورا وقال معهم الهاتعظا وزفيرا فثبت لهم الرؤية والكلام والسمع قلت فيه أوجه أحدها قال ابن عباس معناه عميا لا يبصرون ما يسمرون بكالا ينطقون بحجة صملا لا يسمعون ما يسمرون الوجه الثاني قيل معناه يحشرون على ما وصفهم

باجتنبهم اسم الى السماء فيسبوا من أهلها ويعلموا ما يجب عليهم (مطمئنين) حال أي ساكنين في الارض قارين (انزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير ويهديهم المرشد فاما الانس فاغفر لرسول الملك الى مختار منهم لانبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم وبشرا وملكا حالان من رسول (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) على اني بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتهم وعاندتم شهيدا غيبيز أو حال (انه كان عبادا) المنذرين والمنذرين (خبيرا) عالما بأحوالهم (بصيرا) بافهامهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام ووعيد للكفرة (ومن يهد الله فهو المهتد) وبالهداء يعقوب وسهل واقفهما أبو حمزة وروى في الوصل أي من وقضه الله لقبول ما كان من الهدى فهو المهتدي هـ الله (ومن يضلل) أي

ومن يخذله ولم يهده حتى قبل وساوس الشيطان (فلن تجد لهم أولياء من دونه) أي انصارا (وتخشعهم يوم القيامة) الله على وجوههم أي يحشرون عليها كقوله يوم يحشرون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله عليه السلام كيف يحشرون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عيا وبكأوصيا) كما كانوا في الدنيا لا ينصبصرون ولا ينطقون بالحق وينصامون عن استماعه فهم في الاخرة كذلك لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلدس ما سمعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم (٣) قوله في قضية حكمته منكر عبارة الكشف وما أنكره بخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى أمثاله أو الى الانبياء اه وهي ظاهرة اه مصححه

(ما واهم جهنم كلما خبت) طفئ اهبها (زناهم سعيها) فوذا (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا اننا انما لموعوثون خلقا جديدا) أي ذلك العذاب بسبب انهم كذبوا بالاعادة بعد الاقضاء فجعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تأكلها ثم يبدلها لا يزالون على ذلك ليزيد في تحسرتهم على تكذيبهم البعث (أولم يروا) أولم يعلموا (١٩١) (أن الله الذي خلق السموات والارض قادر على

أن يخلق مثلهم) من الانس (وجعل لهم أجلا لاريب فيه) وهو الموت والقيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) جحودا مع وضوح الدليل (قل لو أنتم غلظكون) تقديره لو تمككون أنتم لان لو تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها فاضمر غلظ على شرطية التفسير وابدل من الضمير المتصل وهو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما متصل به من اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وغلظكون نفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب وامامنا يقتضيه علم البيان فهو ان انتم غلظكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشئ المتبائع (خزائن رحمة ربي) رزقه وسائر نعمه على خلقه (اذا لامسكم خشية الانفاق) أي لظلمت خشية ان يفنيه الانفاق (وكان الانسان قنورا) بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) عن ابن عباس رضي الله عنهما هي العصا والبدر والجراد والقمل والضفادع والدم والحر والبرد والسنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبريد والسنين والنقص قيل كان الرجل منهم مع أهله في الفراش وقد صار احمرين والمرأة قائمة تحبز وقد صارت حمر اوروى ان عمر ابن عبد العزيز سأل محمد بن كعب القرظي عن الآيات فذكر منها الطمس فقال عمر هذا يجب أن يكون الفقيه ثم قال يا غلام أنخرج ذلك الجراب فأخرجه فاذا فيه بيض مكسر نصفين وجوز مكسر نصفين وثوم وحب وعبدس كلها جارة وقيل التسع آيات هي آيات الكتاب وهي الاحكام يدل عليه ما روى عن صفوان بن غسان ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فقال الا تخلا تقل نبي فانه لو جمع صارت له أربعة أعين فآباه فسلأه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تقبلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تنزفوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تشربوا بالبرى الى سلطان يقتله ولا تسرفوا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا من الزحف عليكم خاصة اليهود ان لا تدعوا في السبت فقبلا يدوه وقالوا انك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعوني قالوا ان داود دعا ربه ان لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود (فاسئل) يا محمد (بنى اسرائيل) يجوز الخطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وأمره بالسؤال لينبين كذبهم مع قومهم (اذ جاءهم) يعني جاء موسى الى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل (فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا) قال ابن عباس مسحودا وقيل مطبوبا أي مسحورك وقيل معناه ساحر اعطى علم السحر فلهذه الجباب التي فعلها من مسحورك (قال) موسى (لقد علمت) خطا بالفرعون قال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عانده

الله تعالى ثم تعاد اليهم هذه الاشياء الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم اخسوا فيها ولا تسكعون فيصبرون باجمعهم عيا وبكوا صملا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون (ما واهم جهنم كلما خبت) أي سكن اهبها وقيل ضعفه وهذات من غير ان يوجد نقصان في ايلام الكفار لان الله سبحانه وتعالى قال لا يقتر عنهم وقيل معناه ارادت ان تخبو (زناهم سعيها) أي وقودا وقيل معناه خبت أي نضجت جلودهم واحترقت أعينهم الى ما كانوا عليه وزيد في سعيها النار لتحرقتهم (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا) لما ذكر الوعيد المتقدم قال ذلك جزاؤهم عما كفروا به من ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم باياتنا (وقالوا اننا كنا عظاما مورقاتا اننا لموعوثون خلقا جديدا) أجابهم الله ورد عليهم بقوله (أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض) أي في عظمتها وشدها (قادر على ان يخلق مثلهم) أي في صغرهم وضعفهم (وجعل لهم أجلا) أي وقتا لعذابهم (لاريب فيه) أي لاشك فيه انه يأتيهم قبل الموت وقيل يوم القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) أي جحودا وعنادا (قل لو أنتم غلظكون خزائن رحمة ربي) أي خزائن نعمه ورزقه وقيل ان خزائن الله غير متناهية والمعنى لو أنكم ملكتم من النعم خزائن لانها لا نهاية لها (اذا لامسكم) أي ليجتم وحبستكم (خشية الانفاق) والنفر والنقاد وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشئ (وكان الانسان قنورا) أي محكا بخيلا فان قلت قد يوجد في جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالخل قلت الاصل في الانسان البخل لانه خلق محتاج والمحتاج لا بد وان يحب ما يدفع به عنه ضررا الحاجة ويمسكه لنفسه الا انه قد يجدد لاسباب خارجة مثل أن يحب المدحة أو رجا ثواب فثبت بهذا أن الاصل في الانسان البخل (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أي دلالات واضحات قال ابن عباس هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فخلها وقلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض قلقي البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبريد والسنين والنقص قيل كان الرجل منهم مع أهله في الفراش وقد صار احمرين والمرأة قائمة تحبز وقد صارت حمر اوروى ان عمر ابن عبد العزيز سأل محمد بن كعب القرظي عن الآيات فذكر منها الطمس فقال عمر هذا يجب أن يكون الفقيه ثم قال يا غلام أنخرج ذلك الجراب فأخرجه فاذا فيه بيض مكسر نصفين وجوز مكسر نصفين وثوم وحب وعبدس كلها جارة وقيل التسع آيات هي آيات الكتاب وهي الاحكام يدل عليه ما روى عن صفوان بن غسان ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فقال الا تخلا تقل نبي فانه لو جمع صارت له أربعة أعين فآباه فسلأه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تقبلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تنزفوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تشربوا بالبرى الى سلطان يقتله ولا تسرفوا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا من الزحف عليكم خاصة اليهود ان لا تدعوا في السبت فقبلا يدوه وقالوا انك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعوني قالوا ان داود دعا ربه ان لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود (فاسئل) يا محمد (بنى اسرائيل) يجوز الخطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وأمره بالسؤال لينبين كذبهم مع قومهم (اذ جاءهم) يعني جاء موسى الى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل (فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا) قال ابن عباس مسحودا وقيل مطبوبا أي مسحورك وقيل معناه ساحر اعطى علم السحر فلهذه الجباب التي فعلها من مسحورك (قال) موسى (لقد علمت) خطا بالفرعون قال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عانده

على بنى اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الجراد والجراد والطور (فاسئل بنى اسرائيل) فقلنا له سل بنى اسرائيل أي سلمهم من فرعون وقل له ارسل معي بنى اسرائيل وقوله (اذ جاءهم) متعلق بقوله الحمد وفي أي فقلنا له سلمهم حين جاءهم (فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا) مسحودا وقوله (لقد علمت) يا فرعون

(ما أنزل هؤلاء) الآيات (الأرب السموات والأرض) خافقهما (بصائر) حال أي بينات مكشوفات لأنك معاند ونحوه ومجدواهما واستبقنهما أنفسهم ظلموا على أي أنى استبحرور كما وصفته بل أنا عالم بحجة الأمر وإن هذه الآيات منزلها رب السموات والأرض ثم قارع ظنه بظنه بقوله (وإني لأظنك يا فرعون مشبورا) كأنه قال إن ظننتي مسهورا فإنا أظنك مشبورا وظني أصح من ظنك لأن له أمارة ظاهرة وهي أنك كاذب ما عرفت صحة ومكابر تلك الآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لأن قولك مع عليكم بحجة أمري إني لأظنك مسهورا قول كذب وقال القراء مشبورا مصر وفا عن الخبر من قولهم ما تبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك (فأراد) فرعون (أن يستقرهم) يخرجهم أي موسى وقومه (من الأرض) أي أرض مصر أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال (فأغرقناه ومن معه جميعا) خافق به مكروه بأن استقره الله يا غرقه مع قطه (وقلنا من بعده) من بعده فرعون (لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض) التي أراد فرعون أن يستقرهم منها (فإذا جاء وعد الآخرة) أي القيامة (جئناكم لقيقا) جئناكم لقيقا أي بكم وبأياكم ثم نفيكم بينكم وبين بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة وما نزل إلا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية (١٩٣) إلى كل خير أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظا بالبرص من الملائكة وما نزل على الرسول

الأحفوظاتهم من تخليط الشياطين قال الراوى اشتكى محمد بن السماك فأخذ تاماه وذهبهنا إلى طبيب نصراني فاستقبلنا وجعل حسن الوجه طبيب الزخمة نفي الثوب فقال لنا إلى أين فقلنا إلى فتلان الطبيب تريه ما ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولي الله بعد والله أضربوه على الأرض وارجعوا إلى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا إلى ابن السماك فأخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل وعوفي في الوقت وقال كان ذلك الخضر عليه السلام (وما أرسلناك إلا مبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار (وقرآنا) منصوب بفعل أي يفسره (فرقناه) أي فصلناه أو فرقنا فيه الحق من الباطل (لتقرأه على الناس على مكث) على تودة وثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) أي اختاروا لأنفسكم النعيم المقيم أو العذاب الاليم ثم علل بقوله (ان الذين أوفوا العلم من قبله) أي التوراة من قبل القرآن (إذا تبلى عليهم) القرآن (يجزون للذقان) حال (ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا أي أعرض عنهم فاتهم ان لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فان خيرا منهم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب قد آمنوا به وصدقوه فإذا تبلى عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لأمره ولا يخافه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثه محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور أن يعنى انه وهى تؤكده الفاعل كما أن ان تؤكده الاسم وكما أكدت ان باللام في أنهم لم يخضرون أكدت ان باللام في لمفعولا (ويخرون للذقان يكون) ومعنى الخرون للذقان السقوط على الوجه وانما خص الذقن لأن أقرب الاشياء من وجهه إلى الأرض عند السجود الذقن يقال خر على وجهه وعلى ذقنه وخرلوجه وذقنه امامه معنى على قطاهر واما معنى اللام فكأنه جعل ذقنه وجهه الخرون والاختصاص به اذ اللام للاختصاص وكرر يخرون للذقان لاختلاف الحالين وهما خرونهم في حال كونهم ساجدين وخرونهم في حال كونهم باكين (وبزيدهم) القرآن (خشوعا) لئلا يلقوا برطوبة عين

الوقت وقال كان ذلك الخضر عليه السلام (وما أرسلناك إلا مبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار (وقرآنا) منصوب بفعل أي يفسره (فرقناه) أي فصلناه أو فرقنا فيه الحق من الباطل (لتقرأه على الناس على مكث) على تودة وثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) أي اختاروا لأنفسكم النعيم المقيم أو العذاب الاليم ثم علل بقوله (ان الذين أوفوا العلم من قبله) أي التوراة من قبل القرآن (إذا تبلى عليهم) القرآن (يجزون للذقان) حال (ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا أي أعرض عنهم فاتهم ان لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فان خيرا منهم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب قد آمنوا به وصدقوه فإذا تبلى عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لأمره ولا يخافه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثه محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور أن يعنى انه وهى تؤكده الفاعل كما أن ان تؤكده الاسم وكما أكدت ان باللام في أنهم لم يخضرون أكدت ان باللام في لمفعولا (ويخرون للذقان يكون) ومعنى الخرون للذقان السقوط على الوجه وانما خص الذقن لأن أقرب الاشياء من وجهه إلى الأرض عند السجود الذقن يقال خر على وجهه وعلى ذقنه وخرلوجه وذقنه امامه معنى على قطاهر واما معنى اللام فكأنه جعل ذقنه وجهه الخرون والاختصاص به اذ اللام للاختصاص وكرر يخرون للذقان لاختلاف الحالين وهما خرونهم في حال كونهم ساجدين وخرونهم في حال كونهم باكين (وبزيدهم) القرآن (خشوعا) لئلا يلقوا برطوبة عين

(قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) لما سمعه أوجهل يقول يا الله يا رحمن قال انه هنا ان نعبده الهين وهو يدعوا لها آخر فزلت وقبل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وأول التغيير أو سموا بهذا الاسم أو بهذا أو اذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في (أياماندعوا) عوض من المضاف اليه (١٩٣) وما زيدت للتوكيد وأيا نصب

بندعوا وهو مجزوم بأي
أي أي هذين الاسمين
ذكرتم ومبني (فله الاسماء
الحسنى) والضمير في قوله
يرجع الى ذات الله تعالى
والغاء لانه جواب الشرط
أي أياماندعوا فهو حسن
فوضع موضع قوله قوله
الاسماء الحسنى لانه اذا
حسنت أسماء كلهما حسن
لهذان الاسمان لانهما
منها ومعنى كونها أحسن
الاسماء انهما مستقلة بمعنى
التمجيد والتعظيم (ولا تجهر
بصلاتك) بقراءة صلاتك على
حذف المضاف لانه لا يلبس
اذا الجهر والخافتة متعقبان
على الصوت لا غير الصلاة
أفعال وأذكار وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يرفع صوته بقراءته فاذا
سمعها المشركون لقوا وسبوا
فأمر بان يخفف من صوته
والمعنى ولا تجهر حتى تسمع
المشركين (ولا تخافت بها)
حتى لا تسمع من خلفك
(وابتغ بين ذلك) بين الجهر
والخافتة (سيلا) وسطا
أو معناه ولا تجهر بصلاتك
كلها ولا تخافت بها كلها
وابتغ بين ذلك سيلا بأن

أي خضوعا لهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين والبكاء مستحب عند قراءة القرآن عن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في
الضرع ولا اجتمع على عبد سبيل الله ودخان جهنم أخرجه الترمذي والنسائي وزاد النسائي في
متنخرى مسلم أبدا اللولج الدخول والمختر الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول عينا لا غمها النار عين بكى من خشية الله وعين بابت تحرس في سبيل الله أخرجه الترمذي
في قوله عز وجل (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) قال ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
ليلة فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال أوجهل ان محمدا ينها ناعن آهتنا وهو يدعوا الهين فأنزل الله
هذه الآية ومعناها انما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم أو بهذا الاسم (أياماندعوا) ماضية ومعناه
أي هذين الاسمين سميت وذكرتم أو من جميع أسمائه (فله الاسماء الحسنى) يعنى اذا حسنت أسماء كلهما
فهذان الاسمان منها ومعنى كونها أحسن انهما مشتملة على معاني التقديس والتعظيم والتمجيد (ولا تجهر
بصلاتك ولا تخافت بها) (ق) عن ابن عباس في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله
صلى الله عليه وسلم محتجب بمكة وكان اذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن
ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك أي بقرائتك
فسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سيلا زاد في رواية
وابتغ بين ذلك سيلا لا سمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت الآية في الدعاء وهو قول
عائشة والخفي ومجاهد ومكحول (ق) عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت نزل ذلك في الدعاء
وقيل كان أعراب من بنى نعيم اذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا ما لا أولاد يجهرون
بذلك فأنزل الله عز وجل ولا تجهر بصلاتك أي لا ترفع صوتك بقراءة تلوذ عائل ولا تخافت بها المخافتة
خفض الصوت والسكوت (وابتغ أي اطلب بين ذلك سيلا) أي طريقا وسطا بين الجهر والاختفاء عن
أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يكره من بكى وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك
فقال اني أسمع من ناجيت فقال ارفع قلبك لا وقال لعمره رت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع من صوتك فقال
اني أوقط الوسنان وأطرد الشيطان فقال اخفض قليلا أخرجه الترمذي (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا)
أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بان يحمده على وحدانيته وقيل معناه الحمد لله الذي عرفني انه لم يتخذ ولدا
وقيل ان كل من له ولد فهو عيبك جميع النعم لو له واذا لم يكن له ولد أقاض نعمه على عبيده وقيل ان الولد
يقوم مقام والده بعد انقضائه والله عز وجل يتعالى عن جميع النقص فهو المستحق لجميع الحمد (ولم يكن
له شريك في الملك) والسبب في اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذا
قوله (ولم يكن له ولي من الدال) ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر يتعز به (وكبره تكبيرا) أي وعظمه
عن أن يكون له ولد أو شريك أو ولي وقيل اذا كان منزها عن الولد والشريك والولي كان مستوجبا لجميع
أنواع الحمد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يدعى الى الجنة يوم القيامة
الذين يحمدون الله في السر والظهر عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله
رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان

(٢٥ - خازن ثالث) تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار أو بصلاتك عائل (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) كلزمت
اليهود والنصارى وبنو ملجم (ولم يكن له شريك في الملك) كلزعم المشركون (ولم يكن له ولي من الدال) أي لم يذل فيحتاج الى ناصر أو لم يوال
أحدا من أجل مذلة به ليدفعوا عواالاته (وكبره تكبيرا) وعظمه وصفه بأنه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك ومعنى النبي عليه السلام
الآية آية العز وكان اذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب عليه هذه الآية

﴿سورة الكهف مائة وأحدى عشرة آية بصري وعشر آيات كوفي﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الحمد لله الذي أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم) (الكتاب) القرآن لقن الله عباده وفقهم كيف يشئون عليه ويحمدونه على أجرل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم (ولم يجعل له عوجاً) أى شيئاً من العوج والعوج في الماء انى كالعوج في الاعيان يقال في رايه عوج وفي عصاه عوج والمراد في الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شئ منه من الحكمة (قيماً) مستقيماً وانصابه بضمير وتقدره جعله قيمياً لانه اذا انى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة وفائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر التأكيد فرب (١٩٤) مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يتخلو من أدنى عوج عند التصريح أو قيمياً على سائر

أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا اله الا الله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب عن سمرة ابن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله أربع لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرل بأيم بدأت أخرجه مسلم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الكهف﴾

وهي مكية وآياتها مائة وأحدى عشرة آية وكلماتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وحروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) أننى الله سبحانه وتعالى على نفسه بانهامه على خلقه وعلم عباده كيف يشئون عليه ويحمدونه على أجرل نعمائه عليهم وهي الاسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القرآن كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم (ولم يجعل له عوجاً) أى لم يجعل له شيئاً من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد في الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعل له مخلوقاً روى عن ابن عباس في قوله تعالى قرأ ناعراً يباغى رضى عوج قال غير مخلوق (قيماً) أى مستقيماً قال ابن عباس عدلاً وقيل قيمياً على الكتب كلها ومصدقاً لها وانما محاشراؤها (لينذر بأساً شديداً) معناه لينذر الذين كفروا بأساً شديداً وهو قوله سبحانه وتعالى وهذا بئس (من لدنه) أى من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً حسناً) أى بئس لهم (أجراً حسناً) أى الجنة (ما كذب) من هم في لهم (فيه) فى (الابر وهو الجنة) (أبداً وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) (ذكري المنذر من دون المنذرية بعكس الاول استغناء بتقديم ذكره (مالهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذهم (يعنى ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط فان قلت اتخذ الله ولداً فى نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت انتفاء العلم فكيف يكون الجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون فى نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به (وللا يا أنهم) أى ولا لاسلافهم من قبل (كبرت) أى عظمت (كلمة تخرج من أفواههم) أى هذا الذى يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه فى غاية الفساد والبطلان فكانه يجرى على لسانهم على سبيل التقليد (ان يقولون الا كذباً) أى ما يقولون الا كذباً قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذى لا يطابق الخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله سبحانه وتعالى وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذباً مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلاً فعلنا ان كل خبر لا يطابق الخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق الى الباطل ورجل كذاب وكذوب

الكتب مصداقاً لها شاهدنا بها (لينذر) أنذر متعدي الى مفعولين كقوله انا أنذرناكم هذا بقربها فاقصر على أحدهما وأصله لينذر الذين كفروا (بأساً) عذاباً (شديداً) وأما اقصر على أحدهم فعلى أنذر لان المنذرية هو المسوق اليه فاقصر عليه (من لدنه) صادر من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم) أى بأن لهم (أجراً حسناً) أى الجنة ويبشر حرة وعلى (ما كذب) من هم في لهم (فيه) فى (الابر وهو الجنة) (أبداً وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) (ذكري المنذر من دون المنذرية بعكس الاول استغناء بتقديم ذكره (مالهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذهم (يعنى ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط فان قلت اتخذ الله ولداً فى نفسه محال

فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالة وانتفاء العلم بالشئ اما الجهل بالطريق الموصل اليه أولانه فى نفسه محال (وللا يا أنهم) المقلدين (كبرت كلمة) نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة والصغير فى كبرت يرجع الى قولهم اتخذ الله ولداً وسبغت كلمة كاسموم القصيدة بها (تخرج من أفواههم) صفة لكلمة تفيد استعظاما لاجترأهم على النطق بها واخراجها من أفواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان فى قلوب الناس من المنكرات لا يقال لكون ان ينطقوا به بل يكظمون عليه فكيف عتل هذا المنكر (ان يقولون الا كذباً) ما يقولون ذلك الا كذباً ووصفة لصدور محذوف أى قولاً كذباً

(فلعلك باخع نفسك) (على آثاريهم) أي آثار الكفار شبههم وإياهم حين تولوا عنهم ولم يؤمنوا به وما نذاخله من الاسف على قلوبهم - مبرجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على آثاريهم ويخج نفسه (١٩٥) وجداد عليهم وتلفا على فراقهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث)

(ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أي عاينوا ان يكون زينة لها ولا اهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعني النبات والشجر والانهار وقيل اراد به الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل اراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما في الارض هو زينة لها فان قلت أي زينة في الحيات والعقارب والاشياطين قلت زينة كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل ان جميع ما في الارض ثلاثة معدن ونبات وحيوان وأشرف أنواع الحيوان الانسان قيل الاولى أن لا يدخل في هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى (لتبألوهم) فمن يلو يجب ان لا يدخل في ذلك ومعنى تبألوهم فختبرهم (أيهم أحسن عملا) أي أصح عملا وقيل أيهم أثركم لذنبا وأزهد فيهم (وإنما الجاعلون ماعليها) أي من الزينة (صعيدا حرا) يعني مثل أرض لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة والصعيد مبدوجه الارض وقيل هو التراب والجرازا الملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء قوله سبحانه ونعالى (أم حسبت) أي ظننت يا محمد (أن أصحاب الكهف والرقم كافوا من آياتنا عجبا) أي هم عجب من آياتنا وقيل معناه أنهم ليسوا بأعجب آياتنا فان ما خلقنا من السموات والارض وما فيهن من العجائب أعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل والرقم كعب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف وقال كعب الاحبار هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الكهف فقال عز من قائل (أذوى الفتية الى الكهف) أي صاروا اليه وجعلوه مأواهم والفتية جمع فتى وهو الطيرى من الشباب (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وجلال فضلك واحسانك وعبدنا الهداية والنصر والامن من الأعداء (وهي لنا) أي أصح لنا (من أمرنا رشدا) أي حتى نكون بسببه راشدين مهتدين وقيل معناه واجعل أمرنا رشدا كله

ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه

قال محمد بن اسحق ومحمد بن يسار مرج امر أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغى الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله فوجدوا وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملث من الروم يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية تنزلها أحد الا فتنة عن دينه حتى يعبد الأصنام أو يقتله فلما نزل مدينة أصحاب الكهف واسمها افوس استخفى منه اهل الايمان وهو يوافي كل وجه فالتفتهم طام من الكفار وأمرهم ان يتبعوهم فجعل أولئك الشرط يتبعون اهل الايمان في أما كنهم ويرجعونهم الى دقيانوس فيخبرهم بين القتل وبين عبادة الأصنام ففهم من يرغب في الحياة ومنهم من أبى ان يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان جعلوا يأسون أنفسهم للعذاب والمقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ما قطع من أجسادهم على أسوار المدينة وأقوام أفلاما عظمت الفتنة وكثرت ورأى ذلك الفتية حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكافوا من اشراق الروم وهم ثمانية نفر ويكفوا وتضرعوا الى الله عز وجل وجعلوا يقولون وشارب السموات والارض لن ندعو من دونه الهالقد قلنا اذا شططوا كشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء حتى يعلنوا عبادتنا فيبقاها

(كافوا من آياتنا عجبا) أي كافوا آية عجايبهم من آياتنا وصفها بالمعذرة أو على ذات عجب (اذ) أي اذكر (أو الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الأعداء (وهي لنا من أمرنا) أي الذي نحن عليه من مضارفة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين أو جعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أشدا أو سر لنا طريق رضالك

على ذلك وقد دخلوا مصلاتهم أدر كهم الشرط فوجدوهم سجدوا يسعون إلى الله عز وجل فقال
لهم الشرط ما خلفكم عن أمر الملك ثم انطلقوا إلى الملك فأخبروه خبر القتيبة فبعث اليهم فأتى بهم تقيض
أعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذي لا إلهنا التي أعبد في الأرض
وتجعلوا أنفسكم أسوة أهل مدينتكم اختاروا أما أن تدبجوا ولا إلهتنا أو أما أن أقدمكم فقال مكسبنا وهو
أكبرهم أن لنا الهامل السجوات والأرض عظمت له لن ندعو من دونه الهامل الجدد والتكبير من أنفسنا
خالصا إلهنا إياه نعبده وإياه نسأل النجاة والخير فاما الطواغيت فلن نعبدها إلهنا الصانع بنا ما يبدل وقال أصحابه
مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم أمر بنزع ثيابهم وحلبه كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم
وأخرجكم ما أوعدكم من العقوبة وما تمنعني أن أعجل ذلك لكم إلا أني أراكم شيئا ناعدا شيئا أسانركم فلا
أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه فترجعون إلى عقولكم ثم أمرهم فخرجوا من عنده
وانطلق دقيانوس إلى مدينته أخرى قريبة منهم ببعض أموره فلما رأى القتيبة خروجه بادروا وخافوا
إذا قدم أن يذكرهم فأعترروا بينهم وانفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فينصرفوا منها
ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له بعلوس فيمكثوا فيه ويعبدوا الله
حتى إذا جاء دقيانوس أتوه فيصنعهم ما يشاء فلما انفقوا على ذلك عمد كل فتي منهم إلى بيت أبيه فأخذ نفقة
فتصددق منها وانطلقوا بما بقي منهم وأتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه وقال كلب
الاجبار مرى بالكلب قتيبه هم فطردوه فعاد نفقة فلما ذلك مرى ارقطال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا مني
أنا أحب أحب الله عز وجل فناموا حتى أحركهم وقال ابن عباس هرير من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا
براع معه كلب قتيبه هم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد إلى الكهف قال ابن عباس فلبثوا فيه
ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتعبد بالتعاليم وجه الله عز وجل وجعلوا نفقتهم التي في قوتهم
أمنه فليخافوا كان يتباع لهم أرزاقهم من المدينة سرا وكان من أجالهم وأجلدهم وكان إذا دخل المدينة
لبس ثيابا رثة كتياب المساكين ثم يأخذ ورقة فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرا ويبيعهم
لهم الخبز هل ذكره هو وأصحابه شيء ثم يرجع إلى أصحابه فليشربوا بذلك ما شاء الله أن يلبثوا ثم قدم دقيانوس
المدينة وأمر عظماء أهلها أن يدبجوا الطواغيت ففرغ من ذلك أهل الإيمان وكان تلميذا بالمدينة يشتري
لأصحابه طعاما هم فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل فأخبرهم أن الجبار قد دخل المدينة وأنهم
قد ذكروا والتسوا مع عظماء المدينة ففرغوا ووقعوا أجسادهم إلى الله وينصرون إليه وينعذرون
من القتيبة فقال لهم تلميذا يا أخوتاه ارفعوا رؤوسكم وأطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤوسهم وأعينهم
تقيض من الدمع وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويدكر بعضهم بعضا فيبتهامهم على ذلك إذ
ضرب الله عز وجل على آذانهم في الكهف ونكلمهم بأسطرذوا عيه بباب الكهف فأصابه ما أصابهم وهم
مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤوسهم فلما كان من الغد نفقتهم دقيانوس والتهمهم فلم يجدهم فقال
لبعض عظماء المدينة أريد ساء في شأن هؤلاء القتيبة الذين ذهبوا القذطنوا أن في غضبا عليهم بلهم
ما جهلوا من أمرى ما كنت لأجهل عليهم أن هم تابوا وعبدوا آلهتي فقال عظماء المدينة ما أنت بحق
أن ترحم قوم ما حجرة مرده عصاة قد كنت أجملت لهم أجلا ولو شاءوا الرجوعوا في ذلك الاجل وانكسر لهم ينوبوا
فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل إلى آبائهم فأتى بهم فقال أخبروني عن أبنائكم المردة الذين
عصوني فقالوا أما نحن فلم نصلك فلم تقلنا بقوم مرده أنهم ذهبوا بأموالنا وأهلكوا في أسواق المدينة
ثم انطلقوا إلى جبل يدعى بعلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل ما يدرى ما يصنع بالقتيبة فأتى الله
سجانه وتعالى في نفسه أن يأمر بسد باب الكهف عليهم وأراد الله عز وجل أن يكرههم بذلك ويجهلهم
آية لامة تسخف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور

قوله بعلوس هكذا في بعض
النسخ وفي بعضها بعلوس
وفي حكاية الجبار من بعلوس
فليجرااه مصححه

فأمر دقيانوس بالكهف فدعاهم وقال دعوههم كما هم في كهفهم يعرفون جوعا وعطشا ويكون
كهفهم الذي اختاروه قبر لهم وهو يظن انهم ايقاظا يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله عز وجل ارواحهم
وفاته نوم وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان
رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهم ما اسم أحدهما يدروس واسم الآخر روناس اتهما
ان يكتبان شأن هؤلاء القتيبة واسماءهم وأنسابهم وأخبارهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت
من نحاس ويجعل التابوت في البنيان وقال اهل الله ان يظهر على هؤلاء القتيبة قوم مؤمنين قبل يوم
القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلوا ذلك وبنوا عليه وبقى دقيانوس مائتي ثم مات هو
وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك وقال عبيد بن عمير كان أصحاب الكهف قتيانا
مطوفين مسافرين ذوى ذواب فخرجوا في عبادتهم عظيم في زى وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التي كانوا
يعبدونها وكان معهم كلب صيدهم وكان أحدهم وزير الملك فدفن الله سبحانه وتعالى الايمان في قلوبهم
فأمنوا وأخفى كل واحد ايمانه وقال في نفسه أخرج من بين أظهره هؤلاء القوم لئلا يصيبني عقاب يجزيهم
فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فراه جالساً وحده فرجا أن يكون على مثل
أمره وجلس اليه من غير أن يظهره على أمره ثم خرج آخر فخرجوا جميعاً فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض
ما جمعكم وكل واحد يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا لنخرج كل فتيين ففعلوا وفش كل واحد
سره الى صاحبه ففعلوا ذلك فاذا هم جميعاً على الايمان واذا الكهف في جبل عظيم قريب منهم فقال بعضهم
لبعض فأوالى الكهف بشركم لكم ربكم من رحمة قد دخلوا الكهف ومعهم كلب صيده فناموا اثنتا عشرة سنين
وازدادوا تساعاً وقد هم قومهم وطلبهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكنتى اسماءهم وأنسابهم في
لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا قد ناهم في شهر كذا في سنة كذا في مملكة فلان بن فلان الملك ووضهوا اللوح
في خزانة الملك وقالوا ليكون لهؤلاء شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال محمد بن اسحق ثم ملك أهل
تلك البلاد رجل صالح يقال له يدروس فلما ملك بقي مملكة ثمانين سنة فحزب الناس في مملكة فكلوا
أحزاباً منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فيكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع
الى الله وحزن حزناً شديداً المنار رأى أهل الباطل يزبدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لا حياة الا
الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون الاجساد وجعل يدروس الملك يرسل الى من يظن فيهم خيراً وانهم
أئمة في الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحوارين
فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلق بابه عليه وليس معه احد فجلس عليه فداب
ليه ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكى ويقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بطلان
ما هم عليه ثم ان الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة عباده أراد ان يظهر على القتيبة
أصحاب الكهف ويسين للناس شأنهم ويجهلهم آية وحجة عليهم فيعلم ان الساعة آتية لا ريب فيها
ويستجيب لعبد الصالح يدروس ويتم نعمته عليه وانه يجمع من كان قد آمن من المؤمنين فألقى الله
سبحانه وتعالى في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي فيه ذلك الكهف وكان اسمه أولياس ان يمد ذلك
البنيان الذي على فم الكهف ويبنى به حظيرة لغنمه فاصحأخر غلامين فجعلوا يترعان تلك الحظيرة ويبنيان بها
تلك الحظيرة حتى نزاعا كان على باب الكهف وقفا باب الكهف وخرجهم الله تعالى عن الناس بالرب فلما
فتح باب الكهف أذن الله سبحانه وتعالى ذوالقدرة والسلطان محيي الموتي للقتيبة ان يحبسوا بين ظهراني
الكهف فجلسوا فربح من مسفرة وجوههم طريح أنفهم فسلم بعضهم على بعض كأنهم استيقظوا من
ساعهم التي كانوا استيقظون منها اذا أصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة ففعلوا كما كانوا يفعلون لا يرى
الى وجوههم ولا ألوانهم شيء يذكرون وانهم كهفهم حين رقت ارواحهم رزق أن دقيانوس في طلبهم فلما قضوا

صلاهم قالوا الله جلنا صاحب نفقتهم أنبتنا ما قال الناس في شأننا عشيبة أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم قدر قذوا كبعض ما كانوا يقدرون وقد خيل إليهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى نأولوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم فيما قالوا البتة يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تخلصوا قد التمستم في المدينة وهو يريد أن يؤتيكم اليوم قنطرة تجوزوا بطواغيت أو يقتلكم بما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكلمينا يا أخوتاه أعلموا أنكم ملاقوا لله فلا تنكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله ثم قالوا التمسنا انطلق إلى المدينة فنسمع ما يقال لنا بها وما الذي يذكر فينا عند دقيانوس وتلف ولا تشعرون بل أحدوا ربنا لنا طعاما فأتانا به وزدنا على الطعام الذي جئنا به فقد أصبحنا جوعا ففعل تخلصا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتكبر فيها وأخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت تكفاف الزرع فانطلق تخلصا خارجا فلما صر باب الكهف رأى الحمار منزوعة عن باب الكهف فجاء منها ثم لم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفيا بعد عن الطريق تخوف أن يراه أحد من أهله فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة فلما أتى تخلصا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لأهل الإيمان إذا كان أمر الإيمان ظاهرا فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها عينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى إلى باب آخر فرأى مثل ذلك فحيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى أمثالا كثيرة محدثين لم يكن رأيهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتجسس ويحيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه فجعل يتجسس بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شرمي ما هذا أما عشيبة أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه المدينة ويستخفون بها واليوم ظاهرة لعل نائم حالم ثم يرى أنه ليس بنائم فأخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي في أسواقها فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده ذلك تعجبا ورأى أنه حيران فقام معه عند أظهره إلى جدار من جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشيبة أمس فليس كان على الأرض من يذكر عيسى بن مريم الاقتل وأما اليوم فأسمع كل إنسان يذكر عيسى بن مريم لا يخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف والله ما أعلم مدينة يقرب مدبنتا فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال اسمها افسوس فقال في نفسه لعل في مسأ أو أمر أذهب عقلي والله يحق لي أن أسرع الخروج قبل أن يصيبني فيها ثم فاهلك قضى إلى الذين يتنازعون الطعام فأخرج لهم الورق التي كانت معه وأعطاهم رجلا منهم وقال له يعني هذه الورق طعاما فأخذها الرجل ونظر إلى ضرب الورق ونقشها فعجب منها فذا هو الرجل الآخر من أصحابه فنظر ثم جعل يلوأ ينظر رجوعا بينهم من رجل إلى رجل ويتجسسون منها ويتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض إن هذا أصاب كثر أخينا في الأرض منذ زمان طويل فلما رآهم تخلصا يتدثرون فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يردد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس وجعل اتناس بأنونه وتعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم أفضوا لواء على قد أخذتم ورق قاسكوها وأما طعامكم فلا حاجة لي به فقالوا له يا فتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت كثر من كنوز الأولين وأنت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرنا ما وشاركتنا فيه تخفف عيناك ما وجدت وانت إن لم تفعل فمهلك إلى السلطان فسلطك إليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله قد وقعت في كل شيء كنت أجدز منه فقالوا له يا فتى انت والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت وجعل تخلصا ما يدري ما يقول لهم وخاف حتى لم يجزع على إسانه إليهم ثمى فلما رآه لا يتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه وجعلوا يسحبونه في سلك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد أجدز رجل معه كثر ما جمع عليه أهل المدينة وجعلوا ينظرون إليه ويقولون والله ما هذا الذي من أهل هذه المدينة وما رآناه فيها قط وما نعرفه وجعل تخلصا لا يدري ما يقول لهم وكان متيقنا أن أباه وأخوته بالمدينة وأنه من عظماء أهلها

وانهم سبأونه اذا سمعوا به فينبأه وقائم كالخبران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم اذ
 اختطفوه وانطلقوا به الى رئيس المدينة ومديرها اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم
 أحدهما اريوس واسم الآخر طنطيس فلما انطلقوا به اليهما ظن عليهما انه اغايب يطلق به الى دقيانوس
 الجبار فعمل ياتفت عينا وشمالا وهو يبكي والناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون ثم رفع رأسه الى
 السماء وقال اللهم اله السماء والله الارض أفرغ على اليوم صبرا وأرج محي روحا منك تؤيدني به عند هذا
 الجبار وجعل يقول في نفسه فرقوا بيني وبين اخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت وباليتمهم يا توختي فتقوم جميعا بين
 يدي هذا الجبار فان اقد كنافوا فتناف على الايمان بالله وان لا تشرك به أحدا أبدا ولا تنفرك في حياة ولا موت
 فلما انتهى الى الرجلين الصالحين اريوس وطنطيس ورأى انه لم يذهب الى دقيانوس أفاق وذهب عنده
 البكا وأخذ اريوس وطنطيس الورق ونظرا اليها وعجباهما وقال الا ابن الكثر الذي وجدت بافتي فقال عليهما
 ما وجدت كثرنا ولكن هذا ورق آتاني ونقش هذه المدينة وضريح اوليكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم
 فقال له أحدهما ممن أنت فقال عليهما أما أنا فمكنت أرى أي من أهل هذه المدينة فقيل له ومن أنت ومن
 يعرفكها فأخبرهم باسم أبيه فلم يوجد من يعرفه ولا أباه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبأ بالحق
 فلم يدرك عليهما يقول غير أنه تكس بصرة الى الارض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم
 ليس بمجنون ولكنه يحقق نفسه هذا الكبي ينقلب منكم فقال له أحدهما ونظر اليه نظرا شديدا أظن أنا
 نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذه المدينة وضريح اوليكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم
 غلام شاب أظن انك تأفكنا وتضربنا ونحن شيوخ شيط وحولك سراة هذه المدينة وولاء أمرها وخزان
 هذه المدينة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار وانني لأظنني سأمر بك فتعذب عذبا
 شديدا ثم أوتقن حتى تعترف بهذا الكثر الذي وجدته فقال لهم عليهما أخبروني عما أسألكم عنه فان أنتم
 فعلمتم صدقتكم مما عندى فقالوا له لا نكلم شيئا قال ففعل الملك دقيانوس فقالا لهما عرف على وجه
 الارض من اسميه دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك في الزمان الاول وله دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة
 فقال عليهما اني اذا لحيت بران وما يصدقني أحد من الناس فيما أقول لقد كنافتني على دين واحد وان الملك
 أكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهور بنا منه عشيبة أمس فأبينا الى الكهف الذي في جبل
 ينجوس فمنا فيه فلما انتم بنا خرجت لاشترى لاصحابي طعاما واتجسس الاخبار فاذا أنا معكم كما ترون
 فانطلقوا معي الى الكهف أرىكم أصحابي فلما سمع اريوس قول عليهما قال يا قوم اعمل هذه آية من آيات الله
 جعلها الله عز وجل لكم على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنا معه حتى برنا أصحابه فانطلق اريوس وطنطيس
 ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم فحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم فلما رأى الفتية أصحاب
 الكهف عليهما قد احتبس عنهم طعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي فيه ظلوا والله قد أخذ وذهب به
 الى ملكهم دقيانوس فينبأهم بذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا
 انهم رسل الجبار دقيانوس بعث بهم اليهم ليؤتيهم قداموا الى الصلابة وسلم بعضهم على بعض وأوصى
 بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نأت أنا ناعليهما فانه الا ان بين يدي الجبار وهو ينتظرنا حتى تأتيه فينبأهم
 يقولون ذلك وهم جالوس على هذه الحالة اذ هم بأريوس وأصحابه وقفا على باب الكهف فسبغهم عليهما
 ودخل وهو يبكي فلما رآه يبكي بكوا معه ثم سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله فعرفوا انهم كانوا انما
 بأمر الله ذلك الزمن الطويل وانما أوقفوا البكوف آية للناس وتصديق للبعث وليعلموا ان الساعة لاربع
 فيها ثم دخل على اثر عليهما اريوس فرأى تابوتا من نحاس مختم ومخبأ ثم فضة فوقه على الباب ودعا جماعة
 من عظماء أهل المدينة وأمر بفتح التابوت فحضرهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبان فيهما ما مكملنا
 وعملنا وعليهما وطرطوس وكشطونس ويرونس ودعوس ويطبوس وقالوس والكلب اسمه قطمير

(فصر بنا على آذانهم في الكهف) أي ضربنا عليهم أجاجاً من النوم يعني أغناهم انامة ثقيلة لأنهم فيها الأصوات فحذف المفعول الذي هو الجواب (سنتين عدداً) ذوات عدد (٢٠٠) فهو صفة لسنتين قال الزجاج أي تعدد الكثرة لأن القليل يعلم مقداره من غير عدد فإذا كثر عددها ما

دراهم معدودة فهي على الأقل لأنهم كانوا يعدون القليل ويرفون الكثير (ثم بعثناهم) أي بقضائهم من النوم (لنعلم أي الحزبين) المختلفين منهم في مدة لبثهم لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لئن لم يكن أو بعض يوم فالواربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم (أحصى لما لبثوا أمداً) غاية وأحصى فعمل ماض وأمد اطرف لأحصى أو مفعول له والفعل الماضي خبر المبتدأ وهو أي والمبتدأ مع خبره سد مسد مفعولي تعلم والمعنى أيهم ضبط أمد الاوقات لبثهم وأحاط علمائهم بأمد لبثهم ومن قال أحصى أنه عمل من الاحصاء وهو العد فقد زل لأن بناءه من غير الثلاثي المجردي ليس بقياس وانما قال لنعلم مع أنه تعالى لم يرل لما بذلك لأن المراد ما يتعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا إيماناً واعتباراً ويكون لطف المؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم أو المراد لنعلم اختلافهما موجوداً كما علمناه قبل وجوده (فمن نقص علينا نبأهم بالحق) بالصدق (أنهم قتيبة) جمع قتي والفتوة بذل الندي وكف الأذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المسكارم وقيل الفتى ما لا يدعي قبل الفعل ولا يرى نفسه بعد الفعل

كانوا قتيبة هربوا من ملكهم دقيانوس مخافة أن يقتلهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما أخبرهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وأنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم أن عثرهم فلما قرؤهم عجبوا وحدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية تدلهم على البعث ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على القتيبة الكهف فوجدوهم جلوساً مشرقه وجوههم لم تبلى ثيابهم فخراريس وأصحابه سجوداً لله وحدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية من آياته ثم كأم بعضهم بعضاً وأخبرهم القتيبة عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم أن أريوس وأصحابه بعثوا يريدوا إلى ملكهم الصالح يسدروس أن يعمل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك للناس آية لتكون لهم نورا وضياء وتصديقاً للبعث وذلك أن قتيبة بعثهم الله وقد كان نوافهم منذ ثلثمائة سنة وأكثرت فلما أتى الملك الخبر رجع عقله إليه وذهب همه وقال أحمك اللهم رب السموات والأرض وأعبدك واسبح لك تطولت على ورحمتي ولم تطفئ النور الذي جملته لا تباقي ولا عبيد الصالح يسدروس الملك ثم أخبر بذلك أهل مدينته فركب وركبوا معه حتى أتوا مدينته ففسوس فتلقاهم أهالها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى القتيبة يسدروس فرح بهم وخر ساجداً على وجهه وقام يسدروس الملك قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسجدون لله ويحمدونه ثم قال القتيبة لیسدروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعبدك بالله من شر الناس والجن فينبغي الملك قائماً إذا هم رجعوا إلى مضاجعهم فناموا ونوفى الله أنفسهم فقام الملك إليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه في منامه فقالوا له انالم تخلق من تراب وإلى التراب نصير فاتركنا كما كننا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فأمر الملك عند ذلك بتأوين من ساجد ففعلوا فيه وحجهم الله حين خرجوا من عندهم بالرب ولم يقدراً أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك أن يتخذوا على باب الكهف مسجداً يصلي فيه وجعل لهم عيداً عظيماً وأمر أن يوفى كل سنة وقيل ان غلبنا حل إلى الملك الصالح فقال له الملك من أنت قال أنا رجل من أهل هذه المدينة وذكر أنه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواماً يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع ان قتيبة قد فقدوا في الزمان الاول وأن أسماءهم مكتوبة على لوح في خزائنه فدعا بالروح ونظر في أسمائهم فاذا أسماءهم مكتوب وذكر أسماء الآخرين فقال تلحقناهم أصحابي فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تلحقنا دعوني حتى أدخل على أصحابي فأبشروهم فأنهم ان رأوكم همي أربعتوهم فدخل تلحقنا فبشروهم فقبض الله روحه وأمرهم وأعفى على الملك وأصحابه أنهم فلم يهدوا إليهم فذلك قوله عز وجل إذ رأى القتيبة إلى الكهف أي صاروا إلى الكهف وأمه خبرهم فقالوا ربنا آتانا من لدنك رحمة أي هداية في الدين وهي لنا أي يسر لنا من أمرنا رشداً أي ما نلتبس منه رضاك وما فيه رشداً وقال ابن عباس أي يخرجنا من الغار في سلامة ١٢ قوله سبحانه وتعالى (فصر بنا على آذانهم) أي ألقينا عليهم النوم وقيل منعنا نفوذ الأصوات إلى مسامعهم فان التام إذا سمع الصوت يتنبه (في الكهف سنتين عدداً) أي أغناهم سنتين كثيرة فان العدد يدل على الكثرة (ثم بعثناهم) أي من نومهم (لنعلم) أي علم مشاهدة وذلك ان الله عز وجل لم يرل عالماً وانما أراد ما يتعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا إيماناً واعتباراً (أي الحزبين) أي الطائفتين (أحصى لما لبثوا أمداً) أي احفظ لما مكتوب في كهفهم نبأ ما وذلك ان أهل المدينة تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف ١٣ قوله تعالى (فمن نقص علينا نبأهم بالحق) أي نقرأ عليكم خبر أصحاب الكهف بالحق أي بالصدق (أنهم قتيبة) أي

(آمنوا ربهم وزدناهم هدى) بقينا وكافوا من خواص دقيانوس فقد دنف الله في قلوبهم الايمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا الخيل اثنتان اثنتان منافطه ركلاهما ما يصبر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم على الايمان (وربطنا على قلوبهم) وقورناها بالصبر على هجران الاوطان والفرار بالدين الى بعض الغيران وحسرتناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام (اذقاموا) بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام (فقالوا ربنا رب السموات والارض) مقتضرين (ان ندعوا من دونه الها) ولئن سميناهم آلهة (لقد قلنا اذا شططا) فولاذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط يشط ويشط اذا بعد (هؤلاء) مبتدأ (وقومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) خبر وهو اخبار في معنى الانكار (لولا يأتون عليهم) هلا يأتون على عبادتهم فخذل المضاف (سلطان بين) بحجة ظاهرة وهو تكبير لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال (فن اظلم من افترى على الله كذبا) نسبة الشر إلى الله (واذ اعترلوههم) خطاب من بعضهم لبعض حين هممت عزيمتهم على الفرار بدينهم (وما يعبدون) نصب عطف على الفهم يرأى (واذ اعترلوههم واعترلتهم معبودهم) (الا الله) استثناء متصل لانهم كانوا يقررون بالخالف ويشركون معه غيره كاهل مكة او منقطع أى اذا اعترلتهم الكفار والاصنام التي يعبدونها من دون الله (٢٠١) او هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الغيبة أنهم لم يعبدوا غير الله

(فأوروا الى الكهف صبروا اليه أو جعلوا الكهف مأواكم) ينشر لكم ربكم من رحمته) من رزقه (وحيي لكم من أمركم فرقا) مر قفا مدنى وشامى وهو ما يرتقى به أى ينتفع واغما قالوا ذلك ففضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوح بغيرهم أو أخبرهم به نبى في عصرهم (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) بتخفيف الزاى كوفى تزور شامى تزاور غميرهم وأصله تزاور تخفف باذغام التاء في الزاى أو حذفتها والكل من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصديق (عن كهفهم) أى تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم

شبان (آمنوا ربهم وزدناهم هدى) أى ايماننا وبصيرة (وربطنا على قلوبهم) أى شددنا على قلوبهم بالصبر والتثبيت وقورناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومغارقة ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف (اذقاموا) يعنى بين يدي دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام (فقالوا) أى الفتية (ربنا رب السموات والارض ان ندعوا من دونه الها) اغما قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنام (لقد قلنا اذا شططا) قال ابن عباس يعنى جورا وقيل كذبا يعنى ان دعونا غير الله (هؤلاء قومنا) يعنى أهل بلادهم (اتخذوا من دونه) أى من دون الله (آلهة) يعنى أصناما يعبدونها (لولا) أى هلا (يأتون عليهم) أى على عبادة الاصنام (سلطان بين) أى بحجة واضحة وفيه تكبير لان الاتيان بحجة على عبادة الاصنام محال (فن اظلم مما افترى على الله كذبا) أى وزعم أن له شركا أو ولد اسم قال بعضهم (واذ اعترلوههم) يعنى قومكم (وما يعبدون الا الله) وذلك أنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الاصنام والمعنى واذا اعترلوههم وجبص ما يعبدون الا الله فانكم لم تعزلوا لعبادته (فأوروا الى الكهف) أى الجؤ الى الكهف (ينشر لكم) أى يسط لكم (ربكم من رحمته وحيي) أى يسهل (لكم من أمركم فرقا) أى ما يعود اليه بسرركم ورفقكم قوله سبحانه ونعالى (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) أى تقبل وتعدل (عن كهفهم ذات اليمين) أى جانب اليمين (واذا غربت تقرضهم) أى تتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم في فجوة منه) أى مقبوع من الكهف (ذلك من آيات الله) أى من عجائب صنعته ودلالات قدرته وذلك ان ما كان في ذلك السميت نصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا صالهاهم بالكرامة وقبل ان باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقفأة أبدأ لا تقع الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحرها ولكن اختار الله لهم مضجعا في متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار ونحوه وعلى هذا القول يكون معنى قوله ذلك من آيات الله أى أن شأنهم وحدثهم من آيات الله (من يمد الله فهو المهتد) يعنى مثل أصحاب الكهف وفيه ثناء عليهم (ومن يضل) أى ومن يضلله الله ولم يرشده (فلن نجعله وليا)

(٢٦ - خازن ثالث) (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين (واذا غربت تقرضهم) تقطعهم أى تتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم في فجوة منه) في متسع من الكهف والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفض معرض لآصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم وقيل منفض من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار (ذلك من آيات الله) أى ما صنع الله بهم من ازورار الشمس وفرضها طالعة وغاربة آية من آيات الله يعنى ان ما كان في ذلك السميت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا صالهاهم بالكرامة وقبل ان باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقفأة أبدأ ومعنى ذلك من آيات الله أن شأنهم وحدثهم من آيات الله (من يمد الله فهو المهتد) مثل ما مر في سبحانه وهو ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله وأسألوا وهوهم فارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية (ومن يضل فلن نجعله وليا)

مرشداً) أى من أضله فلا هادى له (وتحسبهم) بفتح السين شامى وجره وعاصم غير الاعشى وهو خطاب لكل أحد (أيافاظا) جمع بفظ (وهم وفود) نيام قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيافاظا (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قيل لهم ثقلبتان فى السنة وقيل ثقلبة واحدة فى يوم عاشوراء (وكلهم باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان فى معنى المفعول (بالوصيد) بالفناء أو بالعقبة (لواطلعت عليهم) لو أشرفت عليهم فنظرت إليهم (لوليت منهم) لا عرضت عنهم وهربت منهم (فرارا) منصوب على المصدر لأن معنى وليت منهم فررت منهم (ولمئت منهم) وبفتشيد اللام جازى للمبالغة (رعبا) تمييز وبضم العين شامى وهلى وهو الخوف الذى رعب الصديق أى عاؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة أو أطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وعن معاوية أنه غزا الروم فر بالكهف فقال أريد أن أدخل فقال (٣٠٣) ابن عباس رضى الله عنهما قال قيل لمن هو خير منكم لوليت منهم فرارا فدخلت

أى معينا (مرشداً) أى يرشده الله سبحانه وتعالى (وتحسبهم) خطاب لكل أحد (أيافاظا) أى منتهين لأن أعينهم مفتحة (وهم وفود) أى نيام (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال ابن عباس كانوا يقلبون فى السنة مرة من جانب إلى جانب ثلاثاً على الأرض لحومهم قيل كانوا يقلبون فى يوم عاشوراء وقيل كان لهم فى السنة ثقلبتان (وكلهم باسط ذراعيه) قال ابن عباس كان كلنا أغرو عنه أنه كان فوق القلطي ودون الكركزي والقلطي كلب صينى وقيل كان أحفرو وقيل كان شديد الصفرة يضرب إلى حمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل صهبان قيل ليس فى الجنة دواب سوى كلب أصحاب الكهف وحار بلعم (بالوصيد) أى فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم قيل كان ينقلب مع أصحابه فإذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ووقد عليهم وإذا انقلبوا ذات الشمال كسر أذنه اليسرى ووقد عليهم (لواطلعت عليهم) يا محمد (لوليت منهم فرارا) وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله من رقدتهم (ولمئت منهم رعبا) أى خوفان وحشة المكان وقيل لأن أعينهم مفتحة كالمنقطة الذى يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا أشعار وقيل إن الله سبحانه وتعالى منعهم بالرب لئلا يراهم أحد قال ابن عباس غرونا مع معاوية فغزا الروم فررنا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا إليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من وخبر منكم فقبل له لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم رجلا فأحرقهم الله سبحانه وتعالى (وكذلك بعثناهم) يعنى كما بعثناهم فى الكهف وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان بعثناهم من النومة التى تشبه الموت (ليستوا ليهم) أى لستوا ليهم بعضا (قال قائل منهم) وهو رؤسهم وكبيرهم مكسلينا (كم ليتم) أى فى يومكم وذلك أنهم استنكروا طول نومهم وقيل أنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك (قالوا ليتنا يوما) ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقي منها بقية فقالوا (أو بعض يوم) فلما نظروا إلى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم ليستوا أكثر من يوم (قالوا ربكم أعلم باليوم) وقيل إن مكسلينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم أعلم باليوم (فابعثوا أحداكم) يعنى غليظا (بورقكم) هى الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة (هذه إلى المدينة) قيل هى طرسوس وكان اسمها فى الزمان الأول قبل الإسلام ادسوس (فليتظرواها

جماعة بأمره فأحرقهم ربح (وكذلك بعثناهم) وكما أغناهم تلك النومة كذلك أيقظناهم اظهار القدرة على الانامة والبعث جميعا (ليستوا ليهم) ليسأل بعضهم بعضا ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فغيروا واستدلوا على عظم قدرته الله ويردادوا بضنا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم) رؤسهم (كم ليتم) كم مدة لبثكم (قالوا ليتنا يوما أو بعض يوم) جواب مبنى على غالب الظن وقبح دليل على جواز الاجتهاد والاقول بالظن الغالب (قالوا ربكم أعلم باليوم) بعدة لبثكم انكار عليهم من بعضهم كانهم قد علموا بالدلالة أو بالهام إن المدة متطاولة وإن مقسدا رها

ازكى

لا يعلم الا الله وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباهم بعد الزوال فظنوا أنهم فى يومهم فلما

نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك وقد استدل ابن عباس رضى الله عنهما على أن الصحيح أن عددهم سبعة لأنه قد قال فى الآية قال قائل منهم كم ليتم وهذا واحد وقالوا فى جوابه ليتنا يوما أو بعض يوم وهو جمع وأقله ثلاثة ثم قالوا ربكم أعلم باليوم وهذا قول جمع آخرين فصاروا سبعة (فابعثوا أحداكم) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا فى شئ آخر مما همكم فابعثوا أحداكم أى غليظا (بورقكم) هى الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة وأبو عمرو وجره وأبو بكر (هذه إلى المدينة) هى طرسوس وحلهم الورق هند فرارهم دليل على أن حل النفقة وما يصلح للمساكين هو رأى المتوكلين على الله دون المتكسرين على الاتقان وعلى ما فى أروحية القوم من النفقات وعن بعض العلماء أنه كان شديد الحنين إلى بيت الله ويقول ما لهذا الضفر الا شيئا شدا لهم إن والتوكل على الرحمن (فليتظرواها) أى أهلها فخذوا فى كافى واسئل القرية وأى مبتدأ وخبره

(أزني) أحل والطيب أو أكثر أو رخص (طعاما) تميز (فأبأ أنكم رزق منه وليست كلف اللطف فيما يشره من امر المباحة حتى لا يغيبوا في أمر التقي حتى لا يعرف (ولا يشعرون بكم أحدا) ولا يفعل ما يؤدي إلى الشعور بشأن غير قصد منه فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والضمير في (انهم) راجع إلى الأهل المقدس في أيها (ان يظهر وأعليكم) يطلعوا وأعليكم (يرجوكم) يقتلواكم أخبت القنلة (أو يعلوكم في ملتهم) بالأكراه والعدو يعني الصيرورة كثير في كلامهم (ولن تفلحوا إذا ابدا) إذا يدل على الشرط أي ولن تفلحوا ان دخلتم في دينهم ابدا (وكذلك أعتزنا عليهم) وكما أغناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم (ليعلموا) أي الذين اطلعناهم على حالهم (ان وعد الله) وهو البعث (حق) كائن لان حالهم في نومهم وانباهم بعدها كحال من يموت ثم يبعث (وان الساعة لا ريب فيها) فانهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث (اذ يتنازعون) متعلق بأمرنا أي أعتزناهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان (بينهم أمرهم) امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الأرواح دون الأجساد وبعضهم يقول تبعث الأجساد مع الأرواح ليرفع الخلاف وليبين ان الأجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفي الله أصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنيانا) أي على باب كهفهم للتأطرق اليهم الناس ضابرتهم ومحافضة عليها كما حفظت (٣٠٣) تربة رسول الله صلى الله عليه

وسلم بالخطيرة (وهم أعلم بهم) من كلام المتنازعين كانهم قد أكرأ أمرهم وناقوا الكلام في أناسهم وأحوالهم ومدة ليثهم فلما لم يستدوا إلى حقيقة ذلك قالوا بهم أعلمهم أم من كلام الله عز وجل رد أقول الخاضعين في حديثهم قال الذين غلبوا على أمرهم من المسلمين وما يكهم وكانوا أولى بهم وبالبقاء عليهم (لتخزن عليهم) على باب الكهف (مسجدا) يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم روى أن أهل الأنجيل عظم

أزكي طعاما) أي أحل طعاما وقبل أمره أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا تكون من ذبح من يذبح لغيره بر الله وكان فيهم مؤمنون يخفون إيمانهم وقبل أطيب طعاما وأجوده وقيل أكثر طعاما وأرخصه (فأبأ أنكم رزق منه) أي قوت وطعام تأكلونه (وليست لطف) أي وليتفرق في الطريق وفي المدينة وليكن في سرتوكم ان (ولا يشعرون) أي ولا يعلن (بكم أحدا) أي من الناس (انهم ان يظهر وأعليكم) أي يعلوا بمكانكم (يرجوكم) قتل معناه يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقبل يقتلواكم وكان من عادتهم القتل بالجاره وهو أخبت القنلة وقيل بعدوكم (أو بعدوكم في ملتهم) أي الكفر (ولن تفلحوا إذا ابدا) أي ان عدتم اليه قوله عز وجل (وكذلك أعتزنا عليهم) أي اطلعنا الناس عليهم (ليعلموا أن وعد الله حق) يعني قوم يبدروس الذين أنكروا البعث (وان الساعة لا ريب فيها) أي لا شك فيها انما آية (اذ يتنازعون بينهم أمرهم) قال ابن عباس في التفسير فقال المسلمون بنى عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا وقال المشركون بنى بنيانا لأنهم على ملتنا وقيل كان تنازعهم في البعث فقال المسلمون تبعث الأجساد والأرواح وقال قوم تبعث الأرواح فأمرهم الله آية وان البعث للأرواح والأجساد وقيل تنازعوا في مدة ليثهم وقيل في عددهم (فقالوا بنوا عليهم بنيانا) أي أعلمهم قال الذين غلبوا على أمرهم (يعني يبدروس وأصحابه لتخزن عليهم مسجدا) قوله سبحانه وتعالى (سيعقلون ثلاثة رابعهم كلبهم) روى أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم بخرى ذكرا أصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان يعقوبا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم (ويقولون) أي وقال العاقب وكان نسطوريا (خمس سادسهم كلبهم رجبا الغيب ويقولون) وقال المسلمون (سبعة وثامنهم كلبهم) فحقق الله قول المسلمين وأما

فيهم الخطايا وطفئت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكروا على عبادتها ومن شدد في ذلك دقيانوس فأراد قتيبة من أن يراف قومه على الشرك وقودهم بالقتل فأبوا الألبات على الإيمان والتصلب فيه ثم هربوا إلى الكهف ومروا بكنب قتيبة هم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال ما تريدون مني أني أحب أعياء الله فناموا وأنا أحرصكم وقبل مروا برابع معه كلب قتيبة هم على دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله على آذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملكا مد يدهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاهدين ودخل الملك بيته وأغلق بابه وأبس مسجدا وجلس على رءوسه وسأل ربه ان يبين لهم الحق فأتى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليخذه خطيرة لقمته ولما دخل المدينة من بعثوه لا يتداع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس انه موم بانه رجس كثر فذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصرهم وجدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت انفتحة للملك تستودهن الله وتعيذلهم بمن شر الحين والانس ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفي الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد ثاوت من ذهب قرأهم في المنام كل حين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا (سيعقلون ثلاثة رابعهم كلبهم) ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجبا الغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) الضمير في سيعقلون لمن خاص في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين وأهل الكتاب سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخرا الجواب إلى أن يوحى اليه فيهم فترأت اخبارا راجعا سيحوى يدينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم ويروى ان السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند

الذي صلى الله عليه وسلم فخرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلهم وقال العاقب وكان سطوريا كانوا خمسة سادسهم كلهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثمانهم كلهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وعباد كرام من قبل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسمائهم علي بن ابي طالب ومكشليسا ومثليبا وهؤلاء أصحاب عين الملك وكان عن يساره مرفوش ودر فوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي واقفهم حين هربوا من ملكهم هم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلهم قطمير وسين الاستقبال وان دخل في الاول دون الاخرين فهم ما اذا اخلان في حكم المسلمين كفركم قد اكرم وانعم زيد معنى التوقع في الفعلين جميعا أو أريد به فعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له ثلاثة خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة لثلاثة وكذلك سادسهم كلهم وثمانهم كلهم رجاء بالغيب وربما بالظن الخفي وإتيانابه كقولهم ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فيكأنه قيل ظنا بالغيب لانهم أكثر وأقرب وقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين والواو الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للشكوة كالدخول على الواقعة حالا عن المعرفة في قولك جاءني رجل ومعه آخروم رتب زيدوني يد سيف وفائدتها في كيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي أدت بان الذين قالوا سبعة وثمانهم كلهم قالوه عن ثبات علم ولم يرجوا بالظن كرجم غيرهم دليله ان الله تعالى أتبع (٢٠٤) القولين الاولين قوله رجاء بالغيب وأتبع القول الثالث قوله (قل ربني أعلم بهنهم)

هر فوذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسان جبريل صلى الله عليه وسلم بعد ما حكى قول النصراني اولاً ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى رجاء بالغيب أي ظنا وحسنا من غير يقين ولم يقل ذلك في السبعة وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فوجب أن يكون التخصيص بالظن هو قول النصراني وان يكون قول المسلمين مخالفاً لقول النصراني في كونه رجاء بالغيب وظنا ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى (قل ربني أعلم بهنهم ما يعلمهم الا قليل) هذا هو الحق لان العلم بتفاصيل العوالم والكائنات فيه في الماضي والمستقبل لا يكون الا الله تعالى او من اخبره الله سبحانه وتعالى بذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما انما من اولئك القليل كانوا سبعة وهم (٢) مكشليسا وعليشا ومطونس وبينونس وساربنونس وذر فوانس وكشفيط ونونس وهو الراعي واسم كلهم قطمير (فلا غار فيهم) أي لا يجادل ولا تغلب في عددهم وشأنهم (الامراء ظاهرا) أي الاظهار ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد عليه (ولا تستفت فيهم) أي في أصحاب الكهف (منهم) أي من أهل الكتاب (أحدا) أي لا ترجع الى قول أحد منهم بعد ان أخبرناك قصتهم قوله سبحانه وتعالى (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) يعني اذا عزمتم على فعل شيء غدا فقل ان شاء الله ولا تقبله بغير استئذان وذلك ان أهل مكة سألو ارسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي أياما ثم نزلت هذه الآية وقد تقدمت القصة في سورة بني اسرائيل (واذ كررنا اناسيت) قال ابن عباس معناه اذا

أي قبل ربني أعلم بهنهم وقد أخبركم ما يقوله سبعة وثمانهم كلهم (ما يعلمهم الا قليل) قال ابن عباس رضي الله عنهما انما من ذلك القليل وقبل الا قليل من أهل الكتاب واليه يرفى سيقولون على هذا الأهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم وأكثروهم على ظن ونقصه من (فلا غار فيهم) فلا يجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف

(الامراء ظاهرا) الاجد الا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان نقص عليهم ما أوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم نسبت أو عيشتهم من الناس يظهر صدقك (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال متعمق له حتى يقول شيئا قد رده عليه وترغب ما عنده ولا سؤال مسترشد لان الله تعالى قد أرشدك بان أوحى اليك قصتهم (ولا تقولن لشيء) لاجل شيء تعزم عليه (اني فاعل ذلك) الشيء (غدا) أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغدا خاصة (الا ان يشاء الله) ان تقوله بان يأذن لك فيه أو لا تقوله الا بان يشاء الله أي الاعيشته وهو في موضع الحال أي الامتثال بما عيشته الله قائلا ان شاء الله وقال الزجاج معناه ولا تقولن اني أفعل ذلك الاعيشته الله تعالى لان قول القائل انا أفعل ذلك ان شاء الله معناه لا أفعله الاعيشته الله وهذا من تأديب من الله عليه حين قالت اليهودي وقريش سألوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال انتموني غدا أخبركم ولم يستثن فباطأ عليه الوحي حتى شق عليه (واذ كررنا) أي مشبهة ربك وقل ان شاء الله (اذ انسيت) اذ فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذ انسيت كلمة الاستثناء ثم تنهت عليها فتداركها بالذكر عن الحسن مادام في مجلس الذكرو عن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة وهذا المحمول على تدارك التبرك بالاستثناء فاما الاستثناء المتغير حكما فلا يصح الامتناع ولا يحكى أنه بلغ المنصور ان اباحنيقه رجه الله خالف ابن عباس رضي الله عنهما في الاستثناء المنفصل فاستحضره ليذكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان افترضني ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه (٢) قوله وهم مكشليسا الخ وقع اختلاف كبير في اسمائهم وذكر في القاموس في ذلك ثلاثة أقوال فليراجع

وامر الطاعن فيه باخراجه من عنده ومعناه واذا كرر بك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستغناء تشديدا في البحث على الاهتمام بها اوصلا صلاة نسبتها اذا ذكرتها او اذا نسيت شيئا فاذا ذكره ليدرك المني (وقل عسى ان يهديني ربي لا قرب من هذا رشدا) يعني اذا نسيت شيئا فاذا كرر بك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء آخر يدل هذا المقصود (٣٠٥) اقرب منه رشدا وادنى خبرا ومنفعة

ان يدين ان ترن ان يوتين
ان تعلن مبكى في الحالمين
روافقه ابو عمرو ومدنى
في الوصل (وابشوا في كهفهم
ثلثمائة سنين) يريد بشتم
فيه احياء ضرر وباعلى
آذانهم هذه المدة وهو
يدان لما اجل في قوله فصر بنا
على آذانهم في الكهف
سنين عددا وسنين عطف
ببيان ثلثمائة ثلثمائة
سنين بالاضافة جزوة وعلى
على وضع الجمع موضع
الواحد في التفسير
كقوله بالاخسر من اعمالا
(وازدادوا تسعا) أى تسع
سنين لئلا تعاقبه عليه
وتسعا مفعول به لان زاد
تقتضى مفعولا فاذا زاد
يقتضى مفعولا واحدا (قل
الله أعلم بما لبثوا) اى هو
أعلم من الذين اختلفوا فيهم
بمدة لبثهم والحق ما أخبرك
به أو هو حكاية لكلام أهل
الكتاب وقل الله أعلم برب
عليهم والجمع وروى على ان هذا
اخبار من الله سبحانه وتعالى
انهم لبثوا في كهفهم كذا
مدة (له غيب السموات
والارض) ذكر اختصاصه
بهم ما غاب في السموات
والارض وخفى فيها من احوال
أهلها (أبصر به اجمع) أى

نسبت الاستثناء ثم ذكر فاستثنى وجوز ان عباس الاستثناء المنقطع وان كان بعد سنة وجوز الحسن
مادام في المجلس وجوز بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد ذلك يصح ولم يجوز جماعه حتى يكون الكلام
متصلا بالاستثناء وقيل في معنى الآية واذا كرر بك اذا غضبت قال وهب مکتوب في التوراة والابجيل ابن
آدم اذ كرفي حين تغضب اذ كرر بك حين اغضب وقيل الآية في الصلاة يدل عليه ما روى عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها قال تعالى اقم الصلاة لذكري متفق
عليه زاد مسلم اوتام عنها فكفارتم ان يصلوها اذا ذكرها (وقل عسى ان يهديني ربي لا قرب من هذا
رشدا) أى يثبتني على طريق هو اقرب اليه وأرشد وقيل ان الله سبحانه وتعالى أمره ان يذكره اذا نسي
شيئا وسأله ان يذكره أو يهديه ما هو خير له من أن يذكر ما نسي وقيل ان القوم لما سألوه عن قصة
أصحاب الكهف على وجه الغناد أمره الله سبحانه وتعالى أن يخبرهم أن الله سبحانه وتعالى سيؤتيه من
الجمع على صفة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث أتاه من علم غيب المرسلين
وقصصهم ما هو أوضح وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف وقيل هـ ذاشئ أمره الله أن يقول مع
قوله ان شاء الله اذا ذكر الاستثناء بعد التسيان واذا نسي الانسان قوله ان شاء الله فتوبته من ذلك ان
يقول مع قوله ان شاء الله عسى ان يهديني ربي لا قرب من هذا رشدا وقوله عز وجل (وابشوا في كهفهم
ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) قيل هذا خبر عن قول أهل الكتاب ولو كان خيرا من الله عن قدر لبثهم لم
يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) والاصح أنه اخبار من
الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف ويكون معنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا يعني ان نازعوك في مدة لبثهم
في الكهف قل أنت الله أعلم بما لبثوا اى هو أعلم منكم وقد أخبر بده لبثهم وقيل ان أهل الكتاب قالوا
ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وتسع سنين
فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله أعلم بما لبثوا يعني بعد قبض ارواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله فان قلت
لم قال سنين ولم يقل سنة قلت قيل لما نزل قوله سبحانه وتعالى ولبثوا في كهفهم ثلثمائة قفا لولا اياما وشهورا
أو سنين فترت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما اجل في قوله فصر بنا على آذانهم في الكهف
سنين عددا وازدادوا تسعا وقيل قالت نصارى نجران أما الثلثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا
بم اقرت قل الله أعلم بما لبثوا وقيل ان عند أهل الكتاب لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله سبحانه وتعالى
ذكر ثلثمائة سنة وتسع سنين قرية والافاوت بين القمرية والشمسية في كل مائة سنة ثلاث سنين
فتكون الثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع سنين قرية (له غيب السموات والارض) يعني انه سبحانه وتعالى
لا يخفى عليه شيء من احوال اهلها فانه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال أصحاب أهل الكهف (أبصر به
واجمع) معناه ما أبصر الله بكل موجود وأبصره بكل مشعور لا يغيب عن سمعه وبصره شيء يدرك البواطن
كإدراك الطواهر والقرب والبعيد والمحجوب وغيره لا تخفى عليه خافية (مالهم) أى ما لاهل السموات
والارض (من دونه) أى من دون الله (من ولى) أى ناهى (ولا يشرك في حكمه أحدا) قيل معناه
لا يشرك الله في علم غيبه أحد او قيل في قضائه (وقوله سبحانه وتعالى (وانل) أى واقرأ يا محمد (ما أوحى اليك
من كتاب ربك) يعني القرآن وانبع ما فيه واعمل به (لا تبدل لكلماته) أى لا مفسر للقرآن ولا يقدرا أحد
على التطرق اليه بتفسير أو تبديل فان قلت موجب هذا ان لا يتطرق النسخ اليه قلت النسخ في الحقيقة

واجمع به والمعنى ما أبصره بكل موجود وما سمعه لكل مشعور (مالهم) لاهل السموات والارض (من دونه من ولى) من متول لا مورهم (ولا
يشرك في حكمه) (في قضائه) (أحدا) منهم ولا يشرك على النهى شامى كانوا يقولون له أنت بقرآن غير هذا أو بدله فقبل له (وانل ما أوحى اليك
من كتاب ربك) (أى من القرآن ولا تسمع لما يروون به من طلب التبديل فانه (لا تبدل لكلماته) أى لا تبدلوا أحد على تبدلها أو تغييرها انما

يقدر على ذلك هو وحده (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملجأ تعدل اليه ان هوجت بذلك ولما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فح هؤلاء الموالى وهم صهيبي وحميري وخابب وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجوا اسلما نزل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) واحبهم امامهم وثبتا (بالغداة والعشي) دائبين على الدعاء في كل وقت او بالغداة لطلب التوفيق والتيسير والعشى لطاب عفو القصور أوهما صلاة الفجر والعصر بالغداة شامى (٣٠٦) (يريدون وجهه) رضا الله (ولا تعد عيناك عنهم) ولا تجاوز عداه اذا جاوزه وعدى بمن اتهم

عدا معنى نيا في قولك نيت عنه عينه وفائدة التضمين اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذل تريد زينة الحياة الدنيا في موضع الحال (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكرو هو دليل لنا على انه تعالى خالق أفعال العباد (وانبغ هواه) وكان امره فطرطا مجاوزا عن الحق (وقل الحق من ربكم) أى الاسلام أو القرآن والحق خبر مبتدأ محذوف أى هو (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أى جاء الحق وزاغت العدل فلم يبق الاختيار لكم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وحيى بلفظ الامر والتخيير لانه لما يمكن من اختيار أيهما شاء فكانه مخيرا مورا بأن يتخير ما شاء من التجددين ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال (انا عندنا) هيا بنا (للفظ المين) للكافرين فقيده بالسباق كما تركت حقيقة الامر والتخيير بالسباق وهو قوله انا عندنا

ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت في وقته الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغايير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا مغير لما وعد الله بكلماته أهل معاصيه (ولن تجد من دونه) أى من دون الله ان لم تتبع القرآن (ملتخدا) أى ملجأ وحرز تعدل اليه قوله عز وجل (واصبر نفسك) الآية نزات في عينه بن حصن الفزاري أى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه ويشجه فقال عينه للنبي صلى الله عليه وسلم اما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها ان أسلما أسلم الناس وما عينا عن ان اتبعنا هؤلاء ففهم حتى تتبعنا أو اجعل لنا محاسنا فنزل الله عز وجل واصبر نفسك أى احبس يا محمد نفسك (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) يعنى طرفى النهار (يريدون وجهه) أى يريدون عرض الدنيا وقيل نزات في أصحاب الصفة وكافوا سبعما نه رجل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا صرع يصيبون صلاة وينتظرون أخرى فلما تزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرت ان أصبر نفسي معهم (ولا تعد) لا تصرف ولا تجاوز (عيناك عنهم) الى غيرهم (تريد زينة الدنيا) أى تطاب مجالسة الاغنياء والاشرف وصحبة أهل الدنيا (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا) أى جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا يعنى عينه ابن حصن وقيل امية بن خلف (وانبغ هواه) أى في طلب الشهوات (وكان امره فطرطا) ضياعا ضيع امره وعطل أيامه وقيل ندما وقيل سرقا وباطلا وقيل تخالفا للحق (وقل الحق من ربكم) أى قل يا محمد لهؤلاء الذين اغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس الى من ذلك شئ (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل معنى الآية وقيل الحق من ربكم أى است بطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم فامنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد أعدنا لكم ربكم نارا وان آمنتم فليكن ما وصف الله لاهل طاعته وعن ابن عباس فى معنى الآية من شاء الله الايمان آمن ومن شاء الكفر كفر (انا عندنا) أى هيا بنا من العناد وهو العدة (للفظ المين) أى الكافرين (نارا) أحاط بهم سرادقها) السرادق الخيمة التى تظف بالفساطيط عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار أربعة جدر كنف كل جدار أربعون سنة أخرجه الترمذى قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو عناق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار (وان يستغيثوا) أى من شدة العطش (يغاثوا بماء كالمهل) قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردى الزيت عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى قوله سبحانه وتعالى بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروجه وجهه منه أخرجه الترمذى وقال رشدين أحد رواة الحديث قد تكلم فيه من قبل حذفت الفروجة جادة الوجه وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفر المذاب (يشوى الوجوه) أى يفضج الوجوه من حره (بئس الشراب) أى ذلك الذى يغاثون به (وساءت) أى النار (مر تفعلا) قال ابن عباس رضى الله عنهم ما منزلا وقيل محتمعا وأصل المرتقى المشكأ وانما جاء كذلك لمشاكلته قوله وحسنت مرتقا والافلا

للفظ المين (نارا) أحاط بهم سرادقها) شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهى الخيمة التى تكون حول الفساطط ارتفاق أو هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار أو هو حائط من نار يظف بهم (وان يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) هو دردى الزيت أو ما أذيب من جواهر الارض وفيه تمكهم (يشوى الوجوه) اذا قدم يشرب انشوى الوجوه من حرارته (بئس الشراب) ذلك (وساءت) النار (مر تفعلا) من الرقى وهذا المشاكلة قوله وحسنت مرتقا والافلا ارتفاق لا الهل النار وبين جزاء من اختار الايمان

قال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انالا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن) كلام مستأنف بيان للاجر المبهم
ولان تجمع ال انالا نضيع وأولئك خبرين معا والمراد من أحسن منهم عملا كقولك السمن منوان بدرهم ولان من أحسن عملا والذين
آمنوا وعملوا الصالحات ينظمهم معنى واحد فاقام من أحسن مقام الضمير (تجوز من تحتهم الانهار يحولون فيها من أساور) من اللابداء
وتذكير أساور وهي جمع اسورة التي هي جمع سوار لا جهام أمرها في الحسن (٢٠٧) (من ذهب) من اللتين (ويلبسون ثيابا خضرا من

سندس) مارق من الديباج
(واستبرق) ما غلظ منه
أي يجمعون بين النوعين
(متكئين فيها على الارائك)
خص الاتكاء لانه هيئة
المتنعمين والملوك على
أسرتهم (نعم الثواب) الجنة
(وحسن) الجنة والارائك
(مترققا) متكئا (واضرب
لهم مثلا رجلين) مثل
حال الكافرين والمؤمنين
بحال رجلين وكانا أخوين
في بني اسرائيل أحدهما
كافرا اسمه قطروس
والآخر مؤمنا اسمه يهوذا
وقيل هما المذكوران في
والصافات في قوله قال
قائل منهم اني كان لي قرين
ورثا من أبيهما غانية
آلاف دينار فجعلها
شطين فاشتري الكافر
أرضا بالف دينار فقال
المؤمن اللهم ان أخي
اشتري أرضا بالف دينار
وأنا اشتري منك أرضا في
الجنة بالف فتصدق به ثم
بني أخوه دارا بالف فقال
لهم اني اشتري منك دارا
في الجنة بالف فتصدق به
ثم تزوج أخوه امرأه بالف

ارتفاق لاهل النار ولا مسكا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انالا نضيع أجر من أحسن عملا) أي لا تترك أعمالهم تذهب ضياعا بل تجازيهم بأجملها لهم الصالحة وقيل ان قوله انالا نضيع
أجر من أحسن عملا كلام معترض وثقه يدبره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك لهم جنات عدن) أي دار إقامة سميت عدنا لولد المؤمنين فيها (تجوز من تحتهم الانهار) وذلك لان أفضل المساكن ما كان
يجري فيه الماء (يحولون فيها من أساور من ذهب) قيل يحول كل انسان منهم ثلاثة أساور وسوار من ذهب
لهذا الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا أساور من فضة وسوار من أولئك لقوله وأولوا لباسهم فيها
عبر (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) هو الديباج الرفيق (واستبرق) هو الديباج الصفيق الغليظ
وقيل السندس المنسوج بالذهب (متكئين) خص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك (فيها) أي في الجنة
(على الارائك) جمع اريكه وهي السرر في الجبال ﴿ ولما وصف الله سبحانه وتعالى هذه الاشياء قال ﴾ (نعم
الثواب) أي نعم الجزاء (وحسن) أي الجنة (مترققا) أي مقرا ومجسدا والمراد بقوله وحسن مترققا
مقابل ما تقدم ذكره من قوله سبحانه وتعالى وساء مترققا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واضرب لهم مثلا رجلين)
قيل نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم وهما أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد اليل وكان
مؤمنوا أخوه الأسود كان كافرا وقيل هذا مثل لعينته بن حصن وأصحابه وسلمان
وأصحابه وشبههم ارجل من بني امريئيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقيل
عليهما الآخر كافرا واسمه قطروس وهما اللذان وصفهما الله سبحانه وتعالى في سورة والصافات وكانت
فصنهما على ما ذكره عطاء الخراساني قال كان رجلان شريكان لهما غانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين
ورثا من أبيهما غانية آلاف دينار فاقسمها فاشترى أحدهما أرضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم
ان فلانا قد اشترى أرضا بالف دينار وانني قد اشتريت منك أرضا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم
ان صاحبه بنى دارا بالف دينار فقال اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار وانني اشتريت منك دارا في
الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امرأه فاتفق عليهما ألف دينار فقال هذا اللهم اني أخطب
ابنك امرأه من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومثما بالف دينار فقال هذا
لهم اني اشترى منك خدما ومثما بالف دينار في الجنة فتصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت
صاحبي لعل ينأني منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به في خدمه وحشمة فقام اليه فنظر اليه صاحبه
فعرفه فقال فلان قال نعم قال ماشأئت قال أصابني حاجة بعدد فأتيتك لتعطيني بخير قال فما فعلت بمالك
وقد قاسمك مالا وأخذت شطره قصص عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيت شيئا
فطرده فقصي لهم اقربا فقبل فيها قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين
وروي انهما أتاه أخنيد وجعل يطوف به ويريه أمواله فقبل فيها ما واضرب لهم مثلا رجلين (جعلنا
لأحدهما جنتين) أي بستانين (من أعناب وحفناهما) أي أطفناهما من جوانبهما (بثفل وجعلنا
بينهما زراعا) أي وجعلنا بين الثفل والأعناب الزرع وقيل بينهما أي بين الجنة وبين الجنة

نقال اللهم اني جعلت ألفا صدقا للجور ثم اشترى أخوه خدما ومثما بالف دينار فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق
به ثم أصابته حاجة فجلس لاجله على طريقه فمر به في حشمة فتعرض له فردده ووجهه على التصدق بماله (جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب)
بستانين من كروم (وحفناهما بثفل) وجعلنا الثفل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها موزرة بالأشجار
المثمرة قال حنيفة اذا طقوا به وحفنته بهم أي جعلتهم حافين حوله وهو ممد إلى مفعول واحد فتزده الداء فعولاً ثانيا (وجعلنا بينهما
زراعا) جعلنا أرضا جامعة للافوات والقوا كوصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها مع الشكل الحسن

والترتيب الانيق (كلنا الجنة من آت) أعطت حمل على اللفظ لان لفظ كلنا مفرود ولو قبل آتاء على المعنى لحاز (أكلها) غيرها (ولم تظلم منه) ولم تنقص من أكلها (شيأ) وأخرنا خلاها من انرا) نعتها ما جوفاء الثمار وغام الا كل من غير نفوس ثم عاها أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يلقى به وهو النهر الجاري فيها (وكان له) لصاحب الجنة (نهر) أنواع من المال من غير ماله اذا كثرة أي كانت له الى الجنة من الموصوفين الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما له ثمروا حيط بثمره بفتح الميم والهاء عاصم وبضم الشاء وسكون الميم أبو عمرو وبضمهم ما غيرهما (فقال اصاحبه وهو يحاوره) يراجعسه الكلام من حار يحور اذا رجع به عن قطروص أخذ بيد المسلم يطوف به في الجنة ويريه ما فيه ما وبقاخره عام لك من المال دونه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) انصارا وحشما وأولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث (ودخل جنته) احدى جنتيه أو سماها جنة لا تجد الحائط وجنته للنهر الجاري بينهما (وهو ظالم لنفسه) ضارها بالكفر (قال ما أظن أن يبيد (٣٠٨) هذه أبدا) أي أن تلك هذه الجنة شئت في بيدودة جنته لطول أمه وعادى عقابته

واغتراره بالمهلة وتوى أكثر الاغنياء من المسلمين تنطق السنة أحوالهم بذلك (وما أظن الساعة قائمة) كائناته (ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها من قبلها) اقسام منه على أنه ان رد الى ربه على سبيل الفرض كما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا ادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده من قبلها غير أي مرجعا ومقابلة (قال له صاحبه وهو يحاوره) أكرمت بالذي خلقك من تراب أي خلق أصلك لان خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه (ثم من نطفة ثم سوال رجلا) أي عدلك بشرا سويا وكلما انسا ناذ كرا بالغاميلج الرجال (لكنها والله ربي) مجازة لكن أنا هو الله ربي (ولا أشرك بربي أحد اولولا) أي هـ لا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها ما شاء الله اعترافا بأنها وكل خير فيها اغنا حصل بعيشة الله تعالى وفضلها وان أمرها بيده وان شاء تركها خيرا (الاقوة الا بالله) أي وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بأن ما في يدي يبيده ولا أقدر على حفظ مالي ودفع شيء عنه الا بالله روي عن عروة بن الزبير أنه كان اذا رأى من ماله شيأ يجبه أو يدخل حائطه قال ما شاء الله لا قوة الا بالله الحائط البستان (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا) أي لاجل ذلك تكبرت على وتعظمت (فغسي ربي) أي فعله ربي (أن يؤتيني) أي يعطيني (خيرا من جنتك) يعني في الآخرة (ويرسل عليها) أي على جنتك (حسبانا) قال ابن عباس نارا وقيل

صديقا وكلما انسا ناذ كرا بالغاميلج الرجال جعله كافرا بالله شك في البعث (لكننا) بالانف في الوصل مراعى شامى الباقون غير ألف وبالانف في الوقف اتفاق وأصله لكن أنا خلف الله مزة وألقيت حركته على فون لكن قتلاقت النونان فأدغمت الاولى في الثانية بعد أن سكنت (هو الله ربي) هو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبرا ناو الراجع منها اليه ياء الضمير وهو استندراك اقله أكرمت قال لاخيه أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر وفيه حذف أي أقول هو الله بدليل عطف (ولا أشرك بربي أحد اولولا) وهـ لا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله (مام وصوله) فوعة الحبل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ما شاء الله أو شرطية منصوبة بالموضع والجزء المحذوف يعني أي شيء شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بأنها وكل ما فيها اغنا حصل بعيشة الله وان أمرها بيده وان شاء تركها خيرا (الاقوة الا بالله) اقرارا بأن ما في يدي يبيده ولا أقدر على حفظ مالي ودفع شيء عنه الا بالله روي عن عروة بن الزبير أنه كان اذا رأى من ماله شيأ يجبه أو يدخل حائطه قال ما شاء الله لا قوة الا بالله الحائط البستان (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا) أي لاجل ذلك تكبرت على وتعظمت (فغسي ربي) أي فعله ربي (أن يؤتيني) أي يعطيني (خيرا من جنتك) يعني في الآخرة (ويرسل عليها) أي على جنتك (حسبانا) قال ابن عباس نارا وقيل

(من السماء فتصيح صعيدا زلقا) أرضا بيضاء يزلزل عليها الملائكة (أو يصبح مأوها غورا) غائرا أي ذاهبا في الأرض (فلن نستطيع له طلبا) فلا يتأتى من ذلك طلبه فضلا عن الوجود والمعنى ان ترون أفقر من ذلك فانا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما في وما يملك من الفقر والغنى فيزني لا يأتى جنة خير من جنتكم ويسلب الكفر نعمته ويحرب بساكنكم (وأحيط بشره) هو عبارة عن اهلاكا أصله من أحاط به العدو لانه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاكا (فأصبح) أي الكافر (يقلب كفيه) يضرب احدهما على الاخرى ندما تحسرا وانما صار قلب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان الادم يقلب كفيه ظهر البطن كما كفى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد لانه في معنى الندم على تعديته على كانه قيل فأصبح يندم (على ما أنفق فيها) أي في عمارتها (وهي خاوية على عروشها) يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم (ويقول باليتى لم أشرك بربى أحدا) تذكروا عظمة أخيه فعمل انه أتى من جهة كفرة وطغيانه ففنى لولم يكن مشركا حتى لا يملك الله بستانه حين لم ينفعه الفنى ويجوز أن يكون قوله من الشرك وندما على ما كان منه ودخول في الايمان (ولم تكن له فئة ينصرونه) يقدرون على نصرته (من دون الله) أي هو وحده (٢٠٩) القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره الا انه لم ينصره

نصرته الا انه لم ينصره
المكسرة (وما كان منتصرا)
وما كان منتصرا بقوته عن
انتقام الله (هنالك الولاية
لله الحق) يكن بالياء والولاية
بكسر الواو حمزة وعلى
فهى بالفتح النصرة والتولى
وبالكسر السلطان والملك
والمعنى هنالك أي في ذلك
المقام وتلك الحال النصرة
لله وحده لا يملكها غيره
ولا يستطيعها أحد سواه
تقرير القول ولم تكن له فئة
ينصرونه من دون الله أو
هنالك السلطان والملك
لله لا يغلب أو في مثل تلك
الحال الشديدة يتولى الله
ويؤمن به كل مضطر يعني
أن قوله باليتى لم أشرك
بربى أحدا كلمة الجئ اليها

مرأى (من السماء) وهي الصواعق فتملكها (فتصيح صعيدا زلقا) أي أرضا جرداء لساها لانيات فيها وقيل تزلزل فيم الاقدام وقيل رملاها (أو يصبح مأوها غورا) غائرا ذاهبا لا تاله الايدي ولا الدلاء (فلن نستطيع له طلبا) يعني ان طلبته لم تجده (وأحيط بشره) يعني أحاط بالعذاب بشر حخته وذلك ان الله تعالى أرسل عليها من السماء نارا فأهلكتها وغار مأوها (فأصبح) يعني صاحبها الكافر (يقلب كفيه) يصفق بكف على كف ويقلب كفيه ظهر البطن وأسفا وتلفا (على ما أنفق فيها) المعنى فأصبح يندم على ما أنفق في عمارتها (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة سقوطها وقيل ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض (ويقول باليتى لم أشرك بربى أحدا) يعني أنه تذكروا عظمة أخيه المؤمن فعمل انه أتى من جهة شركه وطغيانه ففنى لولم يكن مشركا (ولم تكن له فئة) أي جماعة (ينصرونه من دون الله) أي ينعونه من عذاب الله (وما كان منتصرا) أي متمتعا لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (هنالك الولاية) قرئ بكسر الواو يعني السلطان في القيامة (لله الحق) وقرئ بفتحها من الموالاة والنصرة يعني انهم يتولونه يومئذ ويتبرئون عما كانوا يعبدون من دونه في الدنيا (هو خير ثوبا) أي أفضل جزاء لاهل طاعته لو كان غيره يثيب (وخير عقبا) يعني عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خيرا ثابه وعاقبة ﴿قوله عز وجل﴾ (واضرب لهم) أي اضرب يا محمد لقومك (مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء) يعني المطر (فاختلط به نبات الأرض) أي خرج منه كل لون وزهرة (فأصبح) أي عن قريب (هشما) قال ابن عباس يابسا (تذروه الرياح) قال ابن عباس تذر به وقبل تفرقه وتفسقه (وكان الله على كل شيء مقدرا) أي قادرا ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (المال والبنون) يعني التي يفتر بها عينه وأصحابه الاغنياء (زينة الحياة الدنيا) يعني ليست من زاد الاخرة قال علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه المال والبنون حرث الدنيا والاعمال الصالحة حرث الاخرة وقد يجمعهما لا قوام (والباقيات الصالحات) قال ابن عباس هي قول سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (م) عن أبي هريرة

(٢٧ - خازن ثالث)

فقالها جزعاهما داه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها وهنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة ويتقم لهم يعني انه نصر فيها فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتكم ويرسل عابها حسبنا من السماء ويؤيده قوله (هو خير ثوبا وخير عقبا) أي لا وليا له وهنالك إشارة الى الاخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله ان الملك اليوم الحق بالرفع أبو عمرو وعلى صفة للولاية أو خير ميتدا محمد ذوف أي هي الحق أو هو الحق غيرهما بالخرصة لله عقبا يسكون القاف عاصم حمزة وبضمهم ما غيرهما وفي الشواذ عقي على وزن فعلى وكلها بمعنى العاقب (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء) أي هو كما أنزلناه (فاختلط به نبات الأرض) فالتب بسببه وتكاثف حتى خاط بعضه بعضا أو أثر في النبات الماء فاختلط به حتى روى (فأصبح هشما) يابسا متكسرا الواحدة هشبة (تذروه الرياح) تفسقه وتطيره الريح جزء وعلى (وكان الله على كل شيء) من الانشاء والافتاء (مقتدرا) قادر أشبه حال الدنيا في نصرتها ويهجمها وما تبعها من الهلاك والافتاء بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فتطيره الريح كأن لم يكن (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) لازاد القبر وعدة العقبى (والباقيات الصالحات) أعمال الخير التي تبقى غرمتها لا انسان أو الصلوات الخمس أو سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر

(خير عند ربك ثوابا) جزاء (وخيرا أملا) لأنه وعد صادق وأكثر الأمل كاذبة يعني ان صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الآخرة (ويوم) واذكر يوم (نسير الجبال) (٢١٠) نسير الجبال مكي وشامي وأبو عمر وأي نسير في الجوا ويذهب بها بان تجعل هباء

منثورا منبثا (وترى الارض بارزة) ليس عليها ما يترها مما كان عليها من الجبال والاشجار (وحشرناهم) أي الموتى (فلم تغادر منهم أحدا) أي فلم تترك غادره أي تركه ومنه القدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل (وعرضوا على ربك صفا) مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحب أحد أحد اشبهت حالهم بحال الجنود المعروضين على السلطان (لقد جئتمونا) أي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المقهر يحوز ان يكون حامل النصب في يوم نسير (كما خلقناكم أول مرة) أي لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة أو جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم أول مرة أو لا واما قال وحشرناهم ما ضيا بعد نسير وترى للبدل لالة على حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ايعانوا تلك الاحوال كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك (بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا) وقتا لا فجار ما وعدتم على أسنة الانبياء من البعث والنشور أو مكان وعد للمعاسبة (ووضع الكتاب) أي صحف الأعمال (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الذنوب (ويقولون يا بلتنا) مال هذا الكتاب لا يغادر ولا كبيرة) أي لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) أي من ذنوبنا (الا أحصاها) أي عدها وكتبها أو ثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التسم والكبيرة الفقهية وقال سعيد بن جبيرة الصغيرة اللهم والامس والقبلة والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيكم ومحقرات الذنوب فأعاس مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا في بطن واد فخا هذا يعود وجاء هذا يعود وجاء هذا يعود فأخبرهم وان محقرات الذنوب لموبقات الحقيق الشئ الصغيرة التافه وقوله لموبقات أي مهلكات (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أي مكتوبا ما ثبتنا في كتابهم (ولا يظلم ربك أحدا) أي لا ينقص ثواب أحد عمل خيرا ولا يؤخذ أحد بجرم لم يعمل به عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الي مما طلعت عليه الشمس عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استكثروا من قول الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله * عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر برياض الجنة فارتعوا قلت يا رسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب * عن سعيد بن المسيب ان الباقيات الصالحات هي قول العبد الله أكبر وسبحان الله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله أخرجه مالك في الموطأ وموقوفا عليه * وعن ابن عباس ان الباقيات الصالحات الخمس وعنه أنها الاعمال الصالحة (خير عند ربك ثوابا) أي جزاء (وخيرا أملا) أي ما يؤمله الانسان قوله سبحانه وتعالى (ويوم نسير الجبال) أي نذهب بها وذلك أن تجعل هباء منثورا كما نسير السحاب (وترى الارض بارزة) أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو بروز ما في بطنها من الموتى وغيرهم فيصير باطن الارض ظاهرها (وحشرناهم) يعني يجيها الى موقف الحساب (فلم تغادر منهم أحدا) أي لم تترك منهم أحدا (وعرضوا على ربك صفا) أي صفا صفا وفوق جبال انهم صف واحد وقيل قبا ما وقيل كل أمة وزمرة صف ثم يقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) يعني أحياء وقيل حفاة عراة غرلا (بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا) يعني القيامة يقول ذلك المنكري البعث (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظفة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين الا ان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام الاوانه سجياء رجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقول انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم قال فيقال لي انهم ان يرادوا امرتني على أعقابهم منذ فارقتهم زادني رواية فأقول سحقا سحقا قوله غرلا أي قلقا والقرلة القلفة التي تقطع من جلد الذكرو وهو موضع الختان وقوله سحقا أي بعدا قال بعض العلماء ان المراد بهم هؤلاء أصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر أشد من ان يهيم بهم ذلك زاد الناس في رواية له لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه قوله عز وجل (وضع الكتاب) يعني صحائف الأعمال العباد توضع في أيدي الناس في أيانهم وثبتت لهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى (فترى المجرمين مشفقين) أي خائفين (مما فيه) يعني من الأعمال السيئة (ويقولون) يعني اذا رأوها (يا بلتنا) أي يا هلا كنا وكل من وقع في هلكة دعا بالويل (مال هذا الكتاب لا يغادر) أي لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) أي من ذنوبنا (الا أحصاها) أي عدها وكتبها أو ثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التسم والكبيرة الفقهية وقال سعيد بن جبيرة الصغيرة اللهم والامس والقبلة والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيكم ومحقرات الذنوب فأعاس مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا في بطن واد فخا هذا يعود وجاء هذا يعود وجاء هذا يعود فأخبرهم وان محقرات الذنوب لموبقات الحقيق الشئ الصغيرة التافه وقوله لموبقات أي مهلكات (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أي مكتوبا ما ثبتنا في كتابهم (ولا يظلم ربك أحدا) أي لا ينقص ثواب أحد عمل خيرا ولا يؤخذ أحد بجرم لم يعمل به عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول

الله (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه أو يعذب به بجرم (ووجدوا ما عملوا حاضرا) في الصحف عتيدا أو جزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه أو يعذب به بجرم

(واذ قلنا للملائكة اسجدوا)

لا آدم) مجود تحية أو مجود
انقياد (فيسجدوا لا إبليس
كان من الجن) هو مستأنف
كان قائلاً قال ماله لم يسجد
فقبل كان من الجن (ففسق
عن أمر ربه) خرج عما أمره
ربه به من السجود وهو دليل
على أنه كان مأموراً بالسجود
مع الملائكة (أفتتخذونه
وذرته) الهمة للانكار
والتعجب كأنه قيل أعقيب
ما رجسدم منه تتخذونه
وذرته (أولياء من دوني)
وتستبدلونهم بي ومن ذريته
لا قيس موسوس الصلاة
والاعور صاحب الزنا وبز
صاحب المصائب ومطوس
صاحب الاراجيف وداسم
يدخل ويأكل مع من لم يسم
الله تعالى (وهم لكم عدو)
أعداء (بئس للظالمين بدلا)
بئس البدل من الله إبليس
لمن استبدله فأطاعه بدل
طاعة الله (ما أشهدتهم)
أي إبليس وذرته (خلق
السموات والارض) يعني
انكم اتخذتموهم شركاء في
العبادة وأغما يكونون
شركاء فيها لو كانوا شركاء
في الالهية فنفى مشاركتهم
في الالهية بقوله ما أشهدتهم
خلق السموات والارض
لاعتصم بهم في خلقها أو
أشاورهم فيه أي تفردت
بخلق الاشياء فأفردوني
في العبادة (ولا خلق أنفسهم)
أي ولا أشهدت بعضهم خلق
بعض كقوله ولا تقبلوا أنفسكم
(وما كنت متخذ المضلين)

الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان بخدال ومعاذير وأما
العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فتأخذ بيمينه وأخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال لا يصح
هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى رضي الله عنه قوله
سبحانه وتعالى (واذ قلنا) أي واذكريا فحمدنا قلنا (للملائكة اسجدوا) لا آدم فسجدوا لا إبليس كان من
الجن) قال ابن عباس كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من
الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الانس وكونه من الملائكة لا ينافي كونه من
الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى ويجمعوا بينه وبين الجنة نسبة وذلك أن قريشا قالت الملائكة بنات الله فهذا
يدل على أن الملك يسمى جنانا بعضه اللغة لأن الجن مأخوذ من الاجتنان وهو المسترفعي هذا فدخل
الملائكة فيه فكل الملائكة جن لاستئثارهم وليس كل جن ملائكة ووجه كونه من الملائكة أن الله
سبحانه وتعالى استثناء من الملائكة والاستثناء يقيد إخراج ملو له لدخل ويصح دخوله وذلك يوجب كونه
من الملائكة ووجه من قال أنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن والجن جنس مخالف
للملائكة وقوله أفتتخذونه وذرته فأنبت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم وأجيب عن الاستثناء أنه
استثناء منقطع وهو مشهور في كلام العرب قال الله سبحانه وتعالى واذ قال إبراهيم لأبيه وقومه انني براء مما
تعبدون الا الذي فطرني وقال تعالى لا يسمعون فيه الغوا الا لا ماقيل انه كان من الملائكة فلما خالف
الامر مسخ وغيره وطرد لعن رضي الله عنه وقوله تعالى (ففسق عن أمر ربه) أي خرج عن طاعة ربه (أفتتخذونه)
يعني ياني آدم أفتتخذون إبليس (وذرته أولياء من دوني وهم لكم عدو) يعني أعداء وى مجاهد عن
الشعبي قال اني انا عبد يوم اقبل رجل فقال اخبرني هل لا إبليس زوجة قلت ان ذلك العرس ما شهدته ثم
ذكرت قول الله عز وجل أفتتخذونه وذرته أولياء من دوني فقلت انه لا تكور ذرية الا من زوجة فقلت
نعم قيل يتوالدون كما يتوالدون آدم وقيل انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتتعلق البيضه عن جماعة من
الشياطين قال مجاهد من ذرية إبليس لا قيس ولها ن وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه
يكفى وزانبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والخلف الكاذب ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب
يزين خسر الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ في احليل الرجل وعجيزة
المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يقيها في أفواه الناس لا يجحدون لها أصلا وداسم وهو الذي
اذا دخل الرجل بيته ولم يسم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع أو يحسن موضعه واذأكل كل لم يسم أكل
معه قال الاعمش رعباد خات البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصة منهم
ثم أذكر فأقول داسم داسم أعوذ بالله منه روى أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اللوضوء
شيطان يا قال له الولهات فاتقوا وسواس الماء أخرجه الترمذي (م) عن عثمان بن أبي العاص قال قلت
يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبس علي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك فلا قال ففعلت ذلك
فأذهب الله عني (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان إبليس يضع عرشه على
الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ينجى أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول
ما صنعت شيئا ثم ينجى أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه
ويقول نعم أنت قال الاعمش أراء قال فيأترمه رضي الله عنه وقوله (بئس للظالمين بدلا) يعني بئس ما استبدلوا
طاعة إبليس وذرته بعبادتهم وطاعته رضي الله عنه قوله سبحانه وتعالى (ما أشهدتهم) أي ما أحضرتهم
يعني إبليس وذرته وقيل الكفار وقيل الملائكة (خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) والمعنى
ما أشهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها (وما كنت متخذ المضلين) يعني الشياطين

اي وما كنت متخذهم (عضدا) اي أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذمالهم بالاضلال فاذا لم يكونوا هاضدا في الخلق فمالهم
تخذونهم شركاء في العبادة (ويوم يقول) الله لكفار وبالنون حمزة (نادوا) ادعوا بصوت عال (شركائي الذين زعمتم) انهم معكم
شركائي ليمنعكم من عذابي واراد الجن وأضاف الشركاء اليه على زعمهم توبخا لهم (فدعوههم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا)
مهلكا من وبق يبق وبوقا اذا هلك أو مصدرا كل موعد أي وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد
مشتراكهم ليكون فيه جميعا والملائكة وعزير او عيسى والمو ببق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدا بعيدا لانهم في قعر جهنم وهم في
أعلى الجنان (ورأي الجرمون النار فظنوا) فايقنوا (انهم مواقعوها) مخالطوها وواقعون فيها (ولم يحسدوا عنها) عن النار (مصرفا)
معدلا (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) يحتاجون اليه (وكان الانسان أكثر شئ جدلا)

الذين يضلون الناس (عضدا) يعني انصارا واعوانا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ويوم يقول نادوا) يعني
يقول الله تعالى يوم القيامة نادوا (شركائي) يعني الاصنام (الذين زعمتم) يعني انهم شركائي
(فدعوههم) أي فاستغاثوا بهم (فلم يستجيبوا لهم) أي فلم يجيبوهم ولم ينصروهم (وجعلنا بينهم) يعني
بين الاصنام وعبدتها وقيل بين أهل الهدى وبين أهل الضلال (موبقا) يعني مهلكا قال ابن عباس
هو واد في النار وقيل تمثيل منه نار وعلى حقيقته حيات مثل البغال الدهم وقيل كل حاجز بين شيئين فهو
موبق وأصله الهلاك (ورأي الجرمون) أي المشركون (النار فظنوا) أي أيقنوا (انهم مواقعوها) أي
داخلوها وواقعون فيها (ولم يحسدوا عنها مصرفا) أي معدلا لانها أحاطت بهم من كل جانب وقيل لان
الملائكة تسوقهم اليها ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (ولقد صرفنا) أي بينا (في هذا القرآن للناس من كل مثل)
أي ليستذكروا ويتعظوا (وكان الانسان أكثر شئ جدلا) أي خصوصه في الباطل قال ابن عباس اراد
النصر من الحوث وجد اله في القرآن وقيل أراد به أبي بن خلف وقيل أراد به جميع الكفار وقيل الآية على
العموم وهو الأصح (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه
وفاطمة ليلة فقال ألا تصليان فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله تعالى فإذا شاء ان يبعثنا فأنصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الى شئ ثم سمعته يقول وهو مول يضرب فخذه بيده
وكان الانسان أكثر شئ جدلا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) يعني القرآن
وأحكام الاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويستغفروا ربهم)
والمعنى انه لا مانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة والتخلة حاصله والاعذار زائلة فلم يقدموا
على الايمان والاستغفار (الا ان تأنيبهم سنة الاولين) يعني سنتنا في اهلاك الاولين ان لم يؤمنوا وهو
عذاب الاستئصال (أو تأنيبهم العذاب قبلا) قال ابن عباس اي عيانا من المقابلة وقيل فجاء ﴿ قوله
سبحانه وتعالى ﴾ (وما ترسل المرسلين الا مبشرين) اي بالثواب على الطاعة (ومندزين) بالعقاب لمن عصي
(ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسول ما أنتم الا بشر مثلنا وشبه
ذلك (ليدحضوا) اي ليبيطوا (به الحق) ويريدوه (واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) فيه اضماعه اي يعني اتخذوا
ما أنذروا به وهو القرآن استهزاء ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ومن أظلم ممن ذكر) أي وعظ (بآيات ربه فأعرض
عنها) اي تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها (ونسي ما قدمت يدها) اي ما عمل من المعاصي من قبل (انا جعلنا
على قلوبهم أكنة) اي غطية (ان يفقهوه) يريد لئلا يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) اي ثقلا وصمما (وان

تغيرنا) أي أكثر الاشياء التي
يتأق منها الجدول ان
فصلتها واحدا بعد واحد
خصوصه ومجازاة بالباطل
يعني ان جدل الانسان
أكثر من جسد كل شئ
(وما منع الناس ان يؤمنوا
اذ جاءهم الهدى) أي
سيده وهو الكتاب والرسول
(ويستغفروا ربهم الا ان
تأنيبهم سنة الاولين أو تأنيبهم
العذاب) ان الاول نصب
والثانية رفع وقبلها مضاف
محذوف تقديره وما منع
الناس الايمان والاستغفار
الا انتظار ان تأنيبهم سنة
الاولين وهي الاهلاك أو
انتظار ان تأنيبهم العذاب
اي عذاب الآخرة (قبلا)
كوفي اي أنواعا جمع قبيل
الباقون قبلا أي عيانا
(وما ترسل المرسلين الا
مبشرين ومندزين) يوقف
عليه ويستأنف بقوله
(ويجادل الذين كفروا

ندعهم)

بالباطل) هو قولهم للرسول ما أنتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ويحذرك

(ليدحضوا به الحق) ليزيلوا ويبطوا بالجدال النبوة (واتخذوا آياتي) القرآن (وما أنذروا) ما موصولة والراجع من الصلة محذوف اي
وما أنذروهم من العقاب أو مصدريه أي وأنذارهم (هزوا) موضع استهزاء بسكون الزاي والهمزة حمزة وبإبدال الهمزة واوا حقيقص وبضم
الزاي والهمزة غيرهما (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) بالقرآن ولذلك رجع الضمير اليه اذ كافي قوله ان يفقهوه (فأعرض عنها) فلم
يتذكر حين ذكر ولم يتدبر (ونسي ما قدمت يدها) عاقبة ما قدمت يدها من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسى والمحسن
لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم بقوله (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء
(ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا) ثقلا عن استماع الحق وجمع بعد الافراد جملا على لفظ من ومعناه (وان

ندعهم) يا محمد (الى الهدى) الى الايمان (فلن يهدوا) فلا يكون منهم اهتداء البتة (اذا) (٣١٣) جزاء وجواب فدل على انتفاء اعتدائهم

لادعوا الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله مالى لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقبل وان ندعهم الى الهدى فلن يهدوا اذا (أبدا) مدة التكليف كلها (وربنا الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة (لويؤاخذهم بما كسبوا) ليؤاخذهم (لهم العذاب) أى ومن رحمة ترك مواخذته أهل مكة عاجلا مع فرط عدوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (ان يحرقوا من دونه موقلا) مجازا ولا ملجأ يقال وأل اذا انجأ ووال إليه اذا حل إليه (وتلك القرى) مبتدأ (القرى) صفة لان أسماء الإشارة توصف بأسماء الاخناس والخبر (أهلكناهم) أو تلك القرى نصب باضمار أهلكنا على شرطه انتفاءه المعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم والمواد قوم فوج وعاد وعود (لما ظلموا) مثل ظلم أهل مكة (وجعلنا لهملكتهم موعدا) وضربنا لأهلناهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته ونفخ الميم وكسر اللام خفضا وبقعهما أبو بكر أى لوقت هلاكهم

ندعهم) يا محمد (الى الهدى) أى الدين (فلن يهدوا اذا أبدا) وهذا فى أقوام علم الله منهم انهم لا يؤمنون (وربنا الغفور) أى البليغ المغفرة (ذو الرحمة) أى الموصوف بالرحمة (لويؤاخذهم بما كسبوا) أى يعاقب الكفار (بما كسبوا) من الذنوب (لجعل لهم العذاب) أى فى الدنيا (بل لهم موعد) يعنى البعث والحساب (ان يحرقوا من دونه موقلا) أى ملجأ (وتلك القرى) يعنى قري قوم فوج وعاد وعود وقوم لوط وغيرهم (أهلكناهم لما ظلموا) أى كفروا (وجعلنا لهملكتهم موعدا) أى أجل لا الهلاكهم (وقوله سبحانه وتعالى (واذ قال موسى لفرعون) الايات أكثر العلماء على ان موسى المذكور فى هذه الآية هو موسى بن عمران من سبط لاوى بن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة قوصاحب التوراة وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميشا من أولاد يوسف بن يعقوب وكان قد تنبأ قبل موسى بن عمران والقول الأول أصح بدليل ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر فى كتابه العزيز موسى الا أراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو أراد شخصا آخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما ما تزيل الشبهة فلما لم يميزه بصفة علمنا انه موسى بن عمران صاحب التوراة وأما قتاده فالأصح انه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف وهو صاحب موسى وولى عهد بعد وفاته وقيل انه أخو يوشع وقيل انه قتاده يعنى عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم عبدى وأمتى وليلقل قتادى وقتادى (ق) عن سعيد بن جبيرة قال قلت لابن عباس ان نوفل البكالى يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بنى اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبى بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام قام خطيبا فى بنى اسرائيل فقال أى الناس اعلم فقال أنا فاعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان لى عبدا اجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يارب فكيف لى به قال فخدمته حوتا فأجعله فى مكمل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فخذ حوتا فجعله فى مكمل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا أتيا الضفرة وضربا رؤسهما فاقنا فاضطرب الحوت فى المكمل فخرج منه فسقط فى البحر فالتخذه سيده فى البحر سرا وأمسك الله عن الحوت بحرية الماء فصارع عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت وانطلقا ببقية يومهما واوليتهما حتى اذا كانا من الغد قال موسى لقتاده أنت ادعاه نالقد لقيننا من سفونا هذا نصبا قال ولرب يحمد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذى أمره الله به فقال له قتاده أرايت اذا وينا الى الضفرة فأتى نيت الحوت وما أنساه الا الشيطان ان أذكره واتخذ سيده فى البحر عجبا قال فكان العوت سرا با ولموسى ولقتاده عجبا فقال موسى ذلك ما كذا بنى فارتد على آثارهما فاقصصا قال رجعا فقصا آثارهما حتى انتهيا الى الضفرة فاذا رجل مسجى بثوب أبيض فسلم عليه موسى فقال الخضر وانى بأرضك السلام فقال أنا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم أنت نيتك اتعلمنى مما علمت رشدا قال انك ان تستطيع معى صبرا يا موسى انى على علم من علم الله علمه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله عليك الله لا أعلمه فقال موسى سجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا فقال له الخضر فان اتبعنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا فمشيا على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلهم وهم ان يحرقوها فعرفوا الخضر فمألوهم بغير قول فلما ركبا السفينة لم يقبأ موسى الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدم فقال له موسى قوم جالونا بغير قول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا أمرأ قال ألم أقل انك ان تستطيع معى صبرا قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيا نأ قال وجاء عصافه ورفق على حرف السفينة فخرق فى البحر نفرة فقال له الخضر ما نقص على وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فينجاها مشيا على الساحل اذا بصرا الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذوا الخضر برأسه فاقتلوه بيده فقتله فقال له موسى أقنأت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم

أولها لكهم والموعود وقت أو مصدر (واذ) (قال موسى لقتاده) هو يوشع بن نون وانما قبل قتاده لانه كان يخدمه ويتبعه وبأخذه

منه العلم (الأبرج) لا يزال وقد حذف الخبر لدلالة الحال والسكلام عليه أما الأولى فلأنها كانت حال سفرهما أما الثانية فلأن قوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) غاية مضمرة وبه تدعى ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا أبرج أسير حتى أبلغ مجمع البحرين وهو المكان الذي وجد فيه موسى لقاء الخضر عليه السلام وهو ملتقى ببحر فارس والروم ومسمى خضر لأنه أينما وصل يخضر ما حوله (أو أمضى حقبا) أو أسير زمانا طويلا قبل غياطون سنة (٢١٤) روى أنه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط

سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأى عبادك أفضى قال الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأى عبادك أعلم قال الذي يتهنى علم الناس إلى علمه هـ ي يصيب كلمة تدل له هـ على هـدى أو ترده عن ردى فقال إن كان في عبادك من هو أعلم مني فدلتني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لي به قال تأخذ حوتنا في مكمل حيث فقدته فهو هناك فقال لقاءه إذا فقدت الحوت فاحـ خبرني فذهبا بمشيان فوجد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فآخبره فتاه بوقوعه في البحر فأبى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوبه فلم عليه موسى فقال واني بأرضنا السلام فغرفه نفسه فقال يا موسى أنا على علم علم عليه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمك الله لا أعلمه أنا (فلما بلغا مجمع بينهما) مجمع البحرين (أي نسي أحدهما وهو يوشع لأنه كان صاحب الزاد دليله فاني نسيت يومهما الحوت وهو كقولهم نسوا زادهم واغما نسياء منه هذا الزاد قيل كان الحوت سمكة مملوحة فنزل لا يله على شاطئ عين الحياة وتام موسى فلما أصاب السمكة روح الماء وورده عاشت ووقعت في الماء (فالتخذ سبيله في البحر) أي اتخذ طار يقاله من البر إلى البحر (مربيا) نصب على المصدر أي سرب فيه مربيا يعني دخل فيه واستتر (فلما جاوزا) مجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ما شاء الله (قال) موسى (فلما آتا غدا) نا (لقد قمنا من سفرنا هذا نصبا) تعابوا لم يتعب ولا جاع قبل ذلك (قال) أرايت إذا رأينا إلى الصخرة (هي موضع الموعد) فاني نسيت الحوت

أقل لك أنك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه أشد من الأولى قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيئوه وهاجوا فوجد فيها جدارا يريد أن ينقض أي مائلا فقال الخضر يده هكذا فأقامه فقال موسى قوم أيناهم فلم يطعوا فلم يبقوا ولم يضيئوه فلو شئت لا اتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى لوددت أنه صبر حتى يقص علينا من أخبارهما قال سعيد ابن جبير فكان ابن عباس يقرأ أو كان أمهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين وفي رواية عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى عليه السلام ذكر الناس يوم ما حتى إذا فاقت العيون ورفت القلوب ولي فأذكر كرجل فقال أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك قال لا فعتب الله عليه اذكر مرد العلم إلى الله تعالى فقال بلى قال أي رب وأين هو قال مجمع البحرين قال خذ حوتنا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفي رواية تزود حوتنا ما لحا فانه حيث يفقد الحوت زاد في رواية وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مات شيء الا حي فأصاب الحوت من ماء تلك العين فقصر وانسل من المكمل فدخل البحر ورجعنا إلى التفسير قوله سبحانه وتعالى (الأبرج) أي لا يزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) قيل أراد ببحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افر بيقية (أو أمضى حقبا) يعني أو أسير دهر اطوي ولا الحقب غياطون سنة فحمل خبرا وسمكة مالمحة في المكمل وهو الزنبدل الذي يسبح خمسة عشر صاعا ومضبا حتى انتهى إلى الصخرة التي عند مجمع البحرين وعند هاهنا يسمى عين الحياة لا يصيب شيئا الا حي فلما أصاب السمكة روح الماء وورده اضطربت في المكمل وهاجت ودخلت في البحر (فلما بلغا) يعني موسى وقناه (مجمع بينهما) أي بين البحرين (نسيان) أي تركا (حوتها) وانما كان الحوت مع يوشع بن نون وهو الذي نسيه وانما أضاف النسيان إليهما لأنهما نزلاه لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيان حوتها أي نسيان كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول للمطلوب (فالتخذ) أي الحوت (سبيله في البحر مربيا) أي مسلكا وروى أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصارت كوة لم يلتمس فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لايمس شيئا من البحر الا يبس حتى صار صخرة وقدر وبنائه ما لما انتهى إلى الصخرة وضعا رؤسهما فاما واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر فالتخذ سبيله في البحر مربيا فأما مسلك الله عن الحوت جرية الماء فصارت عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى إذا كانا من الغد وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاوزا) يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين (قال) يعني موسى (لقد قمنا من سفرنا هذا نصبا) أي تعابوا وشدة ذلك أنه ألقي على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليمتدكر الحوت ويرجع في طلبه (قال) يعني يوشع (أرايت إذا رأينا إلى الصخرة) وهي صخرة كانت بالموضع الموعد (فاني نسيت الحوت) أي تركته وقد سدته وذلك ان يوشع حين رأى من الحوت ذلك قام ليـ درك موسى فيخبره فندى أن يخبره فبكنا

ثم اعند زق قال (وما أنسانيه) وبضم الهاء حفص (الا الشيطان) بالفاء الخواطر في القلب (أن أذكره) بدل من الهاء في أنسانيه أي
وما أنساني ذكره الا الشيطان (واخذ سبيله في البحر عجا) وهوان أثره بقى الى حيث سار (قال ذلك ما كنا نبغ) نطلب وبالياء مكى وافته
ابو عمرو وعلى ومدنى في الوصل وبغير ياء فيهما غيرهما اتباع الخط المحصف وذلك اشارة الى اتخاذه سبيلاى ذلك الذى كنا نطلب لان
ذهاب الخوت كان علما على لقاء الخضر عليه السلام (فارتد على آثارهما) فرجعا في الطريق الذى جا آفيه (قصصا) يقصصان قصصا
اي يتبعان آثارهما اتباعا قال الزجاج القصص اتباع الاثر (فوجدنا عبدا من) (٢١٥) عبانا) أي الخضر را فدا تحت ثوب او جالسا

في البحر (آتيناه رجعة من
عندنا) هي الوحى والنبوة
او العلم أو طول الحياة
(وعلمناه من لدنا علما) يعني
الاخبار بالغيوب وقيل
العلم اللدنى ما حصل للعبد
بطريق الالهام (قال له
موسى هل أتبعك على أن
تعلم مما علمت رشدا) أي
علما إذا رشد أو رشدا في ديني
رشدا أبو عمرو وهما الغتان
كالجمل والجل رفيعه دليل
على انه لا ينبغي لاحد ان
يترك طلب العلم وان كان
قد بلغ نهايته وان يتواضع
لمن هو اعلم منه (قال انك
لمن تستطيع معي) ويضخ
الياء حفص وكذا ما بعده
في هذه السورة (صبرا)
أي عن الانكار والسؤال
(وكيف تصبر على ما لم تحط
به خيرا) فميزني استطاعة
الصبر معه على وجه
التأكيّد وعال ذلك بانه
يتولى أمورا هي في ظاهرها
مناكير والرجل الصالح
لا يقال ان لا يخرج اذا
رأى ذلك فكيف اذا كان
نبيا (قال سجدني ان شاء

بومهما حتى صلبا الظهر من الغد) ثم قال (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) أي وما أنساني ان أذكر
لك أمر الخوت الا الشيطان قيل المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوسوس الشيطان التي هي من
فعله دون النسيان الذي يضاد الفكر لان ذلك لا يصح الا من قبل الله تعالى (واخذ سبيله في البحر عجا)
قيل هذا من قول يوشع بن نون يعني وقع الخوت في البحر فاخذ سبيله فيه مسلحا وروى في الخبر كان للبعوث
سرايا ولموسى ولغتمه عجا وقيل أي شئ أعجب من حوت يؤكل منه دهر ثم صار حيا بعد ما أكل بعضه
قوله عز وجل (قال) يعني موسى (ذلك ما كنا نبغ) نطلب (فارتد على آثارهما قصصا) أي رجعا يقصصان
الذي جا آمنه ويتبعانه (فوجدنا عبدا من عبانا) قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذي ثبت عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في التواريخ انه الخضر واسمه بلقيس ملكا من كتبه أبو العباس قيل
كان من بني اسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين تزهّدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له منى به لانه
جلس على فروة بيضاء فاخضرت (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمى
خضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تم ترخته خضراء الفروة قطعه نبات مجتمعة يابسة وقيل سمى
خضر لانه كان اذا صلى الخضر ما حوله وروينا ان موسى رأى الخضر مسجيا ثوب عليه فقال
الخضر واني بأرضك السلام قال أنا موسى أتيتك لتعلمي مما علمت رشدا ومعنى مسجيا ثوب أي مغطى
بثوب وقوله واني بأرضك السلام معناه من أين بأرضك التي أنت فيها الا أن السلام وروى انه لقيه على
طنفسة خضراء على جانب البحر فذلك قوله سبحانه وتعالى فوجدنا عبدا من عبانا (آتيناه رجعة) أي نعمة
(من عندنا وعلمناه من لدنا علما) أي علم الباطن الهاما ولم يكن الخضر نبيا عند أكثر أهل العلم فان قلت
ظاهر هذه الآيات يدل على ان الخضر كان أعلى شأنا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتأدب
معه قلت لا يخلو اما أن يكون الخضر من بني اسرائيل أو من غيرهم فان كان من بني اسرائيل فهو من أمة
موسى ولا جاز أن يكون أحد الأمة أفضل من نبيها أو أعلى شأنا منه وان كان من غير بني اسرائيل فقد
قال الله تعالى لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين أي على عالمي زمانكم (قال له موسى هل أتبعك)
معناه جئت لاصحبك واتبعك (على أن تعلم مما علمت رشدا) أي صوابا وقيل علمنا رشدا في ديني
بعض الاخبار قال الخضر لموسى كفي بالتوراة علما ربني اسرائيل شعلا فقال له موسى ان الله أمرني
بمذاخيرئذ (قال) الخضر لموسى (انك ان تستطيع معي صبرا) وانما قال ذلك لانه علم انه يرى أمورا
منكرة ولا يجوز لآل نبياء الصبر مع المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال (وكيف تصبر على ما لم تحط به
خيرا) أي علما (قال) موسى (سجدني ان شاء الله صبرا) انما استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر (ولا
أعصى لك أمرا) أي لا أخالفك فيما تأمرني به (قال فان اتبعني) أي فان صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن
جعل الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا فقال (فلا تسألني عن شئ) أي مما أعمله مما تنكره ولا تعترض
عليه (حتى أحدث لك منه ذكرا) معناه حتى أبتدى بذكره فابين لك شأنه قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا)

الله صبرا) من الصابرين عن الانكار والاعتراض (ولا أعصى لك أمرا) في محمل النصب عطف على صابرا أي سجدني صابرا وغيره
وهو عطف على سجدني ولا محمل له (قال فان اتبعني فلا تسألني) بفتح اللام وتشديد النون مدني وشأني وبسكون اللام وتخفيف النون
غيرهما وبالياء ثابتة فيهما اجماعا (عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا) أي فمن شرط اتباعك لي انك اذا رأيت مني شيئا وقد علمت انه
صحيح الا انه خفي عليك وجهه سمته فانكرت في نفسك ان لا تفتاحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون انا الفاتح عليك وهذا من أدب
المعلم مع العالم والمتبع مع التابع (فانطلقا)

حتى اذ اركباني السفينة خرقها) فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها قال اهلها هما من الاصوص وقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء خلفهم ما يغير قول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها ما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بيابه ثم قال اخرجتم لتغرق اهلها) ليغرق جزرة وعلى من غرق (لقد جئت شيئا امرا) اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم (قال) اي الخضر (الم اقل انك ان تستطيع معي صبرا) فلما راي موسى ان الخرق لا يدخله الماء ولم يضر من السفينة (قال لا تاخذني بما نسيت) بالذي نسيت اوشئ نسيت (٣١٦) او بنسيت ان اراد ان نسي وصيته ولا مؤاخاة على الناسي او اراد بالنسيان الترك اي

لا تاخذني بما تركت
من وصيتك اول مرة (ولا
ترهقني من امري عسرا)
رهقه اذا غشيته وارده
ايه اي ولا تغشي عسرا من
امري وهو اتباعه اياه اي
ولا تعمس على متابعتك
وسر هاعلي بالاغضاء وترك
المنافسة (فانطلقا حتى اذا
لقيا غلاما فآخذاه) قيل
ضرب براسه الحائط وقيل
اضجعه ثم ذبحه بالسكين
واغما قال فقتله بالقاء وقال
خرقها بغير فاء لان خرقها
جعل جزءا للشرط وجعل
قتله من جملة الشرط معطوفا
عليه والجزاء (قال) اقتلت
نفسا) واغما وخاف بينهما
لان خرق السفينة لم ينعقب
الركوب وقد تعقب القتل
فما الغلام (زكية) اركبه
بحازي وابو عمه وروى
الطاهرة من الذنوب اما
لأنها طاهرة عنده لانه لم
يرها قد اذنت اولاما
صغيرة لم يبلغ الخنث (غير
نفس) اي لم تقتل نفسا
فيقتل منها وعن ابن
عباس رضي الله تعالى
عنهما ان مجدة الحاروري

كتب اليه كيف جاز قتلته وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكذب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه اي
طالم موسى فانه ان يقتل (لقد جئت شيئا نكرا) وبضم الكاف حيث كان مدني وابو بكر وهو المنكر وقيل المنكر اقل من الامر لان قتل
نفس واحدة اهلون من اغراق اهل السفينة او معناه جئت شيئا نكرا من الاول لان الخرق يمكن نكاره بالسد ولا يمكن نكاره القتل
(قال) لم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) زاد لك ههنا لان النكر فيه أكثر (قال) ان سألتك عن شيء بعدها) بعد هذه النكرة أو المسئلة (فلا
انصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) اعذرت فيما بيني وبينك في الضراقة ولدي تخفيف الذنوب مدني وابو بكر

(فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) هي انطاكية أو الابله وهي أبعد أرض الله من السماء (استطعما أهلها) استطافا (فأبوا أن يضيفوهما) ضيفه أنزل وجهه ضيفه قال عليه السلام كانوا أهل قرية ثلثا ما وقيل شر القري التي تجفل بالقري (فوجدافيا) في القرية (جدارا) طوله مائة ذراع (يريد أن ينقض) يكاد يسقط استعيرت الارادة للمداينة والمشاركة كما استعير الهم والعزم لذلك (فأقامه) يسده أو مسحه بيده فقام واستوى أو نقضه وبناء كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المظم وقد لزمها الحاجة الى آخر كسب المروء وهو المسئلة فلم يجدوا مواسيا فلما أقام الجدرا لم يملك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان (قال لوشئت ٢١٧) لا اتخذت عليه أجرا) أي اطلبت

أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر أحد من الانبياء بدأ بنفسه لولا انه على رأي العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذماعة فقال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فلو صبر لرأي العجب قوله ذماعة هو بذال مججمة أي حياء واشفاق من الذم واللوم يقال ذمته ذماعة يعني لته ملامه ويشهده قول الخضر هذا فراق بيني وبينك قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) قال ابن عباس يعني انطاكية وقيل الابله وهي أبعد الارض من السماء وقيل هي بلدة بالاندلس (استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما) قال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أتيا أهل قرية ثلثا ما فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وروى انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستطفا فاهم فلم يضيفوهما وعن أبي هريرة قال أطعمتهما امرأه من أهل بر بعد ان طلبا من الرجال فلم يطعموهما فعدا عانساهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القري التي لا تضيف الضيف (فوجدافيا جدرا يريد أن ينقض) أي يسقط وهذا من مجاز الكلام لان الجدرا لا ارادة له وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول داري تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعيرتها النظر كما استعير الجدرا الارادة (فأقامه) أي سواه وفي حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده هكذا فأقامه وقال ابن عباس هدمه وهدمته (قال) يعني موسى (لوشئت لا اتخذت عليه أجرا) يعني على اصلاح الجدرا رجلا والمعنى انك قد علمت اناجبا وان أهل القرية لم يطعمونا فلما اتخذت على عملك أجرا (قال) يعني الخضر (هذا فراق بيني وبينك) يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل هذا الانكار على ترك أخذ الاجر هو المقرق بيننا (سأيتك) أي سوف أخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) وقيل ان موسى أخذ ثوب الخضر وقال أخبرني بمعنى ما علمت قبل أن تفارقني فقال الخضر (اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قيل كانت عشرة اخوة خمسة زمني وخمسة يعملون في البحر أي يبحرون ويكتسبون بها وفيه دليل على ان المسكين وان كان غلاما شيئا لا يزول عنه اسم المسكنة اذ لم يقم ما يملكه بكفايته وان حال الفقير في الضرر والحاجة أشد من حال المسكين لان الله سبحانه وتعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون تلك السفينة (فأردت أن أعيها) أي أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أي امامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والاول أصح (بأخذ كل سفينة غصبا) أي كل سفينة صالحة تخرقها ويعيها حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجندى الأزدي وكان كافرا وقيل كان اسمه هود بن بدور وروى ان الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت اذا هي غربة ان يدعها اعيها فاذا جاوزوا أصلحوها وانتفعوا بها قوله عز وجل (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا) أي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلمنا (أن يرهقهما) أي يغشيهم أو قيل يكلفههما (طغيانا وكفرا) قيل معناه فخشينا أن يجهلهم ما حبه على أن يتبعاه على

(٢٨ - خازن ثالث) رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جندى (بأخذ كل سفينة غصبا) أي بأخذ كل سفينة صالحة لا عيب فيها وان كانت معيبة تركها وهو مصدر أو مفعل له فان قلت قوله فأردت أن أعيها ما سبب عن خوف الغصب عليهم او كان خفة أن يتأخر عن السبب قلت المراد به التأخير وانما قدم لاغنياء (وأما الغلام) وكان اسمه الحسن (فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) فخشينا أن يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهم ما كفر النعمت ما بهقوقه وسوء صنيعه ويلحقهم ما شرابا أو بعدد ما أبداه ويضلهم ما اضلاله فيرتد بسببه وهر من كلام الخضر وانما يخشى الخضر منه ذلك لانه تعالى أعطه بحاله

وأطلعه على سر أمره وإن كان من قول الله تعالى فعني نخشينا فعلمنا أن عاش أن يصير سببا للكفر والديه (فأردنا أن يبذلها ما ربهما) يبذلها ما ربهما
 ربهما ما دنى وأبو عمرو (خير من زكاة) طهارة ونقاء من الذنوب (وأقرب رحما) رحمة وعطف فاو زكاة ورعا تميز زوى أنه ولدتها ما جارية
 تزوجهما نبى فولدت نبياً أو سبعين (٢١٨) نبيا أو أبداً لها ابنا مؤمناً مثلها ما رجا شامى وهما الغتان (وأما الجد ارفكان للعلامين) أصرم

وصرم (بتبيين في المدينة)
 هي القرية المذكورة
 (وكان تحته كنزها)
 أى لوح من ذهب مكتوب
 فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر
 كيف يحزن ويحبت لمن
 يؤمن بالرزق كيف يتعب
 ويحبت لمن يؤمن بالموت
 كيف يفرح ويحبت لمن
 يؤمن بالحساب كيف
 يغفل ويحبت لمن يعرف
 الدنيا وتقلبها بأهلها كيف
 بطمئن إليها لا اله الا الله
 محمد رسول الله أموال
 مدفون من ذهب وفضة
 أو محف فيهما علم والأول
 أظهر وعن قتادة أحمل
 الكثر لمن قبلنا وحرم علينا
 وحرم الغنية عليهم
 وأحلت لنا (وكان أبوها)
 قيل جد هما السابغ (صالحا)
 ممن يعجبني وعن الحسين
 ابن علي رضي الله عنهما أنه
 قال لبعض الخسارج في
 كلام جرى بينهما بم حفظ
 الله الغلامين قال بصلاح
 أبيهما قال فابى وجدى
 خير منه (فأراد ربك أن
 يبلغا أشدهما) أى الحلم
 (ويستخرجا كنزهما رحمة)
 مفعول له أو مصدر

دينه (فأردنا أن يبذلها ما ربهما) الأبدال رفع الشئ ووضع آخر مكانه (خير من زكاة) أى صلاحا
 وتقوى وقيل هو في مقابلة قوله تعالى أقتلت نفسا زكية فقال الخضر أردنا أن يرزقهما الله خير من
 زكاة (وأقرب رحما) أى ويكون المبدل منه أقرب عطفًا ورحمة بأبويه بان يبرهما وبشفق عليهم أقبل
 أبداً لها جارية فتزوجها نبى من الأنبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت
 سبعين نبيا وقيل أبداً لها بسلام مسلم وقيل ان الغلام الذى قتل فرح به أبواه حين ولد وخزن عليه حين قتل
 ولو بقي لكان فيه هلاكهما فلا يرض العبد بقضاء الله تعالى فان قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يكره
 خير له من قضاؤه فيما يحب ﷺ قوله سبحانه وتعالى (وأما الجد ارفكان للعلامين بتبيين في المدينة) قيل
 كان اسمهما أصرم وصرم (وكان تحته كنزها) روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان
 الكثر ذهباً وفضة أخرجه الترمذى وقيل كان الكثر صحفا فيها علم وقال ابن عباس كان لوحا من ذهب
 مكتوب بآفقه عجايب لمن يؤمن بالموت كيف يفرح عجايب لمن يؤمن بالقدر كيف يغضب عجايب لمن يؤمن بالرزق
 كيف يتعب عجايب لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل عجايب لمن يؤمن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف بطمئن
 إليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفي الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا اله الا أنا وحدى لا شريك لى خلقت
 الخبير والشرف قطوبى لمن خلقته للخير وأجرته على يديه والويل كل الويل لمن خلقته للشر وأجرته على
 يديه وقيل الكثر إذا أطلق يراد به المال ومع التقيد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح
 جاءهما (وكان أبوهما صالحا) قيل كان اسمه كاشع وكان من الأتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح
 أبيهما وقيل كان بينهما ما بين الأب الصالح سبعة آباء قال محمد بن المنكدر ان الله سبحانه وتعالى يحفظ
 بصلاح العبد ولده وولده ولده وعشيرته وأهل دوابه حوله فلا يزالون في حفظ الله مادام فيهم وقال سعيد
 ابن المسيب انى لأصلى فاذ كرولدى فأزيد فى صلاتى (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أى يدركوا بركة
 قوتهم ما وهو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة فان قلت كيف قال فى الأولى فأردت وفى الثانية فأردنا وفى
 الثالثة فأراد ربك وما وجه كل واحدة من هذه اللفاظ قلت انه لما ذكر العيب أضافه الى نفسه على سبيل
 الأدب مع الله تعالى فقال فأردت ان أعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من
 العلماء العظماء فى علم الباطن وعلوم الحكمة وأنه لم يقدم على مثل هذا القتل إلا بحكمة عالية ولما
 ذكر رعاية المصالح فى مال اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه الى الله سبحانه وتعالى لان حفظ الأبناء
 وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس الا لله سبحانه وتعالى فلاجل ذلك أضافه الى الله تعالى (ويستخرجا
 كنزهما) يعنى اذا بلغا وعظما وقويا (رحمة من ربك) أى نعمة من ربك (وما فعلته عن أمرى) أى
 باختياري ورأيتى بل فعلته بأمر الله واللهامه إياى لان تنقيص أموال الناس ورافة دمايتهم وتغيير
 أحوالهم لا يكون الا بالله وأمر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمرى على
 ان الخضر كان نبيا لا يدل على الوحى وذلك لان نبيا والصحيح انه ولى لله وليس بنبي وأجيب عن قوله
 سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمرى انه الهام من الله سبحانه وتعالى له بذلك وهذه درجة الأولياء وقيل
 معناه انما فعلت هذه الأفعال لغرض ان تظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معنى واحد وهو تحمل
 الضرر والإذى لدفع الضرر والاعلى (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) أى لم تطق ان تصبر عليه روى

منسوب بأراد ربك لانه فى معنى رحمة ما (من ربك وما فعلته) وما فعلت ما رأيت
 (عن أمرى) عن اجتهدى وانما فعلته بأمر الله واللهامه به ودالى الكل أو الى الجد ارف (ذلك) أى الاجوبة الثلاثة (تأويل ما لم تسطع عليه
 صبرا) حذف التاء تخفيفا وقدر ل أقدم من الضلال فى تفضيل الولي عن النبي وهو كفر جلى حيث قالوا أمر موسى بالتمسك من
 الخضر وهو ولى والجواب ان الخضر نبى وان لم يكن كازعم البعض فهذا ابتلاء فى حق موسى عليه السلام على ان أهل الكتاب يقولون

ان موسى هذا ليس موسى بن عمران انما هو موسى بن ماثان ومن المحال ان يكون الولي وليا بآبائه بالنبي ثم يكون النبي دون الولي ولا غضاضة في طلب موسى العلم لان الزيادة في العلم طوبى وانما ذكر اولافارقت (٢١٩) لانه افساد في الظاهر وهو فقهه وثالثا

فارادربك لانه انعام محض وغير مقدور البشر وثانيا فارادنا لانه افساد من حيث الفعل انعام من حيث التبديل وقال الزجاج معنى فارادنا فاراد الله عز وجل ومثله في القرنين كثير (ويستلوثونك) أي اليهود على جهة الامتحان أو أبو جهل واشياعه (عن ذي القرنين) هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قبل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران غرور ودون مختصر وكان به غرور ودون قبل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض وأعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة فاذا مرى به يديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقبل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن علي رضي الله عنه انه قال ليس ملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فبات ثم بعته الله فضرب على قرنه الايسر فبات فبعته الله فسمى ذا القرنين وفيكم مثله أراد نفسه قبل كان يدعوهم الى التوحيد فبقية لونه فيحييه الله تعالى وقال عليه السلام سمى ذا القرنين لانه طاف قسرى الدنيا يعني جانبيها

ان موسى عليه السلام لما أراد ان يفارق الخضر قال أوصني قال لا تطلب العلم لتحديث به واطلب العلم لتعمل به واختلف العلماء في ان الخضر أحي أم ميت فقيل انه حي وهو قول الاكثرين من العلماء وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة والحكايات في رؤيته والاجتماع به ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من ان تحصر قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في فتاواه وهو حي عند جواهر العلماء والصالحين والعامه هذا آخر كلامه وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وكان السبب في حياة الخضر فيما حكى انه شرب من عين الحياة وذلك ان ذا القرنين دخل الظلمة اطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوق الخضر على العين فاغسل وشرب منها وصلى شكر الله تعالى وأخطأ ذو القرنين الطريق فرجع وذهب آخرون الى انه ميت لقوله سبحانه وتعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلة أرايتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة لا يبق ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعش بعده وقوله عز وجل (ويستلوثونك عن ذي القرنين) قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلفوس كذا صرح الروي وكان ولد عجوز ليس لها ولد غيره ونقل الامام غفر الدين في تفسيره عن أبي الريحان السمرري المنجم في كتابه المسمى بالانوار الباقية عن القرون الخالصة انه من جبر و اسمه أبو كرب سمي بن عير بن افر يقبس الجبري وهو الذي اقتصر به أحد شعرا جبر حيث يقول قل كان ذو القرنين جدي مسلما * ملكا عالا في الارض غير مفند بلخ المشارق والمغرب يبتغي * أسباب ملك من كريم مرشد فرأى ما تب الشمس عند غروبها * في عين ذي خلب وثأطه حرمه قوله فرأى ما تب الشمس أي ذهاب الشمس وقوله في عين ذي خلب أي حاة والثأطه الحاة أيضا والجمع ثأط والحرم الطين الاسود وقيل سمي ذا القرنين لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه رأى في المنام كانه أخذ بقرني الشمس وقيل لانه كان له ذواتان حسنتان وقيل كان له قرنان توأما العمامة وروى عن علي أنه أمر قومه بتقوى الله فضر به على قرنه الايمن فبات فاحياه الله ثم بعته فأمرهم بتقوى الله فضر به على قرنه الايسر فبات فاحياه الله واختلفو في نبوته فقيل كان نبيا وبذل عليه قوله سبحانه وتعالى قلنا اذا القرنين وخطاب الله لا يكون الا مع الانبياء وقيل لم يكن نبيا قال أبو الطفيل سئل على عن ذي القرنين أكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا أحب الله فاحياه الله وناصح الله فاحياه الله وروى ان عمر مع رجلا يقول لا تخربا ذا القرنين فقال تسميتهم باسماء الانبياء فلم ترضوا حتى تسميتهم باسماء الملائكة والاصح الذي عليه الاكثرون انه كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ أقصى المغرب والمشرق والشمال والجنوب وهذا هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد ان دان له طوائف ثم مضى الى ملوك العرب وقهرهم ومضى حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف الى ارمينية وبوب الابواب وبنى السدود وانت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند والصين وغزى الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهر زور ومات بها وحل الى حيث هو مدفون وقيل ان عمره كان الفاروق ثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذي هو على خلاف العادات وجب أن يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ويستلوثونك عن ذي القرنين (قل سألتوكم عليكم منه ذكرا) أي خبرا يتضمن حاله وقوله

شرفها وغربها وقيل كان له قرنان أي ضعف ثبات أو انقضى في وقته قرنان من الناس أو لانه ملك الروم وفارس والروم أو كان له ساجه قرنان أو على رأسه ما يشبه القرنين أو كان كريم الطرفين أو أبا وأما وكان من الروم (قل سألتوكم عليكم منه) من ذي القرنين (ذكرا

انما مكانه في الارض جعلناه في مكانه واعتلوا (وايناه من كل شيء) اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه (سببا) طريقا وموصلا اليه (فأتبع سبيلا) والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم اوقدرة فأراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فاتبع سبيبا وأراد بلوغ السدين فاتبع سبيبا فاتبع ثم أتبع كوفي وشامي الباكون بوسل الالف وتشديد التاء عن الاصمعي اتبع لحق واتبع اقتنى وان لم يلحق (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) أي منتهى العمارة نحو المغرب وكذا المطلع قال صلى الله عليه وسلم بدء أمره انه وجد في الكتاب ان أحد أولاد سام يشرب من عين الحياة فيخلد فيخلد بسير في طلبها والخضر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يظفر ذو القرنين (وجدوها تغرب في عين حنثه) ذات حنثه من حنث البئر اذا صارت فيها الحنث حامية شامى وكوفي غير خفض بمعنى حارة وعن أبي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدرى يا أبا ذر أين تغرب هذه قالت الله ورسوله أعلم قال فانها تغرب في عين حنثه وكان ابن عباس (٢٣٠) رضى الله عنهما عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حنثه فقال

معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرأها فقال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك تجد في التوراة فوافق قول ابن عباس رضى الله عنهما ولا تنافي بخازان تكون العين جامة للوصفين جميعا (ووجد هذا) عند تلك العين (قوما) عراة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم مال فظ البحر وكانوا كفارا (قلنا يا ذا القرنين امان تعذب وامان تعذفهم حسنا) ان كان نبيا فقد أوحى الله اليه بهذا والا فقد أوحى الى نبي فأمره النبي به أو كان الها ما خير بين ان يعذبهم بالقتل ان أصروا على أمرهم وبين ان يعذبهم حسنا باكرامهم وتعليم الشرائع ان آمنوا أو التعذيب والقتل واتخاذ الحسن الاسرانه بالنظر

الى القتل احسان (قال ذو القرنين) امامن ظلم فسوف نعذبه بالقتل (ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) في القيامة يعني امامن دعوته الى الاسلام فابى الالبقاء على الظلم العظيم وهو الشرك فذلك هو المعذب في الدارين (وامامن آمن وعمل صالحا) أي عمل ما يقتضيه الاعيان (فله جزاء الحسن) فله جزاء الفعل الحسن التي هي كلمة الشهادة جزاء الحسن كوفي غير أبي بكر أي فله الفعل الحسن جزاء (وسنقول له من أمرنا يسرا) أي ذابسرأى لان أمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك (ثم أتبع سبيبا) حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم هم الزنج (لم يجعل لهم من دونها) من دون الشمس (يسرا) أي ابتية عن كعب أرضهم لا تخشع الابنية وها أمربا فاذ اطلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معاشهم أو البستر لباس عن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الارض

نزل

(كذلك) أي أمر ذو القرنين كذلك أي كما وصفتناه تعظيماً لأمره (وقد أحطنا بما لديه) من الجنود والآلات وأسباب الملك (خبراً) نصب على المصدر لأن في أحطنا معنى خبرنا أو بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أي كابلغ مغربها (٢٣١) أو أطلع على قوم مثل ذلك القليل الذي

تغرب عليهم يعني أنهم -
كفرة مثلهم وحكمهم مثل
حكمهم في تعذيبه لمن بقي
منهم على الكفر واحسانه
إلى من آمن منهم (ثم اتبع
سبباً حتى إذا بلغ بين السدين
بين الجبلين وهما جبلان
سد ذو القرنين ما بينهما
السدين وسد أممي وأبو
عمرو وحفص السدين
وسد حمزة وعلي وبضهما
غيرهم قبل ما كان سدوداً
خلفه فهو مضوم وما كان
من عمل العباد فهو مفتوح
وانتصب بين علي أنه
مفعول به بلوغ كما انجر
بالإضافة في هذا فراق بيني
وبينك وكما ارتفع في لقد
تقطع بينكم لأنه من الظروف
التي تستعمل أسماء وظروفاً
وهذا المكان في منقطع
أرض الترك مما يلي المشرق
(وجد من دونهما) من
ورائهما (قوما) هم الترك
(لا يكادون يفقهون قولاً)
أي لا يكادون يفهمونه
الابجد ومشقة من إشارة
وتجوها يفقهون حجة وعلى
أي لا يفهمون السامع
كلهم ولا يبينونه لأن لغتهم
غريبة مجهولة (قالوا إذا
القرنين أن يأجوج
ومأجوج) هما اسمان
أعجميان يدل منع الصرف
وهما معاً عام فقط وهما

نسب لمؤمني قوم هود واسم مدنيتهم جابلق واسمها بالسرانية مرقيسا وهاوهم مجاورون يأجوج ومأجوج
قوله سبحانه وتعالى (كذلك) أي كابلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه أنه حكم في القوم
الذين هم عند مطلع الشمس كما حكم في القوم الذين عند مغربها وهو الأصح (وقد أحطنا بما لديه خبراً) أي
علماً بما عنده ومن معه من الجنود والعدة والآلات الحرب وقيل معناه وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من
الصلحية بذلك الملك والاستقلال به والقيام بأمره ﴿قوله عز وجل﴾ (ثم اتبع سبباً حتى إذا بلغ بين
السدين) هما هنا جبلان في ناحية الشمال في منقطع أرض الترك حتى أن الواثق بعث بعض من يتق به
من أتباعه إليه ليعاينوه فخرجوا من باب من الأبواب حتى وصلوا إليه وشاهدوه فوصفوا أنه بناء من لبن
حديد مشدود بالنجاس المذاب وعليه باب مقفل (وجد من دونهما قوما) أي أمام السدين قيل هم الترك
(لا يكادون يفقهون قولاً) قال ابن عباس لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا إذا
القرنين) فإن قلت كيف أثبت لهم القول وهم لا يفهمون قلت تكلم عنهم مترجم من هو مجاورهم ويفهم
كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفقهون قولاً لا يفهمون كلمة من أشار بها وكما يفهمهم الخرس (أن
يأجوج ومأجوج) أصلهما من أجيح النار وهو ضوءها وشبهوا به لكثرة شموسهم وشدة حرارة من أولاد
يافث بن نوح والترك منهم قيل أن طائفة منهم خرجت تغير فغضب ذو القرنين السديف وأخرجهم فسموا
الترك لذلك لأنهم تركوا أخرجهم من أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب
والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزيغ والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالية ويأجوج ومأجوج
قال ابن عباس هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء وروى حذيفة مرفوعاً أن يأجوج أمة ومأجوج أمة
وكل أمة أربعة آلاف أمة لا عوت الرجل منهم حتى ينظر أنف ذكر من صلبه كلهم قد حل السلاح وهم
من ولد آدم يسرون إلى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الارز شجر بالشام طوله
عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرصة وطوله سواة عشرون ومائة ذراع وهو لا يقوم لهم
جبل ولا حديد وصنف منهم يغترش أحداهم أذنه ويلتحف بالآخرى لا يعرون بقيل ولا وحش ولا خنزير إلا
أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وبقية من يجراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة
طبرية وعن علي منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد
آدم وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامترجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم
متصلون بنا من جهة الأب دون الأم وذكروا من منبه أن ذا القرنين كان رجلاً من الروم ابن عجزور
فلما بلغ كان عبداً صالحاً قال الله سبحانه وتعالى له اني باعك إلى أمم مختلفة أسلحتهم منهم أمان بينهما طول
الأرض أحدهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والآخرى عند مطلعها يقال لها منسل وأمان بينهما
عرض الأرض أحدهما في القطر الأيمن يقال لها هاريل والآخرى في قطر الأرض اليسرى يقال لها تاوليل
وأهم في وسط الأرض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج فقال ذو القرنين يا بى قوة أكابدهم ربأى
جمع أكابدهم ربأى إن أناطقهم فقال الله سبحانه وتعالى اني ساقولك وأبسط لك أسلحتك وأشد عضدك
فلاجهولك شيء وأبسط لك الهيبة فلا يروعونك شيء وأحضر لك النور والظلمة وأجمعها من جنودك والنور
يهديك من أمامك والظلمة تحوطك من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جماعاً وعدداً لا يحصى
الآن الله تعالى فكأثرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم إلى الله تعالى وعبادته ففهم من آمن به
ومنهم من صد عنه فهدى إلى الذين قولوا عنه فدخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في
دعوتهم فجد من أهل المغرب جد أعظم ما انطلق بقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاريل ففهم فيهم

من ولد يافث وأباجوج من الترك وماجوج من الجبل والديلم
قوله احتلم كذا بالفتح بايدينا وتعبير الخطيب ويرد ما احتلم نبي قط اللهم إلا أن يكون المراد أنه سال منبه في يومه لا ملاطمة طائفة معصية

(مفسدون في الارض) قيل كانوا يا كاون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر الا أكلوه ولا يابس الا احتلوه ولا يموت أحد منهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبة كاهم قد حل السلاح وقيل هم على صدقين طوال مفروطو الطول وقصار مفروطو القصر (فهل نجعل لك خرجا) خراجا جزوا على أي جهة لا تخرجه من أموالنا ونظيرهما الدول والوال (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) قال مامكني (بالادغام وبفسكه مكى) (فيه ربي خير) أي ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي اليه (فأعينوني) (٢٢٢) بقوة) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلات (أجعل بينكم وبينهم ردا) جدارا

كفعله في ناسك ثم مضى حتى أتى منسك ففعل فيهم كفعله في الامتين ووجد منهم جند اعظماء ثم أخذ ناحية اليسرى فأتى تاويل ففعل بهم كفعله فيما قبلها ثم عمدا الى الامم التي في وسط الارض فلما كان فيما يلي منقطع الترك مما يلي المشرق قالت له أمه سالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا أشباه الهائم يقتربون الدواب والوحوش والسباع ويأكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في الارض وليس يزاد خلق كزيادتهم فلا شك أنهم يملكون الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال مامكني فيه ربي خير وقال أعدوا لي الصخور والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع مناهم مخالب وأضراس كالسباع واهم هلب شهري يورى أجسادهم ويتقون به من الحر والبرد والكل واحد منهم أذنان عظيمتان يقترب أحدهما ويلتصق بالآخرى يصيف في واحدة ويشقي في واحدة يتسافدون تسافدا هائما حيث التقوا فلما بين ذوا القرنين ذلك انصرف الى بين المصدين فقام ما بينهما وحفر له الأساس حتى بلغ الماء فذلك قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج (مفسدون في الارض) قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيئا أخضر الا أكلوه ولا يابس الا حملوه وأدخلوه أرضهم فلقوا منهم أذى شديدا وقيل فسادهم انهم كانوا يا كاون الناس وقيل معناه انهم سيفسدون عند خروجهم (فهل نجعل لك خرجا) أي جهلا وأجراما من الاموال (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) أي حاجزا فلا يصلون اليها (قال) لهم ذوا القرنين (مامكني فيه ربي خير) أي ما قواني به ربي خير من جعلكم (فأعينوني بقوة) يعني لا أريد منكم المال بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم (أجعل بينكم وبينهم ردا) أي سدا قالوا وما تلك القوة قال فعله وصناع يحسنون البناء والآلة قالوا وما تلك الآلة قال (أتوني) أي أعطوني ٢ وقيل جيوتي (زبر الحديد) أي قطع الحديد فاقوهما وبالخطب فجعل الخطب على الحديد والحديد على الخطب (حتى اذا ساءوا بين المصدين) أي بين طرفي الجبلين (قال انفضوا) يعني في النار (حتى اذا جعله نارا) أي صار نارا (قال أتوني أفرغ عليه) أي أصب عليه (قطرا) أي تخاسما مذابا جعلت النار على كل الخطب وجعل النحاس سبيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس قيل ان السد كالبرد والمطر طريقة سوداء وطريقة حمراء وقيل ان عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائة ذراع وطوله فرسخ واعلم ان هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر أحد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب منها فكانه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين حتى تمكنوا من العمل فيه (فما استطاعوا ان يظهروه) أي يعالوا عليه لعلوه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) أي من أسفله لشدة وصلابته (قال) يعني ذوا القرنين (هذا) أي السد (رحمة من ربي) أي نعمة من ربي (فان جاء

وحاجزا حصينا موثقا والردم أكبر من السد) (أتوني زبر الحديد) قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة قيل حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الخطب والفحم حتى مد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المناضج حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جلد الصلدا وقيل به سدا ما بين السدين مائة فرسخ (حتى اذا ساءوا بين المصدين) بفتحين جانبى الجبلين لانهما يتصادقان أي يتقابلان المصدين مكى وبصرى وشامى المصدين أبو بكر (قال انفضوا) أي قال ذوا القرنين لانهما انفضوا في الحديد (حتى اذا جعله) أي المنسفوخ فيه وهو الحديد (نارا) كالنار (قال أتوني) أعطوني

(أفرغ) أصب (عليه قطرا) تخاسما مذابا لانه يقطر وهو منصوب بافرغ وتقدره أتوني قطرا أفرغ عليه قطرا الخندق الاول لدلالة الثاني عليه قال اتوني بوصول الاف حجرة واذا ابتداء كسر الالف أي جيوتي (فما استطاعوا) بجذ في التاء للخصفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء (أن يظهروه) أن يعالوا السد (وما استطاعوا له نقبا) أي لاجلبة لهم فيه من صعودا لارتفاعه ولا نقب لصلابته (قال هذا رحمة من ربي) أي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده أو هذا الاقدار والتكئين من تسويته (فاذا جاء قوله وقيل جيوتي ظاهره أنه تفسير لا توفى مقطوع الهمزة ولا يصح انما يصح اذا كان تفسير الاتوني موصولا قبله تأمل اه

وعدي (فإذا دنا يحيى يوم القيامة وشارف أن يأتي (جعله) أي مد كوكاه بسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك دكاه كوفي أي أرضا مستوية (وكان وعددي حقا) أنقول ذي القرنين (وتركنا) وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (يومئذ يوحى) يختلط (في بعض) أي يضطربون ويختلطون أنفسهم وجنهم حيارى ويجوز أن يكون الضمير لأجوج ومأجوج وأنهم يجوجون حين يخرجون مما وراء السدحرجين في البلاد دورى أنهم يأفون البحر (٢٣٣) فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون

الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون أن يأوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نفا في أقفاصهم فيدخل آذانهم فيموتون (ونفخ في الصور) لقيام الساعة (جمعناهم) أي جمع الخلائق للثواب والعقاب (جعا) تأكيد (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وأظهرناها لهم فرأوها وشاهدوها (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى) عن آياتى السبق ينظر إليها أوعن القرآن فاذكرهم بالتعظيم أوعن القرآن وتامل معانيه (وكافوا لا يستطيعون سمعا) أي وكافوا صمما عنه إلا أنه أبلغ إذا الصم قد يستطيع السمع إذا أصبح وهو لا كانهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة لهم للسمع (أخسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء) أي أظن الكفار اتخذوا عبادى بعنى الملائكة وعيسى عليهم السلام أولياء نافعههم بس

وعدي (قبل يعنى يوم القيامة وقبل وقت خروجهم (جعله دكاه) أي أرضا مساه وقبل مد كوكاه مستويا مع الارض (وكان وعددي حقا) (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبح اليوم من ردم بأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين قوله وعقد بيده تسعين هومن موضوعات الحساب وهو أن تجعل رأس أصبعك السبابة في وسط الإبهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا يقين لها الاخلال يسير وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السدي يحرقونه كل يوم حتى اذا كادوا يحرقونه قال بعضهم ارجعوا فاستخفرونه غدا قال فيعبد الله كاشدا ما كان حتى اذا بلغوا مدتهم رأوا الله تعالى ان يبعثهم على الناس قال الذى علمهم ارجعوا فاستخفرونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه على هيئة حين تركوه فيحرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه وتفر منهم الناس وفي رواية تخصص الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهام الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في الارض وعدونا من في السماء فيزدادون قسوة وعثوا فيبعث الله عليهم نغفا في رقابهم فيهلكون فالذى نفس محمد بيده ان دواب الارض تسمن وتشكر الله من طومهم شكرا أخرجه الترمذى وقوله قسوة وعثوا أي غلاظة وقظاظة وتكبر والتغفد ويكون في أفوف الابل والغنم وقوله وتشكروا قال شكرت الشاة تشكركم شكرا اذا امتلأ ضرعها لبنا والمعنى انها امتلأت أجسادها لحا وتسمن (خ) عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعجن البيت وليعترن بعد خروج مأجوج وأجوج قوله عز وجل (وتركنا بعضهم يومئذ يوحى في بعض) قيل هذا عند فزع السدي يقول تركنا بأجوج ومأجوج عوج أي يدخل بعضهم في بعض كوج الماء ويختلط بعضهم في بعض لكنهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض لكنهم ويختلط انهم يحترق حيارى (ونفخ في الصور) فيه دليل على ان خروج مأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة (جمعناهم جعا) أي في صعيد واحد (وعرضنا) أي أبرزنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضا) اي شاهدوها عيانا (الذين كانت أعينهم في غطاء) أي غشاوة ستر (عن ذكرى) أي عن الايمان والقرآن والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها (وكافوا لا يستطيعون سمعا) أي سمع قبول للايمان والقرآن لغلبة الشقاء عليهم وقيل معناه لا يستطيعون ان يسموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له قوله تعالى (أخسب) أي أظن (الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء) يعنى أربابا يريد عيسى والملائكة بل هم لهم أعداء يتبرؤن منهم وقال ابن عباس يعنى الشياطين أطاعوهم من دون الله والمعنى أظن الذين كفروا ان يتخذوا عبادى أولياء وانى لا أغضب لنفسى فلا أعاقبهم وقيل معناه أظنوا انه ينفعهم ان يتخذوا عبادى من دونى أولياء (انا أعذنا) أي هيأنا (جهنم للكافرين نزلا) أي منزل لا قال ابن عباس رضى الله عنهما هي مشواهم وقيل مغدة لهم عندنا كالنزل للضيف قوله تعالى (قل هل نبشكم بالآخسر من اعمالا) يعنى الذين اتعبوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلا ونوا لاقتالوا هلا كانوا اقال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع وقال علي بن ابي طالب هم أهل حروراء يعنى الخوارج (الذين ضل سعيهم)

ما ظنوا وقيل ان بصلتهم اسد مدفعولى أخسب وعبادى أولياء مفعولا ان يتخذوا وهذا أوجه يعنى انهم لا يذكرون لهم أولياء (انا أعذنا) أي هيأنا (جهنم للكافرين نزلا) هو ما يقام للنزول وهو الضيف وضوء فشرهم بعذاب أليم (قل هل نبشكم بالآخسر من اعمالا) اعمالا عسيرا وانما جمع والقيام ان يكون مفرد التنوع الا هواء وهم أهل الكتاب او الرهبان (الذين ضل سعيهم) ضاع وبطل وهو في محل الرفع أي هم الذين

(في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فخبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار (ذلك جزاؤهم جهنم) هي عطف ببيان جزاؤهم (بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) أي جزاؤهم جهنم يكفرهم واستنزاهم بآيات الله ورسله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها) حال (لا يبغون عنها حولا) نحو لا إلى (٢٢٤) غير هارضا بما أعطوا يقال حل من مكانه حولا أي لا هي يد عليها حتى تنازعهم أنفسهم إلى

أي بطل عملهم واجتهادهم (في الحياة الدنيا وهم يحسبون) أي يظنون (أنهم يحسنون صنعا) أي عملا ثم وصفهم فقال تعالى (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه) يعني أنهم سجدوا دلائل توحيده وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لأنهم كفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الأشياء (فخبطت أعمالهم) أي بطلت (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) قيل لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما توضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين لبتيزه مقدار اطاعات ومقدار اسيئات قال أبو سعيد الخدري يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم من العظم كجبال تمامه فإذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقيل معناه نؤدريهم فليس لهم عندنا حظ ولا قدر ولا وزن (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه يأتي الرجل العظيم السبعين يوم القيامة لا يزن عنده الله جناح بعوضة وقال أقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من جبوط أعمالهم وخسرة قدرهم ثم ابتدأ فقال تعالى (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) يعني سخريه واستهزاء قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سألت الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرج أنهار الجنة قال كعب ليس في الجنة جنة أعلى من جنة الفردوس فيها إلا أمرؤ بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها وقيل الفردوس هو البستان الذي فيه الاعناب وقيل هي الجنة الملتفة بالاشجار التي تنبت ضربا من الثبات وقيل الفردوس البستان بالرومية وقيل بلسان الحبش منقول إلى العربية نزلا هو ما يجيء للنازل على معنى كانت لهم غار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وقيل في معنى كانت لهم أي في علم الله تعالى قبل ان يخلقوا (خالدين فيها لا يبغون) أي لا يطلبون (عنها حولا) أي نحو لا إلى غيرها قال ابن عباس لا يريدون ان يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار إذا لم يوافقها إلى دار أخرى قوله تعالى (قل لو كان البحر ممداد الكلمات ربي) قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم اننا قد اتينا الحكمة وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل وما أوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود أوتينا العلم التوراة وفيها علم كل شئ فانزل الله تعالى قل لو كان البحر ممداد الكلمات ربي أي ما يستمده الكاتب ويكتب به وأصله من الزيادة قال مجاهد لو كان البحر ممداد القلم والعلم يكتب قبل الخلاق يكتبون (لنفذ البحر) أي لنفد ماؤه (قبل أن تنفذ كلمات ربي) ولوجئنا بجملة (مداد) والمعنى ولو كان الخلاق يكتبون والبحر عددهم لفي ماء البحر ولم تكن كلمات ربي ولو جئنا بجملة ماء البحر في كثرة مدد أو زيادة قوله تعالى (قل انما أنا بشر مثلكم) قال ابن عباس علم الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم التواضع لئلا يزهى على خلقه فاهم ان يفرق قول أنا آدمي مثلكم الا أني خصصت بالوحي وأكرمني الله به وهو قوله تعالى (يوحى الى انما الحكم الواحد) لا شريك له في ملكه (فن كان يرجو لقاء ربه) أي يخاف المصير اليه وقيل يؤمل رؤيته ربه (فليعمل عملا صالحا) أي من حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير اليه فليستعمل نفسه في العمل الصالح (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)

أجمع لا غرضهم وأمانيتهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامع ما نل الطرف إلى أرفع منه والمراد في التحول وتأكيده الخلود (قل لو كان البحر) أي ماء البحر (ممداد الكلمات ربي) قال أبو عبيدة الممداد ما يكتب به أي لو كتب كلمات علم الله وحكمته به وكان البحر ممداد الهاء والمراد بالبحر الجنس (لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بجملة) بمثل البحر (مداد) لنفد أيضا والكلمات غير نافذة ومدد تمييز نحو إلى مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما عديده ينفذ حزة وعلى وقيل قال حي بن أخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تفرق وما أوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه فطرة من بحر كلمات الله (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الحكم الواحد فن كان يرجو لقاء ربه) فن كان يأمل حسن لقاء ربه وان

أي

يلقاء لقاء رضا وقبول أو فن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد باللقاء القدوم عليه وقيل رؤيته كما هو

حقيقة اللفظ والرجاء على هذا المجرى على حقيقته (فليعمل عملا صالحا) خالصا لا يريد به الاوجه ربه ولا يخلط به غيره وعن يحيى بن معاذ هو ما لا يستحي منه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) هو نهي عن الشرك أو عن الرياء قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف فهو معصوم غايته أيام من كل فتنة تكون فان يخرج الدجال في ثلاث المائتين

عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ قل اغناأنا بشر مثلكم يوحى الى الى آخرها عند مضجعه كان له نور يتلأل من مضجعه الى مكانه حشور ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وان كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور يتلأل من مضجعه الى البيت المعمور وحشور ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ ﴿سورة مريم عليها السلام﴾ مكية وهي ثمان وتسعون آية مدني وشاحي ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (كهيعص) قال السدي هو اسم الله الاعظم وقيل هو اسم للسورة قرأ على ويحيى بكسر الهمزة والياء ونافع بن الفتح والكسري والفتح اقرب وأبو عمرو بكسر الهمزة وفتح الباء وحزرة بمكة وغيرهم يفتحها (ذكر رجعة ربن) خبر ميسد أي هذا ذكر (عبد) مفعول الرجعة (زكريا) بالقصر حزة (٢٢٥) وعلى وحفص بدل من عبده

(اذ) ظرف للرجعة (نادى

ربه نداء خفيا) دعاء دعاء سرا

كما هو المأمور به وهو بعد

عن الرياء واقرب الى الصفاء

أو أخفاه لئلا يلام على طلب

الولد في أو ان الكبر لانه

كان ابن خمس وسبعين أو

ثمانين سنة (قال رب) هذا

تفسير الدعاء وأصله ياربى

فحذف حرف النداء والمضاف

اليه اختصارا (انى) ومن

العظم منى) ضعف وخص

العظم لانه عمود البدن وبه

قوامه فاذا وهن تداعى

وتساقطت قوته ولانه أشد

ما فيه وأصله فاذا وهن

كان ما وراءه أو وهن ووحده

لان الواحد هو الدال على

معنى الجنسية والمراد ان

هذا الجنس الذى هو العمود

والقوام وأشد ما تركب

منه الجسد قد أصابه الوهن

(واشعل الرأس شيئا)

تتميز اى فشا فى رأسى الشيب

واشعلت النار اذا انفرت

أى لا يراى بعلمه ولما كان العمل الصالح قد برأ به وجهه الله سبحانه وتعالى وقد برأ به الرياء والسعيه اعتبر فيه قبل ان أحدهما ان يراد به الله سبحانه وتعالى والثاني أن يكون مبرأ من جهات الشرك جميعها (ن) عن جند بن عبد الله الجبلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع مع الله به ومن برأى يرائى الله به قوله من سمع مع الله به أى من عمل عملا مبرا آة للناس يشتر بذلك شهره الله يوم القيامة وقيل سمع الله به أى أسعده المكروه (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه ولغير مسلم فأنا منه بريء وهو الذى عمله عن سعيه من أى فضالة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشرك فى عمل عمله لله أحد افيل طلب ثوابه منه فان الله أغنى الشركاء عن الشرك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف عليكم الشرك الا الصغرى والواو ما الشرك الا صغرى قال الرياء (م) عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفى رواية من آخرها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة مريم عليها السلام﴾

هى مكية وهى ثمان وتسعون آية وثمانون وسبعمائة كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة حرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (كهيعص) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل اسم للقرآن وقيل للسورة وقيل هو قسم أقسم الله تعالى به وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل معناه كاف خلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم بربه صادق فى وعده (ذكر) أى هذا الذى نتلو عليك ذكر (رجعه ربك عبده زكريا) قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا رجسته (اذ نادى) أى دعا (رب) فى المحراب (نداء خفيا) أى دعاء سرا من قومه فى جوف الليل وقيل راعى سنة الله فى إخفاء دعائه لان الجهر والاسرار عند الله تعالى سميان لكن الإخفاء أولى لانه أبعد عن الرياء وأدخل فى الإخلاص وقيل أخفاه لئلا يلام على طلب الولد فى زمن الشيوخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله تعالى (قال رب انى وهن) أى رقق وضعف (العظم منى) أى من الكبر وقيل اشتكى سقوط الأضراس (واشعل الرأس) أى ابيض الشعر (شيئا) أى

(٢٩ - خازن ثالث) فى التها بها وصارت شعلا فشب الشيب بشواظ النار فى بياضه وانتشاره فى الشعر وأخذه

منه كل مأخذ كاشتعال النار ولا ترى كالأفصح من هذا ألا ترى ان أصل الكلام يارب قد شئت اذ الشيوخوخة تشتمل على ضعف البدن

وشيب الرأس المتعرض لها وأقوى منه ضعف بدنى وشاب رأى فقيه من يد التفصيل وأقوى منه وهنت عظام بدنى فقيه عدول

عن التصريح الى الكناية فهى أبلغ منه وأقوى منه أنا وهنت عظام بدنى وأقوى منه انى وهنت عظام بدنى وأقوى منه انى وهنت العظام

من بدنى فقيه سألوك طريق الاجال والتفصيل وأقوى منه انى وهنت العظام منى فقيه ترك توسيط البدن وأقوى منه انى وهنت العظم

منى لشمول الوهن العظام فردا باعبار ترك جميع العظم الى الأفراد لعمدة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد ولهاذا تركت

الحقيقة فى شاب رأى الى أبلغ وهى الاستمراره فحصل اشتعل شيب رأى وأبلغ منه اشتعل رأى شيب الاسناد الاشتمال الى مكان

الشعر ومنه وهو الرأس لا فائدة شعول الاشتغال الرأس اذ وزان اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيبا وزان اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي نادرا والفرق نير ولا ن فيه الاجمال والتفصيل كما عرف في طريق التمييز وبلغ منه واشتعل الرأس مني شيبا لما هو وبلغ منه واشتعل الرأس شيبا فقيه اكتفاء بعلم مخاطب انه رأس زكريا بقربنة العطف على وهن العظم (ولم أكن بدعا ثلث) مصدر مضاف الى المفعول أي بدعائي اياك (رب شقيا) أي كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا به غير شقي فيه يقال سعد فلان بجاهته اذا ظهر بها وشقي اذا خاب ولم ينلها وعن بعضهم ان محمدا جاسا له وقال أنا الذي أحسنت الى وقت كذا فقال مر حبا عن توسل بنا اليها وقت حاجته وقضى حاجته (واني خفت الموالي) هم عصيته اخوته وبنو عمه وكافوا ثم اراد بنى اسرائيل خفافهم ان يغيروا الدين وان لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدي به في احباء الدين (من ورائي) بعد موتي وبالقصر وقع الياء كهداي مكى وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لان وجود خوفه بعد موته لا يتصور ولكن بعد موتي أو بمعنى الولاية في الموالي أي خفت فعل الموالي وهو تبدل بهم وسوء خلافتهم من ورائي أو خفت الذين يلون الامر من ورائي (وكانت (٣٣٦) امرأتى عاقرا) عقيما لانك (فهب لي من لدنك) اخترع اسمك بالاسباب لان امرأتى لا تصلح للولادة

شخط (ولم أكن بدعا ثلث رب شقيا) أي عودتي الاجابة فيما مضى ولم تخيبي وقيل معناه لم ادعوني الى الايمان آمنتم ولم تشق بترك الايمان (واني خفت الموالي من ورائي) أي من بعد موتي والموالي هم بنو النعم وقيل العصبة وقيل الكلاله وقيل جميع الورثة (وكانت امرأتى عاقرا) أي لا تلد (فهب لي من لدنك وليا) أي أعطني من عندك ولدا مرضيا (يرثني ويرث من آل يعقوب) أي وليا اذا ارشاد وقيل أراد به يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والجبورة وقيل أراد ميراث النبوة والعلم وقيل أراد به الجبورة لان زكريا كان رأس الاحبار والاولى ان يحمل على ميراث غير المال لان الانبياء لم يورثوا المال وانما يورثون العلم ويعد من زكريا وهو نبي من الانبياء ان يشفق على ماله ان يرثه بنو عمه وانما خاف ان يضيع بنو عمه دين الله ويغيروا أحكامه وذلك لما أن شاهدا من بنى اسرائيل تبدل الدين وقتل الانبياء فقال رب ولد صالحا يأمنه على أمته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس (واجعله رب مرضيا) أي برا تقيا مرضيا (يا زكريا) المعنى فاستجاب الله له دعاء فقال يا زكريا (انا نبشرك بكلاما) أي بولد ذكر (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) أي لم نسم أحدا قبله يحيى وقيل معناه لم نجعل له شيئا ومثلا وذلك لانه لم يعص الله ولم يسم بمصيبة قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا قيل لم يرد الله تعالى بذلك اجتماع الفضائل كلها اليه واغما أراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه (قال رب أنى يكون لى) أي من أين يكون لى (غلام وكانت امرأتى عاقرا) أي وامرأتى عاقرا (وقد بلغت من الكبر عتيا) أي بأسا يريد بذلك فحول الجسم ودقة العظم وفحول الجلد (قال كذلك قال ربك هو على هين) أي يسير (وقد خلقناك من قبل) أي من قبل يحيى (ولم نك شيئا قال رب اجعل لى آية) أي دلالة على حمل امرأتى (قال آيتك) أي علامتك (أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) أي صحبا سليما من غير ما بأس ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول أصح قيل انه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فاذا أراد ذكر الله اطلق لسانه ﴿قوله عز وجل﴾ (نخرج على قومه من المحراب) أي من الموضع الذى كان يصلى فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج اليهم زكريا متغيرا لونه فأنكروا ذلك

(ولما) انبأ لى أمر ك بعدى (يرثني ويرث) برفعهما صفة لوليا أي هب لى ولدا وارثا منى العلم ومن آل يعقوب النبوة ومعنى وراثته النبوة انه يصلح لان يوحى اليه ولم يرد ان نفس النبوة تورث ويحيزهما أبو عمرو وأبو علي على انه جواب للدعاء يقال وراثته وورثت منه (من آل يعقوب) يعقوب بن اسحق (واجعله رب مرضيا) مرضيا ترضاه أو مرضيا عنك وبجعله فاجاب الله تعالى دعاءه وقال (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) فو لى الله سميته نشره يقاله نبشرك بالتخفيف حمزة (لم نجعل له من قبل سميا) لم يسم أحد يحيى قبله وهذا دليل على ان الاسم الغريب جدير بالاثرة وقيل مثلا

وشبه اولم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يسم بمصيبة قط وانه ولد بين شيخ وعجوز وانه كان حصورا فلما بشرته الملائكة به (قال رب عليه انى كيف يكون لى غلام) وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف انه باى طريق يكون أبو هب له وهو امرأته بتلك الحال أم يحولان شابين (وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أي بلغت عتيا وهو اليأس والجلساوة في المفاسل والعظام كالعود اليابس من أجل الكبر والظعن في السن العالية عتيا وصلبا وجنبا وبكيا كسر الاوائل حمزة وعلى وحفص الا فى بكيا (قال كذلك) الكاف رفع أى الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ (قال ربك) أو نصب يقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره (هو على هين) أى خلق يحيى من كبيرين سهل (وقد خلقناك من قبل) أو وجدتك من قبل يحيى خلقناك حمزة وعلى (ولم نك شيئا) لان المعلوم ليس بشئ (قال رب اجعل لى آية) علامة أعرف بها حمل امرأتى (قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) حال من ضمير تكلم أى حال كونه سوى الاعضاء واللسان يعنى علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح ما بلك خرس ولا تكمل ذلك لالى هنا والايام فى آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام وليالين اذ ذكر الايام يتناول ما بآزانه من اللالى الى يتناول ما بآزانه من الايام عرفا (نخرج على قومه من المحراب)

من موضع صلواته وكأولاً ينتظرونه ولم يقدر أن يتكلم (فأوحى إليهم) أشار بأصبعه (أن سجوا) صلوا وان هي المفردة (بكرة وعشياً) صلاة الفجر والعصر (يا يحيى) أى وهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته وأوان الخطاب يا يحيى (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) حال أى يجود واستظهار بالتوفيق والتأييد (وآتيناه الحكم) الحكمة وهو فهم التوراة والفقه فى الدين (صياً) حال (٢٣٧) قيل دعاه الصبيان إلى اللعب وهو

صبي فقال ما للعب خلقنا (وحنا) شفقة ورحمة لا يويه وغيرهما عطفاً على الحكم (من لدنا) من عندنا (وزكاة) أى طهارة وصلاً حافظاً بعد مدبذب (وكان تقياً) مسلماً مطيعاً (وبرأؤا الله) وبارأهم لا يعصمهما (ولم يكن جباراً) متكبراً (عصياً) عاصياً لربه (وسلام عليه) أمان من الله له (يوم ولد) من أن يناله الشيطان (ويوم يموت) من قتلى القبر (ويوم بيعت حياً) من الفرع الأكبر قال ابن عيينة أنها أوحش المواطن من (واذكر) يا محمد (فى الكتاب) القرآن (مريم) أى اقرأ عليهم فى القرآن قصة مريم ليعرفوا علمها ويعلموا ما جرى عليها (اذ) بدل من مريم بدل اشتغال الأحياء مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه (انتبذت من أهلها) أى اعتزلت (مكناً) ظرف (شرقاً) أى تخلت للعبادة فى مكان مما يلي شرف بيت المقدس أو من دارها منزلة

عليه وقالوا مالك (فأوحى) أى فأومأ وأشار (إليهم) وقيل كتب إليهم فى الأرض (أن سجوا) أى صلوا لله (بكرة وعشياً) المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشياً فبارأهم بالصلاة فلما كان وقت جل امرأته ومنع من الكلام خرج إليهم فأمرهم بالصلاة إشارة (قوله عز وجل) (يا يحيى) فيه اضمحار ومعناه وهبنا له يحيى وقلنا له يا يحيى (خذ الكتاب) أى التوراة (بقوة) أى يجود واجتهاد (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس يعنى النبوة (صياً) وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى أحكم عقله وأوحى إليه فان قلت كيف يصح حصول العقل واللفظة والنبوة قلت لان أصل النبوة مبنى على خرق العادات اذ انت هذا فلا تمنع صيرورة العبي نبياً وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو من أوتى الحكم صيغاً (وحنا) من لدنا أى رحمة من عندنا قال الخطيبه بخطاب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

تحن على هذا المليك * فان لكل مقام مقالاً

أى نرحم على (وزكاة) قال ابن عباس يعنى بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هى العمل الصالح ومعنى الآية وآتيناه وجهه من عندنا ونحنناه على العباد ليدعوه إلى طاعة ربهم وعمل الصالحات اخلاصه (وكان تقياً) أى مسلماً مخلصاً مطيعاً وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهمل (وبرأؤا الله) أى بارأ طيفاً بما حسنا اليها لانه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى أعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه والوالدين احساناً الآية (ولم يكن جباراً) الجبار المتكبر وقيل الذى يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذى لا يرى لاحد على نفسه حقاً وهو من التعظيم بنفسه يرى أن لا يلزمه قضاء لاحد (عصياً) قيل هو أبلغ من العاصى والمراد وصف يحيى بالنواضع ولين الجانب وهو من صفات المؤمنين (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) معناه وأمان له من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان كما ينال سائر بني آدم وأمان له يوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حياً من عذاب يوم القيامة وقيل أوحش ما يكون الخلق فى ثلاثة مواطن يوم يولد لانه يرى نفسه خارجاً من مكان قد كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوماً ما شاهداهم قط ويوم يبعث لانه يرى مشهداً عظيماً فأكرم الله تعالى يحيى فى هذه المواطن كلها انخصه بالسلامة فيها (قوله عز وجل) (واذكر فى الكتاب) أى فى القرآن (مريم) اذا انتبذت أى تحت واعتزلت (من أهلها) أى من قومها (مكناً شرقياً) أى مكاناً فى الدار مما يلي المشرق وكان ذلك اليوم شاتياً شديد البرد فجلست فى مشرقه تغلى رأسها وقيل ان مريم كانت قد طهرت من الحيض فذهبت تغتسل قبل ولدها المعنى اتخذت المنارى المشرق قبلة (فانتخذت) أى فضربت (من دونهم حجاً) قال ابن عباس أى سترأوفيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون فى المسجد فاذا حاضت تحوالت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فحينما هى تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها جبريل فى صورة شاب أمر دوشى الوجهه سوى الخلق فذلك قوله تعالى (فأرسلنا اليها روحنا) يعنى جبريل (فتمثل لها بشراً سوياً) أى سوى الخلق لم ينقص من الصورة الآدمية شيئاً وانما مثل لها فى صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولولبداها فى صورة الملائكة لتفتر عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح عيسى جاء فى صورة بشر فحملت به والقول الاول أصح فلما رأت مريم

عن الناس وقيل قدعت فى مشرقه للاغتسال من الحيض (فانتخذت من دونهم حجاً) جعلت بينها وبين أهلها حجاً يسترها تغتسل وراءه (فأرسلنا اليها روحنا) جبريل عليه السلام والاضافة للشعرى فو انما سمى روحاً لان الدين يحيا به وروحيه (فتمثل لها بشراً) أى تمثل لها جبريل فى صورة آدمى شاب أمر دوشى الوجه جسد الشعر (سوياً) مستوى الخلق وانما مثل لها فى صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولولبداها فى صورة الملائكة لتفتر ولم تقدر على استماع كلامه

(قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت نبيا) اي ان كان يربى منك ان تنق الله فاني عائدة به منك (قال) جبريل عليه السلام (اغنا أنا رسول ربك) أمهم بما خاف وأخبر أنه ليس بأدنى بل هو رسول من أسسها ذات به (لا هب لك) باذن الله تعالى أولا كون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع ليهب لك اي (٢٣٨) الله أبو عمرو ونافع (غلاما زكيا) طاهرا من الذنوب أو ناميا على الخير والبركة (قالت

جبريل عليه السلام يقصد نحوها بادرت من بعيد (قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت نبيا) اي مؤمنا مطيعا لله تعالى دل نعوذها من تلك الصورة الحسنة على غفها وورعها فاب قلت اغنا بسنة عاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت نبيا قالت هذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمني اي ينبغي أن يكون ايمانك ما نعالك من الظلم كذلك ههنا معناه ينبغي أن تكون تقى والى مانعة لك من الفجور (قال) لها جبريل عليه السلام (اغنا أنارسل ربك لاهب) أسند الفعل اليه وان كانت الهبة من الله تعالى لانه أرسل به (لك غلاما زكيا) قال ابن عباس ولدا صالحا طاهرا من الذنوب (قالت) مريم (اني يكون لي) اي من أين يكون لي (غلام ولم يمسسني بشر) اي ولم يقر بني زوج (ولم أك بغيا) اي فاجرة تريد ان الولد اغنا يكون من نكاح أوسفاح ولم يكن ههنا واحدا منهما (قال) جبريل (كذلك قال ربك) اي هكذا قال ربك (هو على هين) اي خلق ولدك بلا أب (ولنجعله آية للناس) اي علامة لهم ودلالة على قدرتنا (ورحمته منا) اي ونعمه لمن تبعه على دينه الى بعثته محمد صلى الله عليه وسلم (وكان أمرا مقضيا) اي محكوما مفروغا منه لا رد ولا تبدل ﴿ قوله عز وجل ﴾ (فحملته) قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت حين لبست الدرع وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ في الجيب وقيل نفخ في كها وقيل في ذبلها وقيل في فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها فحملت بعيسى عليه السلام في الحال (فانبتت به) اي فلما حملته نبت بالحمل وانفردت (مكنا ناصبيا) اي بعيدا من أهلها قال ابن عباس أقصى الوادي وهو بيت لحم فرار من أهلها وقومها ان يعبروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة وصورت في ساعة ووضعت في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر الحوامل من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر وذلك آية أخرى له لانه لا يعيش من ولد ثمانية أشهر وولد عيسى اهذه المدة وعاش وقيل ولد تسعة أشهر وهي بنت عشرين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى وقال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف التجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي عنده جبل صهيون وكانا يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من أهل زمانهما أحد أشد عبادة واجتهادا منهما وأول من علم بحمل مريم يوسف فبقى مخبرا في أمرها كلما أراد ان يتم هذا كرم عبادتها وصلاحها وانها لم تغب عنه واذا أراد ان يبرئها رأى ما ظهر منها من الحمل فأول ما تكلم به ان قال انه وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على كتمانها فقلبتني ذلك قرأت ان أن تكلم به أشفي صدري فقالت قل قولاجيلا قال أخبرني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل ينبت شجر بغير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم ان الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ألم تر ان الله أنبت الشجرة بالقدرة من غير غيث أو تقول ان الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انبائها قال يوسف لا أقول هذا ولكني أقول ان الله تعالى يقدر على كل شيء يقول له كن فيكون قالت له مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى فعند ذلك زال ما عنده من التهمة وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليا بسبب الحمل فلما دنت ولادتها أوحى الله اليها أن اخرجي من أرض قومك فذلك قوله تعالى

(اني) كيف (يكون لي غلام) ابن (ولم يمسسني بشر) زوج بالنكاح (ولم أك بغيا) فاجرة تبغي الرجال أي تطلب الشهوة من اي رجل كان ولا يكون الولد عادة الامن أحد هذين والنبى فعول عند المبرد بغوى فقلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت الغين اتباعا للذالم تلحق ناء التانيث كالم تلحق في امرأه صبور وشكور وعند غيره هي فعيل ولم تلحقها الهاء لانها تفعلى مفعولة وان كانت بمعنى فاعلة فهو قد شبه به مثل ان رحمه الله قريب (قال) جبريل (كذلك) اي الامر كما قلت لم يمسك رجل نكاحا أوسفاحا (قال ربك هو على هين) اي اعطاء الولد بلا أب على سهل (ولنجعله آية للناس) لتعليل معناه محذوف اي ولنجعله آية للناس فعلمنا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمر اي لتبين به قدرتنا ولنجعله آية للناس اي عبرة وبرها ناعلى قدرتنا (ورحمته منا) لمن آمن به (وكان خلق عيسى) أمرا مقضيا (مقدرا مسطورا في اللوح) فلما اطمانت الى

قوله دنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها (فحملته) اي الموهوب وكان سنها ثلاث عشرة سنة أو عشرين (فانبتت به) اعتزلت وهو في بطنها والجار والمجرور في موضع الحال عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة واحدة كحاملته نبذته وقيل ستة أشهر وقيل سبعة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل حملته في ساعة ووضعت في ساعة (مكنا ناصبيا) بعيدا من أهلها وراء الجبل وذلك لانها لما أحست بالحمل هربت من قومها مخافة الاثم

(فأجاءها) جاءها وقيل ألجأها وهو منقول من جاء الا ان استعمله قد تغير بعد النقل الى معنى الاجاء الا ان لا تقول جئت المكان وأجاءني به زيد (المخاض) وجع الولادة (الى جذع النخلة) أصلها وكانت يابسة وكان الوقت شتاء وتغير بفهام شعرباً أنها كانت نخلة معروفة وجران أن يكون التعريف للجنس اى جذع هذه الشجرة كأنه تعالى أرشدنا الى النخلة ليطعمهم منها الرطب لانه خرسنة النفساء اى طعمها هام (قالت) جزعاً لما أصابها (بالمتنى مت قبل هذا) اليوم مدني وكوفي غير أبي بكر وغيرهم بالضم يقال مات يموت ومات يمات (وكنتم نسيا منسيا) شيئاً متر وكالا يعرف ولا يذكّر بفتح النون حزة وحفص وبالكسر غيرهم ومعناها واحد وهو الشئ الذي حقه ان يطرح وينسى لحقارته (فناداها من تحتها) اى الذي تحتها فن فاعل وهو جبريل عليه السلام لانه كان عاكفاً منخفضاً عنها وعيسى عليه السلام لانه خاطبها من تحت ذيلها من تحتها مدني وكوفي سوى أبي بكر والفاعل مضمر وهو عيسى عليه السلام أو جبريل والهاء في تحتها للنخلة ولشدة ما لقيت سابت بقوله (أن لا تحزنى) لا تمتمى بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس وان بمعنى اى (قد جعل ربك تحتك) بقرين أو تحت أمرك ان أمرته ان يجرى جرى وان أمرته ان يقف وقف (سرياً) ثم را صغيراً عند الجهور وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السرى فقال هو الجدول وعن الحسن سيداً كرمياً بمعنى عيسى عليه السلام (٢٢٩) وروى ان خالد بن صفوان قال له ان العرب تسمى الجدول سرياً فقال

الحسن صدقت ورجع الى قوله وقال ابن عباس رضى الله عنهما ضرب عيسى أو جبريل عليه السلام بعقبه الارض فظهرت عين ماء عذب فجري النهر اليابس فاخضرت النخلة وأثمرت وأبنت ثمرها فقبل لها (وهزى) حركى (البك) الى نفسك (يجذع النخلة) قال أبو علي الباء زائدة اى هزى جذع النخلة (تساقط عليه) بادغام التاء الاولى فى الثانية مكى ومدنى وشامى وأبو عمرو وعلى وأبو بكر والاصل تساقط باظهار التاءين وتساقط بفتح التاء

فانبتت به مكاناً قصيباً قوله عز وجل (فأجاءها المخاض) اى ألجأها وجاءها والمخاض وجع الولادة (الى جذع النخلة) وكانت نخلة يبست فى الصحراء فى شدة البرد ولم يكن لها سعف وقيل التجأت اليها تستند اليها وتستسكن بها من شدة الطلق ووجع الولادة (قالت بالمتنى مت قبل هذا) غدت الموت استحياء من الناس وخوفاً من الفضيحة (وكنتم نسيا منسيا) يعنى شيئاً حقيراً متر وكالم يذكّر ولم يعرف لحقارته رقيق جيفة ملقاة وقيل معناه انهم اغتفت انهم لم يخلقوا (فناداها من تحتها) قيل ان مريم كانت على أكمة وجبريل وراء الاكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من بطن أمه ناداها (أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سرياً) اى ثم قال ابن عباس رضى الله عنهما ضرب جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله فى الارض فظهرت عين ماء عذبة وجرى وقيل كان هناك ثم ربابس فجري فيه الماء بقدره الله سبحانه وتعالى وحنّت النخلة اليابسة فأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل معنى تحتك اى تحت أمرك ان أمرته ان يجرى جرى وان أمرته بالامساك أمسك وقيل معنى سرياً اى عيسى وكان عبداً سرياً ربيعاً (وهزى اليك) اى حركى اليك (يجذع النخلة تساقط عليه) قيل الجنى الذى يبلغ الغاية وجاء أو ان اجتمعا قال الربيع بن خثيم ما للنفساء عندى خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل (فكلى واشربى) اى يا مريم كلى من الرطب واشربى من النهر (وقرى عيناً) اى طيبي نفساً وقيل قورى عينك بولدك عيسى يقال أقر الله عينك اى صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك عن النظر الى غيره (فأما ترين من البشر أحداً) معناه يـأ لك عن ولدك (فقللى انى نذرت للرحمن صوماً) اى صمتاً قبل كان فى بنى اسرائيل من أراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى عسى وقيل ان الله أمرها ان تقول هذا اشارة وقيل أمرها ان تقول هذا القول نطقاً ثم عكس عن الكلام بعده وانما منعت

والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين حزة وتساقط بفتح الياء والاقاف وتشديد السين يعقوب وسهل وحامد ونصير وتساقط حفص من المفاعلة وتسقط وتسقط وتسقط التاء للنخلة والياء للجذع فهذه تسع قرات (رطباً) تمييزاً ومفعول به على حسب القراءة (جنبا) طرباً وقالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض من العسل (فكلى) من الجنى (واشربى) من السرى (وقرى عيناً) بالولد الرضى وعينا تمييزاً اى طيبي نفساً بعيسى وارضى عينك ما أحرزك (فأما) أصله ان ما فضنت ان الشرطية الى ما وادغمت فيها (ترين من البشر أحداً) فقللى انى نذرت للرحمن صوماً اى فان رأيت آدمياً يسألك عن حالك فقللى انى نذرت للرحمن صمتاً وأما كعن الكلام وكافوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الاكل والشرب وقبل صياماً حقيقة وكان صياماً مهم فيه الصمت فكان التزامه التزامه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت فصارت ذلك منسوخة وانما أمرت ان تترك السكوت لان عيسى عليه السلام يكفينا الكلام بما يبرىء بساحتها ولا لتجادل السفهاء وفيه دليل على ان السكوت عن السفهاء واجب وما قدع سفيه بمنزل الاعراض ولا أطلق عنه بمنزل الاعراض وانما أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالاشارة وقد نهى الاشارة كلاً ما قولاً الا ترى الى قول الشاعر فى وصف القبور * ونكمت عن أوجهه تبلى * وقبل كان وجوب الصمت بعده هذا الكلام أو سوغ لها هذا القدر بالنطق

(فلن أكلم اليوم انبيا) آدميا (فأنت به) يعيسى (فومها) بعد ما ظهرت من نفاسها (نحمله) حال منها أي أقبلت نحوهم حاملة إياه فلما رأوه معها (قالوا يا مريم لقد جننت شيئا فريا) (٣٣٠) بديعا عجيبا أو الفرى القطع كأنه يقطع العادة (يا أخت هرون) وكان أخاها

من النبلاء ومن أفضل بني إسرائيل وهو أخو موسى عليه السلام وكانت من أعقابها وبينهما ألف سنة وهذا كما يقال بالآخاهمدان أي بأواحد منهم أو رجل صالح أو طالح في زمانها شبهوها به في الصلاح أو شتموها به (ما كان أبوك) عمران (أمرأ سوء) زانية (وما كانت أمك) حنثة (بغيا) زانية (فأشارت إليه) إلى عيسى أن يحجبهم وذلك أن عيسى عليه السلام قال لها لا تخزني واحبلي بالجواب هل وقيل امرها جبريل بذلك ولما أشارت إليه غضبوا وتجنبوا (وقالوا كيف نكلم من كان) حديث ورجد (في المهدي) اليهود (صيا) حال (قال في عبد الله) ولما استكنت بأمر الله إياها الناطق انطق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية وهو ابن أربعين ليلة أو ابن يوم روى أنه أشار بسبانه وقال بصوت رفيع أي عبد الله وفيه رد لقول النصارى (آتاني الكتاب) الانجيل (وجعلني نبيا) روى عن الحسن أنه كان في المهدي نبيا وكلامه معجزته وقيل معناه أن ذلك سبق في فضائه أو جعل الآتي لآماله كأنه وجد (وجعلني مباركا أينما كنت) نفاعا حيث كنت أو معلما للغير (وأوصاني) وأمرني (بالصلاة) مادمت (والزكوة) أن أملك ما لا قبل صدقة الفطر أو تطهير البدن ويحتمل وأوصاني بأن أمركم بالصلاة والزكاة

من النبلاء ومن أفضل بني إسرائيل وهو أخو موسى عليه السلام وكانت من أعقابها وبينهما ألف سنة وهذا كما يقال بالآخاهمدان أي بأواحد منهم أو رجل صالح أو طالح في زمانها شبهوها به في الصلاح أو شتموها به (ما كان أبوك) عمران (أمرأ سوء) زانية (وما كانت أمك) حنثة (بغيا) زانية (فأشارت إليه) إلى عيسى أن يحجبهم وذلك أن عيسى عليه السلام قال لها لا تخزني واحبلي بالجواب هل وقيل امرها جبريل بذلك ولما أشارت إليه غضبوا وتجنبوا (وقالوا كيف نكلم من كان) حديث ورجد (في المهدي) اليهود (صيا) حال (قال في عبد الله) ولما استكنت بأمر الله إياها الناطق انطق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية وهو ابن أربعين ليلة أو ابن يوم روى أنه أشار بسبانه وقال بصوت رفيع أي عبد الله وفيه رد لقول النصارى (آتاني الكتاب) الانجيل (وجعلني نبيا) روى عن الحسن أنه كان في المهدي نبيا وكلامه معجزته وقيل معناه أن ذلك سبق في فضائه أو جعل الآتي لآماله كأنه وجد (وجعلني مباركا أينما كنت) نفاعا حيث كنت أو معلما للغير (وأوصاني) وأمرني (بالصلاة) مادمت (والزكوة) أن أملك ما لا قبل صدقة الفطر أو تطهير البدن ويحتمل وأوصاني بأن أمركم بالصلاة والزكاة

مادمت

لآماله كأنه وجد (وجعلني مباركا أينما كنت) نفاعا حيث كنت أو معلما للغير (وأوصاني) وأمرني (بالصلاة) مادمت (والزكوة) أن أملك ما لا قبل صدقة الفطر أو تطهير البدن ويحتمل وأوصاني بأن أمركم بالصلاة والزكاة

(مادمت حيا) نصب على الظرفى اى مدة حياتى (وبرابو الدنى) عطف على مبارك اى بارها كرمها واعظمها (ولم يجعلنى جبارا) منكبرا (شقيا) عاقا (والسلام على يوم ولدت) يوم ظرف والعامل فيه الظهور وهو على (ويوم اموت ويوم ابوت حيا) اى ذلك السلام الموجه الى يحيى فى المواطن الثلاثة موجه الى ان كان حرف التعريف للعهد وان كان للجنس فالعنى وجنس السلام على وفيه تعريض باللعنة على اعداء مريم وابنها لانه اذا قال وجنس السلام على فقد عرض بان ضده عليكم اذ المقام مقام مذاكرة وعناد فكان منتهى لئلا هذا التعريض (ذلك) مبتدأ (عيسى) خبره (ابن مريم) نعتيه اذ خبر ثبات اى ذلك الذى قال انى كذا وكذا عيسى ابن مريم لا كما قالت النصارى انه اله او ابن الله (قول الحق) كلمة الله فالقول للكلمة والحق الله وقيل له كلمة الله لانه ولد بقوله كن بلا واسطة اب وارتداعه على انه خبر بعد خبر وخبر مبتدأ محذوف او بدل من عيسى ونصبه شامى وعاصم على المدح او على المصداق قول الحق هو ابن مريم وليس بالله كما يدعونه (الذى فيه يترون) يشككون من المربة الشك أو يختلفون من المراءى فقالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة (ما كان لله) ما ينبغي له (ان يتخذ من ولد) جى بمن ائنا كيد النقي (سبحانه) زه ذاته عن اتخاذ (٢٣١) الولد اذ اقضى امر افاغيا يقول له كن

فيكون) بالنصب شامى
اى كما قال لعيسى كن فكان
من غير اب ومن كان متصفا
بهذا كان منزها ان يشبه
الحيوان الوالد (وان الله
ربى وربكم فاعبدوه)
بالسكسر شامى وكوفى على
الابتداء وهو من كلام عيسى
يعنى كما ناعبدوه فأتتم عبيده
على وعليكم ان تعبدوه ومن
فتح عطف على بالصلاة
اى واصلنى بالصلاة
وبازكاة وبان الله ربى
وربكم او علقه بما بعده
اى ولئن الله ربى وربكم
فاعبدوه (هذا) الذى
ذكرت (صراط مستقيم)
فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا
(فاختلف الأحزاب)
الحزب الفرقة المنفردة

(مادمت حيا) فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه اليه فى زمان جميع حياته حين كان فى الارض وحين
رفع الى السماء وحين ينزل الارض بعد رفعه (وبرابو الدنى) اى وجعلنى بربا للدنى (ولم يجعلنى جبارا
شقيا) اى عاصيا لربى منكبرا على الخلق بل انا خاضع متواضع وروى انه قال قلبى لين وأنا صغير فى نفسى
قال بعض العلماء لا يتحد العاق الا جبارا شقيا ولا هذه الآية وقيل الشقى الذى يذنب ولا يتوب (والسلام
على يوم ولدت) اى السلامة عند الولادة من طعن الشيطان (ويوم اموت) اى عند الموت من الشر
(ويوم ابوت حيا) اى من احوال يوم القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم سكنت عيسى بعد
فلم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الاطفال (ذلك عيسى ابن مريم) اى ذلك الذى قال انى عبد الله هو
عيسى بن مريم (قول الحق) اى هذا الكلام هو القول الحق اضاف القول الى الحق وقيل هو نعت عيسى
يعنى بذلك عيسى بن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله (الذى فيه يترون) اى يشككون ويختلفون فقال
يقول هو ابن الله وقائل يقول الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم زه نفسه عن
اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (ما كان لله ان يتخذ من ولد) اى ما كان من صفاته اتخاذ الولد ولا ينبغي له
ذلك (سبحانه اذ اقضى امرا) اى اذا اراد ان يحدث امرا (فاغيا يقول له كن فيكون) اى لا يتعذر عليه
اتخاذ على الوجه الذى اراده (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) هذا الخبر عن عيسى انه قال ذلك يعنى ولان
الله ربى وربكم لارب للخلق واتوا (هذا صراط مستقيم) اى هذا الذى اخبرتكم به ان الله امرنى به هو
الصراط المستقيم الذى يودى الى الجنة (فاختلف الأحزاب من بينهم) يعنى النصارى هموا اخرا بالانهم
تجزوا ثلاث فرق فى امر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم
عظيم) يعنى يوم القيامة حين (اسمعهم وابصر) اى ما سمعهم وابصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع
والبصر اخبر انهم يسمعون ويصرون فى الآخرة ما لم يسمعوا ويصروا فى الدنيا وقيل معناه انهم يدعوا
يسمعون ويصرون مما يسمونه ويصلح فلهم (يوم يا توننا) اى يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم

برأهم عن غير هاهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية (من بينهم) من بين اصحابه اومن بين قومه اومن بين الناس وذلك
ان النصارى اختلفوا فى عيسى حين رفع ثم انصفوا على ان يرجعوا الى قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم اهل زمانهم وهو يعقوب ونسطور
وملكان فقال يعقوب هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وقال نسطور كان ابن الله اظهره ماشاء ثم رفعه اليه وقال الثالث كانوا
كان عبد الخلق فاني اتبع كل واحد منهم قوم (فويل للذين كفروا) من الأحزاب اذ الواحد منهم على الحق (من مشهد يوم عظيم) هو يوم
القيامة اومن شهدهم هول الحساب والجزاء فى يوم القيامة اومن شهد ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء
وجوارحهم بالكفر اومن مكان الشهادة اوراقها والمراد يوم اجتماعهم للثأر وفيه جعله عظيما لفظاعة ما شهدوا به فى عيسى (اسمعهم
وابصرهم يا توننا) الجهور على ان لفظه امر ومعناه التجب والله تعالى لا يوصف بالتجب ولكن المراد ان اسمعهم وابصرهم جديرات
يتجب منهم ما بعد ما كانوا اعمى فى الدنيا قال قتادة ان سمعوا وعين الحق فى الدنيا فما اسمعهم وما ابصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم
وهم من رفيع المثل على القاعليه ككرم زيد فعنه كرم زيد جدا (لكن الظالمون اليوم) اقيم انما هو مقام المظهر اى لكنهم اليوم فى
الدنيا انظروهم انفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدى عليهم ووضعوا العبادة فى غير موضعتها

(في ضلال) عن الحق (مبين) ظاهر وهو اعتقادهم عيسى الهامع يهودا مع ظهور آيات الحوادث فيه اشعارا بان لا ظلم أشد من ظلمهم (وأنذرهم) خوفهم (يوم الحسرة) يوم القيامة لانه يقع فيه الندم على ما فات وفي الحديث اذا رآوا منازلهم في الجنة ان لو آمنوا (ان) بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة وهو مصدر (٣٣٣) (قضى الامر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار (وهم في غفلة)

في ضلال مبين) قيل أراد باليوم الدين يعني انهم في الدنيا في خطاين وفي الآخرة يعرفون الحق وقيل معناه لئلا يظن الظالمون في الآخرة في ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين ﴿قوله تعالى﴾ (وأنذرهم يوم الحسرة) يعني خوف يوم الحسرة يسمى بذلك لأن المسمى به ينسرح هلا أحسن العمل والحسن هلا زاد في الاحسان يدل عليه ما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد دعوت الاندم قالوا ما ندعه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لا يكون ازداوان كان مبيثا ندم أن لا يكون نزع أخرجه الترمذي قوله أن لا يكون نزع النزع عن الشيء الكف عنه وقال أكثر المفسرين يعني يوم الحسرة حين يذبح الموت (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناد يا أهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادى مناد آخر يا أهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا أهل الجنة خللوا بلاموت ويا أهل النار خللوا بلاموت ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده الى الدنيا زاد الترمذي فيه فلان أحداثات فرحلمات أهل الجنة ولو أن أحداثات خزائن الموت أهل النار قوله كهيئة كبش أملح أملح المختلط بالبياض والسواد قوله فيشرفون يقال أشرف الى الشيء اذا اطلع منظر البصر ومات نحوه نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم أن الموت عرض ليس يجسم في صورة كبش أو غيره فعلى هذا يأتى أول الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح فيموت فلا يبقى رجليه حياة ولا وجود وكذا الحال أهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهم الا زوال الهما ولا انتقال (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار حي بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة أحد الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار أحد الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة أخرجه البخاري ﴿قوله تعالى﴾ (اذقوا من الحساب) وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واذبح الموت (وهم في غفلة) أي عما يراهم في الآخرة (وهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون (اننا نحن نزلت الارض ومن عليها) أي غيب سكان الارض جميعا وبين الله سبحانه وتعالى وحده فيهم (والمتابرجعون) فنجزيهم بأعمالهم ﴿قوله عز وجل﴾ (وان في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا) أي كثير الصديق وهو مبالغة في كونه صديقا وقيل الصديق الكثير الصديق قيل من صدق الله في وحدانيته وصدق أنبياءه ورسوله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر فعمل بها فهو صديق ولما قربت رتبة الصديق من رتبة النبي انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا والنبي العالي في الرتبة بالرسالة الله اياه وأي رتبة أعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده (اذ قال لا يسه) يعني آزر وهو عبد الاصنام (يا أيها الذين آمنوا لا يسه) يعني صوتا (ولا يصبر) ولا ينظر شيئا (ولا يغني عنك) أي يكفيك (شيئا) وصف الاصنام بثلاثة أشياء كل واحد منها قادر في

هنا عن الاهتمام لذلك المقام (وهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون به وهم وهم حالان أي وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين (اننا نحن نزلت الارض ومن عليها) أي نتفرد بالملك والبقاء عند تعميم الهلاك والفناء وذكر من لتغليب العقلاء (والمتابرجعون) بضم التاء وفتح الجيم وفتح الياء يعقوب أي يردون فيجازون جزا بوقفا (واذكر) لقومنا (في الكتاب) القرآن (ابراهيم) قصته مع أبيه (انه كان صديقا نبيا) بغير همز وهمزة نافع قيل الصادق المستقيم في الافعال والصدق المستقيم في الاحوال فالصديق من أئمة المبالغة وتطهير التصديق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسوله أي كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين ابراهيم وبين ما هو بدل منه وهو (اذ قال) يجوز ان يتعلق اذ بكان أو به صديقا نبيا أي

كان جامعاً لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب آياه بتلك المخاطبات والمراد بكرا رسول اياه وقصته في الكتاب الالهية أن يتلوه على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم والا فانه عز وجل هذا كره ومورده في تنزيهه (لا يسه يا أيها الذين آمنوا) بغير التاء وفتح الهمزة وفتح الجيم بين العوض والمعوض منه (لم تعد لما لا يسمع ولا يبصر) المفعول فيهما مذني غير منوي ويجوز ان يقرأ لا يسمع شيئا ولا يبصر شيئا (ولا يغني عنك شيئا) يحتمل أن يكون شيئا في موضع المصدر أي شيئا

من الاغنام وان يكون مغفولاً به من قولك أغنى عني وجهك أي بعد (يا أبت اني قد جاءني من العلم) الوحي أو معرفة الرب (مالم بأنك) ماني
 مالا يسمع ومالم بأنك يجوز ان تكون موصولة أو موصوفة (فاتبعني أهلك) أرشدك (صراطاً سوياً) مستقيماً (يا أبت لا تعبد الشيطان)
 لا تطعه فبما سؤل من عبادة الصنم (ان الشيطان كان للرجن عصياً) حاصياً (يا أبت اني أخاف) قيل أعلم (أن عسك عذاب من الرجن
 فتكون الشيطان واباً) فربنا في النار نلبه ويطلبك فانظر في نصيحته كيف راعى المجاملة والرفق والخلق الحسن كما أمر في الحديث أوحى الى
 ابراهيم انك خلقت حسن خالقاً ولومع الكفر فاندخل مداخل الابرار فطلب منه أولاً العلة في خطئه طاب جنبه على غلبته موقظ لا فراطه
 وتناهيه لان من بعد أشرف الخلق منزلة قهرهم الانبياء كان محكوماً عليه بالهي المبين فكيف بمن بعد حجراً أو شجر أو يسبح ذكر عابده ولا يرى
 هبات عبادته ولا يرفع عنه بلا ولا يقضى له حاجة ثم تثنى بدعونه الى الحق مترقباًه (٢٣٣) متطافاً فلم يسم أباه بالجهل المفرط

ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه
 قال ان ممى شيئاً من العلم
 ليس معك وذلك علم الدلالة
 على الطريق السوي فذهب
 اني واباً في مسير وعندي
 معرفة بالهداية دونك
 فاتبعني أجن من أن أضل
 وتبته ثم ثلث بنبيه عما
 كان عليه بان الشيطان
 الذي عصى الرجن الذي
 جميع النعم منه أوقعت في
 عبادة الصنم وزينها لك
 فانت عابده في الحقيقة ثم
 رجع يتقو به سوء العاقبة
 وما يحرمه ما هو فيه من التبعة
 والوبال مع مراعاة الادب
 حيث لم يصرح بأن العقاب
 لاحق به وان العذاب لاصق
 به بل قال أخاف أن عسك
 عذاب بالتمسك المشهور
 بالتقبل كانه قال اني أخاف
 أن يصيبك نفيان من
 عذاب الرجن وجعل ولاية
 الشيطان ودخوله في جلة

الالهية وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم للعبود فلا يستحقها الا من له ولاية الانعام وله أوصاف
 الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق العبادة الا هو (يا أبت اني قد جاءني من العلم) يعني بالله والمعرفة (مالم
 بأنك فاتبعني) أي على ديني (أهلك صراطاً سوياً) أي مستقيماً (يا أبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه
 فبما زين لك من الكفر والشرك (ان الشيطان كان للرجن عصياً) أي حاصياً (يا أبت اني أخاف) أي
 أعلم وقيل هو على ظاهره لانه يمكن أن يؤمن فيكون من أهل الجنة أو يصير على الكفر فيكون من أهل
 النار فعمل الخوف على ظاهره أولى واعلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام رتب هذا الكلام في غاية
 الحسن مقروناً بالتطويع والرفق فان قوله في مقدمة كلامه يا أبت دال على شدة الحب والرغبة في صرفه
 عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه به أولاً على ما يدل على المنع من عبادة الاصنام ثم أمره بالتباعد
 عن الايمان ثم نبيه على طاعة الشيطان غير جائزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام
 على ما لا ينبغي بقوله اني أخاف (أن عسك) أي يصيبك (عذاب من الرجن) أي ان أثقت على الكفر
 (فتكون للشيطان واباً) أي فربنا في النار وقيل صد يقاله في النار وانما فعل ابراهيم عليه الصلاة
 والسلام هذا مع أبيه لامر أحد هاتين تعلق قلبه بصلاحية أبيه وأداه حق الابوة والرفق به وثانيها
 أن النبي الهادي الى الحق لا بد أن يكون رفيقاً لطيفاً حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصيحة لكل أحد
 فالأول (قال) يعني أباه محبباً له (أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم) أي أتركها أنت وتارك عبادتها (ان
 لم تنته) أي ترجع ونسكت عن عيبك آلهتنا وشمتك آياها (لا رجنتك) قال ابن عباس معناه لا ضرر منك وقيل
 لا قتلتك بالجحار وقيل لا شمتك وقيل لا بعدنك عني بالقول القبيح والقول الاول هو الصحيح (واهجرتي) أي
 اجفنتي قال ابن عباس اعتراني سألماً لا يصيبك مني معرة (ملياً) أي دهر اطويلاً (قال) يعني ابراهيم
 (سلام عليك) أي سلمت مني لا أصيبك بمكررم وذلك لانه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران
 ومقارفة وقيل هو سلام بر واطف وهو جواب الحليم للسفيه (سأستغفر لك ربي) قيل انه لما أعياه أمره
 وعده أن يرجع الله فيه فسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له وقيل معناه سأسأل لك ربي توبة تنال بها
 المغفرة (انه كان بي حنياً) أي بالطيف والمراعاة يستجيب لي اذا دعوته لانه عودني الاجابة لدعائي
 (وأعتراكم ومائدعون من دون الله) أي ألقاكم وأفارقكم ما تعبدون من دون الله وذلك انه فارقهم وهاجر
 الى الأرض المقدسة (وأدعوني) أي أعبدوني الذي خلقتني وأنعم علي (عسى أن لا أكون بدعاً ربي

(٣٠ - خازن ثالث) أشباعه وأوليائه أكبر من العذاب كما ان رضوان الله أكبر من الثواب وسد كل نصيحة بقوله
 يا أبت فوسلاليه واستعطا فلو أشعرا لوجب احترام الاب وان كان كافراً ثم (قال) آزرني بخيائاً (أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم)
 أي أترغب من عبادتكم افتاداً باسمه ولم يقابل يا أبت بيباني وقدم الخبر على المبتدأ لانه كان أهم عنده (لئن لم تنته) عن شتم الاصنام
 (لا رجنتك) لا قتلتك بالرجام ولا ضرر بملكها حتى تتباعد ولا شمتك (واهجرتي) عطف على محذوف يدل عليه لارجنتك تقديره فاحذرن
 واهجرتي (ملياً) ظرف أي زماناً طويلاً من الملاوة (قال سلام عليك) سلام توديع ومشاركة أو تقرب وملاطفة ولذا وعده بالاستغفار
 بقوله (سأستغفر لك ربي) سأسأل الله ان يجعلك من أهل المغفرة بأن يجديك للسلام (انه كان بي حنياً) ما ظف به يوم النعم أو رجحاً
 أو مكرماً والمخافة والرأفة والرحمة والكرامة (وأعتراكم) اراد بالاعتزال المهاجرة من ارض يابل الى الشام (رمائدعون من دون الله) أي
 ما تعبدون من أصنامكم (وأدعوني) (ثم قال فواضحا وهما لك نفس ومعرضا بشقاوتهم بدعاً آلهتهم) عسى أن لا أكون بدعاً ربي

شعباً) أى كاشفتهم أنهم بعبادة الأصنام (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) فلما اعتزل الكفار ومعبودهم (وهبنا له) ولداً (ويعقوب) نافلة ليستأنس بها (وكلاد) كل واحد منهم (جعلنا نبياً) أى لمساتك الكفار الفجار لوجهه عوضه أولاداً مؤمنين أنبياء (وهبنا لهم من رحمتنا) هى المال والولد (وجعلناهم لسان صدق) ثناء حسناً وهو الصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم فى الصلوات وعبر باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهى العظمة (عليها) رفيدة مشهوراً (واذ كرفى الكتاب موسى) أى أنه كان مختصاً (كوفى غير المفضل أى أخصه الله واصطفاه ومخاضه بالكسر غيرهم (٣٣٤) أى اخلص هو العبادة لله تعالى فهو مختص بماله من السعادة بأصل الفطرة ومخلص

شعباً) أى أرجوان لا أشقى بدعا عربى وعبادته كاشفون أنهم بعبادة الأصنام ففهمه النواضع له مع التعريض بشقاوتهم قوله عز وجل (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) أى ذهب مهاجراً (وهبنا له) أى بعدد الهجرة (اسحق ويعقوب) أى آتينا وحشنة من فراقهم بأولاد أكرم على الله من آية (وكلاد جعلنا نبياً) أى أنعمنا عليهم بالنبوة (وهبنا لهم من رحمتنا) أى مع ما وهبنا لهم من النبوة وهبنا لهم المال والولد وذلك أنه بسط لهم فى الدنيا من سعة الرزق وكثرة الأولاد (وجعلناهم لسان صدق علينا) يعنى ثناء حسناً رفيعاً فى أهل كل دين حتى ادعاهم أهل الأديان كلهم فهم يتولونهم ويتبنون عليهم قوله عز وجل (واذ كرفى الكتاب موسى) أى كان مختصاً (قرفى بكسر اللام أى اخلص العبادة والطاعة لله تعالى ولم يرافقنى بالفتح أى مختار الاختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه (وكان رسولاً نبياً) فهذا من صفات المختصين فكل رسول نبي ولا عكس (ونادينا من جانب الطور الايمن) أى من ناحية عين موسى والطور جبل معروف بين مصر ومدين ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فودى باموسى انى ان الله رب العالمين (وقرنا) قال ابن عباس قرينه وكله ومعنى التقرب اسماعه كلامه وقيل رفعه على الجب حتى سمع صرير الأقدام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته أى وشرفناه بالمناجاة وهو قوله تعالى (نجيا) أى مناجيا (وهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً) وذلك ان موسى دعا ربه فقال واجعل لى وزيراً من أهلى هرون اخى فاجاب الله دعوته وارسل الى هرون ولذلك سمى هبة له وكان هرون اكبر من موسى قوله عز وجل (واذ كرفى الكتاب اسمعيل) هو اسمعيل بن ابراهيم وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم (انه كان صادق الوعد) قيل انه لم يعد شيئاً الا وفى به وقيل انه وعد رجلاً ان يقوم مكانه حتى يرجع الرجل فوقف اسمعيل مكانه ثلاثة ايام للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقيل انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الثمر فسئل الشبهى عن الرجل يعد ميعاد الى اى وقت ينتظر فقال ان وعده نهاراً فكل النهار وان وعده ايلاً فكل الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده فى وقت صلاة ينتظر الى وقت صلاة أخرى (وكان رسولاً) الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزولوا على هاجر أم اسمعيل فودى مكة حين خلفهم ابراهيم وجرهم هو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ وقحطان ابو قبال اليمن (نبيا) أى مخبراً عن الله تعالى (وكان يأمر أهله) أى قومه وجميع امته (بالصلاة والزكاة) قال ابن عباس يريد بالصلاة المفروضة عليهم وهى الخفيفة التى افترضت علينا وقيل كان يبدأ بأهله فى الأمر بالصلاة والعبادة ليحفظهم فؤدة لان سواهم (وكان عند ربه من ضياء) أى قائماً لله بطاعته وقبل رضيه لنبوته برسالة وهذاهم فى المدح لان المرضى عند الله والفاثرين كل طاعة باعلى الدرجات قوله عز وجل (واذ كرفى الكتاب ادرى) هو جد أبى نوح واسمه اخنوخ سمى ادرى لكثرة درسه الكتب وكان خطاطاً وهو اول من خط بالقلم واول من خط الثياب وليس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو اول من اتخذ السلاح وقال الكفار واول

فما عليه من العبادة بصدق الهمة (وكان رسولاً نبياً) الرسول الذى معه كتاب من الانبياء والنسبى الذى ينسب عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كبوشع (ونادينا) دعوانه وكناهه لیسلة الجمعية (من جانب الطور) هو جبل بين مصر ومدين (الايمن) من اليمين أى من ناحية اليمن والجهور على أن المراد ايمن موسى عليه السلام لان الجبل لا يمين له والمعنى انه حين أقبل من مدين يريد مصر فودى من الشجرة وكانت فى جانب الجبل على عين موسى عليه السلام (وقرنا) تقریب منزلة ومكانه لا منزل ومكان (نجيا) حال أى مناجيا كندمهم يعنى منادى (وهبنا له من رحمتنا) من أجل رحمتنا له وترؤفنا عليه (أخاه) مفعول (هرون) بدل منه (نبيا) حال أى وهبنا له نبوة أخيه والا فهرون كان أكبر سنًا منه (واذ كرفى

فى الكتاب اسمعيل) هو ابن ابراهيم فى الاصح (انه كان صادق الوعد) واقية وعذر جلا أن يقيم مكانه حتى يعود من اليه فانتظر سنة فى مكانه حتى عاد وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى وقيل لم يعد به موعداً الا أنجزه وانما خصه بصدق الوعد وان كان موجوداً فى غيره من الانبياء تشير بفاله وكان المشهور من خصاله (وكان رسولاً) الى جرهم (نبيا) مخبراً منادياً (وكان يأمر أهله) أمته لان النبي أبو أمته وأهل بيته وفيه دليل على انه لم يدهن غيره (بالصلاة والزكاة) يحتمل انه اغتاضت هاتان العبادتان لانهما اما العبادات البدنية والمالية (وكان عند ربه من ضياء) قرئ مرصوا على الاصل (واذ كرفى الكتاب ادرى) هو اخنوخ اول من سلك بعد آدم عليه السلام واول من خط بالقلم وخط اللباس وتظهر فى علم التجويم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة فكان

بني قابيل وقولهم سمى به لكثرة دراسته كتب الله لا يصح لانه لو كان افعيلا من المدرس لم يكن (٢٣٥) فيه الاسباب واحلوهو العلية وكان

منصرفا فامتناعه من
الصرف دليل العجبة (انه
كان صديقا انبيا) انزل الله
عليه ثلاثين صحيفة
(ورفعناه مكانا عليا) غور
شرف النبوة والزني عند الله
وقيل معناه رفته الملائكة
الى السماء الابعة وقدر آه
النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج فيم اوعى
الحسن الى الجنة لا تسمى

اعلى من الجنة وذلك انه جيب
لكثرة عبادته الى الملائكة
فقال للملائكة الموت اذ فني الموت
حين علي ففعل ذلك باذن الله
لحي وقال ادخلي النار اذ رد
رغبة ففعل ثم قال ادخلي
الجنة اذ رد رغبة ثم قال له
اخرج فقال قد ذقت الموت
ووردت النار فانا باجارج
من الجنة فقال الله عز وجل
باذني فعل وباذني دخل
فدعه (اولئك) اشارة الى
المدكورين في السورة من
ذكرنا الى ادر يس (الذين
أنعم الله عليهم من النبيين)
مسكن البيان لان جميع
الانبياء منهم عليهم (من ذرية
آدم) من للتبعيض وكان
ادر يس مسكن ذرية آدم
اقرب منه لانه جد أبي نوح
(ومن حملنا مع نوح) ابراهيم
من ذرية من حمل مع نوح
لانه ولدهم من نوح (ومن
ذرية ابراهيم) اسمعيل
واسحق ويعقوب

من نظري علم الحساب (انه كان صديقا انبيا) وذلك ان الله تعالى شرفه بالنبوة وانزل عليه ثلاثين صحيفة
(ورفعناه مكانا عليا) فبسل هي الرفعة بعد المروبة في الدنيا وقبيل انرفع الى السماء وهو الاصح يدل
عليه ما روي أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى ادر يس في السماء
الرابعة ليلة المعراج متفوق عليه وكان سبب رفع ادر يس الى السماء الابعة على ما قاله كتب الاخبار
وغيره انه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يا رب اني مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة
خمسة ايام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وأحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها
مالا يعرف فقال يا رب خلقتني لحر الشمس فما الذي قضيت فيه قال ان عبدك ادر يس سألني ان أخفف
عنه حملها وأحرها فاجبته قال يا رب فاجع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة فاذن له حتى أتى ادر يس
فكان ادر يس يسأله فكان يسأله ان قال اني أخبرتك انك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت
فأشفع لي اليه بنور أخلي اعلى أزداد شكر عبادته فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها وأنا مكامه
فرفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال له الى البيت حاجة صديق لي من بني آدم
أشفع لي اليه أن يؤخر أجله فقال ملك الموت ليس لي ذلك ولكن ان أحببت أعلمه أجله فيسلم لنفسه
قال نعم فظفري في دونه فقال انك كلتي في انسان ما أراه يموت أبدا فقل وكيف ذلك فقال لا أجده يموت الا
عند مطلع الشمس قال اني أفتنك ونركمه هناك قال انطلق فلا أراك تجده الا وقد مات فوات ما بقي من
عمر ادر يس شيء فرجع الملك فوجد ميتا وقال وهب كان يرفع لادر يس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع
لجميع أهل الارض في زمانه فحب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن وبه في زيارته فأذن له
فأتاه في صورة بني آدم وكان ادر يس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعام فأبى أن يأكل معه
ففعل ذلك ثلاث ليل فأنكره ادر يس وقال له في الليلة الثالثة اني اريد ان أعلم من أنت قال انما ملك الموت
استأذني ان أتبعك فقال لي البيت حاجة قال ومهني قال تقبض روحي فأوحى الله اليه ان اقبض
روحه فقبض روحه وردها الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الغائبة في سؤالك قبض الروح قال
لا ذوق كرب الموت وغصه فأكون أشد اسهوا والله ثم قال له ادر يس لي البيت حاجة أخرى قال ومهني قال
ترفعني الى السماء انظر اليها والى الجنة والنار فأذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لي البيت حاجة قال
ومهني قال اريد ان أسأل ما كان يرفع أنوارها ففعل قال فبكأ اريد اني النار فأرني الجنة فذهب به
الى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة
وقال ما أخرج منها فبعت الله اليه ملكا حكما بينهم ما قال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس
ذاتة الموت وقد ذقته ثم قال وان منكم الا وادها فأوردته وقال ومهني منها يخرج من فاستأذني فخرج فأوحى
الله تعالى الى ملك الموت باذني دخول الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حي هناك فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا
عليما واختلوا في انه حي في السماء أم ميت فقال قوم هو ميت واستدل بالاول وقال قوم هو حي واستدل
بهذا وقالوا أربعة من الانبياء اجابوا ثانيا في الارض وهما الخضر والياقوت في السماء وهما ادر يس
وعيسى ففعله عز وجل (اولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين) اولئك اشارة الى المدكورين في هذه
السورة أنعم الله عليهم بالنبوة وغيرهما فقدم وصفه (من ذرية آدم) يعني ادر يس ونوحا (ومن حملنا
مع نوح) أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد ابراهيم لانه من ولد اسام بن نوح (ومن ذرية
ابراهيم) يعني اسحق واسمعييل ويعقوب (واسمراييل) أي ومن ذرية اسمراييل وهو يعقوب وهم موسى
وهرون وذكرا ويحيى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فرتب الله تعالى احوال الانبياء الذين ذكرهم
على هذا الترتيب منها بذلك على انهم كانوا بالنبوة ثم فوا بالاتب ثم قال تعالى (ومن هديناوا اجتنبنا)
(واسمراييل) أي ومن ذرية اسمراييل أي يعقوب وهم موسى وهرون وذكرا ويحيى وعيسى لان مريم من ذرية (ومن)
على من الاولى والثانية (هرينا) لخاصة الاسلام (واجتنبنا) من الانام اول شرح الشريعة وكشف الحقيقة

(واسمراييل) أي ومن ذرية اسمراييل أي يعقوب وهم موسى وهرون وذكرا ويحيى وعيسى لان مريم من ذرية (ومن) (واجتنبنا) على من الاولى والثانية (هرينا) لخاصة الاسلام (واجتنبنا) من الانام اول شرح الشريعة وكشف الحقيقة

(إذا أتت عليهم آيات الرحمن) أي إذا أتت عليهم كتب الله المنزل وهو كلام مستأنف ان جعلت الذين خبروا الأول والثاني ان جعلته صفة له كان خبراً يتلى بالباء تقييداً لوجود الفاصل مع ان التأييد غير حقيقي (خروا سجداً) سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة (ويكياً) يا كين رغبة جمع بالك كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد في الحديث انلوا القرآن وابكوا وان لم يبكوا فاقبوا كواو عن صالح المري فقرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فابن البكاير يقول في سجود التلاوة سبحان ربي الاعلى ثلاثاً (خائف من بعدهم) خفاء من بعده هؤلاء المفضلين (خلف) أولاد سوء يفتح اللام العقب الحبير عن ابن عباس هم اليهود (أضاعوا الصلوة) تركوا الصلاة المفروضة (واتبعوا الشهوات) ملاذ (٣٣٦) النفوس وعن علي رضي الله عنه من بنى الشديد وركب المنظور وليس المشهور وعن قتادة

رضي الله عنه هو في هذه الآية (فسوف يلقون غيا) جزاء غي وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وعن ابن عباس وابن مسعود هو واد في جهنم أعد للمصريين على الزناد شارب الخمر وآكل الربا والعاق وشاهد الزور (الامن تاب) رجع عن كفره (وآمن) بشرطه (وعمل صالحاً) بعد إيمانه (فأولئك يدخلون الجنة) بضم الياء وفتح الحاء مكي وبصري وأبو بكر (ولا يظلمون شيئاً) أي لا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم ولا يمنعونهم من شيء (ولا يظلمون شيئاً من الظلم) جئات بدل من الجنة لان الجنة تشتمل على جنات عدن لانها جنس او نصب على المدح (عدن) معرفة لانها علم لمعنى المدن وهو الإقامة أو علم لارض الجنة لكونها مقام إقامة (التي وعد الرحمن عبادهم) أي عباد الله

أي هؤلاء من أرشدنا وناوطينا وقيل من هدينا الى الاسلام واجتبيينا على الانام (إذا أتت عليهم آيات الرحمن خروا سجداً) جمع ساجد (ويكياً) جمع بالك أخبر الله تعالى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا اذا سمعوا آيات الله سجداً واوبكوا خضوعاً وخشوعاً وخوفاً وحذراً والمراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزل عليهم وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعود والوعيد فقيه استعجاب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن

فصل في سجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوة هذه السجدة وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد ان يدعو بما يناسب تلك السجدة فان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك والخاشعين لك وان قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك ابدالكين عند تلاوة آياتك وان سجد سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمده لك وأعوذ بك ان أكون من المستكبرين عن أمرك (خائف من بعدهم) أي من بعد النبيين المذكورين (خلف) أي قوم سوء أرادهم اليهود ومن لحق بهم وتابوا بهم وقيل هم في هذه الآية (أضاعوا الصلوة) أي تركوا الصلاة المفروضة وقيل أخرى هاهنا وقتها وهو ان لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى يأتي المغرب (واتبعوا الشهوات) أي آثار وشهوات أنفسهم على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمر وقيل هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان يتزود بعضهم على بعض في الاسواق والازقة (فيوف يلقون غيا) قال ابن عباس الغي واد في جهنم وان أودية جهنم لتستعبد من حره أعد للزاني المصر عليه وشارب الخمر المدمن له ولا تكل الربا الذي لا يزرع عنه ولا هل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل فيجاد وما قيل هو واد في جهنم أبدها قعر أو أشدها حرافيه يترسمي الهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البرقة فتعبر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرنا وقيل هلاكا وعداً أبوايس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملازمة مع الرؤية (قوله تعالى (الامن تاب وآمن وعمل صالحاً) يعني الامن تاب من التقصير في الصلوات والمعاصي وآمن من الكفر وعمل صالحاً بطاعة الله تعالى (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) أي لا ينقصون شيئاً من وصف الجنة فقال تعالى (جنات عدن) أي بساكنين إقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم (التي وعد الرحمن عبادهم بالغيب) أي انهم لا يرونها فهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها (انه كان وعده مأثباتاً) أي آياتاً وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة مأثباتاً أي يأتيه أولياء الله وأهل طاعته (لا يسمعون فيها لغواً) أي باطلاً وخشاً وهو فضول الكلام (الاسلام) يعني بل يسمعون فيها سلاماً واسلاماً اسم جامع للخير لانه يتضمن معنى السلامة وذلك ان أهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم انما يسمعون تسليمهم وقيل هو تسليم

التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولانه أضافهم اليه وهو لا اختصاص وهوؤلاء أهل الاختصاص بعضهم (بالغيب) أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها (انه) ضمير الشأن أو ضمير الرحمن (كان وعده) أي موعوده وهو الجنة (مأثباتاً) أي هم يأتونها (لا يسمعون فيها) في الجنة (لغواً) خشاً أو كذباً أو ما لا طائل تحته من الكلام وهو المطروح منه وفيه تقييد على وجوب تجنب اللغو وتقائه حيث تراه الله عنه داره التي لا تكلف فيها (الاسلام) أي لكن يسمعون سلاماً من الملائكة أو من بعضهم على بعض ولا يسمعون فيها الاقوال يسجلون فيه من العيب والذنبه فهو استثناء منقطع عند الجمهور وقيل معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ولما كان أهل دار السلام أغنياء عن الدعاء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما قبله من

فائدة الاكرام (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أي يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار من الدنيا اذ لا يسيل ولا نار ثم لانهم في النور ابدًا وانما يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخاء الرزق بالبكرة والعشى أفضل العيش عند العرب فوصف الله جهنم بذلك وقيل أراد دوام الرزق كما تقول انا عند فلان بكرة وعشيا تريد الدوام (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) أي نجعلها ميراث أعماهم يعني غمرتها وعاقبتها وقيل يرثون المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا لان الكفر موت حكماء (من كان تقيا) عن الشرك وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي عليه السلام قال يا جبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزل (وما ننزل الا بأمر ربك) والتنزيل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق والاول أليق هنا يعني ان نزولنا في الايام وقتنا غيب وقت ليس الا بأمر الله (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا) أي له ما قد آمننا وما خلفنا (٢٣٧) من الاماكن وما نحن فيها فلا ننسى ان

ننتقل من مكان الى مكان
الا بأمر المسلك ومشيتته
وهو الحافظ العالم بكل حركة
وسكون وما يحدث من
الاحوال لا تجوز عليه
الغفلة والنسيان فأني لنا
أن تتقلب في ملكوته الا
إذا أذن لنا فيه (رب
السموات والارض وما
بينهما) يدل من ربك أن خبر
مبتدأ المحذوف أي هو
رب السموات والارض
ثم قال لرسوله لما عرفت
انه متصف بهذه الصفات
(فاعبدوه) فاقبض على عبادته
(واصطبر لعبادته) أي اصبر
على مكافاة المعبود لعبادة
المعبود واصبر على المشاق
لاجل عبادته الخلاق أي
لتسكين من الانبياء
(هل تعلم له سميا) شيئا
ومثلا أو هل يسمى أحد
باسم الله غيره لانه مخصوص
بالمعبود بالحق أي اذا صبح

بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال أهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البكرة والعشى بل هم في نور ابد أولئك هم يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار كعادتهم في الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضيق ولا تقصير وقيل كانت العرب لا تعرف أفضل من الرزق الذي يؤتى به بالبكرة والعشى فوصف الله تعالى الجنة بذلك وقوله تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) أي نعطى وننزل وقيل يرث عباد الله المؤمنين المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا (من كان تقيا) أي المتقين من عباد الله قوله عز وجل (وما ننزل الا بأمر ربك) (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت وما ننزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا الآية قال فكان هذا جواب جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله اليهود عن أمر الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت على حتى سألتني واشتقت اليك فقال له جبريل واني كنت أشوق اليك وأكتبني عبدا ما مور اذا بعثت نزلت واذا حبت احتسبت فأقر الله تعالى وما ننزل الا بأمر ربك وأنزل الله تعالى والضهي والليل اذا سمع ما ودع ربك وما قلى وقوله (له ما بين أيدينا وما خلفنا) أي له علم ما بين أيدينا وما خلفنا وقيل أكد ذلك بقوله له ما بين أيدينا وما خلفنا أي هو المدبر لنا في كل الاوقات الماضية والمقبلة وقيل معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب وما خلفنا أي ماضى من الدنيا (وما بين ذلك) أي من هذا الوقت الى أن تقوم الساعة وقيل ما بين ذلك أي ما بين النصفين وهو مقدار أربعين سنة وقيل ما بين أيدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ماضى منها وما بين ذلك أي مدة حياتنا (وما كان ربك نسيا) أي ناسيا أي ما نسيت ربك وما تركك (رب السموات والارض وما بينهما) أي من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لانه لا بد أن يدبر احوالها كلها وفيه دليل على أن فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات والارض فكان لله تعالى (فاعبدوه واصطبر لعبادته) أي اصبر على أمره ونهيه (هل تعلم له سميا) قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم أحد اسمي الله غير الله وقوله تعالى (ويقول الانسان) أي جنس الانسان والمراد به الكفار الذي أنكروا البعث وقيل هو أبي بن خلف الجمعي وكان منكرا للبعث (أنذا مات لسوف أخرج حيا) قاله استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله تعالى (أولاد كرا الانسان)

أن لا معبود توحه اليه العباد العباد الا هو وحده لم يكن يدين عبادته والاصطبار على مشاقها فت أبي بن خلف عظيما وقال أنبعث بعد ما صرنا كذا فنزل (ويقول الانسان أنذا مات لسوف أخرج حيا) والعامل في اذا ما دل عليه الكلام وهو البعث أي اذا مات البعث وانتصابه اخرج ممتنع لان ما بعد لام الاستدعاء لا يعمل فيما قبلها فلا تقول اليوم لن يدق قائم ولا م الاستدعاء الدخلة على المضارع تعطى معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة فلما جاءت حرف الاستقبال خلاصت للتوكيد واضمحلت معنى الحال وما في اذا ما للتوكيد أيضا فكانه قال أحق اناس يخرج من القبور أحياء حين يتمكن فيها الموت والهالك على وجه الاستسكار والاستبعاد وتقديم الطرف والاوله حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكورة ومنه جاء انكارهم (أولاد كرا الانسان) خففت شامى ونافع وعاصم من الذكروا اسائر بشدديد الغال والتكاف وأسله يتذكر كفراة أبي فادغمت التاء في الذال أي أولا يتدبر والواو عطف لا يذكروا على قول

ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف بمعنى يقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر النشأة الاخرى فان تلك اول على قدرة الخالق حيث اخرج الجوهر والاعراض من العدم الى الوجود واما الثانية فليس فيها الا ليلف الاجزاء الموجودة زردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق (انا خلقناه من قبل) من قبل الحالة التي هو فيها وهي حاله بقائه (ولم ينشأ) هو ليس على ما ينشأ على أن المعدوم ليس بشئ خلافا للمعتزلة (فور يك لتعسرهم) أي الكفار المنكرين للبعث (والشياطين) الواو للعطف بمعنى مع أو وقع أي يحشرون مع قرانهم من الشياطين الذين أغووههم بقرون كل كافر مع شيطان في سلسة وفي أقسام الله باسمه مضافا الى رسوله تفخيم لشأن رسوله (ثم لتعسرهم) هم حول جهنم جثيا) حال جمع جاث أي بارك على الركب ووزنه فعول لان اصله جنو وكنو وسجد أي يقبلون من المحشر أي شاطئ جهنم عملا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم (ثم لتعزن من كل شيعة) طائفة شاعت أي تبعته غاويا من الغواة (أهم أشد على الرحمن عتيا) جراحة أو خورا أي للخروج من كل طائفة من طوائف التي اعتمدوا فاعتماهم فاذا اجتمعوا طرحناهم (٣٣٨) في النار على الترتيب تقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم وقيل المراد بأشدهم عتيا

أي يتذكر ويتفكر بمعنى منكر البعث (انا خلقناه من قبل ولم ينشأ) والمعنى أولا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة في البعث على هذا الاختصاص ما قدروا عليه اذ لا شأن للاعادة ثانيا أهون من الابدان الأولى ثم انهم ينشئونه فقال تعالى (فور يك) وفيه تشریف للنبي صلى الله عليه وسلم (لتعسرهم) أي لتعسرهم في المعادية أي المشركين المنكرين للبعث (والشياطين) أي مع الشياطين وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسة (ثم لتعسرهم حول جهنم جثيا) قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل ان البارك على ركبته صورته كصورة الذابل فان قلت هذا المعنى حاصل للكل بدل قوله تعالى وتري كل أمة جاثية قلت وصفا للجثو على اعادة المعهودة في مواقف المقالات والمناظرات وذلك لما فيه من اتفاق مما يدعهم من شدة الامور التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيحشرون على ركبهم جثوا (ثم لتعزن) أي لتخرجن (من كل شيعة) أي من كل أمة وأهل دين من الكفار (أهم أشد على الرحمن عتيا) قال ابن عباس يعني جراحة أو خورا وقيل فأندهم ورثتهم في الشرك والمعنى أنه يقدم في ادخال النار الاعتي فالاعتي من هو أكبر جرما وأشد كفرا في بعض الاخبار أنهم يحشرون جميعا حول جهنم مسلمين ومغولين ثم يقدم الاكفر فالأكثر كفرا كان أشدهم ثم يقر في كفره خص بعدذاب أعظم وأشد لان عذاب الضال المضل واجب أن يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب فلذلك قال في جميعهم (ثم لئن أعلم بالذين هم أولى بهاصليا) ولا يقال أولى الامع اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الآية أنهم أحق بدخول النار قوله عز وجل (وان منكم الاواردها) أي ومانعكم الاواردها وقيل القسم فيه مضمر أي والله مامنكم من أحد الا واردها والورود هو موافاة المكان واختلاف في معنى الورد ههنا وفيما تصرف اليه السكانية في قوله واردها فقال ابن عباس والا كثر من معنى الورد ههنا الدخول

الرؤساء انضاضا فحجروهم لكونهم ضلالا ومضلين قال سيبويه أهم مبنى على الضم لـ قوط صدر الجملة التي هي صلاته وهو هو من هو أشد حتى لو جى به لا عرب بانصب وقيل أهم هو أشد وهذا لان الصلة توضح الموصول وينبئ به كأن المضاف اليه يوضح المضاف ويخصصه فكما ان حذف المضاف اليه في من قبل يوجب بناء المضاف وجب ان يكون حذف الصلة أو شيء منها موجبا للبناء وموضعها نصب بنزع وقال الخليل هي معربة وهي مبتدأ وأشد خبره وهو رفع على الحكاية تقديرا لتعزن

الذين يقال فيهم أهم أشد على الرحمن عتيا ويجوز أن يكون النزاع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبناهم من رحمتنا والكمائة أي انزع من بعض كل شيعة فكان قالوا قال من هم فقيل أهم أشد عتيا وعلى يتعلق بأفعل أي عتوهم أشد على الرحمن (ثم لئن أعلم بالذين هم أولى بها) أحق بالنار (صليا) تمييز أي دخولا والباء تتعلق بأولى (وان منكم) أحد (الأواردها) ادخالها والمراد النار والورود الدخول عند على وابن عباس رضى الله عنهم وعليه جمهور أهل السنة لقوله تعالى فأوردهم النار وقوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ما زودوها وقوله ثم نجى الذين اتقوا اذ النجاة اعتبار بكون بعد الدخول وقوله عليه السلام الورد الدخول لا يبقى بولا فاجرا لا دخله فتكون على المؤمنين برزوا سلا ما كما كانت على ابراهيم وتقول النار للمؤمن جزياء مؤمن فان نورك أطفأ ألهي وقيل الورد بمعنى الدخول لكنه يخص بالكفار لقراءة ابن عباس وان منهم وتحمّل القراءة المشهورة على الالتفات وعن عبد الله الورد الحضور لقوله تعالى وما أوردناهم مدین وقوله أو اهلكناهم مدون وأحير عنه أن المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورد المرور على الصراط لان الصراط مدون وعليه فيسلم أهل الجنة ويتقاذف أهل النار وعن مجاهد ورد المؤمن النار هو من الحى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحى حظ كل مؤمن من النار وقال رجل من الصحابة لا أشرا بقنت بالورود قال نعم قال رأيت بنت بالعدو قال لا قال فقيم الضحى وقيم التساق

والكتابة راجعة الى النار فدخلها البر والفاجر ثم نجي الله الذين اتقوا منها يدل عليه ما روى أن نافع بن
الازرق سأل ابن عباس في الورود فقال ابن عباس هو الدخول فقال نافع ليس الورود الدخول فقرا ابن
عباس انكم وما تعبتم من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ادخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع والله
أنا وأنت سزدها وأنا أرجو أن يخرجني الله منها وما أرى الله أن يخرجك منها بسكذبيك فن قال بدخول
المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لان الله تعالى أخبر
عنهم انهم لا يحزنهم ثم الفرع الا كبر فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار وعذابها قلت يحتمل ان الله
تعالى يخمد النار فتهبها المؤمنون ويحتمل أن الله تعالى يجعل الاجزاء الملاصقة لا بدان الكفار من
النار محرقة والاجزاء الملاصقة لا بدان المؤمنين تكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت في حق ابراهيم
عليه السلام وكان الملاصقة الموكلين بها لا يحسدون أهلها فان قلت اذ لم يكن على المؤمنين عذاب فما
فائدة دخولهم النار قلت فيه وجوه أحدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها
ان فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منهم او هم باقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا
ذلك العذاب الذي على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التمسك بهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من
الورود الدخول وقالوا لا يدخل النار مؤمن أبدا لقوله تعالى ان الذين سجدت لهم منا لحيى أولئك عنها
مبعدون لا يسمعون حسابها فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والرؤية لا الدخول كما قال
تعالى ولما وردناه مدبرين أراد به الحضور وقال عكرمة الآية في الكفار فانهم يدخولونها ولا يخرجون
منها وروى عن ابن مسعود أنه قال وان منكم الاواردها يعني القيامة والكتابة راجعة اليها والقول
الاول اصح وعليه أهل السنة فانهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها أهل الاعيان بدليل
قوله تعالى ثم نجي الذين اتقوا أي الشرك وهم المؤمنون والنجاة انما تكون مما دخلت فيه يدل عليه
ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المؤمنين ثلاثة من
الولد ففسه النار الاتحمة القسم في رواية فيلج النار الاتحمة القسم أخرجاه في الصحيحين اراد بالقسم قوله
تعالى وان منكم الاواردها (م) عن أم مبشر الا تصارية انما اسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
عند حفصة لا يدخل النار ان شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد من الذين يابغوا تحتها قالت بلى
يا رسول الله فانهم رافعات حفصة وان منكم الاواردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله
تعالى ثم نجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيم اجنيا وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة لم بعد نار بنان
نزد النار فيقال بلى ولكنكم ممرتم بها وهي خامدة وفي الحديث تقول النار للمؤمن جزيما مؤمن فقد
أطفأ نورك لهي وروى عن مجاهد في قوله تعالى وان منكم الاواردها قال من حم من المسلمين فقد وردوا
وفي الخبر الحمى كبر من جهنم وهي حظ المؤمن من النار (ق) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الحى من فجع جهنم فأوردوها بالماء قوله فجع جهنم أي وهجها وحرها وقوله تعالى (كان على ربك حتما
مقضيا) أي كان ورود جهنم قضاء لازما قضاء الله تعالى عليكم وأوجه (ثم نجي الذين اتقوا) أي الشرك
(ونذر الظالمين فيم اجنيا) أي جميعا وقبل جاتين على الركب قالت المعتزلة في الآية دليل على صحة مذهبهم
في ان صاحب الكبيرة والفاسق يخد في النار بدليل أن الله بين ان الكمل يردونهم بين صفة من ينجونهم
وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا في النار أبدا وأجيب عنه بأن المتق هو الذي يتق الشرك بقوله
لا اله الا الله وبشهادة ذلك أن من آمن بالله ورسوله صح ان يقال انه متق من الشرك ومن صدق عليه
انه متق من الشرك صح انه متق لان المتق جزء من المتق من الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه
المفرد فثبت أن صاحب الكبيرة متق وإذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من النار بعصم قوله تعالى ثم نجي
الذين اتقوا فصارت الآية التي توهمها دليلا لهم من أقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث

(كان على ربك حتما
مقضيا) أي كان ورودهم
واجبا كأننا محتوما والحق
مصدر حتم الامر اذا أوجبه
فسمى به الموجب كقولهم
ضرب الأمير (ثم نجي)
وعلى بالتخفيف (الذين
اتقوا) عن الشرك وهم
المؤمنون (ونذر الظالمين
فيما اجنيا) فيه دليل على
دخول الكمل لانه قال ونذر
ولم يقل وندخل والمذهب
ان صاحب الكبيرة قد
يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو
للمحالة وقالت المرجئة
الحيثية لا يعاقب لان
المعصية لا تضر مع الاسلام
عندهم وقالت المعتزلة يخد

البحث وأما من حيث النص فقد وردت أحاديث تدل على إخراج المؤمن الموحدم من النار (خ) عن أنس
ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شبهة من
خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برقة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله
وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من إيمان (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا يا رسول
الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل عمارون في القمور ليلة البدر ليس دونه سبحانه قالوا يا رسول الله قال
هل عمارون في الشمس ليس دونه سبحانه قالوا يا رسول الله قال فأنكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم
القيامة فيقول الله من كان بعد شيئا فليتبسع فهم من يتبسع الشمس ومنهم من يتبسع القمر ومنهم من يتبسع
الطواغيت وتبقى هذه الامة في امتنا فوها فيأتيهم الله فيقول أنار بكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا
فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتهم الله فيقول أنار بكم فيقولون أنت ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين
ظهوراني جهنم فأكون أول من يخرج من الرسل بأمنته ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وكلام الرسل يومئذ
اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم قال فانها مثل شوك
السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمتها الا الله تعالى فخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوقى بعمله ومنهم من
يحتدل ثم يخرجون حتى اذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان بعد
الله فيخرجونهم ويعرفونهم باسماء السجود وحرم الله على النار أن تأكل أعضاء السجود فيخرجون من
النار وقد امتحنتوا فيصعب عليهم ماء الحياة فينبغون كما تنبت الحبة في حبل السيل ثم يفرغ من القضاء
بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول
يا رب اصرف وجهي عن النار فقد شقيتني ويحها وأحرقني ذكأؤها فيقول هل عسيت أن أقبل ذلك بل أن
تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطى الله ما شاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا
أقبل به على الجنة رأى نكهتها وبهجتها سكنت ما شاء الله تعالى أن يسكت ثم يقول يا رب قد منى عند باب
الجنة فيقول الله أليس قد أعطيت الموائيق والعهود أن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يا رب
لا أكون أشقى خلقك فيقول فما عسيت أن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا أسأل غير
ذلك فيعطى ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من
النضرة والسرور فسكنت ما شاء الله أن يسكت فيقول يا رب أدخلى الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحش
يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يا رب
لا تجعلني أشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم يؤذن له في دخول الجنة فيقول له عن فيمتني حتى اذا
انقطعت أمنيته قال الله عن كذا وكذا أقبل يذكرك به حتى اذا انتهت به الاماني قال الله لك ذلك ومثله
معه قال أبو سعيد الخدري لابي هريرة وعشرة أمثاله قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد رضي الله تعالى عنه سمعته يقول لك ذلك وعشرة
أمثاله وفي رواية للجاري قال فيأتهم الله في غير الصورة التي يعرفونها فيقول أنار بكم فيقولون نهو ذنابنا
منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا آتانا عرفناه فيأتهم الله في الصورة التي يعرفونها فيقول أنار بكم
فيقولون أنت ربنا فيدعوهم * قلت أما ما يتعلق بمعاني الحديث والكلام على الرؤية فسيأتي في تفسير
سورة ن والقيامة ونسلكم ههنا على شرح غريب ألفاظه قوله مثل شوك السعدان هونيت ذنوبك
معق وهون أجود من أجي الأبل وقوله فهم من يوقى بعمله يقال أوقى له يقال أوقى له الذنوب أي أهلكته والمحتدل
المرمي المصروع وقيل هو المقطع والمعنى أنه تقطعه كلاب الصراط حتى يقع في النار قوله وقد
امتحنوا أي احرقوا وقيل هو ان تذهب النار الجلود وتبدي العظم قوله كما تنبت الحبة في حبل السيل
الحبة تكسر الحاء وهي البرورات جميعا وحبل السيل هو الزبد وما يليقه الماء على شاطئه قوله قسبني

(وإذا أتت عليهم آياتنا) أي القرآن (بينات) ظاهرات لا عجزاً أو حجاباً وبراهين حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصداقاً لآيات الله لا تكون إلا واضحة وحججاً (قال الذين كفروا) أي مشركو قريش وقد جلاشعورهم ونكفوا في زعيم (للمؤمنين آمنوا) للفقراء ورؤسهم شعنة وثيابهم خشنه (أي الفريقين) نحن أم أنتم (خير مقاماً) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والمسكن وبالضم مكى وهو موضع الإقامة والمنزل (وأحسن ندياً) مجلساً يجتمع القوم فيه للمشاورة ومعنى الآية أن الله تعالى يقول إذا أنزلنا آية فيم أدا لئول وبراهين أعرضوا عن التدبر فيم إلى الاقتناع والثروة والمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) فكم مفعول أهلكنا ومن تبين لاهم أي كثير من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم (هم أحسن) في محل النصب صفة لكم ألا ترى أنكم لو تركتكم كان أحسن نصيباً على الوصفية (أثاثاً) هو متاع البيت أو ما جدم من الفرش (ورثاً) منظر أو عيشة فعل (٢٤١) بمعنى مفعول من رأيت ورواها غيره من مشدداً

نافع وابن عامر على قلب
الله من قيام الكونها وانكسار
ما قبلها ثم الادغام أو من
الرى الذي هو النعمة (قل
من كان في الضلالة)
الكفر (فليد له الرحمن
مدا) جواب من لانها
شرطية وهذا الامر يعنى
الخبر أى من كفر مدله
الرحمن يعنى أمهله وأملى
له فى العدم ليزداد طغياناً
وضلالاً كقوله تعالى انما
غنى لهم ليزدادوا غشاً وانما
أخرج على لفظ الامر ايذاً
بوجوب ذلك وانه مفعول
للمشكلة كالمأمور به
الممثل ليقطع معاذير
الضلال (حتى اذا رآوا
ما يوعدون) هى منصلة
بقوله خير مقاماً وأحسن
ندياً وما بينهما اعتراض أى
لا يزالون يقولون هذا
القول الى ان يشاهدوا

ربحها أى آذاني والقشب السهم فكانه قال قد سمى ربحها قوله وأحرقنى ذكاً أوها أى اشتعلها ولهبها
قوله رآى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أتى لاهم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار
حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فبأنهم أفيئيل اليه انهم ملائكة فيرجع فيقول يا رب وجدتها
ملائكة فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيهم أفيئيل اليه انهم ملائكة فيرجع فيقول يا رب
وجدتها ملائكة فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو ان لك مثل
عشرة أمثال الدنيا فيقول أنصبري وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى
بدت فواجده فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة قوله حتى بدت فواجده أى أضراسه وأنيابه وقيل
هى آخر الاسنان * عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب ناس من أهل التوحيد فى النار
حتى يكوفوا حما ثم يندركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة
من المسافين فيبتون كما تبت الحبة فى حالة السيل أخرجه الترمذى الجم القضم والحالة كل ما جاء به السيل
فدلت الآية الأولى على ان الكل دخلوا النار ودلت الآية الثانية والاحاديث ان الله تعالى أخرج منها
المتقين وجسيع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون (وإذا أتت عليهم آياتنا بينات)
أى دلائل وأقصاص (قال الذين كفروا) يعنى الناصرين الحارث ومن دونه من كفار قريش (للمؤمنين آمنوا)
يعنى فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم شقاوة وفى عيشهم خشونة وفى ثيابهم رثاثة
وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون أغر ثيابهم (أى الفريقين خير مقاماً)
أى منزلاً ومكاناً وموضع الإقامة (وأحسن ندياً) أى مجلساً فأجابهم الله تعالى بقوله (وكم أهلكنا قبلهم
من قرن هم أحسن أثاثاً) أى متاعاً وأموالاً وقيل أحسن ثياباً ولباساً (ورثاً) أى منظر من الرؤية (قل
من كان فى الضلالة فليد له الرحمن مدا) هذا أمر يعنى الخبر معناه يدعه فى طغيانه وعياله فى كفره (حتى
اذا رآوا ما يوعدون اما العذاب) أى الامر بالقتل فى الدنيا (واما الساعة) يعنى القيامة قيد دخول النار
(فسيعلمون) أى عند ذلك (من هو شر مكاناً) أى منزلاً (وأضعف جنداً) أى أقل ناصر والمعنى فسيعلمون
أهم خير وهم فى النار أم المؤمنون وهم فى الجنة وهذا رد عليهم فى قولهم أى الفريقين خير مقاماً وأحسن
ندياً (قوله عز وجل) (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) أى إيماناً وإيقاناً على بغيرهم (والباقيات

(٣١ - خازن ثالث) الموعود رآى عين (اما العذاب) فى الدنيا وهو عذاب المسلمين اياهم بالقتل والامر (واما
الساعة) أى القيامة وما ينالهم من الخزي والتكال فهما بدلان مما يوعدون (فسيعلمون من هو شر مكاناً) منزلاً (وأضعف جنداً) اعواناً
وأنصاراً أى يخشون ان الامر على عكس ما قدره وانهم شر مكاناً وأضعف جنداً الاخير مقاماً وأحسن ندياً وان المؤمنين على خلاف
ضعفهم وجازان متصل بما يليها والمعنى ان الذين فى الضلالة هم مدود لهم فى ضلالتهم لا يتفكرون عن ضلالتهم الى ان يعاينوا بعصرة الله المؤمنين
أو يشاهدوا الساعة وحتى هى التى يحكى بعدها الجلال ألا ترى ان الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله اذا رآوا ما يوعدون فسيعلمون
(ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) معطوف على موضع فليد لوقوعه موضع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مداد بعدله الرحمن ويزيد أى
يزيد فى ضلال الضال بخلافه ويزيد المهتدين أى المؤمنين هدى ثباتاً على الاية مداداً أو يبينوا بصيرة بتوفيقه (والباقيات

الصالحات) أعمال الآخرة كلها أو الصالحات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) مما يقتر به الكفار (وغير مردا) أي مرجعا وعاقبة نعمكم بالكفار لانهم قالوا للمؤمنين أي الفريقين خير مقام أو أحسن ندبا (أقرأيت الذي كفريا يأتنا وقال لاوتين مالا وولدا) ثم وبضم الواو وسكون اللام في أربعة مواضع ههنا وفي الزخرف وفوح وحجرة وعلى جمع ولد كاسد في أسد أو يعني الولد كالعرب في العرب ولما كانت رؤية الأشياء طريقا إلى العلم بها وصحة الخبر عنها استعمالوا أقرأيت في معنى أخبر والغاء أقرأت التعقيب كأنه قال أخيرا أيضا بقصة هذا الكافر وإذا كره حديثه عقيب حديث أوائل وقوله لاثنين جواب قسم مظهر (أطلع الغيب) من قولهم أطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه اللهم زلة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة أي أنظر في اللوح المحفوظ فرأى منيته (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) موثقا أن يؤتيه ذلك أو العهد كلة الشهاداة وعن الحسن زلت في الوليد بن المغيرة والمشهور رآه في العاص بن وائل فقد روي أن خباب بن الارت سأل العاص بن وائل حيا فاقضاه الأجر فقال انكم تزعمون انكم تبعون وان في الجنة ذهابا ورفضه فانا أقضيه لك ثم فاني أوتي مالا وولدا حيثئذ (كل) ردع وتوبيخه (٢٤٢) على الخطأ وهو مخطئ فيما تصوره لنفسه فليردع عنه (سكتب

الصالحات) أي الأذكار والأعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها (خير عند ربك ثوابا وخير مردا) أي عاقبة ومردا (أقرأيت الذي كفريا يأتنا) الآية (ق) عن خباب بن الارت قال كنت رجلا قينا في الجاهلية وكانت لي على العاص بن وائل السهمى دين فأتنيته أنقاضا وفي رواية فعملت العاص بن وائل السهمى سبي فأتنيته أنقاضا فقال لا أعطي بك حتى تكفر بمحمد فقات لا أكفر حتى يمتك الله ثم تبعث قال واني لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعني حتى أموت وأبعث فساؤ في مالا وولدا فأقضي لك فزلت أقرأيت الذي كفريا يأتنا (وقال لاوتين مالا وولدا) إلى قوله فردا القين الحداد فردا الله عليه بقوله (أطلع الغيب) قال ابن عباس معناه أنظر في اللوح المحفوظ وقيل أعلم علم الغيب حتى يعلم أهو في الجنة أم لا (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) يعني قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل يعني عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد إليه أنه يدخله الجنة (كل) ردع عليه يعني لم يفعل ذلك (سكتب ما يقول) أي سخط عليه ما يقول فتجأ به في الآخرة وقيل يأمر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول (وغدله من العذاب مدا) أي زنده عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه (وزنه ما يقول) معناه أي ما عساه من المال والولد بأهلا كئناياه وإطال ملكه وقيل يزول عنه ما عساه من مال وولد فيعود الارت إلى من خلفه وإذا سلب ذلك بقي فردا فذلك قوله (و يأتينا) يعني يوم القيامة (فردا) بالمال ولا ولد فلا يصح ان يبعث في الآخرة بمال وولد (قوله تعالى) واتخذوا من دون الله آلهة يعني مشركي قريش اتخذوا الأصنام آلهة يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) أي منعة يعني يكونوا شفعاء بينهم من العذاب (كل) أي ليس الأمر كزعموا (سيفكفرون بعبادتهم) يعني تبيحوا الأصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤن منهم (ويكونون عليهم ضدا) أي أعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل أعداء لهم وكانوا أولياءهم في الدنيا (قوله عز وجل) ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين (أي سلطانهم عليهم) تؤزهم أزا) أي تربحهم أزعاجا من الطاعة إلى المعصية والمعنى تخننهم وتخزهم على المعاصي تحريضا شديدا وفي الآية دليل على أن الله تعالى مدبر لجميع الكائنات (فلا تعجل عليهم) أي لا تعجل بطلب عقوبتهم (انما نعد لهم عدا) يعني الليالي

ما يقول) أي قوله والمراد سنظوره ونعله أنا كتبنا قوله لانه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهو كقوله اذا ما انت بنام تلذذني لثمة أي علم وتبين بالانتساب أني استبأين لثمة (وغدله من العذاب مدا) زنده من العذاب كما يزيد في الافتراء والاجترار من الممدد يقال مدد وأمدده معني (مدا) أكد المصدر لفرط غضبه تعالى (وزنه ما يقول) أي نزوى عنه ما زعم انه يناله في الآخرة والمعنى مسمى ما يقول وهو المال والولد (و يأتينا فردا) حال أي بلا مال ولا ولد كقوله واقد جنتهمونا فردا أي فما

يجدى عليه غنمه وتأليه (واتخذوا من دون الله آلهة) أي اتخذوا هؤلاء المشركون أصناما يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) أي ليعتروا آلهتهم ويكونوا لهم شفعاء وانصارا ينتقدونهم من العذاب (كل) ردع لهم عما ظنوا (سيفكفرون بعبادتهم) الضمير للآلهة أي سيجعدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدنا وانا أنتم كاذبون أو للمشركين أي ينكفرون ان يكونوا قد عبدوها كقوله والله ربنا ما كنا مشركين (ويكونون) أي المعبدون (عليهم) على المشركين (ضدا) خصما لان الله تعالى ينطقهم فتقول يارب عذب هؤلاء الذين عبدوا من دونك والضد يقع على الواحد والجمع وهو في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه أي يكونون عليهم لاهم عزا وان رجع الضمير في سيفكفرون ويكونون إلى المشركين فالمعنى ويكونون عليهم أي أعداؤهم ضدا أي كفرتهم بعد ان كانوا عبادا لها ثم عجب بنبيه عليه السلام بقوله (لم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أي خيلناهم وأياهم من أرسلنا البعير ألقنه أوسطانهم عليهم بالاعواء (تؤزهم أزا) تغريمهم على المعاصي أغراوا الأزو الهزأوا ومنعاهم التهميع وشدة الزجاج (فلا تعجل عليهم) بالعذاب (انما نعد لهم عدا) أي أعمالهم الجزاء

وأنفاسهم للفناء وقرأها ابن السكيت عند المؤمن فقال إذا كانت الأنفاس بالهـ مدد ولم يكن لها مدد فأسرع ما تنفسد (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) ركبا ناعلى فوق رحالها ذهب وعلى نجائب سرورها باقوت (ونسوق المحرمين) الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا أصل من الانعام (إلى جهنم وردا) عطاشا لان من برد الماء لا يبرده الا لعطش وحققة الورود المسير الى الماء فيسمى به الواردون فالو قد جمع وافد كركب وراكب والورد جمع وارادون نصب يوم نحصر أي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفر يقين مالا يوصف أي اذ كرم يوم نحشر ذكرا المنفون بانهم يحشمون إلى ربهم الذي غفروهم برحمته كما يقدر الوفود على الملوله تجيبه لالههم والكافرون بانهم مساقون إلى النار كانهم نعم عطاش يساقون إلى الماء استخفافا بهم (لا يملكون الشفاعة) حال والواوان جعل ضمير افعول للعباد ودل عليه ذكرا المتقين والمجرمين لانهم على هذه القصة ويجوز ان يكون علامة للجمع كاتى في أكلوني البر اغثب والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل من واو يملكون أو على الفاعلية أو نصب على تقدير حذف المضاف أي الاشفاة (٢٤٣) من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم (الامن اتخذ عند الرحمن عهدا) بان آمن في الحديث

من قال لا اله الا الله كان له عند الله عهد وعنه ابن مسعود رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا صحابه ذات يوم أيحز أحدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني أعهد لك بانى أشهد أن لا اله الا أنت وحسبك لا شريك لك وان محمد عبدا ورسولك وانك ان تكلمنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا أتى الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفيقه يوم القيامة ان لا تخاف الميعاد فاذا قال ذلك طبع

والايام والشهور والاعوام وقيل الأنفاس التي يتنفسون في الدنيا إلى الاجل الذي أجل لعذابهم قوله تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) أي اذ كرمهم بالمجد اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته إلى جهنم وفداً أي جاءات قال ابن عباس ركبا ناعلى أبو هريرة على الابل وقال علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على فوق رحالها من الذهب ونجائب سرورها يوقبت ان هموا باسارت وان هموا باطارت (ونسوق المحرمين) أي الكافرين (إلى جهنم وردا) أي مشاة عطاشا قد قطعت أعناقهم من العطش والورد جماعة يدرون الماء ولا يرد أحد الا بعد العطش وقيل يساقون إلى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق إلى الماء (ق) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراغبين واثبات على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير ونحشر معهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصيح معهم حيث أصبحوا وعسى معهم حيث أمسوا قوله تقيل معهم حيث قالوا من القبول وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يشعرون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يشبههم على وجوههم أما انهم يتقون وجوههم كل حسب وشوك أخرجه الترمذي قوله عز وجل (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعني لا اله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا للمؤمنين وقيل لا يشفع الا لمن قال لا اله الا الله أي لا يشفع الا للمؤمنين (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعني اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله من العرب (لقد جئتم شيئا ادا) قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد اقم قولنا عظيما (تكاد السموات ينفطرن منه) من الانفطار وهو الشق (وتشق الارض) أي تحذف بهم (وتخرا الجبال هدا) أي تسقط وتنطبق عليهم (أن دعوا) أي من أجل ان جعلوا (للرحمن ولدا) فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وتخرو الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة في هذه الجملادات قلت فيه وجوهان أحدهما ان الله تعالى يقول كدت ان أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا منى على من نقوه بالواحلي واني لا أجعل بالعقوبة الثاني ان يكون اسم عظاما للكلمة وهو يلامن قطعها وتصوير الاثر في الدين وهذا

عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كان لهم عند الله عهد فدخلون الجنة أو يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمر به أي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أي النصارى واليهود ومن زعم ان الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيئا ادا) خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة وهو التفات أو أمر نبيه عليه السلام بانه يقول لهم ذلك والاد العجب أو العظيم المنكر والاداة الشدة أو أدنى الامر أثقل وعظم على اذا (تكاد السموات) تقرب وبالياء نافع وعلى (ينفطرن) وبالنون بصري وشامي وحذرة وخلف وأبو بكر الانفطار من فطره اذا شقه وانفطر من فطره اذا شقه (منه) من عظم هذا القول (وتشق الارض) تنحسف وتنفصل اجزاؤها (وتخرا الجبال) تسقط (هدا) كسر أو قطع أو هدم أو اهتد صوت الصاعقة من السماء وهو مصدر رأى ثم هدا من سماع قولهم أو مفعول له أو حال أي مهددة (أن دعوا) لان دعوا وحده جربتل من الهام في منه أو نصب مفعول له علل الخرو والهدا والهد يدعاء الولد للرحمن أو رفع فاعل هدا أي هدا هدا هدا (للرحمن ولدا)

وما ينبغي للرجن أن يتخذ ولداً) انبغي مطاوع بغير اذا طلب أي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينبغي لوطلب مثلاً لانه محال غير داخل تحت
 العصة وهذا لان اتخاذ الولد الحاجة وبجائسة وهو منزعه عنهم ما في اختصاص الرجن وتكريره كرات بيان انه الرجن وحده لا يستحق هذا
 الاسم غيره لان اصول النعم وفروعها منه فليست كسنة عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فن أضاف اليه ولداً فقد جعله
 كبعض خلقه وأخرج به بذلك عن استحقاق اسم الرجن (ان كل من) تكرة موصوفة صفتها (في السموات والارض) وخبر كل (الآت
 الرجن) ووحد آتى وآتبه جلا على لفظ كل ٢٤٤ وهو اسم فاعل من آتى وهو مستقبل أي يأتيه (عبداً) حال أي خاضعاً لادب لا منقاداً

والمعنى ما كل من في السموات
 والارض من الملائكة
 والناس الا هو يأتي الله
 يوم القيامة مقراً بالعبودية
 والعبودية والبنوة تتناقضان
 حتى لو ملك الاب ابنه يعتق
 عليه ونسبة الجميع اليه
 نسبة العبد الى المولى
 فكيف يكون البعض ولداً
 والبعض عبداً وقرأ ابن
 مسعود آت الرجن على
 أصله قبل الاضافة (لقد
 أحصاهم وعدهم عداً) أي
 حصرهم بعلمه وأحاط بهم
 (وكلمهم آتبه يوم القيامة
 فرداً) أي كل واحد منهم
 يأتيه يوم القيامة منفرداً
 بالأعمال ولا ولد أو بلا معين
 ولا ناصر (ان الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات سيجعل لهم
 الرجن ودا) مودة في قلوب
 العباد قال الربيع يحبهم
 ويحبهم سم الى الناس وفي
 الحديث يعطى المؤمن مائة
 في قلوب الابراء ومهاجرة في
 قلوب الفجار وعن قتادة
 وهم ما قبل العبد الى الله
 الا قبل الله بقلوب العباد
 اليه وعن كعب ما يستقر
 لعبده ثناء في الارض حتى

لاركانه وقواعده قال ابن عباس قرعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت
 ان تزول وغضبت الملائكة واستعوت جهنم حين قالوا اتخذ الله ولداً ثم نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه
 عنه فقال تعالى (وما ينبغي للرجن أن يتخذ ولداً) أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لان الولد لا بد أن
 يكون شبيهاً بالوالد ولا شبهة لله تعالى ولان اتخاذ الولد اغنياً يكون لا غراض لا تصح في الله تعالى من سرور
 به واستعانة به وذكر جميل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى (ان كل من في السموات والارض الا آت الرجن
 عبداً) أي آتبه يوم القيامة عبداً لئلا يخاضعوا للمعنى ان الخلائق كلهم عبيده (لقد أحصاهم وعدهم
 عداً) أي عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شيء من أمورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته
 (وكلمهم آتبه يوم القيامة فرداً) أي وحيداً ليس معه من أحوال الدنيا شيء قوله عز وجل (ان الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرجن ودا) أي محبة قبل يحبهم الله تعالى ويحبهم الى عبادته المؤمنين
 (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أحب الله سبحانه وتعالى
 عبداً ادعاه جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلان فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء
 ان الله يحب فلان فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وفي رواية لمسلم قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا أحب عبداً ادعاه جبريل فقال اني أحب فلان فأحبه فيحبه
 جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلان فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في
 الارض واذا أغض الله عبداً ادعاه جبريل عليه السلام فيقول اني أبغض فلان فأبغضه فيبغضه جبريل
 ثم ينادي في أهل السماء ان الله يبغض فلان فأبغضه ثم يوضع له البغضاء في الارض قال هرم بن حبان
 ما قبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا قبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب
 مكتوب في التوراة لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابناً لداود هاهنا من الله عز وجل ينزلها على أهل السماء
 ثم على أهل الارض وتصديق ذلك في القرآن سيجل لهم الرجن ودا قوله تعالى (فانما أسرناه) أي سهلنا
 القرآن (باسانك) يا محمد (لتبشر به المتقين) يعني المؤمنين (وتنذر به) أي بالقرآن (قومالدا) أي شدداد
 في الخصومة وقبل صما عن الحق وقيل الا لظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعي الباطل (وكم
 أهلكنا قبلهم من قرن) ختم الله تعالى هذه السورة بعوطة بليغة لانهم اذا علموا أو يقنوا به لا بد من زوال
 الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة في الآخرة فكانوا الى الحذر من المعاصي أقرب ثم أكد
 ذلك فقال تعالى (هل تحس منهم) أي هل ترى وقبل هل تجد منهم أي من القرون (من أحد أو نسمع لهم
 ركزاً) أي صوتاً خفياً قال الحسن بادوا جيعاً فم يبق منهم عين ولا أثر والله أعلم بمراده وأسرا كتابه

﴿تفسير سورة طه﴾

وهي مكية وهي مائة وأربعة وقيل خمس وثلاثون آية وألف وستمائة واحد وأربعون كلمة
 وخمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفاً

يسبق له في السماء (فانما أسرناه) سهلنا القرآن (باسانك) بلغتك حال (لتبشر به المتقين) المؤمنين (وتنذر به قومالدا) عن
 شداد في الخصومة بالباطل أي الذين يأخذون في كل لبس أي شق من المراء والجدال جمع الدريد به أهل مكة (وكم أهلكنا قبلهم من قرن)
 تحويف لهم وانذار (هل تحس منهم من أحد) أي هل تجد أو ترى أو تعلم والاحساس الادراك بالحاسة (أو نسمع لهم ركزاً) صوتاً خفياً
 ومنه الر كاز أي لما اتاهم عداً لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعني هلكوا كلهم فكذلك هؤلاء ان اعرضوا عن تدبر ما نزل عليهم
 فعاقتهم الهلاك فلين عذبنا امرهم والله اعلم ﴿سورة طه صلى الله عليه وسلم مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية كوفي﴾

بسم الله الرحمن الرحيم طه نحم الطاه لاسمه علائها وأمال الهاء ابو عمرو واما الهما حزة وعلى دخلت وابو بكر ونحمهم ما على الاصل غيرهم وما روى عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم ان معناه يارجل فان صح قظا فهو الا فالخق ما هو المذكور في سورة البقرة (ما انزلنا عليك القرآن) ان جعلت طه تعدد الاسماء الحروف فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسماء للسورة احتملت ان تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن ظاهر اوقع موقع المضمر لانها قرآن وان يكون جوابا لها وهي قسم (لنشق) لتعيب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا او بقيام الليل وانه روى انه عليه السلام صلى بالليل حتى (٢٤٥) نورمت قدما فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما

أنزلناه لتعلم نفسك بالعبادة وما بعثت الا بالنبى في السمعة (الا تذكرة) استثناء منقطع اي لكن انزلناه تذكرة او حال (لمن يخشى) لمن خاف الله اول من يؤل امره الى المشيئة (تنزيلا) بدل من تذكرة اذا جعل حال او يجوز ان ينصب بنزل مضمر او على المدح او يخشى مفعولا به اي أنزل الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله (من خلق الارض والسموات) من يتعلق بشئ فلا صلة له (الى) جمع العلياء تأنيث الاعلى ووصف السموات بالعلو دليل ظاهر على عظم قدرته خالقها (الرحمن) رفع على المدح اي هو الرحمن (على العرش) خبر مبتدأ محذوف (استوى) استولى عن الزجاج ونبه بذكر العرش وهو أعظم الخلق على غيره وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سر الملوك مما

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السورة التي فيها البقرة من الذكر الاول وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فوائح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة الزيادة وفقنا الله لفهم ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (طه) قيل هو قسم أقسم الله بطوله وهذا بته وقيل هو من أسماء الله فان طاء افتتح اسمه طاهر والهاء افتتح اسمه هادى وقيل معناه يارجل والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة علم وعلم قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طائر الارض بقدميه يريد به في التهجيد وذلك لما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتمع في العبادة حتى كان براوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلى الليل كله فأُنزل الله تعالى هذه الآية وأمره ان يخفف على نفسه فقال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لنشقى وقيل لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد الا اثنا عشر آية فقلت (ما أنزلنا عليك القرآن لنشقى) أى استعنى وتعب (الا تذكرة لمن يخشى) أى لكن أنزلناه مظة لمن يخشى وانما خص من يخشى بالذكورة لانهم هم المنتفعون بها (تنزيل من خلق الارض والسموات الى) أى من الله الذى خلق الارض والسموات والعلية الرفيعة التى لا يقدر على خلقها فى عظمها او علوها الا الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) تقدم الكلام عليه في سورة الاعراف مستوفى (له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما) يعنى الهوا وما تحت الثرى) أى انه مالك لجميع ما فى الاربعه الاقسام والثرى هو التراب الذى وقيل معناه ما وراء الثرى من شئ وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر الثور والثور على بحر ورأسه وذنبه بلقيان تحت العرش والبصر على صخرة خضراء خضرة السماء منها هو الصخرة التى ذكرها الله تعالى فى قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت ذلك الا ترى الا الله تعالى وذلك الثور فأنشأه فاذا جعل الله البحار بحر او احد اسالت فى خوف ذلك الثور فاذا وقعت فى جوفه يبيت قوله تعالى (وان تجهر بالقول) أى تعلن به (فانه يعلم السر وأخفى) قال ابن عباس السر ما سر فى نفسه وأخفى من السر ما يلقيه الله فى قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك لا تعلم ما سر اليوم ولا تعلم ما سر غد والله يعلم ما أسررت به اليوم وما أسر به غدا وعنه ان السر ما أسر به ابن آدم فى نفسه وأخفى ما هو فاعله قبل أن يعلمه وقيل السر ما أسر به الرجل الى غيره وأخفى من ذلك ما أسر به فى نفسه وقيل السر هو العمل الذى يسر من الناس وأخفى هو الوسوسة وقيل السر ان يعلم الله تعالى أسرار العباد وأخفى هو سره من عباده فلا يعلم أحد سره وقيل مقصود الآية زجر المكلف عن القبايح ظاهرة كانت أو باطنة والترغيب فى الطاعات

يردق الملك بجواهر كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش أى ملأه وان لم يقعد على السرير البتة وهذا كقولك يد فلان مبطونة أى جواد وان لم يكن له يد أو المذهب قول على رضى الله عنه الاستواء غير مجهول والتكليف غير مفعول والایمان به واجب والسؤال عنه بدعة لانه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان (له ما فى السموات وما فى الارض) خبر ومبتدأ ومقطوف (وما بينهما) أى ذلك كله ملكه (وما تحت الثرى) ما تحت سبع الارضين أو هو الصخرة التى تحت الارض السابعة (وان تجهر بالقول) ترفع صوتك (فانه يعلم السر) ما أسرته الى غيرك (وأخفى) منه وهو ما أخطرت به بيا لك أو ما أسرته فى نفسك وما أسرته فيها

(الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) اى هو واحد بذاته وان افترقت عبارات صفاته ودلواهم انك تدين عوا لاهة حين سمعوا اسماءه تعالى والحسنى تأنيث الاحسن (وهل) اى وقد (أناك) حديث موسى (خبره ففاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسي به في تحمل اعباء النبوة بالصبر على المكارة وايصال الدرجة العليا كما نالها موسى) (اذ رأى) ظرفي لمضمر اى حين رأى (نارا) كان كيت وكيت أو مفعول به لا ذكر روى ان موسى عليه السلام استأذن شعيبا في الخروج الى أمه وخرج بأهله فولد له ابن في الطريق في ليلة مظلمة مثلمة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولأما عند وفده (٢٤٦) فصل من زنده قرأى عند ذلك نادى في زعمه وكان نورا (فقال لاهله امكنوا) أقيموا في مكانكم

ظاهرة كانت أو باطنة فعلى هذا الوجه ينبغي ان يحمل السر والاختفاء على ما فيه ثواب أو عقاب فالسر هو الذى يسره المرء في نفسه من الامور التى عزم عليها والاختفاء هو الذى لم يبلغ حد العزيمه ثم وجد نفسه فقال تعالى (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) تأنيث الاحسن والذى فضلت به اسماءه فى الحسن دون سائر الاسماء دلالة على معنى التقديس والتعظيم والروبية والافعال التى هى النهاية فى الحسن قوله عز وجل (وهل أناك) حديث موسى (أى وقد أناك لما قدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ففاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليتأسي به في تحمل اعباء النبوة ونكاله فى الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود) (اذ رأى نارا) وذلك ان موسى استأذن شعيبا في الرجوع من مدين الى مصر ليزور والدته وأخاه فاذن له فخرج بأهله وماله وكانت أيام الشتاء فاخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامر أنه حامل في شهرها لا يدري ألبلا نضع أم نهارا فصار في البرية غير عارف بطريقه فأقبل المسير الى جانب الطور الغربى الا عين وذلك فى ليلة مظلمة مثلمة شاتبة شديدة البرد لما أراد الله من كرامته فاخذ امرأته الطلق فاخذ زنده فجعل يمدح فلا يورى فأبصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور (فقال لاهله امكنوا) اى أقيموا (انى آنت نارا) اى أبصرت نارا (لعل آتيكم منها بقبس) اى شعلة من نار في طرف عود (أو أجد على النار هدى) اى أحد عند النار من يدانى على الطريق (فلما آتاها) اى أتى النار رأى شجرة خضراء من أعلاها الى أسفلها أطافت بها نار بيضاء تنقد كاضوا ما يكون فلا ضوء النار غير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قيل كانت الشجرة ثمرة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة من العناب روى ذلك عن ابن عباس وقال أهل التفسير لم يكن الذى رآه موسى نارا بل كان نوراً كبريلقظ النار لان موسى عليه الصلاة والسلام حسبه نارا قال ابن عباس هو من نور الرب سبحانه وتعالى وقيل هى النار بعينها وهى احدى حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ما روى عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حجاب النار لو كشفها لاهلكت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصر من خلقه أخرجه مسلم قيل ان موسى أخذ شياً من الخشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما نادى نأى عنه واذا نادى دنت منه فوقف متعبراً وسمع تسبيح الملائكة وأقيمت عليه السكينة فعند ذلك (نودى يا موسى انى أنا ربك) قال وهب نودى من الشجرة فقيل يا موسى فاجاب سرىعا وما يدري من دعاه فقال انى اسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت فقال أنا فوقك ومعلنا وأمامك وخلفك وأقرب اليك منن فعلم ان ذلك لا يثنى الا الله تعالى فايقن به وقيل انه سمعه بكل أجزائه حتى ان كل جارية منه كانت اذا نادى وقوله (فاخلع نعليك) كان السبب فيه ما روى عن ابن مسعود من قوما فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حار ميت وبروى غير مدبوغ وانما أمر بخلعهما صيانة للوادى المقدس وقيل أمر بخلعهما ليلباشر بدميه تراب الارض المقدسة لتناله بركتها فانما قدست من تين خلعهما موسى فالتاهما من وراء الوادى (انك بالواد المقدس) أى المطهر (طوى) امم للوادى الذى حصل فيه وقيل طوى واد مسند برعميق مثل المطوى فى استدراجه (وأنا اخترناك) اصطفتك برسالاتى وبكلامى (فاستمع

(انى آنت) أبصرت (نارا) والابناس روية شئ يؤنس به (لعل آتيكم منها) اى الامر على الرجاء لئلا يعبد ما ليس يستيقن الوفاء به (قبس) نار مقتبس فى رأس عود أو قيسلة (أو أجد على النار هدى) ذوى هدى أو قوما يمدوننى الطريق ومعنى الاستعلاء فى على النار ان أهل النار يستعلون المكان القريب منها (فلما آتاها) اى النار وجد ناراً بيضاء تنوقد فى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها وكانت شجرة العناب أو العوسج ولم يجد عندها أحداً وروى انه كلما طلمها بعدت عنه فاذا تركها قريت منه فثم (نودى) موسى (يا موسى انى) بكسر الهمزة اى نودى فقبيل يا موسى انى أولان النبى ضرب من القول فعمل معاملة له وبالفتح مكى وأبو عمرو اى نودى بأنى (اناراك) انامبتدأ أو نأ كيد أو فصل وكرر الضمير لتحقيق المعرفة

واماطة الشبهة روى انه لما نودى يا موسى قال من المشكك فقال الله عز وجل اناراك فاعرف انه كلام الله عز وجل بأنه سمعه من جميع جهاته الست وسمعه بجميع اعضائه (فاخلع نعليك) اترعهما لتصيب قدميك بركة الوادى المقدس أولانها كانت من جلد حار ميت غير مدبوغ أولان الحفوة تواضع للنوم ثم طاف السلف بالكعبة حافين والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها فخلعها والقاهما من وراء الوادى (انك بالواد المقدس) المطهر أو المبارك (طوى) حيث كان ممنون شامخ وكفى لانه اسم علم للوادي وهو يدل منه وغيرهم بغير تنوين يتأويل البقعة وقرأ أبو زيد بكسر الطاء بالانوين (وأنا اخترناك) اصطفتك بالنبوة وأنا اخترناك حمزة (فاستمع

لما يوحى) اليك للذي يوحى أو الوحي واللام يتعلق باستمع أو باخترت (اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى) وحدنى وأطعنى (وأقم الصلاة لذكري) لتذكرنى فيه الاشتغال بالصلاة على الاذكار أو لاني ذكرتها في الكتاب وأمرت بها أولان أذكرها بالمدح والثناء أولاً كرى خاصة لا تشوبه بذكر غيري أو لتكون لي ذكراً غير ناس أو لأوقات ذكرى وهي مواقيت الصلاة لقوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً وقد جعل على ذكر الصلاة بعد نسيانها وإذا أصبح بنقد برحمتي المضاف الى ذلك وصلاقي وهذا دليل على انه لا فريضة بعد التوحيد اعظم منها (ان الساعة آتية) لا محالة (أكاد) اريد عن الاخفش وقبل صلاة (اخفيها) قيل هو من الاضداد اي أظهرها أو أسرّها من العباد فلا أقول هي آتية لا رادني اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها (٢٤٧) مع تعمية وقتها من الحكمة وهو انهم اذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها في كل وقت لما أخبرت به (التجزي) متعلق بآتية (كل نفس بما تسعى) بسعيها من خير أو شر (فلا يصرفنك عن عملك للساعة أو عن إقامة الصلاة أو عن الإيمان بالقيامة) فالخطاب للمؤمنين والمراد به أمته (من لا يؤمن بها) لا يصرف بها (واتبع هواه) في مخالفة أمره (فتردى) فتهلك (وما تلك بينك وبيموسى) ما بينك وبينك خبره وهي بمعنى هذه وبينك حال عمل فيها معنى الإشارة أى قارة أو مأخوذة بينك أو تلك موصول صلاته بينك والسؤال للتنبيه لتضع الحجرة بها بعد التثبت أو للتوطين للتلايم ولانقلابها حيثه أولاً لئلا يناس ورفع الهيبة للمكلمة (قال هي عصاى أتوكأ عليها) اعتمد عليها اذا أعيت أو

لما يوحى) فيه نهاية الهيبة والجلال له كانه قال له لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له (اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى) ولا تعبد غيري (وأقم الصلاة لذكري) أى لتذكرنى فيها وقبل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري وقيل لا خلاص ذكري وطلب وجهي ولا ترا في فيها ولا تقصد بها غرضاً آخر وقيل معنى اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فأتيتها (ق) عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصل اذا ذكرها لا ككفارة لها الا ذلك وتلا فتادة وأقم الصلاة لذكري وفي رواية اذا قرأ أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول وأقم الصلاة لذكري (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) قال أكثر المفسرين معناه أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها المخلق وكيف أظهرها لكم ذكر ذلك على عادة العرب اذا بالغوا في الكتمان لشيء يقولون كتمت سرى في نفسي أى أخفيت غايته الاخفاء والله تعالى لا يخفي عليه شيء والمعنى في اخفاء التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في اخفاء وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصي الى أن يقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيخلص من عقاب المعاصي بتعريف وقت الموت رانه اذا لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصي أو يتوب منها في كل وقت مخافة معاجلة الاجل (قوله تعالى) (تجزي كل نفس بما تسعى) أى بما تعمل من خير أو شر (فلا يصرفنك عن عملك للساعة أو عن إقامة الصلاة أو عن الإيمان بالساعة وبهجيتها من لا يؤمن بها) (واتبع هواه) أى مراده وخالف أمر الله (فتردى) أى قهرك (قوله عز وجل) (وما تلك بينك وبيموسى) سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوبيخه على انها عصا حتى اذا قلبها ختمه علم انها معجزة عظيمة (قال هي عصاى) قيل كان لها شعبتان وفي أسفلها أسنان ولها محجن واسمها تبعه (أتوكأ عليها) أى اعتمد عليها اذا مشيت واذا عبيت وعند الوتية (واهش بها على غنى) أى اضرب بها الشجرة اليابسة لئلا يقط ورقها فترماه الغنم (ولى فيها ما رآب أخرى) أى حاجة ومنافع أخرى وأراد بالمآرب ما كان يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل ويستقي بها الماء من البئر يقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وروى عن ابن عباس ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاء فجعلت تماسيه وتحدته وكان يضرب بها الارض فيخرج له ماباً كل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا روفها ذهب الماء وكان اذا انتهى ثمره ركزها فتصير غصن تلك الشجرة وتوقر وتثمر واذا أراد الاستقاء من البئر اذ لا حافظت على طول البئر وصارت شعبتها كدلو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه (قال) الله تعالى (أنفها ياموسى) أى انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى انه يقول ارفضها

وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة (واهش بها على غنى) انبط ورق الشجرة على غنى لتأكل (ولى فيها) حفص (مآرب) جمع ماربة بالحركات الثلاث وهي الحاجة (أخرى) والقياس اخرها قال أخرى روى الى الجماعة أو لنسق الاى وكذا الكبرى ولما ذكرها ضموا شكروا أجل الباقي حياء من التطويل أو لنسأل عنها الملك العلام فيزبدى الاكرام والمآرب الاخرانها كانت تماسيه وتحدته وتحارب العدو والسباع وتصير رشاة تطول بطول البئر وتصير شعبتها دلو أو تكونان شعبتين بالليل وتحمّل زاده ويركزها فتخرج ثمره بشمها ويركزها فيخرج الماء فاذا روفها انضب وكانت نقيه الهوام والزيادة على الجواب لعدد النعم شكروا اولاً لان جواب سؤال آخر لا نه لما قال هي عصاى قيل له ما تصنع بها فأخذ يمدد منافعها (قال أنفها ياموسى) اطرح عصاها لتفرج بها تنكس عليه فلا تنكس الا بتأوى فيها كنسه ما فيها من المآرب فتعده علينا في المطالب

(فألقاها) فطرحها (فأذا هي حية تسمى) غشى سرها قبل انقلب ثعباناً يبلغ العصور والشجر فلما رآها تبذع كل شيء خاف وانما وصف بالحية هنا بالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الدقيق في غيرها لان الحية اسم جنس يقع على الذكور والانثى والصغير والكبير وجاز أن تنقلب حية صفراء دقيقة ثم يتزايد جسمها حتى تصير ثعباناً فأراد بالجان أول حالها وبالثعبان ما آلتها أولانها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان وقيل كان بين حية أربعون ذراعا (٢٤٨) ولما (قال) له ربه (خذها ولا تخف) بلغ من ذهاب خوفه ان أدخل يده في فمها وأخذ

بجليها (سبعدها) سفورها (سبرها الاولى) تأنيث الاول والسيرة الحالة التي يكون عليها الانسان غير رزية كانت أو مكتسبة وهي في الاصل فعلة من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة وانتصبت على الظرف أي سبدها في طريقها الاولى أي في حال ما كانت عصا والماء يتردها عصا كما كانت واري ذلك موسى عند مخاطبة لئلا يفرغ منها اذا انقلبت حية عند فرعون ثم نبه على آية اخرى فقال (واضمم يدك الى جناحك) الى الجناح الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناح الطائر سيما جناحين لانه يجنحهما أي عيّلهما عند الطيران والماءني ادخلها تحت عضدك (تخرج بيضاء) لها شعاع شعاع الشمس يغشى البصر (من غير سوء) برص (آية اخرى) لنبيوتك بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء صفة بيضاء كقولك ابيضت من غير سوء وجاز ان ينتصب

(فألقاها) أي فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة (فأذا هي حية) صفراء من أعظم ما يكون من الحيات (تسمى) أي غشى سرها على بطنها وقال في موضع آخر كانها جان وهي الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع آخر كانها ثعبان وهو أكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكور والانثى فالجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصور ثم تنورم وتنفخ حتى صارت ثعباناً ورواها حالها وقيل انها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحق نظر موسى فاذا العصا حية من أعظم ما يكون من الحيات وصارت شعبتها شديق لها والمجن عنقا وعرفا من كانبازك وعينها يتفقدان كالنار قرب العصرة العظيمة مثل الخلقة من الابل فتلتهمها وتصف الشجرة العظيمة بانيابها أو يسمع لانيابها صريفاً عظيماً فلما عين ذلك موسى ولي مدبراً وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودى باموسى أقبل وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال خذها) أي بيمينك (ولا تخف) قبل كان خوفه لما عرف ما لقي آدم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمأنينه نفسه وذهب الخوف عنه ان أدخل يده في فمها وأخذ بجليها (سبعدها سبرها الاولى) أي الى حيثها فتردها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف قد دخلها بعدد فلما قال الله تعالى له خذها لف طرف المدرعة على يده فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشفها وذكروا بعضهم انهم لما قالوا كم المدرعة على يده قال له هناك رأيت لو أمر الله بما تحاذره أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً قال لا ولكني ضعيف من ضعف خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فأذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتين في الموضع الذي كان يضعها اذ انقأ قال المفسرون أراد الله تعالى أن يرى موسى ما أعطاه من الآيات التي لا يقدّر عليها مخلوق ولئلا يفرغ منها اذا ألقاها عند فرعون قوله تعالى (واضمم يدك الى جناحك) أي الى ابطك وقيل تحت عضدك (تخرج بيضاء) أي نيرة مشرقة (من غير سوء) أي من غير عيب والسوء ههنا معنى البرص قال ابن عباس كان لبدنه نور ساطع بضئ بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر (آية اخرى) أي دلالة اخرى على صدق موسى العصا (انريك من آياتنا الكبرى) قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته قوله عز وجل (اذهب الى فرعون انه طغى) أي جاوز الحد في العصيان والتعرد وانما خص فرعون بالذكر مع أن موسى كان مبعوثاً الى الكل لانه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعاً فكان ذكره الاول قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق رسالتى وانك بعينى ومعنى وان معك يدي وبصري وانى أبلغك من سلطانى تستكمل بها القوة فى أمرى بعثتك الى خلقى ضعيف من خلقى بطور نعمتى وأمن مكورى حتى يحسدنى وأنكر ربي وبيتى وانى أقدم بعزى لولا الحجة التى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط من عيني فبلغه رسالتى وادعه الى عبادتى وحذره نعمة منى وقل له قولنا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته يمدى ولا ينتفس الا بعلى قال فسكت موسى فجاءه ملاك وقال له أجب ربك (قال) يعنى موسى (رب اشرح لى صدرى) أي وسعه للعق قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفاً شديداً اشد شوكته وكثرة جنوده فكان يضيق بما كلف من مقاومة فرعون وحده فقال الله تعالى أن يوسع قلبه للعق حتى يعلم ان أعبد الا بقدر على

آية بفعل محذوف يتعلق به الامر (انريك من آياتنا الكبرى) أي خذ هذه الآية أيضاً بعد قلب العصا حية انريك من آياتنا الكبرى العظمى أو انريك من آياتنا أو المعنى فعلنا ذلك لئلا نرى من آياتنا الكبرى (اذهب الى فرعون انه طغى) جاوز الحد العبودية الى دهرى الربوبية ولما أمره بالذهاب الى فرعون الطاغى وعرف انه كلف أمر عظيم يحتاج الى صدر فسيح (قال رب اشرح لى صدرى) وسعه ليتمل الوحي والمشاق وردى الاخلاق من فرعون وجنده

(ويسرى أمرى) وسهل على ما أمرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون واشرح لى صدرى آكد من انشرح صدرى لانه تكبر للبعثى الواحد من طريق الاجال والتفصيل لانه يقول اشرح لى ويسرى علم ان نمة مشرودا ويسرى ان رفع الالهام بذكر الصدد والاهم (واحلل) افصح (عقدة من لسانى) وكان فى لسانه رنة للجمره التى وضعها على لسانه فى صباه وذلك ان موسى أخذ لحية فرعون ولطمه لطمه شديدة فى صغره فأراد قتله فقالت آسية أيم الملك انه صغير لا يعقل فجعلت فى طشت ناراً وفى طشت يواقيت روضه من ماء موسى فقصد اليواقيت فأمال الملك يده الى النار فرفع جرة فوضهها على لسانه فأحترق لسانه فصارت ككنسة منها وروى أن يده أحترقت واجتهد فرعون فى علاجها فلم يبرأ وسأله قال الى أى رب تدعونى قال الى الذى أرى دى وقد عجزت عنها ومن لسانى صفة العقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانى وهذا يشعر بأنه لم تزل العقدة بكائها أو أكثرهم على ذهاب جميعها (بفقه واقولى) عند تبليغ الرسالة (واجعل لى وزيراً) ظهيرا اعتمد عليه من الوزراء النقل لانه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنته أمن الوزراء الملقا (٣٤٩) لان الملك يعصم رأييه ويلتجئ اليه فى

أموره أو معيناً من الموازنة وهى المعاونة فوزير مفعول أول لاجعل والثانى (من أهلى) أولى وزير مفعولاه وقوله (هرون) عطف بيان لوزير وقوله (أخى) بدل أو عطف بيان آخر وزيراً وهرون مفعولاه وقدم ثانيهما على أولهما عناية بأمر الوزارة (اشد به أذرى) قوبه ظهري وقيل الازر القسوة (واشركه فى امرى) اجعله شريكى فى النبوة والرسالة واشدد واشركه على حكاية النفس شامى على الجواب والباقيون على الدعاء والسؤال (كى نسبحك) نصلى لك ونترحمك نسبحك (كثيراً ونذكرك كثيراً) فى الصلوات وخارجها (انك كنت بنا بصيراً) عالمنا بأحوالنا فأجاباه الله تعالى

مضرته الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده (ويسرى أمرى) أى سهل على ما أمرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون (واحلل عقدة من لسانى) وذلك ان موسى كان فى حجر فرعون ذات يوم فى صغره فلطم فرعون لطمه وأخذ لحية فقال فرعون لاهم أنه آسية ان هذا عدوى وأراد أن يقتله فقالت له آسية انه صبي لا يعقل وقيل ان أم موسى لما فطمته ردت الى فرعون فنشأ فى حجره وجرح امرأته بريانه واتخذاه ولداً فبينما هو يلعب بين يدي فرعون ويده قضيب اذ رفعه فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم يقتله فقالت آسية أيم الملك انه صبي لا يعقل جربه ان شئت نجأت بطشتين فى أحدهما جرونى والاخر جوهه فوضهها بين يدي موسى فأراد أن يأخذ الجوهه فأخذ جبريل يد موسى فوضهها على الجمر فأخذ جرة فوضهها فى فيه فأحترق لسانه وصارت فيه عقدة (بفقه واقولى) أى احلل العقدة كى يفهم واقولى (واجعل لى وزيراً من أهلى) أى معيناً وظهيرا والوزير من يوازرك ويحتمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال (هرون أخى) وكان هرون أكبر من موسى وأفصح لساناً وأجل وأوسم وكان أبيض اللون وكان موسى آدم أفتى جعداً (اشد به أذرى) أى قوبه ظهري (واشركه فى امرى) أى فى أمر النبوة وتبليغ الرسالة (كى نسبحك كثيراً) أى نصلى لك كثيراً (ونذكرك كثيراً) أى نحمدك ونثنى عليك عباداً ولينتنا من جميل نعمك (انك كنت بنا بصيراً) أى خبيراً علينا (قال) الله تعالى (قد أوتيت سؤالك يا موسى) أى أعطيت جميع ما سألته (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أى قبل هذه المرة ثم بين تلك المنحة بقوله تعالى (اذ أوحينا الى أمك ما يوحى) أى ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال (أن أقد فيه فى التابوت) أى ألهمناها أن اجعليه فى التابوت (فأقد فيه فى اليم) يعنى نهر النيل (فليلقه اليم بالساحل) يعنى شاطئ البحر (بأخذ هذه عدولى وعدوله) يعنى فرعون فأخذت نابوتاً وجعلت فيه قطناً ووضعت فيه موسى وقبرت رأسه وشقوقه ثم ألقتة فى النيل وكان يشرع منه نهر كبير فى دار فرعون فينبأ فرعون جالس على البركة مع امرأته آسية اذ هو يتابوت يحى به الماء فأمر الغلمان والجواري بالخارجة فأخرجوه وقبحوا رأسه فاذا بصي من أصبح الناس وجهاً فلما رآه فرعون أحبه بحيت لم يمالك نفسه وعقله فذلك قوله تعالى (وألقيت عليك محبة منى) قال ابن عباس أحبه وحبيه الى خلقه

(٣٣ - خازن ثالث) حيث (قال قد أوتيت سؤالك يا موسى) أعطيت مسؤولك فالسؤل الطلبة فعل مفعول تكبر يعنى محبوز سؤل بلا همز أبو عمرو (ولقد مننا) أنعمنا (عليك مرة) مرة (أخرى) قبل هذه ثم فسر ما فقال (اذ أوحينا الى أمك ما يوحى) الالهام أو منما حين ولدت وكان فرعون يقتل أمثالاً واذا ظرف لمننا ثم فسر ما يوحى بقوله (ان أقد فيه) القيه (فى التابوت) وان مفسرة لان الوحي يعنى القول (فأقد فيه فى اليم) النيل (فليلقه اليم بالساحل) الجانب وسمى ساحلاً لان الماء يسبحه أى يقره والصيغة أمر باناسب ما تقدم ومجناه الاخبار أى نلقه اليم بالساحل (بأخذ هذه عدولى وعدوله) يعنى فرعون والقها ركلاً هاراجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت يقضى الى تناثر النظم والمقدوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان هو التابوت لكن موسى فى جوف التابوت روى أنها جعلت فى التابوت قطناً ملحوا فوضهته فيه وقبرته ثم ألقتة فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فينبأ هو جالس على رأس بركة مع آسية اذ ابانت ابوت فأمر به فأخرج ففزع فاذا بصي أصبح الناس وجهاً فأحبه فرعون حباً شديداً فذلك قوله (وألقيت عليك محبة منى) يتعلق منى بالحب يعنى انى أحببتك ومن أحبه الله أحبه القلوب فأمر أحد الالهة قال قتادة كان فى عيسى موسى ملاحظة ما رآه

أحد الأحبه (ولتصنع) معطوف على محذوف تقديره وأثبت غلبك محبة لتحب ولتصنع (على عيني) أي لتربي عني وأصله من صنع
 الفرس أي أحسن القيام عليه يعني أنا مراعيل ومراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به ولتصنع بسكون اللام والجزم يربد
 على أنه أمر منه (اذتشي) بدل من إذا وجدنا لأن مشي أخته كان منه عليه (أختن فتقول هل أدلكم على من يكفله) روى أن أخته مريم
 جاءت متعرفة خبره فصادفتهم بطلبون له مرضعة يقبل ثديا وكان لا يقبل ثدي امرأته فقلت هل أدلكم على من يكفله إلى نفسه فيريه
 وأرادت بذلك المرضعة الام وتذكر الفعل للفظ من فقالوا نعم فجات بالام فقبل ثديها وذلك قوله (فرب عنك) فرد ذلك (إلى أمك) كما
 وعدناها بقولنا أنارادوه إليك (كي ترضعها) (٢٥٠) بلفظك (ولا تحزن) على فراقك (وقلت نفسا) قطبيا كافرا (فجيئناك من الغم)

فيل ما رآه أحد الأحبه ملاحه كانت في عيني موسى (ولتصنع على عيني) لتربي ويحسن إليك وأنا
 مراعيك ومراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به ونظر إليه (اذتشي أختن) واسمها مريم
 متعرفة خبره (فتقول هل أدلكم على من يكفله) أي على امرأته ترضعه وتضمه إليها وذلك أنه كان لا يقبل
 ثدي امرأته فلما قالت لهم أخته ذلك قالوا نعم فجات بالام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى (فرجعناك إلى أمك
 كي ترضعها) أي بلفظك ورويتك (ولا تحزن) أي وليذهب عنها الحزن (وقلت نفسا) قال ابن عباس
 كان قتل قطيبا كافرا قيل كان عمره اذ ذاك اثنتي عشرة سنة (فجيئناك من الغم) أي من غم القتل وكرهه
 (وقلتا فتونا) قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه في
 محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال
 ثم القاه في البحر في التابوت ثم منعه من الرضاع الامن ثدي أمه ثم أخذه بلجبة فرعون حتى هم بقتله
 ثم تناوله الجرة بدل الجوهرة ثم قتله القطبى وشروجه إلى مدين خائفا (فلبثت) أي مكثت (سنتين في أهل
 مدين) هي بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب إليها موسى قال وهب ابن ميمون عند شعيب
 ثمانية عشر من سنة عشر سنين منها رعى الغنم مهر زوجه صفورا ابنة شعيب وثمان عشرة سنة أقام
 عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثنتي عشرة سنة هاربا (ثم جئت على قدر يا موسى) أي
 جئت على القدر الذي قدرت أن تجي عني قبل على رأس أربعين سنة وهو القدر الذي يوحى إلى الأنبياء
 فيه (واصطنعتك لنفسى) أي اخترتك راضيا فطعتك لوجهي ورسالتى لتتصرف على إرادتي ومحبتى وذلك
 أن قيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله ومحبتة وقيل معناه اخترتك لأمرى وجعلتك القائم بحجتي
 والمخاطب بيني وبين خلقى كافي الذي أقت عليهم الحجة وخاطبتهم (أذهب أنت وأخوك بآياتي) أي
 بدلائلي قال ابن عباس يعني الآيات التسع التي بعث بها موسى عليه السلام (ولانثيا) أي لانضعفا
 وقيل لا تفترا ولا تقصرا (في ذكرى) أي لا تقصرا في ذكرى بالاحسان اليك بالانعام عليك كما ومن ذكر
 النعمة شكرها (أذهب إلى فرعون انه طغى فقل لاه فلا ينعم أي دارياء وارقا به قال ابن عباس لانضعفا
 في قولك وقيل كنيته فقل لاه يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقيل أراد بالقول اللين قوله هل لك إلى أن
 تركي الآية وقيل إنما أمرهما باللطافة لماله من حق تربية موسى وقيل عداه على قبول الإيمان شيئا
 لا يجرم ومالك لا ينزع منه الابالموت وتبقى عليه لذة الطعام والمشرب والمنسكح إلى حين موته وأدامات دخل
 الجنة فلما أتاه موسى ووعده بذلك أعجبه وكان لا يقطع أمرادون هاما وكان غائبا فلما قدم أخبره بالذي
 دعاه إليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له هاما كنت أرى أن لك عفا لا ورأيأ أنت رب تريد أن
 تكون مربوبا وأنت تعبد تريد أن تعبد فقال فرعون صواب ما قلت فقلبه على رأيه وكان هرون بعصر

من القود فيسل الغم القتل
 بلغة قریش وقيل اغتم
 بسبب القتل نحو قام
 عقاب الله تعالى ومن
 اقتصاص فرعون فغفر الله
 له باستغفاره قال رب اني
 ظلمت نفسي فاغفر لي
 ونجاه من فرعون بان ذهب
 به من مصر إلى مدين
 (وقلتا فتونا) ابتليناك
 ابتلاء بابقا على المحن
 وتحليصك منها والفتون
 مصدر كاتقصود أوجع
 فتنه أي فتناك ضر و بامن
 الفتن والفتنة المحنة وكل
 ما يبتلى الله به عباده فتنة
 وقبلوكم بالشر والخير فتنة
 (فلبثت سنين في أهل مدين)
 هي بلدة شعيب عليه
 السلام على ثمان مراحل
 من مصر قال وهب ابن
 عند شعيب ثمانية عشر من
 سنة عشر منها مهر صفورا
 وأقام عنده ثمان عشرة
 سنة بعدها حتى ولد له
 أولاد (ثم جئت على قدر

فامر

يا موسى) أي موعده ومقدار الرسالة وهو أربعون سنة (واصطنعتك لنفسى) اخترتك

واصطنعتك لوجهي ورسالتى لتتصرف على إرادتي ومحبتى قال الزجاج اخترتك لأمرى وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقى كافي
 أقت عليهم الحجة وخاطبتهم (أذهب أنت وأخوك بآياتي) عجزا (ولانثيا) تفترا من الوحي وهو الفتور والتقصير (في ذكرى) أي اتخذ
 ذكرى بناحنا تطيران به أو أراد بدالذكر بليغ الرسالة فالذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها (أذهب إلى فرعون)
 كروان الاول مطلق والثاني مقيد (انه طغى) جاوز الحد بداعائه الربوبية (فقل لاه فلا ينعم) الطغاة في القول لماله من حق تربية موسى
 او كنياه وهو من ذوى النكثي الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة أو عداه شيئا بالاجرم بعده ومالك لا ينزع عنه الابالموت وهو قوله

هل لك الى ان تركي واحديك الى ربك فتخشي قضاهاه الاستههام والمشورة (اعله يتذكر) أي يتعظ ويتامل فيمنع عن اللعق (أو يخشى) أي يخاف ان يكون الامر كما تصفان فيجرحه انكاره الى الهلكة وانما قال لعله يتذكر مع علمه انه لا يتذكر لان الترجي هو أي اذ بهاعلى رجائك كما وطامعك وباشرا الامر مباشرة من يطمع ان يشر عمله وجسدوى ارسانهم اليه مع العلم بانه ان يؤمن الزام الجحمة وقطع المعذرة وقبل معناه لعله يتذكر متذكر أو يخشى خاش وقد كان ذلك من كثير من الناس وقيل لعل من الله تعالى واجب وقد تذكروا ولكن حين لم ينفعه التذكر وقيل تذكر فرعون وخشى واو اد اتباع موسى فمنعه هامة وكان لا يقطع امر اذونه وتلبث عند يحيى بن معاذ فبكي وقال هذا فقتل عن يقول انا اله فكيف عن قال انت الاله وهذا فقتل عن قال انا ربكم الاعلى فكيف عن قال سبحان ربى الاعلى (قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا) يجعل علينا بالعقوبة ومنه القارط يقال فرط عليه اى

(٢٥١)

فأمر الله موسى أن يأتي هرون وأوحي الله الى هرون وهو بمصر ان يلتقي موسى فتلقاها الى مرحلة وأخبره بما أوحي اليه ١١ وقوله تعالى (اعله يتذكر أو يخشى) أي يتعظ ويخاف فيعلم فان قالت كيف قال لعله يتذكر وقد سبق في علمه انه لا يتذكر ولا يعلم قلت معناه اذ بهاعلى رجاء منك كما وطمع وقضاء الله وراه امر كما وقيل هو الزام الجحمة وقطع المعذرة كقوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فتتبع آياتنا لتوبس هو ينصرف الى غير فرعون مجاز له لعله يتذكر أو يخشى خاش اذا رأى برى والطاقي عن خلقه وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشى حين لم تنفعه الذكري والخشية وذلك حين ألجمه العرق وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ الرازي فقولاً له قولا لينا الآية فبكي يحيى وقال انهى هذا فقتل عن يقول انا الاله فكيف رفقت عن يقول أنت الاله (قالا) يعنى موسى وهرون (ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا) قال ابن عباس يجعل علينا بالقتل والعقوبة (أو ان يطغى) أي يجاوز الحد في الاساءة البنا (قال) الله تعالى (لا تخافا نني معكما اسمع وأرى) قال ابن عباس اسمع دعاءك فأجيبه وأرى ما يراد بك فأمنع لست بغافل عنك فلا تهتما (فأنباه) فقولاً لانا رسولا ربك (فأرسل معنا بنى اسرائيل) أي اخل عنهم وأطلقهم من أعمالك (ولا تعذبهم) أي لا تعذبهم في العمل وكان فرعون يستعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء وقطع الصخور مع قتل الولدان وغير ذلك (قد جئناك بآية من ربك) قال فرعون وماهى فأخرج موسى يدها شعاع كشعاع الشمس وقبل معناه قد جئناك بعجزة وبرهان يدل على صدق دعائى مادعيناه من الرسالة (والسلام على من اتبع الهدى) ليس المراد منه سلام التحيه بل انعامه سلم من العذاب من أسلم (انا قد أوحي اليك ان العذاب على من كذب وتولى) أي انما يذهب الله من كذب بما جئنا به واعرض عنه (قال) يعنى فرعون (فن ربك يا موسى) أي من الهك الذي أرسل بك (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أي كل شيء يحتاجون اليه ويرفقون به وقيل أعطى كل شيء صلاحه وهذا وقيل أعطى كل شيء صورته خفاق اليد للبسط والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع ثم هدا الى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح وقيل يعنى جعل زوجة الرجل المرأة والبعر الناقة والفرس المركة وهى الحجر والحمار الا ان ثم هدى الهمة كيف يأتي الذكر الا نثى (قال) يعنى فرعون (فيا بال القرون الاولى) أي فيا حال القرون الماضية والاعم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها كانت تعبد الاوثان وتكفر

(والسلام على من اتبع الهدى) أي سلم من العذاب من أسلم وليس بعبية وقيل وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين (انا قد أوحي اليك ان العذاب على من كذب وتولى) (على من كذب) بالرسول (وتولى) أعرض عن الايمان وهى أرسى أى القرآن لانه جعل جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شيء فأنباه وأدبها الرسالة وقال له ما أمر به (قال فن ربك يا موسى) خاطبهم ما ثم نادى احدهما لان موسى هو الاصل في النبوة وهرون تابعه (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه) خلقه أول مفعولى أعطى أي أعطى خلقه كل شيء يحتاجون اليه ويرفقون به أو ثابتهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين البصيرة التى تطابق الابصار والاذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذا الانف والرجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة بها وقرأ أنصير خلقه صفة للمضاف أو للمضاف اليه أي أعطى كل شيء مخلوق عطاء (ثم هدى) عرف كيف يرتفق بما أعطى للمعيشة في الدنيا والسعادة في العقبى (قال فيا بال القرون الاولى) فيا حال الامم الخالية والرمم بالعبادة سأله عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شقي منهم

وسعادته من سعاد (قال) موسى مجيباً (عليها عند ربي) مبتدأ وخبر (في كتاب) أي اللوح خبر ثان أي هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وانا لا اعبد مثلك لا أعلم منه الا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ شيئاً يقال ضالت الشيء اذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له أي لا يخطئ في سعادة الناس وشقاوتهم (ولا ينسى) نواصب وعقابهم وقيل لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم المسألة ان معمول الخلق يوافق معلومه (الذي) مرفوع صفة لربي أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح (جعل لكم الارض مهداً) كوفي وغيرهم مهاد أو مهانعتان لما يسط ويقرش (وسلك) أي جعل (لكم فيها سبلاً) طرقات (وأرسل من السماء ماء) أي مطراً (فأخرجنا به) بالماء نقل السكلام من الغيبة الى افظ المتكلم المطاع للآفتان وقيل تم كلام موسى ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله فأخرجنا به وقيل هذا كلام موسى أي فأخرجنا نحن بالحرث والغرس (أزواجاً) أصنافاً (من نبات) هو مصدر رمي به التاب فاستوى فيه الواحد والجمع (شقي) صفة للآزواج اول النبات جمع شتيت كريض ومرضى أي انها مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل (٢٥٢) بعضها للناس وبعضها للبهائم ومن نعمته تعالى ان أرزاقنا تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله

عاقبها مما يفضل عن حاجتنا مما لا نقدر على أكله فالتين (كلوا واربعوا) أنعامكم حال من الضمير في فأخرجنا والمعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بهاميج بين أن تأكلوا بعضها وتعلقوا بعضها (ان في ذلك) في الذي ذكرت (الآيات) للدلالات (الاولى) لذوى العقول واحد

البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الامم الخالية فنبذ قال فرعون قبايل القرون الاولى (قال) يعني موسى (عليها عند ربي) أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازى بها وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه (في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شيء (ولا ينسى) أي فيذكر كوقيل لا ينسى ما كان من أعمالهم حتى يجازيهم بها (الذي جعل لكم الارض مهاداً) أي فراشاً وقيل مهدها لكم (وسلك لكم فيها سبلاً) أي ادخل في الارض لاجلكم طرقاً وسهلاً لكم لتسلكوها (وأرسل من السماء ماء) يعني المطر ثم الاختبار عن موسى ثم قال الله تعالى (فأخرجنا به) أي بذلك الماء (أزواجاً) أي اصنافاً (من نبات شقي) أي مختلف الالوان والطعوم والمنافع فيها ماهو للناس ومنها ماهو للبهائم (كلوا واربعوا انعامكم) أي أخرجنا اصناف النبات للانتفاع بالاكل والرعي (ان في ذلك) أي الذي ذكر (الآيات لاولى النهي) أي لذوى العقول قبيل هم الذين يقتنون عملهم الله عليهم (منها خلقناكم) أي من الارض خلقنا آدم وقيل ان الملك ينطق فيما خد من التراب الذي يدفن فيه فيذره في النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة (وفيها نعيدكم) أي عند الموت والدفن (ومننا نخرجكم تارة أخرى) أي يوم القيامة للبعث والحساب قوله تعالى (ولقد أريناه) يعني فرعون (آياتنا كلها) يعني الآيات التسع التي أعطاها الله موسى (فكذب وابتغى) يعني فرعون وزعم انها سحر وأبى ان يسلم (قال) يعني فرعون (اجئتنا لتخرجنا من أرضنا) يعني مصر (بسحرك يا موسى) تريد ان تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها (فلنأتينك بسحر مثله) فاجعل بيننا وبينك موعداً أي اضرب أجلاً وميعاداً (لا تخلفه) لا تجاوزه (نحن ولا أنت مكاناً سوى) أي مكاناً سداً لا وقال ابن عباس نصفاً تستوى مسافة الفريقين اليه وقيل معناه سوى هذا المكان (قال) يعني موسى (موعدكم يوم الزينة) قيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة وقيل هو يوم

والنطفة معاً أولان النطفة من الاغذية وهي من الارض (وفيها نعيدكم) اذ اتمتم قد قتمت (ومنها) التبرور فخرجكم) عند البعث (تارة أخرى) مرة أخرى والمراد باخراجهم أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم الى المحشر عدد الله عليهم معلق بالارض من مراحقهم حيث جعلها الله لهم فراشاً ومهاداً يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وأثبت فيها أصناف النبات التي منها افواتهم وعولقات بها ثم هي أصلهم الذي منه تفرعوا وأهمهم التي منها ولدوا وهي كفاتهم اذ امانوا (ولقد أريناه) أي فرعون (آياتنا كلها) وهي تسع آيات الاصحاح واليد وخلق البحر والجبال والجراد والقمل والضفادع والدم ونسق الجبل (فكذب) الآيات (وأبى) قبول الحق (قال) فرعون (اجئتنا لتخرجنا من أرضنا) مصر (بسحرك يا موسى) فيه دليل على انه خاف منه خوفاً شديداً وقوله بسحرك تعلل والافاء ساحر يقدر ان يخرج ملكاً من أرضه (فلنأتينك بسحر مثله) فلنأرضنك بسحر مثل محرك (فاجعل بيننا وبينك موعداً) هو مصدر بمعنى الوعد وقد مر مضاف الى مكان موعد والضمير في (لا تخلفه) للموعد قرأ يزيد بالجزم على جواب الامر وغيره بالرفع على الوصف للموعد (نحن ولا أنت مكاناً) هو بدل من المكان المحذوف ويجوز أن لا يعذر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك موعداً لا تخلفه وان تصب مكاناً بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر (سوى) بالكسر مجازي وأبو عمرو وعلى وغيرهم بالضم وهو نعت مكاناً أي منه صفاً بيننا وبينك وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية (قال موعدكم يوم الزينة) مبتدأ

على المبتدأ المحذوف تقديره هذان لهما ساحران فيكون دخولها في موضعها الموضوع لها وهو الابتداء وقد دخل اللام في الخبر كيدخل
في المبتدأ قال * خالي لانت ومن جري رخاله * قال فعرضته على المبرد فريضه وقد زبته أبو علي (بريدان أن يخرجواكم من أرضكم) مضمرة
(يسخرهما ويذهب بطريقتهما) بدنيكم وشريعتكم (المتلى) الفضلى تأنيث الامل وهو الافضل (فأجمعوا) فاحكموا أي اجعلوه مجمعا
عليه حتى لا تختلفوا فأجمعوا أبو عمرو وبعضه جمع كبد (كيدكم) هو ما يكاد به (ثم اتوا صفوا) مصطفين حال أمر وأبان بأنوا صفالانه
أهيب في صدور الرائي (وقد أفلح اليوم من استعلى) وقد فاز من غلب وهو اعترض (قالوا) أي السحرة (يا موسى امان أن تلقى) عصاك أولا
(واما أن تكون أول من أتى) مامعنا وموضع أن مع مابعده فيهما نصب بفعل مضمرة أو رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر أحد الأمرين
أو الأمر القاول أو القائل وهذا التخيير منهم استعمل ادب حسن معه وكأنه تعالى ألهمهم ذلك وقد وصلت اليهم بركنه وعلم موسى اختيار
القائم أولا حتى (قال بل ألقوا) انتم أولا ليمرزا مامعهم من مكائد السحر ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط
المعجزة على السحر فتحققه فبصيرة نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين قالوا (فأذا حبالهم وعصيهم) يقال في اذا هذه اذا المفاجأة
والتحقيق اتم اذا الدكائه بمعنى الوقت الطالبة ناصبها اوجه تضاف اليها وخصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو
فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير والتقدير ففاجأ موسى وقت يتجمل سحر حبالهم وعصيهم والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخوفة

اليه السعي (يخجل) وبالتالي ابن ذكوان (الابن) الى موسى (من سحرهم انها سحر) رفع بدل اشتغال من الضعيف في يخجل اي يخجل الملقى
 روى انهم اطعوا بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واضربت فغابت ذلك (فاوحس في نفسه خيفة موسى) اضمر في نفسه خوفا
 فلما منه انها تقصده للعبلة البشرية او خاف ان يخالج الناس شئ فلا يتبعوه (فلما لا تخف انك انت الاعلى) الغالب القاهر وفي ذكر ان
 وانت وحرف التعريف ولفظ العلو هو الغلبة الظاهرة مباعدة بينة (والق مافي عينك تافف) بسكون اللام والهاء وتخفيف الحاقص
 وتلف ابن ذكوان الباقيون تافف (ما صنعوا) زوروا وافتعلوا اي اطرح عصاك تبسح عصيهم وجبالهم ولم يقل عصاك تعظيما لاهي
 لا تخف فلما صنعوا فان مافي عينك اعظم منها او تخفيرا اي لا تبال بكثرة جبالهم وعصيهم والى العو يد الفرد الذي في عينك فانه بقدرتنا
 يتلفها على وحدته وكثرتها (انما صنعوا كيد سحر) كوفي غير عاصم سحر بمعنى ذى سحر او ذوى سحر او هم لوعلمهم في السحر كانهم السحر
 وكيد بالرفع على القراءتين وما موصولة او مصدرية واغما وحدا سحر ولم يجمع لان القصص في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد
 فلو جمع لخليل ان المقصود هو العدد لا ترى (٢٥٤) الى قوله (ولا يفلح الساحر) اي هذا الجنس (حيث اتى) انما كان فأتى موسى

يخجل اليه من سحرهم انها سحر) قيل انهم لما اتوا الجبال والعصى اخذوا عين الناس فرأى موسى
 كان الارض امتلا من حبات وكانت قد أخذت ميلا في ميل من كل جانب وراها كانها سحر (فاوحس) اي
 اضمر وقيل وجد (في نفسه خيفة موسى) قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه
 خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر فيشكوا في امره فلا يتبعوه (فلما لا تخف) اي قال الله تعالى
 لموسى لا تخف (انك انت الاعلى) اي الغالب عليهم ولك الغلبة عليهم والظفر (واتق مافي عينك) اي
 عصاك والمعنى لا تخف من كثرة جبالهم وعصيتهم فان في عينك شيا أعظم منها كلها (تلف) اي تلفهم
 وتبذل (ما صنعوا انما صنعوا كيد سحر) اي حيلة سحر (ولا يفلح الساحر حيث اتى) اي من الارض
 وقال ابن عباس لا يدع حيث كان (فأتى السحرة سجدا قالوا آمناب هرون وموسى) قال صاحب
 الكشف سبحانه الله ما أعجب أمرهم قد اتوا جبالهم وعصيتهم للكفر والجود ثم اتوا رؤسهم بعد ساعة
 للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاء وبين انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار وقيل
 انهم لما سجدوا أراهم الله تعالى في مجدهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة (قال) يعني فرعون
 (آمنت له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم) اي لرئيسكم وعظيمكم يعني انه أسعركم وأعلاكم في صناعة السحر
 ومعلمكم (الذي علمكم السحر فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) اي أقطع اليد اليمنى والرجل
 اليسرى (ولا صلبنكم في جذوع النخل) اي على جذوع النخل (وتعلمن أينما أشد عذابا) اي على ايمانكم
 به أنا أورد موسى على ترك الايمان به (وأتق) اي أدوم (قالوا) يعني السحرة (لن نؤثرلك) اي لن نختارلك
 (على ما جاءنا من البينات) يعني الدلالات الواضحات قيل هي البدا البيضاء والعصا وقيل كان استدلالهم
 انهم قالوا لو كان هذا أصرا فأين جبالنا وعصينا وقيل انهم لما سجدوا رأوا الجنة والنار ورأوا منازلهم في
 الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرلك على ما جاءنا من البينات (والذي فطرنا) قيل هو قسم وقيل معناه لن نؤثرلك
 على الله الذي فطرنا (فاقص ما أنت قاض) اي فاصنع ما أنت صانع (انما تقضي هذه الحية الانبياء) اي

عصاه فتلفقت ما صنعوا
 فاعظم ما رواه من الآية
 وقفوا الى السجود فذلك
 قوله (فأتى السحرة سجدا)
 قال الاخفش من سرعه
 ما سجدوا كانهم القوا فما
 اعجب امرهم قد اتوا
 جبالهم وعصيتهم للكفر
 والجود ثم القوا رؤسهم بعد
 ساعة للشكر والسجود فما
 اعظم الفرق بين الالقاء بين
 روى انهم رأوا الجنة
 ومنازلهم فيها في السجود
 فرفعوا رؤسهم ثم (قالوا)
 آمناب هرون وموسى
 وانما قدم هرون هنا وآخر
 في الشعراء مما قلناه للفاصلة
 ولان الواو لا توجب ترتيبا
 (قال آمنت) بغير مدح فصح
 وبم- مرة ممدودة بصري

وشاى وجازى وبم مرتين غيرهم (له قبل ان آذن لكم) اي لموسى يقال آمن له وآمن به (انه لكبيركم الذي علمكم السحر) لعظيمكم
 او لمعلمكم تقول اهل مكة للمعلم امر في كبيرى (فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) القطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى
 لان كل واحد من العضوين يخالف الآخر بان هذا يد والرجل وهذا يمين وذات الشمال ومن لا ابتداء للغاية لان القطع مبتدأ ونائب عن
 مخالفة العضو ومحل الحار والمبرور النصب على الحال يعني لا قطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضها فقد انصفت بالاختلاف شبه تمكن
 المصوب في الجذع يتمكن المظروف في الطرف فلما قال (ولا صلبنكم في جذوع النخل) وخص النخل الطول جذوعها (وتعلمن أينما أشد
 عذابا) انا على ايمانكم في اورب موسى على ترك الايمان به وقيل يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله آمنت
 له واللام مع الايمان في كتاب الله غير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (وأتق) ادوم (قالوا لن نؤثرلك) ان نختارلك (على ما جاءنا من
 البينات) القاطعة الدالة على صدق موسى (والذي فطرنا) عطف على ما جاءنا أي لن نختارلك على الذي جاءنا ولا على الذي خلقنا أو قسم
 وجوابه ان نؤثرلك مقدم على القسم (فاقص ما أنت قاض) فاصنع ما أنت صانع من القتل والصلب قال وعليهما مسرودان قضاهما اي
 صنعوهما اراحكم ما أنت حاكم (انما تقضي هذه الحية الانبياء) اي في هذه الحية الدنبا فانصب على الطرف اي انما تخبركم بنهاية حياتنا

(انا آمنت اننا ابغفرنا خطايانا وما اكرهتنا عليه) ما موصولة منصوبة بالاعطف على خطايانا (من السحر) حال من ما روى انهم قالوا
افرعون اتراموسى ناعما ففعل فوجده تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره ففكر هو معارضته خوف الفضيلة
فاكرههم فرعون على الاتيان بالسحر وضر فرعون بهله به ونفعهم علمهم بالسحر فكيف بعلم الشرع (والله خير) ثوابا لمن اطاعه (وابنى)
عقابا لمن عصاه وهو رد لقول فرعون ولتعلن ابنا اشد عذابا وابنى (انه) هو ضمير الشأن (من يأت ربه مجرما) كافرا (فان له) للمجرم
(جهنم لا يموت فيها) فيستريح بالموت (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (ومن يأت مؤمنا) مات على الايمان (قد عمل الصالحات) بعد الايمان
(فاولئك هم الدرجات العلى) جمع العليات (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجربى من تحتها) الانهار خالدين فيها (داغين) وذلك جزاء
من تركى) تظهر من الشرك بقول لا اله الا الله قيل هذه الآيات الثلاث حكاية (٢٥٥) قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه

الحكاية وهو اظهر (وقد
اوحينا الى موسى ان اسر
بعبادى) لما اراد الله
تعالى اهلاك فرعون
وقومه امر موسى ان
يخرجهم من مصر ليلا
ويأخذهم طريق البحر
(فاضرب لهم طريقا في
البحر) اجعل لهم من قولهم
ضرب له في ماله مهما (يبسا)
أى يابس وهو صلب
وصف به يقال يبس يسا
ويبسا (لا تخاف) حال من
الضرب في فاضرب أى اضرب
لهم طريقا غير خائف
لا تخف حزة على الجواب
(دركا) هو اسم من الادراك
أى لا يدرك فرعون
وجنوده ولا يلحقونك (ولا
تخشى) الفرق وعلى قراءة
حزة ولا تخشى استئناف
أى وانت لا تخشى أو يكون
الالف للاطلاق كافى
وتظنون بالله الظنونا

انما امرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب (انا آمنت اننا ابغفرنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من
السحر) فان قلت كيف قالوا هذا وقد جازوا مختارين غير مكروهين قلت كان فرعون اكرههم في الابتداء على
علمهم السحر لئلا يذهب اصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعة اثنان من القبط وسبعة من بني
اسرائيل وكان فرعون اكره الذين هم من بني اسرائيل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون انا
موسى اذا هو نام فأراهم موسى ناعما وعصاه تحرسه فقالوا الفرعون هذا ليس بساحر ان الساحر اذا نام
بطل سحره فأبى عليهم فأكرههم على ان يعلموا فذلك قولهم وما اكرهتنا عليه من السحر (وانه خير
وابنى) أى خير من ابنا وابنى عقابا وقيل خير من ابنا ان اطيع وابنى عذابا ان عصى وهذا جواب لقوله
ولتعلن ابنا اشد عذابا وابنى (انه من يأت ربه مجرما) قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من
تمام قول السحرة معناه من مات على الشرك (فان له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة ينتفع
بها (ومن يأت مؤمنا) أى من مات على الايمان (قد عمل الصالحات) فاولئك هم الدرجات العلى) أى
الرفيعة العلية ثم فسر الدرجات بقوله (جنات عدن تجربى من تحتها) الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من
تركى) أى تظهر من الذنوب وقيل اعطى زكاة نفسه وقال لا اله الا الله عن ابي سعيد الخدري رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الدرجات العلى ابراهيم من تحتهم كاترون التيم الطامع
في افق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانما اخبره الترمذى قوله وانما يقال احسن فلان الى فلان وانهم
أى افضل وزاد في الاحسان والمعنى انهم امنهم وزاد وتناهيها الى غاية ٢٥٥ قوله تعالى (وقد اوحينا الى
موسى ان اسر بعبادى) أى اسرهم ليلا من ارض مصر (فاضرب لهم طريقا) أى اجعل لهم طريقا
(في البحر) بالضرب بالعصا (يبسا) أى يابس ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى ايسس لهم الطريق
في البحر (لا تخاف دركا ولا تخشى) قيل معناه لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يفركك
البحر امامك (فأتبعهم) أى فلقهم (فرعون يجنوده فغشيهم) أى أصابهم (من اليم ما غشيهم) وهو
الفرق وقيل علامهم وسرهم من اليم ما لم يعلم كنهه الا الله تعالى فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه
(وأضل فرعون قومه وما هدى) أى وما أربدهم وهو تكذيب فرعون في قوله وما أهدىكم الا سبيل
الرشاد ٢٥٦ قوله عز وجل (يا بنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا
عليكم المن والسلوى) ذكرهم الله النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وقبضهم موسى من المناجاة

فخرجهم موسى من أول الليل وكافوا سبعين ألفا وقد استعاروا حللهم فركب فرعون في ستمائة ألف من القبط ففهم أثرهم فذلك قوله
(فأتبعهم فرعون يجنوده) وهو حال أى خرج خلفهم ومعه جنوده (فغشيهم من اليم) أصابهم من البحر (ما غشيهم) هو من جوامع الكلام
التي تستقل مع قلتها بالمعنى الكثيرة أى غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله عز وجل (وأضل فرعون قومه) عن سبيل الرشاد (وما هدى)
أرشدهم الى الحق والسداد وهذا رد لقوله وما أهدىكم الا سبيل الرشاد ثم ذكرهم الله تعالى على بنى اسرائيل بعدما أنجاهم من البحر وأهلك فرعون
وقومه بقوله (يا بنى اسرائيل) أى أوحينا الى موسى أن اسر بعبادى وقتنا يا بنى اسرائيل (قد أنجيناكم من عدوكم) أى فرعون (وواعدناكم)
بأيامنا الكلاب (جانب الطور الايمن) وذلك ان الله عز وجل وعد موسى أن يأتي هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لتزول التوراة
وانما نسب اليهم المواعدة لانها كانت لئيبهم ونقبائهم واليه رجعت منافعها التي قام بها شرعهم ودينهم والايمان نصب لانه صفة جانب
وقرى بالجر على الجوار (ونزلنا عليكم المن والسلوى) في التيه وقتنا لكم

(كأوامن طيبات) - حالات (مارزقناكم) أنجبكمكم وواعدكم ورزقكمكم كوفي غير عاصم (ولا تطغوا فيه) ولا تعدوا حدود الله فيه بأن تكفروا النعم وتنفقوها في المعاصي أولا تطلم بعضكم بعضا (فيحل عليكم غضبي) عقوبتي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) هلك أو سقط سقوطا لا هوذا بعده وأصله ان يسقط من جبل فيه هلك ونحقيقه سقط من شرف شرف الاعيان الى حفرة من حفر النيران قرأ على فيحل ويحل والباقيون بكسر هماء فالمكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب أدائه والمضموم في معنى النزول (واني لغفار لمن تاب) عن الشرك (وآمن) وحده الله تعالى وصدقه فيما أنزل (وعمل صالحا) أدى الفرائض (ثم اهتدى) ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والاعيان والعمل الصالح (٢٥٦) (وما أعجلك) أي وأي شيء أعجل بك (عن قومك يا موسى) أي عن السبعين الذين اختارهم وذلك انه

مضى معهم الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربهم وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى وما أعجلك أي أي شيء أوجب عجلتك استقهاهم انكار ومابتدأوا أعجلك الخبير (قال هم أولا على أقرى) أي هم خلفي يلحقون بي وليس بيني وبينهم الا مسافة يسيرة ثم ذكر موجب العجلة فقال (وعجلت اليك رب) أي الى الموعد الذي وعدت (الترضى) لتزداد عني رضا وهذا دليل على جواز الاجتهاد (قال فانا قد فتننا قومك) أي فتنناهم في فتنه (من بعدك) من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هرون (وأضاهم السامري) بدعائه اياهم الى عبادة الجبل واجابتهم له وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علما من كرمان فالتحق بجلا وسه موسى بن ظفرو كان منافقا (فرجع موسى) اوزارا من مناجاة ربه (الى قومه غضبان اسفا) شديد الغضب أو حزنا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) وعددهم الله أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى وفور وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جلا ولا وعدا أحسن من ذلك (أطفال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي اياكم والعهد الزمان يقال طال عهدي بل أي طال زماني بسبب مفارقتك (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم أن تقعوا فعلا يجب به عليكم الغضب من ربكم (فأخلفتم موعدي) وعدوه ان يقيموا على أمرهم وماركهم عليه من الآيات فأخلفوا موعده بالتخاذل الجبل (قالوا ما أخلفنا موعدا ملكا) بفتح الميم مدني وعاصم وضمها حجرة وعلى ويكسر ها غيرهم أي ما أخلفنا موعدا بان ملكنا أمرنا أي لولم يكن أمرنا وخلصنا ورأينا لما أخلفنا موعدا ملكا (ولكننا حملنا) بالضم والتشديد حجازي وشامي وحفص وفتح الحاء والميم مع التخفيف غيرهم

بجانب الطور وكتب التوراة في الألواح واغماقال وواعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت انبيهم ورجعت منافعها اليهم وبها أقوام دينهم وشريعهم وفيها أفاض الله عليهم من سائر نعمه وأرزاقه (كأوامن طيبات) - حالات (مارزقناكم) ولا تطغوا فيه (فيحل عليكم غضبي) قال ابن عباس لا تطلموا وقيل لا تكفروا النعمة فتكفروا طاعين وقيل لا تنفقوا بنعمتي على المعاصي وقيل لا تدخروا (فيحل عليكم غضبي) أي يجب عليكم غضبي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) أي هلك وسقط في النار (واني لغفار لمن تاب) قال ابن عباس تاب عن الشرك (وآمن) أي وحده الله وصدق رسوله (وعمل صالحا) أي أدى الفرائض (ثم اهتدى) قال ابن عباس علم أن ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم أن ذلك ثواب وقيل أقام على السنة قوله عز وجل (وما أعجلك) أي وما حجلك على العجلة (عن قومك يا موسى) وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا يذهبون معه الى الطور لياخذوا التوراة فسار بهم ثم جعل موسى بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وأمرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال الله له وما أعجلك عن قومك يا موسى فأجاب ربه (قال هم أولا على أقرى) أي هم بالقرب مني بأنون على أقرى من يعبدني فان قلت لم يطابق السؤال الجواب فانه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب فقال هم أولا على أقرى قلت كان هم موسى بسط العذر ونهه بد العلة في نفس ما أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد منه الا تقدم سيره ثم أعقبه بجواب السؤال فقال (وعجلت اليك رب لترضى) أي لتزداد رضا (قال فانا قد فتننا قومك) أي فانا ابتلينا الذين خلفهم مع هرون وكانوا استمائه ألف فافتنوا بالجبل غير أني عشر ألفا (من بعدك) أي من بعد ان طلاقنا الى الجبل (وأضاهم السامري) أي دعاهم وصرفهم الى الضلال وهو عبادة الجبل واغماضاف الضلال الى السامري لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المنشآت تضاف الى منشئها في الظاهر وان كان الموجد لها في الاصل هو الله تعالى فذلك قوله هنا وأضاهم السامري قيل كان السامري من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وقيل كان من القبط وكان جارا لموسى وآمن به وقيل كان علما من علوج كرمان رفع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر (فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا) أي حزينا حزنا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) أي صدقناهم بالتوراة (أطفال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي اياكم (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم ان تقعوا فعلا يجب به عليكم الغضب من ربكم (فأخلفتم موعدي) يعني ما وعدوه من الاقامة على دينه الى أن يرجع (قالوا ما أخلفنا موعدا ملكنا) أي ملكنا أمرنا وقيل باختبارنا وذلك ان المرء اذا وقع في الفتنه لم يملك نفسه (ولكننا حملنا)

اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علما من كرمان فالتحق بجلا وسه موسى بن ظفرو كان منافقا (فرجع موسى) اوزارا من مناجاة ربه (الى قومه غضبان اسفا) شديد الغضب أو حزنا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) وعددهم الله أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى وفور وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جلا ولا وعدا أحسن من ذلك (أطفال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي اياكم والعهد الزمان يقال طال عهدي بل أي طال زماني بسبب مفارقتك (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم أن تقعوا فعلا يجب به عليكم الغضب من ربكم (فأخلفتم موعدي) وعدوه ان يقيموا على أمرهم وماركهم عليه من الآيات فأخلفوا موعده بالتخاذل الجبل (قالوا ما أخلفنا موعدا ملكا) بفتح الميم مدني وعاصم وضمها حجرة وعلى ويكسر ها غيرهم أي ما أخلفنا موعدا بان ملكنا أمرنا أي لولم يكن أمرنا وخلصنا ورأينا لما أخلفنا موعدا ملكا (ولكننا حملنا) بالضم والتشديد حجازي وشامي وحفص وفتح الحاء والميم مع التخفيف غيرهم

(أوزار من زينة القوم) انما الامن على القبط أو ارادوا بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم قد استعاروها لئلا يخرجوا من مصر بعلته ان لنا
غدا عيداً فقال السامري اغنا حبس موسى اشوم حرمتها لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس لهم ستم من أن يأخذ مال
الحربي على أن الغنائم لم تكن تحمل حينئذ فأحرقوها خبأ في حفرة النار قاب بجل فانصاعت عجلا بخوف الخار بدخول الرمح في جحار منه أشباه
العروق وقيل نفخ فيه زبابا من موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يوم الفرق (٢٥٧) وهو فرس جبار فخي نخار ومالت طباعهم

الى الذهب فعبسوه
(فقدناها) في نار السامري
التي اوقدها في الحفرة
وامرنا ان نطرح فيها الحلي
(فكذلك التي السامري)
معه من الحلي في النار
او معه من التراب الذي
اخذه من أثر حافر فرس
جبريل عليه السلام
(فأخرج لهم) السامري
من الحفرة (عجلا) خلقه
الله تعالى من الحلي التي
سبكتها الذاربا لآلام (جسدا)
مجددا (له خوار) صوت
وكان يخور كما تخور الجاجيل
(فقالوا) اي السامري
واتباعه (هذا الهكم واله
موسى) فاجاب عامتهم الا
اثنى عشر القبا (فنى) اي
فنى موسى ربه هنا وذهب
بطيحه عند الطور وهو
ابتداء كلام من الله تعالى
اي نسي السامري ربه
وترك ما كان عليه من
الايان الظاهر وانسى
السامري الاستدلال على
ان العجل لا يكون الها
بدليل قوله (افلا يرون ان
لا يرجع) اي انه لا يرجع
فان مخففة من التثنية
(البهم قولاً) اي لا يجيبهم

أوزار من زينة القوم) أي حلينا مع أنفسنا ما كنا قد استعزناهم من قوم فرعون والاوزار لا يقال سميت
أوزاراً لأنها أثقلها وقيل الاوزار الآثام أي حلينا آثاماً وذلك أن بني اسرائيل استعاروا حلياً من
القبط ولم يردوها وبقيت معهم إلى حين خروجهم من مصر وقيل ان الله لما أغرق فرعون نبداً البحر حليهم
فأخذها بنو اسرائيل فكانت غنيمة ولم تكن الغنائم تحمل لهم (فقدناها) أي ألقيناها فيل ان السامري
قال لهم احفروا حفرة والقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيها فيها وقيل ان هرون أمرهم بذلك ففعلوا
(فكذلك أني السامري) أي ما كان معه من الحلي فيها قال ابن عباس أوقده هرون ناراً وقال اقدفوا
معهكم فيها وقيل ان هرون أمر على السامري وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قال اصنع ما ينفع ولا ينضر
فأدع لي فقال هرون اللهم اعطه ما سألك على ما في نفسه فألقى السامري ما كان معه من زينة حافر فرس
جبريل في فم العجل وقال كن عجلاً يخور فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله تعالى (فأخرج لهم عجلاً
جسداً له خوار) اختلفوا هل كان الجسد حياً أم لا على قولين أحدهما لا لأنه لا يجوز اظهار خلق العادة
على يد ضال بل السامري صور صورته على شكل العجل وجعل فيه منافذ ومخارج بحيث اذا دخل فيها
الريح صوت كصوت العجل الثاني انه صار حياً وخر كما يخور العجل (فقالوا هذا الهكم واله موسى) يعني قال
ذلك السامري ومن تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوا شيئاً قط مثله (فنى) قيل
هو اخبار عن قول السامري أي ان موسى نسي الله وتركه ههنا وذهب بطيحه وقيل معناه ان موسى
انما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه في طريق آخر فاختلط الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى
وكانه أخبر عن السامري انه نسي الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل في شيء ولا يحل
فيه شيء ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذي يجب الاستدلال به فقال (افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولاً)
أي ان العجل لا يرد لهم جواباً اذا دعوه ولا يكلمهم (ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً) هذا التوبيخ لهم اذ عبدوا
ما لا يملك لهم ضراً من ترك عبادته ولا ينفع من عبده وكان العجل فتنه من الله تعالى ابتلي به بني اسرائيل
وقوله عز وجل (ولقد قال لهم هرون من قبل) اي من قبل رجوع موسى (يا قوم اغنا فتنتم به) أي
ابتليتم بالعجل (وان ربكم الرحمن فاتبعوني) على ديني في عبادة الله (وأطيعوا أمري) أي في ترك عبادة
العجل اعلم ان هرون عليه السلام سلك في هذا الوعد أحسن الوجوه لانه زجرهم أولاً عن الباطل بقوله
اغنا فتنتم به ثم دعاه الى معرفة الله تعالى بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم الى معرفة النبوة بقوله فاتبعوني
ثم دعاهم الى الشرائع بقوله وأطيعوا أمري فهذا هو الترتيب الجيد لانه لا بد من اماطة الاذى عن
الطريق وهي ازالة الشبهة ثم معرفة الله فانها هي الاصل ثم النبوة ثم الشريعة واما قال وان ربكم
الرحمن فخص هذا الموضع بالاسم لانه يبينهم على أنهم متى تابوا قبل الله فبشبه لانه هو التواب الرحيم
فقالوا هذا القول بالاصرار والجود (قالوا ان نرج) أي ان نزال (عليه) أي على عبادة العجل (عافين)
أي مقمين (حتى يرجع الينا موسى) كأنهم قالوا لن نقبل حجته ولا نقبل الا قول موسى فاعتزلهم هرون
ومعه اثنا عشر ألفاً الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول
العجل فقال للبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون أخذ شراً رأسه بيمنه وخطه بشماله

(٣٣ - خازن ثالث) (ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً) اي هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع فكيف تتخذونه الها وقيل انه ما خارا لامرته
(ولقد قال لهم) لمن عبدوا العجل (هرون من قبل) من قبل رجوع موسى اليهم (يا قوم اغنا فتنتم به) ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه (وان ربكم
الرحمن) لا العجل (فاتبعوني) كوفوا على ديني الذي هو الحق (وأطيعوا أمري) في ترك عبادة العجل (قالوا ان نرج عليه عافين) اي لن
نزال مقمين على العجل وعبادته (حتى يرجع الينا موسى) فنظروا هل يعبدوه كما عبدناه وهل صدق السامري ام لا فلما رجع موسى

(قال ياهرون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة الجبل (الاتباعى) بالياء فى الوصل والوقف مكى وافقه ابو عمر وروا فى الوصل وغيرهم بلاياء
 اى ماد عاك الى ان لا تتبعنى لوجود التعلق بين المصارف عن فعل الشئ وبين الداعى الى تركه وقبل لاخرى والمغنى اى شئ من ذلك ان تتبعنى
 حسين لم يقبلوا قولك وتلقى بى وتخذ بى او مامنعك ان تتبعنى فى الغضب لله وهلاقات من كفر عن آمن ومالك لم يباشر الا امر كما كنت
 اباشره انالو كنت شاهدا (افصيت امرى) اى الذى امرت به من القيام بمصالحهم ثم اخذ بشعر راسه بيديه وطميته بشماله غضبا
 وانكارا عليه لان الغيرة فى الله ما يكتفه (قال يا بنى ام) يخفض الميم شامى وكوفى غير حفص وكان لاييه وامه عند الجهور وروا كنه ذكرا لام
 استعطا فاورفقا (لا تأخذ بطيئى ولا برامى) ثم ذكر عذره فقال (انى خشيت ان تقول) ان قاتلت بعضهم ببعض (فرقت بين بنى اسرائيل)
 او خفت ان تقول ان فارقتهم (٣٥٨) واتبعك ولحق بى فريق وتبع السامرى فريق فرقت بين بنى اسرائيل (ولم ترقب) (ولم تحفظ) (قولى)

اخلفنى فى قولى واصلم وفيه دليل على جواز الاجتهاد ثم اقبل موسى على السامرى متكررا عليه حيث (قال فما خطبك) ما امرك الذى تخاطب عليه (ياسامرى قال بصرت بما لم يهروا به) وبالتام حجة وعلى قال الزجاج بصرت علم وبصرت نظراى علمت ما لم يعلمه بنو اسرائيل قال موسى وماذا قال رايت جبريل على فرس الحياة قائم فى نفسى ان اقبض من اثره فما القيت به على شئ الا صار له روح ولحم ودم (فقبضت قبضة) القبضة المرة من القبض واطلاقها على المقبوض من شئ المفعول بالمصدر كضرب الامير وقوى فقبضت قبضة فالضاد يجمع الكف والصاد باطراف الاصابع (من اثر الرسول) اى من اثر فرس الرسول وقوى

و (قال) له (ياهرون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا) اى امركوا (الاتباعى) اى تتبع امرى ووصيى وهلا قاتلتهم وقد علمت انى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه مامنعك من اللحق بى واخبارى بضلالتهم فتكون مفارقة يا هرون زجر لهم عما أتوه (افصيت امرى) اى خالفت امرى (قال يا بنى ام لا تأخذ بطيئى ولا برامى) اى بشعر راسى وكان قد اخذ بذؤا بتيه (انى خشيت ان تقول) اى لو انكرت عليهم اصراروا حزين يقتل بعضهم بعضا فتقول (فرقت بين بنى اسرائيل) اى خشيت ان فارقتهم واتبعك ان يصيروا حزبا فتنفقا لكون فتقول فرقت بين بنى اسرائيل (ولم ترقب قولى) اى لم تحفظ وصيى حسين قلت لك اخلفنى فى قولى واصلم وارفق بهم ثم اقبل موسى على السامرى (قال فما خطبك) اى فما امرك وشأنك وما الذى جعلك على ما صنعت (ياسامرى قال) يعنى السامرى (بصرت بما لم يهروا به) قبضة من اثر الرسول) اى من تراب حافر فرس جبريل (فقبضتها) اى قبضتها فى فم الجبل فخار فان قلت كيف عرف السامرى جبريل ورآه من بين سائر الناس قلت ذكر وافية وجهه من أحدهما ان أمه ولدت له فى السنة التى كان يقتل فيها البنون فوضعت فى كهف حذر اعلية من القتل فبعث الله اليه جبريل ليريه لما قضى الله على يديه من الفتنة الوجه الثانى انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور رآه السامرى من بين سائر الناس فلما رآه قال ان لهذا الشئ انقبض القبضة من أصل تربة اثر موطنه فلما أله موسى قال قبضت قبضة من اثر الرسول اليك يوم جاء للبعاد وقيل رأى يوم فلق البحر فاخذ القبضة وجعلها فى عمامته لما يريد الله ان يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله (وكذلك سولت) اى زينت (لى نفسى) وقيل انه من السؤال والمعنى انه لم يدعنى الى فعله غيرى واتبع فيه هواى (قال) يعنى موسى للسامرى (فاذهب فان لك فى الحيوه) اى مادمت حيا (ان تقول لا ماس) اى لا تخاطب احدا ولا يخاطبك احد فعوقب فى الدنيا بعقوبة ولا شئ اوحش منها ولا اعظم وذلك ان موسى امر بنى اسرائيل ان لا يخاطبوه ولا يقرؤهم وحرم عليهم ملاقاته ومبايعته ومواجهته وقال ابن عباس رضى الله عنهما لا ماس لك ولولدك فصار السامرى يهيم فى البرية مع الوحش والسباع لا يمس احدا ولا يعبه احد وقيل كان اذا ماس احد الامم ماله احدا جاعيا فقضى الناس ونحاموه وكان يصيح لا ماس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك (وان لك) اى ياسامرى (موعدا) اى بعد ذلك فى الآخرة (ان تخلفه) قرئ بكسر اللام ومعناه ان تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافقه يوم القيامة وقرئ بالقنح اى ان تكذبه ولم يخلفك الله بل يكافئك على فعلك (وانظر الى الهك) اى الذى تزعم (الذى ظلت عليه عاكفا)

بها (فقبضتها) فطرحتها فى جوف الجبل (وكذلك سولت) زينت (لى نفسى) ان افعله ففعلته اتباعا لهواى وهو اى اعتراف بالخطا واعتذار (قال) له موسى (فاذهب) من بيتنا طريدا (فان لك فى الحيوه) ما عشت (ان تقول) لمن اراد مخاطبتك جاهلا بحالك (لا ماس) اى لا يمس احد ولا امسه فنع من مخاطبة الناس منما كليا وحرم عليهم ملاقاته ومبايعته واذا اتفق أن عباس احد احم الماس والممسوس وكان يهيم فى البرية يصيح لا ماس ويقال ان ذلك موجود فى اولاده الى الآن وقيل اراد موسى عليه السلام ان يعظه ففعله الله تعالى منه لسخطه (وان لك موعد ان تخلفه) اى ان يخلفك الله موعد الذى وعدك على الشرك والفساد فى الارض بنجره الذى فى الآخرة به لما عاكفتك فى الدنيا ان تخلفه مكى وابو عمر وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا (وانظر الى الهك الذى ظلت عليه) واسمه ظلت تخلفك اللام الاولى تخلفا (عاكفا) مقبعا

(الجرقة) بالنار (ثم لنسفه) لنذريه (في اليم نسفا) فخرقه وذراه في البحر فشرب بعضهم من مائه حباله فظهرت على شفاههم صفرة
الذهب (انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما) تميز أي وسع علمه كل شيء ومحمل الكاف في (كذلك) نصب أي مثل ما اقتضه صفا
عليها قصة موسى وفرعون (نقص عليك من أنباء ما قد سبق) من أخبار الامم الماضية تكميل البيئات والزيادة في معجزاته (وقد
آتيناك) أي أعطيناك (من لدنا) من عندنا (اذكرا) قرأنا فها هو ذا كرم فيه التجاة لمن أقبل عليه وهو مشتمل على الافاصيص
والاخبار الحقيقية بالتفكير والاعتبار (من أعرض عنه) عن هذا الذي كرمه القرآن ولم يؤمن به (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة
تقبله مما آزره في ثقلها على المعاقب وصوبه احتماله بالجميل الثقيل الذي ينقض ظهره ويطبق عليه بهر أولها أجزاء
الوزر وهو الاثم (خالدين) حال من الضمير في يحمل وانما جاع على المعنى ووجد في فانه جلا على لفظ من (فيه) في الوزر أي في جزاء الوزر
وهو العذاب (وساء لهم يوم القيامة حالا) ساء في حكم يس وفيه ضمير مبهم يفسره حاله وتبذروا الام في لهم لبيان كان هيت لك والمخصوص
بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء الحال جلا وزرهم (يوم ينفخ) بدل من يوم (٢٥٩) القيامة تنفخ أبو عمرو (في الصور)

القرن أو هو جمع صورة
أي تنفخ الارواح فيها
دليله قراءة قتادة الصور
بفتح الواو جمع صورة
(وتحشر المجرمين يومئذ
زرقا) حال أي عجا كما قال
وتحشرهم يوم القيامة
على وجوههم عجا وهذا
لان حسدقة من يذهب
نور بصره ترقى (يتخافتون)
يتسارون (بينهم) أي يقول
بعضهم لبعض سر الهول
ذلك اليوم (ان لبئتم)
ما لبئتم في الدنيا (الا عسرا)
أي عسرا لئلا يستقصرون
مدة لبئتم في القيور أو في
الدنيا لما يعاينون من
الشدة التي تذكركم أيام
الدعة والسرور فبئس حقون
عليها ويصفونها بالقصر
لان أيام السرور قصرة

أي دمت عليه مقبلا بعده (الجرقة) بالنار (ثم لنسفه) أي لنذريه (في اليم) أي في البحر (نسفا)
روى ان موسى أخذ الجبل فذبحه فسأل منه دم وخرقه في النار ثم ذراه في البحر وقيل معناه لخرقه أي
لتبرده فعلى هذا التأويل لم يتقاب الحما وما كان ذلك لا يمكن ان يبردا بالمبرد ويمكن ان يقال صار الجاودما
فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث ان يمكن نسفها في البحر فلما فرغ موسى من أمر الجبل
وابطال ما ذهب اليه السامري رجع الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبني اسرائيل (انما الهكم الله) أي
المستحق للعبادة والتعظيم هو الله (الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما) أي وسع علمه كل شيء وقيل يعلم من
بعده قوله عز وجل (كذلك نقص عليك من أنباء) يعني من أخبار (ما قد سبق) يعني الامم الخالية
وقيل ما سبق من الامور (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) وهو القرآن (من أعرض عنه) أي عن القرآن
ولم يؤمن به ولم يعمل بما فيه (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) أي جلا نقيلا من الاثم (خالدين فيه) أي
مقيمين في عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة حالا) أي بس ما حلوا أنفسهم من الاثم (يوم ينفخ في
الصور) قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للعشر والمراد به هذه النفخة النفخة الثانية لانه أتبعه
بقوله (وتحشر المجرمين يومئذ زرقا) أي تحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عجا وقيل عطاشا
(يتخافتون) أي يتسارون (بينهم) ويتكلمون خفية (ان لبئتم) أي مكثتم في الدنيا (الا عسرا) أي
عسرا لئلا وقيل في القيور وقيل بين النفختين وهو مقدر اربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم بين
النفختين فاستقصروا مدة لبئتم لهول ما عاينوا فقال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) أي يتسارون فيما
بينهم (اذ يقول أمثلهم طريقة) أي أوفاهم عقلا وأعدلهم قولا (ان لبئتم الا يوما) قصر ذلك في أعينهم في
جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبئتم أشد ما دهمهم قوله عز وجل
(ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فأنزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو القلع أي يقلعها
من أصولها ويجعلها هباء منثورا (فيذرهما) أي يذرهما (فأعاصفنا) أي ارضا

اولا ثم ذهبت عنهم والذاهب وان طال مدة قصه يربا لا انتهاء أولا استطاعتهم الاخرة لانها أبد يستقصرون اليها عسر الدنيا وينتقل لبث
أهلها فيها بالقياس الى لبئتم في الاخرة وقد رجع الله قول من يكون أشد نقلا لانه بقوله (نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة)
اعدهم قولا (ان لبئتم الا يوما) وهو كقوله قالوا لبئنا يوما أو بعض يوم فأسأل العادين (ويسئلونك عن الجبال) سألو النبي صلى الله
عليه وسلم ما يصنع بالجبال يوم القيامة وقيل لم يسئل وتقدره ان سألوك (فقل) ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر الاسئلة مثل قوله
ويسئلونك عن الحبيض قل هو أذى وقوله ويسئلونك عن الينابيع قل يصير لاهم خير ويسئلونك عن الخمر والميسر قل فيها اثم كبير
يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي ويسئلونك عن الروح قل الروح ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا لاهما
سؤالات تقدمت فورد جوابا لم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء (ينسفها ربي نسفا) أي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها
كبيدري الطعام وقال الخليل يقلعها (فيذرهما) فيذرهما مقارها أو يجعل الضمير للأرض للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها (فأعاصفنا)
مستوية ملساء

(لا ترى فيها عوجا) المنخفضا (ولا أمنا) ارتفاعا والعوج بالكسر وان كان في المعاني كما ان المفتوح في الايمان والارض عين ولكن لما استوت الارض استواء لا يمكن ان يوجد فيها عوجا جوجه تارة ان دقت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعاني (يومئذ) أضاف اليوم الى وقت نصف الجبال اي يوم اذ نسفت وجاز ان يكون بلا بعد بدل من يوم القيامة (يتبعون الداعي) الى المحشر اي صوت الداعي وهو اسرافيل حين ينادي على صخرة بيت المقدس آيتها العظام البالية والجسد المتفرقة واللحم المتفرقة هلم الى عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوته لا يعدلون عنه (لا عوج له) اي لا عوج له مدعوا بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين اصوته (وخشعت) وسكنت (الاصوات للرحمن) هيبه واجلالا (فلا تسمع) (٢٦٠) الا همسا) صوتا خفيا لتحريك الشفاه وقيل هو من همس الابل وهو صوت

الخفافها اذا مشيت اي لا تسمع الاخفق الاقدام ونقلها الى المحشر (يومئذ) لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن) محل من رفع على البذل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن اي اذن للشافع في الشفاعة (ورضى له قولا) اي رضى قولا لاجله بأن يكون المشفوع له مسلما أو نصب على المندح لانه مفعول تنفع (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون به علما اي بما احاط به علم الله فيرجع الضمير الى ما أورد جمع الضمير الى الله تعالى ليس بجماط (وعنت) خضعت وذلت ومنه قيل لا بأس برعان (الوجوه) اي اصحابها (للحسنى) الذى لا يموت وكل حياة يتعقبها الموت فهي كان لم تكن (القيوم) الدائم القائم على

مساء مستوية لا نبات فيها (لا ترى فيها عوجا ولا أمنا) اي لا انخفاض ولا ارتفاعا اي لا ترى واديا ولا رابية (يومئذ يتبعون الداعي) اي صوت الداعي الذى يدعوهم الى موقف يوم القيامة وهو اسرافيل وذلك انه يضع الصور في فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول آيتها العظام البالية والجسد المتفرقة واللحم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن (لا عوج له) اي لا عوج لهم من دعائه ولا يزغون عنه عينا ولا شيا لابل يتبعونه سراعا (وخشعت الاصوات للرحمن) اي سكنت وذلت وخضعت والمراد به اصحاب الاصوات وقيل خضعت الاصوات من شدة الفزع (فلا تسمع الا همسا) وهو الصوت الخفى قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل أراد بالهمس صوت وطاء الاقدام الى المحشر كصوت اخفاف الابل (يومئذ لا تنفع الشفاعة) لاحد من الناس (الامن اذن له الرحمن) اي الامن اذن له ان يشفع (ورضى له قولا) قال ابن عباس يعنى قال لا اله الا الله وفيه دليل على انه لا يشفع غير المؤمن وقيل ان درجة الشافع درجة عظيمة فهي لا تحصل الا لمن يأذن الله له فيها وكان عند الله مرضيا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعي اي يعلم الله ما قدموا من الاعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من اذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ان يشفع ثم قال يعلم ما بين أيديهم اي ابدى الشافعين وما خلفهم (ولا يحيطون به علما) قيل الكناية ترجع الى ما هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه والمعنى ان العباد لا يحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم علما وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى اي ولا يحيطون بالله علما (وعنت الوجوه) اي ذلت وخضعت في ذلك اليوم ويصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه وأراد بها المكلفين لان عنت من صفات المكلفين لان صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر لان الخضوع مما يتبين وفيه اظهر وقوله تعالى (للعلى القيوم) تقدم نفسه (وقد خاب من جل ظلي) قال ابن عباس خسرت من أشرك بالله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال ابن عباس معناه لا يخاف ان يزداد على سيئاته ولا ينقص من حسناته وقيل لا يؤاخذ بذنب لم يعمل ولا تبطل عنه حسنة عملها وقوله تعالى (وكذلك أنزلناه) اي كآياتنا في هذه السورة وهذه الآيات المتضمنة للوعيد انزلنا القرآن كله كذلك وقوله (قرأنا عريبا) اي بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر (وصرفناه من الوعيد) اي كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد وبدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والمحارم لان الوعيد مما يتعلق فكركره وتصريفه يقتضى بيان الاحكام فلذلك قال تعالى (لعلهم يتقون) اي يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات (أو يحدث لهم ذكرنا) اي اغما أنزلنا القرآن ليصيروا متقين مجتنبين ما لا ينبغي ويحدث لهم القرآن ذكر كرايغهم في الطاعات وفعل ما ينبغي وقيل معناه يجدد لهم القرآن

كل نفس بما كسبت أو القائم بتدبير الخلق (وقد خاب) يئس من رجة الله (من جل ظلي) من جل الى موقف القيامة عبرة شر كالان الظلم وضع الشئ في غير موضعه ولا ظلم اشد من جعل المخلوق شركا من خلقه (ومن يعمل من الصالحات) الصالحات الطاعات (وهو مؤمن) مصدق بما جاء به محمد عليه السلام وفيه دليل انه يستحق اسم الايمان بدون الاعمال الصالحة وان الايمان شرط قبولها (فلا يخاف) اي فهو لا يخاف فلا يخف على النهى مكي (ظلي) ان يزداد في سيئاته (ولا هضم) ولا ينقص من حسناته واصل الهضم النقص والكسر (وكذلك) عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال (انزلناه قرآنا عربيا) بلسان العرب (وصرفناه) كررنا (فيه من الوعيد لعلهم يتقون) يجتنبون الشرك (أو يحدث لهم) الوعيد أو القرآن (ذكرنا) عظة أو مرفا يبايعانهم به وقيل أر بعنى الواد

عبرة

(فعالى الله) ارتفع عن فنون الظنون وأوهام الأفهام ونزعه عن مضاهاة الأنام ومشاهاة الأجسام (الملاك) الذي يحتاج إليه الملوئ (الحق) الحق في الألوهية ولما ذكر القرآن وانزاله قال استطرادا وإذا نقض جبريل ما يوحى إليه من القرآن فأن عينه ريثما يبعث ويهمل (ولا تجعل بالقرآن) بقرائه (من قبل أن يقضى اليك وحيه) من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلان (وقل رب زدني علما) بالقرآن ومعاينه وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم (ولقد عهدنا إلى آدم) أي أوحينا إليه أن لا يأكل من الشجرة يقال في أوامر الملوئ ووصاياهم تقدم الملك إلى فلان وأوصى إليه وعزم عليه وعهد إليه فخط قصة آدم على وصرف أفيه من الوعيد والمعنى واقم قسمي قد أمرنا بالآباءهم آدم ورصيدنا أن لا يقرب الشجرة (من قبل) (٢٦١) من قبل وجودهم فخاف إلى ما نهى عنه كما

أمرهم يتخفون بمعنى أن أساس أمر بني آدم على ذلك وعرفهم راضع فيسه (ففسى) الهدى التي والانباء عليهم السلام يؤخذون بالآيات التي لو تكلفوا لحفظوه (ولم نجد له عزما) قصد إلى الخلاف لأمره أو لم يكن آدم من أولي العزم والوجود بمعنى العلم ومفعول له عزما أو بمعنى نقيض العزم أي وعدمنا له عزما وله متعلق بقيد (وإذا قلنا) منصوب بأذكر (للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هو السجود اللغوي الذي هو الخضوع والتذلل أو كان آدم كالقبة تضرب تعظيم له فيه (فسجدوا لآدم) (ابليس) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن إبليس كان ملكا من جنس المسمتي منهم وقال الحسن الملائكة لباب الخليفة من الأرواح ولا يتناسون إبليس من نار السموم والمخاض

عبارة وعظه فيعتبرون به يعظون بكركعاب الله الام السابقة قوله تعالى (فعالى الله الملك الحق) أي جل الله وعظم عن الطراد المحدثين وعمما يقوله المشركون والجاحدون وقيل فيه نفيه على ما يلزم خلقه من تعظيمه وتعجبه وقيل انما وصف نفسه بالملاك الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمقتضى من قبل الغير ولا غيره أولى به منه (ولا تجعل بالقرآن) أراد النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادره فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة مخافة الانفلات أو اللسان فنهأ الله تعالى عن ذلك فقال تعالى ولا تجعل بالقرآن أي ولا تجعل بقرائه (من قبل أن يقضى اليك وحيه) أي من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلان وقيل معناه لا تقرئه أصحابك ولا تلهم عليهم حتى يتبين لك معناه (وقل رب زدني علما) فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدني علما إلى ما علمت فان لك في كل شيء علما وحكمة قيل ما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية يقول اللهم زدني علما وإيمانا وبريقنا قوله عز وجل (ولقد عهدنا إلى آدم) يعني أمرناه وأوحينا إليه أن لا يأكل من الشجرة (من قبل) أي من قبل هؤلاء الذين نقضوا وعهدي وتركوا الإيمان بي وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى لعلهم يتقون (ففسى) أي فترلا ما عهدنا إليه من الاحتراز عن أكل هذه الشجرة وأكل منها وقيل أراد النسيان الذي هو ضد الذكر (ولم نجد له عزما) أي صبرا عما نهى عنه وحفظا لأمر به وقيل معناه لم نجد له رأيا معزوما حيث اطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له وقيل معناه لم نجد له عزما على المقام على المعصية فيكون إلى المدح أقرب قوله عز وجل (وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) ان يسجد (قلنا يا آدم ان هذا) أي إبليس (عدوك ولزوجل) أي حواء وسبب العداوة ما رأى من آثار نعمة الله على آدم فحسده فصار عدوا له (فلا يخرج جنكما من الجنة فتشقى) أسند الخروج إليه وان كان الله تعالى هو المخرج لانه لما كان يوسف وسسته وفعل آدم ما يترتب عليه الخروج صح ذلك ومعنى تشقى تنصب وتصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرق والزرع والحصد والطحن والخبز قيل أهبط إلى آدم ثورا حرقا كان يحرق عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاءه فان قلت لم أسند الشقاء إلى آدم دون حواء قلت فيه وجهان أحدهما ان في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله كما ان في سعادته سعادتهم لانه القيم عليهم الثاني أنه أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لان الرجل هو الساعى على زوجته (ان لك ألا تجوع فيها) أي في الجنة (ولا تعرى وانك لا تقمأ فيها) أي تعطش (ولا تضجى) أي تبرز للشمس فيؤذي حرها لانه ليس في الجنة شمس وأهلها في ظل محدود والمعنى ان الشبع والرى والكسوة والكن هي الامور التي يدور

استثنائه منهم لانه كان يحبهم ويعبد الله معهم (أبى) جملة مستأنفة كأنه جواب لمن قال لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أطهر الأباة أو توقف (قلنا يا آدم ان هذا) عدوك (ولزوجل) حيث لم يسجد لك ولم يرضك (فلا يخرج جنكما من الجنة) فلا يكون سببا لإخراجكما (فتشقى) فتعذب في طلب القوت ولم يقل فتشقىا مراعاة لرؤس الآية أو دخلت نساء ولان الرجل هو السكاقل لنفسه المرأة وروى انه أهبط إلى آدم ثورا حرقا كان يحرق عليه ويمسح العرق عن جبينه (ان لك ألا تجوع فيها) في الجنة (ولا تعرى) عن الملابس لانهم معة أبدافها (وانك) بالكسر نافع وأبو بكر عطا على ان الاولى وغيرهما بالفتح عطا على أن لا تجوع ومعه نصب بان وجاز لا فصل كما تقول ان في علمي أنك جالس (لا تقمأ فيها) لا تعطش لوجود الأمر به فيها (ولا تضجى) لا يصيبك من الشمس إذ ليس فيها شمس فاهلها في ظل محدود

(فوسوس اليه الشيطان)

أي انتهى اليه الوسوسة

كاسر اليه (قال يا آدم هل

ادلك على شجرة الخلد)

اضاف الشجرة الى الخلد

وهو الخلود لان من أكل

منها خلد بزعمه ولا يموت

(وماك لا يبلى) لا يقنى

(فاكل) أي آدم وحده

(منهم فبذل لهم أسوأتهما)

عورتاهما (وطفقا) طفق

يفعل كذا مثل جعل يفعل

وهو كساد في وقوع الخبر

فعلا مضارعا الا انه للشروع

في أول الامر وكاد لا يدنو

منه (يخصفان عاههما

من ورق الجنة) أي يلزقان

الورق بسوأتهما للتستر

وهو ورق التين (وعصى

آدم به فغوى) ضل عن

الراى وعن ابن عباسى خاب

والحاصل ان العصيان

وقوع الفعل على خلاف

الامر والنهى وقد يكون

عمدا فيكون ذنبا وقد

لا يكون عمدا فيكون زلة

ولما وصف فعله بالعصيان

خرج فعله من أن يكون

رشدا فكان غيا لان الغى

خلاف الرشد وفي التصريح

بقوله وعصى آدم ربه

فغوى والعدول عن قوله

وزل آدم من حرة بالغة

وموعظة كافة للمكافين

كانه قيل لهم انظروا

واعتبروا كيف نصبت

على النبي المعصوم حبيب

الذلة هذه الغلظة فلا

تهاونوا بما يفرط منكم من

الصغار فضلا عن الكبار

عليها كفاف الانسان فذكر الله تعالى حصول هذه الاشياء في الجنة وأنه مكفى لا يحتاج الى كفاية
 كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج اليه أهل الدنيا (فوسوس اليه الشيطان) أي انتهى اليه الوسوسة
 كاسر اليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي فقال (قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد) أي على الشجرة التي
 ان أكلت منها بقيت مخلدا (وماك لا يبلى) أي لا يبدل ولا يفتى رغبة في دوام الراحة فكان الشيء الذي
 رغب الله فيه آدم رغبته ابليس فيه الا أن الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وابليس
 وقفه على الاقدام عليها وآدم مع كمال علمه بان الله تعالى هو خالقهم وربهم ومولاهم وناصرهم وابليس هو عدوهم
 أعرض عن قول الله تعالى ولم يرد الخرافة ومن تأمل هذا السر عرف أنه لا داعي لقضاء الله ولا مانع له منه
 وقوله تعالى (فاكل منها) يعني أكل آدم وحواء من الشجرة (فبذل لهم أسوأتهما) أي عريانهما
 الثياب التي كانت عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عورتاهما (وطفقا يخصفان عليهما من ورق
 الجنة) أي يلزقان بسوأتهما من ورق التين (وعصى آدم ربه) أي بأكل الشجرة (فغوى) أي فعل مالم
 يكن له فعله وقيل خطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد بأكل ما نهى عنه نجاب ولم ينل مراده وصار
 من العزالي الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتبية يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز أن يقال آكل آدم عاص
 لانه انما يقال لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخطئ به يقال خاطئ به ولا يقال هو خاطئ حتى يعاود
 ذلك مرارا ويعتاده (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم
 وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبو نوحا أخرجهما من الجنة فقال له آدم أنت يا موسى اصطفاك الله بكلامه
 وخط لك التوراة بيده أنلومنى على أمر قد ربه الله تعالى على قبل ان يخلقنى بأمرهين عامخ فخرج آدم موسى
 وفي رواية لمسلم قال قال آدم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان اخلق قال موسى بأمرهين سنة قال فهل
 وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال له نعم قال فهل تلومنى على ان عملت عملا كتب الله على ان اعمله
 قبل ان يخلقنى بأمرهين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى

في الكلام على معنى الحديث وشرحه

قوله احتج آدم وموسى بالمحاجة المبادلة والمخاصمة يقال حاجبت فلانا فحجبته أي جادلته فغلبته قال
 أبو سليمان الخطابي قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الاجبار
 والقهر للعدل على ما قضاه وقد روي عنهم ان قوله فخرج آدم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه
 الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من أفعال العباد وكسابهم وصدور هاهن تقديره وخلق لها خيرها
 وشرها والقدر اسم لما صدر ومقدرا عن فعل القادر والقضاء في هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك
 فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم وكسابهم ومباشرتهم الامور وملايسبتهم اياها عن قصد
 واعمد وتقدم ارادة واختيار فالجدة انما تلزمهم بها واللائمة تلزمهم عليها وجاع القول في هذا انهما
 أمران لا ينفقان أحدهما عن الآخر لان أحدهما بمنزلة الاساس والاخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل
 بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه وانما موضع الجدة لا آدم على موسى أن الله تعالى كان قد علم من آدم
 انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وأن يبطله بعد ذلك وانما كان تناوله
 الشجرة سببا لنزوله الى الارض التي خلق لها وانما أدلى آدم بالجدة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن
 نفسه ولذلك قال أنلومنى على أمر قد ربه الله تعالى من قبل أن يخلقنى

(فصل في بيان عصمة الانبياء وما قيل في ذلك) قال الامام نضر الدين الرازى اختلف الناس في عصمة
 الانبياء وضبط القول فيها يرجع الى أقسام أربعة أحدها ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر
 والضلال فان ذلك غير جائز عليهم الثاني ما يتعلق بالتبليغ فقد اجمعت الامة على كونهم معصومين عن
 الكذب مواظبين على التبليغ والتحريض والا لارتفع الوثوق بالاداء واتفقوا على ان ذلك لا يجوز وقوعه
 منهم عمدا ولا سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن الثالث ما يتعلق

بالتبليغ

بافتقارها فاجعوا على انه لا يجوز خطوهم فيها على سبيل العمد وأجازهم بعضهم على سبيل السهو الرابع
ما يقع في أفعالهم فقد اختلفت الامة فيه على خمسة أقوال أحدها قول من جوز عليهم الكبائر الثاني
قول من منع من الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول أكثر المعتزلة الثالث لا يجوز ان يأثروا
بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على جهة التأويل وهو قول الجبائي الرابع انه لا يقع منهم الذنب الا على
جهة السهو والخطا الخامس انه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو
ولا على سبيل التأويل وهو قول الشيعة واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال أحدها
قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة الثاني قول من ذهب الى
عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول أكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب الى ان ذلك لا يجوز منهم بعد
النبوة وهو قول أكثر أصحابنا وأبي الهذيل وأبي علي من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا انه لم يصدر
عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة وبطل عليه وجوه أحدها الوعد الذنب عنهم لكانوا
أقل درجة من أحد الامة وذلك غير جائز لان درجة الانبياء غاية في الرفعة والشرق الثاني لو صدر منه
وجب أن لا يكون مقبول الشهادة فكان أقل حالا من عدول الامة وذلك غير جائز أيضا لان معنى النبوة
والرسالة هو أن يشهد على الله أنه شرع هذا الحكم وأيضا فإنه يوم القيامة شاهد على الكل الثالث
لو صدر من النبي ذنب وجب الاقتداء به فيه وذلك محال الرابع ثبت ببدية العقل أنه لا منى أقبح عن رفع
الله درجة واتقنه على وجهه وجعله خليفة في عبادته وبلاده بجمع به يناديه لا تفعل كذا فيقدم عليه
ويفعله ترجيح الغرض واجتماع الامة على ان الانبياء كانوا بأمر من الناس بطاعة الله فلو لم يطيعوه
لدخلوا تحت قوله أتأمرون الناس بالبر وتنهون أنفسهم وأنتم تنهون الكتاب أفلا تعقلون وقال وما أريد
أن أخالفكم الى ما أنتمكم عنه الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ولم ينظروا
في تناول الكل ويدل على فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه فثبت أن الانبياء كانوا قاطعين لكل خير
وتاركين لكل منهي وذلك يناق صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفى من الملائكة
رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على
العالمين وقال تعالى في حق موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال تعالى واذكر عبدنا
ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الابد والابصار انا اخالصناهم بمخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا من
المصطفين الانبياء وغير ذلك من الآيات التي تدل على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرة وذلك يناق
صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال وأما المخالف فقد علمنا آيات منها قصة آدم هذه
والجواب عنها أن نقول ان كلامهم انما يتم ان لو ينوب بالدلالة ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع ولم
لا يجوز أن يقال ان آدم حال ما صدرت عنه هذه الاشياء ما كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل
النبوة وان الله تعالى قبل نوبته وشرفه بالنبوة والرسالة وقال القاضي عياض وأما قصة آدم وقوله
وعصى آدم ربه فغوى أي جهل وقيل اخطأ فقد أخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد دعانا الى آدم من قبل
فنبى ولم نجد له عزما أي نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه وقيل لم يقصد المخالفة استعمالا لاله ولكن
اغتر بمخالف ابليس له اني اكلم الناس الناصحين ونوهم ان أحد الا يخلف بالله كذبا وقيل نسي ولم ينو المخالفة
فلذلك قال ولم نجد له عزما أي قصد للمخالفة وقيل بل أكل من الشجرة متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة التي
نهى عنه الا أنه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس وهذا قيل انما كانت التوبة من ترك
التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم فان قلت اذا نهيتم عن الذنوب
والمعاصي فما معنى قوله وعصى آدم ربه فغوى وما ذكر في القرآن والحديث من اعتراق الانبياء
بذنوبهم ونوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكائهم على ما سلف منهم وهل يتوب ويستغفر من لا شيء عليه
قلت ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسقته في عبادته وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحمله

(ثم اجتبا هديه) قر به اليه واصطفاه وقرى به واصل الكلمة الجع يقال جبي الى كذا فاجتبيته (فتاب عليه) قبل نوبته (وهدي) وهده الى الاعتذار والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) يعني آدم وحواء (بعضكم) ياذرية آدم (لبعض عدو) بالتحاسد في الدنيا والاخرة في الدين (فاما يا نبيكم مني هدي) كتاب وشريعة (فن اتبع هداي فلا يضل) في الدنيا (ولا يشقى) في العقبى قال ابن عباس رضي الله عنهما من اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة يعني ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فن اتبع كتاب الله وامثل أوامره (٢٦٤) وانتهى عن نواهيهم نجا من الضلال ومن عقابه (ومن أعرض عن ذكرى) عن

القرآن (فان له معيشة ضنكا) ضيقا وهو مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث عن ابن جبير يسلبه القناعة حتى لا يشبع فمع الدين التسليم والقناعة والتسول فتكون حياته طيبة ومع الاعراض الحرس والشح فعيته ضنكا وحاله مظنة كقال بعض المتصوفة لا يعرض أحدكم عن ذكر ربه الا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه (وتخشمه يوم القيامة أعمى) عن الحجة عن ابن عباس أعمى البصر وهو كقوله وتخشمهم يوم القيامة على وجوههم عما وهو الوجه (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) في الدنيا (قال كذلك) أي مثل ذلك فصأت أنت ثم فسر فقال (أتنت آياتنا فتسبها وكذلك اليوم تنسى) أي أتنت آياتنا فتسبها (أتنت آياتنا فتسبها) أي فتركتها وأعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) أي تترك في النار وقبل نسوان الخير والزوجة ولم ينسوا من العذاب (وكذلك تجزى من أسرف) أي كل جز ينال من أسرف أي من أسرف في الدنيا والآخرة أشد أي مما يعذبهم الله في الدنيا والآخرة (وأبقى) أي وأدوم قوله تعالى (أفلم يهدهم) أي أفلم يهديهم بين القرآن والكفار مكة (كم أهلكتنا قبلكم من القرون عشتون في مساكنهم) يعني في ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قريشا كانوا يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الجحور وهم غود

على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخضة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولم يؤمروا بها وأتوها على وجه التأويل أو السهو وتزيد رمان أمور الدنيا المباحة أو خشدوا عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخضة بها فهو خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علوم مناصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انما ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجرى من أحوالهم كاقبل حسنات الابار بسيات المقر بين اي روعها بالاضافة الى علو أحوالهم كالسيات وسند كرفي كل موضع ما يلحق به وما قيل فيه ان شاء الله تعالى قوله عز وجل (ثم اجتبا هديه) أي اختاره واصطفاه (فتاب عليه) أي عاد عليه بالعفو والمغفرة (وهدي) أي هدها لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) قيل الخطاب لا آدم ومعه ذرته ولا بل يس ومعه ذرته فصح قوله اهبطا لا شتم كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لا آدم وحواء لانهما أصل البشر فجعلنا كانهما البشر فخطوطا بلفظ الجمع (بعضكم لبعض عدو) وقيل في تقوية هذا الظاهر حقه أن يكون ابليس والشياطين أعداء الناس ويحتمل أن يكون بعض الفريقين لبعض عدوا (فاما يا نبيكم مني هدي) أي كتاب ورسول (فن اتبع هداي) أي الكتاب والرسول (فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هده الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك لأن الله تعالى يقول فن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) يعني القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه (فان له معيشة ضنكا) روى عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أنهم قالوا هو عذاب القبر قال أبو سعيد يضغط في القبر حتى تختلف أضلاعه وفي بعض المسانيد مرفوعا لم يتم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلا يزال يعذب حتى يعث وقيل هو الزقوم والضريع والقسايس في النار وقيل هو الحرام والكسب الحديث وقال ابن عباس الشقاء وعنه قال كل ما أعطى العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وان قوما أعرضوا عن الحق وكانوا أولى سعة من الدنيا أكثر من منافع كانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم يرون ان الله ليس يغفل لهم فاشتدت عليهم معايشتهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل يسلب القناعة حتى لا يشبع (وتخشمه يوم القيامة أعمى) قال ابن عباس أعمى البصر وقيل أعمى عن الحجة (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) أي بصير العين أو بصيرا بالحجة (قال كذلك) أي كما (أتنت آياتنا فتسبها) أي فتركتها وأعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) أي تترك في النار وقبل نسوان الخير والزوجة ولم ينسوا من العذاب (وكذلك تجزى من أسرف) أي كل جز ينال من أسرف أي من أسرف في الدنيا والآخرة أشد أي مما يعذبهم الله في الدنيا والآخرة (وأبقى) أي وأدوم قوله تعالى (أفلم يهدهم) أي أفلم يهديهم بين القرآن والكفار مكة (كم أهلكتنا قبلكم من القرون عشتون في مساكنهم) يعني في ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قريشا كانوا يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الجحور وهم غود

عن عينيك (وكذلك تجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وابق) لما توقعوا المعرض عن ذكره بعقوبتين وقربات المعيشة الضنك في الدنيا وخشمه أعمى في العقبى ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة أشد وابق أي للعشر على العمى الذي لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضى (أفلم يهدهم) أي الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون (كم أهلكتنا قبلكم من القرون عشتون) حال من الله به الجحور وفي لهم (في مساكنهم) يريدان قريشا عشتون في مساكن عاد وغود وقوم لوط وبما ينون آثاره لا كهم

(ان في ذلك لايات لاولى النهى) لذوى العقول اذا تفكروا وعلموا ان اسئصا لهم ككفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا (ولولا كلمة سبقت من ربك) اي الحكيم بتأخير العذاب عن امة محمد صلى الله عليه وسلم (لكان لزاما) لازما فالزام مصدر لازم فوصف به (واجل مسمى) القيامة وهو معطوف على كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم واجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كالزمن القرون الماضية الكافرة (فاصبر على ما يقولون) فيك (وسبح) وصل (بمحمد ربك) في موضع الحال وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه (قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها (ومن آتاء الليل فسبح وأطراف النهار) اي وتعد آتاء الليل اي ساعاته (٢٦٥) وأطراف النهار مختصا بها

بصلاته وقد تناول التسبيح في آتاء الليل صلاة العتمة وفي اطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله والله الا الوسطى عند البعض وانما جمع وأطراف النهار وهما طرفان لامن الالباس وهو عطف على قبل (لعلك ترضى) لعل للخطاب اي اذ كر الله في هذه الاوقات رجاء ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك وبسر قلبك وترضى على وابو بكر اي يرضى بك ربك (ولا تمدن عينيك) اي نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرد استعسانا للمعظوم اليه وانما يراه وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك ان يبادر الشئ بالنظر ثم يفيض الطرف ولقد شد المتقون في وجوب غض البصر عن ابصار الظلمة وعدد الفسقة في ملاسهم ومراكمهم حتى قال الحسن

وقريات قوم لوط (ان في ذلك لايات لاولى النهى) اي لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) اي ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم (لكان لزاما اجل مسمى) تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كالزمن القرون الماضية الكافرة (فاصبر على ما يقولون) تسخنها آية السيف (وسبح محمد ربك) اي صل بأمر ربك (قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) اي صلاة العصر (ومن آتاء الليل) اي ومن ساعاته (فسبح) يعني فصل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل (وأطراف النهار) يعني صلاة الظهر رسمى وقت الظهر أطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الاخر ابتداء (لعلك ترضى) اي ترضى ثوابه في المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرى ترضى بضم التاء اي تعطى ثوابه وقيل بربك (ق) عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفر الى القوم ليلة البدر وقال انكم ستوتون ربكم عيانا كما ترون هذا النجم لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح محمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ا قوله لا تضامون بتخفيف الميم من الضم وهو الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم بعضا في رؤيته وروى بتشديد الميم من الانضمام والازدحام اي لا يزدحم ولا ينضم بعضهم الى بعض في رؤيته والكاف في قوله كما ترون هذا النجم كافي التشبيه للرؤية لا للمرقى وهي فعل الرائي وعنه ترون ربكم ورؤية ينزاح معها الشك كرويتكم هذا القمر ليلة البدر لا ترون فيه ولا تشكون في قوله عز وجل (ولا تمدن عينيك) قال ابو رافع نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني الى يهودي فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يعني كذا وكذا من الدقيق أو أسلفني الى هلال رجب فأتيت فقلت له ذلك فقال والله لا أبيععه ولا أسأفه الا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أخبرته فقال والله لن باعني أو أسلفني لقضيتيه وانى لامين في السماء وأمين في الارض اذهب يد رعي الحديد اليه فترأت هذه الآية ولا تمدن عينيك أي لا تنظر نظرا تكاد تردده استعسانا بالمدنظر اليه وانما يراه وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه (به) أي اعطينا (أزواجا) أي أصنافا (منهم زهرة الحيوه الدنيا) أي زينتها وبعثنا (لنفقهم فيه) أي لتجعل ذلك فتنة لهم بان تزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرًا وطغيانًا (ورزق ربك) أي في المعاد في الجنة (خير وأبقى) أي اديم وقال ابي بن كعب من لم يعتز بعز الله تقطعت نفسه حسرات ومن أتبع عصره ما في ابدى الناس يطل خزنه ومن ظن ان نعمة الله عليه في مطعمه ومشربه وملابسه فقد قل عمله وحضر عذابه قوله تعالى (وأمر أهلك) أي قومك وقيل من كان على دينك (بالصلاة) أي بالمحافظة عليها (واصطبر عليها) أي اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عايم افعلا فان الوعظ بلسان

(٣٤ - خازن ثالث) لا تنظروا الى دقة هه الج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعبون النظارة فالناظر اليها يحصل لغرضهم ومغزاهم على اتخاذها (الى مامتعا به أزواجهم) اصنافا من الكفرة ويجوز ان يتصعب حالامن هه الضمير والفعل واقع على منهم كما قال الى الذي متعنا به وهو اصنافا بعضهم وناسا منهم (زهرة الحيوه الدنيا) زينتها وبعثنا وانصب على الدم او على ابداله من محل به او على ابداله من أزواج على تقدير زوى زهرة (لنفقهم فيه) لنباهوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم والنعمة بهم في الآخرة بسببه (ورزق ربك) ثوابه وهو الجنة او الحلال الكافى (خير وأبقى) مما رزقوا (وأمر أهلك) امتك او اهل بيتك (بالصلاة واصطبر) امتد اديم (عليها)

لا نسئلك رزقا) اى لا نسئلك ان ترزق نفسك ولا اهلك (نحن نرزقك) واياهم فلا تهتم لامر الرزق وفرغ بالك لامر الاخرة لان من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تعدن عينيك الآية ثم ينادى الصلاة الصلاة وحكم الله وكان بكر بن عبد الله المزني اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا فاصلوا به اذا امر الله رسوله وعن مالك بن دينار مثله وفي بعض المسانيد انه عليه السلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة ولا هذه الآية (والعاقبة للتقوى) اى وحسن العاقبة لاهل التقوى يجذف المضافين (وقالوا) اى الكافرون (لولا يا نبينا يا نبي من ربه) هلا يا نبينا محمد يا نبي من ربه نذل على صحة نبوته (اولم تأتوهم) اولم تأتوهم مدني وحفص وبصري (بينه ما في الصحف الاولى) اى الكتب المتقدمة يعنى انهم اقترحوا على عادتهم في التعتن آية على النبوة فقبل لهم اولم تأتوكم (٣٦٦) آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الاعجاز يعنى القرآن من قبل ان القرآن برهان ما في سائر

الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى تماديه على صحة ما فيها (ولو اننا اهلكناهم بعذاب من قبله) من قبل الرسول أو القرآن (لقالوا ربنا لولا هلا) أرسلت الينا رسولا فنستعج بالنعص على جواب الاستفهام بالفاء (آياتك من قبل ان نذل) ينزل العذاب (ونخزي) في العقبي (قل كل) اى كل واحد منا ومنكم (متر بص) منتظر للعاقبة ولما نزل اليه امرنا وأمركم (قتر بصوا) انتم (فستعلمون) اذا جاءت القيامة (من أصحاب) مبتدأ وخبر ومحل ما نصب (الصراط السوي) المستقيم (ومن اهتدى) الى النعيم المقيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ أهل الجنة الا سورة طه ويس والله أعلم بالصواب

الفضل ابلغ منه بلسان القول (لا نسئلك رزقا) اى لا نكلفك عملا (نحن نرزقك) اى بل نحن نرزقك وزرقت اهلك (والعاقبة للتقوى) اى الخصلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك وآمنوا بل وفي بعض المسانيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة ولا هذه الآية (وقالوا) يعنى المشركين (لولا يا نبينا يا نبي من ربه) اى بالآية المقترحة فانه كان قد أتاهم بآيات كثيرة (اولم تأتوهم بينه ما في الصحف الاولى) اى بيان ما فيها وهو القرآن لانه اقوى دلالة وأوضح آية وقيل معنى ما في الصحف ما في التوراة والانجيل وغيرهما من اخبار الامم انهم اقترحوا الآيات فلما أتتهم لم يؤمنوا بها فجلنا لهم العذاب والهلاك فباؤ منهم ان آتوهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك وقيل بينه ما في الصحف الاولى هي البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته (ولو اننا اهلكناهم بعذاب من قبله) اى من قبل ارسال الرسل وازال القرآن (لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) اى لقالوا يوم القيامة لولا أرسلت الينا رسولا يدعونا (فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزي) بالعذاب والهوان والافتقار (قل كل متر بص) اى منتظر ودائر الزمان وذلك أن المشركين قالوا انت بص بمحمد ريب المنون وحوادث الدهر فاذ مات تخلصنا قال الله تعالى (قتر بصوا) اى فانتظروا (فستعلمون) اى اذا جاء أمر الله وقامت القيامة (من أصحاب الصراط السوي) اى المستقيم (ومن اهتدى) اى من الضلالة نحن أم أنتم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام﴾

وهي مكية وعدد آياتها مائة واثناعشرة آية وآف ومائة وثمان وستون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (اقرب للناس حسابهم) اى وقت محاسبة الله اياهم على أعمالهم يوم القيامة تزلت في منكرى البعث وانما ذكر الله هذا الاقتراب لمسايقه من المصلحة للمكلفين فيكونون اقرب الى التأهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقبلهم المشركون وهذا من باب اطلاق اسم الجنس على بعضه (وهم في غفلة معرضون) اى عن التأهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم

﴿سورة الانبياء مكية وهي مائة واثناعشرة آية كوفي واحد عشر آية مدني وبصري﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ساهون (اقرب) دنا (لنناس) اللام صلة لا اقرب عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بالناس المشركون لان ما ياتوه من صفات المشركين (حسابهم) وقت محاسبة الله اياهم ومجازاته على أعمالهم يعنى يوم القيامة وانما وصفه بالاقتراب لقلة ما بيني وبالاضافة الى ما مضى ولان كل آت قريب (وهم في غفلة) عن حسابهم وعما يفعل بهم ثم (معرضون) عن التأهب لذلك اليوم فالاقتراب عام والغفلة والاعراض وتفاوتان بتفاوت المكلفين قرب غافل عن حسابيه لاستغراقه في دنياه واعراضه عن مولاة ورب غافل عن حسابيه لاستهلاكه في مولاة واعراضه عن دنياه فهو لا يفيق الا برؤية المولى والاول اغما يفيق في عسكرة الموتى فالواجب عليك أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب وتنبه للعرض قبل ان تنبه وتعرض عن الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين لتفوز بلقاء رب العالمين

(ما يأتيهم من ذكر) نبي من القرآن (من ربهم يحدث) في التنزيل آياته مبشرة نلأوته قريب عهد به باستماعهم والمراد به الحروف المنظومة ولا خلاف في حدوثها (الا استمعوه) من النبي عليه السلام أو غيره ممن يشأونه (وهم يلبثون) يستهزئون به (لا هية) حال من ضمير يلبثون أو وهم يلبثون ولا هية حالات من الضمير في استمعوه ومن قرأ الآية بالرفع يكون خبراً به مدخراً لقوله وهم وارتفعت (قلوبهم) بلا هية وهي من لها عنه إذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد بها ومنها قال أبو بكر الوراق القلب اللذه المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهوالها (وأسروا) وبالغوا في إخفاء (التجوى) وهي اسم من المتجاسي ثم أبدل (الذين ظلموا) من زاد وأسروا أي أنا بانهم الموسومون بالظلم فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو مجرور المحل لكونه صفة أو بدلا من الناس أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره أسروا التجوى فقدم عليه أي والذين ظلموا أسروا التجوى (هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحرة وأنتم تبصرون) هذا الكلام كله في محل النصب بدل من (٢٦٧) التجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعاقبوا بقوله المضمر أو المعنى

سأهون لا يفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء المحسن والمسيء ثم اذنبوا ومن سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا عنه (ما يأتيهم من ذكر من ربهم يحدث) يعني ما يحدث الله من نزل بل شئ من القرآن يذكروهم ويعظمهم به وقبل معناه أن الله يحدث الأمر بعد الأمر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الأحكام وغيرها من الأمور والوقائع وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواظ سوى ما في القرآن وأضافه إليه لأن الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (الا استمعوه وهم يلبثون) أي لا عيبين لا يعتبرون ولا يتعظون (لا هية قلوبهم) أي ساهية مغرصة غافلة عن ذكر الله (وأسروا التجوى الذين ظلموا) أي بالغوا في إخفاء التجاسي وهم الذين أسروا ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال تعالى تخبر عنهم (هل هذا إلا بشر مثلكم) يعني أنهم أنكروا إرسال البشر وطلبوا إرسال الملائكة والاولى إرسال البشر إلى البشر لأن الإنسان إلى القبول من أشكاله أقرب (أفتأتون السحرة) أي أتحضرون السحرة وتقبلونه (وأنتم تبصرون) أي تعلمون أنه سحر (قل) لهم يا محمد (ربي يعلم القول في السماء والأرض) أي لا يخفى عليه شئ (وهو السميع) لا قوا لهم (العاليم) بأفعالههم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (بل قالوا أضغاث أحلام) يعني أباطيل وأهاويل وأهاف النوم (بل افتراه) أي اختلقه (بل هو شاعر) وذلك أن المشركين اقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله فقال بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو فريه وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر (فليأتنا) يعني النبي صلى الله عليه وسلم (بآية) أي بحجة أن كان صادقا (كما أرسل الأولون) أي من الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) أي قبل مشركي مكة (من قرية) أي من أهل قرية أنهم لا آيات (أهلكناها) أي بالكذب (أنهم يؤمنون) أي ان جاءتهم آية والمعنى ان أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما جاءتهم آية مؤمن هؤلاء ﴿ قوله تعالى ﴾ (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم) هذا جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم والمعنى انهم نزلوا نزل الملائكة إلى الأولين انما أرسلنا رجالا نوحي إليهم مثلك (فاسألوا أهل الذكر) يعني أهل التوراة والإنجيل يريد علماء أهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه

في نومه فتوجهوا حيا من الله إليه ثم إلى انه كلام مفترى من عنده ثم إلى انه قول شاعر وهكذا الباطل للخلق والمبطل رجاء غير ثابت على قول واحد ثم قالوا ان كان صادقا في دعواه وليس الامر كما يظن (فليأتنا بآية) بعجزة (كما أرسل الأولون) كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا وإبراء الأكمة وأحياء الموتى وصحة التشبيه في قوله كما أرسل الأولون من حيث انه في معنى كما أي الأولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للآيات بالآيات ألا ترى أنه لا فرق بين قولك أرسل محمد وبين قولك أتى محمد بالمعجزة فرد الله عليهم قولهم بقوله (ما آمنت قبلهم من قرية) من أهل قرية (أهلكناها) صفة لقرية عند مجي الآيات المقترنة لانهم طلبوها عنيتا (أنهم يؤمنون) أي أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم آية مؤمن هؤلاء المقترحون لو أتيناهم بما اقترحوا مع أنهم أعنى منهم والمعنى ان أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكتوا وأخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطينا هؤلاء ما يقترحون لنكتوا أيضا (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا) هذا جواب قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم (يوحى إليهم) فوحى حفص (فاسألوا أهل الذكر) العلماء بالكتبين فانهم يعرفون أن الرسل الموحى إليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة وكان أهل مكة يعبدون على قولهم

(ان كنتم لا تهاون) ذلك ثم بين انه كن تقدمه من الانبياء بقوله (وما جعلناهم جسدا) وحسد الجسد لارادة الجنس (لا يأكلون الطعام) صفة لجسد ابغنى وما جعلنا الانبياء قله ذوى جسد غير طامعين (وما كانوا خالدين) كما هم قالوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلف امام معتقدين ان الملائكة لا يموتون أو مبعدين بقاءهم الممتد وحياتهم المتطاولة خلودا (ثم صدقناهم الوعد) بانجائهم والاصل في الوعد مثل واختار موسى قومه أى من قومه (فانجيناهم) مما حل بقومهم (ومن نشاء) هم المؤمنون (وأهلكنا المسرفين) المجاوزين الحد بالكفر ودل الاخبار باهلاك المسرفين على أن من نشاء غيرهم (لقد أنزلنا اليكم) يامعشر قريش (كتابا فيه ذكركم) كافي فيه ذكركم (شرفكم ان علمتم به أولانه بلسانكم أو فيه موعظتكم أو فيه ذكر دينكم ودنياكم والجنة أى فيه ذكركم صفة لكتابنا) (أفلا تعقلون) ما فضلتمكم به على غيركم فتوهموا (وكنتم) نصب بقوله (قصصنا) أى أهلكنا (من قرية) أى أهلها بآليل قوله (كانت ظالمة) كافرة وهى واردة عن غضب شديد ومخطط عظيم لان القصص اقلع الكسر وهو الكسر الذى بين ثلاثيم الاخزاء (٢٦٨) بخلاف القصص فانه كسر بالابانة (وانشأنا) خلقنا (بعدها قوما آخرين) فسكنوا

مساكنهم (فلما أحسوا) أى المهلكون (بأسنا) عذابنا أى علموا علم حس ومشاهدة (اذا هم منها) من القرية وإذا الله مفاجأة وهم مبتدأ والخبر (يركضون) يركضون مسرعين والركض ضرب الدابة بالرجل فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب أو شبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالركضين الركضين لدوابهم فقبل لهم (لا تركضوا) والفاعل بعضهم (وارجعوا) الى ما أترقتم فيه (نعمتم فيه من الدنيا) والين العيش قال الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه (ومساكنكم لعلكم تسألون) أى يقال لهم استنزهوا

وسلم أمر الله المشركين بسؤال أهل الكتاب لان المشركين أقرب الى تصديقهم من تصديق من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بالذكر القرآن أى فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن (ان كنتم لا تعلمون) قوله عز وجل (وما جعلناهم) أى الرسل (جسدا لا يأكلون الطعام) هذارد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام والماعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (وما كانوا خالدين) أى فى الدنيا بل يموتون كغيرهم (ثم صدقناهم الوعد) أى الذى وعدناهم باهلاك أعدائهم (فانجيناهم ومن نشاء) أى من المؤمنين الذين صدقوهم (وأهلكنا المسرفين) أى المشركين لان المشرك مسرف على نفسه (لقد أنزلنا اليكم) أى يامعشر قريش (كتابا فيه ذكركم) أى شرفكم وغفركم وهو شرف لمن آمن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما تحتاجون اليه من أمر دينكم وقيل فيه تذكرة لىكم لتعذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد (أفلا تعقلون) فيه بحث على التذلل لان الخوف من لوازم العقل (وكنتم قصصنا) أى أهلكنا (من قرية كانت ظالمة) أى كافرة والمراد أهل القرية (وانشأنا بعداها) أى أحدثنا بعد هلاك أهلها (قوما آخرين) فلما أحسوا وبأسنا (أى عذابنا بحاسة البصر) (اذا هم منها يركضون) أى يسرعون هاربين من قريتهم لما رأوا مقدمة العذاب (لا تركضوا) أى قبل لهم لا تهربوا (وارجعوا الى ما أترقتم فيه) أى نعمتم فيه من العيش (ومساكنكم لعلكم تسألون) قال ابن عباس عن قتل نبيكم قتل نزلت هذه الآية فى أهل حضور قرية باليمن وكان أهلها عر بابعث الله اليهم نبي يادعهم الى الله فيكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم وسباهم فلما استترقهم القتل هربوا فقاتل الملائكة أتهم استهزاء لا تركضوا أى لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسألون شيئا من دنياكم فتعطلون من شتم وتعتعون من شتم فانكم أهل ثروة ونعمة فأتبعهم بختنصر واخذتهم السيوف ونادى من جوار السماء يا لئالي الانبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم (قالوا يا ربنا انا كنا ظالمين) أى لانفسنا حين كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم (فما زلت تدعوهم) أى تلك الكلمة وهى قولهم يا ويلنا (حتى جعلناهم حصيدا) أى باليوسف كما يحصد الزرع (خامدين) أى ميتين (لقد أنزلنا اليكم) أى شرفكم وغفركم (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما الا لعبين) معناه ما نسوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد

ارجعوا الى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عسى جرى عليكم ونزل بأموالكم فتحيبوا السائل عن علم ومشاهدة الموضوع أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم فى مجاسمكم حتى يسئلكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وكيف نأى وننذركم عادة المنعمين الخدمين أو يسألكم الناس فى آتديتكم المعاونة فى نوازل الخطوب أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستطرون صحاب اكفكم وقال بعضهم لبعض لا تركضوا وارجعوا الى منازلكم وأموالكم لعلكم تسألون ما لا وخرجا فلا تقنلون فتودى من السماء يا ثارات الانبياء واخذتهم السيوف فثم (قالوا يا ربنا انا كنا ظالمين) اعترفهم بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف (فما زلت تدعوهم) أى تلك الكلمة وهى قولهم يا ويلنا (حتى جعلناهم حصيدا) أى باليوسف كما يحصد الزرع (خامدين) أى ميتين (لقد أنزلنا اليكم) أى شرفكم وغفركم (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما الا لعبين) معناه ما نسوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد

لهو لا عين حال من فاعل خلقنا والمعنى وما سويها هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلق للهو واللعب وانما سويها ليستدل بها على قدرة مدبرها ولنجازي المحسن والمسيء على ما تقتضيه حكمته ثم نزه ذاته عن سمات الخلق بقوله (لو اردنا ان نتخذ لهوا) اي ولد او امرأة كانه رد على من قال عيسى ابنه ومريم صاحبه (هـ) نتخذناه من لدنا) من الولدان والحوار (ان كنا فاعلين) اي ان كنا ممن يفعل ذلك وليس لنا ممن يفعله لاستحالة في حقنا وقيل هو نفي كقولهم وان ادري أي ما كنا فاعلين (بل نقذف) بل اضرب عن اتخاذ الله ونزاهته عنه لذاته كانه قال سبحانه ان نتخذ اللهو بل من سنننا ان نقذف اي نرمي ونسلط (بالحق) بالقرآن (على الباطل) الشيطان او بالاسلام على الشر او بالجد على اللعب (فيدمغه) فيكسره ويدحض الحق الباطل وهذه استعارة لطيفة لان اصل استعمال القذف والدمغ في الاجسام ثم استعير القذف ليراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل فالاستعارة منه حسي والاستعارة له عقلي فكأنه قيل بل نوردا الحق الشبيه بالجسم القوي على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطئه (٣٦٩) ابطال الجسم القوي الضعيف (فاذا هو)

اي الباطل (زاهق) هالك ذاهب (ولكم الويل مما تصصفون) الله من الولد ونحوه (وله من في السموات والارض) خلقا ومكافأتي يكون شئ منه ولد الله وبنيهما تناف ويوقف على الارض لان (ومن عنده) منزلة ومكانة لا منزل ولا مكانا يعني الملائكة مبتدأ خبره (لا يستكبرون) لا يتعظمون (عن عبادته ولا يستخسرون) ولا يعيرون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) حال من فاعل يسبحون اي تسبيحهم متصل دائم في جميع اوقاتهم لا يتخلله قتره بفرغ او شغل آخر قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس ابني آدم (ام اتخذوا آلهة من الارض) يعني الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهي من الارض (هم ينشرون) اي يحيمون الاموات اذ لا يستحق الالهية الا من يقدر على الاحياء والايجاد من العدم والانعاء بالبلغ وجوده النعم وهو الله عز وجل (لو كان فيهم) اي في السماء والارض (آلهة الا الله) اي غير الله (افسدنا) أي فخرنا وهاك من فيهم الموجودات المنافع من الآلهة لان كل أمر صدر عن الاثنين فأكثر لم يجز على النظام وقال الامام نضر الدين الرازي قال المشككة - ونال - بوجوب الهين يفضي الى المحال

الموضوع وما بينهما من الجائز للعب واللهو وانما سويها هاتان الفوائد منها التفكير في خلقهما وما فهم ما من الجائز والمنافع التي لا تعد ولا تحصى (لو اردنا ان نتخذ لهوا) قال ابن عباس الله والمرأة وعنه انه الولد (لا نتخذناه من لدنا) اي من عندنا من الحو والعين لا من عندكم من اهل الارض وقيل معنى لو كان ذلك جائزا في حقنا لم نتخذ به حيث يظهر لكم بل نستتر ذلك حتى لا تطلعوا عليه وذلك ان النصراري لما قالوا في المسيح وانه ما قالوا الله عليه - بقوله لا نتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجه يكونان عنده لا عند غيره (ان كنا فاعلين) اي ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لانه لا يليق بالربوبية (بل) اي دع ذلك الذي قالوه فانه كذب وباطل (نقذف) اي نرمي ونسلط (بالحق) اي بالايان (على الباطل) اي على الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذوا الله ولدا (فيدمغه) فيهلكه (فاذا هو زاهق) اي ذاهب والمعنى اننا نبطل كذبهم عما تبين من الحق حتى يذهب ويضعف ثم اوعدهم على كذبهم فقال تعالى (ولكم الويل) يامعشر الكفار (مما تصصفون) الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد (وله من في السموات والارض) اي عبيد او ملائكة وهو الخالق لهم والمنعم عليهم - باصناف النعم (ومن عنده) يعني الملائكة وانما خاص الملائكة وان كانوا داخلين في جملة من في السموات لكن اكرامتهم - وفريد الاعناء بهم (لا يستكبرون عن عبادته) اي لا يتعظمون ولا يتعظمون عنها (ولا يستخسرون) اي لا يعيرون ولا يتعجبون وقيل لا ينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) اي لا يضعفون ولا يسأمون وذلك ان تسبيحهم متصل دائم لا يفتري جميع اوقاتهم لا يتخلله قتره بفرغ او شغل آخر قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس ابني آدم (ام اتخذوا آلهة من الارض) يعني الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهي من الارض (هم ينشرون) اي يحيمون الاموات اذ لا يستحق الالهية الا من يقدر على الاحياء والايجاد من العدم والانعاء بالبلغ وجوده النعم وهو الله عز وجل (لو كان فيهم) اي في السماء والارض (آلهة الا الله) اي غير الله (افسدنا) أي فخرنا وهاك من فيهم الموجودات المنافع من الآلهة لان كل أمر صدر عن الاثنين فأكثر لم يجز على النظام وقال الامام نضر الدين الرازي قال المشككة - ونال - بوجوب الهين يفضي الى المحال

والهوية فقال (ام اتخذوا آلهة من الارض - هم ينشرون) يحيمون الموتى ومن الارض صفة لا آلهة لان آلهتهم كانت متخذة من جواهر الارض كالذهب والفضة والحجارة بعد في الارض فنسبت اليها كقولك فلان من المدينة اي مدني او متعلق بالتخذ او يكون فيه بيان غاية الاتخاذ وفي قوله هم ينشرون زيادة توبيخ وان لم يدعوا ان اصنامهم فحبي الموتى وكيف يدعون ومن اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات لانه يلزم من دعوى الالهية آحاد دعوى الانشار لان العاجز عنه لا يصح ان يكون الها اذ لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مفذور والانشار من جملة المقدورات وقرأ الحسن بنشر بن بفتح الباء واما الغتان انشر الله الموتى ونشرها اي احياها (لو كان فيهم آلهة الا الله) اي غير الله وصفت آلهة بالا كما وصفت بغيره لوقيل آلهة غير الله ولا يجوز رفعه على البدل لان لو عجزت في أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد الا امر آتينا ولا يجوز نصبه استثناء لان الجمع اذا كان منكر لا يجوز ان يستثنى منه عند المحققين لانه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء والمعنى لو كان يدبر أمر السموات والارض آلهة شئ غير الواحد الذي هو فاطرهما (افسدنا) فخرنا بالوجودات المنافع وقد قررناه في اصول الكلام ثم نزه ذاته فقال

(فسبحان الله رب العرش عما يصفون) (٢٧٠) من الولد والشرىك (لا يستل عما يفعل) لانه المالك على الحقيقة ولو اعترض على السلطان

فوجب ان يكون القول بوجوب الهين محالاً وانما قلنا انه يقضى الى المحال لان لو فرضنا وجود الهين فلا بد وان يكون كل واحد منهما قادراً على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادراً على تخريب زيد وتسكينه ولو فرضنا ان أحدهما أراد تخريبه وأراد الآخر تسكينه فاما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمنع مراد هذا الآخر وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنع مع الوجود معاً وذلك محال أو يقع مراد أحدهما دون الثاني وذلك أيضاً محال لوجهين أحدهما انه لو كان كل واحد منهما قادراً على ما لا نهاية له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر لا بد وان يستويان في القدرة وإذا استويا في القدرة استحتم ان يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثاني والا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما انه اذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادراً والذي لم يقع مراده يكون عاجزاً والعجز نقص وهو على الاله محال ولو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادراً على جميع المقدورات فيفرض الى وقوع مقدور من قاردين مستقلين من وجه واحد وهو محال لان اسناد الفعل الى الفاعل اغنا كان لا مكانه فاذا كان كل واحد منهما مستقلاً بالابحاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا لكونه حاصلهما جميعاً فيلزم استغناؤه عنهما معاً واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه حجة تامة في مسألة التوحيد فنقول القول بوجود الهين يقضى الى امتناع وقوع المقدورين واحدهما أو اذا كان كذلك وجب أن لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعاً أو نقول لو قدرنا الهين فاما أن يتفقا أو يختلفا فان اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومرادهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما ان يقع المرادان أو لا يقع واحد منهما أو يقع أحدهما دون الثاني والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات واعلم اننا اذا وقفنا على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى وأما الدلائل السمعية على الوحدة فكبيرة في القرآن واعلم ان كل من طعن في دلائل التمايع ففسر الآية بان المراد لو كان في السماء والارض آلهة يقول بالهين عباداً الاصنام لزم فساد العالم لانها جادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم افساد العالم قالوا وهذا أولى لانه تعالى حكى عنهم في قوله أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب ان يختص الدليل به ^و وأما قوله (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) ففيه تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون من الشرىك والولد (لا يستل عما يفعل) أي لا يستل الله عما يفعله ويقضيه في خلقه (وهم يستلون) أي والناس يستلون عن أعمالهم والمعنى انه لا يستل عما يحكم في عبادته من اعزاز واذلال وهدي واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب مالك الاعيان والخلق يستلون سؤال توبخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله تعالى ليس فوقه أحد يقول له شيء فعله لم فعلته ^و قوله عز وجل (أم اتخذوا من دونه آلهة) لما بطل الله تعالى ان تكون آلهة سواء بقوله لو كان فيهم آلهة الا الله لفسدتا أن تذكروا عليهم اتخذوهم الا آلهة فقال أم اتخذوا من دونه آلهة وهو اسد تفهام انكار توبخ (قل هاتوا برهانكم) أي حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستأنفا (هكذا) يعني القرآن (ذكر من ممي) أي فيه خبر من ممي على ديني ومن يتبعني الى يوم القيامة بمالهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (وذكر) أي خبر (من قبلي) أي من الامم السالفة وما فعلهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة وقال ابن عباس ذكر من ممي القرآن وذكر من قبلي التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القرآن والتوراة والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولداً أو كان معه آلهة (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) ^و قوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) أي فوحدوني وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم

بعض عبيده مع وجود التجانس وجبه وان الخطا عليه وعدم الملك الحقيقي لاستقبح ذلك وعدسفهها فن هو مالك الملوذ ورب الارباب وفعله سواب كله أولى بان لا يعترض عليه (وهم يستلون) لانهم ملوكون خطاؤون فما خلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه وقيل وهم يستلون يرجع الى المسج والملائكة أي هم مسؤولون فكيف يكونون آلهة والالوهية تنافي الجنسية والمسؤولية (أم اتخذوا من دونه آلهة) الامادة لزيادة الافادة فالاول للانكار من حيث العقل والثاني من حيث النقل أي وصفتم الله تعالى بان يكون له شريك فقيل لهمد (قل هاتوا برهانكم) حجتكم على ذلك واذعقل وهو باباه كأمي أو نقل وهو الوحي وهو أيضاً باباه فانكم لا تجدون كتاباً من الكتب السماوية الا وفيه توحيد وتزجيه عن الانداد (هذا) أي القرآن (ذكر من ممي) يعني آمنه (وذكر من قبلي) يعني أم الانبياء من قبلي وهو واردي توحيد الله ونفي الشركاء عنه ممي حفص فلما لم يمتنعوا عن كفرهم أضرب عنهم فقال (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) أي هو نصيب يعلمون وقرئ الحق أي هو الحق (فهم) لاجل ذلك (معرضون) عن النظر فيما يجب عليهم بمواضع

(وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه) الانوحي كوفي غير أبي بكر وحده (انه لا اله الا أنا فاعبدون) وحدوني فهذه الآية مقرررة

للمسابقة من آي التوحيد (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه) نزات في خراعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فزده ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد بقوله (بل عباد مكرمون) أي بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا بأولاد إذ العبودية تنافي الولادة (لا يسبقونه بالقول) أي بقولهم فأثبت اللام من باب الإضافة والمعنى أنهم يسبقون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله بقولهم (وهم بأمره يعملون) أي كما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا مبني على أمره لا يعلو عملهم يؤمر وأبه (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما قدموا وأخروا من أعمالهم (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) أي لمن رضى الله عنه وقال لا اله إلا الله (وهم من خشية مشفقون) خائفون (ومن يقل منهم) من الملائكة (إني اله من دونه) من دون الله إني مدني وأبو عمرو (فذلك) مبتدأ أي فذلك القائل خبره (نجزيه جهنم) وهو جواب الشرط (كذلك نجزي الظالمين) الكافرين الذين وضعوا الإلهية في غير موضعها وهذا على سبيل الفرض والتشيل لتحقيق عصمتهم وقال ابن عباس رضى الله عنهم ما وقتادة والضحاك قد تحقق الوعيد في إبليس فإنه ادعى (٣٧١) الإلهية لنفسه ودعا إلى طاعة نفسه وعبادته

(أولم ير الذين كفروا) المبر
مكي (أن السموات والأرض
كانتا) أي جماعة السموات
وجامعة الأرض فلما لم
يقبل كن (رفقا) بمعنى
المفعول أي كانتا مرفقتين
وهو مصدر فلما صلح أن يقع
موقع مرفقتين (ففتقناهما)
ففتقناهما وفتق الفصل
بين الشيتين والرفق ضد
الفتق فان قيل متى وادها
رفقا حتى جاء تقريرهم بذلك
قلنا أنه وارد في القرآن الذي
هو مجزأة فقام مقام المرفق
المشاهد ولان الرؤية تعني
المسلم والاصق الأرض
والسماء وتبين ما جازان
في العقل فالاختصاص
للتبين دون التلاصق
لا بدله من محمص وهو
القديم جل جلاله ثم قيل أن

بمواضع الحق فقال بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون أي عن التأمل والتفكير وما يجب عليهم من
الإيمان بأنه لا اله الا هو قوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزات في خراعة حيث قالوا الملائكة بنات
الله (سبحانه) نزه نفسه عما قالوا (بل عباد) أي هم عباد بمعنى الملائكة (مكرمون) أي أكثرهم الله
واسطفاهم (لا يسبقونه) أي لا يتقدمونه (بالقول) أي لا يتكلمون إلا بما أمرهم به (وهم بأمره يعملون)
المعنى أنهم لا يخالفونه قولا ولا عملا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان
قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) قال ابن عباس إلا لمن قال لا اله الا الله وقيل
الإلمن رضى الله تعالى عنه (وهم من خشية مشفقون) أي خائفون وجلون لا يأمنون مكره (ومن يقل
منهم إني اله من دونه) قيل عني به إبليس حيث دعا إلى عبادة نفسه فان أحدا من الملائكة لم يقل إني اله من
دون الله (فذلك نجزيه جهنم) كذلك نجزي الظالمين (أي الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها) قوله
عز وجل (أولم ير الذين كفروا) أي لم يعلم الذين كفروا (أن السموات والأرض كانتا رتقا) قال ابن عباس
كانتا شيئا واحدا مرفقتين (ففتقناهما) أي فصلنا بينهما بالهواء قال كعب خالق الله السموات والأرض
بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطها ففتقها ما بها وقيل كانت السموات من تنقة طبقة واحدة ففتقها
بجعلها سبع سموات وكذلك الأرض وقيل كانت السماء رتقا لا تنبت ففتق السما
بالمطر والأرض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي وأحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء
من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لأنه سبب حياة كل شيء وقال المفسرون معناه أن كل شيء
حي فهو مخلوق من الماء وقيل يعني النطفة فان قلت قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء كآدم وعيسى
والملائكة والجنان قلت خرج هذا اللفظ مخرج الأغلب والأكثر يعني أن أكثر ما على وجه الأرض مخلوق
من الماء أو بقاؤه بالماء (أفلا يؤمنون) أي أفلا يصدقون (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالا لاثبات
(أن عميدهم) أي لثباتهم قبل أن الأرض بسطت على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء
فأرساها الله وأنبتنا الجبال (وجعلنا فيها) أي في الرواسي (جبالا) أي طرفا ومسالك والفتح الطريق الواسع
بين الجبلين (سبلا) هو تفسير الفجاج (لعلهم يمدون) أي إلى مقاصدهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا)

السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهم ففتقناهما أي فصلنا بينهما بالهواء وقيل كانت السموات من تنقة طبقة واحدة ففتقها الله تعالى
وجعلها سبع سموات وكذلك الأرض كانت من تنقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع أرضين وقيل كانت السماء رتقا لا تنبت ففتقها الله تعالى
رتقا لا تنبت ففتق السما بالمطر والأرض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة
من ماء أو كما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه وجبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الإنسان من عجل (أفلا يؤمنون) يصدقون بما
يشاهدون (وجعلنا في الأرض رواسي) جبالا لاثبات من رسا إذا ثبت (أن عميدهم) لثباتهم قبل أن الأرض بسطت على الماء وانما جاز حذف
لعدم الإلباس كما تراء لذلك في ثلاثه علم أهل الكتاب (وجعلنا فيها جبالا) أي طرفا واسعة جمع فيج وهو الطريق الواسع وانصب على
الحال من (سبلا) متقدمة فان قلت أي فرق بين قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاو بين هذه قلت الأول لانه علام بأنه جعل فيها طرقا
واسعة والثاني لبيان أنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أتيتهم ثم (لعلهم يمدون) ليهتدوا بها إلى البلاد المقصودة (وجعلنا
السماء سقفا محفوظا) في موضعه عن السقوط كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن تقع على الأرض الأباذنه أو محفوظا بالشهب عن الشياطين كما قال

وحفظناهم من كل شيطان رجيم (وهم) أي الكفار (عن آياتها) عن الأدلة التي فيها كالشمس والقمر والنجوم (معرضون) غير متفكرين فيها فيؤمنون (وهو الذي خلق الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتصروا فيه (والشمس) لتسكنوا سراج النهار (والقمر) ليكون سراج الليل (كل) التنوين فيه عوض عن المضاف إليه أي كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد به ما جنس الطوارق وجمع جمع العقلاء للوصف بفعالهم وهو السباحة (في فلك) عن ابن عباس رضي الله عنهما الفلك السماء والجهور على أن الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم وكل مبتدأ خبره (يسبحون) يسبحون أي يدورون والجملة في محل نصب على الحال من الشمس والقمر (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) البقاء الدائم (أفان مت) (٢٧٣) بكسر الميم مدني وكوفي غير أبي بكر (فهم الخالدون) والفاء الأولى لعطف جملة على جملة والثاني لجزاء الشرط كانوا يقدرون أنه سموت فـ في الله عنده السما تهيم أي قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشرا فان مت أنت أيتي هؤلاء (كل نفس ذات نفس الموت ونسألوكم) ونختبركم سمى ابتلاء وان كان عالما بما سيكون من أعمال العالمين قبل وجودهم لانه في صورة الاختيار (بالشر) بالفقر والنصر (والخير) الغنى والنفع (فتنه) مصدر مؤكدا لنسألوكم من غير نظفه (والينارجعون) فتنارجمكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وعن ابن ذكوان ترجعون (واذا رأك الذين كفروا ان يتخذونك) ما يتخذونك (الا هزوا) مفهول ثان ليتخذونك نزلت في أبي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف (أهذا الذي يدكر آهتكم) أي يقول بعضهم لبعض هذا الذي يعيب آهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة (وهم بذكر الرحمن هم كفرون) وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا رجنا اليامة وهو سيلة الكذاب (خلق الإنسان من عجل) قيل معناه أن بنيته وخلقه من العجلة وعليه ما طبع وقيل لما دخل الروح في رأس آدم وعينه نظرا إلى ثمار الجنة

أي من أن يسقط ويقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب (وهم) يعني الكفار (عن آياتها معرضون) أي عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها في أفلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب الجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) أي يجرون ويسبحون بسرعة كالساج في الماء وانما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة والجرى والفلك مدار النجوم الذي يضمها وهو في كلام العرب كل شيء مستدير وجهه أفلاك وقيل الفلك طاحونه كهيئة فلك المغزل يريد أن الذي تجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الرمح وقيل الفلك السماء الذي فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه وقيل الفلك استدارة السماء وقيل الفلك موج مكفوف دون السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم وقال أصحاب الهيئة الأفلاك اجرام صلبة لا تقبل ولا خفيفة غير قابلة للحرق والالتهام والنور والذبول والحق انه لا سبيل إلى معرفة صفة السموات إلا بأخبار الصادق فسبحان الخالق المدبر الخلق بالحكمة والقدرة القاهرة غير المتناهية (قوله عز وجل) (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) يعني الدوام والبقاء في الدنيا (أفان مت فهم الخالدون) نزلت هذه الآية حين قالوا نتر بص محمد ريب المنون شمت بموته فنبى الله السما ته عنه بهذا والمعنى أن الله تعالى قضى أن لا يخلد في الدنيا بشرا إلا أنت ولأهم فان مت أنت أيتي هؤلاء في معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا أيقوا * سيلقى الشامتون كالفينا

(كل نفس ذات نفس الموت) هذا الهموم مخصوص بقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فان الله تعالى حي لا يموت ولا يحوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة عن مقدمات الموت والآلام العظيمة قبل حلوله (ونسألوكم) أي نختبركم (بالشر والخير) أي بالشد والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تنكرهون (فتنه) أي ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تنكرهون (والينارجعون) أي للعقاب والجزاء (قوله عز وجل) (واذا رأك الذين كفروا ان) أي ما يتخذونك (الا هزوا) أي سخر يا قيسل نزلت في أبي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف (أهذا الذي يدكر آهتكم) أي يقول بعضهم لبعض هذا الذي يعيب آهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة (وهم بذكر الرحمن هم كفرون) وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا رجنا اليامة وهو سيلة الكذاب (خلق الإنسان من عجل) قيل معناه أن بنيته وخلقه من العجلة وعليه ما طبع وقيل لما دخل الروح في رأس آدم وعينه نظرا إلى ثمار الجنة

جملة على جملة والثاني لجزاء الشرط كانوا يقدرون أنه سموت فـ في الله عنده السما تهيم أي قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشرا فان مت أنت أيتي هؤلاء (كل نفس ذات نفس الموت ونسألوكم) ونختبركم سمى ابتلاء وان كان عالما بما سيكون من أعمال العالمين قبل وجودهم لانه في صورة الاختيار (بالشر) بالفقر والنصر (والخير) الغنى والنفع (فتنه) مصدر مؤكدا لنسألوكم من غير نظفه (والينارجعون) فتنارجمكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وعن ابن ذكوان ترجعون (واذا رأك الذين كفروا ان يتخذونك) ما يتخذونك (الا هزوا) مفهول ثان ليتخذونك نزلت في أبي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف (أهذا الذي

يدكر) يعيب (آهتكم) والدكر يكون بخبر وبخلافه فان كان الذكرا صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم (وهم بذكر الرحمن) أي فلما بذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية (هم كفرون) لا يصدقون به أصلا فهم أحق أن يتخذوا هزوا منكم فأنتم محق وهم مبطون وقيل بذكر الرحمن أي بما أنزل عليكم من القرآن هم كفرون جاحدون والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزوا وهم على حال هي أصل الهزوا وهو ربه الكفر بالله تعالى وكرههم للثأ كبد أولان الصلة حالت بينه وبين الخبر فاعيد المبتدأ (خلق الإنسان من عجل) فسر بالجنس وقيل نزلت حين كان النصر بن الحارث يستعجل بالعذاب والعجل والجملة مصدران وهو تقديم الشيء على وقته والظاهر أن المراد الجنس وأنه ركب فيه العجلة فكانه خلق من العجل ولانه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم فقدم أولا ذم الانسان على افراط العجلة وأنه مطبوع عليها ثم منعه وزجره كأنه قال ليس بدع منه ان يستعجل فانه مجبول على ذلك وهو طبعه وسجيته فقد ركب

فيه وقيل الجبل الطين بلغة جبر قال شاعرهم * والتخل ينبت بين الماء والجبل * وانما سمع عن الاستجبال وهو مطبوع عليه كما امره بجمع الشهوة وقدر كبره فيه لانه اعطاه القوة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة ومن عجل حال أي عجلا (سأريكم آياتي) نفع ما في (فلا تستجبلون) بالآيات بما اودها بالياء عند يعقوب وافقه سهل وعياش في الوصل (ويقولون متى هذا الوعد) آيات العذاب أو القيامة (ان كنتم صادقين) قيل هو أحد وجهي استجبالهم (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) جواب لو محذوف وحسن مفعول به ليعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستجبلون بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقد ام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجحدون ناصرا ينصرهم (٢٧٣) لما كانوا تلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستجبال ولكن جهلهم

به هو الذي هو به عندهم (بل تأتيهم الساعة بغتة) فجأة (فتبهمهم) فتخبرهم أي لا يكفونهم ابل فتجأهم فتعلمهم (فلا يستطيعون ردها) فلا يقدرون على دفعها (ولا هم ينظرون) يهملون (واقعد استهزئ برسل من قبلك خاف) فخل ونزل بالذين سخر وامهم) جزاء (ما كانوا به يستهزئون) سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزأهم به بان له في الانبياء اسوة وان ما يفعلونه به بحسب قبحهم (كحاق بالمتهزئين بالانبياء ما فعلوا) (قل من يكأؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) أي من عذابه ان اناكم لاسلا او نهارا (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أي بل هم معرضون عن ذكره ولا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا

فلما دخل في جوفه اشتوى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح الى رجليه عجل الى غار الجنة فوقع فقيل خلق الانسان من عجل وأورث فيه العجلة وقبل معناه خلق الانسان من تعجل في خاق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة فاسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما أحيا الروح رأسه قال يارب استجبل بخاقي قبل غروب الشمس وقبل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بيته لانهم خلقوا من نطفة ثم من علقته ثم من مضغه أطوارا أطوارا بعد طور ووقيل معنى خلق الانسان من عجل أي من طين قال الشاعر * والتخل ينبت بين الماء والجبل * أي بين الماء والطين وقيل أراد بالانسان النوع الانساني بدل عليه قوله (سأريكم آياتي فلا تستجبلون) وذلك ان المشركين كانوا يستجبلون العذاب قبل نزول في النضر ابن الحرث ومعنى سأريكم آياتي أي مواعدي فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فأراهم يوم يدرو قبل كانوا يستجبلون القيامة فلذلك قال تعالى (ويقولون) يعني المشركين (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) وهذا هو الاستجبال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء فبين تعالى أنهم انما يقولون ذلك لجهلهم وغفلةهم ثم بين ما لؤلا المستهزئين فقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون) أي لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) قيل السباط (ولا هم ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب والمعنى لو علموا ما أقاموا على كفرهم ولما استجبلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (بل تأتيهم الساعة بغتة) أي فجأة (فتبهمهم) أي تخبرهم (فلا يستطيعون ردها) أي صرفها ودفعها عنهم (ولا هم ينظرون) أي لا يعملون للتوبة والمعذرة (ولقد استهزئ برسل من قبلك أي يا محمد كما استهزأ بك قومك) (خاف) أي نزل وأحاط (بالذين سخر وامهم ما كانوا به يستهزئون) أي عقوبة استهزأهم وفيه نسبة للنبي صلى الله عليه وسلم أي فكذلك بحقيقهم لؤلا وبال استهزأهم قوله تعالى (قل من يكأؤكم) أي يحفظكم (بالليل والنهار) اذا انصرفتم في معاشكم (من الرحمن) قال ابن عباس معناه من يمنعكم من عذاب الرحمن (بل هم عن ذكر ربهم) أي عن القرآن ومواعظه (معرضون) أي لا يتأملون في شيء منها (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) معناه ألهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم بانضعف فقال (لا يستطيعون نصر أنفسهم) أي لا يقدرون على نصر انفسهم فيكيف ينصرون من عبدهم (ولا هم مناصبون) قال ابن عباس بمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه لا يحبون من الله بخير (بل متعنا هؤلاء) يعني الكفار (وآباءهم) أي في الدنيا بأن أنعمنا عليهم وأمهلتناهم (حتى طال عليهم العمر) أي امتد بهم الزمان فاعتروا (أفلا يرون) يعني هؤلاء المشركين (انا أنأت الأرض ننقصها من أطرافها) يعني ننقص من أطراف المشركين ونزيد في أطراف المؤمنين يريد بذلك ظهور النبي صلى الله

(٢٥ - خازن ثالث) رزقوا الكلام منه عرفوا من الكافي وصلحو للسؤال عنه والمعنى انه أمر رسوله بسؤالهم عن الكافي ثم زين أنهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر من يكأؤهم ثم أضرب عن ذلك بقوله (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) لما في أم من معنى بل فقال لهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز معنا وحفظنا ثم استأنف بقوله (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم مناصبون) فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا يصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) أي ما هم فيه من الحفظ والكلام أغناهم منا لان ما منع عنهم من اهلا كما وما كالا ناهم وآباءهم المصابين بالاعتية عالهم بالحياة الدنيا وما الهالكات عن غيرهم من الكفار وأمهلتناهم حتى طال عليهم الامد فقست قلوبهم وظنوا أنهم دائمون على ذلك وهو أمل كاذب (أفلا يرون) انا أنأت الأرض ننقصها من أطرافها) أي نقص أرض الكفرة ونحذف أطرافها بتسلط المسلمين عليها واظهارهم على أهلها

وردها دارا سلام فذكر يأتي بشهر ان الله يجزيه على أيدي المسلمين وان عساكرهم كانت تغزو ارض المشركين وتأتيها غالبية عليها ناقصة من اطرافها (أفهم الغالبون) أفكفار مكة يغلبون بعد ان نقصنا من اطراف أرضهم أي ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنصرتنا (قل انما أنذركم (٢٧٤) بالوحى) أخوفكم من العذاب بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء) بنفخ البيا والميم ورفع الصم ولا يسمع الصم شأى على

عليه وسلم وفتح ديار الشمر ارضا فأرضاً وقرية فقريه والمعنى أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستجيبون بالعذاب آثار قدرتنا في اتیان الارض من جوانبها بأخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وادخالها في ملك محمد صلى الله عليه وسلم وموت رؤس المشركين المنتهجين بالله نيا أما كان لهم عبرة في ذلك فيؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويعلموا انهم لا يقدرون على الامتناع منا ومن ارادتنا فيهم ثم قال (أفهم الغالبون) استفهام بمعنى التقرير مع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون (قل) يا محمد (انما أنذركم بالوحى) أي أخوفكم بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) أي يخوفون (ولئن مسهم أي أصابتهم نفة من عذاب ربك) قال ابن عباس طرف وقيل شيء قليل (ليقولن يا ويلتنا اننا كنا ظالمين) دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقروا على أنفسهم بالظلم والشرك قوله عز وجل (ونضع الموازين القسط) أي ذوات العدل وصفها بذلك لان الميزان قد يكون مستقيماً وقد يكون بخلافه فبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها احضارها (ليوم القيامة) أي لاهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الاعمال فمن أحاطت حسناته بسيئاته فاز ونجا وبالعكس ذل وخسر والعصم الذي عليه آتمة الساعات ان الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها اعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وأكثرا لاقوال أنه ميزان واحد وانما جاعل لا اعتبار تعدد الاعمال الموزونة به وروى أن داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه عز وجل أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال الهى من الذى يقدر ان يملأ كفته حسنات قال يا داود انى اذا رضيت عن عبدى ملأته بثمره فعلى هذا ففي كيفية وزن الاعمال مع انها اراض طريقتان أحدهما ان توزن صحائف الاعمال فتوضع صحائف الحسنات في كفة وصحائف السيئات في كفة والثاني أن يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة فان قلت كيف تصنع بقوله ونضع الموازين القسط مع قوله ولا نقيم لهم يوم القيامة وزناً قلت هذه في حق الكفار لانهم ليس لهم أعمال توزن مع الكفر وقوله تعالى (فلا تظلم نفس شيئاً) أي لا تجس بما لها وما عليها من خير وشر شيئاً (وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها) معناه انه لا ينقص من احسان محسن ولا يزداد في اساءة مسيئ وأراد بالحبة الجزء اليسير من الخردل ومعنى آتيناها أي أحضرناها التجازى بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سيخلص رجلاً من أمتي على رأس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً كل سجل ممد البصر ثم يقول أنكر من هذا شيئاً أظلمت كنبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلا عذري فيقول لا يارب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم علينا اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول احضروا ذلك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتأشت السجلات وثقلت البطاقة ولا ينقل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذي السجل الكتاب الكبير وأصله من التسجيل لانه يجمع أحكاماً والبطاقة ورقة صغيرة تجعل في طي الثوب يكتب فيها ثمنه والطيش الخفة قلت في الحديث دليل على ان صحائف الاعمال هي التي توزن لان الاعمال تجسد جواهر فتوزن والله أعلم (وكفى بنا حاسبين) قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لان

خطاب النبي صلى الله عليه وسلم (اذا ما ينذرون) يخوفون واللام في الصم للعهد وهو اشارة الى هؤلاء المنذرين والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المصغر للدلالة على تصامهم وسددهم أسماعهم اذا ما أنذروا (ولئن مسهم نفة من عذاب ربك) دفعة يسيرة (من عذاب ربك) صفة لنفة (ليقولن يا ويلتنا اننا كنا ظالمين) أي ولئن مسهم من هذا الذى ينذرون به أدنى شيء لذلوا ودعوا بالويل على أنفسهم وأقروا انهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وقد بواشع حيث ذكر المس والنفة لان النفع يدل على القلة يقال نفعه بعبية رضخه بجمع ان بناءها للمرء وفي المس والنفة ثلاث مبالغات لان النفع في معنى القلة والسترارة يقال نفعه الدابة وهو ربح لين ونفعه بعبية رخصه والبناء للمرء (ونضع الموازين) جمع ميزان وهو ما يوزن به الشيء فتعرف كميته وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وانما جاع

الموازين لتعظيم شأنها كما في قوله يا أيها الرسل والوزن لصحائف الاعمال في قول (القسط) وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة من كانها في نفسه أقط أو على حذف المضاف أي ذوات القسط (ليوم القيامة) لاهل يوم القيامة أي لاجلهم (فلا تظلم نفس شيئاً) من الظلم (وان كان مثقال حبة) وان كان الشيء مثقال حبة مثقال بالرفع مدني وكذا في لقمان على ان كان التامة (من خردل) صفة لحبة (أتيناها) أحضرناها وأنت ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهب بعض أصابعه (وكفى بنا حاسبين) عالمين حافظين عن ابن عباس رضي الله

هذه الآن من حفظ شياً حسبه وعلله (ولهذا آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وكرا) قيل هذه الثلاثة هي التوراة فهي فرقان بين الحق والباطل وضياء يستضاء به الى سبيل التجاة وكرا أي شرف أو وعظ وتنبيهه أو ذكر ما يحتاج الناس اليه في مصالح دينهم ودخلت الواو على الصفات كما في قوله وسيد أو حصور أو نبيا وتقول مرت بزيد النكريم والعالم والاصالح ولما انتفع بذلك المتقون خصهم بقوله (المتقين) ومحل (الذين) جر على الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه (يخشون ربهم) يخافونه (بالغيب) حال أي يخافونه في الخلاء (وهم من الساعة) القيامة وأهلها (مشفقون) خائفون (وهذا) القرآن (ذكر مبارك) (٢٧٥) كثير الخير غزير النفع (آزلناه) على محمد

(أفأنتم له منكرون)

استفهام قوي يخ أي جاحدون

انه منزل من عند الله ولقد

آتينا ابراهيم رشده

هده (من قبل) من قبل

موسى وهرون أو من قبل

محمد عليه السلام (وكتابه)

ابراهيم أو برشده (عالمين)

أي علمنا انه أهل لما آتينا

(اذ) اما أن تتعاقب آتينا

أو برشده (قال لا يسه

وقومه ما هذه التماثيل)

أي الاصنام المصورة على

صورة السباع والطيور

والانسان وفيه تجاهر

لهم ليقرأ آلهتهم مع علمه

بتعظيمهم لها (التي أنتم

لهاءا كفون) أي لا جعل

عبادتهم مقيمين فلما عجزوا

عن الاتيان بالدليل على

ذلك (قالوا وجدنا آباءنا لها

عابدين) فقلنا نعم (قال

ابراهيم) لقد كنتم أنتم

وآباؤكم في ضلال مبين)

أراد ان المقلدين والمقلدين

منخرطون في ضلال

ظاهرا لا يخفى على عامل

وأكد بانتم ليضع العطف

من حسب شياً فقد علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان في العلم بحيث لا يمكن ان يشبه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء تحقيقه بالعاقل أن يكون بأشدا لطوف منه وبروى عن السبلي انه روى في المنام فقبل له ما فعل الله به فقال

حاسبوا فادققوا * ثم منوا فاعترفوا هكذا سمع الملوكة * بالملوك البليث رفقا

وقوله عز وجل (ولهذا آتينا موسى وهرون الفرقان) يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة

وقيل الفرقان النصر على الاعداء فعلى هذا يكون (وضياء) يعني التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة

جعل الواو زائدة في وضياء والمعنى آتينا موسى التوراة وضياء (وذكر للمتقين) يعني بسذكرون

بما عطاها ويعملون بما فيها (الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه في الخلاء

اذا غابوا عن أعين الناس (وهم من الساعة مشفقون) أي خائفون (وهذا ذكر مبارك آزلناه) أي كما

آتينا موسى التوراة فكذلك آزلنا القرآن ذكر مبارك أي هو ذكر لمن آمن به مبارك يترك به وبطلب

منه الخير (أفأنتم) يا أهل مكة (له منكرون) أي جاحدون قوله تعالى (ولقد آتينا ابراهيم رشده) أي

صلاحه وهده (من قبل) أي من قبل موسى وهرون وقيل من قبل البلاء وهو حين خرج من الدرب

وهو صغير (وكتابه عالمين) أي انه من أهل الهداية والنبوة (اذ قال لا يسه وقومه ما هذه التماثيل) يعني

الصور والاصنام (التي أنتم لها عاكفون) أي مقيمون على عبادتها (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) أي

فاقد دينهم (قال) يعني ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أي في خطابين بعبادتهم اياها

(قالوا أجبنا بالحق) أي بالصدق (أم أنت من اللاعبين) يعني أجاد أنت فيما تقول أم أنت لاعب (قال

بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن) أي خلقهن (وأناعلى ذلك من الشاهدين) أي على انه

الاله الذي يستحق العبادة وقيل شاهد على انه خالق السموات والارض (ونالله لا كيدن اصنامكم) أي

لا يمكنها (بعد ان تولوا مدبرين) أي منطلقين الى عيدكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرا في نفسه

وليسمع ذلك الارجل واحد من قومه فأفشاء عليه وهو القائل اناسمنا فتي بذكرهم وقيل كان لهم في كل

سنة مجمع وعيد فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم رجعوا الى منازلهم فلما

كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أنعبدك ديننا نخرج معهم ابراهيم فلما كان

بعض الطريق التي نفسه الى الارض وقال اني سقيم أشتكى رجلى فتركوه وضوا فنادى في آخرهم وقد

بقى ضغفاء للناس تالله لا كيدن اصنامكم فسهوهم انه ثم رجع ابراهيم الى بيت الالهة وهن في جو عظيم

ومستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه صنم أصغر منه والاصنام جنبها الى جنب بعض كل صنم الذي يليه

اصغر منه وهكذا الى باب البهو واداهم فدخلوا طعاما بين يدي الالهة وقالوا اذا رجعنا وقد بركت الالهة

عليه أكلنا منه فلما نظر ابراهيم اليهم والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء الا

نأكلون فلما يجيبوه قال ما ليكم لا تطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس في يده حتى اذالم

لان العطف على ضمير هو فيكم بعض الفعل متمنع (قالوا أجبنا بالحق) بالجد (أم أنت من اللاعبين) أي اجاد أنت فيما تقول أم لاعب

استعظام منهم انكاره عليهم واستهزاء لان يكون ما هم عليه ضلالا فتم ضرب عنهم مخبرا بانهم جاحدين فيما قال غير لاعب مثقال بويصة الملك

العلام وحدوث الاصنام بقوله (قال بل وبكم رب السموات والارض الذي فطرهن) أي التماثيل فاني بعد الخلق ويترك الخلق (وأناعلى

ذلكم) المذكور من التوحيد شاهد (من الشاهدين) أصله والله وفي التاء معنى التعجب من تهليل الكيد على يده مع صعوبته

وتعذره بقوة غمرد (لا كيدن اصنامكم) لا كسرنها (بعد ان تولوا مدبرين) بعد ذهابكم عنها الى عيدكم قال ذلك سرا من قومه فسمعوه

رجل واحد فعرض بقوله اني سقيم أي سأسقم يختلف فرجع الى بيت الاصنام (جعلهم جذازا) قطع امن الجذو وهو القطع جمع جذاذه
 كزجاجة وزجاج جذاذا بالكسر على جمع جذبذ أي مجذوذ تكفيف وخفاف (الا كبير الهم) للاصنام أو للكفار أي فكسرها كلها بفأس في
 يده الا كبيرها فعلق الفأس في عنقه (نعلمهم اليه) الى الكبير (يرجعون) فيسألونه عن كسرها فيقيدون لهم عجزه أو الى ابراهيم لينج عليهم
 أو الى الله لما رأوا عجز آلهتهم (قالوا) أي الكفار حين رجعوا من عيدهم وروا ذلك (من فعل هذا يا آلهتنا ان لمن الظالمين) أي ان من فعل
 هذا الكسر لشديد الظلم لجرائته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والتعظيم (قالوا سمعنا في يد كرههم يقال له ابراهيم) الجملتان
 صفتان لغتي الا أن الاول وهو يد كرههم أي يعيهم لا بد منه للسمع لان لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع بخلاف
 الثاني وارتفاع ابراهيم بأنه فاعل (٢٧٦) يقال فالمراد الاسم لا المسمى أي الذي يقال هذا الاسم (قالوا) أي غرود وأشرف قومه (فأنوابه)

يبقى الا الاصنام العظيم علق الفأس في عنقه وقيل في يده ثم خرج فذلك قوله تعالى (جعلهم جذازا) أي
 كسر أو قطعاً (الا كبير الهم) أي تركه وليكسره ووضع الفأس في عنقه ثم خرج وقيل ربطه على يده وكانت
 اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورماس
 وحجر وخشب وكانت الاصنام الكبيرة من الذهب مكللا بالجوهر في عينية ياقوتتان تتقدان وقوله (جعلهم
 اليه يرجعون) قيل معناه يرجعون الى ابراهيم والى دينه وما يدعوههم اليه اذا علموا ضعف الآلهة وعجزها
 وقيل معناه لعلمهم يرجعون الى الاصنام فيسألونه ما هؤلاء تكسروا وأنت صحيح والفأس في عنقك فلما رجع
 القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم رآوا أصنامهم مكسرة (قالوا من فعل هذا يا آلهتنا ان لمن الظالمين) أي
 في تكسيرها واجترأه عليها (قالوا سمعنا في يد كرههم) أي يسهم ويبيعهم (يقال له ابراهيم) أي هو الذي
 نطن أنه صنع هذا فبلغ ذلك غرود الجبار وأشرف قومه (قالوا فأنوابه على أعين الناس) أي جيوأ به ظاهرا
 عراى من الناس واعاقله غرود (لعلمهم شهدون) أي عليه بأنه الذي فعل ذلك كرهوا أن يأخذوه بغير
 يئنه وقيل معناه لعلمهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما أنوابه (قالوا) له (أأنت فعلت هذا يا ابراهيم
 قال) يعني ابراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) غضب اذا تعبدون معه هذه الصغار وهو أكبر منهم فكسروها
 وأراد ابراهيم بذلك إقامة الحجة عليهم فذلك قوله (فاسألوهم ان كانوا ينطقون) أي حتى يخبروا عن فعل
 ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراد عجزهم عن النطق وفي ضعفه أنافعلت
 ذلك (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات
 فنتين منهن في ذات الله قوله اني سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختي لفظ الترمذي قيل في
 قوله اني سقيم أي سأسقم وقيل سقيم القلب مغتم بضلالته كما وأما قوله بل فعله كبيرهم هذا فانه علق خبره
 بشرط نطقه كأنه قال ان كان ينطق فهو فعل على طريق التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه أختي أي في
 الدين والايمان قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فكل هذه الالفاظ صدق في نفسها ليس فيها كذب فان
 قلت قد مضى ماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث
 الشافعية ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا
 هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق ابراهيم عليه الصلاة والسلام منها بما أخذته
 بها قال البغوي وهذه التأويلات لفي الكذب عن ابراهيم والاولى هو الاول للحديث ويجوز أن يكون
 الله أذن له في ذلك تقصدا للصالح ونحو يخبرهم والاحتجاج عليهم كما أذن ليوסף حين أمر مناديه فقال آيتها

أحضر ابراهيم (على أعين
 الناس) في محل الحال بمعنى
 معاينة مشاهد أي عراى
 منهم ومنظر (لعلمهم شهدون)
 عليه عا سمع منه أو عا فله
 كأنهم كرهوا عقابه بلائنة
 أو يحضرون عقوبته
 فلما أحضره (قالوا أنت
 فعلت هذا يا آلهتنا يا ابراهيم
 قال) ابراهيم (بل فعله) عن
 الكسافي انه يقف عليه
 أي فعله من فعله وقيل
 حذف الفاعل وانه لا يجوز
 وجاز أن يكون الفاعل مستندا
 الى الفتى المذكور في قوله
 سمعنا في يد كرههم أو الى
 ابراهيم في قوله يا ابراهيم ثم
 قال (كبيرهم هذا) وهو
 مبتدأ وخبر والا كثرانه لا
 وقف والفاعل كبيرهم وهذا
 وصف أو بدل ونسب الفعل
 الى كبيرهم وقصده تقريره
 لنفسه وإثباته لها على أسلوب
 تعريضي تبكيئنا لهم والزما
 للجهة عليهم لانهم اذا
 نظروا النظر الصحيح علموا عجز

كبيرهم وانه لا يصلح الها وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رقيق أنيق أنت كتبت هذا وصاحبك أي فقلت له بل العبر
 كتبت أنت كان قصداً لهذا الجواب تقريره لك مع الاستمراء به لا نفقه عنه ولما أثبتناه للائحة لان اثباته لا يخرج منك والامر كان بينكما
 استمراء به وإثباته للقادر ويمكن أن يقال عاطفه تلك الاصنام حين أبصرها مصطفة وكان غبط كبيرها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له
 فاستند الفعل اليه لان الفعل كما يستند الى مباشره يستند الى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم
 ما تنكرون ان فعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها أن يقدر على هذا ويحكي أنه قال غضب أن تعبد هذه الصغار معه وهو أكبر
 منها فكسرها أو هو متعلق بشرط لا يكون وهو نطق الاصنام فيكون نفيا للخبير عنه أي بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون وقوله فاسألوهم
 اعتراض وقيل عرض بالكبير لنفسه وانما أضاف نفسه اليهم لاشتراكهم في الحضور (فاسألوهم) عن حالهم (ان كانوا ينطقون) وأنتم

يعلمون عجزهم عنه (فرجعوا الى أنفسهم) فرجعوا الى عقولهم وتفكروا بما لو هم لم يأخذوا منهم (فقالوا انكم الظالمون) على الحقيقة بعدادة ما لا ينطق لامن ظلمتموه حين قتلتم من فعل هذا باآلهتنا انه لمن الظالمين فان من لا يدفع عن رأسه القاس كيف يدفع عن عابديه لباس (ثم تكسوا على رؤسهم) قال أهل التفسير اجري الله الحق على لسانهم في القول الاول ثم أدركتهم الشقاوة أي ردوا الى الكفر بعد ان أقروا على أنفسهم بالظلم يقال تكسسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه (٢٧٧) أي استقاموا حين رجعوا الى أنفسهم وجازا

بافسكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة فآخذوا في الجحالة بالباطل والمكابرة وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء يتطقون) فكيف تأمرنا بسؤالها والجلجلة سدت مسد مضوولي علمت والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم (قال) محتجبا عليهم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا) هو في موضع المصدر أي نفعا (ولا يضركم) ان لم تعبدوه (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) أي ان عبدتموه (ولا يضركم) أي

العباد انكم اسارقون ولم يكونوا اسرقوا قال الامام نضر الدين الرازي وهذا القول مرغوب عنه والدلائل القاطع عليه أنه لو جاز ان يكذب المصلحة وبأذن الله فيه فليجوز هذا الاحتمال في كل ما أخبر الانبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع وبطرق التهمة الى كاهن او الحديث محمول على المعارض فان فيها مندوحة عن الكذب وقوله (فرجعوا الى أنفسهم) أي تفكروا بما لو هم ورجعوا الى عقولهم (فقالوا) ما زام الا كما قال (انتم انتم الظالمون) يعني بعدادكم ما لا يتكلم وقبل معناه انتم الظالمون لهذا الرجل في رؤسكم اياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها (ثم تكسوا على رؤسهم) قال أهل التفسير اجري الله الحق على ألسنتهم في القول الاول وهو اقرارهم على أنفسهم بالظلم ثم أدركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاول وهو قوله ثم تكسوا على رؤسهم أي ردوا الى الكفر وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء يتطقون) أي فكيف نسألهم فلما اتجهت الحجة لاراهيم عليهم (قال) لهم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا) أي ان عبدتموه (ولا يضركم) أي ان تركتم عبادته (أف لكم) أي بآلهتكم (ولما تعبدون من دون الله) والمعنى انه حقرهم وحقر معبودهم (أفلا تعقلون) أي اليس لكم عقل تعقلون به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما لم تنفعهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا احرقوه وانصروا آلهتكم) يعني انكم لا تنصرونها الا بضر يق ابراهيم لانه يعيها ويطعن فيها (ان كنتم فاعلمين) أي ناصرين آلهتكم قال ابن عمر الذي قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هيرين فحسف الله به الارض فهو يتجبل فيها الى يوم القيامة وقيل قاله غرود بن كعب بن سنجار بن غرود بن كوش بن حام بن فوح

يذكر القصة في ذلك

فلما اجتمع غرود وقومه لاراهيم حبسوه في بيت وسوا بيوتا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثي ثم جمعوا له صلاب الحطب واصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يعرض فيقول ان عوفيت لاجن حطبا لاراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب ان اصابته لطحين في نار ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها احبا بافي دبرها وكان الرجل يوصي بشراء الحطب من ماله لاراهيم فلما جعوا ما أرادوا واشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان الطير ليهرها فيحترق من شدة وهجها وحرها فارقوا وعلينا سبعة أيام فلما أرادوا ان يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عادوا الى ابراهيم فقيده ورفعه على رأس البنيان ورضعوه في المنجنيق مقبدا مغولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة أي ربنا ابراهيم خائبك يلقى في النار وليس في ارضك احد يعبدك غيره فاذن لنا في نصرته فقال الله تعالى انه خليلى ايس لي خليل غيره وأنا لله ليس له اله غيره فان استغاث بأحد منكم أودعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك وان لم يدع غيره فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا انقاء في النار اتاه خازن المياه وقال ان أردت أخذت النار واتاه خازن الهواء وقال ان شئت طبرت النار في الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل وروى عن أبي بن كعب ان ابراهيم قال حين أرتقوه ليلقوه في النار لا اله الا انت سبحانك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك

فاعلمين) أي ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرتموا مؤزرا فاختاروا له أهول المعاقبات وهو الاحراق بالنار والافراط في نصرتها والذي أشار بأحرقه غرود أو رجل من اكراد فارس وقيل انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيوتا كوثي وجعوا شهورا صنفا الخشب ثم أشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجوفين وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقبدا مغولا لافرموا به فيها وهو يقول حسبي الله ونعم الوكيل وقال جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وما أحرقت النار الا راقه وعن ابن عباس انما نجا

جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وما أحرقت النار الا راقه وعن ابن عباس انما نجا

(فلما ياتوا كوفى بردا وسلاما)

أى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام (على إبراهيم) أراد ابردى فيسلم منك إبراهيم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما لولم يقل ذلك لاهلكته بردها والمعهنى ان الله تعالى نزع عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحس والاحراق وأبغها على الاضامة والاشراق كما كانت وهو على كل شئ قدير (وأرادوا به كيدا) احراقا (فجعلناهم الاخسرين) فارسل على غرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضه في دماغ غرود فاهلكته (ونجيناها) أى إبراهيم (ولوطا) ابن أخيه هاران من العراق (الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) أى أرض الشام وبركتها ان أكثر الانبياء منها فانتشرت في العالمين آثارهم الدينية وهى أرض خصب يطيب فيها عيش الغنى والفقر وقيل مامن ماء عذب في الارض الاوباسع أصله من مضرة بيت المقدس روى انه نزل بفسطين ولوطا بالمؤتة مكة وبينهم مأسرة يوم وليلة وقال عليه السلام انما استمكن هجرة بعد

هجرة نبيار الناس الى مهاجر إبراهيم

حاجة فقال أما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال إبراهيم حسبى من - وإلى علمه بحال (خ) عن ابن عباس في قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين أتى في النار وقال الحمد لله على الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال كعب الاحبار جعل كل شئ يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ في النار (ق) عن أم شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ زاد البخارى وقال كان ينفخ على إبراهيم (فلما) أى قال الله عز وجل (يا نارك كوفى بردا وسلاما على إبراهيم) قال ابن عباس لولم يقل سلاما لمات إبراهيم من بردها وفى بعض الآثار انه لم يبق يومئذ ناري في الارض الا طفئت فلم يتففع في ذلك اليوم بناري في العالم ولولم يقل على إبراهيم بقيت ذات برد أبدا وقيل أخذت الملائكة بضبي إبراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب ورود آخر وزجس قال كعب ما أحرقت النار من إبراهيم الا وثاقه قالوا وكان إبراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قاله المنهال بن عمر وقال إبراهيم ما كنت أياما قط أنعم منى من الأيام التى كنت في النار قيل وبعث الله تعالى ملائكة الظل في صورة إبراهيم فقدموا الى جنب إبراهيم فؤسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حر الجنة وطفنفة فألبسه القميص وأقعدته على الطنفسة وقعد معه يحذنه وقال جبريل يا إبراهيم ان ربك يقول أما علمت ان النار لا تضر احبائى ثم نظر غرود واشرف على إبراهيم من صرح له فرآه جالساً في روضة والملائكة قاعدا الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فنادى يا إبراهيم كبر الهن الذى بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان أقتل ان تضر بك قال لا قال فقم فخرج منها فقام إبراهيم عشي فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا إبراهيم من الرجل الذى رأيت معك مثلك في صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملائكة الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى فيها فقال غرود يا إبراهيم انى مقرب الى الهن قويا نا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبليت الأعبادته وتوحيده واتى ذابح له أربعة آلاف بقرة قال إبراهيم لا يقبل الله مثلك مادمت على دينك حتى تفارقه وترجع الى دى فقال لا أستطيع ترك ملكى ولكن سوف أذبحها له فذبحها غرود وكف عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومنعه الله عز وجل منه قوله عز وجل (وأرادوا به كيدا) أى أرادوا أن يكيدوه (فجعلناهم الاخسرين) قيل معناه انهم خسروا الهى والتفقه ولم يحصل لهم مرادهم وقيل ان الله تعالى أرسل على غرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضه فأهلكته (ونجيناها ولوطا) يعنى من غرود وقومه (الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) يعنى الى أرض الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار وقال أبى بن كعب بارك الله فيها وسماها مباركة لانه مامن ماء عذب الا ونبيع أصله من تحت الصخرة التى بيت المقدس وقيل لان أكثر الانبياء منها (ق) عن أبى قتادة ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال لكعب لا تقول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب انى وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخير أهل الارض ألزمهم مهاجر إبراهيم أخرجه أبو داود وأراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام يرغب في المقام بها عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فقات وماذا قال رسول الله قال لان الملائكة بأسطة أجنتها عليها أخرجه الترمذى عن يزن - كيم عن أبيه عن جده قال قلت لرسول الله أين تأمرى قال ههنا ونهنا أخرجه الترمذى قال محمد بن اسحق استجاب لإبراهيم رجال من قومه - بن رأو اما صنع الله تعالى به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من غرود وملتهم وأمنت به سارة بنت هاران الا كبرعهم إبراهيم وتبعه لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران وهو أخو إبراهيم وكان اسمها آخ ثالث اسمه ناخور فلا تهم أولاد ناخور وهو آزر فخرج

(ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) قيل هو مصدر كالعافية من غير لفظ الفعل السابق اي ووهبنا له هبة وقيل هي ولد الولد وقد سال ولدا فأعطيه واعطى يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال وهي حال من يعقوب (وكلا) اي ابراهيم واسحق ويعقوب وهو المفعول الاول لقوله (جعلنا) والثاني (صالحين) في الدين والنبوة (وجعلناهم آفة) يقتدى بهم في الدين (يهودون) الناس (بأمرنا) بوجوبنا (واوحينا اليهم فعل الخيرات) وهي جميع الاعمال الصالحة واصلها ان فعل الخيرات ثم فعل الخيرات (٢٧٩) ثم فعل الخيرات وكذلك قوله (واقام الصلاة) (وايتاء الزكاة)

والاصل واقامة الصلاة الا ان المضاف اليه جعل بدلان من الهاء (وكلوا اناسا عابدين) لا لاسنام فأنتم يا معشر العرب اولاد ابراهيم فاتبعوه في ذلك (ولوطا) انتصب بفعله يفسره (آتيناه حكما) حكمته وهي ما يجب فعله من العمل او فضلا بين الخصوم او نبوة (وعلمنا) فقها (ونجيناه من القصرية) من اهلها وهي سدوم (التي كانت تعمل الخبيات) اللواط والفساد وحذف المارة بالحصى وغيرها (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) خارجين عن طاعة الله (وادخلناه في رجتنا) في اهل رجتنا وفي الجنة (انه من الصالحين) اي جزاء له على صلاحه كما اهلكنا قومه عقابا على فسادهم (ونوحا) اي راذكر نوحا (اذ نادى) اي دعا على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجيبنا له) اي دعاه (فنجيناه واهله) اي المؤمنين من ولده وقومه (من الكرب العظيم)

ابراهيم من كوفى من أرض العراق مهاجرا الى ربه وبعده لوط وسارة فخرج يلتمس القرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فكث بها ما شاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالموثفكة وهي على مسيرة يوم ويلة من السبع فبعثه الله نبيا الى اهلها وما قرب منه فذلك قوله تعالى ونجيناه ووطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قوله تعالى (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) اي عطية من عطاء الله قال ابن عباس النافلة هبة يعقوب لان الله تعالى اعطى ابراهيم اسحق وبعثناه حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد (وكلا جعلنا صالحين) يعني ابراهيم واسحق ويعقوب (وجعلناهم آفة) اي قدوة يمتدى بهم في الخير (يهودون بأمرنا) اي يدعون الناس الى ديننا بأمرنا (واوحينا اليهم فعل الخيرات) اي العمل بالشرائع (واقام الصلاة) اي المحافظة عليها (وايتاء الزكاة) اي الواجبة وخصهما لان الصلاة أفضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والى كافة أفضل العبادات المالية ومجمل وعهدا التعظيم لاهل الله والشفقة على خلق الله (وكلوا لتأعبدوا) اي موحدين قوله عز وجل (ولوطا آتيناه حكما) اي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل أراد الحكمة والنبوة (وعلمنا ونجيناه من القصرية التي كانت تعمل الخبيات) يعني قرية سدوم وأراد اهلها وأراد بالخبيات آيات الذكور في أدبارهم وكلوا يتضارون في مجالسهم مع أشياء أخر كانوا يعملون من المنكرات (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) وأدخلناه في رجتنا) قيل أراد بالرجة النبوة وقيل أراد بها الثواب (انه من الصالحين) يعني الانبياء قوله تعالى (ونوحا اذ نادى من قبل) اي من قبل ابراهيم ووط (فاستجيبنا له) اي أجبتنا دعاه (فنجيناه واهله من الكرب العظيم) قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه وقيل انه كان أطول الانبياء عمرا وأشداهم بلاه والكرب أشد الغم (وتصرناه) اي منعناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) من أن يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على (انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) قوله عز وجل (وداود وسليمان اذ يحكما في المحرث) قال ابن عباس وأكثر المفسرين كان المحرث كرماء قد نلت عناقدهم وقيل كان زرعاً وهو أشبه بالعرف (اذ نفشت فيه غنم القوم) اي رعته ليلاً فأفسدته وكان بالأراع (وكننا لحكمهم شاهدين) اي كان ذلك بعلمنا ومراى من لا يخفى علينا عمله وفيه دليل لمن يقول بأن أقل الجمع اثنان لقوله وكننا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلا من داود احدثهما صاحب حرث والاخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعى ليلاً فوشت فيه فأفسدته فلم يبق منه شئ فأعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فخرى على سليمان فقال كيف قضى بينهما فخرى فقال سليمان لو وليت أمر كما قضيت بغير هذا وروى انه قال غير هذا أرفق بالفر يقين فأخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضى وروى انه قال له بحق النبوة والابوة الاما أخبرتنى بالذى هو أرفق بالفر يقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث بالنفع بذرهما ونسلها وصوفها او منافعه او بزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حوته فاذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع الى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود الغنم ما قضيت وحكم بذلك فقيل كان سليمان يوم حكم بذلك من العمر احدى عشرة سنة وحكم الاسلام في هذه المسئلة ان ما أفسدته المشاة المرسله من مال الغير بالنهار فلا ضمان

من الطوفان وتكذيب اهل الطغيان (وتصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) منعناه منهم اي من اذا هم (انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) صغيرهم وكبيرهم ذكراً وأنثاهم (وداود وسليمان) اي راذكرهما (اذ) بدل منهما (يحكما في المحرث) في الزرع والكرم (اذ) ظرف يحكما (نفشت) دخلت (فيه غنم القوم) ليلاً فأكلمه وأفسدته والنفس انتشار الغنم ليلاً بالأراع (وكننا لحكمهم) أرادهما والمخما كمين اليهم (شاهدين) اي كان ذلك بعلمنا ومراى منا

من الحارث فقال سليمان
وهو ابن احدى عشرة سنة
غير هذا أرفق بالقرابين
فعرزم عليه ليحكم فقال
أرى أن تدفع الغنم الى أهل
الحارث يتفقون بأبائهما
وأولادها وأصوافها
والحارث الى رب الغنم حتى
يصالح الحارث ويعود كهيتته
يوم أفسد ثم يتراد ان فقال
القضاء ما قضيت وأمضى
الحكم بذلك وكان ذلك
باجتهاد منهما وهذا كان
في شر يعظم فأما في شر يعتنا
فلا ضمان عند أبي حنيفة
وأصحابه رضى الله عنهم
بالليل أو بالنهار إلا أن
يكون مع البهيمة سائق أو
قائد وعند الشافعي رحمه
الله يجب الضمان بالليل
وقال الجصاص انما ضمنوا
لأنهم أرسلوها أو نسخ
الضمان بقوله عليه السلام
الجهام جبار وقال مجاهد
كان هذا الصلح ما فعله داود
كان حكمه والصلح خير (وكذا)
من داود وسليمان (آيتنا
حكمنا) نبوة (وعلى معرفة
بموجب الحكم (وسخرنا)
وذلكنا (مع داود الجبال
يسبحن) وهو حال بمعنى
مسبحان أو استثناف كان
قائل الا قال كيف سخرهن

على ربه او ما افسدته بالليل ضمنه ربه الان في عرف الناس ان اصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي
تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح ويدل على هذه المسئلة ما روى حرام بن سماعة عن مجبصة ان ناقة
للبراء بن عازب دخلت حائط الرجل من الانصار فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل زاد في رواية وان على أهل
الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل أخرجه أبو داود ومسلم وذهب أصحاب الرأي أن المالك اذا لم يكن مع
ماشية فلا ضمان عليه فيما أنفق به الا كان أو نهرا فذلك قوله تعالى (فقهناها سليمان) أي علماء
والله اعلم بحكم القضية (وكلا) يعني داود وسليمان (آتيناهما حكما وعلما) أي بوجوه الاجتهاد وطرق
الاحكام قال الحسن لو لا هذه الآية لرأت الاحكام قد هلكوا ولكن الله جعل هذا بصوابه وأفتى على
هذا باجتهاده واختلف العلماء في أن حكم داود كان باجتهاده أم بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم
حكما بالا جتهاد قال ويجوز الاجتهاد لادنياء لم يدركوا ثواب المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد في الحوادث
اذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة واذا أخطوا فلاثم عليهم (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله
أجر وقال قوم ان داود وسليمان حكما بالوحي فكان حكمهم سليمان ناهيا لحكم داود ومن قال بهذا يقول
لا يجوز لادنياء الحكم بالا جتهاد لانهم مستغنون عنه بالوحي واحتج من ذهب الى أن كل مجتهد مصيب
بظاهر هذه الآية بالحديث حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطا وهو قول أصحاب الرأي وذهب
جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اختلف اجتهاد المجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه
ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فأخطأ فله أجر لم يرد به انه
يؤجر على الخطا بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لان اجتهاده عبادة والا ثم في الخطا عنه موضوع اذا
لم يأل جهدا ووجه الاجتهاد في هذا الحكم ان داود قوم قدر الضرر في الحرث فكان مساويا للقيمة الغنم
وكان عنده ان الواجب في ذلك الضرر في الحرث قيمة المثل فلا جرهم سلم الغنم الى المجني عليه وأما سليمان فان
اجتهاده أدى الى انه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزائد بالزائد فاما مقابلة الاصول بالزائد فغير
جائز واعل منافع الغنم في تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به ومن احكام داود وسليمان
عليهما السلام ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كانت
امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذبح بائن احدهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى
انما ذهب بابنك فقعا كما الى داود فقضى به للذكرى فخر جئنا على سليمان بن داود فأخبرناه فقال اتقوني
يا لسكين أشقن بينهما فقالت الصغرى لا تفعل برحمتك الله هو ابنها فقضى به للصغرى أخرجاه في الصحيحين
قوله تعالى (وضرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) أي يسبحن مع داود اذا سمع قال ابن عباس
كان يفهم تسبيح الجبال والشجر قبل كانت الجبال تتجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلبن
معه اذا صلي وقيل كان داود اذا قرأ معه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاقي اليه (وكنا
فاعلين) يعني ما ذكر من التفهيم وايضا الحكم والتسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أي صنعة الدروع التي
تلبس في الحرب قبل أول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفائح قالوا ان الله
ألان الحديد لداود بأن يعمل منه بغير نار كما نه طين والدروع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله تعالى
(لقد صنعناكم) أي غنمكم (من بأسكم) أي حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليصنعنكم الله به

فقال إسحق (والطير) معطوف على الجبال أو مفعول معه وقد مت الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها اعجب (فهل وأغرب وأدخل في الاعجاز لانها جاد روى انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تتجاوبه رقبيل كانت تسير معه حيث سار) وكذا فاعلمين) بالانبياء مثل ذلك وان كان عجباً عندكم (وعلمنا صنعة لبوس لكم) أى عمل اللبوس والدروع واللباس والمراد الدرع (لنصنع لكم) شأى ونصنع أى الصنعة وبالنون أبو بكر وحاد أى الله عز وجل وبالباء غيرهم أى اللبوس أو الله عز وجل (من بأسكم) من حرب عدوكم

(فهل أنتم شاكرون) أي يقول ذلك لداود وأهل بيته **﴿﴾** قوله عز وجل (ولسليمان الريح) أي وسخرنا
 سليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف تمتنع بلطفه من انقباض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى عن
 البصر بلطفه (عاصفة) أي شديدة الهبوب فان قالت قد وصفها الله بالرخاء وهي الريح اللينة قلت كانت
 الريح تحت أمره ان أراد أن تشتد اشتدت وان أراد أن تلين تلتين لانته (تجري بأمره الى الارض التي باركنا
 فيها) بمعنى الشام وذلك لانها كانت تجري بسليمان وأصحابه حيث يشاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام
 (وكتبنا بكل شيء عالين) أي بعينه الشديدة برفيقه وعلما ان ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعو الى
 الخضوع لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجده حلفت عليه الطير وقام له الانس
 والجن حتى يجلس على سريره وكان امر أغراضه قلما كان يقدم عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض علك
 الا اناء حتى يذله وكان فيما يرحلون اذا أراد الغزو أمره بذكره فحضر له بجشب ثم نصب له على الخشب ثم
 حل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك
 الخشب فاحتلمته حتى اذا استقلت به أمر الرخاء فرت به شهرافى روحته وشهرا في غسده الى حيث أراد
 وكانت غمره بذكره الريح الرخاء بالمزوعة فتأخر كها ولا تثير ربا ولا تؤذى طائرا قال وهب ذكر لي ان
 منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتيبه بعض صحابة سليمان امان من الانس أو من الجن نحن نزلناه وما بينناه
 وما بينا وجدناه غدونا من اصطفرة قلناه ونحن رايتهم منه ان شاء الله فزالون بالشام وقال مقاتل
 نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسغا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب وسط البساط
 فيقع عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وقضة تقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على
 كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه
 الشمس وترفع الريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الراح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان
 الخليل حتى فاتته صلاة العصر غضب الله ففقر الخليل فأبدله الله مكانا خيرا منها وأمر الريح تجري بأمره
 كيف شاء فكان يغدو من ايلياء فيقبل باصطخر ثم يروح منها فيكون راحته ببابل وروى ان سليمان سار
 من أرض العراق فقال عديسة بلغ متخللا بلاد الترك ثم جازهم الى أرض الصبيغ غدو على مسيرة شهر
 وبروح على مثل ذلك ثم عطف عنه عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند وجازها
 وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جازها حتى أتى أرض فارس فزلاها أياما وعدادها فقال بكركم ثم راح
 الى الشام وكان مستقره عديسة تدمر وكان أمر الشياطين قبل مخصوصه الى العراق فبنوها له بالاصفاق
 والعمد والرخام الاصفر والابيض وفي ذلك يقول النابغة

الاسليمان اذا قال المليلد ليله * قم في البرية فاحدد لها عن الفند

وجيش الجن اني قد اذنت لهم * يبنون تدمر بالاصفاق والعمد

﴿﴾ قوله عز وجل (ومن الشياطين) أي وسخرنا له من الشياطين (من يغوصون له) أي يدخلون تحت الماء
 فيخرجون له من قعر البحر الجواهر (ويعملون هم الا دون ذلك) أي دون الغوص وهو اختراع الصنائع
 العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الالية وينجاوزون في ذلك الى أعمال المدن والقصور
 والصناعات كما تذاذ الدورية والوارد والصابون وغير ذلك (وكتناهم حافظين) أي حتى لا يخرجوا عن أمره
 وقيل حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا في النهار وفرغ قبل الليل أفسدوه
 وسخروهم قيسل ان سليمان كان اذا بعث شيئا من اهل بيته ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل
 اشغله بعمل آخر لا يفسد ما عمل ويخبر به **﴿﴾** قوله تعالى (وأيوب اذا نادى ربه) أي دعا ربه

﴿﴾ ذكر قصة أيوب عليه السلام

قال وهب بن منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن

ابراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط له الدنيا وكانت له
 البتيسة من أرض البلقاء من أعمال خوارزم مع أرض الشام كلها أسهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف
 المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحجر ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدد والكثرة وكان له
 خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد و مال ويحمل له آلة كل فدان أنان لكل أنان
 من الولد اثنتان أو ثلاثة أو أربع أو خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء
 وكان براتقبار حيا بالمساكين يطعمهم هو يكفل الأيتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل
 وكان شاكر الانعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى
 من الغرة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من أمر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه
 رجل من أهل اليمن يقال له الخروقي لم يغير وجهه من أهل بلده يقال لاحدهما تالدو والاخر صافر
 وكان لهؤلاء مال وكان ابليس لا يحب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد حتى رفع الله
 عيسى فحجب عن أربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم لم يحجب عن السموات كلها الا من استترق السمع
 فسمع ابليس تجارب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدرك ابليس الحسد
 والبغى فصعد سرىا حتى وقف من السماء حيث كان يقف وقال الهى نظرت في أمر عبدك أيوب
 فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولوا بقلبه بنزع ما أعطيته لحال مما هو عليه من
 شكرك وعبادتك وتخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطت على ماله فانقض عدو الله ابليس
 حتى وقع على الأرض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت
 على مال أيوب وهى المصيبة الفادحة والفتنة التى لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين
 أعطيت من القوة ماذا شئت فتحولت اعصارا من نار فأحرق كل شيء أتى عليه قال ابليس اذهب فأت
 الابل ورعاتها فأتى الابل حين وضعت رؤوسها وورعت فلم يشعر الناس حتى نار من تحت الأرض اعصارا من
 نار فأحرق الابل ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس فى صورة قزم من كانوا عليهم على قعود الى
 أيوب فوجدته قائما يصلى فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت اباك وأحرقتها ومن فيها غيابة يرى فقال أيوب
 بعد ان فرغ من الصلاة الحمد لله هو أعطانيها وهو أخذها واهمال الله أعارنيها وهو أولى بها اذا شاء نزعها
 قال فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان الا فى غرور ومنهم
 من يقول لو كان الله أيوب بقدر على ان يصنع شيئا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذى فعل ما فعل ليثبت
 به عدوه ويضع صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع منى عريانا فخرجت من بطن أمي
 وعريانا أعود الى التراب وعريانا أحشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك وتجزع حين
 قبض عاريتك الله أولى بلوى عما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الأرواح وصرت
 شهيدا ولكنك تعلم مثل شرافتك فرجع ابليس الى أصحابه فحاسبهم اذ لا فقال ما عندكم من القوة فأتى لم
 أكلم قلبه قال عفريت من الجن عندي من القوة ماذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذور روح الا خرجت
 روحه قال ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق حتى نوسه طها ثم صاح صيحة فجيست أمواتا من عند آخرها
 ومات رعاتها فجاء ابليس متملا بهرمان الرعاة الى أيوب فوجدته يصلى فقال له مثل القول الاول فرد عليه
 أيوب مثل الرد الاول فرجع ابليس الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فأتى لم أكلم قلب أيوب فقال
 عفريت عندي من القوة ماذا شئت فتحولت ريحا عاصفة تنسف كل شيء أتى عليه قال فأت الفدادين فى
 الحراث والزرع فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادون فى الحراث والزرع فلم يشعر واحد حتى هبت ريح
 عاصفة فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس متملا بهرمانهم الى أيوب وهو قائم يصلى
 فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل رده الاول وجعل ابليس يصف ماله مالا لا حتى مر على آخره

كلما انتهى الى هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضى عنه بالقضاء ووطن نفسه
 بالصبر والبلاء حتى لم يبق له مال فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم ينجم منه شيء صعد سرى عا حتى وقف في
 الموقف الذي يقف فيه وقال الهى ان أيوب يرى انك ما تمتعه بولده فأنت معطيه المال فهل أنت
 مساطى على ولده فانها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد سلطت على ولده
 فانقض عدو الله حتى أتى بنى أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزل بهم القصر حتى نداه من قواعده وجعل
 جدره يضرب بعضها بعضا برميهم بالخشب والحجارة فلما مثل بهم كل مثله رفع القصر وقلبه عليهم وصاروا
 منكسبين وانطلق الى أيوب ممتلا بالمعالم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه
 فأخبره وقال لورأيت نبيل كيف عذبوا وكيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم
 ولورأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم انقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رقى
 أيوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعه على رأسه وقال يا ليت أمي لم تلدني فاعتنم ابليس ذلك فصعد
 سرى عا بالذي كان من جزع أيوب مسرورا به ثم لم يلبث أيوب ان فاه وأبصر واستغفر فصعد فرأوه من
 الملائكة بتوبته فسبقت توبته الى الله وهو أعلم فوقف ابليس خاسئا ذليلا وقال الهى انما هو من على
 أيوب المال والولد انه يرى انك ما تمتعه بنفسه فأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مساطى على جسده
 فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطت على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان
 الله أعلم به ولم يسلطه عليه الا رجسة ليحطمه الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكري للعابدين في كل
 بلاء يزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله ابليس سرى عا اليه فوجد أيوب ساجدا
 فيجبل قبل ان يرفع رأسه فأتاه من قبل وجهه فنفض في مخبره نفخة اشعل منها جسده فخرج من فوره الى
 قدومه نأبل مثل البياض الغنم ووقعت فيه حكة خلت باطنه حتى سقطت كلها ثم حكها بالمدوح الحشنة
 حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الحشنة فلم يزل يحن حتى قرح لحمه وتقطع وتغير وأنت فأخرج به أهل
 القرية فجعلوه على كداسة لهم وجعلوا له عريشة ورفضه خلق الله كلهم غير امرأته وهي رجة بنت
 افرائيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما رأى الثلاثة من أصحاب ما ابتلاه
 الله به أنهم موه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلق اليه أصحابه فبكوا ولاموه
 وقالوا بنى الله من الذنب الذي عوقبت به قال وحضر معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه
 فقال لهم الفقى انكم تكلمتم أيها الكهول وأنتم أحق بالكلام منى لاسننا نكم ولكن تركتم من القول
 ما هو أحسن من الذي قائم ومن الرأى أصوب من الذي رأيتم ومن الامر أجمل من الذي أتيتم وقد كان
 لا يوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدرون أي الكهول حق من انقصتم وحرمة
 من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتهم واتهمتم ألم تعلموا ان أيوب نبى الله وصفوته وخيرته من أهل الارض
 الى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه مخط شيا من أمره منذ آناه الله ما آناه الى يومكم هذا
 ولا على انه نزع منه شيا من الكرامة التي أكرمه الله بها ولا ان أيوب قال على الله غير الحق في طول
 ما صحتهم الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم ان الله
 تعالى يبتلي المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس الاؤه لا ولئلا يلا على مخطه عليهم
 ولا الهوانم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة الا انه أنح أحبهم
 على وجه العصبه لكان لا يحتمل بالحليم ان يعدل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم
 وهو مكروب حزين ولكنه رجه ويبيكى ويستغفر له ويحزن لحزنه ويده على مرأته أمره وليس يحكم ولا
 رشيد من جهل هذا والله انه أيها الكهول وقد كان في عظمة الله وحده لاله وذكري الموت ما يقطع ألسنتكم
 ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان الله عبادا أكنتمهم الحشية من غير عى ولا بكم وانهم لهم الفصحاء البلقاء المنبلاء

الالباء العالمون بالله وانكم هم اذ اذكروا عظمة الله انقطعت آلتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت
 قلوبهم وطاشت عقولهم اعظام الامر الله واجلالا فاذا اشتاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال
 الزاكية بعدون انفسهم من الظالمين والظالمين وانهم لا يراوون ومع المقصرين المفرطين وانهم لا يياس
 اقوياء قال ايوب عليه السلام ان الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فاذا نبتت في القلب
 نظهرها الله على اللسان وليت تكون الحكمة من قبل السن ولا طول التجربة واذا جعل الله الامد
 حكيم في الصبر لم تنقطع منزلته عند الحكام هم يرون من الله سبحانه وتعالى عليه نور السكراة ثم اقبل
 ايوب على الثلاثة وقال اتيتوني غضا بارهت قبل ان تسترهبوا وبكيت قبل ان تضربوا كيف في لوقات
 تصدقوا عني يا موالكم لعل الله ان يخلفني اوفر بواعني قربا نال الله ان يقبله ويرضى عني وانكم قد
 اعجبتمكم انفسكم وطلنتم انكم قد عرفتكم باحسنكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم قد علمتم انكم
 عيو باقدسرها الله تعالى بالعافية التي اليكم وقد كنتم فيما خلا توفرونني واناسهم وع كادى معروف حتى
 منتصف من خصمي فاصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم فانتهم كنتم اشد علي من مصيبي ثم
 اعرض عنهم ايوب واقبل على ربه مستغنيا به متضرعا اليه فقال يا رب لا شيء خلقتني ليعني اذ كرهني
 لم تخلفني يا ليتني عرفت الذنب الذي اذنبت والاعمال الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت
 امةني فخالفتني يا ليتني فالموت كان اجل بي ألم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا ولا لدملة قريبا
 الهوى انا عبد ذليل ان احسنت فامن لك وان اسأت فبذلك عقوبتي جعلتني للبلاد غرضا وللقتنة
 نصيبا وقد وقع على من البلاء ما لو سلطته على جبل اضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي وان قضاءك هو
 الذي اذلني وان سلطتك هو الذي اسقمني وانخل جسمي ولو ان ربي نزع الهيبة التي في صدري واطلق
 لساني حتى اتكلم بعلني في فادلي بعذري واتكلم ببراءتي واخاصم عن نفسي لرجوت ان يعافيني عند ذلك
 مما بي ولكنه القاني وتعالى عني فهو يراني ولا اراه ويسمعني ولا اسمعه فلما قال ذلك ايوب واعجابه عنده
 اظله غمام حتى ظن اصحابه انه عذاب ثم نودي يا ايوب ان الله يقول ها انا قد دونت منك ازل منك فربما قم
 فادل بعذرك وتكلم ببراءتك واخصم عن نفسك واشدد ازارك وقم مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت
 فانه لا يقضي ان يخاصمني الاجبار مثلي اقدم منك نفسك يا ايوب امر اما يبلغ لمثله مثلك أين أنت من يوم
 خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل كنت معي تدب اطرافها هل علمت باي مقدار قدرتها أم على أي
 شيء وضعت اكفافها ابطاعتك حل الماء الارض أم بحكمته كانت الارض للماء غطاء أم كنت مني يوم
 رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يعلها دهم من تحتها هل يبلغ من حكمته ان تجري
 نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها أين كنت مني يوم أنبت الانهار وسكنت البحار
 أو سلطت أمواج البحار على حدودها أم بقدرتك قصت الارحام حين بلغت مدتها أين كنت مني
 يوم صببت الماء على التراب ونصبت شواخ الجبال هل تدري على أي شيء ارسيتها أم باي مقدار وزنها
 أم هل لك من ذراع تطبق جملها أم هل تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء أم هل تدري من أي
 شيء انشأت السحاب أم هل تدري أين خزانه الثلج أم أين جبال البرد أم أين خزانه اللبيل بالنهار وخزانة
 النهار بالليل وأين خزانه الريح وبأي لغة تنكلم الاشجار ومن جعل العقول في اجواف الرجال وشق
 الاسماع والابصار من ذلت الملائكة للملكة وقهر الجبارين بجهنمه وقسم الارزاق بحكمته في كلام كثير
 يدل على آثار قدرته ذكرها لا يوب فقال ايوب صغرت شيئا وكل لساني وعقلي ورأي وضعفت قوتي عن هذا
 الامر الذي يعرض علي الهوى قد علمت ان كل الذي قد ذكرت من صنع يدك وتدبير حكمته واعظم من ذلك
 وأعجب لو شئت عملت ولا يعجزك شيء ولا تخشى عليك خافية الهوى أو تقني البلاء فتكلمت ولم املك نفسي
 فكان البلاء هو الذي انطقني لست الارض انشقت بي فذهبت فيها ولم اتكلم بشيء يسخطك ربي وليتني مت
 بغيري في اشد بلائي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت بعذري وسكت حين سكت لترجيني كلمة زلت مني

فإن أعوذ وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وأصقت بأرباب يدي أعوذ بك اليوم منك واستجير بك من جهد البلاء فأجرتني واستغيت بك من عقابك فأغثني واستعنت علي أمري فأعني وأتوكل عليك فاكفني وأعصم بك فأعصمني واستغفر لك فأغفر لي فإن أعوذ لك في تكبره مني قال الله تعالى يا أيوب نفلنا عليك علمي وسبقنا رحمتي غصبني فقد غفرت لك وردت عليك أهلك ومالك وماله معي لم تكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعز للصابرين فاركض برحلك هذا مفتعل بارد وشراب فنه تناول وقرب عن أصحابك قربا ناولا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فبذل ردي عن أنس رفته ان أيوب ابث ببلائه ثمانين سنة وقال رهب ثلاث سنين لم يزد يوما وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أيوب مطروحا على كساءه ثمانين سنة سبع سنين وأشهر راحمته في الدود لا يقرب به أحد غير رحمة صبرت معه بصدق وكانت تأتيه بالطعام وتحمد الله معه اذا جاد وأيوب مع ذلك لا يقر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ بلباس صرخة جمع فيها جنوده من اقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا ما أخرجناك قال اعياني هذا العبد الذي لم ادع له مالا ولا ولدا ولم يزد الا صبرا ثم سلطت على جسده فتر كته قرحة ملقاة على كئاسه لا تقر به الا امر أنه فاستغنت بك لمعينوني عليه فقالوا له فابن مكرتك الذي أهلكت به من مضي قال بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا على قالوا من أين أثبت آدم حين أخرجه من الجنة قال من قبل امر أنه قالوا فاشأنا بك يا أيوب من قبل امر أنه فانه لا يستطيع ان يصبر بها وليس يقرب به أحد غديرها قال أصبتم فانطق ابليس حتى أتى رحمة امرأه أيوب وهي تصدق فتتلها في سورة رجل وقال لها أين بعلك يا أمة الله قالت هو ذاك يحل قروحه ويتردد الديدان في جسده فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها حال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لا يقطع عنه أبدا فصرخت فلم انها قد جزع فتأناها بسخلة وقال ليذبح لي هذه أيوب ويبرأنا من تصرخ يا أيوب حتى متى بعد بئس ربك أين المال أين الولد أين الصديق أين لوليك الحسن أين جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح قال أيوب أنا لك عدو والله فنفتح فيك ليلتيك أرايت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه قالت الله قال كم متهناه قالت ثمانين سنة قال فخذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين وأشهر قال وبلك ما أنصفت ربك ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كناني الرخاء ثمانين سنة والله لئن شئ فاني الله لا جلد لك ما نية جلدة امرتي ان اذبح لغير الله طعاما وشرا بك الذي تأتيني به على حرام ان أدوق منه شيئا اعزني دعيتي فلا أراك فطردها فذهبت فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خرسا جدا لله وقال رب (اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برحلك فركض برحله فنبعت عين ماء فاعتسل منها فلم يبق عليه من دربه ودانه شيء فظاها الاسقط وعاد شبابه وجاهه أحسن ما كان ثم ضرب برحله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في خوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسى حلة فجعل يلبث فلا يرى شيئا مما كان عليه وما كان له من أهل ومال الا قد ضعفه الله له وذكر لنا ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جراد من ذهب فجعل يضعه بيده فلوحي الله اليه يا أيوب ألم أغثتك قال بلى ولكم بار كذل فحين يشبع منها قال اخرج حتى تجلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت ارايت ان كان طردني الى من أكله ادعه يموت جوعا ويضيع فتأكله السباع لا رجوع اليه فرجعت اليه فلا الكناسة رأت ولا تلك الحاملة التي كانت تعرف واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك يعني أيوب وبهايت صاحب الحلة ان تأتيه فساءله عن أيوب فدعاها وقال ما تريدين يا أمة الله فبككت وقالت أردت ذلك المبسلي الذي كان منبوزا على الكناسة لا أدري أضاع أم ما فعل به فقال أيوب ما كان منك فبككت وقالت بعل فقال هل تعرفينه اذا رأته قالت وهل يخفى على أحد رآه ثم جعلت تنظر اليه وهي تمأبه ثم قالت أما انه أشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فاني أنا أيوب الذي أمرتني

(اني) أي دعا بأبي (مسنى
الضر) الضر بالفتح الضر
في كل معنى وبالضم الضر
في النفس من مرض أو
هزال (وأنت أرحم
الراحمين) أنطق في السؤال
حيث ذكر نفسه بما يوجب
الرحمة وذكر ربه بغاية
الرحمة ولم يصرح بالمطلوب
فكانه قال أنت أهل أن
ترحم وأيوب أهل أن يرحم
فأرحه واكشف عنه الضر
الذي منه عن أنس رضي
الله عنه أخبر عن ضعفه
حين لم يقدر على النهوض
الى الصلاة ولم يشك وكيف
يشكو من قيل له انا وجدناه
صابرا نعم العبد وقيل انما
شكا اليه فلذا بالنجوى
لامنه فصررا بالشكوى
والشكاية اليه غاية القرب
كما ان الشكاية منه غاية

أن أذبح سحرة لا بليس وإن أظمت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد على ما ترين وقال وهب لبث
 أيوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئا عترض امرأته في هيئة أبت كهيئة
 بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب بليس من مرأكب الناس له عظم ربهما فقال لها أنت صاحبة
 أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال أنا إله الأرض وأنا الذي صنعت بصاحبك
 ما صنعت لأنه عبد إله السماء وتركني فأغضبني ولو مجد لي مجدة واحدة رددت عليك وعليه كل ما كان
 لك من مال وولد فانه عندى ثم أراها إياه بطن الوادي الذي لقيهم فيه وفي بعض الكتب أن إبليس قال لها
 اسجد لي سجدة واحدة حتى أورد عليك المال والولد واعني زوجك فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما
 أراها قال لقد أنكأ عدو الله ليفتنك عن دينك ثم أقسم أن عاقبه الله ليضرب بها مائة جلدة وقال عند ذلك
 مسني الضر من طمع إبليس في سجد حرمتي ولوعائه إياها راياي إلى الكفر ثم إن الله تعالى رحم رحمة
 امرأته أيوب بصبرها معه على اليل والخف عليها وأراد أن يبرهن أيوب فأمره أن يأخذ ضفنا يشتل
 على مائة عود صغير فيضرب بها ضربة واحدة وقبل انما قال مسني الضر حين قصد الدوداني قلبه ولأنه
 نخش أن يفتر عن الذكروا الفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء أحدها ما قبل
 في حقه لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا والثاني أن امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعته
 ذواتها فأفاته بطعام والثالث قول إبليس إنى أدأوبه على أن يقول أنت شفقتي وقيل مسني الضر أى من
 شماته الأعداء حتى روى أنه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في ثلاث شماته الأعداء فان قلت
 كيف معناه الله صابرا وقد أظهر الشكوى والجزع قوله مسني الضر وقوله مسني الشيطان بنصب
 وعذاب قلت ليس هذا شكاية وإنما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجنا له والشكوى إنما تكون إلى الخلق
 لا إلى الخالق بدليل قول يعقوب إنما أشكوك وبكى وحزنى إلى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى
 إلى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك حزنا كما روى أن جرير بن عبد الله المزني دخل على النبي
 صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف تجدك قال أجدرني مغمو وما أجدني مكروبا وقال لما نشأ حين
 قالت وأرأساه بل أنا وأرأساه في قوله تعالى (فاستجنا له) أى اجننا دعاه (فكشفتنا ما به من ضر) وذلك
 أنه قال له أركض برجلك فركض برجله فبعت عين ماء فأمره أن يغسل منها ففعل فذهب كل داء كان يظهره
 ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل فبعت عين ماء بارد فأمره أن
 يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان يباطنه فصار كصحرى ما كان (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قال ابن
 مسعود وابن عباس واكثر المفسرين رد الله إليه أهله وأولاده بأعيانهم أحياهم الله وأعطاهم مثلهم معهم
 وهو ظاهر القرآن وعن ابن عباس رواية أخرى أن الله رد إلى المرأة شيها ما فولدت له ستة وعشرين
 ذكرا وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات وعن أنس يرفعه أنه كان له أندران أندرا للقمح وأندرا للشعير
 فبعث الله معايتين فأفرغت أحدهما على أندرا للقمح والذهب وأفرغت الأخرى على أندرا للشعير الورقي
 حتى فاضا وروى أن الله تعالى بعث إليه ملكا وقال له إن ربك يقرئك السلام بصبورك فخرج إلى أندرك
 فخرج إليه فأرسل الله عليه جرادا من ذهب فذهبت واحدة فأتته بها ورداها إلى أندره فقال له الملك
 ما يكتفيك ما في أندرك فقال هذه بركة من بركات ربى ولا أشبع من بركته (ن) عن أبي هريرة قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بينما أيوب يغسل عريا ناخرا عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثي في ثوبه فتدأه
 ربه يا أيوب ألم أكن أغنينك عما ترى قال بلى يا رب ولكنى لا أغنى لى عن بركتك وقيل آتى الله أيوب مثل
 أهله الذين هلكوا قال عكرمة قبل لا يوب أن أهلك في الآخرة فان شئت عجلناهم لأن في الدنيا وإن
 شئت كافوا لك في الآخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا فقال بل يكونون لى في الآخرة وأوفى مثلهم في الدنيا
 فعلى هذا يكون معنى الآية وآتيناه أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالاهل الأولاد (رحمة)

البعد (فاستجنا له) اجننا
 دعاه (فكشفتنا ما به من
 ضر) فكشفتنا ضره انعاما
 عليه (وآتيناه أهله ومثلهم
 معهم) روى أن أيوب عليه
 السلام كان روميا من ولد
 اسحق بن إبراهيم عليه
 السلام وله سبعة بنين وسبع
 بنات وثلاثة آلاف دينار
 وسبعة آلاف شاة وخمسة مائة
 فدان يتبعها خمسة مائة عبد
 لكل عبد امرأته وولد ونخل
 فاستلاه الله تعالى بذهاب
 ولده وماله وعرض في بدنه
 ثمانى عشرة سنة أو ثلاث
 عشرة سنة أو ثلاث سنين
 وقالت له امرأته لو دعوت
 الله عز وجل فقال كم كانت
 مدة الرخاء فقال ثمانين سنة
 فقال أنا أستحي من الله أن
 أدعوه وما بلغت مدة بلاقى
 مدة رخاى فلما كشف الله
 عنه أحبا ولده بأعيانهم
 ورزقه مثلهم معهم (رحمة)

من عندنا) أي نعمة (وذكرى للعابدين) أي عظة وعبرة لهم قوله عز وجل (واسمعيل) هو ابن إبراهيم

(وذكرى للعابدين) يعني رجلا لا يوب وتذكر لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فينالوا كثوابه (واسمعيل) بن إبراهيم (وإدريس) بن شيث بن آدم (وذا الكفل) أي إذا كرههم وهو الياس أو زكريا أو يوشع بن نون وسمى به لانه ذو الحظ من الله والكفل الحظ (كل من الصابرين) أي هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون بالصبر (وإدريس) هو من رجبنا نبوتنا والنعمة في الآخرة (الصابرين) أي من لا يشوب صلابتهم كدر الفساد (وذا النون) أي إذا ذكر صاحب الحوت والنون الحوت فاضيف إليه (أذهب مغاضبا) حال أي هو أغم القومه ومعنى مغاضبه اقومه انه أغضبهم بمقاومته لحوقهم لحول العقاب عليهم عندها روى انه يرم بقومه أطول ما ذكرهم فلم يعظروا وأقاموا على كفرهم فراعهمهم وطن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعل الا غضبا لله وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصبر وينتظر الاذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلى بطن الحوت

من عندنا) أي نعمة (وذكرى للعابدين) أي عظة وعبرة لهم قوله عز وجل (واسمعيل) هو ابن إبراهيم صلى الله عليه وسلم (وإدريس) هو الخنوخ (وذا الكفل) كل من الصابرين (لما ذكر الله أمر أيوب وصبره على البلاء أتبعه بذكر هؤلاء الأنبياء لأنهم صبروا على المحن والشدة والعبادة أيضا أما اسمعيل صلى الله عليه وسلم فإنه صبر على الانقياد إلى الذبح وأما إدريس فقد تقدمت قصته وأما ذوا الكفل فاختلجوا فيه فقيل إن نبيما من بني إسرائيل وكان ملكا أوحى الله إليه أني أريد قبض روحك فأعرض ملكك على بني إسرائيل فمن تكفل انه يصلي الليل ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال أنا أنكفلك لك بهذا فتكفل ووفى فشكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال اني استخلف رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي انظر كيف يعمل قال فجمع الناس وقال من يتقبل مني ثلاثا استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضي ولا يغضب فقام رجل تزدريه العين فقال أنا أفرد ذلك اليوم وقال مثله في اليوم الا تحرفك الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه فأثناء إبليس في صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائه وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة فذكر الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم يظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى ذهب القائه فقال اذا رحمت فائتني حتى أخذ حقل فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلم يجده فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع إلى القائه وقال وأخذ مضجعه في الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال له ألم أقل اذا رحمت فائتني قال انهم أخبث قوم اذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطين حقلنا واذا رحمت جددوني قال فانطلق فاذا اجلس فائتني وفاتته القائه فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض أهله لا تدع عن أحد يقرب هذا الباب حتى أنام فإنه قد شق على النعاس فلما كانت ثلاث الساعة نام فجاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظرفر أي كره في البيت فتسور منه فاذا هو في البيت فذكر الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان ألم أمرك قال أمان من قبلي فلم توت فانظر من أين أتيت فقام إلى الباب فاذا هو غلق كما أغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال أنام والخصوم ببابك فنظر إليه فعرفه فقال أعد والله قال نعم أعيتني وفعلت ما فعلت لا غضبك فعصم الله فسمى ذا الكفل لانه تكفل بأمر قومه باختلاف في نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هو زكريا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا (وإدريس) هو من رجبنا يعني ما أنعم به عليهم من النبوة وصبرهم اليه في الجنة من الثواب (انهم من الصابرين) قوله عز وجل (وذا النون) أي وإذا كره صاحب الحوت أضيف إلى الحوت لا يتلعه اياه وهو يونس بن متى (أذهب مغاضبا) قال ابن عباس في رواية عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسي منهم تسعة أسباط ونصفوا بقي منهم سبطان ونصف فأوحى الله إلى شعيها النبي أن سمر إلى حزقيل الملك وقل له يوجه نبيا قويا فاني ألقى في قلوب أولئك حتى يرسلوا مع بني إسرائيل فقال له الملك فن ترى وكان في مملكته خمسة من الأنبياء قال يونس انه قورى أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال يونس هل الله أمرك بالخروج قال لا قال فهل سمع الله لك قال لا قال فها غيري أنبياء أقوياء فأطوا عليه فخرج مغاضبا للنبي وللملك وقومه وأتى بحر الروم فركب وقيل ذهب عن قومه مغاضبا بالرب لما كشف عنهم العذاب بعدما وعدهم وكره أن يكون بين أظهر قوم جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيامنهم ولم يعلم السبب الذي دفع العذاب عنهم به فكان غضبه انفة من ظهور خاف وعده وأنه يسمي كذبا لا كراهية لحكم الله وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه انهم يقتلون من جربوا عليه المكذب فخشي أن يقتلوه ما لم يأثمهم العذاب للميعاد فذهب مغاضبا وقال ابن عباس أني جبريل يونس فقال انطلق إلى اهل نينوى فأنذروهم فقال التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك فغضب وانطلق إلى السفينة وقال وهب

(فإن أن لن نقدر) نصيب (عليه) وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما أنه دخل يوما على معاوية فقال له ضربي أمواج القصر آن
البارحة فترقت فيها فلم أجدهم إلا بالبحر فقلت يا معاوية فقرا الآية فقال أوطن نبي الله أن لا يقدروا عليه قال هذا من القدر
لا من القدرة (فنادى في الظلمات) أي (٣٨٨) في الظلمة أشد من المشكاة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات

أن يونس كان عبدا صالحا لو كان في خلقه ضيق فلما حل انقال النبوة ففسخ تحتها انفسخ الربع تحت
الحل القبل فقد فها من يديه وخرج هاربا منها فلذلك أخرجه الله من أولي العزم من الرسل وقال لذيقه محمد
صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت وقوله (فإن أن لن
نقدر عليه) أي أن لن نقدر عليه العقوبة قاله ابن عباس في روايته عنه وقيل معناه فظن أن لن نصيب
عليه الحبس وقيل معناه فظن أنه يهجز به فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس مغاضبا إليه واستتره
الشيطان حتى ظن أن لن يقدر عليه وكان له سلف عبادة أبي الله أن يده الشيطان فقد ذقه في بطن
الحوت فكث فيه أربعين ما بين يوم وليلة وقيل سبعة أيام وقيل ثلاثة وقيل أن الحوت ذهب به حتى بلغ
تخوم الأرض السابعة فتاب إلى ربه وراجع نفسه في بطن الحوت (فنادى في الظلمات) أي ظلمة الليل
وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أن لا اله الا أنت سبحانك أي كنت من الظالمين) أي حيث عصيتك وما
سنت من شيء فلم أعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته وروى أبو هريرة مرفوعا قال أوحى
الله تعالى إلى الحوت أن خذ ولا تخش له لحا ولا تكسر له عظما فأخذه ثم أهوى به إلى مسكنه في البحر فلما
انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حيا فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله إليه هذا تسبح ربك قال
فسمع هوى في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبحه فقالوا يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارضا غريبة وفي روايته
صوتا هروفا من مكان مجهول فقال ذلك عبد يونس عصا في غيبته في بطن الحوت فقال العبد الصالح
الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعه الله عند ذلك فأمر الحوت فقد ذقه في
الساحل فذلك قوله تعالى (فاستجبنا له ونجيته من الغم) أي من تلك الظلمات (وكذلك نجي المؤمنين) أي
من الكروب اذ ادعونا واستغاثوا بنا فان قلت قد تم بوضوح من هذه القصة من أجاز وقوع الذنب من
الانبياء منها قوله اذ ذهب مغاضبا و منها فظن أن لن نقدر عليه ومنها قوله اني كنت من الظالمين قلت أما
الجواب الكافي فقد اختلفوا في هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة أم لا فقال ابن عباس كانت رسالته
بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى في الصافات بعد ذكر خروجه وأرسلناه إلى مائة ألف
أو يزيدون فثبت بهذا أن هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد أجاز بعضهم عليهم الصغار قبل النبوة
ومنعها بعد النبوة وهو الصحيح وأما الجواب التفصيلي لقوله اذ ذهب مغاضبا فحمله على أنه أقومه أولا ذلك
أولى بحال الانبياء وأما قوله فظن أن لن نقدر عليه فقد تقدم معناه أي لن نصيب عليه وذلك أن يونس
ظن أنه مختار شاء أقام وإن شاء أخرج وإن الله تعالى لا يضيق عليه في اختياره وقيل هو من القدرة لا من
القدرة وأما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه
فأما أن يكون لخروجه عن قومه بغیر ذنبه أو لضعفه عما حمله أو لدعائه بالعذاب على قومه وفي هذه
الاشياء ترك الأفضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظلمًا وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل
قوله وإن يونس لمن المرسلين اذ أتى إلى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة ما تقدم
من التفصيل والله أعلم بقوله عز وجل (وزكريا إذ نادى ربه) أي دعاه به فقال (رب لا تدركني فردا) أي
وحيدا لا ولدي يساعدي وارزقي وارثا (وأن خير الوارثين) هو قومه على الله بانه الباقي بعد فناء الخلق
وانه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو أقوله وأنت خير الرازقين (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى)
أي ولدا (وأصلناه زوجة) أي جعلناه أولادا بعدما كانت عقيمًا وقيل كانت سينة الخلق فاصلها

أو ظلمة الليل والبحر وبطن
الحوت (أن) أي بأنه
(لا اله الا أنت) أو بمعنى أي
(سبحانك اني كنت من
الظالمين) لنفسه في خروجي
من قومي قبل أن تأذن لي
في الحديث ما من مكروب
يدعوه بهذا الدعاء الا
استجيب له وعن الحسن
ما نجاه والله الا افساره
على نفسه بالظلم (فاستجبنا له
ونجيته من الغم) غم
الزلة ولو حشة والوحدة
(وكذلك نجي المؤمنين)
اذا دعونا واستغاثوا بنا نجي
شأني وأبو بكر بادغام
النون في الجيم عند البعض
لان النون لا تدغم في الجيم
وقيل تقديره نجي النجاء
المؤمنين فمكن الياء تخفيفا
وأسند الفعل إلى المصدر
ونصب المؤمنين بالنجاء
لكن فيه إقامة المصدر
مقام الفاعل مع وجود
المفعول وهذا لا يجوز فيه
تسكين الياء ما به الضرورات
وقيل أصله نجي من النجبة
فحذفت النون الثانية
لاجتماع النونين كما حذفت
احمدى التامين في تنزيل
الملائكة (وزكريا إذ نادى
ربه رب لا تدركني فردا) سأل
ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولا
يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره إلى الله مستسما فقال (وأن خير الوارثين) أي فان لم يرزقني

الله
من برثتي فلا أبالي فانك خير وارث أي باقي (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) ولدا (وأصلناه زوجة) جعلناه هاسا لحة للولادة بعد العقار أي
بعد عقرها أو حسنة وكانت سينة الخلق

(انهم) أي الانبياء المذكورين (كانوا يسارعون في الخيرات) أي انهم انما استحقوا الاجابة الى طلباتهم لمبادرتهم ابواب الخير ومساعدتهم في تحصيلها (ويدعوننا رغبا ورهبا) أي طمعوا خوفا كقوله يتخذون الآخرة وبرجوز حرة وبهوها مصدران في موضع الحال أو المفعول له أي للرغبة فينا والرغبة منا (وكانوا لنا خاشعين) متواضعين خائفين (والتي) أي واذ كرالتى (أحصنت فرجها) حفظته من الحلال والحرام (فنفختنا فيها من روحنا) أجرنا فيها روح المسيح أو أمرنا جبريل فنفخ في جيب درعها فأخذت بذلك النفخ عيسى في بطنها وإضافة الروح اليه تعالى تشرى بف عيسى عليه السلام (وجعلناها وابنا آية) مفعول ثان (للعالمين) وأعمالهم بقول آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين لآل عالمهم مجعوماً آية واحدة وهي ولادتها آية من غير خل أو التقدير وجعلناها آية وابنا كذلك فآية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة من قرأ آيتين (ان هذه أمتكم أمة واحدة) الأمة الملة وهذه إشارة (٣٨٩) الى ملة الاسلام وهي ملة جميع

الانبياء وأمة واحدة حال أي متوحدة غير متفرقة والعامل ما دل عليه اسم الإشارة أي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تتخفون عنها إنشأ اليها ملة واحدة غير مختلقة (وأنار بكم فاعبدون) أي ربيبتكم اختبأوا فاعبدوني شكراً واقتضارا والخطاب للناس كافة (وتقطعوا أئمتهم بينهم) أصل الكلام وتقطعتم الا ان الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا أئمتهم فيما بينهم قطعاً وصاروا فرقاً وأحزاباً ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة (كل البنا واجعون) فتجازهم على أعمالهم (فن يعمل من الصالحات) شيئاً (وهو مؤمن) بما يجب الايمان به (ولا كفرون لسعيه) أي فان سعيه مشكور مقبول والكفرون

الله تعالى له بأن رزقها حسن الخلق (انهم كانوا يسارعون في الخيرات) يعني الانبياء المذكورين في هذه السورة وقيل زكريا وأهل بيته والمسايرة في الخيرات من أكبر ما يدح به المرء لئلا يتدل على حرص عظيم في طاعة الله عز وجل (ويدعوننا رغبا ورهبا) يعني انهم ضمو الى فعل الطاعات أمرين أحدهما الفرع الى الله لملكان الرغبة في ثوابه والرغبة من عقابه والثاني الخشوع وهو قوله تعالى (وكانوا لنا خاشعين) الخشوع هو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الخاشع الذي لا ينبسط في الامور خوفاً من الوقوع في الاثم قوله تعالى (والتي أحصنت فرجها) أي احصنا نكاحاً من الحلال والحرام جميعاً كما قالت لم يسسني بشر ولم ألتغبوا وهي مريم بنت عمران (فنفختنا فيها من روحنا) أمرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح في بطنها وأضاف الروح اليه تشرى بف عيسى كبيت الله ونافقه الله (وجعلناها وابنا آية) أي دلالة (للعالمين) على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب فان قلت هما آيتان فكيف قال آية قلت معنى الكلام وجعلناها شأنهم أو أمرهم آية واحدة أي ولادتها آية من غير أب آية قوله تعالى (ان هذه أمتكم) أي ملتكم ودينكم (أمة واحدة) أي ديناً واحداً وهو الاسلام فاطل ماسوى الاسلام من الاديان والامة الجماعة التي هي على مقصد واحد جعلت الشريعة أمة لا اجتماع أهلها على مقصد واحد (وأنار بكم فاعبدون) أي لا دين سوى ديني ولا رب ليكم غيري فاعبدوني أي وحدوني (وتقطعوا أئمتهم بينهم) أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقاً وأحزاباً حتى لمن بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض (كل البنا واجعون) فتنجزهم بأعمالهم (فن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفرون لسعيه) أي لا يجحد ولا يبطل سعيه بل يشكر ويتاب عليه (واناله كاتبون) أي لعمله وحافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة والكفرون ترك المجازاة قوله عز وجل (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) قال ابن عباس معناه وحرام على أهل قرية أهلكناها أن يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه حرام على أهل قرية حكمنا بهلاكهم أن نقبل أعمالهم لانهم لا يتوبون قوله عز وجل (حتى اذا فتحت بأجوج ومأجوج) يريد فتح السدود ذلك ان الله يفتحهم أخبر عن مأجوج ومأجوج وهم اقبيلتان يقال انهما تسعة أعشار بني آدم (وهم من كل حذب ينسلون) أي يسرعون النزول من الآكام والتلال وفي هذه الكناية وجهان أحدهما ان المراد بهم بأجوج ومأجوج وهو الاصح بدليل ما روى عن النواصير بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة تخفض فيه ورفع حتى ظننا انه في طائفة النخل فلما رحننا اليه عرف ذلك فينا فقال ماشاً نكم قلنا يا رسول الله ذكر الدجال الغداة تخفضت فيه ورفع حتى ظننا انه في طائفة النخل

(٣٧ - خازن ثالث) مثل في حرمان الثواب كان الشكر مثل في اعطائه وقد نفي في الجنس ليكون المبلغ (واناله) للسعي أي الحفظة بامرنا (كاتبون) في صحيفة عملهم فتنبه به (وحرام) وحرم كوفي غير حفص وخاف وهما لغتان كل وحلال وزنا وضده معنى والمراد بالحرام الممتنع وجوده (على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) والمعنى ومنع على هؤلاء غير يمكن ان لا يرجعوا الى الله بالبعث أو وحرام على قرية أهلكناها أي قدرنا أهلاكهم أو حكمنا بأهلاكهم ذلك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المشكور انهم لا يرجعون من الكفر الى الاسلام (حتى) هي التي يحكي بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء أعني (انما) وما في حيزها (فتحت بأجوج ومأجوج) أي فتح سددها فخذق المضاف الى قرية فتحت شامى وهم اقبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها بأجوج ومأجوج (وهم) راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم بأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد (من كل حذب) نشتر من الارض أي ارتفاع (ينسلون) يسرعون

فقال غير الدجال أخوفني عليكم ان يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج وراست فيكم فكل امرئ
 حجيجه نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافقه كافي أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه
 منكم فليقر عليه فواضح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعات يميناً وعات شمالاً يا عباد
 الله فاقبلوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض قال أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كسهر ويوم كجمعة وسائر
 أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أنكفينا فيه صلاة يوم قال لا أقدر والله قدره قلنا
 يا رسول الله وما امرأته في الأرض قال كأنه استدبرته الرجح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به
 ويستجيون له فيأمرهم السماء فتمطر والأرض فتنبث فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراواً سبغة
 ضرعوها وأمرهم ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصيحون عجلين ليس
 بأيديهم شيء من أموالهم ويعر بالحرية فيقول لها اخرجي كنوزك فتنبه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو
 رجلاً من المشركين فيأمره بالسيف فيقطعه جزأين رمية الغرض ثم يدعوهم فيقبل ويتهال وجهه ويصيح
 فينبها هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين
 مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين اذا طأ رأسه قطراً واذ رفعه تحو رمنه جنان كاللؤلؤ فلا يحل
 لكافر يجدر به نفسه الامات ونفقه ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب الديقعة ثم
 يأتي عيسى عليه السلام الى قوم قد عصههم الله منه فيمسح على وجوههم ويحمدونهم بدراجتهم في الجنة
 فينبها هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى عليه السلام اني قد اخترت عباداً الى لا يدان لاحد ان يقاتلهم
 فخر عبادي الى الطور ويبعث الله بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمروا بهم على بحيرة
 طبرية فيشربون ما فيها ويرأخهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون
 رأس الثور لاحدهم خيراً من مائة دينار لا حاكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله
 فيهم النخف فيرقاهم فيصيحون فرمى كوت نفس واحدة ثم يبط نبي الله عيسى وأصحابه الى الأرض فلا
 يجدون في الأرض موضع شبر الا ملأه زهمهم وتذهب فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله
 طيراً كاعناق البخت فيحملهم فيمطرهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطراً لا يمكن منه بيت مدر ولا وبر
 فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفه ثم يقال للأرض انبثي ثمرتك ودرى بركتك فيومئذ تأكل العصاة من
 الرمانه ويستظلون بشفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقيح من الابل لتكفي القمام من الناس واللقيح
 من البقر لتكفي القبيح من الناس واللقيح من الغنم لتكفي القمذ من الناس فينبها هو كذلك اذ بعث الله
 ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون
 فيها تهارج الحمر فعلىهم تقوم الساعة أخرجه مسلم (شرح غريب ألقاظ الحديث) * قوله حتى
 ظنناه في طائفة النخل أي ناجية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشيء وقوله نخف فيه ورفع أي
 خفض صوته ورفع من شدة ما نكاه في أمره وقيل انه خفض من أمره فهو يناله ورفع من شدة قتلته
 والخوف من أمره قوله انه شاب قطط أي بعد الشعر وقوله طافقه أي خارجة عن حدها قوله
 انه خارج خلة أي انه يخرج قصداً وطريقاً بين جهنمين والنخل الدخول في الشيء قوله فعات أي أفسد
 قوله أقدر والله قدره أي قدره وأقدر يوم من أيامكم المعهودة وصداق فيه بقدر أوقانه وقوله فتروح عليهم
 سارحتهم أي مواشيهم وقوله فيصيحون عجلين أي مقهطين قد أجذب أرضهم وغلث أسعاهم قوله
 كيعاسيب النحل جمع يعسوب وهو غل النخل ورئيسها قوته فيقطعه جزأين رمية الغرض أي شقبتين
 قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالشاب قوله بين مهرودتين رويت بالذال المهملة وبالهمزة أي شقبتين
 وقيل حلتين وقيل الهرد الصبيخ الاصفر بالورس والزعفران قوله لا يدان لاحد بقتالهم أي لا قدرة ولا
 قوة لاحد بقتالهم والنخف دود يكون في أنوف الابل والغنم فرمى جمع فريس وهو القنيل قوله زهمهم أي

(واقرب الوعد الحق) أي الشبابة وجواب اذا (فأذا هي) وهي اذا المقابلة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقولهم اذا هم يقظون فاذ احاط الفاء معها وتعالى وصل الجزاء بالشرط فينا كد ولوقيل فهي شاحصة أو اذا هي شاحصة كان سديدا وهي ضمير مهم بوضعه الابصار ويفسره (شاحصة ابصار الذين كفروا) أي من تفعلة الاجفان (٢٩١) لانكاد تطرف من هول ما هم فيه (يا ويلنا) متعلق بمحذوف تقديره

يقولون يا ويلنا ويقولون حال من الذين كفروا (قد كنا في غفلة من هذا اليوم) (بل كنا ظالمين) بوضعهنا العباد في غير موضعهما (انكم وما تعبدون من دون الله) يعني الاصنام والبلس وأعوانه لانهم بطاعتهم له واتباعهم خطاؤهم في حكم عبدتهم (حصب) حطب وقري حطب (جهنم) أنتم لها (واردون) فيها داخلون (لو كان هؤلاء آلهة) كما زعمتم (ماوردوها) ما دخلوا النار (وكل) أي العابد والمعبود (فيها) في النار (خالدون) لهم (للكفار) فيها زفير) أنين وبكاء وعويل (وهم فيها لا يسمعون) شيئا مما لا هم صاروا صامون السماع نوع أنس فلم يهطوه (ان الذين سبق لهم منا الحسن) الحصة المفضلة في الحسن تأنيث الاحسن وهي السعادة أو البشري بالتواب أو التوفيق للطاعة نزلت جواب القول ابن الزبير عند تلاوته عليه السلام على صناديد قريش انكم وما تعبدون من دون الله

رجعهم المنقنة قوله كالزلفه أي كالمرآة وجمعها زلف وروي بالقاف وأراد به استواءها ونظافتها قوله تأكل العصاة أي الجماعة قيل يبلغون أربعين وقحف الرمانه في الحديث قشرها والرسيل بكسر الراء اللين واللغة الناقة ذات اللين والفئام الجماعة من الناس والقحذدون القبيلة وقوله يتهارجون أي يختلقون والتهارج الاختلاف وأصله القتل ((الوجه الثاني)) في تفسير قوله تعالى وهم من كل حذب يسلبون قيل جميع الخلاق يخرجون من قبورهم الى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن ننذا كرفقال ما نذكر كرون قالوا نذكر الساعة قال انهم ان تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها وانزول عيسى بن مريم وبأجوج وماجوج وثلاثة خسوف خسوف بالمشرق وخسوف بالمغرب وخسوف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم قوله عز وجل (واقرب الوعد الحق) أي القيامة قال حذيفة لو أن رجلا اقتنى فلوا بعد خروجه بأجوج وماجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة الفلوا المهر (فأذا هي شاحصة ابصار الذين كفروا) قيل معنى الآية ان القيامة اذا قامت ثم خصت ابصار الذين كفروا من شدة الاهوال ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا) يعني في الدنيا حيث كذبنا به وظننا انه غير كائن (بل كنا ظالمين) أي في وضعنا العباد في غير موضعهما قوله عز وجل (انكم) الخطاب للمشركين (وما تعبدون من دون الله) يعني الاصنام (حصب جهنم) أي حطبها وقودها وقيل يرعى بهم في النار كما يرعى بالحصباء أصل الحصب الرعى (أنتم لها واردون) أي فيها داخلون (لو كان هؤلاء) يعني الاصنام (آلهة) أي على الحقيقة (ماوردوها) أي ما دخل الاصنام النار وما بدوها (وكل فيها خالدون) يعني العابدون والمعبودين (لهم فيها زفير) قيل الزفير هو ان يلا الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شدة ما يناله من العذاب (وهم فيها لا يسمعون) قال ابن مسعود في هذه الآية اذا بقي في النار من يخلد فيها جاعلوا في نوايت من نار ثم جعلت تلك التوايت في نوايت تلك التوايت في نوايت آخر عليها ما ميم من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى أحد منهم ان في النار أحد يعذب غيره قوله تعالى (ان الذين سبق لهم منا الحسن) قال العلماء ان هنا معنى الا أي الذين سبق لهم منا الحسن يعني السعادة والسعادة الجيلة بالجنة (أولئك عنها) أي عن النار (مبعدون) قيل الآية عامة في كل من سبق له من الله السعادة وقال أكثر المفسرين عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع وعبادة من بعده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صخفا تعرض له النضر بن الحارث فبكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذه ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فاقبل عبد الله بن الزبير السهمي فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبير أما والله لو وجدته لخصمته فذعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبير أنت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال أليس اليه ود تعبد عزير والنصارى تعبد المسيح وبنو ملج يعبدون الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبق لهم منا الحسن يعني عزير والمسيح والملائكة أولئك عنها مبعدون وأنزل في ابن الزبير ما ضرب به لك الاجد لابل هم قوم خصمون وزعم

الى قوله خالدون أليس اليهود عبدا وعزيرا والنصارى المسيح وبنو ملج الملائكة على ان قوله وما تعبدون لا يتناولهم لان ما لم لا يعقل الا انهم أهل عند فريد في المياني (أولئك) يعني عزير او المسيح والملائكة (عنها) عن جهنم (مبعدون) لانهم لم يرضوا بعبادتهم وقيل المراد بقوله ان الذين سبق لهم منا الحسن جميع المؤمنين لما روي ان عابا رضى الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وقال الجنة درجة الله سبقت لهم منا العناية في البسابة فظهرت لهم

الولاية في النهاية (لا يجمعون حبيسها) صوتها الذي يحس وحركته تلهمها وهذه مبالغته في الإبعاد عنها أي لا يقر بوقوعها حتى لا يسموا صوتها وصوت من فيها (وهم فيما اشبهت أنفسهم) من العجم (خالدون) مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة (لا يحزنهم الفزع الأكبر) النفخة الأخيرة (وتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة مهشين على أبواب الجنة يقولون (هذا يومكم الذي كنتم تقولون) أي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم في الدنيا (العامل في يوم تطوى السماء) لا يحزنهم أو تلتقاهم تطوى السماء برطبها تنكسر برنجومها ومخجور سورها أو هو ضد الشمس نجمها ونطوها (كطى السجل) أي الصحيفة (لا كتب) حجرة وعلى وحفص أي لا مكتوبات أي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وغيرهم للكتاب أي كما يطوى (٢٩٣) الطومار للكتابة أي لما يكتب فيه لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع

جاءه ان المراد من الآية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال انكم وما تعبدون من دون الله لولو اراد به الملائكة والناس لقال انكم ومن تعبدون لان من ان يعقل وملائك لا يعقل (لا يسمعون حبيسها) يعني صوتها وحركتها تلهمها اذا نزلوا منازلهم في الجنة (وهم فيما اشبهت أنفسهم) أي من النعيم والكرامة (خالدون) أي مقيمون ﴿قوله تعالى﴾ (لا يحزنهم الفزع الأكبر) قال ابن عباس يعني النفخة الأخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادي يا اهل النار خلود بالاموت وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد ان يخرج الله منهم ان يريد ان يخرجهم (وتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة من مؤمنهم ويقولون (هذا يومكم الذي كنتم تقولون) أي في الدنيا ﴿قوله عز وجل﴾ (يوم تطوى السماء كطى السجل للكتاب) قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطى الصحيفة على مكتوبها والاطى هو الدرج الذي هو ضد الشمس وقيل السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى تطوى السماء كما يطوى السجل الطومار الذي يكتب فيه والتقدير لا يحزنهم الفزع الأكبر في ذلك اليوم (كابدأنا أول خلق نعيده) أي كابدأناهم في بطون أمهاتهم عرافة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حقا عرافة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده قوله عز لا أي قلنا ﴿وقوله تعالى﴾ (وعدا علينا انا كنا فاعلين) يعني الاعادة والبعث بعد الموت ﴿قوله تعالى﴾ (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذكر هو أم الكتاب الذي عنده ومن ذلك الكتاب تسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكر أي بعد ما كتب في اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذكر الكتاب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القرآن وبعد هنا معنى قبل (ان الارض يرثها عبادي الصالحون) يعني أرض الجنة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ في كتب الانبياء ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس اراد ان أراضى الكفار بفحشهم المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل اراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها (ان في هذا) أي في القرآن (لبلاغا) أي وصولا الى البغية يعني من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل الى ما يرجو من الثواب وقيل البلاغ الكفاية أي فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعود والوعيد والمواظب البالغة فهو زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى (لقوم عابدين) أي مؤمنين لا يعبدون أحدا من دون الله تعالى وقيل هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العالمون العاملون ﴿قوله﴾

على المكتوب وقيل السجل ملك يطوى كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها والاطى مضاف الى الفاعل وعلى الاول الى المفعول (كابدأنا أول خلق نعيده) انتصب الكاف بنفسه مل مضمير يقسمه نعيده وما موصولة أي نعيده مثل الذي بدأناه نعيده وأول خلق ظهر في ابدأنا أي أول ما خلق احوال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وأول الخلق ابتداء أي فبكما أوجده أولا نعيده ثانيا تشبيه الاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السوا والتمسك في خلق مثله في قولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال

ولكنك وحدته ونكرته ارادة نقص سيلهم رجلا رجلا لافسك ذلك معنى أول خلق أول الخلق يعني أول الخلاق لان الخلق مصدر لا يجمع (وعدا) مصدر مؤن كدان قوله نعيده عدة للاعادة (علينا) أي وعدا كما كنا لا محالة (انا كنا فاعلين) ذلك أي محققين هذا الوعد فاستعدوا له وقد مواصالح الاعمال للخالص من هذه الاحوال (ولقد كتبنا في الزبور) كتاب داود عليه السلام (من بعد الذكر) التوراة (ان الارض) أي الشام (يرثها عبادي) ساكنة اليها حرة غير بفتح الياء (الصالحون) أي أمة محمد عليه السلام والزبور يعني المزيور أي المكتوب يعني ما نزل على الانبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعني اللوح لان السكلي أخذوا منه دليله قراءه حرة وخالفه في الزبور والارض أرض الجنة (ان في هذا) أي القرآن أو في هذا هذه السورة من الاخبار والوعود والمواظب (لبلاغا) الكفاية وأصله ما يبلغ به البغية (لقوم عابدين) مؤمنين وهم أمة محمد عليه

السلام (وما أرسلناك الا رحمة) قال عليه السلام اغما أنارجه مهداة (للعالمين) لانه جاء بجباب عدهم ان اتبعوه ومن لم يتبع فاعا أنى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها وقيل هورجة للمؤمنين في الدارين وللكافرين في الدنيا بتأخير العقوبة فيها وقيل هورجة للمؤمنين والكافرين في الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسخ والحسف وورجة مفعول له أو حال أى ذارجة (قل اغما) اغما لفصر الحكم على شئ أو لفصر الشئ على حكم نحو اغما زيد قائم و اغما بقوم زيد وفاعل (يوشى الى) اغما الحكم الواحد) والتقدير يوشى الى وحدانية الهى ويجوز ان يكون المعنى ان الذى يوشى الى فتكون ماموصولة (فهل أنتم مسلمون) استفهام بمعنى الامر أى اسلموا (فان قولوا) عن الاسلام (فقل آذنتكم) اعلمتكم ما أمرت به (على سواء) حال أى مسلمون في الاعلام به ولم (٢٩٣) أخصص بعضكم وفيه دليل بطلان مذهب

الباطنية (وان ادري اقرب أم بعيد ما نفعدون) أى لا ادري متى يكون يوم القيامة لان الله تعالى لم يطلعنى عليه وليكنى اعلم بأنه كائن لا محالة أو لا ادري متى يحل بكم العذاب ان لم تؤمنوا (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) أى انه عالم بكل شئ يعلم ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام وما تكتمونه

في صدوركم من الاحقاد للجهل به وهو محازيكم عليه (وان أدري لعلة فتنه لكم) وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم في الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) وتنتهي لكم الى الموت ليكون ذلك حجة عليكم (قل رب احكم بالحق) اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل أو بما يحق عليهم من العذاب ولا تحاسبهم

وشدد عليهم كما قال واشدد وطأنا على مضر قال رب

عز وجل (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) قيل كان الناس أهل كفر وجاهلية وضلال وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مدتهم وانقطاع قواثرهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وبين الحلال من الحرام قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قيل يعنى المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن فن آمن فهو رحمة له في الدنيا والاخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ والحسف والاستئصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغما أنارجه مهداة (قل اغما يوشى الى) اغما الحكم الواحد فهل أنتم مسلمون (أى منقادون لما يوشى الى من اخلاص الالهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الامر أى اسلموا (فان قولوا) أى أعرضوا ولم يسلموا (فقل آذنتكم) أى أعلمتكم بالحرب وأن لا صلح بيننا (على سواء) أى انذارا بينا نستوى في علمه لا استبدادنا به دونكم انتأهوا بالمبارادكم والمعنى آذنتكم على وجه نستوى نحن وأنتم في العلم به وقيل معناه نستوى وافي الايمان به وأعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره (وان أدري) أى وما أعلم (أقرب أم بعيد ما نفعدون) يعنى يوم القيامة لا يعلمه الا الله (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) أى لا يغيب عن علمه شئ منكم في علانيتكم ومسرركم (وان أدري لعلة فتنه لكم) أى لعل تأخير العذاب عنكم اخبار لكم ليرى كيف صيبتكم وهو أعلم بكم (ومتاع الى حين) أى فتنة من الى انقضاء آجالكم (قل رب احكم) أى افضل بينى وبين من كذبى (بالحق) أى بالعذاب كانه استجمل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقبل معناه افضل بينى وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو ان تنصرى عليهم والله يحكم بالحق طلب اولم يطلب ومعنى الطالب ظهور الرغبة من الطالب (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) أى من الشرك والكفر والكذب والباطيل كانه سبحانه وتعالى قال قل داعي الى رب احكم بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون والله أعلم بمراده وأمر اركابه

تفسير سورة الحج

وهي مكية غيرست آيات من قوله عز وجل هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية وألف ومائتان واحدى وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أى احذروا عقابه واعملوا بطاعته (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة ووصفها بالعظيم ولا شئ أعظم مما عظمه الله تعالى قيل هي

حفة ص على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لم رب احكم زيدى احكم زيد عن يعقوب (وربنا الرحمن) العاطف على خلقه (المستعان) المطلوب منه المعونة (على ما تصفون) وعن ابن ذكوان بالياء كانوا يصصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان تكون الشوكة لهم والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ونخذلهم أى الكفار وهو المستعان على ما تصفون سورة الحج مكية وهي ثمان وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أمر بنى آدم بالتقوى ثم عدل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهل صفه بقوله (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) لينظروا الحجة

تلك الصفة ببصائرهم ويصوروها بعقولهم حتى ينفوا على أنفسهم ويرجوها من شدة ذلك اليوم بامتنال ما أمرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذي يؤمنهم من تلك الأفراع والزلزلة شدة التحريك والازطاج وإضافة الزلزلة إلى الساعة إضافة المصدر إلى فاعله كأنها هي التي تنزل الأرض على الجبال المحكى أو إلى الطرف لأنها تكون فيها كقوله بل مكر الليل والنهار ووقتها يكون يوم القيامة أو عند طلوع الشمس من مغربها ولا حجة فيها اللهم عزلة في تسمية المعدوم شيئاً فإن هذا اسم لها حال وجودها وانتصب (يوم ترونها) أي الزلزلة أو الساعة بقوله (نذهل) تغفل والذهول الغفلة (كل مرضعة عما أرضعت) عن أرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل وقيل مرضعة

من أشراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فستكون معها (يوم ترونها) أي الساعة وقيل الزلزلة (نذهل) قال ابن عباس تغفل وقيل تنسى (كل مرضعة عما أرضعت) أي كل امرأة ما ولدته (تضع كل ذات حمل حملها) أي تضع من حول ذلك اليوم كل حامل حملها قال الحسن نذهل المرضعة عن ولدها الغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها الغير فطام فعلى هذا القول تكون الزلزلة في الدنيا الآن بعد البعث لا يكون حبل ومن قال تكون الزلزلة في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الأمور وهو لا على حقيقته كما تقول أصابنا أمر بشيب فيه الوليد تريد به شدة (وترى الناس سكارى) على التشبيه (وما هم بسكارى) على التحقيق ولكن ما رفقهم من خوف عذاب الله الذي أذهب عقولهم وأزال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب (ولكن عذاب الله شديد) (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زادني رواية والخبر في يدين فينادي بصوت أن الله تعالى بأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال رب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زادني رواية قالوا يا رسول الله أين ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بأجوج وأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم أنتم في الناس كالشجرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشجرة البيضاء في جنب الثور الأسود وفي رواية كالرقعة في ذراع الحمار وإنى لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطراهل الجنة فكبرنا لفظ البخاري وفي حديث عمران بن حصين وغيره أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلافذاذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحنوا المظن حتى كافوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم فلم يقرأ أكثر من ثمانين آية فلما أصبحوا لم يحطوا بالسروج عن الدواب ولم يضربوا الخيول ولم يطبخوا والناس من بين باله وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك اليوم يقول الله لا آدم قم فابعث من ذريتك بعث النار وكفى حديث أبي سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من أمي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون ألفاً قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفاً قوله عز وجل (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في النضر بن الحارث كان كشير الجدل وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين وكان يشكر الله بعباده من صارت رباباً (ويتبع) أي في جسد الله في الله بغير علم (كل شيطان مرید) أي المقرد المستمر في الشروق فيه وجهان أحدهما أنهم شياطين الانس وهم رؤساء الكفار الذين يدعون من دونهم إلى الكفر والثاني أنه إبليس وجنوده (كتب عليه) أي قضى على الشيطان (أنه من نوله) أي

ليسدل على أن ذلك الهول إذا حدث وقد القمت الرضيع ثديها زعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة إذا المرضعة هي التي في حال الارضاع ملقحة بدمها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تبشر الارضاع في حال وصفها به (وتضع كل ذات حمل) أي حبلها (ولدها) قبل تمامه عن الحسن نذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها الغير فطام (وترى الناس) أي الناظرين (سكارى) على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وساطنة الجبروت وسمراد الكبرياء حتى قال كل نبي نفسى نفسى (وما هم بسكارى) على التحقيق (ولكن عذاب الله شديد) نخوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطبع تمييزهم وردهم في غي وحال من

يذهب السكر بعقله وتبينه وعن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب أتبعه سكرى فيمساها بالماله حجرة وعلى وهو كعطشى في عطشان روى أنه نزلت الآيتان ليلافيا غزوة بني المصطلق فقرأهما النبي عليه السلام فلم يقرأ أكثر من ثمانين آية فلما أصبحوا لم يحطوا بالسروج عن الدواب ولم يضربوا الخيول ولم يطبخوا والناس من بين باله وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك اليوم يقول الله لا آدم قم فابعث من ذريتك بعث النار وكفى حديث أبي سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من أمي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون ألفاً قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفاً قوله عز وجل (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في النضر بن الحارث وكان جديلاً يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين والله غير قادر على إحياء من بلى أو هي عامة في كل من يخاف في الدين باللهوى (ويتبع) في ذلك (كل شيطان مرید) عات مستمر في الشر ولا وقف على مرید لان ما بعده صفته (كتب عليه) قضى على الشيطان (أنه من نوله) والشأن وهو فاعل كتب (من نوله) تبعه أي تبع الشيطان

(قائه) فان الشيطان (يضله) عن سواء السبيل (ويجديه الى عذاب السعير) النار قال الزجاج الفاء في فانه للعطف وان مكررة لثبات كيد
ورد عليه أبو علي وقال ان من ان كان للشرط فالقاء دخل لجزاء الشرط وان كان بمعنى الذي فالقاء دخل على خبر المبتدأ والتقدير فالامر
انه يضله قال والمعطف والتأكيدي يكون بعد تمام الاول والمعنى كتب على الشيطان اضلال من قوله وهدايته الى النار ثم ألزم الجعة على
منكرى البعث فقال (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث) يعني ان اربتم في البعث فربل ربكم ان تنظروا في ما خلقكم وقد كنتم
في الابتداء ترابا وماء وليس سبب انكاركم البعث الا هذا وهو ضرورة الخلق (٣٩٥) ترابا وماء (فانا خلقناكم) أي اباكم (من تراب ثم)

خلقتم (من نطفة ثم من
علقة) أي قطعة دم جامدة
(ثم من مضغة) أي لجة
صغيرة قدر ما يعضغ (مخلقة
وغير مخلقة) المخلقة
المسواة للمسا من النقصان
والعيب كان الله عز وجل
يخلق المضع متفاوتة منها
ما هو كامل المخلقة أملت
من العيوب ومنها ما هو على
عكس ذلك فينبع ذلك
التفاوت تفاوت الناس في
خلقهم وصورهم وطولهم
وقصرهم ونعماتهم ونقصانهم
وانما خلقناكم من حال الى
حال ومن خلقه الى خلقه
(لنبين لكم) بهذا التدريج
كأن قدرتنا وحكمتنا وان
من قدر على خلق البشر من
تراب أولا ثم نطفة ثانيا واما
مناسبة بين التراب والماء
وقدر أن يجعل النطفة
علقة والعاقبة مضغة
والمضغة عظاما قدر على
اعادة ما بدأه (ونقر) بالرفع
عند غير المفضل مستأنف
بعد وقف أي نحن ثبت
(في الارحام ما نشاء) ثبوته

انبعه (قائه) يعني الشيطان (يضله) أي يضل من قوله عن طريق الجنة (ويجديه الى عذاب
السعير) وفي الآية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه انه من يقبل منه فهو في ضلال ثم ألزم الجعة
منكرى البعث فقال (يا أيها الناس ان كنتم في ريب) أي شك (من البعث) أي بعد الموت (فانا خلقناكم
من تراب) يعني آباكم آدم الذي هو اصل النسل (ثم من نطفة) يعني ذريته من المني واصلها
الماء القليل (ثم من علقه) أي من دم جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير دماغ غليظا (ثم من مضغة)
وهي لجة قليلة قدر ما يعضغ (مخلقة وغير مخلقة) قال ابن عباس أي تامة الخلق وغير تامة الخلق وقبل
مصورة وغير مصورة وهو السقط وقبل المخلقة الولد الذي تأتي به المرأة لوقته وغير المخلقة السقط فكانه
سبحانه وتعالى قسم المضغة الى قسمين أحدهما تام الصورة والحواس والتخطيط والقسم الثاني هو الناقص
عن هذه الاحوال كلها وروى عن علقمة عن ابن مسعود موقفا عليه قال ان النطفة اذا استقرت في
الرحم أخذها ملك بكفة وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة قد دفن في الرحم وما لم تكن
تامة وان قال مخلقة قال الملك أي رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق بأي أرض
يعتق فيقال له اذهب الى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا يزال
معه حتى يأتي على آخر صفته والذي أخرجه في العيصين عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم
يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي
لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل
يعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وقوله تعالى (انبين لكم) أي كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف
خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين لكم ما تأتون وما تذكرون وما
تحتاجون اليه في العبادة وقيل لنبين لكم أن تغير المضغة الى الخلق هو اختيار القائل المختار فان القادر
على هذه الاشياء كيف يكون عاجزا عن الاعادة (ونقر في الارحام ما نشاء) أي لا تسقطه ولا عجزه (الى
أجل مسمى) أي وقت خروجه من الرحم تام الخلق (ثم نخرجكم) أي وقت الولادة من بطون أمهاتكم
(طفلا) أي صفارا وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) أي كمال القوة
والعقل والتميز (ومنكم من يتوفى) أي قبل بلوغ الكبر (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أي الهرم
والخرق (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي يبلغ من السن ما يتغير به عقله فلا يعقل شيئا فيصير كما كان في أول
طفولته ضعيف البنية مخيف العقل قليل الفهم ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال تعالى (ورأى
الارض هامدة) أي يابسة لانبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) يعني المطر (اهتزت) أي تحركت بالنبات

(الى أجل مسمى) أي وقت الولادة وما لم نشأ ثبوته أسقطته الارحام (ثم نخرجكم) من الرحم (طفلا) حال وأريد به الجنس فلذا لم يجمع أو
أريد به ثم نخرج كل واحد منكم طفلا (ثم لتبلغوا) ثم نريكم لتبلغوا (أشدكم) كمال عقلكم وقوتكم وهو من أفاضل الجوع التي لا يستعمل
لها واحد (ومنكم من يتوفى) عند بلوغ الأشد أو قبله أو بعده (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أعنه يعني الهرم والخرق (لكيلا يعلم
من بعد علم شيئا) أي لكيلا يعلم شيئا من بعد ما كان يعلمه أول كيلا يستفيد علما وينسى ما كان عالمه به ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال
(ورأى الارض هامدة) ميتة يابسة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات

(وربت) وانتفعت وربأت حيث كان يزيد ارتفعت (وانبتت من كل زوج) صنف (مخرج) حسن سائر الناظرين اليه (ذلك) مبتدأ خبره (بان الله هو الحق) أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم حاصل هذا هو ان الله هو الحق أي الثابت الوجود (وانه يحيي الموتى) كما أحيا الارض (وانه على كل شيء قدير) قادر (وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور) أي انه حكيم لا يخلف الميعاد وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد (ومن الناس من يجادل في الله في صفاته فيصنفه بغير ما هو له نزات في أبي جهل (بغير علم) ضروري (ولا هدى) أي استدل لانه يهدي الى المعرفة (ولا كتاب منير) أي وحى والعلم للانسان من أحد هذه الوجوه (٢٩٦) الثلاثة (ثاني عطفه) حال أي لا ويا عطفه عن طاعة الله كبروا وخيلاء وعن

(وربت) أي ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات (وانبتت) هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت وأضيف الى الارض توسعا (من كل زوج مخرج) أي من كل صنف حسن نصير والبهيم هو المبهج وهو الشيء المشرق الجليل ثم ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهم ما هو المطلوب فقال تعالى (ذلك) أي ذكرنا ذلك لتعلموا (بان الله هو الحق) وان هذه الاشياء دالة على وجود الصانع (وانه يحيي الموتى) أي انه اذا لم يستبعد منه إيجاد هذه الاشياء فكيف يستبعد منه إعادة الاموات (وانه على كل شيء قدير) أي من كان كذلك كان قادرا على جميع الممكنات (وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور) أي ما ذكرنا من الدلائل لتعلموا ان الساعة كائنه لاشك فيها وانها حق وان البعث بعد الموت حق قوله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) يعني النضر بن الحرث (ولا هدى) أي ليس معه من الله بيان ولا رشاد (ولا كتاب منير) أي ولا كتاب من الله له نور (ثاني عطفه) أي لا وى جنبه وعطفه متبغضا لتكبره عرضا عما يدعى اليه من الحق تكبرا (ليضل عن سبيل الله) أي عن دين الله (له في الدنيا خزي) أي عذاب وهو ان قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن أبي معيط (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحرير ذلك) أي يقال له ذلك (بما قدمت يدك) وأن الله ليس بظالم للعبيد (أي فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على أي وجه أراد يصرف في عبده حكمه عدل وهو غير ظالم) قوله عز وجل (ومن الناس من بعد الله على حرف) الآية تنزلت في قوم من الاعراب كانوا يفسدوا المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم اذا قدم المدينة فصيحها جسه وتجت بها فرسه مهر او ولدت امرأته غلاما أو كثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصابت فيه خيرا وطمأن له وان أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين الا شرا فبقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فأنزل الله تعالى (ومن الناس من بعد الله على حرف أي على شئ وأصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي غير مستقر فقبل للشاك في الدين انه بعد الله على حرف لانه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق بعد الله باسائه دون قلبه (فان أصابه خير) أي صحة في جسده وسعة في معيشته (اطمأن به) أي رضى به وسكن اليه (وان أصابته فتنة) أي بلاء في جسده وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) أي ارتد ورجع الى الكفر الذي يكون على طرف من العسكر فان أحسن نظره وغنمه قروا طمأن والافر وطار على وجهه قالوا انزلت في أعراب قريش قدموا المدينة مهاجرين وكان أحدهم اذا صبح بدنه وتجت فرسه مهر او ولدت امرأته غلاما سويا أو كثر ماله وما شئت قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت الا شرا وانقلب عن دينه (خسر الدنيا والاخرة) حال وقد مقدرة دليله قراءة فروح وزيد خسر الدنيا والاخرة والخسران في الدنيا بالقتل فيما رافى الاخرة بالخلافة في النار (ذلك) أي خسران الدارين (هو الخسران المبين) الظاهر الذي لا يخفى على أحد

الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي مانع عطفه الى غيره (ليضل) تعليل للمعادلة ليضل مكى وأبو عمرو (عن سبيل الله) دينه (له في الدنيا خزي) أي القتل يوم بدر (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحرير) أي جميع له عذاب الدارين (ذلك) بما قدمت يدك أي السبب في عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكفى عنها بالبدل لان البدل آفة الكسب (وان الله ليس بظالم للعبيد) فلا يأخذ أحدا بغير ذنب ولا يذنب غيره وهو عطف على بما أي رب بأن الله وذكرا الظلام بافظ المبالغة لاقتراحه بلفظ الجمع وهو والعبيد ولان قابيل الظلم منه مع علمه ببقية واستغناؤه كالكثير منا (ومن الناس من بعد الله على حرف) أي طرف من الدين لاني وسطه وقلبه

وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة وهو حال أي مضطربا (فان أصابه خير) صحة في جسده وسعة في معيشته (اطمأن به) سكن واستقر (به) بالخير الذي أصابه أو بالدين فعبد الله (وان أصابته فتنة) شروا بلاء في جسده وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) جهته أي ارتد ورجع الى الكفر كالذي يكون على طرف من العسكر فان أحسن نظره وغنمه قروا طمأن والافر وطار على وجهه قالوا انزلت في أعراب قريش قدموا المدينة مهاجرين وكان أحدهم اذا صبح بدنه وتجت فرسه مهر او ولدت امرأته غلاما سويا أو كثر ماله وما شئت قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت الا شرا وانقلب عن دينه (خسر الدنيا والاخرة) حال وقد مقدرة دليله قراءة فروح وزيد خسر الدنيا والاخرة والخسران في الدنيا بالقتل فيما رافى الاخرة بالخلافة في النار (ذلك) أي خسران الدارين (هو الخسران المبين) الظاهر الذي لا يخفى على أحد

(يدعون من دون الله) يعني الصنم فإنه بعد الرد يفعل كذلك (مالا يضمره) ان لم يعبد (ومالا ينفعه) ان عبده (ذلك هو الضلال البعيد) عن الصواب (يدعون لمن ضمه أقرب من نفعه) والاشكال انه تعالى في الضم والنفع عن الاصنام قبل هذه الآية وأثبت الماهذ والجواب ان المعنى اذا فهم ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى - فنه الكافر بان يعبد جادا لا يعلى ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه انه ينفعه ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعا وصرأخ حين يرى استضراره بالاصنام ولا يرى لها اثر الشفاعة (٢٩٧) لمن ضمه أقرب من نفعه (لبئس المولى) أى الناصر صاحب (ولبئس

العشير) المصاحب وكرر يدعو وكأنه قال يدعو يدعون من دون الله مالا يضمره ومالا ينفعه ثم قال لمن ضمه بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا (ان الله يدخل الذين آمنوا وحملا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ان الله يفعل ما يريد) هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لا لمن عبد الله على حرق (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) المعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن ظن من أعاديه غير ذلك (فليمدد بسبب) بحبل (الى السماء) الى سماء بيته (ثم ليقطع) ثم ليحسب به وسمى الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ويكسر اللام بصري وشامى (فليظن هل يذهبن كيداه ما يغبط) أى الذى يغبطه أو ما صدر به أى غيظه والمعنى فليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب

أى الظاهر (يدعون من دون الله مالا يضمره) ان عصاه ولم يعبد (ومالا ينفعه) أى ان أطاعه وعبد (ذلك هو الضلال البعيد) أى عن الحق والرشد (يدعون لمن ضمه أقرب من نفعه) فان قلت قد قال الله تعالى في الآية الاولى يدعون من دون الله مالا يضمره ومالا ينفعه وقال في هذه الآية يدعون لمن ضمه أقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال في الآية الاولى مالا يضمره أى لا يضمره ترك عبادته وقوله لمن ضمه أى ضم عبادته وقيل انها لا تضمر ولا تنفع بأنفسها ولكن عبادتها سبب الضم وذلك يكفى في اضافة الضم اليها وقيل ان الله تعالى سببه الكافر حيث عبد جادا لا يضمر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله انه ينتفع به حين يستنفع وقيل الآية في الرؤساء وهم الذين كانوا يقرعون اليهم لانه يصح منهم ان يضمر او ينفعوا ووجه هذا القول ان الله تعالى بين في الآية الاولى ان الاوثان لا تضمر ولا تنفع وهذه الآية تقتضى كون المذكور فيها ضارا نافعا فلولا كان المذكور في هذه الاوثنان لزم التناقض فثبت انهم الرؤساء بدليل قوله (لبئس المولى ولبئس العشير) أى الناصر والمصاحب المعاصر قوله عز وجل (ان الله يدخل الذين آمنوا وحملا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ان الله يفعل ما يريد) أى بأولياءه واهل طاعته من الكرامة واهل معصيته من الهوان قوله تعالى (من كان يظن ان لن ينصره الله) يعنى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (في الدنيا) أى باعلاء كلمته واظهار دينه (والآخرة) أى وفى الآخرة باعلاء درجته والانتقام من كذبه (فليمدد بسبب) أى بحبل (الى السماء) أى سقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليسدد حبله في سقف بيته فليختنق به حتى يموت (ثم ليقطع) أى الحبل بعد الاختناق وقبل ليد الحبل حتى ينقطع فيموت محنقا (فليظن هل يذهبن كيداه) أى صغيته وحياته (ما يغبط) أى فليختنق غيظا وليس هذا على سبيل الحتم لانه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسماء المعروفة والمعنى من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه ويكيد في امره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فان أصله في السماء فليطلب سبيبا يصل به الى السماء ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذى يأتيه فليظن هل تنبأه الوصول الى السماء بجيلة وهو يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل فاذا كان ذلك محتملا كان غيظه عديم الفائدة وفي الآية زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه روى ان الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان بينهم وبين اليهود فمخالفة فقالوا لا يمكننا ان نسلم لاننا نخاف ان لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فنقطع المحالفة بيننا وبين اليهود فلا يعمروننا ولا يؤمنوا وقيل انهم معناه الرزق ومعنى الآية من كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة فليباغ غايه الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يجده مرزوقا تقول العرب من ينصر في نصره الله أى من يعطى أعطاه الله (وكذلك أنزلناه) يعنى القرآن (آيات بينات وان الله يهدي من يريد) أى ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم مؤمنون أو ثبت الذين آمنوا ويهديهم هدى أنزله كذلك مبينا (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) يعنى عبدة الاوثان قيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمس للشیطان وهو ما عدا الاسلام (ان الله يفصل بينهم) أى يحكم بينهم (يوم القيامة) وقبل يفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء

(٣٨ - خازن ثالث) نصر الله الذى يغبطه وسمى فعله كيدا على سبيل الاستهزاء لانه لم يكذب بحسوده انما كاذبه نفسه والمراد ليس في يده الاما ليس يذهب لما يغبط (وكذلك أنزلناه) ومثله ذلك الانزال أنزل القرآن كله (آيات بينات) واخغات (وان الله يهدي من يريد) أى ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم مؤمنون أو ثبت الذين آمنوا ويهديهم هدى أنزله كذلك مبينا (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) قيل الاديان خمسة أربعة للشیطان وواحد للرحمن والصائبون نوع من النصارى فلا تكون ستة (ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) في الاحوال والاماكن فلا يجازيهم جزاء واحد ولا يجدهم في موطن واحد

وخبّرنا الذين آمنوا ان الله يفصل (٢٩٨) بينهم كما تقول ان زيد ان اباة قائم (ان الله على كل شيء شهيد) عالم به حافظ له فيستظر كل امرئ

واحد بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد (ان الله على كل شيء شهيد) اي انه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجري في ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام على معنى هذه الآية في تفسير سورة البقرة ﴿قوله عز وجل﴾ (المر) أي ألم تعلم وقيل ألم تر بقلبك أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قيل يسجد هذه الاشياء تحوّل ظلالها وقيل ما في السماء من نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مظهره وقيل معنى يسجد لها الطاعة فانه ما من جاد الا وهو مطيع لله تعالى خاشع ومسبح له كما وصفهم بالخشية والتسبيح وهذا مذهب أهل السنة وهو ان هذه الاحسام لما كانت قابلة لجميع الاعراض التي خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة أشبهت بطاوعتها افعال المكلف وهو السجود الذي كل خضوع ودونه فان كانت هذا التأويل يبطله قوله (وكثير من الناس) فان السجود بالمعنى الذي ذكره في الناس كلهم فاستناده الى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فائدة قلت المعنى الذي ذكرته وان كان عاما في حق الكل الا ان بعضهم عرّفوا تكبر وترك السجود في الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته لكنه متمرد بظاهره وأما المؤمن فانه ساجد بذاته و بظاهره أيضا فلاجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر وقيل معنى الآية والله يسجد من في السموات ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة فان قلت قوله من في السموات ومن في الارض لفظ عموم فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس قلت لو اقتصر على ما تقدم لا وهم ان كل الناس يسجدون فيمن ان كثيرا من الناس يسجدون طوعا وعادون بعض وهم الذين قال فيهم (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكفار اى حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم وامتناعهم من السجود تسجد ظلالهم لله عز وجل (ومن بين الله فآله من مكرم) اى من بذله الله فلا يكرمه أحد (ان الله يفعل ما يشاء) اى يكرم الله بالسعادة من يشاء ويهين بالشقاوة من يشاء وقيل هو الذي يصح منه الاكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب

فصل في هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوتها أو سماع تلاوتها ﴿قوله عز وجل﴾ (هذان خصمان اختصموا في ربهم) اى جادوا في دينه وأمره واختلفا في هذين الخصمين فروى عن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر حجة وعلى وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة أخرجهما في الصحيين (خ) عن علي بن ابي طالب قال أنا أول من يجتوئ الخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة قال قيس بن عبيدة فيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر على وحزة وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة قال محمد بن اسحق خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فثمة من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحرث وأمهم ماعقرا وعبيدة الله بن رباحة فقالوا من أنتم قالوا رهط من الانصار فقالوا حين انتسبوا اكفاه كرام ثم نادى مناد يهيم يا محمد اخرج الينا اكفاه نامن قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث يا حزة ابن عبيدة المطلب وياعلي بن ابي طالب فلما دفنوا منهم قالوا من أنتم فذكروا أنفسهم قالوا نعم اكفاه كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة وبارز حزة وشيبة وبارز علي الوليد بن عتبة فاما حزة فلم يهل ان قتل شيبة وعلى الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما حتى تآلها ما أثبت صاحبها فمكر حزة وعلى باسها فهاهما على عتبة فذقفا عليه واحتل عبيدة الى أصحابه وقد قطع رجله ونحها بسيل فلما اتوا به الى

معتقه وقوله وفعله وهو أبلغ وعبد (المر) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان (أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قيل ان السجود يسجد له وليكن لا تنفق عليه كالأنتف على تسبيحها قال الله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا نفقهون تسبيحهم وقيل سمي مطاوعة غير المكلف له فيما يحدث فيه من أفعاله وتسخير له يسجد له تشبيها لمطاوعته بسجود المكلف الذي كل خضوع ودونه (وكثير من الناس) اى ويسجد له كثير من الناس يسجد طاعة وعبادة أو هو مرفوع على الاستدعاء ومن الناس صفة له والخبر محذوف وهو مثاب ويدل عليه قوله (وكثير حق عليه العذاب) اى وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وآبائه السجود (ومن بين الله) بالشقاوة (فآله من مكرم) بالسعادة (ان الله يفعل ما يشاء) من الاكرام والاهانة وغير ذلك وظاهر هذه الآية والتي قبلها ينقض على المعتزلة قواهم لانهم يقولون شاء أشياء ولم يفعل وهو يقول يفعل

ما يشاء (هذان خصمان) اى فريقان مختصمان فالخصم صفة وصف بها الفريق وقوله (اختصموا) للمعنى وهذان للفظ والمراد المؤمنون والكافرون وقال ابن عباس رضي الله عنهما يرجع الى أهل الاديان المذكورة والمؤمنون خصم وسائر خمسة خصم (في ربهم)

في دبره وصفاته ثم بين جزاء كل خصم بقوله (فأولئك هم المفلحون) وهو فصل الخصومة المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم ثياب من نار) كان الله يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة واختير لفظ الملبوسة لانه كان لا محالة فهو كالثياب المتحققة (يصب من فوق رؤوسهم) بكسر الهاء والميم بصرى وبضمهما (٢٩٩) جزؤ على وخلف وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم (الحميم) الماء الحار

عن ابن عباس رضي الله
عنه ما لو سقطت منه نقطة
على جبال الدنيا لاذت بها
(يصهر) يذاب (به) بالحميم
(مافى بطونهم والجلود)
أي يذيب امعاهم
واحشاهم كما يذيب
جلودهم فيؤثر في الظاهر
والباطن (ولهم مقامع)
سيئات مختصة بهم (من
حديد) يضربون بها (كلما
أرادوا أن يخرجوا منها)
من النار (من غم) بدل
الاشتغال من منها باعادة
الجار أو الاولى لا بتدء
الغاية والثانية بمعنى من
أجل بمعنى كلما أرادوا
الخروج من النار من أجل
غمهم لم يخرجوا (أعيدوا
فيها) بالمقامع ومعنى
الخروج عند الخس ان
النار تضربهم بلهبها
فتلقيهم الى أعلاها فيريدون
بالمقامع فهو وافيه بأسبعين
خريفا والمراد اعادتهم الى
معظم النار لانهم ينفصلون
عنها بالكيفية ثم يعودون
اليها (وذوقوا) أي وقيل
لهم ذوقوا (عذاب
الحريق) هو الغليظ من
النار المنتشر العظيم
الاهـ لـ لا ثم ذكر جزاء

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال ألت شهيدا يا رسول الله قال بلى فقال عبيدة لو كان أبو طالب حيا
للم أنا أحق بما قال منه حيث يقول
ونسلمه حتى نصير حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وقال ابن عباس زلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا
ونبيننا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم وبما أنزل الله من
كتاب وأنتم تعرفون نبينا وكنا نكفرتم حسدا فلهذا خصوهم في رجمهم وقيل هم المؤمنون والكافرون
من أي ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصم من الجنة والنار (ق) عن أبي هريرة قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة
فما لي لا يدخلني الاضعفاء الناس وسقطهم زاد في رواية وعزاهم فقال الله عز وجل للجنة أنت رحتي
أرحمك من أشاء من عبادي وقال للنار انما أنت عذابي اعذبك بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة
منكما ملؤها النار فلا تغتلي حتى يضع الله يداك وتعالى رجله فتقول قط فها لك تغتلي ويرى بعضها
الى بعض ولا يظلم ربك من خلقه أحد أو أمان الجنة فان الله تعالى يشئ لها خلقا وللجاري اختصت الجنة
والنار وهذا القول ضعيف والاقوال الاولى أولى بالصحة لان كلامه على ظاهره أولى وقوله هذان
كلا إشارة الى سبب تقدم ذكره وهما أهل الاديان السنية وأيضا فانه ذكر صنفين أهل طاعته وأهل
معصيته وذكر ما لخصه من فقال تعالى (فأولئك هم المفلحون) (فأولئك هم المفلحون) قال سعيد بن جبير
ثياب من نحاس مذاب وليس من الآتية شيء اذا حى أشد حرمانه وسمى باسم الثياب لانها تحيط بهم
كحاطة الثياب وقيل لى يابس أهل النار مقطعات من نار (يصب من فوق رؤوسهم الحميم) أي الماء الحار
الذي انتهت حرارته (يصهره) أي يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم (مافى بطونهم) من الشحوم
والاحشاء (والجلود) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤوسهم
فينفذ حتى يخلص الى جوف أحدكم فيسلب مافى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان
أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح (ولهم مقامع من حديد) أي سيئات من حديد وهي
الجزر من الحديد وفي الخبر لو وقع مقمع من حديد في الارض ثم اجتمع عليه النمل لان ما أدلوه من الارض
(كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) أي كلما حاولوا الخروج من النار لم يلحقهم من الغم والكرب الذي
يأخذ بآفاسهم (أعيدوا فيها) أي ردوا اليها بالمقامع قيل ان جهنم تحبشهم فتلقيهم الى أعلاها فيريدون
الخروج منها فاضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهرون فيها سبعين خريفا (وذوقوا عذاب الحريق) أي
تقول لهم الملائكة ذلك والحريق بمعنى المحرق فهذا وصف حال أحد الخصمين وهم الكفار وقال تعالى في
وصف الخصم الآخر وهم المؤمنون (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار يحولون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) وهو الابريسم الذي حرم لبسه على
الرجال في الدنيا عن معاوية هو جديم زين حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء
وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (ق) عن أبي
موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنات من فضة آياتهم ما وفيها ما وجنتان من ذهب آياتهما
وما فيها وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن عن أبي سعيد

الخصم الآخر فقال (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحولون فيها من أساور) جمع اسورة جمع
سوار (من ذهب ولؤلؤا) بالنصب مدنى وعاصم على ويؤفون لؤلؤا ولباسهم غيرهم عطف على من ذهب وبذلك الله - مرة الاولى في كل القرآن
أبو بكر وحاد (ولباسهم فيها حرير) ابرسم

أو هداهم الله في الآخرة
 والهمهم ان يقولوا الحمد لله
 الذي هدانا لهذا وهذا هم
 الى طريق الجنة والخير
 الله المجدود بكل لسان
 (ان الذين كفروا
 ويصدون عن سبيل الله)
 أى يمنعون عن الدخول
 في الاسلام ويصدون حال
 من فاعل كفروا أى وهم
 يصدون أى الصدود منهم
 مستمر دائم كما قال فلان
 يحسن الى الفقراء فانه يراد
 به استمرار وجود الاحسان
 منه في الحال والاستقبال
 (والمسجد الحرام) أى
 ويصدون عن المسجد
 الحرام والدخول فيه (الذى
 جعلناه للناس) مطلقا من
 غير فرق بين حاضر وباد فان
 أراد بالمسجد الحرام مكة
 ففيه دليل على انه لا تباع
 دور مكة وان أراد به البيت
 فالعنى انه قبلة لجميع الناس
 (سواء) بالنصب حقت
 مفعول ثان لجعلناه أى
 جعلناه مستويا (العاكف
 فيه والباد) وغير المقيم
 بالباء مكى وافقه أبو عمرو
 في الوصل وغيره بالرفع على
 انه خبر والمبتدأ مؤخر أى
 العاكف فيه والباد سواء
 والجملة مفعول ثان للناس
 حال (ومن يرد فيه) في
 المسجد الحرام (بالحاد بظلم)
 لان مترادفان ومفعول

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التيجان اذنى لواءة منها تنضى معاين المشرق والمغرب
أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس
الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة قوله تعالى (وهذوا) من الهداية أى ارشدوا (الى الطيب من
القول) قال ابن عباس هو شهادة أن لا اله الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله
وقيل الى القرآن وقيل هو قول أهل الجنة الحمد لله الذى صدقنا وعده (وهذوا الى صراط الحميد) أى الى
دين الله وهو الاسلام والحمد لله والله المحمود فى أفعاله قوله عز وجل (ان الذين كفروا) أى بما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم (ويصدون عن سبيل الله) أى بالمنع من الهجرة والجهاد والاسلام (والمسجد
الحرام) أى ويصدون عن المسجد الحرام (الذى جعلناه للناس) أى قبله أصلاً لهم ومنسكاً ومتعبداً
(سواء أعلوا كف) أى المقيم (فيه) قال بعضهم ويدخل فيه الغريب اذا جاور وأقام به وزم التعبد فيه
(والبادى) أى المطايرى المنتاب اليه من غيره واختلفوا فى معنى الآية فقيل سواء أعلوا كف فيه والبادى
فى عظيم حرمة وقضاء النسب به واليه ذهب مجاهد والحسن وجاعة قالوا والمراد منه نفس المسجد الحرام
ومعنى التسوية هو التسوية فى تعظيم الكعبة وفى فضل الصلاة فيه والطواف به وعن جبير بن مطعم ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال يابى عبد مناف لا تمذوا أحد طاف به ذا البيت وصلى أية ساعة شاء من
ليل نومه أخرجه الترمذى وأبو داود والنسائى وقيل المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية ان المقيم
والبادى سواء فى النزول به ليس أحدهما أحق بالمأزلة من الآخر غير انه لا يرجع أحد أحدا اذا كان قد سبق
الى منزل وقول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هو ما سواه فى البيوت والمنازل قال عبد
الرحمن بن سابط كان الحجاج اذا قدم وما أمكه لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزلة منهم وكان عمر بن
الخطاب ينهى الناس ان يعلقوا أبوابهم فى الموسم فعنى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وأجارتهما قالوا
ان أرض مكة لا تملك لانها لو ملكت لم يستولوا على البادى فلما استولوا ثبت ان سبيلهما سبيل
المساجد واليه ذهب أبو حنيفة قالوا والمراد بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الاول الاقرب الى
الصواب انه يجوز بيع دور مكة وأجارتهما وهو قول طاووس وعمر بن دينار واليه ذهب الشافعى احتج
الشافعى فى ذلك بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق أضاف الديار الى مالكها وقال النبي صلى الله
عليه وسلم يوم فتح مكة من أغلق باباً فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن فنسب الديار اليهم
نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجين بأربعة آلاف درهم فذات هذه النصوص على جواز
بيعها وقوله تعالى (ومن يرد فيه) أى فى المسجد الحرام (بالحاد بظلم) أى يعيل الى الظلم قيل الاحاد فيه
هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شئ كان منهياً عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم وقيل هو
دخول الحرم بغير احرام أو ارتكاب شئ من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس هو
ان تقتل فيه من لا يقتل أو تظلم فيه من لا يظلم وقال مجاهد تضاعف البيات بمكة كالتضاعف
الحسنات وقيل احتسار الطعام بمكة بدليل ما روى يعلى بن أمية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان احتسار الطعام فى الحرم الحاد فيه أخرجه أبو داود وقال عبد الله بن مسعود فى قوله ومن يرد فيه بالحاد
بظلم (نذقه من عذاب أليم) قال لوان رجلاه تم بخطيئته لم يكتب عليه مالم يعمله لوان رجلاه تم بقتل
رجل بمكة وهو بعدن أبين أو يبلد آخر اذا فقه الله من عذاب أليم قال السدى الا ان يتوب وروى عن عبد
الله بن عمرو انه كان له فسطاطان أحدهما فى الحل والاخر فى الحرم فاذا أراد ان يعاتب أهله عاتبهم فى
الحل فسئل عن ذلك فقال كذا يحدث ان من الاحاد فيه ان يقول الرجل كذا والله وبلى والله قوله

بردم تروك لبناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مراد اما عادلا عن القصد لما قالوا لا الحاد الدول عن القصد (نذقه من تعالى عذاب اليم) في الآخرة وخبر ان محذوف دلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا وبصعدون عن المسجد الحرام نذيقهم من

عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنباً فهو كذلك (واذ بؤناً لأبراهيم مكان البيت) واذكر يا محمد حين جعلنا لأبراهيم مكان البيت مباءة أي مرجعاً يرجع اليه للعبادة والعبادة وقد رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من يافرة جرافاً علم الله إبراهيم مكانه يرجع أرسلها فكنت مكان البيت فبناؤه على اسمه القديم (أن) هي المفسرة للقول المفسر أي فائدين له (لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي) من الاصنام والافذار ويطفخ الياء مديني وحفص (للطائفين) لمن يطوف به (والقائمين) والمقيمين بمكة (والركع السجود) المصلين جعلاً ركع وساجدة (وأذن في الناس بالحج) نادفهم والحج هو القصد البليغ إلى مقصد متبع وروى أنه سعد أباقيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأجاب من قدر له أن يحج من الأصلاب والأرحام بالملك اللهم ليكن وعن الحسن أنه خطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع والاول أظهر وجواب الأمر (يا قوم رجالاً) مشاة جمع راجل كقائم وقيام (وعلى كل ضامر) حال معطوفه على رجال كأنه قال رجالاً وركبناوا الضامر البعير المهزول وقدم الرجال على الركبان اظهراً للفضيلة المشاة كما روي في الحديث (يا أيمن) صفة لكل ضامر لأنه في معنى الجمع وقرأ عبد الله بأنون صفة الرجال والركبان (من كل فج) طريق (عميق) بعيد قال محمد بن ياسين قال لي شيخ في الطواف من أين أنت فقلت من خراسان قال كم بينكم وبين البيت قلت مسيرة شهرين (٣٠١) أو ثلاثة قال فأنتم حيران البيت فقلت أنت من أين جئت قال من مسيرة

خمس سنين وخرجت وأنا شاب فأكتمت قلت والله هذه الطاعة الجيلة والحجة الصادقة فقال زمر من هو بيت وان شطت بك الدار وحال من دونه حجب واستار لا اعتقت بعد عن زيارته ان المحب لمن يرواه زوار والادم (في يشهدوا) ليضروا متعلق بأذن أو يأتوا (منافع لهم) تكورها لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادة وهذا الان العبادة شرعت للإتلاء بالنفس كالمعاملات والصوم أو بالمال كالزكاة

تعالى (واذ بؤناً لأبراهيم مكان البيت) قال ابن عباس جعلنا وقيل وطناً وقيل بينا واما ذكر مكان البيت لان الكعبة رفعت إلى السماء زمن الطوفان فلما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدرك أي حجة يبنى فبعث الله تعالى رجلاً يخبره فكنست له ماحول البيت عن الأساس وقيل بعث الله سبحانه بقدر البيت فقامت بحمال البيت وفيه أراس يسكنهم يا إبراهيم ابن علي قدرى فبنى عليه (أن) لا تشرك بي شيئاً أي عهدنا إلى إبراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئاً (وطهر بيتي) أي من الشرك والافذار (للطائفين) أي الذين يطوفون بالبيت (والقائمين) أي المقيمين فيه (والركع السجود) أي المصابين قوله عز وجل (وأذن) أي أعلم ونادى والأذان في اللغة الإعلام (في الناس) قال ابن عباس أراد بالناس أهل القبلة (بالحج) فقال إبراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي فقال الله عليه السلام الأذان وعلمنا الأبلغ فقام إبراهيم على المقام حتى صار كطول الجبال وأدخل أصبعه في أذنيه وأقبل بوجهه يميناً وشمالاً وشرقا وغربا وقال يا أيها الناس الا ان ربكم قد بعثني بنبى وكتب عليكم الحج إلى البيت فأجيبوا ربكم فأجاب كل من يحج من أصلاب الأبناء وراحام الامهات ليكن اللهم ليكن قال ابن عباس فأول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجاً وروى ان إبراهيم سعد أباقيس ونادى وزعم الحسن ان المأمور بالتأذين هو محمد صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا (يا قوم رجالاً) أي مشاة على أرجلهم جمع راجل (وعلى كل ضامر) أي ركبنا على الأبل المهزولة من كثرة السير ويدكر المشاة تشركهم (يا أيمن) أي جماعة الأبل (من كل فج عميق) أي من كل طريق بعيد فني أي مكة حاجاً فكانه قد أتى إبراهيم لأنه محجب نداه الله تعالى (ليشهدوا منافع لهم) قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة وقال ابن عباس الاسواق وقيل ما يرضى به الله من أمر الدنيا والآخرة (ويذكر اسم الله في أيام معلومات)

وقد اشتمل الحج عليهم ما فيه من تحمل الانتقال وركوب الاحوال وخلع الاسباب وقطعة الاصحاب وهجر البلاد والاطمان وفرقة الاولاد والاحلان والتضييق على ما يستمر عليه اذا انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء فالحاج اذا دخل البادية لا يستكمل فيها الاعلى عتاده ولا يأكل الا من زادته فكذلك المرأة اذا خرجت من شاطئ الحياة وركب بحر الوفاة لا ينفع رحدته الا ما هي في معاشه لمعادته ولا يؤنس وحشته الا ما كان بأنس به من أوراده وغسل من يحرم وتأهبه ولبسه غير الخيط وطيبه مرأة لما سبأ في عليه من وضعه على سريره لغسله وتجهيزه مطيباً بالحنوط ملقفاً في كفن غير مخيط ثم المحرم يكون اشعث حيران فكذلك اليوم الحشر يخرج من القبر لهفان ووقوف بالحج يعرفات آملين وغباراً سائلين خوفاً وطعماً وهم من بين مقبول ومخذول وكوقف العرصات لانكم نفس الاباذنه فمهم شقي وسعيد والإفاضة إلى المروافاة بالمساء هو السوق افضل القضاء ومنى هو موقف المني للمذنبين إلى شفاعته الشافعين وحلق الرأس والتنظيف كالحج من السيئات بالرجمة والتخفيف والبيت الحرام الذي من دخله كان آمناً من الأذى والقتال اغوذج لدار السلام التي هي من ترها بقي سالماً من الفناء والزوال غير ان الجنة حفت بمكاره النفس العادية كان الكعبة حفت بمكاره البادية فرحبا بين جاوز مهالك البسوادى شوقاً إلى اللقاء يوم التصادى (ويذكر اسم الله) عند الذبح (في أيام معلومات) هي عشر ذي الحجة عند أي حنيفة

رحمه الله وآخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما - ما واكثر المفسرين من رحمه الله وعنده صاحبيه هي أيام النحر وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما - ما (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي على ذبحه وهو يؤيد قوله - ما والبهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فينبت بالانعام وهي الابل والبقرو والضأن والمعز (فكلوا منها) من لحومها والامر للاباحة ويجوز ألا كل من هدى التطوع والمتعة والقرآن لانه دم نسك فأشبهه الاضحية ولا يجوز ألا كل من بهيمة الهدايا (وأطعموا البائس) الذي أصابه بؤس أي شدة الفقر الذي اضيقه الاعسار (ثم ليقتضوا نفعهم) (٣٠٣) ثم لينزلوا عنهم أدرانهم كذا قاله نبطويه قبل قضاء التفث قص الشارب والاطفار وتنف

بمعنى عشر ذي الحجة في قول أكثر المفسرين قبل لها معلومات للعرض عليها من أجل وقت الحج في آخرها وعن ابن عباس أنها أيام عرفة والنحر وأيام التشريق وقبل أنها يوم النحر وثلاثة أيام بعده (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) يعني الهدايا والاضحايا تكون من النعم وهي الابل والبقرو والغنم وفيه دليل على أن الأيام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لأن التسمية على بهيمة الانعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الأيام (فكلوا منها) أمر اباحة ليس بواجب وذلك أن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئا فأمر الله بفتحهم واتفق العلماء على أن الهدى إذا كان تطوعا يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روى عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع قال وقدم على بदन من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فحرم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة ونحر على ما عبروا ثمركه في بدنه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر وطبخت فأكل من لحها وشرب من مرقتها أخرجه مسلم لم قوله ما عبر أي مابق قوله ببضعة أي بقطعة واختلف العلماء في الهدى الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقرآن والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئا قال الشافعي لا يأكل منه شيئا وكذلك ما أوجبته على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ولا يأكل مما سوى ذلك وبه قال أحمد واسحق وقال مالك يأكل من هدى التمتع ومن كل هدى واجب عليه الا من فدية الا الذي وجزاء الصيد والمندور وعند أصحاب الرأي أنه يأكل من دم التمتع والقرآن ولا يأكل من واجب سواهما وقوله تعالى (وأطعموا البائس الفقير) يعني الزمن الذي لا تقي له شيء قوله تعالى (ثم ليقتضوا نفعهم) أي لينزلوا أدرانهم وأوساخهم والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحق وقص الشارب وتنف الابط وقلم الاظفار والاستعداد لبس الثياب والحاج أشعث أغبر اذا لم ينزل هذه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضاء التفث مناسك الحج كلها (وليوفوا نذرهم) أراد نذر الحج والهدى وما ينذر الانسان من شيء يكون في الحج أي ليتوهمها بقضائهم او قيل المراد منه الوفاء بما نذروا وهو على ظاهره وقيل أراد به الخروج مما وجب عليه نذرهم أو لم ينذروه (وليطوفوا بالبيت العتيق) أراد به طواف الواجب وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعين مرة ثم ثلاثا ثم من الجرا الاسود إلى ان ينتهي إليه ويمشي أربعين أو هذا الطواف سنة لا شيء على من تركه (ق) عن عائشة أن أول شيء بدأ به حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن حمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الطواف الاول خب ثلاثا ومشي أربعين أو زاد في رواية ثم يصلي ركعتين يعني بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم فانه يسبي ثلاثة أشواط ويمشي أربعين يصلي سجدة بين الطواف الثاني هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد

الابط والاستعداد والتنف الوضوء والمراقد قضاء ازالة التفث وقال ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما - ما قضاء التفث مناسك الحج كلها (وليوفوا نذرهم) مواجب حجهم - م والعرب تقول لكل من خرج مما وجب عليه وفي نذره وان لم ينذر أو ما ينذرونه من أعمال البر في حجهم وليوفوا بسكون اللام والتشديد أبو بكر (وليطوفوا) طواف الزيارة الذي هو ركن الحج ويقع به عام التحال للامات الثلاث ساكنة عند غير ابن عباس وابن عمر (بالبيت العتيق) القديم لانه أول بيت وضع للناس بناه آدم ثم جددته ابراهيم او المكرم ومنه عتاق الخليل لتكرامها وعتاق الرقيق لخروجه من ذل العبودية إلى كرم الحرية اولانه أعنتق من الغرق لانه رفع زمن الطوفان او من أبدى الجبارة كم من جبار سار إليه ليهدمه فنهى الله

ومن أبدى الملأ فلم يهلك قط وهو طواف أهل الغبراء كان العرش مطاف أهل السماء فان الطاب اذا حاجته معية الطرب وجذبته جوازب الطلب جعل يقطع مناكب الارض من اجل ويتخذ مسالك المهالك منازل فاذا عين البيت لم يرده الله - لي به الاشتياقا ولم يقدح الشقي باستلام الجرا الاحترافا فبرده الاسفل هفان ويردده اللهف حوله في الدوران وطواف الزيادة آخر فرائض الحج الثلاث وأولها الاحرام وهو عقد الالتزام بشبه الاعتصام بعروة الاسلام حتى لا يرتفع بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى عقده مع ما يفسده وينافيه كان عقد الاسلام لا يخل يزدحام الا تمام وترتفع ألف حوبة بتوبته وثانيتها الوقوف بعرفان بسعة الانهال في صفة الاهتبال وصدق الاعتزال عن دفع الانتكال على مراتب الاعمال وشواهد الاحوال

(ذلك) خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك أو تقديره ليفقه لئلا ذلك (ومن يعظم حرمت الله) الحرمه ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل هذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاماني جميع تكليفه ويحتمل أن يكون خاصا بما يتعلق بالحج وقيل حرمت الله البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام (فهو) أي التعظيم (خير له عند ربه) ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بعراعاتها (وأحلت لكم الانعام) أي كلها (الأماني) (٣٠٣) عليكم) آية تخرجه وذلك قوله حرمت عليكم الميتة الآية والمعنى

ان الله تعالى أحل لكم الانعام كلها إلا ما بين في كتابه لحفظه وأعلى حدوده ولا تحرموا شيئا مما أحل كتبكم البعض الجعية ونحوها ولا تحلوا مما حرم كاحلالهم أكل الموقوفة والميتة وغيرهما ولم يأت على تعظيم حرمانه أتبعه الأمر باجتناب الاوثان وقول الزور بقوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور) لأن ذلك من أعظم الحرمات وأسسها خطرا ومن الاوثان بيان للرجس لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان وسمى الاوثان رجسا على طريقة التشبيه يعني أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عنه واجتنبوا قول الزور أي الكذب والبهتان أو شهادة الزور وهو من الزور وهو الانحراف لأن الشرك من باب الزور إذ المشرك زاعم أن الوثن

الرمي والخلق (ق) عن عائشة قالت حاصت صفة ليلة النفر فقالت ما أراي إلا حاسبتكم قال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى أطافت يوم النفر قيل نعم قال فانقرى قوله عقرى حلقى معناه عقرها الله أي أصابها بالعقر ويوجع في حلقها وريقه ل معناه مشومة مؤذبة ولم يرد به الدعاء عليها وإنما هو شيء يجري على السنة العرب كقولهم لا أم لك وتربت عينك وفيه دليل على أن من لم يطف يوم النفر طواف الأفاضة لا يجوز له أن ينفر الثالث طواف الوداع لا رخصة لمن أراد مغادرة مكة إلى مسافة القصير في أن يفارقها حتى يطف سبعاً فنزكه فعله دم المرأة الحائض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولم يروى ابن عباس قال أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت إلا أنه رخص للمرأة الحائض متفق عليه والرمي سنة تخص بطواف القدوم ولا رمي في طواف الأفاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمي عتيقا لأن الله أعنته من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تحريمه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لأنه أول بيت وضع للناس وقيل لأن الله أعنته من الغرق فانه رفع أيام الطوفان وقيل لأنه لم يهلك (قوله عز وجل ذلك) أي الأمر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج (ومن يعظم حرمت الله) أي ما نهى الله عنه من معاصيه ونعظيها ترك ما يستهوا وقيل حرمت الله ما لا يحل انتهاكه وقيل الحرمه ماوجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام والحرام ومعنى التعظيم العلم بأنه يجب القيام بعراعاتها وحفظ حرمتها (فهو خير له عند ربه) أي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة (وأحلت لكم الانعام) أي أن تأكلوها بعد الذبح وهي الأبل والبقر والغنم (الأماني) عليكم) أي تخرجه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) أي تركوا عبادتها فانه سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمي الاوثان رجسا لأن عبادتها أعظم من التلوث بالتجاسات (واجتنبوا قول الزور) أي الكذب والبهتان وقال ابن عباس هي شهادة الزور وروى عن أيمن بن خريم قال إن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيباً فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور لا أشرك بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور أخرجه الترمذي وقال قد اختلفوا في روايته ولا نعرف لأين مما عاين النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود عن خريم بن قاتل بنحوه وقيل هو قول المشركين في تليثهم ليسن لا شريك لك لا شريك لك هو لك عليك وما لك (قوله تعالى (حنفاء لله) أي مخلصين له (غير مشركين به) فدل ذلك على أن المكلف ينوي بما يأتيه من العبادة الإخلاص لله لا غيره وقيل كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا حنفاء فتركت حنفاء لله غير مشركين به أي حنفاء لله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفاً (ومن يشرك بالله فكأنما خر) أي سقط (من السماء) إلى الأرض (فتخطفه الطير) أي تسابه وتذهب به (أو تهوى به الريح) أي تميل وتذهب به (في مكان مصبق) أي بعيد ومعنى الآية أن من أشرك بالله بعيد من الحق والایمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل إليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي من

بحق له العبادة (حنفاء لله) مسلمين (غير مشركين به) حال كونهما (ومن يشرك بالله فكأنما خر) سقط (من السماء) إلى الأرض (فتخطفه الطير) أي تسابه بسرعه فتخطفه أي تخطفه مدني (أو تهوى به الريح) أي تسقطه والهوى السقوط (في مكان مصبق) بعيد ويجوز أن يكون هذا تشبيهاً كبا ويجوز أن يكون مغزافاً كان تشبيهاً كبا فإنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه أهلاً كاليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فترق قطعاً في حواشيها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهادن البعيدة وإن كان مغزافاً قد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي أشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء المردية بالطير المختطفة

والشيطان الذي هو يوقفه في الضلال بالريح التي تهب من عاصفت به في بعض المهاوى المتلفة (ذلك) أي الأمر ذلك (ومن أعظم شعائر الله تعظيم الشماز وهي الهدايا التي تمنع من معالم الحج أن يختارها أعظام الأجرام حسنا سمايا غالية الأثمان (فإن من تقوى القلوب) أي فإن تعظيمها من أفعال ذوى القلوب فحذفت (٣٠٤) هذه المضافات وانما ذكرت القلوب لأنها صامرا كذا تقوى (لكم فيها منافع)

من الركوب عند الحاجة وشرب البانها عند الضرورة (الى أجل مسمى) الى ان تحو (ثم محلها) أي وقت وجوب تحريمها منبهة (الى البيت العتيق) والمراد تحريمها في الحرم الذي هو في حكم البيت اذ الحرم حريم البيت ومثله في الانساع قد ولى بلغت السبل واما اصل مسيرك بحدوده وقيل الشعائر المناسك كلها وتعظيمها انعاما ومحلها الى البيت العتيق بأباه (ولكل أمة) جماعة مؤمنة قبلكم (جعلنا منسكا) حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع على وحجرة أي موضع قربان وغيرهما بالفتح على المصدر أي اراقه الدماء وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله) دون غيره (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي عند تحريمها وذبحها (فالهكم الواحد) أي اذكروا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم الواحد وفيه دليل على ان ذكر اسم الله شرط للذبح يعني أن الله تعالى شرع لكل أمة أن يتكلموا أي يذبحوا لله على وجه التقرب وجعل

السما، لأنه لا عاك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقط الريح فهو ذلك لا محالة اما باستلاب الطير لحده أو بسقوطه في المكان الصحيح وقبل معنى الآية من أثمرك بالله فقد أهلك نفسه اهلا كاليس وراء اهلا بان صور حاله بصورة حال من خزن السما فاختطفته الطير ففقدت أجزائه في حواصلها أو عصففت به الريح حتى هوت به في بعض المهاوى البعيدة وقيل شبه الايمان بالسما في علوه والذي ترك الايمان بالسما من السما والاهواء التي توزع أفكاره بالطير المختطفة والسيماطين التي تطرسه في وادي الضلالة بالريح التي تهب من عاصفت به في بعض المهاوى المتلفة (ذلك) قوله عز وجل (ذلك) يعني الذي ذكر من اجتناب الرجز وقول الزور (ومن أعظم شعائر الله فإن من تقوى القلوب) أي تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعائر الله البدن والهدى وأصلها من الاشعار وهو العلامة التي يعرف بها انها هدى وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله أعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب (لكم فيها) أي في البدن (منافع) قيل هي درهاوسلها وصفها ووربها وركوب ظهرها (الى أجل مسمى) أي الى ان يسميها أو يوجبها هدايا فاذ فضل ذلك لم يكن له شيء من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد ايجابها وتسميتها هدايا بان تركبها وتسير بها من ألبانها عند الحاجة الى أجل مسمى يعني الى ان تحرمها وهو قول عطاء واختلف العلماء في ركوب الهدى فقال مالك والشافعي وأحمد واسحق بن حنبل وكرهوها والحل عليهم من غير ضررهم لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال يا رسول الله انما بدنة فقال اركبها وراك في الثانية أو الثالثة أخرجه في الصحيحين وكذلك يجوز له ان يشرب من لبنها بعد ما يفضله عن دى ولدها وقال أصحاب الراي لا يركبها الا ان يضطر اليه وقيل أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع أي بالتجارة والاسواق الى أجل مسمى أي الى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع أي بالاجرة والثواب في قضاء المناسك الى انقضاء أيام الحج (ثم محلها الى البيت العتيق) أي منصرفها عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم روى عن جابر في حديث حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فحرت ههنا ومنى كلها منصرفا فحروا في رجالكم ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها أي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة (قوله تعالى) (واسلكي أمة) أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكا) قرئ بكسر السين أي مذبحا وهو موضع القرابين وقرئ منسكا بفتح السين وهو اراقه الدم وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي عند ذبحها وفحروا ههنا لانها لا تتكلم وقيد بالانعام لان ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وان جاز آكله (قوله عز وجل) (فالهكم الواحد) أي سموا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم الواحد (فله أسلموا) أي أخلصوا وانقادوا وأطيعوا (وبشر المخبتين) قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى (والصابرين على ما أصابهم) أي من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله ان يصبر عليه وله ان ينتصر لنفسه (والمقیمی الصلوة) أي في أوقاتها

العلقة في ذلك أن يذكر اسم الله تبارك وتعالى على النساء وقوله (فله أسلموا) أي أخلصوا والذكر خاصة واجه لوجهه سالما أي خالصة لا تشوبه باثمرة الذ (وبشر المخبتين) المطمئنين بذكر الله أو المتواضعين الخاشعين من الحبس وهو المطمئن من الأرض وعن ابن عباس رضي الله عنهما الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقيل نفسه ما بهده أي (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) خافت منه هيبه (والصابرين على ما أصابهم) من المحن والمصائب (والمقیمی الصلوة) أي في أوقاتها

محافظة

محافظة عليهم (رعمارز قدامهم ينشقون) أى تصدقون قوله تعالى (والذين) جمع بدنه سميت بدنه
لعظمها وضعتا تباريد الابل الصحاح الاجسام والبقرة لا تسمى الغنم بدنه اصغرهما (جعلناها لكم من
شعائر الله) أى من أعلام دينه قيل لأنها اتشعروا ونقطعت بحديدة في سنانها فاعلم بذلك أنها هدى
(لكم فيها خير) أى نفى في الدنيا وثواب في العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) أى عند خمرها (صواف)
أى قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجلها وبدها الخبي والآخرى معقولة فيخمرها كذلك (ق) عن
زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد نأخ بدنه فيخمرها قال ابعتها قياما مقيدة سنة محمد صلى
الله عليه وسلم (فأذا وجبت جنوبها) أى سقطت بعد الخمر ووقع جنبها على الأرض (فكلوا منها)
أمر اباحة (وأطعموا القانع والمعتز) قيل القانع الخالس في بيته المتعفف يتنعم بما على ولا يسأل
والمعتز هو الذى يسأل وعن ابن عباس انما هو الذى لا يسأل ولا يتعرض وقيل القانع هو الذى يسأل
والمعتز هو الذى يربك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتز الذى ليس بمسكين ولا
يكون له ذبيحة يجيى الى القوم فيعرض له - م لاجل لحمهم (كذلك) أى مثل ما وصفنا من خمرها
قياما (يخمرناها لكم) أى لتتذكروا من خمرها (لعلكم تذكرون) أى انعام الله عليكم (ان يسأل الله
لخومها ولادماؤها) وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا خمر والدين اطخوا الذبيحة بدماها يزعمون ان
ذلك قربا الى الله تعالى فأنزله الله لن يسأل الله لخومها ولادماؤها أى ان ترفع الى الله لخومها ولادماؤها
(ولكن يسأله التقوى منكم) أى ولكن ترفع اليه الاعمال الصالحة والاخلاص وهو ما أريد به وجه
الله (كذلك يخرها لكم) يعنى البدن (لتذكروا الله على ما هداكم) وأرشدكم لعمالم دينه ومناسك
حجه وهو ان يقول الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أوالانا (وبشر المحسنين) قال ابن عباس
المحسنين في قوله تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) أى يدفع عائلة المشركين عن المؤمنين ويعينهم
منهم وينصرهم عليهم (ان الله لا يحب كل كفور أثور) أى خوان فى أمانه الله كفور لعمته قال ابن
عباس خافوا الله في أموالهم - شربا وكفروا نعمة وقبل من تقرب الى الاصل نام بذبيحته وسمى غير الله
عليه افعوا وخوان كفور في قوله عز وجل (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) أى أذن الله لهم بالجهاد ليقاتلوا
المشركين قال المفسرون كان مشركوا أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون
يحيون من بين مضروب ومشجوج ويشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا
فانى لم أؤمر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقر الله تعالى هذه الآية وهى أول آية أذن
الله فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الآية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم

للـؤال (كذلك سخرناها لكم) أى كما أمرناكم بنظرها سخرناها لكم أو هو كقولہ ذلك ومن يعظم ثم استأنف فقال سخرناها لكم أى ذللناها لكم مع قوتہ وأرغم أجرامہا التمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) لئلى تشكروا انعام الله عليكم (ان ينال الله لطمهوا ولا دعاؤها وان ينالہ التقوى منكم) أى لن تقبل الله اللحوم والدعاء وان يقبل التقوى أو ان يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدعاء المراقبة بالنحر والمراد أصحاب الله - وهم والدعاء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربحهم الا بعراة النية والاخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان أهل الجاهلية اذا سحروا الابل فصعدوا الدعاء حول البيت وطأوه بالدم فلما سح المسلمون أرادوا مثل ذلك

(٣٩ - خازن ثالث) فنزلت (كذلك سقر هالك) أي البدن (لتكبروا لله) لتسبحوا لله عند الفزع أول تعظموا الله (على ما هذا كم) على ما أرشدكم إليه (وبشر المحسنين) المحسنين أو امرء بالثواب (إن الله يدفع) مكي وبصري وغيرهما يدفع أي يبلغ في الدفع عنهم (عن الذين آمنوا) أي يدفع عائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه (إن الله نصر رسلاً والذين آمنوا ثم علل ذلك بقوله) (إن الله لا يحب كل خوان) في أمانة الله (كفور) لعمرة الله أي لأنه لا يحب أضدادهم وهم الخوفاة الكفرة الذين يخوفون الله والرسول ويخوفون أماناتهم ويكفرونهم لله ويقطعونها (أذن) مدني وبصري وعاصم (للذين يقاتلون) يفتح التاء مدني وشامي وحقق والمعنى أذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه دلالة بقاتلون عليه (بأنهم ظلموا) بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أدى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوع ينظلمون إليه فيقول لهم امبروا فاني لم امر بالقتال حتى هاجر فارتأت هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نفي وسمعين آية.

(وان الله على نصرهم) على نصر المؤمنين (لقدير) قادر وهو بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله ان الله يدفع عن الذين آمنوا (الذين) في محل جبريدل من الذين اوتصب باعنى ارفع باصهارهم (أخرجوا من ديارهم) بمكة (بغير حق الآن يقولوا ربنا الله) أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب التمكن لا موجب الاخراج ومثله هل تنقمون منا الا أن آمنّا بالله دحل ان يقولوا جبريدل من حق والمعنى ما أخرجوا من ديارهم الا بسبب قولهم (ولو لا دفع الله) دفاع مدنى ويعتقوب (الناس بعضهم ببعض لهدمت) وبالتخفيف بجازى (صوامع وبيع وصلوات ومساجد) أى لولا اظهاره وتسلطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل المال المختلفة فى أزممتهم وعلى متعبدهم فهدموها لم يتركوا للصارى بيعا ولا لرهياهم صوامع ولا لليهود وصلوات أى كنائس وسميت الكتبة صلاة لانها يصلى فيها ولا للمسلمين مساجد أو تغلب (٣٠٦) المشركون فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين فى

مشركوك ومكة فأذن الله لهم فى قتال الكفار الذين عنعنهم من الهجرة بأنهم ظلموا أى بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالابذاء (وان الله على نصرهم لقدير) فيه وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الآن يقولوا ربنا الله) يعنى انهم أخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب الاقرار والاعتراف والتسليم لا موجب الاخراج (ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أى بالمجاهدة واقامة الحدود (لهدمت صوامع) هى معابد الرهبان المتخذة فى الصحراء (وبيع) هى معابد النصارى فى البلد وقيل الصوامع للصائين والبيع للتصارى (وصلوات) هى كنائس اليهود ويسمون بابا لبرانية صلوات (ومساجد) يعنى مساجد المسلمين (يد كرفها اسم الله كثيرا) يعنى فى المساجد ومعنى الآية ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت فى شريعة كل نبي مكان صلواتهم فهدمت فى زمن موسى الكنائس وفى زمن عيسى البيع والصوامع وفى زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد (ولانصرت الله من نصره) أى ينصردينه ودينه (ان الله لقوى) أى على نصر من ينصردينه (عزير) أى لا يضام ولا يمنع مما يريد وقوله عز وجل (الذين ان مكناهم فى الارض) أى نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد (أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمرنا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هذا وصف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الامة وقيل هم المهاجرون وهو الاصح لان قوله الذين ان مكناهم صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله الذين أخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون (ولله عاقبة الامور) أى آخر الامور الخالق مصيرها اليه وذلك انه يبطل فيها كل ملاءم سوى ملكه قصص الامور اليه بلا منازع وقوله تعالى (وان يكذبوك) فيه نسبة واتعز به لاني صلى الله عليه وسلم والمعنى وان كذبك قومك (فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى) فان قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى فأت فيه وجهان أحدهما ان موسى لم يكذب قومه وهم بنو اسرائيل واغما كذبه غير قومه وهم القبط الثانى كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فضاظنك بغيره (فأملت للكافرين) أى أمهاتهم وأخرت العقوبة عنهم (ثم أخذتهم) أى عاقبتهم (فكيف كان تكبير) أى انكارى عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب وقوله عز وجل (فكأن من قرية أهلكتمها) وقرى أهل كذا على التعظيم (وهى ظالمة) أى وأهلها ظالمون (فهى خاوية) أى ساقطة (على عروشها)

ذمتهم وهدموا متعبدات الفريدين وقدم غير المساجد ضلها التقدمها وجودا أو قسرها من التهديم (يد كرفها اسم الله كثيرا) فى المساجد أو فى جميع ما تقدم (ولانصرت الله من نصره) أى ينصردينه وأولياؤه (ان الله لقوى) على نصر أولياؤه (عزير) على انتقام أعدائه (الذين) محله نصب بدل من من نصره أو جرتابع للذين أخرجوا (ان مكناهم فى الارض) أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمرنا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هو اخبار من الله عما سكت عن عليه سيرة المهاجرين ان مكنتهم فى الارض وبسط لهم فى الدنيا وكيف يفهمون بأمر الدين وفيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين

لان الله عز وجل أعظم التمكن ونفاذ الامر مع السيرة العادلة وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ولله عاقبة الامور) أى مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تأكيدهما وعدمه من اظهار أولياؤه واعلاء كلمتهم (وان يكذبوك) هذه نسبة لمحمد صلى الله عليه وسلم من تكذيب أهل مكة آياه أى لست باوحدى فى التكذيب (فقد كذبت قبلهم) قوم نوح (فوقا) عواد هودا (وثمود) صالحا (وقوم ابراهيم) ابراهيم (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب مدين) شعبيا (وكذب موسى) كذبه فرعون والقبط ولم يقل وقوم موسى لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل واغما كذبه غير قومه أو كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وظهور معجزاته فضاظنك بغيره (فأملت للكافرين) أى أمهاتهم وأخرت عقوبتهم (ثم أخذتهم) أى عاقبتهم على كفرهم (فكيف كان تكبير) أى انكارى وتغبرى حيث أبدلتهم بالنعم تقاموا بالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا انكبرى بالباء فى الوصل والوقف يعقوب (فكأن من قرية أهلكتمها) أهلكتهم بصرى (وهى ظالمة) جال أى وأهلها مشركون (فهى خاوية) ساقطة من خوى النجم اذا سقط (على عروشها)

بمعلق بخوابه والمعنى انها ساقطة على سقوفها أى تحت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ولا محل لغيرها خاوية من الاعراب لانها معطوفة على أهلكتها وهذا الفعل ليس له محل وهذا اذا جعلنا كاي منصوب المحل على تقدير كسبر من القرى أهلكتها (وبئر معطلة) أى تروك لفقد دلوها ورشائها وفقد نفقدها وهى عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستفلاء لانها عظمت أى تركت لا يستقى منها الهلاك أهلها (وقصر مشيد) محصن من الشيد الخص أو مرفوع البنيان من شاد البناء رفعه والمعنى كم قرية أهلكتها وكم بئر عطلها عن سقايتها وقصر مشيد أى أهلكنا البادية والحاضرة جميعا نخلت القصور عن أربابها والآبار عن روادها والإظهار أن البئر والقصر على العموم (أفلم يسروا فى الأرض) هذا حديث (٣٠٧) على السفر ليرى مصارع من أهلكتهم

الله بكفرهم وبشاهدوا آثارهم فيعتبروا (فتكون هم قلوب يقولون بها أو أذان يسمعون بها) أى يعتبرون ما يجب أن يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) الضمير فى فإنها ضمير القصة أو ضمير مهمم بفسره الأبصار أى فاعلمت أبصارهم عن الإبصار بل قلوبهم عن الاعتبار وللكل إنسان أربع أعين عينا فى رأسه وعينا فى قلبه وإذا أبصر ما فى القلب وعى ما فى الرأس لم يضره وإن أبصر ما فى الرأس وعى ما فى القلب لم ينفعه وذكر الصدور لبيان أن محل العلم القلب ولئلا يقال إن القلب يعنى به غير هذا العضو كما يقال القلب لب كل شئ (ويستجولونك بالعذاب) ألاجل استهزاء (وإن

أى على سقوفها) (وبئر معطلة) أى وكم من بئر معطلة أى تروك لخلافه عن أهلها (وقصر مشيد) أى رفيع طويل عال وقيل محصن وقيل أن البئر المعطلة والقصر المشيد بالبن أما القصر فعلى قلة جبل والبئر على سعة ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فأهلكهم الله وبقى البئر والقصر خاليين وقيل أن هذه البئر كانت بحضر موت في بلدة يقال لها حاضورا وذلك أن أربعة آلاف نفر من آمن بصالح عليه السلام لما نجا من العذاب أنوال إلى حضر موت ومعهم صالح فلما حضر ومات صالح فسمى المكان حضر موت لذلك ولما مات صالح بنوا حاضورا وقعدوا على هذه البئر وأمر وأعلمهم رجالهم فأقاموا دهرًا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الأصنام وكفروا فأرسل الله نالي إليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فأهلكهم الله وعطبت بئرهم وخرب قصرهم (قوله تعالى) (أفلم يسروا فى الأرض) يعنى أقامركم فيمنظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم الخالية (فتكون لهم قلوب يقولون بها) أى يعلمون بها (أو أذان يسمعون بها) يعنى ما يدكر لهم من أخبار القرون الماضية فيعتبرون بها (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) المعنى أن عى القلب هو الضار في أمر الدين لا عى البصر لأن البصر الظاهر باق ومتمتع وبصر القلب هو البصر النافع (ويستجولونك بالعذاب) نزلت في الضرب الحث (وإن يخلف الله وعده) أى أنه أنجز ذلك يوم بدر (وإن يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) قال ابن عباس يعنى يوما من الأيام الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض وقيل يوما من أيام الآخرة يدل عليه ما روى عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أبشر وأيام عشر صاعدين المهاجرين بالنور الثام يوم القيامة قد خلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدر خمسائة سنة أخرجه أبو داود بزيادة فيه وأخرج الترمذي نحوه ومعنى الآية أنهم يستجولون بالعذاب وإن يوما من أيام عذابهم فى الآخرة كالف سنة وقيل أن يوما من أيام العذاب فى الشقل والاستطالة كالف سنة فكيف يستجولونه وقيل معناه أن يوما عندهم وألف سنة فى الأمهال سواء لأنه قادر متى شاء أخذهم لا بقوة شئ بالتأخير فيستوى فى قدرته وقوع ما يستجولونه من العذاب وتأخيرهم وهذا يعنى قول ابن عباس (وكان من قرية أمليت لها) أى أمهاتها (وهى ظالمية) أى مع استمرار أهلها على الظلم (ثم أخذتها) أى أنزلت بهم العذاب (والى المصير) يعنى مصيرهم إلى فى الآخرة ففيه وعيد وتهديد (قوله عز وجل) (قل يا أيها الناس انما أنا نذير مبين) أمر الله رسوله أن يلهم التحذير والإنذار وأن يقول لهم اغتَابعتكم من سذرا (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) لما أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقول

يخلف الله وعده) كأنه قال ولم يستجولوا به كأنهم يحوزون نفوت وانما يحوز ذلك على ميعاد من يحوز علمه الخلف وان يخلف الله وعده وما وعد ما يصيبهم ولو بعد حين (وإن يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) يعدون مكى وكوفى غير عاصم أى كيف يستجولون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه فى طول ألف سنة من سبكم لأن أيام الشدة أطوال (وكان من قرية أمليت لها وهى ظالمية) أى وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينما (ثم أخذتها) بالعذاب (والى المصير) أى المرجع إلى فلا يقوتى شئ وانما كانت الأولى أى فكأن معطوفة بالفاء وهذه أى وكان بالاولى وفى وقت بدلا عن فكيف كان تكبير وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجنتين المعطوفتين بالواو وهما وإن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك (قل يا أيها الناس انما أنا نذير مبين) وانما يعلم بقل بشروا نذر الله كالفين بعده لان الحديث مسوق إلى المشركين ويا أيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أفلم يسروا وصفوا بالاستجبال وانما أقنعهم المؤمنون وتوابعهم ليحاظوا أو تقدره نذير مبين وبشير فبشر أو لا فقال (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لنفوسهم (ورزق كريم) أى حسن ثم أنذر

قال (والذين سعو) سعى في أمر فلان إذا أفسده بسعيه (في آياتنا) أي القرآن (معجزين) حال معجزين حيث كان معجزاً وأبو عمرو وعاجزه سابقه كان كل واحد منهما في طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به فإذا سبقه قبل أعجزه وأعجزه والمعنى سعى وافي معناه بالافساد من الطعن فيها حيث سعى وها مصر وشمرا وأساطير مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين أن يكيدهم للإسلام بتم لهم (أو أولئك أصحاب الجحيم) أي السار المولدة (وما أرسلنا من قبلك) من لا يبداء الغاية (من رسول) من زائدة لتأكيد النفي (ولأنبي) عذرا لبليل بن عبيد بن ثبوت الشغار بين الرسول والنبي بخلاف ما يقول البعض أنهم واحد وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قبل فيكم الرسل منهم فقال ثمانمائة وثلاثة عشر وأفرق (٣٠٨) بينهم ما أن الرسول من جحد إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي من لم ينزل عليه

كتاب وانما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله وقبل الرسول واضع شريع والنبي حافظ شريع غيره (الا إذا غنى) قرأ قال غنى كتاب الله أول ليلة غنى داود الزبور على رسل (أنبي الشيطان في أميته) تلاوته قالوا أنه عليه السلام كان في نادى قومه يقرأ والتجيم فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الأخرى جرى على لسانه تلك الغرائب العلى وان شفاعتهن لترجيى ولم يفلن له حتى أدركته العصمة فنبه عليه وقيل نبه جبريل عليه السلام فأنبهم أن ذلك كان من الشيطان وهذا القول غير مرضى لأنه لا يجوز إيمان بتكليم النبي عليه السلام بهما معجداً وأنه لا يجوز لانه كفة رلانه بعث طاعنا للاصنام لا مادحاً لها أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبي عليه السلام جبراً بحيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممنوع لان الشيطان

انما أنبهم مبين أردف ذلك بأن أمره بوعده من آمن ووعده من عصى فقال فأنذرتهم آتوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة أي شترافاً ورزقهم وقيل للكفار أيضاً مع التوبة ورزق كريم أي لا ينقطع أبداً وقبل هو الجنة (والذين سعو في آياتنا) أي عملوا في إبطال آياتنا (معجزين) أي مشيطين الناس عن الإيمان وقرئ معجزين أي معاندين مشاقين وقيل معناه طائنين ومقدرين أنهم يعجزوننا ويقتلوننا فلا تقدر عليهم برزخهم أن لا يبعث ولا نشور ولا جنة ولا نار (أو أولئك أصحاب الجحيم) قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا إذا غنى أنبي الشيطان في أميته) قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباحثهم عما جاءهم به من الله تعالى غنى في نفسه ان يأتية من الله ما يقارب بينه وبين قومه طمعه على إيمانهم فتمكن يومئذ في مجلس أقر يشق الله عز وجل سورة والتجيم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرأيتهم للذين رانعزى ومناة الثالثة الأخرى أنبي الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتناه تلك الغرائب العلى وان شفاعتهن لترجيى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرأ السورة كلها ومجدي في آخرها ومجيد المسلمون بسجودهم ومجيد جميع من في المسجد من المشركين فبقي في المسجد مؤمن ولا كافراً لا جدد غير الوليد بن المغيرة وأبي أحيحة عبيد بن العاص فانما أخذ أحفاه من البطحاء ورفعها إلى جهنمهما ومجيداً عليها لانها كانا شقيين كبيرين فلم يستطعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا يا حسن الذي كروا فلو أقدر عرفنا أن الله يحيى ويميت ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عند فان جعل لها محمد نصيباً ففضل من الله صلى الله عليه وسلم أن الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت لقد نلت على الناس ما لم آت به عن الله تعالى فخرن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً وخاف من الله تعالى خوفاً كبيراً فانزل الله تعالى هذه الآية يعزبه وكان به رجلاً ومع بذلك من كان بارض الحبشة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل قد أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشارهم وقالوا هم أحب إلينا حتى إذا ذابوا من مكة بلغهم أن الذي كانوا يدعونه من اسلام أهل مكة كان باطلاً فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار أو مستغنياً فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ما ذكر من مسئلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان أنبي الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رفعاني فم كل مشرك فازدادوا ثمر إلى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم وقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول الرسول هو الذي يأتيه جبريل بالوحي عبادنا ولأنبي النبي هو الذي تكون نبوته الهاماً أو مناماً فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول ولا الا اذا غنى أي أحب شيأ واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به أنبي الشيطان في أميته أي في مراده وقال

لا يقدر على ذلك في حق غيره لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان في حقه أولى وأجرى ذلك على لسانه ابن سهو وغفلة وهو مرد أيضاً لانه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه في حال تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله ولانه تعالى قال في صفة المنزل عليه لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال انما نحن تراندا الذي كروا ناله لحاظون فلما باطلت هذه الوجوه لم يبق الا وجه واحد وهو انه عليه السلام سكت عند قوله ومناة الثالثة الأخرى فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلة بقرأة النبي صلى الله عليه وسلم فرقع عند بعضهم انه عليه السلام هو الذي تكلمهم فليكون هذا انقائه في قرأة النبي عليه السلام وكان الشيطان يتكلم في زمن النبي عليه السلام وسمع كلامه فقد روى انه نادى يوم أحد الا ان محمد قد قتل فقال يوم يدن غالب لكم اليوم من الناس وافي جاد لكم

ابن عباس اذا حدث في الشيطان في حديثه وجزأيه سيلا والمعنى سامن نبي الاتقي ان يؤمن قرمه ولم
يقن ذلك نبي الاتقي الشيطان عليه ما برضى قومه فيسخ الله ما في الشيطان وقال أكثر المفسرين معنى
تمنى قرأه ولا كتاب الله اتقى الشيطان في آية في آية في آية قال سامن في عثمان حين قتل

تمنى كتاب الله أول آية * وآخره الاتقي حاتم المقادر

فان قامت الدلائل على صدقه وانجبت لامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار
عن شئ منه بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غطا قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى وقال
تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكيف يجوز ان يخطئ على النبي صلى الله
عليه وسلم في التلاوة وهو معصوم منه قامت ذكر العلماء عن هذا الاشكال أجوبة أحدها في أصل
هذه القصة وذلك انه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا من أهل الضعف ولا من أصحاب متصل وغيرها
المفسرون والمؤرخون والمواهبون بكل غريب الملقون من الضعف كل صحيح وسقيم والذي يدل على ضعف
هذه القصة اضطراب رواها وانقطاع سندها واختلاف أفعالها فاقابل قول ابن أبي حمزة
وسلم كان في الصلاة وآخر يقول قرأها وهو في نادى قرمه وآخر يقول قرأها وقد أداها به سنة وآخر يقول
بل حدث نفسه بها بخبر ذلك على لسانه وآخر يقول ان الشيطان قاله على لسان النبي صلى الله عليه
وسلم وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرضه على جبريل قال ما كذا قرأنا في غير ذلك من اختلاف
الفاظها والذي جاء في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والتجيم
فجهد فيها ومجود من كان معه غير ان شيئا من قریش أخذ كسا من حصى أو تراب فرفعه الى جبهته
قال عبد الله فلقدر آيته بعد قتل كافر أخرجه البخاري ومسلم وصح من حديث ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم مجدد بالتجيم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس رواه البخاري
فهذا الذي جاء في الصحيح لم يذكر فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الالفاظ ولا قرأها والذي ذكره
المفسرون عن ابن عباس في هذه القصة فقد رواه عنه الكلبي وهو ضعيف جدا فهذه اثنان من هذه
القصة الجواب الثاني وهو من حيث المعنى هو ان المجمل قد قامت بالدليل الصحيح واجماع الامة على
عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الذللة وهو غيبه ان ينزل عليه مدح الله
غير الله أو ان ينسب إليه الشيطان ويشبهه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى ينه جبريل
عن ذلك فهذا كله ممنوع في حقه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ولولا قول علينا بعض الافعال
لاخذنا منه باليمين ثم نقطعنا منه الوتين الآية الجواب الثالث في تسليم وقوع هذه القصة وسبب مجود
الكفار ان النبي صلى الله عليه وسلم لم كان اذا قرأ نزل القرآن نزولا ويفصل الا في قصصه لا كما صح
عنه في قرأته فيجعل ان الشيطان ترصد تلك الكلمات قدس فيها ما خلفه من تلك الكلمات مما كبا
لصوت النبي صلى الله عليه وسلم لم فسمعه من دنانمه من الكفار فظنوا من قول النبي صلى الله عليه
وسلم فسجدوا معه لسجوده فأما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتعققهم من حال النبي صلى الله عليه
وسلم ذم الاوتان وعيبت اوانهم كانوا يحفظون السورة كما أنزلها الله عز وجل الجواب الرابع في تحقيق
نفي الآية وقد تقدم ان التي يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى الاول يكون معنى قوله الا
اذا اتى أي خطر به الله وتمنى بقاءه بعض الامور ولا يبعد انه اذا قوى التي اشتغل خاطر فحصل السهو
في الافعال الطاهرة وعلى الثاني وهو تفسير التي بالتلاوة فيكون معنى قوله الا اذا اتى أي تلاوه وما يقع
لنبي صلى الله عليه وسلم من السهو في اقاط آية أو آيات أو كلمة أو نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو
بل ينه عنه ويذكر به للوقت والحين كما صح في الحديث لقد اذ كرني كذا كذا آية كنت أذنبها من
سورة كذا وحاصل هذا ان الغرض من هذه الآية ان الانبياء والرسل وان عهدهم الله عن الخطا في العلم

(فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أي يذهب به ويبدله ويحذفه منه الشيطان (ثم يحكم الله آياته) أي يشتهر ويحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان (والله عليم) بما أوحى إلى نبيه وبمقصد الشيطان (حكيم) لا يدهسه حتى يكشفه ويرزله ثم ذكر أن ذلك ليفتح الله تعالى به قوما بقوله (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة) محنة وابتهلاء (للذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (والفاسية قلوبهم) هم المشركون المكذبون فيزدادوا به شكاً وظلمة (وان الظالمين) أي المنافقين والمشركين وأصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم (لن شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق (وليعلم الذين أدبوا العلم) بالله وبدينه وبآياته (أنه) أي القرآن (الحق من ربك فيؤمنوا به) بانقرآن (فتثبت) قطعاً عن (له قلوبهم) وإن الله له أدي الذين (٣١٠) آمنوا إلى صراط مستقيم) فيمتثلون ما يشابه في الدين بآيات وأدلة العجبة ويطلبون لما أشكل منه المجل الذي

فلم يصحهم من جواز الله وعليهم بل حالهم في ذلك كحال سائر البشر والله تعالى أعلم قوله عز وجل (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أي يبدله ويذهب به (ثم يحكم الله آياته) أي يثبتها (والله عليم حكيم) قوله عز وجل (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة) أي محنة وبليدة والله تعالى يخبر عباده بما يشاء (للذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (والفاسية قلوبهم) أي الخافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون (وان الظالمين لن شقاق بعيد) أي في خلاف شديد (وليعلم الذين أدبوا العلم) أي التوحيد والقرآن والتصديق ينسخ الله ما يشاء (أنه الحق من ربك) أي الذي أحكم الله من آيات القرآن وهو الحق من ربك (فيؤمنوا به) أي يمتثلوا أنه من الله عز وجل (فتثبت له قلوبهم) أي تسكن إليه (وان الله له أدي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) أي إلى طريق قويم وهو الإسلام قوله عز وجل (ولا يزال الذين كفروا في مرة منه) أي في شك من القرآن وقيل من الدين الذي هو صراط مستقيم (حتى تأتيهم الساعة بغتة) أي فجأة وقيل أراد بالساعة الموت (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) أي عذاب يوم لا يسأل الله وهو يوم القيامة وقيل هو يوم يدوم عقيماً لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالمخرج العقيم لا تأتي بخير وقيل لأنه لا مثيل له في عظم أمره وأقتال الملائكة فيه (الملائكة يومئذ) يعني يوم القيامة (لله) وحده من غير منازع ولا مشارك فيه (يحكم) أي يفصل (بينهم) ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات الديم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك لهم عذاب مهين) قوله تعالى (والذين هاجروا في سبيل الله) أي فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه (ثم قد أوفوا ما نذرهم الله رزقاً حسناً) أي لا ينقطع أبداً وهو رزق الجنة لأن فيها ما تشتهى النفس وتلد الأعين (وان الله هو خير الرازقين) فان قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لا رازق للخلق غيره فكيف قال وان الله هو خير الرازقين قلت قد سمي غير الله رازقاً على المجاز كقوله رزق السلطان الجند أي أعطاهم أرزاقهم وان الرازق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لأن الله تعالى يعطي من الرزق ما لا يقدر عليه غيره (ليدخلهم مدخلاً يرضونه) يعني الجنة يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه (وان الله لعليم) بما ينالهم (بالعفو عنهم) قوله عز وجل (ذلك) أي الأمر الذي قصصنا عليك (ومن عاقب بثل ما عوقب به) أي جازى الظالم بثل ظلمه وقيل يعني قاتل المشركين كما قالوا له (ثم نبى عليه) أي ظلم بالخارجة من منزله يعني ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى أحوحوهم إلى مفارقة أوطانهم زلت في قوم من المشركين أنفوا قوما من المسلمين ليلتين ببيعة في الحرم فمكروا المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك يومئذ فيهم عليهم وثبت المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى

لما أشكل منه المجل الذي تقتضيه الأصول المحكمة حتى لا تقعهم حيرة ولا تعثرهم شبهة (ولا يزال الذين كفروا في مرة) شك (منه) من القرآن أو من الصراط المستقيم (حتى تأتيهم الساعة بغتة) فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) يعني يوم يدرفه وعقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج أو راحة كالرجح العقيم لا تأتي بخير أو شديد لدرجة فيه أو لا مثيل له في عظم أمره وأقتال الملائكة فيه وعن الضحالة أنه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته (الملائكة يومئذ) أي يوم القيامة والتوبين عوض عن الجلة أي يوم يؤمنون أو يوم نزول مرتبهم (لله) فلا منازع له فيه (يحكم بينهم) أي يقضي ثم بين حكمه فيهم بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات

الديم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك لهم عذاب مهين) ثم خص قوماً من الفريق الأول بفضيلة فقال (والذين هاجروا في سبيل الله) خرجوا من أوطانهم ومجاورين (ثم قتلوا) في الجهاد قتلوا شامياً (أو ما قتلوا) حذب أنفسهم (ليرزقهم الله رزقاً حسناً) قيل الرزق الحسن الذي لا ينقطع أبداً (وان الله هو خير الرازقين) لأنه المختار للخلق بلا مثال المستكمل للرزق بلا ملال (ليدخلهم مدخلاً) بفتح الميم مدق والمراد الجنة (يرضونه) لأن فيها ما تشتهى النفس وتلد الأعين (وان الله لعليم) بأحوال من قضى نفيه مجاهداً أو آمناً من مات وهو ينتظر معاهداً (حليم) بامهال من قاتلهم معانداً روى أن طوائف من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذي قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا قبلنا ان متنا معك فأنتل الله هاتين الآيتين (ذلك) أي الأمر الذي وما بعده مستأنف (ومن عاقب بثل ما عوقب به) سعى الابتداء بالجرائم عقوبة للملازمة له من حيث أنه سبب وذلك مسبب عنه (ثم نبى عليه

ليصبره الله) أي من جازى بمنزل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك خلق على الله ان يصبره (ان الله لعفو) يعفو آثار الذنوب (غفور) يستأثر أنواع العيوب وتغريب الوصفين بسياق الآية ان المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله فن عفوا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى فثبت لم يؤثر ذلك وانتصر فهو تارك للأفضل وهو ضامن لنصرته في الذكر الثاني اذا ترك العفو وانقم من الباغي وعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو بذكر هاتين الصفتين أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة اذا لم يوصف بالعفو الا القادر على ضده كما قيل العفو عند القدرة (ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير) أي ذلك انتصر للعلم اليوم بسبب انه قادر على ما يشاء ومن آيات قدرته انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا أو بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والباغي والانصاف وانه سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وان اختلفت في النهار الاصوات بفنون اللغات بصير بما يفعلون ولا يستتر عنه شيء شيء في الليل الى وان قوات الظلمات (ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون) عراقى غير أبي بكر (من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير) أي ذلك الوصف بخلقه الليل والنهار وحاطته بما يجري فيهما وادراكه قولهم وفعلهم (٣١١) بسبب ان الله الحق الثابت الهية وان كل ما يدعي الهادونه باطل

اللعنة وانه لا شيء أعلى منه شأنًا وأكبر سلطانًا (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فنصب الارض مخضرة بالنبات بعدما كانت مسودة يابسة وانما صرف الى اغسط المضارع ولم يقل فاصبحت ليعبده بقاء أثر المطر زمانًا بعد زمان كما تقول أنعم على فلان فاروح وأعدوشا كرا له ولو قات فرحت وغدت لم يقع ذلك الموقع وانما رفع فنصب ولم ينصب جساوبا للاسم ففهم لانه لو نصب لبطل الغرض وهذا ان معناه اثبات الاخضرار

(ان يصبره الله ان الله لعفو) أي عن مساوي المؤمنين (غفور) يعفى لذنوبهم (ذلك) أي ذلك انصر (بان الله) القادر على ما يشاء فمن قدرته انه (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) في معنى هذا الابلج قولان أحدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيوبة الشمس ويحول ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطول الشمس القول الثاني هو ما يزيد في أحدهما أو ينقص من الآخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه الا الله تعالى (وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق) أي ذو الحق في قوله وفعله ودينه حق وعبادته حق (وان ما يدعون) يعني المشركين (من دونه هو الباطل) يعني الاصنام التي ليس عندها ضر ولا نفع (وان الله هو العلي) أي العلى على كل شيء (الكبير) أي العظيم في قدرته وسلطانه (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فنصب الارض مخضرة) أي بالنبات (ان الله لطيف) أي باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان (خبير) أي بما في قلوب العباد اذا تأخر المطر عنهم (له ما في السموات وما في الارض) أي عبيد وداو ملكا (وان الله هو الغنى الحميد) يعني الغنى عن عباده الخيرة في أفعاله (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض) أي الدواب التي تركب في البر (والفلك) أي وسخر لكم السفن (تجري في البحر بأمره) يعني سخر لها الماء والرياح ولولا ذلك ما سرت (ويعلم السماء ان تقع) أي لكيلا تسقط (على الارض الا باذن الله ان الله بالناس لرؤف رحيم) يعني انه أنعم بهذه النعم الجليلة لتناغم الدنيا والدين وقد بلغ الغاية في الانعام والاحسان فهو اذارؤف رحيم بكم (وهو الذي أحياكم) أي انشأكم لم تكونوا شيئا (ثم يميتكم) أي عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) أي يوم البعث للثواب والعقاب (ان الانسان لكفور) أي بطوره لنعم الله عز وجل (قوله تعالى) (لكل أمة جعلنا منسكًا) قال ابن عباس شريعة (هم ناسكوه) هم عاملون بها وعنه انه قال عباد قبيل موضع قربان

فينقلب بالنصب الى نبي الاخضرار كما تقول اصاحبت لم تر أني أنعمت عليك فتنسكرك ان أصبته نفيت شكركه وشكوت من تغريطه فيه وان رفعتك أثبت شكركه (ان الله لطيف) واصل عمله أوفضله الى كل شيء (خبير) بمصالح الخلق ومنافعهم أو اللطيف الخبير بدقيق التدبير الخبير المحيط بكل قليل وكثير (له ما في السموات وما في الارض) ملكا وملكا (وان الله هو الغنى) المستغنى بكل قدرته بعد فناء ما في السموات وما في الارض (الحميد) المحمود بنعمته قبل فناء ما في السموات ومن في الارض (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض) من البهائم مدله للركوب في البر (والفلك تجري في البحر بأمره) أي ومن المراكب جارية في البحر ونصب الفلك عطفا على ما وتجري حالها أي وسخر لكم الفلك في حال جريها (ويعلم السماء ان تقع على الارض) أي يحفظها من أن تقع (الا باذن الله) بأمره أو بمشيئته (ان الله بالناس لرؤف) بتسخير ما في الارض (رحيم) بامساك السماء لئلا تقع على الارض عددا لآله مقرونة باسمائه ليذكروه على آله ويذكروه باسمائه وعن أبي حنيفة رحمه الله ان اسم الله الاعظم في الآيات الثمانية يستجاب لقارئها البتة (وهو الذي أحياكم) في أرحام امهاتكم (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) لا يصال جزائكم (ان الانسان لكفور) بطوره لما أفاض عليه من ضروب النعم ودفع عنه من صنوف النقم أولا يعرف نعمة الانشاء المبدئ للوجود ولا الاقضاء المقرب الى الموجد ولا الاحياء الموصل الى المفسود (لكل أمة) أهل دين (جعلنا منسكًا) مريانه وهو رد لقول من يقول ان الذبح ليس شريعة الله اذ هو شريعة كل أمة (هم ناسكوه) عاملون به

فلا يبازعنك) فلا يجادلنك والمخني فلا تلتفت الى قولهم ولا تغفكنهم من أن يبازعوك (في الامر) أمر الذبايح أن الدارين نزلت حين قال المشركون للذين آمنوا ما لكم تأكلون من أموالكم ولا تأكلون من أموالكم التي حرم الله عليكم (واذع) الناس (أي ربك) الى عبادة ربك (أذن على هدى مستقيم) طريق قويم ولم يزلوا في الجهل أمة بخلاف ما تقدم لان ثلاثت من مآينهم من الآسى الواردة في أمر الناسك فغلت على اخوانها وهذه وقعت مع أباعد عن معاصها فلم تحدهم طمنا (وان جادلوك) مرا بقرعنا كما يفعله السفهاء بعد اجتماعهم لئلا لا يكون بينهم تنازع وبدا ل (فقل الله أعلم بما تعملون) أي لا تجداد لهم وادفعهم بهذا القول وادعني ان الله أعلم بما عملناكم وما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن رفقواين وتاديب يجاب به كل شعت (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) هذا خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أي يفصل بينكم بالثواب والعقاب وملا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان في منكم (الم تعلم أن الله يعلم ما في السما والارض) (٣١٢) أي كيف يخفى عليه ما تعلمون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات

والارض (ان ذلك) الموجود فيهم (في كتاب) في اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) أي علمه بجميع ذلك عليه يسير ثم أشار الى جهالة الكفار وادعاهم بغير المسحق لها بقوله (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به) عالم ينزل به) ينزل مكي وبهمري (ساطانا) حجة وبرهان (وما ليس لهم به علم) أي لم يتسكروا في عبادتهم لها ببرهان معاري من جهة الوحي ولا علم عليها دليل عقلي (وما للظالمين من نصير) وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصيرهم ويصوب مذهبهم (واذا تتلى عليهم آياتنا ينات) يعني القرآن (تعرف في وجوه الذين كفروا والمنكر) الانكار بالعبوس والكرهه والمنكر مصدر (يكادون

يذبحون فيه وقيل موضع عبادة) فلا يبازعنك في الامر) أي في أمر الذبايح نزلت في بديل بن ورقاء وبشر ابن سفيان وي زيد بن خنيس قالوا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم تأكلون مما تمهلون يا ايديكم ولأنما تكون مما قتله الله وقيل معناه لا تأزعهم أنت (قوله تعالى (واذع الى ربك) أي الى الاعيان به والى دينه (انك على هدى مستقيم) أي على دين واضح قويم (وان جادلوك) أي خاصموك في أمر الذبح وغيره (فقل الله أعلم بما تعملون) أي من الكذب (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) أي فتمهلون حيثما الخلق من الباطل وقيل حكم يوم القيامة يتردد بين جنه وثواب لمن قبل وبين نار وعقاب لمن ردوا في قوله عز وجل (الم تعلم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الاممة (ان الله يعلم ما في السما والارض ان ذلك في كتاب) أي في اللوح المحفوظ (ان ذلك) أي علمه بجميعه (على الله يسير) أي هين وقيل ان كتب الحوادث مع انهم من الغيب على الله يسير (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) أي حجة ظاهرة من دليل معي (وما ليس لهم به علم) أي انهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لاعلم ولا دليل عقلي (وما للظالمين) أي المشركين (من نصير) أي مانع عنهم من العذاب (واذا تتلى عليهم آياتنا ينات) يعني القرآن وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام (تعرف في وجوه الذين كفروا والمنكر) أي الانكار والكرهه يتبين ذلك في وجوههم (يكادون يسطون) أي يفرون ويضطون اليكم أيديهم بالسطو وقيل يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) أي بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ (قل) أي قل لهم يا محمد (أفأنتم بشركم من ذلكم) أي بشركم وأكرم اليكم من هذا القرآن الذي تستمعون (النار) أي هي النار (وعدها الله الذين كفروا ونس المصير) (قوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل) فان قت الذي جاء به ليس عمل فكيف سماء مثلاً قلت لما كان المثل في الاكثر كذبة عجيبة غريبة جازان يسمى كل كلام كان كذلك مثلاً وقال في الكشاف قد سميت الصفة والقصة الواقعة المتفقا بالاضحسان والاضغراب مثلاً تشبهها الهابيعض الامثال المسيرة لكونها مسيرة عندهم مستحسنة مستغربة (فاستمعوا له) أي تدبروه حق تدبروه فان الاستماع بالتدبر وتعمل لا ينفع والمعنى جعل لي شبيهه وشبه في الاوثان أي جعل المشركون الاصنام شركا في عبادتهم انهم بين حالها واصفها فقال تعالى (ان الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام (ان يخلقوا ذبابا) أي واحد في صغره وضعفه وقلته لانها لا تقدر على ذلك (ولو اجتمعوا له) أي خلقته والمعنى ان هذه الاصنام لو اجتمعت لم تقدر على خلق ذبابه على

يسطون) يبطشون والسطو الوتب والبطش (بالذين يتلون عليهم آياتنا) هم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (قل أفأنتم بشركم من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما أصابكم من الكراهة والصبر بسبب ما تلى عليكم (النار) خبر مبتدأ محذوف كان قائلاً قال ما هو فقي ل النار أي هو النار (وعدها الله الذين كفروا) استثناف كلام (ونس المصير) النار ولما كانت دعواهم بأن الله تعالى شر يكافارية في الغرابة والشهرة مجرى الامثال المسيرة قال الله تعالى (يا أيها الناس ضرب) بين (مثل فاستمعوا له) لضرب هذا المثل (ان الذين تدعون) يدعون سهل ويعقوب (من دون الله) آلهة باطلة (ان يخلقوا ذبابا) ان لتأكبدني المستقبل وتأكبد ههنا للدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل كانه قال محال ان يخلقوا ويخصب من الذباب لمها تشبه وضعفه وادعوا ذبابة وهي ذبابا لانه كلما ذاب لاستغذاره آب لاستكباره (ولو اجتمعوا له) خلق الذباب وعمله النصب على الحال كانه قيل

ضعفها

سجّل منهم ان يخافوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لحظته وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما أنزل في تجهيل قريش حيث وصفوا بالالهيّة التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صوراً وتماثيل يستحيل منها ان تقدّر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله ولو اجتمعوا لذلك (وان يسلمهم الذباب شيئاً) شيئاً ثانياً مضروباً عليهم (لا يستقدّونه منه) أي هذا الملقى الأقل الاذل لو اخطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا يطولونها بالزعفران ورؤسها بالاعسل فإذا سلطه الذباب عجزوا الاضام عن أخذه (ضعف الطالب) أي الضمن يطلب ما سلب منه (والمطلوب) الذباب بما سلب وهذا كالنسيئة بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف فإن الذباب حيوان وهو جبار وهو غاب وذالك مغلوب (ما قدره الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا الضمن الضعيف شريكاً له (ان الله (٣١٣) اقوى عزير) أي ان الله قادر وغاب فكيف

يخذ العاجز المغلوب شيئاً به أو اقوى بنصر أوليائه عزير يقتحم من أعدائه (الله يصطفى) يختار (من الملائكة رسلاً) جبريل وميكائيل وإسرافيل وغيرهم (ومن الناس) رسلاً كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام هذا رد لما أنكره من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسول الله على ضرب من ملك وبشر وقيل نزلت حين قالوا أنزل عليه الذكر من بيننا (ان الله سميع) لقولهم (بصير) يختاروه لرسالته أو سميع لا قول الرسل فيما قبله العقول بصير بأحوال الامم في الرد والقبول (يعلم ما بين أيديهم) مأمضى (وما خلفهم) ما لم يأت أو ما علموه وما ساء عملوه أو أمر الدنيا وأمر الآخرة (والى الله ترجع الامور) أي اليه

ضعفها وصغرها فكيف يليق باقل جعلها معبوداً له (وان يسلمهم الذباب شيئاً لا يستقدّونه منه) قال ابن عباس كانوا يطولون الاضنام بالزعفران فإذا جف جاء الذباب فاستلبه منه وقيل كانوا يضربون الطعام بين أيدي الاضنام فيقع الذباب عليه ويأكل منه (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما سلب من الطيب الذي على الضمن والمطلوب هو الضمن وقيل الطالب عابد الضمن والمطلوب هو الضمن (ما قدره الله حق قدره) أي ما عظمه وحق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه (ان الله لقوى عزير) أي غاب لا يهتدي قوله عز وجل (الله يصطفى من الملائكة) أي يختار من الملائكة (رسلاً) جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزير (ومن الناس) (ان الله يصطفى من الناس رسلاً) مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الانبياء والرسل صلى الله وسلم عليهم أربعين نزلت حين قال المشركون أنزل عليه الذكر من بيننا فاجاب الله تعالى ان الاختيار واليه يختار من يشاء من عباده لرسالته (ان الله سميع) أي لا قوا لهم (بصير) أي لا فعلا لهم لا تخفى عليه خافية في قوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم) قال ابن عباس ما قدموا (وما خلفهم) أي ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما بين أيدي ملائكتهم ورسله قبل أن يخلقهم ويعلم ما هو كلن بعد فناءهم (والى الله ترجع الامور) أي في الآخرة في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) أي صلوا والان الصلاة لا تكون الا بالركوع والسجود (واعبدوا ربكم) أي وحدهم وقيل أخلصوا له العبادة (واقبلوا الخير) قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذي هو عبادة عن التعظيم الامر الله تعالى والى الاحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والمصدق وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر (اعلمكم تفطنون) أي لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة

(٤٠ - خازن ثالث) مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يستل عما يفعل وايس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وقد ابيره واختيار رسله ترجع شأى وحزة وعلى (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) في صلواتكم وكان أول ما أسلموا به بلار كوع وسجود فأمر بأن تكون صلواتهم بركوع وسجود وفيه دليل على أن الاعمال ليست من الايمان وان هذه السجدة للصلاة للتلاوة (واعبدوا ربكم) واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله لا الضمن (واقبلوا الخير) قيل لما كان للذكر كرمية على غيره من الطاعات دعا المؤمنين أولاً الى الصلاة التي هي ذكرخالص لقوله تعالى وأقم الصلاة لذكري ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج وغيرهما ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل أريد به صلة الارحام ومكارم الاخلاق (اعلمكم تفطنون) أي تفيفون واذا فعلوا هذا كله وأنتم راجعون للفلاح غير متيقنين ولا تسكوا على أعمالكم

(وجاهدوا) أمر بالغزو أو مجاهدة النفس والهوى (٣١٤) وهو الجهاد الأكبر وهو كلمة حق عند أمير جائز (في الله) أي في ذات الله

ومن أجله (حق جهاده) وهو أن لا يخاف في الله لومة لائم يقال هو حق عالم وجد عالم أي عالم حقاً وجداً ومنه حق جهاده وكان القياس حق الجهاد فيه أَوْ حق جهادكم فيه تكن الاضادة تكون بأدنى ملازمة واختصاص فلما كان الجهاد مختصاً بالله من حيث أنه مفقود لوجهه ومن أجله صحت اضافته اليه ويجوز أن يتبع في الظرف كقوله

ويوم شهدناه سلمياً وعامراً (هو اجتباكم) اختاركم لدينه ونصرته (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ضيق يسر رخص لكم في جميع ما كلفكم من الطهارة والصلاة والصوم والحج بالتيم وبالاعمال بالقصر والافطار بعد السفر والمريض وعدم الزاد والراحلة (ملة أبيكم إبراهيم) أي اتبعوا ملة أبيكم أو نصب على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم ومعهما أبا وان لم يكن أباً لآل أمه كلها لانه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أباً لآل أمه لان أمه الرسول في حكم أولاده قال عليه السلام انما أنا نكاح مثل الوالد (هو سماكم المسلمين) أي الله بدليل قراءة أبي الله سماكم (من قبل) في الكتب المتقدمة (وفي هذا) أي

ابن المسيب وسعيد بن جبيرة وسفيان الثوري وأبي حنيفة ومالك بدليل انه قرن السجود بالركوع فدل ذلك انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلماء في عدة سجود التلاوة فذهب الشافعي وأحمد وأكثرا أهل العلم إلى أنها أربع عشرة سجدة لكن الشافعي قال في الحج سجدة واحدة فقط سجدة ص وقال أبو حنيفة في الحج سجدة واحدة سجدة ص وبه قال أحمد في إحدى الروايتين عنه فغنده ان السجدة خمس عشرة سجدة وذهب قوم إلى ان المفصل ليس فيه سجود يروى ذلك عن أبي بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا يكون سجود القرآن إحدى عشرة سجدة يدل عليه ما روى عن أبي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في القرآن إحدى عشرة سجدة أخرجه ابو داود وقال اسناده واه ودليل من قال في القرآن خمس عشرة سجدة ما روى عن عمرو بن العاص قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن خمس عشرة سجدة منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدة واحدة أخرجه ابو داود وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقرأنا إذا السماء انشقت أخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة هو واجب قوله عز وجل (وجاهدوا في الله حق جهاده) أي جاهدوا في سبيل الله أعداء الله ومعنى حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه أنه قال لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما تجاهدون في سبيل الله ولا تخافون لومة لائم وقيل معناه اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته قبل تسخيرها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال أكثر المفسرين حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله وتسكون كلمة الله هي العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قال تسكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعت من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ذكره البغوي بغير سند قبل أراد بالاصغر جهاد الكفار وبالأكبر جهاد النفس (هو اجتباكم) أي اختاركم لدينه والاشتغال بخدمة وعبادته وطاعته فأمر بعبادته أعلى من هذا أو أي سعادة فوق هذا (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أي ضيق وشدة وهو أن المؤمن لا يتلى بشئ من الذنوب إلا جعل الله له منه مخرجاً بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بأشكال أنواع التكفارات من الأمراض والمصائب وغير ذلك فليس في دين الإسلام ما لا يجد العبد فيه سبيلاً إلى التخلص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل معناه رفع الضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج إذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تنقوا ووقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة والفطر في السفر والتميم عند عدم الماء وأكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعداً والفطر مع العجز بعد ذوالمرض ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله لعباده قبل أن يعطى الله هذه الامه خصلتين لم يعطهما أحد غيرهم جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ما كان على بني اسرائيل من الاتصار التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامه (ملة أبيكم إبراهيم) لانها اختلفت في ملة محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت لم يكن إبراهيم أباً لآل أمه كلها فكيف سماه أباي قوله ملة أبيكم إبراهيم قلت ان كان الخطاب للعرب فهو أبو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فهو أبو المسلمين والمعنى ان وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الأب فهو كقوله وأزواجه امهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا نكاح كالوالد في قوله (هو سماكم المسلمين من قبل) قولان أحدهما ان السكاية ترجع إلى الله تعالى يعني ان الله سماكم المسلمين في الكتب القديمة من قبل نزول القرآن القول الثاني ان السكاية ترجع إلى إبراهيم يعني ان إبراهيم سماكم المسلمين في أيامه من قبل هذا الوقت وهو قولهم بنا وجعلنا المسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فاستجاب الله دعاءهم فينا (وفي هذا) أي وفي القرآن سماكم المسلمين (ليكون الرسول شهيداً عليكم) يعني

في القرآن أي فضلكم على سائر الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم (ليكون الرسول شهيداً عليكم) انه قد بلغكم رسالته

(ونكوفوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل رسالات الله إليهم وانما خصكم لهذه الكرامة والازفة (فأقيموا الصلاة) بواجباتها (وآتوا الزكاة) بشرائطها (واعتصموا بالله) وثقوا بالله وثقوا وعليه لا بالصلاة والزكاة (هو مولاكم) أي مالككم وناصركم ومتولى أموركم (فنعلم المولى) حيث لم ينعكم رزقكم بعصيانكم (ونعم النصير) أي الناصر هو حيث أمانكم على (٣١٥) طاعتكم وقد أفلح من هو مولا ناصره والله الموفق للصواب

سورة المؤمنين مكية
وهي مائة وثمان عشرة
آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد أفلح المؤمنون) قد

نفيضة لما هي ثبت المتوقع

ولما تنفيذه وكان المؤمنون

يتوقعون مثل هذه البشارة

وهي الاخبار بثبت الفلاح

لهم فخطبوا بما دل على

ثبت ما توقعوه والفلاح

الظفر بالمطلوب والتجاء من

المرهوب أي فازوا بما

طلبوا ونجحوا بما هربوا

والإيمان في اللغة التصديق

والمؤمن المصدق لغة وفي

الشرع كل من نطق

بأنشهادين موافقاً لهما

أسانه فهو مؤمن قال عليه

السلام خلق الله الجنة

فقال لها تكلمي ففالت قد

أفلح المؤمنون ثلاثاً أنا

حرام على كل بخيل مرء

لأنه بالرياء أبطل العبادات

البدنية وليس له عبادة

مالية (الذين هم في صلاتهم

خاشعون) خائفون بالقلب

ساكنون بالجوارح

وقيل الخشوع في الصلاة

جمع الهمة لها والأعراض

هي أسوأها وأن لا يجاوز

يعني يوم القيامة أن قد بلغكم (ونكوفوا شهداء على الناس) يعني تشهدون يوم القيامة على الامم ان رسلكم قد بلغتمهم (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله) أي ثقوا به وثقوا وعليه وقيل تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سألوا ربكم ان يعصمكم من كل ما يكرهه وقيل معناه ادعوا ربكم ان يشتمكم على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة (هو مولاكم) أي وليكم وناصركم وحافظكم (فنعلم المولى ونعم النصير) أي الناصر لكم والله تعالى أعلم

سورة المؤمنين مكية

وهي مائة وثمان عشرة آية وألف وثمانمائة وأربعون كلمة

وأربعة آلاف وثمانمائة حرف وحرفان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دوى كدوى النحل فأ نزل الله عليه يوماً فبكث ساعة ثم سرى عنه فقرا قد أفلح المؤمنون إلى عشر آيات من أولها وقال من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل انقبسه ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وأثربنا ولا تؤثر علينا اللهم أرضنا ولا أرض عنا أخرجه الترمذي قوله عز وجل (قد أفلح المؤمنون) قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبخوافي الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة (الذين هم في صلاتهم خاشعون) قال ابن عباس يخشون أذلاء خاضعون وقيل خائفون وقيل متواضعون وقيل الخشوع من أفعال القلب والخوف والرهبة وقيل هو من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لا بد من الجمع بين أفعال القلب والجوارح وهو الأولى فالخشوع في الصلاة لا بد وان يحصل له الخشوع في جميع الجوارح فاما ما يتعلق بالقلب من الأفعال فنهاية الخضوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطيء إلى شيء سوى ذلك التعظيم وأما ما يتعلق بالجوارح فهو أن يكون ساكناً طرماً ناظراً إلى موضع سجوده وقيل الخشوع هو ان لا يعرف من على عينه ولا من على سمائه (ق) عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس هو الاختطاف عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه وفي رواية أعرض عنه أخرجه أبو داود والنسائي وقيل الخشوع هو ان لا يرفع بصره إلى السماء (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أولئك يظنون أبصارهم وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلاتهم خاشعون رمقوا بأبصارهم إلى مواضع السجود وقيل الخشوع هو أن لا يعبث بشيء من جسده في الصلاة لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم أبصر رجلاً يعبث بلبنته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ذكره البغوي بغير سند عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يسمع الحصى فان الرحمة تواجهه أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والأعراض عما سوى الله

بصره مصلاه وان لا يلتفت ولا يعبث ولا يسدل ولا يفرق أصابعه ولا يقبل الحصى ويخوذ ذلك وعن أبي الدرداء هو اختلاس المقل واعظام المقام واليقين التام وجميع الاهتمام وأضيفت الصلاة إلى المصلين لا إلى المصلي له لا لتفاد المصلي بها وحده وهي عليه رذخبرته وأما المصلي له فغنى عنها

(والذين هم عن اللغو معرضون) اللغو كل كلام ساقط حقه ان يلغى كاللغو والشتم والهزل يعني ان لهم من الجدم ما شغلهم عن الهزل ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الله عمل وترك الشايقين على الانفس اللذين هم قاعدات بناء التكليف (والذين هم للزكوة فاعلون) مؤدون ولفظ فاعلون يدل على المداومة بخلاف مؤدون وقيل الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يخرج من المزدكي من النصاب الى المقبر وعلى المعنى وهو فعل المزدكي الذي هو الزكاة وهو المراد هنا بخلاف المزدكين فاعلين له لان لفظ الفعل يعم جميع الافعال كالضرب والقيل ونحوهما فقول للضارب والقائل والمزكي فعل الضرب راقتهل وانتر كية ويجوز ان يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء دخل ان لا تقدم المفعول وضوء اسم الفاعل في العمل فانه نقول هذا ضارب لا زيد ولا نقول ضرب لزيد (والذين (٣١٦) هم لقروجهم حافظون) الفرج يشمل سوة الرجل والمرأة (الا على أزواجهم)

في موضع الحال أي الا الذين
على أزواجهم أرقوا من
عليهم من قولك كان زياد
على البصرة أي واليها عليها
والمعنى انهم لقروجهم
حافظون في جميع الاحوال
الا في حال تزوجهم أو
تدريسهم أو تعلق على
بعضهم بدل عليه غير
ملومين كأنه قيل يلامون
الا على أزواجهم أي
يلامون على كل مباشرة
الا على ما أطلق لهم فانهم
غير ملومين عليه وقال
القراء الامن أزواجهم أي
زوجاتهم (أو ما ملكت
أيمانهم) أي ايمانهم ولم
يقول من لان المملوك جرى
بحري غير العتلاء وهذا
يلاع كاتباع البهائم فانهم
غير ملومين أي لا لوم
عليهم ان لم يحفظوا فروجهم
عن نسايتهم وامانهم (فن
ابتغى وراء ذلك) طلب قضاء

والتي رقيما بحري على اسائه من القراءة والذكر قوله تعالى (والذين هم عن اللغو معرضون) قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصي وقيل هو كل باطل وله وما لا يحصل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشم والسب (والذين هم للزكوة فاعلون) أي الزكاة الواجبة مؤدون فـ بر عن التأدية بالفعل لانهم افعال وقيل الزكاة ههنا هي العمل الصالح والاول أولى (والذين هم لقروجهم حافظون) الفرج اسم سوة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام (الا على أزواجهم) على معنى من (أو ما ملكت أيمانهم) يعني الاما والجوارى والآية في الرجال خاصة لان المرأة لا يجوز لها ان تستمتع بفرج مملوكها (فانهم غير ملومين) يعني بعدم حفظ فرجه من امر أنه وامته فانه لا يلام على ذلك وانما لا يلام فيما اذا كان على وجه اذن فيه الشرع دون الايمان في غير ما في وفي حال الحيض والنفس فانه محظور فلا يجوز من فعله فانه ملوم (فن ابتغى وراء ذلك) أي اتيسر وطلب سوى الأزواج والولد ومن الجوارى المملوكة (فأولئك هم العادون) أي الظالمون المجاوزون الحد من الحلال الى الحرام وفيه دليل على أن الاستمنا بالبدن حرام وهو قول أكثر العلماء سئل عطاء عنه قتل مكروه سمعت ان قومًا يحشرون وأيديهم جبال فأظن انهم هؤلاء وقال سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا يعيثون بهذا كبيرهم قوله عز وجل (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) أي حافظون ما ثبتوا عليه والعهد التي حاقد والناس عليها يقومون بالوفاء بها والامانات تختلف فبما يكون بين العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التي أوجبها الله تعالى على العباد فيجب الوفاء بجميعها ومنها ما يكون بين العباد كالودائع والصنائع والاسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به أيضا (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أي يدومون ويراعون أوقاتها وانما أركانها ركوعها وسجودها وسائر شروطها فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس تكرارا وصفهم أولا بالخشوع في الصلاة وآخر بالحفاظة عليها قوله عز وجل (أولئك) يعني أهل هذه الصفقة (هم الوارثون) يعني يرثون منازل أهل الدار من الجنة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فمن مات ودخل الجنة ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى أولئك هم الوارثون ذكره البغوي بغير سند وقيل معنى الورثة هو ان يؤل أمرهم الى الجنة وينالوها كما يؤل أمر الميراث الى الوارث (الذين يرثون الفردوس) هو أعلى الجنة * عن عبادة بن الصامت ان

شهوة من غير هذين (فأولئك هم العادون) الكاملون في العدوان وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكف لارادة رسول الشهوة (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) أي المؤمنين عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وانما تؤدى العيون لا المعاني والمراد به العموم في كل ما ثبتوا عليه وعهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق (راعون) حافظون والراعي القائم على الشيء بحفظه واصلاح كراعي الغنم (والذين هم على صلاتهم كوفي غير أبي بكر) يدومون في أوقاتها واعادة ذكر الصلاة لانها أهم ولان الخشوع فيها غير المحافظة عليها أولا لانها وجدت أولا ليعاد الخشوع في جنس الصلاة أية صلاة كانت وجعت آخر اليفاد المحافظة على أوقاتها من الفرائض والواجبات والسنة والتوافل (أولئك) الجامعون لهذه الاوصاف (هم الوارثون) الاحقاء بأن يسمووا وارثا لدون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون) من الكفار في الحديث ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل الجنة ورث أهل النار منزله وان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله (الفردوس)

هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وقال قطرب هو أعلى الجنان (هم فيها خالدون) أثبت الفردوس بتأويل الجنة (ولقد خلقنا
 الإنسان) أي آدم (من سلاله) من لا بداءه والاسلالة الخلاصة لانها أنزل من بين الكدر وقيل انما سمى التراب الذي لم يأت منه سلاله
 لان عمل من كل تربته (من طين) من اللين كقولهم من الاوانات (ثم جعلناه) أي ذنبا له فخلق المضاف اليه متعاده لا آدم
 عليه السلام لم يصرف نطفة وهو كونه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين وقيل الانسان بنو آدم والاسلالة
 النطفة والعرب تسمى النطفة سلاله أي ولقد خلقنا الانسان من سلاله يعني من نطفة من طين أي من مخلوق من طين دعوا آدم
 عليه السلام (نطفة) ما قبله (لا في قرار) مستقر يعني الرحم (مكينا) حصين (ثم خلقنا النطفة) أي صيرناها بدلالة تدرجه الى زحولين
 والخلق يمدى الى ما قبل واحد (علقة) قطعة دم والمعنى أحلت النطفة البيضاء (٣١٧) علقه جراء (نخلقنا نطفة) ضغطة (لحم

فروم يعضغ) نخلقنا المضعفة
 عظاما) فنه صيرناها عظاما
 (فكسونا العظام لحما)
 دأبتنا عليها اللحم صارت لها
 كلباس عظام العظام شاي
 وأبو بكر عظاما العظام زيد
 عن يعقوب عظاما العظام
 عن أبي زيد وضع الواحد
 موضع الجمع لعدم اللبس
 اذا الانسان ذر عظام كثيرة
 (ثم أنشأناه) الضمير يعود
 الى الانسان أو الى المذكور
 (خلقنا آخر) أي خلقنا
 مياينا للخلق الاول حيث
 جعله حيوانا وكان جادا
 وناطقا ومميعا وبصيرا
 وكان بضد هذه الصفات
 ولهذا انشأنا اذا غضب بيضة
 فأفرخت عنده ضمن البيضة
 ولا يراد الفرخ لانه خلق آخر
 سوى البيضة (فتبارك
 الله) فتعالى أمره في قدرته
 وعلمه (أحسن) بدل أو
 خبر مبتدأ محذوف وليس
 بصفة لانه نكرة وان
 أضيف لان المضاف اليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة سبع مائة
 والارض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الاربعه ومن فوقها يكون العرش فإذا
 أنتم الله فأسألو الفردوس أخرجه الترمذي (هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها ولا يموتون
 قوله عز وجل (وقد خلقنا الانسان) يعني ولد آدم لان الانسان اسم جنس (من سلاله من طين)
 قال ابن عباس السلاله صفوة الماء وقيل هي المني لان النطفة تسيل من الظهر من طين يعني طين آدم
 لان السلاله تولدت من طين خلق منه آدم وقيل المراد من الانسان هو آدم وقوله من سلاله أي من
 كل تربته (ثم جعلناه نطفة) يعني الذي هو الانسان جعلناه نطفة (في قرار مكين) أي حريم وهو الرحم
 ومعنى مكينا لا يستقر النطفة فيه الى وقت الولادة (ثم خلقنا النطفة علقه) أي صيرناها النطفة قطعة دم
 جامدة (نخلقنا العلقه مضغعة) أي جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة (نخلقنا المضعفة عظاما فكسونا
 لعظام لحما) وذلك لان اللحم يستتر العظم فجعله كالسكر وقوله قيل ان بين كل خلق وخلق أربعين يوما (ثم
 أنشأناه خلقا آخر) أي مياينا للخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيوانا بعدما كان
 جادا وناطقا بعدما كان أكم ومميعا وكان أصم وبصيرا وكان أمه وأودع باطنه وظاهره عجايب صنعته
 وغرائب فطرته وعن ابن عباس قال ان ذلك تصرف أحواله بعد الولادة من الاسهال الى الرضاع الى
 القعود وانقيام الى المشي الى القطام الى أن يأكل ويشرب الى أن يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد الى ما بعدها
 (فتبارك الله) أي استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال (أحسن الخالقين) أي المصورين والمقدرين
 فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى الله خالق كل شيء وقوله هل من خالق غير الله قالت
 الخلق له معان منها الإيجاد والابداع ولا موجد ولا مبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر
 ولان نفري ما خلقت واهـ* ض القوم يخلق ثم لا يفري

معناه أنت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله أحسن المقدرين
 وجواب آخر هو ان عيسى عليه الصلاة والسلام خلق طيرا ومعنى نفسه خالقا بقوله اني أخلق لكم من
 الطين كهيئة الطير فقال تبارك الله أحسن الخالقين (ثم انكم بعد ذلك) أي بعد ما ذكر من تمام الخلق
 (الميتون) أي عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) أي للحساب والجزاء قول عز وجل
 (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أي سبع سموات طرائق لان بعضها فوق بعض وقيل لانها طرائق
 الملائكة في صعودها وهبوط (وما كنا عن الخلق غافلين) أي بل كنا لهم حافطين من ان تسقط السموات

عوض من من (الخالقين) المقدرين أي أحسن المقدرين تقدير افتراك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه وقيل ان عبد الله بن سعد بن أبي
 مروح كان يكتب للنبي عليه السلام فطلق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا انزلت فقال عبد الله ان كان
 محمد نبيا يوحى اليه فأنا نبي يوحى الي قارند وخلق بمكة ثم أسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لأن ارتداده كان بالمدينة وهذه السورة
 مكية وقيل القائل عمر أو معاذ رضي الله عنهما (ثم انكم بعد ذلك) بعد ما ذكرنا من أمركم (الميتون) عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم
 القيامة تبعثون) تحيون للجزاء (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) جمع طريقه وهي السموات لانها طرق الملائكة ومغلباتهم (وما كنا
 عن الخلق غافلين) أراد بالخلق السموات كانه قال خلقنا فوقكم وما كنا غافلين عن حفظها أو أراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح
 عليهم الارض والبركات منها وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم

(وأُنزلنا من السماء ماء) مطرا (يقدر) يتقدر يسلمون معه من المصرة ويصلون الى المنفعة أو بمقدار ما علمنا من حاجتهم (فأسكنناه في الأرض) كقولهم فأسكنه يأسع في الأرض وقيل جعلناه ثابتا في الأرض فاء الأرض كله من السماء ثم استأدى شكرهم بقوله (واناعلي ذهاب به لقادرون) أي كما قدرنا على (٣٨)

عليهم قتها لهم وقيل معناه بنينا فوقهم سمااءا طمنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ما تركناهم سدى بغير أمر ونهى وقيل معناه انما خلقنا السماء فوقهم لتنزل عليهم الارزاق والبركات منها وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين أي عن أعمالهم وأقوالهم وضمائرهم لا تخفى علينا خافية (وأُنزلنا من السماء ماء بقدر) أي بعلم الله من حاجتهم اليه وقيل بقدر ما يكفيهم للعيش في الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة (فأسكنناه في الأرض) يعني ما بقي في الغدران والمستنقعات مما يتفقع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر وقيل أسكنناه في الأرض ثم أخرجناه منها يأسع كالعبون والآبار فكل ماء في الأرض من السماء (واناعلي ذهاب به لقادرون) وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيجان وجهان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة أخرجه مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار سيجان وجهان ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض فاذا كان عند دخروجه يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الأرض القرأت والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وثابت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى واناعلي ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الأرض فقد أهلوا خير الدين والدينار وروى هذا الحديث البغوي في تفسيره وقال روى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان بن عثمان بن سعيد بن سابق الاسكندراني عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ثم ذكر ما أنبت بالماء فقال تعالى (فأنشا لكم به) أي بالماء (جنات) أي سائين (من نخيل وأعناب) انما أفردهم بالذرة لثمة منافعها ما فاتهم ما يقوم مقام الطعام والادام والفواكه وطباويا بسا (الكم فيها) أي في الجنات (فواكه كثيرة ومنها تاكلون) أي شتاء وصيفا (وشجرة) أي وانشا لكم شجرة وهي الزيتون (تخرج من طور سيناء) أي من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحشبية وقيل بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سيناء وسنين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وهو الجبل الذي منه نودي موسى بين مصر وادله وقيل هو جبل فلسطين وقيل سيناء اسم حجارة بعينها أضيف الجبل اليه لوجوده عند وقيل هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل (تنبت بالدهن) أي تنبت وفيها الدهن وقيل تنبت بثمر الدهن وهو الزيت (وصبغ للأكابن) الصبغ الادام الذي يكون مع الخبز ويصبغ به جعل الله تعالى في هذه الشجرة المباركة اداما هو الزيتون ودهنا هو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لانه منه نشأ وقيل ان اول شجرة تنبت بعد الطوفان الزيتون وقيل انها بقيت في الأرض نحو ثلاثة آلاف سنة قوله عز وجل (وان لكم في الانعام عبرة) أي آية تعتبرون بها (نسقيكم مما في بطونها) أي البانها ووجه الاعتبار فيه ان اللبن يخص الى الضرع من بين فرت ودم باذن الله تعالى ليس فيه منه شيء فيستعمل الى الطهارة والى طعم يوافق الشهوة والطبع ويصير غدا وتقدم بسط الكلام بما فيه كفاية في

فخيل واعناب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة) روى النخيل والاعناب (ومنها تأكلون) أي من الجنات أي من غارها ويحوزان هذا من قولهم فلان يأكل من حرفة بحرفة ومن صنعة يغفلها أي انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعاشكم منها ترزقون وتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وهي شجرة الزيتون (تخرج من طور سيناء) ط-ور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف الطور الى بقعة اسمها سيناء وسنين واما ان يكون اسم الجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كأمري القيس وهو جبل فلسطين وسيناء غير متصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الجازي وأبي عمرو للتعريف والمجزة أو مفتوحة كقراءة غيرهم لان الالف لاتأنيث كقراء (تنبت بالدهن) قال الزجاج الباء للجال أي تنبت معها الدهن تنبت مكي وأبو عمرو

اما لان أنبت بمعنى نبت كقوله حتى اذا أنبت البقل أولان معوله محذوف أي تنبت زيتونها وفيه الدهن (وصبغ للأكابن) أي ادام لهم قال مقاتل جعل الله تعالى في هذه اداما ودهنا فالادام الزيتون والدهن الزيت وقيل هي اول شجرة تنبت بعد الطوفان وخص هذه الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجر وأفضلها وأجودها للثمن (وان لكم في الانعام) جع نعم وهي الابل والبقر والغنم (لعلكم تسقيكم) ويقتح النون شامى ونافع وأبو بكر وسقى وأسقى لغتان (عما في بطونها) أي تخرج لكم من بطونها لبنا سائغا

سورة

(ولكم فيها منافع كثيرة) سوى الالبان وهي منافع الاصواف والاربار والاشجار (ومنهما تاكلون) أي لحومها (وعليها) وعلى الانعام في البر (وعلى الفلك) في البحر (نحملون) في أسفاركم وهو هذا بشراني ان المراد بالانعام الابل لانها هي المحمول عليها في العادة فلذا اقربها بالفلك التي هي السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة **سفينته برحت خدي زمعها * يريد ناقته** (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله وحده (مالك من الله) معبود (غيره) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجهة استئناف مجرى التعليل للامر بالعبادة (أفلا تتقون) أفلا تخافون عقوبة الله الذي هو ربكم وخالقكم اذا عبدتم غيري مما ليس من استحقاق العبادة في شيء (فقال الملا الذين كفروا من قومه) أي أشرفهم لعوامهم (ما هذا الا بشر مثلكم) يأكل ويشرب (يريد أن يتفضل عليكم) أي يطلب الفضل عليكم ويرأس (ولو شاء الله) ارسل رسول (لا تزل ملائكة) لا يرسل ملائكة (ما معنابم) (ذا) أي بارسل بشرا رسولا أو بما أمرنا به من التوحيد وسب آلهتنا والعجب منهم انهم رضوا بالالوهية للعجوة ولم يرضوا بالنبوة للبشر (في آياتنا الاولى) ان هو الا رجل به جنة (جنون) (فتر بصوابه حتى حين) فانتظروا واصبروا عليه الى زمان حتى يتجلى أمره فان آفاق من جنونه والافتقار (قال رب انصرني عما كذبون) فلما أس من إيمانهم دعا الله بالانتقام منهم والمعنى أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي اذ في انصرني اهلأكمهم (٣١٩) أو انصرني بدل ما كذبون كقولك هذا

بذلك أي بدل ذلك والمعنى
أبداني من غم تكذيبهم
لوجه النصرة عليهم (فأوحينا
إليه) أي أوحينا دعاءه
فأوحينا إليه (أن اصنع
الفلك بأعيننا) أي تصنعه
وأنت واثق بحفظ الله لك
ورؤيته أياك أو بحفظنا
وكلاهما كان معك من الله
حفاظا يكوئلك بعونهم لا
يتعرض لك ولا يفسد عليك
مفسد عملك ومنه قواهم
عليه من الله عين كاشفة
(ووحينا) أمرنا وتعليمنا
أياك صنعهم اروي انه أوحى
إليهم أن يصنعها على مثال
جسود الطائر (فاذا جاء
أمرنا) أي عذابنا بأمرنا

سورة النحل (ولكم فيها منافع كثيرة ومنهما تاكلون) يعني كما تتفقهون بها وهي حية فكذلك تتفقهون بها بعد الذبح لا لكل (وعليها) أي وعلى الابل (وعلى الفلك تحملون) أي على الابل في البر وعلى السفن في البحر **وقوله تعالى** (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) أي مالكم معبود سواه (أفلا تتقون) أي أفلا تخافون عقابه اذا عبدتم غيره (فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم) أي آدمي مثلكم مشارك لكم في جميع الامور (يريد أن يتفضل عليكم) أي انه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا وأنت له تبع (ولو شاء الله لازل ملائكة) يعني بإبلاغ الوحي (ما معنابم) (ذا) أي الذي يدعونا اليه نوح (في آياتنا الاولى) ان هو الا رجل به جنة (أي جنون) (فتر بصوابه حتى حين) أي الى الموت فتستر بحوامته (قال رب انصرني عما كذبون) أي اعني باهلا كذبهم بتكذيبهم إياي (فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا) أي عرأى مناقله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظنا الثلاث تعرض له أحد ولا يفسد عليه عمله (ووحينا) فيدل ان جبريل عليه عمل السفينة ورصف له كيفية اتخاذها (فاذا جاء أمرنا) أي عذابنا (وفار التنور) قبيل هو التنور الذي يخبر فيه وكان من حجارة وقيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذا رايت الماء يفر من التنور (فاسلك فيها) أي فادخل في السفينة (من كل زوجين اثنين) أي من كل حيوان ذكر وانثى (واهلك) أي وسائر من آمن بك (الامن سبق عليه القول) أي وجب عليه العذاب (منهم) يعني الكفار وقيل اراد بأهل بيته خاصة والذي سبق عليه القول منهم هو ابنة كنعان (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغفون) **وقوله عز وجل** (فاذا استويت) أي اعتدلت (أنت ومن معك على الفلك) أي في السفينة (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) أي الكافرين (وقل رب انزلي منزلا مباركا) فيدل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من

(وفار التنور) أي فار الماء من تنور المطبخ أي أخرج سبب الفرق من موضع الحرق ليكون المبلغ في الانذار والاعتبار وروى انه قيل لنوح اذا رايت الماء يفر من التنور فار كعب أنت ومن معك في السفينة فلما تبع الماء من التنور اخبرته امر انه فركب وكان تنور آدم قصارا الى نوح وكان من حجارة واختلف في مكانه فقيل في مسجد الكوفة وقيل بالشام وقيل بالهند (فاسلك فيها) فادخل في السفينة (من كل زوجين) من كل أمة زوجين وهما أمة الذكر وأمة الانثى كالجمال والذوق والحسن والملك (اثنين) واحد من كل زوجين كالجمال والناقة والحسان والركمة روى انه لم يحمل الا ما يلد ويبض من كل حصص والمفضل أي من كل أمة زوجين اثنين تأكيد وزيادة بيان (وأهلك) وسامك وأولادك (الامن سبق عليه القول) من الله باهلا له وهو ابنة كنعان (عليه مع سبق النافع في قوله) واقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوها ما كتب وعليها ما اكتسبت (منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغفون) ولا تنالني نجاة الذين كفروا فاني أعرفهم (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك) فاذا اعتدلتكم عليها راكبين (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا لان كان فإذا استويت أنت ومن معك في معنى اذا استويت لانه فيهم وامامهم فكان قوله قواهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة (وقل) حين ركبت على السفينة أو حين خرجت منها (رب انزلي منزلا) أي انزالا أو موضع انزال منزلا أو بكرة أي مكانا (مباركا

فَرُوا حَقَّهُ لِعِصْيَائِهِمْ وَمَا
 (وَكُنُوا بِالْبَقَاءِ الْآخِرَةِ)
 أَى بَقَاء مَا فِيهِمْ مِنَ الْحِسَابِ
 وَالْثَوَابِ وَالْعِقَابِ وَغَيْرِ
 ذَلِكَ (وَأَرْقَاهُمْ) وَزَعَمَاهُمْ
 (فِي الْجَبَّةِ الدَّيْنِيَةِ) بِكَثْرَةِ
 الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ (مَاهَذَا)
 أَى الْحِجَى (الْإِبْشَرِ مِنْكُمْ)
 يَا كُلُّ مِمَّا نَأْتَاكُمْ مِنْهُ
 وَبِشْرِبِ مَا تَشْرَبُونَ (أَى
 مِنْهُ خَلْقٌ لَهُ لَالَةٌ مَقُولَةٌ عَلَيْهِ
 أَى مِنْ آيِنٍ يَدْعَى رِسَالَةً
 اللَّهُ مِنْ بَيْنِكُمْ وَهُوَ مِنْكُمْ
 (وَأَيْنَ أَطَاعْتُمْ بَشَرًا مِنْكُمْ)
 أَى فِيمَا بِأَمْرِكُمْ وَبَيْنَهَاكُمْ
 هُنَا (أَنْتُمْ إِذَا) وَاقِعٌ فِي خِزَاءِ
 الشَّرْطِ وَجِبِ سَوَابِ السَّيِّئِينَ
 قَالُوا هُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ

السفينة واراد بما ركها النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء. (وانت خير المنابر) معناه انه قد يكون
الانزال من غير الله كما يكون من الله فحسن ان يقول وانت خير المنابر لان يحفظ من الزلزال ويكلؤه في
سائر احواله ويدفع عنه المكاره بخلاف منزل النضيف فانه لا يقدر على ذلك (ان في ذلك) أي الذي
ذكر من أمر نوح والسفينة واهلها أعداء الله (لايات) أي دلالات على قدرتنا (وان كنا) أي
وما كنا (الميتين) أي المختارين اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول
العذاب بهم (فله تعالى) ثم أنشأنا من بعدهم) أي من بعد اهلاكهم (قرنا آخرين) يعني عادا (فأرسلنا
فيهم رسولا منهم) يعني هوذا قاله أكثر المفسرين وقيل القرن ثود والرسول صالح والاول اصح (ان
اعبدوا الله ما لكم من الله غير ما فلا تتقون) أي هذه الطريقة التي أنتم عليها تخافون العذاب (وقال الملا
من قومه الذين كفروا وكذبوا بآياتنا الاخرة) أي بالمصير اليها (وأرسلناهم) أي نعمناهم ورسعنا عليهم
في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم بأقل مما ناكلون منه ويشرب مما تشربون) أي من مشربكم
(ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا اطعتمون) أي لمعوفون (أيعبدكم) أي اذعتم وكنتم تراءوا عظاما
أنكم مخربون) أي من قبوركم أحياء (هيأت هيأت) قال ابن عباس أي بعيد بعيد (لما وعدون)
استبعد القوم عنهم بعد الموت اغفالا منهم للتفكير في بدء أمرهم وقدره الله على ايجادهم وأراد ايهذا
الاستبعاد انه لا يكون أبدا (ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) قيل معناه نحيا ونموت لانهم كانوا
يشكرون البعث وقيل نموت الا بأعو يحيا الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيا قوم (وما نحن بموعدين) أي
بعد الموت (ان هو) يعنون رسوله (الارجل اقرى على الله كذا وما نحن له بموعدين) أي بصدين
بالبعث بعد الموت (قال ربي انصرني عما كذبون قال عما قيل ليصبحن) أي ليصيرن (نادمين) على

(الحامرون) بالانقياد لملككم ومن حقه انهم اوجبوا اتباع منله. وعبدوا اعجز منهم (أي بعدكم أنكم اذا امنتم) ككفرهم
بالكسر نافع وحجة وعلى وحقة وغيرهم ياغنى (وكنتم زبانا وعظما ما انكم مخرجون) معوفون للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثنى
انكم للتأكيده وحسن ذلك لفصل بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول والتقدير أي بعدكم أنكم مخرجون اذا امنتم وكنتم زبانا
وعظما (هيان هيان) وبكسر التاء يزيد وروى عنه بالكسر والتنوين فيهما والكسائي يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم للفعل واقع موقع
بعد فاعله مضمير أي بعد التصديق أو الوقوع (لما توقع) من العذاب أو فاعله ما توقع عدون واللام زائدة أي بعد ما توقع عدون من البعث
(ان هي) هذا ضمير لا يعلم ما يعني به الا بما يتلوه من بيانه وأصله ان الحياة (الا حيا تاتنا الدنيا) ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها
وبينها والمعنى لا حياة الا هذه الحياة التي نحن فيها وادنت منا وهذا الان ان النافعية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس
فنفقها فوارزنت لا التي ان في الجنس (غوت ونجيا) أي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن فيأتي قرن آخر أو فيه تقديم وتأخير أي نجيا
وغوت وهو قرأة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما (وما نحن بجمعوئين) بعد الموت (ان هو الا رجل افترى على الله كذبا) أي ما هو الا مفر
على الله فيما يدعيه من استنفاثه له وفيما بعد نامن البعث (وما نحن له بعمومنين) بضم السين (قال رب انصرني عما كذبون) فاجاب الله
دهاء الرسول بقوله (قال عما قيل) قيل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رأيت قديما ولا حديثا في معنى عن قريب وما زائدة
أو بمعنى شئ أو زمن ونذيل بدل منها و جواب القسم المزدوج (لنصبحن ناديين) اذا عاينوا ما يحل بهم

(فأخذتهم الصيحة) أي صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالعدل من الله يقال فلان يفضي بالحق أي بالعدل (فجعلناهم غناء) شبههم في دمارهم بالغناء وهو جيل السيل مما يلي واسود من الورق والعبدان (فبعدا) فهلا كما يقال بعد بعدا أو بعد أي هلك وهو من المصادر المنصوبة بأفعال لا يستعمل أظهارها (للقوم الظالمين) بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (مانسب من أمة) من صلة أي مانسب أمة (أجلها) المكتوب لها والوقت الذي حدثت له الكهات وكتب (وما يستأخرون) لا يتأخرون عنه (ثم أرسلنا رسلا تترى) فعلى والآلاف للتأنيث كسكرى لأن الرسل جماعة ولذا لا ينون لانه غير منصرف تترى بالتثنية مكي وأبو عمرو يزيد على أن الآلاف للالحاق كارتطى وهو نصب على الحال في القراءتين أي متتابعين واحدا بعد واحد وتأوها فيهما بديل من الواو والاصل ورى من الورى وهو المفرد فقلت الوارثاء كتراث (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) الرسول بلاس المرسل والمرسل اليه والاضافة تكون بالملابسة فتصح اضافته اليهما (فأنبعنا) الامم والقرون (بعضهم بعضا) في الاهلاك (وجعلناهم أحاديث) اخبارا يسمع بها ويتعجب منها والأحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه (٣٢١) أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام وتكون جمعا للآحاد ووثقة وهو ما يحدث

به الناس تلهيا وتعبا وهو المراد هنا (فبعدا القوم لا يؤمنون) ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بديل من أخاه (بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (إلى فرعون وملئه فاستكبروا) امتنعوا عن قبول الإيمان (ترفعوا وتكبرا) (وكانوا قوما عالين) متكبرين مترفعين (فقالوا أفؤمن للبشر من مثلنا) البشر يكون واحدا وجمعا ومثل وغير بوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث (وقومهما) أي بنو اسرائيل (لنا عابدون) خاضعون مطيعون وكل من دان لملك فهو عابده

كفرهم ونكذبهم (فأخذتهم الصيحة بالحق) يعني صيحة العذاب وقيل صاح بهم جبريل فتصدت قلوبهم وقيل أراد بالصيحة الهلاك (فجعلناهم غناء) هو ما يجعله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمغني صيرناهم هلكى فيسوا بيس الغناء من نبات الارض (فبعدا) أي الزمان بعدا من الرحمة (للقوم الظالمين) قوله عز وجل (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) أي أقواما آخرين (مانسب من أمة أجلها) أي وقت هلاكها (وما يستأخرون) أي عن وقت هلاكهم (ثم أرسلنا رسلا تترى) أي مترادين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لأن بين كل رسولين زمانا طويلا (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) فأنبعنا بعضهم بعضا أي بالهلاك فأهلكنا بعضهم في أثر بعض (وجعلناهم أحاديث) أي سمعوا قصصا يحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم (فبعدا القوم لا يؤمنون) قوله تعالى (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين) أي بحجة بينة كالعصا والبدل وغيرهما (إلى فرعون وملئه فاستكبروا) أي تعظموا وعن الإيمان (وكانوا قوما عالين) أي متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم (فقالوا) يعني فرعون وقومه (أنؤمن لبشر من مثلنا) يعنون موسى وهرون (وقومهما لنا عابدون) أي مطيعون متذللون (فكذبوهما ففكنا من المهلكين) أي بالغرق (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (لعلهم يهتدون) أي لكي يهتدى به قومه (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) أي دلالة على قدرتنا لأنه خلقه من غير ذكروا نطقه في المهد فإن قلت لم قال آية ولم يقل آيتين قلت معناه جعلنا آية لأن عيسى ولد من غير ذكروا كذلك مريم ولده من غير ذكروا فاشتركا في هذه الآية فكانت آية واحدة (وآتيناهما إلى ربوة) أي مكان مرتفع قيل هي دمشق وقيل هي الرملة وقيل أرض فلسطين وقال ابن عباس هي بيت المقدس قال كعب بن المقدس أقرب الأرض إلى السماء بشمانية عشر ميلا وقيل هي مصر وسبب الأيواء انها قربت بابنها إليها (ذات قرار) أي منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها (ومعين) هو الماء الجاري الذي تراه العيون (قوله تعالى) (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) قيل أراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وحده

(٤١ - خازن ثاثة) عند العرب (فكذبوهما ففكنا من المهلكين) بالغرق (ولقد آتينا موسى) أي قوم موسى (الكتاب) التوراة (لعلهم يهتدون) يعملون بشرائعها ومواظمها (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) يدل على قدرتنا على ما نشاء لانه خلق من غير نطفة وحده لان العجوبة فيهما واحدة أو المراد وجعلنا ابن مريم وآمه آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها (وآتيناهما) جعلنا مأواهما أي منزلهما (إلى ربوة) شامى وعاصم ربوة غيرهما أي أرض مرتفعة وهي بيت المقدس أو دمشق أو الرملة أو مصر (ذات قرار) مستقر من أرض مستوية منبسطة أو ذات غمار وماء يعني انه لا جمل الثمار يستقر فيها ساكنوها (ومعين) وماء ظاهر جار على وجه الأرض أو انه مفعول أي مدرك بالعين بظهوره من حاله إذا أدركه بعينه أو فاعيل لانه نفاع بظهوره وبحريه من المساعون وهو المنفعة (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) هذا النداء والخطاب ليساعلى ظاهرهما لانهم أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بأن كل رسول في زمانه نودى بذلك ووصى به ليعتقد السامع ان أمر نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه أو هو خطاب لمحمد عليه الصلاة والسلام لفضله وقيامه مقام الكل في زمانه وكان يأكل من الغنائم أو لعيسى عليه السلام لان اتصال الآية بذكره وكان يأكل من غزل أمه وهو أطيب الطيبات والمراد بالطيبات ما حل والأمر للتعريف أو ما يستطاب ويستلذ والامر للترفيه والاباحة

(والمعملوا صالحا) موافقا للشرعية (التي بما تعملون عليهم) فاجازيكم على أعمالكم (وان هذه) كوفي على الاستئناف وان مجازي وبصري
 بمعنى ولا ان أي فاقون لان هذه أو معطوف على ما قبله أي بما تعملون عليهم وبأن هذه أو تقدير ماعملوا ان هذه (أممكم) أي ملتكم
 ومثريعتكم التي أنتم عليها (أمة واحدة) ملة واحدة وهي شريعة الاسلام وانتصاب أمة على الحال والمعنى وان الدين دين واحد وهو
 الاسلام ومثله ان الدين عند الله الاسلام (وأنا ربكم) وحدي (فاقون) خافوا عقابي في مخالفتكم أمري (فتقطعوا أمرهم بينهم) تقطع
 بمعنى قطع أي قطعوا أمر دينهم (زبرا) جمع زبور أي كتب مختلفة بمعنى جعلوا دينهم ادبا ناويل تفرقوا في دينهم فرفقا كل فرقة تتحل كتابا وعن
 الحسن قطعوا كتاب الله قطعا وحرفوه (٣٣٣) وقرئ زبرا جمع زبرة أي قطعا (كل حزب) كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المنقطعين

وقيل أراد به عيسى عليه السلام وقيل أراد جميع الرسل وأراد بالطيبات الحلال (والمعملوا صالحا) أي
 استقيموا على ما يوجبها الشرع (التي بما تعملون عليهم) فيه تحذير من مخالفة ما أمرهم به وإذا كان الرسل
 مع علوشأنهم كذلك فلان يكون تحذير الغيرهم أولى لما روي عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل
 كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث
 أغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني استجاب
 لذلك أخرجه مسلم في قوله عز وجل (وان هذه أممكم) أي ملتكم ومثريعتكم التي أنتم عليها (أمة واحدة)
 أي ملة واحدة وهي الاسلام (وأنا ربكم فاقون) أي فاحذروا وقيل معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين
 فليكن فأمركم واحد وأنا ربكم فاقون (فتقطعوا) أي تفرقوا فصاروا فراقهم ودوا نصارى ومجوسا وغير
 ذلك من الأديان المختلفة (أمرهم) أي دينهم (بينهم زبرا) أي فراقا قطعا مختلفة وقيل معنى زبرا أي كتب
 والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب (كل حزب بما لديهم فرحون) أي
 مسرورون محبون بما عندهم من الدين (فذرهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (في غمرتهم) قال ابن
 عباس في كفرهم وضلالهم وقيل في غماتهم وغفلتهم (حتى حين) أي الى ان يموتوا (أيحسبون أنما
 يمددوا من مال وبنين) أي ما نفعهم ويضعفه لهم مدد من المال والبنين في الدنيا (نصارع لهم في الخيرات) أي
 تفعل لهم ذلك في الخيرات ونفد ما نفعهم في الأعمال لهم مرضا تناغمهم (بل لا يشعرون) أي ان ذلك استدراج لهم
 ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أي خائفون والمعنى
 ان المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه قال الحسن البصري المؤمن جمع احسانا
 وخشية والمناقب جمع اساءة وأما (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أي يصدقون (والذين هم برهم
 لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا) أي يعطون ما أعطوا ومن الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون
 ما عملوا من اعمال البر (وقلوبهم وحلة) أي خائفة ان ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وان اعمالهم لا تقبل
 منهم (أنهم الى ربهم راجعون) أي انهم يوقنون انهم الى الله صائرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات
 واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد عليهم عن عائشة قالت قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم
 وحلة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يا بنت الصديق ولكن هم الذين يصومون وينصدقون
 ويخافون ان لا يقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات أخرجه الترمذي في قوله (أولئك يسارعون في
 الخيرات) أي يبادرون الى الاعمال الصالحة (وهم لها سابقون) أي اليها وقال ابن عباس سبقت لهم من
 الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات في قوله عز وجل (ولا تكاف نفسا الا وسعها) أي طاقتهما

دينهم (بالديهم) من الكتاب
 أو الدين أو من الهوى
 والراي (فرحون)
 مسرورون معتقدون انهم
 على الحق (فذرهم في
 غمرتهم) جهالتهم وغفلتهم
 (حتى حين) أي الى ان
 يموتوا أو يموتوا (أيحسبون
 أنما تمدد لهم به من مال
 وبنين) ما يعني الذي وخبر
 ان (نصارع لهم في الخيرات)
 والعائد من خبر ان اسمها
 محذوف أي نصارع لهم به
 والمعنى ان هذا الامداد
 ليس الاستدراج لهم الى
 المعاصي وهم يحسبونه
 مسارعة لهم في الخيرات
 ومعالجة بالثواب جزاء على
 حسن صنيعهم وهذه الآية
 حجة على المعتزلة في مسألة
 الاصلح لانهم يقولون ان
 الله لا يفعل بأحد من الخلق
 الا ما هو اصلح له في الدين
 وقد أخبرنا ذلك ليس بخير
 لهم في الدين ولا اصلح (بل
 لا يشعرون) بل استدراك
 لقوله أيحسبون أي انهم

اشبه الله ان لا شعور لهم حتى يتأملوا في ذلك انه استدراج أو مسارعة في الخير ثم بين ذكر أوليائه فقال (ان الذين هم من الاعمال
 خشية ربهم مشفقون) أي خائفون (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أي يكتب الله كل ما لا يفرقون بين كتبه كالذين قطعوا أمرهم بينهم
 وهم أهل الكتاب (والذين هم برهم لا يشركون) كمشركي العرب (والذين يؤتون ما آتوا) أي يعطون ما أعطوا ومن الزكاة والصدقات
 وقرئ يؤتون ما آتوا بالقصر أي يفعلون ما فعلوا (وقلوبهم وحلة) خائفة ان لا تقبل منهم لتقصيرهم (أنهم الى ربهم راجعون) الجمهور على
 ان التقدير لانهم وخبر ان الذين (أولئك يسارعون في الخيرات) يرغبون في الطاعات فيبادرونها (وهم لها سابقون) أي لاجل الخيرات
 سابقون الى الجنات أو لاجلها سبقوا الناس (ولا تكاف نفسا الا وسعها) أي طاقتهما يعني ان الذي وصف به الصالحون غير خارج عن

حد الوسع والطافه وكذلك كل ما كلفه عباده وهو ردي على من جوز تكليفه الا يطابق (ولدينا كتاب) أي اللوح المحفوظ (الاعمال) (ينطق بالحق وهم لا يظنون) لا يفترون منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد بزيادة عقاب أو نقصان ثواب أو بتكليف ما لا وسع له به (بل قلوبهم في غمرة من هذا) بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها بما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين (ولهم أعمال من دون ذلك) أي ولهم أعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك أي لما وصف به المؤمنون (هم لها عاملون) وعلمهم اقيمون لا يقطعون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب (حتى اذا أخذنا مترقيمهم) متنعيمهم (بالعذاب) عذاب الدنيا وهو القبط سبع سنين حين دعا عليهم النبي عليه الصلاة والسلام أو قتلهم يوم بدر وحتى هي التي يتدأ بعدها الكلام والكلام (٣٣) الجملة الشرطية (اذا هم بجأرون) يصرخون عليه الصلاة والسلام

استغاثه والجوار الصراخ
باسـ غثاته فيقال لهم
(لأنجأروا اليوم) فان
الجوار غير نافع لكم (انكم
منا لا تنصرون) أي من
جهنم لا يلقاكم نصرا ومعونة
(قد كانت آياتي تنبئ عليكم)
أي القرآن (فكنتم على
أعقابكم تنكبسون)
ترجعون القهقري
والنكوص ان يرجع
القهقري وهو أجمع مثبته لانه
لا يرى ما وراءه (مستكبرين)
مستكبرين على المسلمين حال
من تنكبسون (به) بالبيت
أو بالحرم لانهم يقولون
لا يظهر علينا أحد لانا أهل
الحرم والذي سوغ هذا
الاضمار شهرتهم بالاستكبار
بالبيت أو بآياتي لانها في
معنى كتابي ومعنى
استكبارهم بالقرآن
تكذيبهم به استكبارا عن
مستكبرين معنى مكذبين
فعدى تعديته أو تعلق

الاعمال فن لم يستطع القيام فليصل قاعد او من لم يستطع الصوم فليطرب وقبض (ولدينا كتاب) هو
اللوحي المحفوظ (ينطق بالحق) أي بين الصدق والمعنى قد أثبتنا عمل كل عامل في اللوح المحفوظ فهو
ينطق به ويبينه وقيل هو كتاب أعمال العباد التي تكتبها الحفظة (وهم لا يظنون) أي لا ينقص من
حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى (بل قلوبهم في غمرة) أي غفلة وجهالة (من
هذا) أي القرآن (ولهم أعمال) أي للكفار أعمال خبيثة من المعاصي والخطايا يحكمهم عليها (من
دون ذلك) يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله في قوله ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون (هم) يعني الكفار (لها) أي لتلك الاعمال الخبيثة (عاملون) أي لا بد لهم من ان
يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم في الازل من الشقاوة (حتى اذا أخذنا مترقيمهم) أي رؤسائهم
وأغنياءهم (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشد وطأنا على مضروا جعلا عليهم سنين كسنى يوسف فابتلاهم الله
بالقبط حتى أكلوا الكلاب والجيف (اذا هم بجأرون) أي يصيحون ويستغيثون ويحززون
(لأنجأروا اليوم) أي لأنجذعوا ولا تصبروا اليوم (انكم منا لا تنصرون) أي لا تمنعون منا ولا ينفعكم
تضرعكم (قد كانت آياتي تنبئ عليكم) يعني القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكبسون) أي ترجعون
القهقري وتتأخرون عن الايمان (مستكبرين به) قال ابن عباس أي بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور
أي مستعظمين بالبيت وذلك انهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا
نخاف أحد اقبأ منون فيه وسائر الناس في الخوف وقيل مستكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول
الاول أظهر (سامرا) يعني انهم يسمون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته
سمرًا وشعروا بخوف ذلك من القول فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله (تهجرون) من الاهجار وهو
الاخفاف في القول وقيل معنى تهجرون تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وبالقرآن
وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح أي تهذون وتقولون ما لا تعلمون (أفلم يدبروا القول) يعني أفلم
يتدبروا ما جاءهم من القرآن فيعتبروا بما فيه من الدلالات الواضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (أم
جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين) يعني فأنكروا يريدنا قد بعثنا من قبلهم رسلا إلى قومهم فكذلك بعثنا محمدا
صلى الله عليه وسلم (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) قال ابن عباس أليس قد عرفوا محمد صلى الله
عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على
الاعراض عنه بعد ما عرفوه بالصدق والامانة (أم يقولون به جنة) أي جنون وليس هو كذلك (بل جاءهم

الباء بقوله (سامرا) سمعوا بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت يسمون وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته
سمرًا وسعروا أو السامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمارا أو بقوله (تهجرون) وهو من الهجر الهذيان تهجرون نافع من
أهجر في منطقة اذا أخش (أفلم يدبروا القول) أفلم يدبروا القرآن ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وعن جاءهم ما لم يأت آباءهم
الاولين بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين فلذلك أنكروا واستبدعوه (أم لم يعرفوا رسولهم) محمد ابا الصدق والامانة ووفور العقل وصحة
النسب وحسن الاخلاق أي عرفوه بهذه الصفات (فهم له منكرون) بغيا وحسدا (أم يقولون به جنة) جنون وليس كذلك لانهم يعلمون انه
أوجههم عقلا وأنفهم ذمنا (بل جاءهم

بالحق) الابلج والصراط المستقيم وبما خالف شهوراتهم وأهواءهم وهو التوحيد والاسلام ولم يجدوا فيه مردا ولا مدفعاً لذلك نسبوه الى الجنون (وأكثرهم للحق كارهون) وفيه دليل على ان أقلهم ما كان كارهاً للحق بل كان تاركاً للإيمان به أنفة واستنكافاً من توبيخ قومه وان يقولوا صابراً ونزل دين آتاه كافي طالب (ولو اتبع الحق) أي الله (أهواءهم) فيما يعتقدون من الآلهة (فسدت السموات والارض) كما قال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا (ومن فيهن) خص العقلاء بالذكر لان غيرهم تبسع (بل اتيناهم بذكرهم) بالكتاب الذي هو ذكركم أي وعظهم أو شرفهم لان الرسول منهم والقرآن بلغتهم أو بالذكر الذي كانوا يمتدونه ويقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين الآية (فهم عن ذكركم معروضون) بسوء اختيارهم (أم تسألهم خرجاً فخرجوا خيراً) حجازي وبصري وعاصم خرجاً فخرج على وجهه شامى خرجاً فخرج وهو ما تخرجه الى الامام من ركة ارضك والى كل عامل من أجرته وجعله والخرج اخص من الخراج تقول خراج القرية وخرج الكوفة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذا حسنت القراءة الاولى بمعنى أم تسألهم على هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق فالكثير من الخلق خير (وهو خير الرازقين) افضل المعطين (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام خفيق ان يستحيبوا لك (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط (٣٣٤) لنا كبون) اعادولون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم (ولورجناهم

وكشفنا ما بهم من ضر) لما أخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم أأنت ترعهم انك بعثت رجلاً للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فترأت الآية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو القبط الذي أصابهم بوجعهم ووجدوا الخصب (الجوا) أي لتبادوا (في طغيانهم يعمهون) أي لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على غردهم (حتى اذا فتحنا عليهم باباً اذا عذاب شديد) قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة (اذا هم فيه مبلسون) أي آيسون من كل خير قوله عز وجل (وهو الذي أنشأكم السمع والابصار والافئدة) أي أسمعواهم وأبصرهم وأعقلهم (قليل) ما تشكرون) أي لم تشكروا هذه النعم (وهو الذي ذرأكم في الارض) أي خلقكم (وابه تحشرون) أي تبعثون (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار) أي تدبر الليل والنهار في الزيادة والنقصان

والمؤمنين ولذهب عنهم هذا السعير) ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكفوا لربهم وما قيل ينصرون) استشهد على ذلك بأننا أخذناهم أولاً بالسيف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت بعد ذلك منهم استكانة أي خضوع ولا تضرع وقوله وما ينصرون عبارة عن دوام حالهم أي هم على ذلك بعد ولذا لم يقل وما ينصرون وأورزن استكان استعمل من انقل من كونه الى كونه كما قيل استعمل اذا انتقل من حال الى حال (حتى اذا فتحنا) فتحنا يزيد (عليهم باباً اذا عذاب شديد) أي باب الجوع الذي هو أشد من الأسر والقتل (اذا هم فيه مبلسون) متحيرون آيسون من كل خير وجاء أعناهم وأشدهم شكيمة في العناد لا يستعطفون أو مجنأهم بكل محنة من القتل والجوع فأروى فيهم عين مفادهم كما ذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يمسكون كقوله ويوم تقوم الساعة يسلس المجرمون (وهو الذي أنشأكم السمع والابصار والافئدة) خصها بالذكر لانها يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها (قليل) ما تشكرون) أي تشكروا قليل ما من زيادة لنا كما دعيت حقاً والمعنى انكم لم تعرفوا عظم هذه النعم ووضعت مواضعها فلم تعلموا ابصاركم واسمعاعكم في آيات الله وافعاله ولم تسألوا بقاؤكم فتمروا بالمنعم ولم تشكروا له شيئاً (وهو الذي ذرأكم) خلقكم وبشكم بالناسل (في الارض وابه تحشرون) تجتمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وهو الذي يحيي ويميت) أي يحيي التسم بالانشاء ويميت بالافتاء (وله اختلاف الليل والنهار) أي يحيى أحدهما عقيب الآخر واختلافهما في الظلمة والنور وفي الزيادة

والشيطان وهو مختص به ولا يقدر على نصرهم ما غيره (أفلا تعلمون) فتعرفوا قدرنا على البعث أو قد تبدلوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا (بل قالوا) أي أهل مكة (مثل ما قال الأولون) أي الكفار قبلهم ثم بين ما قالوا بقوله (قالوا) أنذارا متناوكتا ترابا وعظاما أنسابا لمبعوثون) متناوغة وحرة وعلى وحفص (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أي البعث (من قبل) مجي محمد (ان هذا الأساطير الأولين) جمع أساطير جمع سطور وهي ما كتبه الأولون مما لا حقيقة له وجمع أسطورة أو فقه ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بأقامة الحجّة على المشركين بقوله (قل لمن الأرض ومن فيها) ان كنتم تعلمون) فانهم (سيقولون لله) لانهم مقررون بأنه الخالق فإذا قالوا (قل أفلا تذكرون) فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها كان قادرا على إعادة الخلق وكان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية أفلا تذكرون بالتخفيف حجة وعلى وحفص وبالتشديد غيرهم (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) أفلا تخافونه فلا تشركونا به أو أفلا تتقون في جحودكم قدرته على البعث مع اعتراكم بقدرته على خلق هذه الأشياء (قل من بيده ملكوت كل شيء) الملكوت الملك والوفا والثناء للمبالغة فتنبئ عن عظم الملك (وهو يحير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون) اجرت فلا تاعلى فلان اذا أغتته منه

ومنعتة يعني وهو يغيب من يشاء من يشاء ولا يغيب أحد منه احدا (سيقولون لله قل فأنى تصيرون) فتحدعون عن الحق أو عن توحيد وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى الاول لله بالاجماع اذا سأل لمن وكذا الثاني والثالث عند غير أهل البصرة على المعنى لانك اذا قلت من رب هذا فعنا من هذا فيجاب لفلان كقول الشاعر اذا قيل من رب المزارف والقري ورب الجباد الجرد قيل لخالد اي لمن المزارف ومن قرأ بحمدته فعلى الظاهر لانه اذا قلت من رب هذا فجوابه فلان (بل آتيناهم بالحق) بان نسبة الولد اليه محال

وقيل جعلهم ما مختلفين بعباقبان ويختلفان في السواد والبياض (أفلا تعلمون) أي ماترون من صنعه فتعجبوا (بل قالوا مثل ما قال الأولون) أي كذبوا كما كذب الأولون وقيل معناه أنكروا البعث مثل ما أنكروا الأولون مع وضوح الأدلة (قالوا) أنذارا متناوكتا ترابا وعظاما أنسابا لمبعوثون) قالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب (لقد وعدنا نحن) أي هذا الوعد (وآباؤنا هذا من قبل) أي وعد آباءنا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم نزل حقيقة (ان هذا الأساطير الأولين) أي أكاذيب الأولين قوله تعالى (قل) أي يا محمد لاهل مكة (لمن الأرض ومن فيها) من الخلق (ان كنتم تعلمون) أي خالفها وما لكها (سيقولون لله) أي لا بد لهم من ذلك لانهم يقولون أنها مخلوقة لله (قل) أي قل لهم يا محمد اذا أفروا بذلك (أفلا تذكرون) أي فتعلموا أن من قدر على خلق الأرض ومن فيها ابتداء يقدر على احياهم بعد الموت (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) أي عبادة غيره وقيل معناه أفلا تحذرون عقابه (قل من بيده ملكوت كل شيء) أي ملك كل شيء (وهو يحير) أي يؤمن من يشاء (ولا يجار عليه) أي لا يؤمن من أخافه الله وقيل منع هو من يشاء من السوء ولا يمنع منه من أراد بسوء (ان كنتم تعلمون) أي فأجيبوا (سيقولون لله قل فأنى تصيرون) أي فأنى تحدعون ونصرون عن توحيد وطاعته وكيف يخيل لكم الحق باطلا (بل آتيناكم بالحق) أي بالصدق (وانهم لكاذبون) أي فيما يدعون من الشريك والولد (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله) أي من شريك (اذالذهب كل اله بما خلق) أي لا يفر كل واحد من الآلهة بخلق الذي خلقه ولم يرض أن يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الا سخر عن الاستيلاء على ما خلقه هو (ولعل بعضهم على بعض) أي طاب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شيء ويقدر على كل شيء ثم رده تعالى فقال (سبحان الله عما يصفون) أي من اثبات الولد والشريك (عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) أي تعظم من أن يوصف بما لا يليق به قوله عز وجل (قل رب) أي يارب (اماتر بنى ما يوعدون) أي ما وعدهم من العذاب (رب) أي يارب (فلا تجعلني في القوم

والشرك باطل (وانهم لكاذبون) في قولهم اتخذ الله ولدا وادعائهم الشريك ثم أكد كذبهم بقوله (ما اتخذ الله من ولد) لانه منزوع عن النوع والجنس وولد الرجل من جنسه (وما كان معه من اله) وليس معه شريك في الألوهية (اذالذهب كل اله بما خلق) لا يفر كل واحد من الآلهة بالذي خلقه فاستبد به ولتيزم ملك كل واحد منهم عن الا سخر (واهلا بعضهم على بعض) ولغالب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا مما لكهم متمايز قوههم متغالبون وحين لم تروا أثر التمايز الممالك والتغالب فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شيء ولا يقال اذا لا تدخل الاعلى كلامه هو جزاء وجواب وههنا وقع لذهب جزاء وجوابا ولم يبق منه شرط ولا سؤال سائل لان الشرط محذوف وتقديره ولو كان معه آلهة لدلالة ما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن حاشه من المشركين (سبحان الله عما يصفون) من الانداد والاولاد (عالم) بالحرصه لله وبالرفع مدني وكوفي غير حفص خبر مبدأ المحذوف (الغيب والشهادة) السر والعلانية (فتعالى عما يشركون) من الاصنام وغيرها (قل رب اماتر بنى ما يوعدون) ما والنون مؤكدا ان أي ان كان لا يدين من أن تر بنى ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة (رب فلا تجعلني في القوم

الظالمين) أي فلا تجعلني قريناً لهم ولا تعذبني بعد إيمانهم عن الحسن رضى الله عنه أخبره الله أن له في أمته نعمة ولم يجبره متى وثقها فأمر أن يدع هذا الدعا ويرجى أن يسأل النبي المصوم صلى الله عليه وسلم ربه ما علم أنه يفعل وإن يستعذبه بما علم أنه لا يفعله أظهاراً للعبودية ونواضعاً له واستغفاراً عليه الصلاة والسلام إذ قام من مجلسه سبعين مرة لذلك والقائه في فلاجل جواب الشرط ورب اعتراض بينهم للتأكد (وانا على أن نرين ما نعدهم لقادرون) كانوا يشكرون الموعد بالعذاب ويضربون منه قبيل إيمانهم أن الله قادر على إنجاز ما وعد أن تأملتم فاجزاه هذا الإنكار (ادفع بالتي) بالخصلة التي (هي أحسن السيئة) هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لمساوية من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنة السيئة والمعنى اصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان وعن ابن عباس رضى الله عنه هي شهادة أن لا إله إلا الله والسبب الشرك أو الفحش (٣٢٦) بالسلام أو المنكر بالموعظة وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة إذا المدارة

الظالمين) أي لا تهلكني بلاكهم (وانا على أن نرين ما نعدهم) أي من العذاب (لقادرون ادفع بالتي) هي أحسن أي بالخلعة التي هي أحسن وهي الصفح والاعراض والصبر (السيئة) يعني إذا هم أمر بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها الله بآية السيف (نحن أعلم بما يصفون) أي يكذبون ويقولون من الشرك قوله عز وجل (وقل رب أعوذ بك) أي أمتنع واعتصم بك (من همزات الشياطين) قال ابن عباس رزقا هم وقيل وسأوسهم وقيل نفثهم ونفثهم وقيل دفعهم بالأغواء إلى المعاصي (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أي في شيء من أمورى وانما ذكر الحضور لأن الشيطان إذا حضره يوسوس له عن جبرين مطعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال عمر ولا أدري أي صلاة هي قال الله أكبر كبيراً ثلاثاً وأولاً الحمد لله كثيراً ثلاثاً وسبحان الله بكراً وأولاً ثلاثاً أعوذ بالله من الشيطان من نفثه ونفثه وهمزة قال نفثه الشعر ونفثه الكبر وهمزة الموتة أخرجه أبو داود وقد جاء تفسير هذه الالفاظ في متن الحديث وزيد أيضاً قوله نفثه الشعر أي لأن الشعر يخرج من القلب فيلقت به اللسان وينفثه كما ينثف الريق قوله ونفثه الكبر وذلك أن المتكبر ينتفخ ويعظم ويجمع نفسه فيحتاج إلى أن ينفخ وقوله وهمزة الموتة الجنون لأن المجنون ينفسه الشيطان ثم أخبر الله عز وجل أن هؤلاء الكفار الذين يشكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني) قبل المارد به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه أنه استغاث بالله أولاً ثم رجع إلى مسألة الملائكة الرجوع إلى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسمة فكانه قال عند المعاينة بحق الله ارجعوني (أعلى أعمل صالحاً فيما تركت) أي ضيعت وقيل تركت أي منعت وقيل خلفت من التركة أو المعنى أقول لا إله إلا الله وأعمل بطاعته فيدخل فيه الأعمال البدنية والمالية قال قتادة ما معنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته ولا يجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن غنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأه عمل فيما تمناه الكفار إذا رأى العذاب (كلا) كلمة ردع وزجر أي لا يرجع إليها (أنها) يعني مسألة الرجعة (كلمة هو قائلها) أي لا ينالها (ومن ورائهم برزخ) أي من أمامهم ومن بين أيديهم حاجز (إلى يوم يبعثون) معناه أن بينهم وبين الرجعة حجاباً وما نعاين الرجوع وهو الموت وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقاطا على ما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة ﴿ قوله تعالى

محذوف عليهم ما علم أن تؤذوا في نلم دين (نحن أعلم بما يصفون) من الشرك أو يوصفهم لك وسوء كرمهم فنجازهم عليه (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) من وسأوسهم ونفثاتهم والهمزة الفحش والهمزات جمع الهمزة ومنه مهماز الرافض والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي كما تمز الرافضة الدواب حثاها على المشي (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أمر بالتعوذ من نفثاتهم بلفظ المبهمل إلى ربه المتكرر لتدائه وبالله وذن أن يحضروه أصلاً أو عند تلاوة القرآن أو عند النزاع (حتى إذا جاء أحدهم الموت) حتى يتعلق يصفون أي لا يزالون يشركون إلى وقت مجيء الموت أو لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت

وما بينهما مذكور على وجه الاعتراض والتأكد لا لاجتماعهم مستعيناً بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم وبغيره على فإذا الانتصار منهم (قال رب ارجعوني) أي ردوني إلى الدنيا خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم خطاب الملوك (أعلى أعمل صالحاً فيما تركت) في الموضع الذي تركت وهو الدنيا لأنه ترك الدنيا وصار إلى العقبى قال قتادة ما معنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ولكن يستدارك ما فرط على ما كنهه الباء كوفي وسهل ويعقوب (كلا) ردع عن طالب الرجعة وانكار واستبعاد (أنها كلمة) المراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله رب ارجعوني أعلى أعمل صالحاً فيما تركت (هو قائلها) لا محالة لا يخافها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والتندم عليه (ومن ورائهم) أي أمامهم والصبر للجماعة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا (إلى يوم يبعثون) لم يرد أنهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقاطا على ما علم أنه لا رجوع بعد البعث إلا إلى الآخرة

(فإذا نفخ في الصور) قبل أنها النفخة الثانية (فلا أنساب بينهم يومئذ) وبالأدغام أبو عمرو ولا اجتماع المثليين وإن كانا من كلمتين يعني يقع التقاطع بينهم حيث يتصرفون متباينين ومعاقبين ولا يكون التواصل بينهم بالانساب إذ يفتر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنه وإنما يكون بالأعمال (ولا ينساء لون) سؤال تواصل كما كانوا ينساء لون في الدنيا لأن كلاً مشغول عن سؤال صاحبه بحاله ولا تناقض بين هذا وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض ينساء لون فليقيامه مواطن في موطن يشتد عليهم الخوف فلا ينساء لون وفي موطن يفقون فينساء لون (فمن ثقلت موازينه) جمع موزون وهي الموزونات من الأعمال الصالحة (٣٧) التي لها وزن وقد رعد الله تعالى من قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً

(فأولئك هم المفلطون ومن خفت موازينه) بالسبب والسراد الكفار (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوها (في جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم ولا محمل للبديل والمبدل منه لأن الصلة لا محمل لها أو خبر بعد خبر لا أولئك أو خبر مبتدأ محذوف (تلفح) أي تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) عابسون فيقال لهم (ألم تكن آياتي) أي القرآن (تتلى عليكم في الدنيا) فكنتتم بها تكذبون (وتزعمون أنها ليست من الله تعالى) قالوا ربنا غلب علينا ملكتنا (شعوتنا) شقاوتنا حجة وعلى وكلامهم مصدر أي شقينا بأعمالنا السيئة التي عملناها وقول أهل التأويل غلب علينا ما كتب علينا من الشقاوة لا يصح لأنه إنما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم أنه يختاره ولا يكتب غير الذي علم أنه يختاره فلا يكون مقولاً ومضطراً في الفعل

(فإذا نفخ في الصور) فلا أنساب بينهم قال ابن عباس أنها النفخة الأولى نفخ في الصور فصعد من في السموات ومن في الأرض فلا أنساب بينهم (يومئذ ولا ينساء لون) ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض ينساء لون وعن ابن مسعود أنها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤس الأولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الحق له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم يومئذ ولا ينساء لون وفي رواية عن ابن عباس أنها النفخة الثانية فلا أنساب بينهم أي لا يتفخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفخرون في الدنيا ولا ينساء لون سؤال تواصل كما كانوا ينساء لون في الدنيا من أنت ومن أي قبيلة أنت ولم يرد أن الانساب تنقطع فان قلت قد قال ههنا ولا ينساء لون وقال في موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض ينساء لون قلت قال ابن عباس إن لقيامه أحوال ومواطن في موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل فلا ينساء لون وفي موطن يفقون أفاقه فينساء لون قوله عز وجل (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلطون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون) أي تسفع وقيل تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) أي عابسون وقد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالأس المشوى على النار * هن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العبد حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب مرنه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب قوله تعالى (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) يعني قوارع القرآن وزواجره مخوفون بها (فكنتم تكذبون) قالوا ربنا غلب علينا شقوتنا أي التي كتبت علينا فلم نهند (وكنافوا مضالين) أي عن الهدى (ربنا أخرجنامن) أي من النار (فان عدنا) أي لما نكره (فانا ظالمون) قالوا فيها أي بعدوا فيها كما يقال للكلب إذا طرد أساً (ولا تنكلمون) أي في رفع العذاب فإني لأرفعه عنكم فعد ذلك أيسر المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام يشككم به أهل النار ثم لا ينكلمون بعد ذلك ما هو إلا الزفير والشهيق وعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وروى عن عبد الله بن عمرو أن أهل جهنم يدعون ما كان خازن جهنم أربعين عاماً ما لا يكلمهم عليه نار بل فلا يجيبهم ثم يقول انكم ما كنتمون ثم ينادون بهم ربنا أخرجنامن فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم أخسوافيها ولا تنكلمون فما ينس القوم بعد ذلك بكلمة أن كان إلا الزفير والشهيق ذكره البغوي بغير سند وأخرجه الترمذي بعناء عن أبي الدرداء قوله فما ينس القوم بعد ذلك بكلمة أي سكتوا ولم ينكلموا بكلمة وقبل إذا قال لهم أخسوافيها ولا تنكلمون انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينفع في وجه بعض وأطبقت عليهم جهنم (أنه كان فريق من عبادي) يعني المؤمنين (يقولون ربنا آمنا فأغفر لنا وارحنا) أنت خير الراحمين فاتخذوهم مضرباً أي تسخروهم منهم وهذا لا يخفى على من يقول ذلك القول اعتذاراً لما كان منهم من التفريط في أمره فلا يحمل أن يطلبوا أنفسهم عذراً فيما كان منهم (وكنافوا مضالين) عن الحق والصواب (ربنا أخرجنامن) أي من النار (فان عدنا) إلى الكفر والتكذيب (فانا ظالمون) لانفسنا (قالوا) استكنا أسكوت ذلة وهو أن (ولا تنكلمون) في رفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يشككمون به ثم ولا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير أن يحضروني أرحموني ولا تنكلموني بالباء في الوصل والوقف يعقوب وغيره بالياء (أنه) ان الأمر والشأن (كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فأغفر لنا وارحنا) أنت خير الراحمين فاتخذوهم مضرباً مفعول ثان وبالضم مدني

وهذا لا يخفى على من يقول ذلك القول اعتذاراً لما كان منهم من التفريط في أمره فلا يحمل أن يطلبوا أنفسهم عذراً فيما كان منهم (وكنافوا مضالين) عن الحق والصواب (ربنا أخرجنامن) أي من النار (فان عدنا) إلى الكفر والتكذيب (فانا ظالمون) لانفسنا (قالوا) استكنا أسكوت ذلة وهو أن (ولا تنكلمون) في رفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يشككمون به ثم ولا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير أن يحضروني أرحموني ولا تنكلموني بالباء في الوصل والوقف يعقوب وغيره بالياء (أنه) ان الأمر والشأن (كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فأغفر لنا وارحنا) أنت خير الراحمين فاتخذوهم مضرباً مفعول ثان وبالضم مدني

وحزوة وعلى وكلاهما مصدر سخر كالسخر إلا أن في بابه النسبة مبالغة قليل هم العاصي بقرضى الله عنهم وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتهم هم زوايا وشاغلتهم هم سائر بن (حتى أنسواكم) بتشاكلهم بهم على تلك الصفة (ذكرى) فتركهم أى كان التشاغل بهم سبباً لنسيانكم ذكرى (وكنتم منهم تضحكون) استهزأ بهم (التي جزيتهم اليوم عاصبروا) بصبرهم (أنهم) أى لانهم (هم الفائزون) ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً أى جزيتهم اليوم فوزهم لأن جزى يتعدى إلى اثنين وجزاهاهم عاصبروا جنة أنهم حزة وعلى على الاستئناف أى أنهم هم الفائزون لأنهم (قال) أى الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة قل مكي وحزة وعلى أمر الملائكة أن يسألهم (كم لبثتم في الأرض) في الدنيا (عدد سنين) أى كم عدد سنين لبثتم فكم نصب لبثتم وعدد غير (قالوا البشايوما أو بعض يوم) استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذاب إلا أن المختن يستطيل أيام مجنته ويستقصر ما مر عليه من أيام الدعة (فاسئل العادين) أى الحساب أو الملائكة الذين يعدون أعمار (٣٣٨) العباد وأعمالهم فسئل بالاهمزمكي وعلى (قال ان لبثتم الا قليلا) أى ما لبثتم الا

وتستهزؤون بهم (حتى أنسواكم ذكرى) أى أنساكم استغالبكم بالاستهزاء بهم ذكرى (وكنتم منهم تضحكون) نزل في كفار قريش كانوا يستهزؤون بالفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال الله (التي جزيتهم اليوم عاصبروا) أى على إذا كنتم تستهزأونكم في الدنيا (أنهم هم الفائزون) أى جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة (قال) يعنى أن الله قال للكفار يوم البعث (كم لبثتم في الأرض) أى في الدنيا وفي القبور (عدد سنين قالوا البشايوما أو بعض يوم) معناه أنهم نسوا مدة لبثهم في الدنيا العظم ما هم بصدده من العذاب (فاسئل العادين) يعنى الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصىونها عليهم (قال ان لبثتم) أى ما لبثتم في الدنيا (الا قليلا) سماء قليلا لأن المروان طال لبثه في الدنيا فإنه يكون قليلا في جنب ما لبث في الآخرة (لو أنكم كنتم تعلمون) أى قدر لبثكم في الدنيا قوله عز وجل (أنحسبتم أنما خلقناكم عبثا) أى لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل العبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لأثوابها ولا عقاب وأنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل (وأنكم البينا لا ترجعون) أى في دار الآخرة للجزاء روى البغوى بسنده عن الحسن أن رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فراه في أذنه أنحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم البينا لا ترجعون حتى ختم السورة فقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقت في أذنه فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده لو أن رجلا موثقاً رها على الجبل لزال ثم رزقه الله تعالى نفسه عما يصف به المشركون فقال عز وجل (فتعالى الله الملك الحق) أى هو التام الملك الجامع لا صنف المملوكات (لا اله الا هو رب العرش الكريم) أى الحسن وقيل الرفيع المرتفع وأغناخص العرش بالذكور لأنه أعظم المخلوقات (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به) أى لا حجة ولا بيعة له به إلا يمكن إقامة برهان ولا دليل على الهية غير الله ولا حجة في دعوى الشرك (فأنحاسباه) أى جزأؤه (عند ربه) أى هو مجاز به بعمله (انه لا يفلح الكافرون) أى لا يعد من يحدو كذب (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)

تفسير سورة النور وهي مدنية وهي اثنتان وقيل أربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (سورة أنزلناها وفرضناها) أى أوجبنا ما فيها من الأحكام والزماكم العمل بها

زمننا قليلا أو بينا قليلا (لو أنكم كنتم تعلمون) صدقهم الله تعالى في نقاههم لبثهم في الدنيا ورجعهم على غفلتهم التي كانوا عليها قل ان حزة وعلى (أنحسبتم أنما خلقناكم عبثا) حال أى عابثين أو مفعول له أى للعبث (وأنكم البينا لا ترجعون) وبفتح التاء وكسر الجيم حزة وعلى ويعقوب وهو معطوف على أعنا خلقناكم أو على عبثا أى لا لعبت ولنستتركم غير من جدوعين بل خلقناكم للتكليف ثم للرجوع من دار التكليف إلى دار الجزاء فنصيب الحسن ونعاقب المسيء (فتعالى الله) عن أن يخلق عبثا (الملك الحق) الذي يحق له الملك لأن كل شيء منه وابسه أو المأبى الذي لا يزول ولا يزول ملكه

(لا اله الا هو رب العرش الكريم) وصف العرش بالكريم لأن الرحمة تنزل منه أولسبته إلى الكرم الاكرمين وقرئ شاذ برفع الكريم صفة للرب تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان) أى لا حجة (له به) اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن إلى زيد لا أحق بالاحسان منه فان الله مثيبه أو صفة لازمة حتى يتم التوكيد كقوله بطير يجتاحيه لأن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان (فأنحاسباه) أى جزأؤه وهذا جزاء الشرط (عند ربه) أى فهو مجاز به لا محالة (انه لا يفلح الكافرون) جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وخاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله (وقل رب اغفر وارحم) ثم قال (وأنت خير الراحمين) لأن رحمته إذا دركت أحد أعنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمة سورة النور مدنية وهي ستون وأربع آيات (سورة) خبر مبتدأ محذوف أى هذه سورة (أنزلناها) صفة لها وقرأ طه سورة على زيد اضربه أو على أنزل سورة والسورة الجامعة لجمل آيات بفاتحة لها وخاتمة واشتقاقها من سور المدينة (وفرضناها) أى فرضنا أحكامها التي فيها أصل الفرض القطع أى جعلناها مأمرة وطاعة بالالتزيم مكي وأبو عمرو واللبغة في الإيجاب

وقوله اولان فيها فرائض شتى اولئك المأفوض عليهم من السلف ومن بعدهم (واترنا فيها آيات بينات) اي ولا تملوا وضاعت (الحكم
تذكرون) اي تنظروا وتخففوا الدال جزء وعلى وخلف وحقق ثم فصل احكامها فقال (الزانية والزاني) رفعهما على الابتداء والخبر
محمذون اي فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلداهما وانما الخبر فاجلدوا او دخلت الفاء لتكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه
معنى الشرط وتقدر به التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكنه وله والمذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء
فاجلدوهم وقرا عيسى بن مهران بالنصب على اضعاف فعل بفسره انما هو اظهر وهو احسن من سورة اترناها لاجل الامر (فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة) الجلد ضرب الجلد وفيه اشارة الى انه لا يبالغ ليصل الى اللحم والخطاب للامعة لان اقامة الحد من الدين وهي على
الكل الا انهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب الامام مناهم وهذا حكم من ليس بمحصن اذ حكم المحصن الرجم وشرايط احصان الرجم الحربية
والعقل والبلوغ والالام واتزوج شكاح صحيح والدخول وهذا دليل على أن التعريب غير مشروع لان الفاء انما تدخل على الجزاء وهو
امم للكنافى والتعريب المروى من نوح بالآية كما نسخ الحبس والاذى في قوله فأمسكوهن (٣٢٩) في البيوت وقوله فاذرهما بهذه الآية

(ولا تأخذكم بهما رأفة)
أي رحمة والضع لغة وهي
قراءة مكى وقيل الرأفة في
دفع المكروه والرحمة في
ايصال المحبوب والمعنى
ان الواجب على المؤمنين
أن يتصلوا في دين الله ولا
يأخذهم اللين في استيفاء
حدوده فيه ظلوا الحدود أو
يخففوا الضرب (في دين
الله) أي في طاعة الله
او حكمه (ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر) من
باب التهييج والمهاب الغضب
لله ولدينه وجواب الشرط
مضمر أي فاجلدوا ولا تعطوا
الحد (وايتهد عذابهما)
وليحضر موضع حددهما
وتسميته عذابا دليل على

وقيل معناه قدرنا ما فيها من الحد ودقيل أو جنبنا ما عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة (واترنا
فيها آيات بينات) أي واضحات (الحكم تذكرون) أي تنظرون ﴿ قوله تعالى (الزانية والزاني
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الزنا هو من الكفار وموجب للحد وهو ابلا ج فرج مشتهى
طبعاً محرماً شرعاً والشرط المعتبرة في وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط الاحصان في الرجم ويجب
على العبد والامة نصف الحد ولا رجم عليهما لانه لا ينصف وقوله فاجلدوا أي فاضربوا يقال جلدته اذا
ضربت جلده ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما أي الزانية والزاني مائة جلدة وقد وردت السنة
بجلد مائة وتعريب عام وبه قال المشافعي وقال أبو حنيفة التعريب الى رأى الامام وقال مالك يجلد الرجل
مائة جلدة ويضرب وتجلد المرأة ولا تعريب وان كان الزاني محصناً فعليه الرجم (ولا تأخذكم بهما رأفة) أي
رحمة ورقة قطع ظلوا الحدود ولا تقيروها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبيرة والنخعي والشعبي
وقيل معنى الرأفة ان تخففوا الضرب بل أوجعوهما ضرباً رهقاً وسعيد بن المسيب والحنبل قال الزهري
يحتج في حد الزنا والقرية أي القذف ويخفف في حد الشرب وقيل يحتج في حد الزنا ويخفف دون ذلك
في حد القرية ويخفف دون ذلك في حد الشرب (في دين الله) أي في حكم الله روى ان عبد الله بن عمر جلد
جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجلها فقال له ابنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقال يا بني
ان الله لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فارجعت (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) معناه ان المؤمن
لا تأخذ الرأفة اذا جاء امر الله وقيل هو من باب التهييج والمهاب الغضب لله تعالى ولدينه ومعناه ان
كنتم تؤمنون فلا تتركوا اقامة الحدود (وليشهد) أي وليحضر (عذابهما) أي حددهما اذا أقام عليهما
(طائفة) أي نفر (من المؤمنين) قيل أقله رجل واحد فصاعداً وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل أربعة
بعدد شهود الزنا ﴿ قوله عز وجل (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشركة

(٤٣ - خازن ثالث) انه عقوبة (طائفة) فرقة يمكن أن تكون حلقة اي اعتباراً وينبغي هو اقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبية كانها
الجماعة الخافعة حول شيء وعن ابن عباس رضى الله عنهما أربعة الى أربعين رجلاً (من المؤمنين) من المصدقين بالله (الزاني لا ينكح
الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك) أي الخبيث الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح المصالح من النساء وانما يرغب
في خبيثة من شكله أو في مشركة والخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاح الصالحا من الرجال وانما يرغب فيها من هو من شكلها من
القسوة أو المشركين فالآية ترهيب في نكاح البغايا اذا زنا عذبل الشرك في القبح والاعيان قرين العفاف والتحصن وهو تفسير قوله
الخبيثات للخبيثين وقيل كان نكاح الزانية محرماً في أول الاسلام ثم نسخ بقوله وأتكدوا الاياهي منكم وقيل المراد بالنكاح الوطء لان غير
الزاني يستفذر الزانية ولا يشتهيها وهو صحيح لكنه يقتضى اذا قولك الزاني لا يزني الا زانية والزانية لا يزني بها الا زان وسئل صلى الله عليه
وسلم عن زنى بامرأة ثم تزوجها فقال أوله سفاح وآخره نكاح ومعنى الجملة الاولى صفة الزاني يكونه غير راغب في العفاف ولكن في الفواحش
ومعنى الثانية صفة الزانية يكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزنا وهما معنيان مختلفان وقدمت الزانية على الزاني أولاً ثم قدم
عليها نائبا لان تلك الآية سبقت لعقوبتهما على ما جنبنا والمرأة هي المادة التي منها نشأت تلك الجنابة لانها لم تطلع الرجل ولم تؤمض

وله ولم تكن له لم يطعم ولم يمكن فلما كانت أصلاً (٣٣٠) في ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لانه

وحرم ذلك على المؤمنين) اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشاء وفي المدينة نساء بغاياهن أنصب أهل المدينة فزغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم - فاستأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الآية تحرم على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا لأنهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء ورفاعة والزهرى والشعبي ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نساء كن معكم والمدينة لهن رايات يعرفن بها منهن أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي وكان في الجاهلية ينكح الزانية يتخذها مأكلاً فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستأذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح أم مهزول واشترط له أن تنفق عليه فأنزل الله عز وجل هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مريد بن أبي مريد الغنوي وكان يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت بمكة بني يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما أتى مكة دعت به عناق إلى نفسها فقال مريد بن مريد أن الله حرم الزنا قالت فأنكحني فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناقاً فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئاً فنزلت الزانية لا ينكح الزانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا الزان أو مشرك فدعاني فقراها علي وقال لا تنكحها أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود وابن أبي شيبة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصاً في حق أولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية الزاني لا يزني إلا الزانية أو مشركة والزانية لا تزني إلا الزان أو مشرك وهذا قول سعيد بن جبيرة والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن هرون أن جامعها وهو مستحل فهو مشرك وإن جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول إذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة أن حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراماً بهذه الآية ثم نهض بقوله تعالى وأنكحوا الإيالي منكم فدخلت الزانية في هذا العموم واحتج من جوز نكاح الزانية بما روى عن جابر أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن امرأتى لا تمنعني إلا من قال طلقها قال أتى أحبها وهي جيلة قال استمتع بها وفي رواية غيره فأمسكها أذا ورى هذا الحديث أبو داود والنسائي عن ابن عباس قال النسائي رفعه أحد الرواة إلى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروى ابن عمر بن الخطاب ضرب رجلاً وامرأته في زنا وحرص على أن يجمع بينهما ما قاله القلام وقيل في معنى الآية أن الفاجر الحديث لا يرغب في نكاح الصالحة من النساء وإنما يرغب في نكاح فاجرة خبيثة مثله أو مشركة والفاسقة الخبيثة لا ترغب في نكاح الصالحين من الرجال وإنما ترغب في نكاح فاسق خبيث مثله أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين أي صرف الرغبة بالنكاح إلى نكاح الزواني وترك الرغبة في الصالحات العفاف محرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج بالزانية في قوله تعالى (والذين يرمون) أي يفتنون بالزنا (المحصنات) يعني المحصنات الحرائر العفاف (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) أي يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلدة) بيان حكم الآية أن من قدق محصناً أو محصنة بالزنا فاقبال له يازاني أو يازانية أو زنت فيجب عليه جلد ثمانين إن كان القاذف حراً وإن كان عبداً يجلد أربعين وإن كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير بشرائط الإحصان خمسة الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنى في عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت نوبته بعد ذلك ثم قدقه قاذف فلا بد عليه فإن أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة شهداء عليه بالزنا فقط الحد من القاذف لأن الحد إنما وجب عليه لأجل الضربة وقد ثبت صدقه وأما الكليات مثل أن يقول يا فاسق أو يا فاجر أو يا خبيث أو يا مؤثراً أو قال امرأتى

الخطاب ومنه بدء الخطاب وقرئ لا ينكح بالجرم على التثنية وفي المرفوع أيضاً معنى التثنية ولكن أبلغ وأكثر ويجوز أن يكون خبراً محضاً على معنى أن مادته جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصور عنها (وحرم ذلك على المؤمنين) أي الزنا أو نكاح البغايا قصد التكسب بالزنا أو لما فيه من التشبه بالفاسق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء المقالة فيه والغيبة ومجالات الخطأين كم فيها من التعرض لافتراف الآثام فكيف عزوجة الزواني والقصاب (والذين يرمون المحصنات) وبكسر الصاد على أي يفتنون بالزنا الحرائر والعفاف المسلمين المسكيات والقدق يكون بالزنا وبغيره والمراد هنا قدقهن بالزنا بأن يقول يازانية لذكر المحصنات عقيب الزواني ولا شرط أربعة شهداء بقوله (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) أي ثم لم يأتوا بأربعة شهداء يشهدون على الزنا لأن القدق بغير الزنا بأن يقول يا فاسق يا أكمل الزاني يعني فيه شاهدان وعليه التعزير بشرائط

إحصان القدق الحرية والعقل والبلوغ والإسلام والعفة عن الزنا والمحصنة كالنكاح في وجوب حد لا بد القدق (فاجلدوهم ثمانين جلدة) إن كان القاذف حراً أو صب ثمانين نعتب المصادق كاصب مائة جلدة وجلدة نصب على التخيير

على ما عرف وعند الشافعي رحمه الله تعالى يتعلق رد شهادة بنفسه القذف فعندنا جزء الشرط الذي هو الرعي الجارود والشهادة على التأييد وهو مدة حياتهم (وأولئك هم الفاسقون) كلام مستأنف غير داخل في حيز جزء الشرط كانه حكاية حال الراي من عند الله تعالى بهذا انقضاء الجملة الشرطية وقوله (الا الذين تابوا من بعد ذلك) أي القذف (وأصلحو) أحوالهم استثناء من الفاسقين وبديل عليه (فان الله غفور رحيم) أي يغفر ذنوبهم ورجعهم وحقوق الاستثناء أن يكون منصوصا بعندهنا لانه عن موجب وعند من جعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية أن يكون مجرورا بدلائلهم في لهم ولماذا حكم قذف الاجنبيات بين حكم قذف الزوجات فقال (والذين يرمون أزواجهم) أي يقدفون زوجاتهم بالباطل (ولم يكن لهم شهداء) أي لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به (أنفسهم) يرتفع على البلد من شهداء (فتشهاد أحدهم أو زوج بالرفع كغير أبي بكر على انه خذ والمبتدأ أنفسه أحد

لا تردب لأمس فهذا ونحوه لا يكون قد فالألا أن يريد ذلك وأما التعريض مثل أن يقول أما أنا فما زلت
أوابست امرأتى زانية فليس بقذف عند الشافعى وأبى حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد وقال أحمد هو
قذف في حال الغضب دون حال الرضا وقوله تعالى (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون)
فيه دليل على أن القذف من الكبائر لأن اسم الناسق لا يقع إلا على صاحب كبيرة (إلا الذين تابوا من بعد
ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا
الاستثناء فذهب قوم إلى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف وإذا تاب وندم على ما قال وحسنت حاله
بعد التوبة قبلت شهادته وواتاب بعد إقامة الحد عليه أو قبله بقوله تعالى (الذين تابوا وقالوا هذا
الاستثناء يرجع إلى رد الشهادة وإلى القسوق وإذا تاب قبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن
عمر وابن عباس وهوقول سعيد بن جبيرة ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار
والشعبي وعكرمة ومحمد بن عبد العزيز والزهرى وبه قال مالك والشافعى وذهب قوم إلى أن شهادة المحدود
في القذف لا تقبل أبدا وإن تاب وقالوا الاستثناء يرجع إلى قوله وأولئك هم الفاسقون وهو قول الثوري
وشريح وأصحاب الرأى قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعى هو قبل أن يحد شر منه حين
يحد لأن الحدود كفارات فكيف تردونها في أحد حاله وتقبلونها في شر حاله وذهب الشافعى إلى أن
حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع إلى الكل وعامة العلماء على أنه لا يسقط الحد بالتوبة إلا
أن يعفو عنه المذنب فيسقط كالقصاص يسقط بانعقوا ولا يسقط بالتوبة فإن قلت إذا قبلت شهادته
بعد التوبة فبما معنى قوله أبدا قلت معنى أبدا مادام مصر على القذف لأن أبدا لكل إنسان مدته على ما يليق
به كما يقال شهادة الكافر لا تقبل أبدا يراد بذلك مادام على كفره فإذا أسلم قبلت شهادته ^{في} قوله عز وجل
(والذين يرمون) أى بقذفون (أزواجهم ولم يكن لهم شهداء) أى يشهدون على صحة ما قالوا (إلا
أنفسهم) أى غير أنفسهم (فشهدوا أحدهم أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين) سبب نزول هذه الآية
ما روى عن سهل بن سعد الساعدي أن عويمرا الجعلافي جاء إلى عاصم بن عدي فقال لعاصم أرايت لو أن
رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقنله فتنة لونه أم كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لعاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ففكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة وعاصم حتى
كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم إلى أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم
ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر لم تأتني بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه
وسلم المسئلة التي سألت عنها فقال عويمر والله لا أنتهى حتى أسأله عنها فجاءه عويمر ورسول الله صلى الله عليه
وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله أرايت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقنله فتنة لونه أم كيف يفعل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فين وفي صاحبك قرأنا فاذهب فأت بها قال سهل قتلنا عمارا أنا
مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغوا من تلاعها قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله إن
أسكنها فوطقها ثلاثا قبل أن يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة
المتلاعنين أخرجه في الصحيحين زاد في روايته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا إن جاءت به أمهم
أدعج العينين عظيم الألبتين خدج الساقين فلا أحب عويمرا إلا قد صدق عليها وإن جاءت به أمهم كأنه
وسرة فلا أحب عويمرا إلا قد كذب عليها فاجتنبه على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تصدق عويمر فكان به يدفع إلى أمه قوله أسكنها أى أسود والإدعج الشديد سواد العينين مع مسحتها
وقوله خدج الساقين أى ممتلئ الساقين غليظهما وقوله كأنه وسرة الوجه يقع الخاء وبسطة كأنه غليظ
ناصق بالأرض وأراد بها في الحديث المبانة في قصره (خ) عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته

وغيرهم بالنصب لانه في حكم المصدر بالاضافة الى المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو قسم اداة احدثهم وعلى هذا خبره محذوف
تقديره فواجب شهادة احدثهم اربع (شهادات بان الله ان الله الصادق) فبما رماها من الزنا

عند النبي صلى الله عليه وسلم بشر بل بن معصم فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة أو حد في ظهورك
فقال يا رسول الله إذا رأي أحد على امر أنه رجل لا يملك يمينه البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول
البينة والأحد في ظهورك فقال هلال بن أمية والذي به ثلث بالحق أني لصديق ولي بزلن الله ما يرى ظهري
من الحد فتزل جبريل عليه السلام وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقد أحق حتى بلغ أن كان من
الصادقين فأنصرف النبي صلى الله عليه وسلم فإرسل اليهم أخوا فقال هلال بن أمية فتهدد النبي صلى الله
عليه وسلم يقول الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منك كتاب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة
وقفها وقال إنما موجهة قال ابن عباس فلما كانت وتسكعت حتى طمأننا ثم أخرج ثم قالت لا أقضع قومي
سائر اليوم فضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروها فإن جاءت به أكمل العيينة من سبع الإثنين
خدج الساقين فهو بشر بل بن معصم فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب
الله كان لي ولها شأن وفي رواية غير البخاري عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية
قال سعد بن عباد لو أنيت لك كراع وقد تقعدت هارجل لم يكن لي أن أهيج حتى آتي بأربعة شهداء فوالله
ما كنت لا آتي بأربعة شهداء حتى يفرغ حاجته ويذهب وإن قلت ما رأيت أن في ظهري لثمانين جلدة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الأنصار ألا تنهون ما يقول سيدكم قالوا لا نله فانه رجل غيور
ما تزوج امرأته قط إلا بكر أو لا طاق امرأته واجترأ رجل منا أن يتزوجها فقال سعد يا رسول الله باني أنت
وأخي والله أني لأعرف أنما من الله وأنما حق ولكن عجت من ذلك لما أخبر الله فقال النبي صلى الله عليه
وسلم فان الله باني إلا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا إلا يسرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن
أمية من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته يزني بها فأمسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله أني جئت إلى أهلي عشاء فوجدت مع امرأتي رجلا
رأيت بعيني وسمعت بأذني فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك في
وجهه فقال هلال والله يا رسول الله أني لأرى الكراهة في وجهك مما أتيتك به والله به أعلم أني لصديق وما
قلت إلا حقا وأنني لأرجو أن يحبس الله في فرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت
الأنصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد ويحلف هلال وتبطل شهادته فيمنعهم كذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل
حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون أزواجهم إلى آخر الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر
يا هلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أو لموا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فكذبت فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منك كتاب فقال يا رسول الله قد صدقت وما قلت إلا حقا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عنوا بينهم ما فقبل لهلال أنهم قد شهدوا أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين
فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن عذاب الله أشد
من عذاب الناس وإن هذه الخامسة هي الموجهة التي فوجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني
الله عليها كما لم يحذفني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدوا (والخامسة أن لعنة الله عليه أن كان من
الكاذبين) ثم قال للمرأة أتمدي فشهدت أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة
ووقفها اتق الله أن الخامسة موجهة وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس فقلكت ساعة وهمت
بالاعتراف ثم قالت والله لا أقضع قومي فشهدت الخامسة أن غضب الله عليهم أن كان من الصادقين ففرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ما وقفني أن الولد لها ولا يدعي لاب ولا يرى ولدها ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن جاءت به كذا وكذا فهو ولزوجه وإن جاءت به كذا وكذا فهو ولذي قبل فيه فجاءت

(والخامسة) لا اختلاف
في رفع الخامسة هنا في
المشهور والتقدير والشهادة
الخامسة (أن لعنة الله
عليه) فهي مبتدأ وخبر (أن
كان من الكاذبين) فيها
وما عا به من الزنا

(ويذكر عنها العذاب) ويدفع عنها الحاس وقاعل يذراً (ان تشهد أربع شهادات (م) بالله انه) ان الزوج (المن الكاذبين) فيما رماي

به من زنا والخامسة ان
غضب الله عليها ان
كان اي الزوج (من
الصادقين) فيما رماي
به من الزنا ونصب حقه
الخامسة عطاء على اربع
شهادات وغيرها رفعها
بالابتداء وان غضب الله
خبره وخفف نافع ان لعنة
الله وان غضب الله بكسر
الضاد وهم في حكم المثقلة
وان غضب الله هم - ل
ويقرب وحقق وجعل
الغضب في جانب الان الذاء
يستعملن اللعن كثيرا كما
ورد به الحديث فربما
يجترن على الاقدام لكثرة
جرى اللعن على الستمن
وسقوط وقوعه عن قلوبهم
فذكر الغضب في جانبهم
ليكون رادعاً لهم والاصل
ان اللعان عندنا شهادات
مؤكدات بالامان مقرونة
باللعن فاعنه مقام حد
الفسد في حقه ومقام
حد الزاني حقها ان الله
تعالى عيابه شهادة فاذا
قدف الزوج زوجته بالزنا
وهما من اهل الشهادة
صح اللعان بينهما واذا
التعاكبين في النهر لا تقع
الفرقة حتى يفرق القاضي
بينهما وعند زفرجه الله
تعالى تقع بتلاعنهما
والفرقة تطليقة باثنية
وعند ابي يوسف وزفر
والشافعي تخريم مؤبد
ونزل آية اللعان في هلال

به غلاما كانه جل اوراق على الشبهة المذكورة وكان أميراً بصراً لا يدري من أبوه الا ورق هو الابيض
وروي ابن عباس ان عويمراً المالا عن زوجته خولة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي
الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال عويمراً فقام فقل أشهد بالله ان خولة زانية واني لمن الصادقين
ثم قال في الثانية أشهد بالله اني رأيت شريكاً على بطن ما واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة أشهد بالله
انها حبيبي من خديري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة أشهد بالله اني ما قرنتها منذ أربعة أشهر
واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمري يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال
ثم أمر بالعود فتمدد ثم قال لخولة فوحى فقامت فقالت أشهد بالله ما بارتانية وان عويمراً من الكاذبين
ثم قالت في الثانية أشهد بالله انه ما رأى شريكاً على بطني وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة أشهد
بالله اني حبيبي منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة أشهد بالله انه ما رأى قط على فاحشته وانه
لمن الكاذبين ثم قامت في الخامسة غضب الله على خولة فبني نفسها ان كان من الصادقين ففرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ما وقال لولا هذه الاعمال لكان لي في أمرهما رأي ثم قال فحينئذ
الولادة فان جاءت به أمه - ياتين يضرب الى السواد فهو لثمن ابن مسموم وان جاءت به أورك - جعدا
جائداً دخل الساقين فهو لغير الذي رمت به قال ابن عباس فجاءت بشبه خلق بشر باليه يمان حكم الآية
ان الرجل ذافذني امرأته فوجهه موجب قدف الاجنبية في وجوب الحد عليه ان كانت محصنة
أو التزويج ان كانت غير محصنة غير ان المخرج منها مختلف فاذا ذف اجنبية أو اجنبية يقام عليه الحد
الا ان يأتي باربعة يشهدون بالزنا أو يقر المذوف بالزنا فيقطع عنه الحد وفي الزوجة اذا وجد أحد هذين
أولاً عن سقط عنه الحد فاللعان في قدف الزوجة بمنزلة البينة لان الرجل اذا رأى مع امرأته رجلاً لا رجا
لا يمكنه إقامة البينة ولا يمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهدا
أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واذا أقام الزوج بينة على زناها أو اعترفت هي بالزنا سقط
عنه الحد واللعان الا ان يكون هنالك ولد يرد نفيه فله ان يلاعن نفيه واذا أراد الامام ان يلاعن بينهما
بدأ بالرجل فيقيم ويلقنه كلمات اللعان فيقول قل أشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رمت به زوجتي فلانة
من الزنا وان كان قد رماها برجل بعينه سمى في اللعان ويقول كما يلقيه الامام وان كان ولداً وحيداً لم يرد
نفيه يقول وان هذا الولد أو هذا الخلد لمن الزنا ما هو مني ويقول في الخامسة لعنة الله ان كنت من
الكاذبين فيما رمت به فلانة واذا أنى بكلامه من كلمات اللعان من غير تلقين الامام لا تحب فاذا فرغ
الرجل من اللعان وقفت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التأنيب دو ان نفي عنه اللعن وسقط
عنه الحد ووجب على المرأة حد الزنا فذه خمسة أحكام تتعلق بلعان الزوج في قوله عز وجل (ويذكرأ) أي
يدفع (عنها العذاب) أي الحد (ان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله
عليها ان كان من الصادقين) حكم الآية ان الزوج اذا لاعن وجب على المرأة حد الزنا فان أرادت
اسقاطه عن نفسها فاتها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما
رماي به ويقول في الخامسة لعنة الله على غضب الله ان كان زوجي من الصادقين فيما رماي به ولا يعلق بلعانهما الا
هذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو أقام الزوج بينة لم يسقط الحد عنها باللعان وعند أصحاب الرأي
لا حد على من قدف زوجته بل موجب اللعان فان لم يلاعن حبس حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت
المرأة من اللعان حبست حتى تلاعن وعند الاخرين اللعان حجة صدقه والقاذف اذا قعد عن إقامة
البينة على صدقه لا يحبس بل يحود كفازف الاجنبى اذا قعد عن إقامة البينة وعند أبي حنيفة موجب
اللعان وقوع الفرقة ونفي اللعن وهم الا يحصل الا بامان الزوجين جميعاً فعارضوا القاضي وفرقة اللعان
فرقة تقع عند الاكثرين وانه قال الشافعي وتلاعن الفرقة منأبداً حتى لو أكل الزوج نفسه يقبل ذلك

ابن أمية او عويمراً حيث قال وجدت على بطن امرأتي خولة فبني بيني وبينها فذكرته فلان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم بينهما

(ولو لا فضل الله) تفضله (عليكم ورحمته) (٣٣٤) نعمته (وان الله ثواب حكيم) جواب لو لا محذوف أي لفضلكم اوله اجلكم

بالعقوبة (ان الذين جاؤا بالافك) هو بالغ ما يكون من الكذب والافتراء واصله الافك وهو القلب لانه قول مأفول عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها قالت عائشة فقدت عقدا في غزوة بني المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلوها وودج لحفتي فلما ارتحلوا اناخ لي صفوان ابن المطلب بعيره وساقه حتى اتاهم بعدما نزلوا فهاك في من هلك فاعتلت شهرا وكان عليه الصلاة والسلام يسأل كيف انت ولا اري منه لظفا كنت اراه حتى عثرت خالة ابي ام مسطح فقالت تعس مسطح فانكسرت عليها فاخبرتني بالافك فلما سمعت ازدادت مرضا وبت عند ابوي لا يرقأ لي دمع وما كفعل بنوم وهما يظنان ان الله مع فائق كبدي حتى قال عليه الصلاة والسلام ابشري يا حيرة فقد انزل الله براءتي فقلت بحمد الله لا يجمدك (عصبة) جماعة من العشرة الى الاربعين واعضو صبروا اجتماعهم عبد الله بن ابي راس النفاق وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح بن اثامة وحنينة بنت جحش ومن ساعدتهم (منكم) من جماعة المسلمين وهم ظنوا

فيما عليه لا فيما له فبلمزمه الحدود بلقه الولد لئلا يبرقع تأييدا للحریم وعنه أبي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا كذب نفسه جازله ان يسكنها او اذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وعند أبي حنيفة اذا أتى بأكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح عيینه صح لعانه حرا كان او عبدا مسلما كان أو ذميا ووقول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبقال ربيعة ومالك والثوري والشافعي وأكثر اهل العلم وقال الزهري والاوزاعي وأصحاب الرأي لا يجزى اللعان الا بين مسلمين حرين غير محدودين فان كان أحد الزوجين رقيقا أو ذميا أو محدودا في قذف فلا لعان بينهما وأظهر القرآني حجة لمن قال يجزى اللعان بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون أزواجهن ولم يفصل بينهما الحد والحد والمحدود وغيره ولا يصح اللعان الا عند الحاكم أو نائبه ويغلظ اللعان بأربعة أشياء بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان وان يكون بحضور جماعة من الناس أما بتعدد الالفاظ فيجب ولا يجوز للاختلاف بشئ منها وأما المكان فهو ان يلاعن في أشهره الا ما كان فان كان بمكة فبين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وفي سائر البلاد في الجامع عند المنبر وأما الزمان فهو ان يكون بعد العصر وأما الجمع فاقوله أربعة والتعايط بالجمع مستحب فلو لاعن الحاكم بينهما وحده جاز وفي التعليط بالزمان والمكان قولان في قوله تعالى (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته) أي لعابكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان (وان الله ثواب) أي يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة (حكيم) أي فيما فرضه من الحدود في قوله عز وجل (ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم) الاثبات سبب نزوله ما روى عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعائشة بن وقاص وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا وكانهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاها وقد وعيت عن كل رجل من منسجم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضها قالوا قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أفرع بين أزواجه فأخرج سهمها فخرج سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة أفرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما نزل الجباب فكنت أحمل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة وقفل ودنونا من المدينة آذن لي بالرحيل فقممت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأني أقبلت الى رحلي فاستصدري فاذا عقد لي من جرع أظفار قد انقطع فرجعت فالتفت فعدى فخبني ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فحملوه على بهري الذي كنت أركب وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذ ذاك خفا فلم يهبلن ولم يعشن اللحم اغمايا كان العاقبة من الطعام فلم يستسكروا القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجبل وساروا ووجدت عقدى بعدما استمر الجيش فخبنت منازلهم وليس بهاداع ولا حبيب قيمت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون الى فيينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فميت وكان صفوان بن المطلب السلمي ثم الذكواني قد عرس من وزراء الجيش فادخل فاصبح عنده منزلي فرأى سواد انسان ناظم فأتاني فعرفتي حين رأيته وكان يراني فبسل أن يضرب الحجاب علي فاستبقت بابا فخرجت حين عرفتني فغمرت وجهي بجملي بالله ما كلني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ علي يد ما فركبته فانطلق يقودني الراحلة حتى أتيت الجيش بعدما نزلوا معرسين وفي رواية موخرين في نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول فقد دنا المدينة فاشتكت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الافك ولا أشبهه بشئ من ذلك وهو يري في دجى أي لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه

ان الافك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين

حين اشكى اغما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تبكم ثم ينصرف فذلك الذي يري بيني منه ولا أشعر بالشرح حتى
نفعت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناسح وهي متبرزا وكنا لا نخرج الا ليل الى ليل وذلك قبل أن نتخذ
الكف فريما من يوتنا وأمرنا أمر العرب الاول في التنزه وكما تتأذى بالكف أن نتخذها عند يوتنا
فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأما بنت صخر بن عامر خالة أبي
بكر الصديق رابنهم مسطح بن أثامة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا غشي فعمرت أم مسطح في
مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أنت بين رجل قد شهد بدرا فقالت يا بنتاه أولم تسمعي
ما قال قلت وما قال فاجبرتنى يقول أهل الافك فازدت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتي فدخل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقل ثم قال كيف تبكم قلت له أنا ذنبي ان أتى أبوي قالت وأنا حينئذ أريد
ان أتبعن الخبر من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فأنت أبوي فقلت لا لي يا أمته ماذا
يتحدث الناس به فقالت يا بنته هو في علي نفسك فوالله لقد كانت امرأة قط رضية عند رجل يحبها ولها
ضرائر الا كثرن عليها قالت فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت
لا يرقاني دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب
واسامة بن زيد حين استلب الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت فاما اسامة فاشار عليه بما يعلم من
براءة أهله والذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال اسامة هم أهلك يا رسول الله ولا تعلم والله الاخير او أما
علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسلي الجارية تصدقك قالت
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم برة فقال أي برة هل رأيت من شيء يربك من عائشة قالت له برة
لا والذي بعثني بالحق ان رأيت منها امرأة قط أغصصه عليها أكثر من انما جارية حديثه السن تمام عن
مجن أهلها فيأتي الداجن فيأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله
ابن أبي اسلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من يعتذرني من رجل قد بلغني اذاه
في أهلي وفي رواية في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا
وما كان يدخل على أهلي الا معي قالت فقام سعد بن معاذ أحد بني عبد الاشمل فقال أنا أعذر لك منه
يا رسول الله ان كان من الاوس ضر بنا عتقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فبسه أمرنا
فقام سعد بن عبادة وهو جد الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من نخذه وكان رجلا صالحا واسكن
احمله الحية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقوله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير وهو
ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لئن فعلته فأنك متافق تجادل عن المنافقين
فتناورا الحيمان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فم
يرل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفف عنهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت فبوي ذلك لا يرقاني دمع ولا
اكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقاني دمع ولا أكتحل بنوم فاصبح عندي أبواي وقد بكيت ليلتين
ربو ما حتى أظن ان البكاء قال كبدتي قالت فينماهما جالسا عندي وأنا أبكي اذا استأذنت على امرأة
من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فينا نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ثم
جلس ولم يجلس عندي من يوم قبل لي ما قبل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه في شأن شي قالت فقتله
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد يا عائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة
فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وفبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب
الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمي حتى ما أحس منه قطرة وقلت لا بي
أحب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت لا لي اجيبي
عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فقات وانا جارية حديثة السن لا اقرأ كتب من القرآن اني والله لقد علمت انكم سمعتم ما سمعتم حدث به
الناس حتى استقر في انفسكم وصدمتكم به فلنن قات لكم اني بريئة والله يعلم اني بريئة لا تصدقوني
بذلك رايتكم اعترف بكم بامر الله يعلم اني منه بريئة تصدقني فوالله ما اجد لي ولكم مثالا الا اياي فاذ
قال تصبر جميل والله المستعان على ما تصفرون ثم نحوات فاضطجعت على فراشي وانا والله حيث نزل علم اني
بريئة وان الله يبرئ بريائي واكن والله ما كنت اظن ان ينزل الله في شأني وحيا وتبي واشأني في نفسي كان
أعقر من ان يتكلم الله في أمري تبي ولكن كنت أرجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم
رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجسه ولا يخرج أحدا من أهل البيت
حتى أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتخدر منه مثل الجبان
من العرق في اليوم الثاني من نزل القول الذي أنزل عليه قال فمرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها ان قال لي يا عائشة إحدى الله وفي رواية قال أبشر يا عائشة اما الله
فقد برأك فقالت لي أي قرى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أجد الا الله
هو الذي أنزل برائي قالت فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالفتنة منهم اثنا عشر الايات فانزل الله
عز وجل هذه الايات في برائي قالت فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح بن اثانة اقربائه منه وفقره
والله لا أتق في عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة فانزل الله ولا يأنل أولوا الفضل منكم والسعة اى قوله
غفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله اني لاحب اني لا يغفر الله في مرجع الى مسطح الذي كان يجري عليه وقال
والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن
أمرى فقال يا زينب ما علمت أو ما رأيت فقالت يا رسول الله أحى سمعى وبصرى والله ما علمت عليهم الا خبرا
قالت عائشة وهي التي كانت تدعى من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقصه الله بالورع وطفقت
أنتهاجنة تخارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الاقل قال ابن شهاب فهذا الذي بالغت في حديث
هؤلاء الرهط زاد في رواية قالت عائشة والله ان الرجل الذي قبل له ما قبل ليقول سبحان الله الذي نفسي
بيده ما كشفت من كفى أنى قط قالت ثم قتل بعد في سبيل الله شهيدا هذا حديث متفق على صحته أخرجه
في الصحيحين زاد البخاري في رواية عن عروة عن عائشة والذي يولى كبره منهم عبد الله بن أبي بن سائل
وقال عروة أخبرني انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقرره ويشبهه ويسمونه عروة لم يسم لي من
أهل الاذلة الاحسان بن ثابت ومسطح بن اثانة وجمته بنت جحش في ناس آخرين لا أعلم لي بهم غير أنهم
عصبة كما قال الله تعالى قال عروة كانت عائشة تذكروا ان يسب عندها حسان وتقول انه الذي قال

فاني أبي روالذي وعرضي * تعرض محمد منكم وقاه

أخرجه من حديث مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان يشد هاشعرا يبيت من أبياته فقال

حصان رزان ما ترين بريئة * وتصبح غرقى من لحوم الغوافل

فقات عائشة لتكنك است كذلك قال مسروق فقلت لها أأنا ذنن له أن يدخل عليك وقد قال الله والذي يولى
كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأي عذاب أشد من العصى وقالت انه كان ينافح أو يهاجى من رسول الله
صلى الله عليه وسلم حل غريب الفاظ هذا الحديث قوله وتكلم حديثي طائفة أي قطعة من حديثها قوله
كان أو حى أي أحفظ له قولها أذن أي أعلم بالرحيل قولها فاذا عقدت لي من جزع أظفارها ونوع من الخرز
وهو الحجر البياض المعروف قولها لم يبلن أي يكثر لجهن من السمن فينتان قولها اغايايا ككن العلفنة من
الطعام هو يضم العين أي الباقية من الطعام وهو قدر ما علك الرمي قولها وليس بهم منهم داع ولا مجيب أي
ليس بهم أحد لا من يدعو ولا من يرد جوابا قولها اقممت أي قصدت قولها قد عرس من وراة الجلس فادخل
التعر يس نزول المسافر في آخر الليل للراحة والادلاج بالتشد يد سيرا آخر الليل وبالتخفيف سيرا الليل كله

(لا تحسبوه) أي الأفك (شر الكرم) عند الله (بل هو خير لكم) لأن الله أثابكم عليه (٣٣٧) وأنزل في البراءة منه غاني عشرة آية

والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفه وان ومن ساء ذلك من المؤمنين (لكل امرئ منهم ما كتب من الآثم) أي على كل امرئ من العصبة جزء الله على مقدار خوضه فيه وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكوت (والذي تولى كبره) أي عظمه عبد الله بن أبي (منهم) أي من العصبة (له عذاب عظيم) أي جهنم يحكي أن صفوان من جودها عليه وهو في ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجما منها ثم ورجع الخاضعين فقال (لولا) هلا (اذمهم قومه) أي الأفك (ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) بالذين منهم فالمؤمنون كففس واحدة وهو كقوله ولا تلزوا أنفسكم (خيرا) عفا فارصلا وذلك نحو ما روى أن عمر رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة والسلام أنا قاطع بكذب المنافقين لأن الله عصمك من وقوع الذناب على جسدك لأنه يقع على التجاسات فيتلطخ بها فلما عصمك الله من ذلك القدر من القدر فكيف لا يصعك عن حجة من تكون متلطفة

قوله باسترجاعه هو قوله أنا لله وأنا إليه راجعون قوله انغمرت أي غطيت وجهي بجلابي أي أزارى قوله اموغرين في نحر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذا نحر الظهيرة أي أولها قوله والناس بفيضون أي يخوضون ويتحدثون قولها وهو يربى يقال رابى الشيء يربى أي شككت فيه قولها لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف أي الرفق بها واللفظ في الأفعال الرفق وفي الأقوال ابن السكلام قولها حتى نقت أي أفتت من المرض والمنازع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من تط وبول وأصله المكان الواسع الخالي والمرط كساء من صوف أو خز قولها تعس مسطح أي عثر وهو من الدعاء على الإنسان أي سقط لوجهه قولها يا فتاته أي بلها كأنها تنسبها إلى البله وقلة المعرفة قولها لا أرى قائل دمع أي لا ينقطع وقول بريرة إن رأيت بمعنى النفي أي ما رأيت منها أمرًا أغصه بالصاد المهملة أي أعيبه والداجن الشاة التي تألف البيت وتقيم به قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرنى أي من يقوم بعذرى أن أنا كافأته على سوء صنيعه إن عانت أو عاقبت فلا تلوموني على ذلك قولها وكانت أم حسان بنت عمه من نخذه أي من قبلته قولها ولكن احتملتها الحية أي حمله الغضب والانفة والتعصب على الجهل للقرابة قولها افتشاور الحيات أي تاروا وضوا للقتال والمخاصمة قولها فلم يزل يخفضهم أي يهون عليهم ويسكن قولهم صلى الله عليه وسلم إن كنت ألممت قبل هومن اللهم وهو صغار الذنوب وقيل بمعناه مقارفة الذنوب من غير فعل قولها قلص دمي أي انقطع جريانه قولها ما رام أي ما برح من مكانه والبراء الشدة والكرب والجمانة الدرة وجعها جان فسرى عنه أي كشف عنه وقول زينب أحمى سمى وبصرى أي أمنعها من أن أخبر عيال سمع ولم أبصر قولها وهي التي كانت تسامى من السم وهو العلو والغلبة فقصه الله أي منعها من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت من كنف أي من ستر أي قوله وبسوت وشبهه أي يستخرج به بالبحث عنه والاستقصاء فيه وقول حسان في عائشة حصان بفتح الحاء يقال امرأه حصان أي متعفة رزان أي ثابتة ما تزن أي ترمى ولا تنهم برية أي بأمر يرب الناس حبيسة وتصيح غرقى أي جائعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى إنما لا تغتاب أحدا ممن هو غافل عن مثل هذا الفعل وقول عائشة في حسان أنه كان ينافح أي يناضل ويخاصم عن الله ورسوله وأما التفسير فقوله عز وجل إن الذين جاؤا بالأفك أي بالكذب والأفك أسوأ الكذب لكونه مصر وفاقن الحق وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء والمدح عما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة من رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجاء بالأفك عصبية أي جماعة منكم أي عبد الله بن أبي سألوه ومسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وخنجة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله فان قلت عبد الله بن أبي سألوه كان رأس المنافقين فكيف قال منكم قلت كان ينسب إلى الإيمان في الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخزج الأغلب فان حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وخنجة كانوا من المؤمنين المخلصين (لا تحسبوه شر الكرم) يعني الأفك الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة ولأبيها وللنبي صلى الله عليه وسلم ولصفوان (بل هو خير لكم) يعني أن الله أجركم على ذلك وأظهر براءتكم وشهد بكذب العصبة وأوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والفضل لكم (لكل امرئ منهم) أي من العصبة الكاذبة (ما كتب من الآثم) أي جزاء ما جترح من الذنوب على قدر ما خاض فيه (والذي تولى كبره) أي تحمل معظمه وبدأ بالخوض فيه وأقام بأشاعته وهو عبد الله بن أبي ابن سألوه (منهم) من العصبة (له عذاب عظيم) يعني عذاب النار في الآخرة روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالذين رماوا عائشة بخلدوا الخديج عاتين غائبين قوله عز وجل (لولا إذ سمعتموه) أي الحديث الكذب وهو قول أهل الأفك (ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) بأخوانهم وأهل دينهم (خيرا) والمعنى كان الواجب على المؤمنين أذمه ووقول أهل الأفك أن يكذبوه ويحسبوا

(٤٣ - خازن ثالث) مثل هذه الفاحشة وقال عثمان إن الله ما وقع ظلك على الأرض لئلا يضع إنسان قدمه على ذلك القتل فلما لم يمكن أحدا من وضع القدم على ظلك كيف يمكن أحدا من تلويث عرض زوجته وكذا قال على رضى الله عنه إن جبريل أخبرك أن على نعليك قد ذرا

وأمر له بأخراج النعل عن رجله بسبب ما التصق به من القذر فكيف لا يأمر له بأخراجها بشفقة من تكون منقطة بشئ من الفواحش وروى أن أبا أيوب الأنصاري قال لا أمر أنه لا تزين ما يقال فقال لو كنت بديل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لا قالت ولو كنت أنا بديل عائشة ما خنت رسول الله فعاثته خير مني وصفوان خير مني وأما عدل عن الخطاب إلى الغيبة وعن الضمير إلى الظاهر ولم يقل ظنتم بأنفسكم غير أو قلتم لي بالغ في التوبخ بطريق الالتفات وليسدل التصريح بلفظ الإيعان على أن الاشتراك فيه يقتضي أن لا يصح صدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن وهذا من الأدب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليست تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ماسمعه بأخوانه (وقالوا هذا أفلم مبین) كذب ظاهر لا يليق بهما (لولا جاءوا عليه باربعة شهداء) (هلا جاءوا على القذف لو كانوا صادقين باربعة شهداء) (فأولئك عند الله) أي في حكمه وشريعته (هم الكاذبون) أي القاذفون لأن الله تعالى جعل التفضي له بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفاء ما رواه الذين رموا عائشة رضي الله عنهم لئلا يكون لهم بينة على قولهم فكانوا كاذبين (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكنكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) لولا هذه الامتناع لشيء لوجود غيره (٣٣٨) بخلاف ما تقدم أي ولولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضر وبالنعم التي من

جلتها إلا مهال للتوبة وإن أترحم عليكم في الآخرة في العفو والمغفرة لعلنا جلستكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الأفل يقال أفاض في الحديث وخاض واندفع (اذ) ظرف لمسكنكم أولاً فاضتم (تلقونه) يأخذهم بعضهم من بعض يقال تلقى القول وتلقفه وتلقفه (بأستسكنكم) أي إن بعضكم كان يقول لبعض هل بلغن حديث عائشة حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) انما قيد بالأفواه مع أن القول لا يكون إلا بالعلم لأن الشيء المعلوم يكون

الظن ولا يسرعوا في التهمة وقول الزورفين عرفوا عففته وطهارته وفيه معاتبه للمؤمنين (وقالوا هذا أفلم مبین) أي كذب بين لا حقيقة له (لولا) أي هلا (جاءوا عليه) أي على ما زعموا (باربعة شهداء) أي يشهدون بذلك (فأولئك عند الله) أي في حكم الله (هم الكاذبون) وهذا من باب الزواجر فإن قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين اذ لم يأفوا بالشهادة ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهادة أو لم يأتيه قلت قيل هذا في حق الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فأولئك هم الكاذبون في غيبتي وعلى وقيل معناه فأولئك عند الله في حكم الكاذبين فإن الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف اذ لم يأت بالشهادة ويحجب زجره (فأولئك عند الله) (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكنكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) معناه لولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضر وبالنعم التي من جلتها إلا مهال للتوبة وإن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعلنا جلستكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الأفل والخطاب للقذفة وهذا الفضل هو تأخير العذاب وقبول التوبة ممن تاب (اذ تلقونه بأستسكنكم) أي يرويه بعضهم عن بعض وذلك أن الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا فيتلقونه تلقياً يلقيه بعضهم إلى بعض (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أي من غير أن تعلموا أنه حق (وتحسبونونه هيناً) أي وتظنون أنه مهمل لا اثم فيه (وهو عند الله عظيم) أي في الوزر (ولولا اذمعهتموه قلتم ما يكون لنا أن نتسكلم بهذا سبحانه) قيل هو للتعجب وقيل هو للتزنية (هذان هتان عظيم) أي كذب عظيم يهت ويحرم من عظمه روى أن أم أيوب الأنصاري قالت لابي أيوب الأنصاري ما باله ما يقول الناس في عائشة فقال سبحانه هذان هتان عظيم فترتل الآية على وفق قوله (يعظكم الله) قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينهاكم الله (ان تعودوا للمشركين أبا ان كنتم مؤمنين

عليه في القلب ثم يترجم عنه اللسان وهذا الأفل ليس الاقولا يدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله يقولون وبين بأفواهكم ما ليس في قلوبهم (وتحسبونونه) أي خوضكم في عائشة رضي الله عنها (هيناً) صغيرة (وهو عند الله عظيم) كبيرة يخرج بعضهم عند الموت فقيل له في ذلك فقال أخاف ذنباً لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم (ولولا) وهلا (اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتسكلم بهذا) فصل بين لولا وقلتم بالظرف لأن الظروف شأنها وتزلهما من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وانما لا تنقل عنهم أفلاً يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها وفائدة تفديم انظر في أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ماسمعوها بالأفل عن التسكلم به فلما كان ذلك الوقت أهم قدم والمعنى هلا قلتم اذ سمعتم الأفل ما يصح لنا أن نتسكلم بهذا (سبحانك) للتعجب من عظم الأمر ومعنى التعجب في كلمة التسليم أن الأصل أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو لتزنيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة وانما جازان تكون امرأه التي كافرة كما هي فوح ولو طوط ولم يجز أن تكون فاجرة لأن النبي مبعوث إلى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه ما ينفرهم عنه والكفر غير منفر عنهم وأما الكشخة فن أعظم المنفرات (هذان هتان) زور يهت من يسمع (عظيم) وذكر فيما تقدم هذا أفلم مبین ويجوز أن يكونوا أمرهم ما بالغه في التبري (يعظكم الله أن تعودوا) (ان تعودوا) (لمثله) (لمثل هذا الحديث من القذف أو استماع حديثه) (أبداً) ما دمت أحياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فليس تهيج لهم لم يعظوا ونذ كبر عما يوجب ترك العود وهو الإيعان

الصادق كل قبيح (ويسمى الله لكم الآيات) الدلالات الواضحات وأحكام الشرائع والآداب الجيدة (والله عليهم) بكم وبأفعالكم (حكيم) يجزي على وفق أعمالكم أو علم صدق زاهدتها وحكم براءتها (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا) أي مقبح جدا والمعنى يشجعون الفاحشة عن قصد الاشاعة ومحبة لها (الهم عذاب أليم في الدنيا) بالحدود وضرب النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي وحسانا ومسطحا الحد (والآخرة) بالنار وعلوها ان لم يتوبوا (والله يعلم) بواطن الامور وسرا الصددور (وانتم لا تعلمون) أي انه قد علم محبة من أحب الاشاعة وهو معاقبه عليها (ولولا فضل الله عليكم ورحته) (٣٣٩) لجهل لكم العذاب وكرر المنية بترك المعالجة

وبين الله لكم الآيات) أي في الامور والنهي (والله عليهم) أي بأمر عائشة وصفوان (حكيم) أي حكم ببراءتها ما في قوله عز وجل (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) أي يظهر الزنا ويذيع (في الذين آمنوا) قبل الآية مخصوصة بمن قد ذنب عائشة والمراد بالذين آمنوا عائشة وصفوان وقيل الآية على العموم فكل من أحب أن تشيع الفاحشة أو تظهر على أحد فهو داخل في حكم هذه الآية والمراد بالذين آمنوا جميع المؤمنين (الهم عذاب أليم في الدنيا) يعني الحد والذم على فعله (والآخرة) أي وفي الآخرة لهم النار (والله يعلم) أي كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله (وانتم لا تعلمون) وقيل معناه يعلم ما في قلب من يحب أن تشيع الفاحشة فيجازه على ذلك وانتم لا تعلمون ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحته) أي لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان بن ثابت وحنيفة (وان الله رؤف رحيم) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أي آثاره ومساكنه (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) أي بالقبح من الاقوال والافعال وكل ما يكره الله عز وجل والآية عامة في حق كل أحد لان كل مكاف ممنوع من ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحته) ما زكا منكم من أحد أبدا أي ما ظهر ولا صلح والآية عند بعض المفسرين على العموم قالوا اخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحته بالعصاة ما صلح منكم أحد وقيل الخطأ للذين خاضوا في الافك ومعناه ما ظهر من هذا الذنب ولا صلح أمر بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة أحد منكم أبدا (ولكن الله يهدي من يشاء) من الذنب بالرحمة والمغفرة (والله سميع) أي لا قولكم (عليه) أي بما في قلوبكم قوله عز وجل (ولا ياتل) أي ولا يخلف من الآية وهي القسم (أولوا الفضل منكم والسعة) يعني الغني يعني أبا بكر الصديق (ان يؤتوا أولى القرى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدر يابا بن خالة أبي بكر الصديق حلف أبو بكر ان لا ينفق عليه فانزل الله هذه الآية (وليعفوا وليصففوا) أي عن خوض مسطح في أمر عائشة (الأتخبتون) يخاطب أبا بكر (ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أنا أحب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح بن نفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أترعها عنه أبدا وفي الآية أدلة على فضل أبي بكر الصديق لان الفضل المذكور في الآية ذكره تعالى في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله أولوا الفضل وقوله الاتخبتون ان يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شأنه ومحبته منها انه احتمل الاذى من ذوي القرى ورجع عليه بما كان ينفقه عليه وهذا من أشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال في حق أبي بكر وليعفوا وليصففوا فدل ان أبا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الاخلاق وفي الآية دليل على ان من حلف على عين فرأى غيرها خيرا منها فإليها الذي هو خير ويكفر عن عيمته ومنه الحديث الصحيح من حلف على

الآية أو لا يقصر من الاول (أولوا الفضل منكم) في الدين (والسعة) في الدنيا (ان يؤتوا) أي لا يؤتوا ان كان من الآية (أولى القرى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) أي لا يخلفوا على ان لا يجحدوا الى المستحقين للاحسان أو لا يقصروا في أن يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شعبة من جنابة اقترعوها (وليعفوا وليصففوا) العفو استروا الصفيح الاعراض أي وليتجاوزوا عن الجفا وليعرضوا عن العقوبة (الاتخبتون ان يغفر الله لكم) فليغفروا لهم ما رجوت ان يفعل بهم رحمهم مع كثرة خطاياهم (والله غفور رحيم) فتأدبوا بآداب الله واغفروا وارحوا نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح ابن خالة له لخوضه في عائشة رضي الله عنها وكان مسكينا مهاجرا ولم يقرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أحب ان يغفر الله لي وردد الى مسطح بن نفقة

(ان الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) السليكات الصدور النقيات القلوب الثلاثي يس فيمن دها، ولا مكر لانهم لم يجربوا الامور (المؤمنات) بما يجب الايمان به عن ابن عباس رضي الله عنه من أزواجه عليه الصلاة والسلام وقيل من جميع المؤمنات اذا عبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل أرادت عائشة رضي الله عنها وحدها وانما جاع لان من قذف واحدة من نساء النبي عليه الصلاة والسلام فكانه قذفهن (اعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) جعل القذفة ملعونين في الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة ان لم يتوبوا والعامل في (يوم تشهد عليهم) يعذبون وبألباء حرة وعلى (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم) بما كانوا يعملون أي عما أفكروا أو عملوا والعامل في (يومئذ يوفى الله دينهم الحق) بالنصيب صفة للدين وهو الجزاء ومعنى الحق الثابت الذي هم أهلوه وقرأنجاهد بالرفع صفة كقراءة أي يوفى الله (٣٤٠) الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحق وصفاً لله بان ينصب على المدح (ويعلمون)

عند ذلك (ان الله هو الحق المبين) لا ارتفاع الشكوك وحصول العلم الضروري ولم يقل الله تعالى في القرآن في شيء من المعاصي تغليظه في افك عائشة رضي الله عنها فأحرز في ذلك وأنشعب وفصل وأجل وأكدر وما ذاك الا ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه من أن ذنب ذنبا ثم تاب منه فبليت نوبته الا من خاض في أمر عائشة وهذا منه عظيم ومباغة في أمر الافك ولقد برأ الله تعالى أربعة باربعة برأيوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالخروج الذي ذهب بشو به ومريم رضي الله عنها بانطاع ولدها وعائشة رضي الله عنها بسده الآتي العظام في كتابه المججز المتبوع على وجه الدهر بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة أو شل وما ذاك الا لظاهر

عين فرأى غير ما خبر امها فلبات الذي هو خير وليه ككفر عن عينه قوله تعالى (ان الذين يرمون المحصنات) أي العفائف (الغافلات) أي عن افواحش والغافلة عن الفاحشة هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها (المؤمنات) وصفها بالمؤمنات لعلوا شأنها (اعنوا) أي عذبوا (في الدنيا والآخرة) بالحد (والآخرة) أي وفي الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) وهذا في حق عبد الله بن أبي بن سلول المناقق وروى عن خصيف قال قلت لاسعبد بن جببر من قذف مؤمنة يلغنه الله في الدنيا والآخرة قال ذاك لعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر المؤمنات ليس في ذلك توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ الذين يرمون المحصنات الى قوله تابوا فجعل الهؤلاء توبة ولم يجعل لأولئك توبة وقيل بل لهم توبة أيضا لآية (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) هذا قبل ان يجنم على أفواههم (وأيديهم وأرجلهم) يروى انه يجنم على الأفواه فتسلكهم الايدي والأرجل بما عملت في الدنيا وهو قوله (بما كانوا يعملون يومئذ يوفى الله دينهم الحق) أي جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العادل (ويعلمون ان الله هو الحق المبين) أي الموجود الظاهر الذي بقدرته وجود كل شيء وقيل معناه يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن أبي بن سلول كان يشك في الدين فبعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين قوله عز وجل (الخبريات للخبثين) قال أكسكتر المفسرين معنى الخبيثات الكلمات والقول للخبثين من الناس ومثله (والخبثيون) أي من الناس (الخبثيات) من القول (والطيبات) أي من القول ومعنى الآية ان الخبيث من القول لا يليق الا بالخبيث من الناس والطيب من القول لا يليق الا بالطيب من الناس وعائشة لا يليق بها الخبيث من القول لانها طيبة فيضاف اليها طيب القول من الثناء والمدح وما يليق بها وقيل معناه لا يتكلم بالخبيث الا الخبيث من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة ولا يتكلم بالطيب من القول الا الطيب من الرجال والنساء وهذا مدح للذين يرون بانها طاهرة والمدح لها وقيل معنى الآية الخبيثات من النساء للخبثين من الرجال والخبثيون من الرجال الخبيثات من النساء أمثال عبد الله بن أبي المنافق والشاكين في الدين والطيبات من النساء (للطيبين والطيبين للطيبات) يريد عائشة طيبها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم (أولئك مبرؤن) يعني عائشة وصفوا نذ كرهما الله بلفظ الجمع منزهون (بما يقولون) يعني أصحاب الافك (لهم مغفرة) أي عفو لذنوبهم (ورزق كريم) يعني الجنة روى ان عائشة كانت تفتخر بأشياء أعطيها لم تعطها

علوم نزلت رسوله والنبية صلى الله عليه وسلم وعلى آله (الخبثيات) من القول يقال (للخبثين) من الرجال امرأة والنساء (والخبثيون) منهم يتعرضون (للخبثيات) من القول وكذلك (والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أولئك مبرؤن مما يقولون أي فيهم وأولئك إشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلام وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضي الله عنها وما رويت به من قول لا يطابق حالها في التراحم والطيب ويجوز ان يكون إشارة الى أهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء الخبيثات يتزوجن الخبيثات وتزوج الخبيثات وكذا أهل الطيب (لهم مغفرة) مستأنف وأخبر بعد خبر (ورزق كريم) في الجنة ودخل ابن عباس رضي الله عنه ما على عائشة رضي الله عنها في أمرها وهي خائفة من القدوم على الله تعالى فقال لا تخافي لانك لا تقدمين الا على مغفرة ورزق كريم والآية فغشي عليها فراجعاً لا وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها أعطيت نساء ما أعطيتن امرأته زيل بصورتي في راحته حين أمر عليه الصلاة والسلام ان يتزوجني وتزوجني بكرامات تزوج بكر اغبري وتوفي

عليه الصلاة والسلام ورأسه في حجرى وقبرى بيتى والله حفته الملائكة في بيتى ونزل عليه الوحي وأنا في لحافه وأنا ابنة خليفته وصديقه
نزل عذرى من السماء وخلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة وزرقا (٣٤١) كرميا وقال حسان معتذرا في حقها

حصان رزان ما نزلت بريبة

وتصبح غسرى من لحوم

الغوافل

حليمة خير الناس دينا ومنصبا

نبي الهدى والمكرمان

القواضل

عقبلة حتى من اوى بن غالب

كرام المساعي مجددا غير زائل

مهذبة قد طيب الله خيها

وطهرها من كل شين وباطل

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير

بيوتنا غير بيوتكم) أى

بيوتنا لم نكن فيها ولا

نكون فيها (حتى نستأذنا)

أى نستأذنوا عن ابن عباس

رضي الله عنهما وقد قرأه

والاستئناس في الاصل

الاستعلام والاستكشاف

استعمال من أنس الشئ اذا

أبصره ظاهره مكشوفه أى

حتى تستعملوا أيا طلق لكم

الدخول أم لا وذلك بنسبة

أوبتكبيرة أو نعمه بده أو

ينفخ (وتسلموا على أهلها)

والسلام ان يقول السلام

عليكم أدخل ثلاث مرات

فان أذن له والارجع وقيل

ان تلاقيا يقدم التسليم والا

فلا تستأذن (ذلكم) أى

الاستئذان والتسليم خير

لكم من تحية الجاهلية

والدمور وهو الدخول بغير

اذن فكان الرجل من أهل

الجاهلية اذا دخل بيت

غيره يقول جيتكم صباحا

وحيتكم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد (لعلكم تذكرون) أى قيل لكم هذا لكي تذكروا وتعلموا أنه

امرأة غيرها منها ان جبريل عليه السلام أتى بصورتها في سرقه حريز وقال هذه زوجتك وروى انه أتى
بصورتها في راحتته ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرة غير ما قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهي معه في اللحاف ونزلت براءتها من
السماء وانما ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة وزرقا
كرما وكان مسروق اذا حدث عن عائشة يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم المبرأة من السماء ﴿ قوله تعالى ﴾ (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى
تستأذوا) أى نستأذنا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنا أو يقول نستأذنا ونسأنا وخطأ من الكتاب وفي
هذه الرواية نظر لان القرآن ثبت بالتواتر والاستئناس في اللغة الاستئذان وقيل الاستئناس طلب
الانسان وهو ان ينظر هل في البيت انسان فيؤذنه اني داخل وقيل هو من أنست أى أبصرت وقيل هو ان
يتكلم بنسبته أو يتنخخ حتى يعرف أهل البيت (وتسلموا على أهلها) بيان حكم الآية انه لا يدخل بيت الغير
الا بعد الاستئذان والسلام واختلفوا في أيها يقدم فقبل يقدم الاستئذان فيقول أدخل سلام عليكم كما
في الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام وقال الاكثر من يقدم السلام فيقول سلام عليكم أدخل
وتقدير الآية حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكذا هو في مصنف ابن مسعود وروى عن كند بن حنبل
قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل
السلام عليكم أأدخل أخرجه أبو داود والترمذي وعن ربيعة بن حراش قال جاء رجل من بني عامر
فأستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت فقال ألق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل فيسمع الرجل ذلك من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم أأدخل فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود
(ق) عن أبي سعيد وأبي بن كعب عن أبي موسى قال أبو سعيد كنت في مجلس من مجالس الانصار اذا جاء
أبو موسى كأنه مدعور فقال استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت قال ما منعت قلت استأذنت ثلاثا
فلم يؤذن لي فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع
قال والله لتفعلن عليه بينة أمنتكم أحد سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم قال أبي بن كعب فوالله لا يقوم
معه الا أصغر القوم فكنت أصغر القوم فقامت معه فأخبرت عمران النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال
الحسن الاول اعلام والثاني مؤامرة والثالث استئذان بالرجوع * عن عبد الله بن بسر قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقا وجهه ولكن من ركنه الا عين أو الابر
ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور أخرجه أبو داود وعن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعى أحدكم فاجمع مع الرسول فان ذلك له اذن أخرجه
أبو داود وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم السلام والا قدم الاستئذان ثم يسلم وقال أبو موسى الاشعري
وحذيفة يستأذن على ذوات المحارم يدل عليه ما روى عن عطاء بن يسار أن رجلا سال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال استأذن على أى قال نعم فقال الرجل انى معها في البيت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم استأذن عليها فقال الرجل انى خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها أنتحب ان
تراها عريانة قال لا قال فاستأذن عليها أخرجه مالك في الموطأ وسلاحي وقوله تعالى (ذلكم خير لكم) أى
فعل الاستئذان خير لكم وأولى بكم من التهمج بغير اذن (لعلكم تذكرون) أى هذه الآداب فتعلموا بها
﴿ قوله عز وجل ﴾ (فان لم تجدوا فيها) أى في البيوت (أحدا) أى يأذن لكم في دخولها (فلا تدخلوها حتى

وحيتكم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد (لعلكم تذكرون) أى قيل لكم هذا لكي تذكروا وتعلموا أنه
ما أمرتم به في باب الاستئذان (فان لم تجدوا فيها) في البيوت (أحدا) من الذين (فلا تدخلوها حتى

يؤذن لكم) حتى تجدوا من يأذن لكم أو فان لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولستم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن أهلها لان الشرف في مثل الغيرة لا بد من أن يكون رضاه (وان قيل لكم ارجعوا) اي اذا كان فيها قوم فقالوا ارجعوا (فارجعوا) ولا تكو في اطلاق الاذن ولا تكو في تسهيل الحجاب ولا تفقوا على الابواب لان (٣٤٢) هذا مما يجب الكراهة فاذا نهي عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الاتهاء

يؤذن لكم) أي في الدخول (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) يعني اذا كان في البيت قوم وكروا دخول الدخول عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما (هو أركي لكم) أي الرجوع هو أظهر وأصلح لكم فان للناس أحوال وأحوالات يكرهون الدخول عليهم في تلك الأحوال واذا حضروا الى الباب فلم يستأذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس يأتي دورا لا نصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستأذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا خرج ورآه قال يا ابن عم رسول الله لو أخبرني بمكانك فيقول هكذا أمرنا أن نطلب المسلم واذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه اذا كان الباب ممدودا (ق) عن سهل بن سعد قال اطلع رجل من حجر في باب النبي صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى رجل وفي رواية يحل به رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت أنك تنظر لاطعنت به في عينك انما جعل الاذن من أجل البصر (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقوا عينه وفي رواية للنسائي قال لو ان امرأ اطلع عليه بغير اذن فخذفته ففقت عينه ما كان عليه من حرج وقال مرة أخرى جناح (والله عاتع ملون علم) أي من الدخول بالاذن ولما نزلت آية الاسقذان قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فأنزل الله تعالى (ليس عليكم جناح) أي اثم (ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة) أي بغير استئذان (فيها متاع لكم) أي منفعة لكم قيل ان هذه البيوت هي الخانات والمنازل المبنية للسابلة ليأووا اليها ويؤروا أمتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة النزول لهم واتقاء الحر والبرد وادواء الامتعة بها وقيل بيوت التجار وحوانيتهم في الأسواق يدخلها للبيع والشراء ومنفعة فليس فيها استئذان وقيل هي جميع البيوت التي لا ساكن فيها لان الاستئذان انما جعل للاطلاع على عورة فان لم يخف ذلك جاز له الدخول بغير استئذان (والله يعلم ما تبدون وما كنتمون) قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أي عما لا يحل النظر اليه قيل معناه يغضوا أبصارهم وقيل من هنا للتبعض لانه لا يجب الغض مما يحل اليه النظر وانما أمر وان يغضوا عما لا يحل النظر اليه (م) عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة قال اصرف بصرك * عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية أخرجه أبو داود والترمذي (م) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا يفضي المرأة الى المرأة في ثوب واحد وقوله تعالى (ويحفظوا فروجهم) أي عما لا يحل قال أبو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا لا في هذا الموضع فانه أراد به الاستئذان حتى لا يقع به بصر الغيرة عليه فان قلت كيف أدخل من على غرض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة على ان أمر النظر أوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وتدين واعضادهن وأقدامهن وكذلك الجوارى المستعرضة في البيع والاجنبية يجوز النظر الى وجهها وكفيها للعاجزة الى ذلك وأما أمر الفروج فخصي وكفالك أن أبيع النظر الا ما استثنى منه وحظوا الجماع الا ما استثنى منه فان قلت كيف قدم غرض البصر على حفظ الفرج قلت لان النظر يريد الزنا ويراد الفجور والبلوى فيه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منه (ذلك أركي لهم) أي غرض البصر وحفظ الفرج (ان الله خبير بما يصنعون) أي انه خير باحوالهم وأفعالهم

من كل ما يؤدي اليها من فرع الباب بعنف والتصريح بصاحب الدار وغير ذلك ومن أبي سعيد ما قرعت بابا على عالم قط (هو أركي لكم) أي الرجوع أظهر لما فيه من سلامة الصدور والبعده عن الريبة أو انفع وأغنى خيرا (والله عاتع ملون علم) وعيد للمخاطبين بانه عالم بما يتون وما يدرون مما خوطبوا به فوف جزاءه عليه (ليس عليكم جناح ان تدخلوا) في أن تدخلوا (بيوتا غير مسكونة) استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها كالخانات والربط وحوانيت التجار (فيها متاع لكم) أي منفعة كما لا يستمكنان من الحر والبرد وادواء الرجال والسلم والشراء والبيع وقيل الخربات بغير زعيم او المتاع التبرز (والله يعلم ما تبدون وما كنتمون) وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) من للتبعض والمراود غرض البصر مما يحرم والاقتصار به على ما يحل (ويحفظوا فروجهم)

عن الزنا ولم يدخل من هنا لان الزنا لا رخصة فيه بوجه ويجوز النظر الى وجه الاجنبية وكفها وقدمها في رواية الى رأس وكيف المحارم والصدور والساقين والعضدين (ذلك) أي غرض البصر وحفظ الفرج (أركي لهم) أي أظهر من دنس الاثم (ان الله خبير بما يصنعون) فيه ترغيب وترهب يعني انه خبير باحوالهم وأفعالهم وكيف يحجبون أبصارهم يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فليعلم

إذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أمرت بغض الأبصار فلا يحل للمرأة ان تنظر من الاجنبى الى ماتحت عورتها الى ركبتيه وان اشتبهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر الى المرأة الا الى مثل ذلك وغض بصرها من الاجانب أصلا وأولى بها وانما قدم غض الأبصار على حفظ الفروج لان النظر بربد الزنا ورائد الفجور فيقدر الهوى طموح العين (ولا يبدن زينةهن) الزينة ما تزينت به المرأة من حلى أو كحل أو خضاب والمعنى لا يظهرن مواضع الزينة وهى الحلى ونحوها مباح فالمراد بها مواضع الاظهارها مواضع الاظهار أعيانها (٣٤٣) ومواضع الرأس والاذن والعنق والصدر

وكيف يجيئون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم قوله عز وجل (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أي عسلا يحجلهن روى عن أم سلمة قالت كت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده مميونة بنت الحارث إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا بالجباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعميا وإن أنتمما السمتا تبصرا أنه أخرجه الترمذى وأبو داود قوله تعالى (ولا يبدین) أى لا يظهر (زینتهن) أى لغير محرم وأراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والحضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الاذن والفلائق في العنق فلا يجوز للمرأة إظهارها ولا يجوز للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة النظر الى مواضعهما من البدن (الا ما ظهر منها) أى من الزينة قال سعيد بن جبیر والضحاك والأوزاعي الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والحضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبی النظر اليه للصورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات اذ لم يخف قبحه وشبهه فان خاف شيئا من ذلك غرض البصر واغراضه في هذا القدر المرأه ان تبدیه من بدنها لانه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدن العورة (وليضرر بن بخرهن) أى ليلقين بفنائهن (على جيوهن) أى موضع الجيب وهو الصدر والصدر رأى ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن (خ) عن عائشة قالت يرحم الله نساء المهاجران الاول لما أنزل الله وليضرر بن بخرهن على جيوهن شققن مروطن فاخفرن بها المروط كساء من صوف أو خز أو كتان وقيل هو الازار وقيل هو الدرع (ولا يبدین زینتهن) یعنی الخفية التي لم یبعهن كشفها في الصلاة ولالاجانب وهي ماعداء الوجه والكفين (الالبعولتهن) قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والخمار الا لأزواجهن (أو آبائهن أو آباء، بعواتهن أو ابنائهن أو آبائهن بعولتهن أو اخوانهن أو بنی اخوانهن أو بنی اخواتهن) فيجوز لهؤلاء ان ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الى ما بين السرّة والركبة ويجوز للزوج ان ينظر الى جميع بدن زوجته غير انه يكره له النظر الى فرجها (أو نسائهن) أى المؤمنات من أهله دينهن أراد به انه يجوز للمرأة ان تنظر الى بدن المرأة الاماين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة ان تجرد من ثيابها عند الذمية أو الكافرة لان الله تعالى قال أو نسائهن والذمية أو الكافرة ليست من نساينا ولا من اجنية في الدين فكانت أبعد من الرجل الاجنبی كتب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح ان يمنع نساء أهل الكتاب ان يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز ان تنكشف للمرأة المسلمة لأنها من جملة النساء (أو ما ملكت أيمانهن) قيل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول عليها اذا كان ضيفا وان ينظر الى مولاته الاماين السرة والركبة كالخمار وهو ظاهر القرآن روى ذلك عن عائشة وأم سلمة وروى أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى الى فاطمة بعد

تغطيهم (ولا يبدن زينتهم) أى مواضع الزينة الباطنة كالصدر والاساق والرأس ونحوها (الابيعوتهم) لازواجهن جمع بعل (أو
آباءهم) ويدخل فيهم الاجداد (أو آباء بعوتهم) فقد صاروا محارم (أو أبناءهم) ويدخل فيهم النواقل (أو أبناء بعوتهم) فقد صاروا محارم
أيضا (أو اخوانهم أو بنى اخوانهم أو بنى اخواتهم) ويدخل فيهم النواقل وسائر المحارم كالاعمام والاخوال وغيرهم دلالة
(أو انسائهم) أى الحرائر لأن مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر (أو ما ملكت أيمانهم) أى امائهم ولا يحل لعبدها أن ينظر الى هذه المواضع
منها خصيا كان أو عينا أو خلا وقال سعيد بن المسيب لا تغربكم سورة النور لأنها فى الاماء دون الذكور وعن عائشة رضى الله عنها
انها ماتت النظر لله العمد

(أو التابعين غير) بالذهب شامى ويزيدوا بذكر على الاستثناء أو الحال وغيرهم بالجر على البدل أو على الوصفية (أو الأربعة) الحاجة إلى النساء قيل هم الذين (٣٤٤) يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء لأنهم لم يعرفون شيئا من

قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب إذا فتمت به رأسها لم يبلغ رجلها وإذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال إنه ليس عليك بأس اغشاه وأبوك وعلامته وقيل هو كالأجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الأماء دون العبيد (أو التابعين غير أولى الأربعة من الرجال) قرئ غير نصب الرأ وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدن زينتهن للتابعين إلا إذا الأربعة منهم فأنهن لا يبدن زينتهن لمن كان منهم ذريعة وقرئ غير بالجر على نعت التابعين والأربعة والأربعة الحاجة والمراد بالتابعين غير أولى الأربعة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لأهمهم الأذلة ولا حاجة لهم في النساء وقال ابن عباس هو الأحق العين وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهين وقيل هو المحبوب والخصى وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبته شهوته وقيل هو الخنثى (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولى الأربعة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو نعت امرأته قال إذا أقبلت أقبلت باربع وإذا أدبرت أدبرت ثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم الأرى هذا يعرف ما هنا لا يدخل عليك فاجبوه زاد أبو داود في رواية وأخرجوه إلى المبيد يدخل كل جمعة فيستطعم قوله أقبلت باربع أى إن لها في بطنها أربع عكن فهي تقبل إذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكن الأربع من الجانبين وذلك صفة لها بالهن (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أى لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرهما من المصغر وقيل لم يطبقوا أمر النساء وقيل لم يبلغوا أحد الشهوة وقيل الطفولية أهم للصبي ما لم يحتلم (ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) قيل كانت المرأة إذا مشى ضربت رجلها بالسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها فهن عن ذلك وقيل إن الرجل تغلب عليه شهوة النساء إذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه به على أن الذي لاجله نهى عنه أن يعلم به ما علم من الحلى وغيره (وتوبوا إلى الله جميعا) أى من التقصير الواقع في أمره ونهيه وراجعوا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة قيل إن أوامر الله وفواجه في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وإن ضبط نفسه واجتهد فلا يفلت عن تقصير يقع منه فذلك وصي المؤمنين بالتوبة والاستغفار وروعد بالفلاح إذا تابوا واستغفروا فذلك قوله تعالى (أي المؤمنون اعلمكم تفعلون) (م) عن الأغراغر من شدة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا إلى ربكم فوالله لا تقوب إلى ربى تبارك وتعالى ما نهى مرة في اليوم عن ابن عمر قال إن كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول رب اغفرلى وتب على أنى أنت التواب الرحيم ما نهى مرة أخرجه عبد الرحمن بن جندب الكشي (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه قوله عز وجل (وأنكحوا الإيما منكم) جمع الإيم يطلق على الذكروا الأنثى وهو من لا زوج له من رجالكم ونسائكم (والصالحين من عبادكم) أى من عبيدكم (واما أنكم) بيان حكم الآية الأمر المذكور في الآية أمر ندب واستحباب لا جاع السلف عليه فيستحب لمن تأقت نفسه إلى النكاح ووجد اهبتة أن يتزوج وإن لم يجد اهبتة يكسر شهوته بالصوم (ق) عن أبي مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه

أمرهن أو شيوخ صلحاء أو العنسين أو الخصى أو الخنثى وفي الآثار المحبوب والأول الوجه (من الرجال) حال (أو الطفل الذين) هو جنس فصلح أن يراد به الجمع (لم يظهروا على عورات النساء) أى لم يطعموا العلم الشهوة من ظهره على الشئ إذا اطلع عليه أولم يبلغوا أو أن القدرة على الوطء من ظهره على فلان إذا قوى عليه (ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) كانت المرأة تضرب الأرض برجلها إذا مشى لتسمع قعقة خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال فنهى عن ذلك إذ سمع صوت الزينة كظواهرها ومنه سمى صوت الحلى وسواها (وتوبوا إلى الله جميعا ما أبه المؤمنون) أي شامى أتباعا للجمعة قبلها بعد حذف الألف لالتقاء الساكنين وغيره على فتح الهاء ولأن بعدها ألفا في التقدير (اعلمكم تفعلون) العبد لا يخلو عن نفسه وتقصير في أوامره وفواجه وإن اجتهد فلذا وصي المؤمنين جميعا بالتوبة وبأنهم لا يفلحوا إذا تابوا وقيل أحوج الناس إلى التوبة من توبهم أنه ليس له

حاجة إلى التوبة وظاهر الآية يدل على أن العصيات لا ينافي الإيمان (وأنكحوا الإيما منكم) الإيما جمع اغض أي وهو من لا زوج له وبسلا كان أو امرأة بكر أو ثيبا وأصله إياهم فقلت (والصالحين) أى الخيرين أو المؤمنين والمعنى زوجوا من نأيم منكم من الأسرار والحوائر ومن كان فيه صلاح (من عبادكم واما أنكم) أى من غلمانكم وجواريككم والامر للنكاح

مندوب اليه (ان يكونوا فقراء) من المال (يغنيهم الله من فضله) بالكفاية والقناعة أو باجتماع الرزقين وفي الحديث التسو والرزق بالنسكاح وعن ممرضى الله عنه روى مثله (والله واسع) غنى ذو سعة لا يرزؤه اغناء (٣٤٥) الخلائق (عليهم) يسط الرزق لمن يشاء وقيل

في الآية دليل على ان تزويج النساء والاياى الى الاولياء كان تزويج العبيد والاماء الى الموالى قلنا الرجل لا يلى على الرجل الايم الا باذنه فكذلك الايلى على المرأة الا باذن الان الايم بتنظيمهما (وليس يستعفف الذين) وليجتهن في العفة كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف (لا يجدون نكاحا) استطاعة تزوج من المهر والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) حتى يقدروهم على المهر والنفقة قال عليه الصلاة والسلام يا معشر الشباب من استطاع من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء فانظر كيف رتب هذه الاوامر فأمر أولا بما يعصم من الفتنة ويبعد عن موافقة المعصية وهو غض البصر ثم بالنسكاح المحصن للدين المغني عن الحرام ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النسكاح الى ان يقدروا عليه (والذين يتعففون الكتاب مما ملكتم أيمانكم) أي المهاجرين الذين يطلبون الكتابة فالذين هم فروع

أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء الباءة النسكاح ويكنى به عن الجماع أيضا والوجاء بكسر الواو ورض الانبيين وهو نوع من الخصاص شبه الصوم في قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذي يقطع النسل عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الولود والولدات فاني مكاثركم الا يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي (م) عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله يتامع وخير متاعها المرأة الصالحة أمان لا تنوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه والتخلي للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعي وعند أصحاب الرأي النكاح أنضل قال الشافعي قد ذكر الله عبدا أكرمه فقال وسيدا وحسورا وهو الذي لا يأتى النساء وذكر القواعد من النساء ولم يندسهن الى النكاح وفي الآية دليل على ان تزويج الاياى الى الاولياء لان الله خاطبهم به كما ان تزويج العبيد والاماء الى السادات وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة فن بعدهم روى ذلك عن عمرو بن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وعائشة وفيه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وابراهيم النخعي وعمر ابن عبد العزيز وابو حنيفة ذهب الثوري والاوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد واسحق وجوز أصحاب الرأي للمرأة تزويج نفسها وقال مالك ان كانت المرأة دنيئة يجوز لها تزويج نفسها وان كانت شريفة فلا والدليل على ان الولي شرط في النكاح ما روى عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي أخرجه أبو داود والترمذي ولهما من عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايمان امرأة تكبت بغير اذن وليها فنيكاحها باطل ثلاثا فان أصابها فليها المهر بما استعمل من فرجها فان تشاحوا فالسلطان ولي من لا ولي له وقوله تعالى (ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله) قيل الغنى هنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجب لمن يتعفى الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله وقال بعضهم ان الله وعد الغنى بالنكاح وبالنفقة فقال تعالى ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته (والله واسع) أي انه ذو الفضل والجود (عليهم) أي بما يصلح خلقه من الرزق وقوله تعالى (وليس يستعفف الذين لا يجدون نكاحا) أي ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) أي يوسع عليهم من رزقه (والذين يبتغون المكاتب) أي يطلبون المكاتبه (مما ملكتم أيمانكم فكانت بهم) سبب نزول هذه الآية ان غلاما ملحوطا بطيب بن عبد العزيز سأل مولاه ان يكاتبه فأبى عليه فانزل الله تعالى هذه الآية فكانت به حو يطب على مائة دينار وذهب له منها عشرين دينارا فاداهما وقتل يوم حنين في الحرب بيان حكم الآية وكيفية المكاتبه وذلك أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما تؤدي ذلك في نجمين أو في نجوم معلومة في كل نجيم كذا فإذا أديت ذلك فانت حرو يقبل العبد ذلك فإذا أدى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد أحق بمكاتبته بعد الكتابة وإذا عتق باء المال فما فضل في يده من المال فهو له وبقية أولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق وإذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده الى الرق وما في يده من المال فهو اسيد له ما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقى عليه درهم أخرجه أبو داود وذهب بعض أهل العلم الى أن قوله تعالى فكانت بهم أمر ايجاب يجب على السيد ان يكاتب عبده الذي علم فيه خبر اذا سأل العبد ذلك على قيمته أو على أكثر من قيمته وان سأل على أقل من قيمته لا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار لما روى ان سيرين أبا محمد بن سيرين سأل

(٤٤ - خازن ثالث) بالابتداء أو منصوب بفعل يفهمه (فكانت بهم) وهو للندب ودخلت الفاء لفتحها معنى الشرط والكتاب والمكاتبه كالعقاب والمعاقبة وهو ان يقول لمملوكه كاتبتك على ألف درهم فان أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعقني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسي ان تن بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز حلا الوفاء من متجبر وغير

منجهم لا طلاق الا امر (ان علمت فيهم خيرا) قدرة على الكسب أو أمانته وديانة والتدبيرة معقدة بهذا الشرط (وأتوهم من مال الله الذي آتاكم) أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإمانته المكتابين واعطائهم سهمهم من الزكاة لقوله تعالى وفي الرقاب وعند الشافعي رحمه الله معناه حطوا من بدل الكتابة ربعا وهذا عندنا على وجه الندب والاول الوجه لان الايتام هو التملك فلا يقع على الحط سأل صبيح مولا حو طبيا أن يكتبه فأبي فترأت واعلم ان العبد أربعة فن مقتني الخدمة ومأذون في التجارة ومكاتب وآبق فثالث الاول ولي العزلة الذي حصل العزلة بإيثار الخلو وتترك العشرة والثاني ولي العشرة فهو نجى الحضرة يخاطب الناس للخبرة وينظر اليهم بالعبرة وأمرهم بالعبرة فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم (٣٤٦) بحكم الله يأخذ الله ويعطى في الله وبهم عن الله ويسكنهم مع الله قاله نياسوق تجارته والعقل

أنس بن مالك ان يكتبه وكان كثير المال فأبى فأنطلق سير من الى عمر فشكله فدعا عمر فقال له كاتبه فابي فضر به بالدرة وتلافى كاتبوه سهم (ان علمت فيهم خيرا) فكاتبه وذهب أكثر أهل العلم الى انه أمر ندي واستحباب ولا تجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي لانه عقد جوزا فاقا بالعبد ومن تمة الارفاق أن يكون ذلك المال عليه الى أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وجوز أبو حنيفة الكتابة الى نجم واحد وحالة واحدة واختلفوا في معنى قوله ان علمت فيهم خيرا فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري وقيل مالاروى ان عبد السلمان الفارسي قال له كاتبني قال لك مال قال لا قال تريد أن تطعمني أو ساخ الناس ولم يكتبه قيل له لو أراد به المال لقال ان علمت لهم خيرا وقيل صدقا وأمانته وقال الشافعي أظهر معاني الخير في العبد الا كسب مع الامانة فاحب ان لا يمنع من المكاتبه اذا كان هكذا وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عزهم المكاتب الذي يريد الاداء والتاكس الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله أخرجه الترمذي والنسائي وقيل معنى الخبر أن يكون العبد قاعا قلابا غافا ما الصبي والمجنون فلا يصح كتابته لان الاتعاف منهم مالا يصح وجوز أبو حنيفة كتابته الصبي المراهق وقوله تعالى (وأتوهم من مال الله الذي آتاكم) قيل هو خطاب للموالي فيجب على السيد ان يحط عن مكاتبه من ماله الكتابة شيئا وهو قول عثمان وعلي والزبير جماعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدر ما يحط فقيل يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال الآسرون ليس له حديل عليه أن يحط عنه ماشا وبه قال الشافعي قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلامه على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك في الموطأ وقال سعيد ابن جبيرة كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئا من أول نجومه مخافة ان يجز فيرجع اليه صدقته ويضع عنه من آخر كتابته ما أحب وقال بعضهم هو أمر استحباب والوجوب أظهر وقيل أراد بقوله وأتوهم من مال الله أي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب أراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن أسلم وقيل هو حث لجميع الناس على مؤنتهم واختلف العلماء فيما اذا مات المكاتب قبل اداء النجوم فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا وترفع الكتابة سواء ترك مالا أو لم يترك وهو قول عمرو ابن عمرو وزيد بن ثابت وبه قال عمرو بن عبد العزيز والزهرى وقادة واليه ذهب الشافعي وأحمد وقال قوم ان ترك وفاء ما بق عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لاولاده الا حرا وهو قول عطاء وطاوس والنعنى والحسن وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق باداء المال لان عتقه معق بالاداء وقد وجد وتبعه اولاده وأكسبه كافي الكتابة الصحيحة لان

رأس بضاعته والعدل في الغضب والرضا ميزانه والقصد في الفقر والغنى عنوانه والعلم مفزعه ومنجاء القرآن كتاب الاذن من مولا هو كائن في الناس بطواهره بان منهم يسرأره فقد هجرهم فيما له عليهم في الله باطنا ثم وصلهم فيما لهم عليه لله ظاهرا وما هو منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام يأكل ما يأكلون ويشرب ما يشربون وما يدرهم انه ضيف الله يرى السموات والارض قائمات بأمره وكأنه قيل فيه فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال فغال ولي العزلة أصفى وأحلى وحال ولي العشرة أرفى وأعلى ونزل الاول من الثاني في حضرة الرحمن منزلة القديم من الوزير عند السلطان اما النبي عليه

الكتابة

الصلاة والسلام فهو كريم الطرفين ومعدن الشذرين وجميع الحالين ومنبع الزلازل في باطن أحواله مهتدى ولي العزلة وظاهرا أعماله مقسدى ولي العشرة والثالث المجاهد المحاسب العامل المطالب بالانضام كنجوم المكاتب عليه في اليوم والليلة خمس وفي المائتين درهما خمسة وفي السنة شهر وفي العمر ضرورة فكانه اشترى نفسه من ربه بهذه النجوم المرتبة فيسعى في فكال رقبته خوفا من البقاء في ربة العبودية وطمعا في فتح باب الحرية ليسرح في رياض الجنة فيمتنع بمبياه ويفعل ما يشاء ومرواه والرابع الاباق فشا أكثرهم فثم القاضي الجائر والعالم غير العامل والعامل المرائي والواعظ الذي لا يفعل ما يقول ويكون أكثر أقواله الفضول وعلى كل ما لا ينفعه بصول فضلا عن السارق والزاني والغاصب فثم أنبر النبي عليه الصلاة والسلام ان الله ينصر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم في الآخرة

(ولأنكر هو أفتيانكم على البغاء) كان لابن أبي ستيوار معاذة ومسيكة وأمية ومهرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن
الضرائب فشكت فثنا منهن إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزلت ويكفي بالفتى والفتاة عن العبد والامة والبغاء الزنا للنساء خاصة
وهو مصدر بلغت (ان أردن تحصنا) تعفوا عن الزنا وأغماق بده هذا الشرط لان الاكرام لا يكون الا مع ارادة التحصن فأمر الطبيعة للبغاء
لا يسمى مكرها ولا أمرا كراهها ولا نهى نزلت على سبب وقوع النهي على تلك الصفة وفيه توبيخ للموالى أى اذا رغبت فى التحصن فأنتم أحق
بذلك (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أى لتبتغوا بأكرههن على الزنا أجورهن وأولادهن (ومن يكرههن فإن الله من بعدا كراههن
غفور رحيم) أى إلهن وفى مصحف ابن مسعود كذلك وكان الحسن يقول لهن والله لهن (٣٤٧) والله ولعل الاكرام كان دون ما اعتبرته
الشريعة وهو الذى يخاف

منه التلذذ فكانت آثمة
أولهم اذا نابوا (ولقد أنزلنا
اليكم آيات مبينات) بفتح
الياء مجازى وبصرى وأبو
بكر وحماد والمراد الآيات
التي بينت فى هذه السورة
وأوضحت فى معاني الاحكام
والحدود وجاز أن يكون
الاصل مبينا فيها فأتسع
فى الطرف أى أجرى مجرى
المفسر به كقوله ويوم
شهدناه وبكسر هاء غيرهم
أى بينت هى الاحكام
والحدود وجعل الفعل
لهامجازا أو من بين بمعنى
تبين ومنه المثل

قد بين الصبح لذي عينين *
(ومثلامن الذين خلوا من
قبلكم) ومثلامن أمثال
من قبلكم أى قصة
عجيبة من قصصهم كقصة
يوسف ومريم أى قصة
عاشقة رضى الله عنها
(وموعظة) ما وعظ به من
الآيات والمثل من نحو قوله
تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى
دين الله لولا اذمعهتموه ولولا

النكاح العجيبة لأعلاك المولى فسخها ما لم يجر المكاتب عن أداء النجوم وقوله تعالى (ولا تكثرها
فتياتكم) أى اماءكم (على البغاء) أى الزنا (ان أردن تحصنا) الآية (م) عن جابر قال كان عبد الله بن أبى
ابن سلول يقول لجار يته اذهبي فابغينا شيئا قال فانزل الله ولا تكثرها فافتياكم على البغاء ان أردن تحصنا
وفى رواية أخرى ان جارية لعبد الله بن أبى يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أمية كان يكرههما على الزنا
فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ولا تكثرها فافتياكم على البغاء الى قوله غفور رحيم
وقال المفسرون نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق كانت له جاريستان يقال لهما مسيكة ومعاذة
وكان يكرههما على الزنا للضريبة يأخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون فى الجاهلية يؤجرون اماءهم فلما جاء
الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذى نحن فيه لا يخلو من وجهين فان بل خيرا فقد استكثرنا
منه وان بل شرا فقد أن لنا نده فأنزل الله هذه الآية وروى ان احدى الجاريتين جاءت بهرد وجاءت
الاخرى بدبنار فقال لهما ارجعا فاني فافقا لنا والله لا نفعل قد جاء الاسلام وسرم الزنا فأتيا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وشككا اليه فأنزل الله هذه الآية واختلاف العلماء فى معنى قوله ان أردن تحصنا على أقوال
أحدها ان الكلام ورد على سبب وهو الذى ذكر فى سبب نزول الآية تفرج النهي على صفة السبب وان
لم يكن شرطافيه الثانى اغماق بده لان الاكرام لا يتصور الا عند ارادة التحصن فأما اذا لم ترد
المرأة التحصن فأنها تبتغى بالطبع طوعا والثالث أن ان بمعنى اذا أى اذا أردن وليس معناه الشرط لانه
لا يجوز اكرههن على الزنا ان لم يردن تحصنا كقوله وأنتم الاعوان ان كنتم مؤمنين أى اذا كنتم مؤمنين
القول الرابع ان فى هذه الآية تقديرا وتأخيرا تقديره وانكسروا الايامى منكم ان أردن تحصنا ولا
تكثرها فافتياكم على البغاء (لتبتغوا) أى لتطلبوا (عرض الحياة الدنيا) أى من أموال الدنيا يريد
كسبهم وبسبب أولادهن (ومن يكرههن) يعنى على الزنا (فان الله من بعدا كراههن غفور رحيم) يعنى
للمكروهات والوزر على المكروه وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لهن والله لهن والله وقوله تعالى
(ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) أى عن الحلال والحرام (ومثلامن الذين خلوا من قبلكم) أى شيئا
من حالكم بحالهم ايها المكذبون وهذا تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق من كان قبلهم من المكذبين
(وموعظة للمتقين) أى المؤمنين الذين يتقون الشرك والكفر وقوله عز وجل (الله نور السموات
والارض) قال ابن عباس معناه الله هادى السموات والارض فهم بنوره الى الحق يتدنون وبه دأبته من
حيرة الضلالة فيجئون وقيل معناه الله منور السموات والارض نور السماء بالانوار ونور الارض بالانبياء
وقيل معناه مزين السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء
والمؤمنين ويقال زين الارض بالنبات والاشجار وقبل معناه ان الافراد كلها منه وقديز كره هذا اللفظ على
طريق المدح كما قال الشاعر

اذمعهتموه يعظكم الله ان توردوا مثله أبدا (للمتقين) أى هم المنصفون بها وان كانت موعظة لكل نظير قوله (الله نور السموات والارض)
مع قوله مثل نوره ويهدى الله لنوره قولك زيد كرم وجوده ثم تقول يشعشع الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات ونور السموات
والارض الحق شبهه بالنور فى ظهوره وبمائه كقوله الله ولئى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أى من الباطل الى الحق
وأضاف النور اليه للدلالة على سعة اشراقه وفشواضائه حتى تضى به السموات والارض وجزان المراد اهل السموات والارض وانهم
يستضيئون به

(مثل نوره) أي صبغة نوره الجيبة الشان في الاضاءة (كشكوة) كصفه مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) أي سراج ضخم ثاقب (المصباح في زجاجة) في قنديل من زجاج شامئ بكسر الزاي (الزجاجة كأنها كوكب دري) مضى بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه وبالكسر والهمزة عمرو ورو على كأنه درأ الظلام بضوئه وبالفهم والهمزة أبو بكر وجره شبه في زهرته باحد الكواكب الدراري (٣٤٨) كالمشترى والزهرة ونحوهما (نوقد) بالتخفيف حمزة وعلى وأبو بكر الزجاجة وبوقد بالتخفيف شامئ ونافع وحفص ويوقد

بالشديد مكى وبصرى
 أي هذا المصباح (من
 شجرة) أي ابتداء ثقبه
 من زيت شجرة الزيتون
 يعني زيت زياتته بزيتها
 (مباركة) كثيرة المنافع أو
 لأنها نبتت في الأرض التي
 يورث فيها للعالمين وقيل
 بارك فيها سبعون نبيا منهم
 ابراهيم عليه السلام
 (زيتونه) بدل من شجرة
 فعنها (لا شرقية ولا غربية)
 أي منبتها الشام يعني
 ليست من المشرق ولا من
 المغرب بل في الوسط منها
 وهو الشام وأجود الزيتون
 زيتون الشام وقيل ليست
 مما تطلع عليه الشمس في
 وقت شروقها أو غروبها
 فقط بل تصيبها بالغداة
 والعشي جميعا فهي شرقية
 وغربية (يكاد زيتها) دهنها
 (يضى) ولولم تفسه نار
 وصف الزيت بالصفاء
 والوميض وأنه لا لونه
 يكاد يضى من غير نار (نور
 على نور) أي هذا النور
 الذي شبه به الحق نور
 متضاعف قد تناسر فيه

إذا سار عبد الله عن مرويلة * فقد سار عنها نورها وجمالها
 (مثل نوره) أي مثل نور الله عز وجل في قلب المؤمن وهو النور الذي يمتد به وقال ابن عباس مثل نور
 الذي أعطى المؤمن وقيل الكناية عائدة الى المؤمن أي مثل نور قلب المؤمن وقيل أراد بالنور القرآن
 وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة معني طاعة الله فورا وأضاف هذه الأنوار الى نفسه
 تشريفا وتفضيلا (كشكوة) هي الكوة التي لا منفذ لها قيل هي بلغة الحبشة (فيها مصباح) أي سراج
 وأصله من الضوء (المصباح في زجاجة) يعني القنديل وانما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها أبين
 من كل شيء وضوءه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال تعالى (الزجاجة كأنها كوكب دري) من درأ
 الكوكب إذا اندفع منقضا فيه تضاعف نوره في تلك الحال وفي ذلك الوقت وقيل هو من درأ النجم إذا طلع
 وارتفع وقيل دري أي شديد الانارة نسب الى الدر في صفائه وحسنه وان كان الكوكب أضوا من الدر
 لكنه يفضل الكوكب بصفائه كما يفضل الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدر أي أحد الكواكب
 الخمسة السيارة التي هي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد وقيل شبهه بالكوكب ولم يشبهه
 بالشمس والقمر لأنها لم يلقهما الكسوف بخلاف الكواكب (نوقد) أي اتقد المصباح (من شجرة مباركة
 زيتونه) أي من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو دأب
 وهو أصنى الأدهان وأضوءها وقيل أنها أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل أراد به زيتون الشام لأنها في
 الأرض المباركة وهي شجرة لا يسقط ورقها عن أسيد بن ثابت أو أبي أسيد الانصاري قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كوا الزيت وأدهنوا به فانه من شجرة مباركة أخرجه الترمذي وقوله (لا شرقية ولا
 غربية) أي ليست شرقية وحدها فلا تصيبها الشمس إذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس
 بالغداة إذا طلعت بل مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون
 شرقية غربية تأخذ حظها من الأحرار فيكون زيتها أضوأ وهذامعنى قول ابن عباس وقيل معناه أنها
 ليست في مقناة لا تصيبها الشمس ولا في مضخة لا يصيبها الظل فهي لا تنصرها شمس ولا ظل وقيل معناه أنها
 معتدلة ليست في شرق ينصرها الحر ولا في غرب ينصرها البرد وقيل معناه هي شامية لان الشام وسط
 الأرض لا شرق ولا غرب وقيل ليست هذه الشجرة من أشجار الدنيا لأنها لو كانت في الدنيا لكانت شرقية
 أو غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره (يكاد زيتها يضى) أي من صفائه (ولولم تفسه نار) أي قبل ان
 تفسه النار (نور على نور) أي نور المصباح على نور الزجاجة

المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق بقية مما يقرى النور وهذا لان المصباح
 إذا كان في مكان متضيق كالمشكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينتشر فيه والقنديل أعون شيء على زيادة الانارة
 وكذلك الزيت وصفاءه وضرب المثل يكون بدني محسوس معهود لا يعلى غير معان ولا مشهود فابو تمام لما قال في المأمون

أقدام عمرو في سماحة حاتم * في حلم أحنف في ذكاه اياس
 قبل له ان الخليفة فوق من مثله بهم فقال مر نحلا لا تشكروا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندى والباس

فأنه قد ضرب الأفل لنوره * مثلاً من المشكاة والنبراس (يهدى الله لنوره) أي هذا (٣٤٩) النور الثابت (من يشاء) من عبادة

أي يوفق لأصابه الحق من
يشاء من عباده بالهام من
الله أو بنظره في الدليل
(ويضرب الله الأمثال
للناس) تقرىبا إلى أفهامهم
ليعتبروا فيؤمنوا (والله
بكل شيء عليم) فيبين كل
شيء بما يمكن أن يعلم به وقال
ابن عباس رضي الله عنه
مثل نوره أي نور الله الذي
هدى به المؤمن وقرأ ابن
مسعود رحمه الله مثل نوره
في قلب المؤمن كشكاة
وقرأ أبي مثل نور المؤمن
(في بيوت) يتعلق بكشكاة
أي كشكاة في بيوت
الله وهي المساجد كانه قبل
مثل نوره كإبري في المسجد
نور المشكاة التي من
صفحتها كبت وكبت أو بنوقد
نوقدا في بيوت أو يسبح
أي يسبح له رجال في بيوت
وفيها تكبر فيه توكيد نحو
زيد في الدار جالس فيها أو
بعدد أي سجدوا في بيوت
(أذن الله) أي أمر (أن
ترفع) تبنى كقوله بناها رفع
معكمها فسواها وأذ برفع
إبراهيم القواعد أو أعظم
من الرفعة وعن الحسن
ما أمر الله أن ترفع بالبناء
ولكن بالتعظيم (ويذكر
فيها اسمه) يتلى فيها كتابه
أوهو عام في كل ذكر (يسبح
له فيها بالغدو والآصال)
أي يصلى له فيها بالغداة
صلاة الفجر وبالآصال
صلاة الظهر والعصر

ضربه الله عليه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة نوقد من شجرة
مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يقين للناس ولولم يشككهم به أنه نبي كما يكاد
ذلك الزيت يضيء ولولم تمسه نار وروى عن ابن عمر في هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه
وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودى ولا نصراني نوقد من
شجرة مباركة إبراهيم نور على نور فو قلب إبراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب
القرظي المشكاة إبراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين معنى الله محمد
مصباحا كما سماه سبحانه منير والشجرة المباركة إبراهيم عليه السلام لأن أكثر الأنبياء من صلته لا شرقية
ولا غربية يعني إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفيا مسلما لأن اليهود نصلى إلى القرب
والنصارى نصلى إلى الشرق يكاد يضيء ولولم تمسه نار تكاد تحاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر
للناس قبل أن يوحى إليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور إبراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور
قلب المؤمن قال أبي بن كعب هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ما جعله الله فيه
من الإيمان والقرآن نوقد من شجرة مباركة هي شجرة الإخلاص لله وحده فمثل شجرة التف بها
الشجر فهي خضراء ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك المؤمن قد احتسب أن
يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال أن أعطى شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق
يكاد يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يبين له لموافقته أيام نور على نور قال أبي أي
فهو يتقلب في خمسة أنوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومسيره إلى النور يوم القيامة وقال
ابن عباس هذا مثل نور الله وهذا في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فإذا
مسته النار ازداد ضوءا على ضوءه كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل الهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاء العلم
ازداد هدى على هدى ونور على نور وقال الكلبي نور على نور يعني إيمان المؤمن وعمله وقيل نور الإيمان
ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح فكذلك يتم ندى بالقرآن
والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة هي أسانه والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكاد يضيء أي
نور المعرفة يشرق في قلب المؤمن ولولم تمسه النار وقيل تكاد حجة القرآن تنضج وان لم يقر أنور على نور
يعنى القرآن نور من الله خلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والأعلام قبل أن ينزل القرآن فازدادوا بذلك
نورا على نور وقوله تعالى (يهدى الله لنوره من يشاء) قال ابن عباس لدين الإسلام وهو نور البصيرة
(ويضرب الله الأمثال للناس) أي يبين الله الأشياء للناس تقرىبا إلى الأفهام وتسهلا ليل الادراك
(والله بكل شيء عليم) قوله عز وجل (في بيوت) أي ذلك المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع
المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الأرض تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الأرض
وقيل المراد بالبيوت أربعة مساجد يبنها الأنبياء الكعبة بناها إبراهيم واسمعيل فجعلها قبلة وبيت
المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء أسس على
التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا (أذن الله أن ترفع) أي تبنى وقيل تعظم فلا يذكر
فيها الخنى من القول وتظهر عن الانجاس والاقذار (ويذكر فيها اسمه) قال ابن عباس يتلى فيها كتابه
(يسبح فيها) أي يصلى فيها (بالغدو والآصال) أي بالغداة والعشي قال أهل التفسير أراد به الصلاة
المفروضة فأتى تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتي تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاء لأن
اسم الآصال يقع على هذا الوقت كله وقيل أراد به الصبح والعصر عن أبي موسى الأشعري عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة أراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن
عباس التسبيح بالغدو وصلاة الضحى والآصال صلاة العصر عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله

والعشاء من وأما واحد القدولان سلاته واحدة وفي الآصال صلوات والآصال جمع أصل جمع أصل وهو العشي

(رجال) فاعل يسبح يسبح شامى وأبو بكر وسند إلى أحد الظروف الثلاثة أعنى له فيها بالغد ورجال هر فروع عادل عليه يسبح أى يسبح له (لا تلهيهم) لا تشغلهم (تجارة) فى السفر (ولا يسبح) فى الحضر وقيل التجارة الشراء اطلاقاً لا م الجنس على النوع أو خص البيع بعد ما هم لانه أوغل فى الإلهاء من الشراء لان الرجح فى البيعة الرابحة متيقن وفى الشراء مظنون (عن ذكر الله) باللسان والقلب (واقام الصلوة) أى وعن إقامة الصلاة التام فى إقامة (٣٥٠) عوض من العين الساقطة لالا علل والاصل اقوام فلما قلبت الواو ألفاً اجتمع

عليه وسلم من خرج من بيته متطهر الى صلاة مكتوبة كان أجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى لا يغنيه الا ذلك كان أجره كاجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة لا لغويينهم - ما كتاب فى عليين أخرجه أبو داود (رجال) قيل خص الرجال بالذكر فى هذه المساجد لان النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة (لا تلهيهم) أى لا تشغلهم (تجارة) وقيل خص التجارة بالذكرا لانها أعظم ما يشتغل الانسان به عن الصلوات والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وان كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعاً لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع مبايعه الرجل على يده (ولا يسبح) أى ولا يشغلهم يسبح (عن ذكر الله) أى حضور المساجد لإقامة الصلوات (واقام الصلوة) يعنى إقامة الصلاة فى وقتها لان من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيم الصلاة روى سالم عن ابن عمر أنه كان فى السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقت أبوابهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فهم نزلت هذه الآية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة (وايتاء الزكاة) يعنى المفروضة قال ابن عباس اذا حضروا وقت أداء الزكاة لا يحسبونها (يحافظون يوم ما تنقلب فيه القلوب والا بصار) يعنى ان هؤلاء الرجال وان بالغوا فى ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك وجدوا انهم خائفون لعلهم بأنهم مع عبد الله حق عبادته قبل ان القلوب تضطرب من الهول والفرع وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه فى الدنيا من الشك الى اليقين وترفع عن الابصار الا غيبة وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء فتخشى الهلاك وتطمع فى النجاة وتتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من أى ناحية يؤخذ منهم أمن ذات اليقين أم من ذات الشك ومن أين يؤفون كتبهم أمن قبل اليقين أم من قبل الشك وقيل تتقلب القلوب فى الخوف فيرفعون الى الجنة فلا ينزل ولا يخرج ويتقلب البصر فيشخص من هول الامر وشدة (ليجزهم الله أحسن ما عملوا) يعنى أنهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهى الطاعات فرضها ونفلها وذكرا الاحسن تنبيهها على أنهم لا يجازيهم على مساوى أعمالهم بل يغفرها لهم وقيل انه سبحانه وتعالى يجزيهم جزاء أحسن من أعمالهم على الواحد من عشرة الى سبع ما نه ضعف (ويريدهم من فضله) يعنى انه سبحانه وتعالى يجزيهم بأحسن أعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة احسانه وفضله (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) لما ضرب مثلاً لخال المؤمنين وانه فى الدنيا والآخرة فى نور وانه فائز بالنعيم المقيم اتبعه بضر مثلاً لاهمال الكفار وشبهه بالسراب وهو شبه ماء يرى نصف النهار عند شدة الحر فى البرارى يظنه من رآه ماء فإذا قرب منه لم يشأه واقبعة القاع وهو المنبسط من الارض وفيه يكون السراب (يحسبه) أى يتوهمه (الظلمات) أى العطشان (ماء حتى اذا جاءه) أى جاء ما قدر انه ماء وقبل جاء الى موضع السراب (لم يجد ماء شيئاً) أى لم يجد ماء على ما قدر وظنه ووجه التشبيه ان الذى يأتى به الكافر من أعمال البر يعتقد ان له ثواباً عند الله وليس كذلك فاذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذى كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم فذهبت حسرته وتناهى غمّه فشبّه حاله بحال الظمان الذى اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب

ألفان خذفت احداهما
لالتقاء الساكنين فادخلت
التاء عوضاً عن المذوف
فلما أضيفت أقيمت الاضافة
مقام التاء فأستقطت
(وايتاء الزكاة) أى وعن
ايتاء الزكاة والمعنى لا تجارة
اهم حتى تلهيهم كاولياء
العزلة أو يبيعون ويشتررون
ويزكرون الله مع ذلك
واذا حضرت الصلاة قاموا
الىها غير متخافين كاولياء
العشرة (يحافظون يوماً)
أى يوم القيامة ويحافظون
حال من الضمير فى تلهيهم
أو صفة أخرى لرجال
(تتقلب فيه القلوب)
يسألونها الى الخناس
(والابصار) بالشخص
والزركة أو تتقلب القلوب
الى الايمان بعد الكفران
والابصار الى الايمان بعد
انكاره للظلمات كقوله
فكشفنا عنك غطائك
فبصرتك اليوم حسديد
(ليجزهم الله أحسن ما عملوا)
ويريدهم من فضله أى
يسبغون ويحافظون ليجزيهم
الله أحسن جزاء أعمالهم
أى ليجزيهم ثوابهم مضاعفاً
ويريدهم على الثواب

الموعود على العمل بفضل (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أى يشب من يشاء ثواباً لا يدخل فى حساب الخلق هذه فى صفات المهتدين بنور الله فاما الذين ضلوا عنه فالمدكورون فى قوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) هو ما يرى فى الظلمة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب على وجه الارض كأنه ماء يجرى (بقيعة) بقاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الارض كبحيرة فى جوار (الظلمات) يظنه العطشان (ماء حتى اذا جاءه) أى جاء الى ما توهم انه ماء (لم يجد ماء شيئاً) كما ظنه

(ووجد الله) أي جزاء الله كقوله يجد الله غفورا رحيمًا أي يجد مغفرته ورحمته (عنده) عند الكافر (فوقاه حسابه) أي أعطاه جزاء عمله وأقبا كاملا وحدثه بقدم الجح جلا على كل واحد من الكفار (والله سريع الحساب) لأنه لا يحتاج إلى مد وعقد ولا يشغله حساب عن حساب أو قريب حسابه لأن ما هوأت قريب شبه ما يعمله من لا يعتد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله ونتيجته من عذابه ثم يجيب في العاقبة أمهه وبلقي خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيجسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويحذر بأنية الله عنده يأخذونه فيعتهلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم حاملية ناصية وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا قيل تزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يترهب ملتصا بالدين في الجاهلية فلما جاء الإسلام كفر (أو كظلمات في بحر) أو هنا كوفي أو كصيب (طحي) عميق كثير الماء منسوب إلى (٣٥١) الحج وهو معظم ماء البحر (يفشى البحر أو من فيه أي يعلوه

في البر تعلق قلبه به فإذا جاءه لم يجد شيئا فكذلك حال الكافر يحسب أن عمله نافع له فإذا احتاج إلى عمله لم يجد أعنى عنه شيئا ولا نفعه (ووجد الله عنده) أي وجد الله بالمصاد وقيل قدم على الله (فوقاه حسابه) أي جزاء عمله (والله سريع الحساب) معناه أنه عالم بجميع المعلومات فلا تشغله محاسبة واحد من واحد ثم ضرب للكفار مثلا آخر فقال تعالى (أو كظلمات) أعلم الله سبحانه وتعالى أن أعمال الكفار إن كانت حسنة فهي كسراب بقيعة وإن كانت قبيحة فهي كظلمات وقيل معناه أن مثل أعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها كظلمات (في بحر طحي) أي عميق كثير الماء وطفة البحر معظمه (يفشى) أي يعلوه (موج من فوقه موج) أي متراكم (من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) معناه أن البحر اللجج يكون قعره مظلمًا بسبب غمورة الماء فإذا ازدادت الأمواج ازدادت الظلمة فإذا كان فوق الأمواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى (إذا أخرج يده لم يكذبها) أي لم يقرب أن يراها الشدة الظلمة وقيل معناه لم يرها إلا بعد الجهد وقيل لما كانت اليد من أقرب شيء يراه الإنسان لم يكذبها ووجه التشبيه أن الله ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الأمواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجج قلبه وبالموج ما يتغشى قلبه من الجهل والشك والخبرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه قال أبي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصدره إلى الظلمات يوم القيامة في النار (ومن لم يجعل الله نورا فإله من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله دينًا وإيمانًا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادي له قيل نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين في الجاهلية وأبى المسوح فلما جاء الإسلام كفر وعاندوا الأصح أن الآية عامة في حق جميع الكفار ﴿قوله عز وجل﴾ (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات) أي باسطات أجنحتهن في الهواء وقيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنها تكون بين السماء والأرض فتكون خارجة عن حكم من في السموات والأرض (كل قد علم صلاته وتسبيحه) قيل الصلاة لبني آدم والتسبيح لسائر المخلوق وقيل أن ضرب أجنحة الطير صلاته وتسبيحه وقبل معناه أن كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه وقبل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاته نفسه وتسبيحه (والله عليهم بما يفعلون والله ملك السموات والأرض) أي أن جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه عنه نشأت ومنه بدأت فهو وابدأ الوجود وقبل معناه أن خزائن المطر والرزق بيده ولا يملكها أحد سواه (والى الله المصير) أي والى الله مرجع العباد بعد الموت ﴿قوله تعالى﴾ (ألم تر أن الله يرزق) أي يسوق (سحابا) بأمره

ويفطيه (موج) هو ما ارتفع من الماء (من فوقه موج) أي من فوق الموج موج آخر (من فوقه سحاب) من فوق الموج الأعلى سحاب (ظلمات) أي هذه ظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر (بعضها فوق بعض) ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة السحاب على الموج (إذا أخرج يده) أي الواقع فيه (لم يكذبها) مبالغة في لم يرها أي لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها شبه أعمالهم أولا في فوات نفوسها وحضور ضررها بسراب لم يجد من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خبيثة وكذا أن لم يجد شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزانية نعتله إلى النار وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة

وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب (ومن لم يجعل الله نورا فإله من نور) من لم يهده الله لم يهتد من الزجاج في الحديث خلق الله المخلوق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضل (ألم تر) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان في الإيقان (أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير) عطف على من (صافات) حال من الطير أي يصفقن أجنحتهن في الهواء (كل قد علم صلاته وتسبيحه) الضمير في علم لكل أولئك وكذا في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولم يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر المعلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها (والله عليهم بما يفعلون) لا يعزب عن علمه شيء (والله ملك السموات والأرض) لأنه خالقهما ومن ملك شيئا فبذلك أياه (والى الله المصير) مرجع الكل (ألم تر أن الله يرزق) يسوق إلى حيث يريد (سحابا) جمع سحابة

فأوله (ثم يؤلف بيته) وتذكره للفظ أي يضم به إلى بعض (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق بعض (فقرى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه ومخارجة جمع خال كجبال في جبل (وينزل) وينزل مكي ومديني وبصري (من السماء) لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء (من جبال) من للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي (فيها) في السماء (من برد) للبيان أو الاوليان للابتداء والآخره للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفسر وينزل من جبال أي بعض جبال فيها ومعنى من جبال فيها من برد أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجار ويريد الكثرة بد كالجبال كما يقال فلان جبالا من ذهب (فيصيب به) بالبرد (من يشاء) أي يصيب الانسان (٣٥٣) وزرعه (ويصرفه عن يشاء) فلا يصيبه أو يعذب من يشاء ويصرفه عن يشاء فلا يعذبه (يكاد سنابرقه)

الى حيث يشاء من أرضه وبلاده (ثم يؤلف بيته) أي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها الى بعض (ثم يجعله ركاما) أي متراكما بعضه فوق بعض (فقرى الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من وسطه وهو مخارج القطر (وينزل من السماء) من جبال فيها من برد قبل معناه وينزل من جبال من السماء تلك الجبال من برد قال ابن عباس أخبر الله ان في السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال في الكثرة من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة قلت من الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض لان ما ينزل الله بعض تلك الجبال التي في السماء والثالثة للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد (فيصيب به) أي البرد (من يشاء) فيها لكمة وأمواه (ويصرفه عن يشاء) أي فلا يصرفه (يكاد سنابرقه) أي ضوء برق الصاب (يذهب بالابصار) أي من شدة ضوئه وبريقه (يقلب الله الليل والنهار) أي يصرفه في اختلافهما أو تعاقبهما في الليل والنهار (يأتى بالنهار ويذهب بالليل) (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند التوازل والشدائد أصابنا الدهر واذمونه في أشعارهم فقبيل لهم لاسبوا الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر مصرف تقع فيه التأثيرات كاتقع بكم وقوله تعالى (ان في ذلك) أي الذي ذكر من هذه الاشياء (عبارة لاولي الابصار) أي دلالة لاهل العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيده ﴿ قوله عز وجل (والله خلق كل دابة من ماء) أي من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن لاننا نشاهدهم وقيل ان أصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله خلق ماء فجعل بعضه ريحا وفور الخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا خلق منه الجن وجعل بعضه طينا خلق منه آدم (فمنهم من عشي على بطنه) أي كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك (ومنهم من عشي على رجلين) يعني مثل بني آدم والطير (ومنهم من عشي على أربع) يعني كالبهايم والسباع فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثير من الحيوانات يتولد من غير نطفة قلت ذلك الخلق من غير نطفة لابتداء ان يتكون من شيء وذلك الشيء أصله من الماء فكان من الماء فان قلت فمنهم من عشي ضمير العقلاء فلم استعمل في غير العقلاء قلت ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللاتقيد بن يعقل لان جعل الشريف أصلا والحسيس تبعاً أولى فان قلت لم قدم ما عشي على بطنه على غيره من المخلوقات قلت قدم الاعجب والاعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة المشي وهي الارجل والقوائم ثم ذكر ما عشي على رجلين ثم ما عشي على أربع فان قلت لم اقتصر على ذكر الاربع وفي الحيوانات ما عشي على أكثر من أربع كالعناكب

ضوؤه (يذهب بالابصار) يخطفها يذهب يزيده على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) يصرفهما في الاختلاف طولا وقصرا والتعاقب (ان في ذلك) في ازجاء السحاب وانزال الودق والبرد وتقليب الليل والنهار (عبارة لاولي الابصار) لذوى العقول وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وما يطير بينهما ودعاهم له واستخبر السحاب الى آخر ما ذكره في براهين لا تحصى على وجوده دلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر ثم بين دليلا آخر فقال تعالى (والله خلق كل خلق كل حرة وعلى دابة) كل حيوان يذب على وجهه الارض (من ماء) أي من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين

المخلوقات من النطفة فذها هوام ومنها هم آتاسى وهو كقوله يسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض في الاكل والعقارب وهذا دليل على ان لها خالفا ومديرا والالم تختلف لاتفاق الاصل وانما عرف الماء في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي لان المقصود ثم ان اجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء وانه هو الاصل وان تخلق بيته وبينها واسيط قالوا ان أول ما خلق الله الماء خلق منه النار والرج والطين خلق من النار والجن ومن الزيج الملائكة ومن الطين آدم ودواب الارض ولما كانت الدابة تشمل المميز وغير المميز غلب المميز فأعطى ما وراء حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل (فمنهم من عشي على بطنه) كالحيات والحيتان وسعى الزحف على البطن مشيا استأذرة كما يقال في الامر المستمر قدم مشي هذا الامر أو على طرائق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين (ومنهم من عشي على رجلين) كالانسان والطير (ومنهم من عشي على أربع) كالبهايم وقدم ما هو أهرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو غيرها ثم الماشي على

رجلين ثم الماشي على أربع (يخلق الله ما يشاء) كيف يشاء (ان الله على كل شيء قدير) لا يهذر عليه شيء (لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء) بآطفه ومشيئته (الى صراط مستقيم) الى دين الاسلام الذي يوصل الى جنته والآيات لازام حجت لما ذكرنا من انزال الآيات ذكر بعد هذا افتراق الناس الى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهرا وكذبت باطنها وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطننا وهم المخاصون وفرقة كذبت ظاهرا وباطننا وهم الكافرون على هذا الترتيب وبدأ بالمناققين فقال (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) بالسنتم (وأطعنا) الله والرسول (ثم يتولى) يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله (فريق منهم من بعد ذلك) أى من بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول وأطعنا (وما أولئك بالمؤمنين) أى المخاصين وهو إشارة الى القائلين آمنا وأطعنا الى الفريق المتولى وحده وفيه اعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الايمان لا اعتقادهم ما يعتقد هؤلاء والاعراض وان كان من بعضهم فالرضا بالاعراض من كلهم (واذا دعوا الى الله ورسوله) أى الى رسول الله كقولك أعجبنى زيد وكرمه زيد وكرم زيد (لحكم) الرسول (بينهم) اذ فريق منهم معرضون أى فاجأهم من فريق منهم الاعراض نزلت في بشر المنافق وخصه اليهودى حين اختصم فى أرض بعل يهودى (٣٥٣) بحججه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

والمناقق الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمد ابيحاف علينا (وان يكن لهم الحق) أى اذا كان الحق لهم على غيرهم (ياأقواله) الى الرسول (مذعنين) حال أى مسرعين فى الطاعة طلبا لحقهم لارضاء بحكم رسولهم قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق والمراد العدل المجت معتدون عن الحكمة البلى اذ اركبهم الحق ثلاث تنزعه من أحداقهم بفضائل عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم أسرعوا اليه ولم يرضوا الا بحكمه مثل لتأخذ لهم ماوجب لهم فى ذمة الخصم (أففى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون ان يحيف الله عليهم

والعقارب والريلا وما له أربع وأربعون رجلا ومخوذك قلت هذا القسم كالنادر فكان المخفيا بالاعلم وقيل ان هذه الحيوانات اعتمادها على أربع فى المشى والباقي تسع لها (يخلق الله ما يشاء) أى مما لا يعلم ولا يعلم (ان الله على كل شيء قدير) أى هو القادر على الكل العالم بالكل المطاع على الكل يخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنع مانع ولا دافع (لقد أنزلنا آيات مبينات) يعنى القرآن هو المدين للهدى والاحكام والحلال والحرام (والله يمدى من يشاء الى صراط مستقيم) يعنى الى دين الاسلام الذى هو دين الله وطريقه الى رضاه وحبته (ويقولون) يعنى المنافقين (آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) أى يقولونه بألسنتهم من غير اعتقاد (ثم يتولى فريق منهم) أى يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) أى من بعد قولهم آمنا ويدعوا الى غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) نزلت هذه الآية فى بشر المنافق كان بينه وبين يهودى خصومة فى أرض فقال اليهودى نعمناكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل نعمناكم الى كعب بن الاشرف فان محمد ابيحاف فانزل الله هذه الآية (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) أى الرسول يحكم بحكم الله بينهم (اذا فريق منهم معرضون) يعنى عن الحكم وقيل عن الاجابة (وان يكن لهم الحق ياأقواله) أى مطيعين متقادين لحكمه أى اذا كان الحكم لهم على غيرهم أسرعوا الى حكمه لثقتهم انه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم (أففى قلوبهم مرض) أى كفرو ونفاق (أم ارتابوا) أى شكوا وهذا استفهام ذم ونفي بخ والمعنى هم كذلك (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) أى يظلم (بل أولئك هم الظالمون) أى لانفسهم باعراضهم عن الحق (وقوله عز وجل) (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله) أى الى كتاب الله (ورسوله ليحكم بينهم) هذا تعليم أرب الشمرع على معنى ان المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا وهو (ان يقولوا آمنا) أى الدعاء (وأطعنا) أى بالاجابة (وأولئك) أى من هذه صفته (هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله) قال ابن عباس فيما ساءه وسره (ويخش الله) أى ما عمل من الذنوب (وبتقه) أى فيما بعد (فأولئك هم الفائزون) أى الناجون (وقوله تعالى) (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قيل جهد اليمين أن يحلف بالله ولا

(٥٥ - خازن ثالث) ورسوله قسم الامر فى صدورهم عن حكمته اذا كان الحق عليهم بان يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين فى أمر نبوته أو خائفين الخيف فى قضائه ثم أبطل خوفهم حيفة بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أى لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم وذلك شئ لا يستطيعونه فى مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام فن ثم يأبون الهاكمة اليه (انما كان قول المؤمنين) وعن الحسن قول بالرفع والنصب أقوى لان أولى الاسمين بكونه اسمالكان أو غلها فى التعريف وان يقولوا أو غل بخلاف قول المؤمنين (اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم) النبي عليه الصلاة والسلام ليحكم أى ليعمل الحكم (بينهم) يحكم الله الذى أنزل عليه (ان يقولوا آمنا) قوله (وأطعنا) أمره (وأولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن يطع الله) فى فرائضه (ورسوله) فى سنته (ويخش الله) على ماضى من ذنوبه (وبتقه) فيما يستقبل (فأولئك هم الفائزون) وعن بعض المأولك انه سأل عن آية كافية فقلت له هذه الآية وهى جامعة لاسباب الفوز وبتقه بسكون الهاء أبو عمرو وأبو بكر نية الوقف وبسكون القاف وبكسر الهاء مختلفة حصص وبكسر القاف والهاء غيرهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى حلف المنافقون بالله جهد اليمين لانهم بذلوا فيه الجهد وهم وجهه ليعينه

والاذمان فان لم تقبلوا
وتوابعتم فقد عرضتم نفوسكم
سخط الله وعذابه (وان
اطيعوه وتمتدوا) أى وان
افطعوه فيما يأمركم وبما
نهىكم فقد أحرزتم نصيبكم من
الهدى فالضرر فى توابعكم
والنفع عائدان اليكم (وما على
الرسول الا البلاغ المبين)
وما على الرسول الا أن يبلغ
ماله نفع فى قلوبكم ولا عليه
ضرر فى توابعكم والبلاغ
يعنى التبليغ كالاداء بمعنى
التأديته والمبشرين الظاهر
لكونه مقرر ونايات
والمعجزات ثم ذكر المخاصين
فقال (وعدا الله الذين آمنوا
منكم وعملوا الصالحات)
الخطاب للنبي عليه الصلاة
والسلام ولبن معه ومنكم

يزيد على ذلك شيئا (لئن أمرتم ليخرجن) وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أينما كنت تكون معك لن يخرجن فخرجنا ولئن أقت أقتنا ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقبل لما نزل بيان
كراهتهم لحكم الله ورسوله قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا
ونسائنا نخرجنا فكيف لارضى بحكمك فقال الله تعالى (قل) لهم (لا تقسموا) أى لا تحلفوا وتم السلام
ثم ابتدأ فقال (طاعة معروفة) أى هذه طاعة القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب وهى معروفة أى
أمر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون وقبل معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل
وأمثل من عين باللسان لا يوافقها الفعل (ان الله خير بما تعملون) أى من طاعتكم بالقول ومخالفكم
بالفعل (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) يعنى بقولكم وصدق نبائكم (فان قولوا) أى أعرضوا عن
طاعة الله ورسوله (فاعا عليه) أى على الرسول (ما جل) أى ما كاف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم
ما حلتكم) أى ما كلفتم من الاجابة والطاعة (وان تطيعوه تهتدوا) أى تصيدوا الحق والرشد فى طاعته
(وما على الرسول الا البلاغ المبين) أى التبليغ الواضح البين ۞ قوله عز وجل (وعبد الله الذين آمنوا
منكم وعملوا الصالحات ليسخفنهم فى الارض) قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي عشر
سنتين مع أصحابه وأمر بالانصر على أذى الكفار فكانوا يصيحون ويمسحون خائفين ثم أمر بالهجرة الى
المدينة وأمر بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحدهم سلاحه فقال رجل منهم م أما يأتى علينا يوم
نأمن فيه ونضع السلاح فانزل الله هذه الآية ومعنى ليسخفنهم والله ليورثنهم أرض الكفار من
العرب والعجم فجعلهم ملوكها وساستها وسكانها (كما استخلف الذين من قبلهم) أى كما استخلف داود
وسليمان وغيرهما من الانبياء وكما استخلف بنى اسرائيل واهلك الجبابرة عصر والشأم وأورثهم أرضهم
وديارهم (ولم يكن لهم دينهم الذى ارتضى) أى اختاره (لهم) قال ابن عباس يوسع لهم فى البلاد
حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الاديان (ولم يبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونى) آمنين

البيان وقيل المراد به المهاجرون ومن للتبعية (ليستخلفهم في الارض) أي أرض الكفار وقيل (لا يشركون)
أرض المدينة والعصم انه عام لقوله عليه الصلاة والسلام ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل (كما استخلف) استخلف أبو بكر (الذين
من قبلهم ولم يكن لهم دين الذي ارتضى لهم ولم يلدنهم) ولعلهم بالتخفيف مكي وأبو بكر (من بعد خوفهم أمنا) وعددهم الله أن ينصر
الاسلام على الكفر ويؤلفهم الارض ويجعلهم فيها اخفاء كما فعل بنى اسرائيل حين أوردتهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان عجز الدين
المرضى وهو دين الاسلام وتكليفه تشبیهه وتفضيده وان يؤمن سرهم ويرزى عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا عكة عشر سنة في خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصيحون في السلاح وعيونهم فيه حتى قال رجل ما بأني
على نايوم تأمن فيه ونضع السلاح فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لا تعبرون الا بغير احتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتجيا
ليس معه حديدة فأبجز الله وعددهم وأظهروهم على جزيرة العرب واقتحموا ابعاد بلاد المشرق والمغرب ومن قوامك الا كاسرة وملكوها
خزائهم واستولوا على الدنيا والقسم المتلقى باللام والنون في الستخلفهم هم مخدوف تقديره وعددهم الله وأقسام ليستخلفهم هم أوزل وعد
الله في تحققة منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كانه أقسم الله ليستخلفهم (بعد ونبي) ان جعلته استثناء فلا محل له كانه قيل ما لهم يستخلفون
ويؤمنون فقال بعد ونبي مودعين ويجوز أن يكون حالا لا من الحال الاولى وان جعلته حالا عن أي وعددهم الله ذلك في حال

عبادهم فحله النصب (لا يشركون في شياً) حال من فاعل يعبدون أي يعبدونني موحدين (٣٥٥) ويجوز أن يكون حالاً بدلاً من الحال

الاولى (ومن كفر بعد ذلك) أي بعد الوعد والمراد كفراً ان النعمة كقولہ تعالیٰ فكفرت بانعم الله (فاؤثنتهم الفاسقون) هم الكاملون في فسقهم حيث كفر وانك الله عليه الجسمة وحسروا على غمظها قالوا أول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضي الله عنه فاقنلوا بعد ما كانوا اوزال عنهم الحسوف والاية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (واقبوا الصلوة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا يضر الفصل وان طال (واقوال الزكوة وأطيعوا الرسول) فيما يدعوكم اليه وكررت طاعة الرسول تأكيذاً لوجوبها (لعلمكم ترجون) أي لكي ترجوا فانها من مستحبات الرحمة ثم ذكر الكافرين فقال (لا تحسبن الذين كفروا مهجزين في الارض) أي فائتسين الله بان لا يقدر عليهم فيما لاء ما خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا ومهجرين وبالباء شامخ وحزوا والفاعل النبي

(لا يشركون في شياً) فانجز الله وعده واطهر دينه ونصر اوليائه وأبداهم بعد الحسوف آمنوا بسلطان الأرض (خ) عن عدي بن حاتم قال بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها لولا قدر الله عنها قال فان طالت بك حياة فانظر من الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا الا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فأتني دعا طيئ الذين قد سمعوا بالبلاء ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسري قلت كسري بن هرير قال كسري بن هرير ولئن طالت بك حياة لئن من الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه ويلعن الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجان يترجم له فاقبوان ألم أبعث اليك رسولا فيبلغن فيقول بلى يا رب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن عينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الا جهنم قال عدي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدي فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت فيمن اقتنع كنوز كسري بن هرير ولئن طالت بك حياة لترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه ذهباً الخ وفي الآية دليل على صحة خلافة أبي بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده لان في أيامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسري وغيره من الملوكة وحصل الامن والتمكين وظهور الدين * عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدى ثلاثين سنة ثم تكون ملكاً ثم قال امسك خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشرين وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وعلى ستيناً قال علي قلت لخادم القائل لسعيد امسك سنتين قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي فعوه هذا اللفظ قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل وفيه اجل وتفصيله ان خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشرين سنة وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة كما ذكر في الحديث وخلافة علي اربع سنين وتسعة أشهر ولهذا جاء في بعض روايات الحديث وعلى كذا ولم يبين تعيين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الأئمة الاربعة تسعة وعشرين سنة وستة أشهر وملت ثلاثين سنة بخلافة الحسن كانت ستة أشهر ثم نزل عنها والله اعلم وقوله تعالیٰ (ومن كفر بعد ذلك) اراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله (فاؤثنتهم الفاسقون) أي العاصون قال اهل التفسير اول من كفر بهذه النعمة وبجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وادخل عليهم الحسوف حتى صاروا يقتلون بعدان كانوا اخواناً * عن ابن اخي عبد الله ابن سلام قال لما ريد قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام فقال عثمان ما جاء بك قلت في نصرتك قال اخرج الى الناس فاطردوهم عني فالت خارجا خيراً لي منك داخلنا فخرج عبد الله الى الناس فقال أيها الناس ان الله سيفاً مغموداً وان الملائكة قد جاؤكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله في هذا الرجل ان تقتلوه فوالله ان تقتلوه تطردون جيرانكم الملائكة وليس الله سيفه المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيامة قالوا اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمان أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي فاقبل نبي قط الاقتل به سبعين ألفاً ولا خليفة الاقتل به خمسة وثلاثون ألفاً قوله تعالیٰ (واقبوا الصلوة واقوال الزكوة وأطيعوا الرسول لعلمكم ترجون) أي افعلوا هذه الاشياء على رجاء الرحمة (لا تحسبن الذين كفروا مهجزين) أي فائتسين عنا (في الارض وما أراهم النار وليس المصير) قوله تعالیٰ (يا أيها الذين آمنوا ائذنتكم الذين ملكتم أيما نكم) قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلامان الانصار يقال له مدحج بن عمرو بن الخطاب وقت الظهيرة ليندعوه فدخل قرأ في عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فأمر أنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في أسماء

صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره والمفعولان الذين كفروا ومهجرين (وما أراهم النار) معطوف على لا تحسبن الذين كفروا ومهجرين كأنه قبل الذين كفروا لا يفوتون الله وما أراهم النار (وليس المصير) أي المرجع النار (يا أيها الذين آمنوا ائذنتكم الذين ملكتم أيما نكم)

أمر بأن يستأذن العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) أي الاطفال الذين لم يحتملوا من الاحرار وقرئ بسكون اللام تخفيفاً (ثلاث مرات) في اليوم والليلة وهي (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب وليس ثياب البقطة (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) وهي نصف النهار في القيظ لان وقت وضع الثياب للقيظ لولة (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت التجرد من ثياب البقطة والاتخاف بثياب النوم (٣٥٦) (ثلاث عورات لكم) أي هي اوقات ثلاث عورات لخلاف المبتدأ والمضاف وبالنصب

كوفي غير خفض بدلا من ثلاث مرات أي اوقات ثلاث عورات ومعنى كل واحد من هذه الاحوال عورة لان الانسان يحتل تستره فيها والعورة الخلل ومنها الاور المحتل العين دخل غلام من الانصار يقال له مدلج بن عمرو على امر رضى الله عنه وقت الظهيرة وهو وانتم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضى الله عنه وددت أن الله نهي عن الدخول في هذه الساعات الا بالاذن فانطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية ثم عززهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله (ليس عليكم ولا عليكم جناح بعدهن) أي لا اثم عليكم ولا على المسذكورين في الدخول بغير استئذان بعدهن ثم بين العلة في ترك الاستئذان في هذه الاوقات بقوله (طوافون عليكم) أي هم طوافون بجوارج البيت (بعضكم) مبتدأ خبره (على بعض) تقديره بعضكم

بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخّل عليه في وقت كرهته فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اليس استأذنتكم الذين ملكت أيمانكم واللام الاحمر وفيه قولان أحدهم انه على الذنب والاستعجاب والثاني انه على الوجوب وهو الاولى الذين ملكت أيمانكم يعني العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعني الاحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهر روعا على عورات النساء بل المراد الذين عرفوا أمر النساء ولسكنهم لم يبلغوا الحلم وهو سن التمييز والعقل وغيرهما وافق العلماء على ان الاحتلام بلوغ واختلافها اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم فقال أبو حنيفة لا يكون بالغاً حتى يبلغ ثمان عشرة سنة ويستكملها والجارية تسبع عشرة سنة وقال الشافعي وأبو يوسف ومحمد وأحمد في الغلام والجارية بخمس عشرة سنة بصبره مكافاً ونجس عليه الاحكام وان لم يحتلم (ثلاث مرات) أي ليستأذنوا في ثلاثة اوقات (من قبل صلاة الفجر) وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أي وقت المقيبيل (ومن بعد صلاة العشاء) وانما خص هذه الثلاثة الاوقات لانها ساعات الخبوات ووضع الثياب فر بما يبدو من الانسان ما لا يجوز أن يراه أحد من العبيد والصبيان فأمرهم بالاستئذان في هذه الاوقات وغير العبيد والصبيان يستأذن في جميع الاوقات (ثلاث عورات لكم) معيت هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فبده عورته (ليس عليكم ولا عليكم) يعني العبيد والخدم والصبيان (جناح) أي حرج في الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) أي بعد هذه الاوقات الثلاثة (طوافون عليكم) أي العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالكم بغير اذن (بعضكم على بعض) أي يطوف بعضكم على بعض (كذلك يبين الله لكم الآيات والله علم حكيم) اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل انها منسوخة حتى ذلك عن سعيد بن المسيب روى عكرمة أن نفا من أهل العراق قالوا يا ابن العباس كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا بها ولا يعمل بها أحد قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اليس استأذنتكم الذين ملكت أيمانكم الآية فقال ابن عباس ان الله جلهم رحيم بالمؤمنين يحب المستأذنين وكان الناس ليس ليوتهم ستور ولا حجاب فر بما دخل الخادم أو الولد أو بنيم الرجل والرجل على أهله فأمرهم الله تعالى بالاستئذان في تلك العورات فخافهم الله بالستر وروا الخبر فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد أخرجه أبو داود وفي رواية عنه نحوه وزاد فرأي ان ذلك أغنى عن الاستئذان في تلك العورات وذهب قوم الى انها غير منسوخة روى سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال سألت الشعبي عن هذه الآية استأذنتكم الذين ملكت أيمانكم منسوخة هي قال لا والله قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الآية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تتهاون به الناس قبل ثلاث آيات ترك الناس العمل بها هذه الآية وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم والناس يقولون أعظمكم بيتا واذا حضر القسمة أولوا القربى الآية وقوله عز وجل (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) أي الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) أي يستأذنوا في جميع الاوقات

طائف على بعض خذلق طائف لالة طوافون عليه ويجوز أن تكون الجملة بدلا من التي قبلها وأن تكون مبنية مؤكدة يعني ان بكم وكم حجة الى المحافظة والمداخلة بطوافون عليكم للخدمة وطوافون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستئذان في كل وقت لأفضى الى الحرج وهو مدفوع في الشرع بالنص (كذلك يبين الله لكم الآيات) أي كباين حكم الاستئذان بينكم وغيره من الآيات التي احقتم الي بيانها (والله علم) بمصالح عباده (حكيم) في بيان مراده (واذا بلغ الاطفال منكم) أي الاحرار دون المالكين (الحلم) أي الاحتلام أي اذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم (فليستأذنوا) في جميع الاوقات

(كما استأذن الذين من قبلهم) أي الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذوا وتسألوا الآية والمعنى أن الأطفال ما ذكروا لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسن وجب أن يقطعوا عن تلك المأذنة ويحذروا على أن يستأذوا في جميع الأوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بأذن والناس عن هذا ما أقولون وعن ابن عباس رضي الله عنه ثلاث آيات حذرن الناس الأذن كذا وقوله إن أكرمكم عند الله اتقواكم وإذا حضر القسمة وعن سعيد بن جبير يقولون هي (٣٥٧) مذبوحة والله ما هي بمذبوحة وقوله

(كذلك بين الله لكم آياته والله عليم) فيما بين من الأحكام (حكيم) بمصالح الانام (واقواع) جمع قاعد لانها من الصفات المختصة بالنساء كاطلاق والحائض أي اللاتي فعدن عن الحيض والوليد لكبرهن (من النساء) حال (اللاتي) لارجون نكاحا بطعن فيه وهي في محل الرفع صفة للمبتدأ وهي القواعد والخبر (فليس عليهن جناح) اتم ودخلت الفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط بسبب الالف واللام (أن يضعن) في أن يضعن (نياهن) أي الظاهرة كالمففة والجلباب الذي فوق الحمار (غير) حال (متبرجات بزينة) أي غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك أي لا يقصدن بوضعها التسريح ولكن التخفيف وحقيقة التسريح تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه (وأن يستعفن) أي ان يطلبن

الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) أي الاحرار الكبار (كذلك بين الله لكم آياته) أي دلالة وقيل أحكامه (والله عليم) أي بامور خلقه (حكيم) بما ادبره شرعا قال سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على أمه فانما آتت هذه الآية في ذلك وسئل حذيفة استأذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل رأيت منها منكرا (وقواعد من النساء) يعني اللاتي فعدن عن الحيض والوليد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن (اللاتي لارجون نكاحا) أي لا يردن الأزواج لكبرهن وقيل هن العجائز اللواتي اذا رآهن الرجال استعذروهن فأما من كانت فيها بقية جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الآية (فليس عليهن جناح) أن يضعن نياهن أي عند الرجال والمعنى بعض نياهن وهو الجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه (غير متبرجات بزينة) أي من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما يجب عليها أن تستره (وأن يستعفن) أي فلا يقبلن الجلباب ولا الرداء (خير لهن والله سميع عليم) قوله عز وجل (ليس على الأعمى حرج) اختلف العلماء في هذه الآية فقال ابن عباس لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل تخرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمنى والعرج وقالوا الطعام أفضل الاموال وقد ناهى الله عز وجل عن أكل الاموال بالباطل والأعمى لا يصير موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المراحة على الطعام والمرضى يضعف عن تناول فلا يستوفي من الطعام حقه فانزل الله هذه الآية على هذا التأويل يكون على معنى في أي ليس في الأعمى والمعنى ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والمرضى والاعرج حرج وقيل كان الأعمى يقول ربما آكل أكثر من ذلك ويقول الاعرج والأعمى ربما أجلس مكان اثنين فنزلت هذه الآية وقيل زلت ترخيصا للمؤاكلة في الأكل من بيوت من سماهم الله في باقي الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل في طاب الطعام فاذا لم يكن عنده شيء ذهب به الى بيت أبيه أو بيت أمه أو بعض من سمى الله تعالى فكان أهل الزمانة يخرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير بيته فانزل الله هذه الآية وقيل كان المسلمون اذا غزوا دفعوا مغانم بيوتهم الى الزمنى ويقولون لهم قد أحل الله لكم ان تأكلوا مما في بيوتكم فكاؤا يخرجون من ذلك ويقولون لا تدخلوها وأجمعهم اغيب فانزل الله هذه الآية رخصة لهم وقيل نزلت رخصة لهم ولا في الخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند قوله (ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) وقوله تعالى (ولا على أنفسكم) كلام مستأنف قبل لما نزلت ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لاحد منا أن يأكل عند أحد فانزل الله تعالى (ولا على أنفسكم) (أن تأكلوا من بيوتكم) أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم قبل أواد من أموال عيالكم وبيوت أزواجكم لان بيت المرأة كبيت الزوج وقيل أواد بيوت أولادكم ونسب بيوت الأولاد الى الآباء لما جاء في الحديث أنت ومالك لابنك (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت

العفة عن وضع الثياب فيستترن وهو مبتدأ خبره (خير لهن والله سميع) لما يعلن (عليم) بما يقصدن (ليس على الأعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزوة النبي صلى الله عليه وسلم وضعوا مغانم بيوتهم عند الأعمى والمريض والاعرج وعند أقاربهم ويأذونهم ان يأكلوا من بيوتهم وكانوا يخرجون من ذلك ويقولون نخشى أن لا نكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة لهم (ولا على أنفسكم) أي حرج (ان تأكلوا من بيوتكم) أي بيوت أولادكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولذا لم يذكر الأولاد في الآية وقد قال عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لابنك أو بيوت أزواجكم لان الزوجين صاروا كنفسي واحدة فصار بيت المرأة كبيت الزوج (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت

أخوانكم أو يبيوت أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو يبيوت أخوالكم أو يبيوت خالاتكم) لأن الأذن من هؤلاء ثابت دلالة (أو مملكتكم مفايح) جمع مفتوح وهو ما يفتح به الغلق قال ابن عباس رضى الله عنه هو وكيل الرجل وقميه في ضيعته وما شئته له أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته وأريد بذلك المفايح كونها في يده وحفظه وقبل أن يذهب بيت عبده لأن العبد وما في يده ماله (أو صدقكم) يعنى أو يبيوت أصدقائكم والصدق يكون واحداً أو جمعاً وهو من يصدقك في مودته وتصدقك في مودته وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كسبه فيأخذ ما شاء فإذا حضر مولاهما فآخبرته أعتقه أسروا بذلك فاما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يؤكل إلا بالذن (٣٥٨) (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً) مجتمعين (أو اشتاتاً) متفرقين جمع شت نزلت في بني

ليث بن عمرو وكانوا يتصرفون أن يأكل الرجل وحده فربما قد منتهى نظرناهم إلى الليل فإن لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة أو في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لياً كلون الامع ضيفهم أو يخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل وزيادة بعضهم على بعض (فإذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت لتأكلوا (فسلموا على أنفسكم) أى فابدأوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرباً أو يوتوا فارغاً أو مسجداً فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية) نصب سلموا لأنها في معنى تسليماً نحو فعدت حلوا (من عند الله) أى ثابته بأمره مشروعة من لده أولان التسليم والتحية طلب سلامة وجياة للمسلم عليه والمحيامن عند الله (مباركة طيبة) وصفها بالمباركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجيها من الله زيادة الخير وطيب الرزق (كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) أى الذى يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير في الحرب وكل اجتماع في الله حتى الجمعة والعيدين (لم يذهبوا حتى يستأذنه) أى ويأذن لهم ولما أراد الله عز وجل أن يرجعهم عظم الجنابة في ذهاب الذاهب عن محاسن رسول الله صلى الله عليه وسلم بغيرانه إذا كانوا معه على أمر جامع جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله وجهلهما كالشيب له والبساط لذلك وذلك مع تصدير الجلة بأعما وإيقاع المؤمنين بمبدأ أخبار عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمان ثم عقبه بما يزيد توكيده أو تشديداً حيث طاده على أسلوب آخر وهو قوله

أخوانكم أو يبيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو يبيوت أخوالكم أو يبيوت خالاتكم أو مملكتكم مفايح) قال ابن عباس رضى الله عنه هو وكيل الرجل وقميه في ضيعته وما شئته له أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته وأريد بذلك المفايح كونها في يده وحفظه وقبل أن يذهب بيت عبده لأن العبد وما في يده ماله (أو صدقكم) يعنى أو يبيوت أصدقائكم والصدق يكون واحداً أو جمعاً وهو من يصدقك في مودته وتصدقك في مودته وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كسبه فيأخذ ما شاء فإذا حضر مولاهما فآخبرته أعتقه أسروا بذلك فاما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يؤكل إلا بالذن (٣٥٨) (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً) مجتمعين (أو اشتاتاً) متفرقين جمع شت نزلت في بني

(ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) وصعته شياً آخر وهو انه جعل الاستئذان كالصداق لجمعة الايمان وعرض بحال المنافقين وتسلهم لو اذا (فاذا استأذنوك) في الانصراف (لبعض شأنهم) أمرهم (فانذن لمن شئت منهم) فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام (واستغفروهم الله ان الله غفور رحيم) وذ كر الاستغفار لله استأذنين دليل على ان الافضل ان لا يستأذن قالوا وينبغي أن يكون الناس كذلك مع أمتهم ومقدمهم في الدين والعلم بظاهروهم ولا يتفرقون عنهم الا باذن قبل نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون الى منازلهم من غير استئذان (لا تجمعوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) أي اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لاهر فدعواكم فلا تقربوا منه الا باذنه ولا تقسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضاً ورجوعكم عن الجمع بغير اذن الداعي أو لا تجمعوا لواسمته ودعاه بينكم كما يسمى بعضكم بعضاً وينادي باسمه الذي (٣٥٩) سماه به أبواه فلا تقولوا يا محمد ولا يكن يابى الله

يارسول الله مع التوقير

والتعظيم والصوت المحفوض

(قد يعلم الله الذين يتسللون)

يخرجون قليلاً قليلاً (منكم)

لو اذا) حال أي ملاوذين

اللواذ والملاوذة هوان يلوذ

هذا بذلك وذلك بهذا أي

يتسللون عن الجماعة في

الحقيقة على سبيل الملاوذة

واستتار بعضهم ببعض

(فليحذر الذين يخالفون

عن أمره) أي الذين يصرون

عن أمره دون المؤمنين

وهم المنافقون يقال خالفه

الى الامر اذا ذهب اليه

دونه ومنه وما يريدان

اخالفكم الى ما أنكم

منه وخالفه عن الامر اذا

صد عنه دونه والضمير في

أمره لله سبحانه وأل الرسول

عليه الصلاة والسلام

والمعنى عن طاعته ودينه

ومفعول يحذر (أن تصيبهم

فتنة) محنة في الدنيا أو قتل

أو زلزل وأحوال أو تسلط

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه اغتافهم استأذن فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا بالاذن واذا استأذن الامام ان شاء اذن له وان شاء لم يأذن وهذا اذا لم يكن حدث سبب عنعه من المقام فان حدث سبب عنعه من المقام بان يكونوا في المسجد فحينئذ امر أمة منهم أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أي أمرهم (فانذن لمن شئت منهم) أي في الانصراف والمعنى ان شئت فأذن وان شئت فلا تأذن (واستغفروهم الله) أي ان رأيت لهم عذراً في الخروج عن الجماعة (ان الله غفور رحيم) قوله عز وجل (لا تجمعوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) قال ابن عباس رضي الله عنهما يقول احذروا دعاء الرسول اذا انحطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه كيدعوا بعضكم بعضاً يا محمد يا عبد الله ولكن نخموه وعظموه وشرفوه وقولوا يابى الله يارسول الله في لين وتواضع (قد يعلم الله الذين يتسللون) أي يخرجون (منكم) لو اذا) أي يستتر بعضهم ببعض ويروغ في خفية فيذهب قيل كانوا في حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محتفين وقال ابن عباس لو اذا أي يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين كان يشغل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقوله قد يعلم فيه التهديد بالهجرة (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير اذنه (ان تصيبهم فتنة) أي لا تصيبهم فتنة أي بلا في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أي وجيع في الآخرة ثم عظم الله نفسه فقال تعالى (الا ان الله مافي السموات والارض) أي ملكا وعبيدا (قد يعلم ما أنتم عليه) أي من الايمان والنفاق (ويوم يرجعون اليه) يعني يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) أي من الخير والشر (والله بكل شيء عليم) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابات وعلوهن الغزل وسورة النور أخرجه أبو عبد الله بن السبع في صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم

في نفسه سورة الفرقان وهي مكية وسبع وسبعون آية وغاياته واثنان وتسعون كلمة

وثلاثة آلاف وسبع مائة وثلاثون حرفاً

سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرب أو اسباغ النعم استدراجاً (أو تصيبهم عذاب أليم) في الآخرة والاية تدل على أن الامر للإيجاب (الا ان الله مافي السموات والارض) الاتية على ان لا يخالفوا أمر من له مافي السموات والارض (قد يعلم ما أنتم عليه) أدخل قديلو كد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين ويرجع فوكيد العلم الى فوكيد الوعيد والمعنى ان جميع مافي السموات والارض مختص به انما وملكاً وعلماً فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وان كانوا يجاهدون في سترها (ويوم يرجعون اليه) ويقع الياء وكسر الجيم يعقوب أي ويعلم يوم يردون الى جزائه وهو يوم القيامة والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعاً للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاماً ويرجعون للمنافقين (فينبئهم) يوم القيامة (بما عملوا) بما أبطنوا من سوء أعمالهم ويجازيهم حق جزائهم (والله بكل شيء عليم) فلا يخفى عليه خافية وروى ان ابن عباس رضي الله عنه قرأ سورة

النور على المنبر في الموسم وفسرها على وجهه لوسعت الروم به لاسلت والله اعلم (سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم تبارك) تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزيادته ومعنى تبارك الله تزايد خبره وتكاثر وتزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله وهي كلمة تعظيم لم تستعمل الا الله وحده والمستعمل منه الماضي فحسب (الذي نزل الفرقان) هو مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وهي القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام اولاً لانه لم ينزل جلة ولكن مفروقاً مفصولاً بين بعضه وبعض في الاتزال الا ترى الى قوله وقرأنا فرقناه لنفـراء على الناس على مكث وتزلناه تنزيلاً (على عبده) محمد عليه الصلاة والسلام (ليكون) العبد او الفرقان (للعالمين) للجن والانس وعموم الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام (نذيراً) من ذرا أي مخوفاً وانذاراً كالشكير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذاباً ونذر (الذي) رفع على انه خبر مبتدأ محذوف او على الابدال من الذي نزل وجوز الفصل بين البذل والمبدل منه بقوله ليكون لان المبدل منه صلته نزل وليكون لتعليل له فكان المبدل منه لم يتم الابه أو نصب على المدح (له الملك السموات والارض) على (٣٦٠) الخلوص (ولم يتخذ ولداً) كما زعم اليهود والنصارى في عزير والمسيح عليهما السلام (ولم يكن له شريك في الملك) كما

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (تبارك) تفاعل من البركة قبل معناه جاء بكل بركة وخير رقيق معناه تعظم (الذي نزل الفرقان) أي القرآن سماه فرقاناً لانه فرق به بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل مفروقاً في أوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالاشديد لتكثير التفریق (على عبده) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (ليكون للعالمين) أي للانس والجن (نذيراً) قيل هو القرآن وقيل النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم (الذي له ملك السموات والارض) أي هو المتصرف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ ولداً) أي هو المفرد في وحدانيته وفيه رد على النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) أي هو المفرد بالالهية وفيه رد على الثنوية وعباد الاصنام (وخلق كل شيء) مما انطق عليه صفة الخلق (فقدرة تقدير) أي سواه وهما لما يصلح له لا لخل فيه ولا تفاوت وقيل قدر كل شيء تقدير من الاجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق (قوله تعالى) (واتخذوا) يعني عبدة الاوثان (من دونه آلهة) يعني الاصنام (لا يخلقون شيئاً) وهم يخلقون ولا يمكن ان يخلقوا لانفسهم ضرراً ولا نفعاً أي دفع ضرر ولا جبر نفع (ولا يمكن موتاً) أي امانة (ولا حياة) أي احياء (ولا نشوراً) أي بعثاً بعد الموت (وقال الذين كفروا) يعني النضر بن الحرث وأصحابه (ان هذا) أي ما هذا القرآن (الا فتن) أي كذب (اقتراه) أي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم (وأعانه عليه قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل عبيد بن الخضر الحبشي الكاهن وقيل جبر و يسار وعديس بن عبيد كافر عجمي من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمد صلى الله عليه وسلم يأخذ منهم قال الله تعالى (فقد جاؤا) يعني قائل هذه المقالة (فلما وزورا) أي بظلم وزور وهو تهمة يسميهم كلام الله تعالى بالافتراء (وقالوا أساطير الاولين اكتبها) يعني النضر بن الحرث كان يقول ان هذا القرآن ليس من الله وانما هو محاسن أسطورة الاولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى اكتبها ان نسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر و يسار وعديس وطلب ان تكتب له لانه كان لا يكتب (فهى على عليه) أي تقرأ عليه ليحفظها لانه لا يكتب (بكرة وأصيل) يعني

يكن له شريك في الملك) كما زعمت الثنوية (وخلق كل شيء) أي أحدث كل شيء وحده لا كما يقوله المجوس والثنوية من النور والظلمة ويردان واهرم ولا شبهة فيه لمن يقول ان الله شيء ويقول بخلق القرآن لان التفاعل يجمع صفاته لا يكون مفعولاً له على ان افظ شيء اختص بما يصح ان يخلق بقدرته وخلق وهذا أوضح دليل لنا على المعتزلة في خلق افعال العباد (فقدرة تقدير) فهي ما لما يصلح له لا لخل فيه كما انه خلق الانسان على هذا الشكل الذي تراه قدره لتكاليف والمصالح المنوطة به في الدين والدنيا أوقده

غداة

للبقاء الى أمده معلوم (واتخذوا) الضمير للكافرين لان دار جهنم تحت العالمين أو

لانه نذر عليهم لانهم المندرون (من دونه آلهة) أي الاصنام (لا يخلقون شيئاً) وهم يخلقون (أي انهم آثروا على عبادة من هو مفرد بالالهية والملك والخلق والتقدير عبادة محضة لا يقدرون على خلق شيء وهم يخلقون (ولا يمكن موتاً) أي امانة (ولا حياة) أي احياء (ولا نشوراً) أي احياء بعد الموت وجعلها كالعقلاء لزعيم عابديها (وقال الذين كفروا ان هذا) ما هذا القرآن (الا فتن) كذب (اقتراه) اختلقه واخترعه محمد من عند نفسه (وأعانه عليه قوم آخرون) أي اليهود وعديس و يسار وابو فكيمة الرومي قاله النضر بن الحرث (فقد جاؤا ظلمات وزورا) هذا اخبار من الله للمكفرة فيرجع الضمير الى الكفار وجاء يستعمل في معنى فعل فيعدي تعديتها أو حذف الجار وأوصل الفعل أي بظلم وزور وظلمهم ان جعلوا العرب يتلقن من العجى الرومي كلاماً معسراً بما أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزوران به شبه ما هو يرى منه اليه (وقالوا أساطير الاولين) أي هو احاديث المتقدمين وما أسطورة كرسيم وغيره جمع اسطار واسطورة كاحدونه (اكتبها) كتبها لنفسه (فهى على عليه) أي تلقى عليه من كتابه (بكرة) أول النهار (وأصيل) آخره فيحفظ ما تلقى عليه ثم يتلوها علينا

(قل يا محمد أنزل) أي القرآن (الذي يعلم السرفى السموات والارض) أي يعلم كل سر خفي في السموات والارض يعني ان القرآن لما اشتمل على علم الغيوب التي يستحيل عادة ان يعلمها محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم دل ذلك على انه من عند علام الغيوب (انه كان غفورا رحيمًا) فيهمهم ولا ياجلهم بالعقوبة وان استوجبوا عذابهم (وقالوا مال هذا الرسول) وقعت اللام في المحصف مفصولة عن الهاء ونقط المحصف سنة لا تغبر ونسبهم اليه بالرسول مخبرية منهم كأنهم قالوا أي شيء لهذا الزاعم انه رسول (يا أكل الطعام وعش في الاسواق) حال والعالم في هذا (لولا أنزل اليه) لأن فيكون معه نذرا أو باقي اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) أي ان صح انه رسول الله فالله يأكل الطعام كما تأكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما تتردد بعنوت انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والمعاش ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح الى ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساند في الاثذار والتخويف ثم نزلوا (٣٦١) الى ان يكون مرفودا بكنز يلقي اليه من السماء يستظهر به ولا

يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا الى ان يكون رجلا له بسنتان يأكل هو ومنه كلمة اسبرأنا كل نحن كقراءه على وحجرة وحسن عطف المضارع وهو باقي وتكون على أنزل وهو ماض لدخول المضارع وهو فيكون بينهما وانتصب فيكون على القراءة المشهورة لانه جواب لولا يعني هـ لا وحكمه حكم الاستفهام وأراد بانظالمين في قوله (وقال الظالمون) اباهتم بأعيانهم غير انه وضع الظاهر موضع المصغر تسميلا عليهم بما ظلم فيما قالوا وهم كفار قريش (ان تنبوعن الارجل المسجورا) مسجور فخرن أروا مسجور وهو الرثة عنوا انه بشر لا ملك (انظر كيف ضربوا) بينوا (لك الامثال) الاشياء أي قالوا فيك تلك الاقوال

غدرة وعشبة قل الله تعالى ردا عليهم (قل يا محمد أنزل) يعني القرآن (الذي يعلم السموات والارض) أي الغيب في السموات والارض انه كان غفورا رحيمًا) أي لولا ذلك لعاجلهم به عذابه (وقالوا مال هذا الرسول) يعنيون محمد صلى الله عليه وسلم (يا أكل الطعام) أي كما تأكل نحن (وعش في الاسواق) أي يلتمس المعاش كما غشى نحن واذا كان كذلك فمن أين له الفضل علينا ولا يجوز ان يتأخر عنا بالنبوة وكنا يقولون له لست بملك لان بشره مثلك الملك لا يأكل ولا يملك لان الملك لا يتسوق وأنت تتسوق وتبذل ومعاذ الوفاة لان أكله الطعام لكونه آدميا وليدع انه ملك ومشيه في الاسواق اتواضعه وكان ذلك صفة في التوراة ولم يكن سخيا في الاسواق وليس شيء من ذلك ينافي النبوة ولا يعلم بدع انه ملك من المالك (لولا أنزل اليه ملك) أي يصدق به وبشهادة (فيكون معه نذرا) أي داعيا (أو يلقي اليه كنز) أي ينزل عليه كنز من السماء ينفضه فلا يحتاج الى التصرف في طلب المعاش (أو تكون له جنة) أي بسنتان (يا أكل منها) أي هو فلا أقل من ذلك ان لم يكن له كنز (وقال الظالمون ان تنبوعن الارجل المسجورا) أي تحذروا قديلا مصروفا عن الحق (انظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الامثال) أي الاشياء التي لا فائدة لها انقلوا مسجور ومحتاج (فضلوا) أي عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) الى الهدى ومخرجا عن الضلالة ﴿قوله تعالى (تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك) أي من الذي قالوا افضل من البسنتان الذي ذكره وقال ابن عباس يعني خيرا من المشي في الاسواق والتمس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال (جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) أي بيوتاً مشيدة عن ابى امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربي ليجعل لي بطعام مكة ذهباً قلت لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً وقال ثلاثاً أو فخر هذا فاذا جعلت تضمر عت اليك وذكرك واذا شبعت جدتك وشكرتك عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسانرت ممي جبال مكة ذهباً جاء في ملك ان حجزته انساوى الكعبة فقال يا محمد ان ربي بقرئك السلام ويقول ان شئت نبياء عبدوا وان شئت نبياء ملكا فظرت الى جبريل فأشار الى ان تضع نفسك فقامت نبياء عبدوا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل من كذا يقول أنا عبد أكل كذا يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ذكر هذين الحديثين البعوي بسنده ﴿قوله تعالى (بل كذبوا بالساعة) أي القيامة (وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) أي ناراً مسعرة (اذا رأتهم من مكان بعيد) قيل من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام فان قلت كيف تنصرون الرواية من النار وهو قوله اذا رأتهم قلت يجوز ان يخلق الله لها حياة وعقلا ورؤية وقيل معناه رأتهم زبانيةها (منعوا لها انغيظا) أي غلبنا كالغضب ان اذا غلبنا من الغضب (وزفيرا)

(٤٦ - خازن ثالث) واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال من المقتري والمملى عليه والمسجور (فضلوا) عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) فلا يجدون طريقا اليه (تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) أي تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهوان يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وجنات بدل من خيرا ويجعل بالرفع مكى وشامى وأبو بكر لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع (بل كذبوا بالساعة) عطف على ما حكى عنهم يقول بل أنوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة أو متصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدون بتجبل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بها (وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) وهياً نالهم كذبين بها ناراً شديدة في الاستمرار (اذا رأتهم) أي النار أي قابلتهم (من مكان بعيد) أي اذا كانت منهم بمراى الناظرين في البعد (منعوا لها انغيظا) أي سمعوا صوت غلبانها وشبه ذلك بصوت المتعظ والزافر أو اذا رأتهم زبانيةها انغيظوا وزفروا غضباً على

الكفار (واذا لقوا منها) من النار (مكافأضيقا) ضيقا مكي فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذا وصفت الجنة بأن عرضها السموات والارض وعن ابن عباس رضي الله عنه انه يضيق عليهم كما يضيق الرج في الرح (مقرنين) أي وهم مع ذلك الضيق مسلسون متوفون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الاغلال أو يقرن مع كل كافر شيطان في سلسلة وفي أرجلهم الاصفاد (دعوا هنالك) حينئذ (ثبورا) هلا كما أي قالوا أو ثبورا أي تعال ياثبورا فهذا حينئذ فيقال لهم (لاندعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) أي انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحد انما هو ثبور كثير (قل أذلك خير) أي المذكور من صفة النار خير (أم جنة الخلد التي وعد المتقون) أي وعدا فالراجع إلى الموصول محذوف (٣٦٣) وانما قال أذلك خير ولا خير في النار توحي بالكفار (كانت لهم جزاء) ثوابا (ومصيرا)

أي صوتا فان قلت كيف يسمع التغيظ قلت معناه أو أو علموا لها تغيظا وسمعا والهازفيرا كما قال الشاعر
ورأيت زوجتي في الوحي * متقلدا سبقا ورعا

أي وحاملا لرحا وقيل سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد وقال عبيد بن عمير تفرجه ثم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملاق مقرب ولا نبي مرسل الا خروجه (واذا لقوا منها) مكافأضيقا (قال ابن عباس) تضيق عليهم كما يضيق الرج في الرح (مقرنين) أي مصنفين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل (دعوا هنالك ثبورا) قال ابن عباس ويلا وقيل هلاكا وفي الحديث ان أول من يكسى حلة من النار ابليس فيضجها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول ياثبورا وهم ينادون ياثبورا وهم حتى يقفوا على النار فينادي ياثبورا وهم ينادون ياثبورا فيقال لهم (لاندعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) هكذا ذكره البغوي بغير سند وقيل معناه هلاكم أكثر من أن ندعو امرأة واحدة فادعوا أدعية كثيرة ﴿قوله عز وجل﴾ (قل أذلك خير) أي الذي ذكرت من صفة النار أو أهلها (أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا) أي ثوابا مرجعها لهم قال تعالى (لهم فيها ما يشاؤون) أي ان جميع المرادات لا تحصل الا في الجنة لا في غيرها فان قلت قد يشتهي الانسان شيئا وهو لا يحصل في الجنة كان يشتهي الولد ونحوه وليس هو في الجنة قلت ان الله يرزق ذلك الخاطر عن أهل الجنة بل كل واحد من أهل الجنة مشغول بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات إلى غيره (خالدين) أي في نعيم الجنة ومن تمام النعيم أن يكون دائما اذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وأنشد في المعنى

أشد الغم عندى في سرور * تبين عنه صاحبه انتقلا

(كان على ربك وعد مسؤلا) أي مطلوباً وذلك ان المؤمنين سألوهم في الدنيا حين قالوا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقالوا ربنا آتنا ما وعدنا على رسلنا قال الله تعالى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير الملائكة) أي الملائكة الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير الملائكة (وما يعبدون من دون الله) يعني من الملائكة والانس والجن مثل عيسى والعزير وقيل يعني الاصنام ثم يخاطبهم (فسيقولون) أي أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل (أي أخطوا الطريق) (قالوا) يعني المعبودين (سبحانك) زهو الله سبحانه وتعالى من أن يكون معه آلهة (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك بل أنت وائيمانهم ودينهم وقيل معناه ما كان لنا الوصف كانه قيل ومعبودهم (فيقول) وبالنون شامى (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) والقياس ضلوا عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل إلى الطريق وضل مطاوع أضله والمعنى أنتم أوقعتموه في الضلال عن طريق الحق بادخال الشبهة أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وانما لم يقل أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل وزيد أنتم وهم لان السؤال ليس من الفعل ووجوده لانه لا وجود لما توجبه هذا الغتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكرهم وايلاؤه حرف الاستفهام ليعلم انه المسئول عنه وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسؤول عنه ان يحجبوا عما أجابوا به حتى يبيك عبيدتهم بشككهم اياهم فتزيد حسرتهم (قالوا) سبحانه (نحب منهم) معاقبل لهم وقصدوا به تزييه عن الانداد وان يكون له نبي أو ملك أو غيرهما اندام قالوا (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) أي ما كان يصح لنا ولا يستقيم ان نتولى أحدا دونك فكيف يصح لنا ان نتخذ غيرنا على

مرجعوا عما قبل كانت لان ما وعد الله كانه كان لتحقيقه أو كان ذلك مكتوبا في اللوح قبل ان خلقهم (لهم فيها ما يشاؤون) أي ما يشاؤونه (خالدين) حال من الضمير في يشاؤون والضمير في (كان) لما يشاؤون (على ربك وعدا) أي موعودا (مسؤلا) مطلوباً أو حقيقة ان يسأل أو قد سأله المسئولون والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على ربك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم (ويوم نخشعهم) للبعث عند الجهور وبالبناء مكي ويزيد ويعقب وحفص (وما يعبدون من دون الله) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلي يعني الاصنام ينطقها الله وقيل عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لانهم أريد به

الوصف كانه قيل ومعبودهم (فيقول) وبالنون شامى (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) والقياس ضلوا عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل إلى الطريق وضل مطاوع أضله والمعنى أنتم أوقعتموه في الضلال عن طريق الحق بادخال الشبهة أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وانما لم يقل أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل وزيد أنتم وهم لان السؤال ليس من الفعل ووجوده لانه لا وجود لما توجبه هذا الغتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكرهم وايلاؤه حرف الاستفهام ليعلم انه المسئول عنه وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسؤول عنه ان يحجبوا عما أجابوا به حتى يبيك عبيدتهم بشككهم اياهم فتزيد حسرتهم (قالوا) سبحانه (نحب منهم) معاقبل لهم وقصدوا به تزييه عن الانداد وان يكون له نبي أو ملك أو غيرهما اندام قالوا (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) أي ما كان يصح لنا ولا يستقيم ان نتولى أحدا دونك فكيف يصح لنا ان نتخذ غيرنا على

أن يتولوا نادر تلك تتخذ بر يدوا تتخذ شدي الى معقول واحد نحووا تتخذوا لبا والى معقولين نحووا تتخذ فلا ناوليا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض وقالوا اتخذوا آلهة ابراهيم خليله لا فالقراء الا الاولى من المتعدى الى المعقول الواحد وهو من أولياء والاصل ان تتخذوا أولياء وزيد من لتأكيد معنى التثنية والقرائة الثانية من المتعدى الى المعقولين فالمفعول الاول ما بين له الفعل والثاني من أولياء ومن للتبعية أى لا تتخذ بعض أولياء لان من لا تزداد في المعقول الثاني بل في الاول تقول ما تتخذت من أحد ولما لا تقول ما تتخذت أحدا من ولي (ولكن متعنتهم وآباءهم) بالاموال والاولاد وطول العمر والاسلام من العذاب (حتى نسوا الذكر) اى ذكر الله والاعيان به والقرآن والشرائع (وكانوا) عند الله (قومابورا) اى هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ ثم يقال للكفار بطريق الخطاب عدولا عن الغيبة (فقد كذبوكم) وهذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول وتظهيرها لاهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم على فترة من الرسل الى قوله فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل ﴿قَالُوا خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا رَادَ بَنَّا﴾ (٣٦٣) ثم القبول فقد جئنا خراسانا (بما نقولون) يقول لكم فيهم انهم آلهة والباء

على هذا كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما يقولون وعن قنيل بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم (فما استطيعون صرفا ولا نصرا) اى فما استطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب أو ينصروكم وبالنسبة حصص أى فما استطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم ولا نصرا أنفسكم ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله (ومن يظلم منكم) أى بشرك لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن جعل

أن تأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن نعبدك (ولكن متعنتهم وآباءهم) اى بطول العمر والعصية والنعمة في الدنيا (حتى نسوا الذكر) معناه تركوا الموعظة والاعيان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه (وكانوا قومابورا) معناه هلكى اى غلب عليهم الشقاء والخذلان (فقد كذبوكم) هذا خطاب مع المشركين اى كذبكم المعبدون (بما نقولون) اى انهم آلهة (فما استطيعون) اى الآلهة (صرفا) أى صرف العذاب عن أنفسهم (ولا نصرا) اى ولا نصرا أنفسهم وقيل لا ينصرونكم أيها العابدون بدفع العذاب عنكم (ومن يظلم منكم) أى بشرك (نذقه عذابا كبيرا) قوله عز وجل (وما أرسلنا قبلك) اى يا محمد (من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) قال ابن عباس لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق أتزل الله تعالى هذه الآية والمعنى ان هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسوله فلا وجه لهذا الطعن وما أنا الا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشرا مثلى يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة) اى بلبه قال ابن عباس اى جعلنا بعضهم بلاه بعض اتصبروا على ما سمعوا منهم وتروا من خلافهم وتبغوا أنتم الهدى قيل زلت في ابتلاء الشريفة بالوضيع وذلك ان الشريفة اذا أراد ان يسلم رأى الوضيع قد أسلم قبله فأنت وقال أسلم بعده فيكون له السابقة والفضل على تقيم على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك اقتتان بعضهم بعض وقيل زلت في ابي جهل والوليد بن عتبة والاص بن وائل السهمى والنضر بن الحارث وذلك انهم رأوا أباذر وابن مسعود وعمار بن ياسر وبلا لا وصهيبا وعامر بن فهيرة وذوهم قد أسلموا قبلهم فقالوا انهم فنيكون مثل هؤلاء وقيل زلت في ابتلاء فقراء المسلمين بالمستترئين من قريش كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين تبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من مواليها وأراد لنا فقال الله تعالى هؤلاء المؤمنون (أتصبرون) اى على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى وقيل ان الغنى فتنة الفقير يقول ما نى لم كن مثله والصحيح فتنة المرض والشرى فتنة الوضيع (وكان ربك بصيرا) اى لمن صبر ولمن جزع (ق) عن ابي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فليتنظر الى من هو دونه في المال والجسم لفظ البخارى ولمسلم انظروا الى من

المخلوق شريفة خالفه فقد ظلم يؤيده قوله تعالى ان الشريك لظلم عظيم (نذقه عذابا كبيرا) فسر بالخوف في النار وهو يلقى بالشرك دون الفاسق الاعلى قول المذمومة والواجح (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) كسرت ان لاجل اللام في الظهور والجملة بعد الاضافة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين الا آكلين ومشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اى من المرسلين ونحوه وما معنا الاله مقام معلوم أى وما منا أحد قيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق ونسبية للنبي عليه الصلاة والسلام (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة) أى محنة وابتلاء وهذا تصبر برسل الله صلى الله عليه وسلم عما عير ومبه من الفقر ومشي في الأسواق يعنى انه جعل الأغنياء فتنة للفقراء فيغنى من يشاء ويفقر من يشاء (أتصبرون) على هذه الفتنة فتصبروا أم لا تصبرون فيزداد عنكم وحكى ان بعض الصالحين تبرم بضئ عيشه فخرج ضيبرا فرائى خصيا فى مواكب ومراكب فخطر به الهوى فاذا بمن يقرأ هذه الآية فقال بلى فصر براى أى وجه تلك فتنة لهم لانه لو كنت غنيا صاحب كنوز وبنان لكنت طاعتهم لك الدنيا ومزوجة بالدنيا فافسا بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لنا (وكان ربك بصيرا) عالما بالصواب فيها

يشئ به أو بمن يصبر ويحضر (وقال الذين لا يرجون) لا يأملون (لقاءنا) بالخبر لأنهم كفرة لا يؤمنون بالبعث أو لا يخافون عقابنا الملائكة
الراجي قلق فيما يرجوه كالخائف أولان الرجاء في لغة تمامه الخوف (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) وسلا دون البشر أو شهودا على نبوته
ودعوى رسالته (أوزى ربنا) جهرة فيخبرنا برسالته وأتباعه (لقد استكبروا في أنفسهم) أي أضمرُوا الاستكبار عن الحق وهو الكفر
والعناد في قلوبهم (وعتوا) ونجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كبيرا) وصف العتو بالكبر فيبلغ في إفراطه أي أنهم لم يحسروا على هذا القول
العظيم إلا أنهم بالغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام في لقد جواب قسم محذوف (يوم يرون الملائكة) أي يوم الموت أو يوم البعث
ويوم منصوب عادل عليه (لا بشرى) أي يوم يرون الملائكة ينعون البشرى وقوله (يومئذ) مؤكدا ليوم يرون أو بانها إذا ذكرى إذ كر
يوم يرون الملائكة ثم أخبر فقال لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينصب يرون لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا يشرى لأنها مصدر
والمصدر لا يعمل فيما قبله ولان المنى (٣٦٤) لا لا يعمل فيما قبل لا (للمعبر من) ظاهر في موضع ضمير أو عام يتناولهم بعمومه وهم الذين

هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم **وقال** (وقال
الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون البعث والرجاء يعني الخوف لغة تمامه (لولا أنزل علينا الملائكة)
فتخبرنا أن محمد صادق (أوزى ربنا) فيخبرنا بذلك (لقد استكبروا) أي عظموا (في أنفسهم) بهذا المقالة
(وعتوا عتوا كبيرا) أي طغوا وقيل عتوا في القول وهو أشد الكفر والتمحش وعتوهم طمأنينة ورؤية الله حتى
يؤمنوا به **وقوله تعالى** (يوم يرون الملائكة) أي عند الموت وقيل يوم القيامة (لا بشرى يومئذ للمعبر من)
وذلك أن الملائكة يشعرون المؤمن يوم القيامة ويقولون للكفار لا بشرى لكم وقيل لا بشارة لهم
بالجنة كما بشر المؤمن (ويقولون حجرا محجورا) قال ابن عباس تقول الملائكة حراما محراما يدخل
الجنة الأمان قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل إذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حراما
محراما عليكم أن تكون لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار للملائكة وذلك أن العرب كانت إذا نزلت بهم
شدة قورا أو ما يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم يقولون ذلك إذا عاينوا الملائكة **وقوله عز وجل** (وقد منا
إلى ما عملوا من عمل) يعني من أعمال البر التي عملوها في حال الكفر (فجعلناه هباء منثورا) أي باطلا لا ثواب
له لأنهم لم يعملوا لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه أمرنا فهو ردى والهباء هو ما يرى في
الكوة كالغبار إذا وقعت الشمس فيه فلا يمس بالأبدى ولا يرى في الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس هو
ما تنفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يطعم من حوافر الدواب عند السير من الغبار
وقوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ) أي يوم القيامة (خير مستقرا) أي من هؤلاء المشركين المستكبرين
(وأحسن مقيلا) أي موضع القائلة وذلك أن أهل الجنة لا يعرفون يوم القيامة إلا قدر من أول النهار إلى
وقت القائلة حتى يسكنوا وما سكنهم في الجنة قال ابن عباس لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل
الجنة في الجنة وأهل النار في النار والقبولة الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك يوم لأن الله تعالى
قال وأحسن مقيلا والجنة لأنوم فيها قال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في أوله ويرى أن يوم القيامة
يقصر على المؤمنين حتى يكون **كما بين** العصر إلى غروب الشمس **وقوله تعالى** (ويوم تشقق
السماء بالغمام) أي عن الغمام وهو غمام أبيض مثل الضباب ولم يكن إلا بنى إسرائيل في نهمهم
(ونزل الملائكة تنزيلا) قال ابن عباس تشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثرهم في الأرض

اجترموه والذنوب والمراد
الكفار ومن لان مطابق
الاسماء يتناول أكمل
المسميات (ويقولون) أي
الملائكة (حجرا محجورا)
حراما محراما عليكم البشرى
أي جعل الله ذلك حراما
عليكم إنما البشرى للمؤمنين
والحجر مصدر والكسر
والفتح لغتان وقرئ بهما
وهو من حجره إذا منعه
وهو من المصادر المنصوبة
بأفعال منثورة أظهارها
ومحجورا لتأكيده معنى
الحجر كما قالوا موت مائت
(وقد منا إلى ما عملوا من
عمل فجعلناه هباء منثورا)
هو صفة ولا قدوم هنا ولكن
مثبت حال هؤلاء أعمالهم
التي عملوها في كفرهم من
سوءهم وافتانهم الخوف
وقرئ ضيف ونحو ذلك
بجاء من خالف ساطعانه
وعصاه فقدم إلى أشيائه

وقصد إلى ما تحت يديه فأفسدناهم وقهرناهم فأنزلناهم نورا ولهم فيها أزواج مطهرة من السموم والجنات **وقال** (وقال
الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون البعث والرجاء يعني الخوف لغة تمامه (لولا أنزل علينا الملائكة)
فتخبرنا أن محمد صادق (أوزى ربنا) فيخبرنا بذلك (لقد استكبروا) أي عظموا (في أنفسهم) بهذا المقالة
(وعتوا عتوا كبيرا) أي طغوا وقيل عتوا في القول وهو أشد الكفر والتمحش وعتوهم طمأنينة ورؤية الله حتى
يؤمنوا به **وقوله تعالى** (يوم يرون الملائكة) أي عند الموت وقيل يوم القيامة (لا بشرى يومئذ للمعبر من)
وذلك أن الملائكة يشعرون المؤمن يوم القيامة ويقولون للكفار لا بشرى لكم وقيل لا بشارة لهم
بالجنة كما بشر المؤمن (ويقولون حجرا محجورا) قال ابن عباس تقول الملائكة حراما محراما يدخل
الجنة الأمان قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل إذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حراما
محراما عليكم أن تكون لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار للملائكة وذلك أن العرب كانت إذا نزلت بهم
شدة قورا أو ما يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم يقولون ذلك إذا عاينوا الملائكة **وقوله عز وجل** (وقد منا
إلى ما عملوا من عمل) يعني من أعمال البر التي عملوها في حال الكفر (فجعلناه هباء منثورا) أي باطلا لا ثواب
له لأنهم لم يعملوا لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه أمرنا فهو ردى والهباء هو ما يرى في
الكوة كالغبار إذا وقعت الشمس فيه فلا يمس بالأبدى ولا يرى في الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس هو
ما تنفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يطعم من حوافر الدواب عند السير من الغبار
وقوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ) أي يوم القيامة (خير مستقرا) أي من هؤلاء المشركين المستكبرين
(وأحسن مقيلا) أي موضع القائلة وذلك أن أهل الجنة لا يعرفون يوم القيامة إلا قدر من أول النهار إلى
وقت القائلة حتى يسكنوا وما سكنهم في الجنة قال ابن عباس لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل
الجنة في الجنة وأهل النار في النار والقبولة الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك يوم لأن الله تعالى
قال وأحسن مقيلا والجنة لأنوم فيها قال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في أوله ويرى أن يوم القيامة
يقصر على المؤمنين حتى يكون **كما بين** العصر إلى غروب الشمس **وقوله تعالى** (ويوم تشقق
السماء بالغمام) أي عن الغمام وهو غمام أبيض مثل الضباب ولم يكن إلا بنى إسرائيل في نهمهم
(ونزل الملائكة تنزيلا) قال ابن عباس تشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثرهم في الأرض

اغبط والحسرة لانه من
روادفها فذكر الزاد في
وبدلها على المردوف فيرفع

الكلام به في طينته

انحصار في مجز السامع

تأخره في نفسه من الروعة

مالا محمد، عبد القادر

عنه واللام في الظالم لا يهود

وأوردته في حقه ما بين أو

للعنف فتارة لعملة وغیره

من الكفاية في بيانها

افغانستان / فغانستان

$C) = 1/3 (2000 - 1000)$
 $2000 - 1000 = 1000$

السلامة والسلامة والسلامة

الشيخ (عليه السلام) في طريقه إلى

النجاة والجنة وهو الإيمان

(یاو بلدا) و-ری باو یلئی

بألبا، وهــوالأصل لاق

الرجل ينادي ويطلبه وهي

ما كنهه يقول اها تعالى فهذا

وانك وانما قبلت الياء، أها

کافی صحاری وم۔۔۔ داری

(ابتنی لم آفخذ ولا ناخبلہ)

فلان كناية عن الاعلام

فان أردنا ان نطالع عقبة لما

روی انه اتخذ ضیافه فدعا

إليها رسل الله عليه

الصلاة والسلام فأبي ان

أكل من طعامه حتى ينطق

بِالشَّهَادَتَيْنِ فَعَمِلَ فَقَالَ لَهُ

أدركت خلاف وهو خلد له

وَجَهَنَّمُ مِنْ جَهَنَّمَ لَا

از رویه و فارتد فالوین

الاموال في كنفه

علم لا يحاله جوده لما به عده
ان ذلك انما هو النور

اللَّهُ (وَكَانَ الشَّيْطَانُ) أَيْ

(نسان) المطيع له (حدولا)

من الانس والجن ثم تشق السماء اثنية فتنزل اهلها وهم اكثرهم في السماء الدنيا ومن الجن والانس
ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل كل سما يزيدون على أهل السماء التي تليها ثم تنزل اسكروبيون
ثم حلة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) أي الملك الذي هو الله سبحانه وتعالى يوم القيامة قال ابن
عباس يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضى غيره وكان يومئذ على الكافرين عسيرا أي شديدا وفيه دليل
على أنه لا يكون على المؤمنين عسرا وجاء في الحديث انه يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليه
أخف من صلاته مكتوبة صلاحه في الدنيا (قوله تعالى) (يوم يعص الظالم على يديه) أراد بالظالم عقبة بن
أبي معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ردا على الله أشرف قومه وكان يكثر مجالسته النبي
صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فوضع طعاما ردا على الله صلى الله عليه وسلم فقام النبي
صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تأبأ كل طعاما حتى تشهد أن لا اله الا الله
وأن رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما أخبر أبي بن خلف قال له يا عقبة ص بات قال لا والله
ما صبات ولكن دخل على رجل فأبى أن يأكل طعامي الا أن أشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم
فشهدت له فطعم فقال ما أنا الذي أرضى عنك أبدا الا أن تأبته فتبني في وجهه ففضل ذلك عقبة فقال عليه
الصلاة والسلام لا أراك خارجا من مكة الا عاوت وأسلمنا بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبروا أم أبي بن
خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بده يوم أحد وقيل لما ربي عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم
عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه فكان أثر ذلك في وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة بن أبي معيط خليل
أمية بن خلف فسلم عقبة فقال له أمية وجهي من وجهك حرام ان تابعت محمدا وكفروا وارتدوا فأنزل الله فيه
ويوم يعص الظالم يعني عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه أي ندموا وأسفا
على ما فرط في جنب الله وأوبق نفسه بالمعصية والكفر اطاعة خليفته الذي صد عنه سبيل ربه قال عطاء
بأكل يديه حتى يبلغ مرقه ثم ينبتان ثم يأكلهما وهكذا كلما نبت يده أكلها على ما فعل محمدا وندامة
(يقول يا ليتني اتخذت) أي في الدنيا (مع الرسول سبيلا) أي ليتني اتبعت محمدا صلى الله عليه وسلم
واتخذت معه طريقا الى الهداية (يا ويلنا) ادع على نفسه بالويل (ليتني لم اتخذ فلانا خليلا) قيل يعني
أبي بن خلف (نفذ أضائي عن الذكر) أي عن الايمان والقرآن (بهداذجاني) يعني الذكركم مع الرسول
صلى الله عليه وسلم (وكان الشيطان) وهو كل متمرعات صد عن سبيل الله من الجن والانس (لأنسان
خذولا) أي كثير الخذلان يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام في كل خليفين
ومتحابين اجتماعا على معصية الله (ق) عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل
الجلس الصالح والجلس السوء كالحامل المسكن ونافخ الكبر فخامل المسكن اما أن يجذبك وامانا تنمنا منه
وامانا تجذب منه ريحا طيبا ونافخ الكبر اما أن تحترق ثيابك وامانا تجذب منه ريحا خبيثة عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل أخرجه أبو داود
والترمذي ولهما عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا

بالبقي لم اتخذ أياً خليلاً فكفى عن اسمه وإن أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلاً كان خليلاً له اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه
وقيل هو كناية عن الشيطان (لقد أضاني عن الذكر) أي عذ كره الله أو القرآن أو الإيمان (بعد أذغافى) من الله (وكان الشيطان) أي
خليلاً له مما شيطاناً لأنه أضله كما يضل الشيطان أو إبليس لأنه الذي حمله على مخالطة المضل ومخالفة الرسول (للإنسان) المطيع له (خذولاً)
هو وبالغة من الخذلان أي من عادة الشيطان ترك من وظيفه وهذا حكاية كلام الله أو كلام الظالم

(وقال الرسول) أي محمد عليه الصلاة والسلام في الدنيا (يارب ان قومي) فريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) متروكا أي تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران وهو مفعول ثان لاتخذوا وفي هذا تعظيم للشكايه وتخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا ووعده النصرة عليهم فقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا وانصيرا) أي كذلك كان كل نبي قبلنا مبتلى بعدا وقومه وكفالي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرالك عليهم والعدو يجوز أن يكون واحدا وجهه والباء زائدة أي وكفى بربك هاديا وهو عييز (وقال الذين كفروا) أي قريش أو اليهود (لولا نزل عليه القرآن جلة) حال من القرآن أي مجتعا (واحدة) يعني هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على التفريق وهو فضول من القول ومما راعه على الاطائل تحته لان أمر الاجحاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جلة واحدة أو متفرقا ونزل هنا بمعنى أنزل والا لكان متدا فعا بدليل جلة واحدة وهذا اعتراض فاسد لانهم اتخذوا بالانبياء سورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفة عجزهم حتى لا دوا بالمناصبه وفزعوا الى الهاربة وبذلوا المهج وما مالوا الى الخبيث (كذلك) جواب لهم أي كذلك أنزل مفرقا في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين وذلك في كذلك اشارة الى مدلول (٣٦٦) قوله لولا نزل عليه القرآن جلة واحدة لان معناه لم أنزل عليك القرآن مفرقا فاعلم أن ذلك

يا كل طعنا لم الاتق قوله عز وجل (وقال الرسول) يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم (يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) أي متروكا وأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة المهجور وهو السيئ من القول فزعوا الله محروا وشعروا بالمعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يشكوا قومه الى الله عز وجل يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا فعراه الله تعالى فقال (وكذلك جعلنا) أي وكما جعلنا لك أعداء من مشركي مكة وهم قومك كذلك جعلنا (لكل نبي عدوا من المجرمين) أي المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك فان الانبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر أنت كاصبروا فاني ناصر لك وهاديتك وهو قوله تعالى (وكفى بربك هاديا ونصيرا) قوله تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جلة واحدة) أي كما أنزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود وصالحات الله عليهم أجمعين قال الله تعالى (كذلك) فعلنا ذلك (لنثبت به فؤادك) أي أنزلناه مفرقا لنقوي به قلبك فتعصبه وتحفظه فان الكتب المتقدمة نزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤون وأنزلنا القرآن على نبي أي لا يكتب ولا يقرأ أولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور تحدث في أوقات مختلفة ففرقناه ليكون ادعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأيسر على العامل به (ورتلناه تريلا) قال ابن عباس وبيننا وبيننا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت وقيل فرقناه تقريرا آية بعد آية (ولا يأتونك) يعني يا محمد هؤلاء المشركون (يتمثل) أي يضربونه لك في ابطال أمرك (الاجتنالك بالحق) أي بما ترده ما جاؤا به من المثل وتبطله فسمى ما يوردون من الشبه مثلا وسمى ما يدفع به الشبه حقا (وأحسن تفسيرنا) أي أحسن بياننا ونفصيلنا ثم ذكر ما ل هؤلاء المشركين فقال تعالى (الذين) أي هم الذين (يحشرون) أي يساقون ويحجرون (على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا) أي منزلا ومصبيا (وأضل سبيلا) أي أخطأ

(انثبت به) بتفريقه (فؤادك) حتى تعبه وتحفظه لان المتلقين انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزأ عقيب جزؤلو ألقى عليه جلة واحدة ليجز عن حفظه أولنثبت به فؤادك عن الضجر يتواتر الوصول وتتابع الرسول لان قلب المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب (ورتلناه تريلا) معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه أي قدرناه آية بعد آية ووقفه بعد وقفة وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا

أي اقرأه بترسل وتثبت أو بينا وبيننا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت (ولا يأتونك بمثل) بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل في البطالان (الاجتنالك بالحق) الا أنبتك بالجواب الحق الذي لا يحيد عنه (وأحسن تفسيرنا) وعما هو أحسن معنى ومؤدى من مثلهم أي من سؤالهم وانما حذف من مثلهم لان في الكلام دليل عليه كالموقف رأيت زيدا وعمرا وان كان عمرا أحسن وجهافيه دليل على أنك تريد من زيد ولما كان التفسير هو التفسير فعمد الى الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كبت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أو لا يأتونك بحال وصفة بعينية يقولون هلا أنزل عليك القرآن جلة الا أعطيتناك من الاحوال ما يحق لك في حكمته ان تعاطاه وما هو أحسن تكشف فلما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزله مفرقا وتحديهم بان يأقوا بعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها أدخل في الاجحاز من ان ينزل كله جلة (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر) الذين مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان وشر خبر أولئك وأولئك مع شر خبر الذين أو التقدير هم الذين أو أعنى الذين وأولئك مستأنف (مكانا) أي مكانا ومنزلة أو مسكنا ومنزلا (وأضل سبيلا) أي وأخطأ طريقا وهو من الاسناد المجازي والمعنى ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضلون سبيلا وتحشرون مكانا ومنزلة ولو نظرتهم بعين الانصاف رأيتهم من المسحوقين على وجوههم الى جهنم لعلمت ان مكانكم شر من مكانه ومنزلة سبيلكم أضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية وعن النبي صلى الله

عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم قبل يارسول الله كيف عشون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذي أمشاكم على أقدامكم عشيهم على وجوههم (ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة كما آتيناك القرآن) وجعلنا معه أخاه هرون) بدل أو عطف بيان (وزيرا) هوني اللغة من رجع اليه من الوزر وهو الجأ والوزارة لاتنا في النبوة فقد كان يبعث في الزمان الواحد أنبياء ويؤمنون بأن يوازر بعضهم بعضا (فقلنا اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) إلى فرعون وقومه وتقديره فذهبوا إليهم وانذارا فكذبوهما (فدمرناهم بدمرنا) التدمير الإهلاك بأمر عجب أراد اختصار القصة فذكر أولها وآخرها لا بما المقصود من القصة أعنى الزام الحجج بعبئة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (وقوم نوح) أي ودمرنا قوم نوح (لما كذبوا الرسل) يعني نوحا وادريس وشيثا أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذبا للجميع (أغرقناهم) بالغرق (وجعلناهم) وجعلنا أغرقناهم أو قصصهم (لناس آية) عبرة يعتبرون بها (وأعدنا) وهبنا (لظالمين) لقوم نوح وأصله وأعدنا لهم إلا أنه أراد تظليهم فظهر أو هو عام لكل من ظلم ظلم شركا ويتداولهم بعمومه (عذابا أليما) أي النار (وعادا) (٣٦٧) دمرنا عادا (وثمود) حزة وحفص على تأويل

القبيلة وغيرهما وثمودا على تأويل الحى أولانه اسم الأب الأكبر (وأصحاب الرس) هم قوم شعيب كانوا يعبدون الأصنام فكذبوا شعبيا فبيناهم حول الرس وهى البئر غمر مطوبة انهارت بهم فغمرهم وبديارهم وقيل الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا أو هم أصحاب الأخدود والرس الأخدود (وقسرونا) وأهلكنا أهما (بين ذلك) المدكور (كثيرا) لا يعلمها إلا الله أرسل إليهم فكذبوه فاهلكوا (وكلا ضربه الله الأمثال) بيناه القصص الجبيسة من قصص الأولين (وكلا تبرنا

طريقا) قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) أي معينا وظهيريا (فقلنا اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني القبط (فدمرناهم) فيه اضمار أي فكذبوهما فدمرناهم (تدمير) أي أهلكناهم اهلاكا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) أي رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع (أغرقناهم وجعلناهم للناس آية) أي عبرة لمن بعدهم (وأعدنا للظالمين) في الآخرة (عذابا أليما) أي سبى ما حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا (وعادا وثمود) أي أهلكنا عادا ووثودا (وأصحاب الرس) قال وهب بن منبه كان أهل الرس نزولا عليها وكانوا أصحاب مواش يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيبا يدعوهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم وأذوا شعبيا فبيناهم حول الرس في منازلهم انهارت البئر وغمرهم وبديارهم وقيل الرس بئر بفتح الجيم قتلوا نبيهم فاهلكهم الله وقال سعيد بن جبيرة كان نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقلناه فاهلكهم الله وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا للتجار وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس وقيل هم أصحاب الأخدود والرس الأخدود (وقسرونا بين ذلك كثيرا) أي وأهلكنا قسرونا كثيرا بين عاد وثمود وأصحاب الرس (وكلا ضربه الله الأمثال) أي الاشياء في إقامة الحجج عليهم فلم يهلكهم إلا بعد الانذار (وكلا تبرنا تبيرا) أي أهلكناهم اهلاكا (قوله تعالى) (ولقد آتينا على القرية التى أمطرت مطرا السوء) يعني الحجارة وهى قريات قوم لوط وهى خمس قرى أهلك الله منها أربعا ونجت واحدة وهى أصغرهما وحيث أن أهلها لا يعملون العمل الخبيث (أفلم يكونوا يرونها) يعني إذا مروا بها فى أسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لأن مدائن قوم لوط كانت على طريقهم فى ممرهم إلى الشام (بل كانوا لا يرجون نشورا) أي لا يخافون بعنا قوله تعالى (وإذا زلزلنا الأرض زلزالا هزوا) زلزلنا فى أبي جهل كان إذا مر مع أصحابه قال مستهزئا (أهذا الذى بعث الله رسولا أن كاد يضلنا) أي قد قارب أن يضلنا (عن عبادة) آلهتنا (واللأن صبرنا عليها) أي على عبادتها والمعنى لولم نصبر عليها انصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) أي فى الآخرة عباينا (من

تبيرا) أي أهلكنا اهلاكا وكلا الأول منصوب بمادل عليه ضربه الله الأمثال وهو أنذرنا أو حذرنا الثاني تبرنا لأنه فارغ له (ولقد أنوا) يعني أهل مكة (على القرية) سدوم وهى أعظم قرى قوم لوط وكانت خسا آلهة الله أربعا مع أهلها وبقيت واحدة (التي أمطرت مطرا السوء) أي أمطر الله عليها الحجارة يعني أن قرى شامروا ميرا كنسيرة فى متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التى أهلكت بالحجارة من السماء ومطر السوء مفعول ثان والأصل أمطرت القرية مطرا أو مصدرا محذوف الزوائد أى امطار السوء (أفلم يكونوا يرونها) أما شاهدوا ذلك بأبصارهم عند سدومهم الشام فيتمذكروا فيؤمنوا (بل كانوا لا يرجون نشورا) بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يخافون بعنا فلا يؤمنون أولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم فى الوصول إلى ثواب أعمالهم (وإذا زلزلنا الأرض زلزالا هزوا) أى قائلين أهذا الذى بعث الله رسولا) والمحدوف حال والعاذ إلى الذى محذوف أى بعثه (أن كاد يضلنا عن آلهتنا) (واللأن صبرنا عليها) أن مخففة من الثقيلة واللام فارقة وهى دليل على قرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجاحهم واستحسانهم بعبادة آلهتهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) هو

وعبد ودلالة على انهم لا يفرقونه وان طالت مدة الامهال (من أضل سبيلا) هو كالجواب عن قوله ان كاد يضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال فلا يضل غيره لاس هو خال في نفسه (أرأيت من اتخذ الله هواء) أي من أطاع هواه فيما يأتي ويذر فهو عابده هواه وجاعله الهة فيقول الله تعالى لرسوله هذا الذي لا يرى عبود الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى يروى ان الواحد من أهل الجاهلية كان يمسك الجرف فامر به جراح من منة ترك الاول وعبد الثاني وعن الحسن هو في كل متبع هواه (أفأنت تكون عليه وكبلا) أي حفيظ تحفظه من متابعه هواه وعبادة ما بهواه - أفأنت تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى عرفه ان الهة التبليغ فقط (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) أم مقطعة بعناء بل تحسب كان هذه المذمة أشد من التي تقدمت - حتى حقت بالضراب عنها النهار هي كونهم مساقون في الاسماع والاعمال لانهم لا يلقون الى استماع الحق أو تاملوا الى تدبره عقلا ومشيهم بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة فقد تركهم الشيطان بالاستدلال لتركهم الاستدلال ثم هم أرجح ضلالة منهم الانعام تسبح ربه أو تسجد له أو تطيع أمره أو تعرف من يحسن اليها من يسيء اليها تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتمتدى لمراعيها أو مشاربها (٢٨ م) وهؤلاء لا يتقادرون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساق الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطالبون الثواب الذي

أضل سبيلا) أي أخطأ طريقا (أرأيت من اتخذ الله هواء) وذلك ان الرب لم يكن من المشركين كان بعد حجرا فإذا رأى حجرا أحسن منه وماه وأخذوا احسن منه وعبدوه وقال ابن عباس أرأيت من ترك عبادة الله خلقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي وقيل الهوى اله يعبد (أفأنت تكون عليه وكبلا) أي حافظا تحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما بهواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكبيبي زخمتها آية القرآن (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون) أي ما تقول سمع طالع الانعام (أو يعقلون) أي ما يعاينون من الحجج والاسلام وهذه المذمة أعظم من التي تقدمت لانهم لشدة عقادهم لا يسمعون القبول وإذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكأنهم لا يسمعون لهم ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم بالانعام فقال تعالى (انهم) أي منهم (الا كالأنعام) أي في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدارهم على التدبر والتفكير ثم قال تعالى (بل هم أضل سبيلا) لان البهائم تمتدى لمراعيها ومشاربها وتمتد ذلاربابها الذين يتبعها هوىها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربه الذي خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك في قوله تعالى (ألم تر اني ربك كيف مد الظل) هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه ظل لاشمس معه (ولو شاء لجعله ساكنا) أي دائما ثابتا لا يزول ولا تذهب الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) معنى دلالتها عليه انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف بضدها (ثم قبضناه) يعني الظل (المناقبض اسيرا) أي بالشمس التي تأتي عليه والمعنى ان الظل يجمع بين الارض قبل طلوع الشمس واذ طاعت الشمس قبض الله الظل جزأ فجزأ قبضا خفيفا (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) أي سترات تترون به والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل شيء كاللباس الذي يشتمل على لابس (والنوم سباتا) أي راحة لا يبدانكم وقطع الاعمال (وجعل النهار نشورا) أي بقطة وزمانا تنشرون فيه لا ابتغاء رزقكم وطلب الاشتغال (وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) يعني المطر (وأرسلنا من

ولا يطالبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهلك ولا يمدون للحق الذي هو المشرع الهوي والعبد المذنب المروي رفقوا لله لا تلكه روح وعقل والبهائم نفس وهـ - وي والادنى مجمع ادكل البتة - لا فان غلبته النفس والهوى فضله الانعام وان غلبته الروح والقل فضل الملائكة السكرام وانما ذكر الاكثر لان فيه ممدودا من ليرصده عن الاسلام الاحب الرياسة وكفى به داء عضالا وان فيه ممدودا من آمن (ألم تر اني ربك) ألم تنظر الى ما صنع ربك وقدرته (كيف مد

الظل) أي بسطه فعم الارض وذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور ولا يمدد ظل ممدود السماء لاشمس معه ولا ظلمة وهو كقوله في ظل الجنة وظل ممدودا لاشمس معه ولا ظلمة (ولو شاء لجعله ساكنا) أي دائما لا يزول ولا تذهب الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) على الظل (دليلا) لانه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالاشياء تعرف باضدادها (ثم قبضناه) أي أخذنا ذلك الظل الممدود (البناء) الى حيث أردنا (قبضا اسيرا) سهلا غير عسير أو قليلا قليلا أي جزأ فجزأ بالشمس التي تأتي عليه وجاء به لتفاضل ما بين الامور فكان الثاني أعظم من الاول والثالث أعظم من الثاني شبه تباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) جعل الظلام الساكن كاللباس (والنوم سباتا) راحة لا يبدانكم وقطع الاعمال انكم والسبت القطع والنام مسبوت لانه انقطع عمله وحركته وقيل السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وبعضه ذكر النشور في مقابلته (وجعل النهار نشورا) اذ النشور انبعاث من النوم كشور الميت أي ينشربه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لعظمته على خلقه لان في الاحتجاب بسرا الليل قوائد دينية ودينية وفي النوم والبقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان لابنه كاتنام فتوقظ كذلك تنموت فتنتشر (وهو الذي أرسل الرياح) الريح مكي والمراد به الجنس (بشر) تخفيف بشر جمع نشور (بين يدي رحمته) أي قدام المطر لانه ريح ثم حجاب ثم مطر وهذه استعارة ملجئة (وأرسلنا من

السماء ماء) مطرا (ظهورا) بليغ في طهارته والظهور صفة كقولك ماء ظهور أي طاهر واسم كقولك لما ينطهر به ظهور كالوضوء والوقوف لما يتوضأ به وقوله النار ومصدر بمعنى التطهر كقولك تطهرت ظهورا حسنا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بظهور أي بظاهرة وما حكي عن ثعلب هو ما كان طاهرا في نفسه مطهر الغيرة وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ان كان هذا زيادة بيان الطهارة فحسن وبعضه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والافليس فعول من التفعيل (٣٦٩) في شيء وقياسه على ما هو مشتق من

الافعال المنعدية كقطوع ومنوع غير سديد لان بناء الفعل للمبالغة فان كان متعديا فالفعول متعدوان كان لازما فلازم (لنجي به) بالمطر (بلدة مبيتا) ذكر مبيتا على ارادة البلد أو المكان (ونسقيه مما خلقنا أنعاما واناسمى كثيرا) أي ونسقي الماء البهايم والناس ومما خلقنا حال من أنعاما واناسمى أي انعاما واناسمى مما خلقنا وسقي وأسقي لغتان وقرأ المفضل والبرجي ونسقيه والاناسي جمع انسي على القياس ككروسي وكراسي وانسان وأصله اناسين كسرحان وسرحان فأبدت النون ياء وأدغمت وقدم احياء الارض على سقي الانعام والاناسي لان حياتها سبب لحياتهم وتخصيص الانعام من الحيوان الشارب لان عامة منافع الاناسي متعلقة بها فكان الانعام عليهم يسبق الانعام كالانعام بسقيهم وتنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة لان أكثر الناس متبخون

السماء ماء ظهورا) الظهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما ينطهر به بدليل ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البحر هو الطهور وماؤه الحل ميتته أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وأراد به المطر والماء المطهر لانه يطر الانسان من الحدث والتجاسة فثبت ان التطهر يترخص بالماء وذهب أصحاب الرأي الى ان الظهور هو الطاهر حتى جاوزوا إزالة التجاسة بالمناجات الطاهرة مثل الخل والريق ونحوها ولو جاز إزالة التجاسة بها لجاز إزالة الحدث بها وذهب بعضهم الى ان الظهور ما تكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جاوز الوضوء بالماء اذا توضى به مرة وان وقع في الماء شيء غير طعمه أولونه أو ريحه هل يزول ظهوره ينه نظران كان الواقع شيئا لا يمكن صوت الماء عنه كالطين والتراب وأوراق الاشجار فتجوز الطهارة به كالتوضوء بطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن يصب فيه فيتم ترشح الماء برائحته تجوز الطهارة به لان تغيره للمجاورة لا للمخالطة وان كان شيئا يمكن صوت الماء عنه ومخالطته كالخل والزعفران ونحوهما تزول ظهوريته فلا يجوز الوضوء به وان لم يتغير أحد أوصافه نظران كان الواقع شيئا طاهرا لا يزيل ظهوريته يجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلا أو كثيرا وان كان الواقع شيئا نجسا نظر فيه فان كان الماء أقل من قلنتين نجس الماء وان كان قدر قلنتين فأكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان خمسمائة وطل بالبعد ادى يدل عليه ما روى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الماء يسكن في القلاة ترده السباع والدواب فقال اذا كان الماء قلنتين لم يحمل الخبث أخرجه أبو داود والترمذي وهذا قول الشافعي وأحمد وإسحق وجماعة من أهل الحديث ان الماء اذا بلغ هذا الحد لا نجس بوقوع التجاسة فيه مالم يتغير أحد أوصافه وذهب جماعة الى ان الماء القليل لا ينجس بوقوع التجاسة فيه مالم يتغير طعمه أولونه أو ريحه وهذا قول الحسن وعطاء والتيمي والزهرى واحتجوا بما روى عن أبي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله انه يستقي لك من بئر بضاعة ويأتي فيها الخوم الكلاب وخرق الخبيث وعذرة النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور ولا ينجسه شيء وفي رواية قال قلت يا رسول الله أتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر طرح فيها خرق الخبيث والحم الكلاب والخنث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء طهور ولا ينجسه شيء وقوله تعالى (النجي به) أي بالمطر (بلدة مبيتا) قيل أراد به موضع البلدة (ونسقيه مما خلقنا) أي نسقي من ذلك الماء (أنعاما واناسمى كثيرا) أي بشرا كثيرا والاناسي جمع انسي وقيل جمع انسان وقوله عز وجل (ولقد صرفناه بينهم) يعني المطر مربة ببلدة ومرة ببلدة أخرى وقال ابن عباس ما علم بأمر من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرأ هذه الآية وهذا كما روى في فوجا من ساعة من ليل ولا نهار الا والسماء تمطر فيها بصرفه الله حيث يشاء وروى عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بأمر من سنة أخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الارض فجعلها في هذه السماء الدنيا في هذا المطر ينزل منه كل سنة بكييل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى القبا في البحار وقيل المراد من تصرف المطر تصرفه وبلاوطشا وذاذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح (ليذكروا) أي ليعتدروا

(٤٧ - خازن ثالث) بالقرب من الاودية والانهاء فيهم غنية عن سقي السماء واعقابهم وبقاياهم وهم كثير يعيشون بما ينزل الله من رحمته وتنكير البلدة لانه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء ولما كان في الاناسي من جعله ما أنزل له الماء وصفه بالظهورا كراما لهم وبيان ان من حقهم أن يؤثروا الطهارة في بواطنهم وظواهرهم لان الظهورية شرط الاحياء (واقصد صرفناه بينهم ليعتدروا) ليعتدروا بحجة على بريد ولقد صرفناه هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب المنزلة على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال المطر ليعتدروا ويعتبروا ويعتدروا حق النعمة فيه فاشكروا

(فأبى أكثر الناس الا كفورا) فأبى أكثرهم الا كفران النعمة وجودها وقلة الاكثر ان لها أو صرنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والافات المتغيرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ ودجعة فأبوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنيع الله تعالى ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرا الآية وروى ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف واحسب ان يختلف فيه البلاد وينتزع من هنا جواب في تنكير البلدة والانعام والانس ومن نسب الامطار الى الانواء وحسب ان تكون هي والانواء من خلق الله تعالى كفروا رأى ان الله تعالى خالقها وقد نصب الانواء امارات ولالات عليها لم يكفر (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلاتطع الكافرين) أى لو شئنا لخفضنا عن اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها ولكن شئنا ان نجعل لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة الى كافة العالمين فقصرنا الامر علينا وعظمناك به فتكون وحداك ككلمهم ولذا اخو طوب بالجمع يأبى الرسل فقال ذلك بالشكر والصبر والشدة ولا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومدا هنتهم وكما آثرتك (٣٧٠) على جميع الانبياء فآثر رضائي على جميع الاهواء وأريد بهما تهيجيه وتهيج المؤمنين وتحريكهم (وجاهد هم به) أى بالله يعنى بعونه ونوفيقه أو بالقرآن أى جادلهم به وقرعهم بالعجز عنه (جهادا كبيرا) عظيما موقعه عند الله لما يحتتمل فيه من المشاق ويجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذير لوجب على كل نذير مجاهدة قرينه فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له وجاهد هم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة (وهو الذى مرج البحرين) خلاهما متجاورين

وتنفعكروا في قدرة الله تعالى (فأبى أكثر الناس الا كفورا) أى سجودوا وكفروهم هو انهم اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا (ق) عن زيد بن خالد الجهني انه قال صلى بنار رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في ارضهم من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب (وهو الذى (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) أى رسولا ينذره ولكن بعثناك الى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة لتستوجب بصرك ما أعدنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة (فلاتطع الكافرين) فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومدا هنتهم (وجاهد هم به) أى بالقرآن (جهادا كبيرا) أى شديدا (وهو الذى مرج البحرين) أى خلطهما وأفاض أحدهما على الآخر وقيل أرسلهما في بحارهما (هذا عذب فرات) أى شديد العذوبة عيل الى الخلاوة (وهذا ملح أجاج) أى شديد الملوحة وقيل مر (وجعل بينهما برزخا) أى حاجزا قدرته فلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب (وحجرا محجورا) أى سترام وعافلا يبعث أحدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب (وهو الذى خلق من الماء) أى من النطفة (بشر فجعله نساوا صهرا) أى جعله ذات نسب وصهروا وقيل النسب ما لا يحل نكاحه والنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر المخلطة التى تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله بالنسب سبعاً وبالسبب سبعاً ويجمعها قوله حرمت عليكم امهاتكم الآية وقد تقدم تفسير ذلك وبيان فى تفسير سورة النساء (وكان ربك قديرا) على ما أراد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكور والانثى (ويعبدون من دون الله) يعنى هؤلاء المشركين (مالا ينفعهم) أى ان عبدوه (ولا يضرهم) أى ان تركوه (وكان الكافر على ربه ظهيرا) أى معينا أمان الشيطان على ربه بالمعاصي لان عبادتهم الاصنام معاونة للشيطان وقيل معنى ظهيرا هيئنا ذليلا من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته وراءك ولم تلتفت اليه وقيل أراد بالكافر أبا جهل والاصح انه عام في كل كافر وقوله

متلاصقين تقول من جنت الدابة اذا خلبتها ترى وسمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرین (هذا) أى أحدهما (عذب) تعالى

فرات) صفة عذاب أى شديد العذوبة حتى يقرب الى الخلاوة (وهذا ملح أجاج) صفة الملح أى شديد الملوحة (وجعل بينهما برزخا) حاجزا قدرته يفصل بينهما ويعنعهما التمازج فهما في الظاهر مختلفان وفي الحقيقة منفصلان (وحجرا محجورا) وسترام وعافلا يبعث أحدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب (وهو الذى خلق من الماء) أى النطفة (بشر) انسا نا (فجعله نساوا صهرا) أراد تقسيم البشر قسمين ذوى نسب أى ذكورا ونسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أى انا نساوا صهرا من كونهن من ذوى نسب (وكان ربك قديرا) حيث خلق من النطفة الواحدة بشر نوعين ذكر وانثى وقيل فجعله نسباً أى قرابة وصهرا معا صهرا يعنى الوصلة بالنكاح من باب الانساب لان التواصل يقع بهما بالمصاهرة لان التوالد يكون بهما (ويعبدون من دون الله مالاً لا ينفعهم) ان عبدوه (ولا يضرهم) ان تركوه (وكان الكافر على ربه) على معصية ربه (ظهيرا) معينا ومظاهرا وفعيل بمعنى مفاعل غير عزير والظاهر والمظاهر كالعين والمعاون والمظاهرة المعاونة والمعنى ان الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان وبعاونه على معصية الرحمن

(وما أرسلناك إلا مبشرا) لله ومنتبين (ونذيرا) منذر الكافرين (قل ما أسئلكم عليه) على التبليغ (من أجر) جعل (الامن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) والمراد الافضل من شاء واستشأوه من الاجر قول ذي شفقة عليك قدس من لك في تحصيل مال ما اطلب منه ان ثوابا على ما سعت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صورته بصورة الثواب كأنه يقول ان حفظت مالك اعتد حفظك بمنزلة الثواب لي ورضائي به كرضا المئاب بالثواب واعمرى انه عليه الصلاة والسلام مع أمته بهذا الصدد ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقر بهم اليه بالايمان والطاعة أو بالصدقة والنفقة وقيل المراد لكن من شاء أن يتخذ بالانفاق الى رضائه سبيلا فافعل وقيل تقديره لا أسألكم على ما أدعوك اليه أجزا الا اتخاذ المذعوس سبيلا الى ربه بطاعته فذلك أجرى لان الله يأجرني عليه (وقول على الحى الذى لا يموت) اتخذ من لا يموت وكيلا لا يكلن الى من يموت ذليلا يعنى فني به واسند أمرى اليه في استكفاء شروهم ولا تسلك على حى يموت وقرأها بعض الصالحين فقال لا يصح لى عقل ان يتق بعد ما يخلفه والتوكل الاعتماد عليه في كل أمر (وسبح) من أن بكل الى غيره من توكل عليه (بحمده) بتوفيقه الذى يوجب الحمد (٣٧١) أو قل سبحان الله وبحمده أو تره عن كل

العيوب بالثناء عليه (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) أى كفى الله خبيرا بذنوب عباده يعنى انه خبير بأحوالهم كفى في جزاء أعمالهم (الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام) أى في مدة مقدار هذه المدة لانه لم يكن حينئذ ذليل ونارروى عن مجاهد أنها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة وانما خلقها في ستة أيام وهو بقدر على ان يخلقها في لحظة تعليم الخلقه الرفق والتثبت (ثم استوى على العرش الرحمن) أى هو الرحمن فالرحمن خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الضمير فى استوى أو الذى خلق مبتدأ والرحمن خبره (فاسئل)

تعالى (وما أرسلناك إلا مبشرا) أى بالثواب على الايمان والطاعة (ونذيرا) منذر بالاعقاب على الكفر والمعصية (قل) يا محمد (ما أسئلكم عليه) أى على تبليغ الوحي (من أجر) فقلوا انما يطلب محمد أم والناس بما يدعوننا اليه فلا تتبعه (الامن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) معناه لكن من شاء ان يتخذ بالانفاق ماله سبيلا الى ربه فعلى هذا يكون المعنى لا أسألكم لنفسى أجزا ولكن أمتنع من انفاق المال الا فى طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل الى جنته ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وقول على الحى الذى لا يموت) معناه انه سبحانه وتعالى لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن لا يطلب منهم أجزا البتة أمره ان يتوكل عليه في جميع أموره وانما قال على الحى الذى لا يموت لان من توكل على حى يموت انقطع توكله عليه بمرته وأما الله سبحانه وتعالى فانه حى لا يموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه ولا يضيع البتة (وسبح بحمده) أى صل له شكرا على نعمه وقيل معناه قل سبحان الله والحمد لله (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) يعنى انه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها وقيل معناه انه لا يحتاج معه الى غيره لانه خير عالم قادر على مكافأتهم وفيه وعيد شديد كانه قال اذا قدمتم على مخالفة أمره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا) أى فاسأل الخبير بذلك يعنى بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وقيل معناه ايها الانسان لا ترجع في طلب العلم بهذا الى غيرى وقيل معناه فاسأل عنه خبير او هو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) أى ما نعرف الرحمن الارحان الالهامة يعنون مسيلة الكذاب كانوا يسمونه رجحان الالهامة (انسجد لما تأمرنا) انت يا محمد (وزادهم) أى قول القائل اسجدوا للرحمن (نفورا) أى عن الايمان والسجود

(فصل) وهذه السجدة من عزائم السجرات فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند سماعها وقرأتها ﴿ قوله تعالى ﴾ (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا) قيل البروج هى النجوم الكبار مبيت بروجها لظهورها

بلاهور مكي وعلى (به) صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلة في قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم فاسأل به كقولك اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفش عنه أو صلة (خبيرا) ويكون خبيرا مفعول سل أى فاسأل عنه رجلا عارفا بخبرك برحمته أو فاسأل رجلا خبيرا به وبرحمته أو الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتب حتى تعرف من يشكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذى باليهامة يعنون مسيلة وكان يقال للرححان الالهامة (واذا قيل لهم) أى اذا قال محمد عليه الصلاة والسلام للمشركين (اسجدوا للرحمن) صلواته واخضعوا له (قالوا وما الرحمن) أى لا نعرف الرحمن فتسجد له فهذا سؤال عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما أرعن معناه لانه لم يكن مستعلا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والرحيم والرحوم (انسجد لما تأمرنا) الذى تأمرنا بالسجود له أولا أمرنا بالسجود يا محمد من غير علم ما به بأمرنا على وجزء كان بعضهم قال لبعض انسجد لما تأمرنا يا محمد أو يا محمد يا محمد بالرحمن ولا نعرف ما هو فقد خاندوا لان معناه عند أهل اللغة ذوالرجة التى لا غاية بعدها فى الرحمة لان فعلا من ابنة المبالغة تقول رجل عطفنا اذا كان فى نهاية العطف (وزادهم) قوله اسجدوا للرحمن (نفورا) تباعدا عن الايمان (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا

هي منازل الكواكب السيارة لكل كوكب بيتان يقوى حاله فيهما وللشمس بيت والقمر بيت فالجمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان
بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشتري والجدى والدلو بيتا
زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الاربع فيصيب كل واحد منها ثلاثة بروج فالجمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة
والجدى مثلثة ارضية والجوزاء والميزان والولد مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية سميت المنازل بالبروج التي هي
القصور العالية لانها هذه الكواكب كل منزل اسكانها وانشقاق البروج من التبرج لظهوره وقال الحسن وقناة ومجاهد البروج هي النجوم
التي تظهر في السماء (سراجا) يعني الشمس لتوقدها سراجا جرة وعلى أي نجومها (وقرأ منيرا) مضيا بالليل (وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفه) فعمله من ركبته من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الاخر والمعنى جعلهما
ذوي خلفه يخلف أحدهما الآخر (٣٧٢) عند مضيه أو يخلفه في قضاء ما فانه من الورد (لمن أراد ان يذكر) يتدبر

وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب
السبعة السيارة وهي الجمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب
والقوس والجدى والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها الكواكب كل منزل
اسكانها (وجعل فيها سراجا) يعني الشمس (وقرأ منيرا) وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه (قال ابن عباس
معناه خلفه عوضا يقوم احدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله في احدهما قضاءه في الآخر قال شقيق جاء
رجل الى عمر بن الخطاب قال فاتني الصلاة الليلة قال ادرك ما فاتك من ليلة في نهارك فان الله تعالى
جعل الليل والنهار خلفه لمن اراد ان يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا اسود
وهذا ابيض وقيل يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا فاما يعاقبان في الضياء والظلمة
والزيادة والنقصان (لمن اراد ان يذكر) اي يتذكر ويحفظ (أو اراد شكورا) يعني شكر نعمة رب عليه
فيهما قوله عز وجل (وعباد الرحمن) قيل هذه الاضافة للتخصيص والنقصان والافعال خلق كلهم عباد
الله (الذين يحشون على الارض هونا) يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير أشربين ولا مرحبين ولا
منكبرين بل علماء حكماء أصحاب وقار وعفة (واذا خاطبهم الجاهلون) يعني السفهاء بما يكرهونه (قالوا
سلاما) أي سدادا من القول يسلمون فيه لا يسفهون وان سفه عليهم حملوا ولم يجهلوا وليس المراد منه
السلام المعروف وقيل هذا قبل ان يؤمروا بالقتال ثم نسختها آية القتال ويروى عن الحسن البصري انه
كان اذا قرأ هذه الآية قال هذا وصف نهارهم ثم اذا قرأ (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) قال هذا
وصف ليلهم والمعنى يبيتون لربهم في الليل بالصلاة سجدا وقياما على اقدمهم قال ابن عباس
من صلى بعد العشاء الاخرة ركعتين أو أكثر فغدت لله ساجدا وقياما (م) عن عثمان بن عفان رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف الليل ومن صلى
الفجر في جماعة كان كقيام ليلة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان
عذابها كان غراما) أي ملحا دائما لا زما غير مفارق من عذاب من الكفار قال محمد بن كعب القرظي سألت
الله الكفار عن نعمته فلم يردوه فاغرمهم فبقوا في النار وقال كل غريم مفارق غريمه الا جهنم وقيل الغرام
الشرا للارزاق والهلاك الدائم (انها) يعني جهنم (ساعات) بسئت (مستغرا ومقاما) أي موضع قرار واقامة

في تسخيرهما واختلافهما
فيعرف مدبرهما اذ كر
حزرة وخلف أي يذكر الله
أو المنسى فيقضى (أو اراد
شكورا) أي يشكر نعمة
ربه عليه فيهما (وعباد
الرحمن) مبتدأ خبره (الذين
يحشون) أو اولئك يحشون
والذين يحشون وما بعدهما
صفة والاضافة الى الرحمن
للتخصيص والتفضيل
وصف اوليائه بعدما وصف
اعداءه (على الارض هونا)
حال اوصفة للمشي أي
هينين أو مشايهين أو الهون
الرفق واللين أي يحشون
بسكينة ووقار وتواضع
دون مرح واختيال وتكبر
فلا يضربون باقدامهم ولا
يتخفون ببعالهم اشرا
ويطروا اذا كره بعض العلماء
الركوب في الاسواق لقوله
ويحشون في الاسواق (واذا

خاطبهم الجاهلون) أي السفهاء بما يكرهون (قالوا سلاما) سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والافذل (والذين
انزلنا منكم نارا فكملتم فاقم السلام مقام التسلم وقيل نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك فالأعضاء عن السفهاء مستحسن
شرا وحرورة هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) جمع قائم والبيتوتة خلاف الظلول
وهي ان يدركك الليل غت اولم تم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلاة أو فقل فغدت ساجدا وقياما وقيل هما الركعتان بعد المغرب
والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف ليلهم باحياء الليل أو أكثره (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما)
هلا كالا زما ومنه الغريم الملازمة وصفهم باحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقبه بكرد عوتهم هذه ايذنا بأنهم مع اجتهادهم خائفون
مبتلون منتصرون الى الله في صرف العذاب عنهم (انها ساعات مستغرا ومقاما) أي ان جهنم وساعات في حكم بسئت وفيها ضمير مبهم يشير
مستغرا والمقصود بالذم مستغرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها أو يعني

أخزنت وفيها ضمير اسم ان ومشتق احوال أو غير ذلك يصح ان يكون الثعلب لان متداخلين ومترادفين وأنت يكونان كلام الله تعالى وحكاية لقولهم (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا الحد في النفقة أولها كوا للتعلم ولم يلبسوا الله لف وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم ينفقوا في المعاصي فالاسراف مجاوزة القدر ومع رجل رجل لا يقول لاخير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وقال عليه الصلاة والسلام من منع حقا فقد قتر ومن أعطى في غير حق فقد أسرف (ولم يقتروا) بضم التاء كوفي وبضم الياء وكسر التاء مكى وبصرى والقتر والافتقار والتقتير التضييق الذي هو تقيض الاسراف (وكان) انفاقهم (بين ذلك) أى الاسراف والافتقار (قواما) أى عدلا بينهما فالقوام العدل بين الشبتهين والمنصوبان أى بين ذلك قواما خبران وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وعمله أمر عليه الصلاة والسلام ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الآية وسأل عبد الملك بن مروان عمر بن عبد العزيز عن نفقته حين زوجه ابنته فقال الحسنه بين السبتهين فعرف عبد الملك انه أراد ما في هذه الآية وقيل (٣٧٣) أولئك أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا

لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة ولكن لئلا الجوع وسر العورة ودفع الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهي الرجل شيئا الا أكاه (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) أى لا يشركون (ولا يقتلون النفس التي حرم الله) أى حرما يعنى حرم قتلها (الا بالحق) بقود أو رجم أو ردة أو شرك أو سعى في الارض بالفساد وهو متعلق بالقتل المحذوف أو لا يقتلون (ولا يزنون) ونفى هذه الكبائر عن عباده الصالحين تعرض لما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم كانه قبل والذين طهرهم الله مما أنتم عليه (ومن يفعل ذلك) أى المذكور (يلق) أناما) جزاء الاثم (يضاعف)

(والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) قيل الاسراف النفقة في معصية الله وان قلت والافتقار منع حقوق الله تعالى وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد التبذير والافتقار التقتير عما لا بد منه وهو ان لا يبيع عياله ولا يعرهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف (وكان بين ذلك قواما) أى قصدا وسطا بين الاسراف والافتقار وحسنه بين السبتهين قيل هذه الآية في صفه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون الطعام للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد جوعهم ويعمرهم على عبادة ربهم ومن الثياب ما يستترون به العورة ويقيمهم من الحر والبرد قال عمر بن الخطاب كفى سرفا أن لا يشتهي شيئا الا اشتراه فأكله (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) (ق) عن ابن عباس ان اناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فاكثروا وزفوا فاكثروا فأتوا محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول ويدعوننا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما علمنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها آخر (ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون) ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول الله أى الذنب أكبر عند الله قال ان تدعولته او هو خذقل قال ثم أى قال ان تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أى قال ان تزاني حيلة جارك فانزل الله تعالى تصد بقره والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون (ومن يفعل ذلك يلق أناما) أى ومن يفعل شيئا من ذلك يلق أناما قال ابن عباس انما يريد جزاء الاثم وقيل عقوبة وقيل الاثم وادنى جهنم ويروي في الحديث ان النبی والانی والاثام يتران في جهنم يسيل فيها صديد أهل النار (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وسبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته (ويجذبه فيه مهانا) أى ذللا لا لا قوله تعالى (الامن تاب) أى عن ذنبه (وآمن) أى بربه (وعمل عملا صالحا) أى فيما بينه وبين ربه روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية ثم زات الا من تاب فإريت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشئ قط مثل ما فرح بها وفرح به بانا قبحنا لك ففعا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله

بدل من يلق لانهم في معنى واحد ومضاعفة العذاب هي لقاء الاثم كقوله متى تأتينا نعلم بنساق ديارنا * تجد حطبا جردا ولا نارنا جبا فخر لم لانهم في معنى تأتينا اذا اتيان هو الاثم يضاعف مكى ويزيد ويعقوب يضعف شأى يضاعف أبو بكر على الاستئناف أو على الحال ومعنى يضاعف (له العذاب يوم القيامة) أى يعذب على مرور الايام في الآخرة عذابا على عذاب وقيل اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه (ويجذد) جزمه جازم يضاعف ورفعه رافعه لانه معطوف عليه (فيه) في العذاب فيمى مكى وحفص بالاشباع وانما خص حفص الاشباع بعلم هذه الكلمة مباغاة في الوعيد والعرب تمد الهمزة مع ان الاصل في هاء الكناية الاشباع (مهانا) حال أى ذللا لا (الامن تاب) عن الشرك وهو استثناء من الجنس في موضع النصب (وآمن) بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعمل عملا صالحا) بدنى بته (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) أى يوفقهم المحاسن بعد القبايح أو يجعها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة ولم يرد به ان السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ما ذكرنا يبدل

مخففا ليرجى (وكان الله غفورا) يكفر السيئات (رحيما) يبذلها بالחסنات (ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا) أى ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فإنه يتوب بذلك الى الله تعالى متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب (والذين لا يشهدون الزور) أى الكذب يعنى يشهدون عن محاضر الكذابين ومحاسن الخطائين فلا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله اذ مشاهدة الباطل شرك فيه وكذلك النظارة الى ما لم تسوغه الشريعة (٣٧٤) هم شركاء فاعلم به فى الآثام لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا وسبب وجود الزيادة

غفورا ورحيما قال ابن عباس يبذلهم الله بقبائح أعمالهم فى الشرك محاسن الاعمال فى الاسلام فيبذلهم بالشرك ايمانوا بقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحسانا وقيل يبذل الله سيئاتهم التى عملوها فى الاسلام حسنات يوم القيامة (م) عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا أعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا اذ يقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو متفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب قد عملت أشياء لا أراها هنا قال فليقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقيل ان الله تعالى يحب بالتدبير جميع السيئات ثم ثبت مكان كل سيئة حسنة (ومن تاب وعمل صالحا) قيل هذا فى التوبة به من غير ما سبق ذكره فى الآية الاولى من القتل والزنا ومعناه ومن تاب من الشرك وعمل صالحا يعنى أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن (فانه يتوب الى الله) أى يعود اليه بعد الموت (متابا) أى حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنى فالآية الاولى وهى قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثانية رجوع الى الله للحجاء والمكافأة وقيل هذه الآية ايضا فى التوبة عن جميع السيئات ومعناه من أراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله فقوله يتوب الى الله خير يعنى الامر أى تب الى الله وقيل معناه فليعلم ان توبته وصيره الى الله تعالى قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) يعنى الشرك وقيل هى شهادة الزور (ن) عن أبى بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر البكاء تركنا بلى يارسول الله قال الاشرار بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال الاوقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وكان عمر بن الخطاب يجاد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به فى الاسواق وقيل لا يشهدون الزور يعنى أعياد المشركين وقيل الكذب وقيل النوح وقيل لا يساعد أهل الباطل على باطلهم وقيل الزور اللهو واللعب والغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت التفاف فى القاب كما ينبت الماء الزرع وأصل الزور حقيفة تحسب من الشئ ووصفه بخلاف صفته فهو عتوه الباطل بما يوجبهم الحق (واذا امر وباللغو) هو كل ما يجب أن يلغى ويترك (مر وكراما) يعنى اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا فعلى هذا التفسير تكون الآية منسوخة بآية القتال وقيل اللغو المعاصى كلها والمعنى اذا امر واجلس اللهو والباطل مر وكراما أى مسرعين معرضين وهوان ينزه المرء نفسه ويكرمه عن هذه الخسائس السيئة (والذين اذا ذكروا بايات ربه لم يحزوا عليها وعجبنا) قيل معناه انه ليس فيه نفي الخور وانما هو اثبات له ونفى الصم والعوى والمعنى اذا ذكرها اكبوا على استماعها باذان واعية وأقبلوا على المذكر بها بعيون مبصرة راعية وقيل معناه لم يحزوا أى لم يسقطوا ولم يقعوا عليها وعجبنا كلهم باذانهم صم وباعينهم عمى بل سمعون ما يدكرون به فيقههونه ويرون الحق فيه فينبهونه قوله عز وجل (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا نكحهن فى الدنيا والآخرة) أى ابرار أتقياء صالحين فيقرون أعيننا بذلك

فيه وفى مواضع عيسى عليه السلام ياكم ومحاسن الخطائين أولا يشهدون شهادة الزور على حذف المضاف وعن قتادة المراد بمجالس الباطل وعن ابن الحنفية لا يشهدون اللهو والغناء (واذا امر وباللغو) بالغى وبطرح والمعنى واذا امروا بأهل اللغو والمشتغلين به (مر وكراما) معرضين مكرمين أنفسهم عن التلوث به كقولهم واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وعن الباقر رضى الله عنه اذا ذكروا الفروج كنوا عنها (والذين اذا ذكروا بايات ربه) أى قرئ عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن (لم يحزوا عليها وعجبنا) هذا ليس بنفي الخور بل هو اثبات له ونفى الصم والعوى ونحوه لا يلقانى زيد مسلما هو نفي للسلام للقاء يعنى انهم اذا ذكروا بايات ربه لم يجدوا بكلامهم باذان واعية مبصرين بعيون واعية لما امروا به ونحوه انه لا كالمناقضين وأشباههم دليله قوله تعالى ومن هدانا

واجبتنا اذا نتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا) من اللبيان كانه قيل هب لنا قرأه أعين ثم بينت القرعة وفسرت بقوله من أزواجنا (وذرياتنا) ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرأه أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أى أنت أسد أولادنا على معنى هب لنا من جهنم ما نقر به عيوننا من طاعة وصلاح رزقنا أبو عمرو وكوفى غير حفص لارادة الجنس وغيرهم ذرياتنا (قرأه أعين) وانما نكح لاجل تنكير القرعة لان المضاف لا يسمي الى تنكيره لا بتذكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم خير وافر سرحا وانما قيل أعين على القسمة دون عيون لان المراد أعين المتقين وهى قلبه بالاضافة الى عيون غيره م قال الله تعالى

وقليل من عبادة الشكور ويجوز أن يقال في تكبير أعين أم أعين خاصة وهي أعين المتقين والمعنى أنهم سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وأعقابا بما لا يلهي الله تعالى يسرون فكانهم يتقربونهم ويقل لبس شيء أقرب العين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد إذا لم يكتب الله له (واجعلنا للمتقين إماما) أي آتة يقتدون بنافي الدين

فأكنى بالواحد لآلته على الجنس وعدم اللبس أو واجعل كل واحد منا إماما قبل في الآية ما يدل على أن الرئاسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها (وأولئك يجزون الغرفة) أي الغرفات وهي العلالي في الجنة فوجد أقصارا على الواحد الدال على الجنس دليله قوله وهم في الغرفات آمنون (عباس صبروا) أي صبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك (ويلقون فيها) ويلقون كوفي غير حصن (نحية) دعاء بالتعظيم (وسلاما) ودعاء بالسلامة يعني أن الملائكة يحبونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا وسلم عليه (خالدين فيها) حال (حسن) أي الغرفة (مستقرا ومقاما) موضع قرار واقامة وهي في مقابلة ساهت مستقرا ومقاما (قل ما يعبا بكم ربى لولا دعاؤكم) ما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب ومعناه ما يصنع بكم ربى لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام أو لولا

قبل لبس شيء أقرب العين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع أن يحلوا معه في الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك وقيل إن العرب تذكّر قرة العين عند السرور والفرح ومحنة العين عند الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرة العين أن يصادف قلبه من برضاه فتقر عينه به عن النظر إلى غيره (واجعلنا للمتقين إماما) أي آتة يقتدون في الخير بنا وقيل معناه يقتدى بالمتقين ويقتدى بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا آتة هدى وقيل معناه أنهم سألوا الله أن يبلغهم في الطاعات المبلغ الذي يشار إليهم فيه ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على أن الرئاسة في الدين مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا من الملقب لوب معناه واجعل للمتقين إماما واجعلنا مقتدين مؤتمين بهم (وأولئك يجزون) أي يثابون (الغرفة) الدرجة العالية الرفيعة في الجنة وقيل يريد غرف الدروار ويرجوا اللؤلؤ والياقوت في الجنة (عباس صبروا) أي على طاعة الله تعالى وأوامره وعلى أذى المشركين وقيل عباس صبروا عن الشهوات (ويلقون فيها نحية) أي ملأوا وقيل بقاء دائما (وسلاما) أي سلم بعضهم على بعض أو يرسل الرب عز وجل إليهم بالسلام وقيل سلاما أي سلامة من الآفات قوله تعالى (خالدين فيها أحسن مستقرا ومقاما) أي موضع قرار واقامة قوله تعالى (قل ما يعبا بكم ربى) أي ما يصنع وما يفعل بكم فوجودكم وعدمكم سواء وقيل معناه أي وزن ومقدار لكم عنده (لولا دعاؤكم) إياه قبل معناه لولا عبادتكم إياه وقيل لولا إيمانكم وقيل لولا دعاؤه إياكم إلى الإيمان فإذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه ما يعبا بكم ربى لولا عبادتكم وطاعتكم والمعنى أنه خلقكم لطاعته وعبادته وهذا قول ابن عباس وقيل معنى ما يعبا أي ما يبالي بغفر نكم ربى لولا دعاؤكم مع آلهة وقيل معناه ما خلقتكم ولما ليكم حاجة إلا أن تسألوني فأعطيكم وتستهفرون فأغفر لكم (فقد كذبتم) أي الكافرون بخاطب أهل مكة يعني أن الله دعاكم إلى توحده وعبادته على إسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبتم الرسول ولم تجيبوه إلى الإيمان (فسوف يكون لزاما) هذا تمديد لهم أي يكون تكذيبهم لزاما قال ابن عباس موثقا وقيل هلا كانوا قتلوا والمعنى يكون التكذيب لزاما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعلمه وقيل معناه عذابا دائما وهلا كاللزام لمن كذب مضمنا يلحق بعضهم بعضا وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب يعني أنهم قتلوا يوم بدر وأصلهم عذاب الآخرة لازما لهم (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قدمضين الدخان واللزام والرؤم والبطشة والقمر وفي رواية الدخان والقمر والرؤم واللزام والبطشة والله سبحانه تعالى أعلم

تفسير سورة الشعراء

وهي مكية الآيات من آخر السورة من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاؤون وهي مائتان وسبع وعشرون آية وألف ومائتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة وأربعون حرفا روى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت طه والطواسين من الواح موسى عليه الصلاة والسلام

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عبادتكم له أي أنه خلقكم لعبادته كقوله وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أي الاعتبار عندكم لعبادته أي ما يصنع بكم لولا دعاؤكم مع آلهة وهو كقوله تعالى ما يفعل الله بكم ان شكرتم (فقد كذبتم) رسولنا أهل مكة (فسوف يكون) العذاب (لزاما) أي الزام أو ملازم وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل وقال الضحاك ما يعبا ما يبالي بغفر نكم لولا دعاؤكم مع آلهة آخر (سورة الشعراء مكية) وهي مائتان وعشرون وسبع آيات (بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم) طس ويس وخم مماله كوفي غير الاعشى والبرجى وحقق ويظهر النون عند الميم يز بدوحزة وغيرهما يدغمها (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين (لعلك باخع نفسك) من الحزن يعنى أشفق على نفسك ان تقتلها حشرة وحزنا على ما فاتك من اسلام قومك (الايكوفوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا أولا متمناع ايمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا (ان نشأ) ايمانهم (تنزل عليهم من السماء آية) دلالة واضحة (فظلت) أى قتل لان الجزاء يقع فيه انظر الماضى فى معنى المستقبل نقول ان زرتنى أكرمك أى أكرمك كذا قاله الزجاج (أعناقهم) رؤسأؤهم ومقدموهم أو جماعاتهم يقال جاء أعناق من الناس نفوج منهم (لها خاضعين) متقادين وعن ابن عباس رضى الله عنهم ما نزلت فينا وفي بنى (٣٧٦) أمية فتكون لتأ عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد دعوتهم ويلحقهم هوان بعد عزه (وما يأتينهم من ذكر من الرحمن يحدث الا كانوا عنه معرضين) أى وما يجدد لهم الله نوحه موعظة وتذكيرا لاجسادوا اعراضا عنه وكفر به (فقد كذبوا) محمدا صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به (فسياأتهم) فسيبعلون (أنباء) أخبار (ما كانوا يستهزئون) وهذا وعيد لهم وانذار بأنهم سيعلمون اذ امهم هذا اب الله يوم يروى القيامة ما الشئ الذى كانوا يستهزئون به وهو القرآن وسياأتهم انبأؤه وأحواله التى كانت خافية عليهم (أولم يروا الى الارض كم أنبتنا) كم أنصب بأنبتنا (فيها من كل زوج) صنف من النباتات (كريم) محمود كثير المنفعة يأكل منه الناس والانعام كالرجل الكريم الذى نفعه عام وفائدة الجمع بين كلنى الكثرة والاحاطة ان كلمة كل تدل على الاحاطة بازواج

قوله عز وجل (طسم) قال ابن عباس طسم عجزت العلماء عن علم نفسه يرها وفي رواية أخرى عنه انه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل أقسم بطوله وسنائه وملكه (تلك آيات) أى هذه الآيات (الكتاب المبين) قيل لما كان القرآن فيه دلائل التوحيد والاعجاز الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل الاحكام أجمع ثبت بذلك أن آيات القرآن كافية مبينة لجميع الاحكام (لعلك باخع نفسك) أى قاتل نفسك (أن لا يكوفوا مؤمنين) أى ان لم يؤمنوا وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحصر على ايمانهم فانزل الله عز وجل هذه الآية (ان نشأ تنزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أى لو شاء الله لا تنزل عليهم -م آية يذلون منها فلا يلوى أحد منهم عنقه الى معصية الله سبحانه وتعالى وقيل معناه لو شاء الله لا رامهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية فان قلت كيف صح محي خاضعين خبرا عن الاعناق قلت أصل الكلام قتلوا لها خاضعين فاقبعت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله أولا وصفت بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل خاضعين وقيل أعناق الناس رؤسأؤهم ومقدموهم أى قتل كبرائهم لها خاضعين وقيل أراد بالاعناق الجماعات يقال جاء عنق من الناس أى جماعة قوله تعالى (وما يأتينهم من ذكر من الرحمن) أى وعظ وتذكير (محدث) أى محدث انزاله فهو محدث التنزيل وكلما نزل شئ من القرآن بعد شئ فهو أحدث من الاول (الا كانوا عنه معرضين) أى عن الايمان به (فقد كذبوا) فسياأتهم أى فسوف يأتينهم (أنباء) أى اخبار وعواقب (ما كانوا يستهزئون أولم يروا الى الارض) يعنى المشركين (كم أنبتنا فيها) أى بعد أن لم يكن فيها نبات (من كل زوج كريم) أى جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما يأكل الناس والانعام وقال المشعبي الناس نبات الارض فن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لثيم (ان فى ذلك) أى الذى ذكر (لاية) تدل على أنه واحد أى دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا كما قيل

وفي كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(وما كان أكثرهم مؤمنين) أى سبق على فيهم ان أكثرهم لا يؤمنون ولا يصديقون (وان ربك لاهو العزيز) أى المنتقم من أعدائه (الرحيم) ذو الرحمة لاولياؤه قوله تعالى (واذ نادى) أى واذ كرىا محمدا اذ نادى (ربك موسى) أى حين رأى الشجرة والنار (أن انت القوم الظالمين) يعنى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى وظلموا بنى اسرائيل باستعبادهم وسوء معاملةهم (فوم فرعون) يعنى القبط (الا

النبات على سبيل التفصيل وكما يدل على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة وبه نبيه على كمال قدرته (ان فى ذلك لاية وما كان أكثرهم مؤمنين) أى ان فى انبات تلك الاصناف لاية على ان منبتهما قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرسى ايمانهم (وان ربك لاهو العزيز) فى انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن آمن منهم وآية مع الاخبار يكثرت لان ذلك مشاربه الى مصدر أنبتنا والمراد ان فى كل واحد من تلك الأزواج لاية أى آية (واذ) مفعول به أى اذ كراذ (نادى) دعا (ربك موسى ان انت) أى يعنى أى (القوم الظالمين) أنفسهم بالكفر وبنى اسرائيل بالاستعباد وذبح الاولاد وجعل عليهم عطف (قوم فرعون) عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكان معابرا ان اعتقبا ان على مؤدى واحد (الا

قوله وآية هكذا بالاصل وعلقه سقط منه واغردا ونحو ذلك اه معجمه

ينفون) أي انهم زاجرا فخذ ان لهم ان ينقوا وهي كلمة حث واغراء ويحتمل انه حال من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير منقذين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال (قال رب اني أخاف) الخوف غم يلحق الانسان لامر سبب وقع (أن يكذبون ويضيق صدري) يشكذبهم أي ممتنع أو عطف على أخاف (ولا ينطق لساني) بان تغلبني الحجة على ما أرى من المحال واسمع من الجدل وبنصهم ما يعقوب عطفًا على يكذبون والخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير والتكذيب وحده بتقدير الرقع (فأرسل الى هرون) أي أرسل اليه جبريل واجعله نبيًا يعينني على الرسالة وكان هرون بمصر حين بعث موسى نبيًا بالأمم ولم يكن هذا الالتباس من موسى عليه السلام توافقًا لامتنال بل التماس عون في تبليغ الرسالة وتحميد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر وكفي بطلب العون دليلًا على التقبل لا على التعلل (ولهم على ذنب) أي تبعة ذنب بقتل القبطي فخذ المضاف أو بمعنى تبعة الذنب ذنبنا كما سمى جزاء السببة سببة (فأخاف أن يقتلون) أي يقتلونني به قصاصا وليس هذا تعلالًا أيضًا (٣٧٧) بل استدفاع للمتوقعة وفرق من أن يقتل

قبل أداء الرسالة ولذا وعده بالكلام والدفن بكلمة الردع وجعل له الاستجابتين معاني قوله (قال كلا فاذهب) لأنه استدفعه بلامهم فوعده الله الدفع رده عن الخوف والتمس منه رسالة أخيه فأجابه بقوله اذهب أي جعلته رسولًا فاذهبًا وعطف فاذهبًا على الفعل الذي يدل عليه كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت وهرون (بآياتنا) مع آياتنا وهي اليد والعصا وغير ذلك (انامعكم) أي معكم بالعون والنصرة ومع من أرسلتمنا اليه بالعلم والقدر (مستعون) خبر لان ومعكم لغو أو هو ما خبر ان أي سامعون والاستماع في غير هذا الاصغاء للسمع يقال استمع فلان حديثه

ينفون) أي يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته والايان به (قال) يعني موسى (رب) أي يارب (اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري) أي يشكذبهم أي (ولا ينطق لساني) أي للعقدة التي كانت على لساني (فأرسل الى هرون) ليؤازرني ويعينني على تبليغ الرسالة (ولهم على ذنب) أي دعوى ذنب وهو قتله القبطي (فأخاف أن يقتلون) أي به (قال) الله تعالى (كلا) أي ان يقتلوك (فاذهب يا آياتنا انامعكم مستعون) أي سامعون ما تقولون وما يقال لكم فان قلت كيف ذكرهم بلفظ الجمع في قوله معكم وهما اثنان قلت اجراهما مجرى الجماعة وهو جائز في لغة العرب (فائتبا فرعون فقولا انارسل رب العالمين) فان قلت هلا تقي الرسول كافي قوله فائتبا فقولا انارسلوا ربك قلت الرسول قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم معنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله هنا بمعنى الرسالة فخازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى انا ذوار رسالة كما قال كثير

لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم * بشئ ولا أرسلتهم برسول

أي برسالة وقيل انهما الاتفاق فها في الرسالة والشرعية والاخوة فصارا كأنهم ارسول واحد وقيل كل واحد من ارسول رب العالمين (أن أرسل معناني اسرائيل) أي خلهم وأطلقهم معناني أرض فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم أربع مائة سنة وكان في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلثين ألفا فانطلق موسى برسالة قرب الى مصر وهرون به فآخبره بذلك * وفي القصة ان موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفي يده عصا والمكمل معلق في رأس العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبر هرون ان الله قد أرسلني الى فرعون وأرسل اليك تدعو فرعون الى الله تعالى فخرجت أمهما فصاحت وقالت ان فرعون يطبلك ليقطعك فاذا ذهبت اليه فقل له اني قد خرجت الى باب فرعون وذلك بالليل فدخل الباب ففرع البوابون وقالوا من بالباب فقال اناموسى رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فترك حتى أصبح ثم دعاهما وقيل انهما انطلقا جميعا الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له اعلنا نضلك منه فدخل على فرعون وأدى رسالة الله تعالى فعرف فرعون موسى لانه نشأ في بيته (فقال له) (ألم نربك فينا وليدا) أي صبيًا (ولبت فينا من عمرك سنين) أي ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التي

(٤٨ - خازن ثالث) أي أصغى اليه ولا يجوز حمله ههنا على ذلك فجعل على السماع (فائتبا فرعون فقولا انارسل رب العالمين) لم يشق الرسول كما تقي في قوله انارسلوا ربك لان الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل ثمة بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسالة فيستوى في الوصف به الواحد والتثنية والجمع ولا نهما لاتحادهما واتفاقهما على شريعة واحدة كأنهم ارسول واحد وأريد ان كل واحد منا (أن أرسل) يعني أي أرسل لتضمن الرسول معنى الارسل وفيه معنى القول (معناني اسرائيل) يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهم فأيتبا به فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له اعلنا نضلك منه فاذا اليه الرسالة فعرف فرعون موسى فعند ذلك (قال ألم نربك فينا وليدا) وانما حذف فائتبا فرعون فقولا اختصارا والوليده الصبي اقرب عهد من الولادة أي لم تكن صغيرا فربك (ولبت فينا من عمرك سنين) قبل ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التي

فعلت) يعني قتل القبطي فعرض اذ كان ملكا (وأنت من الكافرين) بنعمتي حيث قتلت خباري أو كنت على ديني الذي سمعته كفرا وهذا افتراء منه عليه لانه معصوم من الكفر وكان يعاشهم بالتقية (قال فعلتها اذا) أي اذ ذاك (وانامن الضالين) الجاهلين بانها تبلغ القتل والضل عن الشيء هو الذهاب عن معرفته أو الناس من قوله أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فلدفع وصف الكفر عن نفسه ووضع الضالين موضع الكافرين واذا جواب وجزاء معا وهذا الكلام وقع جوابا لفرعون وجزاء له لان قول فرعون وفعلت فعلتك معناه انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها تجاوز بالك تسليما لقوله لان نعمته كانت جديرة بان تجاوزي بخوذلك الجزاء (فقرت منكم) الى مدين (لما خفتكم) أن تقتلوني وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون ان الملا يا فرعون بالبقية لولا فخرج الآية (٣٧٨) (فوهب لي ربي حكما) نبوة وعلما فزال عني الجهل والاضلاله

فعلت) يعني قتل القبطي (وأنت من الكافرين) قال أكثر المفسرين من الجاحدين لنعمتي وحق تربيته يقول ربنا انك فينا فكافأنا أن قتلت منا نفسا وكفرت نعمتنا وهي رواية عن ابن عباس قال ان فرعون لم يكن يعلم الكفر بالرؤية ولان الكفر غير جائز على الانبياء لا قبل النبوة ولا بعده و قيل معناه وأنت من الكافرين بفرعون واليه تسمه (قال) يعني موسى (فعلتها اذا وانامن الضالين) أي من الجاهلين بان ذلك يؤدي الى قتله لان فعل الكفر على وجه التأديب لا على وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل من المخطئين (فقرت منكم) أي الى مدين (لما خفتكم فوهب لي ربي حكما) يعني النبوة وقيل العلم والفهم (وجه على من المرسلين وتلك نعمة نعمتها على أن عبدت بني اسرائيل) أي اتخذتهم عبيدا قيل عدها موسى نعمة منه عليه حيث رآه ولم يقتله كما قتل ولدان بني اسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بني اسرائيل فيكون معنى الآية وتلك نعمة نعمتها على أن عبدت بني اسرائيل وتركنتي فلم تستعبدني وقيل هو على طريق الانكار ومعنى الآية أو تلك نعمة على طريق الاستفهام خذني الالف كما قال هرين عبد الله بن ربيعة

لم أنس يوم الرحيل وقفها * وطرفها من دموعها غرق
وقولها والركاب واقفة * تركني هكذا وتنطق

أي أتتركني والمعنى آمن على ان ربي تقي وتقي جناتك على بني اسرائيل بالاستعباد والمعاملات الصالحة أو يريد كيف تمن علي بالترية وقد استعبدت قومي ومن أمهين قومه فقتل فتعبدت بني اسرائيل قد أحبط حسناتك الى ولولم تستعبدهم ولم تقتل أولادهم لم أرفع اليك حتى تربيته وتسكطني ولما كان لي من أهلي من يربي ولم يلقوني في اليوم (قال فرعون ومارب العالمين) يقول أي شيء رب العالمين الذي ترعهم انك رسوله أي يستوصفه الله الذي أرسله اليه وهو سؤال عن جنس الشيء والله تعالى منزّه عن الجنسية والمساوية فلهذا عدل موسى عن جوابه وأجاب به كرافع الله وآثار قدرته التي تجز الخلائق عن الابنات بمنزلها (قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) انه خالقهما عاقر فوالله لا يمكن تعريفه الابدان كونه لكم فان أيقنتم بذلك لم كنتم تقطعوا انه لا جواب لكم عن هذا السؤال الاماذ كرمه من الجواب وقال أهل المعاني أي كانوا قنوا هذه الاشياء التي تعابونها فأيقنوا ان الله الخلق هو الله تعالى الذي خلقها وأوجدها فقلنا قال ذلك موسى فخير فرعون في جواب موسى (قال لمن حوله) أي من أشرف قومه قال ابن عباس كانوا خمسة رجل عليهم الاسورة (الاستمعون) وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعني اني انما أطلب منه المساهبة وخصوصية الحقيقة وهو يجيبني بافعاله وآثاره وقيل

(وجهائي من المرسلين) من جهة رسوله (وتلك نعمة) تمنها على أن عبدت بني اسرائيل) كرم على امتنانه عليه بالترية فأبطله من أصله وأبى ان يسمي نعمة لانها نعمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابناهم هو السبب في حصوله عنده وتريته ولو تركهم لرباه أبوهم فكان فرعون امنن على موسى بتعبيده قومه واخراجهم من حجر أوبه اذا حقت وتعبيدهم تذايبهم واتخاذهم عبيدا ووجد الضمير في قتها وعبدت وجمع في منكم وخفتكم لان الخوف والفرار لم يكونا منه وسده ولكن منه ومن ملته المؤثرين يقتله ببسبيل قوله ان الملا يا فرعون بالبقية لولا فخرج الآية (٣٧٨) (فوهب لي ربي حكما) نبوة وعلما فزال عني الجهل والاضلاله

وتلك اشارة الى خصلة شعاعية لا يدري ما هي الا بتفسيرها وحمل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك أي تعبيدك انهم بني اسرائيل نعمة تمنها على (قال فرعون ومارب العالمين) أي انك تدعي انك رسول رب العالمين فاصفقه لانك اذا أردت السؤال عن صفة زيد تقول ما زيد تعني أطويل أم قصير أم أقيمه أم طيب نص عليه صاحب الكشف وغيره (قال) موسى مجيبا له على وفق سؤاله (رب السموات والارض وما بينهما) أي وما بين الجنين (ان كنتم موقنين) أي ان كنتم تعرفون الاشياء بالادلة فكيف خلق هذه الاشياء ودللا أو ان كان ربي منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح فنعلم هذا الجواب والالام ينفع والايقان العلم الذي يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن (قال) أي فرعون (لمن حوله) من أشرف قومه وهم خمسة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة (الاستمعون) معجبا قومه من جوابه لانهم يزعجون قدمهما ويسكرون حادوهم ما وان لهم اربابا فاجاب موسى الى أن يستدل بعاشا واحد واحد وفنائه

فاستدل حيث (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) أى هو خالفكم وخالف آباءكم فان لم تستدلوا بغيركم فبأنفسكم وانما قال رب آبائكم لان فرعون كان يدعى الربوبية على أهل عصره دون من تقدمهم. (قال) أى فرعون (ان رسواكم الذى أرسل اليكم لمجنون) حيث يزعم ان فى الوجود الها غيرى وكان فرعون ينكر الهية غيره (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) قد استدلون بما أقول فتعرفون ربكم وهذا غاية الارشاد حيث علم اوليا خلق السموات والارض وما بينهما ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لان أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولده ومن ماشاه من أحواله من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طالع الشمس من أحد الخافقين وغروبها فى الآخر على تقدير مستقيم فى فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدلل به وظهره انتقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء والامانة على غرور دين كنعان وقيل سأله فرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله فلما أجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده ان موسى حاد عن الجواب حيث سأله عن الماهية وهو يجيب عن ربوبيته وآثار صنعه فقال محجبا لهم من جواب موسى ألا تستمعون فعاد موسى الى مثل قوله الاول فجئنه فرعون زاعجا انه حاد عن الجواب فعاد ثالثا الى مثل كلامه الاول مبيانا للفرد الحقيقى انما يعرف بالصفات وان السؤال عن الماهية محال واليه الاشارة (٣٧٩) فى قوله تعالى ان كنتم تعقلون أى ان

كان لكم عقل علمكم انه لا تمكن معرفته الا به - هذا الطريق فلما تحير فرعون ولم يتيسر له أن يدفع ظهور آثار صنعه (قال لئن اتخذت الها غيرى (أى غيرى الها (لا جعلتكم من المسجونين) أى لا جعلتكم واحدا من عرفت حالهم فى سجونى وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه فى هوذة ذهبه فى الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد ولو قيل لا سجنتم لم يؤد هذا المعنى وان كان أخصر (قال أولو جئتكم) التوا للرجال دخلت عليها همزة الاستفهام

انهم كانوا يعتقدون ان آلهتهم ملوكهم ثم زادهم موسى فى البيان (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) يعنى ان موسى ذكر ما هو أقرب اليهم فقال ربكم يعنى انه خالفكم وخالف آباءكم الاولين (قال) يعنى فرعون (ان رسواكم الذى أرسل اليكم لمجنون) يعنى المقصود من السؤال طلب الماهية وهو يجيب بالآثار الخارجة وهذا لا يفيد البتة فهذا الذى يدعى الرسالة لمجنون لا يفهم السؤال فضلا عن أن يجيب عنه ويتكلم بكلام لا يقبله ولا يعرف صحته وكان عندهم ان من لا يعتقدا ما يعتقدون ليس بعقل فزاد فى البيان (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) فعدل الى طريق ثالث أوضح من الثانى ومعنى ان كنتم تعقلون قد عرفت أنه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرنا (قال) فرعون حينئذ منتهى الحجة وانقطع عنه الجواب تكبرا عن الحق (لئن اتخذت الها غيرى لا جعلتكم من المسجونين) قيل كان سجن فرعون أشد من القتل لانه كان يأخذ الرجل فيطرحه فى مكان يهوى فيه الى الارض وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه (قال) له موسى حينئذ بالهجن (أولو جئتكم بشئ مبين) أى بآية بينة والمعنى أتفعل ذلك ولو جئتكم بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لان من أخلاق الناس السكون الى الانصاف والا جابة الى الحق بالبيان (قال) يعنى فرعون (فأت به) أى انان نسجنك حيثئذ ان كنت من الصادقين فأتى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) قبل انهما المصاراة خية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال بالذى أرسلتك الا أخذتها فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم وأراه يده ثم أدخلها فى جيبه ثم أخرجا فاذا هى بيضاء من غير برص اها اشعاع = شعاع الشمس وهو قوله (ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) فعند ذلك (قال) فرعون (للملاحول ان هذا) يعنى موسى (لساحر عليم) وكان زمان السحر فلما ذرّوج فرعون هذا القول على قومه ثم قال (يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره) قال هذا القول على سبيل التنفير للملايقا قول موسى (فانذأأمرون) يعنى ما رأيكم فيه وما الذى أعمله فعند ذلك

أى تفعل بى ذلك ولو جئتكم (بشئ مبين) أى جانيا بالمعجزة (قال فأت به) بالذى بين صدقت (ان كنت من الصادقين) ان لك بينة وجواب الشرط مقدرا أى فاحضره (فأتى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) ظاهرا للعبانية لاشئ يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر روى ان العصا ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مر فى عماشتى ويقول فرعون أسألك بالذى أرسلتك الا أخذتها فأخذها فعادت عصا (ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) فيه دليل على ان بياضها كان شيا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضها نور ياروى ان فرعون لما أبصر الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال فرعون ما هذه قال فرعون يدك فادخلها فى ابطه ثم نزعها واهل اشعاع كاد يغشى الابصار ويسد الافق (قال) أى فرعون (للملاحول) هو منصوب نصيب فى اللفظ والعامل فيه ما يقدر فى الظرف ونصب فى المحل وهو النصيب على الحال من الملا أى كاشين حوله والعامل فيه قال (ان هذا الساحر عليم) بالسحر ثم أغوى قومه على موسى بقوله (يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره فاذا) منصوب لانه مفعول به من قولك أمرت الخبير (تأمرون) تشيرون فى أمره من حبس أو قتل من المؤامرة وهى المشاورة أو من الأمر الذى هو ضد النهى لما تحير فرعون برؤية الآيتين رزل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منسكبه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائضه خوفا لطق بؤام قومه

الذين هم برحمه عبيده وهو الههم أو جعلهم آمريين ونفسه مأوزا (قالوا أرحه وأخاه) أخرامهم هملوا لا باغت قتلهم ماخوفا من الفتنه (وابعث في المداين حاشرين) ثم طارحشرون السحرة وعارضوا قول فرعون ان هذا ساحر عليهم بقولهم (يا نؤل بكل سحار علمهم) بخاؤا بكلمة الاحاطه وصيغة المبالغة لئلا يكونوا بعض قائله (جمع السحرة لميقات يوم معلوم) أي يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي رفته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله تعالى موعدكم يوم الزينه وان يحشر الناس ضحى والميقات ماوقت به أي حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الاحرام (وقيل للناس هل أنتم مجمعون) أي اجتمعوا وهو استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم (لعلمنا ان تتبع السحرة) في دينهم (ان كانوا هم الغالبين) أي غلبوا موسى ولا تتبع موسى في دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض الكلبي ان لا يتبعوا موسى فساوا الكلام مساوقا للكنايه لانهم اذا اتبعوه لم يكونوا متبعين لموسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أن لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم) وبكسر العين على وهما لغتان (وانكم اذا المن المقربين) أي قال فرعون نعم لكم اجر عندى وتكونون مع ذلك من المقربين عندى في المرتبة والجاه فتكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج ولما كان قولهم أن لنا اجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله انكم اذا المن المقربين (٣٨٠) معطوفا عليه دخلت اذا قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء (قال لهم

(قالوا أرحه وأخاه) أي أخره وأخاه (وابعث في المداين حاشرين يا نؤل بكل سحار علمهم) قيل ان فرعون أراد قتل موسى فقالوا لا تفعل فانك ان قتلتهم دخلت الناس شبهة في أمره ولكن أخره واجعله سحرة ليصار موسى ولا تثبت له علي حجة قوله تعالى (جمع السحرة لميقات يوم معلوم) يعني يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النيروز (وقيل للناس هل أنتم مجمعون) أي لتتظروا ما يضل القرى فان لم تكن القلبة (لعلمنا ان تتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لموسى قيل أراد بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على طريقة الاستمراء (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أن لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين) طلبوا من فرعون الجزاء وهو بذل المال والجاه فبذل لهم ذلك كله وأكده بقوله (قال نعم وانكم اذا المن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فأتوا واحداهم وعصيم وقالوا بعزة فرعون) أي بعظمة فرعون (اننا نحن الغالبون فأتى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون) أي ما يقبلونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل ان عصاه موسى صارت حية وابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصيمهم ثم أخذها موسى فاذا هي كما كانت أول مرة (فأتى السحرة ساجدين) قيل انهم لما رأوا ما جاوز حد السحر علموا انه ليس بسحر ثم لم يتأمنوا ان خروا ساجدين ثم انهم (قالوا آمنابر العالمين رب موسى وهرون) وانما قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا عزله (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون) فيه وعيد مطلق وتمديد شديد ثم بين ذلك الوعيد فقال (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صلبنكم أجمعين قالوا الاضربنا الى ربنا من قبلون) أي لا ضرر علينا فيما بنا لنا في الدنيا لاننا نلقب ونصير الى ربنا في الآخرة مؤمنين مؤملين غفرانه وهو قولهم (اننا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا) أي الكفر والسحر (أن) أي لان (كنا أول المؤمنين) أي من أهل زماننا وقيل أول المؤمنين أي من الجماعة الذين حضر واذلك الجمع (قوله تعالى) (وأوحينا الى موسى أن اسر بعبادي

موسى ألقوا ما أنتم ملقون) من السحر فسوف ترون حقيقته (فألقوا حبالهم) سبعين ألف حبل (وعصيمهم) سبعين ألف عصا وقيل كانت الحبال اثنين وسبعين ألفا وكذا العصا (وقالوا بعزة فرعون اننا نحن الغالبون) أقسموا بعزته وقوته وهو من إيمان الجاهلية (فأتى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون) ما يقبلونه من وجهه وحقيقته بسحرهم ويرزرونه ويخجلون في حبالهم وعصيمهم أنها حيات تسمى (فأتى السحرة ساجدين) صبر عن الطرور بالانقاء بطريق المشاكلة

لانه ذكر مع الاقالات ولا نهم اسرعة ما وجدوا صاروا كأنهم ألقوا (قالوا آمنابر العالمين) عن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا انكم سحرة وأمسا شهداء (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا أن يعزله وقيل ان فرعون لما سمع منهم آمنابر العالمين قال اياي عنيتم قالوا رب موسى وهرون (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم) بذلك (انه لكبيركم الذي علمكم السحر) وقد نواطأ ثم على أمر ومكر (فلسوف تعلمون) وبال ما فعلتم ثم صرح فقال (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من أجل خلاف ظهر منكم (ولا صلبنكم أجمعين) كانه أراد به ترهيب العامة لئلا يتبعوه في الايمان (قالوا الاضرب) لا ضرر وخبر لا محذور في أي في ذلك أو علينا (اننا الى ربنا من قبلون اننا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا) (لان كنا) (أول المؤمنين) من أهل المشهد او من رعية فرعون أرادوا الاضرر علينا في ذلك بل لنا أعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا ولا ضرر علينا فيما تنوع عذابه انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل اهون أسبابه وأرجاها ولا ضرر علينا في قتلنا ان قتلنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمة لما رزقنا من السبق الى الايمان (وأوحينا الى موسى ان اسر بعبادي) بنى اسرائيل مما هم عباده لايمانهم بنبيه أي سرهم لئلا يهلكوا بعد سنين من ايمان السحرة

(انكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه عزل الامر بالامر باسراء اتباع فرعون وجنوده آثارهم يعني اني بنيت تدبيراً لهم وامرهم على ان تنفذوا وتتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم من طريق البحر فاهدلكم وروى انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتهوا عورتا هم حتى خرج موسى وقومه وروى ان الله تعالى اوحى الى موسى ان اجتمع بنى اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبح الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني ساء الملائكة فتقتل اباكرا آل فرعون من انفسهم وامرهم ان لا يدخلوا بيته على بابهم ثم اخبروا خبر افطيرافانه اسرع لكم ثم امر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فبأنيك امرى (فارسل فرعون في المدائن حاشرين) اى جامع بين الناس بعنف فلما اجتمعوا قال (ان هؤلاء الشرذمة قليلون) والشرذمة الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم (٣٨١) قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار

انكم متبعون) اى يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج قبيل اوحى الله الى موسى ان اجتمع بنى اسرائيل كل اهل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا اولاد الضأن فاضربوا بدمائها على ابوابكم فاني ساء الملائكة فتقتل اباكرا آل فرعون من انفسهم وامرهم ان لا يدخلوا بيته على بابهم ثم اخبروا خبر افطيرافانه اسرع لكم ثم امر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فبأنيك امرى ففعل ذلك موسى ثم ان قوم موسى قالوا القوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عبدا فاستعاروا منهم حليهم ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا اباكرا من انفسنا واخذوا اموالنا (فارسل فرعون في المدائن حاشرين) يعنى الشرط بحشرون الجيش قيل كانت المدائن الف مدينة واثنى عشرة الف قرية فارسل فرعون في اثر موسى وقومه الف الف وخمسمائة الف وخرج فرعون في الكرمى العظيم في مائتى الف ملك مسورين مع كل ملك الف فلذلك قال (ان هؤلاء الشرذمة قليلون) قال اهل التفسير كانت الشرذمة الذين قتلهم فرعون ستمائة الف مقاتل لم يعدوا دون العشرين وفوق الستمائة وقال بن مسعود كانت ستمائة الف وسبعين الفا ولا يحصى عدد اصحاب فرعون (وانهم لنا لعاظنون) الغبط الغضب يعنى انهم اغضبونا بمخالفتهم فينا وقتلهم اباكرا وذهابهم باموالنا الى استعار وهاو خروجه من ارضنا بغير اذن منا (وانا لجمع حذرون) اى خائفون من شرهم وقرئ حاذرون اى ذو قوة واداة شاكون السلاح وقيل الحاذر الذى يحذر الا بالتحقيق من المتلبس بحمل السلاح والحذر الذى لا تلقاه الا خائفا (فاخرجناهم من جنات وعيون) قيل كانت البساتين ممتدة في حافى النيل فيها عيون وانهار جاررية (وكنوز) يعنى الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانهم يؤدحون الله منها وكل مال لم يعط ولم يؤدح الله منه فهو كنوزان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة الف غلام كل غلام على فرس عتيق في عتق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى (ومقام كريم) اى مجلس حسن قيل اراد مجلس الامر اموال رؤساء التى كانت لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثمانمائة كرسي من ذهب يجلس عليه الاشراف من قومه والامراء وعليهم اقبيبة الديباج فحوصه بالذهب والمعنى انا اخرجناهم من بساتينهم التى فيها العيون واموالهم ومجالسهم الحسنة (كذلك) اى كما وصفتنا (واورثناها بنى اسرائيل) وذلك ان الله عز وجل رد بنى اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والاماكن الحسنة (فأتبعوهم مشرقين) اى لحق فرعون وقومه موسى واصحابه وقت شروق الشمس وهو اضاءتها (فلما راى الجمع) اى تقابلوا بحيث يرى كل فريق صاحبه (قال اصحاب موسى انالمدركون) اى سيدركنا فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم

اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به العجز والفتور (فاخرجناهم من جنات) بساتين (وعيون) وانهار جاررية (وكنوز) واموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانهم لا يتفقون منها في طاعة الله تعالى (ومقام) ومنزل (كريم) بنى حج وعن ابن عباس رضى الله عنهما المنابر (كذلك) يحتمل النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى رصفنا والرفع على انه خبر مبني على حذف (اى الامر كذلك) (واورثناها بنى اسرائيل) عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا واخذوا ديارهم واموالهم (فأتبعوهم) فلهوهم فأتبعوهم (مشرقين) حال اى داخلين في وقت شروق الشمس وهو طالعها اى أدرك قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس (فلما تراءى الجمع) اى تقابلوا بحيث يرى كل فريق صاحبه والمراد بنوا اسرائيل والقبط (قال اصحاب موسى انالمدركون) اى قربان بلحقنا عدونا وامامنا البحر

(قال) موسى عليه السلام ثقتي بوعده الله اياه (كلا) ارثدعوا من سوء الظن بالله فان يدركوكم (ان ممي) ممي حفص (ربي سيدي) أي سيدي طريق النجاة واضرارهم سيدي بالياء يعقوب (فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر) أي القلزم أو النيل (فانطلق) أي فاضرب فانطلق وانشق فصارت اثنى عشر فرقا على عدد الاسباط (فكان كل فرق) أي كل جزء تفرق منه (كالطود العظيم) كالجبل المنطاد في السماء (وأزلقناهم) حيث انطلق البحر (الاخرين) قوم فرعون أي فريناهم من بني اسرائيل أو من البحر (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) من الغرق (ثم أغرقنا الاخرين) فرعون وقومه وفيه ابطال القول بتأثير الكوكب في الاجال وغيره من الحوادث فانهم اجتمعوا في الهلاك مع اختلاف طوائفهم روي ان جبريل عليه السلام كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليخلق آخركم بأولكم ويستقبل (القبط فيقول رويدكم ليخلق آخركم بأولكم فلما انتهى موسى الى

(قال) يعني موسى لثقتي بوعده الله تعالى اياه (كلا) أي ان يدركونا (ان ممي ربي سيدي) أي يدلني على طريق النجاة (فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانطلق) أي فاضرب به فانشق (فكان كل فرق) أي قطعة من الماء (كالطود) أي الجبل (العظيم) قبل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت الرياح فصار البحر يرمي موج كالجبال قال يوشع يا كلهم الله أين أمريت فقد غشينا فرعون من خلفنا والبحر امامنا قال موسى ههنا نخاض يوشع الماء لا يوارى حافره ابته وقال الذي يكتم ايمانه يا كلهم الله أين أمريت قال ههنا فكبح فرسه فصكه بلجامة حتى طار ازبد من شدقه ثم أقبحه البحر فارتسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا لجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فاضرب به فانطلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يتل سرجه ولا ابده (وأزلقناهم الاخرين) أي قربنا فرعون وجنوده الى البحر وقد مناهم الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بني اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبني اسرائيل ليخلق آخركم أولكم ويقول للقبط رويدا ليخلق آخركم أولكم فكان بنو اسرائيل يقولون مارا أينما أحسن سياقة من هذا الرجل وكان قوم فرعون يقولون مارا أينما أحسن دعة من هذا الرجل (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الاخرين) يعني انه تعالى جعل البحر يساكن حتى خرج موسى وقومه منه وأغرق فرعون وقومه وذلك انهم لما تكاملوا في البحر انطبق عليهم فغرقهم (ان في ذلك لآية) يعني ما حدث في البحر من انفلاقه آية من الآيات العظام الدالة على قدرته ومعجزته لموسى عليه السلام (وما كان أكثرهم مؤمنين) يعني أهل مصر قيل لم يؤمن منهم الا أسية امرأة فرعون وخزيلة مؤمن آل فرعون ومريم ابنة مامويا التي دلت على قبر يوسف حين أخرجه موسى من البحر (وان ربك لهو العزيز الرحيم) قوله تعالى ﴿واتل عليهم نبأ ابراهيم اذا قال لايه وقومه ما تعبدون﴾ أي أي شيء تعبدون وانما قال ابراهيم ذلك مع علمه بانهم عبدة الاصنام ليرجمهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء (قالوا نعبد أصناما فنظّل لها طاكفين) أي نقيم على عبادتها وانما قالوا انظّل لانهم كانوا يعبدونها بالنار دون اللبيل (قال هل سمعونيكم) أي سمعوني دعاءكم (اذ تدعون أو ينفعونكم) يعني بالرزق (أو يضرون) أي ان تركتم عبادتهم وإذا كان كذلك فكيف يستحقون العبادة فلما لم ينفعهم الجنة القاطنة (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) المعنى انها لا تسمع قولوا ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا ولكن اقدنا آباءنا ثباتا في ذلك وفي الآية دلائل على ابطال التقليد في الدين وذمه ومدح الاخذ بالاستدلال (قال أفرأيت ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) أي الاولون (فانهم عدولني) أي أعدائي وانما

البحر قال يوشع لموسى أين أمريت فهذا البحر امامك وغشيتك آل فرعون قال موسى ههنا نخاض يوشع الماء واضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك يا من كان قبلي على شيء والمكان لكل شيء والمكان بعد كل شيء (ان في ذلك) أي فيما فعلنا بموسى وفرعون (الآية) اية عجيبة لا توصف (وما كان أكثرهم) أي المفرقين (مؤمنين) قالوا لم يؤمن منهم الا أسية وخزيلة مؤمن آل فرعون ومريم التي دلت موسى على قبر يوسف (وان ربك لهو العزيز) بالانتقام من أعدائه (الرحيم) بالانعام على أوليائه (واتل عليهم) على مشركي قريش (نبأ ابراهيم) خبره (اذ قال لايه وقومه) قوم ابراهيم أو قوم

وحده

الاب (ما تعبدون) أي أي شيء تعبدون وابراهيم عليه السلام يعلم انهم عبدة

الاصنام ولكنه سألهم ليرجمهم ان ما يعبدونه ليس يستحق للعبادة (قالوا نعبد أصناما) وجواب ما تعبدون أصناما كيبس ثلوثك ماذا ينفعون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق لانه سؤال عن المعبود لانه سؤال عن العبادة وانما زادوا نعبد في الجواب اقتضار او مباهاة بعبادتها لاذ اعطوا على نعبد (فنظّل لها طاكفين) فتقيم على عبادتها طول النهار وانما قالوا انظّل لانهم كانوا يعبدونها بالنار دون اللبيل أو معناه الدوام (قال) أي ابراهيم (هل سمعونيكم) هل سمعوني دعاءكم على حذف المضاف للدلالة (اذ تدعون) عليه (أو ينفعونكم) ان عبدتموها (أو يضرون) أي ان تركتم عبادتها (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) وجدنا آباءنا كذلك ولكن (ولكن) أي لا تسمع ولا تنفع ولا تضروا ولا نعبد هالشي من ذلك ولكن (فانهم عدولني) أي الاصنام (عدولي) العدو والاصدق يجيئني في

معنى الوحدة والجماعة بمعنى لو عبدتهم اسكنوا أعداءى الى يوم القيامة كقوله سيكفرون بعبادتهم ويكفرون عليهم ضد اوقال الفراء هو من المقلوب أى فانى عدوهم وفى قوله عدولى دون اسكن زيادة نصح ليكون أدعى لهم الى القبول ولو قال فانهم عذر لكم ليكن ثلث المثابة (الارب العالمين) استثناء منقطع لانه لم يدخل تحت الاعداء كانه قال اسكن رب العالمين (الذى خلقنى) بالتسكين فى القرار المسكين (فهو يهدين) لما هيج الدنيا ولمصالح الدين والاستقبال فى يهدينى مع سبق العناية بالهداية لانه يحتمل يهدينى للاهم الافضل والاثم الاكل أو الذى خلقنى لاسباب خدمته فهو يهدينى الى آداب خلقه (والذى هو يطعمنى) أضاف الاطعام الى ولى الانعام لان الركون الى الاسباب عادة الانعام (ويسقين) قال ابن عطاء هو الذى يحيينى بطعامه ويروينى بشربه (واذا مرضت) واعلم بقول امرضى لانه فصد الذكر بالسان الشكر فلم يضاف اليه ما يقتضى الضر قال ابن عطاء اذا مرضت برؤية الخلق (فهو يشفينى) بمشاهدة الخلق قال الصادق اذا مرضت برؤية الافعال فهو يشفينى بكشف منه الافعال (والذى يمينتى ثم يحيينى) ولم يقل اذا مات لانه الخروج من حبس البلاء ودار الفناء الى روض البقاء لو عد للقاء وأدخل ثم فى الاحياء اترأخيه عن الافناء وأدخل الفناء فى الهداية (٣٨٣) والشفاء لانهم ما يعفون الخلق والمرضى لا معامعا (والذى

أطعم) طمع العبيد فى الموائى بالافضل لا على الاستعفاف بالسؤال (ان يغفر لي) خطيئتي قبل هو قوله انى سقيم بل فعله كبيرهم هذا ربي للبازغ هي أختي لسارة وماهى الامعارض جائزة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار واستغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم وتعلم للاهم فى طلب المغفرة (يوم الدين) يوم الجزاء (رب هب لي حكما) حكمة أرحمك بين الناس بالحق أو نبوة لان النبى عليه السلام ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله (والخفى بالصالحين) أى الانبياء (وقد أجابه حيث قال وانه

وحده على ارادة الجففس فان قلت كيف وصف الاصلام بالعداوة وهى جادات لا تعقل قلت معناه فانهم عدولى يوم القيامة لو عبدتهم فى الدنيا وقيل ان الكفار لما عبدواها وزلوا منزل الانبياء الاغلاء أطلق ابراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب أراد فانى عدو لهم لان من عاديتهم فقد عاداك (الارب العالمين) أى ولكن رب العالمين فانه ربي وواي وقيل انهم كانوا يعبدون الاصلام مع الله تعالى فقال ابراهيم كل ما تعبدون أعداءى الى الارب العالمين ثم وصف معبوده الذى يستحق العبادة فقال (الذى خلقنى فهو يهدين) الى طريق النجاة (والذى هو يطعمنى ويسقين) أى يرزقنى ويغذيبنى بالطعام والشراب (واذا مرضت) أصابنى مرض أضاف المرض الى نفسه استعجالا للادب وان كان المرض والشفاء من الله (فهو يشفينى) أى يبرئنى ويعافينى من المرض (والذى يمينتى ثم يحيينى) أى يمينتى فى الدنيا ثم يحيينى فى الآخرة (والذى أطعم) أى أربحو (أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) أى يوم الجزاء والحساب قيل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام عليها (م) عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله ان جدعان كان فى الجاهلية يوصل الرجل ويطلع المسكين أكان ذلك نافعا له قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه أنه لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال (رب هب لي حكما) قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقيل العلم والفهم (والخلقى بالصالحين) أى بمن سلف قبلى من الانبياء فى المنزلة والدرجة العالية (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) أى ثناء حسنا وذكرا جليلا وقبولا عاما فى الامم التى تحبى بعدى فأعطاء الله ذلك وجعل كل أهل الاديان يتولونه ويتنون عليه (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) أى ممن تعطيه جنة النعيم لانها السعادة الكبرى (واغفر لى انى كان من الضالين) قبل دخلا لايه على رجاء أن يسلم فيغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه (ولا تحزنى) أى ولا تفضحنى (يوم يبعثون) وهو يوم القيامة (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) أى خالص من الشرك والشركاء فلا يسلم منها أحد قال سعيد

فى الآخرة لمن الصالحين (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) أى ثناء حسنا وذكرا جليلا فى الامم التى تحبى بعدى فأعطى ذلك فكل أهل دين يتولونه ويتنون عليه ووضع اللسان موضع القول لان القول يكون به (واجعلنى من) يتعلق بمحذوف أى وارثا من (ورثة جنة النعيم) أى من السابقين فيها (واغفر لى) اجعله أهل المغفرة بأعطاء الاسلام وكان وعده الاسلام يوم فارقه (انه كان من الضالين) الكافرين (ولا تحزنى) الاخزاء من الخزى وهو الهوان أو من الخزاية وهو الحياء وهذا نحو الاستغفار كائنا (يوم يبعثون) الضمير فيه للعباد لانه مع احوالهم اولضا لمن وان يجعل من جلة الاستغفار لايه أى ولا تحزنى فى يوم يبعث الضالون وأبى فيهم (يوم لا ينفع مال) هو بدل من يوم الاول (ولا بنون) أحدا (الامن أتى الله بقلب سليم) عن الكفرة والنافق فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى فى قلوبهم مرض أى ان المال اذا صرف فى ربحه البر بنوه صالحون فانه يتنفع بهو بهم سليم القلب أوجعل المال والبنون فى معنى الغنى كانه قبل يوم لا ينفع غنى الاغنى من أتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما ان غناه فى دنياه بسلامة رقبته بل من مغفولا لينفع أى لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا اسلم قلبه مع ماله حيث أنفقه فى طاعة الله ومع نفسه حيث أرشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الامن أتى الله بقلب سليم من فتنه المال والبنين وقد صوب الجليل استثناء الجليل اكرامه ثم جعله صفة له فى قوله

وان من شيعته لابراهيم اذ جاء به بقلب سليم وما أحسن ما رتب عليه السلامة من كلامه مع المشركين حيث سألهم أولاعما
يعبدون سؤال مفرد لا مستفهم ثم أقبل على آلهتهم فابطل أمرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فأخرجهم
من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة ثم صور المسئلة في نفسه دونهم حتى تخلص منها التي ذكر الله تعالى فعظم شأنه وعدد نعمته من
سين انشائه الى وقت وفاته مع ما يرجي في الآخرة من رحمة ثم أتبع ذلك ان دعاء دعوات المخلصين وابتل اليه ابتهاال الادب ثم وصله بذكر
يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من التندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال ونفى النكرة الى الدنيا
ليؤمنوا ويطيعوا (وأزلقت الجنة للمتقين) أي قربت عطف جملة أي ترأف من موقف السعداء فينظرون اليها (وبرزت الجحيم) أي
أظهرت حتى يكاد يأخذهم لها (لغاوين) للكافرين (وقيل لهم) أي ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون (ويخرجون
على أسراركم) فبقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم ينصرونكم أم لا هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لأنهم وآلهتهم هم وفود
النار (فككبوا) أنكسوا واطرح بعضهم (٣٨٤) على بعض (فيها) في الجحيم (هم) أي الآلهة (والغاوين)

وعبدتهم الذين برزت لهم
والنكبة تكبر الككب
جعل التكرير في اللفظ دليلا
على التكرير في المعنى كأنه
إذا أتى في جهنم ينكب
مرة أو مرة حتى يستقر في
قعرها أعوذ بالله منها (وجنود
ابليس أجمعون) شياطينه
أو متبعوه من عصاة الانس
والجن (قالوا وهم فيها
يختصمون) يجوز أن
ينطق الله الاصنام حتى
يصح التناول والتخاصم
ويجوز أن يجري ذلك بين
العصاة والشياطين (فأنه
ان كنا في ضلال مبين اذ
نسويكم) نعد انكم أيها
الاصنام (رب العالمين)
في العبادة (وما أضلنا
المجرمون) أي رؤسؤهم

ابن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض وقيل القلب
السليم هو الخالي من البدعة المضمن الى السنة (وأزلقت الجنة) أي قربت (للمتقين وبرزت الجحيم)
أي أظهرت (لغاوين) أي للكافرين (وقيل لهم) يعني يوم القيامة (أي ما كنتم تعبدون من دون الله
هل ينصرونكم) أي يمنعونكم من عذاب الله (أو ينتصرون) لانفسهم (فككبوا) قال ابن عباس
جمعوا وقيل قد قوا واطرحوا بعضهم على بعض وقيل ألقوا على رؤسهم (فيها) أي في جهنم (هم والغاوين)
يعني الآلهة والعابدين وقيل الجن والكافرين (وجنود ابليس أجمعون) يعني اتباعه ومن أطاعه
من الانس والجن وقيل ذريته (قالوا وهم فيها يختصمون) يعني العابدين والمعبودين (فأنه ان كنا
لن في ضلال مبين اذ نسويكم) أي نعد انكم (رب العالمين) فذهبكم (وما أضلنا) يعني دعانا الى الضلال
(الامجرمون) يعني من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقيل الاولون الذين اقتدي بناهم
وقيل يعني ابليس وابن آدم الاول وهو قابيل وهو أول من سن القتل وأنواع المعاصي (فأنالنا من
شافعين) يعني من يشفع لنا يعني كما ان الله مؤمنين شافعين من الملائكة والانبيا (ولا صديق جيم) أي
قريب يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق وهو الصادق
في المودة مع موافقه الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل
يقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله عز وجل أخرجه الى الجنة
فيقول من بقى فأنالنا من شافعين ولا صديق جيم رواه البخاري بأسناد الثعلبي وقال الحسن استكثرنا
من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعا يوم القيامة (فلو أن لنا كرة) أي رجعة الى الدنيا (فكنكون من
المؤمنين) أي انهم غنوا الرجعة حين لا رجعة لهم (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي مع
هذه الدلائل والآيات (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أي المنتقم الذي لا يغالب وهو في وصف عزته رحيم
﴿ قوله عز وجل ﴾ (كذب قوم فوح المرسلين) أي كذب جماعة قوم فوح قيسل القوم مؤمنة وتصغيرها

الذين أضلهم أو ابليس وجنوده ومن سن الشرك (فأنالنا من شافعين) كما
للمؤمنين من الانبياء والايمان والملائكة (ولا صديق جيم) كما ترى لهم اصدقاء اذ لا يتصادق في الآخرة الا المؤمنون وأما أهل النار
فبينهم المتعادى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا الا المتقين (فأنالنا من شافعين ولا صديق جيم) من الذين كننا نعدهم شفعاء واصدقاء لأنهم
كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاء عندهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس والجحيم من الاحتمام وهو الاهتمام الذي يهيم
ماهم ملأ أو من الحامية بمعنى الخاص وجميع الشافع ووجد الصديق لكثرة الشفعة في العادة وأما الصديق وهو الصادق
في ودادك الذي يهيم ما أهمل فقليل وسئل حكيم عن الصديق فقال اسم لا معنى له وجاز ان يراد بالصديق الجمع (فلو أن لنا كرة) رجعة الى
الدنيا (فكنكون من المؤمنين) وجواب لو محذوف وهو لعلنا كبت وكبت أولو في مثل هذا بمعنى التخي كأنه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى لو
ولبت من التلاقي (ان في ذلك) فيما ذكر من الانباء (لاية) أي لعبارة لمن اعتبر (وما كان أكثرهم مؤمنين) فيه ان فريقا منهم آمنوا (وان
ربك لهو العزيز) المنتقم من كذب ابراهيم بنار الجحيم (الرحيم) المسلم كل ذي قلب سليم الى جنة النعيم (كذب قوم فوح المرسلين) القوم
بذكرهم يؤثرت قيسل وله فوح في زمن آدم عليه السلام ونظير قوله المرسلين والمراد فوح عليه السلام قوله فلا يركب الدواب ابليس البرود

وماله الادابة أو برد أو كانوا يشكرون بعث الرسل أملا فلذا جاع أولان من كذب واحد منهم فقد كذب الكل لان كل رسول يدعو الناس الى الإيمان بجميع الرسل وكذا جميع ما في هذه السورة (اذ قال لهم أخوهم) نسبنا لادينا (نوح) ألا تتقون (حاشا لانهم فتنوا عبادة الاصنام (انى لكم رسول أمين) كان مشهورا بالامانة فيهم كعبد عليه الصلاة والسلام في قريش (فاتقوا الله وأطيعوا) فيها أمرهم به وادعواكم اليه من الحق (وما أسألكم عليه) على هذا الامر (من أجر) جزاء (ان أجرى) بالقض مدنى رشامى وأبو عمرو وحفص (الاعلى رب العالمين) فذلك أريد (فاتقوا الله وأطيعوا) كره ليقدره في نفوسهم مع تولى كل واحد منهم ما بعلة فله الاول كونه أمينا فيما بينه وعلة الثاني حسبه طمعه منهم كانه قال اذا عرفتم رسالتى وأمانتى فأنفوا ثم اذا عرفتم احترأى من الاجر فأتوا الله (قالوا أنؤمن لك واتبعك) الواو للحال وقد مضى بعد هاديله قراة فاقوب وأنبا على جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كطل وإبطال (الارذلون) السفلة والرزالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لانصاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات (٣٨٥) الذينة والصناعة لا تدرى بالديانة

فانفى غنى الدين والنسب
نسب المتقوى ولا يجوز ان
يسمى المؤمن رذلا لان كان
أفقر الناس وأودهم نسبا
وما زالت اتباع الانبياء كذلك
(قال وما علمى) رأى شئ
أعلم (بما كانوا يعملون)
من الصناعات انما أطلب
منهم الإيمان وقيل انهم
طعنوا على استرذالهم في
إيمانهم وقالوا ان الذين
آمنا وان ليس في قلوبهم
ما يظهر منه فقال ما على
الاعتبار الظواهر دون
التفتيش عن السرائر (ان
حسابهم الا على ربى لو
تشعرون) ان الله تعالى
يحاسبهم على ما في قلوبهم (وما
أنا بطارد المؤمنين) أى ليس
من شأنى ان أتبع شهواتكم
بطرد المؤمنين طمعا فى
إيمانكم (ان أنا الانذير مبين)

قوية فان قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقى القصص قلت لان دين الرسل واحد
وان الاخر منهم جاء عابجا به الاول فن كذب واحدا من الانبياء فقد كذب جميعهم (اذ قال لهم أخوهم
نوح) أى أخوهم فى النسب لافى الدين (ألا تتقون) أى ألا تخافون فتنوا كوا الكفر والمهمل (انى لكم
رسول أمين) أى على الوحى وكان معروفا عندهم بالامانة (فاتقوا الله) أى بطاعته وعبادته (وأطيعوا)
أى فيما أمرتكم به من الإيمان والتوحيد (وما أسألكم عليه من أجر) أى من جعل جزاء (ان أجرى)
أى ثوابى (الاعلى رب العالمين فاتقوا الله وأطيعوا) قيل كره ليقدره عليهم ويقدره في نفوسهم
وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول ألا تتقون الله في مخالفتى وأنا رسول الله ومعنى الثاني ألا تتقون الله في
مخالفتى وانى استأخذ منكم أجرا (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) أى السفلة قال ابن عباس يعنى
الفاقة وقيل هم الحماكة والاسا كفة (قال) يعنى نوحا (وما علمى عما كانوا يعملون) أى رما أعلم أعمالهم
وسناتهم وليس على من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شئ انما كلفت ان أدعوهم الى الله تعالى وما لى الا
ظواهر أمرهم وقال الزجاج الصناعات لا تنصرف في الديانات وقيل معناه انى لم أعلم ان الله يحاسبهم ويضلهم
ويوفقهم ويخذلهم (ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون) أى لو تعلمون ذلك ما عرفتهم بصناعاتهم (وما
أنا بطارد المؤمنين) أى عنى وقد آمنوا (ان أنا الانذير مبين) معناه أخوف من كذبتى فمن آمن فهو
الغريب منى ومن لم يؤمن فهو البعيد عنى (قالوا لئن لم تنته يا نوح) أى عما تقول (تكونن من المرحومين)
أى من المقتولين بالجحارة وهو أسوأ القتل وقيل من المستؤمنين (قال رب ان قومى كاذبون فافتح) أى احكم
(ببنى وبينهم فها) أى حكما (وتجنى ومن معى من المؤمنين فانجينا ومن معه فى الفلك المشحون) أى الموقر
المملوء من الناس والطير والحيوان (ثم أغرقنا بعد الباقين) أى بعد النجاة نوح ومن معه (ان فى ذلك لآية
لما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) قوله تعالى كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم
أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين) أى أمين على الرسالة فكيف تنهوننى اليوم (فاتقوا الله
وأطيعوا) وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين أتبنون بكل ريع (قال ابن عباس أى
بكل شرف وفى رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل المسكن المرتفع (آية) أى علامة

(٤٩ - خازن ثالث) ما على الا ان اذكركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذى يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشأنكم
(قالوا لئن لم تنته يا نوح) عما تقول (تكونن من المرحومين) من المقتولين بالجحارة (قال رب ان قومى كاذبون) ليس هذا اخبارا بالكذب
لعله ان عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد انهم كاذبون فى حديثهم ورسالتهم (فاتفتح بنى وبينهم فها) أى فاحكم بينى وبينهم حكما والفتاحة
الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما معنى فيصلا لانه يفصل بين الخصومات (وتجنى ومن معى) معنى حفص (من المؤمنين)
من عذاب عهدهم (فانجينا ومن معه فى الفلك المشحون) وجمعه فلك فالواحد وزن قفل والجمع وزن أسد (المشحون) المملوء
ومنه شخصه البلاد الذى عاؤم كفاية (ثم أغرقنا بعد) أى بعد النجاة نوح ومن آمن (الباقين) من قومه (ان فى ذلك لآية وما كان
أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز) المنتقم باهانة من جحدوا من (الرحيم) المنعم باعانة من وحدوا قرا (كذبت عاد المرسلين) هى
قبيلة وفى الاصل اسم رجل هو أبو القحيلة (اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله) فى تكذيب الرسل الامين
(وأطيعوا) وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين أتبنون بكل ريع (آية) لبرج حمام أو بناء يكون

لارتفاعه كالأعلامه يسفرون عن مرهم (تعبثون) تلعبون (وتتخذون مصانع) ما اتخذ الماء أو قصوراً مشيدة أو حصوناً (لعلكم تتخلدون) ترجون الخلود في الدنيا (وإذا بطشتم) أخذتم أخذ العقوبة (بطشتم جبارين) قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب (فاتقوا الله) في البطش (واطيعون) فيما ادعواكم إليه (واتقوا الذي امدكم بما تعلمون) من النعم ثم عددها عليهم فقال (امدكم بأنعام وبنين) قرن البنين بالانعام لانهم يعينونهم على حفظها والقيام عليها (وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ان عصيتوني (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أى لا نقبل كلامك ودعوتك وعظمت أم سكنت ولم يقل أم لم تعظ لرؤس الآتى (ان هذا الاخلق الاولين) ما هذا الذى نحن عليه من الحياة والموت واتخاذ الابناء الاعادة الاولين أو ما نحن عليه دين الاولين الاخلق الاولين مكى وبصرى ويزيد (٣٨٦) وعلى أى ما جئت به اختلاق الاولين وكذب المتنبيين قبلك كقولهم أساطير الاولين

وهى العلم (تعبثون) أى من مر بالظرب والمعنى انهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليدبر فواعلى المسارة والسابله فيسخر وامتهم ويعبثوا بهم وقيل انهم بنوا برج الحمام فانكسر عليهم هو بالتخاذل ومعنى تعبثون تلعبون بالحمام (وتتخذون مصانع) قال ابن عباس أبنية وقيل قصوراً مشيدة وحصوناً مانعة وقيل ما اتخذ الماء يعنى الحياض (لعلكم تتخلدون) أى كانتكم تبقون فيها خالدين لا تموتون (وإذا بطشتم) أى وإذا أخذتم وسطوتهم (بطشتم جبارين) أى قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط والجبار الذى يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم في وصف البشر (فاتقوا الله واطيعون) فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف والفاخر (واتقوا الذى امدكم بما تعلمون) أى اعطاكم من الخبر ما تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم فقال (امدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) فيه التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم (انى أخاف عليكم) قال ابن عباس ان عصيتوني (عذاب يوم عظيم) فكان جوابهم أن (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أى انهم أظهر واقعة أكثر انهم بكلامه واستخفوا فهم بما أوردته من الموعظ والوعظ كلام بلين القلب بذكر الوعد والوعيد (ان هذا الاخلق الاولين) قرئ بفتح الخاء أى اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ خلق بضم الخاء واللام أى عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقولهم (وما نحن بعذبين) أى انهم أظهر واقعة بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد (فكذبوه فاهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهُم العزيز الرحيم) قوله تعالى (كذبت عود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تنقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتركون) انكار لان يتركوا خالدين في نعيمهم لا يزالون عنه (فيما هم) فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم (آمنين) من العذاب والزوال والموت ثم فسره بقوله (في جنات وعيون) وهذا أيضاً اجمال ثم تفصيل (وزروع ونخل) وعطف نخل على جنات مع ان الجنة

أول خلقنا تتلقى الاولين عود ونحيا كما حيوا (وما نحن بعذبين) فى الدنيا ولا بعث ولا حساب (فكذبوه) أى هودا (فاهلكناهم) برح صر صر عاتية (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهُم العزيز الرحيم كذبت عود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تنقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتركون) انكار لان يتركوا خالدين في نعيمهم لا يزالون عنه (فيما هم) فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم (آمنين) من العذاب والزوال والموت ثم فسره بقوله (في جنات وعيون) وهذا أيضاً اجمال ثم تفصيل (وزروع ونخل) وعطف نخل على جنات مع ان الجنة

هذه

ابن

تتناول النخل اول شئ ثم تفصيل النخل على سائر الشجر (طلعها) هو ما يخرج من النخل كنصل السيف (هضم) ابن اضيح كانه قال ونخل قد اربط غره (وتتعبثون) تنقبون (من الجبال بيوتاً فارهين) شامى وكوفى حاذقين حال وغيرهم فرهين اشربن والفره الكيس والنشاط (فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) الكافرين أو التسعة الذين عقروا الناقة جعل الامر مطاعاً على الهماز الحكيم والمراد الاشر وهو كل جلة أخرجت الحكم المفادهم عن موضوعه فى العقل لضرب من التأول كقولهم انبت الربيع البقل (الذين يفسدون فى الارض) بالظلم والكفر (ولا يصالحون) بالايان والعدل والمعنى ان فسادهم معصية ليس معه شئ من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح (قالوا انما أنت من المسحورين) المسحور الذى سحر كثير حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرنة وانه بشر (ما أنت الا بشر مثلهن فات بآية ان كنت من الصادقين) فى دعوى الرسالة (قال

أوفوا الكيل) أقوه (ولا تكونوا من الخسرين) ولا تنقصوا الناس حقوقهم فالكيل واف وهو مأثور به وطفيف وهو منهي عنه وزائد وهو مسكوت عنه فتركة دليل على أنه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعل فلا شيء عليه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) وبكسر القاف كوفي غير أبي بكر وهي الميزان أو القبان فان كان من انفسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلا والاف ورباعي (ولا تبخسوا الناس) يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه (أشياءهم) دراهمهم ودنانيرهم يقطع أطرافهم (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) ولا تبخسوا فيها في الانساد نحو قطع الطريق والقارة واهلاك الزروع وكافوا بفسعلون ذلك فنهوا عنه يقال عثا في الأرض اذا أفسد وعثى في الأرض لغة في عثا واثقوا الذي خلقكم والجبلة) الجبلة عطف على كم أي اتقوا الذي خلقكم وخلق الجبلة (الاولين) الماضين (قالوا انما أنت من المسعرين وما أنت الا بشر مثنا) ادخال الواو هنا ليفيد معنيين كلاهما منافى الرسالة عندهم التسخير والبشرية وتركها في قصة عقود ليفيد معنى واحدا وهو كونه مسعرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم (وان تظن لمن الكاذبين) ان مخففة من التثنية واللام دخلت للفرق بينهما وبين النافية وانما تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه (٣٨٨) لان أصلهما ان يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك ان زيد المطلق فلما كان بابا كان وطلعت

من جنس باب المبتدأ والخبر
فعل ذلك في البابين ف قيل
ان كان زيد لمنطلقا وان
طلعت لمنطلقا (فأسقط علينا
كسفا) كسفا كسفا وحما
جعا كسفة وهي القطعة
وكسفه قطعه (من السماء)
أي السحاب أو الظلة (ان
كنت من الصادقين) أي
ان كنت صادقا ان النبي قاذع
الله أن يسقط علينا كسفا
من السماء أي قطعا من
السماء عقوبة (قال رب)
يقض اليها حجازي وأبو عمرو
وبكونها غيرهم (أعلم بما
تعملون) أي ان الله أعلم
بأعمالكم وبما تستحقون
عليها من العذاب فان
أراد أن يعاقبكم بأسقاط
كسف من السماء فعل وان
أراد هطابا آخر فالبه الحكيم

حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته والاخلص في العبادة والامتناع من
اخذ الاجر على تبليغ الرسالة (أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين) أي الناقصين لحقوق الناس في
الكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس) أي بالميزان العدل (المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا
في الأرض مفسدين واثقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين) يعني الخلقية والامم المتقدمة (قالوا انما أنت
من المسعرين وما أنت الا بشر مثنا) ان تظن لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا) أي قطعا (من السماء
ان كنت من الصادقين قال رب اعلم بما تعملون) أي من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم بأعمالكم
وليس العذاب الى وما على الادعوة والتبليغ (فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم
عظيم) وذلك أنهم سمعوا حشد يد فكافوا يدخلون الاسراب فيجدونها أحر من ذلك فيخرجون فاطلمهم
سحابه فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا (ان في ذلك لآية لربما كان أكثرهم مؤمنين
وان ربنا له العزيز الرحيم) وقد تقدم الكلام على هذه القصص في سورة الاعراف وهو قد غنى عن
الاعادة هنا والله أعلم بمراده (وقوله عز وجل (وانه) يعني القرآن (لتنزيل رب العالمين) يعني ان
فيه من اخبار الامم الماضية ما يدل على انه من رب العالمين (تنزل به الروح الامين) يعني جبريل عليه
السلام سمع روحا لانه خلق من الروح وسماء أمينا لانه مؤمن على وحيد لا نبي بعده (على قلبك) يعني على
قلبك حتى نعيمه وتفهمه ولا تنساه وانما خص القلب لانه هو الخاطب في الحقيقة وانه موضع التمييز
والعقل والاختيار وسائر الاعضاء مسخرة له ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم الاوان في الجسد
مضخة اذا صلت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب أخرجاه في الصحيحين ومن
المعقول ان موضع الفرح والسرور والغم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب أو حزن يتغير حال سائر
الاعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فاذا ثبت
ذلك كان القلب هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف مشروط بالعقل والفهم (وقوله تعالى
(تسكون من المنذرين) أي المخوفين (بلسان عربي مبين) قال ابن عباس بلان قر يشايفهم وما فيه

والمشيئة (فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة) هي سحابة اظلمت بعد ما حبست عنهم
الريح وعذبوا بالحرسعة أيام فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا (انه كان عذاب يوم عظيم ان في
ذلك لآية لربما كان أكثرهم مؤمنين وان ربنا له العزيز الرحيم) وقد كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرتقريرا لمعانيها
في الصدور ليكون أبلغ في الرظة والزجر ولان كل قصة منها كتزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غير هاتيك كانت حادثة بان تفتح
بما اقتضت به صاحبها وان تحتهم بما اختتمت به (وانه) أي القرآت (لتنزيل رب العالمين) منزل منه (تنزل به) مخفف والفاعل (الروح الامين)
أي جبريل لانه أمين على الوحي الذي فيه الحياة حجازي وأبو عمرو وزيد وحفص وغيرهم يأنشدون نصب الروح والفاعل هو الله تعالى
أي جعل الله الروح نازلا به والباء على القرأتين للتعدي (على قلبك) أي حفظكم وفهمكم لآياته وأنبأته في قلبك انبات ما لا ينسى كقوله
سنقرن فلا تنسى (تسكون من المنذرين بلسان عربي) بلغه قرش وجرهم (مبين) فصيح ومصحح عما صحفته العامة والباء اما ان يتعلق
بالمندرين أي تسكون من الذين أنذروهم باللسان وهم هود وصالح وشيب واهليلج عليهم السلام أو ينزل أي تنزل بلسان عربي أنيذر

به لانه لو نزل به لسان اجمعى لتجاووا عنه أصلاً وإلّا قالوا ما صنع بما لا تفهمه فيتم مذر الانذار به وفي هذا الوجه ان نزل به بالعربية التي هي
 لسان رسل قومك تنزل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اجمعياً لكان نازلاً على سمع دون قلبك لان سمع أجراس
 حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات فإذا كلم بلغته التي أنشأ عليها لم يكن قلبه ناظراً الى معنى الكلام وان
 كلم بغيرها كان نظره أولاً في ألفاظها ثم في معانيها وان كان ما عرّاه عرفاً فهو انما نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين (وانه)
 وان القرآن (الذي نزل الاولين) يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وفيه دليل على ان القرآن قرآن اذا ترجم
 بغير العربية فيكون دليلاً على جوارق قرآنة القرآن بالفارسية في الصلاة (أولئك هم آية) تناسخ جعلت آية اسم كان وخبره (ان يعلمه)
 أي القرآن لوجود ذكره في التوراة وقيل في يكن ضمير القصص وآية خبر مقدم والمبتدأ أن يعلمه والجملة خبر كان وقيل كان تامة وانما على
 آية وان يعلمه بدل منها أو خبر مبتدأ محذوف أي أولم تحمّل آية وغيره يمكن بالذبح كبريآة بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم
 ونفخه أولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل آية (علموا بني اسرائيل) كعبدة الله بن سلام وغيره قال الله تعالى وإذا نزل علينا من السماء فانه
 الحق من ربنا انما كان قلبه مسلياً وخط في المحصف علموا ابو ارفيل الالف (ولو نزلنا على بعض الاعجميين) جمع اجمع وهو الذي لا يفصح
 وكذلك الاعجمي الان فيه زيادة في النسبة زيادة تأكيد ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كذا ما قالوا له اجمعى واعمى
 شهوده عن لا يفصح ولا بين والعمى الذي من جنس الجعم أفصح أولم يفصح (٣٨٩) وقرأ الحسن الاعجميين وقيل الاعجميين مخففة

الاعجميين كما قالوا الاشعرون
 أي الاشعرون محذوف بابه
 النسبة ولولا هذا التقدير
 لم يحزان بجمع جمع السلامة
 لان مؤنثه عجماء (فقرأه)
 عليهم ما كانوا يسمعون
 والمعنى انما انزلنا القرآن
 على رجل عربي مبين ففهموه
 وعرفوا فصاحته وانه مجز
 وانضم الى ذلك اتفاق علماء
 أهل الكتاب قبله على ان
 البشارة بانزاله وصفته في
 كتبهم وقد تضمنت معانيه
 وفصصه وصح بذلك انهم امن
 عند الله وليست باسطيركا

(وانه) يعني القرآن وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعنه (الذي نزل الاولين) أي كتب الاولين
 (أولئك هم آية) يعني أولم يكن لهم ولا المتكبرين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (أن
 يعلمه) يعني يعلم محمد صلى الله عليه وسلم (علموا بني اسرائيل) قال ابن عباس بعث أهل مكة الى اليهود وهم
 بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا زمانه وانما نجد في التوراة نعنه وصفته فكان
 ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين ومطبعة وأسود وأسيد
 قوله تعالى (ولو نزلناهم) يعني القرآن (على بعض الاعجميين) جمع اجمع وهو الذي لا يفصح ولا يحسن
 العربية وان كان عربي في الفصحى ومعنى الآية لو أنزل القرآن على رجل ليس بعربي لسان (فقرأه)
 عليهم) يعني القرآن (ما كانوا يسمعون) أي قالوا لا نفقه قولك وقيل معناه ما آمنوا به أنفسه من اتباع
 من ليس من العرب (كذلك سلكناه) قال ابن عباس يعني أدخلنا الشركاء والتكذيب (في قلوب المجرمين
 لا يؤمنون به) أي القرآن (حتى روا العذاب الاليم فيأتهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا اهل نحن
 منظرون) أي لاؤمن ونصدق ونحو الرجة ولا رجعة لهم (أفعدنا بنات يستجولون) قيل لما وعدهم النبي
 صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى نؤعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب فانزل الله أفعدنا بنات يستجولون
 (أفأريت ان متعناهم سنين) أي كفار مكة في الدنيا لم نهلكهم (ثم جاءهم ما كانوا وعدون) يعني العذاب
 (ما أغنى عنهم ما كانوا يعتدون) أي في تلك السنين الكثيرة والمعنى انهم وان طال عنهم نعيم الدنيا

زعموا فلم يؤمنوا به وشعرا نارة وصعراً أخرى وقالوا هذا من افتراء محمد عليه الصلاة والسلام ولو نزلناهم على بعض الاعجم الذين لا يحسن
 العربية فقل لان يقدروا على طم مثله فقرأه عليهم هكذا معجز الكفروا به كما كفروا ولعمروا لولا الجودهم عندنا واسمهم شعرا ثم قال (كذلك
 سلكناه) أي أدخلنا التكذيب أو الكفر وهو مدلول قوله ما كانوا يسمعون (في قلوب المجرمين) الكفار من الذين علمنا منهم اختيار
 الكفر والاصرار عليه يعني مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وقرروا فيه أفكيد فما فعل بهم وعلى أي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان
 يتغير واعمالهم عليه من الكفر به والتكذيب له كما قال ولو نزلناهم على كتابي قرطاس فليسوا يديهم فقال الذين كفروا ان هذا الانصر
 مبين وهو محتال على المعتزلة في خلق افعال العباد خيرها وشرها وموقع قوله (لا يؤمنون به) بالقرآن من قوله سلكناه في قلوب المجرمين
 موقع الموضع والمخلص لانه مسوق لثبات كونه مكذبا مجموعا في قلوبهم فاتباع ما يقره هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به
 ومجوده حتى يعاينوا الوعيد ويحوزان يكون حال أي سلكناه فيها غير مؤمن به (حتى روا العذاب الاليم) المراد معاناة الموت عند
 الموت ويكون ذلك ايما يأس فلا ينفعهم (فيأتهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بانباته (فيقولوا) وفيأتهم معطوفان على روا (هل نحن
 منظرون) يسألون النظر والامهال طرفه عين فلا يجابون اليها (أفعدنا بنات يستجولون) فويغ لهم وانكار عليهم قولهم فأمطر علينا حجارة
 من السماء أو أئتنا بعذاب اليم ونحو ذلك قال يحيى بن معاذ أشد الناس غفلة من اغتر بعبادته والتدبر ادانه وسكن الى ما أوفاه الله تعالى
 يقول (أفأريت ان متعناهم سنين) قبل هي سنو مدة الدنيا (ثم جاءهم ما كانوا وعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يعتدون)

به في تلك السنين والمعنى ان استجبالهم بالعباد انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم محتعون بأعمالهم والى في سلامة
 وأمن فقال الله تعالى أفعذوا بآياتي استجلبوا أشراو بطرا واستهزأوا بكالا على الأمل الطويل ثم قال هب ان الامر لك ابعثك دون من تتبعهم
 وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما يشعهم حينئذ ماضى من طول أعمالهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن
 في الطواف وكان يتحنن لقاءه فقال له عظمي (٣٩٠) فلم يزد على تلاوة هذه الآية فقال ميمون قد وعظت فأبلغت وعن عمر بن

عبد العزيز انه كان يقرؤها عند جلوسه للحكم (وما أهلكنا من قرية الا لاهلها منذرون) رسل يندرونهم ولم تدخل الواعى على الجلة بعد الا كفى وما أهلكنا من قرية الا لاهلها كتاب معلوم لان الاصل عدم الواواذ الجلة صفة لقرية واذا زدت فتأ كبد وصل الصفة بالموصوف (ذكرى) منصوبه بمعنى تذكرة لان أنذروا ذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة أو حال من الضمير في منذرون أى يندرونهم ذوى تذكرة أو مفعول له أى يندرون لاجل التذكرة والموعظة أو مرفوعة على انها خبرية مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو تكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين الا بعد ما ألزمناهم الجلة بارسال المندرين اليهم ليكون اهلا كهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يصحوا مثل عصيانهم (وما كنا

فاذا آتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيأ ويكونوا كاهنهم لم يكونوا في نعيم قط (وما أهلكنا من قرية الا لاهلها منذرون) أى رسل يندرونهم (ذكرى) أى تذكرة (وما كنا ظالمين) أى في تعذيبهم حيث قد مننا الجلة عليهم (وما نزلت به الشياطين) يعنى ان المشركين كانوا يقولون ان الشياطين ينزلون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك (وما ينبغي لهم) أن ينزلوا بالقرآن (وما يستطيعون) أى ذلك ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك فقال (انهم عن السمع لم عزولون) أى محجوبون بالرمى بالشبه فلا يصحون الى استراق السمع (فلا تدع مع الله الها الاخر فتكون من المعذبين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذره غيره يقول أنت أكرم الخلق على ولوا اتخذت الها غيره لعذبتك قوله تعالى (وانذر عشيرتلك الاقربين) روى محمد بن اسحق بسنده عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا علي ان الله أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين فضقت بذلك ذراعا وعرفت انى متى أباديهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره فصمت عليهم حتى جاءني جبريل فقال يا محمد ان لا تقول ما تؤمر به بذكر ربك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل شاة واملا لنا عسا من ابن ثم اجعل لى بنى عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وكانوا يومئذ نحو أربعين رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعماهم أبو طالب وحزرة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذى صنعت فحمت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشققها بأسنانه ثم ألقاها في فواحي الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فأكل القوم حتى مالتهم بشئ من حاجة وإيم الله ان كان الرجل الواحد ليأكل كل مثل ما قدمت لجمعهم ثم قال اسق القوم فحمتهم بذلك العس فشرىوا حتى رروا جميعا وإيم الله ان كان الرجل الواحد يشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدينه أبو لهب فقال سمعكم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغديا على فان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القول فتفرق القوم قسبل أن أكلهم فاعدت لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجتمعهم ففعلت ثم جعلتهم ثم دعاني بالطعام فقررت به ففعل كما فعلت بالامس فأكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بنى عبد المطلب انى قد جئتمكم بخبرى الدنيا والاخرة وقد أمرني الله عز وجل ان أدعوكم اليه فأبكم بوازي على أمرى هذا ويكون أخى ووصى وخليفتى فيكم فأجهم القوم عنها جميعا وأنا أحدثهم سنا فقلت أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال هذا أخى ووصى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لاي طالب قد أمرك أن تسمع لهلى وتطيعه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنه ما نزلت وأنذر عشيرتلك الاقربين سعدا النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الذى لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو فغاء أبو لهب وقريش فقال أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالواوى تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقيا قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك سائر اليوم ألهذا جئتنا فنزلت تب يد أبى لهب ونسب ما أغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية قد نب وفي رواية البخارى لما نزلت وأنذر عشيرتلك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

ظالمين) فتملك قوما غير ظالمين ولما قال المشركون ان الشياطين نلقى القرآن على محمد أنزل (وما نزلت به) أى القرآن وسلم (الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون) وما يتسهل لهم ولا يقدرون عليه (انهم عن السمع لم عزولون) لم ينعون بالشبه (فلا تدع مع الله الها الاخر فتكون من المعذبين) مورد النهى لغيره على التعريض والتحريض له على زيادة الاخلاص (وانذر عشيرتلك الاقربين) خصهم لئلا التهمة اذا الانسان بساهل قرابته أو ليعلموا انه لا يغنى عنهم من الله شيأ وان التجاة في اتباعه دون قرية ولما نزلت صمد الصفا

ونادى الاقرب فالاقرب وقال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمه رسول الله انى لا اعلانكم من الله شيئا (واخفض جناحك) وأن جانبك وتواضع وأصله ان الطائر اذا أراد أن ينحط للوقوف كسر جناحه وخفضه واذا أراد أن يهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا فى التواضع واين الجانب (لمن اتبعك من المؤمنين) من عشرين وغيرهم (فان عصوك فقل انى يرى مما تعملون) يعنى أنذروكم فان اتبعوك وأطاعوك فاقض جناحك لهم وان عصوك ولم يتبعوك فقبلاً منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره (وتوكل على العزيز الرحيم) على الذى يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته يكفل شمر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من اذا دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله وقال الجنيد رضى الله عنه (٣٩١) التوكل أن تقبل بالكلمة عمادونه فان

حاجتك اليه فى الدارين
فتوكل مدنى وشامى عطف
على فقل أو فلا تدع (الذى
يراك حين تقوم) متهجدا
(وتقبلك) أى ويرى تقبلك
(فى الساجدين) فى المصلين
أتبع كونه رحيما على رسوله
ما هو من أسباب الرحمة
وهو ذكر ما كان يفعله
فى خوف الليل من قيامه
للتعبد وتقبله فى تصفح
أحوال المتعبدين من
أصحابه ليطالع عليهم من
حيث لا يشعرون وليعلم
انهم كيف يعبدون الله
وبعد ما لا يحزنهم وقيل
معناه يراك حين تقوم للصلاة
بالناس جماعة وتقبله فى
الساجدين تصرفه فيما بينهم
بقيامه وركوعه وسجوده
وقعوده اذا أمرهم وعن
مقاتل انه سأل أبا حنيفة
هل تجد الصلاة بالجماعة فى
القرآن فقال لا يحضرنى
قتاله هذه الآية (انه هو

وسلم حتى صعد المصفا فنهف يا صبا حاه فقالوا من هذا واجتمعوا اليه وذكروه (ن) عن أبي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله تعالى وأنذر عشيرتكم الاقربين قال يا معشر قريش أوكلت نخوها اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا يا صفية عمه رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت رسول الله سلمت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئا (م) عن قبيصة بنت مخارق وزهير بن عمرو قال لما نزلت وأنذر عشيرتكم الاقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى روضة جبل فعلا أعلاما حجرا ثم نادى يا بنى عبد مناف انى تدبر لكم اغنامى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فأنطلق يريد أهله فخشى أن يسبقوه فحمل يهتف يا صبا حاه ومعنى الآية ان الانسان اذا ذاب أنفسه أولا وبالأقرب فالاقرب من أهله نال ما لم يكن لاحد عليه طعم البتة وكان قوله أنفع وكلامه أن أجمع (واخفض) أى ألن (جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) فان قلت ما معنى التبعية فى قوله من المؤمنين قلت معناه لمن اتبعك من المؤمنين المصدقين بقولهم وأسلمتم دون المؤمنين بأسمائهم وهم المنافقون (فان عصوك) أى فيما تأمرهم به (فقل انى يرى مما تعملون) أى من الكفر والمخالفة (وتوكل على العزيز الرحيم) التوكل عبارة عن تفويض أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وهو الله تعالى العزيز الذى يقهر أعداءك بعزته الرحيم الذى ينصرك عليهم برحمته (الذى يراك حين تقوم) الى صلاتك وقيل يراك أينما كنت وقيل يراك حين تقوم لدعائك (وتقبلك فى الساجدين) قال ابن عباس ويرى تقبلك فى صلاتك فى حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين فى الجماعة يقول يراك اذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقبل بصرك فى المصلين فانه كان صلى الله عليه وسلم يصبر من خلفه كما يصبر من قدماه عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل نرون قبلى ههنا فقالوا لا ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم انى لاراكم من وراء ظهري وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك ومجيئك فى أصحابك المؤمنين وقيل تصرفك فى أحوالك كما كانت الانبياء من قبلك وقال ابن عباس أراد وتقبلك فى أصلاب الانبياء من نبي الى نبي حتى أخرجك فى هذه الامة (انه هو المسيح) أى لقولك ودعائك (العليم) أى بنيتك وعملك قل يا محمد (هل أتيتكم) أى أخبركم (على من تنزل الشياطين) هذا جواب لقولهم ينزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى (تنزل على كل فاك) أى كذاب (أثيم) أى فاجر وهم الكهنة وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يلقون ذلك الى أوليائهم من الانس وهو قوله تعالى (يلقون السمع) أى

المسيح) لما تقوله (العليم) بما تنويه وتعلمه هون عليه معاناة مشاق العبادات حيث أخبر برؤيته له اذ لام شفقة على من يعلم انه يعمل بما رأى مولاه وهو كقوله يعنى ما يتحمل المتعلمون من أجلى هو تنزل جوابا لقول المشركين ان الشياطين تلقى السمع على محمد صلى الله عليه وسلم (هل أتيتكم) أى هل أخبركم أيما المشركون (على من تنزل الشياطين) ثم نبأ فقال (تنزل على كل فاك أثيم) من تكب للآثام وهم الكهنة والمنتمية كسطيح وطلحة ومسلجة ومحمد صلى الله عليه وسلم يشتم الأفاكين وبزهم فكيف تنزل الشياطين عليه (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرحم يستمعون الى الملا الأعلى فيحفظون بعض ما يشكلمون به مما اطاعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى أوليائهم ويلقون حال أى تنزل ما تلقى السمع أو صفة لكل فاك لأنه فى معنى الجمع فيكون فى محل الجزاء أو استئناف فلا يكون له محل كانه قبل لم تنزل على الأفاكين فقبل يفعلون كبت وكبت

(وأكثرهم كاذبون) فيأبوحون به اليهم لا تخفونهم مالم يسمعوا وقيل يلقون الى أوليائهم السمع أي المسعوم من الملائكة وقيل
 الألفا كون يلقون السمع الى الشياطين ويلقون وحيم اليهم أو يلقون المسعوم من الشياطين الى الناس وأكثرا فأكبر كاذبون يغترون
 على الشياطين مالم يوحوا اليهم. والألفا الذي يكثر الالف ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالالف فأراد أن هؤلاء الألفا كبرياء من
 يصدق منهم فيمحيى عن الجنى (٣٩٢) وأكثروهم مفر عليه وعن الحسن وكلهم وانما فرق بين والله لتنزىل رب العالمين وما تنزلت به

الشياطين هل أنبذكم على
 من تنزل الشياطين ومن
 أتوات لأنه إذا فرق بين
 بآيات البتة فمن ثم رجع
 اليهم مرة بعد مرة دل ذلك
 على شدة العناية بهم كما
 إذا حدثت حديثا وفي
 صدرك اهتمام بشئ فتعيد
 ذكره ولا تنسى عن الرجوع
 إليه وتزل فيمن كان يقول
 الشريعة يقول نحن نقول كما
 يقول محمد صلى الله عليه
 وسلم واتبعهم غواة من
 قومهم يستعزون أشعارهم
 (والشعراء) مبتدأ خبره
 (يتبعهم) الغاؤون أي
 لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم
 وغريق الاعراض والقدح
 في الانساب وممدح من
 لا يستحق المدح ولا يستحسن
 ذلك منهم إلا الغاؤون أي
 السفهاء أو الراؤون
 أو الشياطين أو المشركون
 قال الزجاج إذا مدح أو هجا
 شاعر بما لا يكون وأحب
 ذلك قوم وتابعوه فهم
 الغاؤون يتبعهم نافع (ألم تر
 أنهم في كل واد) من الكلام
 (يهمجون) خبر أن أي في كل
 فن من الكذب يتحدون
 أرفى كل لغو وباطل يخوضون

ما يستعزون من الملائكة فيلقونه الى الكهنة (وأكثرهم كاذبون) لأنهم يخاطبون به كذبا كثيرا
 (والشعراء يتبعهم الغاؤون) قال أهل التفسير أرادوا شعراء الكفار الذين كانوا يهجون النبي صلى الله
 عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبير السهمي وهبيرة بن أبي وهب الخزومي وماسع بن عبد مناف
 وأبو عمرو بن عبد الله الجعفي وأمية بن أبي الصلت النقي تكلموا بالكذب والباطل وبالحواشي يقول
 مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يستعزون أشعارهم حين يهجون محمدا صلى الله
 عليه وسلم وأصحابه وكفوا بروون عنهم قوالهم فذللا قوله يتبعهم الغاؤون فهم الرواة الذين يروون هجاء
 المسلمين وقيل الغاؤون هم الشياطين وقيل هم السفهاء الضالون وفي رواية أن رجلا أحدهما من
 الأنصار أتاه جيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفهاء ففترت
 هذه الآية (ألم تر أنهم في كل واد) من أدوية الكلام (يهمجون) يعني حائرين وعن طريق الحق حائذين
 والهائم الذاهب على وجهه لا مقصده وقال ابن عباس في كل لغو يخوضون وقيل يمدحون بالباطل
 ويهجون بالباطل وقيل أنهم يمدحون الشيء ثم يذمون لابطالهم والحق والصدق فالوادي مثل لفنون
 الكلام والغوص في المعاني والقوافي (وأنتهم يقولون ما لا يفعلون) أي أنهم يكذبون في شعرهم وقيل أنهم
 يمدحون الجود والكرم ويحسون عليه وهم لا يفعلونه يذمون البخل ويصرون عليه ويهجون الناس
 بادنى شيء صدر منهم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينمى جوف أحدكم فيما
 حتى يريه خبره من أن ينمى شعره ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعر الكفار ويهجون
 وينافقون عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك
 فقال تعالى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) روى أن كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله
 أنزل في الشعر ما أنزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي
 بيده لكان ما رموه به نفع النمل * عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل
 مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول

سئلوا بني الكفار عن سبيله * اليوم أنصر بكم على تنزيله
 ضربا يزيل الهام عن مفيله * ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر بن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نفع النمل أخرجه الترمذي والنسائي وقال الترمذي
 وقد روى في غير هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين
 يديه وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لأن عبد الله بن رواحة قتل يوم موته وكانت عمرة القضاء بعد
 ذلك قلت الصحيح هو الأول لأن عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم موته سنة ثمان والله أعلم (ق) عن البراء
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قرظة لحسان أهج المشركين فإن جبريل معك (خ) عن عائشة
 قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبراً في المسجد فيقرم عليه فأعياها عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافع

والهائم الذاهب على وجهه لا مقصده وهو غليل لذاهبهم في كل شعب من القول واعتسافهم حتى يفضلوا أجبن الناس على
 عنزة وأجملهم على حاتم عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبين بجاني مصرعات * وبت أفض أخلاق الختام
 فقال قد وجب عليك الحد فقال قد درأ الله عنى الحد بقوله (وأنتهم يقولون ما لا يفعلون) حيث وصفهم بالكذب والخلف في الوعد * ثم استثنى
 الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك

رضى الله عنهم (وذكروا
الله كثيرا) أى كان ذكر الله
وتلاوة القرآن أغلب عليهم
من الشعر وإذا قالوا شعرا
قالوه فى توحيد الله تعالى
والثناء عليه والحكمة
والموعظة والزهد والادب
ومدح رسول الله والعبادة
وصالحات الأمة ونحو ذلك مما
ليس فيه ذنب وقال أبو يزيد
الذكر الكثير ليس بأبعد
والغفلة لكنه بالحضور
(وانصروا) وهجوا (من
بعد ما ظلموا) هجوا أى ردوا
هجاء من هجأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم
والمسلمين وأحق الخلق بالهجاء
من كذب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهجاء وعن
كعب بن مالك أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له
اهجهم فوالذى نفسى بيده
لهو أشد عليهم من النبيل
وكان يقول لحسان قل وروح
القدس معك وختم السورة
بما قطع أكباد المتدبرين
وهو قوله (وسيعلم) وما فيه
من الوعيد المبلغ وقوله
(الذين ظلموا) وإطلاقة
رقوله (أى منقلب ينقلبون)
وايمانه وقوله لاها أبو بكر
لعمر رضى الله تعالى عنه
حين عهد إليه وكان السلف
يتواعظون بها قال ابن
عطاء الله عليه السلام
ما الذى فاته منا وأى منصوب
ينقلبون على المصدر
لا يعلم لأن أسماء الاستفهام
لا تلحق فيها ما قبلها أى
ينقلبون أى الانقلاب

أوفاء عن رسول الله (م) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا فريشاً فإنه أشد عليهم
من رشق النبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال اهجهم فهجواهم فلم يرض فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى
حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذيته ثم ادلع
لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعث بالحق لا فريشهم بلساني فرى الأديم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تجعل فان أبابكر أعلم فريش بأسيابها وإن لي فيهم نسباً حتى يلخص لك أسبى فاتاه حسان ثم رجع فقال
يا رسول الله قد خلص لي نسبتي والذي بعث بالحق نبيا لا سلكت منهم كاتل الشجرة من العجين قالت عائشة
فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما ناخفت عن الله
ورسوله قامت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجواهم حسان فشتي واشتقي فقال حسان

هيجوت محمد فأجبت عنه * وعند الله في ذلك الجزء
هيجوت محمد أبا نقيا * رسول الله شيمته الوفاء
فان أبى ووالدى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء
نكلت بنيتى ان لم تروها * تدير القمع من طرفي كداء
يبايرن الا عنه مصعدات * على أكتافها الاسل الظماء
تظلل جيا دنا مطرات * تاطمهن بالبحر النساء
فان أعرضتم عنا عترونا * وكان الفتح وانكشف الغطاء
والافاصير والضراب يوم * يعز الله فيسه من يشاء
وقال الله قد أرسلت عبدا * يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا * هم الانصار عرضها اللقاء
لنا في كل يوم من معد * سباب أوقات أروها
فن يهجو رسول الله منكم * ويمسح به وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء

(فصل فى مدح الشعر) (خ) عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر
الحكمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام
فقال ان من البيان سحر وان من الشعر حكمة أخرجه أبو داود (م) عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال
ردفت وراء النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعرا فمى بن أبي الصلت شئ قلت نعم قال هيه
فأشده بيثا فقال هيه ثم أشده بيثا قال هيه حتى أشده ثمانمائة بيت زاد في رواية لقد كاد يسلم في شعره
* عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أحسن ما به يتناشدون
الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ما كنت ورجاء تبسم معهم أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح وقالت عائشة الشعر كلام فنه حسن ومنه قبيح فخذ منه الحسن ودع منه القبيح وقال الشعبي
كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر منهما وروى عن ابن عباس انه كان ينشد
الشعر ويستنشد في المسجد فيروى انه دعا عمر بن ربيعة المخزومي فاستنشد القصيدة التي قالها فقال

أمن آل نعمى أنت غاد فبكر * غداة غدا أم راح فمهمجر
فأشده القصيدة الى آخرها وهي فرب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان
حفظها بعبارة واحدة قوله تعالى (وذكروا الله كثيرا) أى لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله (وانتصروا من
بعد ما ظلموا) أى انتصروا من المشركين لأنهم بدؤوا بالهجاء ثم أوعدهمراء المشركين فقال تعالى (وسيعلم
الذين ظلموا) أى اثمركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر المطهر من الهجاء (أى منقلب
ينقلبون) أى أى مرجع يرجعون اليه بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم وبئس المصير والله أعلم بمراده

سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) أي وآيات كتاب مبين وتلك إشارة إلى آيات السورة والكتاب المبين اللوح وآياته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو بين الناظرين فيه آياته أو القرآن وآياته أنه بين ما أودع فيه من العلوم والحكم وعلى هذا عطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى فهو هذا فعل السخى والجواد ونسب الكتاب ليكون أنخم له وقيل أنما تذكر الكتاب هنا وعرفه في الجور وعرف القرآن هنا ونسبته ثم لأن القرآن والكتاب اسمان علما للأنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ووصفان له لأنه يقرأ أو يكتب حيث جاء بالفظ المتعريف فهو العلم لم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف (هدى وبشرى) في محل النصب على الحال من آيات أي هداية وبشارة فالعامل فيهما في تلك من معنى الإشارة أو الجرح على أنه بدل من كتاب أو صفة له أو الرفع على هي هدى وبشرى أو على البديل من آيات أو على أن يكون خبرا بعد خبر تلك أي تلك آيات وهادية من الضلالة ومبشرة بالجنة وقيل هدى لجميع الخلق وبشرى (للمؤمنين) خاصة (الذين يقيمون الصلوة) يدعون على فراضها وسننها (ويؤتون الزكاة) يؤدونها زكاة أموالهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده وهو استئناف كأنه قيل هؤلاء الذين يؤمنون ويعملون (٣٩٤) الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة ويدل عليه أنه عقد

وأمرار كتابه

﴿تفسير سورة النمل ٣ وهي مائتان وثلاثون وست آيات وألف وثلثمائة وسبع عشرة كلمة وأربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ *

﴿قوله عز وجل﴾ (طس تلك آيات القرآن) أي هذه آيات القرآن (وكتاب مبين) أي وآيات كتاب مبين (هدى وبشرى للمؤمنين) أي هو هدى من الضلالة وبشرى لهم بالجنة (الذين يقيمون الصلوة) أي الخمس بشرائطها (ويؤتون الزكاة) إذا وجبت عليهم طيبة بها أنفسهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) يعني أن هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة (الذين لا يؤمنون بالآخرة زينة لهم أعمالهم) أي القبيحة حتى رأوها حسنة وقيل إن التزيين هو أن يخلق الله العلم في القلب بما فيه المنافع والذات ولا يخلق العلم بما فيه المضار والآفات (فهم يجهلون) أي يترددون فيها متحيرين (أولئك الذين لهم سوء العذاب) أي أشده وهو القتل والأسر (وهم في الآخرة هم الآخسرون) أي أنهم خسروا أنفسهم وأهليهم وساروا إلى النار ﴿قوله تعالى﴾ (وانك لتلقى القرآن) أي تؤتاه وتلقنه وحيا (من لدن حكيم عليم) أي حكيم عليم بما أنزل إليه فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم قلت الحكمة هي العلم بالأمور العلية فقط والعلم أعم منه لأن العلم قد يكون علما وقد يكون ظهرا والعلوم النظرية أشرف (اذ قال) أي وأذكريا محمد اذ قال (موسى لاهله) أي في مسيره بأهله من مدين إلى مصر (اني آتيت) أي أبصرت (نارا) ساءتكم منها يخبر) أي أمكنوا مكانكم ساءتكم بخبر عن الطريق وقد كان ضل عن الطريق (أو آتاكم شهاب قيس) الشهاب شعلة النار والقيس النار المقبوسة منها وقيل القيس هو العود الذي في أحد طرفيه

جمله اسمية وكررها
المبتدأ الذي هو هم حتى
صار معناها وما يوقن
بالآخرة حتى الايقان الا
هؤلاء الجامعون بين الايمان
والعمل الصالح لان خوف
العاقبة يحملههم على تحمل
المشاق (ان الذين لا يؤمنون
بالآخرة زينة لهم أعمالهم)
بخلق الشهوة حتى رأوا
ذلك حسنا كما قال أفن زين
له سوء عمله فراء حسنا
(فهم يجهلون) يترددون
في ضلالتهم كما يكون حال
الضال عن الطريق (أولئك
الذين لهم سوء العذاب)
القتل والأسر يوم بدر بما
كان منهم من سوء الأعمال

نار

(وهم في الآخرة هم الآخسرون) أشد الناس خسرا نالا لهم لو آمنوا بالكافوا من الشهاد على جميع

الاعم فحسرا واذلك مع خسرا ن التوبة وثواب الله (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه وتلقنه (من لدن حكيم عليم) من عند أي حكيم وأي عليم وهذا معنى تنكيرهما وهذه الآية بساط وتهدى لما يريد أن يسوق بعدهما من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (اذ) منصوب بأذ كركانه قال علي ان ذلك خذ من آتار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام (قال موسى لاهله) لزوجه ومن معه عند مسيره من مدين إلى مصر أمكنوا (اني آتيت) أبصرت (نارا ساءتكم منها يخبر) عن حال الطريق لأنه كان قد ضله (أو آتاكم شهاب) بالنون كوفي أي شعلة مضيئة (قيس) نار مقبوسة بدل أو صفة وغيرهم بشهاب قيس على الاضافة لأنه يكون قيسا وغير قيس ولا تدفع بين قوله ساءتكم هنا وعلى آتاكم في القصص مع أن أحدهما زج والآخر يققن لأن الراجي إذا قوى رجاءه يقول سأفعل كذا أو سيكون كذا مع تجويزه الخيبة وجيئته بسين التسوية وعدة لاهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ أو كانت المسافة بعيدة وبأولاه بني الرجاء على أنه لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منها إما هداية الطريق وإما اقتباس النار ولم يدركه ظاهرا على النار بحاجتيه الكليتين وهما عز الدينار والآخرة واختلاف الانفاط في هاتين السورتين والقصصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز التسكاح بغير لفظ قوله وهي مائتان الخ كذا بالاصول التي بأيدينا وهو مخالف لما في الكشاف والخطيب والنسفي اه

المرزوق (اعلمكم تصطلحون) تستدفون بالنار من البرد الذي أصابكم والطاء بدل من تاء افتعل لاجل الصاد (فلما جاءها) أي النار التي أبصرها
(نودي) موسى (أن يورك) محققة من الثقيلة وتقديره نودي بأنه يورك والضمير ضمير الشأن وجاز ذلك من غير عوض وإن منه الزخشي
لأن قوله يورك دعاء والدعاء يخاف غيره في أحكام كثيرة أو مفسرة لأن في النداء معنى القول أي قيل له يورك أي قدس أو جعل فيه البركة
والخير (من في النار ومن حولها) أي يورك من في مكان النار وهم الملائكة ومن حول (٣٩٥) مكانها أي موسى لحدوث أمر ديني

فيها وهو تكليم الله موسى
واسـتـبـاؤه له واظهار
المجرات عليه (وسبحان
الله رب العالمين) هو من
جمله ما نودي فقد نزه ذاته
عما لا يليق به من التشبيه
وغیره (يا موسى انه أنا الله
العزير الحكيم) الضمير في
انه للشأن والشأن أنا الله
مبتدأ وخبر والعزير الحكيم
صفتان للتعبير أو يرجع الى
مادل عليه ما قبله أي ان
مكلمك أنا الله بيان لانا
والعزير الحكيم صفتان
للمؤمنين وهو غيـد لما
أراد أن يظهر على يده من
المجرات (وأتق عصاك)
تعلم مجزئك فتأنس بها
وهو عطف على يورك لأن
المعنى نودي أن يورك من
في النار وأن أتق عصاك
كلاماً تفسـر لنودي
والمعنى قيل له يورك من في
النار وقيل له أتق عصاك
وبدل عليه ما ذكر في سورة
القصص وأن أتق عصاك
بعد قوله ان يا موسى اني أنا
الله على تكرير حرف التفسير
(فلما رآها تهتز) تهتز حال
من الهاء في رآها (كانها

نار) (اعلمكم تصطلحون) أي تستدفون من البرد وكان في شدة الشتاء (فلما جاءها نودي) أن يورك من في
النار) أي يورك على من في النار وقيل البركة راجعة الى موسى والملائكة والمعنى من في طاب النار وهو
موسى (ومن حولها) وهم الملائكة الذين حول النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل
المراد من النار النور ذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً ومن في النار هم الملائكة وذلك ان النور
الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل باليسوع والتعديس ومن حولها موسى لأنه كان بالقرب منها
وقيل البركة راجعة الى النار قال ابن عباس معناه يورك النار والمعنى يورك من في النار ومن حولها
وهم الملائكة وموسى وروى عن ابن عباس في قوله يورك من في النار يعني قدس من في النار وهو الله
تعالى عني به نفسه على معنى انه نادى موسى واسمعه من جهتها كما روى انه مكتوب في التوراة جاء الله من
سيناء وأشرق من ساعين واسـتـعـلى من جبال فاران ومعنى مجيئة من سيناء بعثة موسى منه ومن ساعين
بعثة المسيح ومن جبال فاران بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهي
أحدى حجب الله عز وجل كما صرح في الحديث بحجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه
بصره من خلقه ﴿ ثم نزل الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال تعالى (وسبحان
الله رب العالمين) ثم نزل الى موسى بصفاته فقال الله (يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم) قيل معناه
ان موسى قال من المنادى قال انه أنا الله وهذا تعبه لئلا أراد الله ان يظهره على يده من المجرات
والمعنى أنا القوي القادر على ما يريد من الاوهام كقلب العصا حية وهو قوله (وأتق عصاك) تقديره
قالها فصارت حية (فلما رآها تهتز) أي تهتز (كانها) (جاءها) وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها
(ولي مدبراً) أي هرب من الخوف (ولم يعقب) أي لم يرجع ولم يلتفت ﴿ قال الله تعالى (يا موسى
لا تخف اني لا يخاف لدى المرسلون) يريد اذا آمنتمهم لا يخافون اما الخوف الذي هو شرط الايمان فلا
يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أخشاكم لله (الامن ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فاني غفور
رحيم) قيل هو ما يصدر من الانبياء من ترك الافضل والصغيرة وقيل يحتمل ان يكون المراد منه
التمريض بما وجد من موسى من قبل القبطى وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظلياً لقول موسى
اني ظلمت نفسي ثم انه خاف من ذلك فتاب قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له قال ابن جرير قال الله
تعالى لموسى انما أخفقت لقلبك النفس ومعنى الآية لا يخيف الله الانبياء الا بنبأ يصيبه أحدهم فان
أصابه أخافه حتى يتوب فلي هذا التأويل يكون صحيحاً وتناهي الخبر عن الرسول عند قوله الامن ظلم ثم
ابتدأ الخبر عن حاله من ظلم من الناس كافة وفي الآية متروك استغنى عن ذكره لالة الكلام عليه
تقديره ٣ الامن ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فاني غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين
لأنه لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك ومعناه لا يخاف لدى المرسلون انما الخوف عليهم
من الظالمين وهذا الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب وبدل
حسناً بعد سوء فاني غفور رحيم أي اغفر له وازيل خوفه وقيل الا هنا بمعنى ولا معناه ولا يخاف لدى

جان) حية صغيرة حال من الضمير في تهتز (ولي) موسى (مدبراً) أدبر عنها وجعلها اني ظهره خوفاً من وقوب الحية عليه (ولم يعقب) ولم
يلتفت أو لم يرجع يقال قد عقب فلان اذا رجع يقال به مدان ولي فنودي (يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدى المرسلون) أي لا يخاف
عند لدى المرسلون حال خطابي اياهم أو لا يخاف لدى المرسلون من غيري (الامن ظلم) أي لكن من ظلم من غيرهم لأن الانبياء لا
يظلمون أو لكن من ظلم منهم من زل من المرسلين فجاء غير ما أذنت له مما يجوز على الانبياء كما فرط من آدم ويونس وداردوس سليمان عليهم
السلام (ثم بدل حسناً) أي اتبع توبته (بعد سوء) زلة (فاني غفور رحيم) أقبل توبته واغفر زلته وأرجه فاحقق أمينته وكانه تعريض بما

قال موسى حين قتل القبطي رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له (وادخل يدك في جيبك) جيب قبضتك واخرجها (تخرج بيضاء) نيرة تغلب نور الشمس (من غير سوء) رص وبيضاء ومن غير سوء حالات (في تسع آيات) كلام مستأنف وفي يتعلق بمحذوف أي اذهب في تسع آيات أو الق عصاك وأدخل يدك في جيبك تسع آيات (إلى فرعون وقومه) التي يتعلق بمحذوف أي مرسل إلى فرعون وقومه (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن أمر الله كافرين (فلما جاءهم آياتنا) أي معجزاتنا (مبصرة) حال أي ظاهرة بينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لم تأملها إلا بسنم اياها بالنظر والتفكير فيها أو جمعات كانوا تبصر قتهدي لان الاعشى لا يقدر على الاهتداء فضلا عن مدي غيرهم ومنه قولهم كلمة عبنا وعوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيدة تغوي (قالوا هذا صر مبین) ظاهرا لمن تأمله وقد قبل بين المبصرة والمبين (ووجدوا بها) قيل الجلود لا يكون الامن علم من الجاحد وهذا ليس بصحيح لان الجلود هو الانكار وقد يكون الانكار للشيء للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعسفا كذا ذكر في شرح التأويلات وذكر في الحديث ان يقال محذوقه وبجته معني والواو في (واستيقنتم) للحال وقد بعد ما مضى والاستيقان ابلاغ من الايقان (أنفسهم) أي وجدوها بالنسبة واستيقنوا في قلوبهم وضماؤهم (ظلمنا) حال من الضمير في محذوا أي ظلم أنفس من ظلم من استيقن انها آيات (من عند الله ثم سماها سحرانا) (وعلموا) نرفعها عن الاعيان بما جاء به موسى (فانظر

المسالمون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء يعني تاب من ظلمه فاني غفور رحيم ثم ان الله تعالى اراد آية أخرى فقال تعالى (وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء) قيل كانت عليه مدرعة صوف لا كم لها ولا ازرار فأدخل يده في جيبها واخرجها فاذا هي تخرج مثل شعاع الشمس أو البرق (من غير سوء) أي من غير برص (في تسع آيات) أي آية مع تسع آيات أنت مرسل من فعلي هذا تكون الآيات احدى عشرة العصا واليد البيضاء والقلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجذب في بواجرهم والنقصان في مزارعهم وقيل في معنى من أي من تسع آيات فتكون اليد البيضاء من التسع (إلى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن الطاعة (فلما جاءهم آياتنا مبصرة) أي بينة واضحة يبصرونها (قالوا هذا) أي الذي نراه (سحر مبين) أي ظاهر (وجدوا بها) أي انكروا الآيات ولم يقرروا انها من عند الله (واستيقنتم انفسهم) أي علموا انها من عند الله والمعنى انهم وجدوا بها بالنسبة واستيقنوا بها بقلوبهم وضماؤهم (ظلموا وعلموا) أي شركا تركبوا عن ان يؤمنوا بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يعني الغرق قوله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما) أي علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجبال وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقال الحمد لله الذي فضلنا) أي بالنبوة والكتاب والملك ونسخ الجح والانس (على كثير من عباده المؤمنين) أراد بال كثير الذين فضلنا عليهم من لم يؤت علما ولم يؤت مثل علمهم ما رفيه انهم ما فضلوا على كثير وفضل عليهم ما كثير وقيل انهم لم يفضلا انفسهم على الكل وذلك يدل على حسن التواضع قوله تعالى (وورث سليمان داود) يعني نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا وأعطى سليمان ما أعطى داود وزيدته تسخير الرج والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا من داود وأقضى منه وكان داود أشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعمة الله تعالى (وقال) يعني سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) سمى

عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهم ما رفيه انهم ما فضلوا على كثير وفضل عليهم ما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وتقدم جلته وأهله وان نعمة العلم من أجل النعم وان من أوتي به فقد أوتي فضلا على كثير من عباده وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الامدا انهم اهتم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من أجله وفيما انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة ان يحمدوا الله على ما أوتوه وان يعتقدوا انهم ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس أئمة من عمر رضي الله عنه (وورث سليمان داود) ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيهم وكافوا تسعة عشر قالوا أوتي النبوة مثل أبيه فكانه ورثه والا فالنبوة لا تورث (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير) تشهير النعمة الله تعالى واعترا فاعلمنا انهم اهتموا بالعلم الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير والدواب كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضهم من بعض روى أنه صاحب فاختة فاخبرها بقول لبت ذا الخلق لم يخلقوا واصاح طارس فقال يقول كائدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذبذبين وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاح رجة فقال يقول سبحان ربى الاعلى جل سمائه وأرضه وصاح قري فاخبرناه بقول سبحان ربى الاعلى وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين

صوت

والذي يقول اذ كروا لله يا عافلين والامر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في المبعث من الناس انا والضعفدع يقول سبحان ربى القدوس (وأوتينا من كل شيء) المراد به كثرة ما أوتي كما تقول فلان يعلم كل شيء ومنه وأوتيت من كل شيء (ان هذا هو الفضل المبين) قوله وارده على سبيل الشكر كقوله أنا سيد ولد آدم ولا خسرأى أقول هذا (٣٩٧) القول شكر اولاً وقوله غفر والتون

في علما وأوتينا نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فلكم أهل طاعته على الحال التي كان عليها وليس الله كبير من لوازم ذلك (وحشر) وجمع (سليمان) جنوده من الجن والانس والطير) روى ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثمانمائة منكموحية وسبع مائة مصرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابرسم فرمخاني فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب وقضة فيقعد وحوله ستمائة ألب كرمي من ذهب وقضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه حر الشمس وترفع ريح الصبا البساط فيسير به مائة شهر ويرى انه كان يامر الرج العاصف

صوت الطير منطلقا لحصول الفهم منه وروى عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أندرون ما يقول هذا قالوا الا قال انه يقول لدوا الله موت رابذوا للخراب وصاحت فاختة فقال أندرون ما تقول قالوا الا قال انها تقول ليت الخلق لم يخافوا وصاح طاوس فقال أندرون ما يقول قالوا الا قال انه يقول كما تدن يدان وصاح هدهد فقال أندرون ما يقول هذا قالوا الا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أندرون ما يقول هذا قالوا الا قال انه يقول استغفروا ربكم يا مذبذبين وصاحت طيطوى فقال أندرون ما تقول قالوا الا قال انها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال أندرون ما يقول قالوا الا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة قال أندرون ما تقول قالوا الا قال انها تقول سبحان ربى الاعنى ملء سمائه وأرضه وصاح قرقى قال أندرون ما يقول قالوا الا قال انه يقول سبحان ربى الدائم قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والبيغا تقول ويل لمن كانت الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربى القدوس والبارى يقول سبحان ربى وبجملته والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل اسان وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال أندرون ما يقول قالوا الا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخى مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لصاحبه أندرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه أعلم قال انه يقول أكلت نصف ثمرة فبلى الدنيا العفاء وروى ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس اناسا ثلوث عن سبعة أشياء ان أخبرتنا آمننا وصدقنا قال سلوا تفقهوا لا تعنتوا قالوا أخبرنا ما تقول القنبرة في صغيرها والديك في صغيقه والضفدع في نقيقه والجار في نهيقه والفرس في صهيله وماذا يقول الزرور والدراج قال نعم اما القنبرة فانه يقول اللهم العن مبعض محمد وآل محمد والديك يقول اذ كروا لله يا عافلين وأما الضفدع فانه يقول سبحان الله المعبود في البحار وأما الجار فانه يقول اللهم العن العشار وأما الفرس فانه يقول اذ انتفى الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح وأما الزرور فانه يقول اللهم انى أسألك قوت يوم يوم يارزاق وأما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فاسلم هؤلاء اليهود وحسن اسلامهم وروى عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال اذا صاح الفرس قال يا ابن آدم عش ما شئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال المبعث من الناس انا وصاح القنبرة قال الهى العن مبعض محمد وآل محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين وعبد العالمين كما يد القارئ وقوله تعالى (وأوتينا من كل شيء) أى مما أوتي الانبياء والملائكة قال ابن عباس من أمر الدنيا والآخرة وقيل النبوة والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين (ان هذا هو الفضل المبين) أى الزيادة الظاهرة على ما أعطى غيرنا وروى ان سليمان أعطى مشارق الارض ومغاربها فذلك أربعين سنة فملك جميع الدنيا من الجن والانس والشياطين والطير والدواب والسباع وأعطى مع هذا منطق الطير ومنطق كل شيء وفي زمنه صنعت الصنائع العجيبة (وحشر) أى جمع (سليمان) جنوده من الجن والانس والطير) من الاماكن المختلفة في مسيرله (فهم يوزعون) أى يحبسون حتى يرد أولهم على آخرهم قبل كان على جنوده وزعة من البقاء ترد أولها على آخرها ثلاثين يوما وفى المسير قال محمد بن كعب القرظى كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير والفرسخ اثنا عشر

فحمله وبأمر الرعاء تديره فالوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد ردت فى ملكك أن لا يتكلم أحد بشئ الا بقية الريح فى سمك فيحكى انه من بحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح فى أذنه فزول ومشى الى الحراث وقال انى جئت اليك لثلاث تنى ما لا تقدر عليه ثم قال انسيخه واحدة يقبلها الله تعالى خبرها أوتى آل داود (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أى يوقف سلافة العسكر حتى يلحقهم التوالى ليكوفوا جميعين وذلك لكثرة العظيمة والوزع المنع ومنه قول عثمان رضى الله عنه ما يزع السلطان

أكثر مما يزع القرآن (حتى إذا أتوا على وادي النمل) أي ساروا حتى إذا بلغوا وادي النمل وهو وادي الشام كثير النمل وعدى بعلى لأن أنبياءهم كان من فوق فأتى بحرق الاستعلاء (٣٩٨) (قالت غلة) عرجاء تسمى طائفة ومنذرة وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتفت عليه الناس

فقال سلوا عما شئتم فسأله أبو حنيفة رضي الله عنه وهو شاب عن غلة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى فأنهم فقال أبو حنيفة رضي الله عنه كانت أنثى فقبل له بماذا عرفت فقال بقوله قالت غلة ولو كانت ذكراً لقال قال غلة وذلك أن الغلة مثل الحمامة في وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامته تخو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو هو (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لأنهما جعلها قاتلة والنمل مقولاً لهم كما يكون في أولى العقل أجرى خطابهم مجرى خطابهم (لا يحطمنكم) لا يكسرنكم والحطم الكسر وهو غشى مستأنف وهو في الظاهر غشى سليمان عن الحطم وفي الحقيقة غشى إهون عن البروز والوقوف على طريقة لا أرى مثلاً هنا أي لا تخضع لهذا الموضع وقبل هو جواب الأمر وهو ضعيف بدفعه فون التأكيد لأنه من ضرورات الشعر (سليمان وجنوده) قبل أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو بالغ (وهم لا يشعرون) لا يعلمون بمكانكم أي

ألف خطوة والبريد ثمانية وأربعون ألف خطوة لأنه أربع فراسخ فجعله ذلك خمسة وعشرون بريداً وقيل نسجت الجن له بساطاً من ذهب وحرير فرسخت في ربيع وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعد وحوله كراسي الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحوش حولهم وظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها اثنتان مائة منسكحة يعني حرة وسبع مائة سريفة فبأمر الريح العاصف فيرفعه ثم يأمر الرخاء فتدبر به وأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض أني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح وأخبرته به قوله عز وجل (حتى إذا أتوا على وادي النمل) أي أشرفوا على وادي النمل روى عن كعب الأبحار قال كان سليمان إذا ركب جمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطايخ ومخاريفم بالثناير الحديد والقدر العظام تسع كل قدر عشرة من الإبل فيطبخ الطباقون ويخبز الخبازون وهو بين السماء والأرض واتخذ مبادين للدواب فتجري بين يديه والريح ثم يوصي به فساو من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هـ ذه دار هجرة نبي يكون في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن أتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناماً تعبد فجأوزه سليمان فلما جأوزه بكى البيت فأوحى الله إليه ما يبيحك قال يا رب ابكائي هذا نبي من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا على ولم يلبطوا ولم يصلوا عندى والأصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله إليه لا تبك فاني سوف أملؤك وجوهاً سعيداً وأنزل فيك قرأنا جديداً أو بعث من نبي في آخر الزمان أحب أنبيائي إلى واجعل فيك عماراً من خلقي يعبدوني وأفرض عليهم فريضة يزفون اليك زيف النسر إلى وكرها ويحتون اليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضها وأطهر لك من الأوثان والأصنام والشياطين ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير واد من الطائف فأتى على وادي النمل كذا قال كعب الأبحار وقيل أنه بالشام وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك النمل أمثال الذباب وقيل كالجناني والمشهور أنه النمل الصغير (قالت غلة) قيل كانت عرجاء وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طائفة وقيل جرى (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لأنه جعل لهم عقولاً كالآدميين فخطبوا خطباً الآدميين وهذا ليس بمستبعد أن يخلق الله فيهم عقولاً ونطقاً فإنه قادر على ذلك (لا يحطمنكم) أي لا يكسرنكم (سليمان وجنوده) وهم لا يشعرون قال أهل التفسير علمت الغلة أن سليمان نبي ليس فيه جبروتية ولا ظلم ومعنى الآية أنكم لو لم تدخلوا طوطوكم ولم يشعروا بكم فسمع سليمان قواها من ثلاثة أميال وكان لا يتكلم أحد بشيء إلا حمله الريح حتى تلقى به إلى مسامع سليمان فلما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخلوا بيوتهم فان قلت كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهو فوق البساط على متن الريح قلت كانهم أرادوا النزول عند منقطع الوادي فلذلك قالت غلة لا يحطمنكم سليمان وجنوده لأنهم مادامت الريح تحمهم لم يخاف حطمهم (فتبسم ضاحكاً من قولها) قيل أكثر ضحك الانبياء تبسماً وقيل معنى ضاحكاً تبسماً وقيل كان أوله التبسم وآخره الضحك (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستحجماً ما قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم عن عبد الله بن الحارث بن جزة قال ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي فان قلت ما كان سبب ضحك سليمان قلت شيطان أحدهما مدلل من قولها على ظهور رجته ورجة جنوده وشفتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني أنهم لم يشعروا بما يفعلون الثاني سروره بما آناه الله مما لم يوت أحد من أدماء سمعه ما قالته الغلة وقيل إن الإنسان إذا رأى أو سمع ما لا عهد له به تعجب وضحك ثم إن سليمان جذره على

لوشعروا لم يفعلوا قالت ذلك على وجه العذر واصفة سليمان وجنوده بالعدل فسمع سليمان قواها من ثلاثة أميال (فتبسم ضاحكاً من قولها) متعجباً من جذرها واهتدائها المصالحاها ونصيحتها النمل أو فرحاً لظهور عدله وضاحكاً حال مؤكدة لأن تبسم

بمعنى ضحكوا كثر ضحك الانبياء التباس كذا قاله الزجاج (وقال رب أوزعني) اللهمنى وحقيقته كفى عن الاشياء الاعن شكر نعمتك (أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ) من النبوة والملئك والعلم (وعلى والدي) لان الانعام على الوالدين انعام على الولد (وأن أعمل صالحا رضاه) في بقية عمرى (وأدخلني رحمتك) وأدخلني الجنة برحمتك لاصالح عملي اذ لا يدخل الجنة أحد الا برحمته كما جاء في الحديث (في عبادك الصالحين) أى في زمرة أنبيائك المرسلين أو مع عبادك الصالحين روى ان النحلة أحست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فأمر سليمان الریح فوقف للآل يدعرون حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالذعوة (ونفق الطير فقال مالي) مكي وعلى وعاصم وغيرهم يسكنون الباء والتنفق طلب ما عاب عنك (لا أرى الهدد أم كان من الغائبين) أم معنى بل والمعنى انه (٣٩٩) تعرف الطير فلم يجد فيها الهدد فقال مالي لا أراه على معنى انه

لا يراموه وحاضرا لاسرته أو غير ذلك ثم لاح له انه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول بل هو غائب وذكر ان سليمان عليه السلام لما خرج الى اليمن فوافي صنعاء وقت الزوال فنزل ليصلي فلم يجد الماء وكان الهدد قنأته وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فتنسجج الشياطين الماء فتفقد لذلك وذكرا نه ذهبت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدد خال فدا عريف الطير وهو التمسرفأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيده الطير وهو العقاب على به فارتفع فنظر فاذا هو مقبل فقصدته فناشده الله فتركه فلما قرب من سليمان أرغى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض وقال يا بني الله اذ كر وقوفك

ما أنعم به عليه (وقال رب أوزعني) أى اللهمنى (أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحا) رضاه (وأدخلني رحمتك في عبادك الصالحين) أى أدخلني في جنتهم وأثبت اسمي مع اسمائهم واحشروني في زمرة من قال ابن عباس يريد مع ابراهيم واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل أدخلني الجنة مع عبادك الصالحين قوله عز وجل (ونفق الطير) أى طلبهم وبحث عنها والمعنى انه طلب ما تقدم من الطير (فقال مالي لا أرى الهدد) وكان سبب تفقده الهدد وسؤاله عنه اخذ لاله بالنبوة وذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا تظله وجنوده الطير من الشمس فأصابته الشمس من موضع الهدد فنظر فراه خاليا وروى عن ابن عباس انه كان دليله على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى في الزجاجة ويعرف قربه من بعده فينقر الارض فقبي الشياطين فيجفرونه ويستخرجون الماء منه قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال نافع بن الازرق يا رصف انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ ويحشو عليه التراب فيجى الهدد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحشا اذا جاء القدر حال دون البصر وفي رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب الاب وعصى البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج الى الماء فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدد اسدله على الماء فقال مالي لا أرى الهدد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم انه أدركه الشك فقال (أم كان من الغائبين) أى أكان وقيل بل كان من الغائبين ثم أوعده على غيبته فقال (لا عذبته عذابا شديدا) قيل هو أن يتنف ريشه وذنبه وبقية في الشمس معطالا لاعتنع من النمل ولا من غيره وقيل لا ودعنه القفص ولا حبسه مع ضده وقيل لا فرق بينه وبين الفه (أولا ذبحته أوليا بني سلطان مبين) أى بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبته الهدد على ما ذكره العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فجهز للمسير واستحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح فلما رافى الحرم أقام ماشاء الله ان يقيم وكان في كل يوم ينحط طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف نور وعشرين ألف شاة وقال لمن يحضر من أشرف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع من ناواه تبلغ هيئته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فبأي دين يتدين يا بني الله قال بدين الحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا بني الله قال مقدار ألف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صبا حواسا ربحوا اليمن فوافي صنعاء زوالا أى وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسنة تره وخضرتها فأحب النزول بها ليصلي ويتغدى فلما

بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه (لا عذبته عذابا شديدا) بشفاعة في الشمس أو بالتفريق بينه وبين الفه أو بالزامه خدمة أقرانه أو بالحس مع أصداده وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الاضداد أو بإيداعه القفص أو بطرحه بين يدي النمل لما كلف وحل له تعذيب الهدد لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح الهائم والطير للذلل وغيره من المنافع واذا منجزه الطير لم يتم التسخير الا بالتأديب والسياسة (أولا ذبحته أوليا بني) بالنون الثقيلة لبشاكل قوله لا عذبته وحذف نون العماد للتخفيف ليا يتيقن من مكي الاولى للتأكيد والثانية للعماد (سلطان مبين) بحجة له فيها عذر ظاهري على غيبته والاشكال انه حلف على أحد ثلاثة أشياء اثبات منها فعله ولا مقال فيه والثالث فعل الهدد وهو مشكل لانه من أين درى انه يأتي سلطان حتى قال والله يا بني سلطان وجوابه ان معنى كلامه ليكون أحد الامور يعني ان كان الاثبات بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء ودابة

نزل قال الهدهد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر الى الدنيا وعرضها فيبينها هو ينظر عينها
 وشمالا رأى يستأنا بلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد آخر وكان اسم الهدهد سليمان يعقور واسم الهدهد
 اليمين يعقير فقال يعقير لي عفو من أين أقبلت وأين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود
 قال ومن سليمان بن داود قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن أين أنت
 يا يعقير قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأته يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن
 ليس ملك بلقيس دونه فانها تلك اليمين وتحت يدها أربع مائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربع مائة
 آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل
 فهل أنت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال أخاف أن يفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى
 الماء قال الهدهد اليما في ان صاحبك يسره ان تأتيه بخبر هذه الملكة قال فانطلق معه ونظر الى بلقيس
 وملكها وأما سليمان فانه نزل على غير ما فسأل عن الماء الانس والجن فلم يعلموا ففقد الهدهد فلم يره فدعا
 بعريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته الى مكان
 فغضب سليمان وقال لا عذبته الا به ثم دعا العقاب وهو أشد الطير فقال له علي بالهدهد هذه الساعة
 فرفع العقاب في الهواء حتى رأى الدنيا كالقصبعة بين يدي أحدكم ثم التفت عينا وشمالا فرأى الهدهد
 مقبلا من نحو اليمين فانقض العقاب يريد فعلم الهدهد ان العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله الذي
 قوأك وأقدرك على الامار حتى ولم تعرض لي بسوء فترك العقاب وقال ويحك تسكنت أملك ان نبي الله قد
 حلف أن يعذبك أو ان يذبحك ثم طار امتوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطير
 فقالوا وياك أين غبت في يومك هذا فلقى قدوة عدوك نبي الله وأخبروه بما قال سليمان فقال الهدهد
 أو ما استثنى نبي الله قالوا الي ولكنه قال أوليا نبي سلطان مبين قال نحوث اذا فانطلق به العقاب حتى أتيا
 سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه
 وأرخى ذنبه وجناحه يجرهما على الأرض تواضعا لسليمان فلما دارا منه أخذ برأسه فذهبه اليه وقال له أين
 كنت لا عذبك عذابا شديدا فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا
 عنه ثم قال ما الذي أبطأك عني فقال الهدهد ما أخبر الله عنه بقوله تعالى (فكث غير بعيد) معناه أي
 غير طويل (فقال أحطت بعالم تحط به) أي علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك اللهم الله
 الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان تنبيها على ان أدنى خلق الله قد أحاط علما بعالم يحط به ليكون اطفاه
 في ترك الإعجاب والاحاطة بالشيء علما أن يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه منه معلوم (وجئت من
 سبا) قيل هو اسم للبلد وهي مأرب والاصح انه اسم رجل وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء
 في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبأ فقال رجل له عشرة من البنين تبان منهم ستة
 وتشاءم أربعة (نبأ) أي بخبر (يقين) فقال سليمان وما ذاك فقال (إني) أي الهدهد (وجدت امرأته
 تملكهم) هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيما الشأن قد ولده
 أربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول لما لوك الاطراف ليس أحد منهم كفؤا لي
 وأبي ان يتزوج منهم فخطب الى الجن فزوجوه منهم امرأته يقال لها ربحانة بنت السكن قيل في سبب وصوله
 الى الجن حتى خطب منهم انه كان كثيرا الصيد فرما اصطاد الجن وهم على صورة الطيأة فيخلى عنهم فظهر له
 ملك الجن وشكره على ذلك واتخذ منه صديقا فخطب اليه فزوجها اياها وقبل انه خرج متصيدا فرأى
 حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وحمل البيضاء وصب
 عليها الماء فأفاقت وأطلقتها فلما رجع الى داره وجلس وحده منفردا فاذا معه شاب جميل نحاف منه قال
 لا تخف أنا الحية البيضاء التي أحيتني والاسود الذي قتلته هو عبيد لنا قد رددنا عليك وقل عدة منا

(فكث) الهدهد بهدهد
 تصفد سليمان اياه وبضم
 الكافي غير عاصم وسهل
 ويعقوب وهو الغدان (غير
 بعيد) أي مكنا غير طويل
 أو غير زمان بعيد كقوله
 عن قريب ووصف مكثه
 بقصر المدة على اسرعه
 للدلالة على خوفه من سليمان
 فلما رجع سألها عما بقي في
 غيبته (فقال أحطت) علمت
 شيئا من جميع جهاته (عالم
 تحط به) ألهم الله الهدهد
 فكافح سليمان بهدهد
 الكلام مع ما أوتي من فضل
 النبوة والعلوم الجمة ابتداء
 له في علمه وفيه دليل بطلان
 قول الرافضة ان الامام
 لا يخفى عليه شيء ولا يكون
 في زمانه أحد أعلم منه
 (وجئت من سبا) غير
 منصرف أو عمر وجهه
 اسم القبيلة أو المدينة
 وغيره بالتبوين جعله اسما
 للحي أو الاب الأكبر
 (بنو يقين) النبا الخير الذي
 له شأن وقوله من سبأ نبيا
 من محاسن الكلام ويسمى
 البديع وقد حسن وبدع
 لفظا ومعنى ههنا ألا ترى
 انه لو وضع مكانه بنو يقين
 لكان المعنى صحيحا وهو كما
 جاء أصح لما في التبا من
 الزيادة التي يبا بها وصف
 الحال (إني وجدت امرأته)
 هي بلقيس بنت شراحيل
 وكان أبوها ملك أرض اليمن
 ولم يكن له ولد غير هاهنا فغلبت
 على الملك وكانت هي وفومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في (تلكهم) راجع الى سبأ على تأويل القوم أو أهل المدينة وعرض

(وأوتيت) حال وقدمه مقدرة (من كل شيء) من أسباب الدنيا ما يليق بجلالها (ولها عرش) سرير (عظيم) كبير قيل كان ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً وطولها في النوا. ثمانون ذراعاً وكان من ذهب وفضة وكان من صعبا أنواع الجواهر وقوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودرر وذهب وعليه سبعة أليات على كل بيت باب مغلق واستصقر حائلها إلى حال سليمان فاستعظم عرشه لذلك وقد أخفى الله تعالى على سليمان ذلك المصلحة. رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب عليهم السلام (وجدتها وقومها يسجدون (٤٠١) للشمس من دون الله ويزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن

السبيل) أي سبيل التوحيد (فهم لا يهتدون) إلى الحق ولا يبعد من الهدى الهدى الذي إلى معرفة الله تعالى ووجوب السجود وسعومة السجود للشمس الهامان من الله كما ألهمه وغيبه من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاء العقول يهتدون لها (الأسجدوا) بالتشديد أي فصدهم عن السبيل ثلاثاً يسجدوا فخذ في الحار مع أن أو أدخمت النون في اللام ويجوز أن تكون لامزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا وبالتخييف يزيدو على وتقديره ألا يهولوا أسجدوا فالالتبيه ويكون بالتشديد ومناداه محذوف فن شدد لم يخف الاعلى العرش العظيم ومن خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الأيا أسجدوا أو وقف على الأيا ثم ابتدأ أسجدوا وسجدة التلاوة واجبة في القراءة جميعاً بخلاف ما بقوله الزجاج أنه لا يجب السجود مع التشديد لأن مواضع السجدة

وعرض عليه المال فقال لا حاجة لي به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجها ابنته فولدت له بلقيس وجاء في الحديث أن أحد أبوي بلقيس كان جنباً فلما مات أبو بلقيس طمعت في الملك وطلبت قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وأبى آخرون وملكوا عليه ثم رجلاً آخر يقال أنه ابن أخي الملك وكان خبيثاً سيئ السيرة في أهل محله حتى كان عديده إلى حريم رعيته ويفجر بهن فأراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت إليه فعرضت نفسها عليه فأجابها الملك وقال ما منعني أن ابتدئك بالخطبة إلا اليأس منك فقالت لا أريغب عنك لأنك كفو كريم فاجمع رجال أهلي وخطبتي منهم فجمعهم وخطبها فقالوا لا نراها نضعل فقال بلقيس أنها قد رغبت في قد كروا ذلك لها فقالت نعم فزوجوها منه فلما زفت إليه خرجت في ملاك كثير من خدمها وحشمها فلما دخلت به سقته انخر حتى سكر ثم قتلته وحزن رأسه وانصرفت إلى منزلها من الليل فلما أصبحت أرسلت إلى وزرائه وأخبرتهم وقرعهم وقالت أما كان فيكم من يأثم بكرميته أو كراحم عشيرته ثم أرثهم أيام قبيل أوقات اختاروا رجلاً غداً يكونه عليكم فقالوا لا نرضى غيرك فلكوها وعلوا أن ذلك النكاح كان مكرراً وخديعة منها (خ) عن أبي بكر قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال إن يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة (وأوتيت من كل شيء) يعني ما تحتاج إليه الملوك من المال والعدة (ولها عرش عظيم) أي سرير ضخيم عال فإن قلت كيف استعظم الهدى عرشها على ما رأى من عظمة ملك سليمان قالت يحتمل أنه استعظم ذلك بالنسبة إليها ويحتمل أنه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكالاً بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر وقوائمه من الباقوت والزمرد وعليه سبعة أليات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً وقيل كان طول ثمانين في ثمانين وعلوه ثمانين وقيل كان طول ثمانين وعرضه أربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعاً (وقوله عز وجل أخبرنا عن الهدى) وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) وذلك أنهم كانوا يعبدون الشمس وهم مجوس (وزين لهم الشيطان أعمالهم) المزين هو الله لأنه قال الماير يدوانما ذكر الشيطان لأنه سبب الإغواء (فصدهم عن السبيل) أي عن طريق الحق الذي هو دين الإسلام (فهم لا يهتدون) أي إلى الصواب (الأسجدوا) قرئ بالتخفيف ومعناه الأياها الناس أسجدوا وهو أمر من الله مستأنف وقرئ بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان أعمالهم ثلاثاً يسجدوا (الله الذي يخرج الخبء) يعني الخفي الخبأ (في السموات والأرض) قيل شب السهوات المطر وخب الأرض النبات (ويعلم ما يخفون وما يعلنون) والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لأنه لا يستحق العبادة إلا من هو قادر على من في السموات والأرض عالم بجميع المعلومات (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره (فصل) وهذه السجدة من عزائم السجود يستحب للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها فإن قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم فما الفرق بينهما قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة إليها وإلى أمثالها من ملوك الدنيا وأما عرش الله تعالى فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من

(٥١ - خازن ثالث) أما أمرها أو مدح لآتي بها أو ذم لتاركها واحدى القراءتين أمر والاخرى ذم للتارك (الله الذي يخرج الخبء) معنى الخبأ بالمصدر (في السموات والأرض) قتادة خبء السماء المطر وخبء الأرض النبات (ويعلم ما يخفون وما يعلنون) بالناء فيهما على وحفص (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) وصف الهدى عرش الله بالعظم أعظم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والأرض ووصفه عرش بلقيس تعظيماً له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك إلى ههنا كلام الهدى فلما فرغ من كلامه

(قال) سليمان للهدهد (سنتظر) من النظر الذي هو التامل (أصدقت) فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) وهذا أبلغ من أم كذبت لانه اذا كان معروفا بالانحراف في سلك الكاذبين كان كاذبا بالاحتمال واذا كان كاذبا بالتمسك بالكذب فيما أخذ به فلم يوثق به ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلموا على وأتوني مسلمين وطبعه بالمسك وخطه بخاتمه وقال للهدهد (أذهب بكتابي هذا فألقه) بسكون الهاء تخفيفا أبو عمرو وعاصم وحزرة ويختلسها كسر التل الكسرة (٤٠٣) على الياء المحذوفة يزدو قالون ويعقوب قاله في بابات الياء غيرهم

السموات والارض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدهد من كلامه (قال) سليمان (سنتظر اصدقت) اي فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) ثم ان الهدهد هددهم على الماء فاحتضروا الركابا وروى الناس والدواب ثم ان سليمان كتب كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد ان لا تعلموا على وأتوني مسلمين قيل لم يزد على ما نص الله في كتابه وكذلك الانبياء كانوا يكتبون جلا لا يطيلون ولا يكثرول فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وخطه بخاتمه وقال للهدهد (أذهب بكتابي هذا فألقه اليهم) انما قال اليهم بلفظ الجمع لانه جعله جوابا لقول الهدهد وجدتم او قومها يسجدون للشمس فقال فألقه الى الذين هذا دينهم (ثم قول عنهم) أي نزع عنهم فقف قريبا منهم (فانظر ماذا يرجعون) أي يردون من الجواب وقيل تقدير الآية فألقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم قول عنهم أي انصرف الى فاخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بارض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدها نائمة مستلقية على فخاها وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل اذا ردت فألقى الهدهد والى الكتاب على فخها وقيل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المرأة وحولها القادة والوزراء والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس رأسها فألقى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبته كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها الخاء الهدهد وسد الكوة بيضا حبه فارفعت الشمس ولم يعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرى بالحييفة اليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي أرسل الكتاب أعظم ملكا منهم فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد وجاءت هي حتى قدمت على سرير ملكها واجعت الملائكة من قومها وهم الاشراف وقال ابن عباس كان مع بلقيس مائة قيسل مع كل قيسل مائة ألف والقيسل ملك دون الملك الا عظم وقيسل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما جاؤا وأخذوا بحاجتهم (قالت) لهم بلقيس (يا أيها الملائكة أتى ألقى الى كتاب كريم) قيسل سمته كريم لانه كان محتوما وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وقال ابن عباس كريم أي شريف اشرف صاحبه ثم بينت عن الكتاب فقالت (انه من سليمان) قرأت المكتوب فيه فقالت (وانه بسم الله الرحمن الرحيم) فان قلت لم قدم انه من سليمان على بسم الله قلت ليس هو كذلك بل ابتدأ سليمان بسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكرت بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت ما في الكتاب فقالت (وانه بسم الله الرحمن الرحيم) (ألا تعلموا على) قال ابن عباس لا تسكبروا على والمعنى لا تغتبعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر (وأتوني مسلمين) أي طائعين مؤمنين وقيل من الاسلام وهو الانقياد (قالت يا أيها الملائكة أفتوني في أمري) أي أشيروا

(اليهم) الى بلقيس وقومها لانه ذكرهم معها في قوله وجدتم وقومها يسجدون للشمس وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك (ثم قول عنهم) نزع عنهم الى مكان قريب بحيث تراه ولا يرون ليكون ما يقولونه يسمع منه (فانظر ماذا يرجعون) ما الذي يردونه من الجواب فأخذ الهدهد الكتاب بمنقاره ودخل عليها من كوة فطرح الكتاب على فخها وهي راقدة وتواري في الكوة فانتهت فزعته أو أتاها والجنود حولها فرفرف ساعة وألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة فلما رأت الخاتم (قالت) لقومها خاضعة خائفة (يا أيها الملائكة) وبقع الياء مدني (ألقى الى كتاب كريم) حسن مضمونه ومافيه أو محتوم قال عليه الصلاة والسلام كرم الكتاب ختمه وقيل من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به

أو مصدر بسم الله الرحمن الرحيم أو لانه من عند ملك كريم (انه من سليمان) وانه بسم الله الرحمن الرحيم على هو تبيين لما ألقى اليها كتابا لما قالت اني ألقى الى كتاب كريم قيل لها من هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وأن في (ألا تعلموا) لا ترفعوا (على) ولا تسكبروا كما تفعل الملوك مفسرة كقولها واطلق الملائكة منهم ان امشوا يعني أي امشوا (وأتوني مسلمين) مؤمنين أو متقدين وكتب الانبياء مبنية على الإيجاز والاختصار (قالت يا أيها الملائكة أفتوني في أمري) أشيروا على في الامر الذي نزل بي والفتوى الجواب في الخاتمة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاوى السن والمراد هنا بالفتوى الاشارة عليها عندهم من الرأي وقصدها بالرجوع الى استشارتهم تطيب أنفسهم لهما لئلا يهتوا وقوموا معها

(ما كنت قاطعة أمرا) فاصلة أو محضية حكما (حتى تشهدون) بكسر النون والفتح لمن لان النون اغما تفتح في موضع الرفع وهذا في موضع التعجب وأصله تشهدونني فحذفت النون الأولى للنصب والياء لئلا يكثر عليها وبالياء في الوصل والوقف يعقوب أي تحضروني أو تشهدوني أو تشهدوا أنه صواب أي لا أتأمر إلا بما لا يضركم وقيل كان أهل مشورته ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف (قالوا) مجيبين لها (نحن أولو قوة وأولو بأس شديد) أرادوا بالقوة قوة الأجساد والالات وبالبأس التجدد والبلاء في الحرب (والامر اليك فانظري ماذا تأمرين) أي موكل اليك ونحن مطيعون لك فربنا بامرنا قطعنا ولا نخالفك كأنهم أشاروا عليهم بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأى والمشورة وأنت ذات الرأى والتدبير فانظري ماذا تريين تتبع رأيك فلما أحست منهم الميل إلى المحاربة مالت إلى المصالحة ورتبت الجواب فزييت أولا ما ذكره وأمرتهم بالخطأ فيه حيث (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية) عنوة وقهرا (أفسدوها) خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) اذلوا أعزتها واهلها وأشرافها رقتلوا وأمرها فذكرت لهم سوء عاقبة الحرب ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورايت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأيت من الرأى السديد (٤٠٣) وقيل هو تصديق من الله لقولها

واخرج السامعي في الارض بالفساد بهذه الآية ومن استباح حراما فقد كفر واذا اخرج له القرآن على وجه التعريف فقد جع بين كفرين (واني امر سلة اليهم هدية) أي امر سلة رسالة هدية (فناظرة) فنظرة (بم) أي بعلان الالف تحذف مع حرف الجرف الاستفهام (يرجع المرسلون) بقبولها أم ردها لانها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم فان كان ملكا قبلها وانصرف وان كان نبياردها ولم يرض منا الا ان نبعه على دينه

على فيما عرض لي (ما كنت قاطعة أمرا) أي قاضية وفاصلة (حتى تشهدون) أي تحضرون (قالوا) يعني الملا مجيبين لها (نحن أولو قوة) أي في الجسم على القتال (وأولو بأس شديد) أي عند الحرب وقيل أراد بالقوة كثرة العدد والبأس والشجاعة وهذا تعرض منهم بالقتال أي ان أمرتهم بذلك ثم قالوا (والامر اليك) أيتم الملكة أي في القتال وترصكه (فانظري ماذا تأمرين) أي تجديننا مطيعين لأمرنا (قالت) بلقيس مجيبة لهم عن التعرض للقتال وما يؤول اليه أمره (ان الملوك اذا دخلوا قرية) أي عنوة (أفسدوها) أي خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أي أهوا أشرافها وكبرائها حتى يستقيم لهم الامر تحذروهم بذلك مسرسلين اليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر عنها هنا وصدق الله قولها فقال تعالى (وكذلك يفعلون) أي كما قالت هي يفعلون وقيل هو من قولها وهو لئلا يكيد لما قالت ثم قالت (واني امر سلة اليهم هدية) أي إلى سليمان وقومه أصانعهما على ملكي واختبرهما بما أملاك هو أم نبي فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان نبعه في دينه وهو قولها (فناظرة بم يرجع المرسلون) وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الامور وجرى بها فاهات وصفاء ووصائف قال ابن عباس مائة توصيف ومائة وصيفة قال وهب وغيره سمعت بلقيس الى خسمائة غلام وخسمائة جارية فلبست الجوارى لبس الغلمان الا قبية والمنساق واللبست الغلمان لبس الجوارى وجعلت في أيديهم أساور الذهب وفي أعناقهم أطواق الذهب وفي أذانهم أقراطه وشئوا فمرصعات بألوان الجواهر وجعلت الجوارى على خسمائة رمكة والغلمان على خسمائة بردون على كل فرس مرج من الذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج وبعثت اليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وأرسلت بالمرسلات والعنبر والعود اللبخوج وعمدت الى حتى جعلت فيه درة بقيمة ثمانية غير

فبعثت خسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحلهم راكي خيل مغشاة بالديباج محملة بالجزم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخسمائة جارية على رماح في رضى الغلمان وألف لبسة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحفا فيه درة عذراء وجرعة معوجة الثقب وبعثت رسلا وأمرت عليهم المنذر بن عمرو بدليل قوله تعالى بم يرجع المرسلون وكتبت كتابا فيه نسخة الهدايا وقالت فيه ان كنت نبيا فخير بين الوصفاء والوصائف وأخبر بما في الحق وانقب الدرة تقبا واسلاك في الحرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظرا اليك نظر غضبان فهو ملك فلام ولدت منظرة وان رأيت بشاشا الطيبة فهو نبي فاقبل الهدية وأخبر سليمان الخبر كله فأمر سليمان الجن فصرخوا لبنت الذهب والفضة وفرشوها في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطاً شرفه من الذهب والفضة وأمر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن عين الميسدان ويساره على اللبنة وأمر بالاد الجن وهم خلق كثير فاقبوا عن العين والبصار ثم عمد على سريره والكراشي من جانيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما نادى القوم ورأوا الدواب تروث على اللبن رموا بما معهم من الهدايا ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم سليمان بوجهه طلق فأعطوه كتاب الملكة فنه نظره وقال ابن الحنفى فأمر الارضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بقيها ونفذت فيها دودا عابا الماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتقبعه في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذ به يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر

ارجع اليهم (فلما جاء) رسولها المنذر بن عمرو (سليمان قال أعذوني بجال) بنونين واثبات الباء في الوصول والوقف مكي وسهل واقعة هما مدني وأبو عمرو في الوصول أعذوني جزة (٤٠٤) ويعقوب في الجاليين وغيرهم بنونين بلاياء فيهما الخطاب للرسول (فما آتاني الله)

من النبوة والملائكة والنعمة
وبنقض الباء مدني وأبو عمرو
وحقص (خيرهما آتاكم)
من زخارف الدنيا (بل أنتم
بهديتكم تفرحون) الهدية
اسم المهدى كما كان العطية
اسم المعطى فتضاف الى
المهدى والمهدى له تقول
هذه هدية فلان تريدني
التي أهديتها أو أهديت اليه
والمعنى ان ما عندى خير
مما عندكم وذلك ان الله
آتاني الدين الذي فيه الحظ
الافرور والغنى الاوسع وآتاني
من الدنيا ما لا يستزاد عليه
فكيف رضى مثلى بان يعد
بمال بل أنتم قوم لا تعلمون
الاظهار من الحياة الدنيا
فالذلك تفرحون بما تزدون
ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ
هممكم وحالى خلاف حالكم
وما أرضى منكم بشئ ولا
أفرح به الا بالايان وتترك
المجوسية والفرق بين قولك
أعذوني بجال وأنا أغنى
منكم وبين ان تقول له بالفاء
انى اذا قلت له بالواو جعلت
مخاطبى عالما بزيادتي
في الغنى وهو مع ذلك
يعذنى بجال واذا قلته
بالفاء فقد جعلته ممن
خفيت عليه حالى فأنا
أخبره الساعة بما لا أحتاج
معه الى امداده كافى
أقول له انك وعلمك

منقبوبة وخرزة جرح معوجة الثقب ودعت رجلا من أشرف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضعت اليه
رجالا من قومها أصحاب عقل ورأى وكتب مع المنذر كتابا بذكر فيه الهدية وقالت ان كنت تريد ميز بين
الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما فى الحق قبل أن تنقعه وانقب الدرة نقبا مستويا وأدخل فى الخرزة خيطا
من غيرة علاج انس ولاجن وأمرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كنتم سليمان فكلوا من كلامه بسلام تأبث
وتخيت يشبهه كلام النساء وأمرت الجوارى أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبهه كلام الرجال ثم قالت
للسول انظر الى الرجل اذا دخلت فان نظرا اليك نظر افية غضب فاعلم انه ملك فلا تلهو لانه امره ومنظره
فانا أعزمته وان رأيت الرجل بشاشا طيفا فافهم انه نبى فتفهم قوله وردا الجواب فانطلق الرسول بالهدايا
وأقبل الهدى مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فأمر سليمان الجن ان يضرروا البنات من الذهب والفضة
ففعولوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وان يفرشوا البن الذهب والفضة وان يخلوا مقادير
تلك البنات التي معهم وأن يعملوا حائطاً منفرقة من الذهب والفضة ففعولوا ثم قال أى دواب البحر
أحسن فقالوا يا نبى الله ما رأينا أحسن من دواب البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة ألوانها لها أجنحة
واعراف وفواص قال على بها الساعة فأقوامها قال شدوها بين عيين الميديدان وشماله ثم قال للجن على
بالادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم عن عيين الميديدان وشماله ثم قدس سليمان فى مجلسه على سريره ووضع
له أربعة آلاف كرمى على عيين الميديدان وعلى شماله وأمر الانس والجن والشیاطين والوحوش والطيور
والسباع فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم الى الميديدان ونظروا الى سليمان رأوا أول
الامر الدواب التي لا يرى مثله اتروث فى لبنات الذهب والفضة فلما رأوا ذلك تقاصرت أنفسهم وخبوا
مامعهم من الهدايا وقيل ان سليمان فرش الميديدان لبنات الذهب والفضة وترك على طرفهم مرضعا
على قدر مامعهم من اللبن فى ذلك الموضع فلما رأى الرسل موضع البنات خاليا خافوا أن يتموا بذلك
فوضعوا مامعهم من اللبن فى ذلك الموضع ولما رأوا الشیاطين هالهم ماراً وأوفرعوا فقاتلهم الشیاطين
جوزوا لا بأس عليكم فلكوا يعمرون على كرايس الانس والجن والوحوش والطيور حتى وقفوا بين يدي
سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق ونلقاهم تلقيا حسنا وسألهم عن حالهم فاخبره رئيس القوم بما جازا فيه
وأعطوه كتاب الملائكة فظرفيه وقال أين الحق فأتى به فخره بجاء جبريل فاخبره بما فيه فقال لهم ان
فيه درة ثمينة غير منقبوبة وخرزة معوجة الثقب قال الرسول صدقت فانقب الدرة وأدخل الخيط فى
الخرزة فقال سليمان من لى يثقها وسأل الانس والجن فلم يكن عندهم علم ثم سأل الشیاطين فقالوا ترسل
الى الارضة فلما جاءت الارضة أخذت شعرة فى فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها
سليمان ما حاجتك قالت تصير رزقى فى الشجرة قال لك ذلك ثم قال من لى هذه الخرزة فقالت دودة بيضاء
أنا لها يا نبى الله فاخذت الدودة الخيط فى فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها
سليمان ما حاجتك فقالت يكون رزقى فى الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجوارى بأن أمرهم أن
يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدىها وتضرب به الاخرى وتغسل وجهها والغلام
يأخذ الماء بيديه ويغسل به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهره فميز
بين الغلمان والجوارى ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله تعالى فقال تعالى (فلما جاء سليمان قال أعذوني
بجال فما آتاني الله) أى ما أعطاني من الدين والنبوة والحكمة والملائكة (خير) أى أفضل (مما آتاكم بل أنتم
بهديتكم تفرحون) معناه أنتم أهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا تفرحون بأهداء بعضكم الى بعض وأما أنا فلا
أفرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتي لان الله قد أعطاني منها ما لم يحيط احدا ومع ذلك أكرمني بالدين

ما فعلت فأتى غنى عنه وهدية ورد فما آتاني الله ووجه الاضراب انه لما ذكر عليهم الامداد وعمل انكاره اضرب والنبوة
من ذلك الى بيان السبب الذى جعلهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا أن يهدى اليهم حظ من الدنيا التى لا يعلمون غيرها

(ارجع اليهم) خطاب للرسول أو الهدهد محمد لا كتابا آخر اليهم ثم أنت بلقيس وقومها (فلما أتيتهم يحضرون لاقبل لهم بها) لاطافة لهم بها حقيقة القبل المقارمة والمقابلة أي لا يقدرون أن يقابلوههم (ولتخرجهم منها) من سبها (أدلة وهم صاغرون) الدل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك وانصفوا ان يقفوا في أمر واستعباد فلما رجع اليهم ارسوا لها بالهدايا وانص عليها القصص قالت هونبي ومائنا به طافة ثم جعت عرشها في آخر سبعة أيام وغافت الابواب ووكت به (٤٠٥) حوسا بحفظونه وبعثت الي سليمان اني

قادمة اليك لا انظر ما الذي

تدعوا اليه وشخصت اليه

في اثني عشر ألف قبيل

تحت كل قبيل ألفوف فلما

بلغت على رأس فرسخ من

سليمان (قال يا أيها الملا

أيكم يأتي بعرشها قبل

أن يأتي قومي مسلمين) أراد

أن يرجعها بذلك بعض ما خصه

الله تعالى به من اجراء

الحجاب على يده مع

اطلاعها على عظيم قدرة

الله تعالى وعلى ما يشهد

لنبوة سليمان أو أراد أن

يأخذه قبل أن تسلم لعله

انها اذا أسلمت لم يحصل له

أخذها لها وهذا بعد عند

أهل التحقيق أو أراد أن

يؤتي به فينكر ويغير ثم ينظر

أنتبه أم تنكره اختبأرا

لغفلها (قال عفريت من

الجن) وهو الخبيث المارد

واسمه ذكوان (أنا آتيتك

به قبل أن تقوم من مقامك)

مجلس حكمك وقضائك

(واني عليه) على حمله

(لقوى أمين) آتي به كما هو

لا آخذ منه شيئا ولا أبده

فقال سليمان عليه السلام

أريد أعجل من هذا (قال

والنبوة ثم قال للمعذرين عمرو وأمير الوفاء (ارجع اليهم) أي بالهدية (فلما أتيتهم يحضرون لاقبل لهم بها) أي لاطافة (لهم بها) ولتخرجهم منها أي من أرض سبها (أدلة وهم صاغرون) أي اسلم يأتي قومي مسلمين قال وهب وغيره من أهل الكتاب لما رجعت رسل بلقيس اليها أي من عند سليمان وبلغوها ما قال سليمان قالت والله لقد عرفت ما هذا الملك وما تشابه من طافة فبعثت الي سليمان اني قادمة اليك فبعث اليه حتى أنظر ما أمرك وما الذي تدعوا اليه من دينك ثم أمرت بعرشها فجعلته في آخر سبعة أيام وغافت الابواب ووكت به حوسا بحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احفظ بما قبلك وسرر ملكي لا يخلص اليه أحد ثم أمرت مناديا ينادي في أهل مملكته أن تؤذنه بالرجوع وشخصت الي سليمان في اثني عشر ألف قبيل من ملوك اليمن كل قبيل تحت يده ألف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يتدأ بشئ حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يومئذ يسأل على سريره فسمع رجلا قريبا منه قال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت منها بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فأقبل سليمان على جنوده (قال يا أيها الملا أيكم يأتي بعرشها قبل أن يأتي قومي مسلمين) قال ابن عباس يعني طائفة من قبيل مؤمنين قبيل غرض سليمان في احضار عرشها ايرها فقدره الله تعالى واطهارا معجزة دالة على نبوته وقيل أراد أن ينكره ويغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك عقلها وقيل ان سليمان علم انها ان أسلمت يحرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سرها قبل أن يحرم عليه أخذه لانه أعجبه وصفه لما وصفه له الهدهد وقيل أراد أن يعرف قدر ملكها لان السرير على قدر المملكة (قال عفريت من الجن) وهو المارد القوي وقال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب اسمه كوذى وقيل ذكوان وقيل هو حضر المارد وكان مثلي الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه (أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك) أي مجلس قضائك قال ابن عباس وكان له في الغداة مجلس يقضى فيه الى متسع النهار وقيل نصفه (واني عليه) أي على حمله (لقوى أمين) أي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع من ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) قبل هو جبريل وقيل هو ملك أيد الله به سليمان وقيل هو آصف بن برخيا وكان صدقيا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى وقيل هو سليمان نفسه لانه أعلم بنبي اسرائيل بالكتاب وكان الله قد آتاه علمهما ففعل هذا ليكون الخطاب المعفريت الذي كله فاراد سليمان اظهار معجزة فتداهم أولا ثم بين للعفريت انه يتأني له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتأني للعفريت قبيل كان الدعاء الذي دعا به يا ذا الجلال والاكرام وقيل يا حي يا قيوم وروى ذلك عن عائشة وروى عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شئ الهنا واحد الاله الأنت اتيت بعرشها وقال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين مد عينيك حتى ينتهي طرفك قد سليمان عينيه ونظر نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله الملا كما تخجلوا السري يجرؤن به تحت الارض حتى نبع من بين يدي سليمان وقيل نزل سليمان ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرمي سليمان فقال ما قال (أنا آتيتك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قال سليمان ها قال أنت النبي ابن النبي وليس أحد عند الله أوجه منك

الذي عنده علم من الكتاب) أي ملك بيده كتاب المقادير أرسله الله تعالى عند قول العفريت أو جبريل عليه السلام والكتاب على هذا اللوح المحفوظ أو الخضر أو آصف بن برخيا كاتب سليمان وهو الاصم وعليه الجمهور وكان عند اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب وهو يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام أو يا الهنا واله كل شئ الهنا واحد الاله الأنت وقيل كان له علم بجاري القيوب الهاما (أنا آتيتك به) بالعرش وآتيتك في الموضوعين يجوز أن يكون فعلا أو اسم فاعل ومعنى قوله (قبل أن يرتد اليك طرفك) انك ترسل طرفك الى شئ فتقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروي ان آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك قد عينيه ونظر نحو اليمن فدعا

آخف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بقدره الله تعالى قبل ان يزيد طرفه (فلما رآه) أي العرش (مستقرا عنده) ثابتا لديه غير مضطرب (قال هذا) أي حصول مرادى وهو حضور العرش في مدة ارتداد الطرف (من فضل ربى) على واحسانه الى بلا استحقاق منى بل هو فضل خال من العوض صاف عن الغرض (ليعلمنى أشكر) ليمتحنى أشكر انعامه (أم أكفر ومن شكر فأنشكر نفسه) لانه يحبط به عناء العبء الواجب ويصونهم عن سمة الكفران ويستجلب به المزيد ويرتبط به النعمة قال شكر قيدا للنعمة الموجودة وصيدا للنعمة المفقودة وفي كلام بعضهم ان كفران النعمة توار وقليا أقشعت نافرة فرجعت في نصابم افاستدع شارد ها بالشكر واستدع را هنها بكرم الجوار واعلم (٤٠٦) ان سبع سنين توالي متقلص عما قريب اذا أنت لم تخرج لله وقارا أى لم تشكر لله نعمته

فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك بقى بالعرش في الوقت (فلما رآه) يعنى رأى سليمان العرش (مستقرا عنده) أى محولا اليه من مأرب الى الشام في قدر ارتداد الطرف (قال هذا من فضل ربى ليعلمنى) يعنى التمكن من حصول المراد (أشكر) أى نعمته على (أم أكفر) فلا أشكرها (ومن شكر فأنشكر نفسه) أى يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب به تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة (ومن كفر فان ربى غنى) أى عن شكره لا يضره ذلك الكفران (كريم) أى بالافضال عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قال نكروا لها عرشها) يعنى غيروا سريرها الى حال تنكروا اذا رآته قبل هو أن يزداد فيه أو ينقص منه وقبل انما يجعل أسفله أعلاه ويجعل مكان الجواهر الاحمر أخضر ومكان الاخضر أحر (تنظروا ثم تدعى) الى معرفة عرشها (أم تكونون من الذين لا يمتدون) الى معرفته وانما جعل سليمان على ذلك ما قال وهب ومحمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفتشى اليه أمرا الجن لان أمها كانت جنية واذا ولدت ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فأسأوا النساء عليها ايزهدها فيها وقالوا ان فى عقلها شيئا وان رجلاها ككافر الحمار وانها شعراء السابقين فاراد سليمان أن يختبر عقلها بتسكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح (فلما جاءت قبل) لها (أهكذا عرشك قالت كانه هو) قبل انما عرفته ولكنها شبهت عليهم كاشبهوا عليها وقبل انما كانت كميته لم تقل نعم خوفا من الكذب ولا قالت لا خوفا من التكذيب أيضا فقالت كانه هو فعرف سليمان كمال عقلها بحيث لم تقول تنكروا وقبل استنبه عليها أمر العرش لانها تركته في بيت عليه سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها قبل لها فانه عرشك فما أغنى عنك اغلاق الابواب ثم قالت (وأوتينا العلم من قبلها) أى من قبل الآتية فى العرش (وكننا مسلمين) أى منقادين منقادين خاضعين لأمر سليمان وقيل قوله تعالى وأوتينا العلم أى بالله وبهجة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدى والرسول من قبلها أى من قبل الآتية فى العرش وكننا مسلمين أو معناه وأوتينا العلم بالله وبقدرة الله على ما يشاء من قبل هذه المرأة وكننا مسلمين ويكون الغرض من هذا الشكر نعمة الله عليه أن خصه بعز العلم والتقدم فى الاسلام وقيل معناه وأوتينا العلم بالاسلام ومحبتها طائفة من قبل مجيئها طائفة وكننا مسلمين لله ﷻ قوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) أى منعها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه (انها كانت من قوم كافرين) أخبر الله أنها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس (قيل لها ادخلى الصرح) وذلك أن سليمان لما اختبر عقلها بتسكير

(ومن كفر) بترك الشكر على النعمة (فان ربى غنى) عن الشكر (كريم) بالانعام على من يكفر نعمته قال الواسطى ما كان منامن الشكر فهو لنا وما كان منه من النعمة فهو لنا وله المنه والفضل علينا (قال نكروا لها عرشها) غيروا أى جعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله (تنظر) بالجزم على الجواب (أنهم تدعى) الى معرفة عرشها أو للجواب الصواب اذا سئلت عنه (أم تكونون من الذين لا يمتدون فلما جاءت) بلقيس (قيل أهكذا عرشك) هاللتنبه والكاف للتشبيه وذات اسم اشارة ولم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك استلا يكون تلقينا (قالت كانه هو) فأجابت أحسن جواب فلم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلاها حيث لم تقطع فى المحفل للامر من أول ما شبهوا عليها

بقولهم أهكذا عرشك شبهت عليهم بقولها كانه هو مع انما علقت انه عرشها (وأوتينا العلم من قبلها) من كلام العرش بلقيس أى وأوتينا العلم بقدره الله تعالى وبهجة نبوة بالآيات المتقدمة من أمر الهدى والرسول من قبل هذه المجرة أى احضار العرش أو من قبل هذه الحالة (وكننا مسلمين) منقادين لك مطيعين لامر لك أو من كلام سليمان وملته عطفوا على كلامها قولهم وأوتينا العلم بالله وبقدرة وبهجة ما جاء من عنده قبل علمها وأوتينا العلم بالاسلام ومحبتها طائفة من قبل مجيئها طائفة وكننا مسلمين موحدين خاضعين (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) متصل بكلام سليمان أى وصدها عن العلم بما علمناه أو عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين أظهر الكفرة ثم بين نشأها بين الكفرة بقوله (انها كانت من قوم كافرين) أو كلاما مبني على ما قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضللاها عن سواء السبيل أو صدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار واىصال الفعل (قيل لها ادخلى الصرح) أى

المقصود أو حكن الدار (فلما رآه حسبه جنة) ماء عظيماً (وكشفت عن ساقها) ساقها بالهـ مزة مكي روى ان سليمان أمر قبيلاً قدومه
فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكفت
عليه الطيور والجن والانس واعمال ذلك ليزيدها استعظام الامر وتحقيق النبوة وقيل ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضى اليه بأسرارهم
لأنها كانت بنت جنيصة وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجمع فطنة الجن والانس (٤٠٧) فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو أشد

فقالوا له ان في عقلها شيئاً
وهي شعراء الساقين ورجلها
ككافر الحمار فاختر عقدها
بتمكيز العرش واتخذ
الصرح ليعرف ساقها
ورجلها فكشفت عنهما
فاذا هي أحسن الناس ساقاً
وقدماء الا انها شعراء فصرفت
بصره (قال لها) انه صرح
ممر (مجلس مستور ومنه
الامر (من قوارير) من
الزجاج وأراد سليمان تزوجها
فكره شعراء فعملت لها
الشياطين النورة فآزالتها
فكسها سليمان وأحبها
وأقرها على ملكها وكان
يزورها في الشهر مرة فيقيم
عندها ثلاثة أيام وولدت
له (قالت رب اني ظلمت
نفسى) بعبادة الشمس
(وأسلمت مع سليمان لله
رب العالمين) قال المحققون
لا يجهل أن يحتمل سليمان
لنظره الى ساقها وهي
أجنبية فلا يصح القول
بعمله (ولقد أرسلنا الى ثمود
آخاهم) في النسب (صالحاً)
يدل (أن اعبدوا الله)
بكسر النون في الوصل
عاصم وحزمه بصرى وضم

العرش وأراد أن ينظر الى قدميها وساقها من غير أن يسألها كشفها الماء أخبرته الجن ان رجلها ككافر
جاء وهي شعراء الساقين أمر الشياطين فعملوا لها قصر من الزجاج الأبيض كلها وقيل الصرح حكن
الدار وأجرى تحته الماء وألقى فيه السمك والضفادع وغيرهما من دواب البحر ثم وضع سريره في صدر
المجلس وجلس عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت في الوصفا والوصاف فلما جلس على
السر بردا بلفيس ولما جاءت قبيلاً لها ادخل الصرح (فلما رآه حسبه جنة) أى ماء عظيماً (وكشفت عن
ساقها) لتوض الماء الى سليمان فاذا هي أحسن النساء ساقاً وقد ما الا انها كانت شعراء الساقين فلما
نظر سليمان ذلك صرف بصره عنها (قال انه صرح ممر) أى مجلس (من قوارير) زجاج وليس بما خيئ
سمرت ساقها وعجبت من ذلك وعلت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة
(قالت رب اني ظلمت نفسى) بعبادة غـ برك (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أى أخلصت له التوحيد
والعبادة وقيل انما الما بلغت الصرح وظننته جنة قالت في نفسها ان سليمان يريد أن يغرقنى وكان القتل
أهون من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت رب اني ظلمت نفسى بذلك انظروا واختلوا في أمر بلفيس بعد
اسلامها فقبل انتهى أمرها الى قولها أسلمت لله رب العالمين ولا علم لاحد وراه ذلك لانه لم يذكر في الكتاب
ولا في خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها سليمان وكره ما رأى من كثرة شعراء ساقها فأسأل الانس عما يذهب
ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة اني لم عسى حديثاً ففكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فأسأل
الجن فقالوا لا تدري فأسأل الشياطين فقالوا احتمال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام
فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً وأقرها على ملكها وأمر الجن
فأبغوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلهما ارتفاعاً وحسن تاهى سليمان ويديون وعثمان ثم
كان سليمان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام يكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام
وولدت له ولداً ذكرها وقال وهب زعموا ان بلفيس لما أسلمت قال لها سليمان اختارى رجلاً من قومك حتى
أزوجهك اياه فقالت ومثلى يا نبي الله ينسكح الرجال وقد كان لي من قومي الملاك والساطان قال نعم انه لا يكون
في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك أن تحررى ما أحل الله قالت فان كان ولا بد فزوجنى ذاتي مع ملكهمذان
فزوجها اياه وذهب بها الى اليمن وملاك زوجها ذاتي مع على اليمن ودعا زوجه ملك الجن وقال له اعمل لى
تبع ما استعملك فيه فلم ير عمل له ما أراد الى أن مات سليمان وحال الحول وعلم الجن موت سليمان فاقبل
رجل منهم حتى بلغ خوف اليمن وقال باعلى صوته يامعشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم
فرفعوا أيديهم وقرقوا انقضى ملك سليمان وملاك ذى تبع وملاك بلفيس وبقي الملك لله الواحد القهار وقيل
ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة (ولقد أرسلنا
الى ثمود آخاهم صالحاً أن اعبدوا الله) أى وحدوه لا تشركوا به شيئاً (فاذا هم فريقان) أى مؤمن وكافر
(يختصمون) أى في الدين كل فريق يقول الحق معنا (قال) يعنى صالح الملقب بـ (يا قوم لم
تستجيبون بالسيئة) أى بالبلاء والعقوبة (قبل الحسنه) أى العافية والرحمة (لولا) أى هلا (تستغفرون

النون غيرهم اتباعا لآله والمعنى بان اعبدوا الله وحدوه (فاذا) لله فاجأه (هم) مبتدأ (فريقان) خبر (يختصمون) صفة وهي العاملة في
اذا والمعنى فاذا قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معى وهو مبين في قوله قال الملاك الذين استكبروا من
قومه للذين استضعفوا والمن آمن منهم تعلمون أن صالحاً امرسل من ربه قالوا انما يأمرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انما بالذى آمنتم به
كافرون وقال الفريق الكافر يا صالح اننا بما تعبدنا انك كنت من المرسلين (قال يا قوم لم تستجيبون بالسيئة) بالاعداب الذى وعدون (قبل
الحسنه) قبل التوبة (لولا) هلا (تستغفرون

الله (تطلبون المغفرة من كفرتم بالتوبة والايمان قبل نزول العذاب بكم) (اعلمكم ترجون) (قالوا طيرنا بك) نشاء منا بك لانهم قطعوا عند يدهم لتكذيبهم فذهبوا الى مجيئه والاصل طيرنا وقرئ به فادغمت التاء في الطاء وزيدت الالف لسكون الطاء (و من معن) من المؤمن (قال طائركم عند الله) أي سبيكم الذي يحيى منه خيركم (شركم عند الله) هو قدره وقدرته أو محملكم مكتوب عند الله فأنزل بكم منزل عقوبة لكم وقتنة ومنه كل انسان الزمان طائر في عنقه وأصله ان المسافر اذا امر الطائر بجره فان امره سافحا يامن واذا امره بارحاشاهم فلما نسبوا الخير والشر الى انظار راسه يبرلما كان سبيهم ما من قدرة الله وقدرته أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون وتعذبون بدينكم (وكان في المدينة) مدينة غردوهى الحجر (تسعة رهط) هو جمع لاواحد له ولذا جاز غير التسعة به فكانه قيل تسعة أنفس وهو من الثلاثة الى العشرة وعن أبي دؤاد رأيتهم قد اربن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكافوا أبناء أشرفهم (يفسدون في الارض ولا يصلحون) يعني ان شأنتهم الافساد البحت لا يخطأ بشئ من الصلاح كما يرى بعض المفسدين قد يندرونه بعض الصلاح وعن الحسن يظلمون الناس ولا يعنون الظالمين من الظلم وعن ابن عطاء يتبعون معائب الناس ولا يسترون عوراتهم (قالوا اتقاهم وباللله) (٤٠٨) تخالفوا خبري في محل الحال باضمار قد أي قالوا امتقاهم من أي امر أي امر بعضهم بعضا بانفسهم

(الله) أي بالتوبة اليه من الكفر (اعلمكم ترجون) أي لا تعذبون في الدنيا (قالوا طيرنا) أي نشاء منا (بل) (و من معن) قبل انما قالوا ذلك لتفريق كلمتهم وقيل لا مسالك القطر عنهم قالوا انما أصابنا هذا الضر والمشددة من شؤمنا وشؤم أصحابك (قال طائركم عند الله) أي ما يصيبكم من الخير والشر بأمر الله مكتوب عليكم سمى طائرا لانه لا شئ أسرع من نزول القضاء المحتوم وقال ابن عباس الشؤم الذي أنا كم من عند الله بكفركم وقيل طائركم أي محملكم عند الله سمى طائرا لانه أسرع صعوده الى السماء (بل أنتم قوم تفتنون) قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه تعذبون (وقوله تعالى) (وكان في المدينة) يعني مدينة غردوهى الحجر (تسعة رهط) يعني من أبناء أشرفهم (يفسدون في الارض) أي بالمعاصي (ولا يصلحون) أي لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قد اربن سالف (قالوا اتقاهم وباللله) يعني يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله أي القوم (لنبيئته) أي لنقلته ليدلا (وأهله) يعني قومه الذين آمنوا معه (ثم لنقولن لوليه) أي لولي دمه (ما شهدنا) أي ما حضرنا (مهلك أهله) أي ما ندرى من قتله ولا هلاك أهله (وانا الصادقون) أي في قولنا ما شهدنا ذلك (ومكروا مكرا) أي عذروا وعذرا حين قصدوا نبييت صالح وأهله (ومكروا مكرا) أي جازيناهم على مكبرهم بتجليل العذاب (وهم لا يشعرون) فانظر كيف كان عاقبة مكبرهم انادهم ناهم) أي أهل حكمهم أي التسعة قال ابن عباس أرسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فأتت التسعة دار صالح شاهرين سلاحهم وسيوفهم فرمهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وأهلك الله جميع القوم بالصيحة (وقومهم أجمعين) فمهلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) أي بظلمهم وكفرهم (ان في ذلك لآية) أي آية (لقوم يعلمون) أي قدرتنا (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) يقال ان الناجين كانوا أربعة آلاف (وقوله تعالى) (ولو طأذ قال لقومه أن أنقون الفاحشة) أي انفعلة القيحة (وأنتم تبصرون) أي تعلمون انها فاحشة وهم من بصر انقلب

(لنبيئته) لنقلته بيسا نا
أي ليدلا (وأهله) ولده وتبعه
(ثم لنقولن لوليه) لولي
دمه لنبيئته بالتاء وبضم
التاء الثانية ثم لنقولن
بالتاء وضم اللام حجرة وعلى
(ما شهدنا) ما حضرنا (مهلك
أهله) حفص مهلك أبو
بكر وجاد والمفضل من
هلك فالاول موضع الهلاك
والثاني المصدر مهلك
غديرهم من أهلك وهو
الاهلاك أو مكان الاهلاك
أي لم تعرض لاهله فكيف
تعرضنا له أو ما حضرنا موضع
هلا كه فكيف قولنا (وانا
صادقون) فيما ذكرنا
(ومكروا مكرا) مكروا

مكروا هم لا يشعرون) مكبرهم ما حضرهم من تدبير انقلصا له وأهله ومكروا الله اهلا كهم
من حيث لا يشعرون شبه بمكروا كرو على سبيل الاستعارة وروى انه كان لصالح مسجد في الجحفي شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح انه
يفرغ منا الى ثلاث فحقن نفرغ منه ومن أهله قبل الثالث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى فقتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم
فبعث الله صخرة من الهضب حياهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدروا قومه أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله
كل من منهم في مكانه ونجى صالحا عليه السلام ومن معه (فانظر كيف كان عاقبة مكبرهم انادهم ناهم) بفتح الالف كوفي وسهل وبكسر ها غيرهم
على الاستئناف ومن قعه رفعه على انه بدل من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدبيرهم أو نصبه على معنى لا نا أو على أنه خبر كان
أي فكان عاقبة مكبرهم الدمار (وقومهم أجمعين) بالصيحة (فمهلك بيوتهم خاوية) ساقطة متهدمة من خوى القوم اذا سقطت أو خالية من
الخلاء وهي حال حمل فيها ما دل عليه تلك (بما ظلموا) بظلمهم (ان في ذلك) فيما قبل (فمهلك بيوتهم يعلمون) قدرتنا فيمنعظون (وأنجينا
الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتقون) تركوا أمرهم وكانوا أربعة آلاف تجوز مع صالح من العذاب (ولو طأذ قال) واذا كر لوطا واذا بدل من
لوطا أي واذا كرو وقت قول لوط (لقومه أن أنقون الفاحشة) أي اتيان الذكور (وأنتم تبصرون) تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها من بصر
الغالب أو يرى ذلك بعضهم من بعض لانهم كانوا يركبون في نادهم معانين بها لا يتبرع بعضهم من بعض بمجانة واحما كافي المعصية

أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم ثم صرح فقال (أنتم) هم مرتين كوفي وشامى (لتأتون الرجال شهوة) للشهوة (من دون النساء) أى إن الله تعالى إنما خلق الأنثى للذكور ولم يخلق الذكور للأنثى لا تفتى فهو مضادة لله في حكمته (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل الجاهلين بأنهم فاحشة مع علمكم بذلك أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها وقد اجتمع الخطأ والغيبية في قوله بل أنتم قوم تجهلون وبل أنتم قوم تفتنون فقلب الخطأ على الغيبة لأنه أقوى إذا أصل أن يكون الكلام بين الحاضرين (فما كان جواب قومهم إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط) أى لوطا ومتبعيه فخير كان جواب واسمه أن قالوا (من فريستكم أنهم أناس ينظرون) يتنزهون عن الفاذورات يشكرون هذا العمل القدر ويغفطنا انكارهم وقيل هو استهزاء كقوله انك لانت الحليم الرشيد (فانجيئناه) فخلصناه من العذاب الواقع بالقوم (وأهله إلا امرأته قدرناها) بالتشديد سوى حاد وأبى بكر أى قدرنا كونها (من الغابرين) من الباقين في العذاب (وأما مطرنا عليهم مطرا) حجارة مكتوب عليها اسم صاحبها (فساء مطر المندرين) الذين لم يقبلوا الانذار (٤٠٩) (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله محمدا

وقيل معناه يبصر بعضهم بعضا وكافوا لا يستترون عتوانهم (أنتم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) فان قلت اذا تبصرون بالعلم وقد قال بعده قوم تجهلون فيكون العلم جهلا قلت معناه تفعلون فعل الجاهل وتعلمون انه فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل أراد بالجهل السفاهة التى كانوا عليها (فما كان جواب قومهم إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من فريستكم أنهم أناس ينظرون) يعنى من أدبار الرجال (فانجيئناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين) أى قضينا عليها بأن جعلناها من الباقين في العذاب (وأما مطرنا عليهم - مطرا) أى الحجارة (فساء) أى فساد (مطر المندرين) قوله عز وجل (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الأمم الخالية وقيل يحمد الله على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعنى الانبياء والمرسلين وقال ابن عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين (الله خير أم ما يشركون) فيه توكيد للمشركين والزمام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى الله خير لمن عبده أم الاصنام لمن عبدها فان الله خير لمن عبده وآمن به لا غشائه عنه من الهلاك والاصنام لم تكن شيئا عن عايدم اعند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر أنواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته (فالتنوع الاثرى قوله تعالى (أمن خلق السموات والارض) ذكر أعظم الاشياء المشاهدة الدالة على عظيم قدرته والمعنى (ألا اصنام خير أم الذى خلق السموات والارض) ثم ذكر نعمه فقال (وأنازل لكم من السماء ماء) يعنى المطر (فانبتنا به حدائق) أى بساتين جمع حديقة وهو البستان المحيط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة (ذات بهجة) أى ذات منظر حسن والبهجة الحسن يتنهج به من براء (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) يعنى ما ينفى لكم لانكم لا تقدرون على ذلك لان الانسان قد يقول أنا المنبت للشجرة بأن أغرسها أو أسقيها الماء فالزال الله هذه الشبهة بقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها لان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والطعوم والروائح المختلفة والزروع تسقى بماء واحد لا يقدر عليه إلا الله تعالى ولا يأتى لاحد وان تأتى ذلك لغيره محال (أله مع الله) يعنى هل معه معبود أعانه على صنعه (بل) يعنى

اصطفى) أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده نوطته لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شئ وهو أعلم بكل متكلم في كل أمر دى بال أن يتبرك بها ويستظهر بمكانها أو هو خطاب للوط عليه السلام بأن يحمد الله على هلاك كفار قومهم وسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم (الله خير أم ما يشركون) بالياء بصري وعاصم ولا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شئ وأغناه الزام لهم ونهكم بحالهم وذلك أنهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة

(٥٣ - خازن ثالث) الله تعالى ولا يؤثر عاقل شيئا على شئ الا لا داع يدعوه الى ايشاره من زيادة خير ومنفعة فقل لهم مع

العلم بأنه لا خير فيما آثروا وانهم لم يؤثر ولم يزدوا الخير ولكن هوى وعشائيلهم وعلى الخطا المفرط والجهل المورط وليعلموا ان البتة يجب ان يكون للخير الزائد وكان عليه الصلاة والسلام اذا قرأها قال بل الله خير وأبى وأجل وأكرم ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التى هي آثار رحمته وفضله فقال (أمن خلق السموات والارض) والفرق بين أم وأم في أم ما يشركون وأمن خلق السموات ان تلك متصلة اذا المعنى أيها خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهزة ولما قال الله خير أم الا الهة قال بل أمن خلق السموات والارض خير تقر بالهيم بان من قدر على خلق العالم خير من جاد لا يقدر على شئ (وأنازل لكم من السماء ماء) مطرا (فانبتنا) صرف الكلام عن الغيبة الى التسليم تأكيد المعنى اختصص الفعل بذاته وايدان بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسن إيمان واحد لا يقدر عليه الا هو وحده (به) بالياء (حدائق) بساتين والحديقة البستان وعليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة (ذات) ولم يقل ذات لان المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذهبت (بهجة) حسن لان الناظر يتنهج به ثم رشح معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ومعنى الذكيرة انبتوا أراد ان تأتى ذلك محال من غيره (أله مع الله) أعبره بقرن به ويجعل شريكه (بل)

هم قوم يعدلون) به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد بل هم بعد الخطاب أبلغ في تخطئه رأيهم (أمن جعل الأرض) وما بعده يدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه (قرارا) دحاها وسواها للاستقرار عليها (وجعل خلالها) ظرف أي وسطها وهو المفعول الثاني والاول (أمنارا) وبين البحرين مشله (وجعل لها) للأرض (رواسي) جبالا لتنعيمها عن الحركة (وجعل بين البحرين) العذب والمالح (حاجزا) مانعا أن يختلط (أله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) التوحيد فلا يؤمنون (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) الاضطراب اذ تعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة الى الجأ يقول اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من فوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله أو المذنب إذا استغفر أو المظلوم إذا دعا أو من رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر (ويكشف السوء) الضرر أو الجور (ويجعلكم خلفاء الأرض) أي فيها وذلك ثوابهم سكتاها والتصرف فيها قربا به بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والسياسة (أله مع الله (٤١٠) قليلا ما ند كرون) وبالياء أبو عمرو وبالتخفيف جزؤه على وحفص وما هنيدة أي تذ كرون

تذ كرا قليلا (أمن يهديكم) ليس معه اله ولا شريك (هم قوم) يعني كفار مكة (يعدلون) يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى الباطل النوع الثاني قوله عز وجل (أمن جعل الأرض قرارا) أي دحاها وسواها للاستقرار عليها وقيل لا تعدم بأهلها (وجعل خلالها) أي وسطها بأمنار نظرد بالمياه (وجعل لها رواسي) أي جبالا لتواست (وجعل بين البحرين) يعني العذب والمالح (حاجزا) أي مانعا لا يختلط أحدهما بالآخر (أله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) أي توحيدهم وقد رتبته وسط طائفة النوع الثالث قوله تعالى (أمن يجيب المضطر) أي المكروب المجهد وقيل المضطر وبالحاجة المحوجة من مرض أو نازلة من فوازل الدهر يعني إذا نزلت بأحد باد الى الالتجاء والتضرع الى الله تعالى وقيل هو المذنب إذا استغفر (إذا دعاه) يعني فيكشف ضره (ويكشف السوء) أي الضرر لا به لا يقدر على تفسير حال من فقرا الى غنى ومن مرض الى صحة ومن ضيق الى سعة الا القادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا تغلب ولا ينزع (ويجعلكم خلفاء الأرض) أي سكتاها وذلك انه ورثهم سكتاها والتصرف فيها قربا به بعد قرن وقيل يجعل أولادكم خلفاءكم وقيل جعلكم خلفاء الجن في الأرض (أله مع الله قليلا ما ند كرون) أي تتعطلون النوع الرابع قوله عز وجل (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) أي يهديكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين في البر والبحر (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) أي قدام المطر (أله مع الله تعالى الله عما يشركون) النوع الخامس قوله تعالى (أمن يبدأ الخلق) أي نطقا في الارحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء والأرض) أي من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات (أله مع الله قل هاتوا برهانكم) أي حجتكم على قولكم ان مع الله اله آخر (ان كنتم صادقين) قوله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله) نزلت في المشركين حين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى ان الله هو الذي يعلم الغيب وحده ويعلم متى تقوم الساعة (وما يشعرون أيا نبيعون) يعني ان من في السموات وهم الملائكة ومن في الأرض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يبعثون والله تعالى نفرد بعلم ذلك (بل ادارك علمهم) أي بلغ وخلق علمهم (في الآخرة) هو ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علموا في الآخرة حين غابوا ما شكوا فيه وعما وعنه في الدنيا وهو قوله تعالى (بل هم في شك منها) أي هم اليوم في شك من الساعة (بل ان مع الله اله آخر) قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله من فاعل يعلم والغيب هو ما لم يعلم عليه دلائل ولا اطلع عليه مخلوق مفعول والله يدل من من والمعنى لا يعلم أحد الغيب الا الله نعم ان الله تعالى يشه الى على ان يكون من في السموات والأرض ولكنه جاء على لغة بني تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجوزون النصب والبذل في المنقطع كافي المتصل ويقولون ما في الدار أحد الا جاروقالت عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله وقيل نزلت في المشركين حين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (وما يشعرون) وما يعلمون (أيا نبيعون) يشعرون (بل ادرك) مكي وبصري ويزيد والمفضل أي انتهى وتكامل من أدركت الفاكهة تكاملت نضجا بل ادرك عن الاعشى افتعل بل ادرك غيرهم استحكم وأصله ادرك فادغم التاء في الدال وزيد انب الوصل ليكون التكامل بها (علمهم في الآخرة) أي في شأن الآخرة ومعناها والمعادني ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنه قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله (بل هم في شك منها بل

ان مع الله اله آخر) قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله من فاعل يعلم والغيب هو ما لم يعلم عليه دلائل ولا اطلع عليه مخلوق مفعول والله يدل من من والمعنى لا يعلم أحد الغيب الا الله نعم ان الله تعالى يشه الى على ان يكون من في السموات والأرض ولكنه جاء على لغة بني تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجوزون النصب والبذل في المنقطع كافي المتصل ويقولون ما في الدار أحد الا جاروقالت عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله وقيل نزلت في المشركين حين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (وما يشعرون) وما يعلمون (أيا نبيعون) يشعرون (بل ادرك) مكي وبصري ويزيد والمفضل أي انتهى وتكامل من أدركت الفاكهة تكاملت نضجا بل ادرك عن الاعشى افتعل بل ادرك غيرهم استحكم وأصله ادرك فادغم التاء في الدال وزيد انب الوصل ليكون التكامل بها (علمهم في الآخرة) أي في شأن الآخرة ومعناها والمعادني ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنه قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله (بل هم في شك منها بل

هم منها عيون) والاضرابات الثلاث تنزل لاحوالهم وتكرير بطلهم وصفهم اولاً بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة
كائنات ثم بانهم يخبطون في شئ ومعرفة فلا يزالون والالفة مستطاعة ثم بما هو أسوأ حالاً وهو العمى وقد جعل الآخرة مستبداً أعمالهم
ومنشأ فلذا عداه من دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي منهم عن التدبر والتفكير ووجه ملازمة مضمون هذه الآية وهو
وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وان العباد لا علم
لهم بشئ منه انه لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب وكان هذا بياناً لجزأهم ووصف انقص وعلمهم وصل به ان عندهم عجزاً أبلغ منه وهو انهم
يقولون لا مكان الذي لا بد من كونه وهو وقت جزأ أعمالهم لا يكون مع ان عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به وجزاء أن يكون
وصفهم باستحكام العلم وتكامله ثم كتابهم كما تقول لا جهل الناس ما أعلم على سيدل المهره وذلك حيث شكوا وعما عن اقباله الذي
الطريق الى علمه مسلول فساد ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته ويجوز أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفي من قوله
أدركت الآخرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد قسر هـ الحسن باضمحل علمهم في الآخرة وتدارك من تدارك بشق لان اذا تابعا في
الهلاك (وقال الذين كفروا ان هذا آياتنا انما نخرجون) من قبورنا احياء وتكرير بحرف الاستفهام في اذا وان في قراءة عاصم وحزرة
وخلف انكار بعد انكار وجود عقيب وجود دليل على كفر مؤكدم بالغ فيه والعامل في اذا ما دل عليه لخرجون وهو يخرج لان اسم
الفاعل والمفعول بعدهم مرة الاستفهام أو ان أو لام الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف اذا اجتمعن والضمير في انالهم ولا بانهم لان كونهم
تراباً قد نالواهم وآباءهم لكنه غلبت الحكاية على الغائب وآباءنا عطف على الضمير (٢١١) في كنانا المفعول بحرى مجرى التوكيد

(لقد وعدنا هذا) أى
البعث (نحن وآباؤنا من
قبل) من قبل محمد صلى الله
عليه وسلم قدم هنا هذا على
نحن وآباؤنا في المؤمنون
نحن وآباؤنا على هذا يدل
على ان المقصود بالذكر
هو البعث هنا وعت
المبعوثون (ان هذا الا
أساطير الاولين) ما هذا
الا احاديثهم وأكاذيبهم
(فصل سيرة وافي الارض
فاظنوا كيف كان عاقبة

هم منها عيون) جمع عم وهو أعمى القلب وقيل معنى الآية ان الله أخبر عنهم انهم اذا بعثوا يوم القيامة
يستوى علمهم في الآخرة وما وعدوا فيمن الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا قوله
تعالى (وقال الذين كفروا) أى مشركو مكة (ان هذا آياتنا انما نخرجون) أى من قبورنا
احياء (لقد وعدنا هذا) أى هذا البعث (نحن وآباؤنا من قبل) أى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم
وليس ذلك بشئ (ان هذا) أى ما هذا (الأساطير الاولين) أى احاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها
(قل سيرة وافي الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم) أى يسكن ذمهم اياك واعراضهم
عنك (ولا تكن في ضيق مما يحكمرون) نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة (ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف) أى دنا وقرب (لكم) وقيل معنى ردفكم (بعض الذي
تستجلبون) أى من العذاب فخل بهم ذلك يوم بدر قوله عز وجل (وان ربك لذو فضل على الناس)
يعنى على أهل مكة حيث لم يجعل لهم بالعذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أى ذلك (وان ربك ليعلم
ما تكن صدورهم) أى تخفى (وما يعلنون) أى من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما من
غائبة) أى جلة غائبة من مكنوم سر وحقى أمر وشئ غائب (في السماء والارض الا في كتاب مبين) يعنى

المجرمين) أى آخر أمر الكافرين وفي ذكر الاجرام اطف بالمسلمين في ترك الجرائم اقوله تعالى قدم مدم عليهم ثم بهم بدنيهم وقوله
مما خطبائهم أغرقوا (ولا تحزن عليهم) لاجل انهم لم يبقوا ولم يسلبوا فيسلوا (ولا تكن في ضيق) في حرج صدر (مما يحكمرون) من مكرهم
وكيدهم لك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشئ ضيقاً بالفتق وهو قرأه غير ان كثير بالكرس وهو قرأته (ويقولون متى هذا
الوعد) أى وعد العذاب (ان كنتم صادقين) ان العذاب نازل بالكذب (قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستجلبون) استجلبوا
العذاب الموعود فقبل لهم عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيت اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة
أوضح معنى فعل لا يتعدى باللام فعود نالكم وادف لكم ومعناه تبهكم وطفكم وعسى ولعل وسوف في وعد المسلول وعيدهم يدل على
صدق الامر وجده فعلى ذلك جرى وعد الله وعيده (وان ربك لذو فضل) أى افضال (على الناس) بترك المعالجة بالعذاب (ولكن
أكثرهم لا يشكرون) أى أكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه فيستجلبون العذاب يحملهم (وان ربك ليعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون) يظهر من القول فليس تأخير العذاب عنهم خلفاً حالهم ولكن له وقت مقدر أو انه يعلم ما يخفون وما يعلنون
من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو عاقبتهم على ذلك بما يستحقونه وقرئ تكن يقال ككنت الشئ وأكنته
اذا سترته وأخفيه (وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين) سمي الشئ الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية والفاء في ما
كانا في العاقبة والغائبة ونظائرهما الرمية والذبيحة والنطيحة في اسم الاسماء غير صفات ويجوز أن يكونا صفتين وتأوهما المبالغة
كل اربعة كانه قال وما من شئ شديد الغيبوبة الا وقد علمه الله وأحاط به وأثبت في الاوح المحفوظ والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من

الملائكة (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) أي بين لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) فاهم اختلغوا في المسيح فخره وافيده
أحرابا ووقع بينهم الشك في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لئلا تصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد
اليهود والنصارى (وانه) وان القرآن (الهدى ورحمة للمؤمنين) لمن أنصف منهم وآمن أي من بني اسرائيل أو منهم ومن غيرهم (ان ربك
يقضى بينهم) بين من آمن بالقرآن ومن (٤١٢) كفر به (بحكمه) بعدله لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما وبحكمته وبدل

في الموضع المحفوظ (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) أي بين لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون)
أي من أمر الدين وذلك ان أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحرابا يظن بعضهم على بعض قتل
القرآن ببيان ما اختلفوا فيه (وانه) يعني القرآن (الهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم) أي يفصل
بينهم ويحكم بين المختلفين في الدين يوم القيامة (بحكمه) أي الحق (وهو العزيز) الممتنع الذي لا يرد له أمر
(العليم) أي بأحوالهم فلا يخفى عليه شيء منها (فتوكل على الله) أي فثق به (انك على الحق المبين) أي
البين (انك لا تسمع الموتى) يعني موتى القلوب وهم الكفار (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) أي
معرضين فان قلت ما معنى مدبرين والاصم لا يسمع صوتا سواء أقبل أو أدبر قلت هو تأكيده وبالغته وقيل
ان الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت أو يفهم بالإشارة فاذا لم يسمع ولم يفهم ومعنى الآية انه
نظرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذي لا يسيل الى سماعه وكالاصم الذي لا يسمع ولا يفهم وما
أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) معناه ما أنت بمرشد من أسماء الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الايمان
(ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا) الامن يصدق بالقرآن أنه من الله (فهم مسلمون) أي مخلصون ﴿ قوله
تعالى (واذا وقع القول عليهم) يعني اذا وجب عليهم العذاب وقيل اذا غضب الله عليهم وقيل اذا وجبت
الحجة عليهم وذلك انهم لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل اذا لم يرج صلاحهم وذلك في آخر الزمان
قبل قيام الساعة (أخرجناهم دابة من الارض) (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يادروا بالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخوفاصة أحدكم وأم
العامرية (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول
الآيات خروج طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضغى وأينهم ما كانت قبل صاحبها
فالاخرى على اثرها قريبا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة ومعهما خاتم
سليمان وعصا موسى فيجلبو وجه المؤمن وتقطع أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الحق ليجمعون فيقول
هذابا مؤمن ويقول هذابا كافرا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وروى البغوي بإسناده عن الشعبي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج رجلا باقى الجن فيفسد
ذكراها بالبادية لا يدخل ذكراها القرية يعني مكة ثم تكتس زمانا طويلا ثم تخرج خروجة أخرى قريبا
من مكة فتفسد ذكراها بالبادية ويدخل ذكراها القرية يعني مكة ثم يبين الناس يوما في أعظم المساجد
على الله حرمه وأكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهى في ناحية المسجد بدت توندنو
كذا قال عمرو بن العاص الى ابن مسعود بنى مخزوم عن ابن مسعود في ذلك فافرض الناس عنها
وتثبت لها عصابة عرفوا أنهم لم يجزوا الله فخرجت عليهم تنفيس رأسها من التراب فرت بهم فحلت
وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها طاب ولا يجزها راب
حتى ان الرجل ليقوم فيعوز منها بالاصالة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الان تصلى فيقبل عليها بوجهه
فتشمه في وجهه فيجأ الناس في ديارهم ويضطجعون في أسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف
الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن ولا تكافريا كافروا بإسناد الشعبي عن حديثه بن الجمان ذكر

عليه قراءة من قرأ بحكمه
جمع حكمه (وهو العزيز)
فلا يرد قضاؤه (العليم) عن
يقضى له ومن يقضى عليه
أو العزيز في انتقامه من
المبطلين العاصين بالفضل
بينهم وبين المحققين (فتوكل
على الله) أمره بالتوكل
على الله وقوله المبالة باعداء
الدين (انك على الحق
المبين) وعلى التوكل بأنه
على الحق الابلج وهو الدين
الواضح الذي لا يتعلق به
شك وفيه بيان ان صاحب
الحق حقيق بالوثوق بالله
و بنصرته (انك لا تسمع الموتى
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين وما أنت بهادى
العمى عن ضلالتهم) لما
كانوا لا يعون ما يسمعون
ولا ينفذون شئ من
بالموتى وهم أحياء يحتاج
الحواس وبالصم الذين ينفق
بهم فلا يسمعون وبالعمى
حيث يضلون الطريق ولا
يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم
ويجعله هم هداة بصراء
الا الله تعالى ثم أكد حال
الصم بقوله اذا ولوا مدبرين
لانه اذا تبعه عن الداعي
بان تولى عنه مدبرا كان

أبعد عن ادراك صوته ولا يسمع الصم مكى وكذا في الروم وما أنت بهادى العمى وكذا في الروم حزة (ان تسمع
الامن يؤمن بآياتنا) أي ما يجهدى اسماء على الاعلى الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها (فهم مسلمون) مخلصون من
قوله بلى من أسلم وجهه لله يعني جعله سائما لله خالصا له (واذا وقع القول عليهم) سمي معنى القول ومؤذاه بالقول وهو ما وعدوا من قيام
الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارقة الساعة وظهور أسرارها وحين لا تنفع التوبة (أخرجناهم دابة من الارض

نكلمهم) هي الجساسة في الحديث طولها ستون ذراعا لا يدركها طاب ولا يفوقها هارب ولها أربع فوائم وزغب ورش وجناحان وقيل لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيسل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون غر وخاصة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفاصلين اثنا عشر ذراعا تخرج من الصفا فنكلمهم بالعربية فنقول (ان الناس كانوا بايانا لا يوقنون) أي لا يوقنون بخروجي لان خروجهما من الآيات وتقول ألا اعنة الله على الظالمين أو نكلمهم ببطان الاديان كما هو دين الاسلام أو بان هذا مؤمن وهذا كافر وفتح أن كوفي وسهل على حذف الجار أي نكلمهم بان وغيرهم كسر والان الكلام بمعنى القول (١٣) أو بأصهارا نقول أي تقول الدابة ذلك ويكون

المعنى بآيات ربنا أو حكاية

نقول الله تعالى عند ذلك

ثم ذكر قيام الساعة فقال

(ويوم نحشر من كل أمة

فوجا) من للتبعية أي

وإذ كرب يوم نجتمع من كل أمة

من الامم زمرة (من يكذب

من للتبعية) (بآياتنا)

المتزلة على أيدينا (فهم

يوزعون) يحبس أولهم

على آخرهم حتى يجتمعوا

ثم يساقون الى موضع

الحساب وهذه عبارة عن

كثرة العدد وكذا الفوج

عبارة عن الجماعة الكبيرة

(حتى اذا جاؤا) حضروا

موقف الحساب والسؤال

(قال) لهم تعالى تهديدا

(أ كذبتم بآياتي) المتزلة

على رسلي (ولم تحيطوا

بها علما) الواو للحال كأنه

قال أ كذبتم بآياتي بادي

الرأي من غير فكر ولا نظر

يؤدي الى خاطئة العلم

بكم هاو انا حقيقة بانصديق

أو بالتكذيب (أم ماذا

كنتم تعملون) حيث لم

تتفكروا فيما كنتم تعملون

رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمه على الله فينفا عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض وينشق الصفا مما يلي المسمى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يخرج منها رأسها معلة ذات وبر ورش ان يدركها الطاب والى يفوقها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا فاما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتكتب بين عينيه نكسة وداء وتكتب بين عينيه كافر وروى عن ابن عباس انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصا هذه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جع والناس يسرون الى منى وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينس الشعب شعب أجياد مرنين أو ثلاثا قبل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين وروى عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيسل وقرنها قرن أيل وصدرها صدر أسد ولونها لون غر وخاصرتها خاصرة هرة وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب أجياد فتمس رأسها السحاب وربلاها في الارض وروى عن علي قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها الحية وقال وهب وجهه اوجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير فتعبر من رآها ان أهل مكة كانوا يحمدون القرآن لا يوقنون (نكلمهم) أي بكلام فصيح قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تقول ما أخبر الله تعالى (ان الناس كانوا بايانا لا يوقنون) تخبر الناس عن أهل مكة انهم لم يؤمنوا بالقرآن والبعث وقرئ نكلمهم بتخفيف الالام من النكلم وهو الجرح وقال ابن الجوزي سئل ابن عباس عن هذه الآية نكلمهم ونكلمهم فقال كل ذلك تفعل نكلم المؤمن ونكلم الكافر قوله تعالى (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) أي نحشر من كل قرن جماعة (من يكذب بآياتنا فهم يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقوا الى النار (حتى اذا جاؤا) يعني يوم القيامة (قال) الله تعالى لهم (أ كذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما) أي لم تعرفوها حق معرفتها (أم ماذا كنتم تعملون) أي كنتم لم تفكروا فيما كنتم تعملون بآياتي غير عالمين بها ولم تفكروا في محتمل بل كنتم بها جاهلين (ووقع القول) أي وجب العذاب (عليهم بما ظلموا) أي بما أشركوا (فهم لا ينطقون) أي بحجة وقيل ان أفواههم مختومة (ألم يروا أنا جعلنا آياتنا خلقنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) أي مضيا مبصرا وفي الآية دليل على البعث بعد الموت لان القادر على قلب الضياء ظلمة والظلمة ضياء قادر على الاعادة بعد الموت (ان في ذلك آيات لقوم يؤمنون) أي يصدقون فيعتبرون قوله تعالى (ويوم ينفخ في الصور) هو قرن ينفخ فيه اسرافيل قال الحسن الصور هو القرن ومعنى كلامه ان الارواح تجتمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب في الاجساد فتجلبها الاجساد (ففرع) أي فصعق (من في السموات ومن في الارض) أي ما قوا والمعنى انه يلقى عليهم ثم الفرع الى ان يموتوا

عبثا (ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) أي يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار قوله هذا يوم لا ينطقون (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) حال جعل الابصار للنهار وهو لا الهه والتقابل مر اعي من حيث المعنى لان معنى مبصر البصر وفيه طرق القلب في المكاسب (ان في ذلك آيات لقوم يؤمنون) يصدقون فيعتبرون وفيه دليل على صحة البعث لان معناه ألم يعلموا أننا جعلنا الليل والنهار قواما لما عاشهم في الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محسنا وابتلاء ولا بد عند ذلك من ثواب وعقاب فاذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار أخرى للثواب والعقاب (ويوم) واذ كرب يوم (ينفخ في الصور) وهو قرن أو جمع صورة والنافخ اسرافيل عليه السلام (ففرع من في السموات ومن في الارض) اختصار فرع على يفرع للشعار

بفتح الفزغ وثبوته وأنه كان لا محالة والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون (الامن شاء الله) الامن ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وقيل الحور وخزنة النار وحلة العرش وعن جابر رضي الله عنه منهم موسى عليه السلام لأنه صعق مرة ومثله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله (وكل آتوه) آتوه زحف وحفص وخاف آتوه غيرهم (٤١٤) وأصله آتوه (داخرين) حال أي صاغرين ومعه أي الاتيان حضورهم الموقف

وقيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين (الامن شاء الله) روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى الامن شاء الله قال هم الشهداء متقدمون أسبابهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهداء لأنهم أحياء عند ربهم لا يصل إليهم الفزع وقيل يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة الا هؤلاء الاربعة ويرى ان الله تعالى يقول ملك الموت خذ نفس اسرافيل فباخذ نفسه ثم يقول من بقي يملك الموت فيقول سبحانه تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم بقي جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فباخذ نفسه ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي من خلقي فيقول سبحانه تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام بقي وجهك الباقي الدائم الباقي وجبريل الميت لقائي فيقول الله يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى ان فضل خلقه على ميكائيل كفضل الطود العظيم على ظرب من الظراب ويرى أنه يبقى مع هؤلاء الاربعة حلة العرش فيقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم روح حلة العرش ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق أحد الا الله تبارك وتعالى طوى السماء كطوى السجل للكتاب ثم يقول الله أنا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيقول الله تعالى لله الواحد القهار (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من دفع رأسه فاذا موسى أخذ بقاعة من قوائم العرش فلا أدري أكان ممن استثنى الله عز وجل أم دفع رأسه قبلي ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب وقيل الذين استثنى الله هم رضوان والحور ومالك والزانية وقوله تعالى (وكل أي) وكل الذين أحيوا بعد الموت (آتوه أي جاؤهم) (داخرين أي صاغرين) قوله تعالى (وزي الجبال تحسبها جامدة) أي قاعه واقفة (وهي غمر السحاب) أي تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتسوي بها وذلك ان كل شيء عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكبره وعظمه وبعد ما بين أطرافه فهو في حساب الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمها مكان سير السحاب لا يرى لعظمه (صنع الله الذي أتقن كل شيء) يعني انه تعالى لما قدم هذه الاشياء كلها التي لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الاشياء التي أتقنها أو حكمها أو أتقنها على وجه الحكمة والصواب (انه خير بما يفعلون) قوله تعالى (من جاء بالحسنة) أي بكلمة الاخلاص وهي شهادة أن لا اله الا الله وقيل الاخلاص في العمل وقيل الحسنة كل طاعة عملها الله عز وجل (فله خير منها) قال ابن عباس فيها يصل الى الطير بمعنى انه له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والامن من العذاب أما من يكون له شيء خير من الايمان فلا لانه لا شيء خير من لا اله الا الله وقيل هو جزاء الاعمال والطاعات الثواب والحسنة وجزاء الايمان والاخلاص رضوان الله والنظر اليه لقوله ورضوان من الله وقيل معنى خير منها الاضعاف أعطاه الله بالواحدة عشرة أضعاف الا الحسنة استحقاق العبد والتضعيف تفصيل الرب تبارك وتعالى (وهم من فزع يومئذ آمنون) فان قلت كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من في

ورجوعهم الى أمره تعالى وانقيادهم له (وزي الجبال تحسبها) بفتح السين شامى وجيزة وينيد وعاصم وبكسر هاء غيرهم حال من الغاطب (جامدة) واقفة محسكة عن الحركة من جد في مكانه اذا لم يجر (وهي غمر) حال من الضمير المنصوب في تحسبها (مر السحاب) أي مثل مر السحاب والمعنى انك اذا رأيت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة في مكان واحد لظلمة ما وهي سير امير بها كالسحاب اذا ضربته الريح وهكذا الاجرام العظام المستكثرة العدد اذا تحركت لا تتكاد تبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش بأرض مثل الطود تحسب انهم

وقوف طاج والركاب ثم ملج (صنع الله) مصدر عمل فيه مادل عليه غمر لان مرورها كمر السحاب من صنع الله فيكأنه قيل صنع الله ذلك صنعناود كراسم الله لانه لم يدرك قبل (الذي أتقن كل شيء) أي أكتم خلقه (انه خير بما يفعلون) مكي

وبصري غير سهل وأبو بكر غير يحيى وغيرهم بالناء أي انه عالم بما يفعل العباد فيكافئهم على حسب ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) أي بقوله لا اله الا الله عند الجهور (فله خير منها) أي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لا يكون خير بمعنى أفضل ويكون منها في موضع رفع صفة نظير أي بسببها (وهم من فزع) كوفي أي من فزع شديد مفرط الشدة وهو خوف النار أو من فزع ماوان قل وبغير يونس غيرهم (يومئذ) كوفي ومدني وبكسر الميم غيرهم والمراد يوم القيامة (آمنون) آمن يعدي بالجوار بنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله

(ومن جاء بالسيرة) بالشرك (فكبت) ألقبت (وجوههم في النار) يقال كبت الرجل ألقته على وجهه أي ألقوا على رؤسهم في النار أو صبر عن الجلة بالوجه كما يعبر بالأس والرقبة عنها أي ألقوا في النار ويقال لهم نيكيتا عند الكلب (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) في الدنيا من الشرك والمعاصي (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) مكة (الذي حرّمها) جعلها حرماً آمناً يأمن فيها اللاجئ إليها ولا يختل خلها ولا يعضد شوكة ولا ينفر صيدها (وله كل شيء) مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والآخرة (وأمرت أن أكون من المسلمين) المتقدين له (وأن أتألو القرآن) من التلاوة أو من التألو كقولهم واتبع ما يوحى إليك من ربك أمر (٤١٥) رسول الله يقول أمريت أن أخص الله وحده

بالعبادة ولا أتخذله شريكاً كما فعلت قريش وإن أكون من الخلفاء الثابتين على ملة الإسلام وإن أتألو القرآن لأعرف الحلال والحرام وما يقضيه الإسلام وخص مكة من بين سائر البلاد بإضافة اسمها إليها لأنها أحب بلاد الله وأعظمها عنده وأشار إليها بقوله هذه إشارة تعظيم لها وتقريب دالاً على أنها موطن نبينا ومهبط وحينا بوصف ذاته بالعزيز الذي هو خاص وصفه وأرجع كل دخول كل شيء تحت ربهيته ولم يكن كالتابع لدخولها تحتها (فأهدى) بانباعه إياي فيما أنا به مدد من توحيد الله ونفي الشرك عنه والدخول في الملة الخبيثة واتباع ما أنزل على من الوحي (فأعالم ندي نفسه) فنفقة أهله واجدة إليه لآل (ومن ضل نفل أعماً يأمن المنذرين) أي ومن ضل ولم يتبعني فلا على وما أنا إلا رسول منذر وما على الرسول إلا البلاغ المبين

السموات ومن في الأرض قلت أن الفرع الأول هو ما لا يختلج عنه أحد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفتأ من رعب وهيبة وإن كان المحسن يأمن وصول ذلك الضرر إليه فأما الفرع الثاني فهو الخوف من العذاب فهم آمنون منه وأما ما يلحق الإنسان من الرعب عند مشاهدة الأهوال فلا ينفك منه أحد (ومن جاء بالسيرة) يعني بالشرك (فكبت وجوههم في النار) عبر بالوجه عن جميع البدن كأنه قال كبوا وطرحوا جميعهم في النار (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) أي تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك وقوله تعالى (انما أمرت) يعني بقول الله تعالى إلى رسوله قل انما أمرت (أن أعبد رب هذه البلدة) يعني أمريت أن أخص بعبادتي وتوحيدي الله الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة وأغنا خصها من بين سائر البلاد بالذكر لأنها مضافة إليه وأحب البلاد وأكرمها عليه وأشار إليها إشارة تعظيم لأنها موطن نبينا ومهبط وحينا (الذي حرّمها) أي جعلها الله حرماً آمناً لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلج خلالها ولا يدخلها إلا المحرم وأغنا ذكر أنه هو الذي حرّمها لأن العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة وإن تخبر عها من الله لا من الأصنام (وله كل شيء) أي خلقوا مملوكاً (وأمرت أن أكون من المسلمين) الله المطيعين له (وأن أتألو القرآن) أي أمريت أن أتألو القرآن ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما أمر به أتم قيام على ما أمر به (فأهدى) فأنما هدى نفسه أي نفع أهله بوجه إليه (ومن ضل) أي عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى (فقل انما يأمن المنذرين) أي من المخوفين وما على إلا البلاغ نستخبره آية القتال (وقل الحمد لله) أي على جميع نعمه وقيل على ما وفقني من القيام بإداء الرسالة والانتذار (سير بكم آياته) الباهرة ودلالة القاهرة قبل هو يوم بدر وهو ما أراهم من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وقيل آياته في السموات والأرض وفي أنفسكم (فتعرفونها) أي فتعرفون الآيات والدلالات (ومار بك بغافل عما تعملون) فيه وعبد الجرائم على أعمالهم والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة القصص

وهي مكية الآقوله تعالى الذين أنبأهم الكتاب إلى قوله لا يفتي الجاهلين وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله أن الذي فرض عليك القرآن لادك إلى معاد وهي عثمان وعثمان آية وأربع مائة واحددي وأربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (طسم ثلاث) إشارة إلى آيات السورة (آيات الكتاب المبين) قيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو الكتاب الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ووصفه بأنه مبين لأنه بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام (تتألو عاين من نأ) أي خبر (مومى وفرعون بالحق) أي بالصديق (أقوم يؤمنون) أي

(وقل الحمد لله سير بكم آياته فتعرفونها) ثم أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا تقاومها نعمة وإن يمدد أعداءه بما سيرهم الله من آياته في الآخرة فيستيقنون بها وقيل هو انشقاق القمر والدخان وما حل بهم من نعمات الله في الدنيا (ومار بك بغافل عما تعملون) بالآية مدني وشامى وحفص ويعقوب خطاب لاهل مكة وبأبنا خبرهم أي كل عمل يعملونه فإن الله عالم به غير غافل عنه فالغفلة والسهو لا يجوزان عليه (سورة القصص مكية عثمان آيات) (بسم الله الرحمن الرحيم) (طسم ثلاث آيات الكتاب المبين) يقال بأن الشيء وأبان معنى واحد ويقال ابنته فأبان لازم ومنتهى أي مبين خبره وبركته أو مبين للحلال والحرام والوعود والوعيد والاخلاص والتوحيد (تتألو عاين) نقرأ عاين أي يعرفه جبريل بأمرنا وهقول تتألو (من نبأ موسى وفرعون) أي تتألو ذلك بعض خبرهما (بالحق) حال أي محققين (أقوم يؤمنون)

لمن سبق في علمنا انه مؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم (ان فرعون) جلة مستأنفة كالتفسير للجهل كان فائلا قال وكيف كان نبؤهما اذ قال ان فرعون (علا) طغى وجاوز الحد في الظلم واستكبر واقتصر بنفسه ونسى العبودية (في الارض) أى أرض مملكته بعنى مصر (وجعل أهلها شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريدو بطبعونه لانه لا يكاد أحد منهم أن يلوى عنقه أو فرقا مختلفة بكرم طائفة ومين أخرى فأكرم القبطى وأهان الاسرائيلى (يستضعف طائفة منهم) هم بنو اسرائيل (يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم) أى يترك البنات أحياء للخدمة وسبب ذبح البنات ان كاهنا قال له يولد مولود فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل على حق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم ينفعه القتل وان كذب فبمعنى القتل ويستضعف حال من الضمير فى وجعل أرضه لشيعا أو كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف (انه كان من المفسدين) أى ان القتل (٤١٦) ظلمنا انما هو فعل المفسدين اذ لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب (وزيد ان

غن) تنفضل وهو دليل لنا فى مسئلة الاصلح وهذه الجلة معطوفة على ان فرعون علا فى الارض لانها نظيرة تلك فى وقوعها بنفسها لنبأ موسى وفرعون واقترانها له أو حال من يستضعف أى يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان غن عليهم وارادة الله تعالى كانه جعلت كالمقارنة لاستضعافهم (على الذين استضعفوا فى الارض ويجمعهم أئمة) قادة يقتدى بهم فى الخير أو قادة الى الخير أو لولاة وملوكا (ويجمعهم الوارثين) أى يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم (وعمكن) ممكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد ومعنى التمكين (لهم فى الارض) أى أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا تنبؤهم ويساطهم وينفذ أمرهم (وزرى فرعون وهامان

بصدقون بالقرآن (ان فرعون علا) أى تجبر وتكبر (فى الارض) أى أرض مصر (وجعل أهلها شيعا) أى فرقا فى أنواع الخدمة والتسخير (يستضعف طائفة منهم) بعنى بنى اسرائيل (يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم) سعى هذا الاستضعاف لانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم (انه كان من المفسدين) أى بالقتل والتجبر فى الارض (وزيد ان غن) أى نعم (على الذين استضعفوا فى الارض) بعنى بنى اسرائيل (ويجمعهم أئمة) أى قادة فى الخير يقتدى بهم وقيل ولأهملوكا (ويجمعهم الوارثين) بعنى املاك فرعون وقومه بان يجعلهم فى مساكنهم (وعمكن انهم فى الارض) أى فوطان لهم أرض مصر والشام ويجمعهم لهم سكا (وزرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) أى يخافون وذلك أنهم أخبروا ان هلاكهم على يد رجل من بنى اسرائيل وكانوا على حذر منه فأراهم الله ما كانوا يحذرون (وقوله تعالى) (وأوحينا الى أم موسى) هو روح الهام وذلك بان قد فى قلبها واسمها اوجانذ من نسل لاوى بن يعقوب (ان أرضه) قيسل أرضه ثمانية أشهر وقيل أربعة وقيل ثلاثة وكانت أرضه وهو لا يبكى ولا يتحرك فى حجرها (فاذا خفت عليه) أى الذبح (فألقه فى اليم) أى فى البحر وأراد به نيل مصر (ولا تخافى) أى عليه من الغرق وقيل الضيعة (ولا تخزنى) أى على فراقه (انارادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) قال ابن عباس ان بنى اسرائيل لما كثروا بمصر استظاوا على الناس وعمسوا بالمعاصى ولم يأمر وبال معروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوههم الى أن أنجاهم الله على يديه موسى عليه الصلاة والسلام

وذكر القصة فى ذلك قال ابن عباس ان أم موسى لما تقاربت ولادتها كانت قابلة من القوابل التى وكان فرعون يحبها الى بنى اسرائيل مصافيه لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها وقالت لها اقدنزل بي ما نزل فلينفعنى حبك اياى اليوم فعالت قبالة فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور عيني موسى فارتش كل مفصل فيها ودخل بـ موسى قلبها ثم قالت اياها هذه ما جئت اليك حين دعوتى الا امرادى قتل ولدك ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت حب شئ مثل حبه فاحفظى ابنك فانى أراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أصرها بعض العيون فجاءوا الى بابها ليدخلوا الى أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الخرس بالباب فلفته بخرقة وألفته فى التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير لونها ولم يظهر لها البين فقالوا ما أدخل القابلة قالت هى مصافية فى قد خلعت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لا تخشيه فأين المصبي

وجنودهما) بضم النون ونصب فرعون وما بعده بالياء ورفع فرعون وما بعده على وجره أى يرون منهم ما حذروه من فهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم ويرى نصب عطف على المنصوب قبله كقراءة النون أو رفع على الاستئناف (منهم) من بنى اسرائيل ويتعلق بنرى دون يحذرون لان الموصول (ما كانوا يحذرون) الحذر التوقى من الضرر (وأوحينا الى أم موسى) بالالهام أو بالزوايا أو بأخبار ملك كما كان لمريم وليس هذا وحى رسالة ولا تكون هى رسولا (أن أرضه) أى أو مصدرية (فاذا خفت عليه) من القتل بان يسمع الجيران صوته فيمتوا عليه (فألقه فى اليم) البحر قيل هو نيل مصر (ولا تخافى) من الغرق والضيق (ولا تخزنى) بفراقه (انارادوه اليك) بوجه لطيف لتربيته (وجاعلوه من المرسلين) وفى هذه الآية أمران ونهيان ونهيان وبشارتان والفرق بين الخوف والحزن ان الخوف يلحق الانسان لموقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاختار به فهمت عنهم جابشرت برده

اليه اوجعله من المرسلين وروى انه ذبح في طلب موسى تسعون ألفا وليدوروى انها (٤١٧) حين ضربها الطلق وكانت بغض القوايل

الموكلات بحبالى بسنى
اسرائيل مصافية لها
فعالجتها فلما وقع الى الارض
ها لها نور بين عينيه ودخل
حبه قلبها فقالت ما جئتك
الا لافسلك مولودك وأخبر
فرعون ولكن وجدت
لاينك حبا ما وجدت مثله
فاحفظه فلما خرجت القابلة
جاءت عبيون فرعون
فأخفته في خرفة ووضعته في
نور مسجور لم تعلم ما تصنع
لما طاش من عقلها فطلبوا
فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي
لا تدري مكانه فسمعت
بكاءه من النور فانطلقت
اليه وقد جعل الله النار ردا
وسلاما فلما ألح فرعون في
طلب الولدان أوحى اليها
بالقاءه في اليم فآلفته في اليم
بعد أن أرضعته ثلاثة أشهر
(فالتقطه آل فرعون)
أخذته قال الزجاج كان
فرعون من أهل فارس من
اصطخر (ليكون لهم عدوا)
أى لصير الامر الى ذلك
لا أنهم أخذوه لهذا كقولهم
للموت ما نلده الوالد وهى
لم تلد لان عوت ولدها ولكن
المصير الى ذلك كذا قاله الزجاج
وعن هذا قال المفسرون
ان هذه الامامية
والصيرورة وقال صاحب
المكشافى هى لامى التى
معناها التعليل كقولك
جئتك لتكرمنى ولكن

فقلت لا أدري فسمعت بكاء الصبي في النور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتملته
قال ثم ان أم موسى لما رأت الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها فدفن في قلبها أن تجيذ
تأبوا له ثم تقذف التابوت في النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشتريت منه تابوتا صغيرا فقال
النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت ابن لى أخبؤه في التابوت وكهنت الكذب قال ولم تقبل أخشى عليه
كيد فرعون فلما اشترى التابوت وحملته وانطلقت بها انطلق النجار الى النباحين ليخبرهم بأمر أم موسى
فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيديه فلم يدر الامناء ما يقول فلما أعياهم
أمره قال كبرهم اخبرهم فصر يصرهم وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه ردا الله عليه لسانه فتكلم
فانطلق أيضا يريد الامناء فأناهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يصر شيئا فصر يصرهم
وأخرجوه وبقي حيران فجعل لله عليه ان رد عليه لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان يكون معه فيحفظه
حيثما كان فعرف الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فخر الله سبحانه اذ قال يا رب ربى على هذا العبد الصالح
فدله عليه فأمن به وصدقه وقال وهب لما جئت أم موسى كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع
على جملها أحد من خلق الله تعالى وذلك شيء ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بنى اسرائيل فلما كانت
السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوايل وتقدم الامين ففتش النساء فتفتش سالم ففتش قبل ذلك مثله وحملت
بموسى ولم يتغير لونهما ولم ينب بطنهما فكانت القوايل لا تتمرص لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا
وقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد الا أخته مريم وأوحى الله اليها ان أرضعها فاذا خفت عليه فالقيه
في اليم فكفته ثلاثة أشهر فلما خافت عليه عملت تابوتا مطبقا ثم آلفته في اليم وهو البحر لئلا قال ابن عباس
وغيره كان فرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث
حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء والسحرة فنظروا في أمرها
فقالوا أي الملك لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطيخ به برصه فقتلوا من
ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس كان له
على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جوارحها حتى جلست على شاطئ
البحر مع جوارحها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن اذ أقبل النيل بالتابوت تضرب به الامواج فقال
فرعون ان هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجر اتقوا به فاستدروا بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه
فعالجوا ففتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فذنت آسية فذنت في خوف التابوت
نور المبره غيرها فلما جثت الباب فاذا هى بصبي صغير في التابوت واذا نور بين عينيه وقد جعل الله
رزقه في ايامه عص منه لبنا فالتقى الله محبته في قلب آسية وأحبته فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت
فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت الى ما يسيل من أشداقه من ريقه فلطخت به برصها فبرأت
فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك اننا نظن ان ذلك المولود الذي تحذر منه
من بنى اسرائيل هو هذا ارمي به في البحر فزعما نلهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لي ولك لا تقتلوه
عسى ان ينفعنا أى فنصيب منه خيرا أو نتخذه ولدا وكانت لا تدفست وهبت موسى من فرعون فوجهه لها
وقال فرعون اما أنا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوقال يومئذ قرة عين لي كما هو لك
لهذا الله كما هذا الله فقيل لا آسية سميه قالت سميته موسى لا نار جناه في الماء والشجر لان مو هو الماء
وسا هو الشجر فذلك قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط وجود الشيء من غير طلب (ليكون لهم
عدوا وحزنا) أى عاقبة أمرهم الى ذلك لانهم لم يلقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا (ان فرعون وهامان
وجنودهما كانوا خاطئين) أى آثمين وقيل هو من الخطا ومعناه أنهم لم يشعروا انه الذي يذهب عليهم

(٥٣ - حازن ثالث) معنى التعليل فيها وورد على طريق المجاز لان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له شبه بالداعى الذي يفعل الفاعل الفضل لاجله
وهو الاكرام الذي هو نتيجة الهوى (وحزنا) وحزنا على وحزنا والغنى كالعدم والعدم (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين)

خاطبين تخفيف خاطبين أوجه فرأى كانوا مذنبين فعاफीهم الله بان ربي عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وكانوا خاطبين في كل شيء فليس خطوهم في تربية عدوهم يبدع منهم (وقالت امرأت فرعون قرة عين لي ولك) روى انهم حين التقطوا التابوت عالجوا قبحه فلم يقدروا عليه فمالجوا كسره فاعياهم فحدثت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً فاحلته ففتحه فاذا بصبي نوره بين عينيه فأحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء فنظرت الى وجهه فبرأت فقالت الغواة من قومه هو الذي تحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لالي وفي الحديث لو قال كذا قالت لهداه الله تعالى كما هداها وهذا على سبيل الفرض أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية انقال مثل قولها وكان أسلم كما أسلمت وقررة خبر مبتدأ محذوف أي هو قررة ولي ذلك صفتان لقررة (لا تقبلوه) خاطبته خطاب المألوك أو خاطبت الغواة (عسى أن ينفعنا) فان فيه محال الجن ودلائل النفع وذلك لما عاينت من النور وبراء البرصاء (أو تتخذ ولدًا) أو تتبناه فإنه أهل لان يكون ولد المملوك (وهم لا يشعرون) (٤١٨) حال وذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا

(وقالت امرأت فرعون قرة عين لي ولك لا تقبلوه عسى أن ينفعنا أو تتخذ ولدًا وهم لا يشعرون) قال رهب لما نظر اليه فرعون قال عبراني من الاعداء فغاظه ذلك وقال كيف أخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية امرأت فرعون من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت أم الملسا كين ترجمهم وتصدق عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة الى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وأنت أمرت أن تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندي وقيل انها قالت انه آتانا من أرض أخرى وليس هو من بني اسرائيل فاستخياه فرعون وألقى الله محبته عليه قال ابن عباس لو أن عدو الله قال في موسى كذا قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعله الله ولكنه أبي للشفاء الذي كتبه الله عليه وقوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أي خاليًا من كل شيء إلا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه ناسيًا للوحى الذي أوحى الله عز وجل اليها حين أمرها أن تلقيه في الميم ولا تخاف ولا تحزن والعهد الذي عهد اليها ان يرد اليها ويحمله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجره وثوابه وتوليبت أنت قتله وألقيته في البحر وأغرقته ولما تأها الخبر بأن فرعون أصابه في النسل قالت انه قد وقع في يد عدوه الذي فررت منه فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها (ان كادت لتبدي به) أي لتصرح بأنه ابنها من شدة وجلها قال ابن عباس كادت تقول والابناء وقيل لما رأت التابوت رفعة موجبة ونحطة أخرى خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شدة شفقتها عليه وقيل كادت تظهر أنه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى ابن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو ابني وقيل كادت تبدي بالوحى الذي أوحى الله اليها أن يرد عليها (لولا أن ربنا على قلبها) أي بالعصمة والصبر والتثبيت (لتكون من المؤمنين) أي من المصدقين بوعد الله ايها (وقالت لاخوته) أي لمريم أخت موسى (قصيه) أي اتبى أثره حتى تعطى خبره (فبصرت به عن جنب) أي عن بعد قيل كانت تمشى جانباً وتنظره اختلاساترى انها لا تنظره (وهم لا يشعرون) انها أخته وانها رقبته (وحر مناعليه المراضع) المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل فديا قال ابن عباس ان امرأت فرعون كان همها من الدنيا ان تجد من ترضعه كلها أنوار رضعه لم يأخذ ثديها وهم في طلب من يرضعه لهم (من قبل) أي قبل مجي أم موسى وذلك لما رأت أخت موسى التي أرسلتها أمه في طلب ذلك (فقالت) يعني أخت موسى (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أي يضمونه

وقالت امرأت فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطا عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جلة اعتراضية واقعية بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعاني والبيان (وأصبح) وصاد (فؤاد أم موسى فارغا) صفرًا من العقل لمادهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه في يد فرعون (ان كادت لتبدي به) لتظهر به والضمير لموسى والمراد بامرء وقصته وأنه ولدها قيل لما رأت الامواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول والابناء وقيل لما سمعت ان فرعون أخذ التابوت لم تشك انه يقتله فكادت تقول والابناء شفقة

عليه وان مخففة من الثقيلة أي انها كادت (لولا أن ربنا على قلبها) لولا ربنا على قلبها والربط على القلب تقويته ويرضونه بالهام الصبر (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعدنا وهو ان اردوه اليك وجواب لا محذوف أي لا بدته أو فارغانا منهم حين سمعت ان فرعون يتبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانهم تلك نفسهم فرحا وسرورا بما سمعت لولا أن طامنا قلبها وسكننا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا يتبني فرعون قال يوسف بن الحسين أمرت أم موسى بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت ببشارتين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياتها فربط على قلبها (وقالت لاخته) مريم (قصيه) اتبى أثره لتعلم خبره (فبصرت به) أي أبصرت به (عن جنب) عن بعد حال من الضمير في به أو من الضمير في بصرت (وهم لا يشعرون) انها أخته (وحر مناعليه المراضع) تحريم منع لا تحريم شرع أي منعناه أن يرضع ثديا غير ثدي أمه وكان لا يقبل ثدي مرضع حتى أههم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي يرضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع وهو الثدي أو الرضاع (من قبل) من قبل قصه أثره أو من قبل أن ترده على أمه (فقالت) أخته وقد دخلت بين المراضع ورأته لا يقبل ثديا (هل أدلكم) أرشدكم (على أهل بيت يكفلونه) أي موسى (لكم)

(الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى) ضرب به يجمع كفه أو باطراف أصابعه (ففضى عليه) فقتله (قال هذا) إشارة إلى القتل الحاصل بغير قصد (من عمل الشيطان) وانما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظمنا لنفسه واستغفر منه لأنه كان مستأمنا فيهم ولا يحل قتل الكافر الحربي المستأمن أو لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل وعن ابن جريج ليس النبي أن يقتل ما لم يؤمر (أنه عدو مضل مبين) ظاهر العداوة (قال رب) يارب (أني ظلمت نفسي) بفعل صار قتيلا (فاغفر لي) زلتني (فغفر له) زلتسه (أنه هو الغفور) بأقواله الزال (الرحيم) بأزواله الجعل (قال رب بما أنعمت) (٤٣٠) على فلان أكون ظهيرا) معبنا (للمجرمين) للكافرين وبما أنعمت على قسم

الذي من شيعته) يعني الاسرائيلي (على الذي من عدوه) يعني الفرعوني والاستغناء طاب الغوث والمعنى أنه سأله أن يخلصه منه وإن ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لأنه أخذوه وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس إلا أنه من قبل الرضاغة فقال موسى للفرعوني خل سبيله فقال انما أخذته ليحمل الخطب الي مطبخ أبيك فإزعه فقال الفرعوني لقد هممت أن أحله عليا وكان موسى قد أوقى بسطة في الخلق وشدة في القوة (فوكزه موسى) أي ضرب به يجمع كفه وقبل الوكز الضرب في الصدر وقبل الوكز دفع باطراف الأصابع (ففضى عليه) أي قتله وفرغ من أمره فقدم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ودفعه في الرمل (قال هذا من عمل الشيطان أنه عدو مضل مبين) أي بين الضلالة وقيل في قوله هذا إشارة إلى عمل القتل لا إلى عمل نفسه والمعنى أن عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخافة الله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا إشارة إلى المقتول يعني أنه من جنس الشيطان وخزبه (قال رب أني ظلمت نفسي) أي يقتل القبطي من غير أمر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وإن لم يكن هناك ذنب وقوله (فاغفر لي) أي ترك هذا المندوب وقيل بحتمل أن يكون المراد رب أني ظلمت نفسي حيث فعلت هذا فان فرعون إذا عرف ذلك قتلني به فقال فاغفر لي أي فاسره علي ولا توصل خبره إلى فرعون (فغفر له) أي قدره عن الوصول إلى فرعون (أنه هو الغفور الرحيم قال رب بما) أي بالمغفرة والسرا الذي (أنعمت على) فان أكون ظهيرا للمجرمين) معناه فألا أكون معاونا لاحد من المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل على أن الاسرائيلي الذي أمانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن فأتلى في اليوم الثاني أي لم يقل فلم أكن ان شاء الله ظهيرا للمجرمين (فأصبح في المدينة) أي التي قتل فيها القبطي (خائفا يترقب) أي ينتظر سوءا والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يؤخذ به (فأذا الذي استنصره بالامس يستنصره) أي يستغيث به من بعد قال ابن عباس أني فرعون فقيل له ان بني اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فيبشاهم بطوفون لا يجدون بينه اذهر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعوني وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطي (قال له موسى) للاسرائيلي (أنا لغوي مبين) أي ظاهر الغواية قاتلت رجلا بالامس فقتلته بسيفك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه (فلما أن أراد أن يبش بالذي هو عدوهما) وذلك ان موسى أخذته الغيرة والرقه للاسرائيلي قديده ليبش بالقبطي قطن الاسرائيلي انه يريد أن يبش به لما رأى من غضب موسى وسمع قوله أنا لغوي مبين (قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالامس) معناه انه لم يكن علم أحد من قوم فرعون ان موسى هو الذي قتل القبطي حتى أفتى عليه الاسرائيلي ذلك فسمع القبطي فأتى فرعون فأخبره بذلك (ان تريد إلا أن تكون جبارا

جوابه محذوف تقديره أقدم بانعامك على بالمغفرة لا توذن فلن أكون ظهيرا للمجرمين أو استغاثت كما قال رب اعصمني بحق ما أنعمت على من المغفرة فان أكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين وأراد بظاهرة المجرمين صفة فرعون وانتظامه في جنسه وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد (فأصبح في المدينة خائفا) على نفسه من قتله القبطي أن يؤخذ به (يترقب) حال أي يتوقع المكروه وهو الاستقادة منه أو الاخبار أما يقال فيه وقال ابن عطاء خائفا على نفسه يترقب نصرة ربه وفيه دليل على انه لا بأس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس انه لا يسوغ الخوف من دون الله (فأذا الذي) إذا للمفاجأة وما بعدها مبتدأ (استنصره) أي موسى (بالامس يستنصره) يستغيثه والمعنى ان

الاسرائيلي الذي خاصه موسى استغاث به نائبا من قبطي آخر (قال له موسى) أي للاسرائيلي (أنا لغوي مبين) أي ضال عن الرشدا ظاهر التي فقد قاتلت بالامس رجلا فقتلته بسيفك والرشد في التدين أن لا يفعل فعلا يفضي إلى البلاء على نفسه وعلى من يريد نصرته (فلما أن أراد) موسى (أن يبش بالذي) بالقبطي الذي (هو عدوهما) لموسى والاسرائيلي لأنه ليس على دينهما أولان القبط كانوا أعداء بني اسرائيل (قال) الاسرائيلي لموسى عليه السلام وقد نوهتم انه أراد أخذه لا أخذ القبطي اذ قال له أنا لغوي مبين (يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك) يعني القبطي (بالامس ان تريد) ما تريد (الآن أن تكون جبارا) أي قنالا بالغضب

(في الارض) أرض مصر (وماتر يد أن تكون من المصلحين) في كظم الغيظ وكان قتل القبطى بالامس قد شاع ولكن خفي قاتله فلما أفضى على موسى عليه السلام علم القبطى ان قاتله موسى فاخبر فرعون فهاجموا بقتله (وجاء رجل من أقصى المدينة) هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون (يسعى) صفة لرجل أو حال من رجل لانه وصف بقوله من أقصى المدينة (قال يا موسى ان الملا يا قومون بك ليقتلوك) أى يأمر بعضهم بعضا بقتلك أو يتشاورون بسببك والانتقام للشاوير يقال الرجلان يتآمران أى يتآمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشئ أو يشير عليه بأمر (فاخرج) من المدينة (الى لك من الناصحين) (٤٣١) للبيان وليس بصلة الناصحين لان الصلة

لانتقام على الموصول كما قال الى من الناصحين ثم أراد أن يبين نقل لك كما يقال سقيالك ومزجبالك (نخرج) موسى (منها) من المدينة (خائفا يترقب) التعرض له في الطريق أو ان يلحقه من يقاتله (قال رب نجني من القوم الظالمين) أى قوم فرعون (ولما توجه ثقاتهم) نحوها والوجه الاقبال على الشئ ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام قيل خرج موسى خائفا لا يظهر ولا زاد ولا أحد ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض حتى رأى خضرته في بطنه وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو أول ابتلاء من الله موسى (عسى ربي أن يمد يدي سواء السبيل) أى قصدا الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن يعرف الطريق اليها قيل لما دعا موسى جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين (وقوله عز وجل) (ولما ورد ماء مدين) هو بئر كفاوا يسقون منها مواشيهم (وجده عليه) أى على الماء (أمة) أى جماعة (من الناس يسقون) أى مواشيهم (ووجد من دونهم) أى سوى الجماعة وقيل بعيدا من الجماعة (امرأتين تذرودان) أى تحبسان وتمنعان أغنامهم - جماعة من الماء حتى يفرغ الناس ويخلوهم - ما البئر وقيل تكفان الغنم عن ان تختلط باغنام الناس وقيل غنما غنما عن ان تذرودا والاول أولى لما بعده وهو قوله (قال) يعنى موسى والمرأتين (ما خطبك) أى ما شأنك بالانسياق مع الناس (فالتا لانسق) أى أغنامنا (حتى يصدر الرعاء) أى حتى يرجع الرعاء عن الماء والمعنى انا امرأتان لان استطيع ان تراحم الرجال فاذا صدروا سقيننا نحن مواشينا من فضل ما بقى منهم - فى الخوض (وأبو ناسخ) أى لا يقدرون على مواشيه فذلك احتجنا نحن الى سقى الغنم قيل أبوهم هو شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل هو يرون ابن أخى شعيب وكان شعيب قد مات بعدما كف بصره وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رآهما - ورجعهما فاقطع صخرة من على رأس بئر أخرى كانت يهرجها لا يطبق رقعها الا جماعة من الناس وقيل تراحم القوم ونحسهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقى غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه الا عشرة نفر فجاء موسى فرفع الحجر وحده وزرع دلو واحد اودعا فيه البئر كرسى الغنم فرويت فذلك

مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) فى مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تذرودان) تطردان غنهما عن الماء لان على الماء من هو أقوى منهما فلا تمكنا من السقى اولئلا تختلط أغنامهما باغنامهم والذود الطرد والدفع (قال ما خطبك) ما شأنك وحقيقته ما خطبك أى ما مطبوكك من الزيادة فى المخطوب خطبا (فالتا لانسق) غنما (حتى يصدر الرعاء) مواشيهم يصدر رشاى ويزيدوا أبوهم روى يرجع والرعاء جمع راع كقائم وقيام (وأبو ناسخ) لا يمكنه سقى الاغنام (كبير) فى حاله أوفى السن لا يقدور على رعى الغنم أبدا لانه هذرها فى قولهم السقى بانفسهما

مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) فى مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تذرودان) تطردان غنهما عن الماء لان على الماء من هو أقوى منهما فلا تمكنا من السقى اولئلا تختلط أغنامهما باغنامهم والذود الطرد والدفع (قال ما خطبك) ما شأنك وحقيقته ما خطبك أى ما مطبوكك من الزيادة فى المخطوب خطبا (فالتا لانسق) غنما (حتى يصدر الرعاء) مواشيهم يصدر رشاى ويزيدوا أبوهم روى يرجع والرعاء جمع راع كقائم وقيام (وأبو ناسخ) لا يمكنه سقى الاغنام (كبير) فى حاله أوفى السن لا يقدور على رعى الغنم أبدا لانه هذرها فى قولهم السقى بانفسهما

(ففي لهما) ففقي غنهما لاجلها ما رغبة في المعروف وانما لله في القوم عن رأس البعير وسألهما دلوفا فاعطوه دلوهم وقالوا اسقناهم او كانت لا ترفعها الا ربعون فاستقي ما اوصى بها في الخوض ودعا بالبركة وترك المفعول في يستقون وتذودان ولا نسقي وفسي لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه اغار جهما لانهما كانتا على الزيادة وهما على السقي ولم يرجعهما لان مذودهما غنم ومسيقهما ابل مثلاً وكذا في لا نسقي وفسي فالقصود هو السقي لا المسقي ووجه مطابقته جواب ما سأله انه سألهما عن سبب الذود فقالا السبب في ذلك اننا امرأتان مسيتورتان ضعيفتان لا نقدو على مزاحمة الرجال ونسقي من الاختلاط بهم فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يفرغوا وانما رضى شعيب عليه السلام لا ينتبه بسقي الماشية لان هذا الامر في نفسه ليس بمحذور والدين لا ياباه وأما المروءة فعادات الناس في ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال النجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضرة خصوصاً اذا كانت الحالة حالة ضرورة (ثم تولى الى الظل) أي ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف ما يقوله بعض المتشقة ولما طال البلاء عليه أنس بالشكوى اذ لا نقص في الشكوى الى المولى (٤٣٢) (فقال رب اني لما) لاى شئ (أنزلت الى من خير) قليل أو كثير غث أو رقيق (فقير) محتاج

وقوله تعالى (ففي لهما ثم تولى الى الظل) أي عدل الى أصل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع (فقال رب اني لما أنزلت الى من خير فقير) معناه انه طلب الطعام بطوعه واحتياجه اليه قال ابن عباس ان موسى سأل الله فلة خير يقيمها صلبه وعن ابن عباس قال لقد قال موسى رب اني لما أنزلت الى من خير فقير وهو اكرم خلقه عليه ولقد افترق الى شق غرة وقيل ما سأل الا الخبز فلما رجعتا الى أبيهما سريعا قبل التماس وأغنامهما حافل بطن قال لهما ما أعجلكما قاله اوجدنا رجلاً صالحاً خارجاً فسقي لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه الى قال الله تعالى (خفاء) احدهما غنشي على استحياء) قيل هي الكبرى واسمها صفورا وقيل صفرا وقيل بل هي الصغرى واسمها ليلى وقيل صفراء وقال عمر بن الخطاب ليست بسلف من النساء خراجه ولا حجة ولكن جاءت مستترقة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء وقيل استحييت منه لانها دعته لتكافئه وقيل لانها رسول أبيها (قالت ان أبي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا) قيل لما سمع موسى ذلك كره ان يذهب معها ولكن كان جائعاً فلم يجد بداً من الذهاب فشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت الرجح تضرب ثوبها فتصف ردفها فذكره موسى ان يرى ذلك منها فقال لها امشي خافي ودليني على الطريق اذا أخطأت ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب اذا هو بالعيش مهياً فقال اجلس ياقي فتعش فقال موسى أعوذ بالله قال شعيب لم ذاك ألتستجيباً قال بلى ولكن أخاف ان يكون هذا عوضاً ما سقيت لهما وانا أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الاخرة عوضاً من الدنيا فقال له شعيب لا والله ياقي والله كنم عادي وعادة آباءي تقرى الضيف ونظم الطعام فجلس وأكل فذلك قوله عز وجل (فلما جاءه) أي موسى (وقص عليه القصص) أي أخبره بامرء أجع من خببر ولادته وقتله القبطى وقصه فرعون قتله (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يعني من فرعون وقومه وانما قال ذلك لانهم يكن فرعون سلطان على مدين (قالت احدهما يا أبت استأجره) أي اتخذها أجيراً ليرعى أغنامنا (ان خير من استأجرت القوي الامين) يعني ان خير من استعملت من قوى على العمل وأدى الامانة فقال لها

وعدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل كان لم يذق طعاماً سبعة أيام وقد اصبق بظفره بطنه ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت الى من خير الدارين وهو الجنة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملكا وثروة قال ذلك رضا بالبدل السني وفرح به وشكر الله وقال ابن عطاء نظير من العبودية الى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من الافوار (خفاء) احدهما غنشي على استحياء قالت ان أبي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا) على استحياء في موضع الحال أي مستحبة وهذا دليل

اوها

كامل اعانتم او شرف عنصرها لانها كانت تدعو الى ضيافتها ولم تعلم ايجيبها أم لا فاته مستحبة قد

استترت بكم درعها وما في ما سقيت مصدرية أي جزاء سقيك روى انهما المار جعنا الى أبيهما قبل الناس واغنامهما حافل قال لهما ما أعجلكما قاله اوجدنا رجلاً صالحاً خارجاً فسقي لنا فقال لهما اذهبي فادعيه الى فقيرهما موسى عليه السلام قال وقت الرجح ثوبها ليجزيها فوصفته فقال لها امشي خافي وانعتي لي الطريق (فلما جاءه وقص عليه القصص) أي قصته وأحواله مع فرعون والقصص مصدر كالعامل سمي به المقتصوص (قال له) لا تخف نجوت من القوم الظالمين (اذ لا سلطان لفرعون بارضنا وفيه دليل جواز العمل بخير الواحد ولو عبداً أو أثنى والمشي مع الاجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع وأما أخذ الاجر على البر والمعروف فقيل انه لا بأس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام على انه روى انهما قالت ليجزيك كره ذلك وانما أجابهما للسلاخيب قصدها لان القاصد حرمة ولما رضى شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب ألتستجيباً قال بلى ولكن أخاف ان يكون عوضاً ما سقيت لهما وانا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا ولا نأخذ على المعروف غنماً فقال شعيب عليه السلام هذه عادة تنامع كل من ينزل بنا فأكل (قالت احدهما يا أبت استأجره) اتخذها أجيراً ليرعى الغنم روى ان أكبرهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفراء هي التي ذهبت به وطلبت الى أبيها ان يستأجره وهي التي تزوجها (ان خير من استأجرت القوي الامين) فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت نزع الدلو وأمرها بالمشي خلفه وورود

الفعل بلفظ الماضي للدلالة على ان امانته وقوته امر ان متحققان وقوله ان خبر من استأجرت القوى الامين كلام جامع لانه اذا اجتمعت هاتان الخصمتان الكفائية والامانة في الفاعل باهرلك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقيل القوى في دينه الامين في جوارحه وقد استغنيت بهذا الكلام الجاري مجرى المثل عن ان تقول استأجره لقوته وامانة وعن ابن مسعود رضى الله عنه أفرس الناس ثلاث بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى أن ينفعنا أو يتوكل في عمر (قال اني أريد أن أنكحك) أزواجك (احدى ابنتي هاتين) قوله هاتين يدل على انه كان له غيرهما وهذه مواعده منه ولم يكن ذلك عند نكاح اذ لو كان عقد النكاح قد أنكحتك (على ان تاجرني) تكون أجبراني من أجريه اذا كنت له أجيرا (ثماني حجج) ظرف والجملة السنية وجمعها حجج والتزوج على رضى الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام باهر الزوجة فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة (فان أتممت عشرة) أى عمل عشر حجج (فن عندك) فذلك تفضل منك ليس بواجب عليك أو اتمامه من عندك ولا أحتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتم الاجلين وحقيقته قولهم شغقت عليك وشق عليه الامر ان الامر اذا تعاضل فكانه شق عليك ظنك بانتهين تقول تارة أطيقه وطورا لا أطيقه (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز ان يراد الصلاح على (٤٣٣) العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد

باشترطه مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لانه ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل ذلك (قال) موسى (ذلك) مبتدأ وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب والخبر (بني وبينك) يعنى ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا فيما شرطت على ولا انت فيما شرطت على نفسك ثم قال (أعيا الاجلين قضيت) أى أى أجل قضيت من الاجلين يعنى العشرة أو الثمانية وأى نصب بقضيت وما زائدة ومؤكدة لاجهام أى وهى

أبوها رما عليك بقوته وأمانته قالت أما قوته فانه رفع الجرم على رأس البئر ولا يرفعه الا عشرة وقيل أربعون رجال وأما أمانته فانه قال لي امشي خلفي حتى لا تصف الربح بدلك (قال) شعيب عند ذلك (انى أريد أن أنكحك) أى أزواجك (احدى ابنتي هاتين) قبل زوجه الكبرى وقال الاكثرون انه زوجه الصغرى منهما واسمها صفورا وهى التى ذهبت في طلب موسى (على ان تاجرني ثماني حجج) أى تكون لي أجيرا ثمان سنين (فان أتممت عشرة فغن عندك) أى فان أتممت العشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك (وما أريد أن أشق عليك) أى ألزمتك عام العشرة الا أن تسبرع (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) أى في حسن العزيمة والوفاء بما قلت وقيل يريد بالصالح حسن المعاملة ولين الجانب وانما قال ان شاء الله لانه لا تكال على توفيقه ومعونته (قال) يعنى موسى (ذلك بيني وبينك) أى ما شرطت على ذلك وما شرطت من تزوج احداهما قبل والامر بيننا على ذلك (أعيا الاجلين قضيت) أى أى الاجلين أتممت وفرغت منه الثمانية أو العشرة (فلا عدوان على) أى لا ظلم على بأن أطالب بأكثر منه (والله ما نقول وكبيل) قال ابن عباس شهيد بيني وبينك (خ) عن سعيد بن جبيرة قال سألت ابي جهم عن أهل الحيرة أى الاجلين قضى موسى قلت لا أدري حتى أقدم على خير العرب فأسأله فقدمت فأسألت ابن عباس فقال قضى أكثرهم ما وأطيعهم ما لان رسول الله اذا قال فعل وروى عن ابي ذر روى ما اذا سألت أى الاجلين قضى موسى فقل خيرهم ما وأبرهم ما اذا سألت أى المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهى التى جاءت فقالت يا أبت استأجره فتزوج صغرها وقضى أوفاهما وقال وهب أنكحه الكبرى وروى شداد ابن أوس مرفوعا بنى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فقال الله له ما هذا البكاء أشوق الى الجنة أم خوفا من النار فقال لا يا رب ولكن شوقا الى لقاءك فأوحى الله اليه ان يكون ذلك فنهيا لك لقاءى يا شعيب لذلك

شرطية وجوابها (فلا عدوان على) أى لا يعتدى على في طلب الزيادة عليه قال المبرد قد علم انه لا عدوان عليه في ايها ولكن جمعهما ليجعل الاقل كالاتم في الوفاء وكان طلب الزيادة على الاتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الاقل (والله على ما نقول وكبيل) هو من وكل الامر اليه وعدى به لانه استعمل في موضع الشاهد والريب روى ان شعيبا كانت عنده عصى الانبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فاخذ عصاه فبسط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء عليهم السلام يتوارفون حتى وقعت الى شعيب فسهوا وكان مكفوا فافضن بها فقال خذ غيرها فافوا وقع في يده الاهى سبع مرات فعلم ان له شأنا ولما أصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على عينك فان الكلام وان كان بها اكثر الا ان فيها اثنين فاقبل خاربته العصا حتى قتلتها وعادت الى جنب موسى دامية فلما على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا اثنين فدا قبل فخاربه العصا حتى قتلتها وعادت الى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية واثنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجد هاهما ملائى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شأنا وقال له انى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل ادرع ودرعا فأوحى اليه في المنام ان اضرب بعض المستقى الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كلهن ادرع ودرعا فوفى له بشرطه

(فلما قضى موسى الاجل) قال عليه السلام قضى اوقافها وتزوج صغرها وهذا بخلاف الرواية التي مرّت (وسار بأهله) بامر أنه نحو مصر
 قل ابن عذرا لما سمع أجمل الجنة ودنا أيام الزينة وظهرت أنوار النبوة سار بأهله ليستكرامه في لطائف صنع ربه (آنس من جانب الطور
 ناراً) قل لاهله أمكنوا في آنس ناراً على أنيكم منها بخبر) عن الطريق لانه قد ضل الطريق (أوجدنوه من النار) لعلمكم تصطلحون فلما أتاهما
 نودي من شاطئ الوادي الايمن) بالنسبة الى موسى (في البقعة المباركة) بتكليم الله تعالى فيها (من الشجرة) العناب أرا العوسج (أن
 ياموسى) أن مسمرة أو مخففة من الثميلة (٤٣٤) (اني أنا الله رب العالمين) قال جعفر ابصر ناراً دلت على الانوار لانه رأى السور في

أخذ من كل كافي موسى ولما تعافدا هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تطي موسى عصاه يدفع بها
 السباع عن غنمه قيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه فتوارثها الاثينا وكان لا يأخذها غير نبي الا
 آس كانت فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى ثم ان موسى لما قضى
 الاجل سلم شعيب اليه ابنته فقال لها موسى اطلبي من أبيك أن يجعل لنا بهن الغنم فطلبت من أبيها ذلك
 فقال لكما كل ما دلّت هذا العام على غير شيتن وقيل ان شعيباً أراد أن يجازي موسى على حسن رعيه
 اكرامه وصاله لابنته فقال له اني قد وهبت لك من ولد أغناحي كل أبق وبلقاء في هذه السنة فأرسل الله تعالى
 الى موسى في النوم ان اضرب بعصاك الماء ثم اسق الاغنام منه ففعل ذلك فما أخطأت واحدة الا وضعت
 حملها ما بين أبق وبلقاء فعلم شعيب ان هذا رزق ساقه الله الى موسى وامر أنه فوفى له بشرطه وأعطاه
 الاغنام قوله عز وجل (فلما قضى موسى الاجل) أي أمته وفرغ منه (وسار بأهله) قيل مكث موسى بعد
 الاجل عند شعيب عشرين سنة أخرى ثم استأذنه في العود الى مصر فأذن له فسار بأهله أي بزوجه وقاصداً
 الى مصر (آنس) أي أبصر (من جانب الطور ناراً) وذلك انه كان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد
 وأخذ امرأته الطارق (قال لاهله أمكنوا في آنس ناراً على أنيكم منها بخبر) أي عن الطريق لانه كان
 قد أخطأ الطريق (أوجدنوه من النار) أي قطعة وشعلة من النار وقيل الجدوة العود الذي اشتعل بهضه
 (لعلمكم تصطلحون) أي آتتكم فتتقون (فلما أتاهما نودي من شاطئ الوادي الايمن) يعني من جانب الوادي
 الذي عن يمين موسى (في البقعة المباركة) جعلها الله مباركة لان الله تعالى كلم موسى هناك وبعثه نبياً وقيل
 برى البقعة المقدسة (من الشجرة) أي من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت سمرة خضر، زرق وقيل
 كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس انها العناب (أن ياموسى اني أنا الله رب العالمين)
 قيل ان موسى لما رأى النار في الشجرة المخضرة علم انه لا يقدر على الجمع بين اسرار وخسرة الشجرة الا الله
 تعالى فعلم بذلك ان المستكلم هو الله تعالى وقيل ان الله تعالى خلق في نفس موسى علماً ضرورياً بان المستكلم
 هو الله تعالى وان ذلك الكلام كلام الله تعالى وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت انه نداه الله قال اني سمعته
 بجميع أجزائي فلما وجد حس السمع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى (وأن
 أتق عصاك) أي فاقهاها فلما رآها تتر أي تتحرك (كانها جان) هي الحية الصغيرة والمعنى انها في سرعة
 حركتها كالحية السريعة الحركة (ولي مدبرا) أي هارباً منها (ولم يعقب) أي ولم يرجع قال وهب انها لم
 تدع شجرة ولا صخرة الا باعتهما حتى ان موسى سمع صريراً سنانها وقعقة الشجر والصخر في جوفها فحينئذ
 ولي مدبرا ولم يعقب فنودي عند ذلك (ياموسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين) قوله عز وجل (اسلك
 يدك) أي أدخل يدك (في جيبك) تخرج بيضاء من غير سوء (أي برص والمعنى انه أدخل يده فخرجت ولها
 شعاع كضوء الشمس) واضمهم اليك جناحك من الريح (أي من الخوف والمعنى اذا هلك أمر يدك وما

هيئة النار فلما دنا منها
 شملته أنوار القدس وأحاطت
 به جلايب الانس فخرطت
 بالظف خطاب واستدعى
 منه أحسن جواب فصار
 بذلك مكلاً ثم يفاً أعطى
 ما سأل وأمن من مخالفي
 والجدوة بالثلاث
 وقرئ من فعاصم بفتح الجيم
 وجزء وخالف بعضهم وغيرهم
 بكسرهما العود الغليظ
 كانت في رأسه ناراً ولم تكن
 ومن الاولى والثانية لا تبدأ
 الغاية أي أتاه النداء من
 شاطئ الوادي من قبل
 الشجرة ومن الشجرة يدل
 من شاطئ الوادي يدل
 الاشتغال لان الشجرة كانت
 نابتة على الشاطئ أي
 الجانب (وأن أتق عصاك)
 وفودي أن أدق عصاك
 فاقهاها فقلها الله تعالى (فلما
 رآها تتر) تتحرك (كانها
 جان) حية في سعيها وهي
 ثعبان في جنتها (ولي مدبرا
 ولم يعقب) يرجع فقبل له
 (ياموسى اقبل ولا تخف
 انك من الآمنين) أي أمنت

من أن ينالك مكروه من الحية (اسلك) أدخل (يدك في جيبك) جيب قميصك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع
 الشمس (من غير سوء) برص (واضمهم اليك جناحك من الريح) يجازي بشفقتين وبصرى الريح حفص الريح هم ومعنى النكل
 الخوف والمعنى وضمهم يدك الى صدرك يذهب ما بينك من فرق أي لا جعل الحية عن ابن عباس رضى الله عنهما كل خائف اذا وضع يده على
 صدره زال خوفه وقيل معنى ضم الجناح ان الله تعالى لما قاب العاصية فرغ موسى واتقاهما يده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ان
 اتقاهم يبدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا ألقيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقاهم ثم أخرجها بيضاء ليحصل
 الامر ان اجتناب ما هو غضاضة عليك وانظها ر مجزأة أخرى والمراد بالجناح اليد لان يدي الانسان بمنزلة جناحي الطائر واذا

أدخل يده أي تحت عضده اليسرى فدخل جناحه إليه أو أريد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه عند انقلاب العصابة حتى لا يضطرب ولا يهرب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما أو الأجنحة مضموماً اليه مشهران ومعنى من الرعب من أجل الرعب أي إذا أصابك الرعب عند رؤية الحية فاضم اليك جناحك جعل الرعب الذي كان يصيبه سبباً وعلّة فيما أمر به من ضم جناحه إليه ومعنى واضم اليك جناحك واسلك يدك في جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين باختلاف الغرضين إذا الغرض في أحدهما خروج اليد البيضاء وفي الثاني إخفاء الرعب ومعنى واضم يدك إلى جناحك في طه أدخل يداك تحت يديك (فذانك) مخففة فامتنى ذلك ومشدد امكي وأبو عمرو مثني ذلك فاحدى النون عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعضد (برهانان) حجتان نيرتان بينتان سميت الحجة برهاناً لأنها نارتهما من قولهم للمرأة البيضاء برهرة (من ركب إلى فرعون وملئه) أي أرسلناك إلى فرعون وملئه بهاتين الآيتين (انهم كانوا قومًا فاسقين) كافرين (قال رب اني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون) به غيرياء وبالياء يعقوب (وأخي هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله مني) حفص (رداً) حال أي عونا يقال رد أنه أعنته وبالياء مزمدني (يصدقني) عاصم وحزرة صفة أي رداً مصلداً وغيرهما بالجزم جواب لارسله ومعنى تصديقه مومى عاقبته بزيادة الياء في مظان الجدال ان احتاج اليه لبثت دعواه لان يقول له صدقت ألا ترى إلى قوله هو أفصح (٤٢٥) مني لساناً فأرسله وفضل الفصاحة أنما يحتاج

اليه انفسر بالبرهان
لأنه لو صدقت فسيحان
وبال في يه يستويان (اني
أخاف أن يكذبون) يكذبوني
في الحالين يعقوب (قال
مشدد عضدك بأخيك)
سقوي به اذ اليد تشدد
بشدة العضد لانه قوام اليد
والجملية تقوى بشدة اليد
على مزاوله الامور وتجعل
لكما سلطاناً غلبة وسلطاناً
وهيبة في قلوب الأعداء (فلا
يصلون اليك يا نانا) الباء
تتعلق يصلون أي لا يصلون
اليك بسبب آياتنا وتم
الكلام أو فجعل لكما سلطاناً
أي تسلطك يا نانا أو

تراه من شعاعها فادخلها في جيبك تعد إلى حالتها الأولى وقال ابن عباس أمر الله موسى أن يضم يده إلى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند ما أئنه الحية ومما من خائف بعد موسى إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل المراد من ضم الجناح السكون أي سكن روعك واخفض عليك جناحك لان من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل الرعب اليك بالغة جبر ومعناه واضم اليك يدك وأخرجها من كنفك لانه تناول العضد ويده في كفه (فذانك) يعني العضد واليد البيضاء (برهانان) أي آيتان (من ركب إلى فرعون وملئه انهم كانوا قومًا فاسقين) أي خارجين عن الحق (قال رب اني قتلت منهم نفساً) يعني القبطي (فأخاف أن يقتلون) أي به (وأخي هرون هو أفصح مني لساناً) أي بيانا وانما قال ذلك للعقدة التي كانت في لسانه من وضع الحجر في فيه (فأرسله مني رداً) أي عونا (يصدقني) يعني فرعون وقيل تصديق هرون هو ان يخص الدلائل ويحجب عن الشبهات ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المفيد (اني أخاف أن يكذبون) يعني فرعون وقومه (قال مشدد عضدك بأخيك) أي سقويك به وكان هرون بمصر (وتجعل لكما سلطاناً) أي حجة وبرهاناً (فلا يصلون اليك) أي يقتل ولا سوء (يا نانا) قيل معناه تعظيمكم من المعجزات فلا يصلون اليك (أنتم ائمن من تبعكم الغالبون) أي لكم ولا تبعكم الغلبة على فرعون وقومه (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) أي واضحيات (قالوا ما هذا إلا سحر مفترى) أي مخلق (وما سمعنا بهذا) أي بالذي ندعونا اليه (في آياتنا الأولى) وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) أي انه يعلم الحق من المبطّل (ومن تكون له عاقبة الدار) أي العقبي المحموده في الدار الآخرة (انه لا يفلح الظالمون) أي الكافرون (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله

(٤٥ - خازن ثالث) مجدوفي أي اذهب يا نانا أو هو بيان للغالبين لاصلة أو قدم جوابه لا يصلون مقدماً عليه (أنتم ائمن من تبعكم الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) واضحيات (قالوا ما هذا إلا سحر مفترى) أي سحر نعله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله (وما سمعنا بهذا في آياتنا الأولى) حال منصوبه عن هذا أي كائن في زمانهم بمعنى ما حدثنا بكونه فيهم (وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) أي ربي أعلم منكم بحال من أهله الله للصلاح الأعظم حيث جعله نبياً وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبي يعني نفسه ولو كان كاذباً لم يبعثه الله لذلك لانه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبي الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحموده لقوله تعالى أولئك لهم عقبي الدارين عندن والمراد بالدار الدنيا وعاقبتهم أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى والغفران قال موسى وغيره أو مكي وهو حسن لان الموضوع موضع سؤال ويبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات العظام سحر مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا البوازين الناظرين القول والمقول ونبصر فساد أحد هذه ما وصحه الاخرى ربي أعلم بجازي وأبو عمرو ومن يكون حجة وعلى (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري) قصدتني علمه بالغيره نفي وجوده أي ما لكم من إله غيري أو هو على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده

(فأوقدلى يا هامان على الطين) أى اطلعنى لأجر واتخذوه وانما لم يقل مكان الطين هذا لانه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة به هذه العبارة ولانه أفصح وأشبه بكلام الجبارة إذا أمر هامان وهو وزيره بالإقادة على الطين منادى باسمه يبانى وسط الكلام دليل التعظيم والتعجب (فاجعل لى صرحا) قصر عال (العلی أطلع) أى أصدروا لإطلاع الصعود (الى اله موسى) حسب انه تعالى فى مكان كما كان هو فى مكان (وانى لاظنه) أى موسى (من الكاذبين) فى دعواه ان له الها وانه أرسله النار سولا وقد تناقض المخدول فانه قال ما علمت لكم من الغيبرى ثم أظهر حاجته الى هامان وأثبت لموسى الها وأخبرانه غير متيقن بكذبه وكأنه تخصص من عصا موسى عليه السلام فلبس وقال لعلی أطلع الى اله موسى روى ان هامان جمع خمسين ألف بناء وبنى صرحا لم يبلغه بناء أحد من الخلق فضرب الصرح جبريل عليه السلام فبجناحه قطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل وقطعة فى البحر وقطعة فى المغرب ولم يبق أحد من عماله الا هلك (واستكبر هو وجنوده) تعظم (فى الارض) (٢٣٦) أرض مصر (بغير الحق) أى بالباطل فالاستكبار بالحق لله تعالى وهو المتكبر على

الطبيعة أى المتبالغ فى كبرياءه (غبرى) فيه انكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته (فأوقدلى يا هامان على الطين) أى اطلعنى الآجر قيل انه أول من اتخذ آجر او بنى به (فاجعل لى صرحا) أى قصر عال باوقيل منارة قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء وطبخ الآجر والحصى ونجرا الخشب وضرب المسامير وأمر بالبناء فبنوه ورفعوه وشبه دونه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه ببناء أحد من الخلق وأراد الله ان يقتلهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بشايبه فزرى بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعد ركبعا على البراذين فيعت الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه قطعه ثلاث قطع فوقت قطعة منه على عسكره فقتلت منهم ألف ألف رجل وقعت قطعة منه فى البحر وقطعة فى المغرب فلم يبق أحد من شيا فيه الا هلك فذلك قوله (لعلی أطلع الى اله موسى) أى أنظر اليه وأقف على حاله (وانى لاظنه) يعنى موسى (من الكاذبين) أى فى زعمه ان للارض والخلق الها غبرى وانه أرسله (واستكبر هو وجنوده فى الارض) أى تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا للحق بالباطل والظلم (بغير الحق) وظنوا أنهم البنا لا يرجعون) أى للعصا والجزاء (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) أى فألقيناهم فى البحر وهو القلزم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يعنى حين صاروا الى الهلاك (وجعلناهم أعنة) أى قادة ورؤساء (يدعون الى النار) أى الكفر والمعاصى التى يستحقون بها النار لان من أطاعهم ضل ودخل النار (ويوم القيامة لا ينصرون) أى لا ينصرون من العذاب (وأبغناهم فى هذه الدنيا لعنة) أى خزيوا بعد اوعذابا (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون وقوله عز وجل (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (من بعدما أهلكنا القرون الاولى) يعنى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن كانوا قبل موسى (بصائر للناس) أى ليصروا بذلك فيهدوا به (وهدى) أى من الضلالة لمن عمل به (ورحمة) أى لمن آمن به (لعلهم يتذكرون) أى بما فيه من المواعظ (وما كنت) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى وما كنت يا محمد (بجانب الغربى) أى بجانب الجبل الغربى قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه (اذ قضينا الى موسى الامر) أى عهدنا اليه وأحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون (وما كنت من الشاهدين) أى

الشأن كما حكى رسولنا عن ربه التكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقته فى النار وكل مستكبر سواه فاستكبره بغير الحق (وظنوا أنهم البنا لا يرجعون) يرجعون نافع وجزوة على وخلف وبهقوب (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) من الكلام المفخم الذى دل به على عظمة شأنه شبههم استقلالا لعدددهم وان كانوا الجمل الغفير بحصيات أخذهن أخذ بكفه فطرحهن فى البحر (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك فانك منصور عليهم (وجعلناهم أعنة) قادة (يدعون الى النار) أى عمل أهل النار قال ابن عطاء نزع من اسرارهم التوفيق

وأفوار التحقيق فهم فى ظلمات نفوسهم لا يدلون على سبيل الرشاد وفيه دلالة لخلق أفعال العباد (ويوم القيامة) الحاضرين لا ينصرون من العذاب (وأبغناهم فى هذه الدنيا لعنة) ألزمتهم طردا وابعاداعن الرحمة وقيل هو ما يلحقهم من نعن الناس اياهم بعدهم (ويوم القيامة هم من المقبوحين) المطرودين المبعدين أو المهلكين المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون ويوم طرف للمقبوحين (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعدما أهلكنا القرون الاولى) قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (بصائر للناس) حال من الكتاب والبصيرة نور القاب الذى يصير به الرشاد والهدى كما أن البصر نور العين الذى يصير به الاجساد يريد آتينا التوراة أفوارا للقلب لانها كانت عمى لا تبصر ولا تعرف حقها من باطل (وهدى) وارشاد لانهم كانوا يخبطون فى ضلال (ورحمة) لمن اتبعها لانهم اذا هموا بها وصلوا الى نيل الرحمة (لعلهم يتذكرون) يتعظون (وما كنت) يا محمد (بجانب الجبل الغربى) وهو المكان الواقع فى شق الغرب وهو الذى وقع فيه ميثاق موسى (اذ قضينا الى موسى الامر) أى كلمناه وقرئنا نحييا (وما كنت من الشاهدين) من جملة الشاهدين

فلوحي اليه حتى تفت من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته (ولكننا أنشأنا) بعد موسى (فرونا فتطول عليهم العمر) أي طال أعمارهم ووقرت النبوة وكادت الأخبار تخفى واندرست العالوم ووقع التحريف في كثير منها فأرسلناك مجدداً لتلك الأخبار مبيناً ما وقع فيه التعريف وأعطيناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى كأنه قال وما كنت شاهد لموسى وما جرى عليه ولكننا أوحينا إليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب اختصاراً فإذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده (وما كنت ناوياً) مقبلاً (في أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (نتلو عليهم آياتنا) تقرأها عليهم تعلم أنهم يريدون الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه وتتلو في موضع نصب خبر ثان أحوال من الضمير في ناوياً (ولكننا كناهم سدين) ولكننا أرسلناك واخترناك (٤٣٧) بها وعلمنا كها (وما كنت بجانب الطور

إذا نادينا) موسى أن خذ
الكتاب بقوة (ولكن)
أعلمناك وأرسلناك (رحمة)
للرحمة (من ربك لتتذكر
قوما ما أتاهم من نذير من
قبلنا) في زمان الفترة بينك
وبين عيسى وهو خمسمائة
وخمسون سنة (لعلهم
يتذكرون ولولا أن نصيهم
مصيبه) عقوبة (بما قدمت
أيديهم) من الكفر والظلم
ولما كانت أكثر الأعمال
تزاوُل بالأيدي نسبت الأعمال
إلى الأيدي وإن كانت
من أعمال القلوب تغلبها
لأن أكثر على الأقل (فيقولوا)
عند العذاب (ربنا لولا
أرسلت النار سولاً فنتبع
آياتك وتكون من المؤمنين)
لولا الأولى امتناعية
وجواب محذوف والثانية
تخصيصية والفاء الأولى
للعطف والثانية جواب لولا
لكونها في حكم الأمر إذ
الأمر باعث على الفعل
والباعث والمحضض من
وإدخاله والفاء تدخل

الحاضرين ذلك المقام الذي أوحينا إلى موسى فيه فقد ذكره من ذات نفسك (ولكننا أنشأنا قروناً) أي خلقنا بعد موسى أمماً (فتطول عليهم العمر) أي طال عليهم المدة فنسوا عهد الله وتركوا أمره وذلك أن الله عهد إلى موسى وقومه عهداً في محمد والإيمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهد وتركوا الوفاء بها (وما كنت ناوياً) أي مقبلاً (في أهل مدين) أي لمقام موسى وشعيب فيهم (نتلو عليهم آياتنا) أي تذكركم بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم (ولكننا كناهم سدين) يعني أرسلناك رسولاً وأنزلنا إليك كتاباً فيه هذه الأخبار لتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمنا أنت ولم تخبرهم بها (وما كنت بجانب الطور) أي بناحية الجبل الذي كلم الله موسى عليه (إذا نادينا) يعني موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يا رب أرني محمد وأمه قال أنتان تصل إلى ذلك ولكن ان شئت ناديت أمته وأجمعتك صوتهم قال بلى يا رب قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب آبائهم وقال ابن عباس قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب الآباء والأرحام أي أرحام الأمهات لبيك اللهم لبيك إن الخدو والذمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي قد أعطيتكم قبل أن تسألوني وقد أجبتكم قبل أن تدعوني وقد غفرت لكم قبل أن تستغفروني ومن جاعني يوم القيامة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد عبدي ورسولي دخل الجنة وإن كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر (ولكن رحمة من ربك) أي رحمتناك رحمة بارسالك والوحي إليك وإطلاعك على الأخبار الغائبة عنك (لتتذكر قوما ما أتاهم من نذير من قبلنا) يعني أهل مكة (لعلهم يتذكرون) أعلم أن الله تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله صلى الله عليه وسلم لم يجمع بين هذه الأحوال الثلاثة العظيمة التي انفقت لموسى فالمراد بقوله إذ قضينا إلى موسى الأمر هو انزال التوراة عليه حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ناوياً في أهل مدين أول أمر موسى والمراد بقوله إذا نادينا إليك المناجاة فهذه أعظم أحوال موسى ولما بين الرسول ولم يكن في هذه الأحوال حاضر ابن الله أنه بعثه وعرفه هذه الأحوال الله على نبوته صلى الله عليه وسلم ومجربته كأنه قال في أخبارك عن هذه الأشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك (في قوله تعالى) (ولولا أن نصيهم مصيبه) أي عقوبة ونقمة (بما قدمت أيديهم) يعني من الكفر والمعاصي (في قولوا ربنا لولا) أي هلا (أرسلت النار سولاً فنتبع آياتك وتكون من المؤمنين) ومعنى الآية لولا أنهم لم يحتجوا بترك الأرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك إليهم رسولاً ولكننا بعثناك إليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعني محمد صلى الله عليه وسلم

في جواب الأمر والمعنى ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت النار سولاً فنتبع آياتك وتكون من المؤمنين يعني أن إرسالي الرسول إليهم أغماهم وليلزموا الحق ولا يلزموا كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فإن قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه قلت القول هو المقصود بيان يكون سبباً للإرسال ولكن العقوبة لما كانت سبباً للقول وكان وجوده بوجود حاجات العقوبة كأنها سبب الإرسال فدخلت عليها لولا حتى بالقول معطوفاً عليهم بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه إلى قولك ولولا قولهم هذا إذا أصابهم مصيبه لما أرسلنا (فلما جاءهم الحق من عندنا) أي القرآن أو الرسول المصدق بالكتاب المجز

(قالوا) أي كفار مكة (لولا أوتى) هلا أعطى (مثل ما أوتى موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة (أولم يكفروا) يعني أبنائهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام (بما أوتى موسى من قبل) من قبل القرآن (قالوا) في موسى وهرون (ساحران تظاهرا) تعاونا سحرا أن كوفي أي ذو سحر أو جعلوهما سحرين مباغعة في وصفهما بالسحر (وقالوا انا بكل) بكل واحد منهما (كافرون) وقيل إن أهل مكة كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى والتوراة وقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهرا أوتى التوراة والقرآن سحرا تظاهرا (٢٨) وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد فأخبروهم أنه

(قالوا) يعني كفار مكة (لولا) أي هلا (أوتى) محمد (مثل ما أوتى موسى) يعني من الآيات كالعصا واليد البيضاء. وقيل أوتى كتابا جملة واحدة كما أوتى موسى التوراة قال الله تعالى (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) قيل إن اليهود أرسلوا إلى قريش أن يسألوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما أوتى موسى فقال الله تعالى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل يعني اليهود الذين استخرجوا هذا المال (قالوا ساحران تظاهرا) يعني التوراة والقرآن يعقون كل واحد منهما إلا آخر وقيل ساحران يعني محمد وموسى وقيل إن مشركي مكة بعثوا إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أن نعمة في كتابهم التوراة فرجعوا فأخبروهم يقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا (وقالوا انا بكل كافرون) يعني بالتوراة والقرآن وقيل محمد وموسى (قل) يا محمد (فألقوا بكتاب من عند الله هو أهدى منها) يعني من التوراة والقرآن (أتبعه) يعني الكتاب الذي تأتون به من عند الله وهذا نبيه علي عجزهم عن الاتيان بعشله (ان كنتم صادقين) أي فان لم يستجيبوا لك أي فان لم يأتوا بما طلبت (فاعلم انما يتبعون أهواءهم) يعني ان ما ركبه من الكفر لا حجة لهم فيه وانما أتوا اتباعهم ما هم عليه من الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين) قوله عز وجل (ولقد وصلنا لهم القول) قال ابن عباس ينادون قريشا أنزلنا آيات القرآن تتبع بعضها بعضا وقيل بينا لكفار مكة بما في القرآن من أخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كانوا لا يبالون الآخرة في الدنيا (لعلهم يتذكرون) أي يتعظون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن (هم به يؤمنون) نزلت في مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل بل هم أهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم أربعون رجلا قدموا مع جعفر بن أبي طالب فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله ان لنا أموالا فان أذنت لنا انصرفنا فخرنا بأموالنا فواسيناهم المسلمون فاذن لهم فانصرفوا فألقوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت هذه الآيات إلى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنتان وثلاثون من الحبشة وغانية من الشام ثم وصفهم الله تعالى فقال (واذا يتلى عليهم) يعني القرآن (قالوا آمنا به انه الحق من ربنا) وذلك ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل (انا كنا من قبله مسلمين) أي من قبل القرآن مخلصين لله التوحيد ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق (أولئك يؤتوا أجرهم مرتين) يعني بإيمانهم بالكتاب الاول والكتاب الآخر (عاصروا) أي على دينهم وعلى أذى المشركين (ف) عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثه لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنية وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديتها وعلماها فأحسن تعليمها ثم أعنتها ثم تزوجها فله أجران (ويدرون بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بشهادة

في كتابهم فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم يقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا (قل فألقوا بكتاب من عند الله هو أهدى منها) أي انزل على موسى وبما أنزل على (أتبعه) جواب فألقوا (ان كنتم صادقين) في أنهم ما ساحران (فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم) فان لم يستجيبوا دعاءك إلى الاتيان بالكتاب الا هدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) أي لا أحد أضل ممن اتبع في الدين هواه وبغير هدى حال أي مخذول لا يحل بينه وبين هواه (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون (التوصيل تكثير الوصل وتكريره يعني ان القرآن آتاهم متتابعات مواصلة وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ليتذكروا

فيعلموا) (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) من قبل القرآن وخبر الذين (هم به) بالقرآن (يؤمنون) نزلت في مؤمنى أهل الكتاب (واذا يتلى) القرآن (عليهم) قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله) من قبل نزول القرآن (مسلمين) كاشفين على دين الاسلام مؤمنين بمحمد عليه السلام وقوله انه تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيقى بان يؤمن به وقوله انا بيان لقوله آمنا لانه يحتمل أن يكون ايمانا قريبا العهد وبعيدا فآخروا بان ايمانهم به متقاد (أولئك يؤتوا أجرهم مرتين عاصروا) بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن أو بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب (ويدرون بالحسنة السيئة) يدفعون بالطاعة المعصية أو بالحلم الاذى

(وهمارزقناهم ينفقون) يزكون (واذ اسمعوا اللغو) الباطل أو الشتم من المشركين (أعرضوا عنه وقالوا) للأنبياء (لنا أعمالنا ولناكم أعمالكم سلام عليكم) أمان منكم بأن نقابل لغوكم بمثله (لا تبتغي الجاهلين) لا تريد مخالطتهم ومحببتهم (إنك لا تهدي من أحببت) لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم (ولكن الله يهدي من يشاء) يخلق فعل الاعتداء فيمن يشاء (وهو أعلم بالمتدين) بمن يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالذلائل والآيات قال الزجاج أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب وذلك أنه قال عند موته يا معشر بني هاشم صدقوا محمدًا فقلوا فماذا قال عليه السلام يا معشر بني هاشم بالصيغة لأنفسهم وتدعوا أنفسكم قال فأتريد يا ابن أخي قال أريد منك أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بما عند الله قال يا ابن أخي أنا قد علمت أنك صادق ولكنني أكره أن يقال جزع عند الموت وإن كانت الصيغة عامة والآية حجة على المعتزلة لأنهم يقولون الهدى هو (٤٣٩) البيان وقد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يمتدوا بسوء اختيارهم فدل أن

وراء البيان ما يسعى هداية وهو خلق الاعتداء واعطاء التوفيق والقدرة (وقالوا) ان تبسح الهدي معك تتخطف من أرضنا ولم تكن لهم حرما آمنا) قالت قريش فحين نعلم أنك على الحق ولكننا نخاف ان اتبعناك ونخالقنا العرب بذلك ان يتخطفوا من أرضنا فالقمهم الله الجربا به يمكن لهم في الحرم الذي آمنه بجمرة البيت وأمن قطانه بجمرة والثرات تجي اليه من كل أوب وههم كفرة فاني يستقيم أن يعرضهم للتخطف ويسلمهم الامن اذا ضمو الى حرمة البيت حرمة الاسلام واستناد الامن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز (يجي اليه) وبالتاء مدني ويعقوب وسهل أي تجاب وتجمع

أن لا اله الا الله اشركوا وقيل يدعون ما سميوا من أذى المشركين وشتمهم بالصفح والغفوا وهمارزقناهم ينفقون) أي في الطاعة (واذ اسمعوا اللغو) أي القول القبيح (أعرضوا عنه) وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل مكة ويقولون تبناكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) ليس المراد منه سلام التحية ولكن سلام المتاركة والمعنى سلمتم منا لانعارضكم بالشتيم (لا تبتغي الجاهلين) يعني لا تحب دينكم الذي أنتم عليه وقيل لا تريد أن تكون من أهل الجهل والسفه وهذا قيل ان يؤمر المسلمون باقتال ثم نسخ ذلك بالقتال قوله تعالى (إنك لا تهدي من أحببت) أي هدايته وقيل أحببته لقرابته (ولكن الله يهدي من يشاء) وذلك أن الله تعالى يقذف في القلب نور الهداية فيشرح الصدر للإيمان (وهو أعلم بالمتدين) أي بمن قدر له الهدى (م) عن أبي هريرة قال إنك لا تهدي من أحببت نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث راودعه أبا طالب على الاسلام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا بي طالب عند الموت يا معشر قريظة لا اله الا الله أشهد لك بما يوم القيامة قال لولا أن تعبرني قريش يقولون انما جعله على ذلك الجزع لأقررت به عينك ثم أنشد

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة أو حذر مسببة * لو حدثني سمعا بذلك مينا

ولكن على ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فأنزل الله هذه الآية (وقالوا ان تبسح الهدي معك تتخطف من أرضنا) يعني مكة نزلت في الحارث بن عثمان بن فوف بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أتالعلم ان الذي تقول حق ولكن ان اتبعناك على دينك نخفنا أن تخرجنا العرب من أرض مكة قال الله تعالى (أولم تكن لهم حرما آمنا) وذلك ان العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون حيث كانوا الحرم الحرم ومن المعروف أنه كان يأمن فيه الأطباء من الذئاب والحمام من الحداة (يجي اليه) أي يجلب ويجمع اليه ويجمع من الحرم الى الشام ومصر والعراق واليمن (غرات كل شيء وزفان لنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني أن أكثر أهل مكة لا يعلمون ذلك في قوله عز وجل (وكم أهلكنا من قرية) أي من أهل قرية (بطرت معيشتها) أي أشرت وطغت وقيل عاشوا في البطرفا كلوا رزق الله وعبدوا الاصنام فقتلوا مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا قال ابن عباس لم يسكنها الا مسافرون سكوا قليلا وقيل لم يعمرونها الا قليلا وأكثرها خراب (وكننا نحن الوارثين)

(غرات كل شيء) معنى المكينة المكثرة كقوله وأوتيت من كل شيء (رزقنا من لنا) هو مصدر لان معنى يجي اليه يرزق أو مفعول له أو حال من الثمرات ان كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة كما تنصب عن النكرة المتخصصة بالصفة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بمن لنا أي قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولو علموا أنه من عند الله لعلموا ان الحقوق والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بانعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقالوا بها بالبطرفا هل كواكم نصب بالهكنا ومعيشتها بخداف الجاروا بصال الفعل أي في معيشتها والبطرسوه احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه (فقتلوا مساكنهم) منازلهم باقية الا تاربا شهدوها في الاسفار كبلاد غود وقوم شعيب وغيرهم (لم تسكن) حال والعامل فيها الاشارة (من بعدهم الا قليلا) من السكني أي لم يسكنها الا المسافرون ومارا الطريق يوما وساعة (وكننا نحن الوارثين) تلك المساكن من ساكنيها أي لا يملك التصرف فيها غيرنا

(وما كان ربك مهلك القرى) في كل وقت (حتى يبعث في أمها) وبكسر الهمزة حمزة وعلى أي في القرية التي هي أمها أي أهلها ومعظمها (رسولا) لالزام الجحمة وقطع العذرة أو وما كان في حكم الله وسابق فضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة لأن الأرض دحيت من تحتها رسولا يعني محمد عليه السلام (يتلو عليهم آياتنا) أي القرآن (وما كنا مهلكي القرى إلا أهلها الظالمون) أي وما أهلكتناهم إلا انتقام الأهلها مستحقون العذاب بظلمهم وهو أصرارهم على كفرهم وعنادهم ومكابرتهم بعد الاعتذار إليهم (وما أوليتهم من شيء فتنازع الحية والديار بينهما) وأي شيء أصبغوه من أسباب الدنيا فما هو الاعتنع وزينة أياما قلائل وهي مدة الحياة القانية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) في نفسه من ذلك (وأبقي) لأنه دائم (أفلا تعقلون) أن الباقي خير من الفاني وخير أبو عمر وبين البدء والثناء والباقيون بالثناء لا غير وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمنين والمنافقين والكافرين فالؤمنون يتزود والمنافقون يتزين والكافرون يتعجبون ثم قرر هذه الآية بقوله (أفمن وعدناه وعدا حسنا) أي الجنة فلا شيء أحسن منها إلا أنها دائمة ولذا سميت الجنة بالحسنى (فهو لا يقه) أي رآه ومدركه ومصيبه (كن متعنا متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) من الذين أحضرهم النار وهو فؤدهم فكذبوه فأنهم (٤٣٠) محضرون تزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل لعنه الله أوفى على وحمزة

وأبي جهل أوفى المؤمنين والكافر ومعنى الفاء الأولى أنه لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله أفمن وعدناه أي أنه بعد هذا التفاوت الجلي سوى بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والقناء الثانية للتسبب لأن لقاء الموعود ومبدا عن الوعد وثم تراخي حال الاحضار عن حال التمتع ثم هو على كاقيل عضد في عضد شبه المنفصل بالمتصل (ويوم يناديهم) ينادي الله الكفار نداء توبيخ وهو عطف على يوم القيامة أو منصوب بأذ كر (يقول أين شركائي) بناء على زعمهم (الذين

يعني لم يخلفهم فيها أحد بعد هلاكهم وصار أمرها إلى الله تعالى لأنه الباقي بعد فناء الخلق) وما كان ربك مهلك القرى يعني الكافرة أهلها (حتى يبعث في أمها رسولا) أي في أكبرها وأعظمها رسولا ينذرهم وخص الام ببعثة الرسول لأنه يبعث إلى الأشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث في أم القرى وهي مكة رسولا يعني محمد صلى الله عليه وسلم لأنه خاتم الأنبياء (يتلو عليهم آياتنا) يعني أنه يؤدي إليهم ويلفهم وقيل يخبرهم أن العذاب نازل بهم أن لم يؤمنوا (وما كنا مهلكي القرى إلا أهلها الظالمون) أي مشركون قوله عز وجل (وما أوليتهم من شيء فتنازع الحية والديار بينهما) أي تقنعون بها أيام حياتكم ثم هي إلى فناء وانقضاء (وما عند الله خير وأبقى) لأن منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهي دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا كالذرة بالقياس إلى البحر العظيم (أفلا تعقلون) أي أن الباقي خير من الفاني وقيل من لم يرجع الآخرة على الدنيا فليس بعقل ولهذا قال الشافعي من أوصى بثلاث ماله لا عقل الناس صرف ذلك الثلث إلى المشتغلين بطاعة الله تعالى لأن عقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير وما هم إلا المشتغلون بطاعة الله تعالى (أفمن وعدناه وعدا حسنا) يعني الجنة (فهو لا يقه) أي مصيبه وصائر إليه (كن متعنا متاع الحياة الدنيا) أي وترزول عنه عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أي في النار قيل هذا في المؤمن والكافر وقيل تزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل في علي وحمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة قوله عز وجل (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) أي في الدنيا أنهم شركائي (قال الذين حق عليهم القول) أي وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة (ربنا هؤلاء الذين آغويننا) أي دعوناهم إلى الفتن وهم الاتباع (أغويناهم كما غويننا) أي أضلناهم كما ضلنا (نبرأنا إليك ما كانوا يابعدون) معناه تبرأ بعضهم من بعض وصاروا أعداء (وقيل) يعني للكفار (ادعوا شركاءكم) أي الأصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوه فلم يستجيبوا لهم) أي لم يجيبوهم (ورأوا العذاب

كنتم تزعمون) ومفعولا تزعمون محذوفان تقديره كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يجوز الاقتصار على أحدهما (قال الذين حق عليهم القول) أي الشياطين أو أئمة الكفر ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لا ملأ من جهنم من الجنة والناس أجمعين (ربنا هؤلاء) مبتدأ (الذين آغويننا) أي دعوناهم إلى الشرك وسولناهم الفتن صفة والراجع إلى الموصول محذوف والخبر (أغويناهم) والكاف في (كما غويننا) صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم ففروا غيما مثل ما غويننا بمنون أنالهم فغوا لا باختيارنا فهو لا كذلك غوا باختيارهم لأن اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسوؤا فلا فرق إذا غيبتهم وان كان تسوؤا بل نادى أعمالهم إلى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث إليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب وهو كقوله وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق إلى قوله ولولموا أنفسكم (نبرأنا إليك) منهم وبما اختاروه من الكفر (ما كانوا يابعدون) بل يبعدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم واخذلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى (وقيل) للمشركين (ادعوا شركاءكم) أي الأصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوه فلم يستجيبوا لهم) فلم يجيبوهم (ورأوا العذاب

لو أنهم كانوا يتدنون) وجواب لو محذوف أي لما رأوا العذاب (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) الذين أرسلوا إليكم حتى أولا ما يؤمنهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أمه الكفر عندئذ يخفون لأنهم إذا وجدوا عبادة الآلهة اعتذروا بأن الشياطين هم الذين استغفروهم ثم ما يشبه الشيطان فيهم لاستغاثتهم آلهتهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يكتنون به من الاحتجاج عليهم بأرسال الرسل وإزاحة الغال (فعميت عليهم الأنبياء يومئذ) خفيت عليهم الحجج أو الأخبار وقيل خفي عليهم الجواب فلم يدروا بما إذا يجيبون أذ لم يكن عندهم جواب (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر والحجة رجاء أن يكون عنده عذر ووجه لأنهم يتساوون في العجز عن الجواب (فأما من تاب) من المشرك (وأمن) بربه وعباده من عنده (وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلقين) أي فعسى أن يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق وفيه بشارة للمسلمين عن الإسلام وترغيب للكافرين على الإيمان ونزل جوابا بقول الوليد بن المغيرة لو أنزل هذا القرآن على رجل من القرنين عظيم يعني نفسه أو أبا مسعود (وربك يخلق ما يشاء) وفيه دلالة خلق الأفعال وبوقف على (ويختار) أي وربك يختار ما يشاء وربك يختار ما يشاء (ما كان لهم الخيرة) أي ليس (٤٣١) لهم أن يختاروا على الله شيئا مأوله الخيرة

عليهم ولم يدخل العاطف في ما كان لهم الخيرة لأنه بيان لقوله ويختار إذا المعنى أن الخيرة لله وهو أعلم بوجوده الحكمة في أفعاله فليس لاحد من خلقه أن يختار عليه ومن وصل على معنى ويختار الذي لهم فيه الخيرة فقد أبدل ما لنفي اختيار الخلق تقرير الاختيار الحق ومن قال معناه ويختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح فهو ما نزل إلى الأصغر زال والخيرة من الخير يستعمل بمعنى المصدر وهو الخير وبمعنى المختير كقولهم محمد خير من خلقه من خلقه (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أي الله بربى من أشركهم وهو منزى عن أن يكون لاحد عابه اختيار (وربك يعلم ما تكن) تضمن (صدورهم)

لو أنهم كانوا يتدنون) معناه لو أنهم كانوا يتدنون في الدنيا ما رأوا العذاب في الآخرة (ويوم يناديهم) أي يسأل الكفار (فيقول ماذا أجبتم المرسلين) أي ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين (فعميت عليهم) أي خفيت واشتبهت عليهم (الأنبياء) يعني الأخبار والأعذار والحجج (يومئذ) فلم يكن لهم عذر ولا حجة (فهم لا يتساءلون) أي لا يجيبون ولا يحتجون وقيل يسأل بعضهم بعضا (فأما من تاب وأمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلقين) أي من السعداء الناجين وعسى من الله واجب وقوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا لو أنزل هذا القرآن على رجل من القرنين عظيم يعني الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود التقي أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم لأنه المالك المطلق وله أن يخص من يشاء بما يشاء لا اعتراض عليه البتة (ما كان لهم الخيرة) أي ليس لهم الاختيار وليس لهم أن يختاروا على الله وقيل معناه ويختار الله ما كان هو الأصلح والخير لهم فيه ثم نزه الله تعالى نفسه فقال (سبحان الله وتعالى عما يشركون) وربك يعلم ما تكن أي تخفي (صدورهم وما يعانون) أي يظهرون (وهو الله لا اله الا هو له الجسد في الأولى والآخرة) أي يحمد له أولياؤه في الدنيا ويحمده ونبه في الآخرة في الجنة (وله الحكم) أي فصل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس يحكم لاهل طاعته بالغفرة ولا لاهل المعصية بالشقاوة (واليه ترجعون) قوله عز وجل (قل) أي قل يا محمد لاهل مكة (أرايتم) أي أخبروني (أن جعل الله عليكم الليل سرمدًا) أي دائما (اليوم القيامة) لأنهار فيه (من اله غير الله) أي بكم بضياء) أي بنهار تطلبون فيه المعيشة (أفلا تسمعون) أي سمعاهم وقبول (قل) أرايتم أن جعل الله عليكم النهار سرمدًا إلى يوم القيامة (أي لا ليل فيه) (من اله غير الله) أي بكم بليل تسكنون فيه (أفلا تبصرون) أي ما أنتم عليه من الخطأ قبل أن من نعمه الله تعالى على الخلق أن جعل الليل والنهار يتعاقبان لأن المرء في حال الدنيا وفي حال التكليف مدفوع إلى التعب ليجعل ما يحتاج إليه ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار ولا جله يحصل الاجتماع فتكن المعاملات ومعلوم أن ذلك لا يتم إلا بالراحة والسكون بالليل فلا بد منه ما فإما في الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم إلى الليل ولذلك يدوم لهم

من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده (وما يعانون) من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة (وهو الله) وهو المستأثر بالالهية المختصة بها (لا اله الا هو) تقرير لذلك كقولك القبلة الكعبة لا قبله الا هي (له الجسد في الأولى) الدنيا والآخرة (هو قولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقبل الحمد لله رب العالمين والتحميد لله على وجه اللذة لا الكلفة) (وله الحكم) القضاء بين عباده (واليه ترجعون) بالبعث والنشور وفتح التاء وكسر الجيم يعقوب (قل أرايتم) أرايتم محذوف الهزة على (أن جعل الله عليكم الليل سرمدًا) هو مفعول ثان لجعل أي دائما من السرمد وهو المتابعة ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرمد واحد فرد والميم مزيدة ووزنه فيل (اليوم القيامة من اله غير الله) أي بكم بضياء (أفلا تسمعون) والمعنى أخبروني من يقرر على هذا (قل أرايتم أن جعل الله عليكم النهار سرمدًا إلى يوم القيامة من اله غير الله) أي بكم بليل تسكنون فيه (أفلا تبصرون) ولم يقل بنهار تنصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرّف في المعاش وحده والظلام ليس بشيء المنفعة ومن ثم قرن بالضياء (أفلا تسمعون) لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل (أفلا تبصرون) لأن غيرك

يصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) أي لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضل الله في النهار فيكون من باب اللطف والنشر (وعلكم تشكرون) الله على نعمه وقال الزجاج يجوز أن يكون معناه لتسكنوا فيه ما ولتبتغوا من فضل الله فيه ما ويكون المعنى جعل لكم الزمان لئلا تنهاروا لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فيه (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) كروا لتوبخ لا تخاذلوا الشركاء ليؤذن أن لا شيء أوجب لغضب الله من الأشرار به كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيد (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) يعني نبيهم لأن الأنبياء للآدم شهداء عليهم شهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للآدم (ها أنزلناكم) (٤٣٣) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسل (فعلوا) حيث أذن (إن الحق لله) التوحيد (وضل

منهم) وغاب عنهم غيبة الشيء الضياء أضاء الله تعالى أنه القادر على ذلك ليس غيره فقال (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار) أي لتبتغوا بالليل والنهار (وعلكم تشكرون) أي نعم الله فيهما (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) كروا ذلك النداء للامشركين زيادة التقرير والتوبيخ (ونزعنا) أي أخرجنا وقيل ميزنا (من كل أمة شهيدا) يعني رسولهم يشهد عليهم بأنه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم (فقلنا) أي للآدم المكذبة لرسولهم (ها أنزلناكم) أي حجتكم بأن معي شركاء (فعلوا أن الحق لله) أي التوحيد لله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي يخترعون في الدين ما من الكذب على الله (وقوله عز وجل) (إن قارون كان من قوم موسى) قيل كان ابن عم موسى لأنه قارون بن بصير بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ منه للتوراة ولكنه وافق كما وافق السامري (فبقي عليهم) قيل كان عاملا لفرعون على بني إسرائيل فظلمهم وبقي عليهم وقيل بقي عليهم بكثرة ماله وقيل زاد في طول ثيابه شبرا (ق) عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثيابه خيلاء أخرجاه في العجيج وقيل بقي عليهم بالكبر والعلو (وآتيناه من الكنوز ما ن فمفاتيحه) جمع مفق وهو الذي يفتح به الباب وقيل مفاتيحه يعني خزائنه (لتنوء بالعصبة أولى القوة) معناه لتثقلهم وتقبل بهم إذا جألوا لثقلها قيل بالعصبة ما بين العشرة إلى الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى الأربعين وقيل إلى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفاتيحه أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون أنما ذهب تحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الأصبع وكانت تحمل معه إذا ركب على أربعين بغلا (اذ قال له قومه لا تفرح) أي لا تبطلوا ولا تفرحوا ولا تفرحوا (إن الله لا يحب الفرحين) أي لا يحب الفرحين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قيل أنه لا يفرح بالدين إلا من رضى بها واطمأن إليها فاما من يعلم أنه سبب فارق الدين عن قريب لم يفرح ولقد أحسن من قال

الضياء أضاء الله تعالى أنه القادر على ذلك ليس غيره فقال (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار) أي لتبتغوا بالليل والنهار (وعلكم تشكرون) أي نعم الله فيهما (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) كروا ذلك النداء للامشركين زيادة التقرير والتوبيخ (ونزعنا) أي أخرجنا وقيل ميزنا (من كل أمة شهيدا) يعني رسولهم يشهد عليهم بأنه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم (فقلنا) أي للآدم المكذبة لرسولهم (ها أنزلناكم) أي حجتكم بأن معي شركاء (فعلوا أن الحق لله) أي التوحيد لله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي يخترعون في الدين ما من الكذب على الله (وقوله عز وجل) (إن قارون كان من قوم موسى) قيل كان ابن عم موسى لأنه قارون بن بصير بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ منه للتوراة ولكنه وافق كما وافق السامري (فبقي عليهم) قيل كان عاملا لفرعون على بني إسرائيل فظلمهم وبقي عليهم وقيل بقي عليهم بكثرة ماله وقيل زاد في طول ثيابه شبرا (ق) عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثيابه خيلاء أخرجاه في العجيج وقيل بقي عليهم بالكبر والعلو (وآتيناه من الكنوز ما ن فمفاتيحه) جمع مفق وهو الذي يفتح به الباب وقيل مفاتيحه يعني خزائنه (لتنوء بالعصبة أولى القوة) معناه لتثقلهم وتقبل بهم إذا جألوا لثقلها قيل بالعصبة ما بين العشرة إلى الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى الأربعين وقيل إلى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفاتيحه أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون أنما ذهب تحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الأصبع وكانت تحمل معه إذا ركب على أربعين بغلا (اذ قال له قومه لا تفرح) أي لا تبطلوا ولا تفرحوا ولا تفرحوا (إن الله لا يحب الفرحين) أي لا يحب الفرحين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قيل أنه لا يفرح بالدين إلا من رضى بها واطمأن إليها فاما من يعلم أنه سبب فارق الدين عن قريب لم يفرح ولقد أحسن من قال

أشد الغم عندى في سرور * تبقي عنه صاحبه انتقلا

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أي اطلب فيما أعطاك الله من الأموال الجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفعه في رضا الله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أي لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تجو من العذاب لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا أن يعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة * عن عمرو بن ميمون الأودي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل

الخرانة والأصوب أنها المفاليد (لتنوء بالعصبة) لتثقل بالعصبة قالوا للتعبية يقال ناء بهما الحل إذا أثقلته حتى أماله سقمك والعصبة الجماعة الكثيرة وكانت تحمل مفاتيح خزائنه ستمون بغلا لكل خزائنه مفتاح ولا يزيد المفتاح على أصبع وكانت من جلود (أولى القوة) الشدة (اذ قال له قومه) أي المؤمنون وقيل القائل موسى عليه السلام ومحل إذ نصب تنوء (لا تبطلوا بكثرة المال كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم ولا يفرح بالدين إلا من رضى بها واطمأن وأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه يتركها عن قريب فلا يفرح بها (إن الله لا يحب الفرحين) الباطرين بالمال (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بأن تنصديق على الفقراء وتصل الرحم وتصرف إلى أبواب الخير (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وهو أن تأخذ ما يكفيك ويصلحك وقبل معناه واطلب بدنياك آخرتك فان ذلك حظ

المؤمن منها (وأحسن) إلى عباد الله (كما أحسن الله اليك) أو أحسن بشكرك وطاعتك لخالق الانام كما أحسن اليك بالانعام (ولا تبغ الفساد في الارض) بالظلم والبغي (ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته) أي المال (على علم عندى) أي على استحقاق لما في من العلم الذي فضلت به الناس وهو علم التوراة أو علم الكيمياء وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا أو العسل بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة وعندى صفة لعلم قال سهل ما نظراً حاداً إلى نفسه فافلح والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل رؤية منة الله تعالى عليه في جميع الافعال والاقوال والشقي من زين في عينه أفعاله وأقواله وأحواله ولا فتح له سبيل رؤية منة الله فافتخر بها وادعاه لنفسه فشؤمه بملكه يوماً كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلاً (أولم يعلم) قارون (ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة) هو اثبات لعلمه بان الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لانه قد قرأه في التوراة كانه قيل أولم يعلم في جلة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته أو نفي لعلمه بذلك لانه لما قال أوتيته على علم عندى قيل (٤٣٣) أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة

الكل نعمة ولم يعلم هذا العلم المذفع حتى بقي به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعاً) للمال أو أكثر جماعاً وعدداً (ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير حساب أو يعرفون بها بغير سؤال أو يعرفون بسميائهم فلا يستلون أو لا يستلون لتعلم من جهنهم بل يستلون سؤال توبخ أو لا يستل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الامة (خرج على قومه في زينته) في الحرة والصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليهم من ذهب ومعه أربع آلاف فارس وعليهم من ذهب ومعه ثلثمائة جارية بيضاء عليهم الحلى والثياب الجروهم على البغال الشهب (قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم) وقال الذين أوتوا العلم (أي عباد الله في الآخرة وقال ابن عباس يعني الاحبار من بنى اسرائيل للذين غنوا مثل ما أوتي قارون (ويلكم ثواب الله) أي ما عند الله من الثواب والخير (خير لمن آمن) أي صدق بتوحيد الله (وعمل صالحاً) أي ذلك خير مما أوتي قارون في الدنيا (ولا يلقاها الا الصابرون) أي لا يوتى الاعمال الصالحة الا الصابرون وقيل لا يوتى هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون أي على طاعة الله وعن زينة الدنيا قوله تعالى (نخسفنا به وبداره الارض)

سقمك وغناك قبل فقرك وراغلك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا حديث مرسل وعمر بن ميمون لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم (وأحسن كما أحسن الله اليك) أي أحسن بطاعة الله كما أحسن اليك بنعمة وقيل أحسن إلى الناس (ولا تبغ) أي ولا تطلب (الفساد في الارض) وكل من عصى الله فقد طاب الفساد في الارض (ان الله لا يحب المفسدين قال) يعني قارون (انما أوتيته على علم عندى) أي على فضل وخير صله الله عندى فرأى في أهله لذلك فضضاني بهذا المال عليكم كإفضائي بغيره وقيل هو علم الكيمياء وكان موسى يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف عليهما ما إلى علمه فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهبا وكان ذلك سبب كثرة أمواله وقيل كان علمه حسن التصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب قال الله عز وجل (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة) (أكثر جمعاً) أي للأموال (ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون) قيل معناه ان الله تعالى اذا أراد عقاب المجرمين فلا حاجة به إلى سؤالهم لانه عالم بجهلهم وقيل لا يستلون سؤال استعلام وانما يستلون سؤال توبخ وتقرع وقيل لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسميائهم قوله عز وجل (خرج على قومه في زينته) قيل خرج هو وقومه وهم سبعون ألفاً عليهم الثياب الجروهم المصفرة والمعصفرات وقيل خرج على برازين بيض عليها سروج الارجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الارجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيضاء عليهم الحلى والثياب الجروهم على البغال الشهب (قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم) وقال الذين أوتوا العلم (أي عباد الله في الآخرة وقال ابن عباس يعني الاحبار من بنى اسرائيل للذين غنوا مثل ما أوتي قارون (ويلكم ثواب الله) أي ما عند الله من الثواب والخير (خير لمن آمن) أي صدق بتوحيد الله (وعمل صالحاً) أي ذلك خير مما أوتي قارون في الدنيا (ولا يلقاها الا الصابرون) أي لا يوتى الاعمال الصالحة الا الصابرون وقيل لا يوتى هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون أي على طاعة الله وعن زينة الدنيا قوله تعالى (نخسفنا به وبداره الارض)

(ذكر قصة قارون)

(٥٥ - خازن ثالث) غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيضاء عليهم الحلى والدياج وفي زينته حال من فاعل خرج أي متزيناً (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) فيسألونهم ما أوتي قارون (انما أوتيته على سبيل الرغبة في اليسار كمادة البشر وقيل كانوا كفاراً) (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون) قالوا غبطة والغباط هو الذي يمتنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه كذهبة الآلة والحاسد هو الذي يمتنى أن تكون نعمة صاحبه له دونة وهو كقوله تعالى ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل نغص القبطة قال لا الا كما يغصر الأعضاء الخبيطة (انه لذو حظ عظيم) الحظ الجود وهو البخت والدولة (وقال الذين أوتوا العلم) بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبي لغا بطى قارون (ويلكم) أصل وذل الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى وفي التبيان في اعراب القرآن هو مفعول فعل محذوف أي الزمكم الله ويلكم (ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها) أي لا يلقن هذه الكلمة وهي ثواب الله خير (الا الصابرون) على الطاعات وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير (نخسفنا به وبداره الارض)

كان قارون يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهم - ما حتى نزلت الزكاة فصاح له عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فغضب (٤٣٤) فاستكبره فشعبت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى يريد ان يأخذ أموالكم فقالوا

قال أهل العلم بالاخبار والسير كان قارون أعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون واقرباهم للتوراة وأجلهم وأعناهم وكان حسن الصوت فبني وطني وكان أول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى أوحى الى موسى ان يأمر قومه ان يعلقوا في أردبتهم خيوطا أربعة في كل طرف خيطا أخضر كالون السماء يذكرونني به اذا نظر والى السماء ويعلمون اني منزل منها كلامي فقال موسى يا رب أفلا تأمرهم ان يجعلوا أردبتهم كها خضرا فان بنى اسرائيل استصغروا هذه الخيوط فقال له به يا موسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير فاذلم بطيعة في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير فذاهمهم موسى فقال ان الله يأمركم ان تعلقوا في أردبتكم خيوطا خضرا كالون السماء لكي تذكروا ربكم اذ اربقوا فافعل بنو اسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال اغافل هذا الارباب بعبيدكم لكي يتبرعوا عن غيرهم فكان هذا به عصبانته وبغيه فلما قطع موسى بنى اسرائيل البحر جعلت الطبورة لهرون وهي رأسه المذبح فكان بنو اسرائيل يأتون بقراباتهم الى هرون فيضربونها على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكلهم فوجد قارون من ذلك في نفسه فأتى الى موسى فقال له يا موسى لك الرسالة ولهرون الطبورة ولست في شيء من ذلك وانا أقرا التوراة لاصبر على هذا فقال اما أنا ما جعلتها لهرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدق حتى ترى بيانه فجمع موسى رؤساء بنى اسرائيل فقال هاتوا عصيكم فخرمها وألقاها في قبضته التي يتعبد فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فاصبحت عصاه هرون قداه تزلها ورق أخضر وكانت من شجرة اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا فقال له قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحرة وتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهم ما وهو يؤذيه كل وقت ولا يريد الاعتوا وتجبروا معاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل لها بابا من الذهب وضرب على جدرانها صفاغ الذهب وكان الملا من بنى اسرائيل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويصاحفونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى أنه قارون فصاح له عن كل ألف دينار عن دينار وعلى كل ألف درهم عن درهم وكل ألف شاة عن شاة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى بيته فغضب فوجد شاة كثيرا فلم تسمع نفسه بذلك فجمع بنى اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شيء فاطيعوه وهو يريد يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فربنا عما شئت قال أمركم ان تحيثوا فلا تله البغي وتجعلوا عليكم لها جعله على ان تعذب موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل فرفضوه فدعوا فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم وقيل طستمان ذهب وقيل قال لها قارون انزلك وأخطأك بنسائي على ان تعذب موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بنى اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بنى اسرائيل ينظرون خروجا لئلا يأمروهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في مرج من الارض فقام فيهم فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن اقترى جلدناه ثمانين ومن زنى وابست له امرأة جلدناه مائة جلدته ومن زنى وله امرأة رجناه الى ان يموت فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون أنك خرت بفلانة البغي قال ادعوها فلما جاءت قال لها موسى بالذي فلق البحر لبنى اسرائيل وانزل التوراة الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقال البغي في نفسها أحدثت فبه أفضل من ان يؤذي رسول الله فقال لا والله ولكن قارون جعل لي جلا على ان أقذف نفسي فخر موسى ساجدا يميني ويقول اللهم ان كنت رسولك فاعضب لى فأوحى الله اليه اني أمرت الارض ان تطيعك فخرها عما شئت فقال موسى يا بنى اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون الا رجلا ثم قال موسى يا أرض خذهم فاخذتهم باقدا مهم وقيل كان على سبريه وفرشه فاخذته الارض

أنت كبيرنا فربنا عما شئت قال بنى اسرائيل فإلانة البغي حتى ترميه بنفسها فخرضه بنو اسرائيل فجعل لها ألف دينار وأوطستا من ذهب او حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن اقترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان أحصن رجناه فقال قارون وان كنت كنت أنت قال فان بنى اسرائيل يزعمون أنك خرت بفلانة فاخذت فنادى بالذي فلق البحر وأزل التوراة ان تصدق فقال جعل لي قارون جعله على ان أقذف بنفسى فخر موسى ساجدا يميني وقال يا رب ان كنت رسولك فاعضب لى فأوحى الله اليه ان امرى الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بنى اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فاجبعا غيبرجلين ثم قال يا أرض خذهم فاخذتهم الى الركاب ثم قال خذهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون الى موسى وينادونه بالله

والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذهم فانطبقت عليهم فقال الله تعالى استغاث بك مرارا حتى فلم ترحه فوه زنى لو استرحني مرارة رجته فقال بعض بنى اسرائيل اغاها لك ابرث ماله فدعا الله حتى خسف بداره وكنوزه

(فما كان له من فئة) جماعة (ينصرونه من دون الله) ينعونه من عذاب الله (وما كان من المنتصرين) من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه منه فامتنع (وأصبح) وصار (الذين غنوا مكانه) منزلته من الدنيا (بالامس) ظرف التناول ولم يرد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت القريب استعارة (يقولون وي) كأن الله يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) وي منفصلة عن كان عند البصريين قال سيديويه وي كلمة تنبه على الخطأ وتقدم يستعملها التاديب باظهار ندامته يعني ان القوم قد تابوا على خطيئهم في غنيمهم وقواهم بالبيت لنا مثل ما أوتى قارون وتندموا (لولا أن من الله علينا) بصرف ما كنا نتمناه بالامس (لخسف بنا) وبفخمين حفص ويعقوب وسهل وفيه ضمير الله تعالى (وي) كأنه لا يفلح (٤٣٥) الكافرون) أي تندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون (تلك)

حتى غيبت سريره ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وأصحابه في ذلك ينصرعون الى موسى ويناشدوه قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده اربعين مرة وقيل سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذيهم فاطبقت عليهم الارض فارحى الله الى موسى ما غاظ قلبك يستغيث بك قارون سبعين مرة فلم تغنه أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لا غنته وفي بعض الآثار لا تجعل الارض بعدك طوعا لا حذرا فإداه خسف به الارض فهو يتجلى في الارض كل يوم فامة رجل لا يبلغ قرارها الى يوم القيامة وأصبح نواسر ائبل يقولون فيما بينهم اغمد عاموسى على قارون ليستبد بداروه وكنوزهم وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداروه وكنوزهم وأمواله الارض فذلك قوله تعالى (فما كان له من فئة) أي جماعة (ينصرونه من دون الله) أي ينعونه من الله (وما كان من المنتصرين) من الممتنعين مما نزل به من الخسف (وأصبح الذين غنوا مكانه بالامس) أي صاروا أولئك الذين غنوا ما رزقه الله من الاموال والزينة يندمون على ذلك التخي (يقولون ويكأن الله) ألم تعلم وقيل ألم تر وقيل هي كلمة تقر بمعناها اما ترى صنع الله واحسانه وقيل ويل يعني ويلك اعلم أن الله وروى ان وي مفعولة من كان والمعنى ان القوم ندما فاقوالا متندمين على ما سلف منهم وي وكان معناها أنظن واقدرون الله (يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) قال ابن عباس أي يوسع لمن يشاء ويضييق على من يشاء (لولا أن من الله علينا) أي بالايمن (لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون) قوله عز وجل (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض) أي استبكارا عن الايمان وقيل علوا واسطة على الناس وتم اوتابهم وقيل يطالبون الشرف والعز عند ذي سلطان وعن علي أم انزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل المقدره (ولا فسادا) قيل الذين يدعون الى غير عبادة الله تعالى وقيل أخذوا أموال الناس بغير حق وقيل العمل بالمعاصي (والعاقبة للمتقين) أي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بآداء أوامر واجتناب نواهيه وقيل عاقبة المتقين الجنة (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) تقدم تفسيره ﴿ قوله تعالى (ان الذي فرض علينا القرآن) أي أنزل علينا القرآن وقيل معناه أوجب علينا العمل بالقرآن (لذلك الى معاد) قال ابن عباس الى مكة أخرجه البخاري عنه قال القتيبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن رجع الى الطريق ونزل بالحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فأناه جبريل عليه السلام وقال له أشتاق الى بلدك

الدار الآخرة) تلك تعظيم لها وتغنيها لشأنها يعني تلك التي سمعت بكرها وبلغت وصفا وقوله (نجعلها) خبر تلك والدار تعنيها (للذين لا يريدون علوا في الارض) بغيا ابن جبير وظلما للضعفاء أو كبرا (ولا فسادا) عملا بالمعاصي أو قتل النفس أو دعاء الى عبادة غير الله ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميسل القلوب اليهما كما قال ولا تركوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالكون وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليحببه ان يكون شراكا له أجد من شراكا فعل صاحبه فيدخل تحتها عن الفضيل انه قدس رآها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض وقال بعضهم حقيقة التنفير عن متابعة

فرعون وقارون متشبها بقوله ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض (والعاقبة) المحمودة (للمتقين) من جاء بالحسنة فله خير منها) مرفى الفل (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات) معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا ففضل تهجين مجاههم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين (الاما كانوا يعملون) الامثال ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم ان لا يجزى السيئة الا بعملها ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسببها (ان الذي فرض علينا القرآن) أوجب علينا تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لذلك الى معاد) بعد الموت (لذلك الى معاد) أي معاد والى معاد ليس بغيرك من البشر فلذا انكره أو المراد به مكة والمراد رده اليها يوم الفتح لانها كانت في ذلك اليوم معاد الهشأن ومرجاء اعتداد لغلبة رسول الله وقهره لاهاها وظهوره ورعا الاسلام وأهله وذلي الشرك وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالحفة لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق الى مولده ومولده آتاه ولما وعد رسوله

الرد الى معاده قال (قل) للمشركين (ربي أعلم من جاء بالهدى) يعنى نفسه وماله من الثواب في معاده (ومن هو في ضلال مبين) يعنى المشركين وما يستحقونه من العذاب في معادهم من في محل نصب بفعل مضموع أى يعلم (وما كنت ترجوان بلقى بيوحي) (البلى الكتاب) القرآن (الارحة من ربك) هو محمول على المعنى اى وما ألقى البلى الكتاب الارحة من ربك اوالايعنى لكن للاستدراك اى ولكن لرحمة من ربك ألقى البلى الكتاب (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) معينا لهم على دينهم (ولا يصدنك عن آيات الله) هو على الجمع أى لا يمنعك هؤلاء عن العمل بآيات الله أى القرآن (بعداذ أنزلت البلى) الآيات أى بعد وقت انزاله واذا يضاف اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ (وادع الى ربك) الى توحيد وعبادته (ولا تكونن) (٤٣٦) من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر) قال ابن عباس رضى الله عنهم

قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذى فرض علينا القرآن لرادك الى معادوه هذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكة ولا مدية وقال ابن عباس أيضا لرادك الى الموت وقيل الى القيامة وقيل الى الجنة (قل ربي أعلم من جاء بالهدى) هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك لفي ضلال مبين فقال الله تعالى قل اهدى ربي أعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه (ومن هو في ضلال مبين) يعنى المشركين ومعناه هو أعلم بالفريقين قوله عز وجل (وما كنت ترجوان بلقى البلى الكتاب) أى يوحى البلى القرآن (الارحة من ربك) فأعطاك القرآن (فلا تكونن ظهيرا) أى معينا (للكافرين) على دينهم وذلك حين دعوهم الى دين آباءه فذكره نعمة عليه ونهاهم عن مظاهرتهم على ما هم عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) يعنى القرآن (بعداذ أنزلت البلى) وادع الى ربك الى معرفته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) قال ابن عباس الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أى ولا تظاهروا الكفار ولا توافقهم (ولا تدع مع الله الها آخر) معناه واجب على الكل الا انه خاطبه به مخصوصا لاجل التعظيم فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من أن يدعو مع الله الها آخر فافائدة هذا النبي قلت الخطاب معه والمراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيلا على أمورك كلها ولا تعتمد على غيره (الا اله الا هو كل شئ هالك) أى فان (الوجهه) أى اله والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه الاما أريد به وجهه لان عمل كل شئ أريد به غير الله فهو هالك (له الحكم) أى فصل القضاء بين الخلق (واليسه ترجعون) أى تردون في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم والله أعلم بمراده

الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أهل دينه ولان العصمة لا تمنع النهى والوقف على آخر لازم لانه لو وصل لصار (الا اله الا هو) صفة لاله آخر وفيه من الفساد ما فيه (كل شئ هالك الا وجهه) أى الاياه فالوجه يعبر به عن الذات وقال مجاهد يعنى علم العلماء اذا أريد به وجه الله (له الحكم) القضاء في خلقه (واليه ترجعون) ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب والله أعلم

((نفس سورة العنكبوت))

وهي مكية وآياتها تسع وستون آية وكتابتها تسع مائة وخمسون كلمة وحروفها أربعة آلاف ومائة وخمسة وستون حرفا

((بسم الله الرحمن الرحيم))

قوله عز وجل (الم أحسب الناس) أى أظن الناس (أن يتركوا) أى بغير اختبار وابتلاء (أن) أى بأن (يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أى لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم كلا للتخبر عنهم لتبين الخالص من المنافق والصادق من الكاذب قبل نزل هذه الآية في أناس كانوا بمكة قد آفروا بالاسلام فكتب اليهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يقبل منكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا تخرجوا عامدين الى المدينة فأتبعهم المشركون فقاتلهم الكفار فقتل منهم من قتل ومنهم من نجوا فأمر الله هاتين الآيتين وقال ابن عباس أراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعباس بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن

((سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية))

بسم الله الرحمن الرحيم

(الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) الحسبان قوة أحد النقيضين على الآخر كالظن بخلاف الشك فهو الوقوف بينهما والعلم فهو القطع على أحدهما ولا يصح تعلية هاتين المفردات

ولكن بمضامين الجمل فلو قلت حسبت زيدا وظننت القرس لم يكن شيا حتى تقول حسبت زيدا اعلمنا وظننت القرس جواد الان قولك زيدا اعلمنا والقرس جواد كلام دال على مضمون فاذا أردت الاخبار عن ذلك المضمون تابعا عندك على وجه الظن لا اليقين ادخلت على شطرى الجمله فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك والكلام الدال على المضمون الذى يقتضيه الحسبان هناك يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولى حسب وقولهم آمنا والخبر وأما غير مفتونين فتحة الترك لانه من الترك الذى هو بمعنى التصيير كقول عنتره * فتركته جزر السباع يشنه * ألا ترى انك قبل المحي بالهسبان تقديران تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام وهو استفهام توبيخ والفتنة الامتحان

بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء رسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات وبالفقر والقطر وأنواع المصائب في
الانفس والاموال ومصابة الكفار على أذاهم وكيدهم وروى انها زلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خضعوا من
أذى المشركين أو في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله (ولقد فتنا) اختبرنا وهو موصول بأحسب أو بلا يفتنون (الذين من قبلهم) بأنواع
الفتن فمنهم من بوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتهين ما يصرفه ذلك عن دينه ومنهم من يشط بأمشاط الحديد ما يصرفه ذلك عن دينه
(فليعلن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) في الايمان (وليعلمن الكاذبين) فيه ومعنى علمه تعالى وهو عالم بذلك في عالم بزل ان يعلمه موجودا
عند وجوده كما علمه قبل وجوده انه يوجد والمعنى وليميز الصادق منهم من الكاذب قال ابن عطاء يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات
الرخاء والبلاء فمن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين
(أم حسب الذين يعملون السيئات) أي الشرك والمعاصي (ان يسبقونا) أي يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم بالحقالة واشتغال صلته ان على
مسند ومسد إليه سدم مسد فعولهم كقوله أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز (٤٣٧) ان يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى

الاضراب فيها ان هذا
الحسبان أطل من الحسبان
الاول لان ذلك يقدر انه
لا يخفى لا يمانه وهذا يظن
انه لا يجازي بما اوباه وقالوا
الاول في المؤمنين وهذا في
الكافرين (سأما يحكمون)
ما في موضع رفع على معنى
سأما الحكم حكمهم أو نصب
على معنى سأما حكمك
يحكمون والمخصوص بالذم
محذوف أي شئ حكمك
يحكمونه حكمهم (من كان
برحولاء الله) أي يأمل
ثوابه أو يخاف حسابه فالرجاء
يحتمل لهما (فان أجل الله)
المضروب للثواب والعقاب
(لأن) لا محالة فليبادر لعمل
الصالح الذي يصدق رجاءه
ويحقق أماله (وهو السميع)
لما يقوله عبادته (العليم)

ياسر وغيرهم وقيل في عمار كان يعذب في الله تعالى وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر وكان أول من
قتل من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب
الجنة من هذه الأمة فخرج أبواه وأمه أنه قاتل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال تعالى (ولقد فتنا الذين
من قبلهم) يعني الانبياء فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابلى بنو اسرائيل بقرون فكان
يسومهم سوء العذاب (فليعلن الله الذين صدقوا) أي في قولهم (وليعلمن الكاذبين) والله تعالى عالم بهم
قبل الاختبار ومعنى الآية فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه وقيل ان آثار أفعال
الحق صفة يظهر فيها كل ما يقع وما هو واقع ﴿قوله تعالى﴾ (أم حسب الذين يعملون السيئات) يعني الشرك
(ان يسبقونا) أي يعجزونا فلا تقدر على الانتقام منهم (سأما يحكمون) من كان رجولاء الله) قال ابن
عباس من كان يخشى البعث والحساب وقيل من كان يطمع في ثواب الله (فان أجل الله لا ت) يعني
ما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل يوم القيامة لتكائن والمعنى ان من يخشى الله ويؤمله فليس يستعده
وليعمل لذلك اليوم (وهو السميع العليم) أي يعلم ما يعمل العباد من الطاعة والمعصية فينبئهم أو يعاقبهم
أو يعفو ﴿قوله تعالى﴾ (ومن جاهد فانا جاهدنا نفسه) أي له ثوابه وهذا يحكم الوعد لا يحكم الاستحقاق
فان الكرم اذا وعد وفى والجهد هو الصبر على الاعداء والشدة وقد يكون في الحرب وقد يكون على
مخالفة النفس (ان الله لغني عن العالمين) أي عن أعمالهم وعبادتهم وفيه بشارة وتخويف أما البشارة
فلا نه اذا كان غنيا عن الاشياء فلا أعطى جميع ما خلقه لعباده من عبيده لاشئ عليه لاستغناؤه عنه وهذا
يوجب الرجاء التام وأما التخويف فلان الله اذا كان غنيا عن العالمين فلا أهلكهم بعد ذنبه فلا شئ عليه
لاستغناؤه عنهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) أي لنبتذلها حتى تصير بمنزلة
ما لم يعمل والتكفير اذ هاب السيئة بالحسنة (ولنجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي بأحسن أعمالهم
وهو الطاعة وقيل يعطيهم أكثر مما عملوا ﴿قوله عز وجل﴾ (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) معناه براهما
وعطف عليهما والمعنى ووصينا الانسان بوالديه ان يفعل بهما ما يحسن تزلت هذه الآية والتي في سورة

عما يفعلونه فلا يفوته شئ مما قال الزجاج من للشرط ويرتفع بالابتداء وجواب الشرط فان أجل الله لا ت كقولك ان كان زيد في الدار فقد
صدق الوعد (ومن جاهد) نفسه بالصبر على طاعة الله أو الشيطان بدفع وساوسه أو الكفار (فانا جاهدنا نفسه) لان منفعة ذلك ترجع
اليها (ان الله لغني عن العالمين) ومن طاعتهم ومجاهدتهم وانما أمر ونهى رحمة لعباده (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم
سيئاتهم) أي الشرك والمعاصي بالايمان والتوبة (ولنجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي أحسن جزاء أعمالهم في الاسلام
(ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وصى حكمه حكم أمر في معناه ونصره يقال وصيت زيدا بأن يفعل خيرا كما تقول أمرته بأن يفعل ومنه
قوله ووصى بها ابراهيم بنيه أي وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمر ومعناه وصيته بهد عمر ووصى عاتقه ونحو ذلك
وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا ووصينا بآبائهم حسنا أو بآبائهم حسنا أي فعلا إذا أحسن أو ما هو في ذاته حسن
لقرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا بضمارا ضرب اذ أريته منهيا للضرب فنصبه بأضمار
أولها ما أو افعل بها لان التوصية بما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا أولها ما عرفوا ولا تطعمهم في الشرك اذا جلاك عليه وعلى

هذا التفسير ان وقف على هو الذي ابتدئ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لابد من اعمار القول معناه وقلنا (وان جاهدك) أيها الانسان (لشرك في ما ليس لك به علم) أي لا علم للشبهة والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال لشرك في شئ لا يصح ان يكون الها (فلا تطعهما) في ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (الى مرجعكم) مرجع من آمن منكم ومن أشرك (فأنبشكم بما كنتم تعملون) فاجازيكم حتى جزايتكم وفي ذ كرا المرجع والوعيد تحذير من متابعتهم ما على الشرك وحث على الثبات والاستقامة في الدين روى ان سعد بن أبي وقاص لما أسلم نذرت أمه ان لا تأكل ولا تشرب حتى يرتد فشكا الى النبي صلى الله عليه وسلم فبطلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الاحقاف (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هو (٤٣٨) ميتدا والخبر (لندخلهم في الصالحين) في جملتهم والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين

للقمان والاحقاف في سعد بن أبي وقاص وقال ابن اسحق سعد بن مالك الزهري وأمهم حنة بنت أبي سفيان ابن أمية بن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الاولين وكان يارأبأبيه قالت له أمه ما هذا الذي أحدثت والله ما آكل ولا أشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه أو أموت فتعير بذلك أبا الدهر ويقال يقال يا قاتل أمه ثم انها مكثت يوما ليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تسمع تظل فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما آخر وليلة فخاها فقال يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا بنفسا ما تركت ديني فسكلى ان شئت وان شئت فلانا سكلى فلما أبست منه أكات وشربت فأنزله الله هذه الآية وأمره بالبر لوالديه والاحسان اليهما وان لا يطيعهما في الشرك فذلك قوله تعالى (وان جاهدك لشرك في ما ليس لك به علم فلا تطعهما) وفي الحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الله ثم أوعد بالمصير اليه فقال تعالى (الى مرجعكم فأنبشكم) أي فأخبركم (بما كنتم تعملون) أي بصلاح أعمالكم وسيأتى أي فأجازيكم عليها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلهم في الصالحين) أي في زمرة الصالحين وهم الانبياء والاولياء وقيل في مدخل الصالحين وهو الجنة قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى الله) أي إذا مسه أذى من الكفار (جعل فتنة الناس كعذاب الله) أي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة والمعنى انه جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف من عذابه وهو المنافق إذا أؤذى في الله وجزع عن الدين وكفر (واثن جاء نصر من ربك) أي فتح ودولة للمؤمنين (ليقولن) أي هؤلاء المنافقون للمؤمنين (انا كنا معكم) أي على عدوكم وكنا مسلمين وانما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فأكذبهم الله تعالى فقال (أوليس الله باعلم بما صدور العالمين) أي من الايمان والنفاق (وليعلن الله الذين آمنوا) أي صدقوا فثبتوا على الايمان والاسلام عند البلاء (وليعلن المنافقين) أي يترك الاسلام عند البلاء قبل نزل هذه الآية في أناس كانوا يؤمنون بالانتمى فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا وقال ابن عباس نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزلت فيهم الذين تنوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم وقيل هذه الآيات العشر من أول السورة الى ههنا مدنية وباقي السورة مكى (وقال الذين كفروا) يعني من أهل مكة قيسل قاله أبو سفيان (ل الذين آمنوا) أي من قريش (انبعوا سيبلنا) يعني ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعه من الله نصيبكم بذلك قوله (ولجعل خطاياكم) أي أوزاركم والمعنى ان اتبعتم سيبلنا جعلنا خطاياكم كأذيهم الله عز وجل بقوله (وما هم بمجاملين من خطاياهم من شئ انهم لا كاذبون) في قولهم فجعل خطاياكم (وليعلن أنفاهم) أي أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم (وأنفاهم مع أنفاهم) أي أوزار من أضلوا وصدوا عن سيبل الله مع أوزار أنفسهم فان

وهو متمنى الانبياء عليهم السلام قال سلمان عليه السلام وأدخلني برحمتك في عبادة الصالحين وقال يوسف عليه السلام توفنى مسلما وألحقني بالصالحين أو في مدخل الصالحين وهو الجنة ونزلت في المنافقين (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى الله) أي إذا مسه أذى من الكفار (جعل فتنة الناس كعذاب الله) أي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة والمعنى انه جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف من عذابه وهو المنافق إذا أؤذى في الله وجزع عن الدين وكفر (واثن جاء نصر من ربك ليقولن) أي فتح ودولة للمؤمنين (ليقولن) أي هؤلاء المنافقون للمؤمنين (انا كنا معكم) أي على عدوكم وكنا مسلمين وانما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فأكذبهم الله تعالى فقال (أوليس الله باعلم بما صدور العالمين) أي صدقوا فثبتوا على الايمان والاسلام عند البلاء (وليعلن المنافقين) أي يترك الاسلام عند البلاء قبل نزل هذه الآية في أناس كانوا يؤمنون بالانتمى فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا وقال ابن عباس نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزلت فيهم الذين تنوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم وقيل هذه الآيات العشر من أول السورة الى ههنا مدنية وباقي السورة مكى (وقال الذين كفروا) يعني من أهل مكة قيسل قاله أبو سفيان (ل الذين آمنوا) أي من قريش (انبعوا سيبلنا) يعني ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعه من الله نصيبكم بذلك قوله (ولجعل خطاياكم) أي أوزاركم والمعنى ان اتبعتم سيبلنا جعلنا خطاياكم كأذيهم الله عز وجل بقوله (وما هم بمجاملين من خطاياهم من شئ انهم لا كاذبون) في قولهم فجعل خطاياكم (وليعلن أنفاهم) أي أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم (وأنفاهم مع أنفاهم) أي أوزار من أضلوا وصدوا عن سيبل الله مع أوزار أنفسهم فان

المؤمنين من الاخلاص ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين بقوله (وليعلن الله الذين آمنوا وليعلن المنافقين) أي حالهم ما ظاهره قلت عند من علك الجزاء عليهم (وقال الذين كفروا الذين آمنوا اتبعوا سيبلنا ولجعل خطاياكم) أمرهم بالتابع سيبلهم وهي طريقهم التي كانوا عليها في دينهم وأمرهم بأنفسهم بجعل خطاياهم فقطط الامر على الامر وأرادوا ليجمع هذان الامر ان في الحصول أن تتبعوا سيبلنا وأن تجعل خطاياكم والمعنى تعلق الحبل بالاتباع أي ان تتبعوا سيبلنا جعلنا خطاياكم وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا تبع نحن ولا أنت فان كان ذلك فانا نعمل عنكم الاثم (وما هم بمجاملين من خطاياهم من شئ انهم لا كاذبون) لانهم قالوا ذلك وقولهم على خلافه كالكاذبين الذين يدون الشئ في قلوبهم تبه الخلف (وليعلن أنفاهم) أي أنفاهم يعني أوزارهم بسبب كفرهم (وأنفاهم مع أنفاهم) أي أنفاهم لا آخر غير الخطايا التي فعلوها المؤمنين جعلها وهي أنفاهم الذين كانوا سيبلنا ضلالهم وهو كما قال لي عملوا

أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم (وليس من يوم القيامة هما كانوا يفترون) يختلفون من الأباطيل والباطيل (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما) كان عمره ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولدت في قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين رعين وعاش ألفا وأربعمائة سنة فقال له ملك الموت يا أطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت وخرجت ولم يقل تسعمائة وخمسين سنة لأنه لو قيل كذلك لجازأت يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل هنا فكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وأية العدد إلا أن ذلك أعصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة ولأن القصة سبقت لما ابتلى به نوح عليه السلام من أمنه وما كابد من طول المصاهرة تسليية لتيسر عليه السلام فكان ذكر الألف أنخم وأرسل إلى الغرض وحي بالمميز أولا بالسنة ثم بالعام لأن تكرار لفظ واحد (٤٣٩) في كلام واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة

(فأخذهم الطوفان) هو ما طاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما (وهم ظالمون) أنفسهم بالكفر (فأنجيناه) أي نوحا (وأصحاب السفينة) وكانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح سام وحام ويافث ونسأؤهم (وجعلناهم) أي السفينة أو الحادثة أو القصة (آية) عبرة وعظة (للعالمين) يتعظون بها (وإبراهيم) نصب باضمار إذ كرر بدل عنه (اذفال) بدل اشتمال لأن الأحياء تشغل على ما فيها أو معطوف على نوح أي وأرسلنا إبراهيم وأظرف لإرسلنا يعني أرسلناه حين بلغ من السن أو العلم مبلغا صلح فيه لأن يعط قومه وإبراهيم بالعبادة والتقوى وقبرا إبراهيم النخعي وأبو

قلت قد قال أولو ما هم بجهالين من خطاياهم من شيء وقال ههنا وليعلم أن أفعالهم وأفعالهم فكيف الجحيم بينهما قلت معناه أنهم لا يرفعون عنهم خطيئته بل كل واحد يحمل خطيئته نفسه ورؤسائه الضلال يحملون أوزارهم ويحملون أوزار بسبب اضلال غيرهم فهو كقولهم صلى الله عليه وسلم من سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزر ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء رواه مسلم (وليس من يوم القيامة هما كانوا يفترون) أي سؤال توبيخ وتقرير لأنه تعالى عالم بأعمالهم واقترانهم قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث) أي أقام (فيهم) يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده (ألف سنة إلا خمسين عاما) فإن قلت ما فائدة هذا الاستثناء وهو لاقال تسعمائة وخمسين سنة قلت فيه فائدتان أحدهما أن الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة فقد يتوهم السائل أنه يقول مائة سنة تقريبا لا تحقيفا فان قال مائة سنة الأشهر أو السنة زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق الفائدة الثانية هي إيمان أن نوحا صبر على أذى قومه صبرا كثيرا وأعلى مراتب العدد ألف سنة وكان المراد التكثير فذلك أتى بعد قد الألف لأنه أعظم وأنخم وهذه تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أعلم أن الأنبياء قد ابتلوا قبيله وأن نوحا لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم فصبر في الدوام ولم يؤمن من قومه الا قليل فأتى أول بالصبر بقصة مدة لبثه وكثرة من آمن بل قال ابن عباس بعث نوح لأربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس فكان عمره ألفا وخمسين عاما وقيل في عمره غير ذلك (فأخذهم الطوفان) أي فأغرقهم (وهم ظالمون) قال ابن عباس مشركون (فأنجيناه) (وأصحاب السفينة) يعني من الغرق (وجعلناهم) (آية) أي عبرة (للعالمين) قبل أن يبقيت على الجودي مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة (فأرسلنا إبراهيم) (اذفال لقومه اعبدوا الله واتقوه) أي أطيعوا الله وخافوه (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أي ما هو خير لكم مما هو شر لكم (كنتم تعلمون) (انما تعبدون من دون الله آوتانا) (وتخلقون أفكا) أي تقولون كذا وباقيل تصنعون أصناما بأيديكم وتسبون آلهة (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) أي لا يقدرون ان يرزقوكم (فابتغوا) أي فاطلبوا (عند الله الرزق) فانه القادر على ذلك (واعبدوه) أي وحدوه (واشكروا له) لانه المنعم عليكم بالرزق (اليه ترجعون) أي في الآخرة (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) أي مثل قوم نوح وعاد وثمود

حقيقة رضى الله عنهما وإبراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين إبراهيم (لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم) من الكفر (ان كنتم تعلمون) ان كان لكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم (انما تعبدون من دون الله آوتانا) (وتخلقون) (وتكذبون) (وتصنعون) (وقرأ أبو حنيفة) والسلي رضى الله عنهما (وتخلقون) من خلق بمعنى التكثير في خلق (أفكا) (وقرأ أفكا) وهو مصدر نحو كذب ولعب والأفل مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما واختلافهما الأفل اسميتهم الاوتان آلهة وشركاء الله (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا من الرزق (فابتغوا عند الله الرزق) كله فانه هو الرزق وحده لا يرزق غيره (واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون) فاستعدوا لآلهائه بعبادته والشكركه على نعمه وبفضله التام وكسرا لغير يعقوب (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم

وما على الرسول الا البلاغ المبين) أي وان تكذبوني فلا تضروني بشكذبيكم فان الرسل قبلي قد كذبتمهم أمهم وما ضرهم وما غاضروا أنفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذبيهم وأما الرسول فقد نتم أمره حيث بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقتران آيات الله ومجزياته أو وان كنت مكذبا فبما ينسبكم في سائر الانبياء اسوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الآيات والآيات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول ابراهيم عليه السلام لقومه والمراد بالاعم قبله قوم شيث وادريس وفوح وغيرهم وان تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة ابراهيم وآخرها فان قلت فالجمل الاعترافية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه فلا تقول مكة وزيد قائم خير بلاد الله قلت نعم وبيانه أن اراد قصة ابراهيم عليه السلام ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة له بان آياه ابراهيم عليه السلام كان مبتلى فحوما بتلى به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يامعشر قريش ان تكذبوا فكم فقد كذب ابراهيم قومه وكل أمة ينهيا لان قوله فقد كذب أمم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهو كما ترى اعترض متصل ثم سائر الآيات بعدها من نوابعها لتكون اناطقة بالتحديد ولا لله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله تعالى وسلطانه ووضوح حجة وبرهانه (أولم يروا) (٤٤٠) وبالناء كوفي غير حفص (كيف يبدئ الله الخلق) أي قدر أو اذلك وعلموه وقوله

وغيرهم فاهلكهم الله (وما على الرسول الا البلاغ المبين) قوله تعالى (أولم يروا) قبل هذه الآيات الى قوله فما كان جواب قومه محتمل أن تكون من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انها وقعت معترضة في قصة ابراهيم وهي في نذ كبير أهل مكة وتحذيرهم ومعنى أولم يروا أولم يعلموا (كيف يبدئ الله الخلق) أي تخلقهم نطفة ثم علقه ثم مضغه (ثم يعيده) أي في الآخرة عند البعث (ان ذلك على الله يسير) أي الخلق الاول والخلق الثاني (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) أي انظروا الى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم (ثم الله ينشئ النشأة الاخرة) أي ثم ان الله الذي خلقهم ينشئهم نشأة ثانية بعد الموت والمعنى فكالم يتعذر عليه احدا منهم مبدئا كذلك لا يتعذر عليه انشاؤهم معيدا بعد الموت ثانيا (ان الله على كل شيء قدير) أي من البداءة والاعادة (يعذب من يشاء) عدلا منه (ويرحم من يشاء) تفضلا (واليه تقلابون) أي تردون (وما أتم عجيزين في الارض ولا في السماء) قيل معناه ولا من في السماء عجيز والمعنى لا يهجزه أهل الارض ولا أهل السماء وقيل معنى قوله ولا في السماء أي لو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولي) أي يمنعكم مني (ولا نصير) أي ينصركم من عذابي (والذين كفروا بآيات الله) يعني بالقرآن (ولقائه) أي البعث (أولئك ينسوا من رحمتي) يعني الجنة (وأولئك لهم عذاب أليم) فهذا آخر الآيات في نذ كبير أهل مكة ثم عاد الى قصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال الرؤساء للاتباع اقتلوه أو حرقوه (فأنجاه الله من النار) أي بان جعلها عليه بردا وسلاما قبل ان ذلك اليوم لم ينفع

(ثم يعيده) ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حيا له بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة على البدء دون الانشاء بل هو معطوف على جملة قوله أولم يروا كيف يبدأ الله الخلق (ان ذلك) أي الاعادة (على الله يسير) سهل (قل) بالجمع دون كان من كلام ابراهيم فتعذره وأوجيبنا اليه أن قل (سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق)

على كثرتهم واختلاف أحوالهم لتعرفوا عجائب فطرة الله بالمشاهدة وبدأ وأبد أجمعين (ثم الله ينشئ النشأة الاخرة) أي البعث والمحدث كان مكي وأبو عمرو وهذا ليس على انه ما نشأتان وان كل واحدة منهما انشاء أي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود غير ان الاخرة انشاء بعد انشاء منه والاولى ليست كذلك والقياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الاخرة لان الكلام معهم وقع في الاعادة فلما قررهم في الابداء بانه من الله اخرج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا لم يعجزه الابداء وجب ان لا يعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذلك الذي أنشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الاخرة فلتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ (ان الله على كل شيء قدير) قادر (يعذب من يشاء) بالخذلان (ويرحم من يشاء) بالهداية أو بالحرص والقناعة أو بسوء الخلق وحسنه أو بالاعراض عن الله وبالاقبال عليه أو باتباعه البدع وبملازمة السنة (واليه تقلابون) تردون وترجعون (وما أتم عجيزين) ربكم أي لا تقوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه (في الارض) القسيحة (ولا في السماء) التي هي أفسح منها واسط لو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولي) يتولى أموركم (ولا نصير) ولا ناصر عنكم من عذابي (والذين كفروا بآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومجزياته (ولقائه أولئك ينسوا من رحمتي) جنتي (وأولئك لهم عذاب أليم) فما كان جواب قومه (قوم ابراهيم حين دعاهم الى الايمان) الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه (قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكافوا جميعا في حكم القائلين فاتفقوا على تعذيبه) فأنجاه الله من النار (حين قذفوه فيها)

(ان في ذلك) فيما فعلناه وبفعلنا (الآيات لقوم يؤمنون) روى انه لم ينفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم اتى ابراهيم في النار وذلك لذهاب حرها (وقال) ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا) حزة وحصة مودة بينكم مدني رشاي وحمادي ويحي وخلف مودة بينكم مكي وبصري وعلى مودة بينكم الشمرني والبرجي النصب على وجهين على التعليل أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وان يكون مفعولا تابيا كقولنا اتخذنا الله هواه وما كانه أي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاني أو اتخذتموها مودة بينكم أي مودودة بينكم كقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله انداد يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبر الان وما موصولة وان يكون خبر مبتدأ محذوف أي هي مودة بينكم والمعنى ان الاوثان مودة بينكم أي مودودة أو سبب مودة ومن اضاف المودة جعل بينكم اسماء لا ظرفا كقوله شهادة بينكم ومن فون مودودة نصب بينكم فعلى الطرف (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) تنبرأ الاضام من عبادها (ويلعن بعضكم بعضا) أي يوم القيامة يقوم بينكم الذلاء فيلعن الاتباع القادة (٤٤١) (وما أكرم النار) أي ما أرى العابد والمعبود والتابع والمتبوع (وما لكم من

ناصرين) غمة (فآمن له) لا ابراهيم عليه السلام (لوط) هو ابن أخت ابراهيم وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه (وقال) ابراهيم (اني مهاجر) من كوثي وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين وهي من بركة الشام ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولا ابراهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وسارة وقد تركهما ابراهيم (الى ربي) الى حيث أمرني ربي بالهجرة اليه (انه هو العزيز) الذي يعني من أعدائي (الحكيم) الذي لا يامرني الا بما هو خير (ووهبنا له) اسحق (ولدا) (وبعقوب) ولد ولد ولم يذكر اسمعيل

أحد بنار (ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) بصدد قوت (وقال) يعني ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا) أي ثم تفتقع ولا تنقطع في الآخرة وقيل معناه انكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) تنبرأ الاوثان من عبادها وتنبرأ القادة من الاتباع ويلعن الاتباع القادة (وما أكرم النار) يعني العابدین والمعبودین جميعا (وما لكم من ناصرین) أي مانعين من عذابه (فآمن له لوط) أي صدقه برسالته لما رأى مجزأته وهو أول من صدق ابراهيم وأما في أصل التوحيد فإنه كان مؤمنا لان الانبياء لا يتصور فيهم الكفر (وقال) يعني ابراهيم (اني مهاجر الى ربي) الى حيث أمرني ربي فهاجر من كوثي وهي من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر الى الشام ومعه لوط وامر أنه سارة وهو أول من هاجر الى الله تعالى وترك بلده وسار الى حيث أمره الله بالمهاجرة اليه قبل هاجروه وابن خمس وسبعين سنة (انه هو العزيز) أي الذي لا يغلب والذي يعني من أعدائي (الحكيم) الذي لا يامرني الا بما يصلحني قوله تعالى (ووهبنا له اسحق وبهجرة) جعلنا في ذريته النبوة والكتاب يقال ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسبه له (وآتيناه أجره في الدنيا) هو الثناء الحسن فكل أهل الاديان يتولونه ويحبونه ويحبون الصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة من نسله هذا في الدنيا (وانه في الآخرة لمن الصالحين) أي في زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح عليه السلام عز وجل (ولو طأطأ لقمه انكم لتأتون الفاحشة) أي الفعلة القبيحة (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) أي لم يفعلها أحد قبلكم ثم قسر الفاحشة فقال (أنتم لتأتون الرجال) يعني انكم تقضون الشهوة من الرجال (وتقطعون السبيل) وذلك انهم كانوا يأتون الفاحشة بمن هم من المسافرين فترك الناس المهاجرين لاجل ذلك وقيل معناه يقطعون سبيل انفسهم بايثار الرجال على النساء (وتأتون في ناديتكم المنكر) أي محاسنكم والنادي مجلس القوم ومجلسهم عن أم هانئ بنت أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (وتأتون في ناديتكم المنكر) قال كانوا يجتمعون أهل الارض ويسخرون منهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب الخذف هو رمي الحصى بين الاصابع فيسل انهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا امرهم عابري سبيل حذفوه فابهم

(٥٦ - حازن ثالث) لشهرته (وجعلنا في ذريته النبوة) أي في ذرية ابراهيم فانه شجرة الانبياء (والكتاب) والمراد به الجنس يعني التوراة والانجيل والزبور والفردان (وآتيناه) أي ابراهيم (أجره) الثناء الحسن والصلاة عليه الى آخر الدهر ومحبة أهل المال له أو هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره (في الدنيا) فيه دليل على انه تعالى قد يعطي الاجر في الدنيا (وانه في الآخرة لمن الصالحين) أي من أهل الجنة عن الحسن (ولو طأ) أي واذا كرلوطا (اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) الفعلة البالغة في القبح وهي اللواط (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) جملة مستأنفة مفعولة لقررة الفاحشة تلك الفعلة كان قائلا لا قال لم كانت فاحشة فقبل لان أحد اقدمهم لم يقدم عليها قالوا لم ينز كره على ذلك قبل قوم لوط (أنتم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) بالقتل وأخذ المال كما هو عمل قطاع الطريق وقيل اعتراضهم السابلية بالفاحشة (وتأتون في ناديتكم) مجلسكم ولا يقال للمجلس ناد الامام فيه أهله (المنكر) أي المضارطة والمجاعة والسباب والفحش في المزاح والخذف بالحصى ومضغ العسل والفرقة

والسؤال بين الناس (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فيما تعدنا من نزول العذاب انكم انتمكم شامى وحفص وهو الموجود فى الامام وكل واحد من مرتين كوفى غير حفص آيتكم آيتكم همزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو انكم آيتكم همزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكى ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد (قال رب انصرنى) بالزال العذاب (على القوم المفسدين) كانوا يفسدون الناس بجهلهم على ما كانوا عليه من المعاصى والفواحش (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) بالبشارة لابراهيم بالولد والثاقلة يعنى اسحق ويعقوب (قالوا انما هلكوا اهل هذه القرية) اضافته مهلكوا لم تغد تعرفها لانها بمعنى الاستقبال والقرية سدوم التى قيل فيها أجور من قاضى سدوم وهذه القرية تشعر بانها قريبة من موضع ابراهيم عليه السلام قالوا انها كانت على مسيرة يوم ويلة من موضع ابراهيم عليه السلام (ان اهلها كانوا ظالمين) أى الظلم قد استقر منهم فى الايام السالفة رهم عليه مصررون وظالمهم كفرهم وأنواع معاصيهم (قال ابراهيم ان فى الوطى) أى (٤٤٣) انهم لكونهم وفيهم من هو برى من الظلم وهو لوط (قالوا) أى الملائكة (نحن أعلم) مثل

(عن فيها لتنجينه) لتنجينه يعقوب وكوفى غير عاصم (وأهله الامر أنه كانت من الغابرين) الباقين فى العذاب ثم أخبر عن مسير الملائكة الى لوط بعد مفارقتهم ابراهيم بقوله (ولما ان جاءت رسلنا لوطا منى بهم) ساء مجيبتهم وان صلة اكوت وجود الفعلين مرتباً أحدهما على الآخر كأنهما وجدوا فى جز واحد من الزمان كأنه قيل كما أحس مجيبتهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه ان يتناولوهم بالفجور وسى بهم ممدنى وشامى وعلى (وضاق بهم ذرعا) وبندبر أمرهم ذرعه أى طاقسه وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن

أصابه قال أنا أولى به وقيل ان كان يأخذنا معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل انهم كانوا يجامعون بعضهم بعضا فى مجالسهم وقيل انهم كانوا يتصارطون فى مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يترك بعضهم على بعض وقيل كان اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالخنا وحل الازار والاصغير والحذف والرمي بالجلاهي واللاوطية (فما كان جواب قومه) أى لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القباح (الأن قالوا) يعنى استهزاء (اتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) أى ان العذاب نازل بنا فعند ذلك (قال رب انصرنى على القوم المفسدين) أى بتحقيق قولى ان العذاب نازل بهم ﴿قوله عز وجل﴾ (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) يعنى من الله باسمحق ويعقوب (قالوا انما هلكوا اهل هذه القرية) يعنى قوم لوط والقرية سدوم (ان اهلها كانوا ظالمين قال) يعنى ابراهيم اشفاقا على لوط ولا يعلم حاله (ان فى الوطى قالوا) أى قالت الملائكة (نحن أعلم عن فيها لتنجينه وأهله الامر أنه كانت من الغابرين) أى من الباقين فى العذاب (ولما ان جاءت رسلنا لوطا منى بهم) أى ظنهم من الانس خفاف عليهم ومعناه انه جاءه مساءه (وضاق بهم ذرعا) أى عجز عن تدبير أمرهم فخرن لذلك (وقالوا لا تخف) أى من قومك (ولا تخزن) علينا (انما نجوك وأهلك) أى انما هلكوهم ومنجوك وأهلك (الامر أنك كانت من الغابرين انما تقولون على أهل هذه القرية رجزا) أى عذابا (من السماء) قيل هو الحذف والحصب بالحجارة (عما كانوا يفسقون ولقد ذرنا منها) أى من قريات لوط (آية بيته) أى عبرة ظاهرة (لقوم يعقلون) يعنى أذلاء يتدبرون الآيات تدبر ذوى العقول قال ابن عباس الآية البينة آثار منازلهم الخربة وقيل هى الحجارة التى أهل كواهم أباقها الله حتى أدركها أوائل هذه الامة وقيل هى ظهور الماء الاسود على وجهه الارض ﴿قوله تعالى﴾ (والى مدين) أى وأرسلنا الى مدين ومدين اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وأرسلنا الى ذرية مدين وأولاده وعلى القول الثانى وأرسلنا الى أهل مدين (أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) أى افعلا فاعل من رجوا اليوم الآخر وقيل معناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه (ولا تعشوا فى الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فوجفت الارض رجفة (فأصبحوا فى دارهم جاثقين) أى باركين على الركب مبينين (وعادوا غود) أى وأهلكنا عاد وعود

فقد الطاقه كما قالوا رب الذراع اذا كان مطبقا والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال مالا ياله القصير (وقد الذراع فضرب ذلك مثلا فى العجز والقدرة وهو نصب على التمييز) وقالوا لا تخف ولا تخزن انما نجوك (و بالتخفيف مكى وكوفى غير حفص (وأهلك) الكافى فى محل الجرو نصب أهلك بفعل محذوف أى ونجى أهلك (الامر أنك كانت من الغابرين انما تقولون) منزلون شامى (على أهل هذه القرية رجزا) عذابا (من السماء) عما كانوا يفسقون (بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله) ولقد ذرنا منها (من القرية) (آية بيته) هى آثار منازلهم الخربة وقيل الماء الاسود على وجهه الارض (لقوم) يتعلق بتركنا أو بينه (يعقلون والى مدين) وأرسلنا الى مدين (أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) وافعلوا ما ترجون به الثواب فى العاقبة أو خافوه (ولا تعشوا فى الارض مفسدين) قاصدين الفساد (فكذبوه فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة أو صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب رجفت بها (فأصبحوا فى دارهم) فى بلدتهم وأرضهم (جاثقين) باركين على الركب مبينين (وعادا) منصوب باضمار أهلكنا لان قوله فأخذتهم الرجفة لا يدل عليه نه فى معنى الاهلاك (وعود) همزة وحفص وسهل ويعقوب

(وقد تبين لكم) ذلك بعني ما وصفه من اهلاكم (من مساكمهم) من جهة مساكمهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمشون عليها في أسفارهم فيبصرونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والمعاصي (فصددهم عن السبيل) السبيل الذي أمروا به لولا كهو الايمان بالله ورسوله (وكانوا مستبصرين) عقلاء متمكنين من النظر وتبين الحق من الباطل ولكنهم لم يفعلوا (وقارون وفرعون وهامان) أي وأهلكتناهم (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين) فأتين أدركهم أمر الله فلم يقبلوه (فكذبوا ما ذنبه) فيه رد على من يجوز العقوبة بغير ذنب (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) هي ريح عاصف فيها حصاب وهي اقوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) هي لسدين وغود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعني قارون (ومنهم من أغرقنا) يعني قوم فوح وفرعون (وما كان الله ليظلمهم) ليعاقبهم بغير ذنب (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر والطغيان (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء) أي آلهة يعني مثل من أشرك بالله الاوثان في الضعف وسوء الاختيار (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) أي كمثل العنكبوت (٤٣) فيما اتخذته لنفسها من بيت فان ذلك بيت لا يدفع عنها الحر والبرد ولا يقي ماتي

البيوت فكذلك الاوثان لا تنفعهم في الدنيا والاخرة جعل حاتم اتخذت حالا (وان أو هن البيوت لبيت العنكبوت) لا بيت أو هن من يتها من على رضى الله عنه طهروا بيوتكم من تسج العنكبوت فان تركه يورث الفقر (لو كانوا يعلمون) ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن وقيل معنى الآية مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل بني يتبايا تجر وخص أو ينجته من صخر وكان أو هن البيوت اذا استقرت بها

(وقد تبين لكم) يا أهل مكة (من مساكمهم) أي من متازلهم بالجرو واللين (وزين لهم الشيطان أعمالهم) أي عبادتهم لغير الله (فصددهم عن السبيل) أي عن سبيل الحق (وكانوا مستبصرين) أي عقلاء ذوي بصائر وقيل كانوا مجبيين في دينهم وضلالتهم بحسبون أنهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين (وقارون وفرعون وهامان) أي أهلكتنا هؤلاء (ولقد جاءهم موسى بالبينات) أي بالآيات الواضحات (فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين) أي فاتين من عذابنا (فكذبوا ما ذنبه) فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط رموا بالحصاب وهي الحصى الصغار (ومنهم من أخذته الصيحة) يعني غود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعني قارون وأصحابه (ومنهم من أغرقنا) يعني قوم فوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) أي بالهلاك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي بالاشراك ﴿ قوله تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء) يعني الاصنام يرجون نصرها ونفعها (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تأوى اليه وان ينها في غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حر ولا بردا فكذلك الاوثان لا تغل لها بدافعها ولا ضر او قبل معنى هذا المثل ان المشرك الذي يعبد الاصنام بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا من تسجها بالاضافة الى رجل بني يتبايا تجر وخص أو ينجته من صخر فكما ان أو هن البيوت اذا استقرت بها بيتا بيتا بيت العنكبوت فكذلك أضف الاديان اذا استقرت بها ادينا عبادة الاوثان لانها لا تنصرف ولا تنفع (وان أو هن البيوت لبيت العنكبوت) أشار الى ضعفه فان الريح اذا هبت عليه أو لمسه لا مس فلا يثبت له عين ولا أثر قد صرح ان أو هن البيوت بيت العنكبوت وقد تبين اي دينهم أو هن الاديان (لو كانوا يعلمون) أي ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) هذا تو كيد للمثل وزيادة عليه يعني ان الذي يدعون من دونه ليس بشئ (وهو العزيز الحكيم) معناه كيف يجوز للعاقل ان يترك عبادة الله العزيز الحكيم القادر على كل شيء ويستغل بعبادة من ليس بشئ أصلا (وتلك الامثال) أي الاشياء يعني أمثال القرآن التي شبه بها أحوال الكفار من هذه الامة بأحوال كفار الامة السابقة (نضربها) أي نبينها (للناس) أي لكفار مكة (وما يظلمها الا العالمون) يعني ما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله عز وجل روى البغوي باسنادنا ان النبي صلى الله عليه

اذا استقرت بها ادينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون وقال الزجاج في جماعه تقدير الآية مثل الذين اتخذوا من دون الله أو ليا لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت (ان الله يعلم ما يدعون) بالباء بصرى وعاصم وبالداء غيرهما غير الاعشى والبرجى وما معنى الذي وهو مفعول به لم ومفعول يدعون مضمرة أي يدعونه يعني يعبدونه (من دونه من شيء) من في من شيء للتبيين (وهو العزيز) الغالب الذي لا شريك له (الحكيم) في ترك المعاجلة بالعقوبة وفيه تجهيل لهم حيث عبدوا جادا الاعلم له ولا قدرة وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل كل شيء الا بحكمة وتدبير (وتلك الامثال) الامثال نعمت والخبر (نضربها) تبينها (للناس) كان سفياء قريش وجهلهم يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال (وما يظلمها الا العالمون) بهو باسماؤه وصفاته أي لا يعقل محبتها وحسنها ولا يفهم فائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المستورة حتى تبرزها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعلم بطاعته

واجتنب مخطئه ودلت الآية على فضل العلم على العقل (خلق الله السموات والأرض بالحق) أي محققاً يعني لم يخلقه باطلاً بل لحكمه وهي ان تكوناً ماساً كن عبادته وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الاترى الى قوله (ان في ذلك لآية للمؤمنين) وخصهم بالذكر لانتفاعهم بها (انل ما أوحى اليك من الكتاب) تقر بالحق الى الله تعالى بقراءة كلامه ولتقف على ما أمر به ونهى عنه (وأقم الصلاة) أي دم على إقامة الصلاة (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء) الفعلة القبيحة كالزنا مثلاً (والمنكر) هو ما ينكر الشريعة والعقل قيل من كان

مراعياً للصلاة جرد ذلك الى أن ينهى عن السيئات يوماً ما قد روى انه قيل يوماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلان يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلواته تردعه روى ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش الا ركبه فوصفه فقال ان صلاته ستناه فلم يلبث ان تاب وقال ابن عوف ان الصلاة تنهى اذا كنت فيها فانت في معروف وطاعة وقد جرت ان عن الفحشاء والمنكر وعن الحسن من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه (ولذا كراه الله أكبر) أي والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وانما قال ولذا كراه الله ليس ينقل بالتعليل كانه قال والصلاة أكبر لانها ذكر الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذا كراه الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته وقال ابن عطاء ذكرا لله أكبر من ذكركم له لان ذكره بلا علة وذوكم مشوب بالعلل والاماني ولان ذكره

وسلم تلا هذه الآية وتلك الامثال تضرب للناس وما يعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب مخطئه (خلق الله السموات والأرض بالحق) أي للحق واطهار الحق (ان في ذلك لآية) أي دلالة (للمؤمنين) على قدرته وتوحيده (انل ما أوحى اليك من الكتاب) يعني القرآن (وأقم الصلاة) فان قلت لم أمر به ذين الشيطان تلاوة الكتاب وإقامة الصلاة فقط قلت لان العبادة المختصة بالمعبود ثلاثة فليست هي الاعتقاد الحق والسابقة وهي الذكر الحسن وبدنية وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيئاً لا يمكنه ان يعتقده مرة أخرى بل ذلك يدوم مستقراً بقي الذكروا العبادة البدنية وهما يحكمنا التكرار فذلك أمرهما (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء) أي ما يوجب من الاعمال (والمنكر) أي ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومن دبر عن معاصي الله فن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تنزه صلاته من الله الا بعد اوقال الحسن وقنادة لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاة تبال عليه وقيل من دأب على الصلاة جرد ذلك الى ترك المعاصي والسيئات كما روى عن أنس قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع من الفواحش شيئاً الا ركبه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستناه فلو ما فم يلبث ان تاب ورحمت حاله وقيل معنى الآية انه ما دام في صلاته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان في الصلاة لشغل وقيل أراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لا تقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه ان القرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روى عن جابر قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلاً لا يقرأ القرآن بالليل فاذ أصبح سرق قال ستناه قراءته وفي رواية انه قيل لرسول الله ان فلان يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته تردعه وعلى كل حال فان المراجعة للصلاة لا بد وان يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر من لا يراعيها (ولذا كراه الله أكبر) أي انه أفضل الطاعات عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بخير أعمالكم وازكاها عند مليككم وارفها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكرا لله أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذي يكون الله كثيراً قالوا يا رسول الله والغازي في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسروا ويختضب في سبيل الله دما كان الذي يكون الله كثيراً أفضل منه درجة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذي يكون الله كثيراً والذاكرات يروى المفردون بثبديد الرأى وتخفيفها والتشديد ثم يقال فرد الرجل بثبديد الرأى اذا تفقه واعتزل الناس وحده مراعياً للامر والنهي وقيل هم المتخلفون عن الناس بذكرا لله لا يخلطون به غيره (ن) عن أبي هريرة وأبي سعيد انهم ما شهدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يعقد قوم يدكرون الله الا فقهتم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وروى ان اعراباً قالوا يا رسول الله أي

لا يفتي وذكركم لا يفتي وقال سلمان ذكرا لله أكبر من كل شيء وأفضل فقد قال عليه السلام الا أنبئكم بخير أعمالكم وازكاها عند مليككم وارفها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والفضة وان تلقوا عداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وما ذا يا رسول الله قال ذكرا لله وسئل أي الاعمال أفضل قال ان تفاق الدنيا واسانك وطب بذكرا لله وذكرا لله أكبر من أن تحويه أفعالكم وعقولكم وذكرا لله أكبر من أن تلقى معه معصية أو ذكرا لله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من غيره

(والله يعلم ما تصنعون) من الطير والطاعة فينبئكم أحسن الثواب (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) بالخصلة التي هي أحسن للثواب وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم كما قال ادفع بالتي هي أحسن (الا الذين ظلموا منهم) فأفروا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصيحة ولم ينفع فيهم الرقي فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الا الذين أثبتوا الولد والمشرية وقالوا يد الله مغلولة أو معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا فذبوا الذمة ومنعوا الجزية فجادلهم بالسيف والآية يدل على جواز المناظرة مع الكفرة في الدين وعلى جواز تعلم علم الكلام الذي به تحقق المجادلة وقوله (وقولوا آمنا بالذي أنزل البنا وأنزل اليكم والهاوا اليكم واحمدون له مسلمون) من جنس المجادلة بالا حسن وقال عليه السلام ما حدثتكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله (٤٤٥) فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (أنزلنا اليك الكتاب) أي أنزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية أو كما أنزلنا الكتاب الى من قبلنا أنزلنا اليك الكتاب (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) هم عبد الله بن سلام ومن معه (ومن هؤلاء) أي من أهل مكة (من يؤمن به) أو أراد بالذين آتوا الكتاب الذين تقدموا معه (رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ومن هؤلاء الذين كانوا في عهد رسول الله عليه السلام) وما يجحد باياتنا (الا الكافرون) وذلك ان اليهود وعرفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي وقرآن حق فجددوا والجحد انما يكون بعد المعرفة (وما كنت تتلو) يا محمد (من قبله من كتاب) معناه من كتب أي من قبل ما أنزلنا اليك الكتاب (ولا تحطه بيمينك) أي ولا تكتبه والمخني لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحي (اذا لا رتاب المبطون) معناه لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحي البتة لا رتاب المشركون من أهل مكة وقالوا انه يقرؤه من كتب الاواين أو ينسخه منها وقبل المبطون هم اليهود ومعناه انهم اذا شككوا فيه واتهموا وقالوا ان الذي نجد نفعه في التوراة لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك التعت (بل هو آيات بينات) يعني القرآن (في صدور الذين أوتوا العلم) يعني المؤمنين الذين حلوا القرآن وقال ابن عباس يعني محمد أصلي الله عليه وسلم ذوات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لانهم يجدون نفعه وصفته في كتبهم (وما يجحد باياتنا الا الظالمون) يعني اليهود (وقالوا) يعني كفار مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) أي كما أنزل على الانبياء من قبل وقبله أراد بالآيات معجزات الانبياء مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك (قل انما الآيات عند الله) أي هو القادر على انزالها ان شاء أنزلها (وانما أنا نذير مبين)

الاعمال أفضل قال ان تغارق الدنيا واسانك رطب بدكر الله وقال ابن عباس معنى ولذا كره الله أكبر ذكر الله اياكم أفضل من ذكركم اياه وروي ذلك مرفوعا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن صطاء ولذا كره الله أكبر أي لن نبي معه معصية (والله يعلم ما تصنعون) أي لا يخفى عليه شيء من أمركم قوله عز وجل (ولا تجادلوا أهل الكتاب) أي ولا تفصحوهم (الا بالتي هي أحسن) أي القرآن والدعاء الى الله بآياته والتنبية على حجة وأرادهم من قبل الجزية منهم (الا الذين ظلموا منهم) أي أبووان يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فاجتوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ومعنى الآية الا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم أهل الحرب ومن لا عهد له وقيل الآية منسوخة بآية السيف (وقولوا) أي للذين قبلوا الجزية اذا حدثوكم شيئا مما في كتبكم (آمنا بالذي أنزل البنا وأنزل اليكم والهاوا اليكم واحمدون) ويحسبهم مسلمون (خ) عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية وفيه سر وهما بالعربية لا أهل الاسلام فقل النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل البنا الآية (وكذلك) أي كما أنزلنا اليهم الكتاب (أنزلنا اليك الكتاب) أي أنزلنا اليك الكتاب (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) يعني مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومن هؤلاء) يعني أهل مكة (من يؤمن به) أو أراد بالذين آتوا الكتاب الذين تقدموا معه (رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ومن هؤلاء الذين كانوا في عهد رسول الله عليه السلام) وما يجحد باياتنا (الا الكافرون) وذلك ان اليهود وعرفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي وقرآن حق فجددوا والجحد انما يكون بعد المعرفة (وما كنت تتلو) يا محمد (من قبله من كتاب) معناه من كتب أي من قبل ما أنزلنا اليك الكتاب (ولا تحطه بيمينك) أي ولا تكتبه والمخني لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحي (اذا لا رتاب المبطون) معناه لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحي البتة لا رتاب المشركون من أهل مكة وقالوا انه يقرؤه من كتب الاواين أو ينسخه منها وقبل المبطون هم اليهود ومعناه انهم اذا شككوا فيه واتهموا وقالوا ان الذي نجد نفعه في التوراة لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك التعت (بل هو آيات بينات) يعني القرآن (في صدور الذين أوتوا العلم) يعني المؤمنين الذين حلوا القرآن وقال ابن عباس يعني محمد أصلي الله عليه وسلم ذوات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لانهم يجدون نفعه وصفته في كتبهم (وما يجحد باياتنا الا الظالمون) يعني اليهود (وقالوا) يعني كفار مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) أي كما أنزل على الانبياء من قبل وقبله أراد بالآيات معجزات الانبياء مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك (قل انما الآيات عند الله) أي هو القادر على انزالها ان شاء أنزلها (وانما أنا نذير مبين)

نحطه بيمينك) خص اليمين لان الكتابة غالباً تكون باليمين أي ما كنت قرأت كتاباً من الكتب ولا كنت كاتباً (اذا) أي لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة ومن الخط (لا رتاب المبطون) من أهل الكتاب وقالوا الذي نجد نفعه في كتبنا أي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لا رتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده ومعناهم مبطلين لانكارهم نبوته وعن مجاهد والشعبي ما مات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ (بل هو) أي القرآن (آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) أي في صدور العلماء به وحفاظه وهم من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور بخلاف سائر الكتب فانهم لم تكن معجزات ولا كانت تقرأ الا من المصاحف (وما يجحد باياتنا) الواضحة (الا الظالمون) أي المتوغلون في الظلم (وقالوا) لولا أنزل عليه آيات من ربه (آية بغير ألف مكي وكوفي غير حفص) أرادوا هلا أنزل عليه آيات مثل الناقة والعصار مائدة عيسى عليهم السلام ونحو ذلك (قل انما الآيات عند الله) ينزل آياتها ما رأت اهل شيئا منها (وانما أنا نذير مبين) كلفت الانذار وابتدأه بما أعطيت من الآيات وليس لي ان أقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع علمي ان

نحطه بيمينك) خص اليمين لان الكتابة غالباً تكون باليمين أي ما كنت قرأت كتاباً من الكتب ولا كنت كاتباً (اذا) أي لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة ومن الخط (لا رتاب المبطون) من أهل الكتاب وقالوا الذي نجد نفعه في كتبنا أي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لا رتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده ومعناهم مبطلين لانكارهم نبوته وعن مجاهد والشعبي ما مات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ (بل هو) أي القرآن (آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) أي في صدور العلماء به وحفاظه وهم من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور بخلاف سائر الكتب فانهم لم تكن معجزات ولا كانت تقرأ الا من المصاحف (وما يجحد باياتنا) الواضحة (الا الظالمون) أي المتوغلون في الظلم (وقالوا) لولا أنزل عليه آيات من ربه (آية بغير ألف مكي وكوفي غير حفص) أرادوا هلا أنزل عليه آيات مثل الناقة والعصار مائدة عيسى عليهم السلام ونحو ذلك (قل انما الآيات عند الله) ينزل آياتها ما رأت اهل شيئا منها (وانما أنا نذير مبين) كلفت الانذار وابتدأه بما أعطيت من الآيات وليس لي ان أقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع علمي ان

المراد من الآيات ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك (أول يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي أول يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات أن كانوا البين للعق غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول كل آية بعد كونها أو تكون في مكان دون مكان (ان في ذلك) أي في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان إلى آخر الدهر (رحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى) وذكر (لقوم يؤمنون) دون المتعنتين (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) أي شاهدا بصديق ما أديبه من الرسالة وأنزل القرآن على وبشكذبيكم (يعلم ما في السموات والأرض) فهو مطلع على أمرى وأمركم وعالم بحق وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل) منكم وهو ما يعبدون من دون الله (وكفروا بالله) وآياته (أولئك هم الخاسرون) المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان الآن الكلام ورد موردا لانصاف (٤٤٦) كقوله وأنا وأياكم على هدى أو في ضلال مبين وروى ان كعب بن الأشرف

أي اغما كلفت الانذار وليس انزال الآيات بيدى (أول يكفهم أنا أنزلنا) هذا جواب لقولهم لو لا أنزل عليه آية من ربه قال أول يكفهم أنا أنزلنا (عليك الكتاب يتلى عليهم) معناه ان القرآن مجزة أتم من مجزة من تقدم من الانبياء لان مجزة القرآن تدوم على عمر الدهور والزمان ثابتة لا تضعف كمثل آية بعد كونها (ان في ذلك) يعني القرآن (رحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أي تذكيرا وعظة لمن آمن به وعمل صالحا (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) قال ابن عباس معناه يشهد لي اني رسول الله والقرآن كاهبه ويشهد عليكم بالكذب وشهادة الله اثبات المجزلة بانزال الكتاب عليه (يعلم ما في السموات والأرض) أي هو مطلع على أمرى وأمركم ويعلم حقى وباطلكم لا تخفى عليه خافية (والذين آمنوا بالباطل) قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بعبادة ما سوى الله لان ما سوى الله باطل (وكفروا بالله) فان قلت من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد قلت نعم فائدة انه ذكر الثاني لبيان قبح الاول فهو كقول القائل أقول الباطل وتترك الحق لبيان ان الباطل قبيح (أولئك هم الخاسرون) أي المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان قوله عز وجل (ويستجولون بالعذاب) نزلت في النضر بن الحرث حيث قال فامطر علينا حجارة من السماء (ولو لا أجل مسمى) قال ابن عباس ما وعدت اني لا أعذب قوما ولا أسألمهم وأؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقيل مدة أعمارهم لانهم اذا ما قواما روي العذاب وقيل يوم بدر (لجاءهم العذاب وليأتينهم) يعني العذاب وقيل الاجل (بغته وهم لا يشعرون) يأتيانه (يستجولون بالعذاب) أعاده تأكيذا (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أي جامعة لهم لا يبق منهم أحد الا دخلها (يوم يغشاهم العذاب) أي يصيبهم (من فوقهم ومن تحت أرجلهم) ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون (أي جزاء ما كنتم تعملون) قوله تعالى (يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فإياي فاعبدون) قيل نزلت في ضعفاء مسلمي أهل مكة يقول الله تعالى ان كنتم في ضيق بحكمه من اظهروا الإيمان فاجروا منها إلى أرض المدينة فانها واسعة آمنة وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجروا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يذره بترك الخروج وقيل المعنى فهاجروا فيها أي فهاجروا فيها وقال سعيد بن جبيرة اذا عملوا في الأرض بالمعاصي فهاجروا منها فان أرضي واسعة وقيل اذا أمرتم بالمعاصي فهاجروا فان أرضي واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلاد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيب ذلك ان يهاجر إلى بلاد تنهى فيها العبادة وقيل معنى ان أرضي

وأجابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فترأت (ويستجولون بالعذاب) بقواهم أمطر علينا حجارة من السماء الآية (ولو لا أجل مسمى) وهو القيامة أو يوم بدر أو وقت فناءهم بأجالهم والمعنى ولو لا أجل قد جاءه الله وبينه في الوجود لعذبهم والطهارة تقتضي تأخيرهم إلى ذلك الاجل المسمى (لجاءهم العذاب) عاجلا (وليأتينهم) العذاب عاجلا أو آتيا يتنهم العذاب في الاجل المسمى (بغته) فجأة (وهم لا يشعرون) بوقت مجيئه (يستجولون بالعذاب) وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أي سحيط بهم (يوم يغشاهم العذاب) من فوقهم ومن تحت أرجلهم) لقوله تعالى من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال ولا وقف على

بالكافرين لان يوم حارط النار بهم (وبقول) بالياء كوفي ونافع وقوله (ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاء واسعة أعينكم (يا عبادي) ويسكون الباء بصرى وكوفي غير عاصم (الذين آمنوا ان أرضي واسعة) ويقض الباء شامى يعني ان المؤمن اذا لم يشغل له العبادة في بلده وفيه ولم يتشله أمر دينه فليهاجر عنه إلى المدينة فانه فيه أسلم قلبا وأصح ديناً وأكثر عبادة والبقاع تتفاوت في ذلك تفاوتاً كثيراً قالوا لم نجد أعون على قهر النفس وأجمع للقلب وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الفتن وأربط للامر الديني من مكة خرجها الله تعالى وعن سهل اذا ظهرت المعاصي والبدع في أرض فاجروا منها إلى أرض المطيعين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فربدينه من أرض إلى أرض وان كان شيرا من الأرض استوجب الجنة (فإياي فاعبدون) وبالياء يعقوب وتقديره فإياي فاعبدوا فاعبدوني بوجهي بالقاء في فاعبدون لانه جواب شرط محذوف لان المعنى ان أرضي واسعة فان لم تخلصوا والعبادة إلى في أرض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عن حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلص ثم شجع المهاجر بقوله

(كل نفس ذائقة الموت) أى واجدة مرارته وكرهه كما يجد الذائق طعم المذوق لأنها اذا تبقت بالموت سهل عليها مفارقة وطنها (ثم انبأ ترجعون) بعد الموت للثواب والعقاب يرجعون يحيى ترجعون يعقوب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات انبئوهم من الجنة غرفا) لنزلهم من الجنة على لثونهم كوفى غير عاصم من الثواب والنزول للقامة وثوى غير متعذبا فاذ تعدى زيادة الهمة لم يحاوز مفعولا واحدا والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما الجراؤه فمجرى لنزلهم أولئذ ومنهم أوحذف الجار وابصال الفعل أو تشبيهه الظرف المؤقت بالمهم (فمجرى من فتحها الانهار خالدين فيها نعم أجر العالمين) ويقف على العالمين على ان (الذين صبروا) خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين صبروا على مفارقة الاوطان وعلى أذى المشركين وعلى الهن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي (٤٤٧)

واسعة أى رزقى لكم واسع فخرجوا (كل نفس ذائقة الموت) أى كل أحد ميت خوفاً بالموت ثمون الهجرة عليهم فلا يقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت (ثم انبأ ترجعون) فنجيكم بكم بأعمالكم قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات انبئوهم من الجنة غرفا) أى على جمع غرفة وهى العلية (فمجرى من فتحها الانهار خالدين فيها نعم أجر العالمين) أى الله بطاعته (الذين صبروا) على الشدة ولم يتركوها بينهم لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى أذى المشركين وعلى الهن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي (وعلى ربهم يتوكلون) أى يعتمدون على الله في جميع أمورهم قوله عز وجل (ولم يأتكم من دابة رزقها) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا معه وقد آذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف يخرج الى المدينة وليس لنا جدار ولا مال فنبطعنا بها ويسقينا فنزل الله وكأين من دابة لا تحمل رزقها أى لا ترفع رزقها معها الضعفاء ولا تدخر شيئا لغد مثل البهاثم والطير (الله يرزقها وأياكم) حيث كنتم (وهو السميع) أى لا قالوا لكم (العليم) عما في قلوبكم عن عمر ابن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفاصا وتروح بطانا أنسجبه الترمذى وقال حديث حسن ومعناه أنها تذهب أول النهار جيا عاضمة البطون وتروح آخر النهار الى أوكارها شباعا تمتلئ البطون ولا تدخر شيئا قال سفيان بن عيينة ليس شئ من خلق الله يجبأ الا الانسان والفأرة والغلة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أيها الناس ايس من شئ يقاربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد أمرتكم به وليس شئ يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا قد خيبتكم عنه الا وان الروح الامين نفث في روعي بضم الراء يضم الامو بالعين المهمة هو القلب والعقل وفتح الراء هو الخوف قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع أى الخوف انه ليس من نفس عوت حتى تستوفى رزقها فاتقوا الله وأجروا لى الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان يطلبوه معاصي الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته قوله عز وجل (ولئن سألتهم) يعنى كفار مكة (من خلق السموات والارض ومنصور الشمس والقمر) ذكر أمر من أحدهما اشارة الى اتحاد الذات والثاني اشارة الى اتحاد الصفات وهى الحركة فى الشمس والقمر (ليقولن الله فأنى يؤفكون) قيل معناه انهم يعتقدون هذا فكيف يصرفون عن عبادة الله مع اقرارهم انه خلق السموات والارض (الله ييسر الرزق لمن يشاء من عباده) لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الخلق بالرزق والله تعالى هو المتفضل بالرزق على الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان (ويقدره) أى يضيق عليه اذا شاء (ان الله بكل شئ عليم) أى يعلم مقادير الحاجات ومقادير الارزاق (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء لقولكم يتخشى الفقر والعيلة) (العليم) عما في ضمائرهم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ومنصور الشمس والقمر) (ليقولن الله فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله مع اقرارهم به هذا كاه (الله ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره) أى لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء منهم غير معين فكان الضمير مبهما معناه قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه (ان الله بكل شئ عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم فى الحديث ان من عبادى من لا يصلح ايمانه الا لافنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادى من لا يصلح ايمانه الا لافقروا ولو اغنيته لافسده ذلك (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء

والغلة) (وهو السميع) لقولكم يتخشى الفقر والعيلة (العليم) عما في ضمائرهم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ومنصور الشمس والقمر) (ليقولن الله فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله مع اقرارهم به هذا كاه (الله ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره) أى لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء منهم غير معين فكان الضمير مبهما معناه قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه (ان الله بكل شئ عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم فى الحديث ان من عبادى من لا يصلح ايمانه الا لافنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادى من لا يصلح ايمانه الا لافقروا ولو اغنيته لافسده ذلك (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء

فأحياءه الأرض بعد موتها يقولون الله) أي هم مقرون بذلك (قل الحمد لله) على أنزاله الماء لأحياء الأرض أو على أنه من أقدر بحسب ما أقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الشركاء عنه ولم يكن أقرارا عطلا كقارار المشركين (بل أكثرهم لا يعقلون) لا يتدبرون بما فيهم من العقول فيما نريمهم من الآيات ونقيم عليهم من الدلالات أولا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب) أي وما هي إلا سرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها ألا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وفيه ازدياء بالدنيا وتصغير لأمها وكيف لا يصغر هو وهي لا تزن عنده جناح بعوضة والله وما يتلذذه إلا ناس فيلهيه ساعة ثم ينقض (وان الدار الآخرة لهي الحيوان) أي الحياة أي ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة لا موت فيها فذا كانوا في ذاتها حياة والحيوان مصدر حي وقياسه حيوان فقلبت المياه الثانية وأو أول يقل لهي الحياة لما في بناء فعلم من معنى الحركة والاضطراب والحياة حركة والموت سكون فحيته على بناء دال على معنى الحركة مبالغته في معنى الحياة يوقف على الحيوان لأن التقدير (لو كانوا يعلمون) حقيقة الدارين لما اختاروا الله والقائي على الحيوان الباقي ولو وصل إصار وصف الحيوان معناه بشرط علمهم ذلك وليس كذلك (فأذكروا (٤٤٨) في الفلك) هو متصل بمعدود دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك

فأحياءه الأرض من بعد موتها يقولون الله) ذ كرسب الرزق وموجد السبب وموجد السبب فالرزق من الله تعالى (قل الحمد لله) أي على أن الفاعل لهذه الأشياء هو الله تعالى وقيل قل الحمد لله على أقرارهم ولزوم الحجة عليهم بانه خالق لهم (بل أكثرهم لا يعقلون) أي أنهم يشكرون التوحيد مع أقرارهم بانه خالق هذه الأشياء ﴿ قوله تعالى ﴾ (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب) والله هو الاستمتاع بملذات الدنيا وقيل هو الاشتغال بما لا يعنيه وما لا يهيمه واللعب هو العبث وفي هذا تصغير للدنيا وازدياء لهم ومعنى الآية أن سرعة زوال الدنيا عن أهلها وتقليلهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون (وان الدار الآخرة لهي الحيوان) أي الحياة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها (لو كانوا يعلمون) فناء الدنيا وبقاء الآخرة لما آثروا الثاني على الباقي ﴿ قوله عز وجل ﴾ (فأذكروا في الفلك) معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فأذكروا في الفلك وخافوا الفرق (دعوا الله مخلصين له الدين) أي تركوا الأصنام ورجعوا إلى الله تعالى بالدعاء (فلما نجحهم إلى البر إذا هم يشركون) أي عادوا إلى ما كانوا عليه من الشرك والعناد وقيل كان أهل الجاهلية أذكروا كبرياء البحر جفوا الأصنام فإذا اشتد الريح أفقوها في البحر وقالوا يارب يارب (ليكفروا عما آتيناهم) أي ليحجدوا نعمة الله في إجابته إياهم ومعناه التهديد والوعيد (وليقتعوا) معناه لا فائدة لهم في الاشتراك إلا التمتع بما يستمتعون به في العاجل ولا نصيب لهم في الآخرة (فسوف يعلمون) يعني عاقبة أمرهم ففهم ثم يدعوه وعبد ﴿ قوله عز وجل ﴾ (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) يعني الغرب يسبي بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون (أفبالباطل) يعني الشيطان والأصنام (يؤمنون ونعمة الله يكفرون) أي يحمدون على الله عليه وسلم والاسلام يكفرون (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أي فزعم أن له شريكا فإنه منزله عن الشركاء (أو كذب بالحق) أي يحمد على الله عليه وسلم والقرآن (لما جاءه آية من ربه) أي في جهم مثوى للكافرين) معناه أما هذا الكافر المكذب ما يرى في جهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (والذين جاهدوا فينا) معناه جاهدوا المشركين لنصرونا (لهم فيهم سبلنا) لننبيهمهم على ما كانوا عليه وقيل أنزلهم

ما وصفوا به من الشرك والعناد فأذكروا في الفلك (دعوا الله مخلصين له الدين) كأنهم في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يدركون إلا الله ولا يدعون معه الها آخر فلما نجحهم إلى البر) وآمنوا (إذا هم يشركون) عادوا إلى حال الشرك (ليكفروا عما آتيناهم) من النعمة قيل هي لا يمكن وكذا في (وليقتعوا) فيمن فسرأها بالكسر أي ليكن يكفروا ويكفروا والمعنى يعودون إلى شركهم ليكفروا بالمواد إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة فانهم يشكرون

نعمة الله إذا أنجأهم ويجمعون نعمة النجاة ذريعة إلى التلذذ والتمتع وعلى هذا لا وقف على هدى يشركون ومن جعله لام الأمر مثبتا بقراءة ابن كثير وحجة وعلى وليمة وإسكون اللام على وجه التهديد كقوله فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وتحقق في أصول الفقه يوقف عليه (فسوف يعلمون) سوء تدبيرهم عند تدبيرهم (أولم يروا) أي أهل مكة (أنا جعلنا) بلادهم (حرما) ممنوعا مصونا (آمنا) يأمن داخله (ويتخطف الناس من حولهم) يستلبون قتلا وسبي (أفبالباطل يؤمنون) أي بالشيطان والأصنام (ونعمة الله يكفرون) أي يحمد عليه السلام والاسلام (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن جعل له شريكا (أو كذب بالحق) بنبو محمد عليه السلام والكتاب (لما جاءه) أي بتلغيمه في تكذيبه حين سمعه (أليس في جهم مثوى للكافرين) هذا تقرير لثوابهم في جهم لأن همزة الانكسار إذا دخلت على النفي صار إيجابا يعني الا يشعرون فيه أو قد افترى مثل هذا التكذيب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو أم يصح عندهم أن في جهم مثوى للكافرين حين اجتروا مثل هذه الجراءة وذكر المثلوى في مقابلة لتبوتهم بؤيد قراءة الثاني (والذين جاهدوا) أطلق الجاهدة ولم يقيد بما يفعله لئلا يتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس والشيطان واعداء الدين (فينا) في حقنا ومن أجلنا ولو جهنا خالصا (لهم فيهم سبلنا) سبلنا أبو عمرو أي أنزلهم هداية إلى سبل الخير ونوقفوا عن الداراني والذين

جاهدوا فيما علموا
 لهم دينهم الى ما لم يعلموا فقد
 قيل من عمل بما علم وفق
 لما لا يعلم وقيل ان الذي
 رى من جهلنا بما لا يعلم
 انما هو انفسهم بنا فيما تعلم
 وعن فضيل والذين جاهدوا
 في طلب العلم لهم دينهم
 سبل العمل به وعن سهل
 والذين جاهدوا في اقامة
 السنة لهم دينهم سبل الجنة
 وعن ابن عطاء جاهدوا في
 رضا الله لهم دينهم الى الوصول
 الى محمل الرضوان وعن
 ابن عباس جاهدوا في
 طاعتنا لهم دينهم سبل ثوابنا
 وعن الحنفية جاهدوا في
 التوبة لهم دينهم سبل
 الاخلاص او جاهدوا في
 خدمتنا لنفرض عليهم سبل
 المناجاة معنا والانسان بما
 او جاهدوا في طاعتنا نخرى
 لرضانا لهم دينهم سبل
 الوصول اليها (وان الله لمع
 المحسنين) بالنصرة
 والمعونة في الدنيا وبالثواب
 والمغفرة في العقبى

(سورة الروم مكية وهي
 سنون اوسع وخمسون آية)
 والاختلاف في بضع سنين
 (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم غلبت الروم) أي غلبت
 فارس الروم (في أدنى الارض)
 أي في اقرب أرض العرب
 لان الارض المعهودة عند
 العرب أرضهم والمعنى غلبوا
 في أدنى أرض العرب منهم
 وهي اطراف الشام أو

هـدى وقيل لتوقفهم لاصابة الطرق المستقيمة وهي التي توصل الى رضا الله تعالى قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور فان الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لهم دينهم سبل العلم والعمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فينا باقامة السنة لهم دينهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لهم دينهم سبل ثوابنا (وان الله لمع المحسنين) أي بالنصرة والمعونة في دنياهم والمغفرة في عقباهم في الآخرة وثوابهم الجنة والله أعلم

تفسير سورة الروم وهي مكية

وسنون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الم غلبت الروم في أدنى الارض) سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارس كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس ليكونهم أهل كتاب فيبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهرمان وبث قيصر رجلا وجيشا وأمر عليهم رجلا يدعى بجشين فالتقيا بأذربعات وبصرى وهي أدنى الشام الى أرض العرب والحجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من الروم فانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله هذه الآيات فخرج أبو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتهم يظهر اخوانكم فلا تفرحوا فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقام اليه أبي بن خلف الجحشي فقال كذبت فقال أنت كاذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا أجلا أنا حبيب عليه والمناجبة بالحاء المهملة القمار والمراد منه أي أراهنك على عشرة قلائص مني وعشر قلائص منك فاذا ظهرت فارس على الروم غرمت واذا ظهرت الروم على فارس غرمت ففعلوا ووجهوا الاجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاثة الى التسع فزايده في الخطر ومادده في الاجل فخرج أبو بكر فلقى أبيا فقال لعلي ندمت فقال لا فتعال أزيدك في الخطر وأمدوك في الاجل فاجعلها مائة قلائص ومائة قلائص الى تسع سنين فقال قد فعلت فلما خشى أبي بن خلف ان يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال اني أخاف أن تخرج من مكة فاقم لي ضامنا كقبلا فكفله ابنه عبد الله بن أبي بكر فلما أراد أبي بن خلف ان يخرج الى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال والله لا أدعك حتى تعطيني كقبلا فأعطاه كقبلا ثم خرج الى أحد قال ثم رجعت أبي بن خلف الى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناجبتهم وقيل كان يوم بدر وورطت الروم خيولهم بالمداخن وبنوا بالعراق مدينته وهو هارمية فقمروا أبو بكر أبيا وأخذ مال الخطر من وراثته وجاء به للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل ان يحرم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم تصدق به وكان سبب غلبة الروم فارس على ما قال عكرمة وغيره ان شهرمان لما غلب الروم لم يرزل يطوهم ويحزب مداثهم حتى بلغ الخليج فبينما أخوه فرحان جالس ذات يوم يشرب قال لا يحيا به لقد رأيت كافي جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته كسرى فكتب اليه شهرمان اذا نالك كتابي فابعث الى برأس أخيك فرحان فكتب اليه أيها الملك اتكلم تجد مثل فرحان ان له لشكايه وصوله في العدو فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال فارس خلقا عنه فجل الى

(وهـم) أي الروم (من بعد غلبهم) أي غلبة فارس أيهم وقرئ يسكون اللام فالغلب والغلب مصدران وقد أضيف المصدر إلى المفعول (سـيـغلبون) فارس ولا وقت عليه لتعاقب (في بضع سنين) به وهو ما بين الثلاث إلى العشرة قبل احتربت فارس والروم بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم والمملك بفارس يومئذ كسرى أبو بزرغ بلع الخـبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب وفرح المشركون وشتموا وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر أخواننا على أخوانكم ولتظهرون نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر والله لظهرون الروم على فارس بهد بضع سنين فقال له أبي بن خلف كذبت فتابعه على عشرة قلائص من كل واحد منهم ما جعل الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام زدني الخطر وأبعد في الأجل فجعلها مائة (٤٥٠) قلائص إلى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم

برأسه فراجعته فغضب كسرى ولم يجبه وبعث يريد إلى أهل فارس أني قد عززت عنكم شهرمان واستعجلت عليكم فرحان ثم بعث مع البريد صحيفة صغيرة وأمره فيها بقتل شهرمان وقال إذا ولي فرحان المالك وانقاد له أخوه فأعطاه الصحيفة فلما وصل البريد إلى شهرمان عرض عليه كتاب كسرى فلما قرأه قال سمعوا طاعة ونزل عن سرير الملك وأجلس عليه أخاه فرحان فدفع البريد الصحيفة إلى فرحان فلما قرأها استمدحى بأخيه شهرمان وقد مه لي ضرب عنقه فقال له لا تجمل حتى أكتب وصيتي قال نعم فذمها بسقط ففقهه وأعطاه ثلاث صحائف منه وقال كل هذا راجعت إليك كسرى وأنت تريد قتلي بكتاب واحد فرد فرحان الملك إلى أخيه شهرمان فكتب إلى قيصر ملك الروم أما بعد إن في البلد حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها العصف والقن في خمسين روميا حتى ألقاك في خمسين فارسيا فأقبل قيصر في خمسمائة أنف رومي وجعل يضع النعيم بين يديه في الطريق مخافة أن يريد أن يكرهه حتى أتاه عيونهم فأخبروا أنه ليس معه إلا خمسون فارسيا فلما التقيا ضربت لهم ما قبلة فيماد يباح فدخلوها ومع كل واحد سكين ودعيا بترجمان بترجم بينهم فقال شهرمان أن الذي ضرب بلادك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وإن كسرى حسدنا وأراد أن يقتل أخي فأبیت عليه ثم أمر أخي يقتل فأبى عليه وقد خلعنا جميعا ونحن نفاته معن فقال قد أصبنا وأشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين فإذا جاوزهما فاشافقة لا ترجان معا يسكنيهما فأديلت الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوه ومات كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم في أدنى الأرض يعني قرب أرض الشام إلى فارس وقبل هي أذرعات وقيل الأردن وقيل الجزيرة (وهـم من بعد غلبهم) أي فارس لهم (سـيـغلبون) أي الروم لفارس (في بضع سنين) البضع ما بين الثلاثة إلى السبع وقبل إلى التسع وقبل مادون العشرة (لله الأمر من قبل ومن بعد) أي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعد هان غلب فهو بأمر الله تعالى وقضائه وقدره (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) أي للروم على فارس وقبل فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور أهل الكتاب على أهل الشرك (ينصر من يشاء) أي ينصر النصر ينصر من يشاء (وهو العزيز) الغالب (الرحيم) أي بالمومنين ﴿ قوله تعالى (وعبد الله) أي وعبد الله وعبد الله بظهور الروم على فارس (لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي أن الله لا يخلف وعده ثم قال تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) يعني أمر معاشهم كيف يكسبون ويحجرون ومعنى يغرسون

على فارس يوم الحديبية أو يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي فقال عليه السلام تصدق به وهذه آية بينة على صحة نبوته وإن القرآن من عند الله لأنها أنباء عن علم الغيب وكان ذلك قبل تحريم القمار عن قتادة ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد بن العفود الفاسدة كعقد الربا وغيره جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتج على صحة ذلك بهذه العصة (لله الأمر من قبل ومن بعد) أي من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء أو حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخر ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس

(ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعد الله من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغلبه ويرزعون من له كتاب على من لا كتاب له وغلب من شتمهم من كفار مكة وقبل نصر الله هو ظاهر صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم والبياء ينصل يفرح فيوقف على الله لا على المؤمنين (ينصر من يشاء وهو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) العاطف على أوليائه (وعبد الله) مصدر مؤكداً لقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وعد من الله للمؤمنين فقوله وعد الله بمنزلة وعد الله المؤمنين وعدا (لا يخلف الله وعده) ينصر الروم على فارس (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (يعلمون) بدل من لا يعلمون وفيه بيان أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز عن قصـيد الدنيا وقوله (ظاهرا من الحياة الدنيا) يفيد أن الدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها وباطنها أنها إنجاز إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعة وبالأعمال الصالحة وتذكير الظاهر

يفيد أنهم لا يعلمون الاظهار واحدا من جملة ظواهرها (وهم عن الآخرة هم غافلون) هم الثانية مبتدأ أو غافلون خبره والجملة خبرهم الأولى وفيه بيان أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها (أولم يتفكروا في أنفسهم) يحتمل أن يكون ظرفا كأنه قيل أولم يشنوا التفكير في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكير لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقوله اعتقده في قلبك وأن يكون صلة لآخرة تفكر في الأمر وأجل فيه فكه ومعناه على هذا أولم يتفكروا في أنفسهم أي التي هي أقرب إليهم من غيرهم من المخلوقات وهم أعلم بأحوالهم منهم بأحوال ما عداها فبذلك تدبروا ما أودعها الله ظاهرها وباطنها من غرائب الحكمة الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد لها من الانتهاء الى وقت تجازي فيه على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة في التدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما) متعلق بالقول المذموم معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فعملوا لان في الكلام دليله الاعلى (الابالحق وأجل مسمى) أي ما خلقها باطلا وعينا بغير حكمه بالغة ولا تسبق خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق معصوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى (٤٥١) قوله أخفبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم اليها

لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا (وان كثير من الناس يلقاؤهم) بالبعث والجزاء (الكافرون) لحاحدون وقال الزجاج أي الكافرون يلقاؤهم (أولم يسبوا في الارض) فينظروا كيف كان عاقبة (الذين من قبلهم) هو تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثور وغيرهم من الأمم العاقبة ثم وصف حالهم فقال (كانوا أشد منهم قوة وأناروا الارض) وحرقوها (وعمروها) أي المدمرون (أكثر)

ويزرعون ويحصدون وقال الحسن ان أحدهم لا ينقر الدرهم بطرف ظفريه فيذكر وزنه لا يخطئ وهو لا يحسن يصلي وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعها وقيل يعلمون وجودها والظاهر ولا يعلمون فناءها (وهم عن الآخرة هم غافلون) أي ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعلمون بها ﴿ قوله عز وجل ﴾ (أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعني لا قامة الحق (وأجل مسمى) أي لو لم يعلموا اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم القيامة (وان كثير من الناس يلقاؤهم الكافرون أولم يسبوا في الارض) أي سافروا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أي ينظروا الى مصارع الامم قبلهم فبعثوا (كانوا أشد منهم قوة وأناروا الارض) أي حرقوها وقلبوها للزراعة (وعمروها) يعني الامم الخالصة (أكثر مما عمروها) يعني أهل مكة (وجاءتهم رسالتهم بالبينات) أي فلم يؤمنوا فاهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) أي ينقص حقوقهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي يبخس حقوقهم (ثم كان عاقبة الذين أساءوا) أي أساءوا العمل فاستحقوا (الأسوأى) يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوء اسم لجهنم ومعنى الآية ان عاقبة الذين عملوا السوء النار (أن كذبوا) أي لانهم كذبوا وقيل معنى الآية ثم كان عاقبة المسيئين ان جهنم تلك السيئات على أن كذبوا (بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) ﴿ قوله تعالى ﴾ (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أي خلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء (ثم اليه يرجعون) أي فيجزيهم بأعمالهم (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) قيل معناه أنهم يياسون من كل خير وقيل ينقطع كلامهم وحججهم وقيل ينفضحون (ولم يكن لهم من شركائهم) يعني أصنامهم التي عبدوها (شفعوا) أي يشفعون لهم (وكانوا يشركائهم كافرين) أي جاحدين متبرئين يتبرئون منها وتبرأ منهم (ويوم تقوم الساعة

صفة مصدر محذوف وما مصدرية في (عمروها) أي من عمارة أهل مكة (وجاءتهم رسالتهم بالبينات) وتقف عليها الحق الحذف أي فلم يؤمنوا فاهلكوا (فما كان الله ليظلمهم) فاما كان تدميره اياهم ظلمهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم (ثم كان عاقبة) بالنصب شامى وكوفي (الذين أساءوا السوأى) تأنيث الاسواء هو الاصح كما ان الحسن تأنيث الاحسن ومحلهما رفع على أنها اسم كان عندهم نصب عاقبة على الخبر ونصب عندهم رفعها والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا أنه وضع المظهر وهو الذين أساءوا موضع المضمرة أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة وهي النار التي أعدت للكافرين (أن كذبوا) لان كذبوا أو بان وهو يدل على ان معنى أساءوا كفروا (بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) يعني ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها (الله يبدأ الخلق) ينشئهم (ثم يعيدهم) يحييهم بعد الموت (ثم اليه يرجعون) وبالبناء أبو عمرو وسهل (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) يياسون ويخسرون من ان ينجح (المجرمون) المشركون (ولم يكن لهم من شركائهم) من الذين عبدواهم من دون الله وكتب (شفعوا) في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علوانى اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالالف قبل الياء اثباتا لله مرة على صورة الحرف الذي منه حركتها (وكانوا يشركائهم كافرين) أي يكفرون بألهتهم ويحصدونها أو كانوا في الدنيا كافرين بسببهم (ويوم تقوم الساعة

يومئذ يتفرقون) الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين دلالة ما بعده عليه حيث قال (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أي بستان وهي الجنة والتشكير لاهتمام (٤٥٣) أمرها وتفخيمه (يحبرون) يسرون يقال حبره إذا سره سروراته لئلا له وجهه

وظهر فيه اثره ثم اختلف فيه لاحتمال وجوه المسار فقيل بكرمون وقيل يحلون وقيل هو السماع في الجنة (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة) أي البعث (فأولئك في العذاب محضرون) مقبضون لا يغيثون عنه ولا يخفف عنهم فقوله وما هم بخارجين منهم الماذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد فقال (فسبحان الله) والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمه الله الظاهرة أو الصلاة فقيل لابن عباس هل تجدد الصلوات الخمس في القرآن فقال نعم وتلا هذه الآية وهو نصب على المصدر والمعنى تزدهو عما لا يليق به أو صلوات الله (حين تمسون) صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) صلاة الفجر (وله الحمد في السموات والارض) اعترافا ومغناة ان على المميزين كلهم من أهل السموات والارض ان يحمدوه وفي السموات حال من الحمد (وعشيتا) صلاة العشاء وهو معطوف على حين تمسون وقوله عشيتا

يومئذ يتفرقون) أي يتميز أهل الجنة من أهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار فلا يجتمعون أبدا فهو قوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أي في جنة وقيل الروضة البستان الذي هو في غاية النضارة (يحبرون) قال ابن عباس بكرمون وقيل يتعممون ويسرون والخبرة السرور وقيل في معنى يحبرون هو السماع في الجنة قال الارزاعي ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال اذا أخذ في السماع فلا يبقى في الجنة شجرة الا وردته وسأل أباه ريرة رجل هل لاهل الجنة من سماع فقال نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها من فضة وغارها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله رجلا فيجابو بعضهم بعضا فما يسمع أحد أحسن منه (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة) أي البعث يوم القيامة (فأولئك في العذاب محضرون) قوله تعالى (فسبحان الله) يعني فسبحوا الله ومغناة صلاته (حين تمسون) أي تدخلون في المساء وهي صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) أي تدخلون في الضحى وهي صلاة الصبح (وله الحمد في السموات والارض) قال ابن عباس يحمد الله أهل السموات والارض ويصلون له (وعشيتا) أي وصلوا الله عشيتا يعني صلاة العصر (وحين تطهرون) أي تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وقرأ هاتين الآيتين وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقيتها واعلم انه اغناك هذه الاوقات بالتسبيح لان أفضل الاحمال أدومها والانسان لا يقدر ان يصرف جميع أوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى ما يعينه من مأكل ومشروب وغير ذلك فخفض الله عنه العبادات في غالب الاوقات وأمره بما في أول النهار ووسطه وآخره وفي أول الليل وآخره فإذا صلى العبد ركعتي الفجر فكأنما سبح قدر ساعتين وكذلك باقي الركعات وهي سبع عشرة ركعة مع ركعتي الفجر فإذا صلى الانسان الصلوات الخمس في أوقاتها فكأنما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقي عليه سبع ساعات في جميع الليل والنهار وهي مقدار النوم والغائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع أوقاته في التسبيح والعبادة

فصل في فضل التسبيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله بحمده في كل يوم مائة مرة حطت خطاياها وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه أخرجهما الترمذي وقال فيه ما حسن صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث أخرجه في صحيح البخاري (م) عن جويرية بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عند ما هو في مسجد فاجتمع بعد ما نه الى النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرار لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاه نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته (م) عن سعد بن أبي وقاص قال كما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيجز أحدكم ان يكتب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه قال كيف يكتب ألف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة وفي رواية غير مسلم يحط عنه أربعين ألفا قوله تعالى (يخرج الحمى من الميت ويخرج الميت من الحمى) أي يخرج

متصل بقوله حين تمسون (وحين تطهرون) صلاة الظهر واظهر أي دخل في وقت الظهيرة والقول الاكثر ان الصلوات الخمس النطقه فرضت بمكة (يخرج الحمى من الميت) الطائر من البيضة أو الانسان من النطقه أو المؤمن من الكافر (ويخرج الميت من الحمى) أي قوله في كل يوم ساقط من نسخة الطبع من الترمذي وفي بعض النسخ الذي بأيدينا من التوازن بدون كل

(فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون) يتفكرون بعقولهم (ومن آياته ان تنمو) تثبت لا عسجد (السماء والارض بأمره) أي باقامته وتدبيره وحكمته (ثم اذا دعاكم) للبعث (دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون) من قبوركم هذا كقوله بركم في ايقاع الجلة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والارض واستمسكها بغير عمد ثم خروج الموتي من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة يا أهل القبور اخرجوا المراد سرعة وجود ذلك من غير توقف وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بتم بيانا للعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا أهل القبور قوموا فلا تنفي نسبة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفناء في جواب الشرط ومن الارض متعلق بالفعل لا بالمصدر وقوله دعوتهم من مكان كذا يجوز ان يكون مكانا صاعدا (وله من في السموات والارض كل له قانتون) منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه أو مقرون بالعبودية (وهو الذي يبدؤ الخلق) أي ينشئهم (ثم يعيده) للبعث (وهو) أي البعث (أهون) أي أسهل (عليه) عندكم لان الاعادة عندكم أسهل من الانشاء فلم أنكرتم الاعادة وأخرت الصلة في قوله وهو أهون عليه وقدمت في قوله هو على هين لقصد الاختصاص (٤٥٤) هذا هو ما هنا فلا معنى للاختصاص وقال أبو عبيدة والزجاج وغيرهما الا هو يعني الهين

فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون) أي قدرة الله وانه القادر عليه (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره) قال ابن عباس وابن مسعود قانتا على غير عمد وقيل يدوم قيامهما بأمره (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض) قال ابن عباس من القبور (اذا أنتم تخرجون) أي منها وقيل معنى الآية ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون من الارض (وله من في السموات والارض كل له قانتون) أي مطيعون قال ابن عباس كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وان عصى في العباد (وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده) أي يخلقهم أولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث (وهو أهون عليه) أي هو هين عليه وما من شيء عليه يعزى وقيل معناه وهو أسهل عليه فان الذي يقع في عقول الناس ان الاعادة تكون أهون من الانشاء وقيل هو أهون على الخلق وذلك لانهم يقومون بصيغة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفة ثم علقا ثم مضغا إلى ان يصيروا رجالا ونساء وهو رواية عن ابن عباس (وله المثل الاعلى) أي الصفة العليا قال ابن عباس ليس كمثل شيء وقيل هو الذي لا اله الا هو (في السموات والارض وهو) أي في ملكه (العزير الحكيم) أي في خلقه قوله عز وجل (ضرب لكم مثلا) أي بين لكم شيا بما كنتم ذلك المثل (من أنفسكم) ثم بين المثل فقال تعالى (هل لكم مما ملكتم أيما أنكم) أي عبيدكم وأما أنكم (من شركاء فيما رزقناكم) أي من المال (فانتم فيه سواء) أي هل يشارككم في أموالكم التي أعطيناكم (تخافونهم تكيفتكم أنفسكم) أي تخافون ان يشارككم في أموالكم ويقاسمكم كما يخاف الحر من شريكه الحر في المال يكون بينهما ان يتفرد به بأمره دون شريكه ويخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يحب ان يتفرد به وقال ابن عباس تخافونهم ان يرفوكم كبارث بعضكم بعضا فاذا لم تخافوا هذا من مما يملككم ولا ترضوه لانفسكم فكيف ترضون ان تكون آلهتكم التي تعبدونها شركاؤكم وهم عبيدكم (كذلك) تفصل الآيات) أي الدلالات والبراهين والامثال (لقوم يعقلون) أي ينظرون في هذه الدلائل والامثال

فيوصف به الله عز وجل وكان ذلك على الله سيرا كما قالوا الله أكبر أي أكبر رعاياهم والاعادة في نفسه أعظمه وانكم يا هونت يا قياما إلى الانشاء وهو أهون على الخلق من الانشاء لان قيامهم بصيغة واحدة أسهل من كونهم نطفة ثم علقا ثم مضغا إلى تكميل خلقهم (وله المثل الاعلى في السموات والارض) أي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره وقد عرف به ووصف في السموات والارض على السنة الخلاق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يجزع عن شيء من انشاء ما عاده وغيرهما من

المقدورات وبذل عليه قوله (وهو العزيز) أي القاهر لكل مقدور (الحكيم) الذي يجري كل فعل على قضايا بعقولهم حكمته وعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما المثل الاعلى ليس كمثل شيء وهو السميع البصير وعن مجاهد هو قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الرفع الذي هو الوصف بالوحدانية وبعضه قوله (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) فهذا مثل ضرب به الله عز وجل لمن جعل له شريكا من خلقه ومن لا ابتداء قال أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم (هل لكم) معاشر الاحرار (مما ملكتم أيما أنكم) عبيدكم ومن للتبعض (من شركاء) من هزيلة ثلثا كيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كثير وعبيدكم عبيدان يشاركونكم بعضهم (فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها (فانتم) معاشر الاحرار والعبيد (فيه) في ذلك الرزق (سواء) من غير تفصلة بين حرو وعبيدكم مما يملككم (تخافونهم) حال من ضمير الفاعل في سواء أي مقارنا ومن خافا بعضكم بعضا مشاركتهم في المال والمعنى تخافون معاشر السادة عبيدكم فيها فلا تمضون فيها احكام دون انفسكم خوفا من لائمه تخلفكم من جهتهم (تكيفتكم أنفسكم) يعني كما يخاف بعض الاحرار بعضا فيما هو مشترك بينهم فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيدهم شركاء (كذلك) موضع الكاف نصب أي مثل هذا التفصيل (نفصل الآيات) نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني وبوضوحها (لقوم يعقلون) يتدبرون في ضرب الامثال فلما لم ينزجوا وأضرب عنهم فقال

(بل اتبع الذين ظلموا) أنفسهم بما أشركوا كما قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (أهواءهم بغير علم) أي اتبعوا أهواءهم جاهلين (فمن هدى من أضل الله) أي أضله الله تعالى (ومالهم من ناصرين) من العذاب (فأقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعدله غير مائتف عنه عينا ولا شمالا وهو تثليل لاقباله على الدين واستقامته عليه واهتمامه بأسبابه فان من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه (حنيفا) حال من المأمور أو من الدين (فطرت الله) أي (٤٥٥) الزموا فطرة الله والفطرة الخلقة ألا ترى الى قوله

لا تبدل خلق الله فاللعنى
انه خلقهم قائلين للتوحيد
والاسلام غير نائين عنه
ولا منكسرين له لآكونه
مجا وبالعقل مساوقا للنظر
الصحيح حتى لو تركوا الما
اختاروا عليه دينا آخر
ومن غوى منهم فباغوا
شياطين الجن والانس
ومنه قوله عليه السلام كل
عبادى خلقت حنفا
فاجتأهم الشياطين عن
دينهم وأمرهم أن يشركوا
في غيري وقوله عليه السلام
كل مولود يولد على الفطرة
حتى يكون أبواه حنفا
الذات هو دانه وينصرانه
وقال الزجاج معناه ان الله
تعالى فطر الخلق على
الاعيان به على ما جاء في
الحديث ان الله عز وجل
أخرج من صلب آدم كالذر
وأشهدهم على أنفسهم بأنه
خالقهم فقال واذا أخذ بك
الى قوله قالوا بلى وكل مولود
هو من تلك الذرية التي
شهدت بأن الله تعالى خالقها
فمعنى فطرة الله دين الله
(التي فطر الناس عليها)
أي خلق (لا تبدل خلق
الله) أي ما ينبغي أن تبدل
تلك الفطرة أو فطرته وقال

لعنوا لهم (بل اتبع الذين ظلموا) يعني أشركوا بالله (أهواءهم) أي في الشرك (بغير علم) جهلا بما يجب
عليهم (فمن هدى من أضل الله) أي عن طريق الهدى (ومالهم من ناصرين) أي مانعين عنه ومنهم من
عذاب الله (فأقم وجهك للدين) يعني أخلص دينك لله وقيل سد دعائك الوجه ما توجه الى
الله تعالى به الانسان ودينه وعمله مما يتوجه اليه بسدده (حنيفا) أي مائلا اليه مستقيما
عليه (فطرت الله) أي دين الله والمعنى الزموا فطرة الله (التي فطر الناس عليها) قال ابن عباس خلق الله
الناس عليه والمراد بالفطرة الدين وهو الاسلام (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة ثم قال اقرأوا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبدل
خلق الله ذلك الدين القديم زاد البخاري فأبواهم وداناه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء
هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبوه هرة اقرؤا فطرت الله الآية وله ما في روايه قالوا يا رسول الله
أفرايت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين قوله ما من مولود يولد الا على الفطرة يعني على العهد
الذي أخذ الله عليهم به قوله استبركتم قالوا بلى فكل مولود في العالم على ذلك الاقرار وهي الخنيفة التي
وضعت الخلقة عليها وان عبد غير الله قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
ولكن لا اعتبار بالاعيان الفطري في أحكام الانبياء وانما يعتبر بالايان الشرعية المأمور به المكسب
بالارادة والفعل ألا ترى الى قوله فأبواهم وداناه أو ينصرانه فهم مع وجود الاعيان الفطري فانه محكوم
له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر يقول الله عز وجل اني
خلقت عبادى حنفا فاجتأهم الشياطين عن دينهم وحكى عن عبد الله بن المبارك انه قال في معنى الحديث
ان كل مولود يولد على فطرته أي خلقته الله عليه في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة
فكل منهم صائر في العاقبة الى ما فطر عليه وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن امارات الشقاوة للطفل
ان يولد بين يديين أو نصرانيين فيعلم انه على اعتقاد دينهم ما وقيل معناه ان كل مولود في مبدأ الخلقة
على الفطرة أي على الجبلة السليمة والطبع المنهني لقبول الدين فلو ترك عليها الاستمرار على لزومها لان
هذا الدين موجود حسنه في العقول السليمة وانما يعدل عنه من عدل الى غيره لانه من آفات التقليد
ونحوه فن سلم من تلك الآفات لم يعتد غيره ثم تمثل لاولاد اليهود والنصارى واتباعهم لا بائهم والميل
الى أديانهم فيزولون بذلك عن الفطرة السليمة والجملة المستقيمة بقوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء أي كاتاد
البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شئ وقوله هل تحسون فيها من جدعاء يعني هل تشعرون أو
تعلمون فيها من جدعاء وهي المقطوعة الاذن أو الانف (قوله عز وجل) لا تبدل خلق الله أي لا تبدلوا
دين الله وقيل معنى الآية الزموا فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى لا تبدل خلق الله
هو ما جبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا وقيل الآية
في تحريم اخضاع البهائم (ذلك الدين القيم) أي المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (قوله عز
وجل) (منيبين اليه) أي فاقم وجهك أنت وأمتك منيبين اليه لان خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يدخل
فيه الاممة والمعنى راجعين الى الله تعالى بالتوبة ومقبلين اليه بالطاعة (واتقوه) أي ومع ذلك خافوه

الزجاج معناه لا تبدل دين الله وبدل عليه ما بعده وهو قوله (ذلك الدين القيم) أي المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) حقيقة ذلك
(منيبين اليه) راجعين اليه وهو حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمرا ومن قوله فأقم
وجهك لان الامر له عليه السلام أمر لآمته فكانه قال فأقيموا وجوهكم منيبين اليه أو التقديركونوا منيبين دله قوله ولا تكونوا (واتقوه)

وأقبحوا الصلوة) أي أدوها في أوقاتها (ولا تكونوا من المشركين) ممن يشرك به غيره في العبادة (من الذين) بدل من من المشركين بإعادة الجار (فرقوا دينهم) جعلوا ديناً مختلفاً لا يختلف أهواؤهم فأرخوا جزوة على وهي قراءة على رضى الله عنه أي تركوا دين الإسلام (وكانوا شيعياً) فرقاً كل واحدة تشايح إمامها الذي أضلها (كل حزب) منهم (بما لديهم فرحون) فرح بذهبه مسرور يحسب باطله حقاً (وإذا مس الناس ضر) شدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك (دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة) أي خلاصاً من الشدة (إذا فريق منهم يشركون) في العبادة (ليكفروا) هذه لام كي وقيل لام الأمر للوعيد (بما آتيناهم) من النعم (فتمنعوا) يكفركم قليلاً أمر وعيد (فسوف تعلمون) وبالتمنعكم (أم أنزلنا عليهم سلطاناً) حجة (فهو يتكلم) وتكلمه حجازاً كأنقول كتابه ناطق بكذا وهذا إنما نطق به القرآن ومعناه الشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركتهم ويحتمل (بما كانوا يشركون) ما م صدرية أي يكونهم بالله يشركون أو موصولة ويرجع الضمير إليها أي فهو يتكلم بالامر الذي يسببه يشركون أو معنى الآية أم أنزلنا عليهم ما م صدرية أي ملكهم به برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي يسببه يشركون (٤٥٦) (وإذا أذاقنا الناس رحمة) أي نعمة من مطر أو سعة أو صحة (فرحوا بها)

(وأقبحوا الصلوة) أي داوموا على أدائها في أوقاتها (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعياً) أي صاروا فرقاً مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم أهل البدع من هذه الأمة (كل حزب بما لديهم فرحون) أي راضون بما عندهم ﴿ قوله تعالى (وإذا مس الناس ضر) أي قحط وشدة (دعوا ربهم منيبين إليه) أي مقبلين إليه بالدعاء (ثم إذا أذاقهم منه رحمة) أي خصبوا ونعمهم (إذا فريق منهم يشركون يكفروا بما آتيناهم) أي ليبعدوا نعمة الله عليهم (فتمنعوا) فيه تمديد وعيد خاطب به الكفار (فسوف تعلمون) أي حالكم في هذه الآخرة (أم أنزلنا عليهم سلطاناً) قال ابن عباس حجة وعذراً وقيل كتاباً (فهو يتكلم) أي ينطق (بما كانوا يشركون) أي يشركونهم ويأمرهم به (وإذا أذاقنا الناس رحمة) أي الخصب وكثرة المطر (فرحوا بها) أي فرحوا وبطروا (وان تصيهم سيئة) أي جذب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء (بما قدمت أيديهم) من السيئات (إذا هم يقنطون) أي يأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر ربه عند النعمة ويرجو عهده عند الشدة (أولم يروا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر) أن في ذلك آيات لقوم يؤمنون (تقدم تفسيره) قوله عز وجل (فأت ذا القرنين - رحمه -) أي من البر والصلة (والمسكين) أي حقه وهو التصديق عليه (وابن السبيل) أي المسافر وقيل هو الضيف (ذلك خير للذين يريدون وجهه الله) أي يطلبون ثواب الله بما كانوا يعملون (وأولئك هم المفلحون) ﴿ قوله عز وجل (وما آتيتكم من رباليربوفى أموال الناس) أي في اجتلاب أموال الناس واجتذابها قيل في معنى الآية هو الرجل يعطى غيره العطية ليثيبه أكثر منها فهو جائز رسالاً ولكن لا يثاب عليها في القيامة وهذا قوله (فلا يرزق عند الله) وكان هذا حراماً على النبي خاصة لقوله تعالى ولا تأخذن من نسيهكم شيئاً ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً وقيل هو الرجل يعطى صديقه أو قريبه ليكثر ماله لا يريد به وجهه الله وقيل هو الرجل يلتزم بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله لا لاجتماع عونه لا لوجه الله تعالى فلا يرزق عند الله لأنه لم يرد به وجهه الله (وما آتيتكم من زكوة) أي أعطيتكم من صدقة (تريدون وجهه الله) أي تلك الصدقة (فأولئك هم المضعفون) أي يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر

بطروا بسببها (وان تصيهم سيئة) أي بلاء من جذب أو ضيق أو مرض (بما قدمت أيديهم) بسبب شؤم معاصيهم (إذا هم يقنطون) من الرحمة وإذا المفاجأة جواب الشرط نابت عن الفاء لما تخيمها في التعقيب (أولم يروا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر) أن في ذلك آيات لقوم يؤمنون (تقدم تفسيره) قوله عز وجل (فأت ذا القرنين - رحمه -) أي من البر والصلة (والمسكين) أي حقه وهو التصديق عليه (وابن السبيل) أي المسافر وقيل هو الضيف (ذلك خير للذين يريدون وجهه الله) أي يطلبون ثواب الله بما كانوا يعملون (وأولئك هم المفلحون) ﴿ قوله عز وجل (وما آتيتكم من رباليربوفى أموال الناس) أي في اجتلاب أموال الناس واجتذابها قيل في معنى الآية هو الرجل يعطى غيره العطية ليثيبه أكثر منها فهو جائز رسالاً ولكن لا يثاب عليها في القيامة وهذا قوله (فلا يرزق عند الله) وكان هذا حراماً على النبي خاصة لقوله تعالى ولا تأخذن من نسيهكم شيئاً ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً وقيل هو الرجل يعطى صديقه أو قريبه ليكثر ماله لا يريد به وجهه الله وقيل هو الرجل يلتزم بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله لا لاجتماع عونه لا لوجه الله تعالى فلا يرزق عند الله لأنه لم يرد به وجهه الله (وما آتيتكم من زكوة) أي أعطيتكم من صدقة (تريدون وجهه الله) أي تلك الصدقة (فأولئك هم المضعفون) أي يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر

فقال (فأت ذا القرنين) أعطى قريبك (رحمه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل) نصيبهم من الصدقة المسماة لهما أمثالها وفيه دليل وجوب النفقة للأحرام كما هو مذهبنا (ذلك) أي ابتداء حقهم (خير للذين يريدون وجهه الله) أي ذاته أي يصدون بمعروفهم أياه خالصاً (وأولئك هم المفلحون وما آتيتكم من رباليربوفى أموال الناس) يريدون ما أعطيتهم أكله الر بامن رباليربوفى أموالهم (فلا يرزق عند الله) فلا يرزق عند الله ولا يبارك فيه وقيل هو من الر بالاحلال أي وما تعطونه من الهدية لتأخذوا أكثر منها فلا يرزق عند الله لأنكم لم تريدوا بذلك وجهه الله (وما آتيتكم من زكوة) صدقة (تريدون وجهه الله) يتبعون به وجهه خالصاً لا يطلبون به مكافأة ولا رباحاً ولا معة (فأولئك هم المضعفون) ذروا الأضعاف من الحسنات وتطير المضاعف المقوى والموسر لذى القوم والبسار آتيتكم من رباليربوفى أموالهم من أي ربح غشيقه ومن أعطاهم بالبر بربوفى أي تزيدوا في أموالهم وقوله فأولئك هم المضعفون التفاضل حسن لأنه يفيد التعميم كأنه قيل من فعل هذا فسيده سبيل الخاطبين والمعنى المضعفون به لأنه لا بد له من ضمير يرجع إلى ما الموصولة وقال الزجاج في قوله فأولئك هم المضعفون أي فأولئك هم المضعفون أي هم الذين يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة عشر أمثالها ثم أشار إلى عجز آلهم فقال

(الله الذي خلقكم) مبتدأ وخبر (ثم رزقكم ثم يبعثكم ثم يحييكم) أي هو المختص بالخلق والرزق والامانة والاحياء (هل من شركائكم) أي أصنامكم التي زعمتم أنهم شركاء لله (من يفعل من ذلكم) أي من الخلق والرزق والامانة والاحياء (من شيء) أي شيئاً من تلك الأفعال فلم يجيبوا بحجراتهم استبعاداً (سبحانه وتعالى عما يشركون) ومن الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منهم مستقلة بتأكيدها لتجديد شركائهم وتجهيل عبدهم (ظهر الفساد في البر والبحر) فخرق القطر وقلة الأمطار والربيع في الزراعات والربيع في البحار ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق ومحرق البركات من كل شيء (عما كسبت أيدي الناس) بسبب معاصيهم وشركهم كقوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجمعها في الآخرة وبالنون عن قبيل (لعلهم يرجعون) عما هم عليه من المعاصي ثم أكد سبب المعاصي لغضب الله ونكاله بقوله (قل سبيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) حيث أمرهم بأن يسيروا (٤٥٧) فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاهم سوء العاقبة بمعاصيهم

(فأقم وجهك للدين القيم)
البايع الاستقامة الذي لا يتأني فيه عوج (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له) هو مصدر بمعنى الرد (من الله) يتعلق بياتي والمعنى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يرد أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها أو يرد على معنى لا يرد هو بعد أن يجي به ولا يرد له من جهته (يومئذ يصدعون) يصدعون أي يتفرقون ثم أشار إلى غناه عنهم فقال (من كفر فعليه كفره) أي وبال كفره (ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يهديهم) أي يسوون لأنفسهم ما يسويه لنفسه الذي يهديه نفسه فرأته وبوطئه لا يهديه في مضجعه ما ينقص عليه

أمثالها المضعف ذوالضعاف من الحسنة قوله تعالى (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يبعثكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) تقدم نفسه يره قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر) أي بسبب الشر والفساد المعاصي ظهر فخرق القطر وقلة النبات في البراري والبحار والمقار والفقار والبحر قبل المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية والعرب تسمى المصر بحرا تقول أجذب البراة قطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الأرض الأمصار وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر بخلاف أحواف الصداف من الأول وذلك لأن الصداف إذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء وتفتح أفواهها فوقع فيه المطر صار لؤلؤاً (عما كسبت أيدي الناس) أي بسبب شؤم ذنوبهم وقال ابن عباس الفساد في البر قبل آدم أخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السعيدة قيل كانت الأرض خضرة موقفة لا يأتي ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد البحر الغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الأرض وشاكت الأشجار وصار ماء البحر ملحا زاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقيل ان الأرض امتلأت ظلمة وضلالة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجع راجعون من الناس وقيل أراد بالناس كفار مكة (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي عقوبة الذي عملوا من الذنوب (لعلهم يرجعون) أي عن الكفر وأعمالهم الخبيثة (قل سبيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أي لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية (كان أكثرهم مشركين) أي فاهلكوا بكفرهم ﴿قوله عز وجل﴾ (فأقم وجهك للدين القيم) أي الدين الاسلام (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) يعني يوم القيامة لا يقدر أحد على رده من الخلق (يومئذ يصدعون) أي يتفرقون ثم ذكر الفرقين فقال تعالى (من كفر فعليه كفره) أي وبال كفره (ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يهديهم) أي يوطئون المضاجع ويسوون في القبور (لجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) قال ابن عباس ليبيهم الله ثواباً أكثر من أعمالهم (انه لا يحب الكافرين) فيه تهديد وعيد لهم ﴿قوله تعالى﴾ (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) أي تبشيراً بالمطر (وليذيقكم من رحمته) أي بالمطر وهو الحصب (وليجري الفلك) أي بهذه الرياح (بأمره) ولتبتغوا من فضله) معناه لتطلبوا رزقه بالتجارة في البحر (ولعلكم تشكرون) أي هذه النعم ﴿قوله تعالى﴾

(٥٨ - خازن ثالث) مرقد من تنوء وغيره والمعنى انه عهد لهم الجنة بسبب أعمالهم فاضيف اليهم وتقدم الطرف في الموضوعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تجاوز (لجزي) متعلق بيهودون تعليل له وتذكير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وترك الضمير الى الصريح تقدير انه لا يفلح عنده الا المؤمن (من فضله) أي عطائه وقوله (انه لا يحب الكافرين) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس (ومن آياته) أي ومن آيات قدرته (ان يرسل الرياح) هي الجنوب والشمال والصابا وهي رياح الرحمة وأما الدبور فيج العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الفوائد في ارسالها فقال (مبشرات) أي ارسالها للبشارة بالغيث (وليذيقكم من رحمته) ولا ذاقه الرحمة وهي نزول المطر وحصول الحصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الرياح وكأ الأرض وغير ذلك وليذيقكم معطوف على مبشرات على المعنى كانه قيل لبشركم وليذيقكم (وليجري الفلك) في البحر عند هبوبها (بأمره) أي بتدبيره أو بشكواه كقوله انما أمره اذا أراد شيئاً الاية (ولتبتغوا من فضله) يريد تجارة البحر (ولعلكم تشكرون) أي ولتشكروا نعمة الله فيها

(ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم يخاؤهم بالبينات) أى فآمن بهم قوم وكفر بهم قوم ويدل على هذا الاضمار قوله (فانتقمنا من الذين أجرموا) أى كفروا بالاهلاك فى الدنيا (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أى وكان نصر المؤمنين حقا علينا بانجائهم مع الرسل وقد بوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يتبدل علينا نصر المؤمنين والاول أصح (الله الذى يرسل الرياح) الريح مكي (فتنبرعها بالغيث طه) أى السحاب (فى السماء) أى فى سميت السماء وشققها كقوله وفرعها فى السماء (كيف يشاء) من ناحية الشمال أو الجنوب أو الدور أو العباد (ويجعل كسفا) قطعها جمع كسفه أى يجعله منبسطا بأخذه وجه السماء هو مكي يجعله قطعاً متفرقة غير منبسطة مرة كسفا يراد بان ذكوان (قترى الودق) المطر (يخرج) فى التارئين جميعاً (من خلاله) وسطه (فاذا أصاب به) بالودق (من يشاء من عباده) يراد أصابة بلادهم وأراضيهم (إذا هم يستبشرون) يفرحون (وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم) المطر (من قبله) كرر للتأكيد كقوله فكان عاقبتهم انهم فى النار خالدين فيه ومعنى التأكيد فيها الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول فاستحكم بأسهم فكان الاستبشار على قدر اغفامهم بذلك (المبلسين) آيسين (٥٥٨) (فانظر الى آثار) شامى وكوفى غير أبى بكر وغيرهم أثر (رحمت الله) أى المطر

(ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم يخاؤهم بالبينات) أى بالدلالات الواضحات على مسدقهم (فانتقمنا من الذين أجرموا) يعنى اناعذنا الذين كذبوهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أى مع انجائهم من العذاب ففيه تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالنظر فى العاقبة والنصر على الاعداء * عن أبى الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا هذه الآية وكان حقا علينا نصر المؤمنين أخرجه الترمذى واظنه من روى عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال حديث حسن قوله عز وجل (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا) أى تنشره (فيبسطه فى السماء كيف يشاء) يعنى مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على ما يشاء (ويجعل كسفا) أى قطعاً متفرقة (قترى الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى من وسطه (فاذا أصاب به) أى بالودق (من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) أى يفرحون بالمطر (وان كانوا) أى وقد كانوا (من قبل ان ينزل عليهم) من قبله لمبلسين) أى آيسين (فانظر الى آثار رحمت الله) أى المطر والمعنى انظر الى حسن تأثيره فى الارض وهو قوله تعالى (كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لحى الموتى) يعنى ان الذى أحيا الارض بعد موتها قادر على احياء الموتى (وهو على كل شئ قدير) أى وهو ربحا فقرأ أى الزرع بعد الحفرة (الظالم من بعده) أى من بعد اصفرار الزرع (يكفرون) أى يبعدون ما سلف من النعمة والمعنى انهم يفرحون عند الحصب ولو أرسلت عذابا على زرعهم لم يجدوا سالف نعمتى (فان لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) تقدم تفسيره (الله الذى خلقكم من ضعف) أى بدأكم وأنشأكم على ضعف وقيل من ماء ذى ضعف وقيل هو إشارة الى أحوال الانسان كان جنينا ثم طفلا ثم لاما ولودا ومفطوما فهذه أحوال غاية الضعف (ثم جعل من بعد ضعف قوة) أى من بعد ضعف الصغرى شابا وهو وقت القوة (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) أى هربا (وشيبة) وهو غم النقصان

(كيف يحيى الارض) بالنبات وأنواع الثمار (بعد موتها) ذلك أى الله (الحى الموتى) يعنى أن ذلك القادر الذى يحيى الارض بعد موتها هو الذى يحيى الناس بعد موتهم فهذا الاستدلال بأحياء الموت على احياء الاموات (وهو على كل شئ قدير) أى وهو على كل شئ من المقدورات قادر وهذا من جهة المقدورات بدليل الانشاء (ولئن أرسلنا ريحا) أى الدور (فقرأه) أى أثر رحمة الله لان رحمة الله هى الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر مسمى به ما يثبت (مصفرا) بعد اخضراره

(يخلق)

وقال مصفرا الان ثلاث صفة واحدة وقيل قرأوا السحاب مصفرا الان السحاب الاصفر لا يعطر واللام فى لئى موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وسد مسد جوابى القسم والشرط (الظالموا) ومعناه يظلمون (من بعده يكفرون) أى من بعد اصفراره أو من بعد الاستبشار ذمهم الله تعالى بأنه اذا حبس عنهم المطر قسطوا من رحمة وضررنا أدقائهم على صدورهم مبلسين فاذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا فاذا أرسل ريحا ضرب زرعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله ففهم فى جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة وكان عليهم ان يتوكلوا على الله ففعله فقطوا وان يشكروا نعمة ويحمدوه عليهم افقر حوا وان يصبروا على بلائه فكفروا (فان لا تسمع الموتى) أى موتى القلوب أو هؤلاء فى حكم الموتى فلا تسمع ان يقبلوا منى ولا تسمع الصم الدعاء ولا تسمع الصم مكي (اذا ولوا مدبرين) فان قلت الا صم لا يسمع مقبلا أو مدبرا فافائدة هذا التخصيص قلت هو اذا كان مقبلا يفهم بالرمز والاشارة فاذا ولوا لا يسمع ولا يفهم بالاشارة (وما أنت بهادى العمى) أى عمى القلوب وما أنت تهدى العمى حرة (عن ضلالتهم) أى لا يمكنك ان تهدى العمى الى طريق قد ضل عنه بإشارة من الله (ان تسمع) ما سمع (الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) منقادون لأوامر الله تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف) من النطف كقوله من ماء مهيمن (ثم جعل من بعد ضعف قوة) يعنى حال الشباب وبلوغ الاشد (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) يعنى حال الشيخوخة والهرم

بسم الله الرحمن الرحيم (الم تلك آيات الكتاب الحكيم) ذي الحكمة أو وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي (هدى ورجه) حالان من الآيات والعمل معنى الإشارة في تلك حجة بالرفع على ان تلك مبتدأ أو آيات الكتاب خبره وهدى خبر به خبر أو خبر مبتدأ محذوف أي هو أو هدى ورجه (المحسنين) للذين يعملون الحسنات المذكورة في قوله (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) ونظيره قول أوس (الابن الذي يظن بك الظن كأن قدر أي وقد سمعنا

أو للذين يعملون جميع ما يحسن ثم خص منهم القائلين بهذه الثلاثة لفضلها (أو لئلا على هدى) مبتدأ أو خبر (من ربه) صفة له هدى (وألئلكم المفلحون) عطفاً عليه (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري أخبار الأكاكسة من فارس ويقول ان محمد ايقص طرفاً (٤٦٠) من قصة عاد وثمود فأنا أحدثكم باحدث الا كاسرة فيملون الى حديثه ويزكون استماع

بسم الله الرحمن الرحيم (الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورجه للمحسنين) أي الذين يعملون الحسنات ثم ذكرهم فقال (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أو لئلا على هدى من ربهم وألئلكم المفلحون) قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) الآية قبل نزلت في النضر بن الحارث بن كعدة وكان يجترأ أن يشتري الحديث ويحدث به أقربيه يشاور يقول ان محمد أحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفند بار وأخبار الا كاسرة فيستمعون حديثه ويزكون استماع القرآن فانزل الله هذه الآية وقيل هو شراء القينات والمغنين ومعنى الآية ومن الناس من يشتري ذات الهو أو ذات الهو الحديث وروى البغوي باسمه نادى النعلبي عن أبي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعلم المغنيات ولا بيعهن وأنما هن حرام وفي مثل ذلك نزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت أخرجه الترمذي وهذا لفظه عن أبي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبعوا القينات والمغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا تخبرن في تجارة فيهن وتفتن حرام وفي مثل هذا نزلت ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن غن الكلب وكسب المزمار وقال مكحول من أشترى جارية ضاربة ليلسكها لغنائها وضربها فميسر عليه حتى يموت لم أصل عليه ان الله تعالى يقول ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبيرة قالوا هو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشتري يستبدل ويختار الغناء والمزمار والمعازف على القرآن وقال أبو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذي لا اله الا هو ردها ثلاث مرات وقال ابراهيم التيمي الغناء يثبت النفاق وقيل هو كل الهو ولعب وقيل هو الشرك (ليضل عن سبيل الله) أي عن دين الاسلام وسماع القرآن (بغير علم) أي بغير علم عن جهل وحسب المرء من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق (ويخذها هزوا) أي يتخذها هزوا (أو لئلا) يعني الذين هذه صفتهم (لهم عذاب مهين) وإذا أتت عليه آياتنا ولم يستكبر (أي لا يعابها ولا يرفع لها رأساً) كأن لم يسمعها (أي يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها أو هو سامع) (كأن في أذنيه وقراً) أي ثقلاً ولا وفراً فيها

القرآن والهو كل باطل
ألهى عن الخير وعما ينبغي
ولهو الحديث نحو السمر
بالأساطير التي لا أصل
لها والغناء وكان ابن مسعود
وابن عباس رضي الله عنهما
يخافان أن الغناء وقيل
الغناء مفسدة للقلب منقذة
للحال مسخطة للربوع
النبي صلى الله عليه وسلم
ما من رجل يرفع صوته بالغناء
إلا بعث الله شيطانين
أحدهما على هذا المنكب
والآخر على هذا المنكب
فلا يزالان يضربانه بأرجلهما
حتى يكون هو الذي يسكت
والاشتراء من الشراء كما
روى عن النضر أو من قوله
اشترى الكفر بالإيمان أي
استبدلوه منه واختاروه
عليه أي يختارون حديث
الباطل على حديث الحق
وأضافه الله الى الحديث
للتبيين بمعنى من لان

اللو يكون من الحديث ومن غيره فيبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المتكبر كما جاء في الحديث
الحديث في المسجد يأكل الحسنات كأن كل البهجة الحشيش أو للتبعض كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو للهو
منه (ليضل) أي ليضل الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ليضل على ضلاله الذي كان عليه
ويزد فيه (عن سبيل الله) عن دين الاسلام والقرآن (بغير علم) أي جهلاً منه بما عليه من الوزر (ويخذها) أي السبيل بالنصب
كوفي غير أبي بكر عطفًا على ليضل ومن رفع عطفه على يشتري (هزوا) يسكون الزاى والهزوة حجة وبضم الزاى بلا همز خفض وغيرهم
بضم الزاى والهزوة (أو لئلا لهم عذاب مهين) أي يمينهم ومن لا يهمل على الواحد والجمع أي النضر وأمثاله (وإذا أتت عليه
آياتنا ولم يستكبر) أعرض عن نذرها متكبراً رافعا نفسه عن الاصغاء الى القرآن (كأن لم يسمعها) يشبه حاله في ذلك حال من لم
يسمعها وهو حال من مستكبر أو الأصل كأنه الضمير ضمير الشأن (كأن في أذنيه وقراً) ثقلاً وهو حال من لم يسمعها أذنيه نافع

فشره

(فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) ولا وقف عليه لان (خالدين فيها) حال من الضمير في ايم (وعدا الله حقاً) مصدران مؤكداً الاول مؤكداً لنفسه والثاني مؤكداً لغيره اذ ايم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد وحقايدل على معنى الثبات فأكد به معنى الوعد ومؤكداً لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذي لا يغلبه شيء فيهم أعداءه بالعذاب المهين (الحكيم) بما يفعله فيثيب أوليائه بالنعيم المقيم (خلق السموات بغير عمد) جمع عمد (ترونها) الضمير للسموات وهو استشهاده بربوبتهم لها بغير عمد ودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح نراقي (٤٦١) ولا يحمل لها من الاعراب لانها مستأنفة أو في محل الجر صفة لعمد أي بغير عمد رتبة يعني انه عمد لها بعمد لا تزي وهي امساكها بقدرته (وأني في الارض رواسي) جبالا ثوابت (أن تعبدكم) لثلاثه تضطرب بكم (ربث) ونشر (فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) حسن (هذا) يعني الذي ذكرت مما تعبدون (خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) أي آلهتكم التي تعبدونها (بل الظالمون في ضلال مبين) قوله عز وجل (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قيل هو لقمان بن باعورا بن ناحور بن تارخ وهو أزرو قيل كان ابن أخت أيوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش ألف سنة حتى أدرك داود وقيل انه كان قاضيا في بني اسرائيل وافترق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبي الا عكرمة فانه قال كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة وروى انه كان ناعما نصف الليل ففودى بالقمان هل لك أن تجعلك خليفة في الارض فتعبدكم بين الناس فأجاب الصوت فقال ان خير في ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزمت على فسيما وطاعة واني أعلم ان الله ان فعل في ذلك أعاني وعصيتي فقال الملائكة بصوت ابراهيم لي بالقمان قال ان الحاكم بأشد المنازل وأكدرها غشام الظلم من كل مكان ان عدل فبا لحرى ان ينجوا وان أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا لا خير من أن يكون شريفا ومن يختار الدنيا على الآخرة تفقته الدنيا ولم يصب الآخرة فحجبت الملائكة من حسن منطقة فنام فومه فأعطى الحكمة فأنبته وهو يتكلم بها ثم فودى داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهو في الخطيئة غير مرة كل ذلك بعفو الله عنه وكان لقمان بوازر داود الحكمة وقيل كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خيما طوقيل كان راعي غنم فروى انه لقبه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألسنت فلا ناراي قال بل قال فيهم بلغت ما بلغت قال بعدد الحديث وأداء الامانة وتوكل ما لا يعني وقيل كان عبدا أسود عظيم الشفقين مشفق القدمين وقيل خير السودان بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان والنجاشي رابعهم أوتي الحكمة والعقل والفهم وقيل العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيما حتى يحجمه هما وقيل الحكمة المعرفة والاصابة في الامور وقيل الحكمة هي يحجمه الله في القلب بنوره كما ينور البصر فيدرك المبصر

(فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعدا الله حقاً) يعني وعدهم الله ذلك وعدا حقاً وهو لا يتخلف المبعاد (وهو العزيز الحكيم) قوله تعالى (خلق السموات بغير عمد) قيل ان السماء خلقت بمسوتبة كصفة مستوية وهو قول المفسرين وهي في الفضاء والفضاء لانها ياله وكون السماء في بعضه دون بعض ليس ذلك الا بقدره قادر مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد (ترونها) أي ليس لها شيء يمنعها الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدره الله تعالى وفي قوله ترونها وجهان أحدهما انه راجع الى السموات أي ليست هي بعمد وانتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه الثاني انه راجع الى العمدة ومعناه بغير عمد رتبة (وأني في الارض رواسي) أي أن تعبدكم (ربث) ونشر (فيها من كل دابة) أي يسكنون فيها (وأزلنا من السماء ماء) يعني المطر وهو من انعام الله على عباده وفضله (فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) أي من كل صنف حسن (هذا) يعني الذي ذكرت مما تعبدون (خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) أي آلهتكم التي تعبدونها (بل الظالمون في ضلال مبين) قوله عز وجل (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قيل هو لقمان بن باعورا بن ناحور بن تارخ وهو أزرو وقيل كان ابن أخت أيوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش ألف سنة حتى أدرك داود وقيل انه كان قاضيا في بني اسرائيل وافترق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبي الا عكرمة فانه قال كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة وروى انه كان ناعما نصف الليل ففودى بالقمان هل لك أن تجعلك خليفة في الارض فتعبدكم بين الناس فأجاب الصوت فقال ان خير في ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزمت على فسيما وطاعة واني أعلم ان الله ان فعل في ذلك أعاني وعصيتي فقال الملائكة بصوت ابراهيم لي بالقمان قال ان الحاكم بأشد المنازل وأكدرها غشام الظلم من كل مكان ان عدل فبا لحرى ان ينجوا وان أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا لا خير من أن يكون شريفا ومن يختار الدنيا على الآخرة تفقته الدنيا ولم يصب الآخرة فحجبت الملائكة من حسن منطقة فنام فومه فأعطى الحكمة فأنبته وهو يتكلم بها ثم فودى داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهو في الخطيئة غير مرة كل ذلك بعفو الله عنه وكان لقمان بوازر داود الحكمة وقيل كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خيما طوقيل كان راعي غنم فروى انه لقبه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألسنت فلا ناراي قال بل قال فيهم بلغت ما بلغت قال بعدد الحديث وأداء الامانة وتوكل ما لا يعني وقيل كان عبدا أسود عظيم الشفقين مشفق القدمين وقيل خير السودان بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان والنجاشي رابعهم أوتي الحكمة والعقل والفهم وقيل العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيما حتى يحجمه هما وقيل الحكمة المعرفة والاصابة في الامور وقيل الحكمة هي يحجمه الله في القلب بنوره كما ينور البصر فيدرك المبصر

وأخذ منه العلم وكان يقضى قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقبل له فقال ألا أكتفي اذا كفت وقيل كان خيما طوقيل راعيا وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل وقال عكرمة والشعبي كان نبيا واجه ورعى انه كان حكيما ولم يكن نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل وقيل تلمذ لآلف نبي وتلمذه ألف نبي وان في (أن اشكر الله) مفسرة والمعنى أي اشكر الله لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله تعالى على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالحث على الشكر وقيل لا يكون الرجل حكيما حتى يكون حكيما في قوله وفعله ومعاشرته ومحجبه وقال السري السقطي الشكر ان لا تعصى الله لنعمة وقال الجنيدي أن لا ترى معه شريكا في نعمه وقيل هو الاقرار بالجزع عن الشكر والحاصل ان شكر القلب المعرفة وشكر اللسان الحمد وشكر الاركان الطاعة ورؤيته الجزع في النكلى دليل قبول النكلى (ومن يشكر فأعيايش شكر لنفسه)

لان منفعة تعود اليه فهو يريد المزيد (ومن كفر) النعمة (فان الله غني) غير محتاج الى الشكر (جيد) حقيق بان يحمد وان لم يحمد
 أحدا (واذ) أي واذا كراذ (قال لقمان لابنه) انعم أو اشكر (وهو يعظه يابني) بالاسكان مكي يابني حصص يفحه في كل القرآن (لا تشرك
 بالله ان الشرك ظلم عظيم) لانه تسوية بين من لا نعمة الا وهي منه ومن لا نعمة له أصلا (ووصينا الانسان بوالديه جلته أمه وهنا على
 وهن) أي جلته ثم وهن على وهذا أي تضعف ضعفا فوق ضعف أي يتزايد ضعفها وتتضاعف لان الحمل كلما ازداد أو عظم ازدادت ثقلا
 وضعفا (وفصالة في عامين) أي فطامه عن الرضاع لتمام عامين (أن اشكر لي ولوالديك) هو تفسير لوصينا أي وصينا بوالديه بشكرنا وبشكر والديه
 وقوله جلته أمه وهنا على وهن وفصالة (٤٦٣) في عامين اعتراض بين المفسر والمفسر لانه لما وصي بالوالدين ذكر ما مكابده الام وتعبانه

أي عليه يعود نفع ذلك وكذلك كفرانه (ومن كفر) عليه يعود وبال كفره (فان الله غني) أي غير محتاج
 الى شكر الاشكرين (جيد) أي هو حقيق بان يحمد وان لم يحمد أحد (واذ قال لقمان
 لابنه) قيل اسمه أنعم وقيل أشكر (وهو يعظه) وذلك لان أعلى مراتب الانسان ان يكون كاملا في نفسه
 مكمل لا لغيره فقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله إشارة الى السكال وقوله واذ قال لقمان لابنه
 وهو يعظه إشارة الى التكميل لغيره وبدأ بالاقرب اليه وهو ابنه وبدأ في وعظه بالا هم وهو المنع من
 الشرك وهو قوله (يابني لا تشرك بالله ان الشرك ظلم عظيم) لان التسوية بين من يستحق العبادة وبين من
 لا يستحقها ظلم عظيم لانه وضع العبادة في غير موضعها (وهو يعظه) قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه جلته أمه
 وهنا على وهن) قال ابن عباس شدة بعد شدة وقيل ان المرأة اذا حملت نوال عليها الضعف والتعب
 والمشقة وذلك لان الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف والرضاعة ضعف (وفصالة في عامين) أي
 فطامه في سنتين (أن اشكر لي ولوالديك الى المصير) لما جعل الله بفضل له والوالدين صورة التربية الظاهرة
 وهو الموجد والمربي في الحقيقة جعل الشكر بينهما فقال اشكر لي ولوالديك ثم فرق فقال الى المصير يعني
 ان نعمتهم ما يختص بالدين والآخر وقيل لما أمر بشكره وشكر والوالدين قال
 الجراء على وقت المصير الى قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر
 الله ومن دعا للوالدين في أديار الصلوات الخمس فقد شكر والوالدين (وان جاهدا على ان تشرك بي
 ما ليس لك به علم فلا تطعهما) قال الفخري يعني ان طاعتهم ما واجبة فان أفضى ذلك الى الاضرار بي
 فلا تطعهما في ذلك لانه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق (وصاحبهما في الدنيا معروفا) أي بال معروف
 وهو البر والصلة والعشرة الجميلة (واتبع سبيلا من أناب الى) أي اتبع دين من أقبل الى طاعتي
 وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل من أناب الى يعني أيا بكر الصديق قال ابن عباس وذلك
 انه حين أسلم أتاه عثمان وطهمة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعد بن زناد وعوف وقالوا له قد صدقت
 هذا الرجل وآمنت به قال نعم انه صادق فأمنوا به ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا
 فهو لأهلهم سابقة الاسلام أسلموا بأمره أشركوا بك (ثم الى مرجعكم فانتظروا) كتمت نعمهم يابني انما ان
 تلك متقال حبة من خردل) وذلك ان ابن لقمان قال لا يسه يا أبت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد
 كيف يعلمها الله قال يابني انما أي الخطيئة ان تلك متقال حبة من خردل أي في الصغر (فتسكن) أي
 مع صغرها (في حضرة) قال ابن عباس حضرة تحت الارض السبع وهي التي يكتب فيها أعمال القهار
 وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت وهو النون والحوت في الماء والماء على ظهر
 صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر نور وهو على صخرة وهي التي ذكر لقمان ليست في الارض ولا
 في السماء فلذلك قال (أوفي السموات أوفي الارض) والصفرة على متن الرمح والرمح على القدرة (يأت بها

من المشاق في حله وفصالة
 هذه المدة الطويلة تذكيرا
 بجمعها العظيم مقودا وعن
 ابن عيينة من صلى الصلوات
 الخمس فقد شكر الله ومن
 دعا للوالدين في أديار الصلوات
 الخمس فقد شكرهما (الى
 المصير) أي مصيرك الى
 حسابك عني (وان
 جاهدا على ان تشرك بي
 ما ليس لك به علم) أراد بنفي
 العلم به نفيه أي لا تشرك
 بي ما ليس بشي يريد الاصنام
 (فلا تطعهما) في الشرك
 (وصاحبهما في الدنيا معروفا)
 صفة مصدر محذوف أي
 هما با معروفاء عسنا خلق
 جبل وحلم واحتمل وبر
 وصلة (واتبع سبيلا من أناب
 الى) أي سبيل المؤمنين
 في دينك ولا تتبع سبيلهما
 فيه وان كنت مأمورا
 بحسن مصاحبتهما في الدنيا
 وقال ابن عطاء صاحب من
 ترى عليه أفرار خدمتي
 (ثم الى مرجعكم) أي
 مرجعك ومرجعهم

(فانتظروا) فأنظارك على إيمانك وأجازيم ما على كفرهما وقد اعترضها بين الآيتين
 الى سبيل الاستطراد ناكيد المساق وصية لقمان من انتهى عن الشرك يعني ان اوصينا بوالديه وأمرناه أن لا يطيعهما في الشرك وان
 جهدا كل الجهد لقبه (يابني انما ان تلك متقال حبة من خردل) بالرفع مدني والضمير للقصه وأنت المتقال لضافته الى الحبة كما قال
 كاشمرف صدروا قضاء من الدم * وكان تأمة والباقيون بالنصب والضمير للهيشة من الاساءة والاحسان أي ان كانت مثالا في الصغر
 كحبة خردل (فتسكن في حضرة أوفي السموات أوفي الارض) أي فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه بحوف الصخرة أو حيث كانت في
 العالم العلوي أو السفلي والا كثر على انما التي عليها الارض وهي السجين يكتب فيها أعمال القهار وليست من الارض (يأت بها

الله يوم القيامة فيحاسبهم اعمالها (ان الله لطيف) يتوصل علمه الى كل خفي (خبير) عالم بكنهه أو لطيف باستخراجها خبير بمستقرها (يا بني أقم الصلوة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر وأصبر على ما أصابك) في ذات الله تعالى اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر أو على ما أصابك من المحن فانما تورث المنح (ان ذلك) الذي وصيتك به (من عزم الامور) أي بما عزمه الله من الامور أي قطعه قطع الجحاح والزام أي أمر به أمر اجتهاد وهو من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور أي مقطوعاتها ومفروضاتها وهذا دليل على ان هذه الطاعات كانت مأثورا بها في سائر الالام (ولا تصعر عن ذلك للناس) أي ولا تعرض عنهم تكبرا تصاعرا أبو عمرو ونافع وحجة وعلى وهو معنى تصعر والصعوراء يصيب البعير لوى منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعله المشكرون (ولا غش في الارض مراحا) أي غمر مراحا أو وقع المصدر موقع الحال أي مراحا ولا غش لاجل المرح والانس (ان الله لا يحب كل مختال فخور) من يعدد مناقبه تطاولا (واقصد) القصد التوسط بين الغلو (٤٦٣) والتقصير (في مشيتك) أي اعدل فيه حتى يكون

مشيا بين مشيتين لا تدب
ديب المتماوتين ولا تدب
وقب الشطار قال عليه
السلام سرعه المشي تذهب
بهاء المؤمن وأما قول
عائشة في عمر رضي الله عنه
كان اذا مشى أسمع زانجا
أرادت السرعة المرتفعة
من ديب المتماوت وعن
ابن مسعود رضي الله عنه
كانوا ينهون عن خيب اليمود
وديب التصاري ولكن
مشيا بين ذلك وقيل معناه
وانظر موضع قدميك متواضعا
(واغضض من صوتك)
وانقص منه أي اخفض
صوتك (ان أنكر الاصوات)
أي أوحشها (لصوت
الخير) لان أوله زفير وآخره
شهيق كصوت أهل النار
وعن الثوري صياح كل شيء
تسبح الا الحمار فانه يصيح

الله) معناه الله عالم بما قادري استخراجها وهو قوله (ان الله لطيف) أي باستخراجها (خبير) أي بمكانها ومعنى الآية له الا حاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها قيل ان هذه الكلمة آخر كلمة قالها لقمان فانشتت مرارته من هيبتها وعظمتها فمات (يا بني أقم الصلوة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر وأصبر على ما أصابك) من الاذي (ان ذلك من عزم الامور) يعني اقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذي من الامور الواجبة التي أمر الله بها (ولا تصاعر) وقرئ تصعر (خذك للناس) قال ابن عباس لا تكبر فحققر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلوك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه محبة فيلقلقك فتعرض عنه وقيل هو الذي اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا او قيل معناه لا تحتقر الفقراء فليكن الفقير والفقير سواه (ولا غش في الارض مراحا) أي خيلاء (ان الله لا يحب كل مختال فخور) أي على الناس (واقصد في مشيتك) أي ليكن في مشيتك قصدا بين الاسراع والتأني أما الاسراع فهو من الخيلاء وأما التأني فهو ان يرى في نفسه الضعف ترهيدا وكلا الطرفين مذموم بل ليكن مشيتك بين السكينة والوقار (واغضض) أي اخفض وقيل انقص (من صوتك ان أنكر) أي أقم (الاصوات لصوت الخير) لان أوله زفير وآخره شهيق وهما صوت أهل النار وعن الثوري في هذه الآية قال صياح كل شيء تسبح الا الحمار وقيل معنى الآية هو العطسة القبيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان باثني عشر ألف باب من الحكمة ادخلها الناس في كلامهم وقضاياهم ومن حكمته قيل انه كان عبدا احببتا فذبح اليه مولاة شاة وقال له ادبحها واقتني بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه أخرى وقال له ادبحها واقتني بأخبت مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فقال ليس شيء أطيب منهما اذا طابا ولا أخبت منهما اذا خبثا وقال لقمان ليس مال كعصاة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان أي الناس شر قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئا ﴿قوله عز وجل﴾ (ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ) أي أتم وأكمل (عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) قال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ما ستر عليكم من الذنوب ولم يجعل عليكم بالنعمة وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع

لرؤية الشيطان ولذلك سماه الله منكرا وفي تشبيه الرافعين أصواتهم بالخير ويوقيل أصواتهم بالنفاق تنبيه على ان رفع الصوت في غاية الكراهة يؤيده ما روى انه عليه السلام كان يحبه أن يكون الرجل خفيض الصوت ويكره أن يكون مجهور الصوت وانما وجد صوت الخير ولم يجمع لانه لم يرد أن يذكروا صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل المراد أن كل جنس من الحيوان له صوت وأنكر أصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده (ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات) يعني الشمس والقمر والنجوم والسهاب وغير ذلك (وما في الارض) يعني البحار والانهار والمعادن والدراب وغير ذلك (وأسبغ) أي أتم (عليكم نعمه) مدني وأبو عمرو وسهل وحفص نعمته غيرهم والنعمة كل نفع قصده الاحسان (ظاهرة) بالمشاهدة (باطنة) مالا يعلم الا بدليل ثم قيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك ويروي في دعاء موسى عليه السلام الهني دلي على أخني نعمتك على عبادك فقال أخني نعمتي عليهم النفس وقيل تخفيف الشرائع ونقص عيب الذرائع والخلق والخلق ونيل العطايا وصرف البلايا وقبول الخلق ورضا الرب وقال ابن عباس الظاهرة ما سوى من خلقك والباطنة ما ستر من عيوبك

(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) نزلت في النضر بن الحرث وقد مر في الحج (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) معناه آتبعوهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب (ومن يسلم وجهه إلى الله) عدى هنا بالي وفي بي من أسلم وجهه لله باللام معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله أي خالصا له ومعناه مع إلى أنه سلم إليه نفسه كأنه سلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه والمراد المتوكل عليه والتفويض إليه (وهو محسن) فيما يعمل (فقد استمسك) تمسك وتعلق (بالعروة) هي ما يعلق به الشيء (الوثيق) تأنيث الاوثق مثل حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاطئ فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من جبل متسعين مأمون انقطاعه (والى الله عاقبة الأمور) أي هي صائرة إليه فيجازى عليها (ومن كفر) ولم يسلم وجهه لله (فلا يحزنك كفره) من حزن يحزنك نافع من أحزن أي لا يملك كفر من كفر (الينامر جمعهم فنبتهم) (٤٦٤) عما عملوا فحقا بهم على أعمالهم (ان الله يعلم بذات الصدور) ان الله يعلم ما في صدور

والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد باللائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في النضر بن الحرث وأبي بن خلف وأمية بن خلف واشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله وفي صفاته بغير علم (ولا هدى ولا كتاب منير) وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا قال الله تعالى (أولو كان الشيطان يدعوهم) معناه أفتبعوهم وان كان الشيطان يدعوهم (إلى عذاب السعير) قوله عز وجل (ومن يسلم وجهه إلى الله) أي يخلص دينه ويفوض إليه أمره (وهو محسن) أي في عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي اعتصم بالهـدـى الاوثق الذي لا يتخلف عنه ولا يخاف انقطاعه ويرتقى بسببه إلى أعلى المراتب والغايات (والى الله عاقبة الأمور) أي مصير جميع الاشياء إليه (ومن كفر فلا يحزنك كفره) الينامر جمعهم فنبتهم عما عملوا ان الله يعلم بذات الصدور) أي لا يخفى عليه سرهم وعلايتهم (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي غفلهم ليعتصموا بدينهم وانقطع آجالهم (ثم نضطرهم) أي نلجئهم ونزردهم (إلى عذاب غليظ) إلى النار في الآخرة (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد) تقدم تفسيره (قوله تعالى (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام) قال المفسرون لما نزلت بمكة وبسألونك عن الروح الآية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أجبار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا أنك تقول وما أوتيت من العلم الا قليلا أنعينا أم قومك فقال عليه الصلاة والسلام كلا قد عنيت قالوا ألسنت تسألون فما جاءك اننا أوتينا التوراة فيها علم كل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد أتاناكم الله بما علمتم به انتفعتم به قالوا كيف نزعهم هذا وأنت تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير فأمر الله هذه الآية فعلى هذا تكون هذه الآية مدنية وقيل ان اليهود أمر وأوفد فرس ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينقطع فيقطع فأمر الله تعالى ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام أي فبريت أقلاما وقيل بعد ذلك شجرة قلم (والبحر عوده) أي يزيد وينصب إليه (من بعده سبعة أبحر) أي مداوا الخلائق يكتبون به كلام الله (مانتدت كلمات الله) لانها لانهاية لها

عباده فيعمل بهم على حبه (فنتعهم) زمانا قليلا) بنيناهم (ثم نضطرهم) نلجئهم (إلى عذاب غليظ) شديد شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم إياه باضطراب المضطر إلى الشيء والغلظ مستعار من الأجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله) الزامهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الجود والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم وإذا نهوا عليه لم ينهوا (لأن الله ما في السموات والارض ان الله هو الغني) عن جلاله مدين (الحميد)

المستحق للحمد وإن لم يحمدوه وقال المشركون ان هذا أي الوحي كلامه سينفذ فعلم الله أن كلامه لا ينفذ بقوله (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر عوده من بعده سبعة أبحر) مانتدت كلمات الله (والبحر بالنصب) أبو عمر ويعقوب عطف على اسم ان وهو ما والرفع على محل ان ومعه ولها أي ولو ثبت كون الاشجار أقلاما ما ثبت البحر بمدودا بسبعة أبحر وأعلى الاستدلال والوالحال على معنى ولو ان الاشجار أقلام في حال كون البحر بمدود أو قرئ بمدود وكان مقتضى الكلام أن يقال ولو ان الشجر أقلام والبحر بمدود لكن أغنى عن ذكر المداد قوله عوده لأنه من قولك المداد أو المداد جعل البحر الاظم بمنزلة المداد وجعل البحر السبعة بمداد فنهى نصب فيه مدادهما أي بالمداد لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض أقلام والبحر بمدود بسبعة أبحر وكتبت بذلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفذت كلماته ونفذت الاقلام والمداد كقوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي فان قلت زعمت ان قوله والبحر عوده حال في أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى الذي الحال قلت هو كقولك جئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك

من الاحوال التي حكمها حكم الظروف وانما ذكر شجرة على التوحيد لانه اريد تفصيل الشجر ونقصها شجرة متجذرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا وقد ريت اقلها واثرا الحكمات وهي جع قلة على الحكم وهي جمع كثرة لان معناه ان كلماته لا تفي بكتبها البحار فكيف بكلامه (ان الله عزير) لا يعجزه شيء (حكيم) لا يخرج من علمه وحكمته شيء فلا تنفذ كلماته وحكمه (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) الا تخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة فخذف للعلم به أي سواء في قدرته القليل والكثير فلا يشغله شأن عن شأن (ان الله سميع) لقول المشركين انه لا بعث (بصير) بأعمالهم فيجازيهم (الم تر ان الله يولج الليل في النهار) يدخل ظلمة الليل في ضوء النهار اذا أقبل الليل (ويولج النهار في الليل) وسخر الشمس والقمر (لنافع العباد) كل أي كل واحد من الشمس والقمر (يجري) في فلكه ويقطعه (الى أجل مسمى) الى يوم القيامة أو الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر (وأن الله بآعماله خبير) وبالباء عباد دل أيضا بتعاقب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وجرى النيرين في فلكيهما على تقدير وحساب وبأحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وكمال حكمته (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون) بالباء عراقي غير أبي بكر (٤٦٥) (من دونه الباطل وأن الله هو العلي

الكبير) أي ذلك الوصف الذي وصف به من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء انقادرون العالمون فكيف بالجاد الذي يدعونه من دون الله اغما هو بسبب أنه هو الحق الثابت الالهية وأن من دونه باطل الالهية وأنه هو العلي الشأن الكبير السلطان (الم تر ان الفلك) وقرى الفلك وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل (تجري في البحر بنعمت الله) بأحسانه ورحمته أو بالريح لان الريح من نعم الله (سير يكمن آياته) عجائب قدرته في البحر اذا ركبتوها (ان في ذلك آيات لكل صبار) على بلائه (شكور)

(ان الله عزير حكيم) قوله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) أي الا تخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعدى عليه شيء (ان الله سميع) أي لا قوالكم (بصير) بأعمالكم (الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى وأن الله بآعماله خبير ذلك بأن الله هو الحق أي ذلك الذي هو قادر على هذه الاشياء التي ذكرت هو الحق المستحق للعبادة (وأن ما يدعون من دونه الباطل) أي لا يستحق العبادة (وأن الله هو العلي) أي في صفاته له الصفات العليا والاسماء الحسنى (الكبير) في ذاته لانه أكبر من كل كبير قوله تعالى (الم تر ان الفلك) أي السفن والمراكب (تجري في البحر بنعمت الله) أي ذلك من نعمة الله عليكم (ايركم من آياته) أي من عجائب صنعائه (ان في ذلك آيات لكل صبار) أي على ما أمر الله (شكور) لانعمه (واذا غشيهم موج كظلال) أي كالجبال وقيل كالسحاب شبهة بالموج في كثرتها وارتفاعها (دعوا الله مخلصين له الدين) معناه ان الانسان اذا وقع في شدة ابتهل الى الله بالدعاء وترك كل من عداه ونسي جميع ما سواه فاذا انجى من تلك الشدة فثم من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى (فلما انجىهم الى البر فنههم مقتصد) أي عدل موف في البر بما عاهد عليه الله في البحر من التوحيد والثبوت على الايمان وقيل نزلت في عكرمة بن أبي جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاهاهم ربح عاصف فقال عكرمة لئن أنجىنا الله من هذا لارجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولاضع يده في يدي فبكى الرمح ورجع فذكره الى مكة وأسلم وحسن اسلامه ومنهم من لم يوف بما عاهدوه والمراد بقوله (وما يجحد بآياته الا كل ختار) أي غدار (كفور) أي جحد لانعمه عليه قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أي خافوا ربكم (واخشوا) أي وخافوا (يوما لا يجزي) أي لا يقضى ولا يغني (والدعن ولده ولا مولود هو جازعن والده شيئا) قبل معنى الآية ان الله ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد فنبه بالا على على الادنى وبالادنى على الاعلى قالوا لا يجزي عن ولده لئلا شفقته عليه والولد يجزي عن والده لئلا له من حق التربة وغيرها فاذا كان يوم القيامة فكل انسان يقول نفسي نفسي ولايتهم يقرب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرئ هممه

(٥٩ - خازن ثالث) لنعمائه وهم اصفنا المؤمن فالأيمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر فكانه قال ان في ذلك لايات لكل مؤمن (واذا غشيهم) أي الكفار (موج كظلال) الموج يرتفع فيعود مثل الظل والظلة كل ما أظلم من جبل أو سحاب أو غيرهما (دعوا الله مخلصين له الدين) فلما انجىهم الى البر فنههم مقتصد (أي باق على الايمان والاختلاص الذي كان منه ولم يغدا الى الكفر أو مقتصد في الاختلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاختلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر (وما يجحد بآياته) أي بحقيقتها (الا كل ختار) غدار وختار أقبح الغدر (كفور) لربه (يا أيها الناس اتقوا ربكم) وخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده (لا يقضى عنه شيئا والمعنى لا يجزي فيه فخذف) (ولا مولود هو جازعن والده شيئا) واراد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه لان الجلة الاسمية آكد من الجلة الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في ذلك ان الخطاب للمؤمنين وعليهم قبض آباؤهم على الكفر فأريد حسم اطاعهم ان ينفعوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة ومعنى التأكيدي لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولاه منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لاجداده اذ الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولده

من ذلك في الكشف (ان وعد الله) بالبعث والحساب والجزاء (حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا) بزينة فان نعمتهادانية ولذتها فانية (ولا يغرنكم بالله الغرور) الشيطان أو الدنيا أو الامل (ان الله عنده علم الساعة) أي وقت قيامها (وينزل) بالشد يد شامى ومدنى وعاصم وهو عطف على ما يقصده الطرف من الفعل تقديره ان الله ثبت عنده علم الساعة وينزل (الغيث) في ابانه من غير تقديم ولا تأخير (ويعلم ما في الارحام) اذ كرام أنى وتام أم ناقص (وما تدرى نفس) برة أو فاجرة (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرًا عازمة على شرف فعلت خيرا (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) أى أين تموت وربما أقامت بأرض وضربت أو تادها وقالت لا أبرحها فترى بها امرأى القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال له ملك الموت قال كأنه يريدنى (٤٦٦) وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الرجوع وبقية بلاد الهند ففعل

ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظرى اليه نجبا منه لاني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدرابة للعبيد لما في الدراية من معنى الخذل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان أعملت حيلها ما يختص بها ولا شئ أخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتها كان معرفة ما عداها أبعد وأما المنجم الذي يخبر بوقت الغيب والموت فانه يقول بالقياس والنظر في الطالع وما يدرك بالدليل لا يكون غيبا على انه مجرد الظن والظن غير العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما من ادعى علم هذه الحجة فقد كذب ورأى المنصور في منامه صورة

نفسه (ان وعد الله حق) قيل انه تحقيق اليوم معناه اخشوا يوما هذا شأنه وهو كأن لو وعد الله به ووعدته حق وقيل الآية تحقيق بعدم الجزاء يعنى لا يجزى والدع ولده في ذلك اليوم والقول الاول أحسن وأظهر (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) أى لانها فانية (ولا يغرنكم بالله الغرور) يعنى الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصي ويتقن المغفرة قوله تعالى (ان الله عنده علم الساعة) الآية نزلت في الحرث بن عمرو بن حارثة بن حفصة من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم لم يسأله عن الساعة ووقتها وقال ان أرضنا أخذت فقل لي متى ينزل الغيث وترك امرأتى حبل فحى نلد ولقد علمت أين ولدت فبأى أرض أموت فأمر أنزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير ومعنى الآية ان الله عنده علم الساعة فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة في أى سنة أو أى شهر أو أى يوم ليلا أو نهارا (وينزل الغيث) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أو نهارا الا الله (ويعلم ما في الارحام) اذ كرام أنى أجرام أسود تام الخلقة أم ناقص (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) من خير أو شر (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) أى ليس أحد من الناس يعلم أين مضجعه من الارض في بر أو بحر في سهل أو جبل (ان الله عليم) أى بهذه الاشياء وبغيرها (خبير) أى ببواطن الاشياء كلها ليس علمه محيط بالظاهر فقط بل علمه محيط بالباطن قال ابن عباس هذه الحجة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى فن ادعى انه يعلم شيئا من هذه فانه كفر بالقرآن لانه خالفه والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة السجدة وهي مكية﴾

قال عطاء الان ثلاث آيات من قوله أفن كان مؤمنا وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية وثلاثمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا والله تعالى أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه) أى لا شك فيه انه (من رب العالمين أم يقولون) أى بل يقولون يعنى المشركين (اقتراء) يعنى اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه (بل هو الحق)﴾

ملك الموت وسأله عن مدة عمره فأشار بأصابعه الخمس فغيرها المعبرون بخمس سنوات وخمسة أشهر وخمسة أيام فقال أبو حنيفة رضى الله عنه هو إشارة الى هذه الآية فان هذه العلوم الخمسة لا يعلمها الا الله (ان الله عليم) بالغيوب (خبير) بما كان وما يكون وعن الزهري رضى الله تعالى عنه أكثر واقرأ سورة لقمان فان فيها أعاجيب والله أعلم ﴿سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية مدنى وكوفي وتسع وعشرون آية بصرى﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الم) على انها اسم السورة مبتدأ وخبره (تنزيل الكتاب) وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزِيل بأنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره (لا ريب فيه) أو يرتفع بالابتداء وخبره (من رب العالمين) ولا ريب فيه اعتراض لا محل له للضمير فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أى في كونه منزلا من رب العالمين لانه معجز للبشر ومثله أبعد شئ من الريب ثم ضرب عن ذلك الى قوله (أم يقولون اقتراء) أى اختلقه محمد لان أم هي المنقطة الكائنة بمعنى بل والهزة معناه بل أي يقولون اقتراء انكار القولهم وتجييبا منهم لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه (بل هو الحق) ثم ضرب عن

الانكار الى اثبات انه الحق (من ربك) ولم ينزهه محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوا نعتنا وجهلا (لتنذر قوما) أي العرب (ما أناهم من نذير من قبلك) ما لنتفي والجله صفه اقوما (لعلهم يتدنون) على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يندكر على الترجي من موسى وهرون (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام) (٤٦٧) ثم استوى على العرش استوى عليه باحدائه

(مالككم من دونه) (من دون الله) (من ولي ولا شفيع) أي اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا ولا أنفسكم ولما أي ناصر انصرمكم ولا شفيعا يشفع انكم (أفلا تنذرون) تنظرون عواظ الله (يدبر الامر) أي امر الدنيا (من السماء الى الارض) الى أن تقوم الساعة (ثم يعرج اليه) ذلك الامر كله أي يصير اليه ليحكم فيه (في يوم كان مقداره ألف سنة) وهو يوم القيامة (بما تعدون) من أيام الدنيا ولا تمسك للمشيئة بقوله اليه في اثبات الجهة لان معناه الى حيث يرضاه أو امره كما لا تشبث لهم بقوله اني ذاهب الى رببي اني مهاجر الى رببي ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله (ذلك عالم الغيب والشهادة) أي الموصوف بما مر عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه (العزيرين) الغالب أمره (الرحيم) البالغ لطفه وتيسيره وقيل لا وقف عليه لان (الذي) صفته (أحسن كل شيء) أي حسنه لان كل شيء مرتب على ما اقتضته الحكمة (خلفه)

أي القرآن (من ربك لتنذر قوما ما أناهم من نذير من قبلك) يعني العرب كانوا أمة أمية لم يأتيهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس من رضى الله عنهم اذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت اذ لم يأتيهم رسول لم تقم عليهم حجة قلت أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا من جهة الرسل فلا وأما قيام الحجة بمعرفة الله وتوحيده فمهم لان معهم أدلة العقل الموصلة الى ذلك في كل زمان (لعلهم يتدنون) يعني تنذروهم راجيا اهتداءهم (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مالككم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تنذرون) تقدم نفسه يره قوله تعالى (يدبر الامر) أي يحكم الامر وينزل القضاء والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام (من السماء الى الارض ثم يعرج) أي يصعد (اليه) جبريل بالامر (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) يعني مسافة ما بين السماء والارض خمسمائة سنة فيكون مقدار زوله الى الارض ثم صعوده الى السماء في مقدار ألف سنة لو ساره أحد من بني آدم وجبريل ينزل ويصعد في مقدار يوم من أيام الدنيا وأقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم أجمعون وقيل معنى الآية انه يدبر الامر من السماء الى الارض مدة أيام الدنيا ثم يعرج اليه أي يرجع الامر والتدبير اليه بعد قضاء الدنيا وانقطاع أمر الامر وحكم الحاكم في يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة فان قلت قد قال في موضع آخر تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فكيف الجمع بينهما قلت أراد بقوله خمسين ألف سنة مدة المسافة بين الارض وسدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه السلام يقول بسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا وقيل كما هي القيامة فيكون على بعضهم مثل ألف سنة وعلى بعضهم خمسين ألف سنة وهذا في حال الكفار وأما على المؤمنين فدون ذلك كما جاء في الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قال ابراهيم التيمي لا يكون على المؤمنين الا كما يكون ما بين الظهر والعصر وقيل يحتمل ان يكون هذا اخبارا عن شدته وهوله ومشقته وقال ابن أبي مليكة دخلت انا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن مقدار خمسين ألف سنة فقال ابن عباس رضى الله عنهما أيام سماها الله تعالى لأدري ما هي وأكرم أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم (ذلك عالم الغيب والشهادة) يعني الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والارض هو عالم الغيب والشهادة أي ما غاب عن خلقه لا تخفى عليه خافية والشهادة بمعنى ما حضر وظهر (العزيرين) أي الممتنع المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه وأهل طاعته قوله تعالى (الذي أحسن كل شيء خلقه) قال ابن عباس اتقنه وأحكمه وقبل علم كيف يخلق كل شيء وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل في صورته حسن في شكله وكل عضو من أعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل معناه اللهم يخلق ما يحتاجون اليه وعلمهم اياه وقيل معناه أحسن الى كل خلقه (وبدأ خلق الانسان من طين) يعني آدم (ثم جعل نسله) يعني ذريته (من سلالة) أي من نطفة تنسل من الانسان (من ماء مهين) أي ضعيف (ثم سواه) أي سوى خلقه (ونفخ فيه من روحه) أضاف اليه الروح اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله ثم ذكر ما يترتب على نفخ الروح في الجسم فقال (وجعل نكم) أي خلق بعد ان كنتم نطفة مواتا (السمع والابصار والافتدة)

كوفي ونافع وسهل على الوصف أي كل شيء خلقه فقد أحسن خلقه فغيرهم على البديل أي احسن خلق كل شيء (وبدأ خلق الانسان) آدم (من طين ثم جعل نسله) ذريته (من سلالة) من نطفة (من ماء) أي مني وهو بديل من سلالة (مهين) ضعيف حقير (ثم سواه) قومه كقوله في احسن تقويم (ونفخ) ادخل (فيه من روحه) الاضافة للاختصاص كانه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به ويعلمه (وجعل لكم السمع والابصار والافتدة) لتسمعوا وتبصروا وتفتقروا

(قليلًا ما تشكرون) أي تشكرون قليلاً (وقالوا) القائل أبي بن خلف ولرضاهم بقوله أسند إليهم (أنذاضلنا في الأرض) أي صرنا زبانا وذهبننا محتاطين بتراب الأرض لانتميز منه كما يضل الماء في اللبن أو غبنا في الأرض بالدفن فيها وقرأ على ضلنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وانتصب الظرف في أنذاضلنا بما يدل عليه (أننا في خلق جديد) وهو نبوت (بل هم بلفاؤهم كافرين) جاحدون لما ذكر كفرهم بالبعث اضرب عنه إلى ما هو أبلغ وهو أنهم كفرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالبعث وحده (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) أي يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم ثم ترجعون إلى ربكم بعد ذلك بمبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله والتوفي استيفاء النفس وهي الروح أي بقبض أرواحكم أجعين من قولك توفيت حتى من فلان إذا أخذته وأفيا كلام من غير نقصان وعن مجاهد حوت ملك الموت الأرض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ملك الموت يدعو الأرواح فقبضه ثم يأمر أروانه بقبضها والله تعالى هو الأمر لذلك (٤٦٨) كاه وهو الخالق لأفعال المخلوقات وهذا وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله

توفيه رسلنا وقوله الله يتوفى
الانفس حين موتها (ولو
نرى) الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم أول كل
أحد ولو امتناعية
والجواب محذوف أي
لأيت أمراً عظيماً (اذ
المجرمون) هم الذين قالوا
أنذاضلنا في الأرض ولو
واذ لامضى وانما جاز ذلك
لان المترب من الله بمنزلة
الموجود ولا يقدرا ترى
ما يتناولوه كانه قيل ولو
تكون منسكاً للرؤية واذا
ظرف له (ناكسوارؤمهم)
من الذل والطيء والنسب
(عند ربهم) عند حساب
ربهم ويوقف عليه خلق
الخلق اذ التقدير يقولون
(ربنا أبصرنا) صدق
وعدك ووعيدك (وسمعنا)
منك تصديق رسلك أو كنا
مهما وصهما فأبصرنا وسمعنا

قيل قدم السمع لان الانسان يسمع أولاً كلاماً فينظر إلى قائله ليعرفه ثم يتفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه ووحده السمع لان الانسان يسمع الكلام من أي جهة كان (قليلًا ما تشكرون) يعني انكم لا تشكرون رب هذه النعمة فتوحده الا قليلاً (وقالوا) يعني منكروى البعث (أنذاضلنا) هلكنا (في الأرض) والمعنى صرنا زبانا (أننا في خلق جديد) استهفاهم انكارى قال الله تعالى (بل هم بلفاؤهم كافرين) أي بالبعث بعد الموت (قل يتوفاكم) أي بقبض أرواحكم حتى لا يبقى أحد ممن كتب عليه الموت (ملك الموت) وهو عزرائيل عليه السلام (الذي وكل بكم) أي انه لا يغفل عنكم وإذا جاء أجل أحدكم لا يؤخر ساعة ولا شغل له الا ذلك روى ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أرواح الخسلائي من مشارق الأرض ومغاربها وله أعوان من الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الأرض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ان ملك الموت على معراج بين السماء والأرض فتترفع أروانه روح الانسان فاذا بلغ فقرة فقرة بخره قبضه ملك الموت عن معاذ بن جبل قال ان ملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهي تنصف وجوه الناس فبما من أهل بيت الا وملك الموت ينصفهم في كل يوم مرتين فاذا رأى انساناً قد انقضى أجله ضرب رأسه بلك الحربة وقال له الا تنزل بلسكرات الموت وقوله (ثم إلى ربكم ترجعون) أي تصيرون إلى ربكم احياء فيجزى بكم بأعمالكم (ولو ترى اذ المجرمون) أي المشركون (ناكسوارؤمهم عند ربهم) أي يأتونهم يطأونهم جباههم من ربه ثم يندم على ما فعلوا عند ربهم يقولون (ربنا أبصرنا) أي ما كذبنا مكذبين (وسمعنا) يعني منك تصديق ما انتباه رسلك وقيل أبصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فيها (فارجعنا) أي فاردنا إلى الدنيا (نعمل صالحاً انما موقنون) أي في الحال آمنوا ولكن لا ينفع ذلك الايمان (ولو شئنا لا تينا كل نفس هداها) أي رشدناها وتوفيقها للايمان (ولكن حق القول مني) أي وجب القول مني (لا ملأ من جهم من الجنة والناس أجعين) أي من كفار الجن والانس (فذوقوا) أي فاذا دخلوا النار قالت لهم الجنة ذوقوا (بما أنسيتم لقاء يومكم) أي تركتم الايمان في الدنيا (هذا اناسيناكم) أي تركناكم بالكيفية غير ملتفت اليكم كما يفعل بالناسي قطعاً لجانكم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم

تعملون

(فارجعنا) إلى الدنيا (نعمل صالحاً) أي الايمان والطاعة (انما موقنون) بالبعث والحساب الآن

(ولو شئنا لا تينا كل نفس هداها) في الدنيا أي لو شئنا أعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيار ذلك لاهدوا ولكن لم نعظم ذلك اللطف لما علمنا منهم اختيار الكفر وإثارة وهو حجة على المعتزلة فان عندهم شاء الله ان يعطى كل نفس ما به اهتدت وقد أعطاها لذكهم لم تهتدوهم أولوا الآية بعشيرة الجبر وهو تأويل فاسد لما عرف في تبصر الادلة (ولكن حق القول مني لا ملأ من جهم من الجنة والناس أجعين) ولكن وجب القول مني بما علمت انه يكون منهم ما يستوجبون به جهنم وهو ما علم منهم انهم يحتارون الرد والتكذيب في تخصيص الانس والجن إشارة إلى انه عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم (فذوقوا) العذاب (بما أنسيتم لقاء) بما تركتم من عمل لقاء (يومكم هذا) وهو الايمان به (اناسيناكم) تركناكم في العذاب كالنسي (وذوقوا عذاب الخلد) أي العذاب الدائم الذي لا انقطاع له (بما كنتم

تعملون) أي من الكفر والتكذيب ۞ قوله تعالى (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) أي وعظوا بها (خروا سجدا) أي سقطوا على وجوههم ساجدين (وسجدوا بحمدرهم) أي صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لا يستكبرون) أي عن الإيمان به والسجود له (ق) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى ما يجد أحدا ناكما بالوضع جميعه في غير وقت الصلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلتنا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأهرت بالسجود فأبى في النار وهذه من عزائم سجود القرآن فتسن للفقاري وللسميع ۞ قوله تعالى (تجاني جنوهم) أي ترتفع وتنبو (عن المضاجع) جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه بمعنى الفرش وهم المتسجدون بالليل الذين يقيمون الصلاة وقال أنس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس في قوله تجاني جنوهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وفي رواية أبي داود عنه قال كانوا يفتنون ما بين المغرب والعشاء أي يصلون وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنصور وقيل هي صلاة الاوابين وروى عن ابن عباس قال ان الملائكة تحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوابين وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الاخيرة والفجر في جماعة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلمون مافي العتمة والصبح لأتوهما ولو حبووا وأشهر الاقارب ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة

في فصل في فضل قيام الليل والحث عليه ۞ عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت يوما قريبا منه وهو يسير فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تجاني جنوهم عن المضاجع حتى بلغ خزايا كانوا يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الامر وهو ذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بلاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله قال فأخذ بلسانه وقال اكشف عني هذا فقلت يا رسول الله وانما أخذون بما تشكلم فقال تشكلك أمليا معا ذرهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصايد استنتهم أخرجه الترمذي عن أبي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الاثام ومطرودة الداء عن الجسد أخرجه الترمذي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هب ربنا من رجلين رجل ثار من أوطانه وخطافه من بين جنبيه وأهله الى صلاته فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا الى عبدى تار عن فراشه ووطائه من بين جنبيه وأهله الى صلاته وغبة فيما عندى وشفقة مما عندى ورجل غزاف سبيل الله وانهم مع أصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وماله في الرجوع فرجع حتى أهرق دمه فيقول الله تعالى للملائكة انظروا الى عبدى رجع رغبة فيما عندى وشفقة مما عندى حتى أهرق دمه أخرجه الترمذي بعنه (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم

تعملون) من الكفر
والمعاصي (انما يؤمن بآياتنا
الذين اذا ذكروا بها) أي
وعظوا بها (خروا سجدا)
سجدوا لله تواضعا وخشوعا
وشكرا على ما رزقهم من
الاسلام (وسجدوا بحمد
ربهم) ورتلوا الله عما لا يليق
به وأقنوا عليه حامدين
له (وهم لا يستكبرون)
عن الإيمان به والسجود
له (تجاني) ترتفع وتنصي
(جنوهم عن المضاجع)
عن القرمش ومضاجع
النوم قال سهل وهب تقوم
هبة وهوان أذن لهم في
مناجاته وجعلهم من أهل
وسيلته ثم مدحهم عليه
فقال تجاني جنوهم عن

المضاجع (يدعون) داعين (دعهم) عابدين له (خوفاً وطعماً) مفعول له أى لاجل خوفهم من معظته وطعمهم في رحمته وهم المتهجدون وعن النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه - يراها قيام العبد من الليل وعن ابن عطاء أبيت جنوهم ان تسكن على بساط الغفلة وطلبت بساط القرية يعني صلاة الليل وعن أنس كان أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الأخيرة فتولت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها (ومما رزقناهم ينفقون) في طاعة الله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم) ما معني الذي أخفى على حكاية النفس (٤٧٠) حزة ويعقوب (من قرأ أعين) أى لا يعلم أحد ما أعد لهؤلاء من الكرامة

الليل حتى نورمت قدماء فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غفراري باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها أعدّها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتاب الصيام وصلى بالليل والناس نيام أخرجه الترمذي (خ) عن الهيثم بن أبي سنان انه سمع أبا هريرة رضي الله عنه في قصة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان أخاكم لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحه قال وفيما رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع أرانا الهدي بعد العمى فقلوبنا * به مواقف ما اذا قال واقع يبيت يحافي جنبه عن فراشه * اذا استقلت بالكافرين المضاجع أخرجه البخاري وليس للهيثم بن سنان عن أبي هريرة في الصحاح غير هذا الحديث (ويدعون رهم خوفاً وطعماً) قال ابن عباس خوفهم من النار وطعماً في الجنة (ومما رزقناهم ينفقون) فيسل أراد به الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام في الواجب والتطوع (قوله عز وجل) فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) أى مما تقر به أعينهم فلا ينفقون الى غيره قال ابن عباس هذا مما لا يتصور له وقيل أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم (جزاء بما كانوا يعملون) أى من الطاعات في دار الدنيا (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (قوله تعالى) (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوي مع من هو في ظلمة الكفر والعصيان بقوله) (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً) أى كافر أو هماً همولان على لفظ من وقوله (لا يستوي) على المعنى بدليل قوله (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) هي نوع من الجنات تأوى اليها أرواح الشهداء وقيل هي عن عيين العرش (نزل بما كانوا يعملون) عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاماً (وأما الذين فسقوا فأوهم النار) أى مجزؤهم ومنزلهم (كلما أرادوا أن يخرجوا منها

(جزاء) مصدر أى جوزوا جزء (عما كانوا يعملون) عن الحسن رضى الله عنه أخفى القوم أعمالاً في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وفيه دليل على ان المراد الصلوة في جوف الليل ليكون الجزاء وفاً ثم بين ان من كان في نور الطاعة والايان لا يستوي مع من هو في ظلمة الكفر والعصيان بقوله (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً) أى كافر أو هماً همولان على لفظ من وقوله (لا يستوي) على المعنى بدليل قوله (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) هي نوع من الجنات تأوى اليها أرواح الشهداء وقيل هي عن عيين العرش (نزل بما كانوا يعملون) عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاماً (وأما الذين فسقوا فأوهم النار) أى مجزؤهم ومنزلهم (كلما أرادوا أن يخرجوا منها

أعبدوا فيها وقيل لهم) أى تقول لهم خزنة النار (ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) وهذا دليل على ان المراد بالفاسق الكافر اذا تكذب يقابل الايمان (ولنذيقهم من العذاب الادنى) أى عذاب الدنيا من الاسر وما يحذوا به من السنة سبع سنين (دون العذاب الاكبر) أى عذاب الآخرة أى نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة وعن الدارقاني العذاب الادنى الخذلان والعذاب الاكبر الخلود في النار وقيل عذاب الادنى عذاب القبر (نعلمهم) لعل المذنبين بالعذاب الادنى (يرجعون) يتوبون عن الكفر (ومن أظلم ممن ذكر وعظ (بآيات ربه) أى بالقرآن (ثم أعرض عنها) أى فتولى عنها ولم يتدبر فيها ولم للاستيعاد أى ان الاعراض عن مثل هذه الآيات في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد

الذي كبرهم استبعد في العقل كما نقول لصاحبك وجدت منك تلك الفرصة ثم لم تنمزها استبعاد التركة الانتهاز (انام من المجرمين منتهمون)
ولم يقل منه لانه اذا جعله أعظم ظل ظلم ثم قود المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على أصابة الا ظلم النصيب الا وقر من الانتقام ولو قال
بالضجير بعد هذه الفائدة (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فلا تكن في هريه) (٤٧١) شك (من لقائه) من لقاء موسى الكتاب أو

من لقائه موسى لیسلة
المعراج أو يوم القيامة
أو من لقاء موسى ربه في
الآخرة كذا عن النبي صلى
الله عليه وسلم (وجعلناه
هدى لبني إسرائيل)
وجعلنا الكتاب المنزل على
موسى لقومه هدى (وجعلنا
منهم أئمة) بهم مرتين كوفي
وشامى (هم دون) بذلك
الناس وبدعوتهم الى ماني
التوراة من دين الله
وشرائعه (بأمرنا) اياهم
بذلك (لما صبروا) حين صبروا
على الحق بطاعة الله أو
عن المعاصي لما صبروا وحزة
وعلى أي صبرهم من الدنيا
وفيه دليل على ان الصبر
ثمرته امامة الناس (وكانوا
بآياتنا) التوراة (يوقنون)
يعلمون علما لا يحتاج له شك
(ان ربك هو فصل) يقضى
(بينهم يوم القيامة) بين
الانبياء وأئمتهم أو بين
المؤمنين والمشركين (فيما
كانوا فيه يختلفون) فيظهر
الحق من المبطّل (أولم)
الوال للعطف على معطوف
عليه منوى من جنس
المعطوف أي أولم يدع (يد)
يبين والفاعل الله بدليل
قراءة زيد عن يعقوب
هد (الهم) لاهل مكة (كم)

بها (انام من المجرمين) يعني المشركين (منتهمون) معناه انهم لم يلم بارجعوا بالاعذاب الا في فانام منهم
منتهمون بالاعذاب الا كبر (قوله تعالى) (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (فلا تكن في هريه)
أي في شك (من لقائه) أي من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس (ق) عن ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طويلا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى
رجلا مريوعا مريوع الخلق الى الجفرة والى المبيض سبط الشعر ورأيت ما سلكا خزان النار والدجال في آيات
أراهن الله اياه فلا تكن في هريه من لقائه (م) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أتيت على موسى ليلة المعراج ليلة أسري بي عنده الكتيب الا جرو وهو قائم يصلي في قبره فان قلت قد صبح
في حديث المعراج انه رآه في السماء السادسة عندهم اجمعت في الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين
قلت يحتج على أن تكون رؤيته في قبره عند الكتيب الا جرو كان قبل صعوده الى السماء وذلك في طريقه الى
بيت المقدس ثم لما صعد الى السماء السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريده الله عز وجل وهو على كل شيء
قدير فان قلت كيف نصبح منه الصلوة في قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو في دار الآخرة
وليست دار عمل وكذلك رأى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبياء وهم يحجون فجا الجواب عن
هذا قالت يجب عنه باجوبة أحدها ان الانبياء كاشهداء ابل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم
يرزقون فلا يبعد أن يحجوا أو يصلوا كما صبح في الحديث وان ينصرفوا الى الله عبا استطاعوا وان كانوا قد
ماقوا لانهم بمنزلة الاحياء في هذه الدار التي هي دار العمل الى أن نفث ثم رحلوا الى دار الجزاء التي هي
الجنة الجواب الثاني انه صلى الله عليه وسلم رأى حالهم الذي كانوا عليه في حياتهم ومشألوهم كيف كانوا
وكيف كان جهم وصلاتهم الجواب الثالث ان التكليف ان ارتفع عنهم في الآخرة لكن الذكر
والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانه اللههم وتحييتهم فيها سلام وقال صلى الله عليه
وسلم يلهمون التسليم كما يلهمون النفس فالعبد يعبد ربه في الجنة أكثر مما كان يعبد في الدنيا وكيف
لا يكون ذلك وقد صار حال الملائكة الذين قال الله في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية
ماني الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي على مقتضى الطبع والله أعلم وقيل في قوله فلا
تكن في هريه من لقائه أي من تلقى موسى كتاب الله بالرضا والقبول (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لبني
اسرائيل وجعلنا منهم) أي من بني اسرائيل (أئمة) أي قادة للخير يقتدى بهم وهم الانبياء الذين كانوا في
بني اسرائيل وقيل هم اتباع الانبياء (هم دون بامرنا) أي بدعون الناس الى طاعتنا (لما صبروا) أي على
دينهم وعلى البلا من عدوهم عصر (وكانوا بآياتنا يوقنون) أي انها من الله تعالى (ان ربك هو فصل)
أي يقضى ويحكم (بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل هم الانبياء وأئمتهم وقيل هم المؤمنون
والمشركون (قوله تعالى) (أولم يجد لهم) أي نبين لهم (كم أهلكنا) أي كثرة من أهلكنا (من قبلهم من
القرون) أي الامم الخالية (يعشون في مساكنهم) يعني أهل مكة يسرون في بلادهم ومنازلهم اذا سافروا
(ان في ذلك لايات أفلا يسمعون) أي آيات الله ومواعظه فيستظنون بها (قوله عز وجل) (أولم يروا انا
نسوق الماء الى الارض الجرز) أي الارض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها قال ابن عباس هي أرض
بالين وقيل هي أبين (فتخرج به) أي بذلك الماء (زرعنا كل منه أنعامهم) أي العشب والتبن (وأنفسهم)

لا يجوز أن يكون كم فاعل هدى لان كم للاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله ومجمله نصب بقوله (أهلكنا من قبلهم من القرون) كعاد وثمود وقوم
لوط (يعشون في مساكنهم) أي أهل مكة يعشون في مساكنهم على ديارهم وبلادهم (ان في ذلك لايات أفلا يسمعون) الموعظة فيستظنوا
(أولم يروا أنا نسوق الماء) فجري المطر والانهار (الى الارض الجرز) أي الارض التي جرد نباتها أي قطع اما لعدم الماء ولانه رعى ولا يقال
لتي لا تثبت كالسباخ جرد بدليل قوله (فتخرج به) بالماء (زرعنا كل منه) من الزرع (أنعامهم) من عصفه (وأنفسهم) من حبه

(أفلا يصرون) بأعينهم فيستدلوا به على قدرته على إحياء الموتى (ويقولون متى هذا الفتح) النصر أو الفصل بالحكومة من قلوبنا أفتح يبتنا وكان المسلمون يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فإذا سمع المشركون ذلك قالوا متى هذا الفتح أي في أي وقت يكون (إن كنتم صادقين) في أنه كان (قل يوم الفتح) أي يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم أو يوم نصرهم عليهم أو يوم بدر أو يوم فتح مكة (لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون) وهذا الكلام لم ينطبق جوابا على سؤالهم ظاهرا ولكن لما كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استجبالا منهم على وجه التكاذب والاستهزاء أجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقبل لهم لا تستجلبوا به ولا تستهزؤا فساكني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وأمنتم فلا ينفعكم الإيمان أو استنظرت في إدراك العذاب فلم تنظروا ومن فسر يوم الفتح أو يوم بدر (٤٧٢) فهو يريد المقتولين منهم فأنهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل كالم ينفع فروعون إيمانهم عند الغرق) فأعرض عنهم وانتظر) التصرة وهلاكهم (أنهم منتظرون) الغلبة عليهم وهلاكهم وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال سورة الم تنزيل هي المانة تمنع من عذاب القبر والله أعلم

أي من الحبوب والأقوات (أفلا يصرون) أي فيعتبروا ﴿قوله تعالى﴾ (ويقولون متى هذا الفتح) ان كنتم صادقين) قبل أراد يوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار اننا يؤمنون بما نمنع فيه ونستريح ويحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح أي القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل يوم بدر وذلك ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح (قل يوم الفتح) يعني يوم القيامة (لا ينفع الذين كفروا إيمانهم) أي لا يقبل منهم الإيمان ومن حل يوم الفتح على فتح مكة أو القتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا (ولا هم ينظرون) أي هم لا ليتوبوا ويعتدروا (فأعرض عنهم) قال ابن عباس نسيها آية السيف (وانتظر) أي موعدي للثب بالنصر عليهم (أنهم منتظرون) أي تلك حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا أي أنهم فهم منتظرون ذلك (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل أتى على الإنسان عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الذي بيده الملك أخرجه الترمذي وقال طائوس تفضلان عن كل سورة في القرآن بسبعين حسنة أخرجه الترمذي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

أي من الحبوب والأقوات (أفلا يصرون) أي فيعتبروا ﴿قوله تعالى﴾ (ويقولون متى هذا الفتح) ان كنتم صادقين) قبل أراد يوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار اننا يؤمنون بما نمنع فيه ونستريح ويحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح أي القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل يوم بدر وذلك ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح (قل يوم الفتح) يعني يوم القيامة (لا ينفع الذين كفروا إيمانهم) أي لا يقبل منهم الإيمان ومن حل يوم الفتح على فتح مكة أو القتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا (ولا هم ينظرون) أي هم لا ليتوبوا ويعتدروا (فأعرض عنهم) قال ابن عباس نسيها آية السيف (وانتظر) أي موعدي للثب بالنصر عليهم (أنهم منتظرون) أي تلك حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا أي أنهم فهم منتظرون ذلك (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل أتى على الإنسان عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الذي بيده الملك أخرجه الترمذي وقال طائوس تفضلان عن كل سورة في القرآن بسبعين حسنة أخرجه الترمذي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(سورة الاحزاب مدنية) وهي ثلاث وسبعون آية

(تفسير سورة الاحزاب وهي مدنية)
ثلاث وسبعون آية وألف ومائتان وخمسون كلمة وخمسة آلاف وسبع مائة وتسعون حرفا
(بسم الله الرحمن الرحيم)
﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة ابن أبي جهل وأبي الاعور عمرو بن سفيان السلمي وذلك انهم قدموا المدينة فقتلوا على عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم السلم الا ان يكافوه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعنه بن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمرو بن الخطاب ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاععة لمن عبدها وتدعون ربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله اذن لي في قتلهم فقال اني أعطيتهم السلم الا ان يكافوه فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر أن يخرجهم من المدينة فانزل الله تعالى

(بسم الله الرحمن الرحيم)
قال أبي بن كعب رضى الله عنه لا يذركم تعدون سورة الاحزاب قال ثلاث وسبعين قال فوالذي يحلف به أبي ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخه اذا نيا فارجوها

البينة نكالا من الله والله عز يزكيم أراد أبي ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة يأبى في بيت عائشة رضى الله عنها فأكلتم الداجن فن تأليفات الملاحدة والروافض (يا أيها النبي) وبها من نافع أي يأبى الحبيب برعنا المأمون على اسرارنا المبلغ خطا بنا الى أحبائنا واعلم يقل يا محمد كآل يا آدم يا موسى تشريفه وتثويها بفضله وتصنيح باسمه في قوله محمد رسول الله ونحوه لتعليم الناس بانه رسول الله (اتق الله) اثبت على تقوى الله ودم عليه وازدد منه فهو باب لا يدرك مداه (ولا تطع الكافرين والمنافقين) ولا تساعدهم على شيء واحترس منهم فانهم أعداء الله والمؤمنين وروى أن أباسفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الاعور السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحد فقتلوا على عبد الله بن أبي وأعطاهم النبي السلم الا ان يكافوه فقالوا ارفض ذكر آلهتنا وقل انما ننفع وتشفع ووازرهم المنافقون على ذلك فهم المسلمون بقتلهم فقتل أي اتق الله في نقض العهد ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من

أهل المدينة فيها طلبوا (إن الله كان عليا) بنحبت أعمالهم (حكيمًا) في تأخير الأمر بها لهم (واتبع ما يوحى اليك من ربك) في الإتيان على التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين (إن الله) الذي يوحى اليك (كان عاتقهم خبيرًا) أي لم يزل عالما بأعمالهم وأعمالكم وقيل إنما جع لان المراد بقوله اتبع هو أصحابه وبالإزاء أبو عمر وأى بما يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) أسند أمرك اليه وكاه الى تديره (وكفى بالله وكيلا) حافظا موكولا اليه كل أمر وقال الزجاج لفظه وإن كان لفظ الخبر فالمعنى اكتف بالله وكيلا (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) وما جعل أزواجكم اللائي تظهرون منهن أمهاتكنكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم (أي ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل) (٤٧٣) والمعنى أنه تعالى كالم يجعل لآدمان قلبين لأنه لا يخلو ما أن يفعل بالآخر

فعلًا من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج اليه وأما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك فذلك يؤدي الى انصاف الجملة بكونه مريدا كارهها عالما باننا موقنا شاك في حالة واحدة لم يحكم أيضا ان تكون المرأة الواحدة اما لرجل زواجه لان الام مخدومة والمرأة خادمة وبينهما منافاة وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنه لان البنوة أصالة في النسب والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضرب به الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كاب سبي صغيرا فأشتراه حكيم ابن حزام لعنته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له فطلبه أبوه وعمره خفي فاختار

بأمر النبي اتق الله أي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بيننا وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمواد به أمته ولا تطع الكافرين يعني من أهل مكة يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعور والمنافقين يعني من أهل المدينة عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعمة (إن الله كان عليا) أي بخلفه قبل أن يخلفهم (حكيمًا) أي في تدبيره لهم (واتبع ما يوحى اليك من ربك) أي من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين (إن الله كان عاتقهم خبيرًا) وتوكل على الله أي ثق بالله وكل أمرك اليه (وكفى بالله وكيلا) أي حافظا لك وقيل كفيلا برزقك قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) نزلت في أبي معمر حديد بن معمر الظهري وكان رجلا ليبي حافظا لما يسمع فقال قريش ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء الا وله قلبان وكان يقول ان لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فبما هزم الله المشركين يوم بدر هزم أبو معمر ففهم فقيه أبو سفيان واحدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس فقال انهم زمو فقال له فما بال احدى نعليك في يديك والاخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت الا انهما في رجلتي فعلموا بوجهه فلهذا لو كان له قلبان لمسانسني نعليه في يده وعن أبي ظبيان قال قلنا لابن عباس أرايت قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما معنى بذلك قال قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم يصلي فخطر خطره فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا تروا ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فأنزل الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله خطر خطره يريد الوسوسة التي تحصل للانسان في صلاته وقيل في معنى الآية أنه لما قال الله تعالى يا أيها النبي اتق الله فكان ذلك أمر ابا التقوى فكأنه قال ومن حقها ان لا يكون في قلبك تقوى غير الله فان المرأة ليس له قلبان حتى يتق الله باحدهما وبالاخر غيره وقيل هذا مثل ضرب به الله تعالى لا مظاهر من امر أنه ولله مني ولد غيره فكما لا يكون لرجل قلبان لأنه لا يخلو ما أن يفعل بالآخر من أفعال القلوب فلا تخلفه غير محتاج اليه وأما أن يفعل به إذا ما لا يفعل بذلك فذلك يؤدي الى انصاف الجملة بكونه مريدا كارهها عالما باننا موقنا شاك في حالة واحدة وهما حالتان متناقضتان فكذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى يكون له أمان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين قوله تعالى (وما جعل أزواجكم اللائي تظهرون منهن أمهاتكنكم) وصورة الظاهر ان يقول الرجل لا امر أنه أنت على كظهر أي يقول الله وما جعل نسائك التي تقولون لهن هذا في التحريم كما هياتكن ولكنه منكم منكم وروى فيه كفارة و- بأن الكلام عليه ان شاء الله في سورة المجادلة قوله تعالى (وما جعل أدعياءكم) يعني الذين يتبنونهم (أبناءكم) وفيه نسخ التبنّي وذلك ان الرجل كان في

(٦٠ - خازن ثالث) رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تعلقه وبناء وكافوا يقولون زيد ابن محمد فلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينا وب كانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأته وهو بنى عنه فأنزل الله هذه الآية وقيل كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان قلب معكم وقلب مع أصحابه وقيل كان أبو معمر أحفظ العرب فقيل له ذو القلبين فأكذب الله قولهم وضرب به مثلا في الظهار والتبني والتكبير في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين وذكر الجواب للتأكيدهم اللاتي يباء بعد المهرمة حيث كان كوفي وشامي اللذان نافع ويعقوب وسهل وهى جمع اتى تظاهرون عاصم من ظاهر اذا قال لا امر أنه أنت على كظهر - رأى تظاهرون على وجزة وخلف تظاهرون شامي من اظهروا معنى تظاهروا غيرهم تظاهرون من اظهروا معنى ظهر وعدي عن التضمنه معنى البعد لانه كان طلاقا في الجماعية وتظهيره آلى من امر أنه لما من معنى التباعد عدى عن والا فآلى في أصله الذي هو معنى حلف وأقدم ليس هذا يحكمه والذي فعل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى

بينهما ثم فصل بالاطمئنية
(فان لم تعلموا آباءهم) فان لم
تعلموا لهم آباء تسموهم
اليهم (فاخوانكم في الدين
ومواليكم) اي فهم اخوانكم
في الدين واولياؤكم في الدين
فقولوا هذا اخي وهذا
مولاي ويا اخي ويا مولاي
يريد الاخوة في الدين
والولاية فيه (وايس عليكم
جناح فيما اخطأتم به) اي
لا اثم عليكم فيما فعلتموه
من ذلك مخطفين جاهلين
قبل ورود النهي (واكن
ما عمدت قلوبكم) واكن
الاثم عليكم فيما عمدتموه
بعد النهي (ولا اثم عليكم اذا
قامت تولد غيبكم يا بني على
سبيل الخطا وسبق اللسان
ولكن اذا قلتموه مع معدين
ومافى موضع الجر عطف
على ما الاولى ويجوز ان
يراد العفو عن الخطادون
العمد على سبيل العموم ثم
تناول اعمومه خطأ التبني
وعمدته واذا وجد التبني
فان كان المتبني مجهول

النسب وأصغر نسبا منه ثبت نسبه منه وعشق ان كان عبد الوان كان أكبر نسبا منه لم يثبت النسب وعشق عند أبي حنيفة رضي الله عنه وأما المعروف بالنسب فلا يثبت نسبه بالبنى وعشق ان كان عبدا (وكان الله غفورا رحيمًا) لا يؤخذكم بالخطا ويقبل التوبة من المتعمد (الذي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أى أحق بهم فى كل شئ من أمور الدين والدنيا وحكمه أنفذ عليهم من حكمه أفعليهم ان يبذلوا هادونه ويجعلوها فداءه أو هو أولى بهم أى أرق بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله بالمؤمنين رؤوف رحيم وفى قراءه ابن مسعود النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبى ابوا منه ولذلك صار المؤمنون اخوة لأن النسب صلى الله عليه وسلم ابوهم فى الدين (وأزواجه أمهاتهم) فى تحريرهم نكاحهن ووجوب تعظيمهن وهن فيما وراء ذلك كالآلث ونحوه كالأجنبيات

ولهذا لم يبعد التحريم الى بناتهن (وأولوا الارحام) وذوو القربان (بعضهم أولى ببعض) في التوارث وكان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين والهجرة لا بالقربان ثم نسخ ذلك وجعل التوارث بحق القرابة (في كتاب الله) في حكمه وقضائه أوفى المألوح المحفوظ أو يفترض الله (من المؤمنين والمهاجرين) يحوزان يكون بينا لأولى الارحام أى الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بان يرث بعضا من الجانب وان يكون لا بشدة الغلبة أى أولوا الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين أى الانصار بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (الا ان تفعلوا الى أولياءكم معروف) الاستثناء من (٤٧٥) خلاف الجنس أى لكن فعلمكم الى

أولياءكم معروفاً جزوه
أن توصوا لمن أحببتم من
هؤلاء بشئ فيكون ذلك
بالوصية لا بالميراث وعدى
تفعلوا الى لأنه في معنى
تسدوا والمراد بالأولياء
المؤمنون والمهاجرون
للولاية في الدين (كان ذلك
في الكتاب مسطوراً) أى
التسوارت بالارحام كان
مسطوراً في المألوح (واذ
أخذنا من النبيين ميثاقهم)
واذ كرمين أخذنا من
النبيين ميثاقهم بتبليغ
الرسالة والدعاء الى الدين
القيم (ومنهم) خصوصاً
وقدم رسول الله على فوج
ومن بعده لان هذا العطف
ليسان فضيلة هؤلاء لانهم
أولوا العزم وأصحاب الشرائع
فلما كان محمد صلى الله عليه
وسلم أفضل هؤلاء قدم
عليهم ولولا ذلك لقد دم
من قدمه زمانه (ومن فوج
ابراهيم وموسى وعيسى
ابن مريم وأخذنا منهم
ميثاقاً غليظاً) وثيقاً وأعاد
ذكر الميثاق لانضمام الوصف

وقيل ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن أمهات المؤمنين والمؤمنات الرجال والتساوي قيل كن
أمهات الرجال دون النساء دليل ما روى عن مسروق ان امرأته قالت لعائشة يا أمه فقالت لست لك بأُم
انما أنا أُم رجالكم فبان بذلك ان معنى الامومة انما هو تحريم نكاحهن (وأولوا الارحام بعضهم أولى
ببعض) يعنى في الميراث قبل كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وقيل آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين الناس فكان بنواخى بين الرجلين فاذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى رثت وأولوا
الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل في معنى الآية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر
(في كتاب الله) أى في حكم الله (من المؤمنين) الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (والمهاجرين)
يعنى ان ذوى القربان أولى بعضهم ببعض فندخت هذه الآية الموارثة بالمواخاة والهجرة وصارت
الموارثة بينهم بالقرابة (الا ان تفعلوا الى أولياءكم معروف) يعنى الوصية للذين يتولونه من المعاقدين
وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالخطف والاخاء والهجرة أباح ان يوصى لمن يتولاه بما أحب من ثلث
ماله وقيل أراد بالمعروف التصريح وحفظ الحرمه بحق الايمان والهجرة وقيل معناه الا أن توصوا الى قرابتكم
بشئ وان كلوا من غير أهل الايمان والهجرة (كان ذلك) أى الذى ذكر من أن أولى الارحام بعضهم
أولى ببعض (في الكتاب) أى في المألوح المحفوظ وقيل في التوراة (مسطوراً) أى مكتوباً بميثاق قوته تعالى
(واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) أى على الوفاء بما جملوا وان يصدق بعضهم بعضاً ويشتر بعضهم بعضاً
وقيل على ان يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته وينصحو القومهم (ومنهم) يعنى يا محمد (ومن فوج
ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لانهم أصحاب الكتب
والشرائع وأولوا العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في الذكر كترشيقاً له وتفضيلاً لما روى
الغوى باسناد الثعلبي عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم
في البعث قال فتأذنه ذلك قول الله واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنفلتو من فوج فبدأ به صلى الله عليه
وسلم (وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) أى عهداً شديداً على الوفاء بما جملوا من تبليغ الرسالة (ليسأل الصادقين
عن صدقهم) يعنى أخذنا منهم ان يسأل الصادقين يعنى النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في
سؤالهم مع علمه سبحانه وانهم صادقون تكلمت من أرسلوا اليهم وقيل ليسأل الصادقين عن صدقهم
عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسأل الصادقين بأقوالهم عن صدقهم في قلوبهم (وأعدنا للكافرين عذاباً
أليماً) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) وذلك حين حوضر المسلمون مع النبي
صلى الله عليه وسلم بالمدينة أيام الخندق (اذ جاءكم جنود) يعنى الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود
قريظة والنضير (فأرسلنا عليهم ريحاً) يعنى الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب
انطلق تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسرى بالليل فكانت الريح التي

اليه وانما فعل ذلك (ليسأل) الله (الصادقين) أى الانبياء (عن صدقهم) عما قالوه لقومهم أو ليسأل المصدقين لان انبياء عن صدقهم
لان من قال للصادق صدقت كان صادقاً في قوته أو ليسأل الانبياء ما الذى أجابتهم أمهم وهو كونه يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم
(وأعدنا للكافرين) بالرسل (عذاباً أليماً) وهو عطف على أخذنا لان المعنى ان الله أكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل انابه المؤمنين
وأعدنا للكافرين عذاباً أليماً أو على ما دل عليه ليسأل الصادقين كانه قال فأتى المؤمنين وأعدنا للكافرين (يا أيها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم) أى ما أنعم الله عليكم يوم الأحزاب وهو يوم الخندق وكان بعد حرب أحد سنة (اذ جاءكم جنود) أى الأحزاب وهم
قريش وغطفان وقريظة والنضير (فأرسلنا عليهم ريحاً) أى الصبا قال عليه السلام نصرت بانصباوا أهلك عذاباً بدور

(وجنود الم تررها) وهم الملائكة وكانوا ألفا بعث الله عليهم سبابة باردة في ليلة شائية فاخصرهم وأسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الحبل بل بعضها في بعض (٤٧٦)

أرسلت عليهم الصبا (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلك ما عدا بالدبور وقيل الصبا ريح فيها روح ما هبت على محزون الا ذهب خزنه ﴿ قوله تعالى (وجنود الم تررها) يعني الملائكة ولم تقا تل الملائكة يومئذ بعث الله عز وجل تلك اليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب القساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الحبل بل بعضها في بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان التجاء التجاء هلموا الى فاذا اجتمعوا عذبه قال التجاء التجاء فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرب (وكان الله بها يعملون بصيرا)

خذ كرهزة الخندق وهي الاحزاب

قال البخاري قال موسى بن عبيدة كانت في شوال سنة أربع من الهجرة وروى محمد بن اسحق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم في بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحي بن اخطب وكانا بن الربيع بن أبي الحقيق وهو ابن قيس وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفرا من بني وائل وهم الذين خرجوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش فبعثهم فذهبوا الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اناس نكوت معكم عليه حتى نستأصله ففالت لهم قريش يا معشر اليهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا مختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير أم دينه قالوا دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أنوفنا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجحيت وانطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقريش معهم قائلوا انشطوا المادعوه اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على ذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان فوقيسا وغيلان فاجتمعوا على ذلك وأخبرهم انهم سيكونون معهم عابا وان قريشا قد يبيعوهم على ذلك فأجابوهم وخرجت قريش وقائداهم أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائداهم عبيدة بن حصين بن حذيفة بن بدر في بني فزارة والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ومسمع بن ربيعة بن فيرة بن طريف فيمن تآبوه من قومه من أشجع فلما جمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما اجتمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسي وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ فقال يا رسول الله انا كذا بقارس اذا حوصرنا ضربنا خندقا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى أحكموه وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وسبعة من الانصار في أربعين ذراعا فخرنا حتى اذا كنا تحت أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة حتى كسرت حديدنا وشقت علينا يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبر هذه الصخرة فاما أن يعدل عنها فان المعدل قريب واما أن يأمر نافيها أمره فانا لا نحب أن نجاوز خطه قال فرقي سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عابيه قبة تركيبة فقال يا رسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يجيبنا منها شيء قليل ولا كثر يرفر نافيها بأمرنا فانا لا نحب أن نجاوز خطه فخط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق واستند على شق الخندق وأخذ عليه السلام

وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة بشاراة سلمان ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنسوان فرفعوا في الاطام واشتد الخوف وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الاحابيش وبني كنانة وأهل ثمامة وقائداهم أبو سفيان وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائداهم عبيدة ابن حصين وعامر بن الطفيل في هوازن وضامنهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على القريظيين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والجارة حتى أتزل الله النصر (وكان الله عما تعملون) أي بعلمكم أيها المؤمنون من الحصن بالخندق والثبت على معارضة النبي صلى الله عليه وسلم (بصيرا) وبالباء أبو عجمه - روى عما يعمل الكفار من البغي والسبي في اطفاء نور الله

قوله غطفان الخ كذا بالاصل وفي المواهب خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان زاد شارحها بين مهملة المعول قال الجوهري وليس في العرب عيلان غيره اه معجم

المعول من سلمان وضربها بضريرة صدعها و برق منها برق أضواء ما بين لانيها يعني المدينة حتى كأنه
مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها
رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية فبرق منها برق حتى أضواء ما بين لانيها حتى لكأن مصباحا في
جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكسر هاورق منها برق أضواء ما بين لانيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم
فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه وأخذ بيد سلمان ورفق فقال بأبي
أنت وأخي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
القوم وقال أرايت ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الأولى فبرق البرق الذي رأيتم
فأضاء لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة
عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق البرق الذي رأيتم أضواء منها قصور قيصر من أرض الروم كأنها
أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليهم ثم ضربت الثالثة فبرق الذي رأيتم أضواء منها
قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليهم فأبشروا فاستبشروا المسلمون وقالوا
الحمد لله موعداً وصدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون ألا تعجبون عجبكم ويعتدكم الباطل ويخبركم
أنه ينظر من يشرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وإنما تفقح لكم وأنتم إنما تخفرون الخندق من الفرق
لأنه تطيعون أن تبرؤوا قال فنزل القرآن وأذيقوا المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله
ورسوله لا أغروا وأنزل الله قل اللهم مالك الملك الآية (ق) عن أنس قال خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عيب يدعملون ذلك لهم فلما
رأى ما هم من التعب والجوع قال اللهم ان العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة فقالوا

مجيبين له نحن الذين يابعدوا محمدا * على الجهاد ما جئنا أبدا

عن البراء بن عازب قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول

والله لولا الله ما هتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فإن لن سكبنا علينا * وثبت الأقدام إن لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا * إذا أرادوا فتنة أبينا

وبرفعهم أصواتهم في رواية قد وارى التراب بياض أبيه رجعت إلى حديث ابن اسحق قال فلما فرغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجمع الاسيال من رومة من الجوف
والغابة في عشرة آلاف من أحابشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم
من أهل نجد حتى نزلوا بذي ناعم إلى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه
حتى جعوا وظهروهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق يشه وبين
القوم وأمر بالذرازي والنساء فرددوا إلى الأقطام وخرج عبد الله حي بن أخطب من بني النضير حتى أتى
كعب بن أسد القرظي صاحب عقدة بني قريظة وكان قد واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه
وعاهده على ذلك فلما سمع صوت ابن أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يقض له فناداه
حي يا كعب افتح لنا فقال ويحك يا حي أنت أمرؤ مشؤم أتني قد عاهدت محمدا فقلت بناقض ما بيني وبينه ولم
أرمنه إلا رداه وصدقا فقال ويحك افتح أكلت قال ما أنا بأعقل قال والله أن أغلق دوني إلا خوفان آكل
معدن فأحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئت بك بعز الدهر وبجز طام جئت بك بقر يش على قادتها
وسادتها حتى أنزلتهم بمجمع الاسيال بالرومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذي ناعم إلى
جانب أحد فنادوني وعادوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بئذ

الدهر ويحياهم قديم ريق مأوء وبرعدو ويرق ليس فيه شيء دعي ومحمد أو ما ناعله فاني لم أر من محمد الا صدقا
 ووفاء فلم يزل جبي بن أخطب بكعب يقتله في الذروة والغارب حتى سمح له على ان أعطاه من الله عهدا
 وميثاقا لن رجعت قريش ولم يصيبوا محمد الا ان أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك ففقد كعب بن
 أسد العهد ويرى مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ أحد بني عبد الأشهل وهو
 يومئذ سيد الأوس وسعد بن عباد أحد بني ساعدة وهو يومئذ سيد بني الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة
 أخو الحرث بن الخزرج ونحوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا ما بلغنا عن هؤلاء
 القوم أحق أم لا فان كان حقا فالتنوا إلى هنا أعرفه ولا تنفوا الأعضاء الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا
 وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبت ما بلغهم عنهم وقالوا من رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا وبينه ولا عهد فشقاهم سعد بن عباد وشأقوه وكان رجلا عنده حدة
 فقال له سعد بن معاذ دعه عنك مثاقتهم قبايننا وبينهم أربى من المشاة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل القارة أحد رعضل القارة بأصحاب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وأصحاب الرجميع خبيب بن عدي وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر
 أيشر وأيام عشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم
 حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجيم الاتفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف
 كان محمد يعدنا ان نأكل كنوز كسرى وقبصر واحدنا لا بقدر ان يذهب إلى الغائط ما وعدنا الله ورسوله
 الا غرورا وقال أوس بن قبيط أحد بني حارثة يارسول الله ان يوتنا العورة من العدو وذلك على ملامن
 رجال قومه فأذن لنا فخر جمع إلى ديارنا فانهما خارجة من المدينة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام
 المشركون عليها بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمي بالنبل والحصى فلما
 اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن وإلى الحرث بن عوف ومعهما
 قائد اعظفان فاعطاهما ثلث عمارة المدينة على ان يرجعا عن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه فخرج بينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لسعد بن معاذ وسعد بن عباد فاستشارهما فيه فقالا يارسول الله أئمتي أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم
 أمر نحببه فمنعه أم شيء تصنعه لنا قال بلى شيء أصنعه لكم والله ما صنع ذلك الا اني قد رأيت العرب قد
 رمتكم عن قوس واحد وكالبكم من كل جانب فأردت ان أكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ
 يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الأصنام لا نعبد الله ولا نعرفه ولا نطعمه ون
 ان يأكلوا من ثمره واحدة الا قرى أو يبعثوا فحين أكرمنا الله بالاسلام وعزنا بك نعطيهم أموالنا ما نأكلها
 من حاجة والله ما نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت
 وذلك فتناول سعد العقيقة فحماها فها من الحكاية ثم قال ليجهدا علينا فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
 والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا أن فوارس من قريش عمرو بن عبد ود وأخو بني عامر
 ابن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب والخزوميان وفول بن عبد الله بن ضرار بن الخطاب
 ومرداس أخو بني محارب بن فهر قد نابوا بالقتال وخرجوا على خيلهم فغروا على بني كنانة فقالوا لهم يا
 للعرب يا بني كنانة فستعلون اليوم من المفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رآوه قالوا والله
 هذه مكيدة ما كانت العرب تكيد سدها ثم تبجوا مكانا من الخندق ضيقا وضروا خيولهم فاقبضت منه
 في التجه في السبخة بين الخندق وبلغ وخرج على بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة
 التي اقتصموا منها وأقبلت المفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة

فلم يشهد أحد فلما كان يوم الخندق خرج معلمي البري مكانه فلما وقف هو وخيله قال علي يا عمرو انك كنت
تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش الى خلتين الا أخذت منه احدا هما قال أجل قال له علي فاني أدعوك
الى الله ورسوله والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال اني أدعوك الى النزال قال ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب
اني أقتلك فقال علي لكى والله أحب ان أقتلك فحصى عمرو عند ذلك فاقحم عن فرسه ففقره أو ضرب
وجهه ثم أقبل على علي فقتلوا ونجا ولا فقتله علي وخرجت خيسته منه رمة حتى اقحمت من الخندق
هاربة وقتل مع عمرو رجلا من منبه بن عثمان بن عيسى بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فأت بجعة
وفوق بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وكان اقحم الخندق فتورط فيه فرموه بالجارية فقال يا معشر العرب
قتلوا أحسن من هذه فترى البسه على فقتله فغاب المسلمون على جسدده فسالوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يبيعهم جسدده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسدده وعنه فشا نكم به فحلى
بينهم وبينه قالت عائشة أم المؤمنين كنا يوم الخندق في حصن بنى حارثة وكان من أحرز حصون
المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معاني الحصن وذلك قبل أن يضرب علينا الجباب فرسعد بن معاذ وعليه
درع مقلصة فخرجت منها ذراعه كها في يده حربة وهو يقول * لا بأس بالموت اذا حان الاجل *
فقات له الحق يابني ففقد والله اخترت قالت عائشة فقلت يا أم سعد والله لو ددت أن درع سعد كانت
أسبع مما هي وخفت عليه حيث أصاب السهم منه قالت فرى سعد يومئذ بسهم ففقط منه الاكل
رماه خباب بن قيس بن العوف أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها وانابن العوفة قال سعد عرق
الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقي لها فانه لا قوم أحب لي
ان أجاهدكم من قوم أذوارسولك وكذبوه وأخرجوه وان كنت رضىت الحرب بيننا وبينهم فأجعلها لي
شهادة فولا تمنني حتى تفرعني من بني قريظة وكانوا حلفاء ومواليه في الجاهلية قال محمد بن اسحق فيما
بلغه ان صفية بنت عبد المطلب كانت في قارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معانا مع النساء
والصبيان قالت صفية فربنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في شجر عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا اليها منهم اذا
أنا أتت قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله ما آمنه ان يدل على
عورتنا من وراءنا من اليهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل اليه فاقوله فقال
ينظر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئا
اعتبرت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضررت به بالعمود حتى قتله فلما فرغت منه رجعت الى
الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنني من سلبه الا انه رجل قال مالي بسلبه حاجة يا بنت
عبد المطلب قالوا أو أقم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدّة لتظاھر
عدوهم وآتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان أتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد أسلمت وان قومي لم يفعلوا يا سلامي فأمرني بما شئت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن
مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديميهم في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم
وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت است عندنا بعتهم فقال لهم ان قريشا و غطفان جاؤا الحرب محمد وقد
ظاهروهم عليه وان قريشا و غطفان ليسوا كهيتكم البلد بلدكم به أم والكم وأولادكم ونسأؤكم
لا تقدرن على ان تقولوا منه الى غيره وان قريشا و غطفان أموالهم وأبناءؤهم ونسأؤهم بغيره ان رأوا
هزيمة وغلبة أصاوها وان كان غير ذلك لحقوا ببسلاؤهم وخالوا بينكم وبين هذا الرجل والرجل بينكم
لا طاقة لكم به ان خلايكم فلا تقا تلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أسراؤهم يكونون بأيديكم ففقه

لكن على ان يقاتلوا معكم محمد حتى تناجزوه قالوا لقد اشرنا برأى ونصح ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لا ي
 سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ردى اباكم فرائى محمد قد بلغنى امر رأيت حقاً
 على ان ابلغكم نصحكم فاكتموا على قالوا انفعنا قال نعلمون ان معشرهم يودون دماءنا على ما صنعوا بينهم
 وبين محمد وقد ارسلوا اليه ان قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضى عنا ان نأخذ من قريش وغطفان رجالاً
 من اشرافهم فنعطيكمهم فتضرب أعناقهم ثم تكون دماءنا على من نبي منهم فأرسل اليهم ان نعم فان بعثت
 اليكم يود يملسون رهناء من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلاً واحداً ثم خرج حتى أتى غطفان فقال
 يا معشر غطفان انتم أهلى وعشيرتى وأحب الناس الى ولا أراكم تنتموننى قالوا صدقت قال فاكتموا على
 قالوا نعم فقال لهم مثل ما قال قريش وحذرهم مثل حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس
 وكان بمصنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة
 ابن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم اننا ساءلناكم قد هلك الخلف والحافر فاغدو والقتال
 حتى تناجز محمد او نفر من حبابينا وبينه فارسوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً وقد كان
 أحدث فيه بعضنا حديثاً فاصابهم ما لم يخف عليكم واسئنا مع ذلك الذى نقابل معكم حتى تعطونا رهناء من
 رجالكم يكون بأيدىنا فنه لئلا حتى تناجز محمد افا ننا نخشى ان ضررنا منكم الحرب واشتد عليكم القتال ان
 تسير والى بلادكم وتكونوا والى الرجل فى بلدنا ولا طاقه لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذى قالت
 بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا الى بنى
 قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلاً واحداً من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فانخرجوا فقاتلوا فقالت بنو
 قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا ان يقاتلوا
 فان وجدوا فرصة اتهمزوها وان كان غير ذلك شمر والى بلادهم واخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فأرسلوا
 الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناء فأبوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبث
 عليهم الرمح فى ليل شاتبة شديدة البرد فجعلت تكفى أفئدورهم وتطرح آيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً وروى
 محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى وروى غيره عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال قال
 فتى من أهل المكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته قال
 نعم يا ابن أخي قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجاهد قال الفتى والله لو أدركنا ما تركناه عيشى على
 الارض ولجئنا على أعناقنا ولخدمناه وفعلنا معه ما فعلنا فقال حذيفة يا ابن أخي والله لقد رأيتنى ليلة
 الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يذهب الى هؤلاء القوم فإنا نناجزهم أدخله الله
 الجنة فقام منارجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وامر الليل ثم اتفت اليها فقال مشه
 فسكت القوم ومقام منارجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وامر الليل ثم اتفت اليها فقال
 هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على ان يكون رفيق فى الجنة فقام رجل من شدة الخوف وشدة
 الجوع وشدة البرد فلما لم يبق أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة ولم يكن لى يد من
 الصيام حين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل ليلى برسول الله وقت حتى أتيته فأخذ بيدي
 ومضى رأبى ووجهى ثم قال انت هؤلاء القوم حتى تأتبنى بنجرهم ولا تحذثن شيئاً حتى ترجع الى ثم قال
 اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فأخذت سهوى وشردت
 على اسلاني ثم انطلقت أمشى نحوهم كائناً ما مشى فى حمام فذهبت فدخلت فى القوم وقد أرسل الله عليهم
 ريحاً وجنوداً وجنود الله تفعل بهم ما تشاء هل لا تقرأهم قدرا ولا ناراً ولا بناء قال وأبو سفيان قاعد يصطلى
 فأخذت سهوه افوضته فى كبد قوسى فأردت أن أرميه ولورمته لاصته فذكرت قول رسول الله صلى

(الذجاؤكم) بدل من اذجاؤكم (من فوقكم) أي من أعلى الوادي من قبل المشرق بنوعطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش (واذ اغت الا بصار) مالت عن ستمها ومستوى نظرها حيرة أو عدلت عن كل شيء فلم تلفت الا الى عدوها لشدة الروع (وبلغت القلوب الحناجر) الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب ربت (٤٨١)

وارفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وقيل هو مثل في اضطراب القلوب

وان لم يبلغ الحناجر حقيقة

روى ابن المسيب قالوا

لرسول الله صلى الله عليه

وسلم هل من شيء نقوله

فقد بلغت القلوب الحناجر

قال نعم قولوا اللهم استر

عورتنا وآمن روعنا

(ونظنهم بالله الظنون)

خطاب للذين آمنوا ومنهم

الذين كفروا والافدام

والضعاف القلوب الذين

هم على حرف والمنافقون

فطن الاولون بالله انه ينيلهم

نخافوا الزلزال وضعف الاحتمال

وأما الاخر فظنوا بالله

ما حكى عنهم قرأ أبو عمرو

وحزة الظنون بغير ألف في

الوصل والوقف وهو القياس

وبالألف فيهما مدني وشاع

وأبو بكر راجع الوصل

بحر الوقف وبالألف في

الوقف مكى وعلى وحفص

ومثله الرسول واسيدلا

زادوها في الفاصلة كزادها

في القافية من قال

أقبل اللوم عاذل العتابا

وهن كلهن في الامام بالانف

(هناك ابني المؤمنين)

امتخروا بالصبر على الايمان

(وزلوا زلا الشديدا)

الله عليه وسلم لا تخدش حدثا حتى ترجع فردت سهمي في كنانتي فلما رأى أبو سفيان ما فعل الريح وجنود الله بهم لا تفر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال يا معشر قريش ليا أخذ كل منكم بيد جليسه فليكن من هو فأخذت بيد جليسي فقلت من أنت فقال سبجان الله أما تعرفني أنا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال أبو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما أصبحت بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي ذكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مر فحل ثم قام الى جيله وهو معقول فجلس عليه ثم ضرب به فوثب على ثلاث فلما أطلق عقاله الا وهو قائم سمعت غطفان بما فعل قريش فاستمرروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كافي أمشي في حمام فأنتبه وهو قائم صلى فلما سلم أخبرته فضحك حتى بدت أنيابا في سواد الليل فلما أخبرته ففرغت قررت وذهب عني الدفا فادفاني النبي صلى الله عليه وسلم فأنامني عند رجليه وألقى على طرف ثوبه وأصق صدرى بيطن قدميه فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يا فوماك فذلك قوله عز وجل (اذجاؤكم من فوقكم) أي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ومعهم طلحة بن خويلد الأسدي في بني أسد وحبي ابن أخطب في يهود قريظة (ومن أسفل منكم) يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم أبو سفيان بن حرب من قريش ومن تبعه وأبو الاعور عمرو بن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان الذي جرعوه الخندق فيما قبل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النصير من ديارهم (واذ اغت الا بصار) أي مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شيء فلم تنظر الى عدوها (وبلغت القلوب الحناجر) أي زادت عن أمانها حتى بلغت الحلقوم من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف وقيل معناها أنهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تفتخ رثته واذا انتفخت رثته رفعت القلب الى الحنجرة فلهم هذا يقال للجبان انتفخ سحره (وتظنون بالله الظنون) أي اختلعت الظنون بالله فظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه وظن المؤمنون النصروا الظفر لهم (هناك ابني المؤمنين) أي عند ذلك اختبر المؤمنون بالحصر والقتال ليتبين المخلصون من المنافقين (وزلوا زلا الشديدا) أي حركوا حركته شديدة (واذ يقول المنافقون) يعني معتب بن قشير وقيل عبد الله بن أبي وأصحابه (والذين في قلوبهم مرض) أي شك وضعف اعتقاد (ما وعده الله ورسوله الا غرورا) هو قول أهل الذفاق بعد ما فتح قصور الشام وفارس وأخذ نالاي يستطيع أن يجاوز رحله هذا هو الغرور قوله تعالى (واذ قالت طائفة منهم) أي من المنافقين وهم أوس بن قيطن وأصحابه (يا أهل يثرب) يعني يا أهل المدينة وقيل يثرب اسم الأرض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العمالق كان قد نزلها في قديم الزمان وفي بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم نهي ان تسمى المدينة يثرب وقال هي طيبة كانه هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقريع والتوبيخ (لا مقام لكم) أي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه (فارجعوا) أي الى منازلكم وقيل عن اتباع محمد صلى الله عليه

(٦١ - خازن ثالث) وحركوا بالخوف تحريكاً بايعا (واذ يقول المنافقون) عطف على الاول (والذين في قلوبهم مرض) قيل هو وصف المنافقين بالواو وقوله الى الملك القرظ وابن الهمام هو ابيات الكتبية في المزدحم وقيل هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان المنافقون يستعملونهم بادخال الشبهة عليهم (ما وعده الله ورسوله الا غرورا) روى ابن معتب بن قشير حين رأى الاحزاب قال بعد ما فتح فارس والروم وأخذ نالاي يقدرون تبرز فقام هذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) من المنافقين وهم عبد الله بن أبي وأصحابه (يا أهل يثرب) هم أهل المدينة (لا مقام لكم) وبضم الميم فخص أي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه أو يقيمون (فارجعوا) عن الاعيان

الى الكفر أو من عسكر رسول الله الى المدينة (ويستأذن فريق منهم النبي) أي بنوحارثة (يقولون ان بيوتنا عورة) أي ذات عورة (وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا) العورة الخلل والعورة ذات العورة وهي قراءة ابن عباس يقال عور المكان عورا اذا بدا منه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم عرضة للعدو والسارق لانها غير محصنة فاستأذنه ليصنعوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار من القتال (ولودخلت عليهم) المدينة أو بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره (من أقطارها) من جوانبها أي ولودخلت هذه العساكر المتخربة التي يفرون خوفا منها مدينتهم أو بيوتهم من فواحشها كلها وانتالت على أهلكهم وأولادهم ناهيين سابين (ثم سئلوا) عند ذلك القزع (الفتنة) أي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين (لا توها) لا تعطوها لا توها (لا) مدحجزي أي لجأوها وقبولها (وماتلبسوا بها) باجابتها (الاي سرا) ريثما يكون

وسلم وقيل عن القتال (ويستأذن فريق منهم النبي) يعني بني حارثة بنى سلمة (يقولون ان بيوتنا عورة) أي خالية ضائعة وهي مما يلي العدو ويخشى عليهم السراق فكذبهم الله تعالى بقوله (وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا) أي انهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار من القتال (ولودخلت عليهم من أقطارها) يعني لودخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب من فواحش المدينة وجوانبها (ثم سئلوا الفتنة) أي الشرك (لا توها) أي لجأوها وقبولها ورجعوا عن الاسلام (وماتلبسوا بها) أي ما احتسبوا عن الفتنة (الاي سرا) أي لا سرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به نفوسهم وقيل معناه وما أقاموا بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قبلا حتى يهلكوا (وقوله عز وجل) (ولقد كافوا عاهدوا الله من قبل) أي من قبل غزوة الخندق (لا يقولون الا دبار) أي لا ينهزمون قبلهم بنوحارثة هم يوم أحد ان يشعروا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها وقيل هم أناس غابوا عن وقعة بدر فلما رأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن أشهدنا الله قتالنا لانتقلنا فساق الله اليهم ذلك (وكان عهد الله مولا) أي عنده في الآخرة (قل ان ينفعكم القرار ان فررتم من الموت أو اقتل) يعني الذي كتب عليكم لان من حضر أجله مات أو قتل لا بد من ذلك (واذا لا تغتصون) أي بعد الفرار (الا قبلا) أي مدة آجالكم وهي قليل (قل من ذا الذي يعصمكم) أي يمنعكم (من الله ان أراد بكم سوءا) أي هزيمة (أو أراد بكم رحمة) أي نصرا (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) أي ناصر يمنعهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي المشبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والفائزين لاخوانهم هم البنا) أي ارجعوا اليها وعوا محمد صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه الحرب فانما تخاف عليكم الهلاك قيل هم أناس من المنافقين كانوا يبتطون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون انهم ما محمد وأصحابه الا كثر رأس ولو كانوا الحمالا لانهم هم أي ابتلعهم أبو سفيان وأصحابه دعوا الرجل فانه هالك رقبيل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود أرسلت اليهم ما الذي يحملككم على قتل أنفسكم يسد أبي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدوا فانشق عليكم فاتم اخواننا وجيراننا هلموا البنا فاقبل عبد الله بن أبي بن سؤل وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم يابى سفيان ومن معه وقالوا لئن قدر اليوم عليكم لم يستبق منكم أحدا اما ترجعون عن محمد ما عندكم خير ما هو الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعني اليهود فلم يزدوا المؤمنين بقول المنافقين الا اعيانا واحسابا (وقوله تعالى) (ولا يأتون البأس) يعني الحرب

السؤال والجواب من غير توقف أو ما لبثوا بالمدينة بعد اذ ردهم الا يسيرا فان الله يملكهم والمعنى انهم يتعطلون باعورار بيوتهم ليقروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافحة الاحزاب الذين ملؤهم هولاء ورجبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كوفوا على المسلمين اسارعوا اليه وما نهملوا بشئ وما ذلك الا ليقنعهم الاسلام وحبه الكفر (واقطعوا عاهدوا الله من قبل) أي بنوحارثة من قبل الخندق أو من قبل نظرهم الى الاحزاب (لا يقولون الا دبار) منزهين (وكان عهد الله مولا) مطلوبا مقتضى حتى يوفى به (قل ان ينفعكم القرار

ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تغتصون الا قبلا) أي ان كان حضر أجلكم لم ينفعكم الفرار وان لم يحضر وفررتم لعتة وفي الدنيا الا قبلا وهو مدة أعماركم وذلك قليل وعن بعض المروانية انه من محاط ما تل فاسرع فقلت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب (قل من ذا الذي يعصمكم من الله) أي مما أراد الله انزاله بكم (ان أراد بكم سوءا) في أنفسكم من قتل أو غيره (أو أراد بكم رحمة) أي اطالة عمر في عافية وسلامة أو من منع الله من ان يرجحكم ان أراد بكم رحمة لما في العصمة من معنى المنع (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) ناصر (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي من يعوق عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يمنعهم المنافقون (والفائزين لاخوانهم هم البنا) أي قربوا أنفسكم اليها وعوا محمد وأهل الحجاز فانهم يسوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هم يارب رجل وهلموا يا رجال وهو صون سبي بفعل متعد نحو احضر وقرب (ولا يأتون البأس) أي الحرب

(الاقبلا) الا تبا فلبلا أى يحضرون ساعة رياء ويهفون قليلا ثم يصر فون (أشعة) جمع صبح وهو الجبل نصب على الحال من الضمير فى بأنون أى بأنون الحرب بخلاء (عليكم) بالظفر والغنية (فإذا جاء الخوف) من قبل العدو أو منه عليه السلام (رأيتهم ينظرون البلى) فى تلك الحالة (تدور أعينهم) عينا وشمالا (كالذى يغشى عليه من الموت) كأنظر المتغشى عليه من معالجة مكرات الموت حذرا وخوفا ولذا بال (فإذا ذهب الخوف) زال ذلك الخوف وأمنوا وخرزت الغنائم (ساقوكم بالسنة حداد) خاطبوكم مخاطبة شديدة وأذوكم بالكلام خطيب مسلح فصيح ورجل مسلح مبالغ فى الكلام أى يقولون وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقالنا معكم وبكنانا غلبتم عدوكم (أشعة على الخير) أى خاطبوكم أشعة على المال والغنية وأشعة حال من فاعل (ساقوكم) أولئك لم يؤمنوا (فى الحقيقة بل بالالسنه) فأجسط الله أعمالهم (أبطل بأضمارهم المكفر ما أظهروه من الاعمال) (وكان ذلك) اجباط أعمالهم (على الله يبرأ) هينا (محبوبون الاحزاب لم يذهبوا) أى لجنهم نظنوت ان الاحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع انهم قد انصرفوا (وان بات الاحزاب) ثابته (يودوا لو أنهم يادون فى الاعراب) البادون جمع البادى أى يقبى المساقون لجنهم اهم خارجون من المدينة الى البادية حاصلون بين الاعراب بأنمواعلى أنفسهم ويعتزلوا مما فيه الخوف من القتال (يسألون) كل قادم منهم من جانب المدينة (عن أنباتكم) عن أخباركم وعما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال (ماقاتلوا الاقبلا) رياء وسعة (قد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) بالضم حيث كان عاصم أى قدوة

(الاقبلا) أى رياء وسعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا (أشعة عليكم) أى بخلاء بالنفقة فى سبيل الله والنصرة وصفهم الله بالبخيل والجبين (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون البلى تدور أعينهم) أى فى رؤسهم من الخوف والجبين (كالذى يغشى عليه من الموت) أى كدوران عين الذى قرب من الموت وغشيه أسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف (فإذا ذهب الخوف) أى زال (ساقوكم) أى أذوكم ورموكم فى حالة الامن (بالسنة حداد) أى ذرية تفعل كفعل الحديدي قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقيل بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شاهدنا معكم القتال فلم تستم بأحق بالغنية منا فهم عند الغنية أشجع قوم وعند الحرب أجبين قوم (أشعة على الخير) أى يشاحون المؤمنين عند الغنية فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخبر المال (أولئك لم يؤمنوا) أى لم يؤمنوا حقيقة الايمان وان أظهروا الايمان لفظا (فأجسط الله أعمالهم) أى التى كانوا يأتون بها مع المسلمين قبل هى الجهاد وغيره (وكان ذلك على الله يبرأ) أى احباط أعمالهم مع ان كل شئ على الله يسير ﴿قوله تعالى﴾ (محبوبون) يعنى هؤلاء المنافقين (الاحزاب) يعنى فرسنا وعطفان واليهود (لم يذهبوا) أى لم ينصرفوا عن قتالهم جبنافروا وقد انصرفوا عنهم (وان بات الاحزاب) أى يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب (يودوا لو أنهم يادون فى الاعراب) أى يمتنون لو أنهم كانوا فى بادية من الاعراب من الجبن والخوف (يسألون عن أنباتكم) أى عن أخباركم وما آل اليه أمركم (ولو كانوا فيكم) يعنى هؤلاء المنافقين (ماقاتلوا الاقبلا) يعنى شاكلون قليلا يفخون به عذرهم فيقولون قدوة لنا معكم وقيل هو الرعى بالجحارة وقيل رياء من غير احتساب ﴿قوله﴾ عز وجل (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) أى قدوة صالحة أى اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تنصروا دين الله فتوازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ قد كسرت ربا عيته وبرح وجهه وقيل معناه وأردى بضروب الاذى فصبر رواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته (لمن كان يرجو الله) يعنى ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله (اليوم الآخر) يعنى ويخشى يوم البعث الذى فيه الجزاء (وذكر الله كثيرا) أى فى جميع المواطن على السرا والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الاحزاب فقال تعالى (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) أى قالوا ذلك تسليحا لاهل الله وتصديقا بوعد (وصدق الله ورسوله) أى فيما وعدا وهو فى مقابلة قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله ورسوله ليس اشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع واعا هو اشارة الى البشارة فى جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقيل انهم وعدوا ان

وهو المؤمنون أى المقصدى به كما تقول فى البيضة عشرون منا حديد أى هى فى نفسها هذا المبلغ من الحديد أو فيه خصله من حقا ان يؤتى بها حيث قابل بنفسه (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أى يخاف الله ويخاف اليوم الآخر أو يأمل ثواب الله يوم الآخر قالوا لمن يدل من انكم وفيه ضعف لانه لا يجوز البذل من ضمير المخاطب وقيل لمن يتعلق بحسنة أى اسوة حسنة كانه لمن كان (وذكر الله كثيرا) أى فى الخوف والرجاء والشد والرخاء (ولما رأى المؤمنون الاحزاب) وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه بقوله أم حسبت ان ندخلوا الجنة ولما بأنكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله قريب فلما جاء الاحزاب واضطروا ورجعوا الرب الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) وعلموا ان الغلبة والنصرة قد وجبت لهم عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا محابة ان الاحزاب سائرون اليكم فى آخر تسع لبال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا لله معاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطيب

والبلاء (وما زادهم) ما رأوا من اجتماع الأحزاب عليهم وشجيتهم (الاعيانا) بالله وجوا عيده (وتسليما) لقضائه وقدره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي فيما عاهدوه عليه بخذف الجار كفي المثل صدقني سن بكره أي صدقني في سن بكره بطرح الجار وإبصال الفعل نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حرا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنوا أو فاقوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطهمة وسعد بن زيد وحزف ومصعب وغيرهم (فمنهم من قضى نحبه) أي مات شهيدا كحزف ومصعب وقضاء الحب صار عبارة عن الموت لأن كل حي من المحدثات لا بد له أن يموت فكانه نذر لازم (٢٨٤) في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه أي نذره (وممنهم من ينتظر) الموت أي على الشهادة

كعثمان وطهمة (وما بدلوا) العهد (تبدلا) ولا غيره المستشهد ولا من ينتظر الشهادة وفيه تعرض لمن بدلوا من أهل النفاق ومرض القلوب كما مر في قوله تعالى ولقد كافوا عاهدوا الله من قبل لا يؤمنون إلا بآبار (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) بوفائهم بالعهد (ويعذب المنافقين إن شاء) إذا لم يتوبوا (أو يتوب عليهم) إن تابوا (إن الله كان غفورا) بقبول التوبة (رحيما) بغفران الخوبة جعل المنافقون كأنهم قصدوا ما قبله السوء وأرادوا بتبديلهم كقصد الصادقون ما قبله الصدق بوفائهم لأن كلا الفريقين مسوق إلى ما قبله من الثواب والعقاب فكانهم استوفوا ما طلبوا واليه في تحصيلها (ورد الله الذين كفروا) الأحزاب (بغير ظن) حال أي مغطين كقوله تنبت بالدهن (لم ينالوا خيرا) ظفرا أي لم يفروا بالمسلمين وسماء خير أربعمهم

فلقهم شدة وبلاء فلما رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا هدا ما وعدنا الله ورسوله وصدقنا الله ورسوله (وما زادهم الا اعيانا) أي تصديقا لله (وتسليما) أي لا مية (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي قاموا بعاهدوا الله عليه ووفوا به (فمنهم من قضى نحبه) أي فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعني أجهل فقتل على الوفاء يعني حزة وأصحابه وقيل قضى نحبه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر أو أحد (وممنهم من ينتظر) يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الأمرين إما الشهادة أو النصر على الأعداء (وما بدلوا) يعني عهدهم (تبدلا) (ق) عن أنس قال قال عبي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهد في الله قتال المشركين ليرين الله ما صنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم اني أعوذ بالذي لم يصنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليهم ما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستشهد به سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني اجد رجوعا من دون أحد قال بعد ما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدناه بضعا وثمانين ضربة بالسيف وأطعنه برمح أو مية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مدد به المشركون فباعوه أحد الأختة بيننا قال أنس كنا نرى أن نؤن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه إلى آخر الآية (ق) عن خباب ابن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتس وجه الله فوقع أجرا على الله فنامن مات ولم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد ورتل غرة وكنا إذا غطيناها رأته بت رجلاه وإذا غطينا رجليه بدت رأسه فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغطي رأسه ونجعل على رجليه من الأذخر ومننا من أينعت له غرته فهو يومئذ في الغرة كساء ملون من صوف وقوله ومننا من أينعت أي أدركت ونضجت له غرته وهذه استعاره لما فتح الله لهم من الدنيا وقوله هدم أي يحميها ويحفظها عن أي مومي ابن طلحة قال دخلت على معارية فقال ألا أشرك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب (خ) عن قيس بن أبي حازم قال رأيت يد طلحة تلاءم وفيها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقوله عز وجل (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) أي جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد (ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) أي فيهدمهم إلى الأبدان ويشرح لهم صدورهم (إن الله كان غفورا رحيما) الذين كفروا الذين كفروا أي من قريش وخطفان (بغير ظن) أي لم يشك صدورهم بغير ما أرادوا (لم ينالوا خيرا) أي ظفرا (وكان الله قويا) أي في ملكه (عزيرا) أي في انتقامه (قوله تعالى) وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب أي عاؤوا الأحزاب من قريش وخطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة (من صياصيم) أي من حصونهم ومعاقلهم واحدا صياصبة

وهو حال أي غير ظافر (وكنى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا عزيرا) (وقد ذن) قادرا غالباً (وأنزل الذين ظاهروهم) عاؤوا الأحزاب (من أهل الكتاب) من بني قريظة (من صياصيم) من حصونهم الصياصبة ما تحصن به روى ابن جبريل عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صليبة الليلة التي أنهمز فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا أسلحتهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فقال يا رسول الله إن الله يأمرك بالمشير إلى بني قريظة وأنا أمركم عليهم فإن الله قد أهدى قبلك الميضي على الصغار أنهم لكم طعمة فأذن في الناس أن من كان سامعا مطعفا فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة فخاصروهم خمسا وعشرين ليلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فأبوا فقال

(وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف (فريقا تقتلون) يعني الرجال يقال كانوا استماتة (وتأسرون فريقا) يعني النساء والذراري يقال كانوا سبع مائة قبل وخمسين (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضالم تطوها) يعني بعد قبل هي خيبر ويقال إنها مكة وقيل فارس والروم وقيل هي كل أرض تفتح على المسلمين إلى يوم القيامة (وكان الله على كل شيء قديرا)

يؤذ كرغزة بني قريظة

قبل كانت في آخر ذي القعدة سنة خمس وعلى قول البخاري المتقدم في غزوة الخندق عن موسى بن عقبة أنها كانت في سنة أربع قال العلماء بالسير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصبح من المدينة التي انصرفوا إليها راجعين إلى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الخندق إلى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم منعه ما به مائة من استبرق على بغلة بيضاء عليهم أرقامه وأعطاه من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زيب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ما وضعت السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت إلا الآن الامن طالب القوم وروى أنه كان الغبار على وجهه جبريل وفرسه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال ان الله تعالى بأمرئك بالمسير إلى بني قريظة وأنا معك في قريظة فأنزل إليهم فأتى قريظة ففتح أبوابهم وتركهم في زوال ولبال فأمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا فاذن ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني أبي طالب برأيه اليهم وانذرهم الناس وسار على حتى اذا دنا من الحصون سمع منها مقالة فيهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاطري فقال يا رسول الله لا علينا ان لا ندنو من هؤلاء الاخايب قال أظنك سمعت لي منهم أذى قال نعم يا رسول الله قال لو قدر أني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان انقروا قد أنزلكم الله وأنزل بكم نعمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا ومروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصوابين قبل أن يصل إلى بني قريظة فقال هل منكم أحد فقالوا يا رسول الله هي بناديس بن خليفه على بغلة بيضاء عليهم أرقامه وأعطاه من ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل عليه السلام بعث إلى بني قريظة برزلكم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على ثمر من آبارها في ناحية أموالهم ولاحق به الناس فأناه رجال بعد صلاة العشاء الأخيرة فلوصلوا العصر لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد العصر الا في بني قريظة فصلى العصر بعد العشاء الأخيرة فباعهم الله بناديس بن خليفه فقال صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حي بن اخطب دخل على بني قريظة حصونهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وروى لكعب بن أسد ما كان عاهدهم فلما أيقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يباجزهم قال لكعب بن أسد يا معشرهم ودانكم قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلا لا ثلاثا فخذوا أيها شتم قالوا وما هن قال تناسع هذا الرجل وانصددقه فوالله لقد بين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجرونه في كلكم فتأمنون على دياركم وأموالكم وابنائكم ونساءكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا أبيتم هذه فله قتل ابناؤنا ونساءنا ثم يخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيف ولا تترك وراءنا قلاعنا حتى يحكمكم الله بيننا وبين محمد فان نزلت عليكم ولم تترك وراءنا شيئا نخشى عليه وان نأخر فلعمري لنقتلن النساء والابناء قالوا لا نقبل هؤلاء المساكين فأتى

على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم ونسبي ذرارهم ونساءهم فكتب النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقد همهم فضرب أعناقهم وهم من غمامة إلى نسبهم مائة وقبل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف وبغض العين شامى وعلى ونصب (فريقا) بقوله (تقتلون) وهم الرجال (وتأسرون فريقا) وهم النساء والذراري (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم) أي المواشي والنقود والامعة فروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للهاجرين دون الانصار وقال لهم انكم في منازلكم (وأرضالم تطوها) بقصد القتال وهي مكة أو فارس والروم أو خيبر أو كل أرض تفتح إلى يوم القيامة (وكان الله على كل شيء قديرا) قادرا

العيش بعدهم خير قال فان آيتم هذه الليلة ليلة السبت وانه صلى أن يكون محمداً وأصحابه قد آمنوا فأنزلوا
 فلهما أن يصيب من محمداً وأصحابه غرة قالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن يحدث فيه من قبلنا الا من
 قد علمت فاصابهم من المسخ ما لم يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه حازم ليلة من الدهر ثم
 انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث لنا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا
 حلفاء الاوس نستشيرهم في أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال
 والنساء والصبيان فيكون في وجهه فرق لهم فقالوا يا أبا لبابة اترى ان تنزل على حكم محمد؟ قال نعم وأشار
 بيده الى خلقه انه الذي قال أبو لبابة فوالله ما زلت قد ماى حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق
 أبو لبابة على وجهه ولم يأت النبي صلى الله عليه وسلم حتى ربط في المسجد الى عمود من حديد وقال والله
 لا أبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله لا يبطأ أرض بني قريظة أبداً ولا يراني الله في بلد
 قد خنت الله ورسوله فيه أبداً فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وابطأ عليه قال أما لو قد جاني
 لاستعفرت له فاما إذ فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله أنزل نوبه أبي لبابة
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يصلي فقلت ثم ضحكك يا رسول الله اضحك الله سنك قال تيب علي أبي لبابة فقلت الا أشركه بذلك يا رسول
 الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرته او ذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر
 فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه لبطأه فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده
 فلما امر عليه خارجا الى الصبح أطلقه قال ثم ان نعلبه بن سعيد وأسيدين سعيد بن عبيد واهم نفر من
 بني هذيل ليسوا من قريظة ولا النضير منهم من فوق ذلك هم بنوهم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها
 بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج في تلك الليلة عمرو بن السعدى القرظى فربح بحرس
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة الانصاري تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن
 السعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أغدر
 بمحمد صلى الله عليه وسلم أبداً فقال محمد بن مسلمة اللهم لا تحرمني من عثرات الكرام فخلى سبيله فخرج على
 وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري أين ذهب
 من أرض الله وقد كرر رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال ذلك رجل نجاه الله وفائه وبعض الناس يزعم
 انه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابت
 رمتة ملقاة ولا يدري أين ذهب فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة فلما أصبحوا أنزلوا على
 حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثب الاوس وقالوا يا رسول الله انهم موالي بنادون الخزرج وقد فعلت
 في موالي الخزرج بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصري
 قينقاع وكافوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمهم فساله اياهم عبد الله بن أبي اسود قريظي فسلم له فلما كلمه
 الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يا معشر الاوس أن يحكمكم فيهم رجل منكم قالوا بلى
 قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده في خيمة امرأه من
 المسلمين يقال لها ربيعة وكانت تدوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخذق اجعلوا له في خيمته ربيعة حتى
 أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة أتاه قومه فخموا له على حمار قد
 وطوا له وسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا أبا
 محمروا أحسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اغما ولا لذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال
 قد أنشدت لا تأخذ في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بني الاشهل فبقي

لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل اليهم سعد بن معاذ عن كليمه التي سمع منه فلما انتهى سعد إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال قوموا إلى سيدكم فأنزلوه فقاموا إليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قد ولاك مواليد فتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم
 قال وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فاني أحكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسيم
 الاموال وتسبي الذراري والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق
 سبعه أرفعه ثم اسس نزولوا فجلسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحرث من نساء بني التجرثم
 خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخذق بهم اخذوا ثيابهم ثم ذهب اليهم
 فضربت أعناقهم في تلك الخنادق يخرجهم ارسالا وفيهم عدو الله ورسوله حي بن خطب وكعب بن أسد
 رأس القوم وهم ستمائة أو سبع مائة والمكبر لهم يقول كانوا بين الثغائفة إلى الله عما نه وقد قالوا لكعب بن
 أسد وهم يذهبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا قال أفى كل موطن
 لا تعقلون الا ترون الداعي لا ينزع وان من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى
 فرغ منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأتى بجي بن أخيط عدو الله وعليه حلة تقاحية قد شققها عليه من
 كل ناحية كوضع الاغلة لأغلة لئلا يساهبها مجموعة يداه إلى عنقه فجعل فلما نظر إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال والله ما علمت نفسي في عداوتك ولكنك من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها
 الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر ومحمد كذبت على بني امريئيل ثم جلس فضرب عنقه وروى
 عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بني قريظة الا امرأه واحدة قالت والله انها لعندي تتحدث معي وتضحك
 ظهروا بطننا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسيف اذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت
 أنا والله قلت ويا لك مالكة قالت اقتل قتلت ولم قالت حسدا أنا حسدته قالت فانطلق بها فضرب عنقه واو كانت
 عائشة تقول ما أنسى عجباً منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت انها تقتل قال الواقدي وكان اسم المرأة
 بنانة امرأه الحكم القرظي وكانت قتلت خلافاً بين سويد قال وكان على والزبير يضربان أعناق بني قريظة
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك وروى محمد بن اسحق عن الزهري ان الزبير بن باطال القرظي
 ويكنى أبا عبد الرحمن كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعثت أخذه فجوزا نصيبه
 ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني قال وهل يجمل مثلي مثلك
 قال اني أريد أن أجزيك بيدك عندى قال ان الكريم يجزي الكريم قال ثم أتى ثابت إلى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندي يدوله على منه وقد أحببت ان أجزيه بها فذهب لي دمه
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمه
 قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
 أهله وأولاده فقال هم لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني امرأتك وولدك فهم لك
 فقال أهل بيت بالجزال مال لهم فباعواهم على ذلك فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماله
 يا رسول الله قال هو لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني مالك فهو لك فقال أي ثابت
 ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيه عذارى الحى كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا
 اذا سددنا وحا ميتنا اذا كررنا عزال بن شعوال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة
 وبني عمرو بن قريظة قال قتلوا قال فاني أسألك يسدي عندك يا ثابت الاما لحقتني يا قوم فوالله ما في
 العيش بعد هؤلاء من خير فمأنا بصارحتي ألقى الاحبة فقدمه ثابت فضربت عنقه فلما بلغ أبا بكر
 الصديق قوله حتى بقي الاحبة قال يلغاهم والله في نار جهنم خالد المخدأ أبا قال وكان رسول الله صلى الله

(٤٨٨) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَرُدُّونَ الْخَبَالَاتِ وَالْحُلُمَ** (أي السعة في الدنيا وكثرة الأموال) **فَقُلْ لِمَ تَرُدُّونَ الْخَبَالَاتِ وَالْحُلُمَ** (أي السعة في الدنيا وكثرة الأموال) **فَقُلْ لِمَ تَرُدُّونَ الْخَبَالَاتِ وَالْحُلُمَ**

عليه وسلم قد أُمِرَ بقتل من أثبت منهم ثم قسم أموال بني قريظة ونساءهم على المسلمين وأغرم في ذلك اليوم مائة الف دينار وسبوا الرجال فكانت القمار من ثلاثة أسهم سهمان للفرس ولأفارسه سهم وللراجل من ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وكان أول يوم وقع فيه النساء هتان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد إلى أنصاري أخا بني الأشهل يسألهما عن بني قريظة إلى نجد فباع بهما خميلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصطحق نفسه من نساءهم بمحنة بنت عمرو بن خناسة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فارق عمرها وفي ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس على أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل يتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فتركهوا وقد كانت حين سبها كرهت الإسلام وأبأت إلا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه بذلك من أمرها شيئاً هو بين أصحابه إذ سمع وقع ثعلبين خلفه فقال إن هذا الثعلبية بن شعبه يشتمني بالإسلام لمحنة فخافه فقال يا رسول الله قد أسلمت ومحنة فدمرته ذلك فلما قضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك أنه دعا عبداً أن يحكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم انك قد علمت أنهم يكن قوم أحب إلي أن أجاهد هم من قوم كذبوا رسولاك اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئا بقى له وإن كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فأقبضني اليك فانفجر كله فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حبيته التي ضربت عليه في المسجد قالت عائشة حفصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر قال الذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وإني لفي حجرتي قالت وكنا في كمال حال قال الله تعالى فيهم رجاء بينهم (خ) عن سلمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين أحلى الأحزاب ألا تنزوهم ولا يغزوهم ونحن نسير إليهم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له أعز جندُه ونصر عبيدُه وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده ﴿﴾ قوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجي كن كنن تردن الحياة الدنيا وزينتها معاينة أم كنن) أي متعة الطلاق (وأسر كن سر حاجلاً) أي من غير ضرر (وان كنن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجر عظيماً) سبب نزول هذه الآية أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألهن من عرض الدنيا شيئاً وطعن منه زيادة في الثقة وآذنه بغيرة بعضهن على بعض فنهجن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أن لا يفريقهن شهراً ولم يخرج إلى أصحابه فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لا أعلن لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أطلقهن قال لا قلت يا رسول الله أفيدخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فأقول فخرج بهم أنك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقصمت على باب المسجد وناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية ولورده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعنه الذين يستنبطونه منهم فكنت أنا استنبطت هذا الأمر وأنزل الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نساء وخمس من قريش وهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيب بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة وأربع غير قرشيات وهن زينب بنت جحش الأسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الحبشية وجويرية بنت الحارث المصطظمية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت أحبهن إليه فخيرها وفرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى القرع في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وباعنها على ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا تحلل لك النساء من بعد

يقوله لمن في المكان المرتفع
 لمن في المكان المستوطى
 ثم كثر حتى استوى في
 استعماله الا يمكنه ومعنى
 نعمالين قبلين باراد تمكن
 واختيار كس لاحد الامرين
 ولم يرد موضعن اليه
 بانفسهن كقوله قام يهدنى
 (أمتك) أعطين متعة
 الطلاق واستحب المتعة
 لكل مطلقة الا المفوضة
 قبل الوطء (وأمر حكن)
 وأطلقمكن (سراجيلا)
 لأمر ارفه أردن شيامن
 الدنيا من ثياب وزيادة
 نفسه وتغايير فمخ ذلك
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فنزلت قبل أبعاشه
 رضى الله عنها وكانت
 أحسن انه غفيرا قرأ
 عليها القرآن فاخاتوات
 الله ورسوله والدار الآخرة
 فووى القرح في وجه رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ثم
 اختار جميعهن اختيارها
 وروى انه قال لعائشة اني
 ذا كركك أمر اولا عليه
 أن لا يعلى فيه حتى
 تستأمرى أبويك ثم قرأ
 عليها القرآن فقالت أفي
 هذا أسأمر أبوي فاني أريد
 الله ورسوله والدار الآخرة
 وحكم التخيير في الطلاق أنه
 اذا قال لها اختارى فقالت
 اختارت نفسي ان تقع

زوجها اليقع شئ وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجا فواحدة رجعية وان اختارت نفسها (م)
فواحدة بالثقة (وان كنتين تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن) من البيان لا للتبعض (أجرا عظيما)

(م) عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا
 يباهلهم يؤذن لأحد منهم فأذن لابي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم جالسا وحوله نساؤه واجاسا كما يقال لا قولن شيئا أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
 يا رسول الله لقد رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقلت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه
 وسلم فقال هن حولي كما ترى سألتني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة فوجأ
 عنقها كلاهما يقول تسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده قلن والله لا نسأل رسول الله صلى
 الله عليه وسلم شيئا أبدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين حتى نزلت هذه الآية يا أيها النبي
 قل لا أراجلن أن كنن حتى يبلغ للمحسنت منكم أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة أتري أريد أن
 أعرض عليك أم أأحب أن لا تجلسي فيه حتى تستشيري أوبى لك قالت وما هو يا رسول الله فتسلا عليها
 الآية قالت أفيئد يا رسول الله أستشير أوبى بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر
 امرأة من نسائك بالذي قلت قال لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها أن الله لم يبعثني معنسا ولا متعنتا ولكن
 بعثني معلما ميسرا قوله واجبا أي مهتارا الواجب الذي أسكنه الله والمهم وعلمته الكفاية وقيل الوجوم الحزن
 قوله فوجأت عنقها أي دقتقه وقوله لم يبعثني معنسا ولا متعنتا المشقة والصعوبة (م) عن الزهري أن النبي
 صلى الله عليه وسلم أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهرا قال الزهري فاخبرني عروة عن عائشة قالت لما
 مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدأبي فقلت يا رسول الله
 أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن قال إن الشهر تسع وعشرون
 فصل في حكم الآية في اختلاف العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق إليهن حتى يقع بنفس
 الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق وإنما خبرهن على
 أنهن إذا اخترن الدنيا فارقهن أقوله تعالى فتعالين أمتعن وأسرحكن بديل أنهن لم يكن جوابهن على الفور
 وأنه قال لعائشة لا تجلسي حتى تستشيري أوبى لك وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب قوم
 إلى أنه كان تفويض الطلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقا بالتفريع على حكم الآية اختلاف أهل العلم
 في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس إذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء وإن
 اختارت نفسها يقع طلاق واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي وأصحاب
 الرأي إلا أن عند أصحاب الرأي يقع طلاقه بآئنه إذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد بن
 ثابت إذا اختارت الزوج يقع طلاق واحدة وإذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروى
 عن علي أنها إذا اختارت زوجها يقع طلاق واحدة وإذا اختارت نفسها فطلاقه بآئنه وأكثر العلماء على أنها
 إذا اختارت زوجها لا يقع شيء (ق) عن مسروق قال ما أبالي بنيت امرأتى واحدة أو مائة أو ألفا بعد أن
 تختارني ولقد سألت عائشة رضي الله عنها فقالت خير نارسل الله صلى الله عليه وسلم فيما كان طلاقا وفي
 رواية فاخترناه فلم يعد ذلك شيئا قوله تعالى (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) أي بعصبة
 ظاهرة قبل هو كقولهن لأن أشركت ليحبطن عملك لأن منهن من أنت بفاحشة فإن الله تعالى صان أزواج
 الأنبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة الشوز وسوء الخلق (بضعاف لها العذاب ضعفين)
 أي مثابين وسبب تضعيف العقوبة لهن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحررة على الأمة وذلك لأن نسبة
 النبي صلى الله عليه وسلم إلى غيره من الرجال كنسبة السادات إلى العبيد لكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم
 فكذلك أزواجه بالنسبة إلى غيره كنسبة الحررة إلى الأمة (وكان ذلك على الله يسيرا) أي عذابها
 (ومن يفت منكن لله ورسوله) أي تطع الله ورسوله (وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) أي مثلي أجر
 غير هاقيل الحسن سنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء

بأنساء النبي من يات منكن
 بفاحشة (بفاحشة مبينة) أي بعصبة
 القبح (مبينة) ظاهر فخشاها
 من بين عمنى تبين ويقض
 الباء مكى وأبو بكر قيل
 هي عصيان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 ونشوزهن وقيل الزنا
 والله عاصم رسوله من ذلك
 (بضعاف لها العذاب)
 بضعف لها العذاب مكى
 وشأى تضعف أبو عمرو
 ويريدون عقوب (ضعفين)
 ضعفى عذاب غيرهن من
 النساء لان ما قبح منهن
 سائر النساء كان أقبح منهن
 فزيادة قبح المعصية تتبع
 زيادة الفضل وليس لأحد
 من النساء مثل فضل نساء
 النبي صلى الله عليه وسلم
 ولذا كان الذم للعاصي
 العالم أشد من العاصي
 الجاهل لان المعصية من
 العالم أقبح ولذا فضل حد
 الأحرار على العبيد ولا يرحم
 الكافر (وكان ذلك) أي
 تضعيف العذاب عليهم
 (على الله يسيرا) هينا (ومن
 يفت منكن لله ورسوله)
 القنوت الطاعة (وتعمل
 صالحا نؤتها) وبالياء فيها
 حزة وعلى (أجرها مرتين)
 مثلى ثواب غيرها

(وأعندنا الهارزقا كرميا) جميل القدر وهو الجنة (بأنساء النبي استن كاحد من النساء) أي استن كجاعة واحدة من جماعات النساء إذا نصبت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساوي في الفضل واحدة في الأصل بمعنى واحد وهو الواحد ثم رضع في النبي العام مستويا فيه المذكور والمؤنث والواحد وما وراءه (ان اتقيين) ان أردن التقوى أو ان كنن متقيات (فلا تخضعن بالقول) أي اذا كنن الرجال من وراء الحجاب فلا تخجن بقولكن خاضعا لأي ليناختنا مثل كلام المربيات (فيطمع) بالنصب على جواب النبي (الذي في قلبه مرض) رغبة وبخود (وقلن قولنا معروفا) (٤٩٠) حسنا مع كونه خشنا (وقلن) مدني وعاصم غير هيبرة وأصله اقررن فحذفت

الراء تخفية أو أقيمت فتحتها على ما قبلها أو من قاريقار اذا اجتمع والباقيات قرن من وقري قسرو قارا أو من قري بقر حذفت الاولى من راءى أقررون فرارامن التكرار ونقلت كسرناها الى القاف (في يونسكن) بضم الياء بصرى ومدنى وحفص (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) أي القدعة والتبرج التبخر في المشى أو اظهار الزينة والتقدير ولا تبرجن تبرجا منسل تبهرج النساء في الجاهلية الاولى وهي الزمان الذي ولد فيه ابراهيم أو ما بين آدم وفوح عليهما السلام أو زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام أو الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام (وأقن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله) خص الصلوة والزكاة بالامر ثم عمم

العالمين (وأعندنا الهارزقا كرميا) يعني الجنة (بأنساء النبي استن كاحد من النساء) قال ابن عباس بر بدليس قدر كن عندى مثل قدر غير كن من النساء الصالحات أنن أكرم على وثو أبكن أعظم لدى (ان اتقيين) يعني الله فاطعته فان الاكرم عند الله هو الاتقي (فلا تخضعن بالقول) أي لانن بالقول للرجال ولا ترقن الكلام (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي فخور وشهوة وقيل نقان والمعنى لا تقبلن قول لا يجيد المناقاة والفاجر به سيئ لا الى الطمع فيمكن والمرأة مندوبة الى الغلظة في المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن (وقلن قولنا معروفا) أي بوجه الدين والاسلام عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى قوله عز وجل (وقلن في يونسكن) أي الزمان يونسكن وقيل هو أمر من الوقار أي كن أهمل وقار وكون (ولا تبرجن تبرج) قيل هو التكسر والتفنج والتجتر وقيل هو اظهار الزينة وباراز المحاسن للرجال (الجاهلية الاولى) قيل الجاهلية الاولى هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قبضا من الدر غير مخيط الجاهليين فيرى خلفها منه وقيل كان في زمن غرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي به وسط الطريق ليس عليه شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الاولى ما بين فوح وادريس وكانت ألف سنة وقيل ان بطنين من ولد آدم عليه الصلاة والسلام كان أحدهما يسكن السهل والاخر يسكن الجبل وكانت رجال الجبال صبا حار في النساء مائة وكان نساء السهل صبا حار في الرجال دمامة وان ابايس أتى رجلا من أهل السهل وأجره نفسه وكان يحدهم واتخذ شبيها مثل الذي يرميه الرعاة فحاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوالم فافهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال وتزين الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصبا حارن فأتى أصحابه فآخبرهم بذلك فقبحوا اليهم فقتلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل الجاهلية الاولى ما قبل الاسلام والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل قد نكر الاول وان لم تكن لها أخرى (وأقن الصلوة) أي الواجبة (وآتين الزكوة) أي المفروضة (وأطعن الله ورسوله) أي فيما أمر وفيما نهى (اغابر يد الله ليهذه عنكم الرجس) أي الاثم الذي نهى الله النساء عنه وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا وقيل الرجس الشئ وقيل السوء (أهل البيت) يظهركم تطهرا هم نساء النبي صلى الله عليه وسلم لانهم في بيته وهو رواية سبعين جبر عن ابن عباس وتلا قوله تعالى واذا كنن مايتلى في يونسكن من آيات الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدرى وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم الى أنهم على وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم يدل عليه ما روى عن عائشة أم المؤمنين قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجلس فأنت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء على فأدخله فيه ثم جاء الحسن فأدخله فيه ثم

جميع الطاعات تفضيلا لهما الان من واطب عليهما اجرتاه الى ما وراءهما (اغابر يد الله ليهذه عنكم الرجس أهل البيت) جاء نصب على النداء أو على المدح وفيه دليل على ان نساءه من أهل بيته وقال عنكم لانه أراد به الرجال والنساء من آله بدلالة (ويظهركم تطهرا) من نجاسة الاثام ثم بين انه اغسلهم وأمرهم ووعظهم اشلا يقارون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائتم ولينهصون فاعلموا بالتقوى واستعاروا للذنوب الرجس والتقوى الطهر لان عرض المقتري المقتضات يتساوون بها كما يتساوون بدنه بالارجاس وأما المحسنات فالعرض منها نقي كالنوب الطاهر وفيه تفير لا لولى الابواب عن المناهى وترغب لهم في الاوامر

النبي صلى الله عليه وسلم
مازل قال نساء المسلمين فما
زل فينا مئى فـنزلت (ان
المسلمين والمسلمات) المسلم
لداخل فى السلم بعد الحرب
المنقاد الذى لا يعاند أو
لمفوض أمره الى الله المتوكل
عليه من أسـلم وجهه الى
الله (والمؤمنين) المصدقين
بالله ورسوله وبما يجب
أن يصدق به (والمؤمنات
القائتين) القائمين بالطاعة
(والقائات والصادقين)
النيات والاقوال والاعمال
(والصادقات والصابرين
والصابرات) على الطاعات
وعن السيئات (والخاشعين
المتواضعين لله بالقلوب
والجوارح أو الخائفين
والخاشعات والمتصدقين
والمتصدقات) فـرضوا نفلا
(والصائمين والصائمات)
فـرضوا نفلا وقيل من تصدق
فى كل أسبوع بدينهم فهو
من المتصدقين ومن صام
البعض من كل شهر فهو من
الصائمين (والخافضين
فروجهم) عما لا يحل
(والحافظات والذاكرين
لله كثيرا) بالسبح والتحميد
والتلهيل والتكبير وقرأة
القرآن والاشتغال بالعالم من
الذكر والمعنى والحافظات
فروجهن (والذاكرات)
الله لحذف لدلالة ما تقدم

عليه والفرق بين عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين لان الاول نظير قوله نيبات رجبك افي انهما جازان مختلفان واشتركا في حكم واحد فلم يكن بدمن توسط العاطف بينهما واما الثاني فن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ومعناها ان الجامعين

لهم وان كان من حقه ان
 يوجد لان المذكورين
 وقعا تحت النسي فـ مماثل
 مؤمن ومؤمنة فـ رجوع الضمير
 الى المعنى لا الى اللفظ
 ويكون بالباء كوفي والخيرة
 ما يتخير ودل ذلك على ان
 الامر للوجوب (ومن يعص
 الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا
 مبينا) فان كان العصيان
 عصبيا ردوا متناع عن
 القبول فهو ضلال كفر
 وان كان عصبيا فعل مع
 قبول الامر واعتقاد
 الوجوب فهو ضلال خطأ
 وفسق (واذ تقول للذي
 انعم الله عليه) بالاسلام
 الذي هو أجل النعمة
 (وانعمت عليه) بالاعتناق
 والتبني فهو متقلب في نعمة
 الله ونعمة رسوله وهو زيد
 ابن حارثة (أمسك عليك
 زوجهك) زينب بنت جحش
 وذلك ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أبصرها بعد
 ما أنكحها آياه فسوكت في
 نفسه فقال سبحانه الله
 مقلب القلوب وذلك ان
 نفسه كانت تحفو عنها قبل
 ذلك لا تريد هاو سمعت زينب

والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات
ومن صلى فلم يعرف من عن عينه وعن شماله فهو داخل في قوله والخالشين والخالعات ومن تصدق في
كل أسبوع بدينار فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام في كل شهر أيام البيض وهي
الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عما
لا يحل فهو داخل في قوله والحاظنين فروجهن والحاظنات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل
في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات (أعد الله لهم مغفرة) أي يعوذونهم (وأجر عظيم) يعني
الجنة **قوله تعالى** (وما كان المؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الحيرة من
أمرهم) نزلت هذه الآية في زين بنت جحش الأسدية وأخيها عبد الله بن جحش وأمه ما أمية بنت
عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب زينب لمولاه
زينب بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتري زيد في الجاهلية بعكاظ وأعتقه وتبناه فلما
خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيته وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد بن
حارثة أبت وقالت أنا ابنة محمد يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي وكانت بيضا جيلة وفيها حدة وكذلك كره
أخوها ذلك فانزل الله تعالى وما كان المؤمن يعني عبد الله بن جحش ولا مؤمنة يعني أخته زينب إذا قضى
الله ورسوله أمر أي نكاح زيد لزينب أن تكون لهم الحيرة من أمرهم أي الاختيار على ما قضى والمعنى
أن يزيد غير ما أراد الله أو عتق مع ما أمر الله ورسوله به (ومن بعض الله ورسوله فقد ضللا مبيها) أي
أخطأ خطأ ظاهرا فلبس مع ذلك زينب وأخوها رضيا وسلبا وجعلت أمرها بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانكحها زيد وأدخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها عشرة دنانير وستين درهما وخمرا
ودعوا ملحة وخمسين مداما وطعاما وثلاثين صاعا من تمر **قوله عز وجل** (واذ تقول للذي أنعم الله عليه
وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) الآية نزلت في زينب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
زوجه من زيد مكثت عنده حينئذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيد ذات يوم لحاجة فابصر
زينب في درع وخمار وكانت بيضا جيلة ذات خاق من أم نساء قریش وقعت في نفسه وأعجبه حسنها
فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكر ذلك فظن زيد وألقى في نفسه كراهيتها
في الوقت وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني أريد أن أفارق صاحبتي فقال له مالك أرايت منها
شي قال لا والله يا رسول الله ما أيت منها الا خيرا وانكبتها تتعظم علي بشرها وتؤذي بلسانها فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله في أمرها ثم ان زيد أطلقها فذلك قوله عز وجل واذا
تقول للذي أنعم الله عليه أي بالاسلام وأنعمت عليه أي بالاعتناق وهو زيد بن حارثة مولاه أمسك عليك
زوجك يعني زينب بنت جحش (واتق الله) أي فيها ولا تنافرها (وتحفي في نفسك) أي تسرو وتضمر في نفسك
(ما الله بديه) أي مظهره قبل كان في قلبه لو فارقها تزوجها قال ابن عباس حبها وقيل ودأه ما طلقها
(وتحشي الناس) قال ابن عباس تشعبهم وقيل تخاف لانهم أن يقولوا أمر رجلا بالطلاق أمر أنه ثم

بالتسليمه فذكرتها ليدققن وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها الرسول الله فقال

لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اريد ان افارق صاحبتي فقال مالك ارايت منها شي قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا وراى كنهاته عظم على شرفها وتؤذي فقال له أم سلمة عليك زوجك (واق الله) فلا تطلقها وهو منى تنزيهه اذا الاولى ان لا يطلق أو واقع الله فلا تذهب بها بالنسبة الى الكبير وأذى الزوج (وتخفى في نفسك ما الله مبديه) أى تخفى في نفسك ان طلقها زيد وهو الذى أبداه الله تعالى وقيل الذى أخفى في نفسه تعلق قلبه بها ومودة مفارقة زيد اياها والواقعى وتخفى في نفسك (وتخشى الناس) أى قاله الناس انه تنكح امرأته

نكحها (والله أحق أن تخشاه) قال عمرو ابن مسعود عائشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه الآية وعن عائشة قالت لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي لكنتم هذه الآية واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

(فصل) فان قلت ما ذكره في تفسير هذه الآية وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما رآها وادته طلاق زيد لها فيه أعظم الحرج وما لا يليق عنه صلى الله عليه وسلم من مدعيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا قلت هذا أقدم عظيم من قائله وقوله معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل رآها منذ ولدت ولا كان النساء يحجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها زيد فلا يشك في نزول النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يأمر زيد أبامسا كها وهو يحب طليقة أباه كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في هذا الباب ما روى عن سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألت زين العابدين علي بن الحسين قال ما يقول الحسن في قوله تعالى وتختفي في نفسك ما الله مبدي وتختفي الناس والله أحق أن تخشاه قلت يقول لما جاء زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني أريد أن أطلق زينب أعجبه ذلك وقال أمست عليك زوجك وانتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك فان الله عز وجل قد أعلم أنه استكون من أزواجه وان زيد أسيطنقها فلما جاء زيد قال اني أريد أن أطلقها قال له أمست عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت أمست عليك زوجك وقد أعلمت أنك استكون من أزواجك وهذا هو الأولى والأليق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير نزويجها منه فقال تعالى زوجنا كها فلما كان الذي أضره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها أو أرادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز أن يخبر أنه يظهر ثم يكتمه ولا يظهره فدل على انه انما عتب على اخفاء ما أعلمه الله انما استكون زوجته وانما أخفى ذلك استجبا أن يخبر زيدا ان التي تحتك وفي نكاحك استكون زوجتي وهذا قول حسن مرضي وكم من شيء يحفظ منه الانسان ويستحي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلبا الى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين وهو انما جعل الله طلاق زيد لها ونزويج النبي صلى الله عليه وسلم أباهما لانه لا حرمة التنبى وابطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيانهم فان قلت فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيد بامسا كها قلت هو ان الله تعالى أعلم نبيه أنه ازوجه فنها النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فامر الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لامته وقيل كان في أمره بامسا كها فعلا للشهوة ورد النفس عن هواها وهذا اذا جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لوطلقها زيد ومثل ذلك لا يقدح في حال الانبياء مع أن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء وان رآها خفا فاستحسنها ومثل هذه لا تنكر فيه لما طبع عليه البشر من استحسن الحسن ونظرة الفجأة معفو عنها ما لم يقصد ما عاين الود وميل النفس من طبع البشر والله أعلم وقوله أمست عليك زوجك وانتق الله أمر بالمعروف وهو حسن لا اثم فيه وقوله والله أحق أن تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام قد قال أنا أخشاكم لله وأنتا كمله ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله أحق بالخشية في عموم الاحوال في جميع الاشياء في قوله عز وجل (فلما قضى زيد منها وطرا) أي حاجته منها ولم يبق له فيها أرب وتقاصرت همته عنها وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها واذ كرقضاء الوطرا ليعلم ان زوجه المتنبى تحل بعد الدخول بها (زوجنا كها) قال أنس كانت زينب تفقر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول

(والله أحق أن تخشاه)
واوالحال أي تقول لزيد
أمست عليك زوجك مخفيا
في نفسك ارادة أن لا يسكها
وتختفي خاشيا قاله الناس
وتختفي الناس حقيقا في
ذلك بأن تخشى الله وعن
عائشة رضي الله عنها لو كنتم
رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيئا مما أوحى اليه
لكتم هذه الآية (فلما
قضى زيد منها وطرا) الوطرا
الحاجة فاذا بلغ البالغ
حاجته من شيء فيه همه
قيل قضى منه وطره والمعنى
فلما لم يبق لزيفها حاجة
وتقاصرت عنها همته
وطلقها وانقضت عدتها
(زوجنا كها) روى انها
لما عادت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لزيد
ما أجدا احدا أوفق في نفسه
منك اخطب على زينب
قال زيد فانطلقت وقلت
يا زينب اشمري أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يخطبك ففرحت وتزوجها
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ودخل بها وما أولم على
امرأة من نسائه ما أولم
عليها اذ خرج شاة وأطعم الناس
الخبز والتمر حتى امتد النهار

(لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا) قبل قضاء الوطر ادراك الحاجة وبلوغ المراد منه (وكان أمر الله) الذي يريد ان يكونه (مفعولا) مكنونا لا محالة وهو مثل لما أرادك ونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله) أحل له وأمر له وهو نكاح زينب امرأته زيد أو قدر له من عدد النساء (سنة الله) اسم موضوع موضع المصدر كفولهم ترايا وجدلا مؤكدا لقوله (٤٩٤) ما كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين

وهو ان لا يخرج عليهم في الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهاجرو السمراري وكانت لداود مائة امرأة وثلاثمائة مربية ولسليمان ثلثمائة حرة وسبع مائة مربية (في الذين خلوا من قبل) في الانبياء الذين مضوا من قبل (وكان أمر الله قدرا مقدورا) قضاء مقضيا وحكما مبسوتا ولا وقف عليه ان جعلت (الذين يبلغون رسالات الله) بدلا من الذين الاول وقف ان جعلته في محل الرفع أو النصب على المدح أي هم الذين يبلغون أو أعني الذين يبلغون (ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله) وصف الانبياء بأنهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه (وكفى بالله حسيبا) كافيا للمعارف ومحاسبا على الصغيرة والكبيرة فكان جدرا بأن تخشى منه (ما كان محمدا بأحد من رجالكم)

زوجكن آبائكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من امرأة من نساءك نذل بن جدى وجدك واحد وانى أنك تحبنيك الله في السماء وان السفيبر يبريل عليه السلام (م) عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يذ اذهب كرها على قال فانطلق زيد حتى أتاهها وهي تخجرجعها قال فلما رأيتها عظمت في صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر اليه الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليها طهرى ونكحت على عقي فقلت يا زينب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي فقامت الى مسجد ها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال فلقدرأ يتنان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حتى امتدنا ثم اخرج الناس وبقي أناس يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتابع حجر نساءه يسلم عليهم ويقبل يارسول الله كيف وجدت أهلا قال فإدري أنا أخبرته ان القوم قد خرجوا أم غيرى قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت لادخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الجلب (ق) عن أنس قال ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على شئ من نساءه ما أولم على زينب أولم بشاة وفي رواية أكثر وأفضل ما أولم على زينب قال ثابت بن أوفى قال أطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه قوله عز وجل (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) أي اسم (في أزواج أدعيائهم) جمع الدعي وهو المتبني (إذا قضوا منهن وطرا) يقول زوجناك زينب وهي امرأته زيد الذي كنت تبنيه ليعلم ان زوجة المتبني حلال للمتبني وان كان قد دخل بها المتبني بخلاف امرأته ابن الصلب فانها لا تحل للاب (وكان أمر الله مفعولا) أي قضاء الله ماضيا وحكما نافذا وقد قضى في زينب أن تزوجه ازسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله) أي فيما أحل الله له من النكاح وغيره (سنة الله في الذين خلوا من قبل) معناه سن الله سنة في الانبياء وهو أن لا حرج عليهم في الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره فانه كان لهم المحاررو السمراري فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان ثلثمائة امرأة وسبع مائة مربية فكذلك سن لمحمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أي قضاء مقضيا ان لا حرج على أحد فيما أحل له ثم أتى الله تعالى على الانبياء بقوله (الذين يبلغون رسالات الله) أي فرائض الله وسنته وأوامر ونواهيها الى من أرسلوا اليهم (ويخشونه) أي يخافونه (ولا يخشون أحدا الا الله) أي لا يخافون قالة الناس ولا تخشهم فيما أحل لهم وفرض عليهم (وكفى بالله حسيبا) أي حافظا لاعمال خلقه ومحاسبا لهم قوله عز وجل (ما كان محمدا بأحد من رجالكم) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امرأته ابنه فانزل الله ما كان محمدا بأحد من رجالكم يعني زيد بن حارثة والمعنى انه لم يكن أبأرجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح فان قلت قد كان له أبناء اقسام والطيب والطاهر وبرايم وقال الحسن ان ابني هذا سيد قلت قد أخرجوا من حكم النبي بقوله من رجالكم وهو لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل أراد بالرجال الذين لم يلد لهم (ولكن رسول الله) أي ان كل

أي لم يكن أبأرجل منكم حقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح والمراد من رسول رجالكم البالغين والحسن لم يكونا بالغين حينئذ والطاهر والطيب والقاسم وبرايم نوقاصيانا (ولكن) كان (رسول الله) وكل رسول أجماعه فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والتضيعة لهم عليه لاق سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء وزيدوا أحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمهم بحكمهم والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير

(وخاتم النبيين) بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع أي آخرهم يعني لا نبيا بعده وعيسى ممن نبى قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كأنه بعض أمته وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقوية قرأته ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين (وكان الله بكل شيء علما) أي أمم الذين آمنوا إذ كروا الله ذكرا كثيرا (اثنا وعشرين) بضرب الشاؤوا كثروا ذلك (وسبحوه بكرة) أول النهار (وأصليا) آخر النهار وخصا بالذكرا لأن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما وعن قتادة قولوا (٩٥) سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله

أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والاعلان أي اذكروا الله وسبحوه موجهات إلى البكرة والأصلي كقولنا صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكروا واختص من بين أنواعه اختصاصا جبريل وميكائيل من بين الملائكة إبانة لفضله على سائر الأذكار لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات وإجاز أن يراد بالذكروا كثاره تكثير الطاعات والعبادات فأنما من جملة الذكروا ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وهي صلاة الفجر وأصلا وهي صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أو صلاة الفجر والعشاء (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) لما كان من شأن المصلي أن يعطف في ركوعه وسجوده واستعبر لمن يعطف على غيره خنوا عليه وتروفا كعائذ المرء في إعطافه عليه والمرأة في خنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والتروف ومنه

رسول هو أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه (وخاتم النبيين) ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده أي ولا معه قال ابن عباس يريد أول أختم به النبيين لجمعته إلى نبينا يكون بعده نبيا وعنه قال إن الله لما حكم أن لا نبى بعده لم يعطه ولدا إذ كرا يصير رجلا (وكان الله بكل شيء علما) أي دخل في علمه أنه لا نبى بعده فإن قلت قد صح أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان بغيره محمد صلى الله عليه وسلم ومصابيا إلى قبلته كأنه بعض أمته (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بئبئنا فأحسنته وأجعله الأموضع لبننة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون ويستحبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبننة فأنا اللبننة وأنا خاتم النبيين وعن جابر بن شجرة وفيه جنت نخدت الأنبياء (ق) عن جابر بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله الكفر بي وأنا الطاهر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيم (م) عن أبي موسى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا الملقني وأنا الماحي ونبي التوبة ونبي الرحمة الملقني هو المولى الذاهب يعني آخر الأنبياء المتبع لهم فإذا نفي فلا نبى بعده قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذرا لها في حال العذر غير الذي كرهناه لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدنا في تركه إلا مغلوبا على عقله وأمرهم به في الأحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا يعني بالليل والنهار في البر والبحر وفي الجمعة والسجدة وفي السر والعلانية وقبل الذكروا الكثير أن لا ينساه أبدا (وسبحوه) معناه اذكروا عظمته ينبغي لكم أن يكون ذكركم إياه على وجه التعظيم والتعزير عن كل سوء (بكرة وأصليا) فيه إشارة إلى المداومة لأن ذكر الطرفين يفهم منه الوسط أيضا وقيل معناه صلواته بكرة صلاة الصبح وأصلا يعني صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقيل معنى سجدوه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله زاد في نسخة العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن أخواته والمراد بقوله كثير هذه الكلمات يقولها الظاهر والجنب والطائفة والحديث (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقيل الصلاة من الله على العبد هي إشاعة الذكرا الجليل له في عبادته والثناء عليه قال أنس لما نزل أن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الأوقد أشركنا فيه فأنزل الله هذه الآية (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) يعني أنه برحمته وهدايته ودعاه الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان (وكان بالمؤمنين رحيما) فيه إشارة لجميع المؤمنين وإشارة إلى أن قوله يصلي عليكم غير مختص بالسامعين وقت الوحى بل هو عام لجميع المسلمين (تحيتهم) يعني تحية المؤمنين (يوم يلقونه) أي يرون الله يوم القيامة (سلام) أي يسلم الرب تعالى عليهم ويسلمهم من قواهم صلى الله عليه وسلم أي ترحم عليهم وترأف والمراد بصلاة الملائكة قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا الكونهم مستجابا للدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويتأف حين يدعوكم إلى الخير ويأمركم بالكثير الذي تروا وتوقروا على الصلاة والطاعة (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) هو دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة وروى أنه لما نزل أن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الأوقد أشركنا فيه فنزلت (تحيتهم) من إضافة المصدرا إلى المفعول أي تحية الله لهم (يوم يلقونه) بروحه (سلام) بقول الله تبارك وتعالى إلى السلام عليكم

قواهم صلى الله عليه وسلم أي ترحم عليهم وترأف والمراد بصلاة الملائكة قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا الكونهم مستجابا للدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويتأف حين يدعوكم إلى الخير ويأمركم بالكثير الذي تروا وتوقروا على الصلاة والطاعة (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) هو دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة وروى أنه لما نزل أن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الأوقد أشركنا فيه فنزلت (تحيتهم) من إضافة المصدرا إلى المفعول أي تحية الله لهم (يوم يلقونه) بروحه (سلام) بقول الله تبارك وتعالى إلى السلام عليكم

(وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة (يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهدا) على من بعثت إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أي مقبول أو لا يكون عند الله لهم وعليهم كأي قبل قول الشاهد العدل في الحكم وهو حال مقدرة كما تقول مررت برجل معه صفر صا أدا به أي مقدر ربه الصبيد غدا (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين بالنار (وداعيا إلى الله بأذنه) بأمره أو تيسيره والكل منصوب على الحال (وسراجا منيرا) جلا به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يحل ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به والجهور على أنه القرآن فيكون التقدير وذاسراج منير أو ونايلامسراجا منيرا أو وصف بالنار لأن من السراج مالا يضيء إذا قل ساطعه ودقت قبيلته أو شاهد الوحدانية وبمشرابرجتنا ونذيرا بنقمتنا وداعيا إلى عبادتنا وسراجا وجه ظاهرة لحضرتنا (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) أو بأعظيها (ولا تطع الكافرين والمنافقين) المراد به التهيج (٤٩٦) أو الدوام والثبات على ما كان عليه (ودع أذاهم) هو بمعنى الإيذاء فيجتمل أن يكون مضاعفا إلى الفاعل أي

جميع الآفات وروى عن البراء بن عازب قال نحيهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا يسلم عليه عن ابن مسعود قال إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال رب بل يقربك السلام وقبل تسليم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم (وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة قوله عز وجل (يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهدا) أي للرسول بالتبليغ وقيل شاهد على الخلق كلهم يوم القيامة (ومبشرا) أي لمن آمن بالجنة (ونذيرا) أي لمن كذب بالنار (وداعيا إلى الله) أي إلى توحيد وطاعته (بأذنه) أي بأمره (وسراجا منيرا) سماه سراجا منيرا لأنه جلا به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يحل ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه أمدا لله بنور نبوته نور البصائر كما سيذكر السراج نور الأبصار ووصفه بالنار لأن من السراج مالا يضيء فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسًا والشمس أشد اضاءة من السراج وأقول قلت نور الشمس لا يمكن أن يؤخذ منه شيء بخلاف نور السراج فإنه يؤخذ منه أنوار كثيرة (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) أي ما يفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو تفضيل هذه الأمة على سائر الأمم (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم) قال ابن عباس أصبر على أذاهم وقيل لا تجازهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال (وتوكل على الله وتوكل بالله وكيفا) أي حافظا لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن يغسوهن) أي تجامعهن في الآية دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع لأن الله تعالى رب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية إذا نكحتك فأنت طالق أو قال كل امرأه أنكحها فهي طالق فكيف لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقادة وأكثر أهل العلم وبه قال الشافعي وروى عن ابن مسعود أنه يقع الطلاق وهو قول إبراهيم النخعي وأصحاب الرأي وقال ربيعة ومالك والأوزاعي إن عين امرأه وقع وان عمه فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال كذبوا على ابن مسعود وإن كان قالها فقرة من عالم في الرجل يقول إن تزوجت فلا نه فهي طالق والله يقول إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا غلظ ولا غلظ فيما لا غلظ ولا يسع فيما لا غلظ أخرجه أبو داود والترمذي عنه (خ) عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح أخرجه البخاري في ترجمة باب غير اسناد وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل

اجعل إيذاءهم أي في جانب ولا تباليهم ولا تخف من إيذائهم أو إلى المنعول أي دع إيذاءك إياهم مكافأة لهم (وتوكل على الله) فانه يكفيهم (وكن بالله وكيفا) وكن به موقفا إليه وقيل ان الله تعالى وصفه بخمسة أوصاف وقابل كلامها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم وهو الفضل الكبير والمبشر بالأعراض عن الكافرين والمنافقين لانه إذا عرض عنهم أقبل جميع أقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع أذاهم لانه إذا ترك أذاهم في الحاضر والأذى لانه من عقاب عاجل أو آجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعى إلى الله

بتيسيره بقوله وتوكل على الله فان من توكل على الله برعايته كل عسير والسراج المنير بالاكتماء به وكيفا لان من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتب به عن جميع خلقه (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات) أي تزوجتم والنكاح هو الوطء في الأصل وتسمية العقد نكاحا لملازمة له من حيث أنه طريق إلى كسبية النكاح والتمسك بالأسباب وكقول الرازي * أسنة الآبال في صحابه * سمي الماء باسمه الآبال لانه سبب شمن الآبال وارتفاع أسمتها ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله تعالى إلا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية منه بلفظ الملازمة والمماسسة والقرابة والتغشي والأتان وفي تخصيص المؤمنات مع أن الكتابيات تساوى المؤمنات في هذا الحكيم إشارة إلى أن الأولى لمؤمن أن ينكح مؤمنة (ثم طلقتموهن من قبل أن يغسوهن) والطلوة العجوة كالمس

(فإنكم عليهن من عدة تعتدونها) فيه دليل على أن العدة تجب على النساء للرجال ومعنى تعتدونها تستوفون عددها فتعولون من العدد (فتعولن) والمتعة تجب للتي طلقها قبل الدخول بها ولم يسم لها مهر دون غيرها (وسرحوهن سراحاً جيلاً) أي لا تسكوهن ضراً را وأخرجوهن من منازلكنم أذلا عدة لكنم عليهن (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) مهورهن إذا المهر أجر على البضع ولهذا قال الكرخي إن النكاح بلفظ الإجارة جائز وقلنا التأيس من شرط النكاح والتأيت من شرط الإجارة وبينهما ما منافاة وإتادها أعطوا لها جلاً أو فرضها وتسميتها في العقد (وما مملكت عيناك مما آفاه الله عليك) (٤٩٧) وهي صفة وجوب ربة فأعتقها ما تزوجها

(وبنات عمتك وبنات عماتك) (وبنات خالك وبنات خالاتك)

(اللذان هاجرن معك) ومع

ليس للفران بل لوجودها

فحب كقولها وأسلمت مع

سليمان وعن أم هانئ بنت

أبي طالب خطبني رسول

الله صلى الله عليه وسلم

فاعتذرت فعذرني فأرسل الله

هذه الآية فلم أحل له لاني

لم أهاجر معه (وامرأة

مؤمنة أن رهبت نفسها

للنبي) وأحلنا لك من وقع

لها أن تهب لك نفسها ولا

تطلب مهرها من النساء

المؤمنات إن اتفق ذلك

ولذا أنكرها قال ابن عباس

هو بيان حكم في المستقبل

ولم يكن عنده أحد منهن

بالهبة وقيل الواهبة نفسها

ميمونة بنت الحارث وأزيب

بنت خزيمه أو أم شريك

بنت جابر أو خولة بنت حكيم

وقرأ الحسن أن بالفتح

على التعليل بتقدير حذف

اللام وقرأ ابن مسعود

رضي الله عنه بغير (إن

آراد النبي أن يستنكحها)

استنكحها طلب نكاحها

النكاح (فإنكم عليهن من عدة تعتدونها) أي تخصونها بالاقراء والاشهر أجمع العلماء أنه إذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذبح أحد إلى أن الخلوة فوجب العدة والصدائق (فتعولن) أي أعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا إذا لم يكن سمي لها صداق فطلها المتعة وإن كان قد فرض لها صداق فطلها نصف الصدق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل هذا أمر نذير فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل أنها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية (وسرحوهن سراحاً جيلاً) أي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير اضراء بهن في قوله عز وجل (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي مهورهن (وما مملكت عيناك مما آفاه الله عليك) أي من السبي فتملكنها مثل صفة وجوب ربة وقد كانت مارية بما لم يملك عيناك فولات له إبراهيم (وبنات عمتك وبنات عماتك) يعني نساء قریش (وبنات خالك وبنات خالاتك) يعني نساء بني زهرة (اللذان هاجرن معك) أي المدبنة فمن لم تهاجر منهن لم يحزل نكاحها عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله إنا أحللنا لك أزواجك الآية قالت فلم أكن أحل له لاني لم أهاجر كنت من الطلقاء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل (وامرأة مؤمنة أن رهبت نفسها للنبي أن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) أي أحللنا لك امرأته مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق فأما غير المؤمنة فلا تحل له إذا هبت نفسها منه وهل تحل له الكفاية بالمهر فذهب جماعة إلى أنها لا تحل له لقوله وامرأة مؤمنة فدل ذلك على أنه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المؤمنين والزيادة على أربع وجوب تقبيل النساء واختلافوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة فذهب أكثرهم إلى أنه لا ينعقد إلا بلفظ الانكاح أو التزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهرى ومجاهد وعطاء بن ربيعة ومالك والشافعي وقال إبراهيم النخعي وأهل السكوفة ينعقد بلفظ التلذذ والهبة ومن قال بالقول الأول اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب قوم إلى أنه كان ينعقد في حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وذهب آخرون إلى أنه لا ينعقد إلا بلفظ الانكاح أو التزويج كافي في حق سائر الامة لقوله تعالى إن أراد النبي أن يستنكحها وكان اختصاصه في ترك المهر لافي لفظ النكاح واختلفوا في التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امرأته منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأته وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأته إلا بعقد نكاح أو علق عين وقوله إن وهبت نفسها على سبيل الفرض والتقدير وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زيب بنت خزيمه الأنصارية الهلالية أم المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي أم شريك بنت جابر من بني أسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم من بني سليم

(٦٣ - خازن ثالث) والريبة فيه رقيق نكح واستنكح بمعنى والشرط الثاني تقييد للشرط الأول شرط في الإحلال هبتها نفسها وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال أحللنا لك أن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها إلا أن إرادته هي قبول الهبة ومبايعته وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمنه سواء في الأحكام إلا فيما خصه الدليل (خالصة) بلا مهر حال من الضمير في وهبت أو مصدر مؤكد أي خاص لك إحلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والخالصة في المصادر غير عزير كالعاقبة والكاذبة (لك من دون المؤمنين) بل يجب المهر لغيرك وإن لم يسمه أو نفاه عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله

ان أراد النبي ثم رجع الى الخطاب لمؤذن ان الاختصاص تكرمه له لاجل النبوة وتكريره أي تكرير النبي تفخيم له (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) أي ما أوجبنا من المهور على أمتك في أزواجهم أو ما أوجبنا عليهم في أزواجهم من الحقوق (وما ملكك أيمانهم) بالشراء وغيره من وجوه الملك وقوله (لذلك لا يكون عليك حرج) ضيق متصل بخالصة لك من دون المؤمنين وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكك أيمانهم جملة اعتراضية (٤٩٨) (وكان الله غفوراً رحيماً) بالتوسعة على عباده (ترجي) بلا همز مدني وجمزة

وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم) أي أوجبنا على المؤمنين (في أزواجهم) أي من الأحكام وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا الأولى وشبههود ومهر (وما ملكك أيمانهم) أي ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين (لذلك لا يكون عليك حرج) وهذا يرجع الى أول الآية معناه أحلال الملك لأزواجك وما ملكك يمينك والموهوبة لكي لا يصح كون عليك ضيق (وكان الله غفوراً) أي اللوابع في الحرج (رحيماً) أي بالتوسعة على عباده ﴿ قوله تعالى (ترجي) أي تؤخر (من تشاء منهن وتؤوي اليك) أي تضم اليك (من تشاء) قيل هذا القسم يبين وذلك ان التسوية بينهن في القسم كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فيمن قبل نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطالب بعضهن زيادة النفقة فهجرن شهرًا حتى نزلت آية التخيير فأمره الله تعالى ان يخبرهن فن اختارت الدنيا فارقها وبعسك من اختارت الله ورسوله على انهن أمهات المؤمنين لا يسكنن أبداً وعلى انه يؤوي اليه من يشاء منهن ويرجي من يشاء فبرضين به قسم لهن أولم يقسم أو قسم لبعضهن دون بعض أو فضل بعضهن في النفقة والكسوة فيكون الامر في ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترته على هذا الشرط واختلفوا في انه هل أخرج أحدًا منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج أحد بل كان صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم الاسوددة فانها رزيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها عائشة وقيل أخرج بعضهن روى عن أبي رزين قال لما نزل التخيير أشفقن ان يطلقن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فأرعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن وآوى اليه بعضهن فكان من آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان يقسم بينهن سوا وأرجى منهن خنساء أم حبيسة وميمونة وسودة وجويرية وصفية فكان يقسم لهن ما يشاء وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقال الحسن تترك نكاح من شئت وتكسح من شئت من النساء قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأه لم يكن لغيره خطبة حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشاء من المؤمنات اللاقي بهن أنفسهن فتؤويها اليك وتترك من تشاء فلا تقبلها (ق) عن عروة قال كانت خولة بنت حكيم من اللاقي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اما تستحي المرأة ان تحب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قلت يا رسول الله ما أرى ريبك الا يسارع في هوائك (ومن ابتغيت من عزات) أي طلبت ان تؤوي اليك امرأه من عزاتهن عن القسمه (فلا جناح عليك) أي لا اثم عليك فأباح الله لك القسم لهن حتى انه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها ويطأ من يشاء منهن في غير نوبتها ويرد الى فراشه من عزل منهن تفضيلاً له على سائر الرجال (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن) أي ذلك التخيير الذي خبرتك في صحبتهم أقرب الى رضاهن وأطيب لآنفهن وأقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك من الله تعالى (وبرضين بما آتيتهن) أي أعطيتهن (كلهن) من قريب وارجاء وعزل وابواء (والله يعلم ما في قلوبكم) أي من أمر النساء والميل الى بعضهن (وكان الله عليماً) أي عاين ضما تركم

وعلى وخساف وحفص وجم مزغيرهم تؤخر (من تشاء منهن وتؤوي اليك) تضم بمعنى تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء ولا تقسم لآيتين شئت أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتزوج من شئت وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما أن يطلق واما أن يمسك فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أول يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يحل المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها وروى انه أرجى منهن جويرية وسودة وصفية وميمونة وأم حبيبة وكان يقسم لهن ما يشاء كما شاء وكانت من آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى خنساء وآوى أربعاً وروى انه كان يسوي مع ما أطلق له وخير فيه الاسوددة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك (ومن ابتغيت من عزات فلا جناح

عليك) أي ومن دعوت الى فراشك وطلبت صحبتها من عزات عن نفسك بالارجاء فلا ضيق عليك في ذلك أي ليس اذا عزلتهن (حليماً) يحزل ردها الى نفسك ومن رفع بالابتداء وخبره فلا جناح (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى ان تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) أي أقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعاً لانهن اذا علمن ان هذا التفويض من عند الله اطمانت نفوسهن وذهب التغابر وحصل الرضا وفرت العيون كلهن بالرفع تأكيداً لكون برضين وقرى ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرى شاذاً كلهن بالانصب تأكيداً لهن في آتيتهن (والله يعلم ما في قلوبكم) فيه وعبد لمن لم يرض منهن عباد الله من ذلك وقوض الى مشيئة رسوله (وكان الله عليماً) بذات الصدور

(حلياً) لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتق ويحذر (لا تحل لك النساء) بالباء (٤٩٩) أبو عمرو ويعقوب وغيرهما بالتدكير لأن تأنيث

الجمع غير حقيق وإذا جاز
بغير فصل ففصل أجز
(من بعد) من بعد التسع
لأن التسع نصاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم من
الأزواج كما أن الأربع
نصاب أمته (ولأن تبدل
بين من أزواج) بالطلاق
والمعنى ولأن تستبدل
بجولاء التسع أزواجاً آخر
بكلهن أو بعضهم كرامة
لهن وجزاء على ما اخترن
ورضين فقصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليهن
وهن التسع التي مات عنهن
عائشة حفصة أم حبيبة
سودة أم سلمة صفية
ميمونة زينب بنت جحش
جويرية ومن في من أزواج
لأن كبره الله في وفائته
استغراق جنس الأزواج
بالتحريم (ولو أعجبك حسنهن)
في موضع الحال من الفاعل
وهو الصمير في تبدل أي
تبدل لامن المفعول الذي
هو من أزواج تنوعه في
التشكيك وتقديره مفروضا
اعجاباً بهن وقيل هي
أسماء بنت عميس امرأة
جعفر بن أبي طالب فاتها
من أعجبه حسنهن وعن
عائشة وأم سلمة مامات
رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى أحل له أن يتزوج
من النساء ما شاء يعني أن
الآية نكحت وأمنها ما

(حلياً) أي عنكم قوله تعالى (لا تحل لك النساء من بعد) أي من بعده هؤلاء التسع اللاتي اخترنك وذلك
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خبرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله له ذلك وحرم عليه النساء سواهن
ونهاه عن تطبيقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل أبج له النساء بعد ذلك فروى عن
عائشة أنها قالت مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء وقال الترمذي وقال حديث
حسن صحيح ووافي عنها حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء وقال أنس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم على التحريم وقيل لابي بن كعب لو مات نساء النبي صلى الله عليه وسلم أكان يحل له أن يتزوج قال
وما يخفى من ذلك قيل له قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد قال نعم أحل له ضرباً من النساء فقال تعالى
يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجاً الآية ثم قال لا تحل لك النساء من بعد وقيل معنى الآية لا تحل لك
اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات (ولأن تبدل بين من أزواج) أي بالمسلمات غيرهن من
المكليات لأنه لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية إلا ما ملكت يمينك أي من الكتابيات فتتسرى
بهن وقيل في قوله ولأن تبدل بين من أزواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل
للرجل انزل لي عن امرأتك وانزل لك عن امرأتي فأقول الله تعالى ولأن تبدل بين من أزواج أي تبادل
بأزواجهن غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته فحرم ذلك إلا ما ملكت يمينك أي لا بأس أن تبادل
بجاراتك ما شئت فاما الخرافة (ولو أعجبك حسنهن) يعني ليس لك أن تطلق أحداً من نساءك وتكسح
بدلها أخرى ولو أعجبك جاراتها قال ابن عباس يعني أسماء بنت عميس الخنثية امرأة جعفر بن أبي طالب
لما استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها فنهى عن ذلك (الامام ملك يمينك) قال ابن
عباس ملكاً بعده هؤلاء مارية (وكان الله على كل شيء رقيباً) أي حافظاً وفي الآية دليل على جواز النظر إلى
من يريد نكاحها من النساء وبطل عليه ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب
أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل أخرجه أبو داود (م) عن أبي هريرة
أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإن في أعين
الانصار شيئاً قال الجبدي يعني هو الصغر عن المغيرة بن شعبه قال خطبت امرأة فقال لي النبي صلى الله
عليه وسلم هل نظرت إليها قلت لا قال فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) الآية قال أكثر
المفسرين نزلت هذه الآية في شأن ولية زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
(ق) عن أنس بن مالك أنه كان ابن عشرين سنة حين أقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكانت أم هانئ
نواظبة على خدمته رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدمته عشرين سنة وكنيت أعلم الناس بشأن الجباب حين أنزل وكان أول ما نزل في بيتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم برز زينب بنت جحش حين أصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عرو وسافداً القوم فأصابوا
من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه
وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فذهب النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة بن جحش
عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى إذا بلغ عتبة بن جحش وعظمتهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه
النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى إذا بلغ عتبة بن جحش وعظمتهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه
فأذا هم قد خرجوا فاضرب النبي صلى الله عليه وسلم بين يديه بالستر وأنزل الجباب زاد في رواية قال دخل
يعني النبي صلى الله عليه وسلم البيت وأرخى الستة واني في الجحرة وهو يقول يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى قوله والله لا يستحي من الحق (ق) عن عائشة أن أزواج النبي صلى الله

بالسنة أو بقوله إنا أحلنا لك أزواجاً وترتيب النزول ليس على ترتيب المحصف (الامام ملك يمينك) استثنى من حرم عليه الامام ومحل ما رفع
بدل من النساء (وكان الله على كل شيء رقيباً) حافظاً وهو تحذير عن مجاوزة حدوده (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم

الى طعام غير ناظرين اناه) ان يؤذن في موضع الحال أى لا تدخلوا الا ماؤذنا لكم أو في معنى الظرف تقديره الا وقت ان يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الحال والوقت معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين أى غير منتظرين وهو لا يقوم كقوله يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لا دراهمه ومعناه لا تدخلوا يا أيها المتحينون للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وانى الطعام ادرا كذا يقال انى الطعام انى كقولك فلاه قلى وقيل اناه وقته أى غير ناظرين وقت الطعام وساعده أكله وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لم أولم على زينب بقر وسويق وشاة وأمر أنس أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا (٥٠٠) يأ كل فوج ويخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه

عليه وسلم كن يخرجون بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أفصح وكان عمر رضى الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأه طويلا فناداهما عمر الا قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الجباب فأنزل الله الجباب المناصع المواضع الخالصة انفضا الحاجة من البول أو الغائط والصعيد وجهه الارض والافصح الواسع (ق) عن أنس وابن عمر أن عمر قال وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزل راحته ذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل على نساءك البر والفاجر فلو أمرتهم أن يحتجبن فنزل آية الجباب واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه ان يطلقكن أن يبدلهن أزواجا خيرا منكن فنزل كذلك وقال ابن عباس انها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام قبل أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم بمعنى الا أن تدعوا (الى طعام) فيؤذن لكم قمتا كون (غير ناظرين اناه) يعنى منتظرين نصحه ووقت ادرا كذا (وايكن اذا دعيت فادخلوا فاذا طعمتم) أى أكلتم الطعام (فانتشروا) أى فخرجوا من منزله وتفرقوا (ولا مستأنسين لحديث) أى لا يطيلوا الجلوس ليستأنس بعضهم بحديث بعض وكافوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فمما عن ذلك (ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم) أى فيستحي من اخراجكم (والله لا يستحي من الحق) أى لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحي من بعض الافعال قال لا يستحي من الحق يعنى لا يمنع منه ولا يترك ترك الحي منكم وهذا أدب الله به الثقلان وقيل بحسبكم من الثقلان ان الله لم يحتملهم (واذا سألتوهن متاعا) أى واذا سألتن نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة (فاسألوهن من وراء حجاب) أى من وراء سترة فبعد آية الحجاب لم يكن لاحد أن ينظر الى امرأته من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متعقبة كانت أو غير متعقبة (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) أى من الريب (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) أى ليس لكم آذاه في شئ من الاشياء (ولا أن تسكعوا أزواجه من بعده أبدا) نزلت في رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تسكعن عائشة قيل هو طلحة بن عبد الله فاخبر الله ان ذلك محرم وقال (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أى ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم واحجاب حرمة حياء وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسرقبه واستفرغ شكره فان من الناس من تفرط غيرته على حرمة حتى يقتلها

فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطوا لواقم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجرات وسلم عليهم ودعسوا له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رآوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت (وليكن اذا دعيت فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) فتفرقوا (ولا مستأنسين لحديث) هو مجرور معطوف على ناظرين أو منصوب أى ولا تدخلوها مستأنسين فهو عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به (ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم) من اخراجكم (والله لا يستحي من الحق) يعنى ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحي منه

ولما كان الحياء مما يمنع الحي من بعض الافعال قيل لا يستحي من الحق أى لا يمنع منه ولا يترك ترك الحي منكم هذا أدب الموت أدب الله به الثقلان وعن عائشة رضى الله عنها احسب في الثقلان ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا (واذا سألتوهن) الضمير نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لدلالة بيوت النبي لان فيها نساءه (متاعا) عارية أو حاجة (فاسألوهن) المتاع (من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من خواطر الشيطان وعوارض الفتن وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال وكان عمر رضى الله عنه يحب ضرب الحجاب عليهن وروى أن ينزل فيه وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرتهم أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وذكر أن بعضهم قال انتهى ان نكلم بنات عمنا الامن وراء حجاب لئن مات محمد لا تزوجن فلانه فنزل (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تسكعوا أزواجه من بعده أبدا) أى وماصح لكم ابدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسكاح أزواجه من بعده موته (ان ذلكم كان عند الله عظيما)

أَيُّ ذُنُبًا عَظِيمًا (أَنْ تَبْدُوا شَيْئًا) مِنْ إِذَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مِنْ نِكَاحِ مَنْ (أَوْ تَخْفُوهُ) فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ ذَلِكَ (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) فَيُعَاقِبُكُمْ بِهِ وَلَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ قَالَ الْأَبَاءُ وَالْأَبْنَاؤُ وَالْأَقْرَابُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْحِنِ أَيْضًا نِكَاحَهُمْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ فَنَزَلَتْ (الْاِجْتِنَابُ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا نِسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ) (وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) أَيُّ لَا تُنَامُ عَلَيْهِمْ فِي أَنْ لَا يَحْتَبِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَلَمْ يَذْكُرْ الْعَمَّ وَالْحَالَ (٥٠١) لَأَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ بِحُجْرَةِ الْوَالِدَيْنِ وَقَدْ دَخَلَتْ

الموت قبله لئلا تنسخ بعده (ان تبدوا شيئا) أى من أمر نكاحهن على السنةكم (أو تخفوه) أى فى صدوركم (فان الله كان بكل شئ عليما) أى يعلم سركم وعلايتكم نزلت فى أمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه الآية ولما نزلت آية الجلب قال الآباء والأبناء والأقارب رسول الله ونحن أيضا يا رسول الله نكحهم من وراء حجاب فانزل الله عز وجل (لا جناح عليهن فى آبائهن ولا آبائهن ولا أخوانهن ولا أبناء أخوانهن ولا أبناء أخواتهن) أى لائتم عليهن فى ترك الجلب عن هؤلاء الأصناف من الأقارب (ولا نسائهن) قيل أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز لكتابات الدخول على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام فى المسلمات والكليات وانما قال ولا نسائهن لأنهن من أجناسهن (ولا ما ملكت أيمانهن) اختلفوا فى ان عبد المرأة أهل يكون محرما لها أم لا فقال قوم بل يكون محرما لقوله تعالى ولا ما ملكت أيمانهن وقال قوم العبد كالأجنبي والمراد من الآية الاماء ذوات العبيد (واتقين الله) أى أن يراكن أحد غير هؤلاء (ان الله كان على كل شئ) أى من أعمال العباد (شهيدا) قوله عز وجل (ان الله وملائكته يصلون على النبي) قال ابن عباس أراد أن الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعنه أيضا يصلون بتركه وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فصلاة الله ثناءؤه عليه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أى ادعوا له بالرحمة (وسلموا تسليما) أى حيوة بحجة الاسلام

ففضل فى صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا قبل تحجب فى العمرة وهو الاكثر وقيل تحجب فى كل صلاة فى التشهد الأخير وهو مذهب الشافعى وأحدى الروايتين عن أحمد وقيل تحجب كلما ذكره واختاره الطحاوى من الحنفية والحنابلة من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة (ق) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال ألا هدى لك هديته ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد (ق) عن أبي حمزة الساعدي قال قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على ابراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك جيد مجيد (م) عن أبي مسعود البدري قال أنا نازل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مجلس سعد بن عباد فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قمنا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم فى العالمين انك جيد مجيد والسلام كما قد علمتم (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرا * عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وحط عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات

(ان الذين يؤذون الله ورسوله) أي يؤذون رسول الله وذ كرام الله للمشركين أو عبر بايذاء الله ورسوله عن فعل ما لا يرضى به الله ورسوله كالكفر وانكار النبوة تجاوزا وانما جعل مجازا (٥٠٢) فيه ما وحقيقه الايذاء يتصور في رسول الله اثلا يجمع المجاز والحقيقة في لفظ واحد

(لعمري) سم الله في الدنيا والآخرة طردهم الله من رحمته في الدارين (وأعد لهم عذابا مهينا) في الآخرة (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما كنسبوا) أطاق ايذاء الله ورسوله وقيده ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان ذلك يكون غير حق أبدا وإنما هذا افتنه حق كالحل والاعتزير ومنه باطل قبل نزول في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في زناه كانوا يتبعون النساء وهن ككاهنات وعن الفضيل لا يحمل لك ان تؤذي كلبا أو خنزيرا بغير حق فكيف ايذاء المؤمنين والمؤمنات (فقد احتملوا) فحسبوا (بهتانا) كذبا عظيما (وانما بيننا) ظاهرا (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين) يدين عليهن من جلايبهن الجلايب ما يسترا الكل مثل الملفة من المبرد ومعنى يدين عليهن من جلايبهن يرخين عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن يقال اذا زال الثوب عن وجه المرأة اذن ثوبك علي وجهك ومن للتبعيض أي

أخرجه الترمذي وله عن أبي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقالت انال ترى البشر في وجهك قال أتاني الملاك فقال يا محمد ان ربك يقول أما برضيتك انه لا يصلي عليك أحد الا صليت عليه عشرة ولا يسلم عليك أحد الا سلمت عليك عشرة وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن أمتي السلام * عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجليل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم من مره أن يكتال بالمكيال الا وفي اذنا صلي علينا أهل البيت فليقل اللهم صل علي محمد النبي الامي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت علي ابراهيم انا خير مجيد أخرجه أبو داود (قوله عز وجل) (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فأما اليهود فقد ألوا عزير ابن الله وبدا الله مغلوله وقالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشقني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه اياي فقوله لن يعبدني كما بداني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته وأما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا أنا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (ق) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي أقطب الليل والنهار معني هذا الحديث أنه كان من عادة العرب في الجاهلية أن يذمو الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم ان الذي يصيبهم من أفعال الدهر فقال الله تعالى أنا الدهر أي أنا الذي أسل بهم النوازل وأنا فاعل لذلك الذي نسبونه الى الدهر في زعمكم وقيل معنى يؤذون الله يلحدون في أسمائه وصفاته وقيل هم أصحاب التصاوير (ق) عن أبي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلق فيخالقه وادرة أوليخلقوا حبة أو شعيرة وقيل يؤذون الله أي يؤذون أولياء الله كإروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من أذى لي وليا فقد آذنته بالحرب وقال تعالى من آهان لي وليا فقد آذنته بالحرب ومعنى الاذى هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكر ذلك علي ما يتعارفه الناس بينهم لان الله تعالى منزّه عن أن يلحقه أذى من أحد وأما ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو أنه شتم وجهه وكسرت ربا عينه وقيل ساحر شاعر معلم مجنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما كنسبوا) أي من غير أن يحملوا ما أوجب أذاهم وقيل يفعلون فيهم ويرمونهم بغير جرم (فقد اتهموا بهتانا وانما بيننا) قيل انها زلت في علي ابن أبي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل زلت في شأن عائشة وقيل زلت في الزنا الذين كانوا يعيشون في طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيتبعون المرأة فان سكنت تبعوها وان زحرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرّة من الامّة لان زى الكل كان واحدا فتخرج الحرّة والامّة في درع وخمار فشكلوا ذلك الى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فزانت والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الخرائر ان يتشبهن بالاماء فقال تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) عليهن من جلابيبهن جمع جلابيب وهو

ترخي بعض جلابيبها وفضله علي وجهها تنقع حتى تغمي من الامّة أو المراد ان يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب وان لا تكون المرأة متبدلة في درع وخمار كالامة ولها جلابيبان فصاعدا في بيتها وذلك ان النساء في أول الاسلام علي هجيراهن في الجاهلية متبدلات تبر المرأة في درع وخمار لفصل بين الحرّة والامة وكان القتيبان يتعرضون اذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في

التخيل والغبطان للاماء وربما تعرضوا للحرارة طسبان الامة فامر ان يخالفن بزيهن عن زى الاماء لباس الملاحمة وسنن الرأس والوجوه فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله (ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين) أى أولى واجدريان يعرفن فلا يتعرض لهن (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفریط (رحيما) بتعليمهن آداب المصكرام (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض) فجورهم الزناة من قوله في طمع الذي في قلبه مرض (والمرحفون في المدينة) هم أناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كبت وكبت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا اذا أخبر به على غير حقيقة لتكونه خبرا متريزا لا غير ثابت من الرحفة وهى الزلزلة (لنخرينهم) لنأمرهم بذلك يقتالهم أو لنسلطن عليهم (ثم لا يحاورون فيها) في المدينة وهو عطف على النخرين ذلك لانه يحوزان بحجاب به القسم الحصة قولك ان لم ينتهوا لا يحاورونك ولما كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ما أصيبوا به عطف بهم بعد حاله عن حال المعطوف عليه (الا قليلا) زمانا قليلا والمعنى لئن (٥٠٣) لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والنسفة

عن فجورهم والمرحفون عما يؤلفون من أخبار السوء لئلا أمرن بان تفعل الافعال التي تسوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى ان لا يسكنوا فيها الا زمانا قليلا ريثما يرتحلون فسمى ذلك اغسرا وهو التبرش على سبيل المخاز (ملاعونين) نصب على الشتم أو الحال أى لا يحاورونك الاملاءونين فالاستثناء دخل على الظرف والحال معا كما هو ولا يتصلب عن أخذوا لان ما به مدحوف الشرط لا يعمل فيما قبلها (أينما اتفقوا) وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتلوا) والتشديد يدل على التكثير (سنة الله) في موضع مصدر مؤكداى سن الله في الذين

وهو الملاء التي تشمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقيل هو المخفة وكل ما يستتر به من كساء وغيره قال ابن عباس أمر نساء المؤمنين أن يعطين رؤسهن ووجوههن بالجلابيب الاعين واوحدة ليعلم انهن حرائر وهو قوله تعالى (ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين) أى لا يتعرض لهن (وكان الله غفورا رحيمًا) أى لما سلف منهن قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متنفقة فعلاها بالدرة وقال يا كاع أنت شبيهة بالخراثر ألقى القناع لكاع كذا قال لمن يستحق به مثل العبد والامة والخامل والقليل العقل مثل قولك يا خسيس قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون) أى عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) أى فجورهم الزناة (والمرحفون في المدينة) أى بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو ونحن ههنا من الاراجيف وقيل كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ونفسوا الاخبار (لنخرينهم) أى لنخر شملهم ولنسلطن عليهم (ثم لا يحاورون فيها الا قليلا) أى لا يسكنون في المدينة الا قليلا أى حتى يخرجوا منها وقيل إنسلطن عليهم حتى تقتلهم وتختل منهم المدينة (ملاعونين) أى مطرودين (أينما اتفقوا) أى وجدوا أو أدركوا (أخذوا وقتلوا تقتلوا) أى الحكم فيهم هذا على الامر به (سنة الله) أى كسنة الله (في الذين خلوا من قبل) أى في المنافقين والذين فعلوا مثل ما فعل هؤلاء أن يقتلوا حيثما اتفقوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) قوله عز وجل (يسئلك الناس عن الساعة) قيل ان المشركين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استجبالا على سبيل الهز وكان اليهود يسألونه عن الساعة امتحانا لان الله تعالى عى عليهم علم وقتها في التوراة فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم بقوله (قل انما علمها عند الله) يعنى ان الله تعالى قد استأثر به ولم يطلع عليه نبيا ولا ملائكة (وما يدريك) أى أى شئ يعلم امر الساعة ومتى يكون قيامها (اعمل الساعة تكون قريبا) أى انها قريبة الوقوع وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للممتنعين (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار) أى تتقلب ظهر البطن حين يصوبون عليها (يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) أى في الدنيا (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا) يعنى

ينافقون الانبياء ان يقولوا أينما وجدوا (في الذين خلوا) مضوا (من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) أى لا يبدل الله سنته بل يجري مجرى واحد في الامم (يسئلك الناس عن الساعة) كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استجبالا على سبيل الهز واليهود يسألونه امتحانا لان الله تعالى عى عليهم وقتها في التوراة وفى كل كتاب فأمر رسوله بان يجيبهم بانه علم قد استأثر الله به ثم بين لرسوله انها قريبة الوقوع تهديد للمستعجلين واسكات للممتنعين بقوله (قل انما علمها عند الله وما يدريك ان الساعة تكون قريبا) شيئا قريبا وألان الساعة في معنى الزمان (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا) نار أشديدة الاتقاد (خالدين فيها أبدا) هذان مذهب الجهمية لانهم يزعمون ان الجنة والنار تفتيان ولا وقف على سعيرا لان قوله خالدين فيها حال عن الضمير فيهم (لا يجدون وليا ولا نصيرا) ناصر اعينهم اذ كر (يوم تقلب وجوههم في النار) تصرف في الجهات كاترى البضعة تدور في القدر اذا غات وخصصت الوجوه لان الوجه أكرم موضع على الانسان من جسده أو يكون الوجه عبارة عن الجملة (يقولون) حال (يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فتخلص من هذا العذاب فتقنوا حين لا يفهمهم التقى (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا) جمع سيد سادتنا شامى وسهل وبعقوب جمع الجمع والمراد رؤساء الكفرة الذين لقنواهم الكفر وزيّنوه لهم (وكبراءنا) ذوى الاسنان منا وأعلماءنا

(فأضلونا السبيل) يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الآتى كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستأنف (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) للضلال والاضلال (والعنه لعنا كبيرا) بالبلاء عاصم ليدل على أشد اللعن وأعظمه وغيره بالباء تكثير الأعداد للعائن ونزل في شأن زيدوزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين (٥٠٤) آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) ما مصدرية وموصولة وأيهما كان فالمراد البراءة عن

مضمون القول ومؤداه وهو الامر المعيب وأذى موسى عليه السلام هو حديث الموصلة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها أو اتهمهم إياه بقتل هرون فأجابه الله تعالى فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام كإبراهيم عليه السلام بقوله ما كان محمد أباً أحد من رجالكم (وكان عند الله وحيها) ذاجاه ومنزلة مستجاب الدعوة وقراء ابن مسعود والاعمش وكان عبد الله وحيها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وولوا قولا سديدا) صدقاً وصواباً أو قاصداً إلى الحق والسادات القصص إلى الحق والقول بالعدل والمراد منهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسددوا قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول رأس كل خير ولا تنقص على سديد الان جواب الامر قوله (يصلح لكم أعمالكم) يقبل طاعاتكم أو يوفقكم اصالح العمل (ويغفر لكم ذنوبكم) أي يحكمها والمغنى

رؤس الكفر الذين لقنوههم الكفر وزينوه لهم (فأضلونا السبيل) يعني عن سبيل الهدى (ربنا آتهم) يعنون السادة والكبراء (ضعفين من العذاب) يعني ضعف عذاب غيرهم (والعنه لعنا كبيرا) أي لعنا متتابعاً قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) أي فظهره الله مما قالوه فيه (وكان عند الله وحيها) أي كرمنا ذاجاه وقد قال ابن عباس كان خطيباً عند الله لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محبباً مقبولاً واختلفوا فيما أذى به موسى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سواة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه أدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففرا الحجر بثوبه قال فجرح موسى بآثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل إلى سواة موسى فقالوا والله ما يمنع موسى من أن يغتسل فقام الحجر حتى نظرا إليه قال فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً قال أبو هريرة والله ان بالحجر ندبا ستة أو سبعة من ضرب موسى الحجر أخرجه البخاري ومسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلاً حياً سبيرا لا يرى شيء من جسده استحياء منه فأذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا السبتر الا من عجيب بجلده امارص واما أدرة واما آفة وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلفه لا يؤموا وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه لما أخذها وان الحجر عداثوه فآخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملا من بني اسرائيل ردأوه عرياً نأ أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله ان بالحجر ندبا من أثر الضرب ثلاثاً أو أربعاً وخساف ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وحيها الادرة عظم الخصى لتفخه فيها وقوله فجرح أي أمرع وقوله ثوبي حجر أي دع ثوبي بالحجر ر قوله وطفق أي جعل يضرب الحجر وقوله ندبا هو بفتح النون والدال وهو الاصح وأصله أثر الجرح اذ لم يرتفع عن الجلد فشببه به الضرب بالحجر والمحدثون يقولون ندبا يسكون الدال وقيل في معنى الآية ان آذاهم إياه انه لمسامات هرون في التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله تعالى الملائكة حتى مروا به على بني اسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقيل ان قارون استأجر رجلاً بالنقد فموسى بنفسه على رأس الملا فقصه الله وبرأ موسى من ذلك وأهلك قارون (ق) عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناساً في القصة فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وأعطي عيينة بن حصن مثل ذلك وأعطي ناساً من أشراف العرب وآثرهم في القصة فقال رجل من ولدان هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فقلت والله لا خير من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيناه فأخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصوف ثم قال فن يعدل اذ لم يعدل الله ورسوله ثم قال رحم الله موسى قد أذى باكثر من هذا فصرير الصرف بكسر الصاد صبغ أحر صبغ به الادب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وولوا قولا سديدا) قال ابن عباس صواباً وقيل عدلاً وقيل صدقاً وقيل هو قول لا اله الا الله (يصلح لكم أعمالكم) قال ابن عباس يتقبل حسناتكم (ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله

راقبوا الله في حفظ أنفسكم وتسدقوا بكم فانكم ان فعلتم ذلك أعطاكم ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة ورسوله عليهما من مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وهذه الآية مقرررة للتي قبلها بنيت تلك على النبي عما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الامر بإتقاء الله في حفظ اللسان ليرادف عليهم النبي والامر مع اتباع النبي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الامر الوعد بالبايع فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه ولما علمت بطاعة الفوز العظيم بقوله (ومن يطع الله

ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أتبعه قوله (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) وهو يريد بالامانة الطاعة لله بحمل الامانة
الحيانة يقال فلان حامل للامانة ومحمّلها أي لا يؤذيها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته اذا الامانة كأنها ركة لا مؤتمن عليها وهو حاملها
ولهذا يقال ركبته الديون ولى عليه حق فاذا أداها لم يبق ركة له ولا هو حامل لها يعني (٥٠٥) ان هذه الاجرام العظام من السموات

والارض والجبال قد اتفقت
لأمر الله انقياد مثلها
وهو ما يتأتى من الجادات
وطاعته الطاعة التي
تليق بها حيث لم تتنزع على
مشيئته واداته ايجادا
وتكوينها وتسوية على
هيئات مختلفة وأشكال
متنوعة كما قال ثم استوى
إلى السماء وهي دخان فقال
لها وللارض انبتا طوعا
أو كرها قالتا أتينا طائعين
واخبرنا الشمس والقمر
والنجوم والجبال والشجر
والدواب يسجدون لله وان
من الحجارة لما يهبط من
خشية الله وأما الانسان
فلم تكن حاله فيما يصح
منه من الطاعة ويليق
به من الانقياد لاواحر
الله وفواجه وهو حيوان
عاقل صالح للتكليف مثل
حال تلك الجادات فيها
يصح منها ويليق بها من
الانقياد وعدم الامتناع
وهذا معنى قوله (فأبين أن
يحمّلها) أي أبين الحيانة
فيها وان لا يؤذيها (وأشفق
منها) وخفف من الحيانة
فيها (وجعلها الانسان) أي
خان فيها وأبى ان لا يؤذيها
(انه كان ظلوما) لكونه تاركا
لاداء الامانة (جهولا)

ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أي ظفر بالخير العظيم قوله عز وجل (انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال) الآية قال ابن عباس أراد بالامانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده
عرضها على السموات والارض والجبال على انهم اذا أدوها تأبوا وان ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود
الامانة اداء الصلوات وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصديق الحديث وقضاء الدين والعادل في
المسكال والميزان وأشد من هذا كله الودائع وقيل جميع ما أمر به ونهى عنه وقيل هي الصوم وغسل
الجنب وما يحق من الشرائع وقال عبد الله بن عمر - روي عنهما - أول ما خلق الله من الانسان الفرج وقال
هذه الامانة استودعها فانفجج أمانة والاذن أمانة والعين أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا إيمان
لن لا أمانة له وفي رواية عن ابن عباس هي أمانات الناس والوفاء بالعهد وهو دغش على كل مؤمن أن لا يغش
مؤمنا ولا معاها في شيء لا في قليل ولا كثير فعرض الله تعالى هذه الامانة على أعيان السموات والارض
والجبال وهذا قول جماعة من التابعين وأكثر السلف فقال لهم ان تحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها
قال ان أحسنن جوزين وان عصين عوقبن قلن لا يارب نحن مستخيرات لا نريد أن نأكل ولا نعاقبا
وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيم للدين الله تعالى ان لا يقوموا بها الامعية ولا مخالفة لأمره وكان العرض
عليهم تخيير الا انهم لم يمتنعوا من حملها والجدادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعه لأمره
ساجدة له قال بعض أهل العلم ركب الله تعالى فين العقل والفهم حين عرض عليهم الامانة حتى عقلن
الخطاب وأجبن عما أجبن وقيل المراد من العرض على السموات والارض هو العرض على أهلها من
الملائكة دون أعيانها والاول أصح وهو قول العلماء (فأبين أن يحمّلها وأشفقن منها) أي خفن
من الامانة أن لا يؤذيها فيلحقهن العقاب (وجعلها الانسان) يعني آدم قال الله عز وجل لا دم اني عرضت
الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطعها قل أنت أخذتها بما فيها قال يارب وما فيها قال ان
أحسنن جوزيت وان أسأت عوقبت فحملها آدم فقال بين أدنى وعاتق قال الله اما اذا تحملت فسأعينك
واجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان لا تنظر الى ما لا يحل فأرخ عليه حجابا وجعل لسانك لحين وغلافا
فاذا خشيت فاعلقه واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد كان بين أن
تحمّلها وبين أن أخرج من الجنة الامقدار ما بين الظهر والعصر وقيل ان ما كاف الانسان حمله بلغ من
عظمه وثقل محمله انه عرض على أعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام وأقواء وأشده أن يحمله ويستقل
به فأبى حمله وأشفق منه وحله الانسان على ضعفه وضعفه قوته (انه كان ظلوما جهولا) قال ابن
عباس انه كان ظلوما لنفسه جهولا بما ربه وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا أي
لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث حل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمها
وقيل في تفسير الآية أقوال أخرى هو أن الله تعالى ائتمن السموات والارض والجبال على كل شيء وائتمن
آدم وأولاده على شيء فالامانة في حق الاجرام العظام هي الخضوع والطاعة لما خلقن له وقوله فأبين أن
يحمّلها أي أدين الامانة ولم يخن فيها وأما الامانة في حق بني آدم فهي ما ذكر من الطاعة والقيام
بالفرائض وقوله وجعلها الانسان أي خان فيها وعلى هذا القول حكى عن الحسن انه قال الانسان هو
الكافر والمنافق جلا الامانة وخانها في الاول القول هو قول السلف وهو الاول

(٦٤ - خازن ثالث) لاخطائه ما يسعه مع عسكره منه وهو اذا قال الزجاج الكافر والمنافق جلا الامانة أي خانها ولم يطيعها ومن
أطاع من الانبياء والمؤمنين فلا يقال كان ظلوما جهولا وقيل معنى الآية ان ما كافه الانسان بلغ من عظمه انه عرض على أعظم ما خلق
الله من الاجرام وأقواء فاني حله وأشفق منه وحله الانسان على ضعفه انه كان ظلوما جهولا حيث حل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خان
بضمها فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الا على أساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشجعان ان تذهب اقال اسوى

العوج واللام في (يعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) للتعليق لان التعذيب هنا نظير التأديب في قولك ضربته للتأديب فلا تقف على جهولا (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) وقرأ الاعمش ويتوب الله بالرفع ليعمل العلة قاصرة على فعل الحامل ويتوب الله ويتوب الله معنى المشهورة يعذب (٥٠٦) الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحمله الا انه اذا توب على الوافي كان نوعا من

عذاب الغادر أو للعاقبة
أي جعلها الا انسان قال
الامر الى تعذيب الاشقياء
وقول نوبة السعداء (وكان
الله غفورا) للتائبين
(رحيما) بعباده المؤمنين
والله الموفق للصواب

((سورة سبا مكية وهي
أربع وخمسون آية))

((بسم الله الرحمن الرحيم))

(الحمد) ان أجرى على
المعهود فهو عاجده نفسه
محمود وان أجرى على
الاستغراق فله لكل الحمد
الاستحقاق (لله) سلام
التبليغ لانه خالق ناطق
الحمد أصلا فكان عليه
مالك الحمد للحميد أهلا
(الذي له مافي السموات
ومافي الارض) خلقا وملاكا
وقهرا فكان حقيقا بان
يحمده سرا وجهرا (وله الحمد
في الآخرة) كما هو له في
الدنيا اذ انسم في الدارين
من المولى غير ان الحمد هنا
واجب لان الدنيا دار تكليف
وتم لا لعدم التكليف وانما
يحمده أهل الجنة سرورا
بالنعيم وتلذذا بما نالوا من
الاجر العظيم بقولهم الحمد لله
الذي صدقنا وعده الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن

((فصل)) في الامانة (ق) عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رايت
أحدهما وأنا أنتظر الا تخرج ثنا أن الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن
وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال ينال الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها
مثل الوكت ثم ينال الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل الجمل يكمر دحرجته على
رجلها فتنفط قترامه منبر اوليس فيه شيء ثم أخذ حصاة فخرجها على رجله فيصبح الناس ينبايعون لا يكاد
أحد يؤدي الامانة حتى يقال ان في بني فلان رجلا أميننا حتى يقال لا رجل ما جلد ما أظرفه ما عقله وما
في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وقد أتى على زمان وما أبالي ايكم بايعت ان كان مسلما ليردنه على
دينه ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه وأما اليوم فما كنت لا بايع منكم الا فلانا وفلانا
قوله نزلت الامانة في جذر قلوب الرجال جذر الشيء أصله والوكت الجذوة كالنقطة في الشيء من غير
لونه والمجل غلط الجلد من أثر العمل وقيل انما هو النقطات في الجلد وقد فسره الحديث والمنسبر المنتفخ
وليس فيه شيء (خ) عن أبي هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم سمع نواجا
اعرابي فقال متى الساعة فقص رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكفره
ما قال وقال بعضهم لم نسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ما نيا رسول الله قال اذا
ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يا رسول الله قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر
الساعة وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا الامانة الى من اتتمنك ولا تحسن من خانت أخرجه أبو
داود والترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى (يعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات) أي بما كانوا الامانة ونقضوا العهد (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أي يهديهم
ويرجعهم عما أداموا من الامانة وقيل عرضنا الامانة ليعظم نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله
ينظر ايمان المؤمن فيتوب عليه أي يعود عليه بالرجة والمغفرة ان حصل منه تقصير في بعض الطاعات
(وكان الله غفورا رحيمًا) والله أعلم بمراده واسرار كتابه

((تفسير سورة سبا وهي مكية))

((وأربع وخمسون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثمائة واثناعشر حرفًا))

((بسم الله الرحمن الرحيم))

قوله عز وجل (الحمد لله الذي له مافي السموات ومافي الارض) معناه ان كل نعمة من الله فهو والحقيق بأن
يحمده ويتوب عليه من أجلها ولما قال الحمد لله وصف ملائكة فقال الذي له مافي السموات ومافي الارض أي
ملكها وخلقها (وله الحمد في الآخرة) أي كما هو له في الدنيا لان النعم في الدارين كلها منه فكان له الحمد على
نعم الدنيا فهو المحمود وعلى نعم الآخرة وقبل الحمد في الآخرة هو حمد أهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح
والحمد كما يلهمون النفس (وهو الحكيم) أي الذي أحكم امور الدارين (الخبير) أي بكل ما كان وما يكون
(يعلم ما يلج في الارض) أي من المطر والسنكوز والاموات (وما يخرج منها) أي من التبات والشجر والعيون
والمعادن والاموات اذا بعثوا (وما ينزل من السماء) أي من المطر والثلج والبرد وأنواع البركات والملائكة

(وهو الحكيم) يتدبر مافي السماء والارض (الخبير) بضمير من يحمده ليوم الجزاء والعرض (يعلم) مستأنف (ما يلج) ما يدخل (وما
يخرج) من الاموات والدفائن (وما يخرج منها) من التبات وجواهر المعادن (وما ينزل من السماء) من الامطار وأنواع البركات
٢ قوله ثلاث وثلاثون كذا بعض نسخ الخازن وفي بعضها بدون ثلاث وفي الخطيب ثلاث وثلاثون وعلم الصواب من ذلك عند العليم
الخبير اه

(وما يعرج فيها) يصعد اليها من الملائكة والدعوات (وهو الرحيم) بأنزال ما يحتاجون اليه (الغفور) لما يحجب تروؤ عليه (وقال الذين كفروا) أي منكم والبعث (لأننا نبأ الساعة) نفى للبعث وانكار لحجي الساعة (قل بلى) أوجب ما بعد النفي بلى على معنى أن ليس الأمر إلا آياتنا (وربى لتأتينكم) ثم أعيد إيجابه مؤكداً بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسيمي بما أتبع المقسم به من الوصف بقوله (عالم الغيب) لأن عظمه حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثبانه واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكلما كان المشتبه به أرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وأكثر كدوا المستشهد عليه أثبت وأرسخ ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية كان الوصف بما يرجع إلى علم الغيب أولى وأحق عالم الغيب مدنى وشامى أى هو عالم الغيب علام الغيب جزرة وعلى على المبالغة (لا يعزب عنه) وبكسر الراءى على يقال عزب يعزب ويعزب إذا غاب وبعد (مثقال ذرة) مقدار اصغر غلة (في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك) من مثقال ذرة (ولا أكبر) من مثقال ذرة (الافى كتاب مبين) الافى اللوح المحفوظ ولا أصغر ولا أكبر بالرفع عطف على مثقال ذرة ويكون الابعنى لكن أورفعا بالابتداء والخبر فى كتاب واللام فى (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة) لما قصر وافيته من مدارج الايمان (٥٠٧) (ورزق كريم) لما صبروا عليه من مناهج الاحسان متعلق بآياتنا

تعليل له (والذين سعوا فى آياتنا) جاهدوا فى رد القرآن (معاجزين) مسابقين طائفة منهم يفوتونا معجزين مكي وأبو عمرو أى مشبطين الناس عن اتباعها وتاملها أو ناسيين الله الى العجز (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) برفع أليم مكي وحفص ويعقوب صفة لعذاب أى عذاب أليم من سبي العذاب قال قتادة الرجز سوء العذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز (ويرى) فى موضع الرفع بالاستئناف أى ويحكم (الذين أنفوا العلم) يعنى أصحاب رسول الله

(وما يعرج فيها) أى فى السماء من الملائكة وأعمال العباد (وهو الرحيم الغفور) أى للفرطين فى أداء ما وجب عليهم من شكر نعمه (وقال الذين كفروا) لأننا نبأ الساعة (معناه أنهم أنكروا البعث وقيل استبطوا ما وعدوه من قيام الساعة على سبيل الله والسخرية (قل بلى وربى لتأتينكم) يعنى الساعة (عالم الغيب) أى لا يفوت علمه شئ من الخفيات وإذا كان كذلك اندرج فى علمه وقت قيام الساعة وانها آتية (لا يعزب عنه) أى لا يغيب عنه (مثقال ذرة) أى وزن ذرة (فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك) أى من الذرة (ولا أكبر) أى فى اللوح المحفوظ (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة) أى لذنوبهم (ورزق كريم) يعنى الجنة (والذين سعوا فى آياتنا) أى فى إبطال أدلتنا (معجزين) أى يحسبون أنهم يفوتونا (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) قيل الرجز سوء العذاب (ويرى الذين أنفوا العلم) يعنى مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (الذى أنزل اليك من ربك) يعنى القرآن (هو الحق) يعنى أنه من عند الله (وهدى) يعنى القرآن (الى صراط العزيز الحميد) أى الى دين الاسلام (وقال الذين كفروا) يعنى المنكرين للبعث المتحججين منه (هل ندلكم) أى قال بعضهم لبعض هل ندلكم (على رجل ينبتكم) يعنون محمد صلى الله عليه وسلم معناه يحددكم بأحوالهم من الاعاجيب وهى انكم (إذا همزتم كل همز) أى قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفریق وصرتم ترابا (انكم فى خلق جديد) أى يقول انكم تبعثون وتنشؤون خلقا جديدا بعد أن تكونوا فانا وترابا (أفترى على الله كذبا) أى أهومفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك (أم به جنة) أى جنون يومه ذلك وبقية على لسانه قال الله تعالى رد عليهم ليس بمحمد صلى الله عليه وسلم من الافتراء والجنون شئ وهو مبرأ منهم (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعنى منكروى البعث

صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه والمفعول الاول ليرى (الذى أنزل اليك من ربك) يعنى القرآن (هو الحق) أى الصدق وهو فصل والحق مفعول ثان أوفى موضع النصب معطوف على ليعزى وليعلم أولو العلم عند محجى الساعة أنه الحق علما لا يراد عليه فى الايقان (وهدى) الله أو الذى أنزل اليك (الى صراط العزيز الحميد) وهو دين الله (وقال الذين كفروا) وقال قريش بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمد صلى الله عليه وسلم وأما ذكره مع أنه كان مشهورا علما فى قريش وكان أنبأه بالبعث شائعاً عندهم تجاهلا به وبامرء وباب التجاهل فى البلاغة والى معرهما (ينبتكم) إذا همزتم كل همز (انكم فى خلق جديد) أى يحددكم بأحوالهم من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشؤون خلقا جديدا بعد أن تكونوا فانا وترابا ويعزى أجسادكم البسلاكل همزكم كل تفریق فالهمز مصدر بمعنى التفریق والعامل فى إذا ما دل عليه انكم فى خلق جديد أى تبعثون والجديد فاعل بمعنى فاعل عند البصريين تقول جدد فهو جديد كقل فوق قيل ولا يجوز انكم بالفتح للام فى خبره (أفترى على الله كذبا) أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك والمهمزة للاستفهام وهمزة الوصل حذف استغناء عنها (أم به جنة) جنون يومه ذلك وبقية على لسانه (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة)

في العذاب والضلال البعيد) ثم قال سبحانه وتعالى ليس محمد من الاقراء والخنون في شيء وهو مبرأ منهم ما بل هؤلاء الثاثلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤدبهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن الخنون جعل وقوعهم في العذاب رسلا لوقوعهم في الضلال كأنهما كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه جعلاهما كأنهما مقترنان ووصف الضلال بالبعيد من الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضلال اذا بعد عن الجادة (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم) وبالادغام على التقارب بين الفاء والباء وضعفه البعض لزيادة صوت الفاء على الباء (الارض أو نسقط) الثلاثة بالباء كوفي غير حاصم لقوله أفترى على الله كذبا (عليهم كسفا) كسفا حصى (من السماء) أي أعمو أفلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حيثما كانوا أو أينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدران ان ينفذوا من أقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من مذكورت الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم (٥٠٨) الآيات وكفرهم بالرسول بما جاء به كما فعل بقارون وأصحاب الايكة (ان في ذلك)

النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله تعالى (لاية) لادلة (لكل عبد منيب) راجع الى ربه مطيع له اذ المنيب لا يتخول من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به (ولقد آتينا داود منا فضلا لا يبال) بدل من فضلا أو من آتينا بتقدير قولنا يا جبال أو قلنا يا جبال (أوبى معه) من التأييب رجبى معه التسبيح ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها سبيحا فيسمع منها كما يسمع من المسبح مجزة لداود عليه السلام (والطير عطف على الجبال والطير عطف على لفظ الجبال وفي هذا النظم من التضامه ما لا يخفى حيث جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين

(في العذاب والضلال البعيد) أي عن الحق في الدنيا (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) أي فعلوا انهم حيث كانوا في ارضي وتحت سمائي فان ارضي وسمائي محيطه بهم لا يخرجون من أقطارها أو أنقادهم عليهم (ان نشأ نخسف بهم الارض) أي كما خسفنا بقارون (أو نسقط عليهم كسفا من السماء) أي كما فعلنا بأصحاب الايكة (ان في ذلك) أي فيما ترون من السماء والارض (لاية) أي نذل على قدرتنا على البعث بعد الموت (لكل عبد منيب) أي تأب راجع الى الله تعالى بقلبه قوله عز وجل (ولقد آتينا داود منا فضلا) يعني النبوة والملك وقيل الملك وقيل هو جميع ما أتى من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به (يا جبال أوبى معه) أي قلنا يا جبال سبجى معه اذا سبجى قيل رجبى معه اذا رجع ونوحى معه اذا نوح (والطير) أي وأمرنا الطير أن تسبح معه فكان داود اذا نادى بالتسبيح أو بالتسبيحة أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه وقيل كان داود اذا لحقه ملأ أرققورا سمعه الله تعالى تسبيح الجبال فينشط له (والناله الحديد) يعني كان الحديد في يده كالشمع أو كالعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة قيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما ملك بنى اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متسكرا فاذا رأى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود واليكم هذا أي رجل هو فيؤمنون عليه ويقولون خير افيض الله له ملكا في صورة آدمي فلما رآه داود تقدم اليه على عادته فسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود عليه الصلاة والسلام ذلك وقال ما هي يا عبد الله قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سبيبا يستغنى به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله قال ان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع وانه أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح وقيل انه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف فيأكل منها ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين وقد صرح في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده (أن العمل ساعات) أي دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب في الارض قيل كان يعمل كل يوم درعا (وقدر في السرد) أي ضيق في نسج الدرع وقيل قدر المسامير في حلق الدرع ولا تجعله المسامير دقا قافا قففت ولا تثبت ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل قدر في السرد أي اجعله على القصد وقدر الحاجة (واعملوا صالحا) يريد داود وآله (انى بما نعملون بصير) قوله تعالى (ولسليمان الریح) أي

اذا أمرهم بالطاعة أطاعوا واذا دعاهم أجابوا اشعارا بانه مامن حيوان وجماد الا وهو منقاد لمشيئة الله تعالى ولو قال وسخرنا آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير لم يكن فيه هذه التضامه (والناله الحديد) وجعلناه له ليئا كالطين المعجون يصرفه يده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما أتى من شدة القوة (أن العمل) أن يعي أي أو أمرناه ان العمل (ساعات) دروعا وساعة تامه من السبوع وهو أول من اتخذها وكان يبيع الدرع بأربعة آلاف فيسحق منها على نفسه وعباله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج متسكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيؤمنون عليه فقبض الله له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه وهو انه يطعم عياله من بيت المال فسأل عن ذلك ربه ان يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع (وقدر في السرد) لا تجعل المسامير دقا قافا فتكسر الحلق والسرد نسج الدروع (واعملوا) الصير (لداود وأهله) (صالحا) خالصا بصالح القول (انى بما نعملون بصير) فأجازيكم عليه (ولسليمان الریح) أي وسخرنا السليمان الریح وهي الصبا وريح

الريح أبو بكر وحاد والفضل

أي وسليمان الريح مسخرة

(عدو هاتهم روروا حها شهر)

جرهما بانغداة مسيرة شهر

وجرحها بالعدوى كذلك وكان

بغدون دمشق فيقبل

باصطخر فارس وبينهما

مسيرة شهر وروح من

اصطخر فيبيت بكابل

وبينهما مسيرة شهر

للراكب المسرع وقبل كان

يتغدى بالرى ويتغى

بسمرقند (وأسلانه عين

القطر) أي معدن النحاس

فالقطر النحاس وهو الصفر

ولكنه أسأله وكان يسيل

في الشهر ثلاثة أيام كاي سيل

الماء وكان قبل سليمان

لا يذوب وسماه عين القطر

اسم ما آل اليه (ومن الجن

من يعمل) من في موضع

نصب أي وسخرنا من الجن

من يعمل (بين يديه باذن

ربه) بأمر ربه (ومن يرغ

منهم) ومن يعدل منهم (عن

أمرنا) الذي أمرنا به من

طاعة سليمان (نذقه من

عذاب السعير) عذاب

الآخرة وقيل كان معه ملك

بيده سوط من نار فنزاع

عن أمر سليمان عليه

السلام ضربه ضربه أحرقة

(بعمالون له ما يشاء من

محارب) أي مساجد أو

مساكن (وعن أنيل) أي

صور السباع والطيور ورور

أنهم عملوا له أسدين في أسفل

كرسيه ونسرين فوقه فإذا

أراد أن يصعد بسط الاسدان

له ذراعهما وإذا قعد

وسخرنا سليمان الريح (عدو هاتهم روروا حها شهر) معناه ان مسرعدو ذلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير روروا حها مسيرة شهر فكانت تسير به في كل يوم واحد مسيرة شهر من قبل كان يغدون دمشق فيقبل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقبل كان يتغدى بالرى ويتغى بسمرقند (وأسلانه عين القطر) أي أدناله عين النحاس قال أهل التفسير أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن بكبرى الماء وكان بأرض اليمن وقيل أذاب الله سليمان النحاس كما ألان لداود الحديد (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه) أي بأمر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به (ومن يرغ) أي يعدل (منهم) من الجن (عن أمرنا) أي الذي أمرنا به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) قيل هذا في الآخرة وقيل في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا يده سوط من نار فنزاع منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقة (بعمالون له ما يشاء من محارب) أي مساجد وقيل هي الابنية المرتفعة والقصور والمجاسات ثمينة المصونة عن الابدال وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام ابتدأه ورفعاه فأمه رجل فآوى الله اليه لم أقض ذلك على يدك ولكن ابن لك أملاكه بعدك اسمه سليمان أقضى اتمامه على يديه فلما توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان عليه الصلاة والسلام أحب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والبوار من معادنهم وأمرهم ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر رصا وأمر على كل رص من اسباطها من الاسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فر قام منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنهم ومنهم يستخرج الجواهر والبواقيت والدر الصافي من أمما كنهم أو منهم من يأتيه بالمشا والعزيز والطيب من أمما كنهم فأتى من ذلك بشئ كثير لا يحصىه الا الله تعالى ثم أحضر الصنائع وأمرهم بنحت تلك الاجار وتصييرها ألواحا واصلاح تلك الجواهر ونقش البواقيت والال التي في المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمدهم باسطين البوار الصافي وسقفه بأنواع الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه بالال التي والبواقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بأنواع الفير وزج فلم يكن على وجه تلك الارض يومئذ بيت أبهى ولا أفور من ذلك المسجد فكان يضئ في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه أجبار بني اسرائيل وأعلمهم انه بناء لله تعالى وان كل شئ فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيدا روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم ما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل حكما فآوئيه وسأل الله تعالى ملكا لا يذنب لاحد من بعده فأوئيه وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ان لا يأتية أحد لا ينزهه الا الصلاة فيه الا أخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه أخرجه الناسي ولغير الناسي سأل ربه ثلاثا فأعطاه اثنتين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة وذكر نحوه قوله لا ينزهه أي لا ينزهه الا الصلاة قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه الصلاة والسلام حتى غزا مجتمعت من غريب المدينة وهدم المسجد وأخذ من فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحمله الى دار ملكه بالعراق وبنى الشياطين لسليمان باليمن قصورا وحصونا عجيبا من الصخر وقوله عز وجل (وعن أنيل) أي ويعملون له عن أنيل أي سور من نحاس ورخام وزجاج قيل كانوا يصورون السباع والطيور وغير هار قيل كانوا يصورون صور الملائكة والانبياء والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة قيل يحتمل ان اتخذوا الصور كان مباحا في شرعهم وهذا مما يجوز ان يختلف فيه الشرائع لانه ليس من الامور القبيحة في العقل كالقتل والظلم والكذب ونحوها مما يوجب في كل الشرائع قبل عملوا له أسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط له الاسدان ذراعيهما وإذا جلس أطله

أظله النسران باجتهنهما وكان التصور ربما ما جئنا به (وحقان) جمع جفنة (كالجواب) جمع جابية وهي الجبابض الكبار قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل كالجواب في الوصل والوقف مكي ويعقب رسول وفاق أبو عمرو في الوصل الباقيون بغيرها أكتفاء بالكسرة (وقد روي راسيات) ثابتات على الأثافي لا تنزل عن العظماء وقيل أنها باقية بالجن وقلنا لهم (اعملوا آل داود شكرا) أي ارحموا أهل البلد وأسألوا ربكم العافية عن الفضيل وشكرا مفعول به أو حال أي شاكرين أو اشكروا وشكرا لان أعمالوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنع شكر له أو مفعول به يعني انما نغفرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا وسئل الجنيد عن الشكر فقال بذل المجهود بين يدي المعبود (وقليل من عبادي) يسكنون الياء حمزة (٥١٠) وغيره بفتحها (الشكور) المتوفى على أداء الشكر البازل وسعه فيه قد شغل

النسران باجتهنهما وقيل عملوا الطواريس والعقبان والنسور على درجات سريره وفوق كرسيه لكي يراه من أراد الدعوى منه (وحقان) أي فصاع (كالجواب) أي كالجبابض التي يجي فيها الماء أي مجتمع قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل بأكلون منها (وقد روي راسيات) أي ثابتات على أثافيها لا تحرك ولا تنزل عن أماكنها العظماء وكان يصعد اليها بالسلام وكانت بالجن (اعملوا آل داود شكرا) أي وقلنا يا آل داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه قيل المراد من آل داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل بيته قال ثابت البناني كان داود نبي الله عليه الصلاة والسلام قد جازأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من ليل أو نهار الا وانسان من آل داود قائم يصلي (وقليل من عبادي الشكور) أي قليل العامل بطاعتي شكرا لنعمتي قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان قال العلماء كان سليمان تجردا لعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهور والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله المرة التي مات فيها وكان سبب ذلك انه كان لا يصح يوما الا وقد نبتت في حجره بيت المقدس شجرة قيسا لها ما اسمها فتقول كذا وكذا فيقول لا شيء خلقت فتقول لك كذا وكذا فيأمرهم فاقطع فان كانت لغرس أمرهم فغرست وان كانت لدواء كتب ذلك حتى نبتت الخروب فقال لها ما أنت قالت أنا الخروب قال ولا شيء نبتت فالت خراب مسجدك قال سليمان ما كان الله ليخرجهوا ناسي أنت التي على وجهك هلالتي وخراب بيت المقدس ثم رزعاها وغرسها في حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب شيئا ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب وقام يصلي على عادته مستكئا على عصاه فمات قائما وكان للمعبراب كوى من بين يديه ومن خلفه فكان الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياة سليمان وينظرون اليه ويحسبون انه حي ولا يشكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته وانقطاعه قبل ذلك فكانوا يدأبون بعد موته حولا كاملا حتى آكلت الارضه عصا سليمان فخر ميتا فعملوا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضه فهم بأنوم بالماء والطين في جوف الخشب فذلك قوله تعالى (ماد لهم على موته الادب الارض) يعني الارضه (نأكل من ثمنه) قال البخاري يعني عصاه (فلما خربت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) معناه علمت الجن وأيقنت أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في التعب والشقاء مسجونين لسليمان وهو ميت ويظنونه حيا أراد الله تعالى بذلك أن يعلم الجن انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وقيل في معنى الآية انه ظهر أمر الجن وانكشف للانس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك ذكر أهل التاريخ أن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبنى في الملك مدة أربعين سنة وشرع في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وتوفي وهو ابن ثلاث وخمسين سنة قوله عز وجل (لقد كان اسبابا مسكنهم آية) عن

به قلبه واسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكذا وعن ابن عباس رضي الله عنه من يشكر على أحواله كلها وقيل من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وحيى عن داود عليه السلام انه جازأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان (ماد لهم) أي الجن وآل داود (على موته الا دابة الارض) أي الارضه وهي دويبة يقال لها سرفه والارض فعلها فاضيفت اليه يقال أرضت الخشب أرضا اذا أكلته الارضه (نأكل من ثمنه) والعصا اسمى مفدا لانه ينسأب أي بطور ومن ثمنه بغيره من مدني وأبو عمرو (فلما خربت) سقط سليمان (تلبثت الجن) علمت الجن كلهم علمنا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفهم

(أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) بعد موت سليمان (في العذاب المهين) وروي ان داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في فرة موضع فطام موسى عليه السلام فمات قبل أن يتم فوضي به الى سليمان فأمر الشياطين بأتمامه فلما بني من عمره سنة تسال ربه ان يعصى عليهم موته حتى يفرغوا منه وتبطل دعواهم علم الغيب وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبني في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه وروى ان أفريدون جاء ليصعد كرسية فلما ناضرب الاسد ان ساقه فكسرها فلم يجسأ أحد بعده ان يدفونه (لقد كان اسبابا) بالصرف بتأويل الحى وبعدهم أبو عمرو وتأويل القبط (في مسكنهم) حمزة وخفص مسكنهم على وخلف وهو موضع سكنائهم وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقعدين فيها بالجن أو مسكن كل واحد منهم غيرهم مساكنهم (آية)

اسم كان (جنتان) بدل من آية أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان ومعنى كونها آية أن آهاهما الماء عرضا عن شكر الله سبحانه
الله النعمة ليحسبوا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر ونمط النعم أوجعها أي علامة دالة على قدرة الله وإحسانه
ووجوب شكره (عن عيين وشمال) أراد جاعتين من البساتين جماعة عن عيين بلادهم (٥١١) وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجاعتين

في تقاربها وتضامها كأنها
جنة واحدة كما تكون بساتين
البلاد العامرة أو أراد
بستان كل رجل منهم عن
عيين مسكنه وشماله (كلوا
من رزق ربكم واشكروا له)
حكاية لما قال لهم أنبياء الله
المبعوثون إليهم أو لما قال
لهم لسان الحال أو هم أحقاء
بأن يقال لهم ذلك ولما أمرهم
بذلك اتبعه قوله (بلدة
طيبة ورب غفور) أي
هذه البلدة التي فيها رزقكم
بلدة طيبة وربكم الذي
رزقكم وطاب شكركم رب
غفور لمن شكره قال ابن
عباس كانت سبأ على ثلاث
فواضع من صنعاء وكانت
أخصب البلاد يخرج المرأة
وعلى رأسها المكمل فتعمل
ببدها وتسير بين تلك
الشجر فيمتلئ المكمل مما
يتساقط فيه من الثمر وطيها
لبس فيها عوض ولا ذباب
ولا برغوث ولا عقرب ولا
حية ومن يمر من الغرباء
يموت قبله لطيب هوائها
(فاعرضوا) عن دعوة
أنبيائهم فكذبواهم وقالوا
ما نعرف الله علينا نعمة
(فارسلنا عليهم سبل العرم)
أي المطر الشديد أو العرم
أعم الوادي أو هو الجرد

فروء من مسكن المرادى قال لما أنزل في سبأ ما أنزل قال رجل يا رسول الله وما سبأ أرض أو امرأه قال ليس
بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتباعد منهم ستة وأشام منهم أربعة فأما الذين
تشاء موافقهم وحذام وغسان وعاملة وأما الذين تباعدوا فالأزد والاشعرية وجرهم وكندة ومذحج وأغار
فقال رجل يا رسول الله وما أغار قال الذين من أهلهم خشم وبجيلة أخرجه الترمذي مع زيادة وقال حديث
حسن غريب وسبأ هو ابن شجب بن يعرب بن قحطان في مسكنهم أي بجارب من أرض اليمن آية أي دلالة
على وحدانية قدرتنا ثم فسر الآية فقال تعالى (جنتان) أي بستانان (عن عيين وشمال) أي عن عيين
الوادي وشماله وقيل عن عيين من أنهارها وشماله وقيل كان لهم واد قد أحاطت به الجنتان (كلوا) أي
قبل لهم كلوا (من رزق ربكم) أي من ثمار الجنتين قبل كانت المرأة تحمل مكملها على رأسها وتجر بالجنين
فيمتلئ المكمل من أنواع الفواكه من غير أن تحس ببدها شيئا (واشكروا له) أي على ما رزقكم من النعمة
واعملوا بطاعته (بلدة طيبة) أي أرض مأرب وهي سبأ بلدة طيبة فسيحة ليست بسجدة وقيل لم يكن يرى
في بلادهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل فيموت
القمل من طيب الهواء (رب غفور) قال وهب أي وربكم أن شكرتم على ما رزقكم رب غفور لمن شكره
قوله عز وجل (فاعرضوا) قال وهب أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبيا فدعواهم إلى الله تعالى وذكروهم
نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فكذبواهم وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة فقولوا إليكم فليحس هذه النعمة
عن ابن استطاع فذلك اعراضهم (فارسلنا عليهم سبل العرم) العرم الذي لا يطاق قبل كان ماء أجرا رسله
الله تعالى عليهم من حيث شاء وقيل العرم السكر الذي يحس الماء وقيل العرم الوادي قال ابن عباس
ووهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ما وادهم فأمرت بوادهم فسد
بالصخر والقار بين الجبلين وجمعت لهم ثلاثة أبواب بعضهما فوق بعض وبنت دونه بركة ضخمة وجعلت
فيها اثني عشر مخزجا على عدة أنهارهم فيقحونها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا عنه سدوها فإذا
جاءهم المطر اجتمع إليهم ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففقد جري
ماؤه إلى البركة فكأنوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث لا يسفل فلا ينفذ الماء حتى
يشوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسم بينهم على ذلك فقوا بعد هامة فلما طغوا وكفروا ساط الله
عليهم جزا يسمى الخلد فتقب السد من أسفله فغرق الماء جنانهم وأخرت أرضهم وقال وهب رأوا فيها
يزعمون ويحسدون في علمهم أن الذي يجرب سدهم فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عند هامة
فلما جاء زمان ما أراد الله تعالى بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فأرة حراء كبيرة إلى هرة من تلك
الهزار فساورتها حتى استأخرت عن الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت عند هامة فغلقت في السد
وحقرت حتى أوهنت المسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجدها قد دخل منه حتى اقتلع السد
وفاض الماء حتى علا أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فغرقوا وضرقوا كل عرق حتى صاروا مثلا
عند العرب يقولون ذهبوا أي سبأ وتفرقوا أي سبأ فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم سبل العرم
(وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتي أكل حط) قبل هو شجر الأراك وثمره البربر وقيل كل نبات أخذ طعم من
المرارة حتى لا يمكن أكله فهو حط وقيل هو شجر يقال له قسوة الضمير على صورة الخشخاش يتفرك
ولا ينقع به (وائل) قبل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه (وشئ من سدر قليل) هو

الذي نقب عليهم السكر فالوالمطغوا سباط الله عليهم الجرد فبقية من أسفله فغرقهم (وبدلناهم بجنتهم) المذكورين (جنتين) ونسبة
البديل جنتين للمشاكله وازدواج الكلام كقوله وجرأ سبئة سبئة مثلها (ذواتي أكل حط) الأكل الثمر يتقل ويحترق وهو قراءة نافع ومكي
والخط شجر الأراك وقيل كل شجر ذي شوك (وائل وشئ من سدر قليل) الأكل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودا ووجه من فون

الائل وهو غير أبي عمرو ان أصله ذواتي أكل كل خط فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أو وصف الأكل بالخط كأنه قبل ذواتي
أكل بشع ووجه أبي عمرو ان كل الخط في معنى البرير وهو غير الأراك اذا كان غصافا كأنه قبل ذواتي برير الأائل والسدر معطوفان على
أكل لا على خط لان الأائل لا أكل له وعن الحسن قل السدر لانه أكرم ما بدلو الاله بكون في الجنان (ذلك جزيناهم عما كفروا) أي
جزيناهم بذلك بكفرهم فهو مفعول ثان مقدم (وهل يجازي الا الكفور) كوفي غير أبي بكر وهل يجازي الا الكفور غيرهم يعني وهل
يجازي مثل هذا الجزاء الا من كفر النعمة ولم يشكرها أو كفر بالله أو هل يعاقب لان الجزاء وان كان عاملا يستعمل في معنى المعاقبة وفي
معنى الأثابة لكن المراد الخاص وهو العقاب وعن الضعفاء كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهم السلام (وجعلنا بينهم) بين سبا
(وبين القرى التي باركنا فيها) بالتوسعة (٥١٣) على أهلها في النعم والمياه وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يرى

بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لا عين الناظرين أو ظاهرة للساكنين لم تبعد عن مساكنهم حتى تخفى عليهم وهي أربعة آلاف وسبع مائة قرية متصلة من سبا إلى الشام (وقد درنا فيها السير) أي جعلنا هذه القرى على مقدار معلوم يقبل المسافر في قرية وروح في أخرى إلى ان يبلغ الشام (سيروا فيها) وقلنا لهم سيروا لا قول لغة ولكنهم لما كانوا من السير وسويت لهم أسبابه فكانهم أمروا بذلك (ليأيا وأياما آمنين) أي سيروا فيها ان شئتم باليسل وان شئتم بالله فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات أي سيروا فيها آمنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا وان ظاولت مدة سفركم وامدت

شجر معروف يتفتح بورقة في القدر وغيره التبع ولم يكن السدر الذي يملوه مما يتفتح به بل كان سدرًا بريًا لا يصلح ان يثقل قبل كان شجر انقوم من خدير الشجر فصبره الله من شجر الشجر بأعمالهم وهو قوله تعالى (ذلك جزيناهم عما كفروا) أي ذلك الذي فعلنا بهم جزاء كفرهم (وهل يجازي الا الكفور) أي هل يكافأ بعمله الا الكفور لله في نعمه قيل المؤمن يحوز ولا يجازي يحوز به لأنه ولا يكافأ بسيئاته (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) أي بالماء والشجر وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) أي متواصلة تظهر الثانية من الاولى لقربها منها قيل كان متجرهم من البين إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية وبقية بلون باخرى وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبا إلى الشام وقيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبع مائة قرية متصلة من سبا إلى الشام (وقد درنا فيها السير) أي قد زنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم في الغد والراح على قدر نصف يوم فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار فكان ما بين الين والشام كذلك (سيروا) أي وقلنا لهم سيروا (فيها بالي وأياما) أي في أي وقت شئتم (آمنين) أي لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وسئمو الراحة وظفوا إلى بصبرهم على العاقبة فقالوا لو كانت جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشتهي وطلبوا الكد والتعب في الأسفار (فقالوا ربنا بعد بين أسفارنا) وقرى أبعد بين أسفارنا أي اجعل بيننا وبين الشام مقارز وفلوات لتريح فيها الروح والحمل ونزود الأرواد فلما أخذوا ذلك جعل الله لهم الاجابة (وظفوا أنفسهم) أي بالبطر والطغيان (جعلناهم أحاديث) أي عبرة لمن بعدهم يتخذون بامرهم وشأنهم (ومر قناهم كل محرق) أي فرقاهم في كل وجه من البلاد كل التفرق قيل لما عرفت قراهم تفرقوا في البلاد فاما غسان فلفقوا بالشام ومر الأزد إلى عمان وخزاعة إلى تهامة ومر الأوس والخزرج إلى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الأوس والخزرج ولحق آل خزاعة بالعراق (ان في ذلك لايات) أي أعلام ودلائل (لكل صبار) أي عن المعاصي (شكور) أي لله على نعمه قيل المؤمن صابر على البلاء شاكر للنعماء وقيل المؤمن اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر قوله عز وجل (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) قيل على أهل سبا وقيل على الناس كلهم (فاتبعوه الا فر يقامن المؤمنين) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه في أصل الدين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس لما سأل النظر فأنظره الله قال لا غوينهم ولا ضللتهم لم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ما قاله فيهم يتم وانما قاله ظنه فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم وقال الحسن انه لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط اغما وعدهم

أي ما لبالي (فقالوا ربنا بعد بين أسفارنا) قالوا باليهما كانت بعيدة فتسير على نجائنا ونرجع في التجارات ونقاخر في الدواب والاسباب بطروا النعمة وملوا العاقبة فطلبوا الكد والتعب بعد مكى وأبو عمرو (أنفهم جعلناهم أحاديث) يتحدث الناس بهم ويتجيبون من أحوالهم (ومر قناهم كل محرق) وفرقاهم مثل ملامضهم يقولون ذهبوا أي سبوا وتفرقوا أي سبوا فلق غسان بالشام وأغار يثرب وجزاهم تهامة والأزد بهمان (ان في ذلك لايات لكل صبار) عن المعاصي (شكور) لانهم لم يسلوا لان الاعيان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) بالشديد كوفي أي حقق عليهم ظنه أو وجدته صادقا بالتحقيق غيرهم أي صدق في ظنه (فاتبعوه) الضعيف في عليهم واتبعوه أهل سبا وأولئكي آدم وقلل المؤمنين بقوله (الافر يقامن المؤمنين) لقلتمهم بالاضافة إلى الكفار ولا تجحد أكرهم شاكرين

(وما كان له عليهم) لا بليس على الذين صار ظنه فيهم صدقاً (من سلطان) من تسلط واستيلا بالسوسة (الانعلم) موجوداً ما علمناه معدوماً والتغير على المعلوم لا على العلم (من يؤمن بالآخرة) من هو منها في شئ وربك على كل شئ حفيظ (محافظ عليه وفعل ومفاعله) متآخيان (قل) لمشرقي قومنا (ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أي زعمتموهم آلهة من دون الله فالمفعول الأول الضمير الراجع إلى الموصول وحذف كما حذف في قوله أهدنا الذي بعث الله استخفافاً فالطول الموصول به صلاته والمفعول الثاني آلهة وحذف لأنه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان (٥٣) مفهوماً فإقامة ولا زعم محذوفان بسببين مختلفين والمعنى ادعوا الذين

والمعنى ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتوهم باسمه والتجوا إليهم فيما يعرفونكم كالتجئون إليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم كما تنتظرون استجابته ثم أجاب عنهم بقوله (لا يعلمون مثقال ذرة) من خبر أو رفع أو ضر (في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك) وما لهم في هذين الجنسيتين من شرك في الخلق ولا في الملك (وما له تعالى) (منهم) من آلهتهم (من ظهري) من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد أنهم على هذه الصفة من الجبر فكيف يصح أن يدعوا كما يدعي ويرجوا كما يرجي (ولا تنفع الشفاعة عنده) (الامن أذن له) أي أذن له الله بمعنى الامن وقع الاذن للشفيع لأجله وهي اللام الثانية في قولك أذن لزيد لعمري لأجله وهذا تكذيب لقولهم

وما كان له عليهم من سلطان) أي ما كان تسلطنا إياه عليهم (الانعلم من يؤمن بالآخرة) من هو منها في شئ أي انرى وغير المؤمن من الكافرو وأراد علم الوقوع والظهور إذ كان معلوماً عنده لأنه عالم الغيب (وربك على كل شئ حفيظ) أي رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ قوله تعالى (قل) أي قل يا محمد تكفاركم (ادعوا الذين زعمتم) أي انهم آلهة (من دون الله) والمعنى ادعوه لم يكشفوا عنكم الضر الذي تزل بكم في سني الجوع ثم وصف عجز آلهة فقال تعالى (لا يعلمون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) يعني من خبر وشر ونفع وضر (وما لهم) أي للآلهة (فيها) أي في السموات والأرض (من شرك) أي من شركه (وما له) أي الله (منهم) أي من الآلهة (من ظهري) عوين (ولا تنفع الشفاعة عنده) (الامن أذن له) أي أذن الله له في الشفاعة قاله تكذيباً للكفار حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل يجوز أن يكون المعنى الامن أذن الله في أن يشفع له (حتى إذا فرغ عن قلوبهم) معناه كشف الفرع وأخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك من غشبية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى (خ) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها فادفرغ عن قلوبهم (قالوا ماذا قال ربكم قالوا) الذي قال (الحق وهو العلي الكبير) وللمزمذى إذا قضى الله في السماء أمر ضربت الملائكة بأجنحتها خضعوا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال الترمذى حديث حسن صحيح قوله خضعوا جميع خاضع وهو المنقاد المطمئن والأصفوان الحجر الأملس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كجمرات سلسلة على الصفاة فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فإذا جاء فرغ عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك فيقول الحق فيقولون الحق أخرجه أبو داود الصلصلة صوت الجراس الصلصلة بعضها على بعض وقيل اغنايفزعون حذر من قيام الساعة قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة سنة وأسمائة لم تسمع الملائكة فيها صوت وحي فلما بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا أنها الساعة لأن محمد صلى الله عليه وسلم عند أهل السموات من أشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفاً من قيام الساعة فلما فجد جبريل جعل يبرأ أهل كل سماء فكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون وقيل إذا كشف الفرع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا لإقامة الحجج عليهم قالوا الحق فأقروا به حين لم ينفعهم الأقرار وهو العلي الكبير أي ذوالعلو والكبرياء وقوله عز وجل (قل من يرزقكم من السموات والأرض) يعني المطر والنبات

(٦٥ - خازن ثالث) هؤلاء شفعاؤنا عند الله أذن له كوفي غير عاصم إلا الأعمش (حتى إذا فرغ عن قلوبهم) أي كشف الفرع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الأذن وفرغ شأني أي الله تعالى والتفريق أزال الفرع وحتي غاية لما فهم من أن ثم انتظار الأذن ونفوقا وفرغ من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أم لا يؤذن لهم كأنه قيل يتصرفون ويتوقعون ملياً فرعين حتى إذا فرغ عن قلوبهم (قالوا) سأل بعضهم بعضاً (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أي القول الحق وهو الأذن بالشفاعة لمن ارتضى (وهو العلي الكبير) ذوالعلو والكبرياء ليس للملك ولا لنبى أن يتكلم ذلك اليوم إلا بأذنه وأن يشفع الامن ارتضى (قل من يرزقكم من السموات والأرض)

قل الله أمره بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم أمره بان يتولى الاجابة والافرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشهاد بانهم معفون به بقولهم الا انهم رجا ابوابا يتكلموا به لانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم لمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتوزنون عليه من لا يقدر على الرزق وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالستهم لم ينتهصر عنه (وانا اوابا لكم على هدى اوفى ضلال مبين) ومعناه وان احد الفريقين من الموحدين ومن المشركين لم يأت احد الامر من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خطب به قد أنصفه فكل صاحب في درجه بعد تقدم ما قدم من التقدير بدلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى (٥١٤) ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض أوصل بالمجادل الى الغرض ونحوه قولان

للكاذب ان أحدنا لكاذب وخواف بين حرفي الجسر الداخلين على الهدي والضلال لان صاحب الهدي كانه مستعمل على قوس جواد يركضه حيث شاء والضال كانه ينغمس في ظلام لا يرى أين يتوجه (قل لا تسئلون عما أجرنا ولا تسئل عما نعملون) هذا أدخل في الانصاف من الاول حيث أسند الاجرام الى مخاطبين وهو من جود منه محظور والاعمال الى مخاطبين وهو مأثور به مشكور (قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة (ثم يفتح) يحكم بيننا بالحق) بلا جور ولا ميل (وهو الفتاح) الحاكم (العليم) بالحكم (قل أروني الذين ألحقتم) أي ألحقوهم (به) بالله (شركاء) في العبادة معه ومعنى قوله أروني وكان يراهم ان يريهم الخطأ العظيم في الخلق الشركاء بالله وأن

(قل الله) يعني ان لم يقولوا ان رازقنا هو الله فقل أنتان رازقكم هو الله (وانا اوابا لكم على هدى اوفى ضلال مبين) معناه ما نحن وانتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال وهذا ليس على طريق التشديد على جهة الالزام والانصاف في الجحاج كما يقول القائل أحدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب فالنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدي ومن خالفه في ضلال فكذلك من غير أن يصريح بالتكذيب ومنه بيت حسن

أتهجوه ولست له بكفاء * فشر كالحير كما الفداء

وقيل أو بمعنى الواو ومعنى الآية اننا على هدى وانكم لفي ضلال مبين (قل لا تسئلون عما أجرنا) أي لا تأخذون به (ولا تسئل عما نعملون) أي من الكفر والتكذيب وقيل أراد بالاجرام الصغار والزلات التي لا يحلو منها مؤمن وباعمل الكفر والمعاصي العظام (قل يجمع بيننا ربنا) يعني يوم القيامة (ثم يفتح) أي يفتي ويحكم (بيننا بالحق) أي بالعدل (وهو الفتاح) أي القاضي (العليم) أي بما يقضي (قل أروني) أعلموني (الذين ألحقتم به) أي بالله (شركاء) أي الاصنام التي أتمركوها معه في العبادة هل يخلقون أو يرزقون وأراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في الخلق الشركاء بالله (كاذب) كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى اريدوا فانهم لا يخلقون ولا يرزقون (بل هو الله العزيز) أي الغالب على أمره (الحكيم) أي في تدبير خلقه فاني يكون له شريك في ملكه (وهو العزيز وجل) (وما أرسلناك الا كافة للناس) أي للناس كلهم عامة أحرهم وأسودهم عربهم وعجمهم وقيل ارسلناهم لانها اذا شعلتهم فقد كفتهم ان يخرج منها أحد (ق) عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمساً لم يظعن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فإني أركبها الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة في الحديث بيان الفضائل التي خص الله بها نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم دون سائر الانبياء وان هذه الخمسة لم تكن لأحد من كان قبله من الانبياء وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس والجن وكان النبي يبعث الى قومه أو الى أهل بلده فممت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم لجميع الخلق وهذه درجة خص بها دون سائر الانبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقيل في معنى كافة أي كافا تكفهم معاهم عليه من الكفر فتكون الهاء للمبالغة (بشيرا) أي لمن آمن بالجنة (وتذكيرا) أي لمن كفر بالنار (ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعني يوم القيامة (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) معناه لا تتقدمون على يوم

يطاعهم على حالة الاشراك به (كاذب) ردع وتنبية أي اريدوا عن هذا القول وتنبها عن ضلالكم (بل هو الله العزيز) القيامة الغالب فلا يشركه أحد وهو خير الشان (الحكيم) في تدبيره (وما أرسلناك الا كافة للناس) الا ارسلناهم محيطة بهم لانها اذا شعلتهم فقد كفتهم ان يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج معنى الكافة في اللغة الا حاطة والمعنى أرسلناك جامعاً للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالاً من الكاف والتاء على هذا للمبالغة كآء الراوية والعلامة (بشيرا) بالفضل لمن أقر (وتذكيرا) بالعدل لمن أصر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيعلمهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون متى هذا الوعد) أي القيامة المشار اليها في قوله قل يجمع بيننا ربنا (ان كنتم صادقين) قل لكم ميعاد يوم) الميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو هنا الزمان ويدل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم وأما الاضافة فاضافة تبين كما تقول بعير سائبة (لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أي لا يمكنكم التأخر عنه بالاستهال ولا التقدم اليه

يأتى بالعاطف في قول الذين
استكبروا وأتت به في وقال
الذين استضعفوا لان الذين
استضعفوا هم أولاد كلاً مهم
جنىء بالجواب محذوف
العاطف على طريق
الاستئناف ثم جنىء بكلام
آخر للمستضعفين فعطف
على كلاً مهم الاول (بل
مكرر الليل والنهار) بل
مكرر كمن بنا بالليل والنهار
فأتبع في الطرف بجرائه
مجرى المفعول به وأضاف
المكرراته أوجعل ليلاً لهم
ونهارهم ما كرين على الاستنسا
الحجازى أى الليل والنهار
مكرر اطول السلامة قيمه

القبامة وقبل عن يوم الموت ولا تتأخرون عنه بان يراد في آجالهم أم أوبنقص منها (وقال الذين كفروا لو
نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) يعني التوراة والإنجيل (ولو ترى) أي يا محمد (إذا انظالمون موقوفون
عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول) معناه ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجادلون أطراف
المحاورة ويتراجعون ما بينهم لرأيت العجب (يقول الذين استضعفوا) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم
القادة والأشراف (لولا أنتم لكانوا مؤمنين) يعني أنتم منعتمونا عن الإيمان بالله ورسوله (قال الذين
استكبروا) أي أجاب المتبوعون في الكفر (للذين استضعفوا نحن صدقناكم) أي منعناكم (عن
الهدى) أي عن الإيمان (بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين) أي بترك الإيمان (وقال الذين استضعفوا للذين
استكبروا بل مكر الليل والنهار) أي مكركم بنا في الليل والنهار وقبل مكر الليل والنهار وطول السلامة
في الدنيا وطول الأمل فيها (إذا تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أي هو قول القادة للاتباع
أن دينا الحق وأن محمدا كذاب ساحر وهذا نبيه لا كفارة أن نصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا
سبب عداوتهم في الآخرة (وأمرروا الندامة) أي أظهروها وقبل أخفوها وهو من الأضداد (أما
رأوا العذاب وجعلناه الأغلال في أعناق الذين كفروا) أي في التاروا للاتباع والمتبوعين جميعا (هل
يجزون إلا ما كانوا يعملون) أي من الكفر والمعاصي في الدنيا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وما أرسلنا
في قرية من نذير إلا قال مترفوها) أي رؤسائها وأغنيائها (إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا) يعني
المترفون والأغنياء للفقراء الذين آمنوا (نحن أكثر من الأولاد) يعني لو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه
من الدين والعمل الصالح لم نحولنا أمم الأولاد (وما نحن بمؤمنين) أي إن الله قد أحسن البينات

حتى ظننا انكم على الحق (اذ تأمروا وتنهون ان تكفروا بالله ونفجعه له أندادا) أشباهها والمعنى ان المستكبرين لما أنكروا بقولهم ان نحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وأنشوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكمسبهم واختيارهم تركيهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والهار فابطلوا ضراهم باضراهم كانتهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنادائنا لبلالوا واراوجلكم ايانا على الشر والخذلان ناد (واسر والندامة) أضروا وأظهروا وهو من الاضداد وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين (لما رآوا العذاب) الجحيم (وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا) أى في أعناقهم فجاء بالصرح للدلالة على ما استحقوا به الاغلال (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) في الدنيا (وما أرسلنا في قرية من نذير) نبي (الا قال متروها) متنعها وهارورساؤها (انابعأرسلتم به كفرون) هذه تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم مما معنى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به وانه لم يرسل قط الى أهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة واقفروا بكثره الاموال والاولاد كقَالَ (وقالوا نحن أكثر مالاً واولاداً منكم) أرادوا انهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظر الى أحوالهم في الدنيا وظنوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله ولولا ان المؤمنين كانوا عليه لما حرهم فابطل الله ظنهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشاء فمما لو سمع على العصا وضيق على المطيع ورعبا عكس ورعبا وسع عليه ما أوضيق عليه فاذل بنقاس عليه ما أمر الثواب بقوله

(قل ان ربي يبدى الرزق لمن يشاء ويقدر) قدر الرزق تضييقه قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (وما أمركم ولا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا لاني) أي وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي وذلك ان الجمع المكسر عقلا وهو غير عقلا له سواء في حكم التأييد والزاني والزائفة كالفري والقرية ومجملها النصب على المصدر أي تقر بكم قرية كقولهم أنبتكم من الارض نباتا (الامن آمن وعمل صالحا) الاستثناء من كم في تقر بكم يعني أن الاموال لا تقرب أحد الا المؤمن الصالح الذي ينفقه في سبيل الله والاولاد لا تقرب أحد الا من علمهم الخير وفقهم في الدين ورشحهم للصالح والطاعة وعن ابن عباس الاعمى لكن ومن شرط جوابه (فأرسلناهم جزءا الضعف) وهو من (٥١٦) اضافة المصدر الى المفعول أصله فأرسلناهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف

الدين بالمال والولد فلا بعد لنا في الآخرة (قل ان ربي يبدى الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني انه تعالى يبدى الرزق ابتداء ما لا يدل البسط على رضا الله تعالى ولا التضييق على معطيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي انها كذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا لاني) أي بالتي تقر بكم عندنا تقر بيا (الا أي لكن) (من آمن وعمل صالحا) قال ابن عباس يريد ايمانه وعلمه بقرية مني (فأرسلناهم جزءا الضعف بما عملوا) أي يضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشر الى سبعمائة (وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا) أي يعملون في ابطال حجبتنا (مجهزين) أي مماندين يحسبون انهم ينجون ونناويفوننا (أولئك في العذاب محضرون) قوله عز وجل (قل ان ربي يبدى الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) أي يعطى خلفه اذا كان في غير اسراف ولا تقير فهو يخلفه ويعرضه لامعوض سواء اما عاجلا بالمال أو بالنعمة التي هي كثر لا ينقصد واما بالثواب في الآخرة الذي كل خلف دونه وقيل ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيه فليقتصد فان الرزق مقدر وموكل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك وللمسلم يا ابن آدم أنفق أنفق عليك (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا لو كان ينزل ان يقول أحد هما اللهم أعط منقفا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممكنا (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزوا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله (وهو خير الرازقين) أي خير من يعطى ويرزق لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق مملوكه أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجرا الله على أيدي هؤلاء وهو الرزاق الحقيقي الذي لا رازق سواه (قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا) يعني هؤلاء الكفار (ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) أي في الدنيا وهذا الاستفهام تقرير للكفار فتبيرا للملائكة منهم من ذلك (قوله تعالى (قالوا سبحانك) أي تنزيها لك (أنت ولينا من دونهم) أي نحن نتولاهم ولا نتولاهم فينبوا بآيات موالاة الله ومعاداة الكفار برائتهم من الرضا بعبادتهم لهم (بل كانوا يعبدون الجن) يعني الشياطين فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن قلت أراد ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فأطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صوروا وقالوا لهم هذه صور الملائكة فأعبدوها فعبدها وقيل كانوا يدخلون

ومعنى جزءا الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرة وقرا يعقوب جزءا الضعف على فأرسلناهم الضعف جزءا (بما عملوا) بما عملهم (وهم في الغرفات) أي غرف منازل الجنة الغرفة حجرة (آمنون) من كل هائل وشاغل (والذين يسعون في آياتنا) في ابطالها (مجهزين أولئك في العذاب محضرون) قل ان ربي يبدى الرزق يوسع (من يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم) ما شرطية في موضع النصب (من شيء) بيانه (فهو يخلفه) يعوضه لامعوض سواء اما عاجلا بالمال أو آجلا بالثواب جواب الشرط (وهو خير الرازقين) المطعمين لان كل ما رزق غيره من سلطان أو سيد أو غيره مما فهو من رزق الله أجرا على أيدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق

الاسباب التي بها يتفقد المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي أوجدني وجمعاني ممن يشتهى فكم من شته لا يجد وواحد لا يشتهى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) وبالبيان فيه ما حفص ويعقوب هذا خطاب للملائكة وتقرير لكفار ووارد على المثل السابق اياك أعني واسمى يا جاره ونحوه قوله أنت قلت للناس اتخذوني الآية (قالوا أي الملائكة) سبحانك (تزيه لك أن يعبدوا غيرك) (أنت ولينا) الموالاة خلاف المعاداة وهي مقابلة من الولي وهو القرب والولي يقع على الموالى والمولى جميعا والمعنى أنت الذي تواليه (من دونهم) اذ الموالاة بيننا وبينهم فينبوا بآيات موالاة الله ومعاداة الكفار برائتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه النصفة كانت حاله منافية لذلك (بل كانوا يعبدون الجن) أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله أو كانوا يدخلون في أجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها أو صارت لهم الشياطين صور قوم من

الجن وقالوا هذه صور الملائكة فأعبدوها (أكثرهم) أكثر الناس أو الكفار (هم) بالجن مؤمنون فألوم لأعقاب بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) لان الامر في ذلك اليوم لله وحده لا علك فيه أحد منفعه ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها اختلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها يخلى بينهم يتضارون ويتنافعون والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر عاقبة الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) بوضع العبادة في غير موضعها معطوف على لا علك (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) في الدنيا (واذا أتت عليهم آياتنا) أي اذا قرئ عليهم القرآن (بينات) وراشحات (قالوا) أي المشركون (ما هذا) أي محمد (الارجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا) أي القرآن (الا افلم نفترى وقال الذين كفروا) أي وقالوا والعذول عنه دليل على انكار عظيم وغضب شديد (الحق) للقرآن أولا هي النبوة كله (لما جاءهم) وعجزوا عن الايمان بمثله (ان هذا) أي الحق (الا يصبر مبین) يتوه على انه سبحانه يتوه على انه بين ظاهر لكل عاقل تأمله معناه سحرا (وما آتيناكم من كتب يدسونها) أي ما أعطينا مشركي مكة كتب يدسونها فيها برهان على صحة انشرك (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) ولا أرسلنا اليهم نذيرا ينذروهم بالعقاب ان لم يشركوا ثم وعدهم على انكذبهم بقوله (وكذب الذين قبلهم) أي وكذب الذين تقدموهم من الامم (٥١٧) الماضية والقرون الخالية الرسل كما

كذبوا (وما بلغوا معشار ما آتيناكم) أي وما بلغوا أهل مكة عشر ما أوتي الاقوال من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال والاولاد (فكذبوا رسلي فكيف كان تكبير) للتكذيبين الاولين فليصدروا من مثله وبالسبب في الوصل والوقف يعقوب أي تخين كذبوا ورسولهم جاءهم انكارى بالنسب مدبر والاستئصال ولم يرق عنهم استظهارهم بما هم مستظهرون فما بال هؤلاء وما عاقل فكذبوا وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم لانه لما كان معني قوله

في أجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها (أكثرهم هم مؤمنون) أي مصدقون للشباطين قال الله تعالى (فاليوم لا علك بعضكم لبعض نفعا) أي شفاعه (ولا ضرا) أي بالعذاب يريد أنهم عاجزون لانفع عندهم ولا ضرر (ونقول للذين ظلموا وذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) واذا أتت عليهم آياتنا بينات (قالوا ما هذا الارجل) يعنون محمد صلى الله عليه وسلم (يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افلم نفترى) يعنون القرآن (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا يصبر مبین وما آتيناكم) يعني هؤلاء المشركين (من كتب يدسونها) أي يقرئونها (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) أي لم يأت العرب قبلك نبي ولا أنزل اليهم كتاب (وكذب الذين من قبلهم) أي من الامم الخالية من القوة والنعمة وطول الاعمار (فكذبوا رسلي فكيف كان تكبير) أي انكارى عليهم يحذر بذلك كفار هذه الامه عذاب الامم الماضية في قوله عز وجل (قل انما أعظمكم) أي أمركم وأوصيكم (بواحدة) أي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال تعالى (أن تقوموا لله) أي لاجل الله (مثنى) أي اثنين اثنين (وفرادى) أي واحدا واحدا (ثم تنفكروا) أي تجتمعوا جميعا فتظنوا وتجاوزوا وتفكروا في حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا أن (ما باصاحبكم من جنه) ومعنى الآية انما أعظمكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة فتقوموا الوجه الله خالصا ثم تنفكروا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتنفكروا ويعرض كل واحد منهما لمحصل فكره على صاحبه لينظر افيه نظر متصادقين متنافسين لا يميل بهما اتباع الهوى وأما الفرد فيفكر في نفسه أيضا بعدل ونصفه هل رأينا في هذا الرجل جنونا قاط أوجرنا عليه كذبا قط وقد علمت ان محمد صلى الله عليه وسلم ما به من جنه بل قد علمت انه من أرحم قريش عقلا وأورثهم حكما

وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل التكذيب الرسل مبيعا عنه وهو كقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر محمد صلى الله عليه وسلم (قل انما أعظمكم بواحدة) بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله (أن تقوموا) على انه عطف بيان لها وقيل هو بدل وعلى هذين الوجهين هو في محل الجر وقيل هو في محل الرفع على تقدير هو أن تقوموا والاصب على تقدير أعنى وأراد بقيامهم القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعتهم عنده أو قيام القصد الى الشئ دون النهوض والانتصاب والمعنى انما أعظمكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا (لله) أي لوجه الله خالصا لا لجمية ولا عصبية بل لطلب الحق (مثنى) اثنين اثنين (وفرادى) فردا فردا (ثم تنفكروا) في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتنفكروا ويعرض كل واحد منهما لمحصل فكره على صاحبه وينظران فيسه نظر المصدق والانصاف حتى يؤدبهما النظر الصحيح الى الحق وكذلك الفرد يتمسك في نفسه بعدل ونصفه ويعرض فكره على عقله ومعنى تفرقهم مثنى وفردى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية وبقل الانصاف فيه ويكثر الاعتساف وينور عجاج التعصب ولا يسمع الانصرة المذهب وتنفكروا معطوف على تقوموا (ما باصاحبكم) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (من جنه) جنون والمعنى ثم تنفكروا فتعلموا ما باصاحبكم من جنه

(ان هو الانذير لكم بين يدي عذاب شديد) فدام عذاب شديد وهو عذاب الآخرة وهو كقوله عليه السلام بعثت بين يدي الساعة ثم بين انه لا يطلب أجر على الانذار بقوله (قل ماسألتكم من أجر) على انذارى وتبليغى الرسالة (فهو لكم) جزاء الشرط تقديره أى شئ سألتكم من أجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة ومعناه نفي مسئلة الاجر رأساً نحو ما لى فى هذا فهو لك أى ليس لى فيه شئ (ان أجرى) مدنى وشامى وأوبى وكرو حفىص وبسكون الياء غيرهم (الاعلى الله وهو على كل شئ شهيد) فبعلم انى لا أطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الامنه (قل ان ربي يقذف بالحق بالوحي والقذف توجيه السهم ونحوه يدفع واعتماداً ويستعار لمعنى الالتقاء ومنه وقذف فى قلوبهم الرعب ان اقدفه فى التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزل الى انبيائه أو يرمى به الباطل فيدمغه ويذهقه (علام الغيوب) مرفوع على البطل من الضمير فى يقذف أو على انه خبر مبتدأ محذوف (قل جاء الحق) الاسلام والقرآن (وما يبدئ الباطل وما يعبد) أى زال الباطل وهلك لان الابداء والاعادة من صفات الحى فعدمهما عبارة عن الهلاك والمعنى جاء الحق وزهق الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة أصنام فجعل يطعن بها يعود معه ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً جاء الحق وما يبدئ الباطل (٥١٨) وما يعبد وقيل الباطل الاصنام وقيل ابليس لانه صاحب الباطل أولاً لانه هالك

كما قيل له الشيطان من شأنا اذا هلك أى لا يخاف الشيطان ولا الصنم أحدا ولا يعبده فالمنشئ والباعث هو الله ولما قالوا قد ضللت نرك دين آباءنا قال الله تعالى (قل ان ضللت) عن الحق (فإنما أضل على نفسي) ان ضللت فى وعلى (وان اهتديت فيما يوحى الى ربي) أى فتسديد بالوحي الى وكان قياس التقابل أن يقال وان اهتديت فأنما اهتدى لها كقوله فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فأنما يضل عليها ولكن فما متقابلا معنى لان النفس كل ما هو وبال عليها وضارها فهوها وبسببها لانها الامارة بالسوء

وأحدهم ذهاباً وأرضهم رأيا وأصدقهم قولاً وأزكاهم نفساً وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويعده حونه به واذا علمت ذلك كفأكم ان تطالبوه بآية واذا جاءهم اتبين انه نبي نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل تم الكلام عند قوله ثم تنفكروا أى فى السموات والارض فتعلموا ان خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال ما يصاحبكم من جنة (ان هو الانذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ماسألتكم) أى على تبليغ الرسالة (من أجر) أى جعل (فهو لكم) أى لم أسألكم شيئاً (ان أجرى) أى توابى (الاعلى الله وهو على كل شئ شهيد قل ان ربي يقذف بالحق) أى يأتى بالوحي من السماء فيقذفه الى الانبياء (علام الغيوب) أى خفيات الامور (قل جاء الحق) أى القرآن والاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعبد) أى ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية تبتدى شيئاً أو تعيده وقيل الباطل هو ابليس والمعنى لا يخلق ابليس أحداً ابتداءً ولا يعبد اذ مات وقيل الباطل الاصنام (قل ان ضللت فأنما أضل على نفسي) وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين آباءنا فقال الله تعالى قل ان ضللت فيما نزعون أنتم فأنما أضل على نفسي أى انتم ضلالتي على نفسي (وان اهتديت فيما يوحى الى ربي) أى من القرآن والحكمة (انه سميع قريب) قوله عز وجل (ولوزى) أى بالمحمد (اذ فرعوا) أى عند البعث أى حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت (فلا فوت) أى لا يفوتونا ولا نجا لهم (وأخذنا من مكان قريب) قيل من تحت أقدامهم وقيل أخذوا من بطن الارض الى ظهورها وحيثما كانوا فأنهم من الله قريب لا يفوتونه ولا يجزونهم وقيل من مكان قريب يعنى عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف بالبيداء ومعنى الآيه ولوزى اذ فرعوا الى آيت أمر ان اعتبر به (وقالوا آمنا به) أى حين عاينوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند البعث (رأى لهم التناوش) أى التناول والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريباً منهم فى الدنيا فاضبعوه وقال ابن عباس يسألون الرد الى الدنيا فيقال وأنى لهم الرد الى الدنيا (من مكان بعيد) أى

ومالها مما ينفعها فهم داية رجم او توفيقه وهذا حكم عام لكل مكاف وانما أمر رسوله أن يسند الى نفسه لان الرسول اذا دخل من تحت مع جلالته محله وسد اطر يقته كان غيره أولى به (انه سميع) لما أقوله لكم (قريب) منى ومنكم بجازينى ويجازيكم (ولوزى) جوابه محذوف أى رأيت أمر اعظم او حالاً هائلة (اذ فرعوا) عند البعث أو عند الموت أو يوم بدر (فلا فوت) فلا مهرب أو فلا يفوتون الله ولا يسفونونه (وأخذوا) عطف على فرعوا أى فرعوا وأخذوا فلا فوت لهم أو على لا فوت على معنى اذ فرعوا فلم يفوتوا وأخذوا (من مكان قريب) من الموقف الى النار اذا بهوا ومن ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا أو من صحراء بدر الى القلب (وقالوا) حين عاينوا العذاب (آمناء به) بمعده عليه السلام ما ورد ذكره فى قوله ما يصاحبكم من جنة أو بالله (وانى لهم التناوش من مكان بعيد) التناوش التناول أى كيف يتناولون التوبة وقد بددت عنهم يريدان التوبة كانت تقبل منهم فى الدنيا وقد هبت الدنيا وبعثت من الآخرة وقيل هذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم فى الدنيا مثلت حالهم بحال من يريدان يتناول الشئ من غلوة كما يتناول الآخرون من قيس ذراع التناوش بالهمزة أبو عمرو وكوفى غير حفص همزت الواو لان كل واو مضمومة ضمته لازمة ان شئت ابدلتها همزة وان شئت لم تبدل نحو قولك ادور وتقوم وان شئت قلت ادور وتقوم وعن ثعلب التناوش بالهمزة التناول من بعد وغيرهم التناول

من قرب (وقد كفروا به من قبل) من قبل العذاب أو في الدنيا (ويقذفون بالغيب) معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكافوا بشكائهم بالغيب أو بالشئ الغائب يقولون لا بعث ولا حساب ولاجنة ولا نار (من مكان بعيد) عن الصدق أو عن الحق والصواب أو هو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر سائر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه معجرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان أعدائهم مما جاء به السحر والشعوذة بعد شئ من عادته التي عرفت بينهم وحرب الكذب ويقذفون بالغيب عن أبي عمرو على البناء للمفعول أي تأنيهم به شيئا طيبا - هم وبقنوتهم أياه وان شئت فقله بقوله وقالوا آمنا به على أنه مثلهم في طاعتهم تحصل ما عطلوه من الإيمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطاب مستبعد عن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في حقوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه بعيدا ويجوز ان يكون الضمير في آتنا به للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكافوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من ان يعذبنا قائلين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قد فهم بالغيب وهو غيب ومقدوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف (وحيل) وجز (بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الإيمان يومئذ والتجاة (٥١٩) من النار والفوز بالجنة أو من الرد إلى الدنيا كما حكى عنهم بقوله

ارجعنا نعمل صالحا
والافعال التي هي فرعوا
وأخذوا وحيل كما للمعنى
والمراد بها الاستقبال
لتحقق وقوعه (كافوا)
بأشياء عنهم من قبل
بأشياءهم من الكفرة
(انهم كافوا في شئ) من أمر
الرسول والبعث (مريب)
موقع في الريبة من أربابه
إذا أوقعه في الريبة هذا
رد على من زعم ان الله
لا يعذب على السنته والله
أعلم

من الآخرة إلى الدنيا (وقد كفروا به من قبل) أي بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يعاينوا العذاب وأحوال القيامة (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) قيل هو الظن لان علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعد علم ما يقولون والمعنى يرمون محمد صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم انه شاعر سائر كاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجون بالظن يقولون لا بعث ولاجنة ولا نار (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) يعني الإيمان والتوبة والرجوع إلى الدنيا ونعيمها وزهرتها (كافوا بأشياءهم) أي بنظراتهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار (من قبل) أي لم تقبل منهم التوبة والإيمان في وقت اليأس (انهم كافوا في شئ) أي من البعث وتزول العذاب بهم (مريب) أي موقع الريبة والتهمة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة

وهي مكية وخمس وأربعون آية وتسعمائة وسبعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (الحمد لله فاطر السموات والارض) أي خالقها ومبتدعها على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) أي إلى الأنبياء (أولى أجنحة) أي ذوى أجنحة (مثنى وثلاث ورباع) أي بعضهم لهم جناحان وبعضهم لهم ثلاثة أجنحة وبعضهم لهم أربعة (يزيد في الخلق ما يشاء) أي يزيد في خلق الأجنحة ما يشاء قال عبد الله بن مسعود في قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وقيل في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وتعامه وقيل هو الملائكة في العينين وقيل هو العقل والتمييز (ان الله على كل شئ قدير) أي بما يريد أن يخلقه (قوله تعالى) ما يفيض الله للناس من رحة) قبل المطر وقيل من خير ورزق (فلا يمسسك الله) أي لا يستطيع أحد حبسها (وما يمسك فلا

سورة الملائكة مكية
وهي خمس وأربعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
(الحمد لله) حمد ذاته تعظيما

وتعظيما (فاطر السموات) مبتدئها ومبتدعها قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري معنى الفاطر حتى اختصم إلى اعرابي ان في برقة قال أحدهما أنا فطرتم أي ابتدأتم (والارض جاعل الملائكة رسلا) إلى عباده (أولى) ذوى اسم جمع لذو وهو بدل من رسلا أو أنه له (أجنحة) جمع جناح (مثنى وثلاث ورباع) صفات لأجنحة وأعمال تنصرف لتكرار العدل فيها وذلك انها عدلت عن ألقاظ الاعداد عن صميم إلى صمغ آخر كما عدل عمر عن عامر وعن تكرير إلى غير تكرير وقيل للعدل والوصف والتعويل عليه والمعنى ان الملائكة طائفة أجنحتهم اثنتان اثنتان أي لكل واحد منهم جناحان وطائفة أجنحتهم ثلاثة ثلاثة ولعل الثالث يكون في وسط الظهور بين الجناحين يحدهما بقوة وطائفة أجنحتهم أربعة أربعة (يزيد في الخلق) أي يزيد في خلق الأجنحة وغيره (ما يشاء) وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن والخط الحسن والملاحة في العينين والآية مطابقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامته واعتدال صورته وتعام في الأعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجرالة في الرأي وذلافة في اللسان ومحبة في قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك (ان الله على كل شئ قدير) قادر (ما يفيض الله للناس من رحة) تنكرت الرحمة للإشاعة والإيهام كأنه قال من آية رحة رزق أو مطر أو راحة أو غير ذلك (فلا يمسك الله) فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها واستعبر القبح للإطلاق والإرسال الذي يرى في قوله (وما يمسك) يمنع ويحبس (فلا

مرسل له) مطابق له (من بعده) من بعدهما كما واث الضمير الراجع الى الاسم المتضمن معنى الشرط على معنى الرحمة ثم ذكره جلا على اللفظ المرجع اليه اذ لا تانيث فيه لان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير وعن معاذمر فوعلا نزال يد الله مبسوطة على هذه الامة ما لم يرفق خيارهم بشرارهم ويعظم برهم فاجرهم وتعن قراؤهم امرأهم على معصية الله فاذا فعلوا ذلك نزع الله يده عنهم (وهو العزيز) الغالب القادر على الارسال والامساك (الحكيم) الذي يرسل ويعلم ما تقتضى الحكمة ارسله وامساكه (يا أيها الناس اذكروا) باللسان والقلب (نعمت الله عليكم) وهي التي تقدمت من بسط الارض كالمهاد ورفع السماء بلا عمد وارسال الرسل لبيان السبيل دعوة اليه وزلفة لديه والزيادة في الخلق وقبح أبواب الرزق ثم نبه على رأس النعم وهو اتحاد المنعم بقوله (هل من خالق غير الله) يرفع غير على الوصف لان خالق مبتدأ خبره محذوف أي لكم وبالجر على وجزة على الوصف لفظا (يرزقكم) يجوز أن يكون مستأنفا ويجوز أن يكون صفة تلامق (من السماء) بالمطر (والارض) بأنواع النبات (لا اله الا هو) جملة مفصولة لا محل لها (فاني توفىكون) فبأي وجه تصرفون عن التوحيد (٥٣٠) الى الشرك (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) نبى به على قريش سوء تلقىهم

لا يات الله وتكذيبهم بها
وسلى رسوله بان له في الانبياء
قبلة اسوة واهل ان ذكر رسل
أى رسل ذود عدد كثير
وأولوايات ونذروا هل
أعمار طول وأصحاب صبر
وعزم لانه أسلى له وتقدير
الكلام وان يكذبوك
فتأمن بتكذيب الرسل
من قبلك لان الجزاء يتعقب
الشرط ولو أجرى على الظاهر
يكون سابقا عليه ووضع
فقد كذبت رسل من قبلك
موضع فتأمن استغناء
بالسبب عن المسبب أى
بالتكذيب عن التأمن
(والى الله ترجع الامور)
كلام يشتمل على الوعد
والوعيد من رجوع الامور
الى حكمه ومجازاة المكذب

مرسل له من بعده) أى لا يقدر أحد على فتح ما أمسك (وهو العزيز) أى فيما أمسك (الحكيم) أى فيما أرسل
(م) عن المغيرة بن شعبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع
ذا الجدم من الجدم والجحد والغنى والبخت أى لا ينفع المخبوت والغنى حظهم وغناهم امنك انما ينفعه
الاخلاص والعمل بطاعتك قوله عز وجل (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم) قيل الخطاب لاهل
مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم (هل من خالق غير الله) أى لا خالق الا الله وهو
استفهام تقريرى يوجب (يرزقكم من السماء) يعنى المطر (والارض) أى النبات (لا اله الا هو فاني
توفىكون) أى من أين يقع لكم الاقل والتكذيب بتوحيد الله وانكار البعث وأنتم مقرون بأن الله خالقكم
ورزقكم (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (والى الله ترجع
الامور) أى فيجزي المكذب من الكفار بتكذيبه قوله تعالى (يا أيها الناس ان وعد الله حق) يعنى
وعد القيامة (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) أى لا تتخذ عنكم لذاتها وما فيها من عمل الآخرة وطلب ما عند
الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) أى لا يقل لكم اعمالكم ما شئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من
هو فقال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أى عادوه بطاعته الله ولا تطيعوه فيما يأمركم به من
الكفر والمعاصي (اغلبوا على خزيه) أى أشيعاه وأولياهه (ليكونوا من أصحاب السعير) ثم بين حال
موافقيه ومخالفيه فقال تعالى (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
وأجر كبير) قوله عز وجل (أفئن زين له سوء عمله) قال ابن عباس ترات في أبي جهل ومشرى مكة وقيل
ترأت في أصحاب الاهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وليس أصحاب
الكائر من الذنوب منهم لم لانهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم اياها ومعنى زين له شبهه له
وموه عليه قبح عمله (فراء حسنا) وفي الآية حذف مجازة أفئن زين له سوء عمله فأرى الباطل حقا لمن
هداه الله فأرى الحق حقا والباطل باطلا (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وقيل مجازاة الآية

والمكذب بما يستحقه انه ترجع بفتح التاء شامى وجزة وعلى ويعقوب وخلف وسهل (يا أيها الناس ان أفئن

وعدا لله) بالبعث والجزاء (حق) كأن (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) فلا تتخذ عنكم الدنيا ولا يذهبنكم التمتع بها والتلذذ بعنائها عن العمل
للاخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) أى الشيطان فانه يغيثكم الاماني المكاذبة ويقول ان الله غنى عن عبادته وعن تكذيبه
(ان الشيطان لكم عدو) ظاهر العداوة فعل بأبيكم ما فعل وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له باحواله (فاتخذوه عدوا) في عقائدكم وأفعالكم
ولا يوجد منكم الا ما يدل على معادته في سرهم وجهركم ثم تلخص سر أمرهم وخطأهم اتباعه بان عرضه الذى يؤمنه في دعوة شيعته هو
ان يورد لهم مورد الهلاك بقوله (اغلبوا على خزيه ليكونوا من أصحاب السعير) ثم كشف الغطاء فبنى الامر كله على الايمان وتركه فقال
(الذين كفروا لهم عذاب شديد) أى فن أجابه حين دعاه فله عذاب شديد لانه صار من خزيه أى أتباعه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات)
ولم يجيبوه ولم يصبروا من خزيه بل عادوه (لهم مغفرة وأجر كبير) ليكبر جهادهم ولما ذكر الفرقين قال انبيى عليه السلام (أفئن زين له سوء
عمله فراء حسنا) بزين الشيطان كن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء

فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وذكر الزجاجة ان المعنى أفن زين له سوء عمله ذهب نفسه عن حسرة خذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفن زين له سوء عمله كن هداية الله خذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه فلا تذهب نفسك يزيد أي لا تملكها حسرات مفعول له يعني فلا تملك نفسك الحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه جوامات عليه خزنا ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لان المصدر لا تتقدم عليه صلتها (ان الله عليهم بما يصنعون) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم (وان الله الذي أرسل الرياح) الريح مكى وحزة وعلى (فتشير محابا فسقناه الى بلد ميت) بالشديد مدنى وحزة وعلى وحفض وبالتخفيف غيرهم (فاحيينا به) بالمطر لتقدم ذكره ضمنا (الارض بعد موتها) يابسها وانما قيل فتشير لتعني الحال التي تقع فيها اثاره الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة الدالة على القدرة البانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تغيير وخصوصية بحال تستغرب (٥٣١) وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها

لما كان من الدلائل على القدرة الباهرة قبل فسقنا واحيينا بعد ولا يجمعان لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه (كذلك النشور) الكاف في محمل الرفع أي مثل احياء الموات نشور الاموات قيل يحسي الله الخلق بما يرسله من تحت العرش كحي الرجل تنبت منه اجساد الخلق (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) أي العزة كلها مختصة بالله عزة الانبياء وعزة الآخرة وكان الكافرون يتعززون بالانصام كما قال واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزوا الذين آمنوا بالسننهم من غير موافاة قلوبهم كما كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين

أفن زين له سوء عمله فراه حسنا (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات والمعنى لا تغم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا (ان الله عليهم بما يصنعون) فيه وعيد بالعقاب على سوء صنيعهم (وان الله الذي أرسل الرياح فتشير محابا) أي تزججه من مكانه وقبل تجمعه وتجي به (فسقناه) أي فسوقه (الى بلد ميت فأحييناه الارض بعد موتها كذلك النشور) أي مثل احياء الموات نشور الاموات روى ابن الجوزي في تفسيره عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحسي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بواد أهلك محلا ثم مررت به يم - ترخصرا قلت نعم قال كذلك يحسي الله الموتى وتلك آية في خلقه ^{قوله تعالى} (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) قيل معناه من كان يريد ان يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة فليست عز بطاعة الله وهو دعاء الى طاعة من له العزة أي فليطلب العزة من عند الله بطاعته وذلك ان المكفار عبادوا الاصنام وطلبوا بها التعززين ان الله لا عزة الا لله ولرسوله ولا وليا له المؤمنين (اليه) أي الى الله (يصعد الكلم الطيب) قيل هو قول لا اله الا الله وقيل هو سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر روى البغوي باسناد عن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا أنبأكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله الا أخذهن ملائكة تحت جناحه ثم يصعدنهم فلا يعرهن على جمع من الملائكة الاستغفروا القائلن حتى يحسبها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله قوله اليه يصعد الكلم الطيب هذا حديث موقوف على ابن مسعود وفي اسناده للحاج بن نصير ضعيف وقيل الكلم الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى اليه يصعد أي يقبل الله الكلم الطيب (والعمل الصالح يرفعه) قال ابن عباس أي يرفع العمل الصالح الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح اداء الفرائض فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وابس الايمان بالتقى وليس بالتعالي وتكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالح يرفعه العمل ذلك بأن الله يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وجاء في الحديث لا يقبل الله قول الا بعمل ولا قول ولا عملا الا بنية وقيل الها في ارفعه راجعة الى العمل الصالح أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عملا الا أن يكون صادرا عن توحيد وقيل معناه العمل الصالح يرفعه الله وقيل العمل الصالح هو الخالص وذلك ان الاخلاص سبب

(٦٦ - خازن ثالث) أولياء من دون المؤمنين أيتنون عند العزة فان العزة لله جميعا فبين أن لا عزة الا بالله والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله لله العزة جميعا موضعه استغناء عنه به لدلالته عليه لان الشيء لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من اراد النصيحة فليطلبها عند ابرار يريد فليطلبها عندهم الا انك أتت ما يدل عليه مقامه وفي الحديث ان ربكم يقول كل يوم أنا العزيز زين أراد عز الدارين فليطع العزيز ثم عرف ان ما يطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ومعنى قوله اليه الى محل القبول والرضا وكل ما انصف بالقبول وصف بالرفعة والصعود أو الى حيث لا ينصف فيه الاحكامه والكلم الطيب كلمات التوحيد أي لا اله الا الله وكان القياس الطيبة ولكن كل جمع ليس بينه وبين واحد الا التاميد كروئوث والعمل الصالح العبادة الخالصة يعني والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالرفع الكلم والمرقوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحى وقيل الرفع الله والمرقوع العمل أي العمل الصالح يرفعه الله وفيه اشارة الى ان العمل يتوقف على الرفع والكلم الطيب يصعد بنفسه وقيل العمل الصالح يرفع

السامعين واتكالا على تسليدهم (٥٢٢)

الناس بفولوت لا يثيب
الله عبدا ولا يعاقبه
الاجنأ أو تأويل الآية
انه يكتب في الصحيفة عمره
كذا كذا سنة ثم يكتب في
أسفل ذلك ذهب يوم
ذهب يومان حتى يأتي
على آخره فذلك نقصان
عمره وعن قتادة المعمر
من يبلغ ستمين سنة
والمقصود من عمره من
موت قبل ستين سنة (ان
ذلك) أى احصاء أوزيادة
العمر ونقصانه (على الله
يسير) سهل (وما يستوى
البحران هذا) أى احدهما
(عذب فرات) شديد
العذوبة وقيل هو الذى
يكسر الطش (ما نفع شرابه)

إضافة

غنى وقال يحبى الفقر خير
للعبد من الغنى لان المذلة
في الفقر والسكر في الغنى
والرجوع الى الله بالتواضع
والذلة خير من الرجوع
اليه بشكثير الاعمال وقيل
صفحة الاولياء ثلاثة انفة
بأنه في كل شئ والفقر اليه
في كل شئ والرجوع اليه
من كل شئ وقال النبي صلى الله عليه وسلم
يخرج البلاء وبلاؤه كله عز
(ان يشاء يذهبكم) كما حكم الى
العدم فان غناه يذانه لايكم
في القدم (ويأت بخلق جديد)
وهو بدون حدكم جيد (وما
ذلك) الانشاء والافناء (على

لقافة النواة وهى القشرة الرقيقة التى تكون على النواة (ان تدعوهم) يعنى الاصنام (لا يسمعوادعاءكم)
يعنى انهم جادوا (ولم يسمعو) أى على سبيل الفرض والتمثيل (ما يستجابوا لكم) أى ما أجابوكم وقيل ما نفعوكم
(ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أى يتبرؤن منكم ومن عبادتكم ياها (ولا ينبئن مثل خبير) يعنى نفسه
أى لا ينبئن أحد منى لاني عالم بالاشياء ﴿قوله تعالى﴾ (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) أى الى فضله
واحسانه والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون الى الله فهم الفقراء (والله هو الغنى) عن
خاقله لا يحتاج اليهم (الحمد) أى المحمود فى احسانه اليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه (ان يشأ
يذهبكم) لا تحاذكم أنذارا او كفركم بآياته (ويأت بخلق جديد) أى يخلق بعدكم من بعده ولا يشرك به شيأ
(وما ذلك على الله بعزيز) أى عمتنع (ولا تزروا وزارة ووزارة أخرى) أى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل
الاوزرها الذى اقترفته لا تؤاخذ بذنب غيره فان فات كفى الجمع بين هذه الآية وبين قوله ولحملان
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فات هذه الآية فى المضالين وذلك فى المضلين انهم يحملون أثقال من أضلوه
من الناس مع اثقال أنفسهم وذلك كله من كسبهم (وان تدع مثقلة الى حملها) معناه وان تدع نفس مثقلة
بذنوبها الى حمل ذنوب غيرها (لا يحمل منه شئ ولو كان ذاقربي) أى ولو كان المدعو ذاقربة
كالاب والام والابن والابن قال ابن عباس يعلق الاب والام بالابن فيقول يا بنى احمل عني بعض ذنوبي فيقول
لا أستطيع حسبى ما على (اغنا نذر الذين يخشون ربهم) أى يخافون ربهم (بالغيث) أى لم يروه والمغنى
واغنا ينفع انذارك الذين يخشون ربهم بالغيث (وأقاموا الصلوة ومن تركه) أى أصحح وعمل خيرا (فانما

الله بعزير) بمجتمع وعن ابن عباس يخلق بعدكم من بعده لا يشرك به شيئاً (ولا تنزروا وزارة وزيراً أخرى) ولا تحمل نفس آثمه نفس أخرى والوزروا الوزراء ووزر الشيء إذا حمله والوزارة صفه للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبارة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار وانما قيل وزارة ولم يقل ولا تنزروا نفس وزيراً أخرى لان المعنى ان النفوس الوازرات لا تؤرم من واحدة الاحاطة وزرها لا وزر غير هـ او قوله ولجميع ان انما لهم وانما لا مع انما لهم - هـ واردي الضالين المضلين فانهم يحملون انما الضلال الناس مع انما ضلالهم وذلك كله اوزارهم - هـ ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم - هـ الله تعالى في قولهم اتبعوا سيئاتنا واعملوا خطايانا كما يقولوه وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء (وان تدع مثقلة) أي نفس مثقلة بالذنوب أحد (الى حملها) نقلاها أي ذنوبها ليحمل عنها بعض ذلك (لا يحمل منه شيء ولو كان) أي المدعو وهو مفهوم من قوله وان تدع (ذاق ربى) ذا قربة قريبة - كـ أوله أو أخ والفرق بين معنى قوله ولا تنزروا وزارة وزيراً أخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ان الاول دال على عدل الله في حكمه وان لا تؤاخذ نفساً بغير ذنبها والثاني في بيان انه لا عياث بمثلين استغاث حتى ان نفساً قد انما انما الاوزار لو دعت الى ان يخفف بعض وزرهم لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرايتها (انما انذار الذين يخشون ربهم) أي انما ينفع بالندارك هؤلاء (بالغييب) حال من الفاعل أو المفعول أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائب عنهم وقيل بالغييب في السرحب لا الاطلاع للغير عليه (وانما والاصولة) في مواقيتها (ومن تركي) تظهر بفعل الطاعات وترك المعاصي (فانما)

يترك لنفسه) وهو اعتراض مؤكّد لحشيتهم وقامتهم الصلاة لانهم امن جلة التزسي (والى الله المصير) المرجع وهو وعد الله لمؤمري بالثواب (وما استوى الا على البصير) مثل للكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور) للايمان (ولا الظل ولا الحرور) الحق والباطل أو الجنة والنار والحرور والريح الحار كالسموم الا ان السموم تكون بالنهار والحرور بالليل وانها رعن القراء (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يجدوا خلافيه وزيادة لالتأكيده معنى النقي والفرق بين هذه الواوات أن بعضها همت شفعاً الى شفع وبعضها وتر الى وتر (ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) يعنى انه قد علم من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه فيمدى من يشاء هذا به وأما أنت تخاف عليك أمرهم فذلك تحرص على اسلام قوم مخذولين شبه الكفار بالموق حيث لا يتفقون بعمومهم (ان أنت الا نذير) أى ما عليك الا ان تبلغ ونذر فان كان المندرجين يسمع الا نذار نفع وان كان من المصيرين فلا عليك (انا أرسلناك بالحق) حال من أحد الضميرين يعنى محققاً ومحققين وأوصفه بالصدراى ارسالا معصوماً بالحق (بشيراً) بالوعد (ونذيراً) بالوعيد (وان من أمة) وما من أمة قبل أمتك والامة الجماعة الكثيرة وجد عليه أمة من الناس ويقال لاهل كل عصر أمة والمراد هاهنا أهل العصر وقد كانت آثار النذارة باقية فيما بين (٥٣٤) عيسى ومحمد عليهم السلام فلم تخل تلك الامم من نذير وحين اندرس آثار نذارة

عيسى عليه السلام بعث محمد عليه السلام (الاخلا) مضمي (فيما نذير) يخوفهم وخامسة الطغيان وسوء عاقبة الكفران واكتفى بالنذير عن التشهير في آخر الآية بعد ما ذكرها لان النذارة مشفوعة بالشارة فدل ذلك النذارة على ذكر البشارة (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) رسالهم (جاءتهم رسالهم) حال وقد مضت (بالبينات) بالمعجزات (وبالزبر) وبالكتب المنسيرة (أى) (والسماوات المنسيرة) أى التوراة والإنجيل والزبور ولما كانت هذه الاشياء في جنسهم أسند المحي بها اليهم استناداً مطلقاً

يترك لنفسه) أى لها قوا به (والى الله المصير وما يستوى الا على البصير) أى الجاهل والعالم وقيل الا على عن الهدى وهو المشرق والبصير بالهدى وهو المؤمن (ولا الظلمات ولا النور) يعنى الكافر والايمن (ولا الظل ولا الحرور) يعنى الجنة والنار وقال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالهار (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) يعنى المؤمنين والكفار وقيل العلماء والجهال (ان الله يسمع من يشاء) يعنى حتى يتعظ ويحجب (وما أنت بمسمع من في القبور) يعنى الكفار شبههم بالاموات في القبور لانهم لا يحيون اذا دعوا (ان أنت الا نذير) أى ما أنت الا مندرج تخوفهم بالنار (انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً) أى بشيراً بالثواب لمن آمن ونذيراً بالعقاب لمن كفر (وان من أمة) أى من جماعة كثيرة فيما مضى (الاخلا) أى سلف (فيما نذير) أى نبى مندرجان قلت كم من أمة في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الا أن تدرس وحين اندرس آثار رسالة عيسى عليه السلام بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم وآثار نذارة باقية الى يوم القيامة لانه لا نبى بعده (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسالهم بالبينات) أى بالمعجزات الدالة على نبوتهم (وبالزبر) أى الصحف (وبالكتب المنسيرة) أى الواضحة قيل أراد بالكتب التوراة والإنجيل والزبور وقيل ذكر الكتب بعد الزبر تأكيده (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان تكبير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) يعنى المطر (فاخرجنا نباتاً مختلفاً ألوانها) يعنى أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب ونحوها وقيل يعنى ألوانها في الحجرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما لا يحصر ولا يعد (ومن الجبال جدد بيض وحمر) يعنى الخطوط والطرق في الجبال (مختلف ألوانها) يعنى منها ما هو أبيض ومنها ما هو أحمر ومنها ما هو أصفر (وغرايب سود) أى شديدة السواد كما يقا أسود غريب تشبهاً بلون الغراب (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) أى خلق مختلف ألوانه (كذلك) أى كاختلاف

وان كان بعضها في جنسهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتب وفيه رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم أخذت) عاقبت (الذين كفروا) بأقوا العقوبة (فكيف كان تكبير) انكارى عليهم وتعدى لهم (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ألواناً مختلفاً ألوانها) أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرهما مما لا يحصر أروها شها من الحجرة والصفرة والخضرة ونحوها (ومن الجبال جدد) طرق مختلفة اللون جمع جدة كجدة زمردد (بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود) جمع غريب وهو نأ كيدللا سود يقال أسود غريب وهو الذى أهدى في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب وكان من حق التأكيده ان يسبق المؤكد كقولك أصفر واقع الا أنه أضمر المؤكد قبله والذي بعده تفسير لا مضمرة وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد بحيث يدل على المعنى الواحد من طرفي الاظهار والاضمار جميعاً ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد أى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود يعنى قول الى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كقَالَ غرات مختلفاً ألوانها (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) يعنى ومنهم من يفسر مختلف ألوانه (كذلك) أى كاختلاف الثمران والجبال ولما قال ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله وأهلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك

(انما يخشى الله من عباده العلماء) أي العلماء به الذين علموه بصفاته عظمه ومن ازداد علمه ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان آمن وفي الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية وتقدّم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن ان معناه ان الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم ولوعكس المكان المعنى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون أحد الا الله وينبغي ان يبين ان الخاشعين هم العلماء وفي الثاني بيان ان الخشية منه هو الله تعالى رقرأ أبو حنيفة وابن عبد العزيز وابن سيرين رضي الله عنهم انما يخشى الله من عباده العلماء والخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يعظم الله من عباده العلماء (ان الله عز وجل غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المشيب حقّه ان يخشى (ان الذين يتلون كتاب الله) يدومون على تلاوة القرآن (وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) أي مسرين النفل ومعلنين الفرض يعني لا يفتنعون به ولا ربه عن حلالة العمل به (يرجون) خبر ان (تجارة) هي طلب الثواب بالطاعة (لن نبور) لن نكسد (٥٢٥) يعني تجارة ينتفي عنها الكساد

وتنفق عند الله (ايوفيههم) متعلق بـ لن نبور أي ليوفيههم بنفاقها عنده (أجورهم) ثواب أعمالهم (ويزيدهم من فضله) بتفسيح القبور أو بتضييعهم في أحسن اليهم أو بتضييع حسناتهم أو بتحقيق وعده لقاؤه أو يرجون في موضع الحال أي راجين واللام في ليوفيهم تتعلق بـ يتسألون وما بعده أي فعله لوجوب ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والاتفاق لهذا الغرض وخبر ان (انه غفور) افرطاتهم (شكور) أي غفور لهم شكور لا عما لهم أي يعطي الجزيل على العمل القليل (والذي أوحينا اليك من الكتاب) أي القرآن ومن للتبيين (هو الحق مصدقا) حال مؤكدة لان الحق لا ينطق عن هذا التصديق (لما بين يديه)

الثمرات والجلال وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) قال ابن عباس يريد انما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني وقيل عظمه وقدره وافرده وخشوه حق خشية ومن ازداد به علما ازداد به خشية (ق) عن عائشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله اني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية قولها فرخص فيه أي لم يشدد فيه قولها فتنزه عنه أقوام أي تباعد عنه وكرهه قوم (ق) عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثله اقط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فخطب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين الخنين بالخاء المعجمة هو البكاء مع غشة وانتشاق الصوت من الأنف وقال مسروق كفي بخشية الله علما وكفي بالاعتزاز بالله جهلا وقال رجل للشعبى أفتنى أيها العالم فقال الشعبى انما العالم من خشى الله عز وجل وقال مقاتل أشد الناس خشية لله أعلمهم به وقال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم (ان الله عز وجل) أي في ملكه (غفور) أي لذنوب عباده وهو تعليل لوجوب الخشية لانه المشيب المعاقب واذا كان كذلك فهو أحق أن يخشى ويتقى قوله عز وجل (ان الذين يتلون كتاب الله) أي يدومون على قرأته ويعلمون ما فيه ويعملون به (وأقاموا الصلوة) أي ويقومون الصلاة في أوقاتها (وأنفقوا مما رزقناهم) أي في سبيل الله (سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور) أي لن تفسد وان تم لك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب (ايوفيههم أجورهم) ويزيدهم من فضله قال ابن عباس سوى الثواب يعني مما لم تر عين ولم تسمع أذن (انه غفور شكور) قال ابن عباس يغفر العظم من ذنوبهم ويشكر السير من أعمالهم (والذي أوحينا اليك من الكتاب) يعني القرآن (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أي من الكتب (ان الله بعبدته خير بصير) قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب) أي أوحينا اليك الكتاب وهو القرآن ثم أورثناه يعني حكمنا بتوريثه وقيل أورثناه يعني ثورته (الذين اصطفينا من عبادنا) قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله اصطفاهم على سائر الامم واختصهم بكرامته بأن جعلهم اتباع سيد الرسل وخصهم بحمل أفضل الكتب ثم قصههم ورتبهم فقال تعالى (فمن ظالم لنفسه ومنهم من مقصد ومنهم سابق بالخيرات) روى عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من

لما تقدم من الكتب (ان الله بعبدته خير بصير) فعلان وابصر أحوال ورآه أهلا لان نوحى اليك مثل هذا الكتاب المجز الذي هو عيار على سائر الكتب (ثم أورثنا الكتاب) أي أوحينا اليك القرآن ثم أورثناه من بعدك أي حكمنا بتوريثه (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أئمة من العصاة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم أمة وسطا ليكفوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى فضل رسله ثم رتبهم على مراتب فقال (فمن ظالم لنفسه) وهو المزحل لأمر الله (ومنهم مقصد) هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا (ومنهم سابق بالخيرات) وهذا التأويل يوافق التنزيل فانه تعالى قال والسابقون الاولون من المهاجرين الآتية وقال بعده وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآتية وقال بعده وآخرون من جونا لأمر الله الآتية والحديث فقد روى عن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر بعد قراءة هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقا سابق ومقصدنا ناج وظالمنا مغفور له وعنه عليه السلام السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقصد يحاسب حسابا يراهم يدخل الجنة وأما الظالم لنفسه فيبس حتى ينظر انه لا يقبض ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة رواه أبو الدرداء والاثرقم ابن عباس رضي الله عنهما السابق الظالم والمقصد المرأى والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد

له الا انه حكم لثلاثة بدخول الجنة وقول السلف فقد قال الربيع بن أنس الظالم صاحب الكفار والمقتصد صاحب الصغائر والسابق المحنت
لهما وقال الحسن البصري الظالم من رجحت سيئاته والسابق من رجحت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته وسئل أبو يوسف
رحمه الله عن هذه الآية فقال كلهم (٥٢٦) مؤمنون وأما نصفة الكفار فبعد هذا وهو قوله والذين كفروا لهم نار جهنم وأما الطبقتان

هذه الآية ذكره البغوي بغير سند وعن أبي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية
ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمن ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله
قال هؤلاء كلهم عزلة واحدة وكلمة في الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عمر بن
الخطاب انه قرأ هذه الآية على المنبر ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له قال أبو قلابة أحد رواة حديثه يحيى
ابن معين فجعل يتعجب منه أخرجه البغوي بسنده وروى بسنده عن ثابت ان رجلا دخل المسجد فقال
اللهم ارحم غريبى وآسى وحشتى وسقى الى جليسا لحاق فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقا لانا نأسعك
منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب
وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيحاسب في المقام حتى يدخله الله ثم يدخل الجنة ثم
قرأ هذه الآية الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال عقبه بن صهبان سألت عائشة
عن قول الله عز وجل ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقالت يابني كلهم في الجنة أما
السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة
وأما المقتصد فمن تبع أثره من أحسبه حتى لحق به وأما الظالم لنفسه فثلى ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال
ابن عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائى والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم
لثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم هم أصحاب المشأمة والمقتصد أصحاب
الجنة والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق من رجحت حسناته على سيئاته
والمقتصد من استوت سيئاته وحسناته والظالم من رجحت سيئاته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره
خير من باطنه والمقتصد الذى استوى ظاهره وباطنه والسابق الذى باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم
التالى للقرآن ولم يعمل به والمقتصد التالى له والعالم به والسابق القارى له العالم به العالم بما فيه وقيل الظالم
أصحاب الكفار والمقتصد أصحاب الصغائر والسابق الذى لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل
والمقتصد المتعلم والسابق العالم فان قلت قد قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت قال جعفر الصادق بدأ
بالظالمين اخبارا بانه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظالم لا يؤثر فى الاطفاة ثم تبنى بالمقتصدى لانهم بين
الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لثلاثا بمن أحد مكره وكلمة في الجنة وقيل رتبهم هذا الترتيب على مقامات
الناس لان أحوال العباد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى الرجل دخل فى حيز الظالمين
فاذا تاب دخل فى حيز المقتصدى فاذا صحت توبته وكثرت عبادته ومجاهدته دخل فى عدد السابقين وقيل
قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته ثم المقتصد قليلا بالاضافة الى الظالمين والسابق أقل من القليل فلهذا
أخرهم ومعنى سابق بالخيرات أى بالاعمال الصالحة الى الجنة أو الى رحمة الله (باذن الله) أى بأمر الله
وارادته (ذلك هو الفضل الكبير) يعنى ابرائهم الكتاب واصطفاهم ثم أخبر بنواهم فقال تعالى (جنات
عدن يدخلونها) يعنى الاصناف الثلاثة (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيهاحرير)
تقدم تفسيره (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل
حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات وأنهم لا يدرون ما يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقلب

الثلاث فهم الذين اصطفى من
عباده فانه قال قنهم ومنهم
ومنهم والنكل راجع الى قوله
الذين اصطفينا من عبادنا
وهه أدل الاعيان وعليه
الجهور وانما قدم الظالم
للايدان بكثرتهم وان
المقتصدى قليل بالاضافة
اليهم والسابقون أقل من
القليل وقال ابن عطاء انما
قدم الظالم لثلاثا يأس من
فضله وقيل انما قدمه ليعرفه
ان ذنبه لا يبعده من ربه
وقيل ان أول الاحوال
معصية ثم توبة ثم استقامة
وقال سهل السابق العالم
والمقتصد المتعلم والظالم
الجاهل وقال أيضا السابق
الذى اشتغل بعباده والمقتصد
الذى اشتغل بعاشه ومعباده
والظالم الذى اشتغل بعاشه
عن معاده وقيل الظالم الذى
يبدى على الغفلة والعادة
والمقتصد الذى يعبد على
الرغبة والرغبة والسابق
الذى يعبد على الهيبة
والاستحقاق وقيل الظالم من
أخذ الدنيا حلالا كانت
أوحراما والمقتصد من يجتهد
ان لا يأخذها الا من حلال
والسابق من أعرض عنها
جدة وقيل الظالم طالب الدنيا
والمقتصد طالب العقبى

والسابق طالب المولى (باذن الله) بأمره أو بعلمه أو بتوفيقه (ذلك) أى ابراث الكتاب (هو الفضل الكبير جنات عدن) الغلوب
خبرنا ان ذلك أو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ أو الخبر (يدخلونها) أى الفرق الثلاثة يدخلونها أو محمروا (يحلون فيها من أساور) جمع اسورة جمع
سوار (من ذهب ولؤلؤ) أى من ذهب مرصع باللؤلؤ ولؤلؤا بالنصب والهمزة نافع وحض عطف على محمل من أساور أى يحلون أساور
ولؤلؤا (ولباسهم فيهاحرير) لما فيه من اللذة والزينة (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) خوف النار أو خوف الموت أو هموم الدنيا

مايُنْذِرُ فِيهِ مَنْ يَنْذِرُ
يُجْزَوْنَ يَكُونُ مَا يَنْذِرُ
مَوْصُوفَةٌ أَيْ تَعْمِيرُ يَنْذِرُ
فِيهِ مَنْ يَنْذِرُ وَهُوَ مُتَنَاوِلٌ
لِكُلِّ عَمْرٍ عَمَلٌ مِنْهُ الْمَكْلَفُ
مِنْ إِصْلَاحِ شَأْنِهِ وَإِنْ قَصُرَ
الْإِنْذَارُ التَّوْبِيخُ فِي الْمَتَطَاوِلِ
أَعْظَمُ ثُمَّ قَبِيلُ هُوَ عَمَلٌ
عَشْرَةُ سَنَةٍ وَقَبِيلُ أَرْبَعُونَ
وَقِيلَ سِتُونَ سَنَةً (وَجَاءَكُمْ
النَّذِيرُ) الرُّسُولُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ أَوِ الْمَشْيُوبُ وَهُوَ
عَاطِفٌ عَلَى مَعْنَى أَوْلَمُ
نَعَمْ كَرَّمَ لَنْ أَفْظُهُ لِقَظِ
سِتْخَارٍ وَمَعْنَاهُ اخْبَارُ كَأَنَّهُ
قِيلَ قَدْ عَمَرْنَا كَمْ وَجَاءَكُمْ
النَّذِيرُ (فَذُوقُوا) الْعَذَابَ
(فِي اللَّظْمَيْنِ مِنْ نَصِيرٍ)
نَاصِرٍ يَعْنِيهِمْ (إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ
غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)
مُنَاجَاةٌ فِيهِمَا عَشْرُكُمْ (إِنَّهُ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ) كَأَلْتَعْلِيلُ
لِأَنَّهُ إِذَا عَلِمَ مَا فِي الصُّدُورِ
وَهُوَ أَشْفَقِي مَا يَكُونُ فَقَدْ عَلِمَ
كُلَّ غَيْبٍ فِي الْعَالَمِ وَذَاتِ

القلوب ونحو في العاقبة وقيل حزن أهوال يوم القيامة وعموم الحضر والمعيشة في الدنيا وقيل ذهب عن أهل الجنة كل حزن كان لمعاش أو معاد روى المغوي بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكافي بأهل لا اله الا الله بنفضون التراب عن رؤسهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (ان ربنا الغفور شكور) يعني غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال (الذي أحلنا) أي أنزلنا (دار المقامة) أي الإقامة (من فضله) أي لا بأعمالنا (لا عسنا فيها انصب) أي لا يصيبنا فيها عنا ولا مشقة (ولا عسنا فيها الغوب) أي اعباء من التعب قوله تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) أي فيستريحوا بما هم فيه (ولا يخفف عنهم من عذابها) أي من عذاب النار (كذلك نجزي كل كفورهم يصطرون) أي يستغيثون ويصيحون (فيها) يقولون (ربنا أخرجنا) أي من النار (نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) أي في الدنيا من الشرك والسيئات فيقول الله تعالى في بيحالهم (أولم نعوذكم ما يبدؤكم فيه من تذكر) قبل هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل أربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة ويروى ذلك عن علي وهو العمير الذي أعذ الله تعالى لابن آدم (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعذ الله إلى كل امرئ آخر أجله حتى يبلغ ستين سنة وعنه بإسناد الثعلبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين (وجاءكم النذير) يعني محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن قاله ابن عباس وقيل هو الشيب والمعنى أولم نعوذكم حتى شبتهم ويقال الشيب نذير الموت وفي الآثار ما من شجرة تبيض الا قالت لا ختها استعدى فقد قرب الموت (فذوقوا) أي يقال لهم ذوقوا العذاب (فما الظالمين من نصير) أي ما لهم من مانع يمنعهم من عذابه (ان الله عالم غيب السموات والارض انه اعلم بذات الصدر) يعني انه اذا علم ذلك وهو اخفى ما يكون فقد علم غيب كل شيء في العالم ﴿ قوله تعالى (هو الذي جعلكم خلائف في الارض) أي يخلف بعضهم بعضا وقيل جعلكم أمم خلفت من قبلاهم من الامم ورأت ما ينبغي ان يعتسب به وقيل جعلكم خلائف في أرضه وملاكم منافعها ومقابل سد التصرف فيها الشكر به والتوحيد وسد الطاعة (فمن كفر) أي جحد هذه النعمة وغطها (فعليه كفره) أي وبال كفره (ولا يزيد الكافر من كفره عند ربهم الا مقنا) أي غضبا وقيل المقت أشد البغض (ولا يزيد الكافر من كفره الا خسارا) أي في الآخرة (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام جعلتموها شركاء بكم (أروني ماذا خلقوا من الارض) يعني أي جزء استبدوا بخلقها من الارض (أم لهم شرك في السموات) أي خلق في السموات

الصدور مضمراتها وهي تأنيث ذوقني نحو قول أبي بكر رضي الله عنه ذو بطن خارجة جارية أي مافي بطنها من الحبل لان الحبل يصعب البطن وكذا المضمرات تصعب الصدور وذوقموضوع على العصبية (هو الذي جعلكم خلقت في الارض) يقال للمستخفاف خليفه ويجمع على خلائف والمعنى انه جعلكم خلقا في أرضه فلم يملككم مقابلا للتصرف فيها واساططكم على مافيها وأباح لكم منافعتها التشكره بالاشهاد والطاعة (فن كفر) منكم ونحط مثل هذه النعمة السنية (فعليه كفره) فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله وخسار الآخرة كاقال (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقنا) وهو أشد البغض (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) هـ لا كما وخسارانا قل أرايتم شركاءكم آلهتكم التي أشركتموهم في العبادة الذين يدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض) أروني بدل من أرايتم لان معنى أرايتم اخبروني كأنه قيل اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الشكر أروني أي جزء من أجزاء الارض استبدوا بخلقها دون الله (أم لهم شرك في السموات) أم لهم مع الله شرك في خلق السموات

(أم آتيناهم كتابهم على بينة منه) أي معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب بينات على وابن عامر ونافع وأبو بكر (بل ان بعد) ما بعد (الظالمون بعضهم) بدل من الظالمون وهم الرؤساء (بعضا) أي الانباع (الاغوروا) هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (ان الله على السموات والارض أن تزولا) يعنيهما من أن تزولا لان الامساك منع (ولئن زالا) على سبيل الفرض (ان أمسكهما) ما أمسكهما (من أحد من بعده) من بعد امساكهم من الاولى فزيدنا كيد النقي والثانية للابداء (انه كان حليما غفورا) غير معاحل بالعقوبة حيث عسكهما وكانا جديرتين بان تهداهما العظم كفة الشرك كما قال نكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض الآية (واقصموا بالله جهد أيمانهم) نصب على المصدر أي اقساما بآيغا أرعلى الحال أي جاهدس في أيمانهم (لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم) باغ قرين شاقبل مبعث النبي (٥٣٨) صلى الله عليه وسلم ان أهل الكذب كذبوا رسالهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى

وانت هم الرسل فكذبوهم فوالله لئن آتانا رسول لنكونن أهدى من احدى الامم أي من الامم التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة كما يقال للاداهية العظيمة هي احدى الدواهي (فلما جاءهم نذير) فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما زادهم الا نفورا) أي ما زادهم مجي الرسول صلى الله عليه وسلم الا تباعدا عن الحق وهو اسناد مجازي (استكبارا في الارض) مفقوعول له وكذا (ومكر السيئ) والمعنى وما زادهم الا نفورا الاستكبار ومكر السيئ أحوال يعني مستكبرين ومكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل قوله ومكر السيئ وأن مكر السيئ أي المذكر السيئ ثم ومكر السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله (ولا يحق) يحيط وينزل (المكر السيئ الا باهله) ولقد حقق بهم يوم بدر وفي المثل من حفر لآخيه جبار وقع فيه مكبا (فهل ينظرون الا سنت الاولين) وهو انزال العذاب على الذين كذبوا رسالهم من الامم قبلهم والمعنى فهل ينظرون بعد تكذيبك الا ان ينزل بهم العذاب مثل الذي نزل عن قبلهم من مكذبي الرسل جعل استقباهم لذلك انتظارا له منهم (فلن تجد لسنت الله تبديلا) أي تغييرا (ولن تجد لسنت الله تحويلا) أي تحويل العذاب عنهم الى غيرهم (أولم يسير وافي الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) معناه انهم يعتبرون بمن مضى وبآثارهم وعلامات هلاكهم (وكافوا أشد منهم قوة وما كان الله ليجزه) أي ليفوت عنه (من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليا قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) أي من الجرائم (ما ترك على ظهورها) أي ظهر الارض (من دابة) أي من نسيمة تذب عليها بار يديني آدم وغيرهم كما اهلك من كان في زمن نوح بالطوفان الا من كان في السفينة (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) يعني يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما رى اهل طاعته واهل معصيته وقيل بصيرا عن يستحق العقوبة وعن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تم الجزء الثالث ويديه الجزء الرابع أوله سورة يس عليه الصلاة والسلام

السيئ ثم ومكر السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله (ولا يحق) يحيط وينزل (المكر السيئ الا باهله) ولقد حقق بهم يوم بدر وفي المثل من حفر لآخيه جبار وقع فيه مكبا (فهل ينظرون الا سنت الاولين) وهو انزال العذاب على الذين كذبوا رسالهم من الامم قبلهم والمعنى فهل ينظرون بعد تكذيبك الا ان ينزل بهم العذاب مثل الذي نزل عن قبلهم من مكذبي الرسل جعل استقباهم لذلك انتظارا له منهم (فلن تجد لسنت الله تبديلا) أي تغييرا (ولن تجد لسنت الله تحويلا) أي تحويل العذاب عنهم الى غيرهم (أولم يسير وافي الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) معناه انهم يعتبرون بمن مضى وبآثارهم وعلامات هلاكهم (وكافوا أشد منهم قوة وما كان الله ليجزه) أي ليفوت عنه (من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليا قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) أي من الجرائم (ما ترك على ظهورها) أي ظهر الارض (من دابة) أي من نسيمة تذب عليها بار يديني آدم وغيرهم كما اهلك من كان في زمن نوح بالطوفان الا من كان في السفينة (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) يعني يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما رى اهل طاعته واهل معصيته وقيل بصيرا عن يستحق العقوبة وعن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه